

الطليعة

طريق للمناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٧

يوليو ١٩٦٨
السنة الرابعة

دوسيه للمؤتمر القومى

وثائق: "جماعة البحث والعمل الفرنسية" من أجل حل عادل للقضية الفلسطينية

تقرير خاص: لماذا خسر العرب الحرب الثالثة مع إسرائيل؟

بطل المقاومة فى الرواية الجزائرية

حول الاصلاح المالى والإدارى

"كيندى" و"سرحان".. ضحيتان



طـريق المنـاضلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهريه
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير

لطفى الخولى

مستشارو التحرير

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير

ميشيل كامل

سكرتارية التحرير

عبد المنعم القصاص
سعد زهران

عنوان المراسلات

((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ٤٤١٤٤

الاشتراكات

لسنة بالبريد العادى . ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـــرس

العدد السابع ـ السنة الرابعة ـ يوليو ١٩٦٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » .



ضحيتان : "كيندى" و "سرحان"

لا يملك الانســـان ، أيا كان موقفــه من السياســـة الامريكيــة عــامة ، والسياسة التى يمثــلها روبرت كيندى خاصة ، الا أن يأسف فى حزن عميق لجريمة اغتيــاله .فليس من حق احد ان يحكم على آخر بالموت ، ثم يخرج مسدسه من جيبه ويطلق الرصاص القاتل. الجــريمة مــدانة .. أيا كانت دوافعها واســبابها واهــدافها ومرتكبوها وضحاياها معا .

ولعل الاسف هنا يتضـــاعف ــ انسانيا ــ لانه يتصل بماســاة اسرة فقدت ــ فى أقل من خمسة اعوام ــ اثنين من ابنائها الشباب البارزين . الاول وهو على قمة السلطة فى البيت الابيض.. والثانى وهو يشق طريقه الى هذا البيت . والاثنان معا يمثلان ــ موضوعيا ــ بالنسبة للحياة الامريكية المعاصرة ، اتجاها ليبراليا جديدا اكثر تقدما من الاتجاه السائد اليوم ، وان كان محصورا دائما فى اطار النظام الاحتكارى الامبريالى .

والنظرة الاولى الى الجــريمتين تعطى انطباعا باختلاف الظروف الخاصــة بكل منهما . بيد انه اذا كان المتهم بالقتل اليوم فى لوس انجلوس « عربيا فلسطينيا » ، وليس « أمريكيا » كما حدث فى جــريمة الامس بدالاس ، فان ذلك لايقلل من شدة الحاح التساؤل .

لمــاذا « الكينديان » بالذات ؟

ولعل اول ما يثير هذا التساؤل هو هذا الضباب المعتم الذى لايزال يغلف جريمة قتل « جون كيندى » منذ عــام ١٩٦٣ .وذلك رغم القبض على « متهم بالقتل » هو «اوزوالد» والذى ذهب هو الاخر سريعا الى قبره برصاصة من قاتل آخر هو «جاك روبى»

الذى لقى حتفه هو الاخـر « بالصـدفة السرطانية » ، مثله مثل عديد من مواطنين امريكيين آخرين اتصلوا بالحادث، وامتصت نفس « الصدفة القاتلة » حياتهم . ورغـم تقرير لجنة وارن العريض الذى اثبت ان القاتل هو « اوزوالد » ، فان احدا فى امريكا او فى خارجها ــ عدا قلة ــ تشك بعمق فى أن قاتل رئيس الولايات المتحدة الامريكية فى رابعة النهار ووسط آلاف من رجال البوليس ، هو « اوزوالد » حقا . والقارىء لكتاب المحامى الامريكى « **مارك لين** » اوللباحث « **جوستن** » يخرج ــ من خـلال عشرات الادلة والقرائن التى يقدمانها ــ ان القاتل ، هو قوة منظمة عاتية تسيطر على اجهزة جوهرية فى الحياة الامريكيـة ويغلفها الضباب . وان كان هناك من يشير ــ مباشرة وبطريق غير مبـاشر ــ الى احتكارات البترول والصلب والاسـلحة ، والبنتاجون .. وهى هيئات ذات سلطات قوية للغاية فى الحياة ، تصادمت مع « جون كيندى » فى اتجاهاته وافكاره وتكتيـكاته السياسية التى كانت تعرف باسم « الحدود الجـديدة » واعتبرتهـا « كارثة عظمى لامريكا » .

وقد يبدو للوهلة الاولى ، انه اذا كانت جريمة قتل « جون كيندى » لاتزال غارقة فى بحار الشك والمجهول ، فان جريمة قتل « روبرت كيندى » تظهر على العكس واضحة المعالم .

ترى .. هل يرجع ذلك الى ان « جون كيندى » قتل بيد مواطن امريكى ، رسميا ، فى حين ان الاقتناع العام الفعلى ينصب بالاتهام على تلك القوى المنظمة الغامضة داخل المجتمع الامـريكى .. أما قتـل « روبرت كيندى » ، وقد وقع فى لوس انجلوس لا فى دالاس المتعصبة ، قد وقع رسميا وفعليا ــ على حسب ما اظهرته بيانات البوليس ــ من فعل فرد اجنبى هو المواطن الفلسـطينى « سرحان بشـارة سرحـان » .

بيد أنه مع ذلك يحق لنا ــ على ضوء ما رأيناه من موقف البوليس وسلطات الامن الامريكية بالنسبة لقتل جون كيندى ــ ان نبدى التحفظ المبدئى ازاء ما اعلنه البوليس ، بعد ساعات من اطلاق الرصاص على روبرت كيندى من ان القاتل هو سرحان بشاره سرحان . هذا فى الوقت الذى كان قد أعلن ــ بالكلمة والصورة ــ لحظة وقوع الجريمة ان ثمة اشخاص مسلحين ومشتبه فيهم كانوا فى مكان الجريمة بلوس انجلوس ، ثم لم يعثر لهم على أثر بعد ذلك .

ولست هنا فى مقام نفى اتهام البوليس الامريكى « لسرحان » ، فهذا ما لا استطيعه ، ولكنى اريد ــ بالدقة ــ ان اطرح احتمالا يستحق ــ فى رايى ــ الاهتمـام . ان « روبرت كيندى » ، امتداد سياسى لاخيه « جون كيندى » الذى قتلته تلك القـوى الامريكيـة الغـاتية التى لاتزال ملتحفـة بالضباب . وذلك لازاحته عن السلطة ، وقطع الطريق على سياسته الليبرالية . وقد قطعت بالفعل بسياسة الرئيس جونسون الحالية . وظل « روبرت كيندى » منذ مصرع أخيه يدعو لنفس السياسة . ولكن ليس من موقع السلطة . ومن هنا لم يكن يشكل خطرا عاجلا للقوى الضـبابية . ولكن حل الخطر عندما راح يشق طريقه اخيرا الى السلطة ويرشح نفسه للانتخابات القادمة لرئاسة الجمهورية ، ويحقق نجاحه المبدئى فى الانتخابات الحـزبية بـولاية كاليفورنيا .. وعندئذ انطلقت الرصاصات القاتلة ، ووجه الاتهام الى « شخص غريب مجهول هو سرحان بشاره سرحان » .

والسؤال الان : هل نفس القوى الامريكية العاتية المغلفة بالضـبـاب ، والتى كانت ــ حسب اقوى الترجيحات ــ وراء مقتل جون كيندى ، وقـدمت للـذبح وقتـذاك « شخص غريب مجهول » هو « أوزوالد » .. هل هذه القوى الضبابية هى نفسها التى تختفى اليوم ايضا وراء جريمة مصرع « روبرت كيندى » ، وما « سرحان » الا صورة جديدة « لاوزوالد » ؟

وكما كان « جون كيندي » و «اوزوالد».. ضحيتين لهذه القوى الضبابية ، فان « روبرت كيندى » و « سرحان » ضحيتان ايضا لنفس القوى . وذلك حتى ولو كان كل من اوزوالد وسرحان اداتان استخدمتا في اطلاق الرصاص بالفعل .

هذا احتمال تطرحه الاحداث ، وليس غريبا على سوابق الحياة السياسية الامريكية منذ مصرع لينكلون حتى جسون كيندى .

وهناك احتمال آخر يستند الي ما اعلنه البوليس الامريكي وسلطات الامن من وقائع .

ماهى الصورة التى يمكن رسمها للحادث من خلال هذه الوقائع ؟

مواطن عربى فلسطيني ، يحمل اسم سرحان بشاره سرحان ، يبلغ من العمر اربعه وعشرين عاما . ولد بالقدس عام ١٩٤٤، قبل اغتصاب الصهيونية لفلسطين، وهاجر مع بعض اخوته الى الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٥٧ عندما كان فى الثانية عشره من عمره ، وراسه ووجدانه مثقلان بالجرائم الدامية البشعة التى ارتكبها الصهاينة ضد مواطنيه . وبعد اثنى عشر عاما فى امريكا يظهر فجأة فى لوس انجلوس يوم ٥ يونيو ١٩٦٨ ويطلق الرصاص على روبرت كيندى . وعندما يقبضون عليه يصرخ قائلا دعونى لشرح« لقد قتلته من اجل بلادى .. أحب بلادى » ويظل ممتنعا ــ حسب اقوال البوليس الامريكي ــ عن الادلاء بمعلومات عن شخصيته ثم يكشف عنها بعد ذلك .

ماذا تقدم لنا هذه الصورة ؟

انها تقدم الحادث كجريمة سياسية ،يقدم عليها شاب من مشردى شعب فلسطين . أضطرته ظروف بلاده المأساوية والاحتلال الاسرائيلي العنصرى لوطنه الي الاغتراب والتشرد والتمزق القومي والعائلي والنزوح الي امريكا ، وهو لايزال صبيا فى الثالثة عشرة من عمره .

وهناك ظل ينمو وتتشكل طبيعته وسلوكه فى مناخ الحياة الامريكية . وفى هذا المناخ تأثر بعاملين اساسيين :

اولهما . ذلك العداء الذي تصبه الحياة السياسية الامريكية باجهزتها ووسائل اعلامها ضد العرب عامة وضد قضية فلسطين خاصة، بحيث تخنق الحقائق او تشوه تشويها مريعا امام الراى العام العالمى .وفى نفس الوقت تمارس الحركة الصهيونية ــ بالتعاون مع الاحتكارات والبنتاجون ــ نشاطها المحموم ضد العرب من ناحية . وتتمتع اسرائيل ــ فى هذه الحياة ــ بكل التأييد والعون المادى والمعنوى ، وتشجع وتبارك اعمالها العدوانية العنصرية ضد الشعب الفلسطينى ، ويقدم لها المال والسلاح دون حساب ودون اي اعتبار لمأساة الشعب الفلسطيني الشريد والمطرود من وطنه . والساسة الامريكيون فى الحزبين يفقدون كل شجاعتهم الادبية ــ حتى من كان منهم ليبراليا ــ امام الحركة الصهيونية واسرائيل ، ويتبارون لخدمتها سعيا وراء أصوات اليهود ذات الوزن النسبى (٦ ملايين) فى السياسة الامريكية .

ولعل ما صدم سرحان فى « روبرت كيندى » بالذات، انه على الرغم من ليبراليته ازاء الحرب في فيتنام ومشكلة التفرقة العنصرية ، فانه ينسلخ تماما من هذه الليبرالية عندما يواجه قضية الصراع العربي الاسرائيلى ، وينحاز انحيازا تاما لاسرائيل

ضد الشعب الفلسطينى المعتدى عليه ،والذى يماثل فى وضعه الفيتناميين والزنوج. ثم جاءت تصريحات كيندى الاخيرة ــ خلال حملته الانتخابية ــ بشأن ضرورة الاسراع لتسليح اسرائيل بطائرات الفانتوم لتصب «بنزين الحقد واللوعة» على النار المشتعلة فى اعماق الشاب ابن الشعب الطريد .

وثانيهما : تصاعد موجة العنف الدموى كطابع عـام للحيـاة الامريـكية المعـاصرة وسياستها فى الداخل والخارج على السواء. وذلك ابتداء من قتل البيض للسود حتى حملات الابادة الجماعية فى فيتنام . واصبحت « الرصاصة القاتلة » اسلوبا عاديا ومتداولا فى الحياة اليوميـة الامريكية (٩ الاف قتيـل سنويا حسب الاحصـاءات الرسمية ، جريمة قتل كل ساعة وجريمة اغتصاب كل ٣٢ دقيقة حسب تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى) .

والدسـتور والقوانين الامريكية لاتزال تعترف بحق كل مواطن فى اقتناء ما يشاء من سلاح ، ويسـتطيع فى اية لحظـة ان يشترى مسدسا او بندقية بنفس السهولة التي يشترى بها علبة سجائر او قلم رصاص

ولقد بذلت عدة محاولات ــ بعد مقتل جون كيندى فى ١٩٦٣ ــ لتقييد حرية شراء الاسلحة ، واسـتطاعت الجمعية القوميـة للاسلحة فى امريكا «ان تقبر المشروع بالقانون الذى تقدم به وقتذاك « **السناتور دود** »للتشديد فى شروط حمل السلاح بالنسبة للافراد ، وذلك بحجة ان مثل هذا المشروع اعتداء على « حرية اساسـية من حريات المواطنين » !

وكما يقول الفيلسوف البريطانى « برتراند راسل » الذى عاش فى امريكا زمنا « يبدو ان قيمة حياة الانسان قد فقدت اهميتها فى امريكا . وربما لا نجد فى ذلك ما يثير الدهشة اذ يربى الاطفال الامريكيون فى سن مبكرة للغاية ، **على الاعجاب بالعنف كدليل على الشجاعة . واعتاد الاطفال ان ينظروا الى رجال البوليس ورجال مكتب التحقيقات الفيدرالية والعسكريين ــ وكل من يحمل سلاحا ــ باعتبارهم ابطالا . ولا يعير الناس اى اهتمام للحوادث الخطـيرة التى تقع نتيجة اللعب بالاسلحة النارية . وترمى سياسـة عبادة العنف والقتـال فى امريكا الى جعل الابطال انفسـهم مجانين تماما** » (مقال راسـل « بروز سياسـة العنف الامريكية » ــ الطليعـة ــ العـدد الحادى عشر لعام ١٩٦٥)

باختصـار ، صـار الارهاب الدموى ، اسلوبا معترفا به فى الحياة الامريكية لمواجهة المشاكل والصراعات ، بل وحتى الاختلاف فى وجهات النظر . وازدادت خطورته شيوعا منذ مقتل جون كيندى ومن حوله مجموعات المتهمين والشهود حتى مقتل القس الزنجى مارتن لوثر كنج .

فى مثل هذا المنـاخ الدموى ووسـائله العنيفة ، شب الصبى الفلسطينى سرحان المطرود من وطنه والذى ينزف باستمرار من جرحه القومى ، وعاش سنوات تكوينه من الثانية عشرة الى الرابعة والعشرين . وتتابعت صدمات الشاب تزلزل كيانه منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، حتى تصريحات روبرت كيندى الاخيرة ذات التأييد القـوى وغير المشروط لاسرائيل . فى الوقت الذى تمارس فيه سلطات الاحتلال الاسرائيلى الارهاب والقتل والتدمير فى وطنه وشعبه ، وذكرى العام الاول لحرب ٥ يونيو تطل بسوادها وثقلها البشع عليه وهو شريد مغترب عن وطنـه .

وفى خلال هذا الجو ، يقـدم الشـاب المطحون على استخدام الاسلوب الذى لقنته اياه الحياة الامريكية ، ويقدم على ارتكاب جريمته ضد « روبرت كيندى » فى يوم ٥ يونيو بالذات ، معتقدا انه بذلك « يفعل شيئا من اجل بلاده »

وهكذا يقع « روبرت كيندى » و « سرحان » ضحية الانحياز الامريكى غير العادل لاسرائيل والصهيونية ، ولاسلوب العنف الدموى الامريكى .

وسواء صح هذا الاحتمال او ذاك فان المحرك الاول للجريمة يظل فى الحالتين ، العنف الارهابى ، والحركة العنصرية بما فى ذلك الصهيونية والقوى الاحتكارية والعسكرية والحاكمة المسيطرة فى امريكا.

وجريمة « لوس انجلوس » تقدم بعد ذلك كله بعدين هامين :

اولهما : ان الهزة التى اصابت المجتمع الامريكى نتيجة مصرع روبرت كيندى ، قد شملت فيما شملته - وبنفس العنف - الموقف الامريكى المنحاز ،سياسيا وعسكريا لاسرائيل ضد العرب . وان الاستخفاف الامريكى التقليدى بحقوق العرب وقضاياهم التحررية وخاصة قضية فلسطين ، لم يعد قادرا على الاستمرار دون ان يعيد مساءلة نفسه وترتيب حساباته من جديد ، تسبيبا على الاقل .

وثانيهما : ان استخدام سرحان لاسلوب القتل الفردى ، جاء نتيجة عدم قدرته من ناحية ، وقدرة حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة الوليدة من ناحية اخرى ، على الالتقاء والتفاعل . وهذا يبرز من جديد اهمية قيام وتطور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة الى حركة تحرير شعبية تحتضن كل ابناء الشعب الفلسطينى فى الخارج والداخل فى عمل ثورى جماعى ، يكون بديلا شرعيا عن العمل الارهابى الفردى .

وبعد .. لقد قتل كينيدي الاول .. وقتل كيندى الثاني .. وقتل قبل ذلك وبعد ذلك آلاف وآلاف من البيض والسود والصفر نتيجة السياسة الامريكية العدوانية فى الداخل والخارج . بمعني ان امريكا لاتزال فى قبضة العنف الدموى والعنصري والامبريالي . والسؤال الان ، هل يمكن ان تكون ماساة اسرة كيندى الليبرالية ، مفتاحا لباب جديد لسياسة امريكية جديدة تتفهم روح العصر ؟ النظام الاحتكارى العسكرى الامبريالى يقف بعنف ضد اى تغيير . ولكن هناك مع ذلك بوادر حركة جديدة تتفتح عن احتمالات تغيير تضم قوى السود والطلبة والمثقفين الديمقراطيين . هل تستطيع هذه الحركة ان تسجل نصرا جزئيا او كليا على النظام الامريكى المعاصر ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

اسئلة يصعب التنبؤ باجابة محددة لها الان . ولكن علينا ان نساعد ، بنضالنا ضد الامبريالية والعنصرية ، هذه الحركة الامريكية الجديدة . فهذا فضلا عن انه حقنا المشروع فهو ايضا واجبنا ازاء الانسانية كلها التى يهدد مصيرها العنف الامبريالى العنصرى الامريكى .

لطفي الخولي

دوسيه للمؤتمر القومى

- مقدمة
- تصفية العدوان الاسرائيلى
- قضية الديمقراطية
- بعض القضايا الاجتماعية

هذا « الدوسيه » الذى تقدمه الطليعةالى المؤتمر القومى العامللاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو السلطة العليا التى تتعلقبها أنظار أمة بأكملها ، مصممة على تطهير الارض المحتلة من الغزاة المحتلين .

والطليعة اذ تدرك ثقل المهام الملقاة علىعاتق اعضاء المؤتمر فى فترة حرجةوحاسمة من تاريخ بلادنا وامتنا العربية تدرك فىالوقت ذاته انه يقععلى عاتق كل المواطنين ان يلتفوا حولالمؤتمر وانيساعدوا اعضاءهوما وسعهم الجهد على أن يقوموا بعملهم وان يحققوا ثقة الشعب فيهم .

من هنا تقدم الطليعة « الدوسيه »« بالقضايا والمشاكل الرئيسية » المعاصرة الى المؤتمر .

ويأتى هذا الدوسيه ثمرة لدراساتجماعية ومناقشات فرضتها هزيمة يونيو . و « الطليعة » تقدمه الى المؤتمر ايمانا منهابأن الكلمة المكتوبة والمنشورة هى — فى النهاية — كلمة مسئوله ايا كان حظها منالصواب والخطأ .

بل لعل الاصح ان يقال ان « الصحيح »فيها يساعد على المزيد من التقدم ووضوح الرؤية ووحدة الفكر . وان «الخاطىء» فيهايساعد بالنقد والمناقشة الجماعية على تفادى الخطأ ، وعلى الوصول الى الرأىالسليم مرة اخرى من الموقع الاقوى ، ومن النظرة الاوعى .

ولقد نوقش هذا الدوسيه وكتب فىاطارالشعار الذى وضعه بيان ٣٠ مارس وهو أنه يجب الا يعلو صوت على صوتالمعركة . من هنا يعالج الدوسيه ثلاثة موضوعات رئيسية متميزة ومترابطة معا :

الاول — قضية تحرير الارض المحتلةوقضية العدوان الاسرائيلى الاستعمارى.

الثانى — قضية البناء الديمقراطىللتنظيمات السياسية والشعبية ولمؤسسات الدولة .

الثالث — بعض القضايا الاجتماعية التىفرضت نفسها خصوصا بعد الهزيمة العسكرية .

■■■

القسم الأول: تحرير الأرض المحتلة وهزيمة العدوان الإسرائيلى

تتطلبقضية تصفية العدوان الاسرائيلى تعبئة شعبية فى المجالات السياسيةوالفكرية والعسكرية والاقتصادية :

فى المجال السياسى

١ — تعنى تعبئة الجماهير الشعبية سياسيا من اجل تصفية العدوان الصهيونى الامبريالىأن ينطلق اعضاء المؤتمر القومى فى العمل السياسى ابتداء من الواقع الجديد الذى نشأ بعد هزيمة ٥ يونيو .

واذا كان بيان ٣٠ مارس قد حدد انمعركة القضاء على الاحتلال الصهيونى هى المعركة الرئيسية ، وان تطهير الارض من الاحتلال هو الهدف العاجل والمباشر ، فان بيان ٣٠ مارس انما يعكس بهذا الواقع بين جماهير الشعب التى لايشغلها ولا يؤرقها مثل قضية التحرر الوطنى ودحر العدوان . وكل عمل سياسى لايستجيب لهذا الموقف يضع البلاد فى مركز الضعف أمام العدوان ، ويعرض اى قيادة فى مختلفمستويات الاتحاد الاشتراكى لفقدان الثقة ، وينتهى بتسرب الجماهير من ارض المعركة .

٢ — ان واقع الجماهير بعد ٥ يونيو قد وضح بما لا يدع مجالا للشك ان شعبنا قد رفض الهزيمة والاستسلام للاعداء ، وانه ابدى اصرارا

رائعا على المقاومة ، كما ابدى استعدادا لا شك فيه لكل تضحية تفرضها المعركة وانطلاقا من هذا الواقع يجب ان يتجه نشاط القيادات السياسية الى كل ما من شأنه ان يرفع الروح المعنوية ويغذى ثقة الشعب بنفسه ، ويبصره بالابعاد الحقيقية للمعركة : اهدافها العاجلة ، مخاطرها ، وصعوباتها والتضحيات التى تتطلبها. وان يترجم هذا كله الى تحديد الواجبات المطلوبة من الجماعات والافراد . وان تكون القيادات السياسية القدوة والمثل الحى الملهم للجماهير فى مسلكها وحياتها اليومية .

٣ — ان الحل السياسى لقضية العدوان لايستبعد من الناحية المبدئية . الا ان التعبئة السياسية لهذا الحل لاتعنى اشاعة جو من التفكك والتراخى يسمح لقوى الثورة المضادة ان تنشر البلبلة وتشيع روح الهزيمة وتدس افكارها الخاصة بضرورة التسليم والتفاهم مع الاستعمار الجديد . ان التعبئة فى اتجاه الحل السياسي يجب ان تحدد هدف هذا الحل وهو تصفية العدوان .

- بدون التفريط فى الحقوق الوطنية
- بدون الاستسلام لشروط اسرائيل فى الصلح والاعتراف بها .
- بدون التفريط فى حقوق شعب فلسطين .

ان الحل السياسى يجب ان يقدم الى الجماهير على اساس انه التمسك الصلب بالهدف المقدس، وهو تحرير الارض المحتلة،بالعمل على المستويات القومية والدولية لكسب الاصدقاء وتعبئة الرأى العام العالمى الديموقراطى فى صالح العرب ، وعزل العدو الصهيونى وكل القوى التى تسانده وتؤيده . كما ان من اهم الوسائل التى يمكن ان تنجح الحل السياسى هى أن يدرك العدو اصرارنا على استرداد حقنا بالقتال دونه عند اللازم ، وقدرتنا المادية والبشرية على ذلك القتال .

٤ — كشف تطور الاحداث بعد ٥ يونيو ، وعلى الاخص حركة الجماهير الشعبية ، عن هذه الحقيقة وهى أن جماهير الشعب تبدى ايجابية ملحوظة فى العمل السياسى واستعدادا واصرارا متزايدا للمشاركة فى شئون البلاد ، وتطلب ان يعاد بناء الدولة على اسس الديموقراطية . من هنا تتطلب التعبئة السياسية ان تطرح حقائق الوضع السياسى وتطوراته على الشعب ، وان يتم هذا بكيفية منظمة ومستمرة ، وعلى اساس الثقة فى مقدرة الجماهير على الفهم والاستجابة ، والارتفاع الى مستوى الموقف المطلوب .. وأن تكون تلك الحقائق باستمرار موضع المناقشة وتبادل الرأى فى قواعد الاتحاد الاشتراكى .

٥ — المعركة التى يفرضها علينا الاستعمار الامريكى والصهيونية تصاحبها بالضرورة ضغوط اقتصادية وعسكرية وتتولد منها بالضرورة مشكلات داخلية تمس حياة الجماهير ومستوى معيشتها ، كما تنعكس على كافة نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعيه . من هنا تتطلب التعبئة السياسية اللازمة لمعركة التحرر ان تطرح قيادات الاتحاد الاشتراكى كل قضايانا الداخليه وان تناقشها ابتداء من واقع الاحتلال الصهيونى لجزء من بلادنا . فهذا هو المنهج الصحيح لايجاد الحلول الصحيحة لتلك المشكلات . كما انهذا هو المنهج الصحيح لدعم الوحدة الوطنية بين جميع الطبقات المعادية للاستعمار والصهيونية ، ثم للتوفيق بين متطلبات هذه الوحدة وبين متطلبات التحول الاجتماعى من الراسمالية الى الاشتراكية .

٦ — وسيلة التعبئة السياسية هى الجماهير المنظمة فى التنظيمات السياسية والنقابية والتعاونية والاجتماعية (منظمات الشباب والنساء واتحادات الطلاب) . ان بناء هذه التنظيمات على اساس ان تجذب اليها بالاختيار والاقناع اوسع الجماهير ، هو طريق اعداد الشعب اعدادا واعيا لمعركة طويلة وقاسية هى معركة المصير ، وهى فى الوقت ذاته معركة تسليح الشعب باليقظة التى تمكنه من عزل قوى الثورة المضادة ، ودعاة الهزيمة والاستسلام .

فى المجال الفكرى

لا تتم التعبئة السياسية على الوجه الافضل الا اذا ناضلت القيادات السياسية فى الاتحاد الاشتراكى من اجل تثقيف الجماهير العريضة بالمبادىء الفكرية التى تحكم السياسة الداخلية والخارجية للجمهورية العربية المتحدة ، خصوصا فيما يتعلق بالقضايا المرتبطة ارتباطا مباشرا بقضية العدوان الاسرائيلى ودحره . وفى مقدمة هذه القضايا الفكرية :

(١) القضية الاولى هى معرفة من هم الاعداء ومن هم الاصدقاء .

ان المعرفة العلمية للعدو الاسرائيلى . اهدافه القريبة والبعيدة ، طبيعته العدوانية والتوسعية والعنصرية ، مواطن الضعف والقوة فى موقفه ، طبيعة ارتباطاته بالامبريالية العالمية خصوصا

بالولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية : كل هذا ضرورى لتبديد طائفة كبيرة وضارة من الآراء والاوهام والمواقف والسياسات واساليب الدعاية التى سادت وسيطرت على الرأى العام فى بلادنا قبل ٥ يونيو ، والتى افقدتنا تأييد قسم هام من الرأى العام العالمى والديموقراطى .

فى الوقت ذاته ، وفى نفس المستوى من الاهمية، ينبغى ان يجرى تثقيف الجماهير بدون توقف بطبيعة الاستعمار الجديد . خصوصا بطبيعة الامبريالية الامريكية ، وبحقيقة الاهداف القريبة والبعيدة التى تحاول ان تحققها لفرض التبعية على الوطن العربى . وبنوع العلاقات التى تربطها بالصهيونية العالمية وباسرائيل . وفى هذا الصدد فان توعية علمية بطبيعة الامبرياليه الامريكية كفيلة بأن تبدد الاوهام الخادعة القائلة بان امريكا اداة ولعبة فى يد اسرائيل ، وتكشف عن حقيقة اسرائيل باعتبارها راس جسر الاستعمار فى المنطقة . وما يترتب على هذا كله من وضع السياسات الكفيلة بتحقيق مواجهة حازمة بين حركة الثورة العربية بمضمونها الوطنى والاجتماعى وبين عدوها الرئيسى ، الامبريالية الامريكية .

واذا ذكرنا العدو فى باب القضية الفكرية فينبغى ان يتم تثقيف الجماهير ايضا فى اتجاه توعيته بطريقة علمية — لا عاطفية مؤقتة — بمن هم الاصدقاء . ان الشرح العلمى لطبيعة البلاد الاشتراكية التى تساندنا ضد العدوان ، والدوافع التى تحملها على مساندتنا ، وتبديد كل الشبهات التى تحيط بمواقفها نحونا كل هذا يثبت يقين الجماهير الشعبية بامكان تحقيق النصر على الاعداء ويفضح الدعايات الضارة التى يبثها الاستعمار والرجعية لمحاولة عزلنا عن القوى العالمية التى تقف الى جوارنا فى كافة المجالات السياسية الاقتصادية والعسكرية .

(٢) القضية الثانية فى باب التعبئة الفكرية هى حل التناقض بين الفكرة القائلة — وهى صحيحة — بأن المعركة ضد العدو الاسرائيلى والاستعمار معركة تفترض اوسع وحدة وطنية بين القوى المعادية للاستعمار والصهيونية ، وبين الفكرة القائلة — وهى صحيحة — بأن المحافظة على المكاسب الاجتماعية والاقتصادية واستمرار الثورة على الجهة الاجتماعية امر ضرورى لتحقيق النصر على العدو .

وعند معالجة هذا التناقض وشرح ابعاد المعركة وطبيعتها ، سوف نواجه بالضرورة افكار بعض اقسام الطبقة المتوسطة التى تتجه الى تجميد الثورة، وتعارض استمرار التنمية، والتوزيع العادل لاعباء الحرب ، وتزين اساليب الحياة فى الغرب الراسمالى ، وتدعو باساليب جد ملتوية ومتخفية الى تفاهم يفتح البلاد امام تغلغل نفوذ الاستعمار الجديد .

فى المجال العسكرى .

« تعميق التلاحم بين جماهير الشعب وبين القوات المسلحة » هذه احدى المهام الرئيسية التى اشار اليها بيان ٣٠ مارس .

واذا كان تحديد هذه المهمة يدخل فى باب العمل المستمر الذى لا يرتبط بمرحلة دون مرحلة . اى فى السلم والحرب على السواء ، فان المعركة القائمة **تتطلب بالدقة ان تعيش البلاد جو المعركة .**

ان هذا يعنى فى التطبيق :

١ — ان يختفى التناقض الصارخ فى اسلوب الحياة اليومية بين المناطق التى تحدث فيها المواجهة المباشرة مع العدو الصهيونى ، وبين المناطق البعيدة نسبيا عن هذه المواجهه . وهذا يفترض بداهة الاخذ بأساليب التقشف ، والقضاء على الاسراف وتدريب الجماهير عمليا واعدادها نفسيا لمواجهة اى تغييرات تصيب حياتهم اليومية باعلى درجة عن درجات الانضباط الذاتى .

٢ — ان يشرع فى التدريب على المقاومة الشعبية واعمال الدفاع المدنى . وان تتكون فى المصانع فرق زياده الانتاج . وأن تتسع اعمال التدريب على حمل السلاح لتصل الى اعماق القرى والكفور . وان يستفاد من حماس الشباب واستعداداته الوطنية لتنظيم الاعمال التى تقوم على التطوع سواء كانت للمجهود الحربى أم للحياة اليومية .

فى المجال الاقتصادى

نتعرض فى هذا المجال — بتركيز شديد — للمبادىء الاساسية التى نرى على ضوئها قضايا ومشاكل وآفاق التخطيط والقطاع العام والقطاع الرأسمالى والتعاونى والصناعة والزراعة والجهاز المصرفى والسياسة المالية والعمالة وانتاجية العمل والادخار والاستثمار والادارة ورأس المال الاجنبى والسياحة .

١ **مبادىء أساسية :** ان اى محاولة لاجراء اصلاح اقتصادى ، او مالى ، لابد فى تقديرنا ان تستوحى المبادىء الاساسية الاتية :

● **ان اختيار طريق الاشتراكية لا ارتداد عنه ،** لانه حتمية لا فكاك منها ، ولان جماهير شعبنا تبنت الهدف الاشتراكى ، وهى تحرص عليه وتناضل من اجله .

● ان الاشتراكية **اسلوب علمى لتشييد الاقتصاد القومى عن طريق التخطيط المركزى ،** ولذلك فان نقطة البدء فى اى سياسة اقتصادية يجب ان تكون تطوير جهاز التخطيط ودعمه ، لكى يقوم بدوره كاملا على اساس علمى ، مستندا الى الدراسة الاقتصادية والتكنولوجية .

● **ان العدوان قد فرض علينا حالة حرب لابد من ان نواجهها باقتصاد حرب ،** اساسه خفض الاستهلاك الى ادنى قدر ممكن ، وزيادة الانتاج الى اقصى حجم ممكن .

● **ان التنمية الاقتصادية الشاملة قضية حياة او موت بالنسبة لنا ،** وحتمية الحل الاشتراكى تستند الى ان الاشتراكية هى اقصر طريق للتنمية ، والعدوان كان يرمى - ضمن ما استهدف - الى شل التنمية .

● **ان الجماهير التى تبنى الاشتراكية ، يجب ان تشارك فى وضع السياسة الاقتصادية وتنفيذها .** ففى الدول الراسمالية يشارك اصحاب المصالح الحقيقية (كبار الرأسماليين) ، فى رسم السياسة الاقتصادية . واصحاب المصالح الحقيقية عندنا هم جماهير شعبنا العامل .

٢ **- التخطيط :** ان نقطة البدء الوحيدة والجادة فى « الاصلاح الاقتصادى » يجب ان تكون فى تطوير وتدعيم جهاز التخطيط المركزى . فكل المصاعب والاختناقات والمشكلات التى واجهتها الخطة الخمسية الاولى ، يمكن ردها الى قصور فى التخطيط ، لان مهمة التخطيط الاولى هى توقع كل ذلك ، واعداد افضل الحلول لمواجهته . ففضل التخطيط على « الاقتصاد الحر » ، يتمثل - بالدقة - فى تفادى المفاجآت ، وعدم ترك اى شىء للمصادفة :

● لابد من تقدير اسبقية جهاز التخطيط المركزى على كل الاجهزة الوزارية ، وان يكون على رأسه لجنة عليا يرأسها رئيس الجمهورية او نائبه الاول ، تصدر عن طريقها الخطة ، ولا يجرى فيها اى تعديل الا بقرار منها .

● دعم هذا الجهاز بالعدد الكافى من الاقتصاديين والخبراء فى مختلف المجالات ، حتى يجرى دراسات وافية على كل عناصر الخطة ، ولا يكتفى بالدراسة الرقمية لنتائج تتوقعها الوزارات ، ولم تخضع لفحص من جانبه . وتوفير نوع من الاشراف له على ادارات التخطيط بالوزارات والمؤسسات ، التى يجب ان تتكون من خريجى المعهد القومى للتخطيط .

● ان يكون التخطيط شاملا بالمعنى الصحيح ، فلا يقتصر على ترتيب اولويات للاستثمار وتحديد حجمه ، وانما يمتد الى الانتاج والاستهلاك والعلاقة بينهما ، وتخطيط القوى العاملة والاسعار والاجور ... الخ .

● الفصل الواضح فى الحسابات القومية بين الانتاج المادى (السلع وخدمات النقل والمواصلات والتوزيع) ، وبين الخدمات . وكذلك بين انتاج سلع الانتاج ، وبين انتاج سلع الاستهلاك .

● تحديد نصيب كل من القطاع العام والقطاع الرأسمالى والقطاع التعاونى ، فى تنفيذ الخطة .

● الربط بين التخطيط لاجل طويل (١٠ الى ١٥ سنة) ، وبين الخطة الخمسية (١٩٧٠ / ١٩٧٥) .

٣ **- القطاع العام :** ان القطاع العام ، بالرغم من كل ما شاب نشاطه الانتاجى من نواقص ، هو دعامة استقلالنا الاقتصادى ، وهو الذى اسهم بالقدر الاكبر فى تحقيق التنمية الاقتصادية . وهو الذى يجب ان تظل له - بحكم الميثاق - القيادة والسيطرة . ويجب فضح كل محاولات النيل منه والتشكيك ، التى تستتر وراء النقد « البرىء » فى الظاهر . كما يجب اطلاق طاقاته الانتاجية من كل قيود ادارية لا مبرر لها ، وتزويده بوسائل النجاح .

● يجب ان يتوافر لكل شركة الاستقلال الذاتى فى نشاطها الادارى والانتاجى الجارى . اما سياسة الاستثمار وتخصيص الموارد المالية والمادية فيجب ان تتحدد مركزيا . لان قلة هذه

الموارد فى المراحل الاولى للتنمية تقتضى تحقيق التوزيع الامثل لها عن طريق السلطة المركزية .

● تصحيح الوضع المالى لكل شركة بأن يكون لديها رأس المال الكافى لتغطية اصولها الثابتة ، وتوفير قدر ادنى من رأس المال العامل بما يقتضيه ذلك من تحويل بعض القروض الحالية الى رأس مال .

● التزام الشركات بمحاسبة اقتصادية دقيقة ، وعدم فرض اى عمالة فائضة عليها ، وربط الاجر بالانتاج فى ظل نظام شامل للحوافز المعنوية والادبية .

● ان يترك للشركة نسبة معينة من الربح الذى تحققه ، تعيد استثمارها بمعرفتها لتطوير الانتاج وتخفيض التكلفة .

● تركيز الرقابة على الشركات فى الجهاز المركزى للمحاسبات والرقابة الادارية فحسب ، فضلا عن رقابة الجهاز المصرفى التى يمكن ان تتحقق بمجرد حصر تعامل كل شركة فى بنك معين .

٤ — القطاع الراسمالى الوطنى : لا ينبغى ان تكون الدعوه « لتشجيع القطاع الخاص » ستارا للهجوم على القطاع العام . فالقطاع الراسمالى ليس قادرا على حل مشكلات التنمية ، والا لما كان هناك داع للتاميم وللحديث عن حتمية الحل الاشتراكى . ولكن القطاع الراسمالى الوطنى له دوره فى التنمية ، الذى يمكن ان يلعبه فى الصناعة والزراعة وتجارة التجزئة ، وذلك فى كل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، التى لم تبلغ من الحجم ما يبرر تأميمها . كما يجب مقاومة اتجاه رأس المال الخاص نحو الربح السريع عن طريق النشاط الطفيلى ، الذى لا يسهم فى زيادة الانتاج (اعمال الوساطة ، وعقود التوريد ، ومقاولات الباطن ، والمضاربة والتخزين ... الخ) .

● يجب تحقيقا للطمأنينة لدى الراسمالية الوطنية تحديد المجالات التى يجب ان ينشط فيها رأس المال الخاص تحديدا واضحا .

● تأمين القطاع الراسمالى ضد التأميم ، فى حدود رأس مال معين ، او عدد معين من العمال .

● توفير قطع الغيار اللازمة له ، وتوفير الائتمان المصرفى .

● ربط وحدات القطاع الراسمالى بوحدات القطاع العام بروابط تجارية منتظمة ، تضمن استمرار تشغيل كل الطاقات الانتاجية .

٥ — القطاع التعاونى : ان مطالب الراسمالية الوطنية ، يجب الا تغطى على مشكلات الالوف من صغار المنتجين فى الصناعة الحرفية ، وفى تجارة التجزئة . وهؤلاء لا يمكن حل مشكلاتهم الا عن طريق الجمعيات التعاونية الانتاجية ، التى يقترن نجاحها بشرطين :

أ — الا تسيطر عليها عناصر الراسمالية الوطنية ، وهذا ما يمكن ضمانه باشتراط حد اقصى لعدد العمال لدى من ينضم للجمعية (عشرة عمال مثلا) .

ب — الا تخضع لاجراءات بيروقراطية حكومية ، وهذا ما يتوافر اذا ترك لاعضائها فرصة ادارتها بشكل ديمقراطى .

٦ — الصناعة : يجب ان نضاعف الجهد فى مجال التصنيع ، حتى تستوعب العمالة الفائضة وتزيد فى الدخل القومى بمعدلات عالية . والاستفادة من تجربتنا فى التصنيع خلال السنوات السابقة تقتضى :

● ان ندرك اننا لا يمكن ان ننتج كل شىء ، لابد من ان نتخصص فى عدد معقول من الصناعات . وهذا يفرض للتو ضرورة اجراء الدراسات الكافية لاختيار الصناعات التى تكون فرصنا فيها افضل من غيرها .

● اعطاء الاولوية للصناعات التى تنتج مستلزمات الانتاج (الصناعات الثقيلة) . فقد ثبت ان التوسع فى الصناعات الاستهلاكية دون توفير قاعدة من الصناعة الثقيلة ، يجعل تلك الصناعات تحت رحمة امكانيات الاستيراد ، ويزيد من اختلال علاقاتنا الاقتصادية الدولية ، ويهدد المصانع بعدم الانتاج بكامل طاقتها .

● دراسة اقتصادية مستفيضة للمشروعات الجديدة ، من حيث الحجم والموقع ونوع المنتجات ومستلزمات الانتاج والاثار غير المباشرة لتنفيذها وتشغيلها .

● البت فى اوجه استخدام كهرباء السد العالى استخداما انتاجيا فى الصناعة .

٧ — الزراعة : مازال امامنا مجال رحب لزيادة الانتاج الزراعى . ففى مجال التوسع الراسى ، يجب

التركيز على تحسين الصرف ، وعلى زيادة معدلات التسميد التى ما زالت عندنا اقل من الحد الادنى العالمى . اما فى **التوسع الافقى** ، فلابد من استكمال استصلاح الاراضى التى يمكن ان تروى بمياه السد العالى ، واستزراع الاراضى المستصلحة اساسا عن طريق شركات قطاع عام تعمل على اسس اقتصادية ، وتتخصص فى الزراعة الالية المتقدمة ، وتصنيع المنتجات الزراعية وتصديرها ، وتوفير البذور المنتقاة . كذلك التوسع فى التعاونيات التى تضم صغار الفلاحين وحدهم (خمسة افدنة فأقل) ، وتحرير التسويق التعاونى من البيروقراطية ليظل نظاما ثوريا فى خدمة صغار الفلاحين .

٨ — الجهاز المصرفى : اعادة تنظيم الجهاز المصرفى بشكل يناسب دوره فى مرحلة البناء الاشتراكى :

- تخصيص بنك واحد فى عمليات الاستثمار ، حتى تفصل تلك العمليات عن التمويل الجارى للانتاج ، وتخضع لتخطيط دقيق .
- الزام كل شركة بالتعامل مع بنك واحد حتى يكون لدى البنك فى كل لحظة صورة كاملة لوضعها المالى (الذى يعكس وضعها الانتاجى) ، بصفتها تحت تصرف اجهزة التخطيط والرقابة .
- حظر الائتمان بين شركات القطاع العام والزامها بالتعامل بالشيك ، وجعل الدفع بالشيك اجباريا ، فيما زاد عن الف جنيه ، حتى تتجمع كل الموارد المتاحة لدى الجهاز المصرفى .
- فصل عمليات الاتجار التى تقوم بها مؤسسة التسليف الزراعى والتعاونى ، عن عمليات الائتمان ، وتكوين شركة تقوم بها . وتحويل المؤسسة الى بنك يقبل الودائع من المزارعين ومن الجمعيات التعاونية ، الى جانب قيامه بعمليات الاقراض .

٩ — السياسة المالية : تحقيق توازن الميزانية على اساس تمويل كل الخدمات من طريق الضرائب ، واعادة استثمار كل فائض يتحقق من القطاع العام . وهذا يقتضى اجراءات حاسمة وسريعة لخفض النفقات الادارية عن طريق الغاء الوظائف الكبرى الخالية ، وعدم انشاء اخرى جديدة ، والتوفير فى استهلاك المواد ، واجراء حسابات دقيقة لتكلفة اداء كل خدمة لتحقيق اكبر قدر من الفائدة بأقل قدر من النفقة . وكذلك الاعتماد على العمل المتطوع فى اداء بعض الخدمات . ويجب وضع حد للاعتماد على الضرائب المباشرة ، ورفع اسعار السلع الضرورية . ولابد من اعادة نظر شاملة فى نظامنا الضريبى ، وفرض ضريبة على الربح الزراعى . كما يمكن لمواجهة العدوان فرض ضريبة استثنائية على مجموع الثروة لمدة عامين .

١٠ — العمالة وانتاجية العمل : يجب العدول عن تحميل الوحدات الانتاجية بأية عمالة فائضة ، لاخلال ذلك بقواعد المحاسبة الاقتصادية السليمة . كما يجب العمل على استيعاب العمالة الفائضة عن طريق المشروعات التى لا يؤثر تنفيذها بالعمل اليدوى فى مستوى انتاجيتها فى المستقبل (شق الترع والمصارف والطرق وتسوية الارض فى مشروعات الاستصلاح واعمال البناء ... الخ) .

ولابد من عناية خاصة بزيادة انتاجية العمل عن طريق التدريب المستمر والارتفاع بمستوى مهارة العامل ، ويمكن ان يلعب ربط الاجر بمستوى الانتاج ودرجة المهارة ، دورا كبيرا فى زيادة الانتاجية .

١١ — الادخار والاستثمار : مازال معدل الادخار عندنا منخفضا . فلابد لتحقيق تنمية سريعة من تحقيق زياده فى الناتج القومى لا تقل عن ٨٪ سنويا . وهذا يمثل استثمارا يقارب ٢٠ ٪ من الدخل القومى . ومعدل الادخار عندنا لم يزد عن ١٣ ٪ ، والجزء الاساسى منه جاء عن طريق التأمينات الاجتماعية والمعاشات (اى من الطبقات العاملة) ، وعن طريق فائض القطاع العام . وسبيل الزيادة فى معدل الادخار هى من ناحية زيادة انتاج وانتاجية القطاع العام ، ومن ناحية اخرى زيادة الاعباء التى تتحملها الطبقات الوسطى فى الريف والمدينة ، عن طريق زيادة الضرائب التى تدفعها وخصوصا عن الدخل الذى تنفقه فى الاستهلاك ، وكذلك فرض التأمينات الاجتماعية على افرادها .

١٢ — المدفوعات الخارجية :

لقد كثر الحديث عن العجز فى ميزان المدفوعات. ودراسة هذا العجز تبين ان مصدره الاساسى زيادة الواردات. وتحليل الواردات يثبت ان اهم بندين فى تلك الزيادة هما : الحبوب الغذائية من ناحية، ومستلزمات الانتاج من ناحية اخرى.

● وفيما يتعلق بالحبوب الغذائية ، لابد من المبادرة الى التوسع فى زراعة الذرة وزيادة انتاجية الفدان عن طريق التسميد ومقاومة الافات ، ثم تعميم خلط الذرة بالقمح فى صناعة الرغيف.

● اما مستلزمات الانتاج ، فان جزءا هاما منها يتكون من اجزاء السلع التى يتم تجميعها محليا (السيارات ، الراديو ، التليفزيون ، الثلاجات ... الخ). وهذا البند يمكن علاجه باستخدام الحلول الثلاثة الاتية مجتمعة او منفردة : التعاقد مع الشركات الموردة على شراء الكمية الاكبر من الانتاج ، التعاقد مع الدول الاشتراكية على توريد كميات كبيرة من الانتاج على ان تستورد منها بقدر الامكان مستلزمات الانتاج ، نقل بعض المصانع عند اللزوم.

١٣ — كادر للدولة والقطاع العام والديمقراطية :

ان الاشتراكية لا يمكن ان تبنى بغير اشتراكيين. ومن المعروف ان لدينا عددا كبيرا نسبيا من الفنيين واهل الخبرة. ولكن نسبة كبيرة منهم لا تؤمن بالقطاع العام الذى تديره. ولهذا فلابد من اعادة النظر فى معاهد الادارة العليا وتزويد برامجها بالدراسات السياسية والاقتصادية والايديولوجية ، التى تتيح لرجال الادارة التعرف على الفكر الاشتراكى حتى يرتبطوا بالشعب ارتباطا كاملا. فاذا كانت الادارة علما ، فان الثورة علم ، والاقتصاد الاشتراكى علم. ولابد من تزويد قادة الانتاج والمسئولين فى جهاز الدولة بكل ذلك.

وعندئذ يمكن ان نضمن تقبلهم لمبدأ ديمقراطيه الانتاج الذى يتمثل فى تمثيل العاملين فى مجالس الادارة ، ويمكن التوسع فيه عن طريق تنظيم الجمعيات العمومية للعاملين فى كل شركة ، واشتراكها فى مناقشة الخطة والميزانية ، وتقرير مجلس الادارة.

كذلك لابد من تقرير مبدأ ديمقراطية الخدمات عن طريق توفير قيادة جماعية لوحدات الخدمات يشترك فيها العاملون فى الوحدة والمستفيدون من خدماتها (مجالس للوحدات الصحية والمستشفيات والمدارس ... الخ).

١٤ — رأس المال الاجنبى :

اننا نقف بشدة ضد محاولات الاستعمار الجديد لاستخدام الضغوط الاقتصادية لضرب النظم التقدمية ومحاولاته السيطرة على الاقتصاد القومى للبلاد المتحررة. ولكن هذا لا يعنى رفضا مبدئيا وعاما للاستثمار الاجنبى. وانما ثمة حقائق لابد من تأكيدها:

● رأس المال الخاص الاجنبى لا يقبل على الاستثمار الطويل الامد (الاستثمار فى الصناعة واستصلاح الاراضى وما الى ذلك) ، وهو يفضل بصفة عامة الاستثمار فى الدول الصناعية. فالراسمالية الامريكية قد وجهت ٧٥٪ من اجمالى استثمارها فى الخارج الى الدول الصناعية الاخرى. اما الباقى فمعظمه فى البترول. وهذا الوضع يسرى على رؤوس الاموال العربية التى تفضل بنوك امريكا وانجلترا وسويسرا. ولذلك فلا ينبغى التعلق بأوهام حول امكانيات « تدفق » رأس المال الاجنبى الخاص على بلادنا.

● ان تجربتنا سنة ١٩٥٢ ، حين صدر قانون تشجيع الاستثمار الاجنبى اثبت هذا الاتجاه العام.

● ان الاقتراض ، ما دام القرض يستخدم فى الانتاج ، وما دام اجله طويلا وسعر فائدته معقولا (لا يزيد عن ٥٪) ، افضل من الاستثمار الخاص الذى لا يقنع بربح اقل من ١٠ ٪.

● انه يجب الا نبالغ فى التسهيلات ، ولا نسعى للاستثمار الاجنبى فى المشروعات العادية التى يمكن ان نمولها من مواردنا ، والا نسمح باملاء اي شروط اقتصادية مجحفة او شروط سياسية.

● المجال الاساسى للاستثمار الاجنبى فى تقديرنا هو البترول.

١٥ — السياحة :

ان موارد بلادنا السياحية يمكن ان تجعل دخلنا من السياحة يقفز خلال خمس سنوات الى مائة مليون جنيه. ولكن ذلك يقتضي

الدراسة الجادة والعلمية لمواردنا ، ولنوع السياح وفئاتهم ورغباتهم ولاساليب الدعاية والتسويق، مستفيدين فى ذلك من الخبرة الجادة التى يمكن ان تقدمها بلاد مثل ايطاليا ، بعيداً عن التهريج والمشروعات المرتجلة ، ومحترفى النصب باسم السياحة من الاجانب .

■■■

القسم الثانى من أجل ممارسة حقيقية للديمقراطية

الاتحاد الاشتراكى العربى .. والجهاز السياسى الطليعى

اولا : الاتحاد الاشتراكى :

١ ــ بانتخاب المؤتمر القومى لرئيس الاتحاد الاشتراكى ولاعضاء اللجنة المركزية تكون الاشكال التنظيمية للاتحاد قد استكملت . وهذا يعنى بداية مرحلة جديدة فى حياة هذا التنظيم المدعو الى ان يكون تجمعا عريضا لتحالف الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين والراسمالية الوطنية والجنود فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .

٢ ــ وتتعلق انظار الجماهير الشعبية بالاتحاد الاشتراكى فى عهده الجديد ويلتفت الشعب بيقظة تامة الى ما سوف يقدمه هذا التنظيم الشعبى . وهذا راجع الى ان عملية اعادة تكوين الاتحاد الاشتراكى قد تمت فى ظروف نكسة مريرة ، ومن خلال تحرك جماهيرى واسع عبر عن رفض الهزيمة العسكرية واستمرار المقاومة ، واكد على ضرورة اعادة بناء الدولة بناء ديموقراطيا . من هنا تحمل قيادات الاتحاد الاشتراكى فى مرحلته الجديدة اشق المهام لانها تحمل امانة ومستقبل شعب باسره .

٣ ــ ولعله مما لا يفيد العمل الوطنى ان نرسم صورة خيالية او مبالغة فيها لما يمكن ان يكون عليه الاتحاد الاشتراكى ــ او لما يمكن ان ينجزه ــ فى عهده الجديد . والاصح ان يقال ان الانتخابات التى جرت لتكوينه ستزيد من ثقل الطبقات الشعبية فيه وهذا رصيد ايجابى يجب البدء منه والاعتماد عليه . لكن غياب التنظيم السياسى الطليعى اثناء اجراء الانتخابات لابد وان تنعكس آثاره السلبية فى وصول بعض قيادات الى الاتحاد الاشتراكى ليست فى المستوى المطلوب من حيث الاخلاص للمثل الاعلى الاشتراكى والقدرة على التعبير عن آمال الطبقات الشعبية وخاصة العمال والفلاحين .

٤ ــ غير ان السلبيات التى قد تظهر فى المستقبل داخل الاتحاد الاشتراكى يمكن ، بل ويجب ان تواجه وتصحح لا اعتمادا على التعيين والقرارات العلوية بل استنادا الى الدروس المستفادة من الماضى هذا من ناحية ومن ناحية اخرى بالتمسك بالاسلوب الديموقراطى واشاعته داخل الاتحاد الاشتراكى وبين مختلف المستويات القيادية فيه .

٥ ــ وان اهم الدروس المستفادة من تجربة المرحلة الماضية هى الحيلولة دون ان يتحول الاتحاد الاشتراكى الى نوع من الحزب السياسى المغلق الذى يمثل طبقة بعينها . وهذا الخطر لا يزال ــ بالفعل ــ شديدا على مستقبل الاتحاد الاشتراكى ، وذلك اذا ادخلنا فى الاعتبار ان الطبقات المتوسطة فى حرصها على مصالحها الخاصة تحاول بطريقة تلقائية وواعية معا ان تفرض سيطرتها الطبقية لا على اجهزة الدولة فحسب ، بل على التنظيمات السياسية الشعبية . وذلك لتسيطر عليها وتستبعد الشعب من قيادتها وان لها من الخبرة والثقافة والامكانيات ما يسهل لها المهمة . وهذا الخطر ليس مجرد افتراض ولكنه مرتبط بواقع اجتماعى عميق الجذور خصوصا فى الريف حيث لايزال للراسمالية مواقع اقتصادية واجتماعية قوية .

٦ ــ فى الوقت ذاته ينبغى ان يتفادى الاتحاد الاشتراكى خطرين آخرين :

أ ــ الخطر الأول هو الخلط بينه وبين التنظيم السياسى الطليعى . ان هذا الخلط سيؤدى الى تصفية الاتحاد الاشتراكى كتجمع عريض لقوى الشعب العاملة ، ويحوله الى تنظيم حزبى .

ب ــ الخطر الثانى هو ان يسعى الاتحاد الاشتراكى الى ان يحل فى الواقع العملى محل التنظيمات الجماهيرية الاخرى : النقابات والجمعيات والاتحادات ... الخ . ان هذا سينتهى باضعاف الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى كما سيؤدى الى اضعاف الحركة الديموقراطية فى البلاد ، الامر الذى ينتهى بدوره ــ بعزل الاتحاد الاشتراكى عن حركة الجماهير .

٧ ــ لكى يصبح الاتحاد الاشتراكى ــ كما نص الميثاق ــ التجمع الشعبى العريض والصيغة الملائمة لتحالف قوى الشعب العامل ، لابد وان يؤسس هذا التنظيم الشعبى نشاطه العملى على مراعاة الحقائق الاساسية التالية :

- العضوية فى الاتحاد الاشتراكى اختيارية دائما .

- ليس كل ناخب عضوا بالضرورة فى الاتحاد الاشتراكى وانما يضم الاتحاد الاشتراكى العناصر التى لديها الحد الادنى لتحمل المسئولية السياسية .

- الاتحاد الاشتراكى كحلف لطبقات متعددة ، لابد وان تتعدد فيه المنابر والاراء ويسود الحوار المفتوح فى نطاق الالتزام بالميثاق وبيان ٣٠ مارس .

من هنا ضرورة ان يعيد الاتحاد الاشتراكى النظر فى شروط العضوية وفى علاقته بالصحافة .

ففيما يتعلق بشروط العضوية ، ولكى لا يختلط تنظيم الاتحاد الاشتراكى بالتنظيم الطليعى يحسن أن تكون هذه الشروط بالنسبة للعضو كما يلى :

- ان يقبل الميثاق الوطنى .

- ان يناضل من اجل تحقيق الاهداف المرحلية للاتحاد الاشتراكى .

- ان يلتزم بلائحة الاتحاد الاشتراكى ويسدد اشتراكاته وينفذ قراراته .

فى هذه الحدود لا تصبح عضوية الاتحاد الاشتراكى عبئا على القوى الاجتماعية المختلفة التى يضمها ، وفى هذه الحدود يختلف معنى الالتزام فى داخل الاتحاد الاشتراكى عنه فى داخل التنظيم الطليعى ، الذى لا يضم الا ثوريين مناضلين لا ارتباط لهم بأى شكل من اشكال الاستغلال .

وفيما يتعلق بعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالصحافة فان الدروس المستفادة من الماضى ، والرغبة فى أن تقوم الصحافة بدورها كوسيلة ديموقراطية للتنوير والتثقيف والاعلام ، كل هذا يتطلب :

- التأكيد على مبدأ ان الصحافة يجب ان تكون ملكا للشعب .

- ان تكوين الاتحاد الاشتراكى ذاته من طبقات متمايزة المصالح يقضى بأن تتعدد المنابر الصحفية ، وان يكون للتنظيمات الشعبية : كاتحادات العمال والفلاحين واتحادات الطلاب حرية اصدار صحافتها .

- تنظيم المؤسسات الصحفية لتدار من الداخل ادارة ديموقراطية تؤكد مبدأ القيادة والعمل الجماعى .

- فتح صفحات الجرائد والمجلات لكافة التنظيمات الشعبية وللمواطنين ليعبروا بطريقة منظمة ومسئولة عن آرائهم وانتقاداتهم كلما عن لهم ذلك .

٨ ــ الاتحاد الاشتراكى ليس سلطة دولة . ولا ينبغى بحال ان يسعى الى ان يحل محل الاجهزة التنفيذية للدولة . وكل محاولة للخلط بين مهام الاتحاد الاشتراكى وبين مهام الدولة يترتب عليها آثار بعيدة المدى تصيب بالضرر الحياة السياسية الاقتصادية للبلاد .

ان الاتحاد الاشتراكى يجب ان يظل باستمرار تنظيما سياسيا وثيق الارتباط بجماهير الشعب ، ومن خلال هذه الرابطة العضوية والحية يستطيع ان يؤثر بكيفية ايجابية وفعالة على كافة الاجهزة التنفيذية وعلى جميع اوجه النشاط الذى تقوم به الدولة . وعن طريق مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى واللجان المتخصصة الملحقة باللجنة المركزية يستطيع ان يوجه ويقود ويصحح اعمال الجهاز التنفيذى .

٩ ــ واخيرا فان القضية الاساسية التى ينبغى ان يضعها اعضاء المؤتمر القومى امام انظارهم هى ان الاتحاد الاشتراكى ليس ملكا لعدد من العناصر القيادية ، بل انه ليس ملكا لاى مستوى قيادى فيه . انه ملك الملايين من اعضائه . ويترتب على هذه الحقيقة واجب مباشر ومستمر : وهو ان تعمل مختلف القيادات على

تشغيل وتنشيط الوحدات الاساسية (القاعدية) للاتحاد الاشتراكى ، لأن هذه الوحدات هى الرباط العضوى الذى يربط الاتحاد الاشتراكى باوسع الجماهير . ان تشغيل وتنشيط الوحدات الاساسية يتم من خلال دعوتها المنتظمة الى الاجتماع لشرح توجيهات القيادة وللتعرف على راى القاعدة . وان التزام القيادات بدعوة مؤتمر الوحدات الاساسية فى مواعيدها والتزامها بتقديم كشف حساب عن الايجابيات والسلبيات الخاصة بكل مرحلة من مراحل عمل الاتحاد الاشتراكى ، كل هذه شروط اساسية لحياة الاتحاد الاشتراكى ولحمايته من العزلة عن الشعب .

ثانيا : الجهاز السياسى

١ — ان تكوين الجهاز السياسى « التنظيم الطليعى» للاتحاد الاشتراكى قضية لم تعد تحتمل التأخير . لقد تسبب التأخير فى بناء التنظيم الطليعى فى حدوث كثير من الاختناقات والصعوبات والتعثر فى العمل السياسى . ومن المهم اذن ان نتبين القسمات الرئيسية لهذا التنظيم الطليعى وان نتعرف على مهامه ومسئولياته وعلاقته بالاتحاد الاشتراكى .

٢ — ان هذا التنظيم الطليعى يجب ان يكون بالضرورة تنظيما او حزبا للثورة الاشتراكية . ومن هنا فهو يقبل فى صفوفه فقط :

أ — الطلائع الثورية التى ترغب فى النضال من أجل تحرير الشعب من كل اشكال استغلال الانسان للانسان .

ب — الطلائع التى لها مصلحة اساسية فى عملية بناء الاشتراكية ، والتى لا يربطها رباط بأى شكل من اشكال الاستغلال .

ج — الطلائع المناضلة فى صفوف الجماهير والمنظمات الجماهيرية المختلفة والتى يرشحها وعيها وايمانها بقضية الاشتراكية وتمتعها بثقة الجماهير لعضوية التنظيم الطليعى .

٣ — ان كسب مجموع هذه الطلائع المناضلة الى التنظيم الطليعى يجعل منه القيادة العليا والفعلية لمجموع العمل الوطنى . بل انه يجعل منه كتيبة الصدام المتحركة دوما ضد كل قوى التخلف والثورة المضادة . وبالنسبة للاتحاد الاشتراكى سوف يصبح التنظيم الطليعى « العمود الفقرى » والقيادة القادرة على حشد وتعبئة الجماهير داخل الاتحاد الاشتراكى ، وعلى حل التناقضات الاجتماعية بين قوى الحلف الشعبى حلا سلميا ولمصلحة استمرار الثورة .

واخيرا فان هذا التنظيم الطليعى سيكون بفضل استيعابه فى صفوفه لخيرة العناصر التى تبرز فى النقابات والمنظمات الجماهيرية الاخرى ، القيادة الفعلية لمجموع المنظمات الجماهيرية ، تلك القيادة التى تبرهن على قوتها بين الجماهير بفضل قدرتها على اقناع الجماهير بخطها السياسى وقيادتها قيادة اختيارية .

٤ — وقيادة التنظيم الطليعى للجماهير توجب ان يبادر هذا التنظيم — مستندا الى الميثاق وبيان ٣٠ مارس الى ان يطرح على الشعب خطه الاستراتيجى (البعيد المدى) وخطه التاكتيكى (القريب المدى) . وان يحدد فى خطه الاستراتيجى اهدافه فى مرحلة ثورية باكملها هى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . وان يحدد بعد ذلك ووفقا للظروف العامة فى البلاد والمحيطة بها الاهداف المباشرة والقريبة ووسائل تحقيقها والقوى الاجتماعية المدعوة الى الوحدة والتضامن من اجل انجازها .

ان وضع التنظيم الطليعى لخطه السياسى المحدد ، قضية يفرضها الحفاظ على امن الثوره ومستقبلها . لانه على اساس هذا الخط الذى سيناقشه الشعب يشرع التنظيم فى تثقيف الجماهير به وتعبئتها من حوله وتسليحها به ، حتى تتمكن من ان تصمد فى مواجهة القوى والطبقات التى تحاول ان تنتكس بالثورة او تجمدها ، وحتى تتمكن فى النهاية من ان تنجز بوعى وبكيفية خلاقة الاهداف القومية والاجتماعيه المطروحة .

٥ — ولما كانت بلادنا لا تستطيع ان تحقق التقدم (اى تقيم دولة عصرية ومجتمعا يعتمد على آخر منجزات العلم والتكنولوجيا) الا من خلال الحل الاشتراكى ، فان التنظيم الطليعى بوصفه تنظيما للاشتراكيين هو القوة المحركة لعجلة التقدم لانه القيادة التى تستطيع ان تكتشف الكوادر الممتازة التى تظهر فى جميع مجالات الانتاج . وهو الذى يستطيع ان يربيها ويساعدها ويثقفها فى روح الاخلاص والتفانى فى خدمة العمال والفلاحين والكادحين عموما ، وفى خدمة اهداف الاشتراكيه .

المهام الدستورية للمؤتمر القومى

١ — من المهام التى يضطلع بها المؤتمر القومى العام فى دور انعقاده فى ٢٣ يوليو ، القيام بمراجعة دستورية وتشريعية شاملة . فقد اشار بيان ٣٠ مارس الى ان المؤتمر القومى قد يرى ان يقوم بنفسه بعملية وضع مشروع

الدستور الدائم ، وقد يرى فى الأمر رأيا اخر ، وانه مهما يكن فمن المهم ان يكون مشروع الدستور الدائم معدا . ومن هذا يتبين ان المؤتمر القومى العام المنتخب من الشعب قد يرى ان يتحول الى جمعية تأسيسية لوضع مشروع الدستور ، وانه اذا لم ير ان يضع بنفسه مشروع الدستور، فان من اهم واجباته ان يبدى رايا فى الخطوط العريضة التى عرضها بيان ٣٠ مارس لمشروع الدستور . والمؤتمر فى ذلك يمكنه ان يسترشد بتلك الحصيلة الوافرة من المناقشات التى ادارتها قوى الشعب العاملة فى اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع الدستور والتى توقفت جلساتها قبيل ٥ يونيو وكانت قد قطعت شوطا بعيدا فى عرض وجهات نظر المواطنين فيما يجب ان يتضمنه مشروع الدستور ، كما ان الدستور الجديد يجب أن يعبر حتما عن طبيعة المرحلة النضالية الحالية التى يجب ان يتوفر فيها الضمانات الدستورية لنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة نقلا فعليا .

وحول هذا المطلب الاساسى وهو نقل سلطة الدولة الى الشعب العامل ، يجب أن تتحدد اتجاهات الدستور الجديد .

ونقل سلطة الدولة الى الشعب العامل يثير عدة قضايا على جانب كبير من الاهمية فى اعداد الدستور .

٢ — ان السلطة فى مجتمع يبنى الاشتراكية يجب ان تكون سلطة واحدة يمارسها الشعب ، وهذا يقتضى ان تتركز هذه السلطة اساسا فى مجلس الشعب المنتخب ، الذى يصبح من القصور الاكتفاء بوصفه بانه السلطة التشريعية ، بل انه يصبح وعاء السلطة الشعبية، وهو الذى ينتخب الاجهزة التنفيذية التى تقوم باختصاصات الحكومة التنفيذية . وبالتالى فان الحكومة تكون مسئولة امامه لانه هو الذى يختارها ، وهى منبثقة عنه . بينما لا تملك الحكومة ان تحل المجلس الشعبى ، لانها ليست سلطة مستقلة فى مواجهته . ولكن الشعب وحده هو الذى يملك ان يسحب الثقة من اعضاء المجلس الشعبى ، لانه يستمد سلطته من ارادة الشعب . وواضح انه فى هذا النظام تعلو سلطة المجلس الشعبى على سلطة اجهزة الحكم الاخرى .

ان الافكار المنقولة عن الديمقراطية الغربية ترى ان تنظيم الدولة يقوم على سلطات منفصلة تراقب بعضها ، ومؤداها أن يدور البحث حول نظام برلمانى يملك فيه البرلمان اسقاط الحكومة وتملك فيه الحكومة حل البرلمان . او نظام رياسى يستقل فيه رئيس الدولة باختيار اعضاء الحكومة ولا يملك المجلس النيابى اقالتهم ، كما لا يملك رئيس الدولة حل المجلس النيابى — وواضح انه فى هذا النظام لا يصبح المجلس الشعبى اعلى سلطة فى الدولة ، بل تتعادل سلطته وتتوازن مع سلطة الحكومة .. بل قد تصبح سلطة الحكومة من الناحية العملية هى الراجحة .

واذا اردنا فى مشروع الدستور أن نختار بين الفكرتين ، فان اساس الاختيار لا يمكن ان يكون بمقارنة دستورية بين ما يسمى ميزات هذا النظام او غيره . **بل ان الاختيار محكوم بفلسفة المجتمع الذى يتحول الى الاشتراكية والذى ينقل سلطة الدولة فعلا الى الشعب ، والذى ينكر تعدد الاحزاب ويجمع قوى الشعب العاملة فى تحالف يوجه العمل السياسى بقيادة جهاز سياسى يقوم من داخله من بين طلائع هذا التنظيم .** فالنظام الذى يقوم على تعدد السلطات يفترض حتما تعدد الاحزاب السياسية التى يتحقق بوجودها نظام الرقابة والموازنة بالمفهوم الغربى . وهذا النظام مرتبط بدوره بتقسيم المجتمع الى طبقات بعضها يعلو فى سلم النفوذ الاجتماعى والاقتصادى ويقود سلطة الدولة فعلا ، حماية لمصالحه .

٣ — ولقد كان التنظيم السياسى ووضعه من سلطة الدولة محل جدل فى مناقشات اللجنة التحضيرية للدستور ، ولم تكن الرؤية فيه واضحة بالنسبة لطبيعة الاتحاد الاشتراكى كتحالف جماهيرى واسع يقود سلطة الدولة ويؤثر عليها دون أن يندمج فيها . وقد بلغ الخلط ببعض من تعرضوا لهذا الموضوع الى حد تصور ان وجود تنظيم سياسى يمكن ان يغنى عن وجود مجلس شعبى منتخب ، بل وذهبوا الى ان هذا التنظيم هو الذى يجب ان يرشح — راسا — لرياسة الجمهورية ولمجلس الامة ، وانه يملك سحب الثقة من اعضاء مجلس الامة . واختلفت الاوصاف التى خلعت على التنظيم السياسى ، من وصفه بانه السلطة الام او انه وعاء السلطات او انه السلطة العليا التى تعلو سلطات الدولة الاخرى . وبينما ذهب البعض الى ان اعتبار الاتحاد الاشتراكى هو السلطة العليا يقتضى ان يتناول الدستور تنظيم علاقته بالسلطات الاخرى، أنكر اخرون ذلك ورأوا انه باعتباره السلطة العليا يعلو على السلطات الدستورية بل يعلو على الدستور ذاته .

والواقع ان الاتحاد الاشتراكى فى التطبيق كثيرا ما اختلط بسلطة الدولة ، ذلك انه فى نشأته واستعانته باجهزة الدولة لتدعيم نشاطه، وتعيين الوزراء او المحافظين فى فترة من فترات نشاطه فى مناصبه القيادية بناء على صفتهم فى الدولة

لا بناء على اختيار الجماهير ؟ والتدخل في صميم الاداة التنفيذية،والرجوع اليه لاختيار المرشحين في النقابات او التعاونيات ـ كل هذا! كان من شأنه ان يحول هذا التنظيم السياسي من دوره السياسي الجماهيري الى دور مكرر لاجهزة الدولة البيروقراطية تتصل بالجماهير لا عن طريق تعبئتها سياسيا بل مستعينة بالاساليب الادارية .

وهذا الموضوع يقتضي مزيدا من الوضوح في المؤتمر القومي العام، انه يقتضي ان نميز تماما بين سلطة المجتمع وسلطة الدولة . فاذا كان المؤتمر القومي العام هو اعلى سلطة في المجتمع ، فان المجلس الشعبي هو اعلى سلطة في الدولة . والاتحاد الاشتراكي عن طريق فعاليته الحقيقية وتأثيره السياسي في الجماهير هو الذي يقود سلطة الدولة وهو الذي يؤثر في اختيار اعضاء المجلس الشعبي الذي يعبر عن سلطة الدولة العليا . وهو كتنظيم سياسي يجب ان يكون بعيدا عن التنظيم الدستوري لسلطة الدولة . فهو الذي يستقل بوضع قانونه وهوالذي يجري انتخاباته بنفسه ويختار اجهزته القائدة ومنه ينبثق جهازه السياسي الطليعي . فالاتحاد الاشتراكي يجب ان يكون اكثر تقدما في فكره واكثر قدرة على الحركة وعلى خلق انسب الاشكال التي يؤدي بها دوره السياسي . ومالم نتنبه الى تأكيد طبيعة الاتحاد الاشتراكي كقوة سياسية ، فانه سيظل مستمدا قوته من سلطة الدولة ويفقد بالتالي تأثيره السياسي الجماهيري ويتحول الى جهاز بيروقراطي .

والاتحاد الاشتراكي العربي تحالف جماهيري واسع ، وليس حزبا ، وبالتالي فهو يضم كل قوى الثورة، ويجب ان يتيح الفرصة لها للتعبير عن مصالحها في اطار الميثاق ، وبيان ٣٠ مارس . ومن الطبيعي ان تنشأ فيه اتجاهات مختلفة ، ولهذا فانه اذا جاز ان تشترط عضوية الاتحاد الاشتراكي في الترشيح للمجالس السياسية وللمراكز القيادية في المنظمات الجماهيرية فانه لا يجوز بحال ان يساند كتنظيم احد اعضائه المرشحين ضد عضو آخر .

كذلك يثير نقل سلطة الدولة الى قوى الشعب العاملة في الدستور الجديد موضوع ضمان النسبة التي قررها الميثاق للفلاحين والعمال . بمعنى انه لا بد ان ينص الدستور الجديد على ضمان نسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين . وذلك بالتعريف الجديد اذا لم ير المؤتمر تطويره ، على ضوء التجربة .

٤ ـ ان تنتقل سلطة الدولة الى قوى الشعب العاملة ، يتطلب ايضا اعمال ما نص عليه الميثاق من دور الحكم المحلي في ان ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدي السلطات الشعبية وهي الاقدر على الاحساس بمشاكل الشعب والاقدر على حسمها . ذلك انه رغم مرور ست سنوات على اعلان الميثاق، فان الدستور الحالي لا يتضمن اي تنظيم للمجالس الشعبية المحلية ، كما ان قانون المجالس الشعبية الذي اعلن عنه مرارا منذ سنوات لم يكتب له الصدور .

وعلى المؤتمر القومي وهو يناقش تنظيم المجالس الشعبية مراعاة ان يجري تنظيمها على نسق المجلس الشعبي العام ، وان تكون علاقتها بالاجهزة التنفيذية مستوحاة من نفس المبدأ ، وهو وحدة السلطة التي يعبر عنها المجلس الشعبي . ومن ثم فانه يجب تحديد علاقة المجلس الشعبي بالجهاز التنفيذي الذي يرأسه المحافظ في ضوء هذا المفهوم . وان يراعى تدرج الحكم الشعبي من القرية وهي اصغر وحدة ادارية الى المحافظة، مع تحرير المجالس الشعبية من الوصاية الادارية للحكومة المركزية ـ ومع تطبيق التعريف الجديد للعامل والفلاح في تشكيل هذه المجالس .

وهنا يجب التنبيه الى ان المجالس الشعبية هي التي تمثل سلطة الدولة المحلية . ومن ثم فانه يجب الا نخلط بينها وبين تشكيلات الاتحاد الاشتراكي وهي تمثل التنظيم السياسي . فالمجلس الشعبي في القرية مثلا يعد ادنى وحدة في سلطة الدولة، بينما تعد وحدة الاتحاد الاشتراكي في القرية ادنى وحدة في سلطة المجتمع . والمجلس الشعبي العام يعد اعلى سلطة في الدولة، والمؤتمر القومي العام يعد اعلى سلطة في المجتمع . وهكذا ينشأ التفاعل بين المجتمع والدولة وينبع هذا التفاعل من قاعدة واحدة عريضة هي الشعب العامل بقواه المتحالفة ، بقيادة العمال والفلاحين .

٥ ـ ان سلطة الشعب العامل تعني منحه حريته الحقيقية في صنع مستقبله وفي ايجاد ضمانات هذه الحرية . ونظرة الشعب العامل الى الحرية ليست النظرة الليبرالية التقليدية ، التي لا تلقي بالا الى الحرية الاجتماعية والى المضمون الاجتماعي للحريات التقليدية ذاتها ، بل انها نظرة تتسع في شمولها للحرية الاجتماعية والحرية السياسية ، وترى ان تأمين العمل للمواطن ليصبح المصدر الوحيد للتمتع بثمرات المجتمع ، هو الضمان الحقيقي لممارسة حريته السياسية . كما ترى ان ضمان الحريات الشخصية للانسان هو الذي يكفل له ان يسهم بابداعه الخلاق في صنع المجتمع .

ومن هنا يصبح النص على تدعيم المكاسب

الاشتراكية من خلق قطاع للملكية الاشتراكية بنوعيها (عامة وتعاونية) ومن اشتراك العمال فى ادارة المشروعات وارباحها ومن تحديد لساعات العمل ، ومن تأمينات اجتماعية ، ومن فتح الباب لامكانية ان يصبح العمل وحده هو معيار عدم الاستغلال فى ملكية القطاع الخاص ، ومن خطة اقتصادية للدولة — يصبح النص على هذا كله من اهم مهام الدستور الجديد — كما يصبح تحديد المضمون الاجتماعى للحقوق، مثل حق العمل والحق فى العلاج والراحة والتعليم ، أمر تفرضه الحماية المطلوبة لها . والا يكتفى فى الدستور بالاحالة الى القوانين التى تصدر بعد ذلك لمعالجة الحقوق الدستورية . اذ يجب ان يقتصر دور القانون على بيان شروط ممارسة هذه الحقوق فى الحالات التى يكون فيها ذلك ضروريا. فلا يكفى مثلا النص فى الدستور على ان تكون حرية الصحافة او الحرية ضد القبض والتفتيش فى حدود القانون ، بل يجب ان يتضمن الدستور ذاته تنظيما كاملا لهذه الحقوق وما قد يرى ادخاله من قيود عليها يتطلبها حماية النظام الاشتراكى . وان يحدد بوضوح دائرة معالجة القانون لهذه الحريات بما لا يتجاوز الضوابط التنفيذية دون ايراد قيود قد تذهب باصل هذه الحقوق ذاته . وتنظيم الحريات فى صلب الدستور على هذا النحو يصبح تأكيدا حقيقيا للشرعية الاشتراكية ، وشجبا لاية محاولات لخلق مراكز للسلطة تعلو سلطة الشعب التى يعبر عنها الدستور والقانون .

٦ — ان حماية الشرعية الاشتراكية يقتضى ايضا تأكيد حصانة القضاء ، وكفالة حق التقاضى وازالة كافة الموانع التى تحجب هذا الحق عن المواطنين . وان يصبح القضاء العام هو جهة الاختصاص الوحيدة القضائية . وهى امور لابد ان يتصدى لها المؤتمر القومى العام عند مناقشته لاسس الدستور الجديد . وحصانة القضاء هنا ليس معناها اضفاء ميزة خاصة على القضاة او خلق سلطة مستقلة من القضاء ، بل ان مبناها حماية المكاسب الاشتراكية وحقوق المواطنين . واذا كان برنامج ٣٠ مارس قد اشار الى محكمة دستورية عليا يكون لها الحق فى تقرير دستورية القوانين ، فان انشاء هذه المحكمة يجب ان يكون مبناه فهم سليم لدور هذه المحكمة التى يجب الا تنفصل عن السلطة الشعبية ، وان تكون جهازا معاونا للمجلس الشعبى لا معوقا لارادة الشعب فى دفع عجلة الثورة الاجتماعية .

كذلك يجب ان يضع الدستور الجديد اساس اشتراك الشعب فى القضاء عن طريق نظام المحلفين الشعبيين الذى يمكن ادخاله على نظامنا القضائى ابتداء بمحاكم الجنايات ثم محاكم الاحوال الشخصية .

الديموقراطية والحكم المحلى

١ — على الرغم من الصفة الحتمية لمركزية الدولة فى مصر ، فان بلادنا عرفت نظام الادارة المحلية فى فترات مختلفة من تاريخها الحديث . غير ان هذا النظام كان مرتبطا — بالضرورة — بالاوضاع الطبقية والسياسية السائدة . بل ان هذه الاوضاع كانت تتأكد فى الادارة المحلية بالذات، لانه عن هذا الطريق تمارس الطبقة السائدة سلطتها مباشرة على قوى الانتاج المادية — خصوصا — الارض ، والبشرية ، وعلى الاخص الفلاحين . وهكذا كان نظام مجالس المديريات الذى وضع فى ظل الاحتلال البريطانى . لقد كانت هذه المجالس تكشف عن انها مجالس ملاك زراعيين من الذين يدفعون ضرائب لا تقل عن نصاب معين . وهكذا كان الامر ايضا بالنسبة للمجالس البلدية ، حيث كان المجلس البلدى فى الاسكندرية يمثل مصالح البرجوازية الاجنبية ويشرك معهم جزءا من البرجوازية المصرية . وحتى بعد الغاء الامتيازات الاجنبية — وعلى الرغم من القانون الذى صدر عام ١٩٤٤ ليوحد نظام المجالس البلدية — ظل تكوينها يعكس بكيفية مباشرة مصالح الحلف الطبقى بين كبار الملاك والراسماليين . وفشلت هذه المجالس فى ان تكون ادوات للحكم الشعبى تعبر عن مصالح الغالبية الساحقة من الطبقات الفقيرة .

٢ — وفى عام ١٩٦٠ صدر قانون نظام الادارة المحلية . وطبقا له كان يتكون كل من مجلس المحافظة ومجلس المدينة ومجلس القرية من اعضاء معينين بحكم وظائفهم ، ومن اعضاء معينين من الاتحاد القومى . ولما كان الاتحاد القومى ينتمى الى مرحلة حتمت ان يضم فى داخله كل الطبقات الاجتماعية ، فلم يقدر لنظام الادارة المحلية ان يعبر عن وزن الطبقات الشعبية او يعكس مصالحها .

٣ — وبعد ان حل الاتحاد الاشتراكى محل الاتحاد القومى ، صدر عام ١٩٦٤ قانون يشترط فى الاعضاء المنتخبين بالمجالس المحلية ان يكونوا من أعضاء الوحدات الاساسية أو غيرها من لجان المستويات الاخرى بالاتحاد الاشتراكى . كما يشترط فى الاعضاء المختارين ان يكونوا من الاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكى .

واتساقا مع نفس المنطق ، ومع اقرار بيان ٣٠ مارس ، ومع بدء العمل بالتعريف الجديد للعامل والفلاح — تطرح بالضرورة قضية اعادة

النظر في جميع التشكيلات الحالية للمجالس المحلية بكل مستوياتها .

٤ — غير ان المسألة ليست مجرد مراجعة لتشكيلات المجالس المحلية ، بل هي اعمق من ذلك . اذ لابد وان تكون نقطة البداية في تنظيم الحكم المحلي واضحة وعلى اساسها نبني التنظيم كله .

٥ — وابتداء ،ينبغي ان نفرق **بين اللامركزية** او الحكم المحلي **وبين عدم تمركز السلطة** . فاذا كان الرئيس الادارى المعين من قبل الوزارة في العاصمة له من السلطة ما يغنيه عن الرجوع في حالات معينة الى رئاسته ، فنحن لا نكون بازاء نظام للحكم المحلي . لان جوهر الحكم المحلي ان تكون السلطة للشعب المقيم في الوحدة الاقليمية وهو الذى يتولى — بكيفية ديموقراطية من خلال المجالس الشعبية التى اشار اليها الميثاق — اختيار من يمارسونها نيابة عنه .

٦ — واول كل شيء يتطلبه الحكم المحلي ان نبدأ من القاعدة . بمعنى ان نشرك في ممارسة الحكم سكان الوحدة الاقليمية المرتبطون مباشرة بنشاط السلطة ، الذين يعرفون مطالبهم والذين يعرفون الاشخاص الاكفاء الذين يستطيعون حل مشاكلهم .

على ان هذا يتطلب ان يتكامل في الوحدة الاقليمية الحد الادنى من المقومات والموارد والامكانيات البشرية والمادية التى تجعل منها وحدة اجتماعية اقتصادية يمكن ان تكون اساسا لوحدة سياسية تقوم منها سلطة حكم محلي بالفعل . من هنا ضرورة البدء باعادة التقسيم الادارى للجمهورية العربية المتحدة . ذلك ان التقسيم المعمول به حاليا وضع منذ زمن طويل ، وفي ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية لم تعد متطابقة مع الظروف الجديدة .

٧ — ثم يأتى تقسيم من نوع جديد بين النشاط الاقليمي والنشاط المركزى الذى يشمل كل مناطق الجمهورية ، سواء فيما يتعلق بالانتاج او الخدمات ، بحيث تكون الحدود واضحة ، والتعاون قائما بين الوحدات الاقليمية وبين السلطة المركزية .

٨ — وهكذا يكون للمجلس الشعبي سلطة اصدار قرار ملزم في حدود اختصاصه . وهو يختار لجنة من اعضائه تتولى تحت اشرافه تنفيذ هذه الارادة الشعبية . ويكون الجهاز التنفيذى للمحافظة مسئولا امام المجلس الشعبي عن تنفيذ السياسة التى اقرها ذلك المجلس .

٩ — ولابد من ان يعاد النظر في النظام الحالي الذى يجعل تشكيل المجلس الاقليمي مكونا من اعضاء معينين ومختارين ومنتخبين . ويلاحظ هنا ان الانتخاب لا يتم من القاعدة مباشرة ، بل من خلال وحدات التنظيم السياسى .

ولكن اذا كنا نسلم بأن المجلس الشعبي في الوحدة الاقليمية يمثل سلطة الدولة ، كما هو الشأن بالنسبة لمجلس الامة — المجلس الشعبي المركزى — فيما يتعلق بمجموع المواطنين ، فانه من الاوفق ان يتكون المجلس الشعبي بنفس الطريقة التى يتكون بها مجلس الامة : بمعنى ان ينتخب اعضاؤه من جميع الناخبين الذين لهم حق ممارسة الحقوق السياسية ، وبنسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين . اما رؤساء الاجهزة الادارية فيكون لهم حق حضور الجلسات دون ان يكون لهم صوت فيها .

التنظيمات الجماهيرية والديمقراطية

النقابات

١ — لا يستقيم الحديث عن بناء التنظيم السياسى وتدعيم نفوذه بين أوسع الجماهير — دون اعطاء الجهد الكافي لاهمية بناء وتطوير التنظيمات الشعبية — وفي مقدمتها المنظمات النقابية — التى تعتبر بحق ركائز اساسية للتنظيم السياسى ، وبدونها يصبح التنظيم السياسى كمن يقف على ساق واحدة .

ولقد اكد «بيان ٣٠ مارس» على اهمية اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية — كواحدة من المهام العشرة الرئيسية التى يتعين انجازها في المرحلة القادمة . وبيان ٣٠ مارس بهذا انما يطرح قضية مايقرب من ثمانية ملايين من العاملين هم القوة التى تعتمد عليها خطة التنمية . لان الانتاج هو مسئوليتهم الرئيسية في المجتمع . كما ان الحركة النقابية تشكل موضوعيا من الناحية الاجتماعية — اوسع التنظيمات الجماهيرية . ولا شك انها قادرة اذا ما توافرت لها الامكانيات والقيادة المناسبة ، على اثراء وتدعيم النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . الا ان الحركة النقابية لم تنجح حتى الآن في تحقيق مهامها .

٢ — فمن ناحية ، عجزت الحركة النقابية عن ان تستوعب في صفوفها الملايين العريضة من العمال : **(العضوية الحالية مليون ونصف مليون اى ٢٠٪ من قوة العمل التابعة للتنظيم النقابى والتى تبلغ ٧٫٥ مليون)** .

وهذا يعنى ان الحركة النقابية لم تصبح بعد حركة جماهيرية حقلانها لمتضم بعد الىصفوفها الغالبية العظمى من القوى العمالية ، التىتعتبر ديمقراطية ، بحكم اتجاهاتها وارتباط مصالحها بالتحول الى الاشتراكية .

ومن ناحية اخرى ، عجزت الحركة النقابية المعاصرة الى حد كبير عن تحديد مفهوم واضح لدور النقابات فى مجتمع يضع لنفسه اهدافا اشتراكية . وبينما كانت التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى جرت فى البلاد تطالب النقاباتبأن تتحول الىمدارس للاشتراكية: تثقف العمال ، وتوعيهم بالخطة ، وباهمية زيادة الانتاج ، وباهمية الدفاع عن ممتلكات القطاع العام ، عجزت بعض القيادات الحالية للحركة النقابية عن أن تكسب ثقة القاعدة العمالية العريضة ، وفى اكثر من موقف ظهر التباعد قاطعا بين قيادة الحركة النقابية وبين قاعدتها . وهذه الظاهرة لم تؤثر تاثيرا سلبيا على مجموع العمل الوطنى كله ، لكنها بدت صارخة وضارة بعد العدوان عندما ثبت ان الحركة النقابية بقياداتها الحالية لم تستطع ان تربط فى الحياة اليومية بين نشاط العمل فى مواقع الانتاج ، وبينمتطلبات المعركة الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية .

٣ — ويمكن ان نعرض فى ايجاز شديد ، لاهم أسباب التخلف فى الحركة النقابية :

● على الرغم من ان الميثاق قد نص صراحة على اهمية النقابات كركائز للديمقراطية ، الا ان ماحدث بالفعل هو ان النقابات قد اخضعت لوصاية ادارية من قبل الاجهزة التنفيذية طمست شخصيتها ،وحدتمن حركتها ومبادراتها فى صفوف العمال . وذلك حين انتزعت من النقابات كثيرا من المهام والاختصاصات واعطتها لوزارة العمل : (التفتيش العمالى — التأمينات الاجتماعية — الثقافة العمالية والامن الصناعى) .

● وفى داخل النقابات نفسها تسود علاقات تنظيمية منافية للديمقراطية ، ابرزها عدم اعمال القانون الذى ينص على اجراء الانتخابات فى مواعيدها ، ان تعطيل هذه القوانين هو الذى يفسر لماذا ان عناصر معينة تفرض نفسها رغم ارادة العمال ، ولماذا تعجز الحركة النقابية عن تجديد دمائها بالكوادر العمالية الشابة . اكثر من هذا نجد ان العلاقة بين المستويات المختلفة داخل التنظيم النقابى الواحد علاقة تحكمية — وبالتالى — غير ديمقراطية .

والمثل الصارخ هنا هو اللوائح التى تجبر اللجان النقابية على تسليم ٧٠٪ من اشتراكاتها الى النقابة العامة ، الامر الذى يضع اللجنة النقابية وهى التنظيم المباشر القاعدة العمالية تحت السيطرة المكتبية للنقابة العامة .

● ومن الاخطار التى تهدد الحياة الديمقراطية فىداخل الحركةالنقابية عدمالتأكيد علىهذا المبدأ، وهو ان الانضمام الى النقابات امراختيارى بحت، يمليه على العامل وعيه بضرورة الانتماء الى النقابة . ان عدم مراعاة هذا المبدأ قد ترتب عليه ان العضوية فى اغلب الحالات قد اصبحت عضوية شكلية على الورق . وهذه الظاهرة تتفشى بكيفية خاصة فى نقابات القطاع العام حيث تجرى عملية خصم اشتراكات النقابة بكيفية اوتوماتيكية لا دخل فيها لارادة العامل .

● ان الغالبية العظمى من الكوادر النقابية الحالية لمتعد نفسها اعدادا ايديولوجيا وسياسيا لكى تتجاوب مع التغييرات الواسعة التى حدثت فى البلاد خاصة منذ ١٩٦١ .

من هنا تفتقر هذه الكوادر فى معظمها الى النظرة الاشتراكية والوعى السياسى . وهى من ثم تدور فى أفق ضيق من النشاط الاصلاحى (الاقتصادى) . وبدلا من ان تتحول النقابات الى وحدات للنضال على جبهة التقدم الاجتماعى تحولت الى جمعيات خيرية لمساعدة العمالوصرف المنح وحل القضايا الفردية . واصبحت الحركة النقابية مليئة بنشاط الشلل والتكتلات الشخصية

● ان عددا كبيرا من الشخصيات التى شغلت مراكز قيادية فى الحركة النقابية ، قد حققت بغير حق مكاسب شخصية كبيرة فى الاجر والوظيفة ، واصبح بعضها يحتل فى نفس الوقت عددا غير قليل من المناصب القيادية السياسية والشعبية والنقابية .

وقد اصبحت هذه العناصر — بحكم وضعها الاجتماعى — تمثل الارستقراطيةالعمالية — وهى متمسكة بمراكزها وامتيازاتها وتعمل بكل الوسائل على منع العناصر الجديدة من اخذ مكانها فى القيادة . مستخدمة فى ذلك كل الوسائل بما فىذلكاضطهاد المعارضينلها وتصفيةالعناصر النشيطة فى اللجان النقابية وذلك تحت شعار حماية الثورة .

● وبحكم وجود هذه القيادات فى موضعالقيادة النقابية ، اعطيت سلطات واسعة مثل اختيار العمال فى مجالس ادارة المؤسسات والهيئات التى للعمال تمثيل فيها مثل المؤسسة الثقافية العمالية ومثل اختيار اعضاء الوفود لتمثيل عمال الجمهورية فى المؤتمرات والاجتماعات الدولية والزيارات الخارجية بصفة عامة .

وبسبب عدم وجود مقاييس موضوعية تحدد الخبرة العملية والثقافية واللغوية ، وبسبب عدم وجود خطة محددة للاستفادة من هذه الاتصالات الدولية البالغة الاهمية ، لجأت هذه القيادات الى الاختيار على اساس المجاملات والمحاسيب والانصار ، واستخدمت هذه العملية لتدعيم نفوذها وسيطرتها .

وقد أدى هذا كله الى فشل القيادة النقابية وعجزها — تقريبا — عن القيام بدور فعال فى المجالات العربية والدولية . ولم تستطع ان تلعب دورا ايجابيا فى مواجهة النشاط الصهيونى للهستدروت الاسرائيلى فى افريقيا والعالم .

٤ — ان اعادة بناء الحركة النقابية جزء لا يتجزأ من البناء الديموقراطى .ولكى يتحقق البناء الجماهيرى المنشود للحركة النقابية لابد وأن تتم الحركة على جبهتين :

اولهما : تحديد واضح لدور النقابات فى المجتمع الاشتراكى — وهو دور يرتبط فيه العمل النقابى بالعمل السياسى — ويقوم على اساس المفهوم الاشتراكى للنقابة، ذلك المفهوم الذى ينبذ بحسم اسلوب النقابية البحتة .

ففى المجتمع الاشتراكى تقوم التنظيمات النقابية بتنمية وتعميق المفهوم الاشتراكى والسلوك الجماعى لدى العاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة اهداف الانتاج . وكذلك تنمية الاحساس لديهم بالملكية العامه لوسائل الانتاج وملاءمة سلوكهم فى العمل مع هذه الملكية العامة ، واحلال المنافسة الاشتراكية البناءة محل الصراعات الشخصية والانانية .

وتقوم التنظيمات النقابية فى المجتمع الاشتراكى بمناقشة خطط التنمية فى مختلف القطاعات ، ومعالجة الانحرافات والمعوقات . والتصدى لكل ما من شأنه اعاقة الانتاج او النيل من المكاسب الثورية التى لايكفلها سوى النظام الاشتراكى . بل وتطوير هذه المكاسب وزيادتها بالاسلوب النضالى والعلمى اى بحماية الثورة الاشتراكية

وللنقابات فى المجتمع الاشتراكى مجالات عمل اوسع وارحب واكثر فاعلية فى حياة العاملين . فبرامج التدريب والتثقيف ورفع الكفاية الانتاجية والمحافظة على المستوى المادى والصحى والاسكانى والاستهلاكى التعاونى والبرامج الترفيهية — كلها مجالات عمل للنشاط النقابى فى المجتمع الاشتراكى .

وممارسة النقابات لعملها ومسئولياتها بشكل سليم يتفق مع اهداف المجتمع الاشتراكى ، لايمكن ان يتم ما لم تتوفر الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم النقابى وخارجه . كما ان توافر المناخ الديمقراطى داخل التنظيم النقابى شرط اساسى لنمو النشاط النقابى . ان المناخ الديمقراطى العام هو الذى يمكن التنظيم من التعبير عن نفسه وتحقيق اهداف اعضائه واهداف المجتمع، ويجعل من النقابات معينا لا ينضب لخلق القيادات الجماهيرية المتمرسة والمدربة فى المعارك ووسط جماهير عريضة من العمال .

ثانيهما : ان عملية تطبيق الديموقراطية فى داخل الحركة النقابية ، وبالتالى اطلاق الطاقات الخلاقة فيها ، يوجب على التنظيم السياسى باعتباره القيادة السياسية لكل نضال ديمقراطى ان يساعد جماهير العمال ويقودها بوعى من أجل تحقيق الاهداف المباشرة التالية :

- انهاء كل اشكال الوصاية الادارية على التنظيم النقابى ، بحيث يتسلم هذا التنظيم كل اختصاصاته ، سواء فى ادارة شئون نفسه على جميع المستويات او فى ادارة بعض المؤسسات العمالية مثل مؤسسة التأمينات الاجتماعية والتأمين الصحى والثقافة العمالية والتدريب المهنى .

- توسيع قاعدة الحريات النقابية حتى يكون الانضمام الى النقابات اختياريا .وتمكين النقابيين من ان ينتخبوا قياداتهم على الاسس الديمقراطية، وبحيث يكون الوصول الى المراكز القيادية فى الحركة النقابية بالانتخاب من القاعدة العريضة الى القمة . وفى هذا الصدد يجب ان يحظر على اى قيادى تولى اكثر من منصبين فى الحياة السياسية والنقابية .

- يجب ان تمكن اللجنة النقابية بوصفها التنظيم القاعدى المباشر ، من ان تقوم بدورها كقيادة نقابية على مستوى وحدات الانتاج ، وان تعدل اللوائح لتحقيق هذا الهدف .

- يساعد التنظيم السياسى القاعدة العمالية العريضة على ان تشرع فورا فى كشف واسقاط القيادات التى ثبت انها عطلت وعوقت — فى المرحلة الماضية — حركة الجماهير العمالية فى معركة البناء والصمود ومواجهة العدو . وان يتم هذا بالوسيلة الديموقراطية على اساس الانتخاب الحر والمباشر ، وعلى اساس ممارسة النقد والنقد الذاتى عن فترة زمنية خبرت فيها الجماهير بنفسها نوعية هذه القيادات ، ومدى ما بذلته من جهود وتضحيات وانكار للذات وايمان بالمبدأ وبقضية الاشتراكية ، او مدى انحراف هذه القيادات وتحقيقها لمصالحها الذاتية والخاصة . **وقد يكون من المناسب ان تكون لجنة تحقيق خاصة تقوم**

باعادة النظر فى المكاسب والامتيازات التى حصلت عليها القيادات النقابية والذين مارسوا العمل النقابى منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن .

● يجب ان يشكل الاتحاد العام على اساس التمثيل العادل للنقابات حسب وزنها العددى، وان يعدل القانون ليضم الاتحاد العام للعمال ، النقابات المهنية .

● يجب ان تتخلى الحركة النقابية عن كل ارتباطات دولية مع المنظمات العمالية الدولية التى ثبت ان لها ارتباطات بالاوساط الامبريالية وخاصة بالمخابرات المركزية الامريكية ، على اعتبار ان هذه المنظمات معادية للكفاح الوطنى ضد الاستعمار والصهيونية .

تنظيم الشباب

الاهمية الخاصة لقطاع الشباب فى المجتمع المعاصر تقتضى ايجاد تنظيم خاص يتولى مهام توعية وتعبئة الشباب حول الميثاق ، تعميق المنهج الاشتراكى العام فى التفكير والتعريف بمشاكل مرحلة التحول وطرق حلها، وحفزهم على الاسهام فى التخطيط والعمل على اتمامها بنجاح ، وتنمية القيم الاشتراكية فيهم ، ونقل خبرات الشعوب وشباب العالم اليهم .. هذا التنظيم القيادى هو منظمة الشباب .

اذا كنا هنا سنقتصر حديثنا على الدروس المستفادة من النواحى السلبية التى عانت المنظمة منها فى الفترة السابقة فاننا لا نعنى بهذا انه لم تكن هناك نواح ايجابية ، او ان هذه النواحى لا اهمية لها . على العكس تماما فقد حققت المنظمة عددا من الايجابيات ، خاصة وانها كانت أول تنظيم سياسى للشباب فى بلادنا .. ولكن فى هذه الفترة العصيبة والمصيرية التى نمر بها نرى ان الموقف كله يحتاج الى اعادة تقييم ومراجعة وهى لا يمكن ان تتحقق الا بتشريح نواحى القصور تشريحا حيا عميقا «يقطع لينظف ويبتر لينقذ» ، وبهذا المفهوم وحده نتصدى لمحاولة تشريح نواحى القصور فى العمل السياسى بين الشباب بأمل ان لا تتكرر .

منظمة الشباب تنظيم اجتماعى وديمقراطى لجماهير الشباب وهذا يعنى أن دورها الوحيد هو قيادة حركة هذه الجماهير الشابة نحو تحقيق اهداف معينة .. ولا يمكن لها ان تنجح فى اداء هذا الدور الا اذا كان بناؤها التنظيمى بناء ثوريا يخدم اهداف العمل الثورى، والا اذا كان اسلوب عملها بين جماهير الشباب اسلوبا يحقق التفافها حول المنظمة وثقتها بها والدفاع عنها .. واسلوب العمل بين الجماهير هو انعكاس لاسلوب العمل داخل المنظمة نفسها (حياتها الداخلية) ومن هنا تكون الحياة الداخلية للمنظمة هى حجر الاساس للبناء كله ، وهذا يثير بالضرورة قضية اختلال البناء ..

أولا : البناء التنظيمى

عدم توازن البناء

ونقصد به اختلال التركيب الاجتماعى ، فكانت الغالبية العظمى من الاعضاء من الطلبة والمهنيين (٦٥ ٪) وهكذا ايضا كانت القيادات .. وكان لهذا البناء الاجتماعى اثره فى ان لا ينال شباب الفلاحين والعمال الاهتمام الكافى ، بينما هم محور التحالف الشعبى ، وبينما هم ايضا على صلة حية بمشاكل مرحلة التحول الاشتراكى بسبب اتصالهم المباشر بالانتاج والخدمات .. وكانت النتيجة ان اصبحت المنظمة منظمة طلبة فى الاساس .. وزاد من اشكالات هذا الوضع ان للطلبة تنظيماتهم الاخرى الاقدم وهى الاتحادات .. فنشأ جو من الحساسية بين الطرفين ، اضر بالعمل السياسى بين الطلبة .. وكذلك لم يسمح البناء التنظيمى بايجاد صلة قوية بين الاعضاء من الطلبة والاعضاء من العمال والفلاحين، وبالتالى لم تندمج الاهتمامات الخاصة بكل فئة لتكون تيارا عاما واحدا يتجمع حوله الجميع ..

قضية الكم والكيف

كان لتزايد عدد الاعضاء بدرجة كبيرة دون ان يصحبه بنفس الدرجة بناء العناصر القيادية ان اتسعت القاعدة اتساعا عجزت القيادات المحدودة العدد عن ان تقود حركتها الامر الذى حد فى النهاية من فعالية المنظمة ، ذلك ان المنظمة اضطرت تحت ضغط اتساع القاعدة الى التسرع فى اعداد العناصر القيادية والى ان تلجأ الى اسلوب الاختيار دون اختبار كاف . وكانت النتيجة الطبيعية ان ينحصر الاختيار اساسا فى «معارف» من يختارون ، فقفز الى صفوف القيادة فى مختلف المستويات عناصر لايمتاز بعضها عن بعض ، الامر الذى أوجد الغيرة بينهم ، ومن ناحية اخرى كانت هذه العناصر اعجز من ان تنال اقتناع القاعدة .

علاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكي

لم تكن هذه العلاقة علاقة طبيعية ، فقد فهم البعض المنظمة على انها امتداد للاتحاد الاشتراكي ، بل واراد البعض الاخر ان يجعل منهــــا بديلا للاتحاد ، وحملها نفس مهامه ، دون مراعاة لطبيعة تكوينها الخاص المميز . وقد ادى هذا الفهم الى ســيادة جو غير صـــحى من الحساســيات والصراعات . لذا ، لابد ان يكون واضحا ان منظمة الشباب كتنظيم جماهيري ديمقراطي واسع هي تنظيم مستقل عن الاتحاد الاشتراكي ، الا انه في الوقت نفسه مرتبط ديمقراطيا بالمستويات العليا القيادية للاتحاد الاشتراكي ، بوصفها اعلى جهاز يقود حركة الجماهير ويتفق فيما بينها من خــلال تنظيماتها المستقلة المختلفة . وهي فضلا عن ذلك المدرسة الديمقراطية والاجتماعية التي تعد الشباب لعضوية الاتحاد الاشتراكي والجهاز الطليعي .

ثانيا: الحياة الداخلية للمنظمة

كان من اثر العوامل السابقة ان سادت المركزية اسلوب العمل داخل المنظمة ، فاعتمد العمل على القرارات والتوجيهات الصــادرة من القيــادة المركزية ، الامر الذي حد من تنمية قدرات الاعضاء على التصرف ، وعرقل الجــوانب الايجابيــة في شخصية الشباب والاستعداد للمبــادرة والخلق والمرونة في تقبل الجديد ، والجــراة والحمــاس والتفتح .. الخ كل هذه الصفات التي تنمو في ظل التوجيه الديمقراطي .

ونتيجة المغالاة في المركزية في المستويات العليا انتقلت العدوى الى المستويات القيادية الاخرى ، مما كان له اثر سيء وعكسي لدى الشباب الذي شعر بان بعض العناصر القيادية تسيء استخدام سلطاتها .

ونتيجة طبيعية للمغالاة في المركزية ان تحــد الديمقراطيــة داخل التنظيم ، وان يضيق صــدر العناصر القيادية بالنقد ومناقشة توجيهاتهم . وفي هذا الصدد اسيء استخدام سلاح الالتزام فاكتفى منه بالشكل دون المضمون ، واصبح الالتزام هو الطاعة العمياء وعدم المناقشة رغم انه لا التزام بدون حرية في الرأى .

قصور التثقيف

اقتصر التثقيف على مراحل من عدة ايام تقضى بالمعسكرات ولم توضع له خطة مستمرة بعــد انقضاء المعسكر بحيث يرتفع المستوى النظرى للقادة وللاعضاء بشكل متصل ، وبحيث يكونون على صلة بالفكر الاشتراكي العالمي وبحيث تخدم خطة التثقيف الخط السياسي للمنظمة . وصاحب هذا القصور في التثقيف مغالاة في اثارة حماس الاعضاء على اساس انهم قادة المستقبل وامل الثورة ، فأصاب الغرور عددا كبيرا منهم ، وشاع بينهم التشدق ببعض المصطلحات والشــعارات المجردة من كل مضمون .

ولقد كان لقصور التثقيف وما صاحبه من غرور اثر في الاتجاه نحو المغالاة في المركزية والحــد من الديموقراطية .

ثالثا : أسلوب العمل بين الجماهير

كان لنواحي القصور في الحياة الداخلية للمنظمة اثرها المباشر على اسلوب العمل بين الجماهير ، وبالتالي على علاقة المنظمــة بجماهــيرها من الشباب ، ثم بجماهير قوى التحالف بشكل عام . وعلى الرغم من حماس اعضاء المنظمــة وعلى الرغم من اسهامهم الكبير في عدد من الاعمــال سواء في مجال الزراعة او مجال الصناعة او مجال الخدمات فلا نستطيع القول ان المنظمة قد حازت ثقة الجماهير ، بل مع الاسف الشديد في بعض الحالات لم تقف منها الجماهير مجرد موقف سلبي فحسب بل تعدته الى موقف النفور والشكوى .

لقد كان من نتيجــة نواحي القصــور الثلاث الرئيسية في الحياة الداخلية للمنظمة : المغالاة في المركزية ، والحد من الديموقراطية ، وقصــور التثقيف والغرور ان برز عدد غير قليل من الاعضاء كناقدين للمجتمع ولسلوك الجماهير دون تفكير في حلول لتناقضات المجتمع واتسم اسلوبهم في قيادة الجماهير بالمركزية متصورين انهم سلطة تصدر القرارات وعلى الجماهير التنفيذ ومن لا ينفــذ يكتب عنه تقرير ، واتخــذوا بذلك شــكل المعلم المتعالي على الجماهير بدلا من أن يكونوا خداما لها متواضعين . وكان ان اتسعت الهوة بين المنظمة وبين شبابها ثم بينها وبين الجماهير .

وهــذا كله يوجب على المؤتمر ان يتصدى له بالتشخيص والعلاج ، وذلك من خلال مشاركة فعلية وجادة من الشباب وممثليهم المنتخبين . ولعله من المناسب هنا ان يكون المؤتمر لجنة خاصة لدراسة

وضع الشباب وتلقه واسلوب تنظيمه على اسس ديمقراطية جديدة ، تسترشد فى ذلك بحصيلة ايجابيات وسلبيات التجربة الماضية .

لكن الخبرة المستفادة من التجربة السابقة وتجارب الشعوب فى هذا المجال ، تشير الى ضرورة مراعاة نقاط ياتى فى مقدمتها :

● الادراك السليم لطبيعة الشباب ، وفهم الجوانب الايجابية والسلبية فى شخصيته ، والاستفادة من الخصائص المميزة له كالمبادرة والحماس والجراة والاقدام على سبر اغوار كل ما هو جديد دون تردد ، والمرونة التى تعصمه الى حد كبير من الوقوع فريسة الجمود او التعكس الفكرى مع الزمن . هذه الصفات باعتبارها عوامل تجدد وحيوية للثورة ، مما يتطلب تجنب تطبيق نفس القواعد التنظيمية الحزبية على التنظيم الجماهيرى الواسع للشباب ، والحرص ضد التردى فى أخطاء المغالاة فى المركزية ، والحد من حرية الفكر والحركة والتمسك بالالتزام بشكله الجامد غير المرتبط بحرية الراى والمناقشة والاقتناع الواعى .

● وهذا لا يعنى ترك جماهير الشباب دون توجيه ، بل يهدف الى التفرقة بين تعريفهم بمنهج علمى يسترشدون به فى التوصل الى حلول للمشاكل التى تواجههم وبين تلقين بعض الشعارات والنصوص ، ومن هنا أهمية التربية الفكرية والسياسية لاعضاء المنظمة .

● المنظمة هى تشكيل جماهيرى واسع للشباب ، وهى تنظيم مستقل عن الاتحاد الاشتراكى يتمتع بحد من الاستقلال الذاتى ، الا انه فى الوقت نفسه يخضع ديمقراطيا لقيادة الجهاز السياسى الطليعى دون أن يكون بديلا عنه او امتدادا له ، ولذلك فان تكوين الجهاز الطليعى شرط ضرورى لنجاح منظمة الشباب فى اداء مهمتها السياسية .

● بجانب مهمة المنظمة فى قيادة نشاط الشباب بهدف حشده وتعبئته فى اتجاه تحقيق اهداف الثورة فهى ايضا المدرسة السياسية والاجتماعية لتنشئة واعداد الكادر السياسى للجهاز الطليعى — الحزب الاشتراكى — .

● التركيب الاجتماعى للمنظمة يجب الا يعكس البناء الاجتماعى السائد فى الوطن فحسب ، بل ويعبر أيضا عن طبيعة التحالف الشعبى وموقع الفئات والطبقات المختلفة داخله .. اى ان ينصب الاهتمام الاكبر على العمال والفلاحين باعتبارهما محور التحالف الشعبى فى مرحلة التحول الاشتراكى

● يجب الا تعزل قطاعات من الشباب بدعوى الامية ، فعلى المنظمة ان تهتم بتنظيم الاميين ، ثم يأتى فى مقدمة مهامها العمل على محو الامية والقضاء عليها .

● مراعاة ان تتوخى السياسة التعليمية « تذويب الفوارق » فى مستويات التعليم ، بالحد من التضخم فى مجال التعليم العالى على حساب التعليم المتوسط والابتدائى والاولى .

التنظيم النسائى

١ — لا جدال فى أن ثورة يوليو قد دفعت بالحركة النسائية فى البلاد خطوات الى الامام . فالميثاق الوطنى والدستور المؤقت ، لا يؤكدان على المساواة بين الجنسين فحسب . بل ان سياسة التصنيع والسياسة التعليمية قد دفعت بالمراة دفعا الى معظم مجالات الانتاج ، واخذ نموذج المراة العاملة يفرض نفسه باعتباره نموذج المستقبل والحياة الجديدة ، وتندثر بالتدريج كل الترهات التى غرستها قرون من التخلف ومن سيطرة الفكر الاقطاعى والقبلى .

٢ — الا انه اذا نظرنا الى المجهود الذى تبذله المراة فى نطاق التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تطمح الثورة الى تحقيقها ، امكننا ان نقول ان الطاقات الجبارة للمراة العربية فى مصر لم يستخدم منها الا النذر اليسير ويحول دون ذلك عقبا متعديدة ومتشابكة : فكرية واقتصادية واجتماعية ونفسية . وتطرح مشكلات المراة نفسها بطريقة تحتم ان تعالج بالكيفية التى تحقق تحولات ثورية فى أقصر وقت . وهذا يعنى أن يوجد التنظيم النسائى او التنظيمات التى تبدأ من واقع محدد بكل مشكلاته وتعقيداته ، ويتقدم فى ارض وعرة ليضيف الى العمل الثورى الالاف والملايين من النساء .

٣ — واقامة هذا التنظيم النسائى مسألة ضرورية ، وهى ليست عملا من أعمال الترف او التشبه بما يحدث فى البلاد الاشتراكية وبعض بلدان العالم الثالث . ذلك لانه لا يمكن أن توجد حركة ثورية ثابتة ووطيدة بدون منظمة واعية من القادة ولها اوسع الاتصالات بالجماهير واذا كانت الحركة النسائية فى بلادنا قد اخفقت أكثر من مرة ولم يقدر لها ان تتبلور فان هذا راجع فى الاساس الى غياب التنظيم الذى يستطيع أن يستوعب نشاطات المراة . ولا ادل على ذلك من ان المراة فى بلادنا قد اشتركت فى هبات ثورية عفوية ، ولكن ما ان ينكمش المد الثورى حتى يتلاشى التجمع

النسائي ».. والمثل الذي نضربه هنا لايزال قريبا الى الاذهان . فبعد حرب يونيو تطوعت الالاف من النساء في أعمال التمريض والاسعاف ، وقامت المرأة بجهود رائعة في جمع التبرعات للمجهود الحربي وفي التبرع بالدم . لكن هذه المجهودات لم يقدر لها ان تعيش وتستمر بسبب أنه لايوجد تنظيم نسائي يقود الحركة النسائية ويجند من بين صفوفها خيرة العناصر الشابة والثورية ، ويدفعها الى المزيد من الحركة والنضال ».

٤ — ولقد تمت من قبل محاولات لاقامة مثل هذا التنظيم ، الا انها فشلت لاسباب كثيرة . في مقدمتها أن القيادات النسائية التي تصدت لها قد استنفذت أغراضها ، فضلا عن أن الفكرية التي كانت تحرك تلك القيادات لايمكن أن تنسجم مع الفكر الاشتراكي، لانها فكرية الاحسان والخدمات الاجتماعية ، فكرية الطبقات الاجتماعية المعزولة.

من هنا لابد وان يولد التنظيم النسائي على أسس فكرية وتنظيمية جديدة تعكس طبيعة ثورتنا باعتبارها ثورة تستهدف تحقيق التقدم الاجتماعي والاشتراكية ».

٥ — وهذا التنظيم النسائي تنظيم مستقل ، ليس منظمة سياسية ملحقة بالاتحاد الاشتراكي او التنظيم الطليعي أو مكملة لهما ، ولاينبغي أن تكون اذا أريد لها أن تحقق اهدافها وهي الدفاع عن حقوق المرأة وحشد وتعبئة الملايين من النساء في معارك التحول الاجتماعي . ان هذا التنظيم يجب ان يكون مستقلا — ذاتيا — وان يحدد اهدافا خاصة به تتعلق بتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص بين الجنسين وتنظيم الاسرة وتشغيل الطاقات المعطلة ومحو الامية ونشر دور الحضانة، ووسائل التخفيف عن الام العاملة حتى تتمكن من العمل ومن رعاية الاسرة . ان الغرض الاساسي لهذا التنظيم هو اجتذاب النساء اللاتي لازلن بعيدات عن العمل السياسي . ولذلك فان عضويته اوسع بالضرورة من عضوية الاتحاد الاشتراكي. كما ان نشاطه يغلب عليه الطابع الاجتماعي . ان اهم اهداف هذا التنظيم ان ينفذ الى الريف وأن يجذب جماهير الفلاحات الى العمل المشترك .

٦ — واستقلال التنظيم النسائي عن الاتحاد الاشتراكي وجهازه السياسي لايعني ان التنظيم الطليعي ليس له دور في انشاء وقيادة مثل هذا التنظيم . بل على العكس ان مجهودا واعيا يجب ان يبذل ، وعملا ديموقراطيا وجماهيريا واسعا ، يجب أن يتم ، حتى تتمكن الطلائع النسائية في التنظيم السياسي من ان تبنى المنظمة النسائية بالديموقراطية وعلى اساس الاقتناع من الجماهير النسائية .

ان استقلال التنظيم النسائي يعني أن لهذا التنظيم جماهير تختلف من حيث مستواها ونوعية مشكلاتها واهتماماتها عن اعضاء التنظيم السياسي ولذلك فان من المهم ان تتحدد ابتداء شكل الرابطة التنظيمية التي تربط بين الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي ، وبين المنظمة النسائية . والخطأ كل الخطأ هو ان يتم التداخل التنظيمي بين مستويات الاتحاد الاشتراكي المختلفة ومستويات التنظيم النسائي المختلفة . ولعل انسب صيغة لتحقيق الارتباط التنظيمي الذي يضمن تميز كل تنظيم واستقلاله هو أن تمثل قيادات التنظيم النسائي في الاتحاد الاشتراكي على مستويين لاغير : اللجنة المركزية للاتحاد ولجان المحافظات .

٧ — وان « بيان ٣٠ مارس » الذي يدعو الى اقامة الاتحاد الاشتراكي بالديموقراطية يهدينا في الوقت ذاته الى ان نبنى التنظيم النسائي بالديموقراطية ايضا ، وتحت قيادة التنظيم الطليعي تستطيع العناصر النسائية المكافحة متسلحة ببرنامج عمل محدد يجذب الجماهير النسائية اليه، ان تدعو الى مؤتمر عام تأسيسي لهذا التنظيم التقدمي الذي يمثل غيابه ثغرة خطيرة في الحياة الديموقراطية .

٨ — واخيرا فان قيام هذا التنظيم النسائي لايتنافى اطلاقا مع قيام جمعيات نسائية تقوم بكل انواع النشاط الاجتماعي ، الا ان الدور الذي تلعبه المنظمة النسائية بالنسبة للجمعيات شبه الدور القيادي الذي يلعبه التنظيم السياسي القائد بالنسبة للنقابات وكافة التجمعات الجماهيرية ، اي القيادة عن طريق الاقناع وبالاسلوب الديموقراطي.

٩ — ومثل هذا التنظيم النسائي لن يقتصر دوره داخل حدود الجمهورية ، بل سيكون الممثل الحقيقي للمرأة في ج.ع.م داخل الاتحاد النسائي العربي ، وسوف يتعاظم دوره ليتعاون أوثق التعاون مع المنظمات النسائية العالمية الديموقراطية من أجل التحرر والاستقلال والسلام العالمي والاشتراكية ».

القسم الثالث نحو مجتمع متقدم ودولة عصرية

الدولة العصرية

١ ـ العصرية هي الاشتراكية : لا يمكن ان يقاس الطابع العصري للدولة ببعض المظاهر الخارجية ، كالمباني الفخمة ، او العقول الالكترونية التي تزدان بها المكاتب ، او المعاهد والمنشآت التي تعمل في مجالات ليس لدينا امكانيات العمل الجدي فيها . والا كررنا مأساة الخديو اسماعيل الذي توهم ان مصر يمكن ان تصبح « قطعة من اوروبا » ، اذا بني فيها دارا للاوبرا ، حتى ولو لم يكن بين المصريين من يستطيع تحريك ستائر مسرحها ، فضلا عن تأليف الموسيقى او ادائها . حقا ان الدولة العصرية يجب ان تقوم على العلم . ولكن « الثورة العلمية والتكنولوجية » ، ليست قوة سحرية خارقة تلغى الصراع الطبقى ، وتتجاوز قضايا التطور الاقتصادى والاجتماعى . ان العلاقة بين العلم والتقدم الاجتماعى علاقة متبادلة . فلا تقدم بدون علم . ولكن التقدم الاقتصادى والاجتماعي يتيح بدوره للعلم امكانيات اعظم . ان الثورة العلمية التى يعيشها العالم المتقدم اليوم حصيلة لعدة امور من ابرزها : التحرر الفكرى الذى يزيل العقبات من طريق انطلاق البحث العلمى ، والتحرر الاجتماعى ، الذى يتيح فرصة الاشتغال بالبحث العلمى لكل قادر عليه دون قيود طبقية ، والمستوى الثقافى العام الذى يوفر للعلماء آلاف المعاونين من مختلف المستويات ، كما يوفر لهم الاهتمام الاجتماعى بأبحاثهم ، ويمكن المجتمع من الاستفادة من نتائجها ، والتقدم الصناعى الذى يوفر للبحث العلمي وسائله التى تبلغ اليوم حدا كبيرا من التعقيد . ان البشرية قد جاوزت منذ زمن ليس بالقصير تلك المرحلة التى كان التقدم العلمي فيها يأخذ شكل قفزات رائعة تدين بها البشرية لعدد محدود من العباقرة . والبحث العلمي اليوم عمل جماعى يجند لكل موضوع مئات الباحثين ، ويستلزم من الادوات الدقيقة مالا تنتجه الا صناعة متقدمة . ان البحث العلمي الان صناعة كاملة ، ولا يمكن ان نتصور نموه على حدة ، دون تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة لمجتمعنا بأسره .

ولذلك فان الدولة العصرية هي الدولة التي تحل بنجاح ، وفى انتظام ، قضايا التطوير الشامل لصناعتها وزراعتها وسائر اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية . وفى عالم اليوم هذا التطوير مستحيل ، الا فى اطار اشتراكي . والاشتراكية العلمية هي المنهج العلمى لاحداث هذا التطوير . حقا ان فى العالم دولا عصرية متقدمة ، تقوم على النظام الرأسمالى . ولكن تكرار التجربة الرأسمالية التي قامت على الاستغلال البشع للشعوب ، والتى حققت نتائجها الحالية عبر اخطاء فادحة ، مستحيل فى عالم اليوم . ولهذا فان « الدولة العصرية » لا يمكن ان تكون بديلا للدولة الاشتراكية . فانه لا يمكن بناء الدولة العصرية الا عن طريق الاشتراكية ، كما انه لا يمكن ان نتصور المجتمع الاشتراكي وهو مجتمع المستقبل، فى صورة تنافى روح العصر .

لكن ذلك يفترض بناء الدولة العصرية عددا كبيرا من التطورات فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وردت فى مواضع اخرى من هذا « الدوسيه » . ونجتزيء هذا الحديث عن التطورات الثقافية .

٢ ـ محو الامية : لا يمكن الحديث عن دولة عصرية فى مجتمع اكثر من نصف افراده اميون . والامية عقبة اساسية امام العمل السياسى وتطوير وعى الجماهير . وممارستها لحقوقها الديمقراطية . كما أنها عقبة كبرى فى سبيل زيادة انتاجية العمل . فالفرق بين العامل الامى والعامل الذى يعرف القراءةوالكتابة فارق كيفي ، اذ بوسع الثانى ان يقرأ ويتعلم ويكتسب مهارة متزايدة .

ويجب ان نسلم بأن القضاء على الامية لايمكن ان تنهض به اجهزة الدولة ، وذلك لسببين : **الاول** : التكاليف الباهظة التى يستلزمها مثل هذا المشروع ، ولو قام على اساس دفع اجور وتوفير

امكنة ... الخ . والثانى : الوقت الذى يمكن ان يستغرقه لو قام على الاساس المذكور . ولذلك فالسبيل الوحيد للقضاء على الامية هو تنظيم حملة شعبية قائمة على التطوع على نطاق الجمهورية كلها ، يقودها الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتشارك فيها مختلف التنظيمات الجماهيرية : النقابات ، التعاونيات ، الشباب ، الطلاب ... الخ . ويكون لها هدف زمنى محدد لتصفية الامية .

ويكمل ذلك ضرورة الوصول بنسبة الاستيعاب المدرسى فى مرحلة الالزام الى ١٠٠ ٪ . ومن المعروف ان هذه النسبة لا تتجاوز حاليا ٧٥ ٪ . ومعنى ذلك ان ٢٥ ٪ من اطفالنا ينضمون سنويا الى جيش الاميين . ومن غير المتصور ان نصفى الامية بين الكبار ، ونترك هذا المصدر الدائم للامية . فقضية التعليم الابتدائى اذن لا يمكن ان يكون لها هدف تخطيطى غير الاستيعاب الكامل . ويمكن بعد ذلك ان تجيء وسائل تحقيق هذا الهدف بأقل تكلفة ممكنة .

٣ — تطوير التعليم العام : لقد اصبح من المسلمات القول بانه بالرغم من الجهد الضخم الذى بذلته الدولة منذ ١٩٥٢ ، فى مجال التعليم ما زال نظام التعليم بعيدا عن الوفاء باحتياجات تطوير البلاد . ودون خوض فى تفصيلات فنية ، يمكن ان نذكر هنا بعض الخطوط العريضة التى يتعين على الدولة ان تسير عليها :

● تعميم التعليم الابتدائى مع ربطه بالبيئة ، بحيث تحس الاسرة بأن المدرسة لا تنتزع الطفل من نشاط الاسرة الانتاجى ، بل انها تزوده بما يمكن ان يفيده فى ذلك النشاط ، اذا توقف عن الاستمرار فى الدراسة بعد سن الالزام . وهذه قضية ملحة فى الريف بصفة خاصة ، حيث يجب ان يتوافر للمدرسة من استقرار المعلمين وانتظام التعليم وارتباطه بالزراعة ، وبحياة القرية ، ما يجعل من المدرسة منارة للتقدم فى حياة الفلاحين .

● توفير العدد اللازم من الفنيين فى مختلف المستويات ، ابتداء من العامل الماهر الى المهندس ، وفى مختلف التخصصات ، لمواجهة مستلزمات التنمية الاقتصادية فى كل المجالات . وهذا يفترض التوسع فى مراكز التلمذة الصناعية وفى المدارس والمعاهد الفنية ، وربطها بقدر الامكان بمراكز الانتاج .

● اتاحة الفرصة بشتى الوسائل (الانتساب ، الدراسة بالمراسلة ، مراكز التدريب للكبار) ، للعاملين للارتفاع المستمر بمستواهم العلمى والفنى . على ان يلازم ذلك الاقلاع نهائيا عن سياسة تسعير الشهادات ، والاعتماد على سياسة ربط الاجر بالانتاج وتحديده على اساس العمل الفعلى الذى يؤديه العامل ، وليس على اساس الشهادة التى يحملها .

● تخليص التعليم فى كل مراحله من الافكار والاساليب والمفاهيم الرجعية . فلا يكفى تدريس الاشتراكية بين مواد التعليم ، بل لابد من ان يسود الفكر الاشتراكى طريقة تدريس كل المواد .

● لا تطوير للتعليم بغير عناية بالمعلم من حيث مستواه المادى والثقافى والفنى والفكرى . ان المعلم يجب ان يكون مؤمنا باهداف المجتمع الاشتراكى مقتنعا بأن مكانته فيه مرموقة ، وان عليه رسالة كبرى .

٤ — البحث العلمى صناعة استراتيجية : يجب الا نفسر فكرة ان العلم للمجتمع تفسيرا ضيقا يؤدى الى تخطيط تفصيلى دقيق للابحاث العلمية ، بهدف الحصول على نتائج سريعة فحسب . فالبحث العلمى كالخلق الفنى يعتمد الى حد كبير على الدافع الذاتى والحرية . وكثير من المكتشفات العلمية تم التوصل اليه من خلال ابحاث كانت لها اهداف اخرى . كما ان البحث العلمى الجاد يحتاج الى سنوات طويلة . واخيرا لا يتصور ان يزيد عدد الباحثين عن حاجة البلاد . واكثر الدول تقدما تحاول اجتذاب الباحثين — حتى الشبان منهم — من كل مكان . ولذلك فان التخطيط للبحث العلمى تخطيط طويل المدى بالضرورة (من ١٠ الى ١٥ سنة) . ومع ذلك فيجب ان تعطى اولوية كبيرة عند الاستثمار للبحث العلمى والتكنولوجى ، لضمان استمرار التطور فى بلادنا دون اعتماد كامل على الخارج ، وهذا يقتضى فى تقديرنا :

● العناية الخاصة بالتعليم الجامعى من حيث انه الخطوة الاولى فى تكوين الباحث العلمى ، والفصل بين الدراسة المتعمقة التى تهدف الى تربية الباحث ، وتلك التى ترمى الى تربية المهنيين ،

بأن يختار للاولى العناصر المتفوقة القادرة على الاستمرار فى البحث العلمى . . .

● انشاء « اكاديمية عربية للعلوم » ، تشرف على كل مراكز البحث العلمي بشكل يمكن معه تخطيط استخدام الموارد المالية والبشرية والمادية المتاحة للابحاث ، على ان تضم العلوم الطبيعية والانسانية معا .

● ربط البحث التكنولوجى بمراكز الانتاج ، مع تكوين هيئة عليا للتنسيق بين مراكز البحث التطبيقية .

انطلاقة ثقافية كبرى

٥ ــ واذا كان على الدولة ان توفر التعليم وان تقيم صرح البحث العلمى ، فان دورها فى مجال الثقافة العامة يجب ان يكون دور المساندة المادية والتشجيع الادبى والتوجيه الفكرى . وفى هذا المجال يجب ان توفر الدولة للشعب :

● **ثقافة حرة** ، فالابداع الفنى والادبى لايزدهر الا فى جو من الديمقراطية بعيدا عن التدخل البيروقراطى والجمود . حقا ان المثقف يجب ان يكون ملتزما ازاء جماهير الشعب التى تهيىء له فرص الابداع . ولكن هذا الالتزام يتأكد من خلال النقد المسئول والتوعية السياسية ورأى الجماهير .

● **ثقافة شعبية** ، بمعنى انها ترمى الى ان تتيح لاوسع الجماهير آفاق التذوق الادبى والفنى والمتعة العقلية والجمالية ، تقدم لشعبنا الذى طال حرمانه ارقى قيم الفن والجمال . اما الترخص والسوقية باسم الشعبية فموقف ينم عن احتقار الجماهير .

● **ثقافة وطنية تقدمية** ، تعادى الامبريالية والاستعمار الجديد ، وتنمى احترام العمل والعاملين ومحبة الشعب ، وتتطلع للمستقبل الاشتراكي السعيد .

● **ثقافة قومية** ، تعتز بالتراث العربى وتحفظ لنا شخصيتنا القومية ، دون انطلاق يعجزنا عن حركة الفكر والثقافة فى العالم . ان اعظم امجاد الحضارة العربية الاسلامية كان بالذات قدرتها الفائقة على تمثل ما سبقها من حضارات فى غير تعصب واسهامها فى تقدم الحضارة البشرية .

● **ثقافة انسانية** بمعرفة قيم البشرية الخالدة : الحب ، والخير ، والجمال ، وتبنى قضايا التحرر من الاستغلال ، والنضال من اجل السلام والتقدم .

اطلاق طاقات الشباب

١ ــ فى بداية الفترة الحالية لرئاسة الجمهورية تقدم الرئيس جمال عبد الناصر ببرنامج من خمس نقاط تمثل خمس مهام كانت اولاها اعداد جيل جديد وقد عبر الرئيس عنها بقوله :

« المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب عيوننا فى المرحلة القادمة ، هى ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ، ولسنا نستطيع القول بان هذا الجيل قد ادى واجبه ، الا اذا كنا نستطيع ــ قبل كل المنجزات وبعدها ــ ان نطمئن الى **استمرار التقدم** ، والا فان كل ماصنعناه مهدد بان يتحول ــ مهما كانت روعته ــ الى فورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت . ان الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك ــ فى كل وقت ــ جيل جديد على اتم استعداد للقيادة ، ولحمل الامانة ، ولمواصلة التقدم بها . . اكثر وعيا من جيل سبق . . اكثر صلابة من جيل سبق . . اكثر طموحا من جيل سبق » .

نخرج من هذه الكلمات بعدة افكار محددة هى :

● ان الواجب الثورى لكل جيل هو رعاية البذور الجديدة وتربيتها حتى تنبت اعوادها وتخضر وتصلب بالقدر الكافى وفى الوقت المناسب ، ولقد كان هذا الواجب ولا يزال هو واجبنا الاول .

● ان مهمة الجيل الذى نشأ وتربى قبل ثورة ٥٢ كانت تحرير الارض ثم تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى ثم فتح باب مرحلة الانتقال الى الاشتراكية عن طريق اقامة القاعدة الاقتصادية الاشتراكية ، بينما مهمة الجيل الجديد ، وهو الذى دخل الحياة عشية ثورة يوليو ومع

فجرها وضحاها ، هى وضع القواعد المنيرة لمرحلة الانتقال والعمل على اتمام هذه المرحلة ، وصولا بالمجتمع الى مجتمع اشتراكى .»

● ان الجيل الجديد ككل — لا القيادات وحدها — لكى ينجح فى ادائه لهذه المهمة لابد وان يكون اكثر وعيا من جيل سبق ، لان المرحلة الحالية تستوجب وعيا اشتراكيا وهو اعلى اشكال الوعى الانسانى ، واكثر صلابة من جيل سبق لان المعركة الحالية اكثر تعقيدا واشد من المعارك التى خضناها ، لانها من ناحية معركة اجتماعية اساسا ، ولانها من ناحية اخرى معركة بناء والبناء اصعب من الهدم ، واكثر طموحا لان المهمة اليوم اكثر طموحا والا فماذا يكون اكثر طموحا من اقامة مجتمع الوفرة والعدالة ، مجتمع يسوده العمل ويزول منه الاستغلال .»

● ان الوعى والصلابة والطموح لا تأتى جزافا ولا تنبت شيطانيا بل لابد من أن تكتسب عن طريق الاعداد .»

٢ — وهذا كله يعنى انه :

● من الناحية النظرية ، كان هناك ادراك لابعاد مشكلة الشباب ، واهمية تنشئة اجيال جديدة سواء للمشاركة او لقيادة العمليات الاكثر تعقيدا والمسئوليات الاعظم صعوبة التى تطرحها ضرورات متابعة التقدم والمهام التى تفرضها .

ومن الناحية العملية ، فقد اعقب كلمات عبد الناصر مباشرة خطوات عملية فى هذا الاتجاه ، تمثلت فى عدة مظاهر ، من اهمها اقامة المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، واصدار النشرة الداخلية للاتحاد الاشتراكى ، وصياغة امانة الدعوة والفكر لخطة عامة لاعداد الكادر ودعاة الفكر الاشتراكى ، ثم اقامة معسكرات لاعداد قادة منظمة الشباب ، اولاها الرئيس عبد الناصر اهتماما خاصا بزيارتها وقضاء ساعات يناقش الشباب من ابناء الجيل الجديد فى القضايا الاساسية للمجتمع .

● وقد كان للتوسع الصناعى خلال الحرب العالمية الثانية والتغييرات الهيكلية الهامة فى نظام التعليم وفى الجامعة اثره فى تعاظم دور شباب العمال والطلبة ، بلغ ذروته قبيل الثورة فى احداث عام ١٩٤٦ ، « اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال » وتتابع حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، واتسم بالطابع الوطنى العنيف والعمل لاسقاط نظام الحكم الرجعى القائم .

وكان لاستمرار التوسع الصناعى والتعليمى والطفرة التى تحققت فى كلا المجالين بعد الثورة ، اثرها ايضا فى بروز دور الشباب ، الذى بلغ ذروته فى هبة ٩ يونيو ، ثم تحركات عمال حلوان وطلبة الجامعة ، ولكن هذه التحركات على النقيض من النشاط السابق على الثورة تدور فى اطار النظام لتخليصه من المعوقات وتذليل الطريق امام المسيرة الثورية على النطاق القومى والاجتماعى .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل ان المبادرة جاءت من العمال ، قبل ان يسارع الطلبة بالامساك بزمامها ، وان تفجرت فى احدث منطقة اجتماعية فى مصر واكثرها تقدما ... المنطقة « الشابة » فى جبهتنا الصناعية .

٣ — والازمات التى تجتاح العالم اليوم تؤثر على جميع قطاعات الحياة ، وبالاخص على الشباب ، لان عامل « السن » بالذات يحررهم من التأقلم على « الحقيقة الثابتة » ، والجمود فى اشكال متكلسة فى صورة تعوق مرونة الحركة والتجدد . ولكن هذا لا يعنى انهم يملكون القدرة على تقديم الحلول ، فهم خامة جيدة ومرنة وصالحة ، لا قيادات جاهزة .

والازمة التى تجتاح العالم ذات ثلاث شعب :

(أ) ازمة النظام الراسمالى كنظام متفسخ ، بلغت ذروتها داخل قلعة الراسمالية ذاتها ، من خلال حربها مع فيتنام (باعتباره قمة التناقض بين رأس الافعى الرأسمالى بكل ما تملكه من قوة وبين مجتمع متخلف تقوده قوى اشتراكية بالتحالف مع جماهير الشعب كلها) . فقد فجرت مدافع المورتر التى تحاصر سايجون ، قلب واشنطن لتكشف عما بداخله من عفن ، وتمزق الوحدة التقليدية للمجتمع « الحر » ، وتنشط التناقضات الداخلية فى امريكا زعيمة العالم الراسمالى ، بعد ان نجحت طويلا فى طمس هذه التناقضات والتخفيف من حدتها . وقد حولت هذه الحرب قطاعا هاما من ابناء الغرب الرأسمالى بقيادة تحركات الشباب فيها الى يسار ثورى ، اصبح واقعيا جزءا من الثورة العالمية ، واحتياطيا مباشرا لثورة وطنية تقدمية ذات قيادة اشتراكية . لقد عرت حرب فيتنام « الديمقراطية » و « العالم الحر » و « الرخاء » امام اعين شباب الغرب .»

(ب) أزمة تجمد بعض القيادات فى العالم الاشتراكى واخفاق حركة الثورة العالمية فى تقديم التطوير الكافى للنظرية العلمية بما يتمشى مع المرحلة الثورية الجديدة واحتياطاتها .. مرحلة الثورة العلمية التكنولوجية . ولكن تحركات الشباب هنا تخدم ولاتهدم المجتمعات الاشتراكية .

(ج) انهيار عديد من التجارب التقدمية متمثلة فى النظم الوسيطة فى العالم الثالث والازمة التى تجتازها هذه الانظمة .

وبدرجات متباينة كان لهذه الازمات اثرها على شباب بلادنا ، الا أن هناك عوامل محلية اضافية ، زادت من تفاقم الازمه لدى شبابنا منها على سبيل المثال لا الحصر :

(ا) محاولة حل مشاكل الثورة عن طريق القرارات الادارية دون اشراك للقطاعات الواسعة من الجماهير فى مناقشة وصياغة القرارات .

(ب) الحلول الوسط التى لا ترضى الشباب ولا تقنع احدا ، لان الحل الوسط هو لا حل على الاطلاق ، وكان الشباب اقدر على الاحساس بخطورة هذا الاتجاه ، والمطالبة بالحسم والاختيار الجذرى دون توفيق مصالحه .

(ج) تعدد التفسيرات المقدمة للاشتراكية ، وغلبة المفاهيم البورجوازية الصغيرة ، مما ادى الى التخبط وعدم الوضوح ، والغرق فى متاهات فكرية بعيدة كل البعد عن المنهج العلمى .

(د) التناقض بين الاقوال والافعال فى مختلف مجالات الحياة والاجهزة .

(هـ) الصورة المزيفة التى زينتها وظللت بها مراكز القوى المحافظة والرجعية ، واكتشف الشباب فجأة زيفها بطريقة مهينة ومزرية واثر صدمة قاسية ، لا فى المجال العسكرى وحده ، بل وفى المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

(و) محاولة البعض عرقلة خط الحسم فى مواجهة مشكلات ما بعد النكسة .

وما من شك فى ان هزيمة ٥ يونيو كان لهـا آثارها البعيدة فى الشباب بوجه خاص ، لقد نتج عنها اول احتلال يعيشونه وان كان جزئيا ، الامر الذى اجج فى صدورهم نار ثورة لم يختبروها من قبل هى الثورة الوطنية التحررية ، ونتج عنها تفجير من الاعماق للتناقض الذى كانوا يعيشونه بين ما كان يقال لهم وما كانوا يحيـون به فى الواقع دون أن يستطيعوا وضع اصابعهم عليه ، كانت الهزيمة هى النتيجة الاليمة المباشرة لسير هذا التناقض ولم يكن ممكنا للشباب ، بما يعتمل فى صدوره بحكم عمره من مشاعر وما بناه من آمال ان يبررها . ومن ثم كان القلق ، وكان عدم الرضا الذى وصفه المناضل جمال عبد الناصر بالشرعية ، ولابد ان يكون اعداد الشباب بحيث يدخل فى الاعتبار هذا القلق ويجعل منه بدلا من نار تحرق وتفرق ، قوة تحشد وتجمع من اجل النصر وما بعد النصر .

من هنا تبرز اهمية توعية الشباب بمشاكل مرحلة التحول الاشتراكى الناجمة عن التناقض بين القديم المتخلف والجديد الصاعد ، بين امكانيات الواقع المحدودة وآمال الجماهير التى لا حدود لها ، كما تبرز الاهمية القصوى لاسلوب هذه التوعية وللهدف منها ، اما الاسلوب فيجب ان يبتعد تمام الابتعاد عن طريقة « ليس فى الامكان ابدع مما كان » وعن طريقة الشعارات وتبرير كل نواحى النقص ، واما الهدف فيجب ايضا ان يبتعد تمام الابتعاد عن تجميع الشباب حول الهتاف والاحلام .. يجب ان يكون الاسلوب هو اظهار الحقائق لا طمسها ، وتحرى أسبابها . يجب ان يكون الهدف هو تنشئة جيل «اكثر وعيا من جيل سبق»، اكثر وعيا بقضايا الجماهير . وبالاسس النظرية العامة للاشتراكية العلمية ، وبكيفية تطبيق هذه الاسس واستخدامها من اجل حل قضايا الجماهير .. وهدف كهذا الهدف لاسبيل الى تحقيقه سوى سبيل الصدق والمصارحة وتربية الشباب على الشجاعة فى ابداء الرأى والصلابة فى مواجهة التحديات والطموح الى تحقيق الاشتراكية .

المرأة والاسرة

١ ــ الواقع ان قضية تحرير المرأة ما زالت قائمة ، والثورة كما يقرر الميثاق عمل شعبى وتقدمى ، والديمقراطية هى الترجمة الصحيحة لروح الثورة ، وذلك من حيث ان الثورة هى فى النهاية الحركة الواعية للجماهير الشعبية فى مجموعها ، تتحقق باشتراك الملايين من الرجال والنساء معا . ومن الواضح انه لايمكن ان نتحدث عن عمل ثورى ، او عن تحولات ثورية فى المجتمع ، اذا استبعدنا من اطار هذه التحولات المجهود الواعى الذى يجب ان يبذله نصف المجتمع : المرأة ، ولا يمكن ان نتحدث عن معارك البناء ، ونحن لا نضع فى

الاعتبار الضرورة الملحة والحيوية لحشد وتعبئة عشرات ومئات الالاف من النساء العاملات فى الصناعة والزراعة وفى كافة مجالات النشاط . واخيرا لايمكن ان نتحدث عن الديموقراطية فى المجتمع اذا اكتفينا فقط بالاشارة الى وجود قوانين وتشريعات تقدمية تؤكد على المساواة بين الجنسين . ذلك ان القانون الذى لا يعبر عن تحولات اجتماعية وثورية حقيقية انما يظل حبرا على ورق . ومن هنا فان اقامة المجتمع على اسس الديموقراطية يعنى ان تحرير المراة واطلاق الطاقات الخلاقة لنصف المجتمع هو عمل طويل وشاق : اجتماعى واقتصادى وسياسى قبل ان يكون عملا من اعمال التشريع . ولابد اذن من عمل يضع المراة فى مكانها السليم فى مجتمع يواجه معركة تحرير ، ومعركة تحولات اجتماعية واسعة المدى .

٣ — والمطالبة بتحرير المراة فى بلادنا ، ليست صيحة جديدة ، به انها تمتد الى منتصف القرن التاسع عشر ، وبرزت بكيفية واضحة مع صعود الحركة الوطنية ، خصوصا فى ثورة ١٩١٩ . غير ان كل تلك المجهودات التى بذلت لتحرير المراة ، قد تمت فى اطار الثورة البرجوازية الوطنية ، ولم تكتسب طابعا شعبيا وثوريا . فاذا ارتفعت اليوم الشعارات التى تطالب باسقاط الاغلال التى تعوق الطاقات الخلاقة للمراة ، فسوف يكون لهذه الشعارات مضمونا جديدا ، لانه يعكس احتياجات مجتمع يستهدف بناء الاشتراكية ، ويواجه كل تعقيدات مرحلة الانتقال . وحتى توضع شعارات تحرير المراة موضع التنفيذ فلابد من الكفاح على الجهات التالية :

اولا : الجبهة الاقتصادية ، فمن المعروف ان العمل هو حجر الزاوية فى تحرير المراة من تبعيتها الاقتصادية للرجل . والواقع انه لايوجد حتى الان فى مجتمعنا تكافؤ فرص حقيقى فى العمل . لا ادل على ذلك من ان عدد النساء اللاتى يعملن فعلا لايزيد عن ٣ر٦٪ من عدد النساء القادرات على العمل . وهى نسبة ضئيلة للغاية كما هو واضح .لكن هذا ليس كل شىء .فالعاملات لا تتساوى اجورهن مع الرجال رغم القوانين التى تنص على الاجر المتساوى لنفس العمل . وفى الغالبية العظمى من الاحوال لايسمح لهن عمليا — الا فى النادر — بالترقى الى الوظائف القيادية والاشرافية . وبالتالى تستمر اوضاعهن غير متكافئة . بل انه حتى فى النقابات العمالية وفى الجمعيات التعاونية ، يشهد الواقع بأن النساء مبعدات فى هذه التنظيمات عن كثير من المجالات.

من هنا يتضح — بما لايدع مجالا للشك — ان تكافؤ الفرص امام المراة فى العمل والاجر والترقية ابعد مايكون عن ان يوضع موضع التنفيذ الفعلى، وذلك على الرغم من ان ميثاق العمل الوطنى ونصوص الدستور المؤقت تقرر مبادىء المساواة بين الجنسين وتؤكد عليها .

ومن هنا يصبح واجبا اساسيا فى المرحلة القادمة ان يواجه المؤتمر القومى قضايا تكافؤ الفرص امام المراة فى المجال الاقتصادى .

ثانيا : الجبهة الاجتماعية : رغم تقرير مجانية التعليم ، والزامه فى المرحلة الابتدائية ، لايزال تخلف المراة فى التعليم أشد بكثير من تخلف الرجل. وهذه الظاهرة اوضح ماتكون فى الريف بالذات ، وتدل الاحصاءات على ان عدد الطلاب فى التعليم دون الجامعى ٢ر٥٩٨ر٠٨٨ طالبا فى مقابل ١ر٥١٩ر٣٢٦ طالبة . اما فى التعليم الجامعى فهو ١٠٤ر٩٧٥ طالبا فى مقابل ٢٤٤٩٠ طالبة . ومن هذا يتضح ان الخدمات التعليمية غير متكافئة واقعيا بين الرجل وبين المراة . وتتفشى الامية اكثر ما تتفشى بين جماهير النساء . هذا مع العلم بأن تعليم المراة — بالاضافة الى انه يزيد من الطاقات الانتاجية — يخلق ايضا اساسا متينا للاسرة المترابطة القادرة على خلق اجيال المستقبل.

واذا جئنا الى مجال الخدمات الصحية ، فلا يزال كثير منها أقل من احتياجات النساء الشعبيات، ولا تزال الرعاية فى مراكز رعاية الطفل مثلا اقل من الحد الادنى ، وبعيدة عن الرقابة الشعبية .

ويظهر فى مجال الخدمات الصحية ايضا عدم المساواة بين الرجل والمراة . اذ لازالت امراض النساء والحمل والوضع لا تتكفل بها المؤسسات ولا ينص عليها فى قوانين العمل . بل ان اجازة الوضع لا تتعدى الشهر . والمصالح الحكومية ذاتها لا تمنح المراة ساعات راحة اثناء العمل للرضاعة . اما المؤسسات فتتهرب من اقامة دور الحضانة التى نصت القوانين على ضرورة انشائها فى كل مؤسسة بها اكثر من خمسين عاملة .

ثالثا : الجبهة السياسية : ان خروج الجماهير النسائية الشعبية مساء ٩ يونيو باعداد رهيبة

لم تحدث من قبل ، بعد من البراهين الساطعة على مقدرة المرأة على المساهمة الايجابية فى الحياة السياسية للبلاد . نعم ، لقد حصلت المرأة فى عهد الثورة على حق الانتخاب والترشيح لمجلس الامة والاتحاد الاشتراكى لكن نشاطها السياسى منكمش الى حد كبير ،ويفتقر الىعنصر الاستمرار. ان احد اسباب هذا الانكماش كامن فى بقايا الافكار الرجعية التى لا تنظر بارتياح الى خروج المرأة الى ميدان العمل السياسى . واذا كان من الطبيعى ان توجد فى مجتمعنا بقايا الافكار المتخلفة من مجتمع الاقطاع والراسمالية ، الا ان تعطيل النشاط السياسى للمرأة كامن فى ان التنظيم السياسى الشعبى (الاتحاد الاشتراكى) ، لم يبذل بعد الجهد الفكرى والتنظيمى الكفيل لجذب جماهير النساء الى حلبةالعمل السياسى ، وخلقالتنظيمات الكفيلة باستيعاب طاقاتها . وهذا الواجب الذى يلقى بالضرورة على عاتق الاتحاد الاشتراكى ، يعد فى الظروف الحالية التى تتعرض فيها البلاد لهجوم وضغوط الامبريالية والصهيونيةفى مقدمة الواجبات الوطنية .وفوق هذا تخلق هذه المعركة واستعداد الملايين من النساء لحمل السلاح والتدريب على التمريض والاسعاف والمقاومة الشعبية ، نقول تخلق فرصة نادرة امام التنظيم الشعبى لكى يبادر الى حشد وتعبئة الجماهير النسائية فى تنظيم خاص لهن (الاتحاد النسائى) واشراكهن اشراكا فعليا فى صفوف الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه السياسى الطليعى ». ثم فتح الطريق — فيما بعد — امام الطلائع النسائية الاشتراكية لتساهم فى سن التشريعات والقوانين التى لا تمس حياة المرأة فحسب ، بل وفى رسم السياسة التى تلتزم بها الدولة داخليا وخارجيا والمشاركة مشاركة فعالة فى الاتحاد الاشتراكى وفى المجالس الشعبية ».

٣ — التشريعات الخاصة بالمرأة والاسرة :

اذا كنا قد ذكرنا ان عملية الاستمرار فى تحرير المرأة ليست مجرد عملية اصدار لمجموعة من القوانين والتشريعات ، وانما هى فى جوهرها عملية نضالية طويلة لها جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، الا ان هذا لايعنى التقليل بأى حال من الاحوال من دور القوانين والتشريعات التى تنبع من الضرورات التاريخية للتطور الاجتماعى . لانه اذا كانت الحياة قد حكمت بالزوال على النظام الاقطاعى والرأسمالى الذى ساد قبل ثورة يوليو ٥٢ فان مخلفات هذا النظام الممثلة فى القوانين والتشريعات التى تمس حياة المرأة والاسرة يجب ان تستأصل وتزول ايضا . ذلك ان كثيرا من هذه القوانين — وفى مقدمتها قانون الاحوال الشخصية — قد جرت صياغتها فى اطار ظروف اجتماعية مختلفة قضت بالتمييز الصارخ فى المعاملة بين الرجل وبين المرأة ».

اما بالنسبةلقانون الاسرة اوالاحوال الشخصية فالملاحظ ان الفكرة التى سيطرت على واضعى مشروع القانون الجديد هى استمرار تبعية المرأة للرجل ، فى حين ان المطلوب ان يكون القانون الجديد متفهما لروح الدين ». وان يشترك فىوضع المشروع — جنبا الى جنب مع رجال الدين — رجال ونساء واعون بمرحلة التطوير واحتياجاتها، مؤمنون بتحرير المرأة من العوائق التى تحول دون قيامها بواجباتها كمواطنة ، وكزوجة وكأم .

ولابد بعد هذا ان يتم تحديد الاسلوب الذى تعرض به تشريعات الاسرة والاحوال الشخصية على الشعب لمناقشتها وابداء الرأى فيها ، على ان يوضع فى الاعتبار النقاط التى سبق ان ابديت على المشروع الذى قدمه وزير العدل وهى :

- عدم وقوع الطلاق البائن الا امام المحكمة وبعد محاولات الاصلاح بين الزوجين ، مع تحديد المخطىء وفى حضور الزوجة ».
- ادخال نظام المحلفين فى محاكم الاحوال الشخصية
- عدم اباحة تعدد الزوجات الا باذن من القاضى
- رفع سن حضانة البنت والولد واعطائهم حق الاختيار
- عدم التعرض لحق الزوجة فى العمل
- ان يساهم كل من الاب والام العاملة فى نفقة الاطفال
- الغاء شرط « التكافؤ الاسرى والمادى » فى الزواج ».
- النص على معاقبة كل من يخالف هذه القوانين ».

ان هذه التشريعات ليست مجرد حقوق خاصة بالمرأة ، وانما هى ضمان للاسرة واستقرارها ». وهنا يمكن ان يقال ان امام المؤتمر القومىولجانه المتخصصة عملا ضخما ومهاما مباشرة فى مجال تحقيق الفرص المتكافئة بين الرجل وبين المرأة فى اكثر من مجال وتمكين المرأة من أن تؤدى واجبها نحو وطنها ونحو اسرتها ».

القيم الدينية والروحية

١ - من المهام الرئيسية التي اكد عليها بيان ٣٠ مارس «العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية» . وكان الميثاق قد اشار - من قبل - الى اهمية العقيدة الدينية فى تمكين الشعوب من مواجهة مختلف العقبات والصعاب .

وقضية تدعيم القيم الروحية والخلقية تطرح بالضرورة على المؤتمر ان يحسم المشكلة التى تفتعل افتعالا لخلق حاجز بين الدين وبين الاشتراكية ، وحتى يحبط كافة المحاولات التى تبذل لوضع الجمهرة الغفيرة من المتدينين بين اختيارين مزعومين : الدين او الاشتراكية . مثل هذه المحاولات وتلك المشكلات المفتعلة التى تضر فى رأينا ابلغ الضرر بمصالح جمهور المؤمنين ومصالح الثورة الاشتراكية على حد سواء .

٢ - ونقطة البدء ، هى ان نحدد بحسم الاهداف والارض المشتركة للاديان وللنظام الاشتراكى .

والواقع ان الاديان والاشتراكية يهدفان الى اقامة عالم من الاخوة الانسانية تتأكد وتتعزز فيه صفة الانسان كانسان ، ويصبح فيه الانسان ارقى المخلوقات واجدرها بالتكريم والاهتمام .

وتتفق الاديان مع الاشتراكية فى ان لكل منها موقف نضالى محدد يرفض الخضوع والاذعان للظواهر والانظمة الاجتماعية التى حكم عليها التاريخ بالزوال . فالاسلام والاديان عموما فى نشأتها الاولى تحركات ثورية قاومت احتكار الاقوات ، وعارضت الرق ، ورفضت التمييز بين الناس على اساس اللون والجنس والطبقة ، وادانت وحرمت الربا باعتباره كسبا لم يبذل فيه جهد ، وقدست العمل الشريف . واقامت على اساس هذا كله نظاما من العلاقات والقواعد الاخلاقية .

ومن هنا لا نخال الدين الا متفقا مع الاشتراكية عندما تنظم وتقود الصراع ضد الاستعمار العالمى ، وضد احتكاراته ، وضد نظرياته فى التفرقة العنصرية ، حروبه ومخططاته ضد البلدان النامية . وضد محاولاته لتسخير العلم والتكنولوجيا لمحق الحياة من على وجه الارض .

فالموقف العملى ، والنضال المباشر ، من اجل صيانة السلم ، واستخدام العلم لمصلحة تقدم البشر ورفاهيتهم ، والكفاح ضد الفقر والعنصرية وقبل كل شىء ضد الاستعمار والراسمالية .

هذا النضال هو الموقف المشترك الذى ينبغى ان يلتزم به المتدين المخلص والانسان الاشتراكى سواء بسواء . وهنا يتضح انه لا تناقض بين ان يكون الانسان متدينا وبين ان يكون اشتراكيا فى آن واحد . وليس هناك اى تناقض بين الدين وبين الاشتراكية عندما يدعوان الى ان يتحمل الانسان مسئوليات وواجبات اجتماعية واخلاقية محددة فى هذا العالم الارضى بالذات . وقديما اوضح بعض المفكرين الاسلاميين انه لما كان الانسان مدنيا بالطبع . فان القيم الاخلاقية لا توجد الا فى المجتمع ، ولا يمكن ان يوجد سلوك اخلاقى خارج المجتمع .

٣ - الا انه لا يخفى ان قوى دولية واجتماعية معينة حاولت وتحاول ان تستغل الدين ورجال الدين لتبقى هذا البلد او ذاك فى فلك التبعية والاستعمار ، ولتبقى الطبقات الكادحة فى براثن الطبقة الاقطاعية والراسمالية . وقد برهن التاريخ على ان المتدينين الثوريين قد رفضوا هذا الموقف . وعلى العكس وجدوا فى تعاليم الدين ما يحفزهم على ان يستندوا الى العاطفة الدينية التى تستحوذ على الجماهير ليعملوا على ايقاظ شعوبهم من سباتها ثم على حشدها ضد الغزاة والمستعمرين . وكان هذا بالدقة تاريخ الاسلام فى فجر الحركة الوطنية التى ولدت فى القرن التاسع عشر . فبينما سعى الاستعمار عن طريق الارساليات الدينية الى تخدير الشعوب قامت العناصر الثورية فى البلدان العربية تحت لواء الدين بدور وطنى تحريرى ضد الاستعمار (الافغانى فى المشرق العربى وحركة العلماء بزعامة ابن باديس فى الجزائر .. الخ) وكانت لمواقفهم آثار بعيدة المدى فى ايقاظ الشعور الوطنى والحفاظ على اللغة والتراث القومى .

فالقضية التى يجب ان تحسمها القيادات المستنيرة فى الاتحاد الاشتراكى هى انه اذا كان الاسلام قوة دافعة للتحرر الوطنى فى فجر الثورات الوطنية فانه لابد وان يكون ايضا قوة دافعة ومناصرة للتحرر الاجتماعى فى عصر انتصار الاشتراكية . وهذه الاجابة يجب ان تجد طريقها الى الدروس الدينية التى تلقى فى دور العلم ، بحيث ينتهى عزل التعاليم الدينية عن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل ومن مشكلات الحياة اليومية التى نحياها .

٤ - وفيما يتعلق بالمشكلة الاخلاقية او « قضية القيم » فان هناك انماطا من الفكريات والمواقف بعضه خاطىء وان صدر عن نية

حسنة ، وبعضه مغرض ويخفي مصالح واهدافا سياسية وطبقية معينة .

فمما لا شك فيه ان مجتمعنا يعانى من مشكلة اخلاقية ، ويبحث عن القيم المثلى التى تعبر عن نفسها فى مسلك الفرد والجماعة . غير ان فصل القيم والاخلاق عن المجتمع الذى نعيش فيه لا يؤدى الا الى احد امرين :

— اما الى موقف انعزالى وهروبى .

— واما الى صيحات حرب توجه فى الظاهر ضد مظاهر الفساد ، ولكنها تقصد فى الواقع التحولات الاجتماعية والاقتصادية .

وهذا الامر يتضح اذا علمنا ان قواعد السلوك التى سادت ولاتزال تسود مجتمعنا انما هى تلك القواعد التى ارستها الطبقات الاقطاعية والراسمالية التى تعاونت مع الاستعمار .

فالمسكنة والنفاق والسرقة والدعارة والمضاربة فى السوق السوداء . كل هذه وغيرها قد فرضت ونمت فى ظل النظام الاقطاعى الراسمالى . وزوال هذا النظام لا ينهى بكيفية اوتوماتيكية مخلفاته التى تتمثل فى شكل مظاهر معينة للسلوك . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان القيم الجديدة المدعوة الى ان تسود المجتمع لم تستقر ولم ترسخ بعد . ولا يغير من هذه الحقيقة ان ميثاق العمل الوطنى قد وضع يده على الحلقة الرئيسية فى موضوع القيم ، وقدم العمل الخلاق باعتباره القيمة الانسانية الاولى ، ومنبع الاخلاق الجديدة فى المجتمع الجديد وذلك فى مقابل النظام الاخلاقى فى المجتمع الراسمالى ، هذا النظام الذى يقوم على اساس الاستغلال : اى الملكية الفردية لوسائل الانتاج .

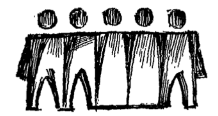
واذا صح ان غرس القيم الاخلاقية الجديدة هو من المهام التى تقع على عاتق المفكرين والكتاب والفنانين الاشتراكيين ، فلابد من أن نقرر ان تمجيد العمل وفضح الاخلاق الراسمالية وبيان صلتها بقضية الاستغلال ، كل هذا لم يحظ بالعناية . هذا بالاضافة الى ان هناك بعض المثل أبعد من ان ترتبط بالمثل الاخلاقى ، بل انها — على الاصح — تحجب المثل الاشتراكى القائم على العمل الخلاق .

٥ — وعند معالجة القضية الاخلاقية لانطالب الاتحاد الاشتراكى بان يصنع المعجزة فى يوم وليلة . فالقضية فى النهاية مرتبطة بالتحولات الاجتماعية وبتصفية كل اشكال استغلال الانسان للانسان . لكن هذا يحتم على الاتحاد الاشتراكى :

- ان يناضل لكى يمجد النشاط الثقافى فى مجموعه ، العمل الخلاق باعتباره مصدر القيم فى المجتمع .

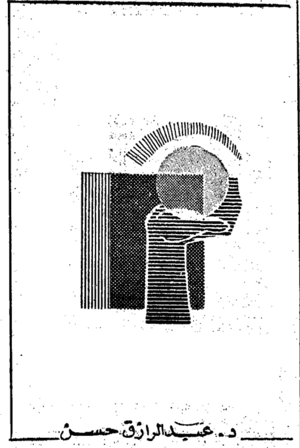
- وان يناضل لتصفية الامتيازات والكسب غير المشروع الذى تتولد منه بالضرورة اخلاق المجتمع القديم ،

- وان يناضل لكى يربى الشباب فى روح الاشتراكية وحب العمل مقدما بذلك القدوة والمثل الحى على تفوق الاخلاق الاشتراكية .





حول الإصلاح المالى والإدارى



د . عبد الرازق حسن

أن اول ما يتردد حينما يلمس الانسان ان الجهاز الاقتصادى للمجتمع لايستجيب لمتطلباته، هو ضرورة اصلاح الجهاز المالى والادارى . وكما يتوزع العمل على اجهزة الكائن الحى لتمكينه من اداء وظيفته ، كذلك تفعل المجتمعات فى انشائها للاجهزة التى تقوم بتنظيم وتقسيم العمل بين اجزاء المجتمع .

والملاحظ انه كلما انتقل الكائن من طور الى طور ، تغيرت العلاقة بين اجهزته العاملة لتلائم عملية التطور التى يمر بها ، والا اصيب الكائن بالاختلال الذى لا يلبث ان يقضى عليه . ويمكن أن نلمس نفس الامر بالنسبة للمجتمعات التى تواجه بضرورة تعديل اجهزتها بين وقت وآخر ليلائم التغيرات المادية التى تصيبه . والملاحظ ايضا انه كلما ارتقى الكائن تعقد دور الاجهزة العاملة فيه ،واصبح اكثر حساسية لكل مايصيب اجهزته فى عملها او فى علاقتها بغيرها ، ويخطىء من يتصور ان المشاكل التى تصيب اى مجتمع انما تنبع من تعقيدات الاجهزة العاملة فيه ، وان الرجوع الى الاجهزة البسيطة كفيل بحسن سير الامور ، لان هذا تجاهل لطبيعة الاشياء ،لان تلك الاجهزة البسيطة لم تكن لتعنى غير علاقات معينة ، اما انها قد زالت او فى مرحلة الزوال . فاذا كنا نواجه مثلا بمشاكل فى التخطيط ، وتنظيم الانتاج ، وتوزيع انصبة العاملين فيه ، وفى ادارة بعض امور الدولة ، وتحصيل الضرائب والانفاق على المشروعات العامة . فان حل هذه المشاكل لا يتاتى بالرجوع الى الاوضاع القديمة البسيطة ، حينما كان الاعتماد فى تصحيح الاخطاء الاقتصادية يتم وفقا لنظرية التوازن التلقائى ، او السوق ، لان معنى ذلك سيطرة العناصر القوية ، وفقدان العناصر النامية لامكانيات نموها .

ماهى المشكلة ؟

قبل ان نتكلم عن الاصلاح المالى والادارى علينا ان نحدد طبيعة المشاكل المالية والادارية التى نواجهها حتى لا يكون الكلام عن الاصلاح بمثابة الضرب العشوائى فى الفراغ ، وهنا علينا

ان نحذر التورط فى النقل من نظم اخرى قد تتباين مع نظمنا او تمثل مرحلة تطور بعيدة عن مرحلة التطور التى نمر بها ، حتى لا نقحم انفسنا فى مشاكل جديدة فى الوقت الذى نحاول ان نحل فيه مشاكل قائمة .

كان احساسنا بالمشاكل المالية والادارية ملازما لمراحل التطور والنمو التى مررنا بها ، وكان هذا الاحساس نتيجة طبيعية لعدم مرونة اجهزة الدولة المالية والادارية لمواجهة التغيرات التى تصيب المجتمع ، وكان البعض يتلمس الاصلاح فى تغيير النظام الاجتماعى ، او علاقات القوى فى المجتمع ، وتصور هذا البعض ان ذلك التغيير كفيل باعادة التوازن المفقود ، او هو العصا السحرية التى تضمن الاستقرار والعدالة . وحتى يكون كلامنا اكثر تحديدا نذكر ان مشكلة المشاكل التى كانت تؤرقنا هى اقطاع الارض ، والراسمالية القابضة على زمام الصناعة والتجارة ، وسيطرة الاثنين على اجهزة الحكم فى الدولة ، حتى اذا قامت الثورة ، وبسلسلة من الاجراءات قضت على الاقطاع والراسمالية المستغلة ، كان التصور ان مجرد تنسيق الانتاج والنمو فى شكل خطة ، وتطبيق المبادىء الاشتراكية فى علاقات الانتاج ، واخذ العناصر المفسدة بالحزم ، وسائل كافية للقضاء على مشاكل الماضى .

ولم يمض وقت طويل حتى بدانا نحس بنوع جديد من المشاكل تتلخص فى فقدان التوازن بين الانتاج والاجور ، وبين الانتاج والاستهلاك وبين الادخار والاستثمار ، كما لاحظنا ان نمو القطاعات لم يتم بشكل متناسق ، واشتدت الشكوى من المركزية والبيروقراطية ، وتضخم الاجهزة الادارية بكبار العاملين ، والازدواج فى بعض مجالات النشاط ، وتعدد الاجهزة الرقابية .. الخ .

وبانتهاء الخطة الخمسية الاولى للتنمية تكاملت صورة المشاكل التى بدات الحكومة تواجهها وتناقشها بصراحة . ومن خلال النقاش كانت هناك بعض العناصر التى تحاول ان تهون من الامر ، وتتلمس الاعذار حتى لا يتغير شىء ، حتى فوجئنا بالهزيمة فى يونيو سنة ١٩٥٧ ، واحسسنا جميعا ان المشكلة ليست فى تنظيم الجيش وحده ، او فى وجود بعض الاجهزة الطفيلية الشاذة التى كانت تعيش على المجتمع ، وانما فى تنظيمنا الاقتصادى والاجتماعى . وبالتالى لم يعد هناك مجال للتردد فى دراسة المشاكل وعناصرها لامكان مواجهتها ، وحتى « النصيون » الذين كانوا يخشون من اى تغير حتى لا ننتكس فى خطونا نحو الاشتراكية ، بداوا يلمسون من خلال الثورة الفكرية والادارية القائمة فى البلاد التى سارت شوطا طويلا فى الاشتراكية ، انه ليس هناك وضع مقدس ، وان الاجهزة المالية والادارية يجب ان تراجع من وقت الى آخر حتى لا تصبح عبئا يحول بين المجتمع والنمو المتناسق .

وسنحاول فى هذا المقال ان نحدد بعض المشاكل وامكانية معالجتها ، آخذين فى الاعتبار ان اى تعديل يجب الا يمس الاشتراكية التى اصبحت فلسفة مجتمعنا ، اعتقادا منا ان الاساليب غير الاشتراكية قد اثبتت فشلها فى مجتمعنا على الاقل ، وان الاشتراكية مهما واجهها من مشاكل فهى فى النهاية كفيلة بحلها لانها ليست فلسفة فرد ، وانما فلسفة مجتمع ، وانه ليس من المنطقى ان توجد قلة فى اى مجتمع قادرة ، عن طريق سيطرتها على ادوات الانتاج ، على مواجهة مطالب المجتمع ، اكثر من مجموع افراد المجتمع انفسهم .

التوازن بين الانتاج والأجور

ترجع المشكلة فى انه عند تطبيق الاشتراكية سادت فكرة ايجاد لائحة موحدة للعاملين فى القطاع العام ، حتى تكون المعاملة متجانسة ، بما تعنيه هذه اللائحة من تنظيم للاجور ، والترقيات ، والعلاوات ، والاجازات والمعاشات .. الخ . كما اتجه العمل الى وضع حدود دنيا للاجور ، والالتزام بايجاد عمل للمواطنين ، وبالذات اؤلئك الذين انفق المجتمع قدرا طيبا على اعدادهم (خريجى الجامعات) .

وليس هناك شك فى ان الهدف من هذه الاجراءات سليم ، غير ان بعض العناصر استغلت كل طاقتها للاستفادة من التنظيمات الجديدة دون ان تقدم المقابل الطبيعى وهو زيادة الانتاج . واخذت المشكلة تتعقد بظهور حركة انتقالات كبيرة للعاملين بين قطاع الخدمات الحكومى ، وبين قطاعات الانتاج ، وبين قطاعات الانتاج وبعضها بهدف الاستفادة من بعض الميزات المادية .

ومما زاد المشكلة حدة عدم وجود ربط بين الاجور والانتاج ليس فى المشروع الواحد فحسب ، وانما بين المشروعات وبعضها ، مما اثار جوا من السلبية .

وتبلورت المشكلة فى زيادة حجم الاجور بالنسبة للانتاج ، وتضخم العمالة الزائدة ، وتفشى الانتهازية والسلبية فى كثير من مشروعات القطاع العام .

ونعتقد انه لا مفر من وجود نظم مختلفة للمشروعات لضمان تناسق الاجور مع حجم

الانتاج ، ونوعيته ومخاطر العمل . واذا كان من الصعب ان تأخذ حجم الانتاج احيانا كمؤشر للكفاية فعلينا اذا اخذنا بفكرة الربح ان نفرق بين الربح المخطط ، اى الربح الناشيء من اجراءات الدولة ، والذى لا دخل للعمل فيه ، والربح غير المخطط ، او الناشيء من زيادة انتاجية العاملين او عملهم على خفض التكاليف .

وليس من الضرورى ان يزيد الاجر بنسبة زيادة الانتاج ، وانما يمكن ان يزيد بنسبة اكبر اواقل تبعا لاثر الجهد فى العملية الانتاجية . فمثلا يمكن ان يزيد نصيب العاملين فى الزراعة اكثر منه فى الصناعة اذا تسبب كلاهما فى زيادة الانتاج بنسبة واحدة ، على اساس ان نتيجة زيادة الانتاج فى الزراعة تتطلب جهدا اكبر منه فى الصناعة ، فضلا عن ان اثر زيادة الانتاج الزراعى تعم قطاعا اكبر فى المجتمع ، فضلا عن ان نسبة اجور العاملين فى الزراعة الى قيمة الانتاج الكلى قليلة نسبيا اذا قيست بالصناعة .

وفى جميع الاحوال قد يكون من الافضل تشجيع الفائض الذى ينتج من العمل الجماعى عنه بالنسبة للعمل الفردى ، لان الفلسفة العامة تقوم على المجتمع ، وحتى لا ننزلق نحو الفردية . وان كان ذلك لا يعنى عدم تشجيع اصحاب المواهب ، بل على العكس ، يجب البحث عن اعطاء فرص اكبر لهم لتمكينهم من الاستزادة بالعلم ونقلهم الى الاعمال التى تناسب مواهبهم .

وقد نجد ان الحوافز المالية غير كافية اذا كنا نركز على تحويل القدر الاكبر من الفائض لعمليات الاستثمار ، وهنا يصبح من الضرورى ان نبحث عن وسائل اخرى للحوافز مادية او غير مادية ، مثل قضاء الاجازات فى مصايف الدولة بدون مقابل او بمقابل بسيط ، والسماح باستعمال وسائل النقل العامة والمسارح ودور السينما مجانا او برسم ضئيل ، او توزيع النياشين التى تدعم مركز العامل المجد ، سواء فى وحدته او فى مكان سكنه ، او فى قطاع الانتاج الذى يعمل فيه .. الخ .

والمسالة التى تحتاج الى حل سريع لايجاد التوازن بين الانتاج والاجر هى فرض معدل انتاج معين لمقابلة الاجور المدفوعة ، وعدم زيادة الاجور باى حال الا اذا زاد الانتاج عن هذا المعدل ، واذا لم تنجح هذه الوسيلة فى مدى سنة فانه يصبح ولا مفر من فرض قدر من الضرائب يمتص الزيادة فى الاجور عن الانتاج . اما عن العمالة الزائدة فيحتاج علاجها الى حسم ، فتعد دراسات للعاملين الزائدين يخولوا بعدها الى اعمال جديدة ، وايقاف كل زيادة فى اجور الزائدين عن العمل حتى تحل مشكلتهم .

الانتاج والاستهلاك

من اكبر المشاكل التى تواجه المجتمعات التى تاخذ بالاشتراكية زيادة الميل للاستهلاك كنتيجة طبيعية للحرمان السابق من ناحية ، ولزيادة الاجور الدنيا من ناحية اخرى ، لفرض نظم المعاشات ، ولضمان فرص العمل ، ولزوال عنصر الخوف من المستقبل .

فاذا التزمت الدولة بسياسة التوسع فى الاستثمارات فان ذلك يؤدى الى زيادة الضغط على سلع الاستهلاك ، وهنا تواجه الدولة بمشكلة اما ترك حرية التعامل فى السوق ، وهنا ترتفع الاسعار ويصبح الضحية اصحاب الدخول الدنيا ، او من تهتم الاشتراكية برفع مستواهم المادى ، او توزيع السلع بالبطاقات ، وهنا يتحمل المجتمع بتكاليف جهاز البطاقات ، ونواجه بمشاكل التوزيع ، وقيام السوق السوداء والتهريب ، او بمعنى آخر ظهور مجموعة من الانتهازيين ، ومما يدفع لزيادة الميل للاستهلاك نقص فرص الادخار والاستثمار ، او انخفاض عائد الادخار وارتفاع درجة المخاطرة فى الاستثمار .

والملاحظ انه فى الجانب الاخر من المعادلة نجد انه فى مراحل التطبيق الاولى للاشتراكية لا يزيد الانتاج بالدرجة الواجبة كنتيجة لضعف الرقابة على الانتاج من ناحية ، ولعدم وضوح الحافز او الدافع الاجتماعى من ناحية اخرى .

وقد يجد بعض العاملين ان مقابلة مطالب زيادة الانتاج يمكن ان تتم بزيادة الوحدات المنتجة دون اهتمام بالجودة التى تتطلب الدقة والوقت ولمواجهة هذه المشكلة بشقيها علينا اولا ان ننشيء نظاما مرنا للحوافز ، كما ونوعا ، ونزيد فرص الادخار باقامة اجهزة لجمع المدخرات فى كل قطاع ، ورفع سعر الفائدة على هذه المدخرات كلما زادت مدة ادخارها ، والاخذ بنظام النصيب ، والسماح بالحصول على معاش اكبر بزيادة الجزء المدخر . ولا ادعى اننى آت هنا بجديد ، فهذه الانظمة تطبقها البنوك وشركات التأمين ، ولكن كل ما ارجوه ان يكون هناك مندوبون فى كل جهاز لتشجيع الافراد على الادخار وقد يكون من الافضل ان يكون المندوبون من العاملين فى المشروع .

اما عن الاستثمار ، فالفرص التى يمكن تشجيع الافراد فيها ، هى الاستثمار الذى يقوم على الانتاج الفردى ، او الانتاج على نطاق ضيق ، ولا يحتاج الا الى تشغيل عدد قليل من العاملين ، حتى لا يؤدى تشجيع القطاع الخاص دون وعى الى انقضاضه على القطاع العام او افساده اياه ، وهى مشكلة نواجهها فى بعض قطاعات الانتاج .

واذا كانت فرص الاستثمار الفردى تنكمش فى المجتمع الاشتراكى فيمكن مواجهتها جزئيا بتشجيع التملك السكنى ، فيمكن مثلا ان نقبل من الافراد قدرا من المدخرات مقابل تمليكهم او اولادهم سكنا بعد عدد ما من السنين ، ومثل هذا النظام يضمن وجود سيل مستمر متزايد من المدخرات ، كما يضمن مشاركة الافراد فى حل مشاكل الاسكان ،اما السماح بالبناء بغرض التأجير فانه يخلق مشاكل لاداعى لها ، ومايؤدى الى تناقض فى الاهداف العامة .

ومهما يكن من شىء ففى اى نظام يهتم بالتنمية راسماليا كان ام اشتراكيا ، لا مفر من تحديد حجم السلع القابلة للاستهلاك ، وفى حالتنا الحاضرة لقد تعود الناس نظام البطاقات فى بعض السلع كالزيت والسكر والكيروسين ، وتقبلوا ببساطة نظام توزيع الشاى والصابون والفلفل حينما قلت الكميات المعروضة منها . كما انهم لم يعترضوا على نظام السعر المتعدد للسلع ، ولامفر فى مرحلة نمونا الحاضرة من تحديد عدد ما من السلع يتم توزيعها بالبطاقات يمكن ان تزيد اذا واجهتنا اى مشكلة بالنسبة لاى سلعة نجد من الانسب اجتماعيا توزيعها على جميع المواطنين .

ولا يمكن ان نتجاهل ان هناك تطلعات لبعض الافراد ، للحصول على بعض السلع الترفية ، وليس من المستحسن دائما كبت هذه التطلعات طالما انها لا تخل بالنظام الاجتماعى ، فعلينا ان نيسر للافراد الحصول على هذه السلع باسعار عالية ، وبالتالى تستفيد الدولة بما يمكن ان يمتصه مهربو هذه السلع .

الادخار والاستثمار

بالرغم من نقص الميل الى الادخار ، فان الاهتمام بتنمية المجتمع ادت الى عدم المساس بحجم الاستثمار ، بل الاتجاه نحو زيادته ، وهذا يعنى الاعتماد على الخارج فى مواجهة العجز بين الاستثمار والادخار . ويظهر هذا فى عجز ميزان المدفوعات مع الخارج . وضرورة العمل على ايجاد فائض فى المستقبل لمواجهة سداد الديون .

ومع ظهور العجز فى ميزان المدفوعات علينا ان نعيد دراسة بنود الصرف من ناحية ،ومايمكن زيادته من الصادرات من ناحية اخرى .

وبالرجوع الى ميزان المدفوعات نلاحظ ان هناك بعض البنود يمكن حذفها ببساطة كبنود الانفاق الحكومى على اجهزتنا السياسية فى الخارج ،والبعثات التعليمية ، وبدلات السفر فى المهمات الخارجية . فليس من الضرورى مثلا ان يكون لنا ممثل سياسى فى كل بلد على حدة فى المناطق التى يقل تعاملنا معها ، مثل امريكا اللاتينية ، وبعض مناطق افريقيا وآسيا ، والبلاد الاسكندناوية ، ويمكن ان يكون لنا سفير لاكثر من بلد يعاونه عدد مناسب للعمل من العناصر المنتقاة ذات الكفاية المدربة مسبقا على العمل فى البلد التى تعمل فيه .

ويحتاج بدل السفر فى الخارج الى اعادة دراسته ، ولا مفر من خفضه فى ظروفنا الحالية، اذ ان المظهر يجب الا يكون شاغلنا فى مرحلة بناء مجتمعنا .

كما ان التسلل الى الخارج بحجة العلاج الطبى يحتاج الى دراسة ، ومن غير المفهوم بعد التقدم الكبير الذى حصلنا عليه فى المجال الطبى، ان يسمح بالسفر للخارج ، وبالذات للبلاد التى تحتاج الى عملات صعبة لاسباب طبية ، ويمكن ان تيسر الدولة حضور بعض الاخصائيين بشكل دورى ، او تنظم الاتصال بالهيئات الطبية الخارجية للحالات المستعصية .

ومازال التضخم فى البعثات العلمية يدعو الى التساؤل ، لا سيما فى المجالات التى اتسعت الدراسات فيها فى بلادنا ، كالمحاسبة والاقتصاد، والقانون والاداب الخ .. وحتى بالنسبة للدراسات العملية كالطب والهندسة والفنون لا مفر من تحديد المبعوثين فيها . وليس من المنطقى ان تكثر من البعثات للخارج ، ثم نواجه بعد ذلك اما بعدم عودة المبعوثين بعد ان تتحمل البلاد بمصروفاتهم الضخمة ، وتضييع الوقت الطويل فى تهيئتهم للخدمة العامة ، او بالسماح لهم بعد عودتهم بالعمل فى الخارج بشكل يتنافى مع المصلحةالعامة .ومن الامورالملفتة للنظر توجيه بعض المبعوثين لاماكن غير مناسبة كدراسة الاقتصاد والتخطيط مثلا فى البلاد الراسمالية .

وتؤدى مراجعة بنودالصرففىميزانالمدفوعات الى اعادة النظر فى الواردات ، والحد منالواردات الاستهلاكية ، وفرض الرسوم العالية على ما يصل منها الى البلاد ، وزيادة العناية بالاستيراد من بلاد الاتفاقات وتحديدها مع بلاد التعامل الحر.

اما عن جانب الايرادات من الخارج ، ونحن فى حاجة الى تنميتها خاصة بعد غلق قناة السويس ، فعلينا أن نرفع من مستوى السلع المصدرة ، وخفض اسعار تكلفتها ، وتشجيع الصادرات بكل الوسائل ، وليس عن طريق نظام الاعانات ،لان مثل هذا النظام قد يؤدى الى عدم نمو الصناعة ، بل وزيادة اعباء المجتمع ، كما هو

الحال بالنسبة لبعض الاعانات التى تمنح حاليا لبعض السلع المصدرة .

ويدعونا الاهتمام بالتصدير الى مراقبة كل منافذ التهريب ، فعلينا ان نفرض على الاجانب، النزلاء فى الفنادق ان يسددوا تكاليف اقامتهم بالعملة التى دخلوا بها ، ونزيد من محال البيع بالعملات الاجنبية دون الاهتمام بالمشترى مواطنا كان او اجنبيا ، لان المهم هو امتصاص العملة الاجنبية التى قد تصل الى السوق باى شكل من الاشكال ، وعلينا هنا ان نستفيد من تجارب الدول الاشتراكية التى لمست ان تزمتها وشدة رقابتها على العملة الاجنبية لم تمنع التهريب والتعامل فيها فى السوق السوداء .

لست فى حاجة الى القول ان قروضنا الخارجية بلغت رقما عاليا ، وعلينا ان نوقف عملية الاقتراض ونضغط مصروفاتنا ما امكن لمواجهة سداد الديون التى حصلنا عليها . والاقتراض يؤثر بشكل او باخر فى اقتصاديات البلاد ، ويجب الا تكون اساس بناء مجتمعنا مهما كان الحصول عليها ميسرا .

تضخم الاجهزة الادارية

من الافات التى استشرت فى السنوات الاخيرة تضخم الاجهزة الادارية ، وقد اتجهت الدولة الى تحويل بعض المصالح الى هيئات او مؤسسات بهدف ربطها بنظام مالى مستقل يمكن ان تتوازن فيه ، وعندما اممت المشروعات الانتاجية اتجهت الدولة الى تجميع ما يمكن تجميعه منها بهدف خفض المصروفات الادارية ، وانشاء اجهزة المؤسسات لرسم الخطط الانتاجية ومتابعة تنفيذها . وكان المتصور ان هذه الاجراءات ستؤدى الى الحد من الاجهزة الادارية فى الحكومة ، غير ان النتيجة كانت عكسية . فاذا بنا نجد الوزارات التى كانت مكتفية بوكيل وزارة واحد مثلا يصل عدد الوكلاء فيها الى خمسة او اكثر ، وتضخم عدد شاغلى الدرجات العليا الذين تداخلت وتضاربت اختصاصاتهم مع اختصاصات المؤسسات والشركات .

والملاحظ ان مستوى العمل الادارى بين الشركات والمؤسسات واجهزة الوزارات يسير فى اتجاه تنازلى ، فينخفض مستوى الكفاية والاداء مع الانتقال من الشركات الى المؤسسات فالوزارات ، مع ان المفروض كان العكس . ويرجع السبب فى هذه الظاهرة الى الظروف التاريخية لانشاء القطاع العام ، ففى المراحل الاولى اختيرت افضل العناصر للشركات ، ثم اتجهت مجموعة الصف الثانى الى المؤسسات للتمتع بما تمنحه من امتيازات ، وبقى فى الوزارات الفئة التى يغلب عليها عدم الرغبة فى التغيير ، وهى الفئة التى اصبح لها اليد العليا فى توجيه عمل المؤسسات واقتراح التشريعات المنظمة لها . ولم يراع فى تكوين اجهزة القطاع العام ظروف كل شركة ، وانما كانت هناك نماذج نمطية ادى الاخذ بها الى تضخم الاجهزة الادارية بشكل ملفت .

وقد ادى هذا التضخم الى استفحال مشكلة البيروقراطية ، لاسيما بعد شغل بعض المناصب العليا فى القطاع العام ببعض الموظفين الحكوميين الذين لم يؤهلوا التأهيل الخاص للعمليات الانتاجية . ولمعالجة هذه المشاكل علينا ان نضغط بحسم الوظائف الادارية الكبرى ، ولا نبقى فيها الا من كان على مستوى مرتفع . اما الاخرون فيمكن ان ننظم لهم دراسات ويوجهوا لاعمال انتاجية ، واعتقد ان هناك مجالات كثيرة مازالت تشكو من النقص الادارى فى مناطق الاصلاح والريف . وليس من الطبيعى ان يترك بعض كبار الموظفين — كوكلاء الوزارات مثلا — لمدد طويلة فى اماكنهم ، لانهم بذلك اما ان يتجمدوا او يفرضوا نوعا من الروتينية على اعمالهم ، ومن المصلحة احداث تنقلات لهم فى مختلف القطاعات .

توازن المشروعات

تصور البعض ان النظام الاشتراكى لا يهدف للربح ، وبالتالى لم تهتم بعض المشروعات بأن تحقق فائضا ، وبعضها اتجه الى تكوين فائض صورى يهدف الى زيادة مايوزع على العاملين، كما ان بعض المشروعات تصورت انها محصنة ضد الافلاس ، فلم تقم بمقابلة التزاماتها قبل الغير وقبل القطاع العام نفسه . وقد ادى هذا الوضع الى تراكم خسائر المشروعات ، وتزايد مديونياتها وعدم معرفة مراكزها المالية الحقيقية ، وكان بعض المشروعات يلجأ لتغيير اسمها لتغطية مشاكلها فتتحول الى مؤسسة تارة ، والى هيئة تارة اخرى ، حتى اختلط الامر بين المسميات .

وقد آن الاوان لتحديد انواع المشروعات ، فما تهدف الى تقديم خدمة اجتماعية يتحمل المجتمع بتكلفتها ، وما يعتبر مشروعا اقتصاديا يجب ان يدار على اساس تجارى حتى ولو لم يحقق فائضا فى الاجل القصير .

وهنا قد يكون من المهم تحديد هدف انتاجى لكل مشروع ، فاذا حقق الهدف اثيب العاملون فيه ، واذا لم يحققه اعيد النظر فى جهازه الادارى ، وفى حالة العاملين فيه ، ولا يتصور مثلا ان يتضخم

مخصص الأجور بالعلاوات والترقيات فى الوقت الذى لا يحقق فيه المشروع كسبا ما ، او تمتص العلاوات والترقيات كل زيادة متحققة ، مع ان المفروض تناسب الاجور وزيادتها مع انتـاج المشروع وزيادته .

الاجهزة الضريبية

ان اى اصـلاح مالى يجب ان يواجه ابتـداء بمشـاكل النظام الضريبى ، فقـد ادى الاخـذ بالاشتراكية الى تصفية جانب كبير من مجالات الانتاج الفردى ، ومعنى ذلك ان النسبة الكبرى من الانتاج القومى تأتى من القطاع العام ، والقدر الاكبر من الدخل يحصل عليه العاملون فى هـذا القطاع . وهذا يعنى ضرورة اعادة النظر فى نظم الضرائب ، اذ اصبحت الضريبة على القيم المنقولة مثلا غير ذات موضوع ، واصبحت الحدود العليا فى ضريبة الدخل العام والتركات لا تخرج عـن ان تكون عنوانا بغير مضمون .

نخرج من ذلك بان العنصر الاساسى فى الدخل العام هو المتحصل فى شـكل اجور ومرتبـات ويتجه غالبها للاستهلاك ، وهنـا علينا ان نركز على جانبين ، الضريبة على الاجـور من ناحية ، وعلى الاستهلاك من ناحية اخرى .

ولا يعنى ذلك ان تهمل المجالات التى يحصل فيها البعض على كسب رأسمالى من بيع الاطيان والعقـارات والتحف ، فهذه يجب ان تخضـع لضرائب عالية لان التغيرات الرأسمالية فى الاسعار انما ترجـع اساسا لعنصر اجتماعى ، وليس للافراد دور جدى فيه .

وليس من الطبيعى اضاعة الوقت فى مشاكل بين مصلحة الضرائب وشركات القطاع العـام ، طالما ان فائض هـذه الشركـات يؤول كلـه الى الدولة ، وحتى اذا فرضت ضريبة نسـبية على فائض الشركات ، وآل اليهـا البـاقى ، فيكتفى بتوريد النسبة وفقا لمراجعة الجهاز المحـاسبى المختص .

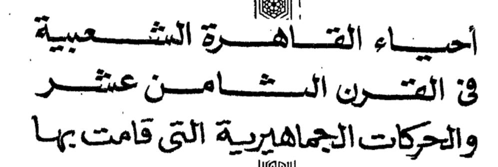
الاجهزة الرقابية

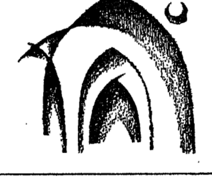
توسعت الاجهزة الرقابية بشكل غير طبيعى ، فهناك الجهـاز المركزى للمحاسبـات ، واجهزة المؤسسات ، والجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، والرقابة الادارية ، والنيابة الاداريـة ، ومجلس الدولة ، واجهزة المتابعة فى الوزارات الخ .. وقد ادى هذا التوسع الى اثارة الكثير من المشـاكل للمصالح والمشروعات .

ولعل اهم انواع الرقابة هو الرقابة المالية ، وهذه يجب ان يتولاها البنك المركزى ، الـذى يجب ان يشترك فى وضع الخطة والرقابة عليها — واذا كان ولامفر من الابقاء على الجهـاز المركزى للمحاسبات فيمكن ان يختص بالمصالح الحكومية ، ومشروعات الخدمات . اما الاجهزة القـانونية فيمكن ان تتركز فى مجلس الدولة الـذى يجب ان تعطى له صلاحيـات تجـعل لقراراته صفة الزامية . اما مشاكل العاملين فيكون مجالهـا وزارة العمل .

ومهما يكن من شىء فان الموضوع يحتاج الى دراسة دقيقة ، وليس من الصالح ان نستعجل فى اتخاذ قرارات لم تتوفر لها الدراسات الكافية ، وينسينا الحماس والسرعة الهدف الاساسى الذى نسـعى له . وقـد يكون من المجـدى ان نطرح موضوع الاصلاح المالى والادارى فى شكل مؤتمر عام لمناقشة مختلف عناصره الـكثيرة المتباينة .







اندريه ريمون

تحتفل القاهرة بعيدها الالفى ، ويكتب هذا المقال الاستاذ اندريه ريمون من «كلية الآداب والعلوم الانسانية» بجامعة بوردو فى فرنسا، ينتمى الى جيل جديد من الاوربيين المهتمين بالدراسات العربية .

لقد ظل « المستشرقون » امدا طويلا يدرسون اللغة العربية وآدابها ، كما ندرس اللغات القديمة او « الميتة » . اما الجيل الحالى الذى تتقدمه شخصيات مثل جاكبيرك، ومكسيم رودنسون فانهم يعنون بدراسة الحضارة العربية من حيث ان فى تطورها انعكاسا لحياة الشعوب العربية بكل ماتفرضه هذه الدراسة من ابحاث تاريخية واقتصاديه واجتماعية ، فضلا عن دراسة الآداب والفنون .

ويعنى الاستاذ اندريه ريمون عناية خاصه بمصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد امضى فى بلادنا اكثر من سنتين يبحث وينقب فى « دار المحفوظات » لاعداد رسالة من الحركات الشعبية فى مصر فى ذلك العصر، وهو يتولى حاليا ادارة المعهد الفرنسى فى دمشق ، وقد انتدب فى اطار التعاون الثقافى العربى الفرنسى ليشرف على اعمال ترميم الآثار الاسلامية .

يولى المؤرخون المصريون للقرنين السابع عشر والثامن عشر، جل اهتمامهم للوقائع السياسية التى كانت « الطبقة المملوكية » المسيطره تلعب ابرز الادوار فيها . وقلما كان يشار لغير العلماء وكبار البورجوازيين من تجار وحرفيين ، اما جماهير الشعب — كصغار الحرفيين والمهنيين والعمال والفلاحين ، فقد ظلوا يعيشون «خارج» التاريخ . ولم يكن هؤلاء ليطفوا على سطح الاحداث الا اوقات الازمات القصيرة والطارئة ، حيث يبدو بوضوح عمق الحركات الشعبية التى لانملك عنها — للأسف — الا اقل المعلومات .

والبحث التالى مخصص لدراسة جغرافية الاحياء الشعبية فى القاهرة : ولدراسة الحركات التى قامت فيها فى القرن الثامن عشر .

ربما كان الايسر لنا ان «نستنتج» خريطة تلك الاحياء الشعبية — نفسها — عن طريق محاولة

تقريب «سلبية» نقوم بواسطتها بتحديد المناطق التى لاتدخل فى اطارها هذه الاحياء ـ اى تلك المناطق ذات النشاط الاقتصادى الكبير فى الوسط ومناطق الاحياء البورجوازيه والارستقراطية ـ أكثر من أن نستطيع تحديد هذه الخريطة للاحياء الشعبية عنطريق المعلومات الضئيلة التى يقدمها لنا المؤرخون وكتاب « وصف مصر » . ففى وسط المدينة الفاطمية القديمة ـ القاهرة ـ والتى كانت تشغل الربع الشمالى ـ الشرقى للمدينة كما كانت ايام العثمانيين ، كان يتركز معظم النشاط الاقتصادى والتجارى للمدينة بطول « القصبة » التى كانت تصل «**باب الفتوح**» « **بباب زويلة** » ، وكذلك بطول الشوارع المتاخمة: فكنا نجد بداخل القاهرة (١) ١٣٩ وكالة من بين ١٩٧ يحددها كتاب «وصف مصر » ، و ١٢ من ١٣ خان ، وكذلك معظم حرف الرفاهية وعددا كبيرا من مختلف الحرفيين . وهناك ، كان النشاط التجارى يصل لدرجة من التركز تبتعد معها المناطق السكنية الىحواف القاهرة. وبمعنى آخر، فان القاهره فى الغالب ، كانت هى التوطن البورجوازى مثلها فىذلكمثل «**السبع قاعات**»(٢) وضواحى الازهر (ذلك الحى المفضل لسكنى علماء الازهر) . وكان التجار والمشايخ ينشئون ـ ابعد من ذلك قليلا سواء قرب الخليج او حول الازبكية ـ مساكنهم الفخمة. اماالطبقة المسيطرة من المماليك ـ البكوات ، ضباط الفرق العسكرية ـ فكانت تفضل السكنى خارج القاهره فى احياء متميزة تكاد تكون مقصورة عليهم خصوصا حول « **بركة الفيل** » وعلى طول شاطىء الخليج المصرى ، وفى منطقة حدائق الشاطىء الايسر للخليج ، مع تفضيل اخذ يزداد شيئا فشيئا ـ عند نهاية القرن السابع عشر ـ للازبكية .

ولم تكن مناطق الاحياء الشعبية سوى فراغات تلك الخريطة التى انتهينا من رسم ابرز خطوطها. ففى هذه الفراغات كانت توجد كل الاحياء التى لم يكن اسمها ليرد على اقلام المؤرخين الا عند الحديث عن حركة شعبية نشبت بالمدينة . وهذه الاحياء ، هى تلك المناطق الواقعة بين مراكز النشاط الاقتصادى الواسع فى الوسط وبينجدران المدينة ـ داخل القاهرة نفسها ـ والاجزاء المحيطة بالمدينة من جهة الشمال (**خصوصا حى العطوف**) ومن جهة الشرق (**من قلب الزاوية الشمالية الشرقية وحتى باب الوزير**) : ثم الاحياء التى تحيط بالقلعة (**خصوصا الحطابة فى الشمال وعرب اليسار فى الجنوب**) ، ثم كل المنطقة الجنوبية للمدينة (**الرميلة ، الحبالة ، القرافة ، درب الخليفة، الصليبة ، ابن طولون ، قناطر السباع**. (٣)وبعد ذلك فى الغرب نجد الحى المشبوه : **باب اللوق ثم القوالة** ، فالحى الواقع على حافة الازبكية بين **باب الشعرية وباب البحر** ، واخيرا فى اقصى الشمال ، وخارج المدينةنفسها نجد حى**الحسينية**. ومراعاة للدقة ـ من الناحية التاريخية ـ يحسن ان نضع فى اعتبارنا ـ ونحن نتعرض لوصف هذه الاحياء ـ تلك التغيرات التى حدثت فى بعض قطاعاتها ، مثال ذلك تقاطر الكثيرين من الميسورين للسكنى فى حى المدابغ القديمة ـ فى الجنوب الغربى لباب زويلة ـ اثر نقل المدابغ الى باب اللوق ، وكذلك ـ بعكس ماسبق ـ تدهور الاحياء القريبة من القلعة ، بعد ان بدأت الطبقات الارستقراطية تهجرها شيئا فشيئا (٤) .

تقودنا الاحصاءات الى لوحة مشابهة لتلك التى رسمناها ، وما يمكن ان نستخلصه من « قائمة » المصطلحات الوارده فى كتاب « **وصف مصر** » والتى تشير الى شعب فقير يسكن فى منازل صغيرة ، واكواخ ، واخصاص (خص) ، وخرابات (خرابة) ، واحواش (حوش) (٥) .

ويرتبط توزيع تلك الاحياء الشعبية ـ فى خريطة البنية الاقتصادية للمدينة ـ بمناطق توطن انشطة معينة ، شاقة وقليلة التنوع (خاصة مايرتبط منها بصناعة الماكولات) . وتتصل بهذه الانشطة فى المقام الاول الطوائف الحرفية الكبرى لصناع المواد الغذائية التى نشأت فى هذه المناطق المتاخمة للمدينة . ونذكر على وجه الخصوص ـ السلخانات (ومايرتبط بها من طوائف الجزارين) التى نشأت فى **حى الحسينية ، وباب اللوق وبركة السقايين ، وقناطر السباع ، وابن طولون ، ودرب الخليفه** (اما السلخانات التى كانت توجد وسط القاهرة فى حارة اليهود فكانت ترتبط باحتياجات حى فقير آخر ـ لكنه يصطبغ بصبغة أحياء الاقليات ـ هو حى اليهود الذى نستبعده ـ ككل احياء الاقليات ـ من هذه الدراسة) . وبعد ذلك تأتى الانشطة المتصلة بتجارة الحبوب فى **شرق الجمالية وحول باب الشعرية وبالقرب من باب اللوق** ، وعلى وجه الخصوص الضواحى المتاخمة للرميلة ، حيث كانت اهم أسواق ومخازن القاهرة.

---

(١) فى الترجمة سنستخدم لفظ القاهره للدلاله على القاهره الفاطميه ولفظ المدينة عند الاشارة الى القاهرة بشكلها الحالى .
(٢) الحمزاوى بالقرب من الحمزاوى حاليا .
(٣) مناطر السباع كانت مسامة امام مسجد السيده زينب فوق الخليج المصرى .
(٤) فى مجال آخر عن مناطق التوطن الارستقراطى يذكر المؤلف انه يقصد بكلمة (ارستقراطيه) تلك الفئات المميزة « الدخيلة » على الشعب المصرى ، اى فئات العثمانيين والمماليك
(٥) يحدد كتاب وصف مصر الحوش بانه « المنية او اسوار مليئه باخصاص ارتفاعها اربعة اقدام ويسكنها عدد كبير من اناس فقراء مكدسين ـ مع ماشيتهم ـ كيفما اتفق »
وانظر كذلك ـ احمد امين : قاموس العادات والتقاليد ، القاهرة : ١٩٥٣ ص ١٨٤ .

ثم تأتى الاعمال التى لها علاقة بتجارة الخضراوات (**مجموعة كاملة من اسواق الخضر حول ابن طولون ودرب الخليفة وباب الفتوح**) **وتلك التى** لها علاقة بتجارة الفاكهة (**بالحسينية وبالقرب من باب الشعرية**) .وبعض هذه الانشطة ــ كالمدابغ ــ كان من شأنه أن يحول دون سكنى الاغنياء بالحى . وقد انتقل معظم هذه المدابغ من باب زويلة الى باب اللوق فى القرن السابع عشر على وجه التحديد ، ويقى بعض منها بالقرب من **حى العطوف** ، كما ان مدابغ اخرى كانت تعمل ــ بالمثل ــ فى الاحياء الشعبية المحيطة بالمدينة ، وكان عدد كبير منها فى باب الشعرية وباب البحر وبالقرب من بركة السقايين ، وكذلك نشأت فى هذه الاحياء الفحامات والجيارات والجباسات.

وقد ادت سيطرة الانشطة المرتبطة بالمنتجات الغذائية أساسا ــ وبخاصة الحبوب ــ الى ارهاف حساسية سكان هذه الاحياء، وخاصة بالنسبة للتقلبات والضوائق الاقتصادية (كالمجاعات وغلو الاسعار)، كما كانت هذه الاحياء بسبب موقعها على هامش المدينة ، حيث كانت الحسينية وباب اللوق تشكلان فى واقع الامر ضواحى حقيقية ــ مناطق احتكاك وعبور . اذ كانت الحسينية تقع على طريق الحج، أما باب الشعرية وباب اللوق فكانا يقعان على الطرق المؤدية الى بولاق ، وكان الحى الجنوبى فى الطريق المؤدى الى مصر القديمة ، كما كانت الرميلة ودرب الخليفة معبرا للراغبين فى زيارة المقابر . ويمكن ان تشرح لنا الخدمات والتعاملات التى كانت تتم فى هذه الاحياء ، أسباب التوتر الاجتماعى ، وكذا النشاط الدينى الذى كان سائدا فيها . كما أن هذه الخاصيات تفسر أيضا ذلك التطور الكبير الذى تم فى هذه الاحياء نتيجة لاعمال الترفيه ، المباحة منها وغير المباحة . وكان أكثر أماكن التسلية شهرة ، حى باب اللوق الذى كان معروفا بهذه الصفة منذ أيام المقريزى ، كما كانت **الرميلة** فترة الحكم العثمانى منبع المشروبات الروحية ، وبيوت الدعارة فى باب اللوق شىء تحدث به كل الرحالة .. ويقدر الرحالة التركى ((**ايفليا جلبى**)) عدد البغايا اللائى كن يمارسن نشاطهن فى هذا الحى بثمانمائة ، ويخصص دراسة مستفيضة لهذه الفئات ــ كما ان الاماكن المشبوهة فى الحسينية ــ والتى كان المسافرون يجدون فيها كل ملذاتهم التى كانت تقدم كشىء طبيعى جدا على نفس طريق الحج ــ لم تكن أقل شهرة . بل ان واقعة اغلاق اماكن اللهو هذه مرات عديدة فى القرن الثامن عشر ، (خاصة على يد على أغا عام ١٧٠٣، ثم على يدعبد الله باشا حوالى ١٧٣٠) تنهض شاهدا على مقاومة هذه الاحياء للمجهودات التى كانت تبذل لاقامة « نظام أخلاقى ».

حركة الحرفيين والصوفيين

كان كل حى من هذه الاحياء يكتسب خاصيته المميزة له من ذلك الرباط القائم بين المنظمات الحرفية (**الطوائف**) والمنظمات الدينية (**الطرق الصوفية**) ، ذلك الرباط الذى كان يتضح وقت الازمات بطريقة فريدة .

وان اصالة حى الحسينية وديناميته ،تبدوان كما لو كانتا قد قامتا اساسا ــ اثناء القرن الثامن عشر ــ على تلك الوشائج القائمة بين طائفة الجزارين والطريقة البيومية .. وقد ادى انشاء سلخانة جديدة عند الطرف الشمالى للحى، الى توطن عدد كبير من الجزارين بالقرب منه .. وحسبما يذكر ((**أيفليا جلبى**)) فقد كان يوجد فى المدينة كلها ٢٠٢٠٠ جزار موزعين بين ثلاث طوائف: مائتان منهم يشكلون طائفة سلخانات باب الفتوح وحدها ، لكن قائمة الطوائف لعام ١٨٠١ (٦) تذكر فى الواقع طائفة أخرى « لجزارى الضأن » فى حى الحسينية (برقم ٤١) . وهؤلاء الجزارون قوم متينو البنية ، حادو الطباع ، تربطهم تقاليد طائفية قوية، وبرز من بينهم قادة الحركات الشعبية التى قامت فى الحسينية حوالى نهاية القرن الثامن عشر ،

على مبارك ١٨٢٣ ــ ١٨٩٣

مؤرخ ووزير مصرى ولد فى قرية ((برمبال)) بمديرية الدقهلية . وبعد ان حفظ القرآن فى الكتاب هرب من بيت ابيه ليلتحق بالتعليم المدنى الذى كان بادئا فى ذلك العصر ، فتعلم العلوم الرياضية ، وتخرج فى مدرسة ((المهندسخانة)) ،وأرسل فى بعثة الى فرنسا. وبعد عودته تنقل فى وظائف عدة ، فى الهندسة والتعليم ، الى ان تولى ديوان الاشغال وديوان المدارس ، فعمل على تجميل القاهرة وتوسيع التعليم ، وانشا ((الكتبخانة الخديوية)) ، (دار الكتب) ودار العلوم لتخريج المعلمين .. الف ((الخطط التوفيقية)) ، وهو تكملة لخطط المقريزى ، ورواية ((علم الدين)) وهى سلسلة من ((المسامرات)) تخيل فيها شيخا ازهريا يتصل بمظاهر الحضارة الاوروبية خلال طوافه فى أوروبا بصحبة مستشرق انجليزى .

---

(٦) وهى القائمة التى اعدها علماء الجيش الفرنسى اثناء الحملة على مصر .

كما كانت طائفتهم هي النــواة التي تتجمع حولها حركات التمرد . ويذكر «**الجبرتي** » أسم ثلاثة من هؤلاء القادة الجزارين ينتسب منهم اثنــان على الاقل لحى الحسينية ، حيث كان لهمـــــا نفوذ قوى على أهالى الحي : اولهما « **المعلمدرع**» الذى تزوجت ابنته من «**الشيخ حسن الكفراوي**» (الذى مات عام ١٧٨٧ ـــ ١٧٨٨) ـــ وهذا الشيخ يدين بلا شك ـــ ولو جزئيا ـــ لرابطة المصاهرة هذه بالنفوذ الذى اكتسبه فى الحى . وقد أصبح ذات يوم ممثلا له ومدافعا عنه . وثانيهما هـــو « **احمد سالم الجزار** » ـــ الذى كان فى نفــس الوقت أحد شيوخ البيومية ، وواحدا من الزعماء الشعبيين ، والذى من أجله ثار الحى مرتين : مرة فى عام ١٧٨٦ والاخرى عام ١٧٩٠ . والمرجـــح ان يكون « **ابن شمعة** » ـــ شيخ الجزارين واحد الزعماء الشعبيين خلال أحداث ١٨٠٥ التى لعبت فيها الحسينية دورا حاسما ـــ على صلة ما بحى الحسينية .

أما المبدأ الثانى الذى قامت عليه الحياة فى الحسينية اثناء القرن الثامن عشر فهو العنصر الدينى ، والامر هنا يتعلق بطريقة البيومية التي كان نشاطها منذ نشأتها ـــ مرتبطا بالحسينية . فقد كان « **على البيومى** » ـــ وهو الذى كان فى بادىء الامر أحد اتباع الطريقة الخلوتية ثم واحدا من اتباع الطريقة الاحمدية ـــ قد أصبح مركزا «لعبادة» حقيقية فى هذا الحى الذى سكنه منـــذ زمـــن قـــريب . وكان « **على البيـــومى** » هـــو نقطة البدء فى تكوين طريقة صوفية جديدة . وبعد موته (عاش ٦ـــ١٦٩٧ الى ٦٩ـــ١٧٧٠) بدأ المسجد الذى يحمل اسمه ـــ وكذلـــك مقبرتـــه يشهدان نشاطا دينيا هائلا ترجم بعد ذلك الى مولد يتردد عليه الكثيرون . وقد انتشرت الطريقة الجديدة بصورة طبيعية بين جزارى الحسينية ، يشهد بذلك ماقام به **الشيخ احمد سالم الجزار** من اعمال حيث ظهر نفوذه الكبير على الحى اثناء الازمات التى شارك هذا الشيخ فيها . ويمـــكن الافتراض كذلك ان الخلوتية (التى ظهر بينهـــا على البيومى) قد لعبت دورا هاما فى الحيـــاة الروحية للحى، « **فالسيد على بن موسى** » ـــ وهو شخصية ذات نفوذ (ومدرس بالمشهد الحسينى) ـــ كان أيضا واحدا من شخصيات الحسينية المرموقين، وبعد موته اصبح أخوه « **بدر الدين** » زعيمـــا للحى . وهو الذى قاد حركته عام ١٧٩٨ .

وفى الحى المجاور ـــ **حى باب الشعرية** ـــ والذى يرد اسمه دائما هو الاخر عند التعرض للحركات الشعبية ، نجد نفس الرابطة بين نفوذ الطوائف ونفوذ الطرق الصوفية . لـكن هـــذا الارتباط لايبدو بنفس وضوحه فى الحسينية . وكانت الحرف الاكثر انتشارا فيه هى تجـــارة الفواكه والحبوب (وتذكر قائمة ١٨٠١ طائفـــة لشيالى الحبوب فى ميدان باب الشعرية تحت رقم ٧٣) . ويمكن الإفتراض بأن **الطريقة الشعراوية** كانت تلعب دورا هاما فى هذا الحى الذى يرتفـــع فى وسطه ضريح « **عبد الوهاب الشـــعرانى** » والمسجد الذى يحمل اسمه . وكان نفوذ **البكرية** ـــ التى كان شيخها يقطن بالقرب من الازبكية ـــ بالمثل ، محسوسا بدرجة خاصة فى ذلك الحى الذى كان يمتد مابين باب الشعرية وبركة الإزبكية وباب البحر .

أما الحى الجنوبى ـــ **ابتداء من ضواحى القلعة وحتى الخليج** ـــ فكان قد فقد سكانه الميسورين وازدحم بسكان آخرين معسرين ، كان مقرهم هو درب الخليفة وضواحى ابن طولون . وكـــانت المساكن فى هذه المناطق شديدة البؤس ، وكـــان « التعصب » هناك ملحوظا أكثر منه فى اى مكان اخر . وفى احداث ١٨٠٠ كان سكان باب القرافة وعرب اليسار يصفون انفسهم بالفقر « اننا ناس فقراء الحال » . وكانت الاعمال الرئيسية فى هذا الحى هى تجارة الحبوب (وكانت توجد بالرميلة طائفة لشيالى الحبوب برقم ٤٨) وكذلك تجـــارة الخضراوات (حول ابن طولون) بالاضـــافة الى السلخانات (وترتبط بها طائفة جزارى الضـــأن بحى الخليفة برقم ٥١) . وكانت ندرة الحبوب وغلو اسعارها فى السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر والسنوات الاولى من القرن الثامن عشر سببا فى حوادث الهياج والعصيان التى كثيرا ما اندلعت فى الرميلة ، وبعد ذلك بقرن ـــ فى عام ١٨٠٥ ـــ قاد «**حجاج الخضرى الرميلاتى**» رئيس طائفة تجـــار الخضر واحـــد شخصـــيات الحى المرموقين ، قاد سكان الحى فى المعارك وساهم فى تنصيب محمد على . وكان هذا الحى ـــ من ناحية اخرى ـــ مسرحا لنشاط دينى واسع يتركز اساسا حول **الطريقة الرفاعية** . وكان مقـــام **الشيخ سيدى أحمد الرفاعى** . يوجد تجاه مسجد السلطان حسن مبـــاشرة (مكان مسجد الرفاعى حاليا) . وكان مولده مشهورا جدا ، ويذكر «**احمد شلبى**» أنه فى رجب ١١٤٠ (فبراير ١٧٢٨) كان الزحام شديدا وصاخبا لدرجـــة ان سبعة عشر شخصا ماتوا تحت الاقدام نتيجة التدافع والزحام . وكانت السيدة زينب فى قناطر السباع مركزا آخر للنشاط الدينى . وتتضح قوة الشعور الـــدينى عند سكان هذه الاحياء فى الشهرة الهائلة الـــتى سرعان ماكان يحوزها بعض الاولياء ، امثـــال الشيخ الشيمى ، الذى جذبت شهرته الجماهير الى الرميلة . وان كان قد لقى فيها نهاية اليمة .

هذا على الرغم من استنكار وادانة ذوى العقيدة الخالصة لمثل هذه الامور .

الاحياء والروح الجماعية

وكان تنظيم الاحياء الشعبية — ككل المدينة — يعتمد على التقسيم الى حارات (**وكانت توجد منها حوالى ٦٠ حارة بالمدينة**) مليئة بمنازل مختلفة الاتساع ، ومغلقة عادة بأبوابكانت تغلق اثناء الليل (٧) لها شبكة متدرجة من **الشوارع** تبدا من الشريان الرئيسى لها وهو **الدرب** — الذى يأخذ الحى اسمه عادة منه — الى **العطفات** (عطفة) **والازقة** . وهذا التقسيم كان — على مايبدو — بادى القوة والفعالية خصوصا فى الاحياء الشعبية . وفى هذه الحارات كان الناس ذوو الحرفة يميلون للتجمع معا ، وكذلك اولئك الافراد ذوو الاصول الجنسية الواحدة او ابناء الدين الواحد . وكانت الحارة — محتمية بجدرانها وابوابها التى كانت تحت حراسة بوابين — تشكل مجموعة متجانسة وتمارس حياة خاصة بها . وكانت الحارة خاضعة لسلطة شيخ الحارةيعاونه نقيب (٨) . وكان هذا النظام يشبه فى الكثير نظام الطوائف الحرفية الذى كان مرتبطا به (بمعنىان السلطة كانت تنظر للاحياء نفس نظرتها للطوائف) دون ان يحدث بالرغم من ذلكصراع بين النظامين، لان اساس الحى — فى الغالب — كان طائفة حرفية ، ومن جهة اخرى ، فبالاضافة لشيخ الحارة —الذى كانت له فيما يبدو سلطات رجال الادارة والبوليس — كان النفوذ فى الحى مرتبطا برجالات الطوائف والطرق الصوفية السائدة . وفى مثل هذه الحارات ، حيث الكثافة السكانية عالية وحيث كانت البنيات الاقتصادية والدينية قادرة ومسيطرة ، فان التضامن داخل الحى كان فى شكله الامثل والاقوى .

وكانت الروح الاجتماعية للحى تعبر عن نفسها عادة فى تظاهرات جماعية يساهم فيها سكانالحى (وخاصة الشباب منهم)،وتسير فى مواكب صاخبة وملونة تصحبها « الطبول والمزامير » خلف حملة « المشاعل » و«البيارق» . وهذه الرايات — البيارق — ربما كانت شعارات مميزة للحى ،وان كانت — بلا شك وفى غالب الاحيان — هى بيارق الطريقة الصوفية السائدة فى الحى . وكانتهذه المواكب تنظم فى مناسبات الزواج «زفة» اوالختان او فى مولد أحد الاولياء المحليين أو فى مناسبة احتفال ذى صبغة اكثر عمومية كمولد النبى ؛ حين كانت تندمج تجمعات مختلف احياء المدينة عند حلول الليل لتسير فى موكب كبير كان يعبرشوارع المدينة معرجة على المساجد التى تقابلها لزيارتها.

وكانت الاحياء تتجمع بطريقة اقل سلميةلتدافع عن نفسها ضد الاعتداءات التى يكون ضحيتها فردا من الافراد او الحى كله. ويعطينا المؤرخون امثلة كثيرة لامثال هذهالافعالمنالدفاعالذاتىعن النفس ، كما أدى العداء الخفى بين الاحياءالمختلفة والمنافسات التقليدية بين الاحياء المجاورة ، الى قيام معارك منظمة تتصادم فيها الاحياء مع بعضها البعض .

ويقص علينا «**احمد شلبى**» مثلا كيف انه فى عام ١١٤٨ هـ — ١٧٣٦ م اشتبك اهالى الحسينية فى معركة مع اهالىبولاق وكيفانهم تماسكوا بالايدى فى حى الاشرافية .

ويتحدث « **على مبارك** » عن المشاجرات التى كانتتقوم بيناحياء الحسينيةوالحطابة والعطوف خارج القاهرة وفى «الخلا»المجاور لهاحتى منتصف القرن التاسع عشر والتى كانت تتم بطريقةتجعلها اشبه بالطقوس .

وفى بعض الاحيان لجأتالسلطات الىاستخدام القوى الشعبية لصالحها . ويقدم لنا تاريخ المدينة فى القرنين السابع عشر والثامن عشرامثلة عديدة على محاولة « تحريك » «عساكر » الاحياء هذه ، كتلك الحملة التى ارسلها الباشا عام١٦١٣ا من ابناء حارة الفوالة ضد العسكر المتمردين ، أو — كتجنيد اسماعيل بك فى عام ١٧٧٧ لاهالى الاحياء « أهل الحارات والعصب » .لكن هؤلاء الحكام — فى مجموعهم — كانوا ينظرون فى خوف وشك لتلك القوات التى تصعب السيطرة عليها. ويتصرف المؤرخون —الذين كانوا ينتمون الى «البورجوازية» المصرية — بنفس الطريقة عند تصديهم لانفجارات العنف الجماعى التى تظهر فى « الاحياء الدنيا » للمدينة . وكانت الاسماء التى يطلقونها على فرق الاحياء الشعبية والضواحى ذات معان بذيئة لدرجة لاتكاد تصدق ، وتشى بالكثير من مخاوف واحتقار هؤلاء « المفكرين الراقين » لهؤلاء الناس ، اسماء : **كالعصب ، الشطار ، الزعار : الغوغاء ، الاوباش ، الحرافيش** (٩). واسماء وكلماتاخرىكثيرةتداعت

---

(٧) Deseription de L' Egypte, Moderne, - , 2, P. 661

(٨) لم يكن يشار الى وجود شيخ مشايخ الحارات قبل عام ١٨٠٢ (الجبرتى جزء ٣ ص ٢٤٠) ولكن ورد فى احدى وثائق عام ١٨٠٠ (وثائق الحرب) المتعلقة بحى الحلفى ذكر شيخ المشايخ دون أن تحدد مهام منصبه .

(٩) يستعمل الجبرتى بمناسبة الحديث عن مدينة طنطا عام ١٧٦٨ كلمة جديدة ترتبط هى الاخرى بالفتوة تلك هى « العيارون » اى المتشردون .

من ماض بعيد مع ((الفتوة)) واحتفظت بهالة من الغموض والمخاوف . وكانت هذه الفرق في الواقع هي آخر تناسخ للفتوة التي بقيت على شريطة الحي عن طريق الاستعراض ، ومن تلاحم الروابط الحرفية بالتطلعات الدينية، تلك الروابط التي ميزتها في مرحلتها الاخيرة . وهذا الالتحام الذي كان يتم في حفلات التكريس ــ سرية كانت ام علنية ــ وفي الطرق الصوفية كما في الطوائف الحرفية ــ لم يكن ليبدو للعيان الا في مناسبة الحركات التي تحدث بطريقة فجائية وسريعة الانتهاء في الاحياء الشعبية، ولذا كان من الصعب ان نعرف ماهية النماذج المحددة ــ وبنفس الصعوبة ــ أن نقول على وجه الدقة كيف كانت منظمة «عصب» الاحياء هذه تلك التي لعبت ــ وبوضوح تام ــ دورا هاما في تحريك الكتل الشعبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

الابعاد الاقتصادية والسياسية للحركات الشعبية

ومن واقعة الثغرات التي سبقت الاشارة اليها في بحثنا فيما يختص بالحركات الشعبية فانه من الصعب في أغلب الاحيان أن نؤسس الوقائع نفسها بدقة . ولسبب قوى جدا فان التفسيرات والتعليقات التي يمكن ان نقدمها في هذا الصدد افتراضية لحد كبير . وبهذا التحفظ يبدو لنا أنه من الممكن ان نميز ابتداء من السنوات الاخيرة للقرن السابع عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر مرحلتين في تاريخ الحركات الشعبية في القاهرة . ففي اثناء المرحلة الاولى يمكننا أن ننسب هذه الحركات الى الازمات الاقتصادية ، اما في المرحلة الثانية فيبدو انها تعود ــ في الغالب ــ الى متاعب سياسية .

وفي اثناء الستين عاما التي انقضت بين ١٦٧٥ و ١٧٣٥ ، كانت الحركات الشعبية في المدينة ردود فعل مباشرة للصعوبات النقدية والغذائية التي عرفتها مصر في ذلك الحين . وقد نشأت الاضطرابات النقدية اساسا من تدهور قيمة العملة النقدية الاكثر تداولا في أيدي الناس وهي ((البارة)) (نصف فضة) . والقيمة التبادلية بين البارات والعملات الذهبية والفضية المستخدمة ــ كما يبينها الجدول التالي ــ يعطي صورة واضحة عن هذا التدهور :

جدول يبين تغير عدد ((البارات)) التي تساويها كل وحدة من العملات الموضحة .

السنوات	نقود ذهبية		نقود فضية	
	شريفي بندقي	شريفي محمدي	ريال	كلب
١٦٧٥	٩٥	٨٥	٤٢	٤٠
١٦٩٧	١٢٠	٩٥	٦٤	٤٨
١٧٠٠	١٣٢	١٠٢	٦٦	٥٢
١٧٠٣	٢٠٠	١٦٠	١٢٠	١٠٠
١٧٢٣	٢٠٠		١٠٠	٧٥
١٧٣٦	١٤٨		٧٨	

فالبارة التي كانت تزن في الاصل ١ر٢٨ ج، أصبح من المفروض ان تزن ٠ر٦٨٩ ج (وتحتوى على ٧٠٪ من الفضة) عام ١٦٩٨ ، وفي عام ١٧٠٣، لم تعد تزن سوى ٠ر٥١٨ ج (١٠) .

وقد أدى طرح كميات هائلة من العملة المنقرضة (المقاصيص) الى اضطراب في التبادلات، كما سبب ضيقا للشعب بسبب ارتفاع الاسعار الذي جاء نتيجة لهذا الاجراء .

أما العنصر الثاني في الازمة فكان التذبذب الشديد بدرجة غير عادية في اسعار المنتجات الغذائية الاساسية وخاصة القمح ، في السنوات التي تسوء فيها المحاصيل . اذ بينما يكون سعر اردب القمح في السنوات التي تجود فيها المحاصيل من ٢٥ ــ ٣٠ بارة في المتوسط ، فانه يسجل الاثمان الاتية في سنوات القحط :

السنة	سعر الاردب بالبارة
١٦٦٧	٨٠ــ٩٠
٧٧ــ١٦٧٨	١٨٠
٨٩ــ١٦٩٠	١٢٠
١٦٩٤	١٨٠
١٦٩٥	٢٧٠
١٦٩٦	٦٠٠
١٧٠٥ــ١٧٠٦	٢٤٠
١٧١٤	٦٦
١٧١٨	٢١٠
٢١ــ١٧٢٤	٢١٤
١٧٣٦	١٠٥٠

---

(١٠) انظر : Y.S. Show. Ottoman Egypt in the Aage of Erench Revolution Horvard 1964.
صفحة ١٦٧ ومابعدها .

وبتقريب هذه الارقام يظهر ان قمم متحنيات الخط البيانى كانت تصل الى اقصاها كل عقد (أى كل عشر سنوات) ، وتتفق تواريخ قمم هذا الخط البيانى مع ظهور اهم الحركات الشعبيــة التى يتعرض لها المؤرخون .

وقد وقعت حركات الهياج والعصيان الاولى الناتجة عن المجاعات فى صفر ١٠٨٩ (ابريل١٦٧٨) ثم فى جمادى ١٠٩٨ (مايو ١٦٨٧) ، ثم فى محرم ١١٠٧ (سبتمبر ١٦٩٥) . وكانت أحداث هــذه الحركات تبدأ أولا فى الرميلة ثم تنتشر بتتابع لايكاد يتغير . ففى الفترة التى تشح فيها الحبوب ويصل غلوها للذروة ، كانت «الرعية» تتجمع أسفل القلعة للاحتجاج وللمطالبة باتخاذ اجراءات مناســبة لعلاج الحال . وتؤدى هذه الظاهرة الى حوادث يضطرب فيها النظام ، وتحطم اثناءها ابواب مخازن الحبوب (حواصيل ــ رقعة من سلع) فى الرميلة ، ثم تنهب شأنها شأن المحلات المجاورة . وكانت حوادث العنف هذه تنتهى عادة باجراءات قمع شديدة القسوة (ففى حوادث ١٦٧٨ مثلا مات ١٣ شخصا) او بمحاولات متفاوتة الفاعلية لتثبيت أسعــار المواد الغذائية او لتزويد الاسواق بالمؤن .

أما أن الرميلة كانت مركزا لهذه الحـركات المختلفة ، فمن الممكن تفسيره بمجاورتها لمـركز السلطة السياسية للبلاد حيث كان الناس يحملون شكاواهم ، ومن وجهة أخرى بسـبب المعيشة فى مكان تكثر فيه أسواق الحبوب . واخيرا لوجود شعب فقير فى هذه المنطقة من المدينة أكثر تأثرا من غيره بالمتاعب الاقتصادية ، على وجه الخصوص . أولئك هم « صغار الرميلة » كما كان يتحدث عنهم المؤرخ فى عام ١٦٩٥ .

وانقضى عام ١٧٠٥ دون أزمة ، رغم الغــلاء الشديد الذى لم تعرف له مصر مثيلا من قبل ، لكن الحركات الشعبية عادت تندلع بعد ذلك حسب نفس الايقاع العقدى (اى الذى يحدث كل عقد) ، ففى محرم من عام ١١٢٨ (ديسمبر ١٧١٥) قامت الاضطرابات عندما حاول الباشا أن يضع تعريفة للنقود وأن يضرب بارة جديدة وان يحرم استخدام العملات المنقرضة . وهنا حدث هياج حقيقى فى المدينة ، وأغلقت الاسواق ، وصعد المتظــاهرون الى القلعــة حتى حصلوا على مرســوم بتثبيت الاسعار . وكان لابد من انقضاء شهر كامل كى تعاود الاسواق نشاطها الطبيعى ، وكانت اضطرابات سنوات ١٧٢٢ ، ١٧٢٣ ، ١٧٢٤ بالذات خطيرة

المقريزى ـــ ١٣٦٤ ـــ ١٤٤٢

مؤرخ مصرى ، ولد بالقاهرة . عكف على الدرس والبحث ، وبرز فيهما ، وعمل بديوان الانشاء ، ثم عين قاضيا فاماما لجامع الحاكم. واختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة والوجه البحــرى ، ثم تنحى عن الوظيفة مرتين . انتقل الى دمشــق ١٤٠٨ ليقوم بالتدريس والنظر على اوقاف المارستان النورى والقلانسية ، ثم عين نائبــا للحــكم بدمشق . عاد بعد عشر سنوات الى القاهرة ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم . من مؤلفاته « المواعظ والاعتبــار بذكــر الخطط والآثار » و « رد السلوك لمعرفة دور الملوك » و « اتعاظ الحنفا باخبار الخلفاء » و « اغاثة الامة بكشف الغمة » .

لدرجة شاذة . وكان سببها المباشر غلو أســعار الحبوب ، ذلك الغلو الذى ظل يلح على الدوام من سنة ١٧٢١ وحتى ١٧٢٨ ، ففى حوالى شهر ذى القعدة ١١٣٤ (أغسطس ــ سبتمبر ١٧٢٢) تسبب ضعف الفيضان فى رفع سعر أردب القمح الى ١٨٠ بارة فحدث هياج رجم المتظاهرون أثناءه السنــاجق المتوجهون لعقد اجتمــاع فى الديوان بالحجارة . ثم قامت حركة شعبية فى الرميلة فى ذى الحجة ١١٣٥ (سبتمبر ١٧٢٣) ، واخيرا فان الغلاء المستمر والذى زاد من خطورته تــدهور العملات النقدية والمضاربات التجارية لشركس بك أثار « الرعيــة » من جــديد فى ٣ ربيع ١١٣٧ (٢٠ نوفمبر ١٧٢٤) فأغلقوا المحــلات ونهبوا أســواق القــاهرة ، وهاجمــوا الازهــــر ثم صــعدوا تجــاه الرميــلة حيث فتــح عليهــم جنود العزبان ورجال «شركس بك» النار ، لكن الثورة استمرت عدة ايام فى القاهرة . وقد حدثت آخر هذه السلسلة من الحركات الشعبية فى ذى الحجة ١١٤٥ (يونية ١٧٣٣) حين أدى ارتفاع سعر المواد الغذائية ــ الذى تسبب فى حدوثه اضطراب النقد الى هياج جديد للرعية ، وأغلقت المدينة كلها ، وعندما ظهر المتظاهرون فى الرميلة قرر السناجق اتخاذ اجراءات عاجلة حتى يتفادوا أن تتحــول الحركة الى عصيان وتمرد .

ولعدة عقود أخرى من السنين ، تكف المصادر التى لدينا عن ذكر اية حركات شعبية أخرى خطيرة ، لكنه صمت لايمكن ان نفسره فقط بعدم كفــاية المصادر التى تحت ايدينا (١١) ويمكن لنا ان نبحث

(١١) هذا بالرغم من ان عدم كتابة المصادر هذه فيما بين ١٧٥٠ و ١٧٧٠ تسبب لنا مشاكل جمة ، اذ يتوقف مؤلف احمد شلبى عند ١٧٣٧ ومؤلف القينالى عند ١٧٣٩ ، بينما لا يتعدى الدمرداش عام ٥٥ ــ ١٧٥٦ ، ولذا فلا يمكن الاعتماد الا على مؤلف الجبرتى ، وهو الذى لايمكن الاعتماد عليه حقيقة الا حوالى ١٧٧٠ وهو التاريخ الذى كان المؤلف يتحدث فيه عن وقائع عاصرها وكان شاهدا عليها .

من سبب هذا الهدوء الذي عرفته مصر فيما بين ١٧٣٥ — ١٧٧٠ في ذلك الركود الذي انتاب مصر بوضوح في هذه السنين ، وتتفق ملاحظات الجبرتي على هدوء البلاد ووفرة المواد الغذائية وانخفاض أسعارها أيام حكومة **ابراهيم ورضوان كتخدا** حتى عام ١٧٥٥ ، ثم في فترة **على بك** ، تتفق مع ماتعرفه عن تطور الاسعار وقيمة النقود في هذه الفترة (*) ففي هذه الفترة لم يحدث ارتفاع في سهم الاسعار يمكن مقارنته بسهم ارتفاعها اثناء النصف قرن السابق ، اذا استثنينا فترة ١٧٤٣ — ١٧٤٥ حين وصل سعر أردب القمح الى ٦٠٠ بارة ، وان كان هذا الارتفاع أقل مما كان يحدث أثناء الازمات السابقة (*) ومن جهة أخرى فان انخفاض قيمة العملة بدا وكأنه توقف لفترة ، ففي عام ١٧٣٦ كان البندقي الذهبي يساوى ١٤٦ بارة وفي عام ١٧٦٤ أصبح يساوى ١٦٠ ، ويبين هذا نزولا معتدلا أثناء هذه الاعوام الثلاثين ، وفي نفس هذه الفترة من الزمن ارتفع الريال من ٧٨ الى ٨٦ بارة ويتطابق هذا مع الميل السابق (*) وعلى العموم فان فترة الهدوء المؤقت لم يكن يمكن لها أن تستمر (*) فهانحن نرى امارات الاضطراب الاقتصادي تعود الى الظهور بعد أعوام ١٧٧٠ ، و ١٧٨٠ الشيء الذي يعلن عن فترة جديدة من الفوضى واختلال النظام (*) وعاد تدهور النقد يتخذ ايقاعا سريعا ، فارتفع البندقي من ١٦٠ بارة عام ١٧٦٦ الى ٢٣٥ بارة عام ١٧٨٩ ثم ٣٤٠ عام ١٧٩٨ ، كما انخفض الوزن القانوني للبارة من ٠٧٥ر٠ ج (ونسبة ٦٠٪ فضة) في حوالى منتصف القرن الى ٠٤٥ر٠ ج (مع نسبة ٥٠٪ فقط فضة) ثم الى ٠٣٠ر٠ ج مع (نسبة فضة أقل تبلغ ٣٧٪) قبل مجيء الفرنسيين (١٠٢) وهو مايمثل تخفيضا يصل لنسبة الثلثين (*) ومن جهة أخرى فانه ابتداء من ١٧٨٠ عادت نوبات الغلاء والمجاعات تصبح اكثر تكرارا ، وفي عام ١٧٨٣ وصل سعر أردب القمح الى ١٠ ريالات ، كما كان عام ١٧٨٥ عام غلاء ، ثم عاد سعر الاردب يرتفع الى ٥ر٩ ريال عام ١٧٨٩ بعد فترة من الرخاء عام ١٧٨٧ (*)

والى هذه الظروف الاقتصادية المزعجة والتي كان من طبيعتها ان تخلق حالة من القلق والاضطراب بين الاوساط الشعبية ، تضاف مثالب النظام المملوكي ، الذي تميز في نفس هذه الفترة بانتكاسة الى العنف والابتزاز ، في نفس الوقت الذي بدأت فيه الكوادر السياسية والاجتماعية التقليدية تتحلل منذ على بك (*) وعادت الاعمال الوحشية تصبح شيئا معتادا ، وشيئا فشيئا بدأت الضرائب المفروضة المتزايدة تصبح أمرا جائرا حتى أصبحت تهيىء ابتداء من ١٧٨٠ ظروفا صالحة لخلق بعض الاضطرابات التي لم تعد — كما كانت منذ قرن سابق — مجرد رد فعل لبعض المثيرات الاقتصادية ، فقد بدأت الحركات الشعبية تتخذ شكل احتجاج مبدئي ضد العسف والظلم ، ثم اخذت تتعمق وتتخذ لنفسها شكلا سياسيا حقيقيا ابتداء من ١٧٩٨ (*) وذلك التطور الذي كان بالفعل ملموسا اثناء احداث ١٧٨٦ كان — من جهة — نتيجة ليقظة الجماهير وقادتها ، وجاء من جهة أخرى نتيجة لعمل ممثلي البورجوازية المصرية الذين ركبوا رأس الحركات الشعبية واتجهوا بها وجهة تحقق أغراضهم الخاصة (*)

وبنفس الطريقة ، كان لصراع ١٧٧٧ الذي دار بين الازهر والبكوات نفس سمات الحركات التقليدية للعلماء ولطلاب « جامعة المسجد » وان كانت المعونة التي قدمها « عدد لابأس به من الناس الذين لاشأن لهم » قد ضاعفت من خطورة هذه الازمة لدرجة غير عادية (*)

وقد أدى ذلك السخط الكامن ضد نظام السلب والنهب الذي افتتحه **مراد بك وابراهيم بك** الى بلورة هذه الحركات الشعبية في عدة أحياء في المدينة (*) ففي جمادى الاولى ١٢٠٠ (مارس ١٧٨٦) ادت حوادث العنف التي ارتكبها أحد البكوات من أتباع مراد بك ضد الجزار احمد سالم — الذي كان كما سبق أن ذكرنا في نفس الوقت أحد شيوخ البيومية — ادى ذلك الى اثارة حركة تمرد في حي الحسينية مما اضطر البكوات ان يلجأوا للتفاوض مع زعيم الحركة في ذلك الوقت : **الشيخ دردير** (*) وبعد قليل ، في شهر شوال (يوليو — أغسطس ١٧٨٦) كانت الازبكية هي مسرح هياج الجماهير وتمردها ، وذلك بعد حادث اغتيال راح ضحيته أحد زراع المستنقع على يد احد المماليك (*) وقد أدى تدخل الباب العالي الى جعل شعب المدينة يأمل في نهاية للظلم ، ولذلك استجاب الناس بحماس لنداء **محمد باشا** في أغسطس ١٧٨٦ ، وهو الشيء الذي أكد مخاوف ابراهيم بك في امكانية حدوث ثورة من جانب «الرعية» ، والذي يبرهن كذلك ، على كل حال ، على تأثر «الرعية» بالدعاية العثمانية الموجهة ضد المماليك (*) لكن الامال التي وضعت في حركة **حسن باشا** باءت بالفشل ، وفي الوقت الذي كانت حملته تمثل فشلا سياسيا ، كانت الحركات الشعبية في الاحياء الشعبية تتتابع (*) وفي محرم ١٢٠٢ (اكتوبر ١٧٨٧) ثارت الطوائف الحرفية ضد مشروع للاقتراض وضعه اسماعيل بك (*) وفي رجب ١٢٠٢ (ابريل — مايو ١٧٨٨) ثار حي باب الشعرية عقب اعدام نفذ على وجه السرعة في أحد ابنائه ، وبعد ذلك بعامين — في محرم ١٢٠٥

(١٠٢) Show Ottoman Egypt P.168

(اكتوبر ١٧٩٠) هبت الحسينية بقيادة البيومية للدفاع مرة اخرى عن **احمد سالم الجزار** ، وكان على الامراء ان يصلوا لاتفاق مع الثائرين .

وجاء الاحتلال الفرنسى فأعطى دفعا جديدا لهذه الحركات المحلية وحولها الى معـركة مزدوجة الخاصية بمعنى انها كانت معركة دينية من جهـة ووطنية من جهة اخرى، وقد واجه فيها الفرنسيون — بالاضافة الى الفرق العثمانية وفلول النظـام المملوكى — قوات القاهرة الشعبية . وفى ثورتى القـاهرة الكبيرتين (اكتوبر ١٧٩٨ ومارس — ابريل ١٨٠٠) كونت أحياء الحسينية والعطوف وباب اللوق والقرافة وعرب اليسار فرقـا عسكرية ، وكانت قيادة الحركة معقودة لعـدد من رجال «البورجوازية» المصرية من العلماء وكبار التجار (**عمر مكرم — أحمد المحروقى — أحمـد محرم**) . وفى عام ١٧٩٨ كما فى عام ١٨٠٠ بلغت المشاعر فى الحسينية الذروة ، وفى كل المناسبات، كان هذا الحى هو آخر من يلقى السلاح .

وكانت مساهمة الاحياء الشعبية فى الاحداث التى أدت الى تولية **محمد على** عام ١٨٠٥ بالغة الاهمية هى الاخرى ، لكن — فى هذه المرة — كان هناك — الى جانب الزعماء التقليديين ، الـذين كان ابرزهم عمر مكرم — زعماء شعبيون يلعبون دورا نشيطا فى توجيه الاحداث، من امثال **«حجاج»** شيخ تجار الخضر فى الرميلة ، و **«ابن شمعة»** شيخ الجزارين ، كما ركب كل منهما فى موكب النصر الذى ذهب يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٠ (٨ يوليو ١٨٠٥) لاستقبال القابجى الذى يحمل امر تولية محمد على كباشا للقاهرة . ومع هـذين الزعيمين ، ومع العلماء الذين كانت حركتهم دائمة وحاسمة طوال الازمة ، مر بالموكب فى ذلك اليوم رجال الاحياء الشعبية الذين ساهم دعمهم فى النصر العسكرى لمحمد على والذى كان بمثابة بيعة شعبية له من أحياء : باب الشعرية ، الحسينية ، العطوف ، الخليفة ، القرافة ، الحطابة والحبالة . ولاول مرة منذ قرون ، ونتيجة للصدع الذى أحدثته الحملة الفرنسية فى العهد المملوكى، ونتيجة لتحلل

وصف مصر

حضر مع الحملة الفرنسية اكثر من ٤٠ عالما واديبا وفنانا استقدمهم بونابرت الى مصر بقصد مسحها ودراستها من مختلف الوجوه من طبيعة التربة الى ازياء النساء . وبعد استقراره فى القاهرة بشهرين اسس من هؤلاء العلماء ما يسمى بالمجمع العلمى المصرى وكان مقسما الى اقسام للرياضيات والطبيعيات والعلوم الهندسية والانسانيات . وانشا هؤلاء العلماء اول متحف للتـاريخ الطبيعى واول معمل للتجارب الطبيعية والكيميائية ثم عكفوا على وضع مؤلف كبير اسمه « وصف مصر » يقع فى ٢٤ مجلدا منها عشرة مجلدات للابحاث و١٤ للوحات وبداوا فى نشره عام ١٨١٥ فى باريس وكان هذا العمل قد استغرق حوالى ١٥ عاما فى تاليفه .

هذا النظام ، اصبحت القوى الشعبية فى القاهرة هى التى تصنع التاريخ بعد أن كانت هى التى تعانى من أحداثه .

ولكن ، لم يكن لهذه الفترة المدهشة من تاريخ مصر — رغم ذلك — ان تستمر طويلا : فذلك التحالف الذى كان معقودا بين العناصر الشعبية والبورجوازية المصرية والذى كان بالنسبة لمحمد على مجرد خطوة فى سبيل السلطة ، ذلك التحالف للاسف لم يدم حتى النصر . فتطلع هذه القوى للاستقرار السياسى . لم يكن يعنى عند العلماء الا عودة الامور الى « مجـراها الطبيعى »، وهـو مايتطابق مع رغبات محمـد على . وكان على «الرعية» ان تستسلم وان تلقى بالسلاح ، سواء أكان ذلك بالرغم منها، أو عن طيب خاطر. وشيئا فشيئا أمكن تحييد هؤلاء الزعماء حتى استبعدوا بعد ذلك نهائيا ، وجثم الوقع الثقيل لسلطة محمد على فوق صدر مصر ، ومن جديد عادت الجماهير الشعبية تتوارى فى ظلامها الدامس ، الموغل فى القدم .





أفريقيا والصراع العربى الإسرائيلى بعد ٥ يونيو

حسين شعلان

ليس هدف هذه الصفحات ، متابعة تسلل اسرائيل الى افريقيا . فتلك قضية سبق لكثير من الكتابات العربية القيمة القاء الضوء الكافى عليها ومتابعتها بالتفصيل (١) .

كما ان هذه الصفحات ، لا تهدف ايضا الى الحديث عن خطر النشاط الاسرائيلى الملحوظ فى افريقيا . فتلك ايضا قضية قتلها الكتاب العرب بحثا ونبهوا لها كثيرا حتى اصبحت واحدة من مسلمات الفكر السياسى العربى للشئون الافريقية

ولكن سطور هذه الصفحات تحاول ان تقتطع — اذا جاز لها ذلك — فترة زمنية محددة تمتد من يونيو ١٩٦٧ حيث شنت اسرائيل عدوانها على الدول العربية .. وحتى يونيو ١٩٦٨ حيث لاتزال الازمة قائمة وملتهبة ، لتعالج على ضوئها قضيتين اساسيتين :

الاولى : تقييم موقف الدول الافريقية من الصراع العربى الاسرائيلى وما اصطلح على تسميته بأزمة الشرق الاوسط .

الثانية : الاطار العام الذى يمكن أن يتحدد من خلاله اسلوب مواجهة حركة التحرر العربية لخطر النشاط الاسرائيلى فى افريقيا ، بالكيفية التى تتلاءم مع مستوى هذا الخطر من جهة ، وعلى ضوء تقييم موقف الدول الافريقية من جهة أخرى .

(١) راجع فى هذا المجال مقال المناضل العربى الافريقى الراحل المهدى بن بركة

مواقف ثلاث

لقد كانت نوايا اسرائيل العدوانية بشن الحرب ضد الدول العربية واضحة ، وبخاصة ضد النظام التقدمى فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا . وقد أثبتت تطورات الاحداث منذ ٥ يونيو ذلك بوضوح . وكان ذلك بالتالى ، يفترض — اذا توفرت النوايا الطيبة — أن تقف كل الدول الافريقية المستقلة الى جانب الدول العربية المعتدى عليها .
ونستطيع أن نرصد اتجاهات ثلاثة تحددت خلالها مواقف ٣٨ دولة افريقية بشأن حرب ٥ يونيو . اتجاه **الانحياز الكامل الى جانب اسرائيل** منذ لحظات القتال الاولى . وعلى النقيض من ذلك كان هناك اتجاه **الانحياز الكامل الى جانب الدول العربية** ومنذ اللحظات الاولى للقتال ايضا . ثم اتجاه ما يسمى ((**بالحياد**)) ازاء الطرفين .

وقد تمثل اتجاه الانحياز الكامل الى جانب اسرائيل ، فى مواقف عدد من الدول الافريقية لا تتعدى العشرة، نذكر منها كأمثلة بارزة: **مالاوى، بتسوانا ، مالاجاش ، ليبيريا ، اثيوبيا ، وغانا** . اذ لم تخف معظم هذه الدول ((شماتتها)) و ((حقدها)) ضد الدول العربية . فمثلا صرح **هايستنجز باندا** رئيس جمهورية مالاوى لمراسل وكالة اليونايتدبرس فى ١٤ يونيو ١٩٦٧ ، قائلا : ((**لقد فعلت اسرائيل ما يجب أن تفعله . ولو اننى كنت رئيسا لوزراء اسرائيل لفعلت نفس الشىء**)). ثم أضاف ((ان اى شخص يقول بأن اسرائيل هى التى بدأت الحرب ، فانه يخفى الحقيقة بذلك)) .

وتمثل اتجاه الانحياز الكامل الى جانب الدول العربية ، فى مواقف ٦ من الدول الافريقية . (ونحن لا ندخل فى حسابنا بالطبع هنا موقف الدول العربية التى تقع فى افريقيا فهى صاحبة القضية) . وهذه الدول الست **على وجه التحديد هى : غينيا، الصومال، مالى ، تنزانيا ، وموريتانيا، والكونجو برازافيل** . فقد عرضت غينيا وموريتانيا والصومال — مثلا — أن ترسل بعضا من قواتها العسكرية لتحارب بجانب القوات العربية ضد العدوان الاسرائيلى . ولقد كان راديو برازافيل لا يذيع خلال أيام القتال سوى البيانات المصرية . وبشكل عام فقد أدانت حكومات هذه الدول الست — وسميا — العدوان **الاسرائيلى ونددت به** داخل بلادها وخارجها .

ونستطيع أن نقول أن بقية الدول الافريقية — فى معظمها — أعلنت ((**حيادها**)) عندما شنت اسرائيل عدوانها وبدأ القتال فى الشرق الاوسط . ومن الامثلة البارزة فى هذا الاتجاه موقف غالبية الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ، وكذلك كينيا والكونجو كينشاسا .

أفريقيا والازمة .. فى الامم المتحدة

دار الصراع فى الامم المتحدة — فى أعقاب وقف اطلاق النار — حول مشروعين أساسيين: مشروع ((**دول عدم الانحياز**)) الذى يدور أساسا حول مطالبة اسرائيل بالانسحاب من الاراضى التى احتلتها، والتأكد من الالتزام بذلك ،ثم دعوة مجلس الامن الى بحث المسائل المتعلقة بالموقف بعد انسحاب اسرائيل . والمشروع الثانى: هو مشروع ((**دول امريكا اللاتينية**)) الذى يطالب بانسحاب اسرائيل ووضع نهاية لحالة الحرب واقامة ((تعايش سلمى على أساس من حسن الجوار)) وضمان حرية المرور عبر الممرات المائية فى المنطقة وايجاد حل لمشكلة اللاجئين وانشاء ((حكم دولى)) فى مدينة القدس .

ونستطيع أن نقول أن مشروع ((دول عدم الانحياز)) هذا، لم يكن يتعرض الى جوهر الصراع العربى — الاسرائيلى اى قضية فلسطين ذاتها . وانما كان يركز بشكل أساسى على محاولة أن يعالج ((الازمة الملتهبة)) القائمة والتى تهدد بانفجارات جديدة أوسع مدى . وعلى هذا الاساس كان يطالب اسرائيل بسحب قواتها من الاراضى التى احتلتها دون أن يربط عملية الانسحاب هذه بشروط معينة ملزمة للجانب العربى . وفيما يلى جدول يبين مواقف الدول الافريقية من هذا القرار :

ويتضح من الجدولين الآتيين ، ان هناك **دولا افريقية أيدت الدول العربية ضد العدوان ولكنها فى نفس الوقت اتخذت موقف الحياد من جوهر الصراع العربى الاسرائيلى** .

وهذه الدول هى جابون ونيجيريا .

كما يتضح أن هناك **دولا اتخذت موقف الحياد**

دول أيدت المشروع	دول عارضته	دول امتنعت عن التصويت
الجزائر ــ بوروندى ــ الكاميرون ــ الكونجو برازافيل ــ الكونجو كينشاسا ــ جابون ــ غينيا ــ ليبيا ــ مالى ــ موريتانيا ــ المغرب ــ نيجيريا ــ السنغال ــ الصومال ــ السودان ــ تونس ــ اوغندا ــ تنزانيا ــ زامبيا ــ الجمهورية العربية المتحدة .	بوتسوانا ــ جامبيا ــ غانا ــ ليسوتو ــ ليبيريا ــ مالاوى ــ مالاجاش ــ توجو .	جمهورية افريقيا الوسطى ــ تشاد ــ داهومى ــ اثيوبيا ــ ساحل العاج ــ كينيا (1) ــ النيجر ــ رواندا ــ سيراليون ــ فولتا العليا .

(1) نلاحظ هنا ان كينيا كانت واحدة من الدول التى تقدمت بمشروع دول عدم الانحياز الى المجلس طالبة الاقتراع عليه ، ولكنها امتنعت عن تاييده عند التصويت عليه .

أما مشروع دول امريكا اللاتينية ، فهو يحدد موقفا واضحا من جوهر الصراع العربى الاسرائيلى حين يطالب بانهاء حالة الحرب .. اى الصلح والتعايش السلمى ومرور السفن الاسرائيلية من خليج العقبة وقناة السويس . ثم تحديد موقف نهائى من مشكلة اللاجئين وطبعا حلها دون العودة الى ديارهم لانه يبدأ من نقطة بقاء اسرائيل كما هى . كما انه يدعو الى **تدويل** القدس ، وهذا كله يضعه المشروع فى ارتباط وثيق بانسحاب اسرائيل . وفيما يلى جدول يبين مواقف الدول الافريقية من هذا القرار :

دول وافقت	دول عارضت	دول امتنعت عن التصويت
بوتسوانا ــ الكاميرون ــ جمهورية افريقيا الوسطى ــ تشاد ــ الكونجو كينشاسا ــ داهومى ــ اثيوبيا ــ جامبيا ــ غانا ــ ساحل العاج ــ ليسوتو ــ ليبيريا ــ مالاجاش ــ مالاوى ــ سيراليون ــ توجو ــ فولتا العليا .	الجزائر ــ بوروندى ــ الكونجو برازافيل ــ غينيا ــ ليبيا ــ مالى ــ موريتانيا ــ المغرب ــ السنغال ــ الصومال ــ السودان ــ تونس ــ تنزانيا ــ اوغندا ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ زامبيا .	جابون ــ كينيا ــ النيجر ــ نيجيريا ــ رواندا .

من كل من الازمة وقضية فلسطين مثل كينيا والنيجر ورواندا .

وهناك **دول أيدت العرب ضد العدوان ولكنها أيدت اسرائيل ايضا بشان مشكلة فلسطين** ، مثل الكاميرون والكونجو كينشاسا .

وهناك **دول افريقية أيدت اسرائيل فى عدوانها وبشان مشكلة فلسطين** مثل بوتسوانا وجامبيا وغانا وليسوتو وليبيريا ومالاوى ومالاجاش وتوجو

ويتضح كذلك ان هناك دولا **اتخذت موقف الحياد من العدوان ، ولكنها ايدت اسرائيل بشان مشكلة فلسطين** مثل افريقيا الوسطى وتشاد وداهومى واثيوبيا وساحل العاج وسيراليون وفولتا العليا .

ولكن يتضح من الجدولين ايضا ، ان هناك **دولا أيدت العرب ضد العدوان وبشان قضية فلسطين** معا ، مثل بوروندى والكونجو برازافيل وغينيا ومالى وموريتانيا والسنغال والصومال وتنزانيا واوغندا وزامبيا .

وغنى عن البيان ، القول بأن حكومات الدول التى أيدت العدوان الاسرائيلى على طول الخط ، ترتبط اثنتين منها « هما بوتسوانا وليسوتو » بحكومة جنوب افريقيا تمام الارتباط . وترتبط واحدة أخرى بالاستعمار الامريكى تمام الارتباط . وترتبط بقيتها بالاستعمار العالمى ككل . وليس هذا التحديد من قبيل اراحة النفس وعدم تكليف النفس عناء البحث عن أسباب حقيقية . ولكن كل متتبع لواقع مواقف هذه الدول من قضايا افريقيا التحررية ومن منظمة الوحدة الافريقية ، يستطيع ان يلحظ بوضوح هذه الارتباطات القائمة بين هذه الدول وبين دول الاستعمار العالمى . ومن ثم فان موقف هذه الدول من الصراع العربى الاسرائيلى بتأييد اسرائيل ، هو فى واقع الامر موقف متم لسلسلة مواقفها المعادية لقضايا التحرر فى افريقيا .

وغنى عن البيان ، القول بأن موقف حكومات الدول التى أيدت الدول العربية على طول الخط ، تنهج معظمها — وأقول معظمها لا كلها — سياسة العداء للاستعمار والتأييد الكامل لقضايا التحرر الافريقى كانعكاس لسياستها الداخلية فى بلادها. أما البقية التى لا ينطبق عليها هذا الوصف تماما ، فقداتخذت موقفالتأييد منالدول العربيةلاعتبارات تكتيكية ».

ولعلنا نذكر هنا ، أن وفد الكونجو كينشاسا كان قد ايد المشروعين معا ، اى الجانبين معا . وبغض النظر عن التفسير الذى قدمته حكومة الكونجو فى هذا الصدد بقولها عن «سوء التفاهم» الذى وقع من اتصالات المندوب بحكومته ، فان أحدا لا يستطيع أن يستبعد من خلفية موقف حكومة كينشاسا ، الامل الذى كان يحدوها فى أن تتسلم **مويس تشومبى** الذى تصادف وقوعه فى ذلك الوقت أسيرا فى يدى حكومة الجزائر ».

هل هناك جديد ؟

اذا كان ذلك هو موقف الدول الافريقية — على تنوعها — من الصراع العربى الاسرائيلى وأزمة الشرق الاوسط ، أثناء حرب يونيو وبعدها فى الامم المتحدة ، **فهل هناك جديد طرأ على هذه المواقف المتنوعة ؟** ».

من المعروف ، أن بعض قطاعات الرأى العام العالمى وبعض الدوائر الحاكمة فى دول مختلفة، غيرت من مواقفها من أزمة الشرق الاوسط على ضوء تطورات احداثها وبخاصة على ضوء موقف « الصلف » و « التحدى » و « الغرور » الذى اتصفت به اسرائيل بشأن قرارات الامم المتحدة المتعددة ازاء قضية « القدس » او « الاعتداءات المتكررة » او « العرض العسكرى فى القدس » او « قرار اسرائيل بضم الاراضى التى احتلتها بعد ٥ يونيو » . فهل حدث ما يماثل هذه التحولات فى مواقف الدول الافريقية ؟ .

ينظر البعض الى قرار الاجتماع العاشر للمجلس الوزارى لمنظمة الدول الافريقية الذى انعقد فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨ ، على أنه دليل على مثل هذه التحولات ومقياسالها. فقد اتخذالمؤتمر «بالاجماع» قرارا بادانة العدوان الاسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن، وطالب بانسحاب اسرائيل فورا من الاراضى التى احتلتها بعد ٥ يونيو ».

لا شك أن هذا القرار ، يكشف عن أن هناك تحولات فى مواقف الدول الافريقية ، تماثل تلك التحولات التى جرت فى مواقف بعض الدول الافريقية ، تماثل تلك التحولات التى جرت فى مواقف بعض الدول والقطاعات الاخرى خارج افريقيا ، ولكن الامانة مع النفس ، تقتضى منا أن نضع هذا القرار فى اطار حجمه الحقيقى والواقعى بعيدا عن اعتبارات الانفعال الذاتى والمبالغة فى تصور الامور . وحتى نرسم سياستنا تجاه هذا المجال بخصوص هذه المشكلة .. على ضوء الظروف الموضوعية ، فلا نفاجأ بعد ذلك بأية تطورات غير متوقعة يمكن أن تحدث مضاعفات سلبية وغير مطلوبة فى انعكاساتها على اتجاه الرأى العام فى بلادنا وفهمه لمواقف الدول المختلفة ، فنجنبه البلبلة والتخبط .

والاهمية الاساسية لهذا القرار ،تكمن فى حقيقة اعلانه فى وقت كان فيه « جونار يارنج » مبعوث الامم المتحدة فى الشرق الاوسط ، يقوم بجولاته الاولى فى القدس ، مما يؤثر — كعامل ضغط خارجى — على موقف اسرائيل فى محادثات يارنج معها .

ولكننا — دون أن نقلل على الاطلاق من أهمية القرار ووزنه الخاص فى ذلك الوقت — نود أن نشير الى اعتبارين هامين :

أولهما : ان القرار قد ووفق عليه بالتصفيق لا عن طريق الاقتراع .

ثانيهما : ان عددا من المندوبين ، حرص بعد انفضاض الجلسة ، على التصريح لوكالات الانباء وللصحف العالمية بأن بلاده « ما زالت تقفموقف الحياد من المشكلة » . واعلنت حكومة ليبريا بيانا رسميا يوحى بعدم الموافقة على القرار . كما قال البيان « ان الموضوع لم يكن مدرجا بجدول الاعمال وان الاقتراع لم يجر عليه » . واضاف « ان ليبريا ترى أن الحل السلمى للمشكلة هو الحل المطلوب لاقرار الامن القومى لكل دول المنطقة . وان المفاوضات المباشرة يمكن انتلعب دورا فى الوصول الى هذا الحل »(٢) ».

---

(٢) من بيان رسمى اذاعته حكومة ليبريا فى ٩ مارس ١٩٦٨ .

وعلى النقيض من موقف حكومة ليبريا هذا ، تطور موقف حكومة **السنغال** — مثلا — الى موقف اكثر ايجابية فى تأييد الدول العربية . فقد صرح « ليوبولد سنجور » رئيس السنغال اثناء زيارته الى مالى فى شهر مارس الماضى « بأن محنة العرب هى محنتنا نحن الافريقيين » .

موقف غير ثابت

وعلى اية حال ، اذا كانت هذه هى بعض التحديدات الواضحة لمواقف بعض الدول الافريقية من الصراع العربى الاسرائيلى — كما اوضحنا فيما سبق كله — **فان السمة الغالبة على مواقف بقية الدول الافريقية — وهى الغالبية — هى انها لا تنتهج موقفا ثابتا من هذا الصراع . بل تتخذ مواقف متغيرة ما بين التأييد والمعارضة والحياد ، تبعا للظروف المحيطة بكل موقف على حدة ولكثير من الاعتبارات التكتيكية المؤقتة .**

على ان ذلك الموقف غير الثابت نفسه ، يمتد الى ما هو اكثر اتساعا من قضية الصراع العربى الاسرائيلى . انه يمتد الى ابعاد اشمل ، **هى طابع عدم الثبات على خط سياسى واضح فى السياسة الخارجية وبشان كثير من المشاكل الدولية .. لكثير من الدول المستقلة فى افريقيا .**

على ان ذلك نفسه — ايضا — يمتد الى جذور اكثر عمقا فى ارض وواقع هذه الدول ، حيث تقوم حقيقتين هامتين :

الاولى : انه لا توجد لدى هذه الدول الافريقية قاعده اقتصادية تكفل لخطوطها السياسية شكلا ما من اشكال الثبات او الاستمرار . **والثانية :** ان القيادات الحاكمة فى هذه الدول ، تنتمى فى غالبيتها — بسبب اعتبارات تاريخية ليس هنا مجالها — الى فئات المثقفين البرجوازيين عموما ذات الاتجاهات المتباينة تختلط فى بعضها متناقضات اليمين واليسار معا . وهى فى مجموعها العام لا تمثل ايديولوجية كاملة محددة وواضحة .

نقول ان موقف عدم الثبات هذا من الصراع العربى الاسرائيلى ، يشكل سمة اساسية مميزة لمواقف كثير من دول القارة الافريقية .

ولما كنا نفهم ان الموقف من اسرائيل ، هو فى جوهره موقف من الاستعمار العالمى ، فاننا نقول ان موقف هذه الدول الافريقية المتذبذب من اسرائيل ، سيظل قائما حتى تتوفر لها مقومات انتهاج سياسة واضحة معادية للاستعمار وثابتة . وبالتالى مقومات قيادات جديدة تفرزها — بالضرورة — متى توفرت لها هذه المقومات .

على ان ذلك كله ، لايجيز لحركة التحرر العربى ، الانتظار سلبا حتى تتحقق لهذه الدول الافريقية المقومات المطلوبة . كما أن هذه الكلمات لا تعنى ايضا دعوة حركة التحرر العربى الى العمل من اجل « خلق » هذه المقومات . فتلك قضية غير ممكنة من جهة ، كما أن اى جهد — مهما كبر — فى هذا المجال ، لن يشكل فى آخر الامر ، الا عاملا ثانويا .. والا « طرفا خارجيا » يساعد فقط على تهيئة الظروف الموضوعية لهذا التغيير الذى يتوقف بشكل اساسى على عوامل حركة المجتمعات الداخلية لهذه الدول الافريقية .

ويجدر بنا هنا ان نشير — استكمالا لحقائق الموقف — الى حقيقة هامة ، وهى ان **كل** الحركات الوطنية الافريقية التى تناضل من اجل استقلال وتحرير بلادها ، قد اتخذت جميعها موقفا واضحا منذ لحظات القتال الاولى فى الشرق الاوسط ، بتأييد الدول العربية وادانة العدوان الاسرائيلى والمطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها .. فورا وبدون شروط . ومثال ذلك ما جاء فى البيانات التى أصدرتها فى هذا الشأن كل من **الحركة الشعبية لتحرير انجولا (M.P.L.A) وحزب المؤتمر الوطنى فى جنوب افريقيا (A.N.C) وجبهة تحرير موزمبيق (FRELIMO) والحزب الافريقى لاستقلال غينيا وجزر الراس الاخضر (P. A. I. G. C.) .**

ومرد ذلك بالطبع مفهوم ، **فان من يحمل السلاح دفاعا عن حرية بلاده ضد الاستعمار العالمى ، يستطيع أن يحسم موقفه بسهولة عندما يواجه مشكلة الاختيار بين الانحياز لموقف الاستعمار العالمى وعدوان أداته اسرائيل ، وبين الانحياز لموقف حركة التحرر الوطنى فى أى موقع من العالم فالذين يحملون السلاح ضد الاستعمار ، هم اكثر المناضلين تفهما وادراكا لحقيقة ان قضية التحرر فى العالم واحدة لا تتجزأ ، وان ضربها فى مكان ما يعنى اضعاف حلقة أخرى لها فى موقع آخر .**

نظرة على « جغرافية » المواجهة

وبرغم أن حركة التحرر العربية ، قد تنبهت منذ فترة ليست بالقصيرة ، الى أهمية « دائرة العلاقات العربية الافريقية » ، فى نضالها ضد الاستعمار — وقاعدته فى الشرق الاوسط : اسرائيل — حيث أشار الى ذلك الرئيس جمال عبد الناصر فى وثيقة « فلسفة الثورة » .. نقول انه برغم ذلك ، الا أن وجهة النظر العربية بشأن الصراع العربى الاسرائيلى وقضية فلسطين ، لم تطرح أمام الدول الافريقية ككل الا حديثا .. ومن خلال **منبر رسمى** فى الاساس . ولذلك — بالضرورة — أثره على النتائج المطلوبة من حيث تبنى أو اقتناع دول القارة

بوجهة النظر العربية وبعدالة قضية فلسطين ». ويعود ذلك الى سببين :

اولا : ان الغالبية العظمى لدول افريقيا ، لم تنل استقلالها السياسى الا فى أوائل الستينات . ومن ثم لم يكن مجديا طرح القضية امام « الادارة الاستعمارية » لانه اشبه بمن يخاطب خصمه ليناصره او حتى ليدعوه الى اخذ موقف محايد من الصراع معه هو نفسه ».

ثانيا : وعلى العكس من ذلك ، استطاعت اسرائيل فى هذه الفترة — المغلقة امام الدول العربية — ان تقيم « أساسات » نشاطها وتسللها الى الدول الافريقية بالتعاون التام مع الادارة الاستعمارية . ولذلك كان طرح القضية من وجهة النظر العربية ، يحيطها حساسيات خاصة فى وقت كان الصراع العربى الاسرائيلى . وتسلل اسرائيل قد وصلا الى مرحلة اكثر تعقيدا ».

ولذلك كانت وجهة النظر العربية ، فى حاجة الى « مدخل » خاص ، والى « تاكتيك » واقعى. وفى ضوء هذا ، نستطيع أن نفهم اكتفاء الرئيس جمال عبد الناصر بالاشارة الى قضيتى نشاط اسرائيلى فى افريقيا والصراع العربى الاسرائيلى ، لاول مرة أمام اول اجتماع يضم كل الدول الافريقية المستقلة فى اديس ابابا فى ١٩٦٣ فى المؤتمر التأسيسى **لمنظمة الوحدة الافريقية** . فقد اكتفى بقوله « .. وحتى المشكلة التى نعتبرها من اخطر مشاكلنا ،وهى مشكلة اسرائيل التى رات مجموعة دول الدار البيضاء — بحق — انها اداة للتسلل الاستعمارى فى القارة وقاعدة من قواعده العدوانية لن نطرحها للمناقشة فى هذا الاجتماع مؤمنين بأن تقدم العمل الافريقى الحر سوف يكشف الحقيقة يوما بعد يوم بالتجربة ،ويعريها من كل زيف أمام الضمير الافريقى » ».

لقد كان مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ ، « انذار خطر وجدى » لاسرائيل بشأن علاقاتها الخارجية بالدول الاسيوية والافريقية الجديدة . وبنفس الدرجة من « الخطر » كان مؤتمر اديس ابابا للوحدة الافريقية . « فباندونج » هو اعلان « شهادة ميلاد دولية » لما اصطلح بعد ذلك على تسميته «بالعالم الثالث» . وكان بروز هذا العالم الجديد من جهة ، ثم اجتماعه بدون اسرائيل بل واتخاذه لقرارات تناصر حقوق شعب فلسطين .. من جهة أخرى ، بمثابة « اشارة الضوء الاحمر » أمام مخططى السياسة الاسرائيلية تستوجب اعادة التفكير فى استراتيجية علاقاتهم الخارجية التى كانت تقوم أساسا من قبل على علاقاتها بالدول الكبرى فى الغرب التى كانت تلعب دورا هاما فى تحديد مجريات السياسة الدولية ».

منذ باندونج — وفى اعقاب فتح خليج العقبة بالتحديد فى عام ١٩٥٦ بالعدوان الثلاثى — وتبذل اسرائيل جهوداً كثيفة لدخول افريقيا سياسيا واقتصاديا وثقافيا بل وعسكريا . وقد نجحت فى اقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفارة او القنصلية مع ٣٦ دولة افريقية حتى أوائل عام ١٩٦٧ . ويلاحظ أنها ركزت جهودها هذه بشكل واضح بعد انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى ١٩٦٣ بأديس أبابا لانها تدرك جيدا ان القضية بالنسبة لها قضية حياة او موت لا تحتمل الانتظار أو التأجيل ».

على ان اسرائيل لم تكن تسعى فقط وراء أصوات اعضاء يتزايد عددهم فى الامم المتحدة من ٤ عام ١٩٤٧ الى ٣٨ الان . ولكن اسرائيل رسمت استراتيجية علاقاتها بافريقيا على اساسين : **سياسى :** ويهدف الى ضرب المخطط العربى لفرض حصار سياسى حول اسرائيل . بل ويسعى الى تعدى ذلك الى فرض حصار سياسى اسرائيلى حول وجهة النظر العربية والدول العربية نفسها . والاساس الثانى : **اقتصادى :** يسعى الى التخفيف من حدة « المقاطعة العربية » ، لتجد منفذا تسوق فيه صناعاتها ومصدرا للمواد الخام تنهب منه .. واضعة فى الاعتبار عنصر القرب الجغرافى كعامل هام من العوامل الاقتصادية لتجارة اسرائيل الخارجية .

ولعل ذلك كله ، يفسر لنا ماذا يعنيه المسئولون الاسرائيليون حين يتحدثون عن الملاحة فى خليج العقبة باعتبار أنها « مسألة تمس امن اسرائيل » وان غلقه أمامها « يعد اجراء حرب » .

وقد ساعد اسرائيل فى تسللها الى افريقيا « بحجم ملحوظ » عدد من الظروف نوجزها فى الاتى :

اولا : النفوذ الاستعمارى فى القارة قبل وبعد الاستقلال . ولقد كان من مصلحة الاستعمار العالمى أن يقدم لاسرائيل فى تسللها هذا كل أشكال المساعدة والمساندة اللازمة . وتقوم مصلحته هذه على اساس ان بدء نشاط اسرائيل فى افريقيا بشكل مركز (عام ١٩٥٧) قد ارتبط بنفس الفترة التى بدأ فيها الاستعمار المباشر يعد عدته للرحيل أمام كفاح حركات التحرير الوطنية الافريقية وانتصاراتها . **واذا كان هدف الاستعمار العالمى من خلق اسرائيل بين الدول العربية ، هو ايجاد قاعدة استعمارية فى المنطقة ، فان هدفه من تسلل اسرائيل الى افريقيا ، هو المحافظة على دور الاستعمار العالمى فى شكله الجديد .. سياسيا واقتصاديا وعسكريا** ، دون أن تظهر الدول الاستعمارية على المسرح صراحة . وهكذا البس الاستعمار اسرائيل « **سترة السمسار** » لحساب

الاحتكارات العالمية فى افريقيا ، بدلا من « سترة الشرطى » فى المنطقة العربية ..

ثانيا : وجود قيادات سياسية تكونت فى اطار الفكر الغربى آمنت بهوحددته زاوية لرؤية واقعها ومخططاتها عندما تولت مراكز الحكم فى بلادها بعد الاستقلال .. واصبحت هذه الحكومات ذات الميول الغربية ، عنصرا من العناصر المساعدة على تسلل اسرائيل . ومعنى ان تأخذ هذه الحكومات موقفا ضد اسرائيل ، انها تأخذ بالتالى موقفا ضد الغرب الاستعمارى .. وهذا ما لم تكن تقدر عليه ..

ثالثا : استغلال نفوذ الهيئات الدوليــة الغربية فى منظمات بعض دول افريقيا العمالية والطلابية والثقافية والاقتصادية .. ذلك كله ، فى اطار ادراك اسرائيل، الى حاجة الدول الافريقية بعدالاستقلال الى « **الفرقة** » الادارة ، وبالتالى ضرورة تكوين وتدريب كادر سياسى واقتصادى وعسكرى . وقد حققت اسرائيل فى هذا المجال نشاطا ملحوظا عن طريق النفاذ الى تلك المنظمات الافريقية ..

اطار المواجهة

من المنطقى أن نصل فى ختام هذه الصفحات ، الى الحديث عن الاطار العام الذى يمكن من خلاله لوجهة النظر العربية بشـأن الصراع العـربى الاسرائيلى وقضية فلسطين ، أن تجد من يتفهمها ويقتنع بها ويحدد مواقفه الى جانبها ..

وهناك بداية لابد من تحديدها .. تلك هى أن علاقتنا بافريقيا ليست علاقة حديثة ، وانما علاقة تاريخية وحضارية كما انها علاقةكفاحمشترك ضد عدو مشترك ومن أجل مصير مشـترك .. وتلك عناصر هامة ينبغى أن تكون دائما فى الصورة ..

ولان المسألة هنا ، تتعلق بقضية نضالية — هى قضية فلسطين — فانها فى جوهرها تعنى قضيــة النضال ضد الاستعمار بكل اشكاله فى افريقيا .. تعنى قضية الوقوف **بلا حدود او تحفظ** الى جانب الحركات الوطنية المعادية للاستعمار فى القارة ، سواء منها تلك الحركات الوطنية التىتناضل من أجل استقلال بلادها وانتزاع حريتها،اوتلك التى تقففىمواجهة النظم الرجعيةالموالية للاستعمار .. ولماكانت هذهالحركات تكتسب فىالمقام الاول طابع العملالجماهيرى ،فانالجهة الوحيدة القادرة على ممارسة العمل معها ، هو التنظيم السياسى ... باقامة اوثق العلاقات معها واكثرها ايجابية .. وجماهير هذه الحركات الوطنية فى افريقيا ، هم العمال والفلاحون والمثقفون من ابنـاء شعوب القارة .. ومن ثم فان منظماتنا وهيئاتنا الجماهيرية فى مجال نقابات العمال والفـلاحين والاتحـادات المثقفين ، مطالبة جميعها بخلق قنوات تنظيميــة مستمرة وفعالة مع المنظمات الجماهيرية الافريقية المماثلة .. ان تكوينات الرأى العام فى بلد افريقى ما واتجاهاته ... تلعب تأثيرا غير محدود على ما يمكن ان يكون عليه موقف حكومة هذا البلد الافريقى من الصراع العربى الاسرائيلى ..

ولابد وان نضع نصب اعيننا هنا — ونحن ننظر الى المستقبل — انه بمرور الوقت الذى يعنى نضجا اكبر لهذه المنظمات الجماهيرية ، فانهاسوف تلعب دورا متناميا واكثرعمقا فى تشكيل مواقف حكوماتبلادها.واذاكانت هذهالمنظماتالجماهيرية الافريقية لا تلعب الان دورها بنفس الحجم الذى ننظر اليه على ضوء المستقبل ، فان ذلك لا يعنى انها سوف تتجمد عند هذه الحـدود .. بل على العكس فان مستقبل تخطيط المواقف السياسية للبلاد الافريقية ، سوف يعتمد اكثر فأكثر علىهذه المنظمات ..

ولا يعنى الحـديث عن العمل العـربى على المستوى الشعبى الافريقى، انه ينكر اهمية العمل ايضـا على المستوى الرسمى ... على تنـوعه الفردى والثنائى والجماعى .. بل انه يؤكد اهمية العمل على الجبهتين فى آن واحد ..

ويتم العمل على الجبهتين وفق اطار عام لايهمل الاصدقاءالذين يؤيدوننا بالفعل ، قلنا بأن ذلكيكفى بل ويتابع تدعيم أواصر الصداقة معهم .. أمـا بالنسبة لاولئك الذين يقفون مترددين بين تأييدنا وتأييد العدو ، فاننا يجب أننسعى الىشل ترددهم وكسبهم كأصدقاء .. وعلينا هنا أن نرفض المنطق الخاطىء الذىينبنى علىأساس ان من ليس معنا فهو ضدنا .. فذلك غير صحيح من جهة ، كما أنه لا يستجيب للمرونة اللازمة فى التعامل مع دول ليس لها خط ثابت بشـأن صراعنا مـع العـدو الاسرائيلى .. أما أولئك الذين يقفون ضدنا ، فيجب الا « نرمى طوبتهم » تماما .. بل أن نبذل كل مـا يمكن من جهد من أجل ان يتخذوا موقف الحيـاد وكلما امكن ذلك ..

وسبيلنا الى تحقيق ذلك ، هـو التركيز على العناصر التالية :

أولا : ادراك ان تقديم اسرائيل نفسها الى دول القارة علىأنها تجربة نموذجيةللتقدم يمكنللشعوب الافريقية أن تحتذى بهـا ، هو جهـد اسرائيلى لا يستطيع ان يصمد طويلا أمام منافسة التجربة المصرية والتجربة الجزائرية .. وبقدر ما تنجح التجربتان المصرية والجزائرية فى انجاز مهام ثورتها الاشتراكية ، بقدر ما تستطيع ان تجذب انتباه واهتمام دول القارة وشعوبها .. وتقديم التجربتان

الى افريقيا ، يقتضي أولاً ما يقتضي تقديمها من خلال مؤسسات وعناصر تؤمن بها حقا وتعيها جيدا وتقدر على التعريف بها .

ثانيا : ادراك ان قضية الكادر المدرب .. الفني والسياسي ، ما زالت واحده من اهم قضايا الدول الافريقية المستقلة . ومن ثم فعلينا ان نخلق المؤسسات القادرة على حل — او المساهمة في حل — هذه القضية الافريقية . **ومن غير المعقول الا يقوم على ضفاف النيل حتى اليوم معهدا ضخما للشئون الافريقية يفتح ابوابه لابناء القارة** في مجالات السياسة والعلوم والاقتصاد ، يدرس مشاكل بلادهم الواقعية ليقدم لها الحلول ويعرفهم في نفس الوقت بالتجربة المصرية، وانه تصعب تصور ان يكون في اسرائيل معهدا للشئون الاسيوية والافريقية ،ولا يكون في القاهرة معهدا أكبر أو على الاقل مماثلا . ونحن نعرف ان في القاهرة منذ أواخر الخمسينات ، معهدا للدراسات الافريقية . ولكننا — بالتجربة — نؤكد انه لا يرقى — شكلا أو موضوعا — الى مستوى الموقف المطلوب .. وبخاصة مناهج التدريس فيه التي كان يقوم بعضها — الى وقت قريب — على اساس الزعم « **بالمجال الحيوى** » وهو منهج ترفضه الثورة المصرية نفسها .

وكم هو جدير بالاتحاد الاشتراكي ، ان يتبنى مشروع تأسيس معهد للشئون الافريقية .. يرقى الى مستوى المتطلبات المرجوة .

ولابد لنا ان ندرك بشكل خاص ، اهمية ودور **المؤسسات العسكرية في افريقيا** في ظل ظروف غياب التنظيمات السياسية القومية المحكمة التنظيم والقادرة على استيعاب كل النشاط السياسي في بلادها . ولما كانت المؤسسات العسكرية ، هي اكثر المؤسسات القائمة تنظيما وقوة وقدرة على الحركة السريعة ، فانها تلعب دورا متميزا وهاما في الحياة السياسية الافريقية . ومن ثم فان الاهتمام بالعناصر الشابة غير الفاسدة لهذه المؤسسات وفتح ابواب كلياتنا العسكرية ومعسكرات التدريب لها قضية ينبغي ان تحظى باهتمام اعلى الدوائر المسئولة في بلادنا ، فان هذه العناصر ، سوف تلعب دورا هاما في مستقبل اتجاه دول القارة .

كذلك فانه سوف يبقى امرا غير مفهوما ، ان تظل القاهرة حتى الان ، خلوا من مجلة للشئون الافريقية تنظم العلاقات الثقافية والفكرية بين شعبنا وشعوب القارة ومثقفيها .

ثالثا : الاستفادة من تجربة شعوب القارة مع مشكلة روديسيا ومشكلة العنصرية فيها وفي جنوب افريقيا ، لمواجهة واحد من اساليب تسلل اسرائيل الى القارة ، بزعم انها دولة عانت من العنصرية، ولذلك فهي تساند شعوب القارة ضد العنصرية. على ان نركز هنا على تشابه التجربتين . اسرائيل وروديسيا .. من جهة ، وعلى حقيقة التفرقة العنصرية القائمة داخل اسرائيل نفسها ضد اليهود من السفرديين القادمين من دول افريقيا وآسيا ويبلغ عددهم ١٫٢ مليون شخص. ولسوف نجد من اعترافات المسئولين الاسرائيليين انفسهم ما يوضح هذه الحقيقة لشعوب القارة . فيقول د. اسرائيل كاتز مدير مدرسة العمل الإجتماعي التابعة للجامعة العبرية « ان الهوة ازدادت اتساعا بين هاتين المجموعتين (يقصد اليهود القادمين من الغرب واليهود القادمين من الشرق ودول آسيا وافريقيا) كما انها تزداد اتساعا الان » .

بل ان ليفى اشكول رئيس الوزراء الحالى في اسرائيل يشير الى هذه الحقيقة قائلا : (عن مجلة لوك الامريكية في عدد ١٩٦٨/٤/٣٠) « لقد تصورت ذات مره انه يمكن حل هذه المشكلة خلال عشر سنوات ، ولقد كان هذا التصور خاطئا ، اذ يبدو انه يلزم عشرون عاما اخرى لايجاد حل لها » . ويكفي النظر الى سجل تصويت اسرائيل في الامم المتحدة بشأن قضايا العنصرية والتحرر الوطني في افريقيا ، لتأكيد عداء اسرائيل لمصالح شعوب القارة وتحررها .

يبقى اخيرا الحديث عن **المساعدات الاقتصادية،** وهي مسألة ضرورية كلما كانت ممكنة . ولكن لنكن واقعيين ونعترف باننا لا نستطيع مساعدة افريقيا اقتصاديا بصورة عملية وكافية لكي تتغلب على الهوة التي تفصل بينها وبين الدول المتقدمة. ان افريقيا تستطيع ان تحصل على المساعدات الاقتصادية من دول صديقة متقدمة كالاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية . المهم ان نبين لشعوب القارة ولحكوماتها مغبة قبول مساعدات الغرب المشروطة .

ان ما نستطيع ان نقدمه لافريقيا بحق، هو تدريب كادرها الوطني — في مختلف المجالات — وذلك في مقدورنا تماما ، كما اننا نستطيع ان نرسل لدول القارة انسانا مصريا مخلصا ومثقفا لمساعدتها من جهة وتعريفها بالتجربة المصرية من جهة اخرى.



بطل المقاومة في الرواية الجزائرية

غالي شكري

ينفرد الادب الجزائرى الحديث بين مختلف آداب الشعوب العربية، بمجموعة من الخصائص قلما تجتمع فى ادب واحد على مجرى التاريخ ، ويندر ان يتميز بها ادب قومية واحدة . فى مقدمة هذه السمات التى يتصف بها الادب الجزائرى هو ذلك التشابك المعقد بين تيارات ثلاثة جلبتها ورسختها الظروف التاريخية ، وهى التيارات البربرية والعربية والفرنسية ، لغة وحضارة . لقد ازدوجت — فى احسن الاحوال — السنة ادباء الجزائر وقلوبهم ، وتبلبلت فى معظم الاحوال افكارهم التى تراوحت بين الشد والجذب ، وبين المد والجزر . فالثقافة الفرنسية التى يحمل لواؤها الاحتلال المقيم على مدى مائة وثلاثين عاما، تحمل فى تضاعيفها بذور «التقدم» و«التطور»

و « **التقنين** » . هذه المعانى التى تجيش بها الصدور فيما يشبه الضباب ، ولا تتجسد مطلقا فى اجترار المحافظين لمراحل منحطة من تاريخ الادب العربى . غير ان الاستعمار الفرنسى فى نفس الوقت كان يحمل اهوال التخلف والفقر والموت ، بينما كانت عروبة الجزائر تمثل الخلاص الوحيد الممكن من قبضة الاحتلال . وبين الثقافة الفرنسية المقروءة والمكتوبة والثقافة العربيـة المكتوبة فى بعض الاحيان المنطوقة فى اقلها ،كانت تترنح اللغة البربرية على السنة مجموعة من القبائل تسكن الجبال وتحرص على ادبها الشفوى حرصا روحيا عميقا جذب انتباه وذاكرة واقلام كتاب المدن فقاموا على تدوينه تارة وحفظه تارة اخـرى .

على ان الزمن فى تدفق مجراه الذى لا ينقطع، لم يفصل بين ثقافة واخرى بحاجز لا سبيل الى اختراقه ، وانما التقت التيارات الثـلاث لقاء الصراع والتفاعل والاندماج ، واثمرت فى النهاية ادبا « **جزائريا** » قبل اى شىء ، قبل ان يكون فرنسيا وان نطق بالفرنسية ، وقبل ان يكون عربيا او بربريا وان نسج احداثه واشخاصه من حياة العرب والبربر . وانما توحدت عناصر اللغة والفكر والبيئة والتاريخ والانسان فىصورة شديدة التعقيد والثراء هىصورة الادبالجزائرى المعاصر الذى تتعدد منابعه واصوله وجذوره ، ولكنها تعود فتلتقى ضمن تيار اشمل من كل التيارات مجتمعة ، هو تيار الثورة الجزائرية العارم ، فهذه الثورة هى البوتقة التى انصهرت خلالها «**الروح**» وتطهر فى اتونها « **الوجدان** » وتبـلور بدمائها « **الفكر** » واقبلت الرواية الجزائرية غداة الحرب العالمية الثانية تحمل فى تضاعيفها هذا التاريخ المليء بالصراع ، وتشارك ايضا فى ترجيح كفة الانسان الجزائرى وان نطق بين صفحاتها بلغة الاعداء . تقول الدكتورة **سـعاد محمد خضر** فى كتابها « الادب الجزائرى المعاصر » :

« لقد ساعدت حدة ذلك الصراع نفسه فى الجزائر فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وفى فترة تعاظم حركة التحرر الوطنية على ظهـور القصة الجزائرية الحديثة . والقصة الجزائرية الحديثة من اكثر الانواع تطورا فىالادب الجزائرى واقدرها على توضيح الحقيقة الجزائرية امـام القارىء بتقديمها مختلف الاجابات على مختلف المشاكل التى تبرز امام الشـعب الجـزائرى وبتوضيحها طريق المستقبل » و « لقـد كانت المعركة من الاسباب القوية التى دفعت الىظهور القصة الجزائرية » .

ان اهمية هذه النقطة فى تقديرى هى انها توضح لنا لماذا غلب طابع « المقاومة » علىالانتاج الروائى الجزائرى علىماعداه منخطوط والوان .

فليس هناك فى الادب الجزائرى فرع يسمى « ادب المقاومة » لان هذا الادب فى مجموعه ، جملة وتفصيلا ، هو ادب مقاومة . وربما هـذا مايفسر الملاحظة التى ابداها الدكتور **ابو القاسم سعد الله** فى كتابه « دراسات فى الادب الجزائرى الحديث » قائلا ان « **البطل** » فىالرواية الجزائرية ليس الا شخصا عاديا ركز الكاتب فيه وعليه كل مشاعر المواطن ، انه ليس مثلا أعلى ولا نموذجا خارقا تتجسدفيهفكرة او مبدأ عاما، وانما هو انسان واقعى فيه كل مافى الواقع من مأساة وحرارة وصراحة وليست له « **مؤهلات خاصة ولا استعدادات خارقة** » . وكذلك تفسر لنا هذه الظاهرة ان « الادباء » الجزائريين لم يمارسوا الادب « تفرغا له » وانما من خلال ركام التجارب الهائلة والمختزنة التى صادفتهم فى حياتهم اليومية حيث اشتغلوا بمختلف الحرف والمهنفجاءت معظم اعمالهم « **سيرا شخصية** » . ويعمم هذه الفكرة الدكتور سعد الله حين يقول فى كتابه « **ان اول عمل يكتبه اديب من شمال افريقيا هو عـادة ترجمة شخصية يفصح فيها عنانتمائه الثنائى الى عالمين مختلفين كما يعبر فيها عن ألمه من عدم استطاعته انيجد مكانا فى اىمن هذين العالمين** » .

لقد عبرت الغالبية من ادباء الجزائر عن هذا الصراع الكامن فى اعماقهم بين اللسان الناطق والوجدان النابض ، بين الحضارة الجديدة التى جرت مسرى الدم فى عروقهم حتى اختلط بدمائهم التى فجرت فيها الحياة النطفة الاولى من صـلب الاسلاف. وعندماتغلبالدماء الجديدةالدماء الاصيلة يثمر الكاتب الجزائرى ادبا فرنسيا يرطن بالاسماء والاحداث والاماكن الجزائرية ، وعندما تغلب الدماء الاصيلة الدماء الجديدة يثمر الـروائى الجزائرى ادبا جزائريا ناطقا باللغة الفرنسية ، وعندما يحتدم الصراع بين القديم الاصيل والجديد الوافد يعجز الفنان الجزائرى عن تحقيق التوازن والتكافؤ والانسجام فى العمل الفنى حتى ليصبح هذا العمل شاهدا على تمزق جيل بأسره .

وفى هذا البحث نقدم ثلاث عينات نموذجية لهذه الاحوال الثلاثة التى تتجاذب الادب الجـزائرى الحديث ، وبخاصة عندما تصبح « **المقاومة** » هى الخامة الرئيسية للعمل الادبى .

ويعد **محمد ديب** رائدا للرواية الجـزائرية الحديثة ، فقد كان من اوائل الذين طوعوا الشكل الروائى الحديث ، اى الشكل المتعارف عليه فى الغرب ، لامتصاص هموم الانسان الجـزائرى الذى كان الشعر والادب الشفهى عامة هو زاده الروحى الرئيسى . ومن بين اعمال ديب الكثيرة والمتنوعة تعد ثلاثيته « **البيت الكبير ـ الحريق ـ النول** » فى مقدمة الاعمال التى تؤرخ لـمولد الرواية الجزائرية وتضع اسم كاتبها فى مصاف الطليعة

من كتاب الجزائر . وينطبق على ثلاثية ديب التعريف القائل بأنها سيرة شخصية لصاحبها ولكنها فى نفس الوقت « **مذكرات الشعب الجزائرى** » كما وصفها **اراجون ،** او هى الجزائر نفسها كما قال معظم النقاد الذين تناولوها بالتقييم . ذلك انها تتناول بمنهج فنى قريب من منهج الكاتب المصرى **نجيب محفوظ** — وان لم ترتفع الى مستواه — الحياة الجزائرية فى مرحلة المخاض قبل الثورة ، فهى تتناول حياة العمال فى المدينة وحياة الفلاحين فى القرية ثم تنتهى الى « **أن النار قد بدأت . لن تتوقف ابدا . انها سوف تستمر مشتعلة ببطء وبعماء الى ان تعم السنتها الدموية البلاد كلها بحرارتها المدمرة** » . وقد ظهرت الاجزاء الثلاثة فى ١٩٥٢ و ١٩٥٤ و ١٩٥٧ على التوالى . وهى تتوقف عند اعتاب « **النبوءة** » بما سيكون ، تاركة ما كان الى روايته التى صدرت عام ١٩٥٩ تحت عنوان « **صيف افريقى** » .

وتتميز « صيف افريقى » باحكام فنى شديد يتجاوز به محمد ديب — فنيا — مرحلة « البيت الكبير » كما تتميز بمضمون انسانى عميق يتجاوز به حدود الزمان والمكان التى كانت تحد روايته الاولى . فالمقاومة هنا ليست فى مرحلة « النبوءة » وانما يواكب محمد ديب باختزال الروائى القادر وموهبة الفنان التشكيلى الذى يعبر فى خطوط قليلة عن دنيا بأسرها .. يواكب الثورة الجزائرية التى اندلعت وهو يتم الجزء الاخير من روايته الاولى محققة الحلم الذى ارتآه . ومرة اخرى ، يعمد محمد ديب الى اختيار نماذجه البشرية من « **الجزائر** » كلها ، لا من طبقة دون اخرى ، ولا من فئة دون اخرى ، يختار التاجر وصاحب الارض والموظف الصغير والطالبة والخادمة والفلاح ، يختار ايضا الثورى والخائن والمتردد ، ويختار « **فرنسا** » بكل ما يمثله استعمارها من قيم تخون الثورة الفرنسية ، يختار لفرنسا وجهها الهمجى المتوحش الذى يعبث بكل قيمة ولا يعبأ بأية مبادىء . ولا يعمد ديب فى بناء « صيفه الافريقى » الى العقدة الكلاسيكية التى تتجمع عندها ذروة الازمة حتى يتدرج بها نحو الانفراج عند الخاتمة .. بل هو ينسج بناءه الفنى من « **الشخصيات** » التى يتتبع احداها خطوة او خطوتين ثم يتركها الى شخصية اخرى فثالثة ، ثم يعود الى الاولى من جديد ويضيف شخصية رابعة فخامسة حتى يختتم روايته بالعودة الى الشخصية او « **الحالة** » الاولى ، فالحق ان الشخصية الواحدة التى يتتبعها لا تستبين معالمها الا باحتكاكها مع بعض الشخصيات الثانوية حتى تستحيل الشخصية موضع المتابعة الى « **حالة** » كما قلت او « **شريحة** » كما احب ان اضيف .

والشخصية الاولى التى يتتبعها محمد ديب فى صيفه الافريقى هى شخصية « **زكية** » الفتاة التى نالت الشهادة الثانوية وترغب فى العمل كمعلمة ، ويوافقها ابوها على اهمية العمل فى التدريس ، ولكن جدتها تبدى انزعاجها الشديد وتفضل ان يبحثوا لها عن زوج بدلا من الوظيفة التى تجلب العار لها ولاسرتها ، وقد تتسبب فى تأخير العريس المنتظر اذا لم تلغ امكانية قدومه اصلا .. اما والدتها فهى تقف موقف من لا رأى له ولكنها حائرة معذبة من أجل مستقبل ابنتها .. ويقطع الكاتب حوارا يدور بين الاب والخال حين يتساءل « **مختار راعى** » ما اذا كان « **علال** » يعلم الى أين ستنتهى الامور فيجيبه « **فى الحقيقة .. ليس هناك مايشير الى ان الامور على اهبة الترسب والعودة الى مجراها الطبيعى** » ..

ثم ينتقل بنا الكاتب الى الشخصية الثانية لفلاح يدعى « **مرحوم** » يركب حمارا يحمل صندوقى خبز يهبط بهما نحو المدينة فى سرعة الاعصار ، لايريد ان يرى الجنود الذين تنقلهم السيارات وتمتم « **عتاد امريكى ، خوذات وبذات امريكية ، اسلحة امريكية ، أليس عند هؤلاء شىء سوى جلودهم ؟** » وكان مايزال يراهم بعين الامس عندما نسف المناضلون الخط الحديدى وبدأ الفرنسيون جولة ضارية بالرصاص والدم والموت يحولون الشوارع الى قبور .. وعند مدخل المدينة تعرض مرحوم لتفتيش دقيق من الجنود واحس ان الجزائرى ، وبخاصة اذا كان عاملا او فلاحا ، يتعرض اكثر فاكثر لمزيد من التفتيش .. وتوقف عند حانوت احد العطارين وظهر له رجل لم يعرفه من قبل يرتدى صدارا من القماش الازرق . وطلب منه لترين من البترول وسأله وهو يتناول الاناء « **اين احمد ؟** » وأجاب الرجل باقتضاب : لقد اعتقلوه وقبضوا « على واحد من ابناء اخى » وقطع مرحوم الصمت الجاثم بقوله ان اثنين من الفلاحين قتلا فى الحقول ، وان ثلاثة سيقوا الى المعتقل بعد نهب منازلهم .. ثم تدبر المكان والمارة واختطف الكلمات قائلا « هل سمعت .. الليلة » .. وردد الاخر وراءه « الليلة » .. وتوجه من فوره الى احدى المقاهى واخذ يجتر ذكريات الليلة التى رحل فيها ابنه عن البيت الى الجبال لينضم الى الثوار .. وانتظر قليلا على المقهى وانصرف ..

وينتقل بنا محمد ديب الى الشخصية الثالثة لرجل لايفتقر الى مظاهر الثراء هو « **بابا علال** » خرج من بيته على اثر قرعات ايقظته فى الصباح الباكر واذا برجل يطمئنه فيما يشبه الهمس على ابنه ويطلب اليه ان يذهب الى من يدعى « **سيلكا** » ويختفى . وسيلكا هذا حداد يملك كوخا عند باب بومدين ، فامتعض بابا علال قليلا ولكن ماذا يجدى الامتعاض مع هؤلاء « **الحمقى** » من الشباب الثائر . وهو لن يصفح عن ابنه « **حميد** » الذى امتهن مركزه لهذه الدرجة ، وها هو ذا فى طريقه الى حداد ، ومن يدرى ماذا يحمل الغيب .. واقبل

الحوار بين بابا علال وسيلكا حادا قاطعا ملتهبا ؟ اذا قال الحداد ((**لا تبتئس ، ليس من الخسارة فى شىء ان يوجد شاب كابنك هناك**)) اجابه ((هذا صحيح ، ولكن مالاشك فيه ان **كل ذلك سينتهى نهاية سيئة**)) واذا احتد بابا علال وصرخ ((وماذا لو مات ؟)) زمجر سيلكا ((فى هذه الحالة لنيكون عاش سدى)) .

وما اسرع مايعود بنا الكاتب الى الشخصيات التى سبق ان تعرفنا عليها من جديد قبل انتعرف الى بقية الشخصيات . يعود بنا الى ((مرحوم)) وهو راجع فوق حماره يفكر فى تلك الايام التى وصلت به الى ان يكون ((مسـئول تموين المناضلين)) فى الجبال ، وان يكون ((قاضيا سريا)) للمواطنين الذين يرفضون الاحتكام الى عدالة المستعمر، وان يكون مشرفا على حالة أسر الشهداء والضحايا والمقاتلين فى المنطقة . لقد عاد كسير الخاطر بعد ان علم باعتقال العطار احمد ، واكتفى بأن يردد فى وجه زوجته الغضوب ((ما هذا الوباء الذى يجتاح العالم)) . ويعود بنا كذلك الى زكية لنعلم ان الموقف ازداد سوءا وبات متوقعا بين آونه واخرى ان تتزوج من ابن عمها الذى لا تربطه بها اية وشيجةغيرقرابة الدم، وتمتمت فى اسى وهى تخاطب الليل ((**علينا ان نذعن . وان نقبل كل شىء . هكـذا تبدأ ابدية الحيـاة**)) .

ويستأنف محمد ديب مسيرته الروائية فيضع فى طريقنا الشاب ((**جمال**)) وهو رجل تطحنه الحياه والموت معا ، يزهد الحياة ويرهب الموت، وبينهما يعيش ضائعا يفلسف ايامه او ينسلى بها قائلا ((**ان معظمنا يعيش عيشه اناس نسوا شيئا ما ، ولكنهم فى غمرة حيرتهم الفكريه يتابعون البحث عن هذا (الشىء) وهم يتعثرون صارخين مرات ولاعنين..**)) وفى جولة جمال بين اصدقائه ندرك ان الضياع ليس من نصيبه وحده ، لقد بث ((الرعب)) انفاسه فى كل شىء حتى لقد بات بعض الناس اشباحا وبعض الاشباح اناسا ، وما من سبيل امام جمال الا ان يبحث له عن عمل ((**اننا جميعا بحاجة الى الفعالية مهما تكن، وليس من يستطيع ان يعيش على هـامش الحيـاة**)) هكذا راح يسرى على نفسه وهو يستمع الى اقتراح صديقه الحاج بأن يعمل بائعا فى متجر احد الاصدقاء . وكان الحاج يصغى الى جمال متفهما هذا القلق الدفين الذى يكاد يجرف كل شىء ، بينما كان جمال يفكر ((**كلما تفحص الانسـان الدوافع التى تحرك البشر،وكلما ازدادت دراسته لتصرفاتهم ازداد يقينا بأن ثمة تاجرا للاقدار قد صمم على تصفية كل هذه الكائنات .. ثم آثر ان يلزم الصمت**)) وهى نفس الكلمات تقريبا التى كانت تفكر بها زكية فى موقع آخر،وقد ضيقوا حولها الحصار ، **ويله من** حصار باسم الابوة والأمومة والمودة والخوف على مستقبلها ((فى **هذا العالم ينقلب الود نفسه الى مرارة ، من المسئول عن ذلك ؟ لا احد .. وقد يكون الناس جميعا**)) . واذا كانت بوادر الايجابية قد انتابت نفس جمال وبوادر التمرد قد اجتاحت نفس زكية، فقد وصل الامر ببابا علال ان يسير فى المدينة غير عابىء بهذا التوقيف الجماعى الذى ينظمه عدد كبير من رجال الشرطة والفـرقة العسكرية الاجنبية ولا خائف من الاوربيين الذين يعرف انهم مسلحون وغاضبون فلم يكن ليفسح لهم الطريق وانطلقت الكلمات من فمه كالرصاص غير المتوقع ((**اننى اكرهكم واتمنى ان نروا ذلك ! اننى اكرهكم وازدريكم . ان ى انا ايضا ابنا هناك ! ماذا تنتظرون لتقتلونى ؟ وما خوفكم الا لانكم كنتم دائما جبناء** . ان جيوش العالم كله لا تستطيع انقاذكم. ان ابنى وجميع ابنـاء هذه البـلاد سيوارونكم التراب)) هكذا اذن قد احدث الارهاب عكس مبتغى المعتدين . ومهما يفعل جمال بعد الان فان اعماله تتخذ مظهر ذكريات غامضة وهو منذ الان غائب بفكره عن هذا المسكان ، ينتظر يوم الرحيل كأنه عنوان حياة جديدة . وقال فى نفسه ((**ما اعجب الحياة ..انها حلم .حلم لايبقى منه بعد اليقظة الا آثار عابرة**)) .

ونلتقى بشخصية جديدة هى ((**مصطفى والى**)) الذى لايريد ان يغير من عادته الاسـبوعية فى زياره اخيه الاكبر احمد ، فما ان وصل هناك مع ابنته ((**نورا**)) التى كاد ان يسرقها منه المرض وهو يعلمها مادة الحساب ويستذكر لها المسائل الصعبة ، ما ان وصل باب اخيه حتى فاجاته لافتة ثبتتها سلطات الامن تنبه الراى العام الى ان لاحمد والى ابنا ينتمى الى ((**عصابات الاجرام الخارجة على القانون**)) . وما ان خطا داخل البيت خطوة واحده حتى دهمته قوات الفرنسيين وقبضت عليه بالرغم من محاولته ان يفرق لهم بينه وبين اخيه ، ونسى ابنته تماما بالرغم من صراخها الذى يصم الاذان ، واكتفى بان ابتسم للفرنسيين قائلا لاهله ((**هؤلاء السادة هم لطفاء**)) وخرج معهم وهو يشعر بأن شيئا ما قد انفصم فى قلبه .

وذات يوم كان مرحوم جالسا القرفصاء مع ثلاثة فلاحين آخرين فى بقعة ضيقة من الظـل الاسود ، كان منزله يرسمها على الارض حين اقبلت قافلة عسكرية انتشر جنودها فى كل مكان وشرعوا يدخلون الاكواخ وفرقع الرصـاص فى البيوت وتساقطت جثث البشر مع جثث الحيوانات واختلطت دماء الجميع فى جداول صغيرة عكرتها اقدام الجنود وهى تختطف الغنائم من كل صنف. وانطلقت الماشية التى نجت نحو الجبال . ودفع مرحوم مع جماعته الى سيارة حين انتهى التفتيش، ولكن ما ان تأهب للصعود حتى سمع اسمه ينطقه

احدهم منحرفا فالتفت فأخذوه بمفرده الى سيارة اخرى . وهدا كل شيء وجثم صمت غريب على كل شيء ، الحيوان والنبات والجماد والانسان **« وها هم يصغون الى قلب الليل الضخم وهو يدق . ولم يكن يعكر هذا الهدوء المترامي الاطراف غير غناء الريح الاصم الذى ينقل من الامـــاكن المنزوية اصواتا خفية كانت من الخفوت والابهام بحيث لاتستطيع الاذن ان تدركها »** . وكان الليل فى هذا المكان المحاط بالهضاب القاتمـــة شكل الموت ، حينما اخترق الخلاء والظلام والصمت ، رجلان اعينهما معصوبة ، كان احدهما «باسهلى» والآخر ابنه الذى تبقى من الموت « ماجد » وتوقفا فجاة امام احد المنازل لفلاح يدعى **« العياشى »** وقرعا الباب وبعد اخذ ورد خرجلهما الرجل وعلى مبعدة من البيت اوثقه الفتى بحزام الاب فانطلق صارخا **« التوبة .. انا مسلم »** ولكن باسهلى لم يصغ اليه ولم يعره التفافا بل قال فى حـــزم وغضب وحزن **« بسببك لقد قتل ولداى .. هل تجرؤ ان تنكر ذلك ؟ وما حدث اليوم .. هؤلاء الرجال الذين اقتيدوا والذين سيقتلون لا شك . ايه . قل انك برىء ! لم تأخذك الشفقة على اخوانك ، لقد بعتنا . لماذا ؟ ماذا فعلنـــا لك ؟ ستجيب عن ذلك امام الله »** وهوت فى الظلمة قبضته التى كانت تمسك بفاس ، وصرخ الرجل « اغفرلى » ثم تدحرج مرتخيا ، ونبح كلب نباح الموت . ويختتم محمد ديب « صيفه الافريقى » بالعودة الى البداية ، الى زكية وابويها وجدتها وخالها وابن عمها ، وكانت هى ماتزال تغمغـــم **« ان اللعنـــة لتلاحقنـــا ، وتلك حيـــاتنا »** .. اما مختار راعى فخان يصوغ حيرته العظمى فى كلمات قليلة **« انا اراهن . أن امرا مايجرى هنا امرا .. لا افقه عنه شيئا »** . اما هى فمادت الى صمتها تقول **« لست أعرف ماذا سأصبح ، ولا اعرف الا ان افكر فى اشياء مستحيلة . كانما نفسى تنادى فى الظلمات . ومع ذلك فيجب ان يكون هناك شيء ابسط نحوه ذراعى »** .

هذا هو السيف الافريقى الذى تمثـــل فيـــه **«الجزائر»** بطولة المقاومه الضـــارية، المقاومة الشاملة ضد الذات اولا وما يتصل بها من اغلال الماضى ، وضد كل ماهو سلبى يعكرصفو النضال المقدس وان تبدت السلبية فى لامبالاة شخصية مثل جمال ، او فى الخيانه المباشرة كما هو الحال مع شخصية العياشى . وضد الوحش الاشقر الذى يرتدى ثياب الحضارة ويخون مبادئه القديمة بل يمرغها فى الوحل تمريغا يدوس على كـــرامة الانسان . ولان محمد ديب قد اختار **«الشخصية»** خامة فنية لصيفه الافريقى ، فاننا لن نعثر على الحدث الدرامى فى صورته المرئية المحسوسة ، بل سنشعر به فى « تطور » الشخصيات من حال الى حال . هذا الحدث الذى يربط بين جميع الشخصيات ـــ سواء التقت ببعضها البعض او لم تلتق ـــ هو الاستعمار الفرنسى الرابض فوق ارض الجزائر ، وهو المقاومة البطولية الباسلة لشباب الجزائر . ولقد آثر محمد ديب ان يطلعنا على مشاهد حية من الشق الاول للحدث ـــ وهو الاستعمار ـــ وآثر ان يخفى عن عيوننا مشاهد المقاومة، وان عكس آثارها على تطور الشخصيات العادية فى حياتها اليومية ، هذا التطور الذى يصل الى الطفره فى تحول جمال من اللامبالاة الى الفعـــل الايجابى ، وتحول بابا علال مـــن سخطه على المناضلين الى سخطه على المحتلين . لقد آثر محمد ديب عامدا ان يبرز الصوره الوحشية للاستعمار ليشـــارك بها فى شـــحن الوجـــدان الجزائرى ضد اعدائه ، وآثر عامدا ان يخفى ابطال المقاومة واكتفى برمز لا تخيب سهامه هو « مرحوم » الفلاح الذى اخذوا ابنه من قبل فحمل عنه اعباء المقاومة السرية ما استطاع حتى اخذوه هو فى النهاية . آثر ان يخفى ابطال المقاومـــة حقا ، واكتفى برمز لاتخيب سهامه هو « زكية » التى لم تعد من حريم الأمس ، بل هى تبحث فى جوف الليل البهيم عن ضياء شمس بلا غروب . وقد اسهم هذا التشابك بين ما هو سلبى وما هو ايجابى ، وبين الحياة والموت فى تغليب الدماء القديمة الاصيله فى شرايين محمد ديب على الدماء الجديدة الوافده مع الحضاره الفرنسيه ولغتها التى كتب بها هـــذه الـــــرواية .. فجـــاءت بالرغم من هذه اللغة ، عملا جزائريا صميما ، عملا يشارك فى حركة المقاومة بأوفر نصيب ، ويفصح عن نبوءة « البيت الكبير » بأن الحريق التهمت نيرانه كل شيء ، ولم يعد سوى القليل حتى يخلف الرماد ارضا صـــلبة ، ليبنى فوقهـــا المناضلون الجزائر الجديدة .

• • •

على النقيض من محمد ديب يقف **مالك حداد** فى الطرف المقابل ، فقد غلبت الدماء الجديدة دماءه القديمة حتى لم تعد هذه سوى ذكـــرى تمضغها رواياته واشعاره فى لحظات الملل . لقد اختلطت الامور على وجدانه الوطنى فلم يعد يميز بين اليأس الذى يخيم بظلاله على الادب الفرنسى بعد الحرب العالمية الثانية ، والتمرد الذى ينبغى على المرء ان يواجه به الدنيا اذ ارتضى الحياة على الموت ، والثوره التى تجيش بها ارض بلاده للتخلص من رسل الدمار ، ولتؤسس موطنا كريما لهذه **« الحيـــاة »** التى ارتضاها . من زاوية الفكر اختلطت الامور على مالك حداد ، فغشيت فنه سحابة قاتمة قاربت بينه وبين الحضـــارة الوافده التى هاجر اليها ، وباعدت بينـــه وبين الحضارة الام التى هجرها . ولكن هذا التباعد

لم يخرج بمالك حداد عن دائرة **« الثـورة »** بل فرض عليه ان يرى ما لم يره الاخرون . فاذا كان محمد ديب قد ابصر **« شمس »** الجزائر ،فان مالك قد ابصر **ليلها ..** ان ادبه لذلك هو الوجه الاخر للصورة ، ولونه القاتم تبرره سلبيات المعركة ، ونغمه الجنائزى هو التعبير المأساوى الحاد عن ساعات الجزر التى عرفتها المقاومة . لكم غنى لها بشعره ونثره ، ولكن الكلمات كانت تعود الى حلقه وقد علق بها طعم الرماد . وبدلا من ان تمثل فرنسا حلما حضاريا يمكن تحقيقه على ارض الجزائر ، امست هى الواقع الذى يعيشه بكل ذرات دمه ، وتحولت الجزائر الى حلم غامض ابدى .

وتكاد روايته **« التلميذ والدرس »** ان تكون اعمق تجسيداته الفنية لهذه المتناقضات الدامية التى يكتوى بها وجدانه . والشكل الفنى نفسه يكاد ينطق بغلبة الدماء الجديده ، ومالك يبدا صياغته من الكلمه فالجملة الى بقية النسيج الروائى ، ولا يفعل العكس : ان يصمم هيكلا روائيا للاحداث والشخصيات والمواقف ، ثم يملأه بالكلمات . اى ان الشاعر — ببساطة — يسيطر على الروائى. وتكاد الرواية فى كثير من المواضع ان تتحول الى قصيدة شعرية . وهذا مايفسر ان البناء الذى انتهت اليه — ولم تبدا به مطلقا — هو المونولوج . ان «التلميذ والدرس» فى جوهرها مونولوج طويل ، فنحن لا نتعرف طول الرواية الا على شخصية واحدة لهذا الطبيب الجزائرى الكهل ، القاطن فى احدى المدن الفرنسية ، وحيدا بعد ان ماتت زوجته . وليست ابنته التى تتراءى لنا بين الحين والاخر الا هذا الخيال الرابض بين جوانحه ، وكأن الماضى بالرغم من عزلته النائية لايستطيع ان ينفصل عن الحاضر بكل كثافته ، بل هو لايستطيع ان يقطع الاواصر بينه وبين المستقبل بكل طراوته . والمفارقة الروائية التى ينطلق منها مالك حداد هى ان الطبيب — الاب — حريص على ابقاء حفيده بين احشاء الابنة — المناضلة — التى جاءت اليه راغبة فى الاجهاض . ونتجاوز منتصف الرواية بقليل ، حين يمزق الدكتور صلاح قدير حبال الصمت ليجيب ابنته « لا » لن يقتل هذا الجنين . وتبدأ مع النصف الاخر للرواية مشكلة جديدة ، فرجلها الذى اختارته من بين مئات الرجال تهدده السلطات الفرنسية بالاعتقال وهى تطلب من ابيها ان يخفيه فى بيته بضعة ايام حتى تمهد له وسائل السفر الى الخارج . وقرب خاتمة الرواية تمتد يدا الدكتور قدير الى حبال الصمت مرة أخرى لتمزقها ويقول « نعم » . . وبين « لا » الاولى و « نعـم » الثانية يكشف لنا مالك حداد عن رمز البطولة فى المقاومة الجزائرية كما يتضح فى شريحة معقدة كتلك التى القى بها الينا فى « التلميذ والدرس » .

تبدا القصة وزميله الدكتور گوست يلفظ انفاسه الاخيره فى منزله . وامامه ابنته « فاضـلة » يرجوها ان تحدثه عن الجزائر وهو يعلم ان الدقيقة التى تجلسها ابنته الان ستدوم طول الليل . وتحدثت فاضله ولم يكن حديثها الا محاكمه **« ما كان ينبغى ان اسكن فى فرنسا بعـد وفاة زوجتى . ما كان ينبغى ان افعل كذا او افعل كذا . تزعم انى بحثت عن السلام ، عن سلامى ، انى لست غير انانى من العامة مجرد من الوجدان الوطنى ، بل من الوجدان كله . وانى من أصحاب الحلول السهلة ، وانى لجأت الى الجانب الاخر من البحر ، الجانب الاخر من التاريخ . . الخ »** .
والحديث عن زوجته يرجع به الى تلك الايام التى كان يلتقى فيها بطالبة لم يبادلها كلمة حب « كانا يتكلمان عن الجزائر » ، ولا يذكران مع شهر مايو زهور الربيع ، وانما تقتحم مخيلتهما احداث « شهر الشر » الملعون بين كل الشهور ، شهر الحصاد الدموى لعام ١٨٣٠ ، حين وطأت ارض الجزائر اولى طلائع العدو « كانت تلك نهاية العالم » . ومنذ سنوات عديدة والاذاعة الفرنسية تعلن كل يوم اثنين للعالم ميزانيتها المنتصرة « كذا من الجزائريين اصبحوا خارج المعركة » . والبغضاء تدوم زمنا ، اما الحقد فخالد . ويصرخ الاب المكلوم من صميم فؤاده **« انا لا اعرف احدا بلغ العشرين فى الجزائر »** .. وتلك اذن هى المأساة الحقيقية الكامنة فى اعماقه ، المأساة التى تملى عليه ان يلمس فى ابنته وترا لايخيب ، فهى لم تعمل بالسياسة كأولئك المراهقين الذين يملأون وقت فراغهم بأحلام رومانتيكية ، ولكنها تألمت ، تألمت كثيرا ، تألمت اكثر مما عملت .. لهذا لن يشفق عليها وهو يقول فى داخله « من اجل الرجال سيعيش ذلك الطفل » . وقبل ان تطمئن الفكرة داخل المرجل الذى يغلى ، تنتصب امامه اشباح الكلمات الكبيرة : الموت ، البطولة ، الزمن ، وتموج ضلوعه بهدير يعلو صوته على كل الاصوات **« انا تغيظنى البطولة . انا لا افهم الموت ولا الابطال . لقد بات الابطال عديدين . البطل هو من ارتضى الموت . وليست القضية فى هذه الاحوال أن يعيش المرء اكثر مما ينبغى له ، بل ليست فى ان يعيش . ان المرضى ليسوا ابطالا لانهم يلجأون الى الاطباء . اذن كل البشر مرضى . ولكنى أحسد الابطال . ان الابطال لم يبلغوا العشرين من عمرهم . شبابهم أبدى لانهم يقضون جميعا فتيانا . انهم يتحدون الزمن »** . وهو سعيد لانه جبان حدد الخوف حماسته ، ولكنه يبرر ذلك بأن الشجاعة فى صفائها الطبيعى هى نفى للشجاعة ، ولا توجد علاقة مشتركة بين البطل والبطولة ، ولا يمكن للمرء ان يكون فى وقت واحد بطلا وقديسا ، مع انه يجب ان يكون كذلك « ولهذا السبب كان لا وجود لهذا ولا لذاك » .

وحسين همست فاضلة ، كما لو كانت تحتضر « انا جد شقية » كان هو فى انتظار هذه الكلمة ، لانها فى رأيه تلخص تاريخ وطن . فمن المستحيل ان يكون الانسان سعيدا وجزائريا فى آن ، اولئك السعداء فقدوا الذاكرة ، ولا فرق بينهم وبين الحمير التى تبتسم فى بلاهة « حتى عندما تنهق بالفرنسية » . وهو يعلم ان فاضلة تقدم الخلاص من طفلها على الخلاص لرجلها ، والوطن هو الدافع ، وهو الفرصة .. فاذا قالت له انك تعيش فى فرنسا منذ عشر سنوات ، وبت تجهل شباب الجزائر وشيوخها « لقد رحلت » اقتحمت خياله على الفور مقهى وطنى تحرسه « **تينة بنت مائة عام** » فى القرية التى يعرفها جيدا ، القرية التى تألمت كثيرا ، ومع هذا فهو قانع بأن التينة باقية « وجودا لا يفسر ، ولكن الحمائم رحلت » ، وليس هناك وقت لدى البطل يضيعه فى تبديل ذاته ، فالبطل انسان ، وليس كل انسان بطلا . ومن الطبيعى ان يثور الابن ، لهذا يعجب بالثورة ، ولكن المحاكمة لن تمتد اكثر من ذلك ، لانه يخاف مناقشة الحساب ، ويفضل الحلول . لقد جلس الخريف على مقعد المتهمين وما عاد لديه غير الذكريات .

ولكن الاجهاض هو المأزق ، هو الشارع المسدود — يقول قدير — انما يجب ان نلد اطفالا فى الظروف الحالية «**انهم التحدى الذى نجار به**» ، ان شيئا ما لا يوحى بالطمأنينة فى هذا العالم غير وجه طفل . وفى صيف ١٩٤٠ ، كان يعمل طبيبا فى احدى الكتائب المحاربة فى صفوف الفرنسيين ، وقد راى فى الشتاء شيئا غير واقعى : المقبرة نفسها لم تكن فى مكانها ، وما كان مظهرها ليعبر عن فكرة السلام التى توحيها عادة ، اما برج الكنيسة المجاورة ، فقد انهار بين القبور ، ومن السخرية انه كانت توجد لوحة اعلانية كتب عليها « تذوقوا خمر اللورين » . هنا ايضا كان العبث يقود الحفلة . وتابع نزهته الحزينة وهو يردد ان الحرب هى اعلى ضلال البشر ، ثم التقى بفلاح شيخ يعمل فى حقله ، وكانت مزرعته تحترق ، فلم يستطع دفع نفسه عن سؤاله لماذا يستمر فى زرع بستانه والالمان واصلون بين لحظة واخرى .. نظر اليه الفلاح غائبا ، ونظر الى مزرعته التى تشتعل ، ثم انتهى الى ان قال له « **ومع ذلك يجب ان ينبت شىء هنا** » . هكذا يمتزج الواقع بالاسطورة فى قصة مالك حداد ، فلا شىء حقيقى فى هذه القصة الا الطفل ، وتجهل هذا فاضلة . ولقد دله فلاح اللورين العجوز على ما يجب عمله ، كان شجاعا كقوة خالدة تنق فى الحياة ، وتنتقم من الموت . غير ان المنفى لا يولد غير مرارة بشعة « **الا اذا عملنا حقيقة** » . والطفل الذى ترفضه فاضلة هو الجسر العظيم بين المنفى المرير وتينة القرية ذات المائة عام ، فهل يعزف الخريف عن مزاعمه ؟ وهو يقسم مجيبا بأن لهذا الطفل قيمة كالقدر ، لانه يصنع التاريخ . واذا كان من الممكن ان نلفظ طفلا ، فانه من المستحيل ان نلفظ فكرة . وما دامت فاضلة تتكلم عن الطفل كأنه ولد ، فهو اذن موجود ، ليس فى بطنها وحدها ، ولكن فى بطن التاريخ ايضا . وهو — الجد المنفى او الخريف الذى يسد ثغرات العالم — لن يزرع ابدا تينة عمرها مائة عام الا اذا امست ابنته من جديد هى ابنته ، والا اذا بدأ حفيده من جديد يزرع الغابات . فاذا قطعت عليه فاضلة حبل تفكيره بقولها « **هذا الطفل يعقد كل شىء** » ، اجتاحه العجب من ان يكون الاسهل هو صنع الثورة ، اسهل من ان يكون لنا طفل . وهو — على العكس — يعتقد انه يجب ان نقاتل عندما يكون لنا طفل « يجب ان نقاتل جيدا » .. وهو لا يلوم فاضلة ابنته ، ولا يعتب على عمر حبيبها ، ولكنه لا يغفر لهما انهما فكرا ذات يوم فى « ترحيل » ذلك الطفل الذى لم يدعه غيرهما للحضور .

ويتأمل صلاح قدير ابنته بدقة وامعان للنظر .. هو يظن انه لم يوضع فى مكانه قط « لقد ضللت عصرى .. ولقد شاء التاريخ ان امتطى دائما جوادا على عصرين ، على حضارتين » . لذلك يرفض لابنته وابنها ان يجتازا التجربة ، لو انها لفظت الطفل لما تعدت كونها تمتطى جوادا على عصرين ، والمرء يمشى متمايلا اذا اكثر من ركوب الخيل ، فالاحمر الذى يلون اظافرها يلون ايضا لهجتها القادمة من سماء اللوار فيجعلها تتحدث بالفرنسية عن العالم «العربى» لقد تعرف الخريف — هو نفسه الدكتور صلاح — على ربيع معاصر له ، هو ابنته بعينها . فهل تتكرر المأساة؟ والصورة التى ترتفع على الحائط وتشير اليها فاضلة تمخر به عباب الزمن، هى صورة امها التى ماتت ولم تكن قد تجاوزت الثامنة . صورة سعدية التى حشرج ابوه باسمها قبل النهاية «ستتزوج سعدية» ولما كان ابوه هو الذى جعل منه رجلا مرموقا متعلما فى باريس ، كان عليه ان يتزوج من سعدية، ولانه رجل تعلم الطب فى باريس فأصبح طبيبا مشغولا عن البيت والعائلة لم يستطع ان يعيش مع سعدية وماتت الزوجة التى احبها كأخته فى مستشفى للامراض العصبية . ولانه تعلم فى باريس احب جرمين حبا يختلف عن حبه لسعدية، ولكنها كانت مخطوبة فضرب راسه فى الحائط . وعندما رآها حبلى ذات يوم تقف الى جانب الحاكم الفرنسى للمنطقة اتتى عمل بها فى الجزائر، لم تكن له رأس يضربها فى الحائط . وعندما جاءت الى عيادته ذات مساء كان قد اغلق مكتبه عليه ، وامر الممرض الا يدخل عليه احدا، ولو كان ارحم الراحمين . ومستقبله الوحيد لم يعد سوى هذا الطفل الذى سيحميه رغما عنها . فقد دخلت

عليه وهي بعد صغيرة وجرمين معه ، فحالت بينه وبين الانهيار . والطفل القادم لايقل عنها قدرة في الحيلولة دون الانهيار . والمساومة في داخله اصبحت عادلة : الطفل امام عمر .. الطفل يبقى ، وعمر يبقى ، أما اذا ذهب الطفل فعمر أيضا عليه ان يذهب . قالت له « انها ليست جريمة ان يحب الانسان وطنه » وخزته الكلمات ، ولكنها زادت من تماسك المعادلة الخفية وصرامتها . وراح قلبه ينزف « **فاضلة مناضلة . أحبيها وامجدها . أنظر اليها من نافذة ضعفي . أنا اعلم ان الخيانة هي في التخلي عن الجماعة . انها طلاق . وأنا لم أطلق . أنا لاقدرة لي على الحياة ، والحب ، بل ولا الموت . لقد تقاعدت يادكتور قدير ، اعترف بذلك ، ولكنك لست كذلك البطل الشاعر ببطولته الذي استنفد زمنه فارتضى بأن يصبح مدربا أو بائع دراجات . ان الفاضلات والعمريين وكثيرين من أمثالهم ،على شاكلتهم ، هم الابطال ، هم الذين اصبحوا أبطالا ، الابطال الوحيدين** » . أما هو، فكالخريف يزحف مع الاوراق الميتة التي تطقطق في أزقة المدينه الصغيرة ، وعلى الذين لم يعرفوا كيف يتخذون موقفا ان يقنعوا باستقالة ابدية . هو يرى نفسه على الرصيف والقطار يهرول في اقصى سرعته ، وعلى الذين بلغوا عمره ألا يقفزوا اليه فهذا مستحيل ، والا يجروا وراءه فمنظرهم سيكون مضحكا ، والا ينزعوا قضبان القطار لانها جريمة « **جريمة تفسد التاريخ** » . وهو اذن ، يكتفي بتحية سرعة القطار من فوق الرصيف ، وينتابه بعض الخوف ، اذ تبادرت اليه فكرة ان هذه السرعة في رؤيتها التي لاترحم قد تشوه — ولو الى حين — بعض المناظر « **ان السرعة على حق ولو أوجعت قلبي** » . واذا كانت فاضلة تخبره بان ثلاثة من اخوة عمر قتلوا في المعركة ، أي ثلاثة من أعمام هذا الطفل ، فكيف تطلب اليه ان يقتل هذا الطفل ؟ ويخطر له — من الناحية الاخرى — أن يتساءل : كيف تطلب اليه ان يؤوى مناضلا وطنيا مثل عمر ، وهي اذا تغاضت عن مشاعر البنوة تعتبره من الخونة ؟ ان المناضلين لايعرفون سوى الالوان الواضحة: الاسود والابيض ، الوطنيون والخونة . وهو ليس فارا من الجندية ولم يلتحق بالجيش في حدود المعنى الذي يعطيه المناضلون لهذه الكلمة. ولكن ألا يعمل المرء شيئا في العصر الذي نعيش فيه والعصر الذي لما نعش فيه — يقول قدير — الا يعمل المرء شيئا هو شكل للخيانة . فكيف — من جديد — يؤوى خائن وطنيا ؟

ويختتم مالك حداد قصته — أو قصيدته — بآخر تنهدات صلاح المرة : أنا عجوز ، واحب اولا جرمين ، وحبي هو نفي للزمن . وتتضح لنا دلالة جرمين في جلاء عندما يكشف عن وجهها نقاب الزمن : ان مابقى لى من حياتى هو ملك لجرمين .. في الحرب والسلم .. في الخريف والربيع احب جرمين .. احببت جرمين وانا ابن ستة شهور « **أحببتها قبل أن أولد . لقد وجدت منذ احببتها** » . ويجلو لنا الرمز اكثر فاكثر حين يؤكد أنه لايوجد بينه وبين ماضيه زمن فحسب، فهناك «ثغرة» ، هناك «انقطاع» . هل تتجسد هذه الهوة في المسافة بين الصورتين اللتين عثر عليهما في حافظة فاضلة ، صورته ، وصورة عمر ؟ هذه المسافة التي رسمتها شفتا عمر « **يفضحهما التحدي** » . فهل هو اذن على حق في ان يرفض شيئا تطلبه فاضلة ؟ اين الخير واين الشر — فيما يتساءل — مادام الموت يجمع بين هذين الحدين في نهاية واحدة ؟ جثمت الاجابة على قلبه وهو يمشي في جنازة الدكتور كوست صباح اليوم التالي ، أحس انه يشاهد منظرا خاصا به ، هو الذي مات ويدفنونه الان ، هو الذي مات كثيرا قبل الان ، لكم يخطيء التعبير القائل « لا يموت الانسان غير مرة واحدة » وعندما قام بزيارة مدام كوست في المساء لتعزيتها، كان في زاوية من زوايا غرفة الاستقبال شاب عرفه على الفور يتكيء على صندوق قروي فقال له « **تعال يا صغيري ، ان فاضلة تنتظرنا** » . وهكذا نجحت آخر عمليات زميله الدكتور كوست الذي ترقد الابتسامة الخبيثة على شفتيه في القبر ، وهكذا يتأكد لصلاح قدير أن الانسان الالي قد يبرع في صناعة الجراحة اكثر بكثير من الدكتور كوست ، ولكن ابدا لن يستطيع أن يطبع على شفتيه هذه الابتسامة الخبيثة .

لقد آثرت أن استعير كلمات مالك حداد في صياغة الاتجاه العام للرواية .وذلك حتى لايتعسف المرء في تقييم هذا الاتجاه بغير ان يستحضر في مخيلة القاريء الملامح المميزة له . لقد اختار مالك منذ الوهلة الاولى أن يكون «**المنفى**» هو المهاد التي يبذر فيها رموزه ، واختار أيضا «جيلا» محدد الابعاد هو المناخ الذي يجسد لنا اشواقه. ومن الممكن حينئذ أن يكون «**الجيل المنفى**» هو الصيغة المعبرة عن رؤيا المقاومة في قصة «التلميذ والدرس» . فمنذ مائة وثلاثين عاما تمكن الفرنسيون لاسباب عديدة من القاء مراسيهم على شواطىء الجزائر . ولقد ثارت الاجيال الجزائرية على المحتل الغاصب جيلا بعد جيل . ولكن الحال قد تغيرت منذ الحرب العالمية الثانية ، تغيرت صورة العالم وفرنسا والجزائر ، تغيرات يبدو بعضها للعين المجردة ، واخرى تحتاج الى ما هو اكثر . وكان الجيل الجزائري المعاصر للحرب هو الجيل المرشح لبلورة المأساة التي ترزح تحت عبئها بلاده بلورة نهائية، فقد دخل الحرب مع فرنسا فلما انتصرت اشاحت بوجهها عنه واقبل الثامن من مايو ١٩٤٥ تكثيفا بشعا لكل تعاسات الاستعمار .. وترك هذا اليوم في قلوب الجزائريين جرحا عميقا لم يندمل الا مع شبوب الثورة الشاملة

بعد هذا التاريخ بأقل من عشر سنوات . هذاهو ((**شهر الشر الملعون بين الشهور**)) كما يسميه بطل «التلميذ والدرس» .. وهو احد ابناء هذا الجيل الذى عبر عن ضراوة المأساة قبل نشوب الثوره . وعندما شبت كانت الارض السبخية قد اثمرت جيلا جديدا فى الجبال والصحارى والريف والمدن والمنافى ، جيلا ولد فى الثامن من مايو ١٩٤٥ كما يقول مالك حداد فاقيلت الهوه بينه وبين جيل المأساه عميقة وغائرة .. ولقد وفق مالك غاية التوفيق حين صور هذه الهوه ، احيانا كالفجوة واخرى كالهاويه، تفصل بين الجيلين فصلا حادا وابديا لايتيح مجرد ((**الصراع**)) بينهما .. ليس هناك صراع بين جيل صلاح قدير وجيل فاضلة وعمر لانه ليس بينهما تواصل ، لذلك تأتى الرواية موبولوجا طويلا . بل ان فاضله وعمر ليسا الا اشباحا تدور فى ذهن صلاح ، وما الحديث بين الاب وابنته الامنعطفات الموبولوج ومنحنياته.وليست على الاطلاق حوارا بين الانا والاخر . لهذا تندرج «التلميد والدرس» فى خانة مانسمي برواية الشخصية الواحده .وهى اقرب ماتكون الى بناء يوليسيز . فالحيز الزمانى المحدد باربع وعشرين ساعة او اقل. يتسع حجمه بغير حدود حتى ليبتلع عمر كامل وحياة كاملة ، عمر انسان وحياة جيل . فالزمن يتخلخل بناؤه مع تخلخل بناء الشخصية ولانعود الدقيقه ستين ثانية ، وانما تمتد امام عينى صلاح الى لبنة كاملة وتتمدد داخله الى حافة الابدية . هكذا يبرع الفنان فى المطابقة الفذة بين بناء الشخصية وتحديدها باطار من الزمان والمكان .ولان الشخصية اقرب الى مادة الحلم . فالزمن الذى تتحرك فى اطاره هلامى ، والمكان اقرب الى شاشة السينما. وتلك هى طبيعة صلاح قدير ، الجزائرى الضائع فى غير وطنه ، نفته الاحداث خارج التاريخ ، تاريخه . والقت به الدوامة على هامش الحياة، حياته . وتتحول الرواية الى قطاعات طولية عديدة لا الى قطاع طولى واحد،تخترقها قطاعات عرضية متعدده لاقطاع عرضى واحد . هو بناء مركب غاية فى التعقيد ، ولكن «الحالة» التى يتناولها الروائى بالتجسيد الفنى هى شريحة انسانيةمركبةبالغةالتعقيد ايضا.فبينما صلاح قدير « عينة نموذجية » لجيل المأساة ، نراه فى نفس الوقت شخصية فريدة لاتضاهى . بينما هو يتمسك بالحياة ويصر عليها اصرار الانبياء (برفضه القاطع لاجهاض الفتاة) يعشق الموت عشقا خالصا من زينات الحياة الدنيا فيراقص العبث الى ان يدفن نفسه مع جثةصديقه كوست. والفنان يقتطع من بطلهشريحة ممتازة لقطاعطولى منذ ان ينفق عليه والده كل مايستطيع حتى يتعلم فى باريس الى ان يتزوج من سعدية ونموت ، وسرعان ما يجتزىء من الشريحة قطاعا عرضيا لايقل امتيازا فيسرد لنا قصة حبه الوحيدلجرمين المخطوبة الى فرنسى يصادفه فى حياته العملية عندما يعمل طبيبا فى قرية جزائرية والفرنسي يحكم المقاطعه . ويعاود الكرة فيقدم لنا شريحة جديده لقطاع طولى جديد منذ ان نراه طبيبا فى احدى كتائب الفرنسيين ابان الحرب الاخيرة حتى يرى الدمار يكوم انقاض الكنيسه جنبا الى جنب اعلان الخمور . والمقبره لا توحى بالسلام المفترض ، وتنتهى به الجوله عند ذلك الفلاح الشيخ الذى تشمعى مزرعته بنيران الالمان ويستمر مع هذا فى بذر النبات الجديد . وهكذا نتبادل القطاعات الطوليه والعرضية مراكز العرض المستمر فيتقاطع الزمان بالمكان،وتحيا الشخصية خارج حدود التاريخ وتتنفس معها عطر البطوله وتختنق اجفاننا برائحه المأساه . ولايصبح تدفق الافكار والخواطر تداعيا ذهنيا ، ولا انتقالات الى الماضى مجرد فلاش باك ، وانما تتراكم الجزئيات حتى تتحول الى كليات . وتتراكم النسبيات حتى تتحول الى مطلقات . وهو منهج فى التعبير الروائى يستمد حيويته من شباب الرواية الجديده فى أوروبا . ولكنه اكثر امتلاء وكثافة بقضايا لاترد على خاطر الروائى الاوروبى ، قضايا الانسان الجزائرى فى مرحله تحوله الحضارى العنيف . يطبق مالك حداد هذا المنهج الثرى فى اختيار اطاره الروائى الذى يبدا مع الساعات الاخيره من حياه الدكتور كوست ، وينتهى بجنازته . اى فى اطار العبث العقلى لهذا الوجود . على ان الروايه تبدأ قبل كل اطار ، تبدا مع فاضله ، وتنتهى بعد كل اطار ، تنتهى مع عمر . وبين فاضله وعمر من ناحية ، والدكتور كوست وابتسامته الغريبة من ناحية اخرى ، يصوغ مالك حداد تمثالا شاهقا لصلاح قدير، من طينة لانميرها سوى الرخاوه الشديده . هذا التمثال الذى يصوغه مالك حداد بمتعه لا حدود لها . هو تمثال جيل المأساه الذى تخلى ولكنه يرفض لغيره ان يتخلى قبل ان يولد . لابد للطفل ان يولد ويختار القبول او الرفض.اما ان تختار نيابه عنه فهو تزييف لايقبله صلاح . البطل الكامل الزيف . وهكذا يمكن ان نعكس المثل الشعبى القائل بان النار تخلف رمادا . فالرماد بدوره يستطيع ان يخلف نارا . ومن عناصر الطينة الرخوة التى يبنى بها الفنان تمثاله الشامخ ، فاضلة وعمر . ان الروائى يصدق مع نفسه الى ابعد الحدود حين ينتقى «مناضليه» على هذه الصوره الشاحبة الباهتة ، فهو يلتقطهما من جبال اوراس يطاردان بالسلاح ملوك شهر الشر الملعون بين الشهور ، ولكنه آثر ان يلتقطهما فى باريس ، ومتى ؟ وهما يحاولان التخفى حتى تحين ساعة الهرب الى خارج الحدود ،الى ارض محايدة ، الى سويسرا مثلا . فاضلة وعمر اذن فى «بوز» نضالى وليسا مناضلين ، بل هما غير موجودين اصلا وجودا موضوعيا مستقلا عن

خيال صلاح قدير ، هما شبحان ذهنيان ينبشان افكار صلاح وقيمه ، هما عنصران ضمن عناصر كثيرة تتميز بالرخاوة الشديده بنى بها الفنـــان تمثاله . وفى اطار اللحن الجنائزى الذى يصوغ به مالك حدادالنغم الرئيسى لروايته يختلط الواقع بالاسطورة ، فيصر الفلاح الشيخ على بذر البذور فى ارض تحترق ، وتصر جرمين على العودة الى صلاح وزوجها حاكم المنطقة ، وتصر فاضلة ـ بدورها ـ على التخلص من الطفل والثوره احوج ماتكون الى الرجال،وعمر يصر على التخفى والهرب من السلطات وهذه السلطات فى بلده تشن حرب ابادة منظمة ضد مواطنيه . ومالك حداد .. اين هو من ذلك كله ؟ هو الكثير من صلاح قدير ، وهو الكثير من فاضلة وعمر . لقد صرح صلاح قرب النهاية بانه خلق من اجل جرمين ، ولم يكن بحاجة الى الصراخ لنفهم ان بطل المنفى وجـيل المأساة قد خلق من اجل ارض المنفى ، من اجل فرنسا. ولقد تحاملت فاضلة على نفسها وتساخت الكلمات على شفتيها وقالت انه ليس من العيب ان يحب الانسان وطنه ، ولكنها ايضا ابنـــة ذلك التمثال ، هى عنصر من عناصره الرخوة . والبطل الغائب الـذى يأتى ذكره مرارا دون ان نراه لحظة واحدة هو الجزائر ،غيابها يرمز اليها، ومأساة جيل المنفى فى بطولتها .. مهما ضعفت دماؤها فى شرايين مالك حداد تحت ضغط الدماء الجديدة .

• • •

اذا كانت الـدماء القديمة قـد غلبت الـدماء الجديدة فى رواية محمد ديب ، بينما غلبت الدماء الجديدة على الدماء القديمة فى رواية مالـك حداد ، فان هذه الدماء وتلك تتوازي توازيا مرا ومؤلما فى رواية كاتب ياسين «نجمة» وهى من خلال هذا التوازى المؤلم تصوغ البناء«الجزائرى» للرواية مهما شابت هذا البناء تمزقات الصراع الكامن بين الحضارة الاصيلة والحضارة ابوافدة. ان معاناة **كاتب ياسين** الهائلة لم تغلب ايا من الحضارتين على الاخرى ، فأقبل هـذا التمزق المتاع شاهدا امينا على صدق المحاولة وامانة التجربة . فاذا جاءت **((البيت الكبير))**بشيرابمولد الرواية الجزائرية ، فان «نجمة» تبرز من بين معظم المحاولات والتجارب ، وبالرغم من كل مابها من تمزقات ، تبرز دليلا يقينيا على أن الرواية « الجزائرية » قد ولدت وما جراجها الا جراح الجزائر وعذاباتها .

وأود هنا أن استشهد بما قاله ناقد جزائرى عام ١٩٥٧ ـــ أى غداة ظهور **((نجمة))** التى نشرت عام ١٩٥٦ ـــ هو **أبو القاسم سعد الله** الـــذى اعاد نشر ماسبق أن قاله فى كتابه « دراســات فى الادب الجزائرى الحــديث » : « .. **الثقافة الجزائرية ذات حظ عاثر ، وتتخذ شكلا انفصاليا يكاد يكون خطرا على المجتمع نفسه . والحقيقة ان هناك ثقافتين فى الجزائر تناصب كل منهمـا العداء للاخرى : ثقافة فرنسية وثقافة عربية صرفة .. أما الثقافة العربية فتتخذ شكلامتطرفا كرد فعل للثقافة الاخرى . وهى ثقافة يسودهـا الجمود والتقليد ، وينتهى بها السـير دائما الى منتصف الطريق . ان مجالها لايخرج عن التعليم الدينى وفروع اللغة العربية .. ومن الممكن أن نفترض وجود صنف اخر من المثقفين فى الجزائر، أى أولئك الذين جمعوا بين الثقافتين . ولــكن هذا الصنف قليل جدا ، وهو بالتالى لم يستطع أن يفرض اتجاها ثقافيا على المجتمع** » . والى هذا الاتجاه ينتمى كاتب ياسين ، ولكنه لم يجمع بين الثقافتين جمعا اكاديميا محضا ، فهو لم يكمـل دراسته المنظمة اذ تشرد وهو بعد صبى لم يتجاوز السادسة عشرة على اثر الاخفاق المدمر لمظاهرة الثامن من مايو ١٩٤٥ . ينتمى كاتب ياسين الى هذا الاتجاه بالمعايشة الحارة لفرنسا والجزائر جنبا الى جنب ، وبغير ان تكون احداهما رد فعل للاخرى . رضعت طفولته من ثدى الحياةالبدوية التى عاشتها قبيلته فى الجبال والصحارى ، وكان الكتاب بجناحين : اللغة العربية والاسلام هـو الفطام الفاصل بين الطفولة والصبا ، وفى صباه تلقفته المدرسة الفرنسية الى أن رمت به الــى مدرسة الحياة العريضة التى تتجاور فيها البداوة والعروبة باسلامها وفرنسا بحضارتها . ولقـد امتزجت هذه العناصر الثلاثة فى وجدان كاتب ياسين وعقله امتزاجا دمويا من خلال الصراعات المروعة بين الاطراف الثلاثة التى تجاذبته فى حدة وعنف : نحو الجزائر بعروبتها واسلامها، ونحو اوروبا بعلمها وحضارتها . ولم يكن الشد والجذب مجرد رياضة فكرية مضنية ، وانما كان واقعـا مرا اليما تعيشه بلاده ، واقعا استعماريا متفوقا فى العلم والحضارة يسود واقعا وطنيا معـدبا يطحنه التخلف . عاش كاتب ياسين هذا الواقع بذرات دمه ، وليست هذه عبارة مجازية ، وانما اقصد كل حرف فيها ، فقد كان احتكاكه الدامى بتخلف وطنه وتقدم سادته الاجـانب هو الاب الشرعى ـــ وليس الترف الذهنى ـــ لذلك التمزق اللاهب بين أضلعه ، التمزق الذى أثمر فيما بعد روايته اليتيمة «نجمة» أعظم منجـزات الادب الجزائرى الحديث كما يذهب النقاد الغـربيون والعرب على السواء .

وتنبع أهمية **((نجمة))** فى تقديرى من أنها تجسيم بالحجم الطبيعى لرحلة العذاب التى خاضهاكاتبها ووطنه جميعا . انها تجسد ـــ شكلا ومضمونا ـــ كافة مراحل التطور ومختلف أشكال التناقضات واتجاهات الصراع ونتائجه التى انتهت اليهـا الرحلة الدامية . ولربما كانت الثمرة الاولى لهذا

العبء الذى قامت به الرواية انها حققت درجة عالية من الوحدة الدينامية فى العمل الفنى حتى أصبح من العسير تصنيفها الى شكل ومضمون، كما أنها حققت درجة عالية من روح الخلق حتى اصبح من العسير تصنيفها الى خيـال وواقع ، فالشكل والمضمون من ناحية ، والواقع والخيال من الناحية الاخرى ، يرتبطان ارتباطا ديناميا عميقا يرتفع بها الى المستوى الخلاق الحى لكل ابداع عظيم . الشكل يصلح مدخلا الى المضمون، والعكس صحيح ، وكذلك الاسطورة تصلح مدخلا الى الواقع ، والعكس صحيح ايضا .

والشكل فى **((نجمة))** قريب غاية القرب من الفن التشكيلى فى أحدث مراحله ، اذ هى تبدو كلوحة تجريدية يصعب أن تحدد لها بداية ويصعب ان تحدد لها نهاية ، وبالتالى تخلو الرواية من البناء الكلاسيكى فى اية صورة من صوره ، ومهما بلغ به التطور كما هو الحال فى قصة محمد ديب مثلا . «نجمة» تبدأ من النهاية وتنتهى بالبداية ، والادق ان يقال انها خلت من البداية والنهاية معا . فهى لا تعتمد على منطق **((التطور))** الطولى المستقيم ، لافى شخصياتها ولا فى احداثها ، لان رؤيتها للزمن لاتصدر عن منطق التقدم الى امام بصورة عفوية اقرب الى الحتمية .. وانمـا يجتمع الماضى والحاضر والمستقبل فى **((نجمة))** اجتماعا حيـا مشخصا ماثلا بغير هندسة او تخطيط . لذلك فهى قد تتشابه مع قصة **((الصخب والعنف))** لفوكنر او قد تتشابه مع **((رباعية الاسكندرية))** للورانس داريل من حيث ان لكل شخصية زمانها الخاص ورؤيتها الخاصة التى املت على كل من فوكنر وداريل هذا التجديد فى بناء الرواية الحديثة حيث افرادا لكل شخصية فى روايتيهما حيزا خاصا من الزمان تروى خلاله « **الحدث** » المشترك من وجهة نظرها . هذا التجديد الذى قلده فى الرواية المصريه فتحى غانم ومن بعده نجيب محفوظ ، الاول فى «الرجل الذى فقـد ظله» والاخـر فى **((ميرامار))** . تتشابه **((نجمة))** مع هذه الاعمـال جميعها فى انتساب الزمن الى التكوين الداخلى للشخصية بحيث يصبح لها رؤيتها الخاصة الى **((حدث واحد))** تختلف فى رؤيته بقية الشخصيات. ولكن **((نجمة))** تضيف شيئا آخر جديدا كل الجدة، هو انتسـاب الزمن ـ فى نفس الـوقت ـ الى التجربة التى قامت الرواية بعناء تجسدها .

واقول **((التجربة))** لا **((الحدث))** لان الرواية تخلو من الحدث منذ تلك اللحظة التى خلت فيهـا من **((البداية))** و **((النهاية))** ،وانما هى تجسد **((تجربة))** بدايتها تمتد الى الماضى السحيق فكأن لابداية لها أو ان هذه البداية غير معروفة تماما ، وتمتـد نهايتها الى المستقبل البعيد فكأن لا نهاية لها او ان هذه النهاية غير معروفة تماما. ينتسب الزمان فى « نجمة » أذن انتسابا مزدوجا الى الشخصية من جهة ، والى التجربة من جهة أخرى . والتجربة فى **((نجمة))** بعثت فى شخص **((المرأة المتوحشـة))** التى جاءت الى الدنيا من صلب جزائرى نسـبه قادم من اب الاباء وجد الاجداد **((قبلوت))** القديم ، ولكنها فى نفس الوقت جاءت من رحم فرنسية عشقها اربعة تنافس منهم اثنان منافسة انتهت بمصرع احدهما فى ليلة ميلاد نجمة ـ المـرأة المتوحشة فيما بعد ـ وبقى الآخر ابا مجهولا لهذه الفتاة التى تزوجت اخاها دون أن تدرى وتبارى الشيوخ فى فرض ابوتهم عليها . ولعله من ايسر الامور ان يوقع البـاحث على جـميع التفسيرات التى قيلت فى نجمة على انها رمـز الجزائر الجديدة ، وان الزنجى الذى صرع اباها الحقيقى وحرسها طوال الطريق الى ابائها الجدد، هو ايضا رمز افريقيا السوداء . من أيسر الاشياء أن يوافق المرء على هذه التفسيرات المغـرية لانها تريحه ، ولكنى اعتقد ان كاتب ياسـين من حقه ان يطالبنا بالمزيد من العناء فى اكتشاف رؤياه لانه مهما عانينا فلن نصل الى سفح معاناته التى بلغت به اعلى ذرى التوتر واقسى الوان التمزق . فلو ان نجمة هى الجزائر وحسب لكانت رمزا قريب المنال كهذا الذى نراه فى شخصية **((زهره))** بطلة رواية **((ميرامار))** لنجيب محفوظ . ولكن نجمة فيما اتصور هى **((تجربة))** عميقة الاغوار فى حياة بقية الشخصيات ، لايتحدد معنى الزمان فى الرواية ـ وبالتالى شكلها ـ بدونها . هى تجربة ينبثق زمانها مع الجد القديم الذى اتخذ من جبل « الندحور » موطنا لابناء القبيلة فخانه الاحفاد يوم استطاع الفرنسيون أن يقطعوا الرؤوس ويرثوا الارض وما عليها سوى الشيوخ والارامل والاطفال . اما الشباب فقد تفرق هنا وهناك بحجة أو بأخرى فرارا من الذبح . وهى تجربة يتصل زمانها بالشبان الاربعة ـ الاخضر ومراد ورشيد ومصطفى ـ الذين التقوا فى حب نجمة، كل على طريقته ـ بعد اجيال واجيال من خيانة الاحفاد للجد ـ وانتهى بهم المطاف بعد زيارات تقصر او تطول للسجن وبعـد احـداث يتقدمها الثامن من مايو ١٩٤٥ ، انتهى بهم المطاف الى التفرق من جديد فى جهات ثلاث مختلفة لان الرابع كان يقضى مدة عقوبته فى السجن : احدهم الى قسطنطينة والاخر الى عنابه والثالث الى جهة ثالثة . ولكن المسافة بين التفرق الاول الذى احدثته مباغتة الفرنسيين لاحفاد قبلوت فوق جبل الندحور وبين التفرق الجديد الذى احدثته نجمة خلال سنوات العشق والسجن والوصال والاثم والعذاب، المسافة بين الاثنين هى جوهر **((التجربة))** فقد تفرق الشباب من جديد ليصنعوا فى الجبـال والصحارى والمدن شيئا لم يتلفظ به كاتب ياسين ولكن صدورهم تصرخ به ، لقد تفرقوا بعد ان ظهر لهم قبلوت فى الزنزانة وعيناه تشعان رسـالة خاصة لكل منهم ، هى رسالة عامة الى شـباب **القبيلة كلها ، الى الجزائريين جميعا** ، أن يستردوا

جيل الذكور من عصبيه ان يستعيدوا الجزائر من فرنسا .. لقد اختطف **(سي مختار)** ابنته الشرعية من امها بالتبنى ، واختطفها منه الزنجي الى رجال القبيلة باسم الابوة ، وكأنها **(نبوءة)** لابد من أجل تحقيقها ان يتفرق العشاق الاربعة **((ولو كان مراد معهم لكان باستطاعتهم أن يسيروا فى الاتجاهات الرئيسية الاربعة ، كان باستطاعة كل منهم أن يأخذ اتجاها محددا))**. على انه اذا كان مراد مايزال بالسجن ، فان الاخضر يقتسم المال الذى أعطاه له ذو اللحية مع رشيد الذاهب الى قسطنطينة ومصطفى الذى اتخذ طريقا اخر ، أما هو ففي طريقه الى عنابة .. أولئك هم رسل نجمة — المرأة المتوحشة — الى الخلاص الموعود .. حينذاك يستريح قبلوت القديم ولاتعود عيناه تبرقان بالالم ، وانما يستريح فى قبره المقدس بعد كفر احفاد الاحفاد عن خطيئة الاباء فى حق جد الاجداد .

الشبان الاربعة اذن هم ابناء الجزائر الجديدة ، او هم فى تصور اكثر دقة بمثابة البشارة السابقة على مولد الجزائر الجديدة ، أما نجمة فلها من الجزائر الجديدة نصيب ، ولها من الجزائر القديمة نصيب ولها من فرنسا نصيب .. وقد تفاعلت هذه الانصبة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها فاثمرت هذه **((الثورة))** العارمة التى كشفت حقا الحجاب عن وجهها ، ولكنها لم تنس قط اصلها ومنبتها ، لقد تزوجت أخاها وضاجعت الاخر ، ولكن طهارتها فوق كل شبهة واثم ، لان نجمة هى ابنة الجميع وعشيقة الكل ((هى روح الجزائر الممزقة من البداية والمهددة بمختلف التوترات والتمزقات الداخلية)) كما وصفها كاتب ياسين فى مقابلة ادبية

هذه الروح ، هى الثورة ، والثورة هى التجربه التى امتصت زمانها الخاص على نحو شديد التعقيد من الماضي والحاضر والمستقبل . فهى أشبه بالبناء الموسيقى كما قال الناشر الفرنسى فى صدر طبعتها الاولى **((انها هذا التعداد الاثنا عشري لفصول الكتاب . كل فصل يؤلف الثقافه كاملة .. وعلى كل الثقافة من خطه اللولبي ترى المؤلف يزرع اثني عشر رقما .. تبدأ الالتفافه بالرقم الاول .. ثم تتلاشى فى الرقم الثانى عشر .. لتفسح المجال لحركة جديدة تعيد الدورة ذاتها))** أو هى عالم من الكواكب ((وضع المؤلف فيه الشمس — نجمة — فى المركز ووضع من حولها عددا من النجوم المختلفة الاحجام ، وهذه النجوم نفسها لها توابع . ورغم ان الشمس تحتل مركزا ثابتا وتشع دائما تقريبا بنفس القوة فاننا لانعلم عن هذه الشمس الا من خلال الضوء الذى تعكسه على الاجسام التى حولها ، ولكنها تملك قوة تبعيد وتقريب هذه الاجسام من الضوء تبعا لدوراتها المعتادة . ومادامت الاجسام مرتبطة بهذه الحركة التى تعيدها الى مركز الضوء حسب قانون ثابت ، فان النتيجة هى عوده دائمة نحو الشمس (نجمة) وامتزاج كامل بين الماضي والحاضر والمستقبل)) .. هكذا وصفها ناقد فرنسى فى بحث حول ((القصة الجديدة)) (بمجلة اسبرى عدد يوليو واغسطس ١٩٥٨) . ويبدو واضحا من هاتين الفقرتين أن النقد الفرنسى يضع يده بمهارة فائقة على قضية الشكل فى ((نجمة)) ولكنه لم ينفذ قط من هذا الباب الرحب الى ما هو اكثر رحابة وعمقا ، بل هو يتورط فى خطأ فادح عندما يقتصر على هذا الجانب ، اذ يثب مباشرة الى القول بأن ((نجمة)) — بالتالى — تنتمى الى **((الرواية الجديدة))** التى ظهرت فى فرنسا منذ اكثر من عشر سنوات .

ان ((نجمة)) لا تنتسب الى الرواية الجديده وان اقتربت منها مصادفة فى بعض جزئيات الشكل ، لان كاتبها ينتسب الى **((تجربة))** انسانية تختلف فى الكثير عن تجربة كتاب الرواية الجديده فى اوروبا . ان تجربة كاتب ياسين ، او نجمته فى ليلنا الطويل ، هى الثورة ، لذلك كان رمز البطولة فى المقاومة الجزائرية لا ينعقد لبطل من ابطالها المناضلين .. وانما يرى كاتب ياسين هذا الرمز مجسما فى تلك الروح القريبة مما عرفناه عند توفيق الحكيم فى روايته ((عودة الروح)) ولكن على نحو أكثر تركيبا . ومن هنا كان البناء الروائى المركب فى نجمة ليس شكلا فنيا فحسب ، بل هو مضمون فكرى ايضا . والفنان حريص منذ الوهلة الاولى على تأكيد هذه الصلة العضوية بين الشكل والمضمون ، حتى اذا واجهنا فى سيرنا اوصالا ممزقة ادركنا على الفور أن هذا التمزق لايكتسب معناه من التخلخل الذى لاحظناه فى قصة مالك حداد ، تخلخل الزمان والانسان فى قصة بولسير . وانما تعكس الاوصال الممزقة فى ((نجمة)) أسطورة الجد القديم ((قبلوت)) التى تشبه من احد وجوهها الاسطورة المصرية القديمة التى جمعت فيها ايزيس اطراف اوزيريس فدبت فيها الروح من جديد .

تبدأ الرواية بهروب **الاخضر** من السجن وعودته الى الصحاب الذين يعملون فى ورشة يراسها السيد ارنست وابنته الجميلة سوزى التى ينوى سائق العربة ريكارد — صاحب الضيعة المجهولة النسب — أن يتزوجها ، وقد دخل الاخضر السجن لانه حاول ان يرفع وجهه فى وجه ارنست ودخل مراد السجن لانه رفع وجهه فى وجه ريكارد وأرداه قتيلا فى ليلة زفافه . لايحدث لهذه القصة — أو هذا الحدث — اى تطوير حتى النهاية .. وانما تظل اطارا يحيط ((التجربة)) — نجمة او الروح او الثورة ، سمها ماشئت من الاسماء — ويبرز كل زاوية من زواياها اطارا ثابتا لصورة واحدة لايتغير فيها الا الخطوط والالوان من حين الى حين . انها فى احدى المرات خطوط السجن **((ما اعلى الاسوار ياأماه))** يقول مراد ، لقد حل

الكورسيكيون محل الرومان «وتتابع نحن دورة العبيد» . ويظل الاطار قائما، وانما تبهت في الصورة ظلال السجن لتبرز خطوط العلاقة بين العمال والسيد الفرنسي « **اشبه مايكونان بمعسكرين يعرف كل منهما الاخر معرفة تامة منذ أمد طويل** » وتتلاشى هذه الزاوية لتظهر زاوية جديدة « **أنتم الاغنياء تنامون فى اسره الفرنسيين ، وتأخذون كل ماتحتاجونه من مخازنهم . أما نحن فنكتفى بمد من الشعير ، ودوابنا تأكل كل شىء** » .. وتختفى هذه الالوان جميعها رويدا رويدا حتى يسود اللون القانى فى الثامن من مايو ١٩٤٥ لانه اللون الوحيد الذى أهلته نجمة لان يمسح عار الالوان الماضية ، لقد تفرقت المظاهرة الاولى حقا، ولكنها كانت دقة الناقوس المدوية التى تجمعت حولها الاذان بعد ذلك التاريخ بأقل من عشر سنوات .. حيث كان الاخضر ورشيد ومصطفى — ومراد من سجنه — قد تفرقوا فى انحاء الجزائر يبشرون بيوم آت لاريب فيه ، هو اليوم الذى اشتعلت به عينا قبلوت فى الزنزانة ، وهو اليوم الذى اوصى به سى مختار الى رشيد فى الطريق بين مصر والجزيرة العربية ، قال له « **يجب أن نفكر فى مصير هذا الوطن الذى اتينا منه ، انه ليس مقاطعة فرنسية ، وليس على رأسه باى ولا سلطان . ربما تفكر فى الجزائر التى مابرحت عرضة للغزوات فى التاريخ ، وفى ماضيها المستغلق ، لانا لسنا أمة . لم نصبح أمة بعد . عليك أن تعرف ذلك . نحن لسنا الا قبائل منكوبة** » .. وتلك اذن هى بؤرة المأساة التى عبر عنها الكاتب فى موضع آخر قائلا « .. **ولكن الاحتلال كان شرا لابد منه ، كان طعما موجعا يحمل معه وعدا بالتطور لشجرة الوطن التى أخذت الفأس تعمل فيها ضرباتها .. وكان على الفرنسيين ، كما كان على الترك ، والرومان ، والعرب من قبلهم ، ان يتمكنوا فى الارض ، رهائن الوطن الذى يتمخض ، الوطن الذى كانوا يتنازعون خيراته** » ، ولكن المد والجزر «**قد تلاعبا بهذا الوطن حتى اختلطت أصوله ، واكتسحها هذا الذبول العاصف ، ذبول شعب يحتضر** » .

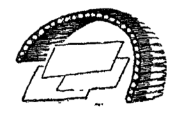
وبدلا من الموت تطلع نجمة فى سماء الجزائر ، ويحفر الاخضر بالسكين على المقاعد والابواب الخشبية «**الاستقلال للجزائر**» غداة انتهاء الحرب الثانية التى كان الجزائريون فى مقدمتها يدفعون الخراب من ان يلتهم الجزائر وفرنسا معا . ويتدافع الفلاحون والعمال ، ويتجمع الطلاب والشباب ويهتف الجميع ليوم النصر لالفرنسا وحدها ، وانما للجزائر ايضا . وحينئذ تنطلق رصاصة لتصيب العلم ، وماأشبه المشهد بتلك المظاهرة السلمية التى خرجت باذن من الانجليز فى «**بين القصرين**» قرب خاتمة ثورة ١٩١٩ فأطلق عليها جنود الاحتلال رصاصهم فجأة وسقط «فهمى» شهيدا . ولكن جنود الاحتلال الفرنسى فى الجزائر كانوا قد جردوا الشعب من سلاحه فى المساجد فهجمت عليهم الجماهير بالكراسى والزجاجات واغصان الاشجار . وتتدحرج حامل العلم ، ويقطع الجيش الشارع الرئيسى وهو يطلق النار على الاسمال المهلهلة ويطلق رجال الشرطة والمعمرون ايديهم واسلحتهم فى الاحياء الوطنية فلا يبقى هناك باب مفتوح . ويسيطر اللون القانى على صورة نجمة فى اطارها الذى لا يتزحزح مهما تغيرت الوان الصوره وخطوطها . ففى يوم النصر على النازية تدوس فرنسا باقدام حديدية على الاخاء والحرية والمساواة وتخرج النازية لسانها من فم فرنسى ساخرة من النصر « **لا حاجة بنا الى القانون هنا . انهم لايفهمون الاالقوة . انهم بحاجة الى هتلر جديد** » . وتتجمع الخيوط من جديد عند نجمة لتتفرق بعدئذ فى الاتجاهات الرئيسية الاربعة مهما كان احد العشاق الاربعة ما يزال فى السجن ، وكأنها « نبوءة » الغد ، ان ما فرقهم بالامس ، هو بعينه الذى يفرقهم اليوم .. ولكن الامس كان فرارا من السكين ، واليوم لقاء معه ، اليوم يثأر الاحفاد لجدهم القديم بفضل نجمة الحبيبة المتوحشة ، نجمة رمز البطولة فى المقاومة الجزائرية التى اثمرت نصرا جديدا بديلا للثامن من مايو ١٩٤٥ ، نصرا يلتئم فيه الشمل والجرح لتبدأ الجزائر حياتها الجديدة .

وهكذا يبدا **كاتب ياسين** روايته — كلوحة تجريدية — بلا بداية محققة ، وينتهى بها بغير نهاية محققة ، يبدا تجربته دون حدث قابل للتطوير ، وكان القصة لا « **قصة** » لها . انه يراكم جزئيات التجربة من ابسط مستوياتها ، الى ان تتحول فى احدى المراحل الى مركب جديد يتطور بدوره الى ما هو اكثر تركيبا . فالرواية فى بنائها مجموعة مستويات فوق بعضها البعض من اقل درجات البساطة الى اعلى درجات التركيب .. ففى كل مستوى قد نرى نفس الاسماء والاحداث والمواقف ، اى اننا فى كل فصل من فصولها نلتقى بنفس الاطار العام ، ولكن الاختلاف الزمنى بين كل مستوى واخر هو مصدر الرؤية الجديدة فى كل فصل .. حتى تتكامل الرؤى عند السطر الاخير فى رؤيا واحدة شاملة لادق الجزئيات والتفاصيل واكبر الكليات واكثرها تعميما . وهذا ما قد يتسبب فى خلط لا حد له للقراءة غير الصبورة ، اذ قد يظن المرء لاول وهلة ان فصلا واحدا يغنى عن بقية الفصول ، ما دامت « **ليست هناك بقية** » لقصة تروى او لاحداث تتوالى . وقد يذهب الظن الى اقصى تخوم الاثم فيتصور ان الأمور قد اختلطت على الكاتب ولم يعد يميز بين فصل واخر . ولربما تهتدى قراءة مستأنية الى انها قصة واحدة ترويها شخصيات اربعة ، كل منها بمنطقها الخاص . ولكن لا .. ان كاتب ياسين وهو يجسم تجربته فى حجمها الطبيعى

كان اقرب ما يكون الى المثال والموسيقى منه الى « **القاص** » بمعناه التقليدى . . كان منذ البداية قد ازمع الا « **يقص** » شيئا وان همس وأوحى باشياء واشياء ، فلم يخضع لاسلوب الرواية ، وانما اتبع اسلوب النحت والنغم . . هو يضرب ضربته الاولى - بغير ازميل ولا نوتة موسيقية - فتتشكل الخامة بين يديه على نحو معين يلخص التجربة فى مهادها الاولى ، ثم تتوالى الضربات فلا « **تكمل** » التشكيل وانما تزيده عمقا وتغنى ابعاده . ليس هناك خيط واحد يمتد من الفصل الاول الى الفصل الاخير فى « نجمة » . وانما هناك مجموعة خيوط تنتقل بكاملها من فصل الى اخر قد تزيد فى الطريق خيطا او اخر ، ولكن اهم ما يحدث لها هو انها تتبدل من وضع الى وضع كلما اتصلت حركتها بالتجربة او الشخصية ، اى كلما اتصلت بالزمان النسبى والزمان المطلق فى الرواية . ولذلك قد يشتبه علينا الامر احيانا ونتصور ان ما امامنا هو « **فلاش باك** » او نوع من « **التداعى الذهنى** » او « **الذكريات** » . . ولكن الحقيقة ان المؤلف لا « **يرجع** » بنا مطلقا الى الوراء ، انه وهو يستحضر فى مخيلتنا احداثا قديمة انما يؤكد على « **تواجد وحضور** » هذه الاحداث الماضية فى قلب الزمن الحاضر . وقد يشتبه علينا الامر احيانا ونتصور ان ما امامنا هو « حلم » يتشوف فيه صاحبه المستقبل . . ولكن الحقيقة ان المؤلف لا « يستدرجنا » مطلقا الى المستقبل ، انه وهو يستحضر فى مخيلتنا احداثا لم تحدث انما يؤكد على «تواجد وحضور» المستقبل فى قلب الحاضر . وتلك هى ابعاد نجمة ابنة قبلوت والمراة الفرنسية وعشيقة الشبان الاربعة ، وهى الابعاد التى تصوغ لنا الزمان فى صورته المطلقة ، بينما تصوغ لنا بقية الشخصيات صورته النسبية . وبين الزمان المطلق - نجمة - والزمان النسبى « **الاخضر ورشيد ومراد ومصطفى** » صراع وتفاعل واندماج يتجسد يوما فى الثامن من مايو ١٩٤٥ ، ويتجسد اياما وسنوات فى ثورة المليون شهيد ، ويتجسد دوما فى ثورة الجزائر الدائمة . . ذلك لان الثورة هى « روح » الجزائر ، هى العذراء والمراة المتوحشة ، هى « **نجمة** » . ومن هنا كانت هذه الرواية الكبيرة هى الابنة البكر للجزائر بمعناها الاكثر شمولا وعمقا ، فقد جسمت فى مختلف مستوياتها البسيطة والمركبة مراحل العذاب الاكبر الذى عاناه هذا الوطن برفقة اعظم اجياله على الاطلاق . يقول ابو القاسم سعد الله فى كتابه السابق « **ان يقظتهم تعود فى اغلب الاحيان الى اتصالهم ومعرفتهم بالثقافة الفرنسية ، وقد أصبح من المستحيل عليهم ان يتركوها ويعودوا الى الماضى الذى يحاولون الابتعاد عنه تمشيا مع القرن العشرين . ولكن يستحيل عليهم فى نفس الوقت ان يقطعوا علاقاتهم بعالم طفولتهم وشبابهم وتراثهم الثقافى الخاص** » . وتلك هى المهمه التى انجزها كاتب ياسين فى الادب الجزائرى ، فلم تغلب عليه الدماء القديمة ولم تغلب عليه الدماء الجديدة وانما توازيا فى شرايينه توازيا حادا مرا ومؤلما ، بعد صراع هائل وتفاعل عميق واندماج شامل . ولذلك توفر البعد الانسانى فى نجمة كما لم يتوفر فى عمل ادبى جزائرى من قبل ، ولكن البعد القومى هو ركيزتها التى لم تتزحزح عنها . . اما البعد الاجتماعى فيكفيه وضوحا ان يجعل الروائى من الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين الخامة البشرية الرئيسية فى الرواية حتى انها تصبح عن يقين رواية « جيل الثورة » فى مقابل جيل الماساة الذى عبر عنه مالك حداد . وفى تقييم هذه الابعاد الثلاثة يصل الحماس بالدكتورة **سعاد خضر** ان تقول فى كتابها «الادب الجزائرى المعاصر» « لقد تغنى كاتب ياسين بالثورة وبالجزائر ووصف بشاعة حرب الابادة وعذابات السجون وعبر عن امال والام شعبه بقوة **لم يستطع احد قبله او بعده** ان يعبر بها » .

• • •

ليست هذه الروايات الثلاث ، لمحمد ديب ومالك حداد وكاتب ياسين ، الا نماذج اكثر تمثيلا من غيرها للفكرة التى اطرحها فى هذا البحث ، وهى انه على الرغم من ان المقاومة هى النسيج الاساسى للادب الروائى فى الجزائر . . فان هناك ثلاثة اتجاهات مختلفة تعبر عن رمز البطولة فى المقاومة الجزائرية ، احدها يغلب الدماء القديمة الاصيلة والاخر يغلب الدماء الجديدة الوافدة والثالث يمزج بين هذه وتلك . ولكن الرواية الجزائرية لا تتوقف عند هذه الحدود ، فهناك ادباء كبار لم يكفوا يوما عن المشاركة فى العمل الوطنى نضالا وفنا حتى سقط احدهم شهيدا غداة التحرير ، هو **مولود فرعون** . ولقد كان نتاجه الادبى وجهوده الفنية مع **مولود معمرى** فى انقاذ التراث الجزائرى وبخاصة الشعر البربرى والادب الشفوى للقبائل من اكبر الجهود الوطنية لبناء ثقافة جزائرية جديدة .



خبرات عن الدفاع الجوى



محمود عزمى

لقد تطورت وسائل الهجوم الجوى تطورا سريعا وخطيرا ، خلال السنوات التى انقضت منذ بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، حتى يومنا هذا ، بحيث اصبحت تلعب دورا متزايد الفاعلية للغاية فى تقرير نتائج اى قتال او حرب .. وبمقتضى هذا التطور الخطير فى وسائل الهجوم الجوى ، اصبحت الحرب تعنى الحرب الشاملة التى لا تفرق بين جبهة القتال الامامية ، وبين المناطق الخلفية ، وخاصة بعد ان اتسع مدى عمل هذه الوسائل الهجومية ـ سواء كانت صواريخ او طائرات نفاثة ـ بحيث اصبحت قادرة على ضرب اى نقطة فوق الكرة الارضية ، وبحيث اصبحت المراكز الصناعية والسكانية الرئيسية لاى بلد ، معرضة لضربات جوية عنيفة خلال دقائق او ساعات قليلة فى حالة نشوب اى حرب ذرية كانت او بالاسلحة التقليدية .

ومن هنا يصبح نظام الدفاع الجوى ، ومدى كفاءة هذا النظام فى العمل ، اهم مؤشر لقياس مدى قدرة اى بلد على صد اى هجوم معاد مفاجىء او غير مفاجىء . ولذلك اخذت مشكلات ووسائل الدفاع الجوى وتطويرها المستمر ، تحتل جانبا بالغ الاهمية من خطط القادة العسكريين والحكومات والراى العام فى مختلف دول العالم فى وقتنا الراهن .

وتزداد اهمية هذه المشكلات بالنسبة للدول الوطنية المستقلة حديثا ، والتى لا يحتمل نظامها الاقتصادى القيام باعباء بناء قوة جوية هجومية فعالة الاثر ، على المستوى الاستراتيجى ، تستطيع ان ترد بها على التحرشات او الضغوط العسكرية للقوى الاستعمارية . ولذلك يكتسب انشاء وتدعيم نظام كفء للدفاع الجوى اهمية كبرى فى الاستراتيجية العسكرية لهذه الدول التى تبغى الصمود فى مواجهة المؤامرات والضغوط

العسكرية الامبريالية . ويحضرنا في هذا الصدد الجوية الامريكية . والبلدان العربية في مواجهتها للعدوان الاسرائيلي الذي يمثل ضغطا عسكريا غير مباشر للاستعمار الامريكي ، وسنعرض في بحثنا هذا ابرز خبرات الدفاع الجوي المستمدة من تجارب الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من تجارب حتى يومنا هذا ، امكننا الاطلاع عليها من مصادر النشر العلنية .

ونعتقد ان التسلح بالوعي العسكري عامة ، وبخبرات وسائل الدفاع الجوي خاصه ، مسألة على جانب كبير من الاهمية ، خاصه بعد ان اكتسبت وسائل المقاومة الشعبية والدفاع المدني فاعلية واضحة في مواجهة الحرب الجوية الشاملة الحديثة ، كما تثبت التجربة الفيتنامية ذلك ، سواء في الشمال او في الجنوب .

تطور وسائل الدفاع الجوي فيما بين الحربين

لقد ترتب على تطور الطائرات في الاستعمال العسكري اثناء الحرب العالمية الاولى ، سواء في اعمال الاستطلاع او القصف الجوي ، ان انتجت وطورت وسائل الدفاع الجوي ، وتلك قاعدة عامة بالنسبة لظهور وتطور اي سلاح جديد .

ان كل سلاح جديد يوجد نقيضه بمجرد ان يستخدم ذلك السلاح وتعرف مدى اهميته او خطورته ، ثم تجري اثر ذلك حركة تبادلية التأثير بين السلاح ونقيضه ، تحكم ظاهرة تطور كل من السلاحين معا ، وتحفز هذه الحركة رغبة كل طرف من الطرفين المتصارعين في احراز التفوق على طريق ادخال تطويرات في اي من السلاحين يفاجيء بها الخصم .

وهكذا جرى التطور المتبادل بين وسائل الهجوم ووسائل الدفاع المضاد لها ، بل ان ذلك هو القانون العام الذي يحكم ظاهرة سباق التسلح العالمي الراهنة ، والاستراتيجية العسكرية العالمية ، التي تهدف الى المحافظة على التوازن الدولي في القوى .

ولقد اثبتت الحرب العالمية الاولى مدى الخطورة المستقبلة للطائرات كسلاح هجومي فعال على كلا المستويين الاستراتيجي والتكتيكي. ولهذا حرصت الدول الحليفة المنتصرة في هذه الحرب ، على ان تنص في ((**معاهدة فرساي للصلح**)) ، على حرمان المانيا من اية اسلحة جوية ، رغم انها سمحت لها بالاحتفاظ بجيش من المتطوعين لا يزيد عن مائة الف جندي ، وببعض القطع البحرية الرمزية .

ولكن المعاهده لم تحرم على المانيا صناعة الطائرات المدنية او المضي في بحوث الطيران العلمية ، ولذلك اخذت قياده الجيش الالماني ، التي يشرف عليها كبار العسكريين البروسيين المشبعين بنزعة الانتقام ، والتي كانت توجه السياسة العليا للدولة من وراء ستار الحكم الجمهوري البرلماني ، الذي اقيم عام ١٩١٩ ، على اثر الهزيمة والثورة الداخلية التي اطاحت بعرش **الامبراطور غليوم الثاني** ، اخذت تعمل على تطوير تكنولوجيا الطيران من خلال تنمية البحوث العلمية . كما اخذت تشجع شركات صناعة الطائرات ، مثل شركة ((**جونكرز**)) ، وشركة ((**مسرشميت**)) ، على صناعة وتطوير طائرات النقل المدنية ، حتى اصبح لالمانيا احسن طيران مدني في اوربا في فترة ما بين الحربين العالميتين ، بل لقد انتجت ((مصانع جونكرز)) انواعا من طائرات النقل المدنية يمكن تحويلها بسرعة الى قاذفات قنابل عن طريق ادخال تعديلات بسيطة عليها . هذا بالاضافة الى تنمية الاهتمام بالطيران الشراعي ، وترغيب الشباب في التدريب عليه حتى يسهل بعد ذلك تدريبهم على الطيران الميكانيكي الحربي .

ولم تكتف هذه القياده بذلك كله ، بل اخذت تعد سرا ، بعض الاسراب المقاتلة قبل عام ١٩٣٣ ، ولذلك كان من السهل على ((**هتلر**)) ، بعد ان سلمت له هذه القيادة مقاليد الحكم في ٣٠ يناير عام ١٩٣٣ — وذلك عندما عينه رئيس الجمهورية ((**الماريشال هندنبرج**)) رئيسا للوزراء تحت ضغط باقي العسكريين وكبار الراسماليين — ان يبني سلاحا جويا قويا عرف باسم ((اللفتواف)) ضاربا بذلك معاهدة فرساي عرض الحائط علنا .

وقدكان في استطاعة كل من بريطانيا وفرنسا وقتئذ ، ان يسحقا محاولات ((هتلر)) وحزبه النازي ، في اعادة التسلح لشن حرب عالمية جديدة ، لولا ان قادة البلدين حينئذ كانوا يأملون في دفع المانيا النازية في حرب ضد الاتحاد السوفيتي للقضاء على نظامه الاشتراكي الوليد ، الذي كان يمثل لهم جرثومة شديدة الخطورة على العالم الذي تسيطر عليه الراسمالية الامبريالية حينئذ سيطرة كاملة . وقد كان هتلر يدرك هذه الامنية الدفينة في نفس هؤلاء القادة السياسيين الاستعماريين ، ولذلك كان دائب الدق على هذا الوتر الحساس

لديهم ، وأخذ يعلن فى كل مناسبة ، ان النازية فى المانيا هى الحصن المنيع ضد الشيوعية فى اوربا . وتحت هذا الستار المزيف مضى مسرعا فى بنـاء قوة جوية جبـارة تعـاونه بسرعة على كسب الحرب التى كان يريدها للسـيطرة على اوروبا واعادة تقسيم المستعمرات والاسواق العالمية ، تلك المستعمرات والاسـواق التى حرمت منها الرأسمالية الالمانية على اثر هزيمتها فى الحـرب العالمية الاولى . وفى مارس عام ١٩٣٥ ، اعلن هتلر للسير « جون سيمون » ، وزير خارجيـة بريطانيا وقتئذ ، ان المانيا قد حققت التسـاوى بالفعل فى القوة الجوية مع بريطانيا ، وانها تنوى الاسـتمرار فى تقوية سـلاحها الجوى ، بحيث يصبح مساويا لسلاحى كل من بريطانيا وفرنسا معا . وقد ادلى هتلر بانذاره هذا ضمن حـربه النفسية التى كان قـد بدأ شـنها على الدولتين تمهيدا للحصول على موافقتهما على ضم النمسا الى الرايخ الثالث ، دون اثارة اعتراضات من جانبهما قد تؤدى الى صدام مسلح معهما ، لم يكن هو فى حقيقة الامر على استعداد له .

وقد ترتب على هذا الانذار ان اتخذت الحكومة البريطانية بعض الاجراءات الاحتيـاطية لزيادة فاعلية وسائل الدفاع الجوى فى بريطانيا ، كان اهمها انشاء قيادة خاصة بالمقاتلات عام ١٩٣٦ ، وتعيين ماريشال الجو السـير « هف داودنج » قائدا عاما لها . ويمكن لنا ان نجمل ابرز هـذه الاجراءات التى ادت الى تطوير وسـائل الدفاع الجوى البريطانية ، فى السنوات التى سبقت قيام الحرب العـالمية الثانية مبـاشرة ، فى النقـاط التالية :

انشاء قيادة المقاتلات

لقد كان اختيـار وزارة الطيران البريطـانى « **لداودنج** » قائدا عاما لقيادة المقاتلات ، اختيارا موفقا للغـاية ، فقـد توافرت لديه الخبـرات والصفات اللازمة والمناسـبة لمثل هـذا المركز القيادى . فقد سبق له ان قاد جناحا كاملا من المقاتلات خلال الحرب العالمية الاولى فى فرنسـا عام ١٩١٦، ثم شغل بعد ذلك مركز مدير التدريب فى وزارة الطيران ، ثم تولى قيادة دفاعات الطيران عن منطقة لندن . وفى عام ١٩٣٠ ، اصبح العضو الجوى المسئول عن البحوث التكنولوجية المتعلقة بالطيران ، واستطاع من خلال هذا المركز ان يوجه التقدم الفنى للسلاح الجوى البريطانى بكفـاءة وبعد نظر ، ولذلك تم اثناء هذه الفترة من توليه هذه الوظيفة ، صنع وتطوير الكثير من الاسـلحة والمعدات الفنية اللازمة لشبكة الدفاع الجوى ، التى كان عليه ان ينظمها بعد ذلك ، حين اصبح قائدا عاما لقيادة المقاتلات عام ١٩٣٦ .

ولقد كان «داودنج» يدرك جيدا انه فى المراحل الاولى لاى صدام مقبل مع المانيـا ، سـيكون السلاح الجوى البريطانى اقل فى العدد بدرجـة كبيرة من « اللفتواف » ـ وذلك نظرا للسياسة المترددة المتهادنة التى كانت تتخذها الحـكومة تجاه المانيا النازية وقتئذ ـ وانه سيضطر نتيجة لهذا ان يتخذ موقف الدفاع اساسا .

وبناء على هذا التقدير الواقعى بعيد النظر ، اخذ داودنج يعمل على تعويض هذا النقص عن طريق التركيز على تحسين نوعية طائراته المقاتلة وخاصة من حيث قوة النيران والقدرة الواسـعة على المناورة . وقد كان فى عام ١٩٣٤ ـ اثنـاء شـغله وظيفة العضـو الجوى فى ادارة بحوث الطيران ـ قد طلب من رئاسة القوات الجـوية صنع مقاتلة جديدة تفوق اقصى سرعتها ثلاثمائة ميل فى السـاعة ، ومسلحة بثمانية مدافع رشاشة فى جناحيها .

وكانت نتيجة هذا الطلب الذى صممت عليـه رئاسة القوات الجوية ، ان بدأ انتاج النمـاذج الاولى من طائرات الهـاريكين والسبتفير خـلال نفس العام . ولكن رئاسة القوات الجوية كانت متنبهة ايضا الى ان الاستفادة الحقيقية الفعالة من مثل هذه المقاتلات لن تتحقق مالم تسـتخدم بطريقة علمية فى المكان والزمان الصـحيحين . وبذلك اصبح الانذار المبكر والسـيطرة المركزية المنظمة على وسائل الدفاع ، هما مفتاح الدفاع الجوى عن بريطانيـا ، خاصـة وانه كان من الواضـح لقيـادة المقاتلات فى ظل نقص عـدد الطائرات الحديثة المتاحة لها ، استحالة توفير دوريات جوية دائمة فوق جميع المناطق المهددة .

تطوير بحوث الرادار

لقد جاء الحل المطلوب لمشكلة الانذار المبكر بالنسبة لقيادة المقاتلات فى بريطانيا ، من معمل الطبيعيات القومى ، حيث كان العالم الاسكتلندى « روبرت واطسون وات » ، يجرى تجـاربه فى استخدام موجات اللاسـلكى لايجـاد الاتجـاه والمسـافة لامـكان مسـابقة حركة العواصف الرعدية . وقد قام بصنع جهاز رادار بدائى أجرى به تجربة فى فبراير عام ١٩٣٥ ، تمكن فى خلالها من الكشف عن طائرة تبعد ثمانيـة اميـال عن الجهاز .

وعلى اثر ذلك قرر مجلس الطيران بسرعة فى

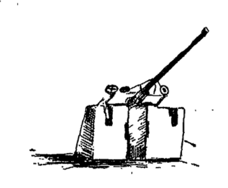
التقدير وبعد النظر ، ان يعهد الى « واطسون وات » بأمر مواصلة بحوث الرادار ، ومده بكل المعونات والاموال اللازمة . وتم فعلا تطوير الرادار البدائي الذى استخدم فى فبراير ١٩٣٥ ، بحيث اصبح فى خريف نفس العام قادرا على التقاط الطائرات من مسافة حوالى ٥٠ ميلا . وفى مارس ١٩٣٦ ، اصبح الرادار الانجليزى يستطيع ان يكتشف الطائرات من على مسافة ٧٥ ميلا ، كما اصبح من الممكن له بواسطة العين السحرية التى زود بها ، تحديد اتجاه الطائرات المقتربة وارتفاعها التقريبى . وهكذا حلت مشكلة الانذار المبكر اللازم لاعتراض الطائرات المغيرة ، وهى على مبعدة خمسين ميلا على الاقل ، من شاطىء الجزيرة البريطانية ، قبل ان تلقى قنابلها عليها ، لانه حتى عام ١٩٣٥ ، كانت الوسائل الوحيدة الميسورة للانذار الجوى هى المناظير التلسكوبية او مكتشفات الصوت التى اخترعت خلال الحرب العالمية الاولى ، والتى لم يكن مداها يزيد عن ١٦ ميلا فى احسن الاحوال . وعلى الفور بدأ العمل فى بناء عدة محطات للرادار بعيد المدى تغطى الشواطىء الجنوبية والشرقية للجزيرة البريطانية .. وبدء فى تصميم جهاز رادار تكتيكى للعمل مع المدفعية المضادة للطائرات بشكل مباشر . وقد انتج فعلا جهاز من هذا القبيل كان يمكنه اعطاء معلومات دقيقة عن الطائرة وهى على بعد حوالى ٣٠ ميلا ، ومعلومات تقريبية عن الزاوية والاتجاه . وقد سمى هذا الجهاز « نمرة ١ ماركة ١ » ، وزودت به وحدات المدفعية المضادة للطائرات قبل نشوب الحرب بفترة طويلة نسبيا .

ولكن قيادة المقاتلات كانت لا تزال فى حاجة الى وسيلة تميز بها على شاشة الرادار بين الطائرات المعادية والصديقة ، والى وسيلة لارشاد طائراتها والسيطرة عليها اثناء الطيران حتى يمكن توجيهها بدقة نحو الطائرات المغيرة .

ومرة اخرى قدم العلماء الحل لهذه المشكلة ، واخترعوا صماما الكترونيا زودت به الطائرات عرف باسم « بيب سكويك » ، كان يرسل موجات تبلغ آليا عن موقع الطائرة الصديقة الى محطة الرقابة على الارض ، وتمكنها من تمييزها عن الطائرات المعادية . كما اخترعوا ايضا جهازا لاسلكيا ذا ذبذبة عالية للغاية كان يوفر اتصالا واضحا ومباشرا بالكلام العادى بين الطيار المقاتل فى طائرته والمراقب فى المحطات الارضية . وتحت توجيه داودنج ، تم ادماج كل هذه المخترعات وغيرها من المبتكرات والتحسينات مع شبكة اتصال واسعة استكملت تماما فيما بعد فى يوليو عام ١٩٤٠ ، بغرف سيطرة وعمليات ونقط ملاحظة ارضية .

وبذلك توفر لقيادة المقاتلات شبكة دفاع جوى منظمة تنظيما علميا يفوق ما كان لدى المانيا فى بداية الحرب حتى عام ١٩٤١ تقريبا . وقد ادخلت على هذه الشبكة بعض التحسينات بعد ذلك فى السنة الاولى من الحرب ، ولكن الجهاز الضرورى كان قد وجد قبل الحرب فعلا . وفى نفس الوقت كانت بحوث الرادار تجرى فى الدول الاخرى منذ بداية الثلاثينات تقريبا . ففى الولايات المتحدة الامريكية كتب الدكتور « ألبرت هوييت تايلور » — عالم الطبيعة والكهرباء المنضم الى معمل بحوث البحرية الامريكية — تقريرا يشير فيه الى اهمية معنى ارتداد موجات الراديو على اجسام متحركة ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩٣٠ ، واهتمت البحرية بهذا التقرير ، وبتلك الملاحظات العلمية ، انشأت فى يناير عام ١٩٣١ مشروعا فى قسم الراديو التابع لمكتب الهندسة بغرض انتاج جهاز يستخدم الراديو لكشف وجود سفن وطائرات العدو . ولكن العمل فى هذه البحوث سار ببطء شديد ، الى ان دخل سلاح الاشارة بمعامل بحوثه هو الاخر ، فأمكن اختبار اول جهاز رادار خارج المعمل فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٦ ، كما جربت البحرية جهاز رادار آخر فوق أحد سفنها واثبت نجاحا اوليا لا بأس به .

واستمرت المنافسة بعد ذلك بين سلاحى الاشارة والبحرية ، فقام سلاح الاشارة بتجربة جهاز جديد فى فبراير عام ١٩٣٧ ، من النوع الذى يمكن ان يستخدم مع المدفعية المضادة للطائرات لقيادة النيران ، ولكن مداه لم يكن يزيد عن ٢٣ ميلا فقط ، وقد سمى الجهاز برقم « ٢٦٨ » . ثم انتج الجهاز رقم « ٢٧٠ » و « ٢٧١ » ، بناء على طلب القوات الجوية للانذار والتتبع البعيد المدى ، فى نوفمبر عام ١٩٣٩ ، وبلغ مدى هذه الاجهزة ١٠٠ ميل ، وكان الجهاز « ٢٧١ » من النوع الثابت ، والجهاز « ٢٧٠ » من النوع المتحرك ، ولكن كان الاثنان متماثلين فى القدرات الفنية . وقد



● مدفع م/ط خفيف عيار ٤٠ م انجليزى الطراز ●

صدرت الاوامر ببناء هذه الاجهزة على نطاق واسع خلال عام ١٩٤٠ ، وبذلك توفر للولايات المتحدة فى ذلك العام اول اجهزة رادار بعيدة المدى .

وقبل نهاية عام ١٩٤٠ ، اتفقت الحكومتان البريطانية والامريكية على تبادل المعلومات الحربية ، واجراء بحوث مشتركة للرادار ، واتفق على ان تركز امريكا جهودها على نوعين من الاجهزة ، الاول خاص بطائرات القتال الليلى ، والثانى خاص بقيادة نيران المدفعية المضادة . ولما كانت بحوث الرادار الانجليزية اكثر تقدما من اية دولة اخرى فى ذلك الوقت ، فقد استفاد العلماء الامريكيون كثيرا من هذا التعاون ، خاصة بعد اطلاعهم على صمام الارسال الالكترونى الجديد ، الذى صنعه العلماء الانجليز ، وعرف باسم « الماجنيترون » . اما فى المانيا فقد انتج اول جهاز رادار خلال عام ١٩٣٨ ، وكان مداه لا يزيد عن ١٥ كيلو مترا ، ولا يعطى من معلومات سوى المسافة فقط . ثم انتج فى صيف ١٩٤٠ ، جهاز آخر بلغ مداه ٤٠ كيلو مترا ، واستخدم للانذار التكتيكى وادارة نيران المدفعية المضادة للطائرات ، ولكنه لم يكن له القدرة الدقيقة على اعطاء الاتجاه والزاوية .

وعموما فان بحوث الرادار الالمانية قبل الحرب ، بل وخلال المراحل الاولى منها ، كانت بدائية النتائج بالنسبة للبحوث الانجليزية . ولم تصل اجهزة الرادار الالمانية الى مستوى جيد فى الاداء ، الا منذ اواخر عام ١٩٤١ ، وبداية عام ١٩٤٢ ، ولذلك اتجهت كثير من البحوث الالمانية الى ابتكار الوسائل المضادة للرادارات المعادية والتشويش عليها ، على النحو الذى سنتناوله تفصيلا فيما بعد . اما فى الاتحاد السوفيتى ، فقد توصل المهندس « اوشسيبسكوف » ، الى نظرية استخدام موجات الراديو فى اكتشاف الطائرات ، فى اوائل الثلاثينات ، وتمت تجربة اول جهاز رادار فعلا خلال عام ١٩٣٤ ، بواسطة معهد لينينجراد لعلوم الكهرباء . وفى عام ١٩٣٩ ، خرج الرادار السوفيتى الى حيز الانتاج حين انتج جهاز عرف باسم « ر . ى . س - ٢ » ، وقد تم تزويد وحدات الدفاع الجوى بهذا الجهاز خلال عام ١٩٤١ . وقد اثبت كفاءة فى العمل بعد ذلك ، حين استخدم اثناء الحرب فى اكتشاف الطائرات المعادية ، وتوجيه المقاتلات المعترضة .

فاعلية الرادار فى الدفاع الجوى

لقد تبينت لنا مدى الاهمية التى اكتسبها الرادار فى بحوث علماء مختلف الدول قبل الحرب العالمية الثانية . وبقى لنا ان نعرف فى ايجاز كيف يعمل الرادار ، ومدى فاعليته فى الدفاع الجوى ؟ . الرادار جهاز يعطى تسجيلات ضوئية مبكرة عن مدى واتجاه الطائرات او السفن او اى جسم معدنى متحرك او ثابت بالنسبة للمحل الموجود به هذا الجهاز ، عن طريق ارسال شعاع لاسلكى واحد يتكون من عدة نبضات قوية تستغرق جزءا ضئيلا من الثانية ، تشع فى الهواء من خلال هوائى (ايريال) ، مثبت فوق المحطة يدور ليغطى الفضاء المحيط بها من كل الجهات ، ويدور هذا الشعاع مع دوران الهوائى ليصطدم بأى جسم معدنى يعترض طريقه ويرتد ثانية لتستقبله اجهزة الاستقبال الموجودة بنفس الجهاز المرسل . وتحدد المسافة بين الجهاز والهدف عن طريق قسمة الزمن الذى استغرقته النبضة ما بين الارسال والاستقبال على اثنين وضرب الناتج فى سرعة انتشار الموجات اللاسلكية . كما يعرف اتجاه الهدف بواسطة معرفة الزاوية التى كان عليها الشعاع عند اصطدامه بالهدف . ويظهر كل هذا على لوحة مغطاة بمادة خاصة مقسمة الى ابعاد وزوايا مناسبة تظهر عليها الاشعة كنقط مضيئة تكفى العين المجردة لتتبعها ومعرفة البعد والزاوية الموجود بها الهدف .

ولكن الظواهر الارضية المجاورة ، والتى تنشأ عن اصطدام الموجة اللاسلكية بالاراضى المرتفعة او الاجسام الثابتة ، ذات الخواص المعدنية ، تظهر على لوحة الرادار كنقط ضوئية مثلها مثل الاهداف المراد اكتشافها ، ويستطيع عامل الرادار المدرب ان يميز بين هذه الاهداف الكاذبة وبين الاهداف الحقيقية ، هذا لان الاهداف الحقيقية تبدو على هيئة نقط تختلف فى عددها وقوة اضاءتها عن الاهداف الكاذبة ، كما ان الاهداف الكاذبة تظهر كرقعة ضوئية ثابتة لا تتغير ابعادها بالنسبة للجهاز .

والعقبة الحقيقية التى يصعب التغلب عليها هى ظهور الطائرات وسط الاهداف الكاذبة فى حالة الطيران المنخفض ، اذ تتغلب الانعكاسات الناتجة عن الاهداف الكاذبة على الانعكاسات الناشئة عن الطائرات ويتعذر التعرف عليها . وقد امكن التغلب على هذه المشكلة الى حد ما بانشاء محطات الرادار على اراض مرتفعة ، ثم خفضت زاوية دوران الهوائى حتى تتمكن من اكتشاف الطائرات التى تظهر على ارتفاع منخفض بقدر الامكان ، وكان هذا سببا مباشرا فى ان محطات الرادار كانت تبدو هدفا واضحا للطائرات الالمانية المغيرة فى صيف عام ١٩٤٠ ، خلال معركة بريطانيا .

ولذلك كانت محطات الرادار المنشأة على الساحل الانجليزى ، هى اكثر المحطات فاعلية فى

الكشف عن الطائرات ، نظرا لخلو البحر من الاهداف الكاذبة الثابتة .

هذا وتبنى محطات الرادار على هيئة سلسلة تغطى اكبر تغطية ممكنة للمنطقة فى جميع الاتجاهات والارتفاعات لتعقب سير الاهداف والتبليغ المستمر عنها الى غرفة التصفية الخاصة بالمعلومات ، حيث يستخلص منها خط سير الطائرات المغيرة ، ثم تحول الى جميع غرف العمليات الموجودة بالقطاع مضافا اليها التفاصيل الوافية عن قوة الغارة ، وعما يميز الطائرات الصديقة من طائرات العدو .

ويختلف مدى عمل جهاز الرادار حسب نوعه ، وما اذا كان جهازا بعيد المدى او جهازا تكتيكيا . وقد كان مدى الاجهزة بعيدة المدى فى بداية الحرب العالمية الثانية يتراوح بين خمسة وسبعين ومائة وعشرة اميال ، ثم تطور مداها خلال الحرب الى ان اصبح حوالى ٢٠٠ ميل تقريبا ، بينما بلغ مدى الاجهزة التكتيكية التى كانت تعمل من مواقع المدفعية المضادة حوالى ٤٠ ميلا خلال الحرب العالمية الثانية ، وذلك مثل الرادار الامريكى « نمرة ٣ ماركة ٥ » ، الذى ظهر خلال عام ١٩٤٣ (١) .

ابرز تطورات الدفاع الجوى

خلال الحرب العالمية الثانية

لقد اثبتت المرحلة الاولى من الحرب ، التى استغرقتها الحملات الالمانية الخاطفة على كل من بولندا والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا ، مدى خطورة وتطور اسلحة الهجوم الجوى وفاعليتها فى حسم نتائج الحرب البرية . كما اثبتت اجهزة الرادار وشبكة الدفاع الجوى الحديثة كفاءة ممتازة خلال معركة بريطانيا الجوية فى صيف ١٩٤٠ . وعلى ضوء هذه التجارب العملية بدأ كلا الطرفين المتحاربين سلسلة متبادلة التأثير من التطوير المستمر لوسائل الهجوم والدفاع الجوى ، استمرت حتى نهاية الحرب تقريبا . وسنتناول فى النقاط التالية ابرز التطورات التى لحقت وسائل الدفاع الجوى بالذات ، والخبرات والنتائج التى ترتبت عليها .

المقاتلات الليلية

بعد فشل جورنج ، فى هجومه النهارى الضخم الذى بدأه يوم ١٢ اغسطس عام ١٩٤٠ ، وانهاه يوم ٣٠ سبتمبر التالى ، على اثر تكبده خسائر شديدة فوق لندن وباقى الجزيرة البريطانية ، بلغت ١١١٢ طائرة مقابل تدمير ٥٤٩ مقاتلة بريطانية فقط خلال هذه الفترة . تحول الطيران الالمانى الى الغارات الليلية حتى يتجنب الاشتباك النهارى العنيف مع المقاتلات البريطانية ، وشن فعلا حوالى ٢٠٠ غارة ليلية على لندن وحدها فى الشهور المتبقية من عام ١٩٤٠ ، وسلسلة اخرى من الغارات الليلية ايضا استمرت عنيفة حتى صيف ١٩٤١ .

ونتيجة لذلك قامت قيادة المقاتلات البريطانية بتطوير اساليب القتال الجوى الليلى ، وبدأت ذلك باستخدام اجهزة الرادار الموجودة على الارض فى توجيه المقاتلات عن طريق التليفون اللاسلكى ، نحو القاذفات المغيرة ، من خلال متابعة حركة كلا من الطائرات المدافعة والمغيرة على شاشة الرادار . وقد تم الغاء هذه المناورة البالغة الصعوبة بمجرد اختراع الرادار المحمول فى الطائرات المقاتلة ، ذلك الرادار الذى امكن صنعه بعد التوصل الى اختراع « الماجنيترون » ، لان الموجات الدقيقة التى ينتجها يمكن اشعاعها ثم التقاطها بجهاز هوائى — ايريال — صغير ، يقل فى الحجم كثيرا عن الهوائيات التى تحتاجها الاجهزة التى تستعمل الموجات الاكثر طولا . وبذلك امكن انتاج اجهزة رادار ذات حجم مضغوط وفاعلية كبيرة تصلح للاستخدام داخل الطائرات المقاتلة ، ويستطيع تحديد موقع طائرة العدو على بعد عدة اميال . هذا وقد توصل العلماء الانجليز الى اختراع هذا الصمام خلال عام ١٩٤٠ ، وهو يعتبر اعظم تطوير تم للرادار خلال الحرب العالمية الثانية .

وبعد التوصل الى ذلك التطوير ، اصبحت محطات الرادار الارضية توجه الطيار المقاتل ليلا الى هدفه ، بحيث تصبح الطائره المعادية داخل مجال عمل رادار الطائرة المقاتلة ، ثم يأمر القائم بتشغيل الرادار الارضى الطيار بأن يرجع الى الرادار الموجود لديه ، وعند ذلك تظهر الطائرة المعادية على شاشة الرادار الموجود بالمقاتلة وتبدأ المعركة .

وما زال هذا الاسلوب فى التوجيه بالرادار

---

(١) المعلومات المختلفة الواردة عن الرادار فى هذا المقال مستمدة من كتب « الصراع من اجل اوربا » و « الرادار » تاليف الرائد احمد كامل ، و « الرادار وغيره من المخترعات الالكترونية » تاليف فرانك روس ، ومن المجلة العسكرية السوفيتية العدد ٨ سنة ١٩٦٧ ، ومن اعداد مختلفة من مجلة المدفعية المصرية .

معمولا به للدفاع الليلى ضد الطائرات المغيرة حتى الان ، ولو انه قد جرى على هذا التوجيه تحسينات كبيرة ، نظرا للتطورات المستمرة فى الاجهزة الالكترونية .

وقد استخدمت الرادارات المحمولة فى الطائرات بعد ذلك ، خصوصا فى عام ١٩٤٣ ، فى الهجوم على الغواصات الالمانية اثناء معركة الاطلنطى واثبتت فاعلية ممتازة .

المدفعية المضادة للطائرات

ركزت الدول الكبرى قبل الحرب العالمية الثانية على تطوير انواع المدافع المضادة للطائرات ، التى انتجت من قبل خلال الحرب العالمية الاولى ، والتى لم يكن مداها المؤثر يزيد عن عشرة آلاف قدم . بينما اصبحت الطائرات الحديثة تستطيع ان تطير على ارتفاعات تزيد عن عشرين الف قدم وثلاثين الف قدم فى الجو . كما ان سرعة الطائرات قد زادت من حوالى ١٢٠ ميلا فى نهاية الحرب الاولى الى حوالى ٣٠٠ ميل عند بداية الحرب الثانية ، وبالتالى تطلب هذا التطور فى السرعة والارتفاع ، تجهيز المدافع المضادة للطائرات بمعدات حديثة فى التصويب وحساب طرق الضرب السريع المتناسب مع سرعة الطائرات .

وقد دخلت بريطانيا الحرب وجيشها مجهز بمدفع خفيف مضاد للطائرات من عيار « ٤٠ مم » للعمل ضد الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ، كان يستطيع ان يصل بضربه المؤثر الى مدى ستة آلاف قدم فى الجو ، ويمكنه ان يطلق حوالى ١٨ طلقة فى الدقيقة ، متى كان الطاقم الذى يعمل عليه جيد التدريب ، ولذلك كان يستطيع ان يوفر غلالة نيران مؤثرة ضد الطائرات المغيرة ، متى استخدم فى تشكيلات تضم اربعة او ستة او تسعة مدافع فى كل موقع .

كما كان جيشها مجهزا بمدفعين ثقيلين مضادين للطائرات ، احدهما من عيار « ٧٥ مم » ، كان يستطيع ان يصل فى ضربه المؤثر الى مدى عشرين الف قدم فى الجو ، والاخر من عيار «٣ر٧ بوصة» اى حوالى « ٩٢ مم » ، الذى كان مداه المؤثر يصل الى ٣٢ الف قدم ، ولذلك كان مخصصا للاشتباك مع القاذفات التى تطير على ارتفاعات عالية .

أما المانيا فقد جهزت جيشها بمدفعين خفيفين من عيار « ٢٠ مم » وعيار « ٣٧ مم » ، الذى يتشابه مع المدفع ٤٠ مم فى الاداء ، وبمدفع ثقيل من عيار « ٨٨ مم » ، كان يستطيع ان يعمل ضد الطائرات او الدبابات ، واشتهر بذلك خلال معارك الصحراء .

أما الجيش السوفيتى ، فقد جهز قبل الحرب



● صاروخ م / ط سوفييتى من طراز جايدلاين ●

بمدفعين خفيفين من عيار « ٣٧ مم » وعيار « ٤٥ مم » ، وبمدفع ثقيل عيار « ٧٦ مم » ، ثم زود خلال الحرب بالمدفع الثقيل عيار « ٨٥ مم » الذى كان مداه يصل الى حوالى ٢٥ الف قدم فى الجو .

وقد زودت وحدات المدفعية المضادة للطائرات فى جيوش مختلف الدول بأجهزة رادار تكتيكية ، واجهزة رادار ادارة النيران . واجهزة بريدكتور الحاسبة لحركة الطائرات المستقبلة من حيث معدل التغيير فى الزوايا والمحل الذى ستكون فيه . كما تحسنت وتطورت ذخيرة هذه المدافع وادخل عليها الرادار تطويرا جديدا عرف باسم « طابة الرادار » او الطابة المغناطيسية . وسوف نتناول كل من هذه التطورات فى النقاط التالية بايجاز ، ثم نوضح اثر هذه التطويرات على دور المدفعية م / ط فى الدفاع الجوى خلال الحرب .

أ ــ الرادار التكتيكى : وهو جهاز متحرك ، ويركب عادة فى مقطورة او سيارة كبيرة ، سهل التشغيل والاصلاح والصيانة ، مهمته الكشف عن الطائرات من مسافة بعيدة نسبيا فى القطاع الدفاعى المخصص له ، ويتلقى المعلومات الاولية عن الطائرات المقتربة من محطات الرادار الثابتة بعيدة المدى ، ثم يتولى تتبعها داخل قطاعه وتوجيه رادار ادارة النيران الذى يوجد فى كل موقع مدفعية نحو الهدف المنتخب المقترب .

وقد استخدم الجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية ، عدة انواع من هذه الاجهزة ، كان اولها الجهاز « نمرة ١ ماركة ١ » ، خلال عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ثم استخدم الجهاز « نمرة ١ ماركة ٢ » ، خلال عام ١٩٤١ ، وجهاز « نمرة ٤ ماركة ١ » فى عام ١٩٤٢ ، « ونمرة ٤ ماركة ٣ » خلال عام ١٩٤٣ » ، « ونمرة ٤ ماركة ٦ » فى عام ١٩٤٥ . والجدول التالى المقارن ، يوضح مدى فاعلية وتطور كل نوع من هذه الاجهزة .

نوع الجهاز	نمرة ١ ماركة ١	نمرة ١ ماركة ٢	نمرة ٤ ماركة ١	نمرة ٤ ماركة ٣	نمرة ٤ ماركة ٦
مداه بالباردات	٥٥ ألف ياردة	٥٥ ألف ياردة	———	٧٠ ألف ياردة	١٢٠ ألف ياردة
القدرةبالكيلووات	١٥٠	١٥٠	١٢٠	٨٠	٦٠٠
طــول الموجــة	٥ امتار	٥ امتار	١٠ سم	١٫٥ متر	١٠ سم

« هذا الجدول مستمد من كتاب « الرادار » الذى اصدرته مطبوعات مجلة المدفعية صفحة ٢١٨ ، تأليف الرائد « احمد كامل » ويلاحظ ان الجهازين ماركة ١ ، ٢ من رقمى ١ متشابهين فى الصفات ، الا ان ماركة ٢ كان يتميز بتجهيزه بوسيلة لبيان الزاوية والاتجاه . كما استخدم الجيش الالمانى عدة انواع من هذه الاجهزة التكتيكية كان اشهرها فى عام ١٩٤٠ الجهاز رقم « ٤٠ » ، الذى كان مداه يصل الى حوالى ٤٠ كيلو مترا ، وفى عام ١٩٤٣ ، استخدموا الجهاز رقم « ٧٥ » ، الذى كان مداه يتراوح بين ٥٠ ، ٧٠ كيلو مترا . اما الجيش الامريكى فقد انتج عدة اجهزة تكتيكية خلال الحرب ، كان اهمها واشهرها الجهاز رقم «٥٨٤» ، الذى عرف فى الجيش البريطانى باسم « نمرة ٣ ماركة ٥ » ، وقد انتج خلال عام ١٩٤٣ ، واستخدم فيه الاختراع الانجليزى الممتاز الجديد « الماجنيترون » كصمام ارسال . وقد جمع هذا الجهاز بين عمليتى الانذار المبكر وادارة النيران ، وكان يركب على مقطورة واخذة سهلة التنقل ، وكان يمكن لهذا الجهاز ان يلتقط الطائرة من مسافة حوالى ٧٠ الف ياردة ، ثم يتتبعها آليا بواسطة محركات كهربائية صغيرة تسمى باجهزة المسيرة ، تحافظ على مواجهة الهوائى للهدف المتحرك فى الجو . وبعد ذلك تنقل الاشارات التى يلتقطها الهوائى الى حاسب الكترونى يحدد الموقع الجديد الذى سوف تصل اليه الطائرة ، ويدير فى نفس الوقت اجهزة اخرى تجعل المدافع المتصلة بالجهاز ، مصوبة دائما نحو الهدف .

وقد بلغت حساسية هذا الجهاز درجة عالية من الدقة ، بحيث كان يمكن له ان يبين اتجاه طلقات المدافع أثناء سيرها فى الجو نحو الهدف . ولهذا فقد سجلت وحدات المدفعية المضادة للطائرات التى عاونها هذا الجهاز ارقاما قياسية فى احكام الاصابة بأقل ذخيرة ممكنة ، وخاصة ضد القنابل الطائرة « ف ــ ١ » والصواريخ الموجهة « ف ــ ٢ » ، التى اطلقها الالمان على لندن عام ١٩٤٤ .

ب ــ رادار ادارة النيران : يستخدم هذا النوع من اجهزة الرادار فى مواقع دفاعات المدفعية المضادة للطائرات نفسها ، لامداد البريدكتور بالمعلومات الخاصة بالمحل الحالى للطائرة المقرر الاشتباك معها ، من جهاز القيادة التكتيكى ، وهو يمكنه تتبع الهدف آليا كما سبق ان اوضحنا عند شرحنا لخصائص الجهاز الامريكى رقم ٥٨٤ ، الذى جمع بين وظيفتى الانذار المبكر وتوجيه النيران . وقد انتجت انواع مختلفة من اجهزة ادارة النيران هذه فى بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة ، خصص بعضها للعمل مع المدافع م/ط الثقيلة ، والبعض الاخر للعمل مع المدافع م/ط الخفيفة ، كانت لها مميزات خاصة من حيث السرعة فى التقاط الاهداف من مسافات قريبة وتتبعها بسرعة . كما استخدمت اجهزة ادارة النيران بعد ادخال مواصفات خاصة عليها ، فى توجيه نيران المدافع والهاونات ونيران مدافع الاسطول والمدافع الساحلية ، واثبتت كفاءة ودقة كبيرة فى العمل .

جـ ــ البريدكتور : وهو جهاز حاسب للعمل المباشر مع المدافع م / ط ، يحمل على مقطورة او لورى . ويقوم بناء على المعلومات التى يتلقاها من رادار توجيه النيران بقياس معدل التغيير فى الزوايا ، ويحدد النقطة التى ستكون عندها الطائرة عند اطلاق النار عليها ، ثم يرسل معلوماته هذه الى المدافع كهربائيا ، وهذه المدافع تتبع الطائرة آليا بعد ذلك . ويعاونه فى عمله هذا موتور كهربائى محمل متصل به . ولقد تطورت البريدكتورات خلال الحرب ، بحيث اصبحت تتم عملية حسابها الكترونيا . وقد انتجت منها انواع مختلفة للعمل مع المدافع م / ط الثقيلة ، مثل البريدكتور الانجليزى نمرة « ٧ ماركة ١ » ، وانواع اخرى للعمل مع المدافع م / ط الخفيفة ٤٠ مم ، مثل البريدكتور نمرة « ٧ ماركة ٢ » .

د ــ طابة الرادار : ادخل الرادار قرب نهاية الحرب العالمية الثانية فى صنع ذخيرة المدافع المضادة للطائرات ، وذلك عن طريق وضع جهاز رادار صغير الحجم جدا ، مكون من مرسل ومستقبل وبطارية غير عاملة مؤقتا ، يسمى بطابة الرادار ، فى مقدمة القذيفة . يبدأ عمله عندما تضرب الطلقة المركب عليها هذه الطابة بالمدفع م / ط ، وذلك بواسطة كسر غطاء البطارية نتيجة دوران القذيفة داخل ماسورة المدفع فى اتجاه معاكس لتصميم غطاء البطارية ، فيتفاعل سائل البطارية ويتولد التيار اللازم للقوة المحركة لجهازى المرسل والمستقبل . وبذلك يبدأ المرسل

فى اشعاع موجات فى جميع الاتجاهات على محور خط مسير القذيفة ، ويبدأ المستقبل فى استقبال بعض ما انعكس اليه هذه الموجات من طائرة او اى هدف آخر فى الجو ، حتى اذا ما قربت المسافة بين جهاز طابة الرادار ، وبين الهدف الى اقل من ١٠٠ قدم ، وغالبا الى دائرة مدى نصف قطرها ٣٥ قدما ، يحدث الاشعال بواسطة انبوبة الكترونية خاصة تسمى « تيرترون » ، تعمل كمفتاح يحدث هذا الاشتعال ، ويتم انفجار القذيفة فى الجو بالقرب من الهدف . وليس من الضرورى ان تصطدم القذيفة مباشرة بالهدف حتى يسقط ، وانما يكفى رذاذ قطع الشظايا المتطايرة منها لاسقاطه عادة .

وبهذه الطابات الحديثة امكن تصحيح الخطأ الناتج من عدم دقة الاجهزة والمدافع والافراد فى المدافع المضادة للطائرات . وقد اثبتت هذه الطابات كفاءة عالية فى اسقاط القنابل الطائرة « ف — ١ » والصواريخ الموجهة « ف — ٢ » التى تقصف بها الالمان مدينة لندن وغيرها من المدن الانجليزية خلال عام ١٩٤٤ (٢) .

و — زيادة فاعلية المدفعية م / ط : كان من نتائج التطويرات فى وسائل الانذار المبكر وتوجيه النيران بطريقة آلية ، ان ازدادت فاعلية المدفعية المضادة للطائرات فى الدفاع الجوى ، سواء فى القواعد الخلفية او فوق جبهات القتال نفسها .

فلقد اتاحت الوسائل العلمية هذه ، الفرصة لاستخدام المدفعية م / ط استخداما سليما من حيث الحشد والعمل الجماعى المنسق بدقة كبيرة ، بدلا من الاساليب الفردية البدائية التى كان يجرى العمل بها من قبل خلال الحرب العالمية الاولى . حقا لقد عرفت المدفعية المضادة للطائرات اسلوب الضرب الجماعى المعروف باسم «غلالة النيران» ، خلال الغارات الليلية التى قامت بها القاذفات الالمانية على لندن وبقية مدن انجلترا فى خريف عام ١٩١٧ ، وخلال النصف الاول من عام ١٩١٨ . الا انه كان لا يزال فى صورته الاولية ، ويؤدى الى استهلاك كميات كبيرة من الذخيرة ، نظرا لعدم توفر اجهزة علمية لقياس المسافة والارتفاع والاتجاه .. الخ .

وبعد توافر هذه الاجهزة خلال الحرب العالمية الثانية ، تطور اسلوب الضرب بغلالات النيران — اى اطلاق نيران مركزة فى قطاع معين من الجو تهدد باختراق الطائرات المغيرة ، بحيث تصبح هذه النيران اشبه بسياج من النار المشتعلة يستحيل اختراقه — بحيث اصبحت بطاريات المدفعية تطلق نيرانها بمقتضى خطة موحدة منظمة تبلغها بها غرف العمليات عن طريق التليفون او اللاسلكى ، وتبنى غرف العمليات خطتها بناء على معلومات الرادار بنوعيه بعيد المدى والتكتيكى ، ثم تنفذها عن طريق اجهزة رادار توجيه النيران والبريدكتورات المعاونة لها .

هذا وقد اتبعت المدفعية م / ط اسلوبين اساسيين فى ضرب الغلالات ، الاول هو اسلوب « غلالة المنطقة الدائرية » ، وهى غلالة هجومية تفتحها المدافع على خطوط اقتراب الطائرات التى حددتها من قبل اجهزة الرادار .

والاسلوب الثانى ، هو اسلوب « غلالة المظلة » ، وهى غلالة دفاعية ثابتة تطلق فوق المنطقة المهددة بالاغارة دون تحديد دقيق للاهداف المغيرة . وهذا الاسلوب لا يستخدم الا فى حالة تعذر الحصول على معلومات وافية بسبب التشويش على الرادار او تدميره او تعطله لاى سبب من الاسباب ، وتعتمد المدافع فى مثل هذه الحالات على اجهزتها العدسية الخاصة فى التصويب وقياس الزوايا فى حالة وضوح الرؤية ، وعلى التتبع الصوتى للطائرات والاحساس باقترابها فى حالة تعذر الرؤية . ومن امثلة زيادة فاعلية استخدام المدفعية م/ط فى الدفاع الجوى ، اسقاط المدفعية السوفيتية ٩٣ طائرة المانية خلال الايام الخمسة الاولى من معركة كييف فى صيف ١٩٤١ (٣) ، واسقاط المدفعية الالمانية آلافا من قاذفات القنابل الامريكية والبريطانية خلال الغارات الاستراتيجية على المانيا واوروبا المحتلة فى سنوات ١٩٤٣ — ١٩٤٥ .

وقد جاء فى تقرير صادر من رئاسة القوة الجوية الثامنة الامريكية فى نوفمبر ١٩٤٤ ، قام به قسم الابحاث العلمية التابع لهذه القوة ، بناء على طلب القائد العام لهذه القوة الجنرال « جيمس دوليتل » بخصوص مدى فاعلية المدفعية م / ط الالمانية ما يلى :

«كان سلاح المدفعية المضادة للطائرات الالمانى المصدر الرئيسى لمتاعب قاذفاتنا فى هذا المسرح ، وقد كان السبب يرجع اليه فى عام ١٩٤٣ فى ثلث الطائرات المفقودة وفى ثلثى الطائرات المصابة» .

---

(٢) المعلومات الخاصة بهذه الطابة مستمدة من كتاب « الرادار » لفرانكروسي صفحة ٦٨ — كتاب « الرادار » للرائد احمد كامل صفحة ١٧٣ .

(٣) صفحة ١٤ من العدد ٨ سنة ١٩٦٧ من المجلة العسكرية السوفيتية .

ومنذ ذلك العام بدىء فى تركيز الدفاع المضاد للطائرات بالمانيا ، ولذا قوبلت قاذفاتنا اثناء هجومها بعدد أكثر من المدافع المضادة .. ولولا اتباع بعض الوسائل الوقائية فى الحال لتضاعفت الكارثة بسبب هذا السلاح الخطير .. ولقد أخذت خسائر قاذفاتنا من المدافع المضادة للطائرات تتزايد باستمرار ، كما ثبت ان الوسائل الوقائية التى استخدمت للحد من هذه الخسائر لم تأت بالنتائج المرجوة . ويرجع ذلك الى ازدياد تركيز الدفاع المضاد للطائرات حول الاهداف الحيوية فى المانيا . فقد هاجمت قاذفات القوة الجوية الثامنة فى عام ١٩٤٣ أهدافا لا يزيد عدد المدافع المضادة للطائرات المستخدمة للدفاع عنها عن مائة مدفع ، بينما زاد هذا العدد فى عام ١٩٤٤ الى اكثر من مائتى مدفع للمنطقة الواحدة،بل وصل فى بعض المناطق الحيوية الى ٤٥٠ مدفعا مضادا ثقيلا ، كما حدث فى منطقة معامل تكرير بترول لونا بمرزبورج او حول منطقة برلين . وعلاوة على ذلك فقد تحسنت أجهزة المدفعية المضادة للطائرات وذخيرتها بادخال الاختراعات الالمانية الحديثة عليها . كما أن الالمان قد أحدثوا تطورا رئيسيا فى استخدام هذه المدفعية بأن وضعوا فى الموقع الواحد عددا كبيرا من المدافع المضادة بحيث تدار جميعها بأجهزة ادارة نيران واحدة ، حتى وصل عدد المدافع المستخدمة فى الموقع الواحد فى بعض الاحيان الى ٣٦ مدفعا ... لقد أدى استخدام هذا السلاح بدرجة مركزة الى جعل ضرب قاذفاتنا للاهداف بالقنابل بطرق التنشين العادية باهظ التكاليف كثير التضحية، ولذا لجأنا الى طرق التنشين غير المباشر التى تتناسب تناسبا عكسيا مع دقة الضرب ، ولقد حاولت قاذفاتنا فى أحدى الغارات أهمال هذا السلاح وهاجمت «نازير» على أرتفاع ٨٠٠٠قدم فقط ، فكانت خسائرها فى هذه المعركة ١٠٠٪ . لذلك كله يجب الا ننسى اهمية سلاح المدفعية المضادة للطائرات الالمانية وماسببه لنا من متاعب ومشاكل خلال الحرب » (٤) .

ولكن رغم زيادة فاعلية سلاح المدفعية م/ط كأحد وسائل الدفاع الجوى ، الا اننا يجب الا ننسى أن المقاتلات قد أثبتت خلال معارك الحرب العالمية الثانية ، أنها اكثر اسلحة الدفاع الجوى فاعلية . وقد اثبتت معركة بريطانيا الجوية فى عام ١٩٤٠ هذه الحقيقة بما لايدع مجالا للشك . وتفيد الاحصائيات أن المقاتلات أسقطت ٣٧٤٧ طائرة المانية خلال الغارات التى قام بها «اللفتواف» على بريطانيا طوال الحرب ، من مجموع ٤٦٠٤ طائرات اسقطت بكافة وسائل الدفاع الجوى ، بينما بلغ ما أسقطته المدفعية م/ط من هذا العدد ٨٣٣ طائرة ، وما اسقطته حواجز البالونات ٢٤ طائرة فحسب (٥) . وفى المانيا تكررت نفس الظاهرة على مدى أوسع نظرا لضخامة اعداد الطائرات المغيرة من جانب الحلفاء . وقد جاء فى تقرير القوة الجوية الثامنة الامريكية السابق الاشارة اليه ، أن خسائر القاذفات بسبب المقاتلات الالمانية فى يناير وفبراير عام ١٩٤٤ مثلا بلغ ٣٥١ طائرة ، بينما كانت الخسائر الناتجة عن نيران المدفعية م/ط فى نفس الفترة ٩٨ طائرة . وتكررت نفس الظاهرة فى شهرى مارس وابريل من نفس العام ، اذ بلغت الخسائر الناتجة عن المقاتلات ٣٩٨ طائرة ، والخسائر الناتجة عن المدفعية م/ط ١٨١ . فقط اختلفت النتيجة لصالح المدفعية م/ط فى شهرى مايو ويونيو فاصبحت ٢٨٦ ، ٢٣٩ طائرة . ولكن ذلك راجع الى ظهور المقاتلات بعيدة المدى الجديدة الامريكية والبريطانية ومصاحبتها للقاذفات أثناء غاراتها على المانيا ، وذلك بسبب الخسائر الشديدة التى لحقت القاذفات أثناء الغارات النهارية التى قامت بها فى عام ١٩٤٣ ، فقد فقدت القوة الجوية الثامنة الامريكية فى احدى الغارات التى تمت فى أكتوبر ١٩٤٣ — على سبيل المثال — ٦٢ قاذفة دمرت و ١٣٨ أخرى أعطبت من بين الـ ٢٢٨ قاذفة التى قامت بالغارة بالاضافة الى مقتل ٥٩٩ من الرجال ، وذلك بسبب انفراد المقاتلات الالمانية بالقاذفات التى تضطر للسير فوق المانيا بدون حراسة المقاتلات نظرا لبعد المسافة .

وهكذا أصبح الدفاع الجوى فى المانيا واوروبا المحتلة ، يستند فى الاساس خلال عام ١٩٤٤ الى المدفعية م/ط ، خاصة بعد الضعف النسبى الذى لحق المقاتلات خلال هذا بسبب التركيز الشديد فى الغارات على مصانع الطائرات وبالذات فى شهور فبراير ومارس وأبريل ومايو عام ١٩٤٤ ، الذى ادى الى تدمير ٢٥٠٠ مقاتلة المانية خلال شهر فبراير منها ٥٠٠ دمرت فى الجو والباقى فى المصانع ، والى تدمير حوالى ٤٠٠٠ مقاتلة اخرى خلال مارس وابريل ومايو . ورغم ان الانتاج الالمانى سجل رقم ٣٩١٨ طائرة خلال هذه الشهور الثلاثة ، الا أن شدة الخسائر وعدم تأثر الحلفاء بالخسائر نتيجة لغزارة الانتاج الامريكى خاصة،جعل ميزان القوى يتحول الى جانب السلاحين الجويين الامريكى والبريطانى خلال عام ١٩٤٤ . وهذه حقيقة تؤكدها الارقام

---

(٤) صفحات ١٨ وما بعدها من العدد ١٤ من مجلة المدفعية المصرية الصادر فى ١٤ مايو سنة ١٩٥٠ .
(٥) صفحة ٤٥٩ من دائرة المعارف البريطانية ـ المجلد الاول .

الخاصة بالانتاج الحربى فى كلا الجانبين «فلقد ارتفع عدد الطائرات العامله فى السلاح الجوى الالمانى من ١٢٫٩٥٠ طائرة عام ١٩٤٢ الى ٢٢٫٠٥٠ طائرة عام ١٩٤٣، ولكن هذا الاجمالى الكبير لم يكن يكفى خسائر العام ، ولا يمثل سوى خمس عدد الطائرات التى انتجتها الولايات المتحدة وبريطانيا (٦١) » .

لقد أثبتت خبرة الحرب العالمية الثانية أن الدفاع الجوى لا يستطيع أن يحقق نتائج حاسمة فعالة ، تعطل فاعلية الهجوم الجوى ، الا اذا توافرت سبل تحقيق التوازن الفعال بين وسائله المختلفة ، من طائرات مقاتلة ومدفعية مضادة للطائرات واجهزة انذار وتوجيه . وتبرز فى مقدمة هذه الوسائل ، الطائرات المقاتلة التى تعترض الطائرات المغيرة ، بمقتضى خطة مركزية منظمة من غرف العمليات الارضية ، تلك الغرف التى لا تستطيع العمل بدون شبكة ممتازة من وسائل الانذار والتوجيه العلمية الحديثة .

الوسائل المضادة للرادار

لقد ترتب على ظهور الرادار كسلاح فعال فى الدفاع الجوى ، أن ظهرت ايضا الوسائل المضادة له ، وذلك وفقا للقاعدة العامة التى تحكم ظهور وتطور كل سلاح جديد للحرب . ولقد استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية عدة وسائل لابطال فاعلية اجهزة الرادار فى شبكات الدفاع الجوى ، كان أهمها الوسائل التالية :

أ ــ التشويش على المرسل : للتشويش على جهاز رادار العدو كان على الهدف وهو طائرة أو سفينة أن يتزود بجهاز يصدر اشارات راديو يمكن توليفه على نفس قناة الترددات التى يستخدمها رادار العدو فى ارسال موجاته ، وبمجرد أن يعمل هذا الجهاز على قناة ترددات الجهاز المعادى حتى تظهر على شاشته شوشرة تشبه اوراق العشب أو الحشائش تؤدى الى ضياع معالم الانعكاسات الحقيقية الناتجة عن الهدف نفسه ، وقد يتم هذا التشويش عن طريق طائرة أو سفينة واحدة او باسلوب الغلالة بواسطة تشكيل من الطائرات . وقد استخدم الانجليز هذه الطريقة فى الشوشرة على اجهزة الالمان عبر القنال الانجليزى فى المنطقة بين شيربورج والهافر فى فرنسا ليلة غزو نورماندى .

كما استخدمها الالمان أيضا فى شكل غلالة اطلقتها المحطات الارضية الموجودة فى شمال فرنسا وبلجيكا وهولندا فى احدى ليالى عام ١٩٤٢ ، لتعمية محطات الرادار الانجليزية عن رؤية البوارج الالمانية التى أتمت البحرية الالمانية نقلها من الموانى الفرنسية المطلة على المحيط الاطلنطى الى موانى بحر البلطيق عبر القنال الانجليزى ومضيق دوفر ــ كاليه ، نظرا لتعرضها لخطر الغارات الجوية البريطانية المستمرة التى كانت تهدف الى اغراقها .

ب ــ التعطيل الانعكاسى : وهذه هى اكثر الوسائل المضادة للرادار التى انبعثت خلال الحرب العالمية الثانية . وقد استفادت هذه الطريقة فى التعطيل من ضعف فى الرادار لا يستطيع معه ان يكشف عن طبيعة الاهداف الصغيرة ، ومن هنا وجد العلماء أن القطع المعدنية ذات الحجم المتناسب مع طول الموجة التى ترسل بها نبضات الرادار ، يمكن أن تعيد صدى قويا الى شاشة الرادار . ولذلك كانت رقائق القصدير اذا ضمت فى حزم تزن حوالى الاوقيتين وتلقى من طائرة فانها تعيد اشارة صدى الى الرادار شبيهة بالتى تنتج عن الاصطدام بقاذفة قنابل .

وقد اكتشف الالمان هذه الطريقة أثناء تجربة قاموا بها فى عام ١٩٤٢ ، وصدرت أوامر مشددة بعدم استخدام هذه الطريقة من جانبهم حتى لايلفت اليها نظر الانجليز ، ولكن الانجليز اكتشفوا هذه الطريقة بعد ذلك واستخدموها لاول مرة فى غارة تمت ليلة ٢٤ يونيو عام ١٩٤٣ على ميناء هامبورج ، ونتج عن ذلك تعطيل جميع اجهزة الرادار الالمانية تماما طوال هذه الغارة .

كما استخدمت هذه الطريقة على نطاق واسع ليلة غزو نورماندى ، فقامت ثلاثون قاذفة قنابل محملة لاقصى حمولتها بالرقائق المعدنية فى اتجاه كاليه ، وعندما وصلت فوق المانش أخذت تلقى هذه الحزم المعدنية حتى صارت قريبة من كاليه ، فظن الالمان ان هذه ستارة لتغطية القاذفات التى سوف تمهد للغزو فى هذه المنطقة ، وفى نفس الوقت كانت هناك مجموعة من السفن تسير متجهة نحو كاليه تجر فوقها بالونات مجهزة بعواكس معدنية تظهرها كسفن كبيرة وكثيرة العدد ، لاعطاء نفس الانطباع الخاطىء لدى الالمان ، ولتغطية اقتراب أسطول الغزو الحقيقى من شاطىء نورماندى البعيد عن منطقة كاليه .

---

(٦١) البيانات الخاصة بالانتاج والخسائر فى الطائرات الالمانية والامريكية مستمدة من كتاب « الصراع من اجل اوربا » الجزء الاول صفحة ١٧٠ ، ١٧١ .

وللتغلب على هذه الطريقة فى تعطيل الرادار ، أجرى الالمان كثيرا من البحوث والتطويرات فى أجهزة الرادار ، حتى يمكن لها التمييز بين الاهداف الحقيقية والانعكاسات الزائفة، ونجحوا أخيرا فى أوائل عام ١٩٤٥ فى صنع جهازين للانذار المبكر التكتيكى ولادارة النيران عرفا برقمى «٧٤ ، ٧٦» وبلغ مدى الاول ٥٠ كيلو مترا والثانى ٣٠ كيلو مترا ، وأثبتت تجارب هذه الاجهزة نجاحا فى التغلب على هذه الطريقة من التعطيل ، ولكن انتهاء الحرب سريعا لم يعط الالمان الفرصة اللازمة للوصول بهذه الاجهزة الى حد الكمال .

جـ ــ كشف موقع الرادار وتدميره : وامكن أيضا خلال الحرب ، اكتشاف طريقة الكترونية لتحديد موقع جهاز الرادار الثابت على أرض العدو ، ثم تدميره بعد ذلك بغارة جوية أو برية بواسطة الفدائيين من البحر او الجو . وذلك عن طريق التقاط اشارات الرادار المعادى بواسطة جهاز راديو للاستقبال له هوائى يدور ببطء ليفتش عن اشارات الرادار ، يستطيع عند اقتناصه لهذه الاشارات ، أن يحدد الاتجاه الذى يصدر منه الرادار المعادى اشاراته . وقد أتبع الامريكيون هذه الطريقة عدة مرات ضد الجزر التى كان يحتلها اليابانيون فى المحيط الهادى . واتبعها الحلفاء اثناء غزوهم لجزيرة صقلية الايطالية فى صيف عام ١٩٤٣ .

تطور الدفاع الجوى بعد الحرب العالمية الثانية

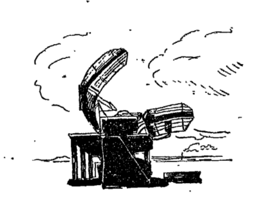
نتيجة لظهور الاسلحة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وسعى الولايات المتحدة الامريكية الدائب من أجل تطوير هذه الاسلحة ووسائل نقلها من طائرات نفاثة أو صواريخ ، كى تفرض على العالم سياستها الاستعمارية عن طريق التهديد النووى . دخلت الدول الكبرى فى العالم سباقا لاهثا من أجل زيادة التسلح ، أدى الى تطوير وسائل الهجوم الجوى تطويرا مستمرا وخطيرا للغاية ، وبالتالى تطورت وسائل الدفاع الجوى تطورا سريعا واصبحت تمثل ركنا جوهريا فى هذا السباق . وسنتناول فى النقاط التالية أبرز التطورات العالمية التى لحقت وسائل الدفاع الجوى من واقع ماتيسر معرفته عنها حتى الان .

تطور الطائرات المقاتلة

استمرت بحوث الطيران النفاث بعد انتهاء الحرب بكل همة ونشاط ، بعد أن برزت خطورة الطائرات النفاثة فى الدفاع الجوى خلال المرحلة الاخيرة من الحرب ، التى استخدمت فيها المانيا مقاتلاتها النفاثة الجديدة من طراز «مسرشميت ١٦٣» و « مسر شميت ٢٦٢ » فى المعارك الجوية فوق المانيا ضد قاذفات الحلفاء .

وكانت النتيجة أنه لم تمض خمس سنوات تقريبا بعد انتهاء الحرب ، حتى كانت الاسلحة الجوية العالمية قد استبدلت طائراتها المقاتلة المروحية القديمة بطائرات نفاثة حديثة . فأصبح السلاح الجوى البريطانى فى عام ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ مجهزا بالمقاتلات النفاثة من طراز « فامبير » و « ميتيور » والسلاح الجوى الامريكى مجهزا بالمقاتلات النفاثة « ف ٨٤ » ، « ف ٨٦ » والسلاح الجوى السوفيتى أصبح مجهزا « بالميج ١٥ » و « الميج ١٧ » . وهذه المقاتلات كانت سرعتها تتراوح بين ٦٠٠ و ٧٠٠ ميل فى الساعة ، اى اصبحت سرعتها تصل الى حوالى ضعف سرعة مقاتلات الحرب العالمية ، التى كانت تبلغ فى المتوسط حوالى ٣٦٠ ميلا فى الساعة . ثم استمرت عملية تطوير المقاتلات النفاثة تسير بخطى متلاحقة ، حتى اصبحت تصل فى أيامنا هذه الى ١٥٠٠ ، ١٨٠٠ و ٢٠٠٠ ميل تقريبا فى بعض الانواع الحديثة . ومازال البحث مستمرا من أجل صنع مقاتلات تطير بسرعة أكبر من ذلك وارتفاعات اكبر . ولم يقتصر الامر فى تطور المقاتلات على زيادة السرعة والارتفاع ، وانما لحق التطور السريع وسائل تسليح المقاتلة أيضا . فزودت المقاتلات النفاثة بمدافع رشاشة اقوى بكثير من تلك التى كانت تسلح بها مقاتلات الحرب العالمية الثانية ؛ وذلك مثل الرشاش عيار « ٢٠ مم » وسلحت ايضا بمدفع أو اثنين من المدافع م/ط الخفيفة عيار « ٣٠ مم » أو « ٣٧مم » أو « ٤٠ مم » .

كما جهزت هذه المقاتلات بجهاز تصويب آلى



بعيد المدى •

بالرادار يعمل بسرعة البرق ، عن طريق حاسب الكترونى يتلقى المعلومات عن المسافة التى توجد عليها الطائرة المعادية من الرادار المحمول فى الطائرة ثم يقوم آليا وبسرعة بحساب سرعة انطلاق قذائف المدافع وتأثير الجاذبية الارضية عليها والزاوية الصحيحة لاطلاق النيران على الهدف ، ويخبر الطيار بذلك عن طريق انطباق نقطة الهدف المتحركة على دائرة مضيئة فى شاشة الرادار الموجودة أمامه ففى لحظة الانطباق هذه يضغط الطيار على زناد المدافع فتصيب الهدف فورا . وقد استخدمت طائرات الميج « ١٧ » هذا الجهاز فى معارك كوريا الجوية ، وكذلك استخدمته فى نفس الحرب طائرات «سابر» الامريكية المقاتلة النفاثة ، وكانت نتائج استخدامه فعالة للغاية من كلا الجانبين .

وبعد الحرب الكورية زادت سرعة المقاتلات النفاثة زيادة كبيرة ، كما تطورت القاذفات النفاثة وزادت سرعتها وارتفاعاتها ، وبذلك أصبح من الصعب على المقاتلات أن تعترض الطائرات المعادية اعتراضا ناجحا مضمون النتائج بمدافعها العادية وذلك نظرا لصعوبة المناورة فى ظل السرعة الكبيرة لكل من المقاتلة المعترضة والطائرة المعادية .

ولذا بدىء فى تسليح المقاتلات المعترضة منذ عام ١٩٥٦ تقريبا بأنواع مختلفة من الصواريخ ذاتية التوجيه تعمل من الجو الى الجو ، تستطيع أن تدمر الطائرات المعادية دون أن تقترب منها المقاتلة المعترضة مثلما كان الحال عند الاشتباك بالمدافع الرشاشة . ويتم ذلك عن طريق استخدام رادار ادارة النيران المركب فى المقاتلة ، فى التقاط ومتابعة الهدف المعادى وعمل الحسابات اللازمة للاعتراض ويقوم الطيار بعد ذلك بتوجيه طائرته الى الوضع المناسب لاطلاق الصاروخ ، وهو الوضع الذى يلتقط فيه الرادار المركب على الصاروخ نفسه الهدف ، وعلى الفور يطلق الطيار الصاروخ الذى يقوم جهازه الذاتي للتوجيه ببقية المهمة بعد ذلك فيقود الصاروخ نحو الاصطدام بالهدف المعادى ، ويستطيع هذا الصاروخ أن يميز بين الطائرات المعادية والطائرات الصديقة بنفس الطريقة التى يتعرف بها جهاز الرادار على الطائرات الصديقة والتى شرحناها من قبل .

وقد كانت الانواع الاولى من هذه الصواريخ لايزيد مداها عن خمسة اميال أو ستة فى عام ١٩٥٧ ولكنها الان تستطيع أن تصل الى مدى يتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ ميلا . ولذلك جهزت المقاتلات الحديثة برادار فى الذيل يعطى الطيار انذارا بوجود طائرة أو مقذوف معادى من الخلف وهو على بعد ٢٠ ميلا تقريبا ، ليستطيع أن يناور بطائرته ويفلت منه .

تلك هى الملامح العامة للتطورات التى لحقت بسلاح المقاتلات المعترضة ، الذى مازال يلعب دورا بارزا فى نظم الدفاع الجوى ، ومن المؤكد أن تكون هناك تفاصيل خاصة بالتطورات الحديثة مازالت داخل دائرة الاسرار العسكرية للدول الكبرى ، ولكن هذا القدر من المعلومات التى تيسرت لنا يعطينا صورة واضحة الى حد كبير للتطور الكبير الذى لحق المقاتلات منذ عهد معركة بريطانيا الجوية .

تطور المدافع المضادة للطائرات

شهدت السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية تطويرا سريعا فى المدفعية م/ط حتى تستطيع أن تلاحق تطورات الطيران المتلاحقة الخطيرة ، من حيث ازدياد سرعة الطائرات وارتفاعاتها .

ولمواجهة مشكلة تزايد سرعة الطائرات ، خاصة الانواع التى تستطيع أن تطير على ارتفاعات منخفضة فى حدود ٥٠٠٠ قدم ، جرى تطوير للمدافع م/ط الخفيفة ، بحيث اصبحت الانواع الحديثة منها من عيارات « ٣٧ مم » ، « ٤٠ مم » ، «٥٧مم» تعمل آليا عن طريق توجيه أجهزة رادار ادارة النيران التى صممت خصيصا لها ، وذلك لتستطيع اعتراض الطائرات المقاتلة أو القاذفة الخفيفة بسرعة وفى اى وقت من اليوم سواء فى النهار أو الليل وتحت أى ظروف جوية تتيح الرؤية الواضحة أو تعيقها ، وجميع هذه الانواع يمكن أن تركب على عربات متحركة . كما قد انتجت أنواع مختلفة من المدافع الرشاشة الثقيلة المضادة للطائرات المتعددة المواسير — اثنين أو أربعة — التى تستطيع أن توفر غلالة كثيفة بسرعة من النيران تصل الى ارتفاعات تتراوح بين الفين وثلاثة آلاف قدم ، لتسقط الطائرات السريعة التى تطير على ارتفاعات منخفضة . وقد أثبتت هذه الانواع من المدافع كفاءة عالية فى اسقاط الطائرات فى فيتنام الجنوبية والشمالية . وجرى تطوير مماثل للمدفعية م/ط الثقيلة حتى تستطيع أن تواجه سرعة وارتفاعات القاذفات النفاثة الحديثة ، فظهرت عيارات جديدة من هذه المدافع مثل المدفع عيار « ١٠٠ مم » المستخدم حاليا من جانب قوات الدفاع الجوى فى فيتنام الشمالية لصد الغارات الامريكية .

ومثل المدفع السويدى والامريكى من عيار «١٢٠مم» المستخدم فى حماية المدن والاهداف الصناعية فى الولايات المتحدة الامريكية نفسها . ويقدر المدى المؤثر لهذه المدافع الثقيلة بحوالى ٤٠ أو ٤٥ الف قدم فى الجو تقريبا . كما يوجد لدى قوات الدفاع السوفيتية مدفع آخر من عيار « ١٣٠ مم » . ولمواجهة مشكلة صغر الزمن المتاح للاشتباك مع القاذفات النفاثة السريعة جهزت بعض أنواع

المدفعية م/ط الثقيلة بجهاز آلى للتعمير والضرب السريع ، بالاضافة الى عقل الكترونى يقوم بتشغيل المدفع ، فيصوبه فى الاتجاه المضبوط على أساس المعلومات التى يتلقاها من الرادار الملحق به الذى يقوم بتحديد الارتفاع والسرعة والاتجاه ، ثم يحدد للمدفع الوقت الذى يجب أن يطلق فيه النار ، بل ويستطيع بعد ذلك أن يتولى اطلاق النار آلياوينتقل من هدف الى آخر بدقة وبسرعة . ويمكن لمثل هذا المدفع أن يطلق خمسة واربعين قذيفة من عيار ٧٥ مم فى الدقيقة . ويحتاج لثمانية رجال لتشغيله لانه معقد ودقيق للغاية ، ويمكن اعداده للتشغيل الالى الكامل فى حوالى خمسة عشرة دقيقة من تلقى الانذار المبكر من الرادار البعيد المدى (٧) .

الصواريخ المضادة للطائرات

نظرا لتعذر اشتباك المدفعية م/ط الثقيلة مع القاذفات أو الطائرات التى تطير على ارتفاعات تزيد عن ٥٠ الف قدم فى الجو ، ولوجود صعوبات عملية كثيرة فى صنع واستخدام مدافع أكثر ضخامة وقوة من المدفع ١٢٠مم م/ط تستطيع أن تصل فى ضربها المؤثر الى الارتفاعات التى أصبح من الممكن للطائرات الحديثة أن تطير عليها ، والتى تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ الف قدم فى الجو ، فقد اتجه البحث عن وسيلة أسهل وأكثر فاعلية ومرونة للدفاع الجوى المطلوب توافره فى مثل هذه الحالات فكان ان انتجت وطورت الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات . وقد بدأت بحوث وانتاج هذه الصواريخ فى المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية ، واستمرت عمليات التطوير المستمرة بعد ذلك ، حتى وصلت الى درجة كبيرة من الكمال ثبتت عمليا لاول مرة حين أسقط الاتحاد السوفيتى طائرة التجسس الامريكية « ى — ٢ » التى كان يقودها « باورز » فوق أراضيه يوم أول مايو عام ١٩٦٠ ، بصاروخ مضاد للطائرات استطاع أن يسقط الطائرة وهى على ارتفاع عشرين ألف متر فى الجو ، أى عشرين كيلومترا كاملة فى الجو . ولقد كان الامر يتطلب خلال الحرب العالمية الثانية ، لاسقاط قاذفة معادية تطير على ارتفاع كبير نسبيا ، اطلاق غلالة نيران يتراوح عدد طلقات المدافع المستخدمة فيها ما بين ٤٠٠ الى ٦٠٠ طلقة ، أما الآن فانه يكفى اطلاق صاروخين لاداء نفس العمل » (٨) . وقد أثبتت هذه الصواريخ كفاءة فى الاصابة الدقيقة للطائرات المغيرة فوق فيتنام الشمالية ، ، كما اعترفت بذلك الصحف الامريكية ذاتها . وتستخدم عدة طرق علمية لتوجيه هذه الصواريخ نحو أهدافها فى الجو ، وذلك وفقا للمدى الذى يعمل عليه الصاروخ . فهناك طريقة للتوجيه الكامل بالرادار من الارض تستخدم عادة فى الصواريخ المضادة للطائرات بعيدة المدى نسبيا ، وتتم بواسطة تتبع الهدف بواسطة جهاز رادار ، وتتبع وتوجيه الصاروخ برادار آخر ، ويقوم حاسب ألكترونى بعمل الحسابات اللازمة لتوجيه الصاروخ وارسالها الى الرادار الموجه ، على ضوء المعلومات التى يأخذها من جهازى الرادار ، ويتلقى الصاروخ المعلومات والتوجيه على مستقبل الكترونى يتحكم فى أجهزة قيادة الصاروخ وفقا لهذه المعلومات كى يصيب الهدف .

وهناك طريقة أخرى لتوجيه الصاروخ تعرف باسم « راكب الشعاع » ، ويتم توجيه الصاروخ بمقتضى هذه الطريقة بواسطة ارسال شعاع من جهاز رادار نحو الهدف ، يندفع الصاروخ داخله بحكم حساسية الجهاز الالكترونى الذى يحمله الصاروخ للموجات الكهرومغناطيسية الصادرة من الرادار الموجه ، ويتولى هذا الجهاز الموجود بالصاروخ تعديل خط السير وجعله باستمرار على محور الشعاع حتى يتم تدمير الهدف . والطريقة الثالثة هى طريقة التوجيه الذاتى ، وتتم عن طريق تركيب رادار صغير بالصاروخ وعقل الكترونى يتلقى المعلومات عن الهدف منه ويصحح خط سيره نحو الهدف .

وهذه الصواريخ المضادة للطائرات يمكن أن تطلق من قواعد ثابتة أو متحركة فوق سطح الارض أو من سطح السفن أو الغواصات . وتوجد منها أنواع بعيدة المدى مثل الصاروخ الامريكى « بومارك أ » الذى يصل مداه الى حوالى ٢٥٠ ميلا ويرتفع الى ٦٨ الف قدم تقريبا . و« بومارك ب » الذى يصل مداه الى حوالى ٤٠٠ ميل . وكلاهما يستخدمان حاليا فى الدفاع الجوى عن الولايات المتحدة نفسها .

كما توجد منها أنواع قصيرة المدى مثل الصاروخ الامريكى « هوك » الذى يصل مداه الى حوالى ٢٢ ميلا ، ويصل الى ارتفاع ٤٠ ألف قدم فى الجو ، وهذا الصاروخ مؤثر جدا ضد الاهداف الجوية التى تطير على ارتفاع منخفض فوق القواعد الخلفية أو فى ميدان القتال نفسه ، لان راداره مصمم لالتقاط الطائرات المنخفضة التى تفشل فى اكتشافها أجهزة الرادار العادية ، ويمكن تحميل ثلاثة صواريخ من هذا الطراز على عربة أو شاسيه دبابة واطلاقها على التوالى بسرعة كبيرة . ومما

---

(٧) صفحة ١٢١ من كتاب « الرادار » لفرانك روسى — الترجمة العربية .
(٨) صفحة ١٥ من المجلة العسكرية السوفيتية — العدد ٨ عام ١٩٦٧ .

يذكر أن الولايات المتحدة زودت اسرائيل بعدد من ذلك الطراز من الصواريخ (٩) .

كما يوجد نوع صغير من الصواريخ المضادة للطائرات يستخدمه جنود المشاة فى الجيش الامريكى منذ عام ١٩٦٠ ، يطلق على الطائرات المنخفضة جدا بواسطة قاذف يشبه البازوكا ويوجه بواسطة الاشعة تحت الحمراء التى تجعل الصاروخ ينجذب الى الحرارة المتولدة من محرك الطائرة .

وتوجد لدى اجهزة الدفاع الجوى السوفيتى انواع مختلفة من الصواريخ المضادة للطائرات ، لاتتوافر لدينا عنها معلومات مؤكدة معلنة غير بعض المعلومات عن الصاروخ الذى اسقط طائرة التجسس الامريكية ، والذى بلغ مداه من ٢٠ الى ٢٥ ميلا وارتفاعه فى الجو الى حوالى ٦٠ الف قدم . وهناك صاروخ آخر من طراز جايدلاين يستطيع ان يصيب هدفا على بعد ٣١ ميلا ، ويرجح انه هو الذى يستعمل فى فيتنام حاليا (١٠) .

تطور اجهزة الرادار

جرت تطويرات عديدة على اجهزة الرادار منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، لزيادة كفاءتها فى كشف وتتبع الاهداف بدقة وبسرعة ومن مسافات كافية لاعطاء انذار مبكر يتفق والزيادة الهائلة فى سرعة وسائل الهجوم الجوى المختلفة . ونظرا لخطورة الصواريخ عابرة القارات بعيدة المدى ، او الصواريخ التى تحملها الغواصات وتطلقها من على بعد مئات الاميال من تحت سطح الماء ، اوتلك التى تستطيع ان تطلقها القاذفات الثقيلة من مئات الاميال ايضا ، أنتجت انواع من الرادارات الحديثة يمكنها اكتشاف الصواريخ وهى على بعد حوالى ٣٠٠٠ ميل .

كما اصبحت أجهزة الرادار الحديثة مجهزة بالعقول الألكترونية الحاسبة التى تقوم بارسال المعلومات المفصلة عن سرعة الطائرة وموضعها وعدد محركاتها ، الى المراقبين الارضيين فى الحال وهى تعمل بطريقة آلية الى حد كبير ، بل أن هناك أجهزة رادار جديدة يمكنها أن تعمل بطريقة آلية تماما دون الحاجة الى اى انسان يراقبها وترسل المعلومات التى تجمعها بسرعة وآليا الى مراكز مراقبة بعيدة عنها . ولذلك اصبحت محطة الرادار الثابتة الحديثة لاتحتاج لاكثر من ثمانية رجال لتشغيلها ، ومما ساعد على ذلك وجود جرس مرتبط بشاشة الرادار يدق منذرا المراقب فى حالة وجود هدف ملتقط على الشاشة ، وبهذا اصبح المراقب غير مضطر للنظر باستمرار الى الشاشة فى انتظار ظهور اشارات الهدف .

ونتيجة لزيادة المعلومات العلمية عن سلوك الموجات الكهرومغناطيسية ، أمكن تصميم هوائيات (ايريال) أحسن وانابيب توصيل أشد أثرا ، ولذلك امكن انتاج نوع جديد من الرادار يلتقط الاهداف المتحركة فقط ، وبذلك يستطيع التفتيش على الاهداف التى تطير على ارتفاعات قريبة بكفاءة اكثر من الاجهزة القديمة . وبذلك اصبح هناك أجهزة رادار متخصصة فى التحذير من هجوم الطائرات المعادية التى تطير على ارتفاع منخفض . كما اصبحت هناك محطات رادار متحركة داخل طائرات تقوم بدوريات مستمرة للتفتيش عن الاهداف فى الجو والبحر من مسافات بعيدة ، لتعاون المحطات الارضية الثابتة أو البحرية المتحركة ، ولتواجه احتمالات تدمير هذه المحطات بواسطة الغارات الجوية أو الفدائية أو بواسطة الصواريخ بعيدة المدى ، بعد تحديد أماكنها بواسطة الطرق العلمية الخاصة بتحديد موقع الرادار الثابت .

تلك هى ابرز تطورات الرادار فيما يتعلق بوسائل الدفاع الجوى ، وهناك بطبيعة الحال تطورات رادارية أخرى تتعلق بوسائل الهجوم الجوى ، وبوسائل نزول الطائرات فى المطارات فى الجو الملبد بالضباب او فى الليل او فوق ظهر حاملات الطائرات لا يتسع المجال لعرضها فى ظل الحديث عن وسائل الدفاع الجوى .

تطور التدريب والخدمة الارضية

ان كل الاجهزة الحديثة فى وسائل الدفاع الجوى من مقاتلات معترضة تفوق سرعة الصوت ، أو صواريخ موجهة قادرة على تدمير الطائرات المعادية على أعلى الارتفاعات أو اقلها ، أو مدفعية مضادة للطائرات تعمل بالرادار ، لاتحقق الفائدة المرجوة من ورائها فى الاعتراض المبكر للطائرات المعادية وتدميرها قبل أن تلحق الضرر بالاهداف الحيوية ، اذا ما استخدمت ببطء وتأخير ، بل ان التأخير قد يؤدى الى اضرار خطيرة لايمكن اصلاحها فى حالة اذا ماكانت الطائرة تحمل سلاحا نوويا .

ومن هنا اصبح الوصول بمستوى تدريب العاملين على كافة وسائل الدفاع الجوى ، سواء الطيارين او رجال الصواريخ والمدافع ، أو العاملين على اجهزة الرادار وفى محطات المراقبة الارضية وغرف العمليات ، أو الفنيين المختصين لخدمة المقاتلات على الارض من حيث اعدادها للطيران السريع باستمرار ، وفى أى وقت من اوقات اليوم ، وتحت أى

---

(٩) المعلومات الخاصة بانواع الصواريخ مستمدة من كتاب « الصواريخ » للعقيد احمد رافت بسيونى صفحات ١٣٧ وما بعدها من الطبعة الاولى .

(١٠) تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية — البريطانى — العدد الاول عام ١٩٦٨ من الطبعة .

ظرف جوى ، نقول أصبح الوصول بمستوى تدريب كل هؤلاء الى درجة الاتقان الكامل من حيث السرعة والانتباه والكفاءة فى استخدام هذه المعدات ، ضرورة قومية كبرى تتصل أوثق الاتصال بالمحافظة على أمن وحياة واستقلال الدولة التى يتبعونها . ولابد لهؤلاء جميعا أن يصلوا فى تدريبهم الى اقل زمن ممكن ، لايتعدى دقائق معدودة ، فى اعداد أجهزتهم واسلحتهم المختلفة لمواجهة الغارات المعادية على أبعد مسافة ممكنة ، وأيا كان الارتفاع الذى تطير عليه الطائرات المعادية المهاجمة . وأن يصبح هذا التدريب من أجل تقصير الزمن اللازم لتجهيز وسائل الدفاع الجوى للعمل فى حالة الطوارىء بمجرد الانذار ، جزءا من عملهم اليومى حتى يمكن توقى احتمالات الهجوم المفاجىء . بمعنى أن يتدرب الطيار المقاتل على الطيران بطائرته فى دقائق قليلة لاعتراض وتدمير الطائرات المعادية، وأن يقوم بذلك وهو بكامل معداته اللازمة للقتال فى جميع الاجواء وعلى كافة الارتفاعات، بالاضافة الى تدريبه المستمر لاتقان فنون القتال الجوى المختلفة .

ونفس الشىء لابد أن يقوم به رجال المدفعية م/ط ، ورجال الصواريخ واجهزة ادارة النيران . وكذلك لابد أن يكون رجال الخدمة الارضية بمختلف أنواعها ، على نفس المستوى من التدريب والكفاءة فى العمل ، لانه اذا أمكن جعل الزمن اللازم لتموين الطائرة بالوقود والذخيرة والكشف والصيانة بسرعة ودقة ، قصيرا للغاية ، فانه يمكن توفير عدد كبير من طلعات الطائرات بعدد قليل من الطائرات ، وبذلك يمكن توفير حماية قوية ودائمة باقل عدد من الطائرات فى حالة استمرار وتلاحق الهجوم الجوى المعادى .

وبدون مثل هذا المستوى من التدريب تصبح كل أسلحة ووسائل الدفاع الجوى الحديثة ، غير فعالة فى الغرض الذى أعدت من اجله ، الا وهو توفير حماية قوية ضد وسائل الهجوم الجوى الحديثة من طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت، وصواريخ مجنحة .

بعض الخبرات المستفادة من فيتنام

فى بداية الغارات الامريكية على فيتنام ، كان الطيارون الامريكيون أكثر جراة وتهورا منهم الان فقد كانوا يتصورون أن هذا الشعب المكون غالبيته من الفلاحين ، لايستطيع الصمود فى وجه الطائرات النفاثة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت وصواريخها الحديثة والنابالم الذى تحمله ، بل كانوا يتصورون ان مجرد مرور النفاثات وهى تزلزل الارض بصوتها المزعج سوف يبث الذعر فى قلوب هؤلاء الفلاحين الاسيويين البسطاء .

ولكن السنين مضت والشعب فى شمال وجنوب فيتنام صامد فى وجه الغارات الامريكية . ومن واقع هذا النضال البطولى سنعرض لبعض الخبرات المستفادة فى مجال الدفاع الجوى :

١ – الاسلحة الصغيرة تواجه الطائرات :

أكدت خبرات استخدام الاسلحة الصغيرة من بنادق ورشاشات ، فاعلية كبيرة فى مقاومة الطائرات النفاثة التى تطير على ارتفاعات منخفضة فى فيتنام سواء فى الجنوب أو فى الشمال . فالثوار فى الجنوب لم ينتظروا حتى تصلهم اسلحة فعالة مضادة للطائرات من الدول الصديقة ، وانما قابلوا غارات النفاثات والهليوكبتر الامريكية بما فى ايديهم فعلا من اسلحة صغيرة بعزيمة صادقة وأعصاب لاينتابها الذعر من أزيز الطائرات المنخفضة .

واصبحت هذه الاسلحة فى فيتنام الشمالية مكملة لنظام الدفاع الجوى الى حد كبير ، فحول جميع مواقع المدفعية م/ط أو بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ، ينتشر عدد كبير من حاملى الاسلحة الصغيرة الذين يعترضون بنيرانهم الطائرات المنقضة وهى فى طريقها نحو الاهداف التى تحميها المدافع م/ط . كما أن قوات الدفاع الذاتى عن المصانع والقرى واحياء المدن فى شمال فيتنام تستخدم الاسلحة الصغيرة فى ورديات الحراسة التى تتولى اطلاق النار على الطائرات المهاجمة على ارتفاع منخفض .

ان البندقية وخاصة الانواع الالية منها سلاح خطير فى يد المقاتل اذا ما استعملت ضد الطائرات المنخفضة ، لانها يمكن تصويبها بسرعة على الطائرة واطلاق النار فورا بمجرد ظهورها دون اى اعداد سابق اكثر من أن تكون جاهزة التعمير من قبل .

وتلك ميزة لاتتوافر بسهولة فى المدافع الخفيفة المضادة للطائرات . ولكن الاستخدام الجماعى هو الذى يجعل استخدام البندقية أو الرشاش الخفيف فعالا بشكل يزعج الطيارين فعلا ويجعلهم يرتفعون عن الفين قدم فى الجو حيث يصبحون فريسة اسهل للمدافع الخفيفة م/ط ، وتلك خبرة اكدها الطيارون الالمان والامريكيون فى الحرب العالمية الثانية ، والحرب الكورية والفيتنامية بعد ذلك .

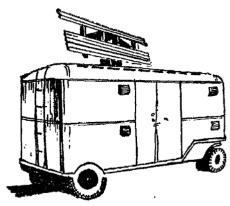
ولكن الحصول على نيران مؤثرة بشكل منظم لايخضع لمجرد الصدف ، ويتطلب تدريب الجنود ورجال المقاومة الشعبية على الطرق الصحيحة لاصابة هدف سريع الحركة ، لانه لكى يصيب ضارب البندقية أو الرشاش الخفيف طائرة من نقطة ثابتة فى الارض ، يجب أن يصوب بندقيته بطريقة معينة بحيث تتقابل الطائرة والرصاصة فى الجو . وفى كل الحالات تقريبا لا بد أن يكون التصويب على مسافة معينة أمام الطائرة ، تعرف بمسافة السبق . وتحدد هذه المسافة على اساس

التقدير النسبى لسرعة الطائرة وسرعة الرصاصة وبعد الضارب عن الطائرة ، هذا وتبلغ سرعة الرصاصة عند انطلاقها مباشرة حوالى ٨٠٠ متر فى الثانية ثم تفقد نصف سرعتها بعد الـ ٥٠٠ متر الاولى وكل سرعتها بعد الالف متر ، بينما تبلغ سرعة الطائرة النفاثة فى المتوسط حوالى ٣٠٠ متر فى الثانية ، ولذلك تعمل جداول توضح مسافات السبق المختلفة تبعا للسرعات المختلفة للطائرات والمسافات المختلفة التى يوجد عليها المقاتل بالنسبة للهدف ، يتلقى المقاتلون على اساسها التدريب الصحيح الذى يأتى بنتائج فعالة فى استخدام الاسلحة الصغيرة ضد الطائرات .

ولكن الخبرة الاساسية فى مثل هذا الاستخدام للاسلحة الصغيرة التى توفرها الحرب الفيتنامية الثورية ، هى ضرورة توفر الشجاعة وثبات الاعصاب والتصميم على القتال لدى المقاتلين ، وعدم تصورهم أن الطائرة سلاح لايقهر بأسلحتهم الصغيرة .

ب — تركيز نيران المدفعية م/ط وفقا للتقدير التقريبى لتقرير معهد الدراسات الاستراتيجية عن « الميزان العالمى للقوى العسكرية لعام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ » — تستخدم فيتنام الشمالية حوالى ستة آلاف مدفع مضاد للطائرات ، بينها عيارات ٣٧ مم و ٨٥ مم و ١٠٠ مم ، وحوالى نصف هذا العدد من المدافع يوجه بالرادار ، بالاضافة الى بضع الاف من المدافع الرشاشة التى تستخدم فى الدفاع الجوى كما تستخدم حوالى ٥٠ قاعدة لاطلاق صواريخ من الارض الى الجو طراز جايدلاين يمكن لكل قاعدة ان تطلق من ٤ الى ٦ صواريخ (١١) . وقد قال السناتور الامريكى « جون ستينيس » رئيس اللجنة الفرعية للاستعداد العسكرى بمجلس الشيوخ الامريكى فى أواخر عام ١٩٦٦ « ان تركيز نيران المدفعية المضادة للطائرات فوق فيتنام الشمالية بلغ اعلى درجة فى تاريخ الحروب وهو مستمر فى الزيادة (١٢) . كما تقول الصحف الامريكية أن نيران المدفعية المضادة للطائرات فى فيتنام الشمالية قد تضاعفت من خريف ١٩٦٥ حتى مايو ١٩٦٦ ، وبلغت ثلاثة أمثالها فى الفترة من مايو ١٩٦٦ حتى أكتوبر من نفس العام ، وانه يوجد فى المنطقة المحيطة بهانوى ثلاثة مدافع مقابل كل مدفع كان موضوعا بالقرب من برلين ، عندما كانت غارات الحلفاء فى أوجها أثناء الحرب العالمية الثانية .

وان القصة الاسطورية لصمود جسر « هام رونج » لسيل الغارات الامريكية بلغ حوالى مائتى



● جهاز رادار تكتيكى يحمل فى مقطورة من الطراز الانجليزى نمرة ٤ ماركة ٦ ●

غارة حتى أواخر عام ١٩٦٧ ، دون أن يدمر ودون أن ينقطع مرور القطارات عليه ، تعتبر من أبرز الامثلة التى عبرت عن مدى قوة وتركيز نيران المدفعية المضادة للطائرات الفيتنامية وكفاءتها فى العمل وبسالة رجالها الفائقة . وقد بدأت الغارات الامريكية المركزة على هذا الجسر يوم ٤ ابريل عام ١٩٦٥ ، وفى ٥ ابريل تكررت نفس الغارات بنفس التركيز ، ولكن المدفعية المضادة اسقطت خلال هذين اليومين ٤٧ طائرة (١٣) ، ولم يتم تدمير الجسر . وقد أثبتت المدافع السوفيتية الصنع من عيار « ١٠٠ مم » كفاءة عالية فى العمل خلال صد الغارات على هذا الجسر ، فكثيرا ماكانت تستمر فى اطلاق النار ساعات متواصلة دون أن تتأثر دقتها فى التصويب بشىء ، رغم ارتفاع سخونة مواسيرها الى درجة بروز فقاقيع كثيرة فى طلائها الخارجى .

كما أثبت رجال المدفعية المضادة حول هذا الجسر وفى جميع انحاء فيتنام انهم على مستوى عال من البسالة والتصميم على القتال . فقد حدث اثناء غارة قامت بها ثلاثون طائرة امريكية على هذا الجسر ، أن سقطت قنبلة على بعد أمتار قليلة من أحد المدافع أدت الى دفن المدفع فى الارض وجرح قائده ويدعى « نجوين ترونج » ولكن طاقم المدفع لم يترك القتال وقام على الفور بالحفر حول مدفعهم حتى استطاعوا أن يعيدوه الى العمل مرة أخرى خلال نفس الغارة !

هذا وقد أسقط الطيارون الامريكيون خلال الغارات على جسر « هام رونج » حوالى ١٥٠ ألف قنبلة وآلاف من الصواريخ تفجرت معظمها فى المنطقة المحيطة به ، وبعضها الحق بعض الاضرار بالجسر ، ولكن فرق « العمل الفدائى » المكونة من

---

(١١) صفحة ١٦٢ من « الطليعة » العدد الاول عام ١٩٦٨ .
(١٢) صفحة ١٨ من كتيب « الجيش السوفيتى اليوم » الترجمة العربية .
(١٣) صفحة ٤٩ من العدد ٩ من المجلة العسكرية السوفيتية عام ١٩٦٧ .

فلاحى وعمال المنطقة كانت تقوم فى الحال باصلاح التلفيات فى أسرع وقت ممكن . بل ان كثيرا من افراد هذه الفرق قد تدربوا ايضا على استخدام المدافع المضاده للطائرات ليحلوا بسرعة محل اى جندى يقتل أو يجرح أثناء الغارات حتى لاينعطل أى مدفع عن العمل .

جـ ــ فاعلية الميج فى القتال الجوى : كما اثبت الطيارون الفيتناميون ــ رغم حداثه عهد سلاحهم الجوى وقلة عدده النسبية ــ ان الطائرات المقاتله « ميج ٢١ » ذات كفاءة عالية فى القتال الجوى ، وذلك خلال المعارك الجوية التى دارت فى سماء فيتنام . فمثلا تمكنت طائرتان ــ ميج ٢١ ــ من اسقاط طائرتين أمريكيتين من طراز « فانتوم » ــ مقاتلة وقاذفة خفيفة ذات محركين نفاثين ــ خلال اشتباك جوى وقع يوم ٢٦ ابريل عام ١٩٦٦ مع ستة طائرات من هذا الطراز فوق اقليم باكتهاى (١٤) .

وتكررت نفس المسألة فى معارك اخرى ، منها على سبيل المثال ، المعركة الجوية التى دارت فوق هانوى يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٧ واسقطت فيها المقاتلات الفيتنامية ثلاث طائرات أمريكية من طراز « ف ١٠٤ ، ف ١٠٥ » ، مقابل لاشىء والتى اتم فيها طيار شهير من فيتنام اسقاط الطائرة المائة فى سجله القتالى المشرف (١٥) .

د ــ فاعلية الصواريخ المضادة للطائرات : وقد اثبتت الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ايضا دقة وكفاءة فى اسقاط الطائرات فوق فيتنام الشمالية ، فقد استطاعت كتيبة صواريخ واحدة على سبيل المثال أن تسقط ٣٠ طائرة أمريكية فى المنطقة التى تحميها . وقد حاولت الطائرات الامريكية ان تفاجىء هذه الكتيبة لتدمرها فى ليلة ٨ فبراير عام ١٩٦٧ اثناء الاحتفال برأس السنة القمرية ، ولكن رجال الكتيبة كانوا ينتظرونهم واستطاعوا اسقاط طائرتين اثناء هذه الغارات فكانت مفاجأة غير سعيدة للامريكيين المغيرين (١٦) هذا وقد بلغ عدد الطائرات الامريكية التى اسقطتها وسائل الدفاع الجوى فى فيتنام الشمالية حتى يوم ١٢ فبراير ١٩٦٨ ، ٢٧٥٣ طائرة ، ومازال العدد يزداد حتى وصل الى حوالى ثلاثة آلاف طائرة حاليا .

الدروس العامة المستخلصة

ان وسائل الهجوم الجوى اصبحت فى أيامنا هذه شديدة الخطورة على سلامة وأمن أى دولة معرضة للحرب ، بسبب التطورات الضخمة التى طرأت عليها من حيث السرعة التى فاقت ضعف سرعة الصوت ، ومن حيث وسائل التسليح الحديثه التى اصبحت لديها من قنابل وصواريخ ذاتية التوجيه من الجو الى الجو ، أو من الجو الى الارض ، ومن حيث وسائل تحديد الاهداف والقدرة على الطيران فى كل الاجواء التى وفرها لها تطور علم الالكترونيات وتكنيك صناعة الطائرات .

وكل ذلك جعل الوقت المتاح لقوات الدفاع الجوى لصد أى هجمات جوية معادية ، خاصة المفاجئة منها ، يقل الى الحد الادنى ، ومن هنا نبع اهمية جعل قوات الدفاع الجوى فى اعلى درجات الاستعداد دائما ولديها القدره على العمل السريع بمجرد الانذار . ومن هنا أيضا تنبع الضروره القومية الكبرى فى البناء المدعم لقوات الدفاع الجوى والتطوير المستمر لها ورفع مستوى تدريبها الذى لايتوقف مطلقا ، بالنسبة للدول الوطنية المستقلة حديثا والتى تبغى الحفاظ على استقلالها فى وجه المؤامرات والمغامرات الاستعمارية العسكرية ، التى تقوم بها القوى الامبريالية نفسها مباشرة مثل العدوان الامريكى على فيتنام . أو التى تقوم بها نفس القوى بطريقة غير مباشرة عن طريق القوى العميلة والتابعة لها مثل اسرائيل وعدوانها على الشعوب العربية .

هذا ويعتمد نظام الدفاع الجوى الذى يمكن ان تقيمه هذه الدول ، على شبكة قوية متكاملة من محطات الرادار العاملة على الارتفاعات العالية أو المنخفضة ، ونقط الملاحظة الارضية ، ومحطات رادار متحركة فى سفن او طائرات أو سيارات أو كلها معا اذا امكن ، ثم مجموعة من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات التى تحمى المراكز الاستراتيجية الهامة والقادرة على اسقاط الطائرات بدقة على مختلف الارتفاعات . بالاضافة الى حلقات قوية من المدفعية م/ط الخفيفة والثقيلة حول المراكز الصناعية وعقد المواصلات الهامة والمطارات والمدن الكبرى الخ ، تعمل كلها بالرادار اذا أمكن ذلك . ويدعم هذا كله قوة من المقاتلات القادرة على اعتراض الطائرات المعادية خلال دقائق من الانذار المبكر واسقاطها بالصواريخ الموجهة أو المدافع الحديثة المجهزة بالرادار . ويحسن أن تساند كل هذا النظام قوات من المقاومة الشعبية والدفاع الذاتى مدربة على استخدام الاسلحة الصغيرة والرشاشات الثقيلة المضادة للطائرات ، تتولى الدفاع الجوى عن كل قريه وجسر ومصنع ، لتحيل سماء الوطن كلها الى جحيم فى وجه أى معتد أثيم .

---

(١٤) صفحة ٥٠ من العدد ٩ من المجلة العسكرية السوفيتية عام ١٩٦٧ .
(١٥) صفحة ٤ من العدد ١٢٨ عام ١٩٦٧ من مجلة « بشيرفيتنام » الطبعة الانجليزية ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ .

تقارير الشهر

* لماذا خسر العرب حربهم الثالثـة مع اسرائيل ٠٠ ومتى تبدأ الحرب الرابعة ؟

* مجلس السـلام العـالمى يطـالب بالقضـاء على العدوان فى الشرق الاوسط

* اطلاق سراح اليمين الفاشى لمواجهـة اليسار الفرنسى

* رحـلة خليـل قاسـم الى « ارض الـوداع »

■ الجمهورية العربية المتحدة

مستوى الوحدات الاساسية القلب النابض للتنظيم السياسى

انتهت خلال الاسبوع الماضى المرحله الاولى من مراحل اعادة بنـاء الاتحاد الاشتراكى العربى . وقـد تم اجراء الانتخـابات لاختيار لجان الاتحاد الاشتراكى فى ٧٥٨٤ وحدة تأسيسية من بينها ٤٨٤٥ وحدة سكنية و٢٧٣٩ وحدة جماهيرية بلغ عدد المرشحين التنافسين ٢٣٩ر١٨٠ مرشحا مقـابل ٢٧٨ الف مرشح تنافسوا على ٦٨٨٨ وحدة عام ١٩٦٢ .

وقد اشترك فى التصـويت ٧١٠ الاف عضـو جديد ـ وكذلك الاعضـاء القدامى المسـددون للاشتراك وعددهم حـوالى مليون و ٨٠٠ الف عضو ـ بالاضـافة الى الاعضـاء الذين كانوا مسجلين منذ انتخـابات ٦٢ ولم يسـددوا الاشتراكات ـ وقد منحتهم اللجنة بطاقة عضوية حمراء لكى يتمكنوا من الاشتراك فى الانتخابات تصويتا وترشيحا ـ وبذلك ارتفع حجم العضوية الى ما يقرب من خمسة ملايين عضو .

وقد تم انتخاب لجان الوحدات الاسـاسية على اساس ان تكون اللجنـة من عشرة اعضـاء نصفهم على الاقل من العمال والفلاحين باستثناء وحدات الكليات والمعاهد التى تقرر ان تشـكل من ٤ اعضاء من هيئة التدريس والمعيـدين و٣ من العاملين بالكلية و ٣ من الطلبة .

وقد تم انتخاب تمهيدى فى كل كلية او معهـد لاختيار ثمانية مرشـحين من بين الاسـاتذة والمعيدين ـ واختصر الاشتراك فى هذا الانتخاب على هيئة التدريس والمعيدين ـ ثم طرح الثمانية ضمن كشف الترشيح العام فى الكلية .

كما بذل اعضاء لجنة الاشراف على الانتخابات جهودا بارزة فى محـاولة تعبئة الراى العـام ـ وكذلك قامت اجهزة الاعلام والصحافة بدورها من اجل تجسيد المعركة بانها « من اجل تنظيم يستعـد اساسا للحـرب ـ تنظيم يلعب دورا حاسما فى المعركة ـ انه يؤدى دور القيادة للشعب تماما مثل القيادة للجيش» ودعوة كـل مواطـن ليقول « رأيه فى الحل السياسى والحل العسكرى وعليه ان يحدد ابعاد كل من الحلين وحدودهما واين يلتقيان ومتى يتصـدر احدهما الاخر » . بالرغم من كل هذا فان ضيق الوقت الشـديد وغياب التنظيم الطليعى القائد لم يسمحا لهـذه الجهود بان تحقق اهدافها .

ولقد شهدت الاسابيع القليلة السـابقة على انتخابات المرحلة الاولى نشـاطا واسـعا للجنة الاشراف على الانتخابات .

لقد استهلت اللجنة عملها باذاعة بيان سياسى عام اكدت فيه للشعب « انها ستبذل اقصى الجهد

فى حدود اختصاصاتها وامكانياتها لكى يتحقق لجميع المواطنين ما يؤملون من ان تكون هذه الانتخابات تمهيدا لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى على افضل الاسس المحكمة ــ وان عمل اللجنة كله يجب ان يكون تحت اشراف الشعب»

● الزام العمد والمشايخ الذين يتقدمون للترشيح ان يقدموا استقالاتهم من مناصبهم .

● ــ عدم الزام الناخب بان ينتخب عشرة اعضاء ــ واعطائه الحق فى ان ينتخب اى عدد بشرط الا يقل عن خمسة ولا يزيد عن عشرة .

● ــ لا يجوز ان تضم اللجنة عضوين من اسرة واحدة حتى الدرجة الرابعة من القرابة ــ وهذا القرار يستهدف تفتيت العصبيات ومنع سيطرة العائلات الكبيرة فى الريف . وعلق البعض على انه كان يجب اضافة علاقة المصاهرة والنسب لانتشارها فى الريف ، مثل زوج الابنة .. الخ .

● ــ تنظيم حق التظلم من القرارات وحق الطعن فى الناخبين والمرشحين .

● ــ عدم استخدام الوسائل المكلفة فى الدعاية الانتخابية مثل السرادقات واللافتات والميكرفونات والملصقات ودعوة المرشحين للاكتفاء بمنشور صغير يتضمن تاريخ المرشح وافكاره حول تنفيذ برنامج ٣٠ مارس فى مجاله .

● ــ مطالبة السلطات التنفيذية المختلفة بعدم نقل او ندب العاملين فى وحدات الانتاج خلال فترة الانتخابات .

● ــ تشكيل لجان الانتخاب من ثلاثة موظفين عموميين من اعضاء الاتحاد الاشتراكى ــ بشرط ان يكونوا من المركز او القرية او الحى الذين يشتركون فى الاشراف على الانتخابات فيه ولا يرتبط احدهم بصلة قرابة حتى الدرجة الرابعة باحد المرشحين .

● ــ تم الاتفاق على صرف استمارات سفر مجانية بالدرجة الثانية لنقل طلاب الجامعات من محال اقامتهم الى مقر وحداتهم ذهابا وايابا وفتح المدينة الجامعية لاقامتهم .

● ــ تقرر ان يبدأ الفرز مباشرة بعد الانتخاب وفى نفس مقر الوحدة الاساسية ــ مع السماح للمرشحين بالحضور خلال عملية الفرز .

ويرى المراقبون ان لجنة الاشراف على الانتخابات قد اتبعت فى عملها منهجا يتوخى محاولة اقامة الاتصال المباشر بالقاعدة الجماهيرية الواسعة ــ وطرح القضايا والاتجاهات التى تناقشها على الرأى العام وقياس الاتجاهات حولها قبل اتخاذ القرارات النهائية فيها .

ولقد كان لانتداب اثنين من اعضاء اللجنة للاشراف على الانتخابات فى كل محافظة فائدة كبيرة فى ايجاد صلة بالقاعدة الجماهيرية وفى وضع يد اللجنة على كثير من المشاكل ــ كما امكن لاعضاء اللجنة ان يكتشفوا كثيرا من المخالفات ومحاولات التلاعب .

ففى الزقازيق لاحظ عضو اللجنة ان نصف الطلبات الجديدة التى بلغت مائة الف طلب ــ مقدمة بطريقة واحدة وبخط واحد وموقع ببصمات واحدة .

وفى بنى سويف تبين ان ١١٠ طلبات من الطلبات الجديدة قد تشابهت فى البصمات الموقع بها فالغيت .

كما ثبت فى كثير من المناطق ان طلبات العضوية مقدمة دون علم اصحابها ومحررة بخط واحد .

ومن بين الفى طلب تقدمت بها سيدات اميات ثبت وجود ٨٠٠ طلب مزورة ــ كما تبين ان بعض العائلات فى البحيرة قد وزعت عددا من افرادها على المراكز المختلفة للتحايل على قرار منع وجود اكثر من ممثل واحد للاسرة الواحدة فى اللجنة ، مما دعا اللجنة لان تجعل قرارها شاملا بمنع وجود اكثر من فرد من الاسرة على مستوى المحافظة .

وفى اسيوط ظهر واضحا ان التكتلات العائلية مازالت تلعب دورا فى الانتخابات ــ وبرزت هذه الظاهرة ايضا فى محافظة المنيا ــ حيث كثر فى المحافظة فوز الوحدات بالتزكية .

وقد استجابت اللجنة لاتجاهات الراى العام التى تجمعت لديها فى بعض الاتجاهات التى طرحتها قبل اقرارها النهائى ولعل ابرز مثالين على ذلك ــ ما اتجهت اليه اللجنة فى اول الامر من الزام الناخب بانتخاب عشرة مرشحين والا بطل صوته ثم استجابتها لاتجاه الرأى العام وتعديلها القرار بشكل يجعل للمرشحين حق انتخاب عدد لايقل عن خمسة ولايزيد عن عشرة .

والقضية الثانية الموقف من العمد والمشايخ الذين يرشحون انفسهم للجان التأسيسية . ولقد كان هناك اتجاه فى اللجنة وايده السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية بان يكتفى بحظر جمع العمدة او الشيخ بين منصبه ومركز قيادى آخر فى لجنة القرية مثل منصب الامين والامين المساعد ــ لكن يجوز له ان يجمع بين منصبه وعضوية لجنة القرية .

ولكن اللجنة بعد استطلاع اتجاهات الراى العام انتهت الى ضرورة استقالة العمد والمشايخ الذين يتقدمون للترشيح .

كما اتاح اتصال اعضاء اللجنة المباشر بالجماهير ــ الفرص امام الجماهير للتقدم باقتراحات عديدة كان من ابرزها .

المطالبة بالفصل التام بين القيادة السياسية والادارية فى جميع مواقع العمل ــ والمطالبة باستبعاد اعضاء مجالس الادارة والاعضاء المفوضين من الترشيح فى مراكز الانتاج على ان

يسمح لهم بالترشيح في مجال سكنهم تفاديا لما قد يكون لهم من تأثير ، وحتى لا يجمعوا بين السلطة الادارية والسياسية .

كما طالبت الجماهير في المحافظات بضرورة مراعاة . تمثيل كافة المحافظات تمثيلا صحيحا ـ وابدت خوفها من تكتل ممثلي القاهرة والاسكندرية للفوز باغلبية المقاعد .

كما ابدت القواعد في الوحدات السكنية خوفها من ان تجمع ممثلي الوحدات الجماهيرية سوف يعطيهم الفرص الكبيرة للوصول الى معظم مقاعد مؤتمر المحافظة .

وفي الاسبوع الحالي تدخل الانتخابات لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي مرحلتها الثانية ـ حيث تقوم لجان الوحدات الاساسية بانتخاب مندوبيها لمؤتمر القسم او المركز بواقع مندوبان عن كل وحدة لا يتجاوز عدد اعضائها ٥٠٠ واربعة مندوبين عن كل وحدة يزيد عدد اعضائها على ٥٠٠ ولا يتجاوز ١٥٠٠ وستة مندوبين للوحدات التي يزيد عدد اعضائها على ١٥٠٠ ـ يستثنى من ذلك الوحدات الاساسية في الكليات والمعاهد فيكون لكل منها دائما اربعة مندوبين ـ تقديرا لدورها القيادي ومكانتها العلمية » .

ويشترط في المندوبين للمؤتمر توافر نسبة ال ٥٠٪ وعدم الجمع بينها وبين منصب امين اللجنة او الامين المساعد .

وفي الاسبوع التالي تقوم مؤتمرات الاقسام بانتخاب مندوبي الاقسام في مؤتمرات المحافظات على اساس ثمانية مندوبين لكل قسم او مركز على ان يشترط بالنسبة لاقسام الجامعة ان تشكل من ٨ ثمانية منهم اربعة من هيئة التدريس والمعيدين على الا يزيد عدد المعيدين عن اثنين ـ ثم اثنان لكل من العاملين والطلبة .

وسوف يعقد المؤتمر القومي العام يوم ٢٣ يوليو ومن المنتظر ان يبلغ عدد اعضائه ١٨٠٠ هم جميع اعضاء مؤتمرات المحافظات .

ويرى المراقبون ان مستقبل التنظيم السياسي الذي يجري تشكيله هذا الشهر يتوقف على الطريقة التي سوف يعمل بها . وقد دعا **الدكتور مراد غالب** عضو لجنة الخمسين الى ضرورة ان يعطى للتنظيم سلطات كاملة في رسم سياسة الدولة في نواحي الدفاع والاقتصاد والتعليم وعن اسلوب العمل داخل الاتحاد الاشتراكي فقد اكد سيادته على ضرورة « الحركة الحية داخل التنظيم ـ بمعنى طرح كل القضايا على مستوى الوحدات الاساسية لتبدي رأيها من خلال مناقشات حية حرة ديمقراطية ثم تقود الى المستوى الاعلى ومعها توصيات وراء الجماهير الواسعة » كما اكد سيادته على حقيقة « ان الانتخابات لن تاتي بكل العناصر الصالحة » ـ ولكن لابد من ان تقف جميع العناصر المخلصة والقادرة التي لم تأخذ فرصتها خلف اللجنة الاساسية ـ لتشكل من هذه العناصر لجان فرعية او امانات متخصصة تعاون لجنة الوحدة وتساعدها في اعمالها وتحركها بين الناس .

●

هل يصبح « بئر الفيوم » نقطة تحول في تاريخ البترول المصري ؟

ان اكتشاف البترول عند « ممر الجمال » على مسافة ٧٥ كيلومترا من القاهرة و ٨٥ كيلومترا من الفيوم .. ليست مجرد بئر جديدة تضاف الى بقية الآبار المنتجة للذهب الاسود والمنتشرة على خريطة مصر .. ولكن معناه ـ في عرف خبراء البترول ـ انه قد تأكد يقينا ان الصحراء الغربية تخفي تحت رمالها تجمعات بترولية ـ لا يهم الان حجمها او كمياتها ـ ولكن المهم « انه يوجد بترول هنا وكفى .. » والهدف من تأكيد وجود البترول تحت رمال الصحراء الغربية ، انه ولسنوات طويلة مضت ، كان امر البترول في الصحراء الغربية مجرد دراسات على الورق وتجارب في المعامل واحتمالات يسوقها اولا باول طوابير الجيولوجيين الذين يمسحون الصحراء والوديان والجبال .. واحلام في رءوس مهندسي شركات البترول التي راحت تبحث وتنقب سنوات وسنوات عن بترول الصحراء الغربية .. بلا نتيجة ، حتى ان شركة « صحاري » الامريكية صرفت ـ في هذا المجال ـ وعلى رمال الصحراء الغربية نحو ٢٨ مليون جنيه بلا فائدة .. الامر الذي جعلها تشد الرحال الى بلدها ؟

والامر الذي يستحق التسجيل ، ان بترول الصحراء الغربية خرج صدفة من باطن الارض .. **كيف ؟**

فلقد كان مهندسو البترول يحفرون بئرا عند « **ممر الجمال** » بقصد دراسة طبقات الارض وما ان وصل الحفر الى عمق ٦٥٠ مترا واجريت دراسات عند اعماق مختلفة من البئر فظهرت بها شواهد بترولية .. وباختبار الطبقة العليا من البئر التي تقع عند عمق ٣٦٠ مترا انتجت بترولا بمعدل ٢٠٠ برميل في اليوم ..

ويقول خبراء البترول عن بئر « **ممر الجمال** » انه على الرغم من انتاج البئر يعد قليلا بالقياس الى الحد الادنى لمعدل انتاج آبار البترول ذات الصفة الاقتصادية ـ حوالي ٥٠٠ برميل في اليوم

ـ وعلى الرغم من ان ثمة آبارا فى مصر مثل بئر مـرجان ينتج كل يوم ٦ آلاف برميل .. **الا ان الدلائل تؤكد ان لهذا الاكتشاف اهمية تفوق اى اكتشاف بترولى آخر :**

● اول دلالة ان انتاج البترول من هذه البئر دليل على وجود البترول فى المنطقة ، ولقد سبق لشركة صحارى الامريكية ان اجرت عدة محاولات لمدة ٤ اعوام كاملة فى الصحراء الغربية دون ان تكلل جهودها بالنجاح ..

● ان العمق الذى خرج منه البترول قريب جدا من سطح الارض (عمق يبلغ ١١٠٠ اقدام) بينما فى حقول العلمين او المرجان او حتى دلتـا النيل يزيد العمق على ٨٠٠٠ قدم .. ولسوف يساعد العمق الصغير فى بئر ممر الجمال على حفر عدة آبار اخرى جديدة فى اقل فترة ممكنة وبأقل المصروفات ..

● كذلك فقد اكدت الابحـاث المعملية على البترول المتدفق من بئر الفيوم ان درجة جـودة البترول فيه تبلغ ٣٥ درجة وهى احسن الدرجات البترولية التى تم الكشف عنها فى كل آبار مصر حتى الان ، بل ان درجة بترول العلمين من حيث الجودة (٣٣ درجة) وهو يعتبر من اجود انواع البترول المصرى ..

● ولعل من أهم امتيازات البئر الجديدة انه اصبح اقرب منطقة بتروليـة الى القـاهرة فان المسافة بينهما لا تتجاوز ساعة بالسيارة ــ ٧٥ كيلومترا لا غير ــ الامر الذى سيقلل من مصاريف شحن خام البترول .. ومن تكاليف اسـتغلال الحقـل ..

ثم مسالة أخرى تنفرد بها بئر ممر الجمال فى الصحراء الغربية .. فان التركيب الطبقى للمنطقة التى تقع بها البئر تتكون من :

١ ــ طبقة بازلت عمقها ٣٧٠ قدما .

٢ ــ طبقة حجر جيرى عمقها ٢٠٠٠ قـدم .

٣ ــ طبقة رملية تحمل مياه مالحة .

والطبقة الحاملة للبترول تقع فى منطقة الحجر الجيرى وسمكها لا يتعـدى ١١ قدما .. ومن طبيعة الحجر الجيرى عندما يحمل بترولا ان تكون كمياته قليله نسبيا .. ومن هنا فانه لو حدث ان هناك فى نفس التركيب طبقة رملية على مستوى الطبقة الجيرية التى تحمل البترول لانتجت كميات هائلة من البترول .. هكذا يقول خبراء البترول . ويضيفون .. ان عمق المياه سوف يكون واحدا فى التركيب عند مستوى ٢٠٠٠ قدم ولقد تدخل الحظ هنا .. حتى انه فى اكثر من موقع فى نفس منطقة بئر ممر الجمال تؤكد دراسات وابحـاث الجيولوجيين الى أن هناك طبقة رملية تعلو طبقة الحجر الجيرى التى تحمـل البترول بالف قدم تقريبا ..

ومن ثم فان احتمالا قويا يقفز الى السطح بان الصحراء الغربية عند نفس المنطقة قد تكشف عن حقل جديد يمنح آلاف البراميل من البترول كل يوم .. بالاضافة الى احتمال آخر هو ان تكون هناك طبقة حاملة للبترول على بعد مئات الاقدام قد يكشف عنها الحفر العميق بعد ذلك ..

ومن حول بئر ممر الجمال .. يقوم المهندسون بحفر ٥ آبار اخرى جديدة .. سوف يسهرون عليها ليل نهار .. ففى اية لحظـة قد يحمـل اللاسلكى من قلب الصحراء الغربية الى المسئولين فى القاهرة .. خبرا مثيرا ومبهجا بتدفق البترول بكميات كبيرة من واحدة من الآبار الخمسة .

●

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

٥ يونيـــو ١٩٦٨ : على غير ما توقع العـدو

استقبلت الامة العربيـة ذكرى العـدوان الصهيونى الامبريالى ، فى الشهر المـاضى ، بشـكل يؤكد ارادتها وتصميمها على استعادة اراضيها وحقوقها مهما تكبدت من التضـحيات .. ولقد عبر الشعب العربى ، بمختلف هيئاته الرسـمية والشـعبية ، عن اسـتعداده لخوض المعركة المصيرية لتحرير الارض المغتصبة ، والتاكيد على ان معركته القادمة مع العدو سـتكون معركة حيـاة او موت ، وانه عازم على تحقيق النصر باذن الله .

ففى الجمهورية العربيـة المتحـدة : توقفت الحياة تماما فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، لمدة دقيقة واحدة ، وتوقفت جميع المواصلات وجميع المصـانع عن العمل ، كما توقفت جميع قوات الامن ، معلنة بذلك الحـداد على ارواح شهداء اليوم الخامس من يونيو .

وفى القوات المسلحة ، اعلن الحـداد دقيقة واحدة على ارواح الشهداء ، كما قامت القوات الجوية صباح ذلك اليوم بطلعات متعاقبة فى سماء القاهرة للطائرات المقاتلة المصرية ، رمزا لاعادة بناء السـلاح الجوى ، الذى كان هدفا للضربة الاولى صباح ٥ يونيو ، وعزمه على مواصـلة النضال حتى يتحقق النصر ، وذلك ضمن برنامج القوات المسلحة فى ذلك اليوم .

وقد بدأ العمل اليومى فى القوات المسلحة واجهزتها ، بمناسبة ذكرى ٥ يونيو ، فى الساعة الثامنة صباحا ، بأحاديث لقادة الوحدات متضمنة المغزى من تذكر النكسة العسكرية للقوات المسلحة ، والاجراءات الهادفة التى تمت لاعادة البناء العسكرى والدروس المستفادة من المعركة .

وفى الاردن : اشترك حوالى عشرة آلاف مواطن فى المؤتمر الشعبى الكبير الذى اقامته فى عمان لجنة انقاذ القدس ، وحضره وفود عن مجلس السلام العالمى ، والاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى ، ومنظمة تضامن الشعوب الافريقية والاسيوية ، ومؤسسة برتراند راسل للسلام ، كما حضره عديد من الشخصيات الوطنية فى الاردن ، وقد القى كريستوفر فارلى ، عضو مؤسسة راسل ، كلمة ذكر فيها : ان مذابح فيتنام واندونيسيا لا تقارن بما قام به الاسرائيليون ضد اللاجئين العرب .. كما اشاد بالعمل الفدائى ، وحيا الفدائيين الفلسطينيين ، وقال : ان عملهم يعتبر بداية للوصول الى العدل ..

وفى سوريا : شهدت المدن السورية سلسلة من اللقاءات والندوات الشعبية ، وفى جميع المصالح والمؤسسات العامة ، لتوضيح ابعاد المؤامرة التى خطط لها الاستعمار والامبريالية وقامت بتنفيذها قاعدتهما العدوانية اسرائيل ، وادانة الحلول الاستسلامية ، والمطالبة بالعمل على تجنيد جميع طاقات الشعب العربى وقدراته البشرية والمادية وثرواته فى المعركة الحاسمة ضد الصهيونية والاستعمار ، والتى سيتقرر على نتائجها مصير هذه المنطقة من العالم ، ومصير الانسان العربى ووجوده ، والاشادة ببطولات الفدائيين العرب على الارض المحتلة .

وفى الاراضى المحتلة : ساد الاضراب جميع المناطق العربية المحتلة فى القدس ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة ، وتوقفت جميع المواصلات واغلقت المتاجر والمدارس ، وكانت جميع المنظمات والهيئات الوطنية والشعبية قد اصدرت بيانات دعت فيها المواطنين الى الاضراب العام والتزام منازلهم فى ذكرى العدوان ، تعبيرا عن استنكار العدوان ، ومعارضة الاحتلال الاسرائيلى ، كما نظمت الهيئات والمنظمات المسيرات الشعبية والمظاهرات الضخمة فى جميع المدن المحتلة .. وقد لجأت السلطات الاسرائيلية الى اعنف وسائل القمع والارهاب ، فأطلقت الرصاص على المتظاهرين فى قطاع غزة ، واعتقلت عددا كبيرا من الشباب والفتيات . وفى مدينة القدس ، وقعت اشتباكات عنيفة بين شباب العرب المتظاهرين والبوليس الاسرائيلى وهم يهتفون فلسطين عربية ، وناصر . ناصر ، واصابوا عددا من رجال البوليس الاسرائيلى ، كما اصيب عشرات من المتظاهرين على ايدى القوات الاسرائيلية ، وهم يشقون طريقهم من القدس العربية القديمة الى باب العمود ، ويواصلون سيرهم حتى القدس الجديدة ، وهم يهتفون بسقوط الاحتلال الاسرائيلى .

وفى العراق : اعلن الاضراب العام فى جميع انحاء البلاد ، وتوقفت جميع المصالح والمؤسسات الرسمية ، واغلقت جميع المتاجر فى العاصمة ، بمناسبة ذكرى العدوان الامبريالى الصهيونى على الامة العربية ، وسارت المظاهرات الضخمة التى اشترك فيها آلاف المواطنين ، واخذت تطوف شوارع العاصمة ، تطالب بدعم العمل الفدائى ، وتنادى بفتح باب التطوع ، وتسليح الشعب ، وتصفية المصالح الاستعمارية فى البلاد العربية ، والتعاون مع المعسكر الاشتراكى .

وفى لبنان : خرجت المسيرات والمظاهرات الشعبية والطلابية الضخمة فى بيروت وصيدا وطرابلس وصور ، وبعض المدن اللبنانية الاخرى ، تعبيرا عن استنكار الشعب اللبنانى للعدوان على الدول العربية ، واصرارهم على ازالة آثار العدوان .. وفى بيروت ، قامت مظاهرة ضخمة اشترك فيها آلاف الطلبة والعمال والهيئات الشعبية فى الصباح ، مخترقة شوارع العاصمة الرئيسية ، وسط هتافات الجماهير : ناصر . ناصر ، يابو خالد ، بدنا السلاح ، لا تدويل ولا تحييد ، وكانوا يحملون صور الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس شارل حلو ، والاعلام اللبنانية والفلسطينية ، واللافتات التى تحمل الشعارات المختلفة : ساندوا العمل الفدائى ، سلامة لبنان فى تضامنه مع اشقائه العرب ، لبنان لن يكون للاستعمار مقرا او ممرا ، نرفض الحل السياسى على حساب فلسطين . حتى لا يشرد ابناء لبنان ، حصنوا قرى الحدود .

وفى الجزائر : نظمت المظاهرات والمؤتمرات الشعبية فى مختلف المدن ، واطلقت اسماء فلسطين والقدس على عديد من الشوارع فى العاصمة وفى وهران ، وفى غيرها من المدن .. واكد راديو الجزائر فى تعليق له : ان الكفاح المسلح ضرورة ملحة لاستعادة الارض السليبة واستعادة الكرامة والشرف .

وفى السودان : نظمت هيئة الدفاع عن الوطن العربى فى الخرطوم المظاهرات الشعبية الضخمة ، التى طافت شوارع العاصمة ، وقد حمل المتظاهرون اللافتات التى تندد بالعدوان الصهيونى الامبريالى على الامة العربية ، وتدعو

الى حمل السلاح ، وطريق السلاح طريق العودة .. كما طالبت هيئة الدفاع عن الوطن العربي بتأميم المصارف الامريكية والالمانية الغربية ، وبالتسليح من الدول المعادية للاستعمار ، وبتوجيه الاسواق العربية الى الدول الاشتراكية.

كما توجه عدد من رؤساء الدول العربية الى شعوبهم بخطابات سياسية هامة بهذه المناسبة .

وقد اعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب وجهه للشعب انه « فيما تحقق ايجابيا خلال هذا العام الذى انقضى ، فانه تعنيني مجموعة من الحقائق لا شك فيها ولا شبهة حولها .

اولا .. ان القوات المسلحة المصرية تعيد بناء نفسها رجالا وسلاحا . علما وتدريبا . بشكل لم يكن متوفرا لها في يوم من الايام ..

ثانيا .. ان الامة العربية بالاجماع تدرك انها سوف تواجه معركة يتقرر فيها المصير العربي الى عشرات السنين ، وربما مئات السنين ، ومن هذا الادراك الاجماعي ، فان الامة العربية تملك من ارادة التصميم ما لم تملكه في يوم من الايام .

ثالثا .. ان العمليات الشجاعة التى تقوم بها المقاومة الفلسطينية ، في وجه مخاطر شرسة .. كما ان الوقفة المجيدة للجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية ، وفي غزة .. رفضا للاحتلال ، وتحديا لسيطرته وجبروته .. وتحملا مؤمنا صامدا . كلها علامات تحول هام ، واساسي ، بالنسبة للنضال الفلسطيني ، يثبت ان العنصر الفلسطيني يؤدي دوره في الكفاح الشامل لامته العربية الان بأكثر مما كان يؤديه في اى يوم من الايام .

رابعا .. ان الراى العالمي ، والقوى الضخمة الفعالة فيه ، يرى من حقائق الصراع العربي الاسرائيلي ، ومن ابعاده ، اكثر مما كان متاحا له رؤيته في اى يوم من الايام » .

واعلن الملك حسين : « ان على حكام اسرائيل ان يعيدوا النظر في السلام الذى يتحدثون عنه ، لاننا في هذا البلد بالذات ، على استعداد لان نموت قبل ان نخطو خطوة واحدة اكثر مما خطونا حتى الان ، واوضح بعد ذلك ان درس النكسة قد علم العرب انهم امة واحدة تواجه اخطارا واحدة لا سبيل الى ردها الا بالتضامن الصامد » .

واعلن الرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي : ان قيام وحدة عسكرية بين الدول العربية التقدمية هو الحد الادنى الذى لابد منه ، والذى تفرضه ظروف المعركة الراهنة بالحاح لا يقبل الارجاء .. وقال : ان تحقيق اى خطوات وحدوية بين الدول العربية التقدمية ضمن اى اطار او مستوى اصبح ضرورة ملحة ومصيرية اكثر من اى وقت مضى . كما اكد : « ان تحقيق خطوات وحدوية ليس موجها الا ضد الاستعمار والصهيونية واعداء الامة العربية وتحررها ، ولا يجوز اعتباره موجها ضد اى دولة عربية ، فهو اداة جمع وتوحيد ، وليس مجال فرقة او استعباد ، كما انه يفتح الطريق واسعا جدا امام جميع الاقطار الراغبة في المشاركة المخلصة في المعركة المشتركة ، وامام كل جهد ايجابي ، او طاقة عربية يمكن ان تساهم في اغناء النضال وتقريب ساعة النصر » .

واعلن الرئيس اسماعيل الازهرى : ان الاسرائيليين ظنوا ان ذلك النصر الزائف سينتهي بالشعب العربي الى الاستكانة والرضى بالمذلة والهوانة ، ولكن خاب املهم عندما صمد الشعب العربي رغم مرارة الهزيمة ، ورغم المؤامرات والدسائس ، وقال : ان بلاده تؤيد الكفاح المسلح للفدائيين العرب ، وانها لن تتردد في المساهمة بكل ما لديها من قوة لتصعيد هذه المقاومة ، بالرغم من ان جهود الفدائيين لا تعد بديلا للحل العسكرى الذى لن نتردد من اللجوء اليه .

●

حركة المقاومة الفلسطينية

المقاومة .. وحدة وفاعلية متزايدة واسرائيل .. تذيع أرقام الخسائر

تم الاتفاق على تشكيل المجلس الوطنى الفلسطيني من قيادات المنظمات الفدائية وجيش التحرير الفلسطيني ، الذى يضم ١٠٠ عضو موزعين على النحو التالى :

٣٨ حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح».
١٠ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .
٢ مستقلين
٢٠ جيش تحرير فلسطين
٣٠ منظمة تحرير فلسطين واتحاداتها

ويجرى اتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد الاجتماع الاول للمجلس الجديد في ١٠ يوليو الحالي بالقاهرة، ومن بين الموضوعات الهامة التى سيبحثها المجلس الجديد ، تعديل النظام الاساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، كما أن هناك اتجاها لانشاء مكتب دائم للمجلس الوطني الفلسطيني تكون مهمته التخطيط ورسم السياسة العليا للمنظمة ، على أن يضم عدة لجان تكون مهمتها الاشراف على العمل الفلسطيني من جميع جوانبه السياسية والعسكرية والاعلامية والمالية . وتعتبر المصادر الفلسطينية المستقلة تشكيل المجلس الوطني ممثا

فيه كلّ المنظمات الفدائية هو الخطوة الاولى على طريق العمل الفلسطيني الموحد .

وكان **يحيي حموده** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قد صرح فى منتصف الشهر الماضى ، بأن عمل المجلس الوطنى الجديد سيكون توحيد العمل الفلسطيني بما فى ذلك العمل الفدائى ، كما انه من المنتظر ان يعلن عن اسماء اعضاء المجلس الوطنى الفلسطيني الجديد قبل انعقاده فى العاشر من الشهر الحالى .

وقامت المنظمات الفدائية بكثير من العمليات العسكرية الناجحة ضد قوات العدو . ومن السمات البارزة على المرحلة الجديدة الاكثرنضجا هو طابع العمليات ((**المشتركة**)) .

وكانت اولى هذه العمليات المشتركة ،الهجوم الكبير على معسكر القوات الاسرائيلية فى ((**تلة النجار**)) شمال شرق اريحا ، الذى قام به الفدائيون العرب من منظمة فتح وقوات التحرير الشعبية فى صباح يوم ٢٥ مايو الماضى ، والذى أسفر عن مقتل واصابة ١٢٠ ضابطا وجنديا اسرائيليا وتدمير عدد من سيارات وآلياتومدافع العدو

وكان العمل المشتركالثانى،بين قوات العاصفة التابعة لمنظمة فتح وقوات جبهة التحريرالشعبية الفلسطينية «الصاعقة» فى الهجوم الذى شنته على معسكر ومركز تجميع آليات العدو بالقرب من أريحا فى يوم ٧ يونيو الماضى ، والذى اسفر عن قتل وجرح ١٢ جنديا اسرائيليا وتدميرالمعسكر وعدد من الاليات الحربية .

وكان العمل المشترك الثالث ، الهجوم الذى شنته قوات المقاومة التابعة لمنظمة فتح والتابعة لمنظمة تحرير فلسطين ، على معسكر «أمالسدر» غربى منطقة دير علا فى وادى الاردن فى ١٦ يونيو، والهجوم المشترك الثانى على معسكر للعدو شمال شرقى العوجا ، وذلك صباح ١٧ يونيو ، وقد اسفر الهجوم الاول عن ابادة جميع افراد المعسكر الاسرائيلى .

وقد ابرز البلاغ المشتركرقم ٢٥ لمنظمة التحرير، والرقم ١٤١ للعاصفة دلالة هذا التطور الجديدوقد جاء فيه : ان العمليات المشتركة هذه تعتبرتجسيدا لوحدة المقاتلين فوق ارض المعركة وانطلاقا من ايماننا العميق بأن وحدة الدم ومشاركةالاستشهاد هى خير ضمان لوحدة الصف الفلسطيني ووحدة الصفوف العربية » .

وتتابعت العمليات العسكرية بصورة متزايدة الحدة والنطاق ، وتعتبر هذه العمليات فى الاصل امتداد للعمل البطولي والتنسيق الذى تم بين المنظمات الفدائية لاول مرة ، ونلمسه فى معركة الكرامة الشهيرة فى ٢١ مارس الماضى من ناحية وبين الجيش الاردنى من الناحية الاخرى .

ثم كان اندلاع الهبةالشعبية فى قطاع غزة فى ١٥ مايو ، وصلابة ومقاومة الاهالى فى مدن القطاع لسلطات الاحتلالوهجماتهم المتكررةعلى مقرالحاكم الاسرائيلى وانزال العلم الاسرائيلى ورفع العلم الفلسطيني مكانه ، والاشتباكات المستمرة مع القوات الاسرائيلية ، واقامة المتاريس فى الشوارع وقطع الطريق على القوافل العسكرية وتدمير سيارات العدو ، واصابة عدد كبير من الجنود الاسرائيليين ، وذلك بالرغم من فرض السلطات الاسرائيلية حظر التجول فى مدن القطاع واقامة حزام لعزل القطاع عن بقية الاراضى المحتلة .

ويولى المراقبون اهتماما كبيرا بالحوادث التى تشهدها مدن القطاع هذه الايام اذ انها أول مرة يعلن فيها الشعب الاعزل فى كافة مدن انقطاع تحديه ووقوفه بصلابة ومقاومتهلخططات التهجير والتهويد والتصفية ، والاصرار على الحفاظ على عروبة القطاع ، الامر الذى يكشف عن نمووتعاظم دور وفعالية التنظيم القائد الذى يقود النضال داخل القطاع ، وهى «الجبهة الوطنية المتحدة» التى تكونت فى ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧ — وتضمجميع المنظمات الاشتراكية والوطنية والديمقراطية والشخصيات الوطنية فى قطاع غزة .

ومن ناحية أخرى يلاحظ المراقبون مسألة تكرار حوادث الانفجارات داخل اراضى فلسطينالمحتلة، وذلك خلال الشهور القليلة الماضية — وكانتآخر هذه العمليات الجريئة ، حادث نسف مستودعات الذخيرة والصواريخ والاسلحة فى منطقة«يافنيه» على بعد ١٥ ميلا من تل أبيب ، حيث ظلت الانفجارات تتوالى لمدة عشر ساعات ، فدمرت كل محتويات المخازن ، ونسفت عددا من المنازل . وقد أعلنت منظمة فتح أنها قامت بهذه العملية فى ٩ يونيو ، وقد تردد أن المستودعات كانت تحتوى على الذخيرة والاسلحة التى استولت عليها اسرائيل اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ . وكان **ياسر عرفات** المتحدث باسم منظمة فتح ، قد أكد فى تصريح له فى ٢٣ مايو الماضى أن « الثورة الفلسطينية تقوم على ارض فلسطين وان كلّ قواعد المقاومة موجودة داخل الارض المحتلة » . وقد جاء هذا التصريح فىأعقاب الانباء التى ترددت حول مشاريع اسرائيل لاقامة اسوار مكهربةعلى طول خط وقف اطلاق النار على الضفة الغربية والمناطق الاخرى .

وكان موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى قد اعترف فى الكنيست فى ١٢ يونيو ، ان خسائر اسرائيل فى هجمات الفدائيين بلغت ٥٧٨ قتيلا وجريحا ، وذلك فى الفترة منذ نهاية حرب يونيو ١٩٦٧ حتى يوم ٤ يونيو ١٩٦٨ .

■ هيئة الامم

انتقال الوساطة الى نيويورك أوربا .. ثم موسكو

منذ انهى **جونار يارنج** اقامته فى الشرق الاوسط فى ١١ مايو الماضى ، ليركز نشاطه ووساطته فى نيويورك ، اعتبر المراقبون هذه الخطوة بمثابة مرحلة جديدة تتسم بالجمود وتنبىء بالفشل ، رغم محاولة المبعوث الدولى العمل على انفاذ قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب اسرائيل من الاراضى التي احتلتها بعد ٥ يونيو ، وحل مشكلة اللاجئين ، وحيث استدعت مهمته أن يكون على صلة مستمرة بالدول الاربع الكبرى فى مجلس الامن ، على أن يواصل اتصالاته ومشاوراته مع الوفود العربية فى الامم المتحدة.

وكانت مهمة المبعوث الدولى منذ ان انتقل الى نيويورك ، قد بدأ يحيطها الغموض والصمت المطبق ، فقد رفض أن يدلى بأى تصريحات حول اتصالاته واجتماعاته بالوفود المختلفة ـ فى نفس الوقت الذى كانت تتوالى فيه تصريحات المسئولين الاسرائيليين ، التى تؤكد عدم وجود اى بادرة أو احتمال لقبول تنفيذ قرار مجلس الامن ، الامر الذى يحمل المراقبين السياسيين على التأكيد بأن مهمة جونار يارنج ، لم تحقق تقدما على الاطلاق .

وكان **دنيس نيلد** مراسل وكالة الاسوشيتدبرس الامريكية فى بيرت قد كتب فى تحقيق له بمناسبة مرور عام على حرب ٥ يونيو : « ان مهمة جونار يارنج فشلت فى تحقيق اى تقدم يذكر ، وقد كسب العرب خلال العام الماضى عطف الرأى العام العالمى ، الذى بدأ يميل الى جانب العرب ، وحتى الان لم تظهر اسرائيل اى بادرة تدل على انها سترضخ للرأى العام العالمى ، قبل ان ينفجر الموقف فى الشرق الاوسط مرة أخرى » .

وكانت آخر هذه التصريحات من جانب المسئولين الاسرائيليين ، ما أعلنه موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى اجتماع حزب العمال فى ١٩ يونيو وجاء فيه : « ان قرار مجلس الامن مرفوض كأساس للتسوية وانه يتعارض تعارضا مباشرا مع مصالح اسرائيل لانه يعنى الانسحاب من الاراضى المحتلة » . وقد ادى هذا التصريح الى حدوث أزمة حادة داخل الوزارة الائتلافية الاسرائيلية ، وتعرض ديان بسببه لهجوم شديد داخل الوزارة من جانب أبا ايبان وزير الخارجية، الذى يعتبر تصريحات زميله وزير الدفاع بأنها ، هدمت السياسة الخارجية لاسرائيل ودمرت صورتها فى العالم . وكان من الواضح ان النقد الموجه الى ديان ينصب على الشكل لا المضمون .

وكان فاسيلى كورنتسوف نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتى قد هاجم موقف اسرائيل وتحديها للرأى العام العالمى ، ووقوفها عائقا ضد اقرار السلام فى الشرق الاوسط . واعلن : ان هناك دولا كثيرة اصبحت تؤيد العرب فى موقفهم ، وانه من الواضح أن اسرائيل لاتريد تنفيذ قرار مجلس الامن . وقد أدلى كوزنتسوف بهذه التصريحات عند مغادرته نيويورك فى ٢٢ يونيو الماضى بعد ان راس وفد بلاده فى مناقشات الامم المتحدة بشأن حظر الاسلحة النووية .

وفى ٢٨ يونيو وصل يارنج الى موسكو واجتمع بكوزنتسوف النائب الاول لوزير الخارجية على اثر عودة الاخير من الامم المتحدة ، ثم اجتمع بكوسيجين رئيس الحكومة السوفيتية واندريه جروميكو وزير الخارجية ، وعلقت وكالات الانباء على هذه اللقاءات بأنها تتعلق بالاوضاع فى الشرق الاوسط .

●

■ السودان

الاوضاع الاقتصادية وراء احتدام الصراع السياسى

جاءت نتيجة الانتخابات ـ التى تنافس فيها ١٠٠٠ مرشح على ٢١٨ دائرة ـ بنفس القوى السياسية التى صاغت سياسة السودان فى السنوات الاخيرة فى اطار رأسمالى . وقد حصلت هذه القوى على الاغلبية الساحقة لاصوات الناخبين ـ ٧٦٠ر٠٠٠ لحزب الاتحاد الديمقراطى (اتحاد حزب الشعب الديمقراطى مع الحزب الوطنى الاتحادى) ـ ١٠١ مقعد ـ و ٣٧٠ر٠٠٠ صوت لحزب الامة (جناح الصادق) ـ ٣٦ مقعدا ، و ٢٩٥ر٠٠٠ لحزب الامة (جناح الهادى) ، ٣٠ مقعدا .

وحصلت جيوب هذه القوى على ١٠٠ الف صوت ، ٤٠ ألفا للميثاقيين و ٣٣ الفا لحزب سانو ، و٣٦ الفا لجبهة الجنوب . هذا بينما حصلت الجبهة الاشتراكية على ٥٧ الف صوت

فقط ، وهى تضم الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الجديد واتحاد نقابات العمال واتحاد الزراعيين .

ولئن كانت نتيجة هذه الانتخابات قد زادت من حدة الصراع السياسى داخل السودان ، فانها قد عبرت عن السمات الجديدة للوضع الاقتصادى فى السودان بعد الاستقلال — هذا الوضع الذى تميز بنمو متزايد للراسمالية السودانية ، معتمدة على استثمار رؤوس الاموال الاجنبية ، وذلك بعد ان كان الاستثمار الراسمالى فى السودان يعتمد اساسا قبل الاستقلال على قدرات الاقتصاد السودانى الذاتية .

بعد الاستقلال — بلغت جملة القروض المسحوبة حتى عام ١٩٦٦ ، اكثر من ٧٠ مليونا من الجنيهات السودانية ، واحتل المركز المتقدم فى هذه القروض البنك الدولى والمانيا الغربية . وسارت خطة التنمية ، وخاصة الخطة العشرية التى وضعت فى ظل الحكم العسكرى لصالح التطلعات الراسمالية ، وبهدف خلق طبقة راسمالية تكون فى خدمة الاستعمار الحديث ، وركيزة اساسية من ركائزه ، يسيطر بها سياسيا على مقدرات البلاد .

ووفق مخطط التنمية الراسمالية هذا ، بلغت — مثلا — تقديرات الاستثمار فى الصناعة ٦١ مليونا من الجنيهات للقطاع الخاص ، و ٢٥ مليونا من الجنيهات للقطاع العام (قطاع الدولة) ، وقدر للقطاع العام ان يتحمل عبء التنمية فى القطاع الزراعى (حيث يواجه هذا القطاع هبوطا مستمرا فى اسعار منتجاته فى السوق العالمية) ، فتتوفر بذلك شروط افضل لراس المال الخاص فى مجالات عمله .

ولقد احيط هذا المخطط للاستثمار الراسمالى الاجنبى بمجموعة من الضمانات ، ومنحه شروطا سخية . فبمقتضى قانون الميزات الممنوحة لعام ١٩٥٦ ، تخلت الدولة عن حق راس المال السودانى فى مشاركة راس المال الاجنبى ، وكذلك عن تمثيل السودانيين فى مجالس الادارة ، وقيد الاستيراد لمصلحة الشركات الاجنبية ، ووضع نظام لاعفاءات الارباح من الضرائب وحق تدرج تصاعدى يحمى راس المال الكبير ، واعفيت الالات والمواد الخام من الرسوم الجمركية . وخلال الحكم العسكرى ، حرم قانون الدفاع على الطبقة العمالية حتى الاضراب ، وهيأ بذلك الراسماليون جوا ملائما للاستغلال دون منازع .

ومنذ عام ١٩٥٦ ، ازدادت قدرات وامكانيات الراسمالية السودانية . اذ انه قبل الاستقلال كانت الطبقة الراسمالية السودانية تتكون اساسا من تجار يعملون فى الداخل (تجارة القطاعى) ، وكان ينقصها الكوادر الجديدة ، بسبب انخفاض مستوى التعليم وضعف التأثر بالعالم الخارجى ، ولكن منذ عام ١٩٥٦ ، وجد تدريجيا كادر جديد للطبقة الراسمالية رفع من مستوى استنارتها وتطلعاتها الطبقية ، ودخل الى صفوف الراسماليين فئة كبيرة من كبار موظفى الدولة ، كوكلاء للشركات الاجنبية ، وفى الاعمال التجارية والصناعية الجديدة . ويؤكد تطور الوجود الراسمالى فى هذه الفترة الحقائق التالية : انه حتى آخر اكتوبر ١٩٦٦ ، مول البنك الصناعى ٦٧ صناعة بدأ نصفها فى الانتاج ، وقدم البنك راس مال قدره ١٫٠٦٥ مليون جنيه ، بينما استثمر الراسماليون ٨١٢٫٥١٧ الف جنيه ، ويملك راس المال السودانى الخالص ٥٧ صناعة من هذه المجموعة . وفى ظل الحكم العسكرى الذى مثل دكتاتورية الفئات البيروقراطية المرتبطة بالتحولات الجديدة بعد الاستقلال نشأ ٦٢ ٪ من مجموعات الصناعة فى الفترة الواقعة بين ١٩٤٧ و ١٩٦٥ .

ومن بين ٤٤ صناعة جديدة ، نجد ٩ صناعات براس مال اجنبى خالص ، يبلغ ٧٫٢١٢٫٦٥٠ جنيهـا ، و١٥ صناعة مختلطة ، يبلغ راس المال الاجنبى فيها ٩٥٥٫٣١٨ جنيهـا ، ولا يزيد راس المال السودانى فيها عن ٦٦١٫٠٥٢ جنيها ، و٢٠ صناعة سودانية خالصة ، لا يزيد راس مالها عن ١٫٥٢٣٫٦٧٠ جنيهـا . وهكذا نجد ان نسبة راس المال الاجنبى فى هذه المجموعة يمثل ٧٩ ٪ من مجموع الاستثمارات ، ولا يزيد راس المال السودانى فيها عن ٢١ ٪ .

وانه فى اكبر استثمار صناعى ، مصنع النسيج السودانى — الامريكى — ٦٫٥ مليون جنيه — تبدو صورة سيطرة راس المال الاجنبى والاستعمار الحديث اكثر وضوحا ، « فالمعونة » الامريكية دفعت راس مال قدره عشرة ملايين دولار ، بفائدة ٥٫٥ ٪ ، على مدى ١٨ عاما ، ودفعت مجموعة من الشركات البريطانية (انجلش الكتريك واخوان بلات وماربلس وردجواى راس مال قدره ٢٫٦٣٥ مليون من الجنيهات ، الى جانب مؤسسة اجنبية أخرى دفعت ٢٫٥ مليون من الدولارات) .

إن راس المال الاجنبى معتمدا على التطلعات

الطبقية للراسمالية السودانية بعد الاستقلال ، قد بذل كل جهده لاضعاف قطاع الدولة وتفكيك اوصاله لصالح القطاع الخاص ، ولصالح طريق التنمية الراسمالية — ونجد ذلك واضحا فى المشاريع الزراعية التى تقوم على رى خزان الروصيرص ، والذى موله البنك الدولى ، ضمن الخطة العشرية ، وحيث اصر خبراء البنك على وضعها فى نطاق القطاع الخاص ، على اساس راسمالى ، يستخدم العمل المأجور ، ويطغى على وضع المزارعين المستأجرين . وفى مشروع الجزيرة ، يسعى البنك الدولى بشعار تنمية الحوافز ، الى تقوية القبضة الراسمالية . وفى قطاع المواصلات ، وحيث توصل البنك الدولى الى وضع ممتاز مستندا الى القروض ، فان خطته فى التنفيذ تهدف الى رفع قبضة الحكومة المركزية عن هذا القطاع ، وذلك بوضعه تحت اشراف لجنة مستقلة ، وبدعم وضع العناصر البيروقراطية فى داخله ، مع تمثيل الراسماليين فى ادارته .

واستفاد الاستعمار الحديث من الصفة المحافظة للراسمالية السودانية ، والتى تحجم عن الاستثمارات الانشائية ، التى توسع قاعدة الانتاج لخلق فئات راسمالية تتحالف معه . وظهر ذلك فى اتساع الاستثمار العقارى فى القطاع الراسمالى الخاص — ففى الفترة الواقعة بين ٥٥ / ٥٦ و ٦٠ / ٦١ ، استثمر القطاع الخاص ١٢ مليونا من الجنيهات ، بينما وصل مجموع الاستثمارات فى خلال فترة قصيرة ٦١ / ٦٢ — ٦٢ / ٦٣ ، الى حوالى ٣٠٫٩٣٠ مليون من الجنيهات . وقد ادى ذلك الى وجود فئة من المقاولين لها وزنها ، تجمع لديها من هذا النشاط وحده اكثر من ٣ ملايين جنيه ، على اساس ان الارباح فى قطاع المقاولات تحقق نسبة ربح تعادل ١٠ ٪ .

وفى ميدان التجارة السودانية ، وخاصة فى التجارة الخارجية ، وهى ميدان ما زال يمثل بالنسبة للسودان ، ما يقرب من ٣٩ ٪ من انتاجها القومى ، نتيجة الوضع المتخلف للبلاد ، واستمرار اعتماده على الصادرات طريقا للتنمية واستمراره سوقا للسلع الصناعية — فان العناصر الراسمالية السودانية بدأت تنمو داخله ويزداد وزنها ، رغم ان هذا القطاع ما زال تحت السيطرة التامة لراس المال الاجنبى ، ورغم ان معظم هذه العناصر ما زالت تميل الى العمل كوكيلة لراس المال الاجنبى ، والمؤسسات الراسمالية الغربية كان بعضها يعمل فى مجال الوارد والصادر بطريقة اكثر استقلالا .

لقد دفعت السهولة فى جنى الارباح من هذا القطاع العناصر الراسمالية السودانية للتجمع تحت شعار (سودنة التجارة الخارجية) — حتى انه فى موسم ١٩٦٣ وحده كان اهم مصدرين للقطن وبذرته ١٩ مؤسسة — صدرت ما قيمته ٤٥ مليونا من الجنيهات ، وربحت اكثر من مليونى من الجنيهات بمتوسط ١٠٠ الف جنيه للمصدر الواحد . ويشجع هذا القطاع البنوك المولة ، ومعظمها مؤسسات اجنبية — وقد بلغت مساهمة المصارف فى عام ١٩٦٣ ، فى تمويل قطاع التجارة اكثر من ٨٣ ٪ من مجموع عمليات تمويلها ، وذلك بهدف تحقيق الارتباط الوثيق مع دوائر راس المال الاجنبى .

وهذه الوضعية الاقتصادية تمثل فى الصراع السياسى فى السودان — ارتباط وكلاء راس المال الاجنبى والدوائر المرتبطة به فى قطاع الصناعة الحديثة بالقوى المعادية للثورة الوطنية الديمقراطية ، وميل القوى الراسمالية ، والتى تتداخل مصالحها مع القوى البيروقراطية فى الدولة ، والمرتبطة بالقوى شبه الاقطاعية والاقطاعية الى المصالحة مع قوى التخلف فى البلاد ، كما ان القطاعات الراسمالية التى تتصادم مصالحها مع مصالح الاستعمار الحديث الزاحف ، والتى لا تعمل وكيلة لراس المال الاجنبى فمازالت ضعيفة التكوين ، ولا تجد تعبيرا سياسيا عنها فى حزب مستقل — ولذا فان هذه الفئة ، والتى يوجد لديها تطلعات وطنية ما زالت تعمل لصالحها بدرجات متفاوتة داخل هذه الاحزاب وفى اطارها ، مما يدفع بعض هذه الاحزاب الى التعبير عن مصالح هذه الفئة احيانا بشعارات عن البعث الوطنى بعد الاستقلال .

ولئن كانت نتيجة الانتخابات الاخيرة تؤكد هذه النتيجة ، فان عنصرا جديدا ، وهو تزايد دور الطبقة العاملة والقوى الاشتراكية فى السودان والجماهير التى تحركت فى ثورة اكتوبر وبدات فى الانفصال عن القيادات التقليدية — هذا العنصر اصبح يمثل مركز جذب لفئة الراسمالية الوطنية ، التى تتعارض مصالحها مع تغلغل الاستعمار الحديث ، ومن اهم هذه القطاعات البورجوازية الزراعية (المزارعين المستأجرين) ، والتى اشتركت فى الانتخابات الاخيرة بشكل مستقل داخل نطاق الجبهة الاشتراكية ، بواسطة اتحاد المزارعين ، والتى حصلت فى مديرية النيل الازرق على حوالى ستة آلاف صوت .

■ **نيجيريا**

مفاوضـــات لكسب الوقت ومأزق للطـرفين معـــا ..

رغم مضى عام كامل على انفصال **بيافرا** واندلاع الحرب الاهلية فى **نيجيريا** وما اسفرت عنه من خسائر كبيرة فى الارواح وفى اقتصاديات البلاد ، الا ان الدلائل كلها تنبىء عن ان الحرب الاهلية سوف لا تضع اوزارها خلال فترة طويلة قادمة . ففضلا عن الهزائم العسكرية المتكررة التى منيت بها قوات **اوجوكوو** زعيم الانفصال فى بيافرا ، والتى أودت آخرها بحياة اثنين من كبار قادة قواته ؛ فقد اقتحمت حكومة **جوون** الاتحادية على بعض الاجراءات التى من شأنها ان تشدد من عملية الحصار الاقتصادى وخاصة فى مجال التموين حول بيافرا .

ويمكن القول بأن كلا من الطرفين المتحاربين قد أصبح فى مأزق صعب . فالجانب الانفصالى ـ بيافرا ـ من جهة ، لم يستطع ان يستفيد بالقدر الكافى من عنصر اعتراف اربع دول افريقية به ـ هى **تنزانيا وجابون وساحل العاج وزامبيا** ـ الذى دعم موقفه سياسيا حين اقبل على مفاوضات ٢٣ مايو الماضى . وذلك بتثبيت انفصاله ، او حتى بتحقيق « تراجع منتظم » . ولكن مدى استفادته هذه ، كانت تفترض « مركز قوة عسكرى » بهجوم واسع على قوات الحكومة الاتحادية او حتى بافشال هجومها على **ميناء هاركورت** الذى تم عشية المفاوضات . واصبح اقدام مزيد من دول القارة على الاعتراف ببيافرا ، موضع شك فى الفترة الحالية على الاقل . فضلا عن ان **«ورقة المساومة»** التى كان يحتفظ بها اوجوكوو وهى السيطرة على منشئات البترول وميناء تصديره فى هاركورت ، قد ضاعت من يديه بعد ان استولت قوات جوون على الميناء مما ادى الى قطع اهم طريق المواصلات ببيافرا .

اما جانب الحكومة الاتحادية ـ من جهة اخرى ـ فبرغم تفوقها العسكرى ، الا انها لم تحقق انتصارا حاسما حتى الان تنهى به المشكلة . وسوف يفتح ذلك الباب من جديد امام احتمال اعتراف دول افريقية أخرى على المدى الطويل ، مما يفاقم المشكلة ويزيدها تعقيدا . فضلا عن انها تكلفت حتى الان ـ بسبب الحرب ـ ما يزيد على ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى كما تقول **الديلى تلجراف البريطانية** . ومثل ذلك المبلغ فى ظروف نيجيريا الاقتصادية الصعبة ، يضع الحكومة امام مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة . يزيد على ذلك كله ، ان كل انتصار عسكرى تحققه قوات الحكومة ، يدفع بقوات بيافرا الى الانسحاب نحو منطقة الادغال ، ويفتح الباب امام مرحلة جديدة للحرب الاهلية هى حرب العصابات التى يصعب التنبؤ بنهايتها اذا بدات .

ويغض النظر عن طابع المبالغة فى تقديرات كل من الطرفين لخسائر الارواح ، الا ان الصحافة العالمية ـ بلا استثناء ـ تجمع على ان آلافا من النيجيريين قد لقوا حتفهم . واستمرار نسبة القتلى بهذا المعدل ـ بالاضافة الى تزايد عدد اللاجئين والمشردين والجوعى والجرحى ـ سوف تؤلب الراى العام الداخلى على الطرفين معا آخر الامر .

ويعتقد المراقبون ان فشل المفاوضات التى جرت بين ممثلى الطرفين فى **كامبالا (أوغندا)** فى ٢٣ مايو الماضى ، قد بددت الامل الذى لاح فى منتصف مايو الماضى فى ايجاد حل قريب للمشكلة .

وبعد اذاعة بعض التفصيلات حول هذه المفاوضات ، يمكن القول ان كلا من الطرفين كان يهدف من وراء قبول اجرائها ، كسب مزيد من الوقت يسعى الجانب الانفصالى خلاله الى توسيع دائرة الدول المعترفة به لتدعيم موقفه ، وتسعى الحكومة الاتحادية خلاله الى ايقاف هذا الاتجاه (الاعتراف) بين الدول الافريقية من جهة والى محاولة توجيه ضربة عسكرية قاضية من جهة أخرى .

ويستدل بعض المراقبين على تاكيد هذا الراى ، بحقيقتين تتصل الاولى بصيغة جدول الاعمال الذى اتفق عليه حيث جاءت عامة جدا وتنقسم الى قسمين : ١ ـ « انهاء العداوات » ٢ ـ « اتخاذ الخطوات اللازمة للوصول الى تسوية دائمة » . والواقع ان هذه الصياغة لا تختلف بالمرة عن الخطب والنداءات السياسية التى يوجهها قادة الطرفين منذ بدء المشكلة وحتى بعد اعلان الانفصال واندلاع الحرب الاهلية . والحقيقة الثانية تتصل بما يمكن تسميته «بمسألة التواريخ» . فقد تشددت حكومة جوون فى البداية بأن تبدأ المفاوضات فى ٢٧ مايو ، بينما تمسكت وقتها حكومة اوجوكوو بيوم ٢٠ مايو . ثم عادت حكومة جوون الى الاصرار على « يوم ٢٣ مايو بعد الظهر » . فاصرت حكومة اوجوكوو من جانبها على « يوم ٢٢ مايو بعد الظهر » . واخيرا اتفقا على « يوم ٢٣ مايو صباحا » . وذلك مظهر من مظاهر عدم الجدية فى الرغبة فى الوصول الى حل سريع يرتقى الى مستوى الموقف .

وفى المفاوضات ، كانت وجهة نظر حكومة جوون تتلخص فى ضرورة تخلى اوجوكوو عن الانفصال والقاء السلاح قبل وقف اطلاق النار بـ ١٢ ساعة على ان تقوم قوات من الجيش الاتحادى وقوة بوليس ومجموعة مراقبين اجانب وقوة بوليس تابعة **للايبو**

(القبيلة السائدة فى الاقليم الشرقى) بفشل بيافرا».
وبعد ٧ ايام من ذلك تسلم ادارة مناطق الثوار الى الحكومة الاتحادية . ثم يعلن بعد ذلك تقسيم نيجيريا كلها من جديد الى ١٢ اقليم بدلا من ٤ بهدف تفتيت الحزازات القبلية .

وقد رفض وفد بيافرا الذى رأسه **لويس بمبانيفو** وجهة نظر حكومة جوون هذه فى الحال . وتتلخص وجهة نظر بيافرا فى القول بعودة اجزاء من جمهورية بنين الى الاتحاد النيجيرى .

وجدير بالذكر ان اعلان جمهورية بنين فى اقليم الغرب الاوسط لم يدم يوما واحدا سقط بعدها أمام قوات حكومة جوون ».

كما عرضت بيافرا اجراء استفتاء فى مناطق قبائل الاقلية لتقرير المصير . وقد رفضت حكومة جوون ذلك ».

وعلى اية حال ، فان « بثر الحرب الاهلية » التى كانت تبدو منذ بدايتها « بلاقرار » مازالت تبدو حتى الان وبعد مضى عام « بلاقرار » ايضا . والمشكلة التى قد تبدو فى القريب هى : من الذى سيحسم أزمة نيجيريا : عنصر افريقى ، أم عنصر غير افريقى ؟

●

■ **كوريا الشمالية**

ضـــــربة أخـــــرى
« لغطرسة القوات الامريكية »

اتسم حادث اغراق سفينة التجسس الامريكية الجديدة فى المياه الاقليمية لكوريا الشمالية ، ببعض الغموض ، الذى لم يلاحظ فى حادثة اسر سفينة التجسس الامريكية « بويبلو » فى المياه الاقليمية لكوريا الشمالية منذ حوالى ستة اشهر . ذلك انه على الرغم من اذاعة الراديو الكورى لتفاصيل حادث اغراق سفينة التجسس الاخيرة ، التى قامت « باعمال استفزازية » بالقرب من ميناء « يوكيو » الا ان وزارة الدفاع الامريكية قد نفت نفيا قاطعا ان سفينة امريكية اغرقت بواسطة قوات كوريا الشمالية . غير ان راديو سيول الكورى الجنوبى اعلن ان السفينة التى اغرقتها كوريا الشمالية هى سفينة صيد تابعة لكوريا الجنوبية وليست سفينة امريكية . ثم بادر بعض المسئولين الكوريين الجنوبيين بالتصريح بانه ليست هناك معلومات عن اى حادث يتعلق بسفينة صيد تعمل فى خارج الشاطىء الغربى لكوريا الجنوبية ».

وبذا اتضح نوع من التضارب فى تصريحات الكوريين الجنوبيين ، واتجاها للنفى القاطع من جانب الامريكيين ، والحقيقة التى يراها عدد من المراقبين السياسيين ، ان الولايات المتحدة لم تلجأ للتكذيب القاطع ، الا لحفظ ماء وجهها دوليا ، ازاء الضربة الكورية المفاجئة والقوية فى الشرق الاقصى ، فمما لا شك فيه ان اغراق سفينة التجسس الامريكية هذه ، بكل طاقمها انما يعد امرا مذلا بالنسبة لسياسة « غطرسة القوة » التى دابت الولايات المتحدة عالميا على اتباعها فى السنوات الاخيرة . خاصة وهى لم تستطع اتخاذ موقف عنيف على اثر اسر السفينة الاولى للتجسس .

كذلك فان التصريحات الكورية الجنوبية عن ان السفينة التى اغرقت هى سفينة صيد ، يمكن ان تكون نوعا من المناورات الدعائية ، ذلك ان اعمال التجسس البحرى يمكن ان تتم تحت ستار سفن الصيد « والنقل البحرى العادى » .

ويعد هذا الحادث ثانى رد من قبل الكوريين الشماليين على الاعمال الاستفزازية العدوانية التى تقوم بها القوات الامريكية برا وبحرا وجوا ضد جمهورية كوريا الديموقراطية ، بعد حادث اسر سفينة التجسس الامريكية « بويبلو » .

والحقيقة التى لاحظها عديد من المراقبين السياسيين ان المجابهة الكورية الشمالية الشجاعة والقوية للمستعمرين الامريكيين تلقى تأييدا وتقديرا عظيمين من جانب الشعوب المكافحة وحركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث والقوة الثورية واليسارية الجديدة فى الغرب الاوربى والامريكى . ويعد العقاب الكورى الشمالى الاخير لسفينة التجسس الامريكية ثانى مساهمة ايجابية واضحة من شعب كوريا الشمالية فى هدم هيبة الولايات المتحدة العسكرية فى شرق اسيا الاقصى ، كما انه يحمل كذلك تبديلا فى المناخ الدولى الذى سادته اخيرا اعمال العنف والارهاب الامريكى العسكرى ضد حركات التحرر والدول الثورية عامة .

والحقيقة ان اى تطورات خطرة للموقف فى كوريا ، تحظى باهتمام كبير ومباشر من جانب **الصين الشعبية** المجاورة لكوريا الشمالية والتى اشترك متطوعوها فى الحرب الكورية ضد الامريكيين فى الخمسينات ، ومن جانب **الاتحاد السوفيتى** الذى يرتبط مع كوريا الشمالية بمعاهدة امن مشتركة منذ سنة ١٩٦١ ، ومن جانب **اليابان** التى لا تود تشويه مستقبلها فى آسيا عن طريق ارتباطها بسياسة العدوان الامريكية على الشعوب الاسيوية . خاصة وان اليابان التى تعمل بشكل دائب على التوسع فى تجارتها الدولية فى آسيا وعلى بيع آلاتها الفنية ، وضمان موارد

ثابتة من المواد الخام لها ، يمكن ان تستخدم اراضيها كقاعدة للعمليات العسكرية ضد الشعوب الاسيوية .

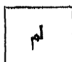
وعلى اية حال ، فان مواقف كوريا الشمالية ، تزيد من تفهم الشعوب الثورية فى العالم الثالث ، لحقيقة ان سياسة المواجهة العنيفة المسلحة للامبرياليين الامريكيين ، هى السياسة الوحيدة الصائبة والتى « يفهمونها حق الفهم » .

ومن المعروف ان الفترة ما بين ٢٥ يوليو و ٢٧ يوليو مخصصة للكفاح المشترك من اجل انسحاب قوات الولايات المتحدة من كوريا الجنوبية ، بالتضامن مع الشعوب المناضلة والمحبة للسلام .

●

■ **برلين**

أزمة كل عشر سنوات



لم تتضح حتى كتابة هذا التقرير ، النتائج التى سوف يسفر عنها الاجتماع الدورى لوزراء دول حلف الاطلنطى ، بشأن تطورات الاحداث الاخيرة فى **برلين** ، حيث اقدمت حكومة **المانيا الديمقراطية** ، فى منتصف الشهر الماضى ، على اتخاذ اجراءات جديدة ، تدخل فى اطار ممارسة حقها فى السيادة على اراضيها . وقد وضع اجتماع وزراء دول حلف الاطلنطى ، مسألة برلين ، كنقطة اولى فى جدول الاعمال .

وكان وزير داخلية المانيا الشرقية ، قد اعلن فى البرلمان ، ان حكومته قررت فرض تأشيرات على المسافرين ، وضرائب على السلع والسيارات المارة من والى **برلين الغربية** . وابتداء من ١٥ يوليو ستطالب سلطات المانيا الديمقراطية سكان المانيا الغربية بجوازات سفر . وتقدر الدوائر الغربية حصيلة هذا القرار ــ اقتصاديا ــ بنحو ٨٠ مليون مارك سنويا . وجدير بالذكر ان برلين الغربية تقع على بعد ١١٠ اميال داخل اراضى المانيا الشرقية . وهذا التقسيم ، نتيجة من نتائج معاهدة **بوتسدام** ، التى وقعت بعد الحرب العالمية الثانية ، بين **الاتحاد السوفيتى وامريكا وفرنسا وبريطانيا** .

ويربط المعلقون لشئون اوربا ، بين قرار حكومة المانيا الشرقية ، وبين تزايد خطورة ونفوذ **الحزب الديمقراطى الوطنى** (الحزب النازى الجديد) فى **المانيا الغربية** ، وخاصة فى الانتخابات الاخيرة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، اقدام حكومة بون على استصدار قرار من **البوندستاج** (البرلمان) ، بفرض قوانين الطوارىء الذى يعطى الحكومة سلطات استثنائية فى ظل مناخ سياسى عام يسود المانيا الغربية ، وينبىء عن احتمالات اقدامها على بعض التحركات العدوانية ضد المانيا الشرقية ، خاصة بعد ارتفاع الاصوات التى تدعو الى الاستفادة من تجارب الحرب الخاطفة التى شنتها اسرائيل على الدول العربية ، وتشبيه ما حدث فى القدس بما يجب ان يحدث فى برلين .

ولهذا كله فقد نص قرار حكومة المانيا الشرقية ايضا على «منع نقل الكتب والمطبوعات الخاصة بالحزب النازى الجديد عبر اراضيها من والى برلين » . فالقضية هنا ــ على حد تعبير المراقبين ــ تتصل بالامن القومى لالمانيا الشرقية . وقد بدأت اولى الاجراءات فى بداية هذا العام ، حيث منع المسئولون فى حكومة بون ، واعضاء الحزب « النازى الجديد » ، من المرور فى اراضى المانيا الديمقراطية .

وبرغم ما زعمته وكالات الانباء الغربية ، عن ان هناك اختلافا فى وجهات النظر بين قواد الحلفاء العسكريين (الامريكيين والفرنسيين والبريطانيين) فى برلين الغربية .. وبين عمدتها حول الاجراءات التى تتخذ لمواجهة خطوة المانيا الشرقية ، الا ان خطاب الرئيس الامريكى **جونسون** ، الى رئيس الوزراء الالمانى **كيزنجر** ، يشير بوضوح الى المساندة الامريكية الكاملة لحكومة بون . وقد شجع ذلك كيزنجر على ان يعلن فى خطاب له ، بعد اجتماع غير عادى لمجلس وزرائه ، « ان تطورات الازمة سوف تؤثر على موقف بون من معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية » ، التى اقرتها الامم المتحدة بعد جهود مضنية ، استمرت سنوات طويلة . وقد قررت حكومة بون زيادة المخصصات المالية لبرلين الغربية لتعويضها عن الخسائر التى سوف تلحق بها ، نتيجة للقيود التى فرضت حولها .

وقد اثار انتباه المراقبين ، الرحلة المفاجئة التى قام بها كيزنجر ، حين طار الى برلين الغربية بعد اجتماع مع سفراء امريكا وفرنسا وبريطانيا فى بون . ومن المعروف ان وزير خارجية بون كان قد طار ايضا الى برلين ، حيث اجتمع بالسفير السوفيتى **بيتر ابراسيموف** ، بعد ايام قليلة من قرار حكومة المانيا الشرقية . ولم تعرف بعد حقيقة ما دار فى هذه الاجتماعات كلها .

هذا ، وقد اكد **بريجنيف** ، السكرتير العام **للحزب الشيوعى السوفيتى** ، **وكوسيجين** رئيس الوزراء ، والرئيس **بودجورنى** ، فى رسالتهم الى

زعماء المانيا الغربية ، اكدوا ان الاتحاد السوفيتي والمانيا الشرقية « يتخذان موقفا متماثلا بالنسبة للسلام والامن في اوربا ضد مساعي المانيا الغربية الى الانتقام » . كما وجه الاتحاد السوفيتي مذكرة عنيفة اللهجة الى امريكا اعلن فيها ان المحاولات التي تقوم بها بون لاخضاع برلين الغربية تحت سيطرتها ، قد تؤثر على حق الولايات المتحدة في مرابطة قواتها في المدينة . وحذرت المذكرة من « النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على اية اعمال استفزازية » .

ويربط بعض المراقبين بين خطوة المانيا الديمقراطية هذه ، وبين الخطب السياسية التي كان **اولبرخت** رئيس جمهورية المانيا الديمقراطية ، قد القاها في الشهور الاخيرة ، مؤكدا قوله باستمرار على ان « سياسة التعايش السلمي ، ليست منهجا او خطا للدفاع ، وانما هي سياسة هجومية في مواجهة مطامع وعدوان الامبريالية العالمية » . ولذا يتساءل هؤلاء المراقبون ، الى اي حد سوف يقدم الغرب على مواجهة هذه الخطوة ؟ . ونظرا للظروف الداخلية الدقيقة التي تجتازها معظم الدول الغربية ، وخاصة امريكا وفرنسا وبريطانيا ، فان المراقبين يعتقدون بأن الازمة الحالية لن تشغل حجما كبيرا في السياسة الدولية لفترة طويلة من الوقت . ويذكر هؤلاء المراقبين ان هناك ازمتين سابقتين ، احدهما ازمة ١٩٤٨ ، عندما قرر الاتحاد السوفيتي فرض حصار شديد حول برلين الغربية ، فتعاونت دول الحلفاء في الغرب على تموين المدينة من الجو ، حيث تكلفت العملية مئات الملايين من الدولارات . والازمة الثانية في عام ١٩٥٨ ، عندما هدد **خروشوف** رئيس الوزراء السوفيتي السابق ، باجبار الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين على الخروج من برلين الغربية وتحويلها الى مدينة حرة . وثالث هذه الازمات ، ازمة ١٩٦٨ ، الحالية . ولذلك يطلق بعض المراقبين عليها وصف « ازمة كل عشر سنوات » .

على ان عددا من المعلقين ، يعتقدون بأهمية عدم التقليل من احتمالات ان تسعى الدوائر العدوانية الحاكمة في بون الى استغلال الازمة لتصعيدها الى حدود الخطر . ويدعو هؤلاء المعلقون الى ضرورة النظر بعين الاعتبار الى حقيقة ان حكومة بون قد وجدت نفسها فجاة في مأزق امام الرأى العام الداخلي في بلادها ، وذلك في وقت ليس بعيدا فيه عن الاذهان الاضطرابات التي كانت قد وقعت في الداخل في اعقاب مظاهرات الطلبة .

■ **فرنسا**

اطلاق سراح اليمين الفاشى لمواجهة اليسار الفرنسى

حقق الديجوليون انتصارا واضحا في المرحلة الاولي من الانتخابات فاق توقعات المراقبين ، اذ اسفرت عن فوز مرشحي حزب اتحاد الجمهورية الجديدة بـ ١٤٢ مقعدا مقابل ١٠ مقاعد لجميع المنظمات والاحزاب الاخرى .

الا أن عدد المقاعد لايعبر عن حقيقة توزيع الاصوات والوزن السياسى ، فالديجوليون وانصارهم الجمهوريون المستقلون حصلوا على ٩ ملايين و٦٦٣ الفا من الاصوات بنسبة ٤٣٫٦٠٪ ، اما اصوات اليسار فقد بلغت ٤١٫٢٣٪ فحصل الشيوعيون على ٤ ملايين و ٤٣٥ الفا (٢٠٫٠٣٪) وحصل مرشحو الاتحاد اليسارى على ٣ ملايين و٦٥٤ الفا (١٦٫٥٪) والحزب الاشتراكى المتحد على ٤ ٪ من مجموع الاصوات . وقد اذاع المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى بيانا قال فيه ان مجموع الاصوات التى حصل عليها اليسار تزيد عن ٩ ملايين .

لكن المراقبين السياسيين يتوقعون أن تكون الاعادة في مصلحة اليسار ، وان يستمر الاستقطاب بين تحالف ديجول مع اليمين وبين اليسار على حساب الوسط .

وبعد صدمة النتائج بالنسبة لليسار وخشية الجولة الثانية من جانب اليمين ، عملت الاطراف المتصارعة ، فيحاول الديجوليون التحالف مع كل من يعادي الشيوعيين ، بينما يدعو هؤلاء جميع عناصر اليسار الى التضافر والتكاتف لوقف « الدكتاتورية المقنعة » ويعملون على وضع استراتيجية موحدة لليسار .

وبعد أن اصدر العميد روشيه قرارا باغلاق جامعة السوربون ، (وهو ثاني قرار من نوعه طوال ٧٠٠ سنة ، هى عمر الجامعة ، وكان الاول اثناء الاحتلال النازى لباريس) ، وقع صدام عنيف بين الطلبة المضربين ، وبين رجال البوليس (فرقة مكافحة الشغب) ، وسقط كثيرون من الجرحى ، وولد مايسمى « **بحركة ٣ مايو** » .

● اعلن الطلبة شروطهم للتفاوض مع الحكومة وتتلخص في فتح الجامعة (السوربون وكلية نانتير) ، وجلاء البوليس عنها . وابدى العميد روشيه استعدادا للاستجابة . ولكن لويس جوكس ، القائم بأعمال رئيس الوزراء ، اتخذ اجراء مضادا ، فحشد ٢٠ الفا من رجال

البوليس فى العاصمة واحاطوا بمناطق تجمعات الطلبة .

● ليلة العاشر من مايو ، احتل الطلبة وتلاميذ المدارس وبعض العمال ، التل المحيط بالسوربون .. تحركت فرق « مكافحة الشغب » ، بعد ان تلقت امرا بتطهير المنطقة .. طلب مدير بوليس باريس امرا كتابيا ، خوفا من تحمل مسئولية هـذا العمل ، واعطى له على الفور .. وبدات معركة « وحشية » ، (كما وصفتها الطالبة ابنة لويس جوكس لابيها تليفونيا ، مطالبة اياه بوقف الاعمال الوحشية) ، استمرت حتى الفجر .

● ١١ مايو ـــ وصل جورج بومبيدو ، رئيس وزراء فرنســا على عجل الى باريس من زيارة رســمية لايران ، ووافق فورا على مطــالب المدرسين والطلبة ، وهى الافراج عن زعمــاء الطلبة المعتقلين ، وفتح الجــامعة ، وســحب البوليس منها .

● اجتمع ممثلو الطلبة واتحاد المدرسين من جانب مع ممثلى اتحــادات العمــال الشيوعيين والكاثوليك والاشتراكيين من جانب آخر . وقرر زعماء العمال التضامن مع الطلبة ومســاعدتهم بالدعوة لاضراب عام يوم الاثنين ١٣ مايو .

● تقدمت اتحادات الجامعة بمطلبين جديدين الى جورج بومبيدو : اقالة فوشيه وزيرالداخلية، وبيرمييت وزير التعليم ، وجريمــو مدير بوليس باريس .

● بدء الاضراب العام (١٣ مــايو) ، وهو يوافق ذكرى الانقلاب « الجزائرى » ، الذى جاء بديجول الى السلطة . واحتل الطلبة جامعــة السوربون ، واتجه حشد من الطلبة والمدرسين والعمال الى اهم ميادين باريس ، وهم يهتفون بشعارات سياسية محددة : « الديمقراطية » ، « سقوط ديجول » .. « يكفى عشرة اعوام.. » !

● ١٤ مايو ـــ انتهى اليوم المحــدد للاضراب العام ، ولكن فوجىء قادة العمال باضراب خاص جديد لعمال مصــانع الطــائرات فى « نانت » ، ولكنهم لم يدهشوا كثيرا ، بسبب ما عرف عن هؤلاء العمال بالتحديد فى « نانت » ، بما يســمى باتجاه « صينى » و « تروتسكى » .

● خــلال ثلاثة ايام من اضراب مصــــنع الطائرات ، حول الموقف الخاص الى اتجــاه عام شمل غالبية عمال فرنسا . وفى ١٧ مايو ، انفجر موقف العمال تلقائيا ، وخرجت جماهير النقابات عن قياداتها ، حتى وصفها البعض بانها نوع من « الثورة الثقافية » على الطراز الصينى .

● ١٨ مايو ـــ قطع ديجول زيارته الرسمية لرومانيا ، وعاد الى باريس .

● كانت المفاوضــات قد بدات بين جورج بومبيدو ، وبين زعماء الاتحادات العمالية ، وعلى رأسهم ممثل النقابات الشيوعية (١ر٢٠٠ر٠٠٠ عامل) ، « جورج سيجى » .

● ٢٤ مايو ـــ اذاع ديجول بيانا على الشعب الفرنسى ، قال فيه : « كلنا نفهم بوضوح معنى الاحداث التى تمر بها فرنسا الان ، والتى بدات فى الجامعة ، وتطورت الى المجتمع . وفى هـذه الاحداث نرى دلائل تبين اهمية حدوث التغيير فى المجتمع الفرنسى .. » .

وطلب ديجــول تفــويض الدولة ، ورئيس الجمهورية بوجــه خاص ، باجراء تغيــير يلائم التطور فى التعليم والاقتصاد والصناعة ومختلف اوجه نشاط المجتمع ، ثم اختتم بيانه : « يا نساء ويارجال فرنســا . ســتقررون فى شهر يونيو باصواتكم ، فاذا اجبتم بلا ، فمن الواضح اننى لن استمر فى منصبى بعد ذلك » . وتحدد يوم ١٦ يونيو لاجراء استفتاء عام .

● اكد جورج بومبيــدو ، لزعيــم العمــال الشيوعيين « سيجى » ، ان الدولة لن تفرق بعد ذلك فى المعاملة بين اعضاء النقابات الشيوعيين وبين غيرهم من العمال . واذاع بومبيدو بيــانا عن الوصــول الى تســوية مع زعمــاء العمال واصحاب العمل ، بعد مفاوضات استمرت ٢٨ ساعة ، وقال ان المسائل التى توصلوا اليهــا سيجرى عليها الاستفتاء فى ١٦ يونيو ، وهى :

١ ـــ اشراك العمال فى الادارة .

٢ ـــ اعداد تشريع بخفض ســاعات العمل تدريجيا على مدى سنوات من ٤٨ ساعة اسبوعيا الى ٤٠ ساعة ، دون تخفيض فى الاجور .

٣ ـــ تعديل نظام التأمينــات ، بحيث يدفع للعمال ٧٥ ٪ ، بدلا من ٧٠ ٪ من نفقات العلاج .

٤ ـــ خفض سن المعاش من ٦٥ سنة الى ٦٠ سنة .

٥ ـــ زيادة الاجور بنسبة ٧ ٪ الى ان تصل الى ١٠ ٪ فى اكتوبر القادم ، ورفع الحد الادنى للاجور ، ابتداء من اول يونيو من ٢ر٢٢ فرنك ، الى ٣ فرنكات فى الساعة .

● رفض عمال مصــانع « رينو » ، وبعض المصانع الاخرى هـذا الاتفاق ، وهتفوا وهم يستمعون الى خطاب « سيجى » : « لا توقع .. لا توقع » !

● اعتقد البعض ان فرنســا فى طريقها الى ثورة حقيقية ، يلعب فيها عمال مصانع رينو نفس الدور الذى لعبه عمال مصــانع « بيتيلون » فى لينجراد عشية الثورة الروسية !.

● دعا عمال رينو ، وعمال اثنين من اكبر المصانع مع اتحاد عمال النقل والمواصلات بقوة الى اضراب شامل .



● ديجول ●

● سارت فى باريس مظاهرة ضخمة تضم عشرات الالاف من الطلبة والعمال والمدرسين وغيرهم ، وعلى راسها منديس فرانس ، وهى تهتف : استقل يا ديجول .. السلطة للعمال !

● قدم منديس فرانس نفسه ، باعتباره الشخص الوحيد الذى يمكن ان يوحد اليسار والوسط ضد ديجول ، وبدأ انصاره يعدون برنامجا للحكم .

● افسد ميتران ، زعيم اتحاد اليسار مناورة فرانس بمناورة اخبث ، فأعلن ان « منديس فرانس او غيره يمكن ان يرأس حكومة مؤقتة ، تمهيدا لنتائج الاستفتاء » ، باعتبار ان الصراع قائم بين ميتران وديجول على الرئاسة !

● رفض عمال الطباعة فى فرنسا ان يطبعوا استمارات الاستفتاء . وكذلك رفض عمال بلجيكا تضامنا مع زملائهم الفرنسيين .

● **٢٩ مايو** ــ ديجول يقرر مغادرة باريس فجأة لمدة ٢٤ ساعة . والتكهنات تملأ باريس وغيرها بأنه سيعلن تنحيه عن السلطة . توجه ديجول الى بادن بالمانيا الغربية ، حيث اجتمع بقادة الجيش .

● **٣٠ مايو** ــ عاد ديجول الى باريس واذاع بيانا قال فيه : « بوصفى صاحب السلطة الشرعية الوطنية ورئيس الجمهورية ، قد فكرت منذ ٢٤ ساعة فى جميع الاحتمالات ، بلا استثناء ، التى تسمح لى بالاحتفاظ بهذه السلطة . وقد اتخذت قرارا .. اننى لن اعتزل فى الظروف الحالية ، وسأفى بما عهد به الى ... وانى احل الجمعية الوطنية .. » . وقال ديجول بأنه سيجرى انتخابات عامة جديدة فى الثالث والعشرين من يونيو . وصاحب بيان ديجول تحركات ضخمة للقوات المسلحة الفرنسية حول باريس ، وفى مناطق استراتيجية اخرى . وقالت وكالة رويتر وغيرها من وكالات الانباء ، ان ديجول قام بجولة (قبل اعلان قراره) ، فى وحدات الجيش الهامة واجتمع بكثير من قادة الجيش ، ومنهم قائد القوات الفرنسية فى المانيا الغربية .

● قبل يومين من قرار ديجول اعلنت وزارة الداخلية الفرنسية عن اكتشاف « مؤامرة » ، وضبط كميات من الاسلحة فى باريس وليون . وقالت انها اتخذت الاجراءات الكفيلة بضمان اقرار النظام والامن اثناء المظاهرات التى دعا اليها اتحاد الطلبة ، بينما دعا الحزب الشيوعى الفرنسى اعضاءه الى عدم الاشتراك فيها . واعلن بنوا فراشون ، الزعيم العمالى الشيوعى امام عمال مصانع رينو ، ان المخابرات الامريكية لها يد فى الاضطرابات الدامية التى وقعت بالاشتراك مع منظمة الجيش الفرنسى السرية .

● فى اوائل يونيو ، سمح لجورج بيدو ، رئيس وزراء فرنسا الاسبق وزعيم اليمين الفاشستى بالعودة الى فرنسا من منفاه . وافرج الجنرال ديجول عن « سالان » ، احد زعماء منظمة الجيش السرى الفرنسى وعشرات من اتباعه .

● اشترك نحو ٢٩ مليون ناخب فى اختيار ٤٨٧ نائبا للجمعية الوطنية ، من بين ٢٦٠٠ مرشح يوم ٢٣ يونيو .

●

■ **ايطاليا**

انهيار ائتلاف « يسار الوسط »

فشل

ائتلاف الديمقراطيين المسيحيين والحزب الاشتراكى المتحد والجمهوريين فى ان يحقق فى انتخابات ١٩ مايو احد اهدافه الرئيسية وهو عزل الحزب الشيوعى واضعافه واحراز نصر كبير يسمح باستمرار الائتلاف الحكومى القائم والمعروف باسم يسار الوسط .

فمن ناحية زادت مقاعد الشيوعيين فى مجلس النواب الى ١٧٧ (مقابل ١٦٠ فى انتخابات ١٩٦٣) ونال الحزب الاشتراكى للوحدة البروليتارية المتحالف معهم ٢٣ مقعدا . وقد تكون هذا الحزب من انقسام خرج من حزب « **فينى** » الاشتراكى عندما اتحد مع حزب « **ساراجات** » الاشتراكى الديمقراطى اليمينى سنة ١٩٦٦ . وبهذا تكونت معارضة يسارية قوية لها ٢٠٠ مقعد من ٦٣٠ فى

مجلس النواب وتمثل ٣١٫٤ ٪ من اصوات الناخبين .

وفى مقابل ذلك نال الديمقراطيون المسيحيون ٢٦٦ مقعدا (بزيادة ٦) والاشتراكيون المتحدون ٩١ (مقابل ١٢٠ سنة ١٩٦٣ للحزبين المتحدين) ونال الجمهوريون ٩ مقاعد . اى ان لاحزاب الائتلاف الحكومى ٣٦٦ مقعدا من ٦٣٠ (٥٦٫٣٪ من اصوات الناخبين)

ومن ناحية اخرى فقد انهار ائتلاف يسار الوسط فى الوقت الحاضر على الاقل . لقد كانت الخطة المرسومة فى الدوائر الحاكمة ان تستقيل حكومة **الدو مورو** يوم ٥ يونيو وفقا للتقاليد البرلمانية ويعاد تشكيلها بثقة الاغلبية البرلمانية . لكن وقعت المفاجأة يوم ٢ يونيو اذ قررت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى باغلبية ١٤٥ صوتا وامتناع ٨١ من الاشتراك فى حكومة ائتلافية مع المسيحيين . ولا شك ان الذى دفع الاشتراكيين الى هذا القرار هو هزيمتهم الانتخابية لتحليهم عن سياستهم الاجتماعيه ومبادئهم كثمن لاشتراكهم فى الحكم مع حزب اليمين التقليدى ففقدوا ثلث مقاعدهم فى مجلس النواب (١٫٥ مليون صوت تعادل ربع الاصوات التى حصلوا عليها سنة ١٩٦٣)

وقد عزز هذا موقف الجناح اليسارى للحزب الاشتراكى المهدد بالانقسام ليس فى القاعدة فقط بل فى قيادته ايضا حيث توجد عناصر لا ترفض التعاون مع الشيوعيين خاصة بعد انتصارهم الاخير . ويخشى فينى مغبة انقسام يزيد من ضعف الحزب ويضعف مركز فينى نفسه ويخدم اليسار ويؤدى الى تحول لا يريده رؤساء الحزب وترى جريدة لا تريبون دى لوزان ان مثل هذا الانقسام يتضمن احتمالا بايجاد قطيعة بين مجموعتى فينى وساراجات اللتين تجمعتا بصعوبة فى اكتوبر ١٩٦٦ . لهذا فضل زعماء الحزب فض الائتلاف الحكومى تجنبا لانقسام الحزب ريثما ينعقد مؤتمره فى اكتوبر ليتخذ القرار النهائى فى هذا الشأن .

لكن بقى تساؤل هام . هل يؤيد الاشتراكيون حكومة مسيحية دون الاشتراك فيها ؟ لقد حدث هذا من قبل فى بداية « **الانفتاح على اليسار** » اى قبل دخول الاشتراكيين بزعامة فينى الى الحكومة فى ١٩٦٣/١٢/٥ حين انتخب **فانفانى** الديمقراطى المسيحى رئيسا لمجلس الشيوخ ، والاشتراكى **برتينى** رئيسا لمجلس النواب . وقد وردت اول الامر انباء تفيد ان اتفاقاتهم بين الاحزاب الثلاثة المؤتلفة على تعيين رئيس لكل من مجلسى الشيوخ والنواب من الحزبين المسيحى والاشتراكى ، وان الحزب الاخير ترك الباب مفتوحا امام احتمال دخوله الحكومة بعد مؤتمره .

وعلى كل فقد فشلت كافة المحاولات لتكوين حكومة جديدة واخرها محاولة رئيس الحزب الديمقراطى المسيحى **ماريانو رومور** . وعقب هذا اعلن ساراجات رئيس الجمهورية ورئيس الحزب الاشتراكى المتحد عزمه على تكوين حكومة اقلية وبعد هذا اعلن **ترامشينى** زعيم الشيوعيين فى مجلس الشيوخ انه لو حدث هذا لشهدت ايطاليا صيفا طويلا مليئا بالقلاقل والاضرابات العمالية يغير تماما من الهدوء الذى وصفت به انتخابات مايو . فهل يلجأ المسيحيون عندئذ الى الحزب الفاشى الجديد وجماعات اقصى اليمين ؟ ام تجرى انتخابات جديدة قد تزيد من انتصارات الشيوعيين والاشتراكيين اليساريين ؟ هذه هى الاسئلة التى تنتظر اجابات خلال الاسابيع القادمة .

هذا ويرى المراقبون ان المد الثورى اليسارى الذى يجتاح الغرب فى صورة حركات الشباب واضرابات الطلبه والعمال (بخاصة فى فرنسا المجاورة) ، والعداء للحرب والراسمالية والاستعمار وامريكا ـ هذا المد الثورى قد لعب دوره فى الانتصارات التى يحققها الاتجاه اليسارى فى ايطاليا ، حيث يلقى بثقله الى جانب قوى الديمقراطية والاشتراكية .

●

■ الولايات المتحدة الامريكية

انتخابات الرئاسة
بعد مصرع روبرت كيندى

تضمن

التصريح الذى أدلى به **هيوبرت همفرى** نائب الرئيس الامريكى ، الى صحيفة « **نيويورك تايمز** » ، والذى عارض فيه سياسة مواصلة القتال جنبا الى جنب مع محادثات السلام بين هانوى وواشنطون ، الدعوة الى وقف اطلاق النار فى فيتنام ، لخلق جو ايجابى يسمح بنجاح محادثات السلام .

على ان عددا من هذه الدوائر قد فسرت هذا التصريح من جانب همفرى لاعلى انه رغبة صميمة فى اقرار سلام عادل فى فيتنام ، بقدر ماهو عملية التفاف مناور للحيلولة دون هزيمة عسكرية تقليدية وكبيرة للقوات الامريكية هناك .

ولقد ترتب على مصرع السناتور **روبرت كيندى** ان اقتصر التسابق على الفوز بترشيح الحزب الديمقراطى على اثنين ، هما السناتور **يوجين مكارثى** ، **وهيوبرت همفرى** ، نائب الرئيس جونسون . وبهذا زادت الصورة وضوحا ، وكانا تعبر ببلاغة عن استقطاب القوى والاتجاهات داخل الحزب الديمقراطى ، وداخل المجتمع الامريكى ككل ، حول عدد من القضايا البالغة الاهمية للمواطن الامريكى .

لقد كان مكارثى ، اول من تقدم لترشيح نفسه من الحزب الديمقراطى . ووقف منذ البداية وبقوة مستندا الى القوى الجديدة ، والرغبات الشعبية التى تنادى بانهاء حرب فيتنام ، ومنح الزنوج حقوقهم ، وتحويل اعتمادات التسليح لتحسين احوال الفقراء ومكافحة البطالة .

ثم دخل روبرت كيندى معركة الترشيح للرئاسة ، عندما شهد ما احرزه مكارثى من نجاح مفاجىء ، اذ احس بأنه هو الاولى بهذا النجاح . وكان يتطلع الى منصب الرئاسة منذ اغتيال شقيقه الرئيس السابق جون كيندى . وقد اعدت اسرة كيندى لهذا ، بانفاق نحو مليون دولار سنويا فى سبيل ضمان فوز احد افرادها بالرئاسة فى يوم ما . ورأى روبرت الا ينتظر انتخابات سنة ١٩٧٢ ، بل تعجل ترشيح نفسه قبل ان يزول الاثر السحرى الذى خلقته شخصية شقيقه فى نفوس الناخبين . وقد شاع أنه يعتزم بعد انتخابه محاكمة الذين دبروا مؤامرة اغتيال شقيقه جون كيندى . وقد كتبت مجلة **شتيرن** الالمانية فى مايو الماضى تقول ان روبرت كيندى يعتمد على استغلال عقدة الذنب القومية التى نشأت عن اغتيال اخيه .

وقد اكتسب كيندى تأييد المثقفين والشباب ، نتيجة موقفه من حرب فيتنام ، واعلن فى ابريل انه سيعيد القوات الامريكية من هناك اذا ما انتخب.كما انه دأب منذ فترة طويلة على المطالبة بالالتجاء للمفاوضات لانهاء الحرب الفيتنامية ، وطالب بالاعتراف بجبهة تحرير فيتنام الجنوبية ، واقامة علاقات مع الصين الشعبية وتمثيلها فى مؤتمر جنيف لنزع السلاح ، وفى الامم المتحدة . وفى اثناء توليه منصب المدعى العام ، كان من دعاة قانون الحقوق المدنية ، مما اكسبه عطف الكثيرين من الزنوج ، كما انه اكتسب سمعة طيبة بين نقابات العمال ، بعد ان اثبت تهمة الفساد والتلاعب على **جيمى هوفا** ، الرئيس السابق لاتحاد عمال النقل .

وبغض النظر عن تأييد روبرت كيندى لاسرائيل ، فان اغتياله يقع ضمن سلسلة اغتيالات القادة التقدميين . وليس من قبيل الصدفة ان يغتال جون وروبرت كيندى ومالكولم اكس ومارتن لوثر كينج ، فى بلد يرى انصار اليمين فيه ان ادوارد هيث ، زعيم حزب المحافظين البريطانى رجل يسارى، وان ايزنهاور شيوعى !

وحتى تكتمل الصورة ونتبين مغزى الجريمة وآثرها على الانتخابات ، لابد ان نلقى نظرة على موقف همفرى ، وظروف ترشيحه . ان همفرى نائب جونسون ، وممثل الحكومة الحالية واتجاهها ، وجهاز الحزب بمندوبيه الرسميين ، ويحظى بتأييد رجال الاعمال فى وول ستريت ، وزعماء الزنوج من الطبقة المتوسطة ، وجمعية اصحاب الصحف ، وشخصيات مثل النقابى الاصفر جورج مينى ، رئيس اتحاد العمال الامريكى ، وجورج بول ، ممثل امريكا الجديد فى الامم المتحدة ، ووالتر هللر ، الرئيس السابق بمجلس المستشارين الاقتصاديين . والغرض من ترشيحه هو وقف اندفاع الشباب فى ثورتهم ضد قيادة الحزب التقليدية ، ووأد الاتجاه لوقف حرب فيتنام . والا فلماذا يرشح نفسه ، بعد اسابيع من اعلان جونسون انسحابه من معركة الانتخابات ، وبعد ان ترك الرئيس الامريكى الانطباع لدى الكثيرين من افراد الشعب ، بأنه يعمل على انهاء الحرب ؟

ولقد اثبتت حملة كيندى / مكارثى ، وجود هوة بين الشعب والسلطة الحاكمة التقليدية ، الممثلة فى جونسون وهمفرى . ففى ٩ انتخابات اولية قبل كاليفورنيا جمع كيندى ومكارثى معا ٧٨٩ر٢٦٧ر٢ صوتا ، مقابل ٠٠٠ر٩٢٧ لجونسون وهمفرى معا ، اى ٧١ ٪ فى صالح الجديد و ٢٩ ٪ فى صالح القديم .

ولقد كان التنافس شديدا بين كيندى ومكارثى ، فمثلا فاز الاول فى كاليفورنيا عشية اغتياله ، وفاز الثانى فى ولاية اوريجون ، قبل ذلك بأسبوع . ولم يكن هذا التنافس فى صالح التقدم لانهما يمثلان اتجاها واحدا فى الجملة ، وان كان كيندى يملك سلاح المال وتأييد ولايات الجنوب . وقد صرح ريتشارد جودوين ، من كبار مساعدى روبرت كيندى ، والذى لازمه ولازم شقيقه من قبل ، بأن مكارثى هو المرشح الوحيد الذى يستطيع الان ان يقود الحملة ، حيث تركها روبرت ، فآراء مكارثى هى التى تعبر عن وجهة نظر كيندى ، فيما يتعلق بحرب فيتنام ووسائل مكافحة الفقر ، احسن من اى مرشح آخر . واعلن روبرت كيندى فى اكثر من مناسبة انه



● روبرت كيندى ●

يفضل الانضمام الى السناتور مكارثى ، على ان يرى هيوبرت همفرى ، وقد فاز بترشيح الحزب الديمقراطى ، ويعرف الامريكيون هـذه الحقيقة جيدا .

وتعترف جريدة **الفاينانشيال تايمز** المحافظة ، ان ما حققه مكارثى من التقدم السريع ، دون ان يعتمد على المال او على الحكومة قد قربه الى نفوس كثير من افراد الشعب . وهو يعتمد على طاقات الشباب بدلا من الجماعات العنصرية او المهنية .

وقد استأنف مكارثى حملته الانتخابية فى نيويورك ، حيث احرز ٦٣ صوتا من ١٢٣ ، ولم ينل همفرى سوى ١١ ، وكيندى ٣٠ . واشترك فى مسيرة الفقراء يوم ٢٠ يونيو ، فقوبل بالهتاف ، بينما قوبل همفرى بالصفير .

ورغم ذلك .. يتوقع اكثر المعلقين ، وفى مقدمتهم مجلة **نيوزويك الامريكية والفاينانشيال تايمز البريطانية** ، فوز همفرى بالترشيح عن الديمقراطيين ، لمواجهة نيكسون عن الجمهوريين وهو من دعاة تصعيد حرب فيتنام ، وتشديد القمع فى الداخل . ويعتمد هذا التقدير على قدرة همفرى على تجميع اصوات مندوبى الحزب الرسميين ، بينما يعتمد مكارثى على تأييد القواعد الحزبية والجماهير ، ولو صح هذا التنبؤ لامكن القول ان مقتل كيندى حقق اهداف القوى الرجعية فى الولايات المتحدة ، وهى منع وصول شخص الى البيت الابيض ينتقد سياسة واشنطن فى فيتنام بشدة ، ويطالب بتحولات جذرية فى ميدان محاربة التفرقة العنصرية . وليس صدفة ان يغتال كيندى فور انتصاره فى الانتخابات التمهيدية فى ولاية رئيسية هى كاليفورنيا .

ولكن اذا تحول انصار روبرت كيندى الى تأييد مكارثى ، فقد يستطيع الاخير ان يتفوق على همفرى ، وان يشق طريقه الى البيت الابيض بتأييد القوى الديمقراطية الراغبة فى احداث تغيير هام فى السياسة الراهنة القائمة على الحرب والفقر والعنصرية .

فهل يقبل الحزب الديمقراطى ان يترك مرشحه ذو الاتجاه المتقدم ، يواجه مرشح الجمهوريين المغالين فى الرجعية فى معركة سافرة يكون الحكم فيها للناخبين ؟

لقد صرح مكارثى فى ١٧ يونيه ، انه يتوقع الفوز بأصوات انصار كيندى ، وان الاخير كان يردد ان لا اختلاف كبير بينهما . واضاف مكارثى ان ثمة خطرا شديدا قد ينجم اذا اختار الحزبان مرشحين يحبذون السياسة الحالية . وقد يظهر حينئذ حزب ثالث . وفى هـذه الحالة قد يؤيده مكارثى ، ولكنه لن يتزعمه .

●

■ ادب

رحلة خليل قاسم الى « ارض الوداع »

وأخيرا توقف النبض الذى عاشت دقاته تهمس بحب لا يموت « لأرض الوداع » التى حال الموت دون ان يتم كتابتها محمد خليل قاسم ..

فهى الجزء الثانى من «الشمندورة» التى اصبحت فى تاريخ الادب العربى « الوثيقة الفنية الاولى » التى تسجل حياة الاجيال النوبية المعاصرة وتاريخها . ولم تكن النوبة فى حياة خليل قاسم مجرد « وطن أم » يغيب عنه بعض الوقت فيشعر نحوه بحنين رومانتيكى حالم . وانما كانت النوبة فى مخيلة قاسم واشعاره الاولى جذورا عميقة الغور فى النفس والوجدان ، افراحها افراحه ، وآلامها آلامه .

وقاسم الذى ولد عام ١٩٢٢ وتلقى تعليمه الاول بين الضفة الشرقية التى نقل منها على اثر التعلية الثانية لخزان اسوان (١٩٣٣) والضفة الغربية التى التحق فيها بمدرسة عنيبة الابتدائية بدأ يقرض الشعر فى اسوان الثانوية منذ عام ١٩٣٧ وكان تأثره واضحا بالشاعر على الجارم فى استخدام الالفاظ العربية القديمة والتراكيب الشعرية الكلاسيكية .. هذا من ناحية الشكل ، اما من ناحية الموضوع فقد كانت آلام الفقر والحرمان التى عاناها على اثر انهيار تجارة والده هى النغمة الرئيسية التى لونت شعره

بقتامة حالكة الظلمة حتى سمى حينذاك « بشاعر الشقاء الصغير » . وبحصوله على شهادة « الثقافة » بعد اربعة اعوام اتخذ اهبته للرحيل الى القاهرة ليحصل على التوجيهية من مدرسة القبة الثانوية . ولم يكن سهلا ميسورا التحاقه بمدرسة « الاثرياء » هذه التى يدخلها اصحاب « الوساطات » من القادرين . فما كان من قاسم الا ان كتب قصيدة يشرح فيها حالته لناظر المدرسة، الذى لم يصدق فى بادىء الامر ان هذا الفتى هو كاتبها فنادى عليه وانبهر بحديثه وصدقه اكثر من انبهاره بالقصيدة ،وما كان منه الا ان قبل اوراقه وادرجه فى قائمة المقبولين بالرغم من انتهاء موعد القبول وبداية العام الدراسى .

وفى ذلك الوقت اكب على قراءة مجلدات « الرسالة » و « الثقافة » وتأثر ابلغ التأثر واعمقه بثالوث الشعر العربى الرومانسى : **التيجانى** من السودان ، **والهمشرى** من مصر ، **والشابى** من تونس . حينئذ تعرف قاسم على شعر الغزل والحب ، شعر العواطف الرقيقة التى تحتاج فى صياغتها الى كلمات توازيها فى الرقة والشفافية . وكانت القاهرة قد اتاحت له من العلاقات الانسانية ما كان يفتقر اليه فى بلده المحافظ ،ومن ثم دخلت التجربة العاطفية حياته بكل عنفوانها فعبر عنها شعرا رومانسياحزينا يعبر عن الحيره البالغة بين الكبت الراسب فى اعماقه والانطلاق الذى يناديه فى كل ركن من اركان المدينة : نواديها ومقاهيها ومسارحها وبيوت الاصدقاء . وفى القاهرة تعرف قاسم على مجالات النشاط النوبى ، وكانت حالته المالية هى الباعث الاول على التفكير فى تاسيس « جمعية القرش لمساعدة الطلبة النوبيين » التى انشأها احد رجال التعليم هو المرحوم جمال امين . وبرز نشاط قاسم فى المجتمع النوبى الصغير بالقاهرة فأصبح المحرر الاول فى مجلة «النوبة الحديثة» التى يصدرها النادى النوبى ،كما اصبح سكرتيرا لرابطة الطلبة النوبيين المتفرعة من النادى كذلك . وحصل على التوجيهية ودخل كلية الحقوق عام ١٩٤٤ . وكانت اولى دراساته النظرية عن « محمد والمستشرقون » وهو لايزال طالبا فى السنة الاولى بكلية الحقوق ، والقاها فى النادى النوبى .

ولم يستطع قاسم مواصلة الدراسة القانونية فما كان منه الا ان حول اوراقه الى كلية الآداب حيث تلقى الهزة الفكرية الاولى من محاضرات الدكتور لويس عوض . لم تكن هذه المحاضرات مجرد « معلومات » يحشو بها الاستاذ عقل الطالب ليعيدها هذا اليه فى ورقة الامتحان .. وانما كان لويس عوض فى حياة تلامذته « منهجا » فى الفكر والحياة ، منهجا يقوم على أسس جديدة على وعى الطلبة وعقولهم هى أسس العلم الاجتماعى او المنهج الاشتراكى لتفسير التاريخ .

التقط قاسم بذور هذا المنهج مع المناقشات الصاخبة التى كانت تجرى فى ذلك الوقت بين قطاعات جيل الاربعينات من المثقفين المصريين . وفى مقهى الفيشاوى تعرف «الثورى الصغير» على الشعراء الجدد حينذاك : احمد مخيمر وكمال النمناوى وعبد الرحمن الخميسى وعبد الفتاح ابراهيم . والتهب خياله بكتابة القصة الواقعية القصيرة والدراسات الادبية . وبين عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ كان لابد لمحمد خليل قاسم كأى شاب مصرى ثورى يكافح الظلم والاستبداد فى ظل الملكية وحكومات الاقلية ان ينضوى تحت لواء المنظمات السرية المناضلة ضد الاستعمار وعملائه فى الداخل ، حيث كان قد تعرف على الافكار الماركسية ودرسها وتأثر بها . وكان لابد ان يختفى عن عيون «القسم المخصوص » والبوليس السياسى فاعتزل مرغما الدراسة فى كلية الآداب واشترك فى ذلك الحين فى تحرير مجلة « ام درمان » مع محمد امين حسين وعبد الماجد ابو حسبو وعبده دهب حسنين من الزعماء السياسيين فى السودان الآن . وهى المجلة التى استبدلت الشعار « وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى » بالشعار الثورى « وحدة وادى النيل فى الكفاح المشترك ضد الاستعمار » ثم تغير اسم المجلة بعدئذ الى « الكفاح المشترك » فقط ، لمساهمة الكتاب المصريين فى تحريرها . وقد اصدرت المجلة عددا خاصا عن « شباب الجامعات » احتلت فيه مكانا بارزا قصيدة « اصرار » لكمال عبد الحليم .. وقصيدة « نحن نبنى » لخليل قاسم :

نحن نبنى لان فينا عراة يخدمون السراة فى أسمال
نحن نبنى لان فينا رضيعا قارب الموت مستبد السعال
نحن نبنى وما بنى الشعب باق ابد الدهر ساخرا بالزوال .

وفى احد ايام ١٩٤٥ توجه قاسم الى احد الاجتماعات التى يعقدها سلامة موسى بجمعية الشبان المسيحية، وكانت هذه الاجتماعات ـ بعد محاضرات لويس عوض فى الجامعة ـ هى الزاد الروحى الجديد الذى تغذى منه قاسم لبنات الاشتراكية والعلم والتصنيع والسيكلوجية والادب الجديد .

واندمج قاسم فى العمل السياسى اندماجا تاما حتى اذا سقط اول طالب سودانى مصرى هو الشهيد محمد على محمد فى مظاهرة وطنية ايام حكم النقراشى ، خاطب الشاعر الثورى الشهيد قائلا :

مات يا أم لا تنوحى عليه
كم شهيد علينا من الاحياء .



• خليل قاسم •

وكان قاسم قد انقطع عن الشعر ولم يعد اليه الا فى معتقل الطور عام ١٩٤٨، حيث لم يخرج الا مع تباشير الثورة عام ١٩٥٣ .

وفى المعتقل عادت « النوبة » تلح على وجدان الشاعر الحاجا حادا ومتصلا تؤرقه فى نومه وتقلقه فى نهاره ، لايدرى ماذا يستطيع ان يفعل بالضبط: ان الاشعار غير قادرة على صياغة هذه الاشباح المجردة التى تتراءى امام عينيه تارة وتتوارى عن المخيلة تارة اخرى . وبعد ليال طويلات مسهدة لاحت لحظة الخلق بسرها الابدى ، واكتوت شعلة الابداع الفنى بعذابات الخيال المتقد ، وتجسمت الخيوط الاولى لروايته الرائدة « الشمندورة » اول وثيقة فنية عن « النوبة » فى الادب العربى . ولم يتح له استكمال الخيوط ونسجها على مهل لتخرج هذه اللوحة البانورامية الهائلة الا فى سجن طويل دام خمسة عشر عاما . وكانت التعلية الثانية لخزان اسوان التى شاهدها قاسم وهو بعد طفل ، هى العمود الفقرى للرواية الكبيرة .

واتيح للشمـــندورة ان ترى النـــور ، أولا فى روز اليوسف ، ثم بين دفتى كتاب عام ١٩٦٨ وبين عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٨ شغل قاسم بكتابة عشرات القصص القصيرة وترجمة الكثير من الاعمال الفنية والفكرية عن الشرق والغرب . على ان اهم مشروعين كان قد اعد الخطوط الرئيسية فيهما ، ولم يستكمل بناءهما كبقية الكتاب الذين يموتون تاركين بالضرورة «اعمالا ناقصة» فهما : الجزء الثانى من الشمندورة وقد اسماها «ارض الوداع » ، ورواية جديدة استلهم فيها فكرة نقل القلوب بين البشر ، فتصور قلب زنجى وقد نقل الى صدر مليونير أبيض !! كم من المشروعات الاخرى التى كانت ترقد فى ضميره يهمس بها ولا يسجلها؟ لا أحد يدرى . . فقد ناء محمد خليل قاسـم بأثقال السنوات الطويلة المريرة التى تركت فوق جسده النحيل بصمات لاترى ، وان شعر بها هو بينه وبين نفسه تزداد ثقلا ومرارة مع الايام ، حتى انه قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة بأيام كتب فى مذكراته يقول : « فى الايام الاخيرة احس ببعض اصابع اليدين تهتز بحركة لا ارادية مع ضعف عام فى الذراعين وفى الجسم .. احس بضعف شديد فهل هناك وسيلة للتقوية ؟ » . وبالرغم من هذا الضعف الشديد كان قاسم حتى آخـــر ايامه شعلة متقدة من النشاط الادبى والفكرى . . وكان واحدا من كتاب « الطليعة » الذين تابعوا بانتظام فروع تخصصهم ، مستزيدا من العلم يوما فيوما ، مخلصا لقارئه ، لايعرفه التفرقة الواهمة بين الفكر والسلوك . . ثم آن له اخيرا ان يتخفف من اثقاله ليرقد فى « ارض الوداع » .

●

الزيات : أو همـــزة الوصـــل بين القـــدامى والمجـــددين

جيل النهضة فى أدبنا الحـــديث ، هو جيـــل العشرينـــات الذى عاصر أهوال الحرب الاولى وناضل فى صفوف ثورتنا الوطنية عام ١٩١٩ وواصل نضاله الى ما قبل الحرب الثانية بقليل ، أى عندما أقبلت معاهدة ١٩٣٦ فاصلا عميقا بين جيلين . وجيل النهضة الذى تربى معظمه على مائدة التراث العربى القديم ، هو نفسه الجيل الذى اولى وجهه شطر اوروبا ينشد مثالا جديدا يحتذيه فكره وترتفع به حضـــارته الى مستوى العصر . هو جيل طه حسين الثائر فى « الشعر الجاهلى » والعقـــاد والمـــازنى فى « الديوان » وهيكل فى « زينب » و «ثورة الادب» وعبد الرحمن شكرى واحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم ، من اولئك الرواد الذين زاوجوا بين القديم والجـــديد مزاوجة حية نابعة من جذورنا ومتصـــلة أوثق الاتصال بروح العصر . . الى هذا الجيل ينتمى الاديب الراحل احمد حسن الزيات، صاحب مجلتى « الرسالة » و « الرواية » اللتين عاشتا مدرسة أدبية تخرج فيـــها الـــكثيرون من ادباء الأجيـــال المعاصرة .



● احمد حسن الزيات ●

على أن الزيات قبل ان يكون صاحب هذه المجلة او تلك كان واحدا من القلائل الذين وضعوا أيديهم على اخطر عناصر التراث ــ وهو اللغة ــ التى ينبغى لها أن تجدد شبابها تجديدا حيا دافقا، حتى تستطيع التعبير عن معطيات الفكر الجديد . ولعل رفقته لطه حسين فى رحاب الازهر ثم بين جدران الجامعة الاهلية (١٩٠٨) ثم مدرجات الجامعة المصرية هى التى اتاحت لهما معا ان يوليا اللغة العربية هذه العناية الكبرى التىتتضح فى اسلوبيهما .

وقد كان كلاهما ثورة فى التعبير العربى جنبا الى جنب الثورة الوجدانية التى عبرا عنها . ويذكر الزيات انه قد تأثر بالمنفلوطى تأثرا بالغا ، وربما كان المنفلوطى ومجلة « الجامعة » لفرح انطون ، هما اللقاء الاول بين الزيات والمدرسة الرومانتيكية .. ذلك ان ثورته الاسلوبية كانت ثورة رومانتيكية أصيلة ، تشحن اللفظ بالوجدان فتتوهج الكلمة بنور المعنى وظلاله ، بعيدا عن الهياكل العظيمة الراقدة بين صفحات المعاجم . وكانت اللغة الفرنسية هى النافذة التى أطل منها الزيات على أروع الاعمال الرومانسية فى الادب العالمى . ولذلك كانت ترجمته للامرتين « روفائيل » ولجوته « آلام فرتر » من اجمل الترجمات الرومانتيكية التى عرفتها لغتنا الى الآن . ولقد اصدر الزيات اربعة كتب فى النثر العربى هى «دفاع عن البلاغة» و « فى أصول الادب » « ووحى الرسالة » و « تاريخ الادب العربى » لا تشهد له بانه كان باحثا ضليعا بقدر ما تشهد له بذوق رومانتيكى ذى مستوى رفيع .

ولم يصل الزيات الى ما وصل اليه طه حسين فى النقد الادبى او التاريخ للاسلام والتراث ، أو ما وصل اليه العقاد فى الشعر والسيرة والنقد ، او ما وصل اليه المازنى فى كتابة القصة او هيكل الذى أبدع الشكل الروائى الحديث فى اللغة العربية .. ذلك ان الجانب التقليدى فى الزيات طغى فى احيان كثيرة على الجانب المجدد ، كما أن الجانب العملى ــ انشاء الرسالة والرواية ــ قد طغى على ملكة الخلق والبحث . ولكنه يبقى بعد ذلك كله انه كان واحدا من الرواد القلائل الذين اعطوا اقصى ما يستطيعون من عطاء القلبوالعقل والروح ، وانه كان همزة وصل بين القدامى والمجددين سواء بمشاركته فى نهضة التعبير العربى او فى تأسيسه منبرا قويا كالرسالة (١٩٣٢ ــ ١٩٥٢) .. مهما رجحت فى ميزانه كفة التقليد على كفة التجديد .

●

الى الجحيم بالثقافة :
آخر كلمات هربرت ريد

فى « السياسة كان فوضويا ، ولكنه اكثر الفوضويين الذين عرفتهم تهذيبا ، فهو يعطى فكرة طيبة عن الفوضوية على خلاف الفكرة الشائعة عنها . واذا اراد احد ان يبرهن على ان الفوضوى ضد الدمار النووى ، فلن يجد افضل من هربرت ريد مثالا على ذلك » . بهذه الكلمات نعى الفنان العظيم هنرى مور الى مثقفى العالم وفاة صديق عمره ، آخر مواجيز الفكر والفن البريطانى هربرت ريد . فعن ٨٤ عاما مات اشهر نقاد الفن فى العصر الحديث بعد ان قدم للعالم ثلاثين كتابا فى النقد والشعر والقصة والسيرة يضعها المؤرخون فى طليعة تراث القرن العشرين الحضارى .

وكان ريد يتميز بسمات خاصة ، جعلته فريدا بين مجايليه من كتاب العصر فى انجلترا وخارجها ، وفى مقدمة هذه السمات انه وهو الفلاح النشأة والرومانتيكى المزاج والعجوز فى العمر كان من ابرز المدافعين عن الفنون الحديثة مهما اتهمها الآخرون بالغموض والعبث .. فقد كان عميق الايمان بان كشوف الفن لا تعطى نفسها دفعة واحدة ، وربما لو تأخر بها الوقت قليلا حتى يتعود الناس على اسلوبها الجديد وياللون جوها الغريب لاعتادوا عليها وخرجوا من تذوقها بأطيب الثمار . واذن فالحجر على أى اتجاه فنى جديد لمجرد انه يصيب « المتذوقين القدامى » بالصدمة

البصرية والسمعية والشعورية بل والعقلية ، هو في الواقع حجر على تقدم البشرية ونهضة التراث وازدهار الحضارة . ولقد كرس هربرت ريد في سبيل هذه الدعوة اربعة كتب من أهم ما قدمته مكتبة النقد التشكيلي الى متذوقي الفنون الجميلة هم على الترتيب « الفن الان » و « التاريخ الموجز للتصوير الحديث » و « التاريخ الموجز للنحت الحديث » و « الفن والاغراب » الذى اصدره العام الماضي

وفي هذه الاعمال جميعا كان حريصا على افساح الطريق امام الاجيال الجديدة والرؤى الجديدة . وفي كتاب « معنى الفن » — وهو من بواكير كتبه — يقول « لا مناص لنا من ان نسلم بان الفن ليس مجرد تعبير عن مثل اعلى واحد بعينه في صورة تشكيلية . وانما هو تعبير عن اى مثل اعلى يستطيع الفنان ان يعيه وان يعبر عنه تشكيليا . ورغم انني اعتقد ان لكل عمل من اعمال الفن مبدأ معينا او شكلا او خطة بنائية تحكمه ، الا أنني لا أستطيع ان أؤكد على هذا العنصر بصورة واضحة المعالم ، لانه كلما درس المرء بناء الاعمال الفنية التى تعيش بفضل مظهرها الجذاب والمباشر ، كلما اصبح من الصعب ان ينزل بهذه الاعمال الى مستوى القالب الواضح البسيط . فلقد كان واضحا حتى للاخلاقيين في عصر النهضة انه لا يوجد جمال ممتاز لا يتمتع ببعض الغرابة في ابعاده النفسية » . وكان ريد مولعا بتوصيل هذه الافكار الى الناشئة الجديدة فألف كتابين هما « التربية في الفن » و « التربية من خلال الفن » وكان هذان الكتابان كما يقول هنرى مور في مقاله بالصنداى تايمز مصدر ازعاج للبيئة الانجليزية المحافظة التى تفهم الحضارة على انها « الماضى » فحسب ، وتشك انه من الممكن ان ينبت الحاضر « عباقرة جدد » ... الف ريد هذين الكتابين اذن « عندما كان الناس في عالم الفن الانجليزى اقليميين وضيقى الافق » ليعلم الطفل ومعلمه ان العالم الفنى اوسع كثيرا مما نظن . وفي خاتمة « التربية بواسطة الفن » يلخص فلسفته الفنية قائلا « .. وانى اعتقد ان الحياة ذات اتجاهات جمالية في منابعها الجوهرية والخفية ، اذ انها ناتجة عن تجسيد الطاقة في شكل لا يكون ماديا فحسب ، بل جماليا ايضا » . مما حدا بهنرى مور ان يقول « .. واعتقد من زاوية اساسية انه كان رومانتيكيا واقرب ما يكون الى التصوير الشعرى او السوريالى منه الى التجريد او المدرسة البنائية » .

وكان هربرت ريد رجلا عسكريا ممتازا في الحرب العالمية الاولى حتى انه نال ارفع الاوسمة العسكرية البريطانية ، وقد قتل اخوه في الحرب وخرج منها ليذكر في كتابه « الكمين » عام ١٩٣٠ انه « من الممكن ان تكون داعية سلام من الناحية النظرية ولكن الموقف يصعب كثيرا عند التطبيق » . وبالرغم من هذا فقد كان هربرت ريد احد كبار الدعوة الى السلام في انجلترا ، اذ تقدم الصفوف في المظاهرات المعادية للولايات المتحدة لترفع ايديها عن فيتنام ، وتقدم الصفوف منددا بالتجارب النووية .

وكانت آخر مؤلفات هربرت ريد كتابه الخطير « الى الجحيم بالثقافة » الذى يحلل فيه بنظرة ثاقبة الوضع الحالى للاداب والفنون في الغرب الرأسمالى ، فيقول ان شعارات الحرية والديموقراطية في الغرب لم تعد تشفع لتضخم الظواهر « القاتلة » للفن ، اذ تحول الى مجرد طلاء لامع تكتسى به السلعة من اجل زيادة الربح ويفقد قيمته في اداء اى وظيفة اساسية تخدم حاجات الانسان . والسبب في رأى ريد هو انفصال الثقافة عن العمل الذى لم يكن قائما ايام اليونان العظام ، فانتجوا فنا عظيما متصلا اعمق الاتصال بحياتهم واعمالهم . وحين تم الانفصال الاول في عهد الامبراطورية الرومانية انحط الفن واصبح سلعة تجارية . وهذا التراث الامبراطورى في النظر الى قيمة الفن هو ما ورثته الرأسمالية الحديثة ، فهناك هوة واسعة بين الفن والحياة « الحياة الحقيقية » اى العمل الذى يمارسه العامل في مصنعه والعالم في معمله « وترتبت على ذلك نتيجة خطيرة ما زالت تسود ثقافة الغرب وحضارته الى اليوم ذلك ان حاسة التذوق لم تعد تنمو وتتربى من خلال ممارسة العمل نفسه وانما تتكون الثقافة من الالمام بكل شيء عن الماضى » . هذا الارتباط بالماضى والانفصال عن الحاضر ناهيك عن التطلع الى المستقبل هو مصدر الروح المحافظة التى يولد بها الطفل في ظل المجتمعات الرأسمالية الحديثة . فبدلا من ان تكون الطفولة والشباب مرحلة التطلع المستميت الى كشوف المستقبل نجدها مرحلة الحفظ الاعمى والاستظهار الالى لثقافة الاقدمين . ومن ثم تزداد الهوة اتساعا بين الانسان وعالمه . « ومما لا شك فيه ان الفن ما لم يعبر عن تلك الاحتياجات الاجتماعية والامال المباشرة فانه يفقد اهميته . والثقافة لابد وان تمتزج بابسط الاشياء فتنعكس في طريقة الخزاف الذى يشكل آنيته واسلوب النساج وهو ينسج على نوله . فعلى هذا النحو نمت وتطورت الثقافة اليونانية وصارت في طريقها الطبيعى من بناء الكوخ الصغير على سفح تل الاكروبوليس الى معبد البارثينون » .

وعلى غير هذا النحو تمضي الثقافة في العـــالم الرأسمالي المعاصر ، لا جذور لها في حاضرنا فهي لاتستنشق جوها الطبيعي وانما اصبحت ـ لطول انفصالها عن الحياة العملية ـ نسقا من التعاليم الجافةيمكنتضمينها دفاتالكتب ،وقاعاتالمتاحف.

ويختتم هربرت ريد كتابه قائلا « ان الثقافة اذا تحولت الى نوع من الصلصة التى نكسو بهـــا طبقا من السمك الفاسد فالى الجحيم بمثل هذه الثقافة» وتلك كانتآخر كلمات «اكثر الفوضويين تهذيبا» والعجوز الذى نذر حياته لكل ماهو جديد.



حركة التجديد .. والفن والحياة

برنامج « الفن والحياة » بالتلفزيون يعرض لجوانب مننشاط الفنالتشكيلي في بلادنا . ولذلك فان اهميتهتكمنفيما يمكن ان ينشره من افكار واراء حــول قضايا هذا الفن . وفي احدى الحلقات الاخيرة استضـــاف البـــرنامج اثنين من الاسماء المعروفة فيميدان الفنالتشكيلي وكان العرض والتعليق يتصل ببينالي « فينيسيا » . وفي هذا العرض تصدى احد المتحدثين لقضـيـة هامة وتناولها في عجلة لا تتفق مع خطورة الموضـوع .

وقد عرضت القضـــية كالاتى : ان المعارض العالمية للفن التشـكيلي تضم اعمالا ونماذج لفنانين اجانب وهي اعمال ونماذج تلفت النظر لانها لا تعتمد على الانتاج التقليدي في التصوير ،ذلكالانتاج الذى تراه ممثـلا في لوحة من قمـــاش مرسوم عليها بالالوان والفرشاة انما هي صيحة جديدة !! في عالم الفن . انهـــا نماذج تعتمد على تكوينات (حركيةالية) وتكوينات من مواد غريبة مثـل المرايا المقعرة او المحدبة او من النماذجالمجهزة باضواء النيون المتحركة .

كل هذا كان يمكن ان يكون مقبولا لو ان المعلق قد اكتفى بالتنبيه الى ما هو مستحدث فيعالم الفنالتشكيلي فيارجاء العالم . ولكن الخطر يكمنفي انالتعليق قد انتهى الى توجيــه محــدد هو ان اللوحة التقليدية المرسومة على قماش او ماشابهه ، او المستخدم فيهاالالوان والفرشاة لم تعد تنفع !!!

ومثـل هــذه الاراء التى تقال على اساس الافتتان الشخصي بشيء جديداو الانبهار بعمل به عناصر مستحدثة لا يمكن ان تقود الى نتائج ايجابية بل كم من الضرر يمكن ان ينشأ من تاثير هذا الكلام على عشرات من الفنانين الناشئين كما أن هذه الاراء تدلنا على المازقالذى بلغته حركة النقد في الفن التشكيلي في بلادنا وبعدها عن الدراسة الموضــوعية لحركات التجديد في العالم بل والمعرفة بهذه الحركات وفلسفاتها واتجـــاهاتها والمدى الذى يمكن ان تتفاعل به معحركة الفن التشكيلي في بلادنا .

ان حركة التجديد في العالم تتعــدد اتجاهاتها . ومن الضرر الواضحالتركيز على اتجاه دونفحص وتاييدهذا الاتجاه مع رفض كافة الاتجاهات .وبشكل سريع يمكن ان نشير الى بعض هذهالاتجاهات البارزة في الفن الحديث ويحتاج كلمنها الى بحث وافاضة ليس هذا مجالها :

● محاولة ادخال العناصر البصرية والحيل التكنيكية واكتشـــاف تاثيرات جديدة للرؤية الهندسية (Optic Art)

● محاولة تنميــة فلســفة الحركة المستقبلية(Futuricm) منالحركة،وربط ذلك بما اكتشفته النظرية النسبية في مفهوم الزمان والمكان وعلاقة ذلكبالرؤية التشكيلية .

● ادخالالموادالغريبة (النفايات) او المواد الجديدة (اللدائن والمعادن) على اللوحةاوالعملالمجسم(Materiology)

● الاهتمام بامكانيات تحويل العمل الفنى الى عمل يتم انتاجه على نطاق واســع (Mass - Production) باستغلال امكانيات السينما او اعمـــال الحفر والطباعة .

● ادخال عنـاصر الحــركة الاليــة والكهربائية على الاعمال والتكويناتوهو ما يسمى بالحركيات (Kineties)

. ولا شــك ان قضية تطــور التكنيك وعلاقته بوسائل التعبير قضية تستحق الدراسة ، وكل الاتجاهات التى اشرنا اليها تحاول ان تجد حلولا لهذه القضية غير ان التعلق باتجــاه معين مع رفض الوســائل والاستخدامات الاخــرى على الصــورة التى جرى بهـــا التعلق يعتبر حكما متسرعا وغير مفيد . وزيادة في التوضيح نقول ان الاتجاه الحركي الذى خلب لب المعلق ليس حديثا كما يتصور ، فمن المعروف ان بيكاسو كان قد صرح في عام ١٩١٠ بانه يحلم (بنحت يتحرك بطريقة الية) . وان المستقبلين قد ذكروا في بيـــانهم عام ١٩١٦ انهم يبحثون عن « دين جديد يقوم على تطور وسائل الحركة » . ثم انتقلت الفكرة من حيز النظرية الى العمل على ايدى « مارسيل ديشــامب » فعــرض عملــه المسمى « الطبق الزجاجي المحرك »في عام ١٩٢٠ وكان العمل عبارة عن طبق به خطوط دائرية ومدور بطريقة الية .

ثم تطورت هذه الفنون الحركية الى استخدامات جديدة على ايدى « جابو» فاستعمل الموتورات الكهربائية عام١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ وكذلك كل من « شـــوفر » و « مالينا نينجويلي » الذى استخدم كل انواع القــوى المحــركة (الكهرباء والزنبركات) . كما استخدمت الالوان النيون والإضاءة الكهربائية .

فالمحاولة اذن ليست جديدة تماما،بل يرجع تاريخها الى حوالى نصف قرن بل لقد دخلت هذه المحاولات الىميادين التطبيق فعـلا وتحولت تلك المغامرات الفنية من مجرد محاولات ذهنيــة الى بعض ميـادين العمــل الفنى كالاعلان والانشاءات الزخرفية في المعارضالعالمية (التجارية والصناعية) .

ومثل هذا الاتجاه الى « الحركيات» قد ساعد عليهتكوين المجتمعاتالصناعية الحديثة ودنيا الالات الامر الذى وجد صداه لدى بعض الفنانين فعبروا عنه في صورهم وفي مجســماتهم ونماذجهم . ولكن كل ذلك لم يحل دون ان يستمر فن التصــوير وفن اســتخدام اللوحة المسطحة والملونةومنان يؤدىدورهانهتعدد التخصصات الفنية كما تتعدد فروع اى ميــدان من ميــادين النشــاط الفنى والانسـانى .

واذا كان المعلق قد ردد من جــديد العبارة التى رددها رائد الفن الحركي الاول حــوالى عام ١٩١٤ « مارســيل دوشامب » حينما قال « لقد انتهى التصوير » فان فن التصوير قداستمر رغم ذلك وبعد ذلك ليقول كلمتهبوسائل جديدة واساليب جديدة . ولم تقتصر وسائل تعبير المصــورين على المغامرات التكنيكية واساليب الصياغة التشكيلية فحسب ، بل تعدتها الىوسائل جديدة للتعبير عن مشاكل المجتمعات والحيـاة الانسانية بل ومشاكل الفنان وحريته

داود عزيز

تقرير
خاص
عن

حرب يونيو

■ لماذا خسر العرب حربهم الثالثة مع اسرائيل
.. ومتى تبدأ الحرب الرابعة ؟

■ كيف بدأت الحرب ونفذت .. لماذا لم تبدأ
بالهجوم .. ماهو موقف القيادات العسكرية ؟

هذا التقرير — الذى اصبحت الظروف تسمح بنشره — يجيب على علامات الاستفهام التى اثارتها — ولاتزال — حرب يونيو ونتائجها .
ويمكن تركيز علامات الاستفهام فى سؤالين رئيسيين :
- **لماذا هزمنا .. ولماذا خسر العرب الحرب ؟**
- **متى تبدأ الحرب الرابعة ؟**

ويكتب هذا التقرير الزميل الصحفى « محمود مراد » وذلك من واقع متابعته لوقائع الحرب واطلاعه على عدد من الوثائق ومناقشته لعدد من القيادات العسكرية العربية .



ان هذا التقرير عن حرب يونيو يتعرض للعمليات الحربية التى دارت خلالها ، ويركز بالدرجة الاولى على : **هل كنا نستعد للحرب .. ؟ ثم كيف بدات وجرت .. ؟ وماذا كان مخطط القيادة المصرية .. ؟ ولماذا لم نتلاف الضربة الاولى ..؟ ثم لماذا — بعد ان اشتعلت الحرب — لم نبدأ الهجوم المضاد ؟**

ومادام هذا التقرير يتعرض « لاحداث هامة » من اخطر ما واجهته الامة العربية فى تاريخها المعاصر ، فانه يلزم ان نؤكد **ان هذه المعلومات تستند الى « وثائق عسكرية » اتيح الاطلاع عليها اخيرا لاول مرة** ، وتروى بالصدق وحده احداث ماجرى . ومن هنا فان « الحقيقة » فقط هى الحكم .. وهى السبب فى عدم اشتمال التقرير « لكل » ما جرى « تفصيلا » ذلك لان هذا التقرير لم يتوصل الى « كافة الوثائق العسكرية المتعلقة بحرب يونيو » . وبديهيا فان الحروب لاتظهر كل اسرارها فور انتهائها وانما يظل بعضها فى طى الخفاء سنوات وسنوات .. فان حرب ١٩٤٨ تكشفت بعد سنوات من انتهائها ولاتزال بعض اسرارها مجهولة .. كذلك فان حرب ١٩٥٦ لم تظهر اسرارها الا بعد ١٠ سنوات ولا يزال بعضها حتى الآن حبيس الملفات والعقول .

ذلك مع ان حرب يونيو ٦٧ تعتبر من وجهة النظر العسكرية « جولة من العمليات الحربية فى صراع مسلح بدأ سنة ١٩٤٨ **ولا يزال بغير**

نهاية .. اما « الحرب » فهى تلك التى تشتمل على جولة او اكثر متصلة اومنقطعة، لكنها فى النهاية تحقق « الغرض السياسى الذى قامت من اجله » .

واذا كانت اسرائيل عقب حرب يونيو — كما نسميها مجازا — وربما قبل ان تنتهى اذاعت كثيرا من الاسرار وعلى السنة قادة المعركة .. فانها قصدت بذلك حربا دعائية تكمل القتال . ومن هنا يلزم ان نضع حيالها تحفظا هاما هو: **« ليس كل ما تذيعه اسرائيل حقيقة »** .

وحقيقة اننا هزمنا عسكريا .. ولا نستطيع الا الاعتراف بذلك رغم قسوة الاعتراف ومرارته. لكننا من ناحية اخرى لانستطيع مرة اخرى ان ندفن رءوسنا فى الرمال ، وان نحيط انفسنا باكاليل غار لا نستحق شرفها ، **كما حدث عندما هزمنا عسكريا سنة ١٩٥٦ لكننا انتهزنا « النصر السياسى » واستقطبته القيادة العسكرية لنفسها الى حد افقد بعض القادة العسكريين قدرة التقييم** .

ومن هذا الوقت بالذات — فى اعقاب حرب ٥٦ — بدأت مقدمات حرب ٦٧ فى الجانبين العسكريين : الاسرائيلى والمصرى .

بالنسبة للجانب الاسرائيلى :

ادركت القيادة العسكرية الاسرائيلية ان مكسبها فى حرب ١٩٥٦ ، لم يكن يرجع الى قدرتها لكنه كان بفضل القدرات العسكرية الفرنسية والبريطانية ، وان هذا الفضل يتركز فى « القوة الجوية » التى هاجمت المطارات المصرية، ودعمت القتال البرى فى سيناء وعززت الانزال البحرى اثناء غزو بور سعيد ، كذلك فانه علاوة على ما وفره تواطؤ ١٩٥٦ من اسلحة ومعدات وقوات بريطانية فرنسية حاربت مع اسرائيل ، فان الخطة « موسكتير المعدلة النهائية » للهجوم البريطانى الفرنسى على بور سعيد ثم القاهرة كانت هى الهجوم الرئيسى والاساسى لحرب العدوان الثلاثى ، وكانت تحقق استراتيجية الاقتراب غير المباشر نحو الهدف ، فبينما اسرائيل تستدرج القوات المصرية الى اعماق سيناء وتخلى بذلك قلب الدولة من القوات الرئيسية القادرة على الدفاع ، تنزل الضربة الانجلوفرنسية لتجد شبه فراغ فى قلب الدولة ، اما فى حرب ١٩٦٧ فلم يكن امام اسرائيل سوى ان تتبع استراتيجية الاقتراب المباشر ، ومن هنا كان اضرارها على تعويض القوة البريطانية الفرنسية ، بسحق القوات الجوية المصرية فى ضربة مركزة مفاجئة . ونتيجة لهذا الادراك فان القيادة الاسرائيلية طالبت بمزيد من الطائرات ثم بدأت تعد — تطبيقا لنظريات الحرب الحديثة — لهجوم جوى مركز ، هو السلاح الرئيسى الاول بالنسبة لحروبها خصوصا وهى بلد صغير محدود السكان . ان هذا الاستعداد يفصح عنه صراحة « **موردخاى هود** » قائد الطيران الاسرائيلى ، اذ قال عقب حرب يونيو : « ان الفضل يعود الى سلفى قائد الطيران السابق عازار وايزمان — وهو ابن اخت وايزمان اول رئيس لاسرائيل — اذ استعد للهجوم الجوى المركز غداة ان حرمنا من النصر عام ١٩٥٦ » .

وبالنسبة للجانب المصرى :

تمادت القيادة العسكرية فى اخذ النصر السياسى لحرب ٥٦ لنفسها ، ورغم توفير الامكانيات لها — وفى المقدمة الاسلحة المختلفة — الا انها لم تحسن التخطيط ، بالرغم من كل ما لديها ، وبالرغم من القوى البشرية التى تحت امرتها ، وسند هذه القوة . المقاتل المصرى — ضابطا كان أم جنديا — الذى له تاريخ نضالى ولكن ينقصه التدريب والتخطيط.

لقد ظنت القيادة العسكرية عن ثقة زائدة فى النفس انها قادرة على كل شىء . ولذلك **فعندما اعلنت حالة الطوارىء فى منتصف مايو ١٩٦٧ ، صورت الامر للشعب وللقيادة السياسية على انها تستطيع ان تفعل ما يطلب منها فى اى وقت وبنجاح تام ، فى حين ان الواقع كان مريرا ..**

وعلى سبيل المثال فان اجهزة التخطيط فى القوات المسلحة قدمت الى القيادة — بعد اعلان الطوارىء — **تقريرا يقع فى ١٤٢ صفحة فولسكاب يتضمن خلاصة الفكر العسكرى للعدو وتوقعات خطواته** ، وحددت القيادة موعدا لمناقشة هذا التقرير ، غير ان المناقشة لم تتم ، ولم يدرس التقرير — وهو بالغ الاهمية — **بما يستحقه من اهتمام** وجدية .

وقبيل الحرب بثلاثة ايام، بالتحديد يوم الجمعة ٢ يونيو، عقد مجلس حرب بين القيادتين السياسية والعسكرية، ونوقشت احتمالات الموقف .وفى هذا الاجتماع قال قائد القوات الجوية — السابق — **« اذا بدأت اسرائيل الهجوم فانها ستصيبنا بخسائر ١٠ او ١٥ فى المائة »** .

وفى نفس هذا الاجتماع التاريخى قال الرئيس جمال عبد الناصر **« ان اسرائيل لابد وانها ستتحرك لمهاجمتنا .. وان هذا الهجوم متوقع خلال يومين او ثلاثة وبالتحديد يوم الاثنين »** .

ان التقرير الذى حدد يوم الاثنين كان يستند الى اكثر من عامل :

١ — ان الجمهورية العربية اخذت كل ماتريد
خليج العقبة وشرم الشيخ ، وانهت وجود قوات الطوارىء الدولية . وبذلك اصبحت اسرائيل مخنوقة .

٢ — ان الطوق يحيط اسرائيل بالدفاع المشترك
بين الدول العربية المحيطة بها وهى الجمهورية العربية وسوريا والاردن وتزيد عليهم العراق . ونفس هذا الموقف كان — باستثناء العراق — قبل حرب ١٩٥٦ .

٣ — ان اسرائيل كمقدمة لحركتها المنتظرة
شكلت وزارة حرب وجاءت بموسى ديان وزيرا للدفاع .

٤ — ان اليوم — الاجتماع كان مساء يوم الجمعة ٢٢ يونيو — اوشك على الانتهاء .. **واليوم التالى هو « السبت » .. وهو يوم دينى** لا تبدأ اسرائيل فيه الحرب .. وبعده **« الاحد » حيث السفارات والهيئات الاجنبية داخل اسرائيل** فى اجازة لا تسمح للدبلوماسيين والمراقبين الاجانب من الوقوف على آخر مراحل التحركات والاستعدادات . ولذلك يفاجأون فى اليوم التالى بالحرب .

٥ — ان الهجوم سيتم صباحا وذلك بعكس حرب سنة ٥٦، عندما هاجمت الطائرات الانجليزية (الكانبيرا) فى السابعة مساء .. ذلك لان طائرات اسرائيل (الميراج والميستير) لا تعمل ليلا ولذلك فان الانسب لها فى الصباح .

هكذا كان تقدير الموقف يوم ٢ يونيو . لكن القيادة العسكرية لم تأخذ الامر على محمل الجد الى حد انه فى اليوم السابق للحرب مباشرة صرح احد قادة القوات بأنه **لا يتوقع الحرب ابدا** ،وقال لمن حوله : **لن تحدث حرب .. ولن تجرؤ اسرائيل على هذا »** . والغريب انه كرر هذا ثلاث مرات : **مرة فى سيناء** عندما غادرها الى القاهرة بعد زيارة قصيرة ، **ومرة داخل** الطائرة التى حملته ، **ومرة ثالثة** فى مقر قيادته .

ثم جاء الاثنين ٥ يونيو ، وهو اليوم التالى لتبدأ اسرائيل الحرب عكس توقعات القيادة العسكرية ، وطبقا لتوقعات القيادة السياسية فى آخر مجلس للحرب .

٢

بدأت اسرائيل الحرب بهجوم جوى مركز أعدت له ابتداء من سنة ١٩٥٧ عقب حرب السويس، لتنفذ بهنظرية الحرب السريعة الخاطفة التى تعتنقها لثلاثة اسباب :

● **لانها بشريا : لا تقوى على الصمود امام** حرب طويلة . اذ ان عدد سكانها من « اليهود » لايتجاوز ٢٫٣٣٧٫٩٠٠ نسمة ، بينهم ٧١ الف جندى نظامى، يرتفع عددهم بدعوة الاحتياطى الى ٢٥٧ الفا ، وذلك غير المليشيا المسلحة .

● **ولانها ، عسكريا : لا تريد ان تنقل الحرب** الى داخل حدودها حتى تحمى سكانها ومنشآتها وحتى لا تخيف من يرغب الهجرة اليها . ومن المعلوم انها تسعى للهجرة كهدف استراتيجى .

● **ولانها ، اقتصاديا : لاتستطيع ان تتحمل** آثار تعبئة طويلة على اقتصادياتها وانتاجها .

● .. ثم لانها تريد ان تضع العالم امام الامر الواقع .

ومن هنا فلقد كانت التعليمات المشددة لدى الطيارين الاسرائيليين — طبقا لاعترافاتهم — **« اذا انكشف امركم عودوا فورا الى قواعدكم دون اى ضرب للمطارات المصرية »** .

لكن احدا لم يكتشف امرهم . فلقد كانت القيادة العسكرية — وقيادة الطيران بالذات — تعتقد — رغم اجتماع ٢ يونيو — أن الحرب لن تقع .. ولم تستعد لها بما تستلزمه مثل هذه الظروف . وابسط مايلزم هو عمليات الانذار .. وصحيح ان الطائرات الاسرائيلية — وهى تطير على ارتفاع منخفض (٣٠ قدما) — لا يكتشفه الرادار ، الا انه كان يمكن — بالتعاون مع القيادات الاخرى مثل البحرية والبرية — تنظيم مراقبة مستمرة ترى بالعين المجردة وتنذر ، مالايستطيع الرادار اكتشافه .. خصوصا وان اسرائيل فى مكان محدد معين تسهل احاطته بالعيون .. برا عن طريق سيناء ، وبحرا عن طريق البحر الابيض المتوسط . وعن طريق مرتفعات الاردن التى تشاهد مطارات اسرائيل الوسطى بالنظر .

اكثر من ذلك فلقد كان لدى المدفعية — صباح ٥ يونيو — امرا **« بتقييد النيران لان طائرة هامة فى الجو »** تحمل المشير وبعض القادة الى سيناء .. وعندما فوجئوا بالحرب دارت بهم الطائرة ثم انزلتهم فى مطار القاهرة لتحملهم سيارات تاكسى الى قياداتهم .

هكذا كان الطريق مفتوحا امام الهجوم الجوى المركز الذى بدأ فى الثامنة والنصف صباحا بأسلوب فريد ، نفذته اسرائيل **بقوة حجمها ٣٧٦ طائرة ميستير وميراج وفاتور وغيرها ، يعمل عليها ويخدمها فى القواعد الى جانب الطيارين الاسرائيليين متطوعون يصل عددهم الى ٦٠٠ ممن عملوا فى**

مسارح عمليات معاصرة ، ومعظمهم على وجه القطع وطبقا للوثائق عمل فى فيتنام . وكلهم جاءوا الى اسرائيل من اوربا وامريكا وجنوب افريقيا .»

ولقد سبقت الهجوم خطوتان اساسيتان :

الاولى : جمع المعلومات

لقد استطاعت اسرائيل ان تحصل على معلومات دقيقة عن القوات المسلحة المصرية باكثر من وسيلة منها جواسيسها . لكن الوسيلة الاولى والاهم تتبلور فى المساعدة والدعم التكنولوجى الذى قدمته امريكا — رأس القوى الامبريالية — لاسرائيل . لقد كان هذا الدعم عن طريق الاقمار الصناعية التى صورت كافة القواعد المصرية العسكرية ، ان اسرائيل لايمكن ان تصل الى هذا وحدها ، وانما قدمته لها امريكا ... بحيث ان اسرائيل بغير جهد خاص منها كانت تحصل على خرائط لكل الجمهورية العربية المتحدة مبينا عليها القواعد البرية والبحرية والجوية . ولم تكن هذه الخرائط لمرة واحدة وانما متكررة الى اليوم السابق للحرب مباشرة حتى تعرف اسرائيل مايحدث من تغيير فى القواعد والتحركات .»

والى جانب مهمة الاقمار الصناعية ، كانت سفينة التجسس « ليبرتى » الشهيرة قرب مسرح العمليات تلتقط اوامر القتال والتحركات وتفك شفرتها ورموزها — الكترونيا — وتسلمها الى القيادة الاسرائيلية فورا .»

والثانية : التدريب

لقد وضعت القيادة الاسرائيلية برنامجا للتدريب طوال السنوات العشر السابقة للحرب ، واستفادت خلاله بالمتطوعين الذين عملوا فى مسارح حربية معاصرة والذين كانوا يأتون اليها شهرا كل سنة للاشتراك فى عمليات التدريب الشاملة . ولم يكن التدريب يقتصر على « الطيران » فقط وانما على الخدمة الارضية للطائرة بحيث انه عندما تهبط الطائرة — بعد مهمتها — الى قاعدتها يسرع اليها الفنيون المتخصصون ، كل فى مجاله ، للكشف على الطائرة وتموينها لتصبح جاهزة للاقلاع مرة اخرى بعد زمن قصير يتراوح ما بين ٧ دقائق ونصف دقيقة ، ونصف ساعة ، وهذا يعتبر زمنا قياسيا ، اذ ان المعدل المعروف عالميا يصل الى ساعتين .»

٣

اذن .. جاءت المعلومات ، وتحقق التدريب .» واصبح مع كل طيار خريطة دقيقة للاهداف المطلوب ضربها . ولم يبق الا التنفيذ ، وهو بدوره كان حسب جدول زمنى دقيق :

تقلع الطائرة من قاعدتها — وسط اسرائيل — لتصل الى هدفها فى الاراضى المصرية بعد عشرين دقيقة ثم تضربه لمدة ٧ دقائق بعدها تعود مرة اخرى الى قاعدتها فى ٢٠ دقيقة ليجرى تموينها والكشف عليها فى نصف ساعة على الاكثر لتقلع مرة اخرى بنفس طيارها او بطيار آخر الى نفس الهدف لتصله بعد عشرين دقيقة وتضربه فى ٧ دقائق وتعود من جديد الى قاعدتها .. وهكذا بالنسبة لبقية الاهداف .»

بمعنى ان الطائرة تأخذ الدورة التالية :

- **تغادر قاعدتها ٨ر٣٠ صباحا لتصل الى القاعدة المصرية ٨ر٥٠ وتستمر فى ضربها حتى ٨ر٥٧ ثم تعود لتصل الى قاعدتها ٩ر١٧ ويكشف عليها وتمون حتى ٩ر٤٧ لتقلع الى القاعدة المصرية فتصلها ١٠ر٧ ثم تضربها حتى ١٠ر١٤ لتعود الى قاعدتها وهكذا .**

لكن هذه الدورة يظهر منها ان القاعدة المصرية ستظل بغير ضرب من الساعة ٩ر٤٧ عندما تغادرها الطائرة حتى الساعة ١٠ر٧ عندما تعود اليها مرة اخرى ، فهل تترك القاعدة هادئة طوال ساعة و ١٠ دقائق ؟

بالطبع لا تسمح الخطة بهذا ولذلك اكملوها بأسلوبين :

الاسلوب الاول

انهم خصصوا لكل قاعدة جوية مصرية سربين من الطائرات لضربها . وقسموا طائرات كل سرب الى ثلاث مجموعات كل منها تسمى « رف » :

- **الرف الاول :** يغادر قاعدته الاسرائيلية ٨ر٣٠ ليكون فوق الهدف المصرى ٨ر٥٠ ويستمر فى ضربه حتى ٨ر٥٧ ويعود .

- **الرف الثانى :** يغادر قاعدته ٨ر٤٠ ويصل للهدف ٩ر٠ ويضربه حتى ٩ر٧ ويعود .»

● **الرف الثالث :** يغادر قاعدته ٨٫٥٠ ويصل الهدف ٩٫١٠ ويضربه حتى ٩٫١٧ ويعود .

أما السرب الثانى فان رفوفه تبدأ الاقلاع الساعة ٩٫١٠ وعلى التوالى بفاصل زمنى ١٠ دقائق . بين كل رف ورف . بمعنى ان اول رف (مجموعة) يصل الى « القاعدة الهدف » الساعة ٩٫٣٠ بعد ان يكون آخر رف من السرب الاول قد غادرها الساعة ٩٫١٧ .. اى بعد ١٣ دقيقة فقط .

والاسلوب الثانى

هدفه شغل الدقائق الثلاث عشرة التى يظل فيها الهدف المصرى بغير ضرب بين آخر مجموعات السرب الاول ، واول مجموعات السرب الثانى .. ووسيلة هذا الاسلوب هى قنابل الممرات .

ان قنبلة الممر مقسمة الى ثلاثة اجزاء :

فى الجزء الامامى : صاروخ يحد من اندفاعها ويخفف سرعتها .

فى الجزء الاوسط : شحنة بارود هائلة هى العصب الرئيسى للقنبلة .

فى الجزء الاخير : صاروخ يعمل حسب الضغط الجوى المحيط به ويجعل القنبلة تندفع عموديا قوية تجاه الارض فتشقها فى حفرة يصل عمقها الى مابين ١٫٥ متر و ٤ امتار بقطر يصل طوله ما بين مترين و ٦ امتار .

هذه القنبلة ، احد اسلحة الطائرة ، تلقيها على ممرات القواعد الجوية لتدمرها وذلك اثناء طيرانها على ارتفاع منخفض ، وبسرعة تصل الى ١٢٠٠ كيلو متر فى الساعة ، ومن هنا وحتى لا تتدحرج القنبلة على الارض وتنفجر بعيدا عن الممر ، جرى تزويدها بالصاروخين لتخفيف سرعتها ثم لتندفع عموديا . ولذلك فان القاء هذه القنابل يأتى بمفعول قوى خصوصا وانها تنفجر طبقا لتوقيتات زمنية ، بحيث يبقى المكان المصرى دائما فى حالة انفجار .

٤

هكذا وضعت الخطة وبدأ التنفيذ الساعة ٨٫٣٠ صباحا بعد ان انقشعت الشابورة من فوق دلتا مصر ، وصفت سماؤها لتصبح الرؤية واضحة امام الهجوم الجوى المركز ، الذى اتخذ مساره تجاه الغرب فوق مياه البحر الابيض على ارتفاع ٣٠ قدما موازيا للساحل المصرى بمسافة تتراوح بين ٥٠ و ٦٠ كيلو مترا . ثم عندما اصبح فى مواجهة الدلتا انقسم الهجوم المتجه للمطارات المصرية الاحد عشر وبينها ٤ مطارات رئيسية الى ٣ مجموعات :

● **الاولى لتضرب مطارات شمال سيناء** ومنها العريش والسروتمادة والمليز .

● **الثانية لتضرب شمال بور سعيد ومطارات** خط القناة ومنها كبريت وابو صوير وفايد .

● **الثالثة لتضرب الدلتا وشمال الصعيد :** وقد وصلت هذه المجموعة الى دمياط .. ثم انحرفت لتهبط جنوبا على فرع دمياط .

ولقد كان اول مطار ضرب فى الساعة ٨٫٤٢ صباحا هو مطار تماده والمليز بسيناء وآخر مطار ضرب هو الفردقة فى الساعة ١٫١٠ ظهرا ، مخالفا للخطة الاسرائيلية ، نتيجة عدم تنسيق الطلعات مع فروق التوقيت الزمنى للوقت الذى تستغرقه الطائرة من وسط اسرائيل الى سيناء .. والوقت الذى تستغرقه الى شمال الصعيد .

وايضا نتيجة لنشاط المدفعية المصرية التى استطاعت ان تنطلق من عقالها بعد هبوط طائرة المشير ، ونتيجة لنشاط الطيران المصرى الذى قام به طيارون سجلوا اعمالا انتحارية .

لقد شهدت مطارات كثيرة اعمالا فدائية للطيارين المصريين الذين رغم مفاجآتهم بما حدث ، ورغم نشاط العدو الذى لا يترك فسحة خالية بغير ضرب وانفجارات .. رغم كل ذلك فلقد تسابق الطيارون للصعود الى طائراتهم والاشتباك مع العدو . ففى اول ايام الحرب قامت ٥٥ طائرة ونفذت ٣٢ مهمة بنجاح .

هكذا كان موقف الطيارين . اما القيادة العليا فقد ارتبكت الى حد انها عندما بلغها نبأ الحرب ، وطلب منها التعليمات ذكرت الاسم الكودى لخطة عسكرية لايمكن ان تنفذ فى وقت مثل هذا .. وبالطبع ادرك المرءوسون الذين تلقوا « الاسم الكودى » ان فكر القائد غطاه الضباب .

ونجح الطيران الاسرائيلى — خلال اليوم الاول — فى تدمير معظم القوات الجوية المصرية ، وبعدها بدأ يهاجم الجبهة الاردنية ويساعد القوات البرية الاسرائيلية . وهذا يقودنا الى البحث عما جرى فوق ارض سيناء .. لكن قبل ان ننتهى من عمليات الطيران نسأل :

● **هل — هذا الذى فعلته اسرائيل — هو الاول من نوعه فى تاريخ الحروب ؟**

الاجابة الفورية : لا .. فان هذا التكتيك نفسه استخدم ضد امريكا . عندما اعد السلاح الجوى الامبراطورى اليابانى هجوما جويا مركزا ، وهاجم — على موجتين متتاليتين — القاعدة الامريكية فى ((بيرل هاربور)) ، فى الساعة ٧ر٥٥ صباح الاحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ ، ورغم ان القوة اليابانية لم تزد عن ١٥٠ طائرة الا انها استطاعت تدمير ٤٥٠ طائرة امريكية فى ٤ مطارات و ٥ بوارج حربية و ٨٠ مركبا حربيا مختلفا ، وقتلت ٢٥٠٠ ضابط وجندى ، واصابت ١٢٠٠ غير الف مفقود لم يعرف شيء عنهم .

ولقد كان التشابه فى الخطتين — الاسرائيلية ، واليابانية — متعددا فى اوجه كثيرة :

● **فى التضليل السياسى :** فى الحرب العربية الاسرائيلية كان هناك اتفاق على مباحثات بين الرئيس الامريكى ونائبرئيس الجمهوريةالعربية. (ايضا كما حدثسنة ٥٦بالنسبة لسفر د.محمود فوزى الى جنيف للوصول الى اتفاق بشأن الازمة المصرية الانجليزية الفرنسية) وفى حرب اليابان كان هناك اتفاق على مباحثات بين الادميرال اليابانى نمورا وبين كوردل هل وزير خارجية امريكا وقتها.ثم تزيد فىالحرب العربية الاسرائيلية تأكيدات سفراء الدول الكبرى بأن اسرائيل لن تبدأ الهجوم .

● **فى التضليل الدعائى :** كانت صحف اسرائيل تتحدث عن هجوم عربى ، وتؤكد سعى اسرائيل للسلام وتتظاهر امام العالم بانها ((مغلوبة على امرها)) . وايضا كانت صحف اليابان — سنة ٤١ — تتحدث عن السلام والحلول السلمية .

● **فى اختيار التوقيت :** هجمت اسرائيل صباح الاثنين عقب عطلة الاحد التى يتوقف فيها النشاط الدبلوماسى ، والى حد ما نشاط وكالات الانباء . (كما فعلت سنة ٥٦ بالهجوم يوم الاثنين) . وهاجمت اليابان صباح الاحد حيث عدد كبير من القوات يذهب الى الكنيسةاو يستعد لعطلة نهاية الاسبوع .

وربما الفرقبين العمليتين اليابانيةوالاسرائيلية، انه فى الاولى وكنتيجة مباشرة لها دب الذعر فى ولايات الساحل الغربى لامريكا مثل سان فرانسيسكو ولوس انجيلوس وهاجر سكانهاالى الشرق رغم ان المعركة على بعد ٤٠٠٠ كيلومتر منهم . اما فىالثانية فانسكان القنال — والمعركة قريبة منهم ووسطهم فلم يتزحزحوا كما لم يتحرك اى مصرى من مكانه .. الا بعد المعارك بأكثر من شهرين عندما جرى التهجير وفق خطة للامن .

كذلك فان الاختلاف العسكرى بين العمليتين : هو ان الهجوم اليابانى جرى بـ ١٥٠ طائرة فقط لاتزيد سرعتها عن ٢٥٠ كيلومترا بينما الهجوم الاسرائيلى تم بـ ٣٧٦ طائرة سرعتها تصل الى ١٢٥٠ كيلومترا ،وبدعم تكنولوجىجبار وبمتطوعين اجانب .

ذلك عن الطيران .. اما بالنسبة لما جرىفوق ارض سيناء فالموقف يختلف تماما .

٥

ان تحرك القوات المسلحة المصرية الىسيناء خلال ٧٢ ساعة — من ١٤ الى ١٧ مايو — يدل على كفاءة المقاتل المصرى — ضابطا كان ام جنديا — .. لكن تخطيط القيادةالعليا لم يكن على المستوى المطلوب .. ونسوق على ذلك ٤ ادلة كامثلة فقط :

١ — **انه من غير المعقول** ان تظل قوات فى حالة استعداد قصوى لفترة طويلة فان هذا يرهق اعصابها .. خصوصا وانه جرى حشد اعداد هائلة فى سيناء انتظارا للحرب . بينماكان الواجب عسكريا انتستقر القواتفىاماكن دفاعية وتحدد لها مهام قتال ثابتة حتى لا تتحول سيناء الى مصيدة .

٢ — **انه جرى تحريك القوات داخل سيناء بطريقة خاطئة** ومريكة فمثلاتحركتقوة منموقعها بالقرب من القاهرة الى العريش ، ثم من العريش الى الحسنة ثم منها الى الشيخ زويد ثم الى الحسنة مرة اخرى حتى انتهى بها المطاف فى اليوم السابق للحرب الى جبل لبنى بعد انقطعت ٨٠٠كيلو متر تحتدرجة حرارة مرتفعة، والجندى داخل بوتقة نار فى دبابته ، ورغم هذا حاربت هذه القوة ببسالة بمجهود افرادها وقياداتها المحلية، رغم انالقواعد العسكرية لاتسمحبتحرك الدبابات على جنازيرها اكثر من ٤٠ — ٦٠ كيلو قبل المعركة .. فاذا استلزم الامر ضرورة تحركها لمسافات طويلة فانها تحمل على حاملاتالدبابات صيانة لها وحفاظا على لياقة القوات .

٣ — **انه اعطيت اوامر متداخلة ومتناقضة الى القيادات فى الميدان .** وعلى سبيل المثال فان القوة التى كانت فى العريش اعطيت اوامر بمهمتين : **الاولى :** للدفاع ، **والثانية :** للهجوم .. وعندما كان قائدها يسأل : ((اى مهمة تريدون.. ان الدفاع له مقتضياته كاعداد حصون ودشم وغيرها .. والهجوم له ايضا قواعده ؟ ((كان يأتيه الرد : ((استعد للمهمتين معا)) .. ومن هنا تخبط القائد رغم انفه .. واصبح هو وقوته

فى مركز ضعف خصوصا عندما سحبوا منه قوة دبابات فى اليوم السابق للحرب مباشرة لتهبط جنوبا ... وفى اليوم التالى كان لقمة سائغة امام قوات البريجادير جنرال تل التى نفذت اليه من الشيخ زويد .

٤ — **ورغم ان المهمة المحددة من القيادة السياسية** هى الدفاع عن سيناء وتلقى الهجوم اولا قبل الضربة المضادة، لكن رغم ذلك دفعت القوات الى الامام وتركت المضايق بلا دفاع . رغم انها هى الممرات الوحيدة فى سيناء «رمانة — الجفاجفة — الجدى — متلا » .

ذلك طبعا غير **حشد قوات من الاحتياط دون** فرصة للتدريب على الاسلحة الجديدة .. وغير **عدم الاعداد لوسائل الامدادات** .. ثم نضيف على ذلك **صور الاقمار الصناعية** التى نقلت خريطة سيناء بمن عليها وما عليها للقيادة الاسرائيلية ، والسفينة ليبرتى التى تفك الرموز وتحل الشفرة .

ذلك كان شكل المسرح وجوهره .. وفى الساعة ٣٠ر٨ صباح ٥ يونيو بدأ الهجوم البرى الاسرائيلى على ٣ محاور رئيسية :

المحور الاول :

يقوده **البريجادير جنرال اسرائيل تل** : من خان يونس — رفح — الشيخ زويد — العريش ثم الاسماعيلية .

المحور الثانى :

يقوده **البريجادير جنرال ابراهام يوفيه** : من العوجة — وادى الازارق — جنوب بير لحفن — الحسنة — الجدى ثم ممر متلا .

المحور الثالث :

يقوده **البريجادير جنرال اريل شارون** : من العوجة — ابو عجيلة — القسيمة — نخل ثم متلا .

وكان لدى قيادات المحاور الثلاثة تعليمات اهمها :

● السرعة فى الحركة وعدم التورط فى قتال جانبى .

● الوصول باسرع مايمكن الى قناة السويس. ان هذه الخطة الاسرائيلية تستند الى استراتيجيتها فى الحرب ، وهو الضرب بسرعة وحسم . ومن هنا كان حتما أن يحسم الامر فى كل جبهة بالوصول الى مانع طبيعى كبير ، والاستناد اليه قبل التحول الى الخصم التالى . وفى هذا الشأن كانت طبوغرافية المسرح نفسه تتيح له الظروف الطبيعية لنجاح هذه الفكرة فالهجوم فى سيناء سينتهى بالقوات الاسرائيلية الى قناة السويس وهى مانع مائى كبير ، والهجوم فى الضفة الغربية للاردن سينتهى بها الى خنق نهر الاردن ، وهو من اصعب الموانع الطبيعية على ظهر الارض ، اذ انه ينحدر فجأة من ارتفاع ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ١٢٠٠ قدم تحت سطح البحر بحدة مكونا ما يشبه الحائط . ويستحيل عبوره بين الشرق والغرب الا فى ٤ اماكن ضيقة للغاية ، ولا تستوعب تحركات عسكرية كبيرة ، (جسور الملك حسين شرق اريحا، ودامية الذى يؤدى الى الصلط ، والشيخ حسين فى مواجهة بيسان ، وبنات يعقوب المؤدى الى مرتفعات جولان . ثم تتجه الى سوريا حيث مرتفعات جولان ثم يعبرها الى منطقة القنيطرة التى تعتبر الباب الشمالى لمنطقة الرواسب البركانية التى تستحيل فيها المناورة والتحركات الكبيرة على خط الهدنة بين سوريا واسرائيل .

وبطبيعة الحال كان مع القوات البرية الاسرائيلية دعما جويا من طيرانها لكن هذا الدعم كان مشغولا فى اليوم الاول بالهجوم على المطارات المصرية ، ثم الهجوم على الاردن والعراق وسوريا ، ومن هذا فان القوات البرية المصرية قاتلت ببسالة وتمسكت بدفاعاتها رغم ظروفها الصعبة ورغم توزيعات خاطئة ، منها مثلا — وهذا خطأ فادح — « عدم وجود خط دفاع استراتيجى اول فى سيناء يبدأ من بير رمانة ويصل الى الجفجافة، ثم الجدى ثم الى متلا ويهبط موازيا قناة السويس مبتعدا عن شاطئها الشرقى بمسافة تتراوح — حسب طبيعة الارض — بين ٥٠ و ٦٠ كيلو مترا » كذلك لم يكن هناك « خط دفاع ثان عن الدولة يتمركز غرب القناة » .

على انه رغم هذا لم تصل خسائر القوات البرية المصرية الى واحد فى المائة اى ١ على ٨٠ من خسائر الايام الستة .

٦

هنا . وبغير انتظار يأتى السؤال :

● ما دام الحال كذلك فلماذا لم تعد القيادة لهجوم مضاد تلتحم فيه القوات المصرية والاسرائيلية فتشل حركة الطيران الاسرائيلى او تنقل المعركة داخل اسرائيل ذاتها ؟ .

حقيقة كان يمكن ذلك ، بل جرى ترتيب الأمر بالفعل . لكن هناك عوامل اخرى تكشفها الوثائق :

١ ـ ان القيادة العسكرية العليا ضللت القيادة السياسية ولم تنقل اليها المعلومات الصحيحة عن الموقف .

٢ ـ ان القيادة العسكرية العليا لم تكن تعطى كل وقتها رغم الحرب والقتال لما يجرى على مسرح العمليات .

٣ ـ ان بعض القادة الذين كانوا يديرون ديناميكية القتال فى الجبهه خططوا صباح يوم ٦ لشن هجوم مضاد يعيد اتزان الدفاع فى المنطقة الامامية من سيناء كما خططوا اسلوبا آخر لادارة الاعمال القتالية فى حالة عدم الاتجاه الى شن هذا الهجوم المضاد . وكان هذا الاسلوب الاخر هو ان تتمسك القوات بعناد واصرار بالخط الثانى للدفاع عن سيناء من العريش شمالا الى الحسنة الى التمد جنوبا ، والدفاع عنه وصد كافة هجمات العدو وتحطيمها أمامه . وكان مما يعزز هذا الاتجاه انه عندما تتلاحم القوات الاسرائيلية المهاجمة مع القوات المصرية المدافعة على هذا الخط ، فان الطائرات الاسرائيلية لا تجد مجالا للعمل الحر المطلق فوق القوات المصرية خوفا على قواتها البرية التى ستكون قد تداخلت بشكل معقد مع القوات المصرية المدافعة . وبهذا الاسلوب كان يمكن ان تفقد الضربة الجوية المركزة التى جرت صباح يوم ٥ يونيو كثيرا من نتائجها .

٤ ـ ان هذه الخطة للهجوم المضاد كان يجرى الاعداد لها ليلة ٦/٧ ، لكن فى أثناء اعدادها أكتشف القادة ان القيادة العليا العسكرية اعطت لقيادات التشكيلات ـ متخطية أجهزة القيادة ـ أمرا بالانسحاب فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٦ ، وفعلا بدأ الانسحاب بطريقة غير منظمة ولا مرتبة ، مع ان الانسحاب فن من فنون الحرب يوازى الهجوم لو جرى وفق خطة وهدف .. لكنه جرى فى سيناء بطريقة اقل ماتوصف به انها مفزعة .. اذ انفرط عقد القوات وبدأ كل واحد كما يشاء يعود وفى مقدمتهم على سبيل المثال « **اللواء عثمان نصار** » الذى كان فى الاسماعيلية بعد منتصف ليلة ٦/٧ يونيو ، و « **صدقى الغول** » الذى لم يطع أوامر قيادته ولم ينفذ ما كلف به وعاد يجرى عبر القناة .

من هنا لم تنفذ خطة الهجوم المضاد ولا الخطة التبادلية لها .. فأعطيت الفرصة للقوات الاسرائيلية كى تتقدم الى القناة كما يلى :

● **المحور الاول « قوات تل »** : تقدمت الساعة ٨٫٣٠ صباحا مخترقة خط الهدنة حول رفح والتفت حول المواقع الدفاعية المصرية ، ووصلت الى مؤخرتها عند الشيخ زويد بعد ظهر اليوم الاول ، ثم تحركت اقسام منها نحو العريش وتوقفت عندها حتى صباح اليوم التالى (٦ يونيو) وعلى امتداد نهار ٦ يونيو تقدمت قوات تل فى مجموعتين منفصلتين : **الاولى** اتجهت الى مشارف بير العبد على الطريق الشمالى نحو القنطرة فوصلتها فى المساء ، **اما الثانية** . فقد اتجهت الى جبل لنبى عصر يوم ٦ على الطريق الاوسط ودخلت فى معركة مدرعة ضد اللواء المصرى الذى نجح فى ايقافها وايقاع خسائر كبيرة بها .

● **المحور الثانى (قوات يوفيه)** : تقدمت صباح ٥ يونيو عبر مدقات فرعيه من شمال العوجة ، فوصلت عند المغرب الى جنوب بير لحفن ، حيث نصبت كمينا مدرعا بقوة لواء مدرع لقطع خط المناورة المصرى بين الطريقين الاوسط والشمالى . وفى صباح اليوم التالى بدأت تتحرك جنوبا وتلتف حول الدفاعات المصرية المتمركزه فى منطقة الحسنة وبدأت تشتبك مع هذه الدفاعات عند المغرب .

● **المحور الثالث (قوات شارون)** : تقدمت من العوجة صباح يوم ٥ لمهاجمة الدفاعات المصرية حول ابو عجيلة . واستمرت المعركة بين القوتين حتى الساعات الاولى من فجر يوم ٦ . ثم حولت اتجاه تقدمها الى الجنوب الشرقى لتطويق دفاعات القسيمة ، وبدأت تشتبك مع القوات المصرية هناك عند غروب اليوم نفسه (٦ يونيو) .

اما سير اعمال القتال بعد غروب يوم ٦ يونيو ، فكان مرتبطا بصدور قرار الانسحاب وعلى ذلك فلا يكون التحليل العلمى لمعدلات التحرك او صلابة المقاومة امرا صحيحا بعد هذا الوقت ، لكن رغم ذلك لم تصل القوات الاسرائيلية الى شاطىء القناة الا بعد قرار اطلاق النار .

على انه بالرغم من ظروف المعركة البرية .. ورغم ضراوتها فان هناك بطولات شهدها مسرح العمليات ، منها معركة جبل لنبى التى سجلت فيها القوة المصرية ـ بعد مسيرة ٨٠٠ كيلو ـ اسلوبا بطوليا وصمدت أمام المدرعات الاسرائيلية رغم كل ما فعلته ، وظلت القوة المصرية فى مكانها بفضل كفاءة قيادتها وعلاقتها بالجنود ، حتى وصلها أمر الانسحاب ، فانسحبت والقائد فى دبابته خلف قوته يشرف على رحيلها بمعظم معداتها ويبث فى جنوده الشجاعة .

لكن ومع كل ماحدث من بطولات حققت اسرائيل هدفها العسكرى الذى تضمنت خطة الهجوم «ضربة صهيون» والتى احتوت ٣ أهداف رئيسية :

١ ـ **تدمير الجيش المصرى** (دمرت ٨٠٪ من معداته) .

٢ — فتح خليج العقبة والاستيلاء على شرم الشيخ .

٣ — الاستيلاء على سيناء والوصول الى شواطىء القناة

وهذه الاهداف الثلاثة ، هى نفسها اهداف خطة « قادش المعدلة » التى نفذت بها اسرائيل عدوان ١٩٥٦ مشتركة مع انجلترا وفرنسا . اما هذه المرة فقد نفذت بمساعدة فنية تكنولوجية هامة من امريكا ، وكان حجم قواتها البرية فى حرب يونيو :

سبعة الوية مدرعة بالدبابات (سنتريونوباتون الامريكية و A.M.X. ا.م. اكس الفرنسية) .. و ٢٤ لواء مشاه ميكانيكى ، غير كتائب المظلات والاقتحام الجوى ، والقوات المعاونة من مدفعية ومهندسين وشئون ادارية ..

٧

يبقى بعد القوات الجوية والبرية ، دور البحرية .. **لماذا لم تشترك القوات البحرية المصرية فى الحرب علما بانها — حتى قبل ٥ يونيو — اكبر من قوات اسرائيل البحرية ؟ .**

ان هذا السؤال يدور كثيرا فى الاذهان ، والاجابة عليه تتعرض لكثير من النواحى ، لكن ابرزها واولها هو الاهم ويستلزم وقفة قصيرة ..

اذا عدنا بالذاكرة قبل ٥ يونيو ، فاننا نتذكر ان الدول البحرية وفى مقدمتها امريكا وكندا ، لوحت فى اكثر من تصريح مسئول بانها **ازاء اغلاق خليج العقبة** سوف تقتحمه بالقوة وصولا الى ميناء ايلات الاسرائيلى . ومن هنا **فان القيادة العسكرية وحتى تدافع عن خليج العقبة** ودون ان تدرك ان هذه التصريحات ليست اكثر من مناورة ، **وعملا بخطتها فى ((الحشد)) نقلت مجموعة كبيرة من قطع الاسطول الى البحر الاحمر وسحبتها من البحر الابيض ، ولهذا فعندما نشبت الحرب لم تكن لدى الاسطول فرصة لضرب اسرائيل بحرا او لضرب قواتها البرية التى دخلت سيناء من الطريق الساحلى وهو على مدى مدفعية الاسطول سوى ما قامت به لنشات الصواريخ المصرية فى معركة رمانة بضربها قوات العدو البرية بالصواريخ .. ووجدت القطع الموجودة فى البحر الاحمر نفسها معزولة عن اعمال القتال . اما القطع الاخرى فقد تولت الدفاع عن الاسكندرية والساحل الشمالى ..**

٨

هكذا جرت الحرب .. وهكذا كانت علاقة الاسلحة الثلاثة : الجوية والبرية والبحرية بأحداثها ... ثم يطل السؤال الاخير الكبير :

● **متى تبدأ الحرب الرابعة ؟** ..

والسؤال فى حقيقة امره لا يدور فى فراغ وانما **يستند** الى ما ذكر من ان القوات المسلحة اصبحت فى وضع يفوق وضعها يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ .. ويضيف السؤال : اذا كنا فى وضع احسن فلماذا لا نحارب ؟ ..

والجواب :

صحيح ان القوات المسلحة — **بمختلف افرعها** — قد استكملت ماخسرته .. وصحيح ان التدريب الشاق القاسى العنيف لا يهدأ نهارا ولا ليلا ... ولكن : ان الحرب القادمة ليست هينة وهى تختلف عما قبلها ..

● **حرب ٤٨ :** جرت فى ظروف دولية لم يكن للعرب فيها اى تاثير .. كما كانت بعض حكوماتهم متواطئة مع الانجليز . وكانت الاسلحة فاسدة !..

● **حرب ٥٦ :** جرت بتواطؤ بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل وفق بروتوكول الاسيفر — ٢٤ « اكتوبر ٥٦ » . وبامكانيات دولتين كبيرتين ..

● **حرب ٦٧ :** جرت بعد دعم تكنولوجى من امريكا وتضليل سياسى ودبلوماسى خدعت فيه دول كثيرة ..

اما الحرب القادمة فهى لا تحتمل الامر الوسط اما **انتصار** للامة العربية كلها يفتح امامها ابواب الامل والحياة واما **انكسار** للجميع — حتى المكابرين فى بعض الدول — يدمغ الامة كلها ويعود بها الى عصر الاحتلال ..

من هنا تبدو المهمة شاقة والمسئولية جسيمة بحيث لا نسمح معها ان ندفع دفعا الى الحرب فى غير الوقت الذى نريده وفى غير الزمان الذى نحدده واعتقد اننا لسنا على استعداد لان نحطم آمالنا مرة اخرى لتتناثر على الرمال الساخنة فوق صحراء سيناء ..

وعلى اى حال فان الوقت بالقطع لن يطول فأعصاب الناس — والعسكريين منهم بالذات — لا تتحمل الانتظار الطويل ..

محمود مراد



مجلس السلام العالمى يطالب بالقضاء النهائى على العدوان فى الشرق الأوسط

يركز مجلس السلام العالمى ، جانبا هاما من نشاطه ، لمشاكل الشرق الاوسط ، التى لفزت بها حرب اسرائيل العدوانية ضدالبلاد العربية فى يونيو ١٩٦٧ ، الى درجة الخطر الفعلى المهدد للسلام العالمى .

وقد عقدت رئاسة مجلس السلام العالمى الدورة الثانية من اجتماعاتها لهذا العام فى مدينة نيقوسيا (قبرص) وذلك فى المدة من ٦ ــ ٨ يونيو ١٩٦٨ .

وشارك فى الاجتماع اعضاء هيئة الرئاسة الدولية (٤٥ عضوا يمثلون ٤٠ بلدا) ، كما حضره ممثلو الاتحادات العالمية للطلبة والعمال والنساء، وممثل لرابطة الحقوقيين الديمقراطيين الدوليين، فضلا عن عدد من الشخصيات العالمية ــ كمراقبين ــ ، من بينهم السياسي الهندى التقدمى الكبير ((كريشنامنون)) رئيس اللجنة العالمية لمتابعة تنفيذ قرارات مؤتمر نيودلهى لنصرة الشعوب العربية .

وكانت ازمة الشرق الاوسط المعاصرة فى مقدمة القضايا التى ناقشها هذا الاجتماع الدولى الهام . وقدم ((خالد محيى الدين)) ، عضو هيئة الرئاسة الدولية والسكرتير العام للمجلس القومى للسلام فى الجمهورية العربية المتحدة ، تقريرا هاما حول هذا الموضوع .

وقد أسفر الاجتماع عن اصدار مجموعة من الوثائق السياسية حول الشرق الاوسط هى : ● قرار حول الوضع فى الشرق الاوسط ● برقية من الرئاسة الى رئيسى جمهوريتى مصر وسوريا ، وملك الاردن .

وننشر ــ فى هذه الرسالة ــ نص تقرير خالد محيى الدين بالاضافة الى وثائق الاجتماع .

ــ ١ ــ تقرير عن تطورات ازمة الشرق الاوسط

١ تقرير عن تطورات أزمة الشرق الأوسط

خالد محيى الدين

لكى لا يمتد بنا الحديث طويلا فاننى افضل ان ابدا باحداث مابعد اجتماعنا فى لينينجراد فى اكتوبر ١٩٦٧ . ففى لينينجراد تشرفت بتقديمى لكم تقريرا عن الاوضاع فى منطقة الشرق الاوسط ، وفى لينينجراد اتخذنا قرارا جماعيا يمثل بالنسبة لنا جميعا ، ولكل انصار السلم فى العالم، خطا عاما للعمل من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية وللتوصل الى حل سلمى عادل للقضية الفلسطينية .

وسوف ابدأ متحدثا عما تلى اجتماعنــــا في لينتجراد من احداث .

واذا حاولنا تتبع تطورات الازمة التي سببها العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ فانه يمكن تتبعها في اتجاهات ثلاثة :

١) تطورات موقف القوى الدولية .

٢) تطورات موقف القوى العربية .

٣) تطورات موقف اسرائيل .

وكانت بداية التطورات الهامة في مواقف القوى العالمية هي انعقاد ((**مؤتمر نيـودلهي العالمي لنصره الشعوب العربيه**)) . فهو اول مؤتمر عالمي يعقد تأييدا للحق العـــربي . وقد اتخـذ المؤتمر عدة قرارات بالغة الاهمية ، اهمها اعتبار يوم ٢٥ يناير يوما عالميا للتضامن مع الشعوب العربية . كما اتخذ قرارا بتكوين لجنة لمتابعة الجهود العالمية لنصرة الحق العربي .

وكان مؤتمر نيودلهي فاتحــة لسلســلة من الاجتماعات الدولية الاخرى اهمها المؤتمر العمالي العالمي الذي عقد في صوفيا لنصرة الشــعوب العربية وغيرها .

والحقيقة ان الفترة الاخيرة قد شهدت تحولا حقيقيا في اتجاهات الراى العام .. مما يؤكد انتصار الخط الذي ينهجه انصار السلم في ادانة العدوان الاسرائيلي والمطالبة بازالة آثاره . وقد جرت هذه التطورات في سرعة وفي تتابع ، سواء على النطاق الرسمي او الشعبي . ومن الصعب بطبيعة الحال ان اقدم حصرا لهذه التطورات لكنه من الممكن محاولة سرد اهمها .. واهمها بطبيعة الحال هو القرار الاجماعي الصادر من مجلس الامن برقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

ولست انوى ان احلل لكم هذا القرار ، فكلكم قد اطلعتم عليه . لكن اود ان ابرز **اولا** انه قرار اجماعي .. **وثانيا** انه يمثل حلا وسطا وعلى اساس سلمي ويفترض فيه انه مقبول من جميع الاطراف .

وكان هذا القرار خطوة هامة من حيث انه ابرز للعالم اجمع من الذي يريد حلا سلميا ، ومن الذي يتعنت محاولا ان يملي شروط المنتـصر وان يتجاهل ارادة شعوب العالم .

وهناك ايضا قرار مجلس الامن برقم ٢٤٨ الصادر في ٢٤ مارس ١٩٦٨ الذي يدين العدوان الاسرائيـلي على منطقة الـكرامة الاردنيــة ، ويعتبره انتهاكا صارخا لميثاق الامم المتحـــدة ولقرارات وقف اطلاق النار .. والذي يؤكد ان المجلس لايمكنه ان يسمح باستمرار هذا الانتهاك ، وانه في حالة استمرار هذا الانتهاك فان المجلس سوف يبحث في اتخاذ اجراءات فعالة لحماية ميثاق الامم المتحدة ومنع تكرار مثل هذا الانتهاك .

وهناك ايضا قرار مجلس الامن رقم ٢٥٥ الصادر في ٢٧ ابريل والذي يدعو اسرائيل الى عدم اقامة عرض عسكري في مدينة القدس . ولما استمرت اسرائيل في تجاهلها لرغبة الراى العام العالمي .. وتحديها لقرار مجلس الامـن واعلنت تصميمها على اقامة العرض العسكري في القدس العربية ، اتخذ مجلس الامن قراره برقم ٢٥١ يوم ٢ مايو ، وذكر فيه اسرائيل بالقرار الاجماعي للمجلس والذي يقضي بمنـع العرض العسكري ..ويؤكد مرة اخرى ادانته لاسرائيل .

وفي مجال دولي آخر بالغ الاهمية هو ((**المؤتمر الدولي لحقوق الانسان**)) الذي عقد في الفترة من ٥ فبراير ــ ١٢ مارس اتخذ المؤتمر قرارا بادانة المعاملة التي يلقاها المواطنون العرب في الاراضي المحتـلة بواسطة اسرائيل ويطالب الحكومة الاسرائيلية ان تكف عن ارتكاب هذه الاعمال وان تحترم ميثاق حقوق الانسان .

وقدم المؤتمر رسالة هامة الى السكرتير العام للامم المتحدة يدين فيها قيام سلطات الاحتــلال الاسرائيلية بنسف منازل السكان العرب ، ويؤكد ان المعاملة التي يلقاها المواطنون العرب في الارض المحتلة تتنافى مع ميثاق حقوق الانسان . ويطلب الى السكرتير العام للامم المتحدة ان يشكل لجنة خاصة لتقصي الحقائق حول انتهاك حقوق الانسان في المناطق التي تحتلها اسرائيل .

وعلى النطاق الافريقي فان اجتماع ((**منظمة الدول الافريقية**)) الذي عقـد في اديس ابابا في الفترة من ٢٠ ــ ٢٤ فبراير ١٩٦٨ قد اتخـذ قرارا بالغ الاهمية طالب فيه بضرورة الانسحاب الفوري وغير المشروط من كل الاراضي التي احتلت نتيجة لعدوان ٥ يونيو . ودعا كل الدول الاعضاء في المنطقة الى تقديم تاييدها الفعال على النطاق السياسي والمادي والعسكري والادبي للقضية العادلة للدول العربية التي تعرضت للعــدوان الاسرائيلي .

وهناك ايضا القرار الذي اتخذه ((**مجـلس الاتحاد البرلماني الدولي**)) الذي عقد في داكار في ابريل ١٩٦٨ والذي ينص على ضرورة احترام

قرارات الامم المتحدة وضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها نتيجة لعدوان ٥ يونيو .

وهناك ايضا ، وهذا بالغ الاهمية ، تصاعد حملة الاستنكار داخل اسرائيل ذاتها . فاكثر واكثر تتصاعد اصوات من بعض انصار السلم فى اسرائيل وكل هؤلاء الذين يخشون على أمن المنطقة .

تتصاعد اصواتهم احتجاجا على السياسة العدوانية لاسرائيل وعلى تبعيتها للامبريالية الامريكية واستنكارا لعمليات الاضطهاد التى تشن ضد العرب من سكان المناطق المحتلة ..

وهناك البيان الذى اصدره تسعون عالما وفنانا وكاتب اسرائيليا يستنكرون اعمال العنف ضد السكان العرب .

وهناك ايضا احتجاجات طلاب الجامعةالعبرية ضد سياسة الضم الاسرائيلية للقدس والاراضى العربية .

فاذا اضفنا الى ذلك كله الموجة المتصاعدة فى كل انحاء العالم لتفهم الحق العربى ، وتفهم الطبيعة العدوانية لسلطات اسرائيل .. وتفهم حقيقة علاقة التبعية التى تربطها بالامبريالية الامريكية .. لامكننا ان نقول ان الراى العام العالمى، حكومات وشعوبا، يتخذ اكثر فاكثرموقفا فى صف مقررات اجتماعنا فى لينينجراد ومقررات مؤتمر نيودلهى ، الأمر الذى يدفعنا الى التمسك بها والى تطويرها والسير قدما من اجل مزيد من التأييد للحق العربى ومن اجل مزيد من المشاركة للموجة العالمية المتصاعدة لاستنكار سياسة العدوان الاسرائيلية .

هذا عن الموقف العالمى .. فماذا عن الموقف العربى ؟

الحقيقة ان الموقف العربى قد طرات عليه تطورات هامة،تمثل فى اعتقادى نقطة تحول هامة فى مصير القضية الفلسطينية .

واهم هذه التطورات هو تصاعد **اعمال المقاومة الفدائية المسلحة** التى يقوم بها ابناء الشعب الفلسطينى فى المناطق المحتلة . وهذا التصاعد الذى وصل فىمعركة الكرامة الى مواجهة مباشرة بين قوات الفدائيين وقوات الاحتلال الاسرائيلى ، اثبتت فيها قوات الفدائيين قدرة على المواجهة . واثبتت انها تملك من الشجاعة ومن الكفاءة العسكرية ما يمكنها من الصمود امام قوات الاحتلال الاسرائيلية .

وتكمن الاهمية الاساسية فى نشاط الفدائيين فى انها تضع القضية الفلسطينية ، وضعها الصحيح كمعركة تحرير لارض وطن مغتصب . وفى انها تضع القضية الفلسطينية بين ايدى اصحابها الحقيقيين مؤكدة ان الشعب الفلسطينى لايقبل ان يظل الى الابد شعبا من اللاجئين المشردين ، وانه مستعد للقتال دفاعا عن حقه فى العودة الى ارض آبائه واجداده .. وانه لم يعد ممكنا الان الوصول الى حل للمشكلة الفلسطينية اذا ما تجاهلنا قوى الشعب الفلسطينى صاحبة المصلحة الاولى والاصلية .

واذا كانت سلطات الاحتلال الاسرائيلى تجابه المقاومة الفلسطينية المسلحة بأبشع انواع القهر والبطش والارهاب فانذلكلن يؤدى الاالى ازدياد تصميم شعب فلسطين على نيل حقوقه .

هكذا تعلمنا خبرات الشعوب جميعا . ثم ان تزايد اعمال البطش هذه سوف تؤدى بالتبعية الى زيادةعزلة اسرائيل وتزايدحملات الاستنكار العالمية لجرائمها .

وثمة تطور هام آخر هو وضوح السياسة العربية وخاصة سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، واتساقها الىحدكبير مع اتجاهاتالراى العام العالمى .

فالجمهورية العربية المتحدة قد اعلنت ، اكثر من مرة ، للسكرتير العام للامم المتحدة وللسيد / جونار يارنج — وكما هو واضح من حديث وزير خارجيتها لجريدة اللوموند الفرنسية — اعلنت قبولها لقرار مجلس الامن .

والحقيقة ان الدعاية الاسرائيلية تحاول ان تشوه موقف الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الصدد . فهى تحاول ايهام العالم اننا لا نقبل قرار مجلس الامن .. او اننا نضع تحفظنا على قبوله لكن الواضح والمؤكد هو أن ج.ع.م اعلنت وتعلن قبولها لقرار مجلس الامن جملة وتفصيلا .

وهى لاتضع اية شروط لتنفيذ قرار مجلس الامن ، بل هى تطالب باعداد جدول زمنى للتنفيذ تلتزم به كل الاطراف .

وهذا الموقف هو فى اعتقادى موقف بناء وقادر على التوصل الى حل سلمى للمشكلة . بينما اسرائيل ترفض فى واقع الامر قرار مجلس

الامن ،وتحاول ان تعلق البحث فى امكانية تنفيذه على مفاوضات مباشرة (فهى لم تعلن حتى الان قبولها لقرار مجلس الامن وانما اعلنت تفسيرا للقرار يتضمن رفضا لمضمونه . وهذا الاعلان جاء بتصريح رسمى من وزيرخارجية اسرائيل .)

والحقيقة ان مسالة المفاوضات المباشره مع الدول العربية هذه تحتاج الى بعض التامل . فالدول العربية ترفض المفاوضات المباشره لعدة اسباب :

اولا : لانه ليس من حق اية دولة عربية ان تتقدم للمفاوضة باسم الشعب الفلسطينيصاحب المصلحة الاساسية والاصلية ، وان الكيان الحقيقى القادر على التعبير عن آمال الشعب الفلسطيني والمتحدثباسمه،هو القوى السياسية التى تشن الان نضالها السياسى والعسكرى على الارض المحتلة وخارجها .

ثانيا : من الغريب ان اسرائيل تحاول ان تبعدنا عن امكانية التوصل الى حل عملى . وذلك بصرف الانظار الى المطالبة بمسألة اجرائيةفيه المفاوضات ، فى نفس الوقت الذى لم تعلن فيه التزامها بشكل قاطع بالانسحاب من الاراضىالتى احتلتها .. ولا بقبول قرار مجلس الامن جملة وتفصيلا قبولا واضحا .. واستعدادها لتنفيذه

واذا كانت اسرائيل جاده حقيقة فى السلم فان امامها حل هو اعلان التزامها بتنفيذ قرار مجلس الامن ، وقبول ضمان مجلس الامن والدول الكبرى لتنفيذ كافة ماجاء فى هذا القرار ، وهو القرار الذى يضمن سلامة وامن كل دول المنطقة .

لكن اسرائيل فى الحقيقة لا تريد السلام ولا تريد قرار مجلس الامن . وتستخدم حجة المفاوضة اسلوبا ــ وليس لمصلحة السلام فى المنطقة ــ لمحاولة كسب مزايا سياسية وعسكرية نتيجة للعدوان .

ثالثا : ان التجربة قد علمتنا ان اسرائيل لاتحترم تعهداتها ولا توقيعها على اى اتفاق . وقد سبق للعرب ان جلسوا على مائدة مفاوضات الهدنة مع اسرائيل فماذا كانت النتيجة . تنكرت اسرائيل لكل ما تعهدت به . ففى «رودس» جرت مفاوضات بين العرب واسرائيل ، واستمرت لجنة الهدنة تباشر عملها لعدة سنوات ، وفجاة ومن جانب واحد اعلنت اسرائيل الغاء اتفاقية الهدنة واعتبارها كأن لم تكن ، واحتلت منطقة العوجه المنزوعة السلاح . وهناك ايضا « **بروتوكول لوزان** » الخاص بمشكلة اللاجئين والذى وقعت عليه اسرائيل مع البلاد العربية ، ثم عادت فتنكرت لتوقيعها ولم تنفذ ما التزمت به ..

واعتقد ان من حق العرب ان يتساءلوا : ماهى جدوى اية توقيعات اخرى طالما ان اسرائيل تتبع دائما منطق استخدام القوة .. وتوقع فىبساطة ثم تسحب توقيعها فى بساطة ايضا ؟

ويجرنا هذا الحديث الى موقف اسرائيل ..

والحقيقة ان شهوه النصر السريع فى ٥ يونيو قد افقدت كثيرا من مخططى السياسة العدوانية الاسرائيليه صوابهم ، فراحوا يتحدون علنا ارادة الراى العام العالمى ، وراحوا يمارسون ابشع الاساليب الهتلرية ضد سكان المناطق المحتلة . وراحوا يتحدثون كل يوم عنميثاق الامم المتحدة وميثاق حقوق الانسان ولكنهم يتحدونها علنا .. وفى غير مواربة .

واذا كان من الضرورى ان اقدم امثلة .. فانه هناك عشرات بل مئات من التصريحات التى ادلى بها حكام اسرائيل يؤكدون فيها استمرار انتهاج سياستهم العدوانية فهناك تصريحاتليفى اشكول فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ التى قال فيها « ان اسرائيل لن تنسحب الى حدود ما قبل حرب يونيو » .

وهناك دعوة اشكول الى تجميع « ٥ ملايين يهودى فى اسرائيل . وهى دعوة خطيرة ، لانها تعنى جمع اليهود من مختلف اقطار الارض لكى يقيموا فى ارض شعب آخر . ومثل هذا الرقم لايمكنه ان يقيم الا على اساس من تشريداللاجئين العرب . بل انه يعنى ان العدوان الاسرائيلى الاخير لن يكون آخر عدوان .

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٧ اعلن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى « ان هؤلاء الذين يرفضون اقامة اسرائيل الكبرى والتى تضم قطاع غزة والضفة الغربية .. هؤلاء يرفضون المبادىء الاولية لفكرة عودة صهيون . »

وفى ١٥ يوليو ١٩٦٧ صرح ايجال آلون وزير العمل الاسرائيلى « ان سلامة وامن اسرائيل تتطلبان منها ضم مرتفعات جولان السورية والضفة الغربية .. »

وهكذا تتوالى التصريحات الاسرائيلية تتحدث صراحة عن الضم والتوسع وابعاد السكان الاصليين فى تحد صارخ لكل القيم الانسانية، ولكل ما اكده انسان القرن العشرين من مبادىء ومثل..

والحقيقة ان حديث المعتدين الاسرائيليين عن حدود آمنة يبعث على السخرية . فأية حدود آمنة تريدها اسرائيل ؟ ومن هو الذي يهدد الامن في المنطقة ؟ من هو الذي يرتكب العدوان اثر العدوان ؟ ان اسرائيل تعتدى المرة اثر الاخرى ، وتحتل اراضي الغير ، وتشرد السكان الاصليين وتضطهدهم ، وتتبع ضدهم ابشع الاساليب الهتلرية .. وبعد ذلك تحاول ان تخدع العالم بالحديث عن الحدود الامنة .

ان المعتدى عليه هو الذى يحق له المطالبة بحدود آمنة . وهذالا يتحقق قبل انسحاب القوات المعتدية من المناطق التى احتلتها .. هذه هى ابسط قواعد العدالة . والا فاسمحوا لى ان نتخيل عالما تسود فيه هذه النظرية الاسرائيلية للاعتداء والضم والاضطهاد تحت شعار البحث عن حدود آمنة .. انه عالم تسوده شريعةالغاب .. عالم يتقهقر الى الوراء مئات السنين متجاهلا كل تضحيات البشرية من اجل احترام حقوق الانسان واحترام حقوق السيادة للدول .. انه انتهاك لميثاق الامم المتحدة ، بل وتدمير كامل لمهمتها .

والان وبعد هذا العرض الشديد الايجاز ،ماهى واجباتنا ازاء هذه التطورات ؟

اسمحوا لى ان اقترح بعضا من هذه الواجبات :

١) ان نعلن فى صراحة ان اسرائيل » والصهيونية شيء ، وان اليهودية كدين شيء آخر . وان اسرائيل لا تملك مطلقا الحق فى الحديث باسم يهود العالم .. وان الحركة الصهيونية هىحركة سياسية رجعيةتتحالف اشد التحالف مع اعدى اعداء الشعوب .. اى قوى الحرب والامبريالية .. وان على انصار السلم فى العالم ان يميزوا بين هذه الحركة الرجعية والمعادية لآمالالشعوب وبين اليهودية كدين يستحقالاحترام كسائرالاديان علىقدم المساواة.

٢) ان نعلن استنكارنا الشديد لسياسة العدوان الاسرائيلى وسياسة الضم التى تجاهر بها ، وحملات الاضطهاد الانسانى الذى تمارسه سلطات الاحتلال ضد شعب فلسطين . وان نتمسك بضرورة سحب القوات المعتدية الى حدود ما قبل ٥ يونيو ، واننا لن نسمح مطلقا للعدوان بأن يحقق مكسب .

٣) ان نعلن تاييدنا الكامل لحركة التحرر الوطنى الفلسطينية التى تبرز الآن فى شكل اعمال المقاومة السياسية والمسلحة التى تمارس على الارض المحتلة ضد قوات الاحتلال . . وان نعلن استنكارنا لاعمال التعذيب الهتلرى التي يتعرض لها الاسرى من الفدائيين .

٤) ان نعلن تاييدنا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والخاص بتسوية ازمة الشرق الاوسط .. وقرارات مجلس الامن الاخرى الصادرة باستنكار العدوان الاسرائيلى على الكرامه وباستنكار العرض الاسرائيلى فى القدس .

وان نؤكد ان اى حل سلمى لازمة الشرق الاوسط يجب ان ينطلق اولا وقبل كل شيء من الاعلان الصريح من كل الاطراف بالالتزام بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ جملة وتفصيلا .

٥) التأكيد مرة اخرى على حق اللاجئين العرب فى العودة الى ديارهم ، الامر الذىتحتمه كافة القواعد والقيم الدولية .

اما فيما يتعلق بالاجراءات التنظيمية فانني اقترح عليكم :

١) تاييد نشاط اللجنة الدولية لمتابعة قرارات مؤتمر نيودلهى ، ودعم نشاط هذه اللجنةوتحويلها الى لجنة دولية دائمة لنصرة الشعوب العربية على غرار اللجنة الدولية الدائمة لنصرة شعب فيتنام .

٢) تاكيد اهمية الشروع الفورى فى اتخاذ اجراءات لتنفيذ القرار السابق اتخاذه من قبل اجتماع الرئاسة الذى عقد فى براغ بشأن تنظيم حملة توضيح عالمية حول الوضع فى الشرق الاوسط .

٣) تكليف السكرتارية الدائمة بتنظيم مزيد من اللقاءات الدولية ، الثنائية والجماعية ، لبحث وسائل التأييد للشعوب العربية . ونحن من جانبنا على استعداد لاستضافة اية وفود ترغب فى الاطلاع على حقائق الامور فى المنطقة وعلى استعداد ايضا لايفاد ممثلين لمجلسنا لزيارة اية حركة سلام شقيقة تتطلع الى مزيد من الفهم المتبادل حول هذه القضية .

٤) كما نقترح عقد اجتماع بين ممثلي حركات السلم فى اوربا وبين ممثلي حركات السلم العربية لتبادل الرأى وتنسيق العمل حول الوضع فى الشرق الاوسط . ونأمل ان تقوم السكرتارية الدائمة للمجلس العالمى للسلام بالدعوة لعقد هذا الاجتماع فى اقرب وقت ممكن .»

وفى النهاية اسمحوا لى ان اوجه اليكم باسم شعبنا ومجلسنا وباسمى شخصيا خالص الشكر على تأييدكم للحق العربى . واسمحوا لى ان اعبر عن امتناننا للجهود المخلصة التى بذلتها السيدة الرئيسة المؤقتة ((**ايزابيل بلوم**)) والسيد السكرتير العام ((**راميش شاندرا**)) واعضاء السكرتارية الدائمة للمجلس العالمى للسلام من اجل تأييد القضية العربية .

واسمحوا لى ايضا ان اعبر عن خالص شكرنا لحكومة وشعب قبرص لما منحوه لقضية الشعوب العربية من تأييد مخلص ولما قدموا من تسهيلات لعقد هذا الاجتماع العام . كما اوجه خالص شكرى وتحيتى لاصدقائنا اعضاء مجلس السلم القبرصى .

واسمحوا لى ايضا ان اعبر امامكم عن امتنان شعبنا للجهود البناءة التى بذلتها عديد من حركات السلم فى مختلف انحاء العالم تأييدا لقضيتنا العادلة . واسمحوا لى ان اخص بالشكر حركة السلم السوفيتية ومجلس السلام الهندى، وحركات السلم فى كل من المجر والمانيا الديمقراطية ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وقبرص وسيلان وغيرها على معوناتها وتأييدها لنضالنا .

ان شعبنا الذى كرس كثيرا من جهده لخدمة قضية سلام العالم وامنه ولتأييد حركات التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية باذلا لها اقصى ما يستطيع من جهد فى دعمها ليتطلع الى كل شرفاء العالم مؤملا ان يتفهموا حقيقة قضيته العادلة وان يشاركوه نضاله المشروع من اجل **سلم عادل ومن اجل تصفية كل آثار العدوان** .»

٢ قرار حول الوضع فى الشرق الأوسط

مضى عام كامل على العدوان الاسرائيلى الذى ارتكب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وانتهى باحتلال القوات الاسرائيلية لمساحات واسعة من الاراضى العربية ، واحتلال القسم العربى من القدس . ولقد اكدت الاحداث المتلاحقة صحة القرار الاجماعى ، الذى اتخذته رئاسة مجلس السلام العالمى فى اجتماعها بلينينجراد فى اكتوبر الماضى . والذى تضمن التأكيد على « ان الشرط الاساسى لضمان سلام وامن منطقة الشرق الاوسط وسلام العالم كله ، ولدعم الاستقلال الوطنى للشعوب هو الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها فى كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا فى يونيو ١٩٦٧ » .

وقد اكد القرار ايضا « ان هذا الانسحاب هو الخطوة الضرورية والاساسية للتوصل الى تسوية سلمية تضمن استقرار سلام عادل فى هذه المنطقة من العالم ، واذا لم تتم هذه الخطوة فورا فان خطرا حقيقيا يهدد بتجدد القتال المسلح » .

وبعد شهر من هذا الاجتماع ، ارتفعت نفس هذه الصيحة من المؤتمر العالمى لتأييد الشعوب العربية ، الذى عقد فى نيودلهى فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم اتخذ مجلس الامن قرارا اجماعيا يؤكد هذه المواقف ايضا . وقد اكد مجلس الامن ان انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة هو امر يحتمه ميثاق الامم المتحدة ، كما تحتمه ايضا ضرورة اقامة سلم عادل ودائم فى الشرق الاوسط . كما اورد مجلس الامن الاجراءات الاخرى التى تكفل سلام دائم بين الاطراف التى توافق على هذا القرار .

وقد اكدت الدول العربية ، التى اتصلت بالسيد / يارنج ، المبعوث الخاص للامم المتحدة ، استعدادها لقبول قرار مجلس الامن ، بينما رفضته حكومة اسرائيل ، كما ان حكومة اسرائيل قد تجاهلت القرارات الاخرى لمجلس الامن ، وكذلك القرارات والنداءات التى اتخذتها المحافل الدولية المختلفة ، مثل الجمعية العامة للامم المتحدة والبابا الخاصة بالقدس ، وهكذا تحدت حكومة اسرائيل ، ولا تزال تتحدى هذه القرارات باعلانها ضم القطاع العربى من القدس ، وضم كل الاراضى العربية التى احتلتها . وهى فوق ذلك تمارس سياسة الارهاب فى تلك الاراضى

المحتلة ، وفى بعض الاحيان تجبر بعض السكان العرب على ترك اراضيهم رغم ارادتهم ، ثم هى تمارس سياسة توطين واسعة النطاق فى هذه الاراضى مقترنة بدعوات للهجرة الجماعية ولتوسيع الاستثمارات الاجنبية .

ان هذه السياسة التوسعية الصارخة ، التى تمارسها الدوائر الحاكمة فى اسرائيل ، لا يمكنها بأى حال من الاحوال ان تضمن سلامة اسرائيل وهى لا تحقق سوى المصالح الامبريالية .

وفى اسرائيل ذاتها يرتفع فاكثر مزيد من الاصوات الشجاعة ، التى ترى المصير المظلم ، الذى تقود اليه هذه السياسة العوانية التى ينهجها القادة الاسرائيليون . وحتى الاصدقاء القدامى لاسرائيل فى الخارج ، هؤلاء الذين عجزوا فى الماضى عن ان يفهموا حقيقة السياسة الاسرائيلية ودوافعها ، قد بدأوا هم ايضا يفهمونها على حقيقتها .

واكثر فاكثر ، تجابه سياسة الضم الاسرائيلية بمقاومة من جانب سكان هذه المناطق ، ان هذه المقاومة هى حق مشروع ومقدس لكل شعب تحتل ارض بلاده ويسيطر عليها المعتدون . ان هذه المقاومة تستحق كل تأييد ومساندة من جانبنا جميعا .

واكثر فاكثر ، يزداد اعتماد اسرائيل عسكريا وماليا وسياسيا على الولايات المتحدة والمانيا الغربية ، واكثر فاكثر تدمغ اسرائيل بأنها رأس حربة للمخططات الامبريالية ضد جيرانها . وحتى يومنا هذا لا تزال اسرائيل تستعد لارتكاب مزيد من الهجمات تحت ستار ادعاء زائف هو « الدفاع عن النفس » .

ان كل يوم يمر دون تنفيذ قرارات الامم المتحدة يزيد من خطر تجدد القتال فى الشرق الاوسط . ان كل يوم يمر دون تصفية العدوان — ومع استمرار تجاهل حكومة اسرائيل للامم المتحدة — يزيد من خطر نزوع الحكومات العسكرية فى المناطق الاخرى من العالم ، الى تقليد اسرائيل سعيا وراء مكاسب مماثلة كثمرة لهجمات خاطفة على جيرانها .

ان حل مشكلة الشرق الاوسط لا يهم هذا الشعب او ذاك فقط ، لكنه خطوة ضرورية وحاسمة لضمان امن المنطقة كلها وامن شعوبها جميعا .

ان كل الشعوب وكل الحكومات مطالبة باتخاذ الخطوات الكفيلة بتحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ، وباستعادة الحقوق القومية للشعب الفلسطينى على ارض بلاده . وبالقضاء النهائى على العدوان .

وبهذا فقط يمكن فتح الطريق امام استقرار السلام فى الشرق الاوسط ، ويمكن تصفية هذه المخاطر التى تهدد العالم اجمع .

٣ توصيات حول الوضع فى البلاد العربية

ان رئاسة مجلس السلام العالمى اذ تضع فى اعتبارها التوصيات التى سبق اتخاذها حول الوضع فى البلاد العربية ، لتطلب الى السكرتارية الدائمة :

١ — ان تبذل من الجهد ما يكفل تنشيط اللجنة الدولية لتأييد الشعوب العربية ، التى تكونت بناء على قرار من مؤتمر نيودلهى ، وان تسهم مساهمة نشطة فى كل الاعمال التحضيرية للمؤتمر العالمى لتأييد الشعوب العربية ، الذى تقترح هذه اللجنة الدعوة اليه . وان تساند الاقتراح الذى تقدم به اصدقاؤنا فى المجلس القومى للسلام فى الجمهورية العربية المتحدة ، بعقد هذا المؤتمر فى القاهرة . وان تقيم سلسلة من الاتصالات مع المنظمات السياسية ، وحركات السلام ، والقوى السياسية الاخرى ، وخاصة فى الغرب ، بهدف اشراكها فى هذا المؤتمر . ولعله من المفيد عقد اجتماع تمهيدى فى اغسطس — سبتمبر ، من ممثلى المنظمات العالمية والقومية للاعداد لعقد هذا المؤتمر العالمى ، وتعتقد انه يمكن عقد هذا المؤتمر حوالى نوفمبر او ديسمبر من هذا العام . ومن المفيد ان يبحث هذا المؤتمر بالاضافة الى المسائل الاخرى مسألة توسيع اللجنة العالمية لتأييد الشعوب العربية ودعمها ،

الامر الذى يكفل استمرارها فى العمل ، ويهيىء لها مزيدا من امكانيات النشاط .

٢ ــ على السكرتارية ان تقوم بالترتيبات اللازمة كى يقوم اعضاء رئاسة المجلس بزيارة عدد من البلدان ، وخاصة البلدان الاوربية بهدف تنشيط الحركة ضد العدوان الاسرائيلى . ان هذه الزيارات ذات اهميه قصوى ، ويتعين ان تتم فى اسرع وقت ممكن . وهذه الزيارات سوف تسهم بلا شك فى انجاح الاستعدادات لعقد المؤتمر العالمى المقترح . ويتعين على الجولة الاولى ان تبدأ فى اكتوبر ، وان تعطى بلدان اوربا الغربية على وجه الخصوص . وفى هذا الصدد يتعين على السكرتارية ان تجرى الاتصالات اللازمة مع حركات السلام الاوربية ، بهدف اعداد جدول زمنى لهذه الزيارات ، ويتعين عليها ان تطلب الى حركات السلام هذه ان تقدم مساعدتها وعونها لانجاح هذه الجولة ، التى يجب ان تتلوها جولات اخرى فى مناطق العالم المختلفة .

٣ ــ تقوم السكرتارية باعداد صيغة نداء يؤيد قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٥ نوفمبر . وان تنظم حملة جمع توقيعات من الشخصيات الجماهيرية والاجتماعية البارزة فى العالم ، وخاصة فى الغرب . وذلك بهدف تعبئة اكبر عدد ممكن من الشخصيات البارزه حول مطلب سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة .

٤ ــ على السكرتارية ان تلبى الدعوات الموجهة لزيارات كل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ، وذلك بارسال وفد يمثل مجلس السلام العالمى الى هذه البلاد .. وعلى السكرتارية ان تنشر على اوسع نطاق التقارير والوثائق التى تعدها هذه الوفود .

٥ ــ على السكرتاريه ان تواصل حملة التوضيح العالمية ، حول الاوضاع فى الشرق الاوسط ..

٦ ــ على السكرتارية ان تعمل على تنفيذ كل المقترحات التى قدمها اعضاء الرئاسة حول الوضع فى الشرق الاوسط .

٤ برقية رئاسة المجلس

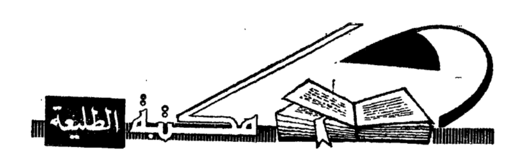
الرئيس جمال عبد الناصر	**الجمهورية العربية المتحدة**
الرئيس نور الدين الاتاسى	**سوريا**
جلالة الملك حسين	**الاردن**

ان رئاسة مجلس السلام العالمى اذتبدا اجتماعها الحالى فى نيقوسيا فى السادس من يونيو ، اى بعد مرور عامكامل على العدوان الاسرائيلى ، لتود ان تعبر لفخامتكم ولشعب بلادكم عن تصميممجلس السلام العالمى على العمل من اجل تصفية كل آثار العدوان ، ومن اجل كبحجماح ايه مغامرات اخرى قد تفكر فيها الدوائر الحاكمة فى اسرائيل..تلك الدوائرالتى تمارس سياسة التوسع ، بل وسياسة القهر الاستعمارى ، مستندة الىتاييد الامبريالية ، وخاصة امبريالى الولايات المتحدة والمانيا الغربية .

ان رئاسة مجلس السلام العالمى ترى ان الطريق الوحيد لاستعادة سلام عادل ودائم فى هذه المنطقة من العالم ، هوالانسحاب غير المشروط من المناطق التى احتلتها اسرائيل بعد الخامس من يونيو١٩٦٧ .. وهو الاعتراف بالحقوق العادلة والمشروعة للشعب الفلسطينى .. هوالطريق التى يتفق مع مقررات الامم المتحدة تلك المقررات التى رفضتها اسرائيل دائما ،متحدية ارادة الرأى العام العالمى .

ان المجلس العالمى للسلام ليؤكد تضامنهمع الشعوب العربية ، التى كانت ضحية للعدوان . ويؤكد مساندته للمقاومةالشعبية ضد المحتلين ، وسوف يبذل جهده من اجل حشد كل قوى السلام الى جانبالشعوب العربية فى نضالها العادل من اجل السلم والاستقلال والتقدم .

نيقوسيا فى ٦ يونيو ١٩٦٨ ..
رئاسة مجلس السلام العالمى



من أجـــل أفريقيـــا

■ تأليف : فـرانتز فـانون
■ عرض وتعليق : بسام طيبي

نشأة وتطور القطاع العام فى الاقتصاد المصرى

■ دراسة أعدها : محمد صبحى الاتربى
■ وأشرف عليهـا : دكتور فـؤاد مرسى

من اجل افريقيـــا

■ تاليف : فرانتز فانون
■ عرض وتعليق : بسام طيبي

بعد ان اغنيت المـكتبة العربيـــة بترجمة لكتاب احد مناضلى ثورة العالم الثالث ، اى بترجمة لكتاب فرانتز فانون « **معـذبو الارض** » (منشـورات دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٢) اصـدرت مجموعة من مقـالات فرانتز فانون فى كتاب جـديد تحت اسم « **من اجـل افريقيا** » (دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٦) .

والثوره العربية تعرف فانون جـيدا . فلقـد حارب بين صفوفها عمليا لدى تحـرير الجزائر من الامبريالية الفرنسية . وكانت ثورة الجزائر المصدر الرئيسى لنظريته عن العنف الثورى .

وخلال السطور القادمة سنقدم بعض الملاحظات حول كتاب فانون الجديد (من اجل افريقيا) .

يحتوى **القسم الاول** من الـكتاب على مقـالة تحت عنوان « **ثقافة وعنصرية** » تكون فى رأيى أثمن ما فى الكتاب . يعالج « فانون » فى هـــذه المقالة « **العنصرية** » كاحدى الظواهر الاجتماعية التى تنبع من النظام الاستعمارى ، ويحلل فانون هذه الظاهرة بجوانبها السيكولوجية ، معتمدا على التحليل النفسي ، ولكن فانون لاينسي الجوانب الاقتصادية لظاهرة « العنصرية » ، فيحللهـــا معتمدا على المادية التاريخية .

والهدف الاستعمارى الذى يتحقق عن طريق العنصرية ـ كما يراه فانون ـ هو القضاء على « الشخصية الثقافية » للشـعوب المستعمرة . وهذا الهدف يشـكل جزءا من « عملية اضخم تهدف الى الاستعباد الاقتصادى بل والبـدنى » (صفحة ١٣) (١) . وينتقل فانون لتحليل العلاقات بين الثقافة والعنصرية ، ويصـــل الى النتيجـة القائلة بانه توجـد عـلاقة جـذرية بين النظـام الاستعمارى وعنصريته وبين الثقافة الاوربية . ان العنصرية كما يراها فانون « لم تتبلور ثقافيا ، بل هى متجددة باستمرار وتتغير اشكالهـا على الدوام » (صفحة ١٤) . هنا نجـد استـعمال « فانون » للاسـلوب العلمى للمادية التاريخية التى تحلل جميع الظواهر الاجتمـاعية كظواهر تاريخية متعرضة دائما للتبدل والتغير .

---

(١) نذكر خلف كل استشهاد رقم الصفحة من كتاب فانون الذى نعالجه هنا وهو : فرانتز فانون : من اجل افريقيا ، المطبوعات الوطنية الجزائرية ـ توزيع دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٦ .

لقد بدأت العنصرية بمرحلة فيزيولوجية حيث حاولت الاثبات بان ما يسميه الامبرياليون بالـ «الشعوب الملونة» شعوب اقل قيمة من الناحية البيولوجية والفيزيولوجية بعد المقارنة بما يسمى « بالرجل الابيض » وتفوقه . يسمي فانون هذه المرحلة – اي مرحلة العنصرية الفيزيولوجية – بـ « البدائية الثقافية والعاطفية » (صفحة ١٤). ولكن هذه العنصرية لم تلبث ان تحولت من شكلها البدائي ، أي من عنصرية فيزيولوجية الي عنصرية ثقافية ، تهدف الى الغزو الثقافي للقضاء علي ثقافات الشعوب المسماة بالـ «ملونة» . يصف « فانون » هذا التحول : « فهذه العنصرية التي كانت تريد ان تظهر بمظهر عقلي فردي محدد جنسيا وبدنيا تحولت الي عنصرية ثقافية ، لم يعد الانسان الخاص هو موضوع العنصرية ، بل أصبح موضوعها هو شكل معين من اشكال الوجود ، فهي تتحدث عن وجود رسالة ثقافية واسلوب ثقافي . وهنا نجد ان الدعوة الي «القيم الغربية » لا تختلف في اساسها عن « دعوة الصليب لمكافحة الهلال » (صفحة ١٥). وهدف المستعمر من العنصرية الثقافية هو وضع ثقافة الشعوب التى يستعمرها» فى حالة احتضار مستمر ، وهكذا تتحول هذه الثقافة التي كانت فى الماضى حية متفتحة للمستقبل ، الي ثقافة منغلقة علي نفسها تجمد فى الاطار الاستعماري » (صفحة ١٦) .

ونظرية « فانون » هذه عن العنصرية ، نشأتها واهدافها ، تذكرنا بالحركات الادبية والثقافية العديدة التى نشأت فى المجتمع العربى الحديث ، مطالبة بالتمذهب بالحضارة الاوربية بشكل اعمى. ولكن جملة هذه الحركة تنبع من ان دعاتها لم يكونوا منطلقين الا من طريق طبقى . فكان موقفهم الطبقى البرجوازى ، الكبير والصغير ، يحتم عليهم عدم الاتصال بالفكر الثورى الشعبي بل الوقوف ضده . فليس – اخذ العلم الاوربي والتكنولوجيا مرادفا للاخذ بالحضارة الاوروبية ومفاهيمها العنصرية . ولكن الفكر البرجوازي العربى كان يفهم تحت اخذ العلم الاوربى ، اخذ الثقافة الاوربية العنصرية التي كشف فانون القناع عنها .

و « فانون » بوصفه ثوريا وعالما متعمقا بالتحليل العلمى ، لا يكتفى بالقول بان العنصرية « قرح من قروح الانسانية » . بل يبين أن العنصرية ظاهرة اجتماعية تتعلق فى جميع الاشكال بظاهرة الامبريالية « فالحقيقة البسيطة هي ان كلّ بلد استعماري هو بلد عنصري ». (صفحة ٢٢) . اما تحول العنصرية من شكلها البدائي الى شكلها المتطور الثقافى فيفسره فانون تفسيرا ماديا : « فان تحسين وسائل الانتاج تولد حتما تغطية وسائل استغلال الانسان وتؤدى بالتالي الى ستر بعض اشكال العنصرية (صفحة ١٨) الا ان « اخفاء اشكال الاستغلال لا يؤدى الى زوال الاستغلال ، نعم ان العلاقات الاقتصادية المتطورة تتطلب ثوبا جديدا ، لكن الانحراف يظل فظيعا علي هذا المستوى » (صفحة ٢١) . وهنا يظهر دور القومية التقدمي للقضاء على العنصرية الثقافية ، وذلك عن طريق احياء التراث الثقافى الوطني ، من اجل احياء الشخصية القومية وتسليحها بالمناعة الثقافية ، ضد الشكل الجديد للعنصرية المتستر بالثقافة الاوربية . هذا هو معنى القومية . وليس معنى القومية التباهى امام الامم الاخرى بميزات الثقافة المحلية . وهذا ما فعله ويفعله عدد لا باس به من رجال الفكر العربى المعاصر الذين يحولون القومية التحريرية التقدمية الى شوفينية وذلك عن طريق التباهى بميزات العرب وثقافتهم وتفوقها على الثقافات الاخرى . كذلك يقع عدد من المفكرين العرب بتاليه القومية ورفعها فوق جميع المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية ، وينسى هؤلاء دور القومية التقدمى الذى ينحصر على اقامة مناعة ثقافية ضد العنصرية الثقافية الاوربية وذلك عن طريق تقوية الوعى القومى (٢) .

ومن ميزات القومية فى العالم الثالث عدم كونها شوفينية وذلك لطابعها النضالى ، فهي هكذا لا تتعارض مع الاممية ، ومبدأ وحدوية الكفاح ضد الامبريالية . اذ – كما يقول فانون – ان «العالمية تكمن فى هذا القرار المتعلق باستيعاب التبادل بين الثقافات المختلفة ، بعد ان يتم طرد النظام الاستعماري » (صفحة ٢٦) وللاسف لم يتفهم معظم مفكرو القومية العربية هذه النواحي التقدمية فى القومية وخاصة كون القومية مرحلة تاريخية وليست فوق كل الازمان والاماكن . فكان عدد غير قليل من مفكرى القومية العربية يعلنون ان القومية ابدية جامدة ، ويتهجمون على الاممية بحجة الـ « شعوبية » .

يعالج « فانون » ايضا فى كتابه وسائل الاستعمار الجديدة مستندا على تجاربه الثورية فى الجزائر العربية ، واحدى هذه الوسائل الخطرة ، هى الإصلاح ، اذ ان « الوعد بتغيير مستوى المعيشة وتحسينه عند السكان كفيل

(٢) قام مفكر عربى تقدمى بنقد الفكر القومى المعاصر عن طريق نقد كتابات الاستاذ ساطع الحصرى . راجع : الياس مرقص : نقد الفكر القومى – الجزء الاول – ساطع الحصري – بيروت ١٩٦٦ – دار الطليعة .

بايقاف الثورة » (صفحة ٤٢) ، لذلك يحارب قانون الاصلاحية ، طريق الاستعمار الجديد ، ويطالب عوضا عنها بالثورة الاجتماعية الشاملة.

ومن وسائل الاستعمار الجديد ايضا الطائفية ثم محاولات القضاء على الوعي القومي .لكن كما يرى فانون ، فان نجاح هذه الوسائل يتعلق بمستوى الوعي الثوري الجماهيري . ففي الجزائر مثلا ، اثناء الثورة ، حيث وصل الوعي الثوري الى اوجه ، فشلت هذه الوسائل التي اتبعتها الامبريالية الفرنسية فشلا ذريعا .

وينتقل «فانون» بعد ذلك لمعالجة بعض الامور المتعلقة بالثورة ، ويشير — مشددا — الى ان الثوره الحقيقية لا تكتفي بالاستراتيجية القصيرة المدى ، وانما بالاستراتيجية البعيدة المدى . فالثورة الجزائرية مثلا « اذ تقرر تحرير التراب الجزائري ، ترمي في نفس الوقت الى القضاء قضاء مبرما على مجموع هذا الجهاز الاستعماري ، لتحل محله نظاما انسانيا ومجتمعا جديدا » (صفحة ٤٧) . وللاسف لم تتابع الثورة الجزائرية طريقها بعد الاستقلال فدخلت في طرق متعرجة ابعدتها عن هدفها الاساسي ، وهو النظام الانساني والمجتمع الجديد — كما تصوره فانون أيام حياته .

والاستعمار يفهم تماما قصد الحركات التحررية ، فيلجأ الى احقر الاساليب الوحشية والاجرامية ، للقضاء على هذه الحركات . ويلجأ « المثاقفون الاوربيون » الى انتقاد هذه الاساليب دون التعرض الى نقد شامل للامبريالية واسسها في النظام الراسمالي الاحتكاري . وهؤلاء لا يفهمون — كما يقول فانون — بان « الاستعمار يقتضي ويستلزم وجود التعذيب والتقتيل وكل انواع الوحشية . ان التعذيب هو الشكل الطبيعي الذي تتخذه كل علاقة بين السيد المحتل وبين العبد الذي سلط عليه الاحتلال » (صفحة ٤٩) . وتذكرنا عبارة فانون هذه بجملة شهيرة قالها فيلسوف القرن التاسع عشر الفرنسي « توكوفيل Tocgueville » اذا اردت التعرف على شخصية حكومة ما فافضل طريق هو مراقبة سياسة هذه الحكومة في مستعمراتها . هنا تظهر معالم هذه الشخصية باوضح الاشكال» (٣). وهكذا فان التعرف على النظام الراسمالي — الامبريالي — الامريكي يمكن ان يجري بافضل الاشكال عن طريق مراقبة السياسة الهمجية الامريكية في الفيتنام ، وليس في شوارع نيويورك القذرة وابنيتها الشامخة .

ويتابع فانون تحليله العلمي لمواقف دعاة الانسانية الاوربية من انصار الليبرالية ، فيقول في مقطع لابد من الاستشهاد به حرفيا مدللا على «درجة التعفن الاخلاقي والفكري عند المثقفين والديمقراطيين الفرنسيين . فالكتاب الفرنسيون عندما يندّدون جميعا ويستنكرون هذه الاساليب الوحشية ، فان ما يهمهم اولا وقبل كل شيء هو الخوف على الجنود الفرنسيين ان ينزلقوا الى الفاشستية وان تؤثر هذه التعذيبات على اتجاههم الفكري . اذن فالذي يثير هؤلاء الانسانيين عندما يسمعون بالاعتداء على الاعراض والقتل الجماعي انما هو المس بالشرف الفرنسي ، اما الجزائريون الذين يقتلون بالجماعات . . . فذلك لا يهم هؤلاء الفرنسيين » (صفحة ٥٤) . واحب هنا ان اشير الى ان « فانون » يقصد الليبراليين ، وليس الاشتراكيين الثوريين الفرنسيين الذين وقفوا ضد النظام الراسمالي — الامبريالي ككل شامل وليس ضد عمليات التعذيب فقط كما فعل الليبراليون .

وهذه الصورة العميقة التي يعطيها فانون عن المفهوم الليبرالي المزيف لما يسمى « بالانسانية الاوربية » لا تصلح فقط لفرنسا ، وانما لاوربا الغربية بكاملها . وذلك الى جانب امريكا الشمالية ، القوة الامبريالية الرئيسية في عالمنا هذا . ولقد كانت ردود الفعل للاعتداء الاسرائيلي في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على البلدان العربية دليلا على زيف هذه « الانسانية الليبرالية » كما بين فانون لنا ذلك سابقا . فقد وقف الليبراليون بادىء الامر الى جانب مايسمى بـ « اسرائيل » . ولكن عندما القت الطائرات الاسرائيلية قنابل النابالم ذعر هؤلاء «الانسانيون» فنقدوا فظاعة ووحشية الصهاينة خلال عمليات احتلال الاراضي العربية ، ولم يكن موضوع النقد ، هو المحتوى الامبريالي لهذا الاحتلال وانما الخوف على الصهاينة الذين عانوا تحت اجرام فاشيستية هتلر النازية من ان يصابوا هم انفسهم بهذه الفاشيستية . ونفس الشيء يحصل عندما تنقد الوحشية الامبريالية — الامريكية في الفيتنام . فلا ينقد النظام الراسمالي — الامبريالي بكامله ، وانما فقط الظواهر الجزئية لهذا النظام . وكانت المنظمات الطلابية الاشتراكية الثورية هي وحدها التي تفهمت الحقيقة ، فوقفت ضد اسرائيل

(٣) A. de Tocqueville, cited by P,A, Baran: Politische oekonomie des Wachstume, Neuwied und Berlin 1966, P. 322

بكاملها كواقع استعماري ، ووقفت ضد النظام الامبريالي ــ الرأسمالي الامريكي باكمله ، وليس فقط ضد سياسته الوحشية في الفيتنام .

وقد اشار **الرئيس جمال عبد الناصر** في خطابه امام المثقفين الى هذه المواقف التقدمية للشباب الاوربي الطلابي فقال : الاجيال النامية من الشباب في امريكا ، في اوربا ، ... فرصة متاحة لينا علشان يفهموا قضايانا .. بنقائهم وبثوريتهم عندهم القدرة انهم يفهموا الصراع العربي الاسرائيلي من الزاوية الحقيقية .. من الزاوية الانسانية » (٤) .

اما الليبراليون الاوربيون فلاامل في«انسانيتهم» المزيفة ، كما يشرح لنا فانون . اذ انهم ليسوا مبدئيا ضد سلطة الانسان على اخيه الانسان لذلك يقول « فانون » في كتابه «معذبو الارض» : « لنترك هذه الاوربا التي لا تفرغ من الكلام عن الانسان وهي تقتله حيث وجدته ، في جميع نواحي شوارعها وفي جميع اركان العالم» (٥) . ويتابع فانون فيقول « فمن اجل اوربا ، ومن اجل انفسنا ، ومن اجل الانسانية ، يجب علينا يارفاق ، ان نلبس جلدا جديدا ، ان ننشيء فكرا جديدا ، ان نحاول خلق انسان جديد » (٦) .

لذلك فلا امل في اليسار الليبرالي الاوربي ــ الامريكي ، مادام هذا اليسار يتابع عدم تفهمه للقضية الرئيسية ، وهي ان الوحشية الامبريالية تنبع من النظام الاحتكاري الراسمالي ، ومن ان الاشتراكية هي الطريق الوحيد للقضاء على هذه الوحشية ، وليس النقد الجزئي الاخلاقي . . فنقاد الامبريالية الاخلاقيون لا يمانعون مطلقا في التمتع بثمرات النظام الامبريالي الناتجة عن استغلال شعوب العالم الثالث . وقد شرح « لينين » في نظريته عن الامبريالية ان المنظمات العمالية في الدول الرأسمالية قد اصيبت بما سماه بالشوفينية الاجتماعية (٧) . وفي هذا المعنى يقول فانون بان « الكفاح ضد الاستعمار يتحول الى كفاح ضد الامة الاستعمارية .وحرب الاسترداد الاستعمارية تصبح حربا يقودها ويتحملها مجموع البلد الاستعماري ، وهنا تفقد الحجج المناهضة للاستعمار فعاليتها عند الرأى العام ، وتصبح نظريات مجردة ، ثم تمحى في نهاية الامر من الكتابات الديمقراطية » (صفحة ٦٤) .

ويعالج « فانون » يسارية الليبرالية الاوربية المزيفة التي تبرز واضحة في متناقضاتها ، فيذكر ان « هناك فرنسيون رفضوا ، في نطاق الحلف الاطلسي ،ان يشتغلوا تحت اوامر الجنرال الإلماني (النازي سابقا) « سبيدل » لكنهم قبلوا ان يقودوا الحرب ضد الشعب الجزائري في حين أن الوفاء لروح المقاومة الفرنسية يفرض على الفرنسيين الذين رفضوا الاشتغال تحت اوامر « سبيدل » ان يرفضوا ــ لو كانوا منطقيين مع انفسهم ــ التجند في الحرب تحت اوامر«ماسو» او « سالان » (صفحة ٧٠)

وهذا التناقض عشناه ايضا ايام عدوان الخامس من حزيران (يونيو) هنا في اوربا (٨). فاليسار الليبرالي ــ اللا اشتراكي ــ الذي كان يقف ضد العدوان على الفيتنام ــ لم يكن منطقيا مع نفسه ــ فوقف في نفس الوقت الى جانب « اسرائيل » عميلة الامبريالية في عدوانها على الثورة العربية . فزاد شكنا ضد هذه اليسارية المزيفة . اذ ان رفض الاعتداءات الامبريالية في الفيتنام يعني رفضها ايضا في كل مكان اخر في العالم .

كل هذا يدعونا لدراسة مواقف الانسانية المزيفه الليبرالية كما فعل منظر ثورة العالم الثالث **فانون** . ودراسة فانون وكتاباته تحثعلى القيام بعمل كهذا .

وقبل ان انهي هذه السطور حول كتاب فانون « من اجل افريقيا » ، لابد لي من الاستشهاد بعبارتين هامتين عميقتين من نفس الكتاب .

فيالعبارةالاولى يقدم لنا فانون عدونا فيقول : « ومن وراء ذلك توجد الولايات المتحدة الامريكية التي يتقدمها دولارها في كل مكان ... ولا ننسى المانيا (الغربية) التي تعمل ، واسرائيل ، ... حقا انه لعمل صعب » (صفحة ١٨٥) . اي ان فانون يشير الى ان محاربة الامبريالية تحتاجالي نضال تحرري قوي يغذيه الحقد ضد الامبريالية وحب الحرية .

اما في العبارة الثانية ، فيبعد فانون عنا جميع الاوهام التي قد تجعلنا نعتقد ان مشاكلنا وخاصة

---

(٤) الرئيس جمال عبد الناصر : خطابامام المثقفين : نقلا عن صحيفة الشبابالعربي ــ القاهرة في عدد ٧٣ بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٦٨ صفحة ٦ .

(٥) فرانتز فانون : معذبو الارض ــ بيروت ١٩٦٣ ــ دار الطليعة ــ صفحة ٢٩٧ .

(٦) نفس المصدر صفحة ٣٠١ .

(٧) للاطلاع على نظرية لينين حول الشوفينية الاجتماعية راجع دراستي: بسامطيبي : حول نظرية لينين عن الامبريالية ــ مجلة دراسات عربية ــ السنة الرابعة ــالعدد الثالث ــ يناير ١٩٦٨ ــ صفحة٢٣ ــ ٥٥ .

(٨) الكاتب « بسام طيبي » يعيش فيالمانيا الغربية حاليا حيث يقوم باعداد رسالةدكتوراه في العلوم السياسية عن « نظرية ساطع الحصري حول القومية العربية » وذلكفي جامعة فرانكفورت .

قضية الحرية (وحربنا النضالية ضد الصهيونية هي جزء من قضية الحرية فى العالم الثالث) قد يمكن حلها عن طريق الدبلوماسية ، او المؤتمرات الدولية ، او ما يسمى « بالامم المتحدة » . يحررنا فانون من هذه الاوهام ويعرفنا بالامم المتحدة فيقول : « وليس صحيحا ما يقال بان الامم المتحدة قد فشلت ، لان القضايا كانت صعبة ، فالواقع هو ان الامم المتحدة هى الورقة القانونية التى تستعملها المصالح الامبريالية عندما تفشل القوة المادية » (صفحة ٢٠٣)

ويذكرنا فانون بمثال المناضل الافريقى « لومومبا » فيقول : « فلماذا وضع لومومبا ثقته فى الامم المتحدة واستدار نحوها بجدية ولم يتحفظ منها ادنى تحفظ ؟ يتعين على الافارقة ان يتذكروا هذه الدروس . فان كنا بحاجة الى اعانة خارجية فلنتوجه بالنداء الى اصدقائنا . فهم وحدهم الذين يستطيعون ان يعينونا اعانة كاملة على تحقيق اهدافنا ، لان الصداقة التى تربطنا بهم صداقة انصهرت فى الكفاح » (صفحة ٢٠٤) هذه الدروس التى يستخلصها منظر العالم الثالث فانون من تجارب تاريخ النضال ضد الامبريالية يجب ان لا ينساها المناضلون .

والمناضلون العرب - فى رايى - هم قريبون جدا من فكر المناضل فانون ، وخاصة ان فكر فانون قد تبلور فى احدى ثوراتهم ، الثورة الجزائرية الاولى ، فعليهم ان لا يديروا ظهرهم لفكر هذا المناضل ويتعلموا من كلماته التى ترن فى جميع انحاء العالم الثالث ، بينما هو يرقد فى ضريحه ، ولكن كلماته فى ذكرياتنا تحثنا على النضال . فالحرية والمجتمع الاشتراكي ومحو اثار الخامس من حزيران (يونيو) لا يصل اليهم الا عن طريق النضال ، طريق العنف الثورى .■

■■■

نشأة وتطور القطاع العام فى الاقتصاد المصرى

المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية

دراسة اعدها : محمد صبحى الاتربى
واشرف عليها : دكتور فؤاد مرسى

فى هذه المرحلة النضالية التى تبرز فيها اهمية اقتصاد الحرب والتى اعلن فيها عن القيام باصلاح اقتصادى - تكون الدراسة الجادة الموضوعية للمشكلة التنظيمية للقطاع العام هى المدخل الحقيقى لارساء اساس سليم لاقتصاد الحرب او لاقتراح الاسس السليمة لاى اصلاح اقتصادى .فالقطاع العام هو الذى يتحمل العبء الاكبر فى التنمية الاقتصادية وهو القطاع القائد فى اقتصادنا القومى . ومن هنا تبرز اهمية هذه الدراسة الضافية (ص ٢٨٨) التى نشرها المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية عن نشأة وتطور القطاع العام فى الاقتصاد المصرى وهى الدراسة التى اعدها الاستاذ محمد صبحى الاتربى احد خبراء المركز الاقتصاديين ، والتى اشرف عليها الدكتور فؤاد مرسى .

وهذه الدراسة هى جزء من دراسة شاملة يجريها المركز عن المشكلة التنظيمية للقطاع العام، وستعقبها دراسات اخرى فى الاطار النظرى للمشكلة التنظيمية للقطاع العام وفى الرقابة على القطاع العام .

وكان من المنطقى ان تكون دراسة نشأة وتطور القطاع العام هى المدخل لهذه الدراسة المتكاملة، فهى تعد بمثابة البحث عن « شهادة ميلاد » القطاع العام فى الاقتصاد المصرى ثم البحث عن الوثائق والاعمال التى احاطت بطفولته وشبابه حتى بلغ سن الرشد . وقد كان تقسيم مراحل الدراسة متسقا مع هذه النظرة . وهذه المراحل ذاتها تتفق مع مراحل الثورة المصرية . فمرحلة الحرية الاقتصادية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ هى فى نفس الوقت مرحلة الثورة الوطنية وهيئة التحرير وهى المرحلة التى انتهت بتأميم قناة السويس . اما مرحلة الراسمالية الموجهة من يناير ١٩٥٧ حتى صدور القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ ، فهى

مرحلة التضامن الاجتماعى كأساس للمجتمع المصرى وهى مرحلة الاتحاد القومى وما صحبها من ظواهر تدخل الدولة فى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ومن حدة فى المناقضات الاجتماعية . ثم المرحلة الثالثة وهى مرحلة اتباع النمط الاشتراكى، ووضع اسس التخطيط ، وهى مرحلة الثورة الاشتراكية والميثاق والاتحاد الاشتراكى . ثم المرحلة الحالية وهى مرحلة ترشيد وتنظيم القطاع العام من الداخل وهى فى نفس الوقت مرحلة تدعيم الثورة الاشتراكية .

هذه هى مراحل القطاع العام كما عرضها البحث . وقد كان لهذا التقسيم اثره الواضح فى ان البحث لم يكن مجرد سرد او تجميع لوثائق هذه المراحل ، بل انه كان يقف عند كل مرحلة محللا وباسطا للظروف الاجتماعية والاقتصادية التى احاطت بها ، مبرزا لما تنطوى عليه مرحلة الانتقال من تناقضات . فقيمة هذه الدراسة انها عرضت نشأة وتطور القطاع العام من خلال تطور المجتمع المصرى بأسره .

وقد قدمت هذه الدراسة لمراحل تطور القطاع العام بمقارنة نظرية بين مفهوم القطاع العام فى النظم الراسماليه وفى النظم الاشتراكية وفى دول العالم الثالث ، محاولة بذلك ان تزيل اى خلط بين مفهوم القطاع العام فى دولة اشتراكية ، الاصل فيها هو الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وبين مفهومه فى دولة راسمالية ، الاصل فيها هو الملكية الفرديه . وبتحليل هذه المقارنة يتبين مثلا ان لاختلاف النظره اثره على طريقة نشاه القطاع العام . فهى التأميم ابتداء فى الدولة الاشتراكية بينما هى استثمارات عامة فى الدولة الراسمالية. والسمة الاساسية فى التاميم فى الدولة الاشتراكية وفى دول العالم الثالث التى نحت نحوها هو عدم التعويض عنه ، بينما ان التأميم فى غيرها ، هو التعويض . كذلك ابرزت هذه المقدمة المقارنة ، دور القطاع العام فى مواجهة مشكلات التنمية فى بلاد العالم الثالث .

ثم تناولت الدراسة بعد ذلك مراحل نشأة القطاع العام وتطوره فى الاقتصاد المصرى .

ورغم ان الدراسة قد تناولت اساسا وضع القطاع العام بعد ثورة ١٩٥٢ — الا انها وهى تتناول المرحلة الاولى التى سمتها مرحلة الحرية الاقتصادية ١٩٥٢ — ١٩٥٦ ، لم يفتها الاشارة الى الوضع الاقتصادى قبل الثورة ، والدور الذى كانت تلعبه بعض المؤسسات العامة فى خدمة الراسمالية مثل بنك التسليف الزراعى والبنك العقارى الزراعى المصرى والبنك الصناعى ،رغم انها مؤسسات ساهمت الدولة فى انشائها ، ومثل بعض مظاهر محدودة لتدخل الدولة بهدف خدمة كبار الملاك ، كالقيام بمشروعات الرى والصرف العامة او التدخل فى سوق القطن . وقد اوضح البحث الموقف المتشدد وقتئذ لرجال الاقتصاد والمال والهيئات المالية والاقتصادية مثل الغرف التجارية واتحاد الصناعات والبنك الاهلى فى معارضة اى اتجاه لتدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية .

ويعرض البحث بعد ذلك ملامح مرحلة الحرية الاقتصادية بعد ثورة ١٩٥٢ . والتى تتميز عن مرحلة ما قبل الثورة وان ظلت محتفظة بطابع الحرية الاقتصادية . فالاصلاح الزراعى وانشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى والمجلس الدائم للخدمات والتوسع فى انشاء شركات مختلطة ، ثم انشاء لجنة التخطيط القومى ووزارة الصناعة — كلها ظواهر كانت تنبىء عن رغبة فى تنمية الاقتصاد القومى بالاستعانة برؤوس الاموال الخاصة وتشجيعها على ارتياد ميادين جديدة .

وكان تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ايذانا ببدء مرحلة جديدة فى تطور القطاع العام ، بدات بنشأة المؤسسة الاقتصادية فى اوائل عام ١٩٥٧ ، وتمصير البنوك وشركات التامين واعمال الوكالات التجارية ، وبدء برنامج سنوات خمس ثم تأميم بنك مصر والبنك الاهلى واصدار قوانين للمؤسسات العامة بعد ان نشأت مؤسسة مصر ومؤسسة نصر الى جانب المؤسسة الاقتصادية، وفى هذه المرحلة اشتدت حدة التناقض بين حكومة الثوره والراسمالية المصرية ومع ذلك مضت الثورة قدما نحو توسيع نطاق القطاع العام على حساب المصالح الاجنبية التى تم تمصيرها ثم تأميمها وعن طريق انشاء شركات عامة جديدة. اى ان التاميم لم يكن هو طريق هذه المرحلة لانشاء قطاع عام ، وكانت الدولة تفضل الاشتراك باستثماراتها مع الاستثمارات الخاصة فى شركات مختلطة .

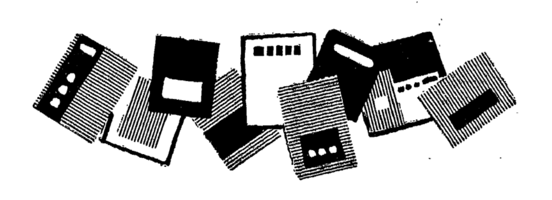
وقد تناولت الدراسة بعد ذلك مرحلة اتباع النمط الاشتراكى ووضع اسس التخطيط الاقتصادى التى بدات بصدور قوانين التأميم فى يوليو ١٩٦١ والتى لحقتها تأميمات ١٩٦٣ . فعرضت لاجراءات التأميم وربطت بينها وبين ما صاحبها من اجراءات

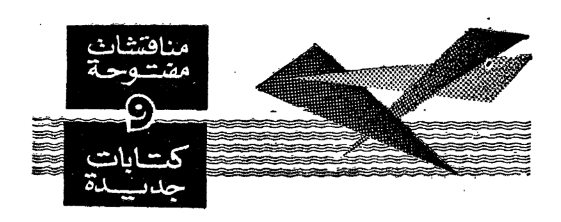
اقتصادية اخرى مثل صدور قانون ثان للاصلاح الزراعى ومثل تحديد ساعات العمل واشراك العمال فى اداره المشروعات العامة وارباحها وانشاء هيئات الرقابة وتعديل فى قوانين الضرائب وتعديل فى اسس التعويض عن التاميم . ثم عرضت المحاولات التى حدثت لتنظيم القطاع العام ووضعه فى اطار الخطة الاقتصادية ومشكلات نموه وتنظيمه مع ما كان يقتضيه ذلك من تصفية او ادماج ، ثم عرضت لمشكلات تمويله . وقد ابرزت دراسة هذه المرحلة وهى تمثل الجزء الرئيسى من الدراسة (من ص ١٢٨ الى ٢٣١) ملامح القطاع العام عن طريق التاميمات الواسعة وتنوع المؤسسات العامة التى تشرف على شركات عامة تعد الوحدة الانتاجية الاساسية للقطاع العام .

وتتناول الدراسة بعد ذلك المرحلة الحالية وهى مرحلة ترشيد وتنظيم القطاع العام من الداخل ، وذلك فى ضوء ما اسفر عنه تقييم الخطة الخمسية الاولى وما اثير بشأن مشكلات التطبيق فى مؤتمر الانتاج عام ١٩٦٥ ، وفى مؤتمر القطاع العام عام ١٩٦٧ ومحاولة ارساء العلاقة بين الوزارة والمؤسسة والشركة ، ومحاولة ربط الاجور بالانتاج عن طريق اصدار لائحة جديدة للعاملين وازكاء الحوافز ، وما انتهت اليه مناقشات القانون الجديد للمؤسسات العامة .

ثم تختتم هذه الدراسة بعرض للقوانين الاقتصادية التى تحكم تنظيم القطاع العام وادارته ، منبهة الى وجوب التفرقة بين مفهوم الربح فى النظام الراسمالى ومفهومه فى النظام الاشتراكى باعتبار ان الربح فى النظام الاشتراكى وسيلة لا غاية فهو اداة من ادوات التخطيط ، ومنبهة ايضا الى الربط الملائم بين التوجيه المركزى المخطط وحرية التنفيذ للوحدات الانتاجية . وطالبت الدراسة بوجوب الاسترشاد فى اسلوب تنظيم

وادارة القطاع العام بالقوانين العلمية للاقتصاد ، وبتحليل المتناقضات التى تتميز بها المرحلة الانتقالية ، وهى بهذا تكون قد مهدت الى الجزء الثانى من دراسة المشكلة التنظيمية للقطاع العام ، وهو الخاص بقضية الاطار النظرى لهذه المشكلة .





صحافة الحائط.. ضرورة ثقافية

د. احمد حجى

في هذا المقال ، يتناول الدكتور احمد حجى واحدة من قضايا الريف الثقافية الهامة الا وهى صحافة الحائط الجماهيرية ودورها في محو الامية من جهة وتثقيف الجماهير وتوعيتها من جهة اخرى واعادة تربيتها — فكريا — من جهة ثالثة ومعالجة مشكلاتها اليومية من جهة رابعة . والدكتور احمد حجى ، واحد من شباب قرية سندوب — دقهلية — الذين يمارسون تجربة محو الامية فيها وخلق نشاط فكرى يضم جماهير الفلاحين في القرية . والواقع ان تجربة «سندوب» جديرة بدراسة وتقييم الكتاب بعد ان احرزت التجربة نتائج ايجابية بارزة .

من واقع هذه التجربة ، وعلى ضوء نتائجها يكتب هنا الدكتور احمد حجى ، وجهة نظره .

صحيفة الحائط جريدة جماهيريه ..يشرف على تحريرها عدد من المثقفين الشبان وبعض الفلاحين والعمال الذين تحرروا من الامية وبعض المتحمسات من النساء . وهى جريدة لاتزيد عن ورقة واحدة تلصق على حائط ، وتكتب على الحائط نفسه . فهى لا ترى حبر المطبعة ولا حرارة الرصاص المنصهر ، ولكنها تكتب بخط اليد وبحماس خطوطا حارة حرارة الدم ، وتوضع في مكان عام ، حيث يتجمع الناس وحيث يوجدون .

والحائطيات ليست في حاجة اساسية الى الكاتب المتخصص او الدارس بين الكتب ، بقدر حاجتها الى المثقف الجماهيرى « المرهف الحس » والقادر على اقامة علاقة وثيقة بينه وبين الجماهير الكادحة ، والقادر في نفس الوقت على التقاط مشكلات الجماهير بوعى ومعالجتها باسلوب بسيط تستفيد منه .

مشكلات في الطريق

تتركز مشكلات الحائطيات في مشكلات الجماهير اولا واخيرا ، فالصحيفة تأخذ شكلا معينا كما تسلك طريقا واضحا سواء في الكتابة او الكاريكاتير او بالمانشتات . واول هذه المشكلات واكثرها اهمية بالنسبة لصحافة الحائط ، هو امية القراء التى تقدر بحوالى ٦٠ — ٧٠٪ من عدد السكان في بلادنا . ويترتب على الامية ضعف المستوى الثقافى والوعى السياسى لدى القراء ايضا . وثانية هذه المشاكل هو مواجهة القراء انفسهم . فالذين يشتركون في

تحرير الجريدة وينتقدون ويوجهون الرأى العام، يختلطون فى نفس الوقت مع القراء ، ليضربوا لهم مثلا رائعا للعمل وممارسة الحياة الاجتماعية وفى نفس الوقت يزدادون مرونة ومقدرة على النقد الذاتى. وكثيرا ما تدور بينهم المناقشات الحامية والاستفسارات وتبادل الآراء ووجهات النظر. فالعمل الصحفى والادبى والفنى فى صحافة الحائط يواجه القارىء العادى وليس القارىء المتعلم الذى يقبل على شراء الجريدة المطبوعة ، كما يواجه ما ترسب فى وجدان الجماهير نتيجة معايشة المجتمع الزراعى . وهى فى مجموعها مشكلات من نوع خاص تواجه صحيفة الحائط وحدها . فمشكلة الامية لا تعد مشكلة اساسية بالنسبة للصحافة العامة بقدر ماهى المشكلة الاولى بالنسبة لصحافة الحائط. فاذا كانت نسبة الامية مرتفعة فى مكان ما فسوف تتحول المادة الكتابية الى افكار مصورةوهناك مثل صينى يقول « ان صورة واحدة تعادل عشرة آلاف كلمة ». فالصورة يفهمها الجميع اميون وأشباه اميين والتعبير بالكاريكاتير يمكن ان يقدم اعقد المشكلات السياسية والاجتماعية لجماهير القرية . وللكاريكاتير ولغته الساخره أثر عميق يثير السخط على التقاليد البالية كما يحفز القراء ويدفعهم الى مزيد من التحرر وطلب العلم .

اما جريدة الحائط التى تصدر فى منطقة ذات مستوى مرتفع من العلم والثقافة فتعتمد على نسبة كبيرة من المقالات والتحقيقات والدراسات الادبية والسياسية .

وهناك مشكلة هامة تواجه صحيفة الحائط وحدها . وهى ان محتويات الجريدة الحائطية لايجب ان تستغرق من القارىء وقتا طويلا لقراءته مع تقديم عدد كبير من الافكار والمشاكل . والسبب يبدو واضحا فى ان القارىء للحائطيات دائما على عجلة من امره . يقرأ الجريدة وهو مار فى الطريق او اثناء الراحة .فيتوقف امامها لحظات. لذلك يتعين على صحيفة الحائط ان تلتزم بل وتتحيز بشدة الى قضايا الجماهير المباشرة ، وتقدمها فى اسلوب مركز ومختصر خالى من الزخارف اللفظية. فلكل كلمة معنى محدد ولكل خط دلالة، وللشكل العام بساطة الزخارف الشعبية الاصيلة . وعندما تتجاوز صحافة الحائط تلك المشكلات بحكمه تكون بحق الوثيقة الثقافية لجموع العمال والفلاحين والشباب فى بلادنا . والجريدة التى توجه الرأى العام لدى الجماهير فى المناطق البعيدة، هى المدرسة الثورية التى تحتضن كافة الناس وتفيض عليهم بالحب، وتوحد هدفهم الثقافى والسياسى وتنمى فيهم قدراتهم الثورية ، بل وتعيد تربيتهم من جديد .

ضرورة هامة

وفى مرحلة الانتقال الى الاشتراكيه فى بلادنا والتى بدأت ملامحها تعم كل شىء ، كم نحن احوج الى الصحف الجماهيرية والحائطيات . وكم نحن احوج الى تلك المدرسه الجماهيريه والتى تقوم على تثقيف الفرد واعداده وتزويده بنظرة علمية واعية . كم نحن احوج الى ان تكون بكل قرية جريدتها ، ولكل مصنع جريدته ، ولكل وحدة جماهيرية جريدتها الحائطية لايقاظ الرأى العام ولممارسة النقد والنقد الذاتى ولنشر الثقافة الادبية والفنية على مستوى تلك المنطقة . كم نحن فى حاجة الى صحفيين وكتاب ثوريين من الفلاحين انفسهم ومن العمال انفسهم ومن الشباب فهم اخلص العناصر فى بناء الاشتراكية . تلك ملقاة على عاتق صحافة الحائط لتجعل منها ضرورة هامة يجب ان تنتشر فى كل مكان . وان انتشارها فى المصنع والمدرسة والقرية والمستشفى وفى اندية الشباب وفى الجامعة لدليل على يقظة الرأى العام . وبواسطة صحف الحائط المنتشرة فى تلك الاماكن يمكننا ان نحدد مسار الحركة الثقافية والنهضة الفكرية لدى الجماهير .. سواء من الفلاحين او العمال او الشباب والطلبة .

تجربة من قرية

من قرية سسنذوب تصدر جريدة حائطية باسم الغد هذه الجريدة تصدر منذ اربع سنوات وتكتب من خمس نسخ لتعلق فى خمس مقاه فى القرية . وكم اثارت من جدال ونقاش ، وكم غيرت من قيم لترسى قيما ثوريه جديده . ففى اثناء صدور قرار تشكيل اللجان النسائيه فى القرى صدر فى احد اعداد المجلة صوره بالكاريكاتير عن رجعى.. فى صورة كريهة يخاطب صديقا كريها ايضا ويقول له « لا ياعم .. انا مراتى ما بتخرجش من البيت » . ان هذا الكاريكاتير المضحك قد اخذ طريقه الى قلوب الناس الطيبين فاثلج صدورهم. كما اخذ طريقه بقسوة الى عقول الرجعيين واعداء المرأة . فبدأوا يتسابقون ليبرزوا امام الاخرين مدى حبهم للتقدم الثورى الذى يجتاح بلادنا . وسوف تعجب ياصديقى لو علمت ان هذه القرية الصغيرة والبعيدة عن صحف المدينة تضم الآن حوالى ١٥٠ فلاحة داخل لجنتها النسائية وذلك نتيجة اثارة الرأى العام على صدر صحيفة الحائط ونتيجة للنقاش المثمر وتبادل الآراء واشتراك الجماهير والصدام المباشر بين القوتين المتضاربتين، قوى التخلف وقوى الثورة التقدمية . واصبح الكثيرون من أهل القرية يعدون انفسهم مسئولين بدرجة أولى عن خطة العمل وحماية مكاسب المرأة . هذه تجربة . وفى تجربة اخرى، قامت الجريدة الحائطية بالدعوة لمحو الامية واخذت تجرى التحقيق مع الاميين . ثم كتبت بخط كبير آراء الناس المختلفة،

ثم كتب تحليل عن حقيقة الامية وعلاقة الرجعيين بجعل الامية داء للسيطرة على قوى الفلاحين والعمال . وكان من نتيجة ذلك ايضا — وبعد ان كان الفلاحون يرفضون الحضور للقسم الليلى — ان اصبح حوالى ١٣٠ فلاحا يواظبون على الحضور ، ثم يكتبون المقالات فى صحيفة الحائط . وفى المقاهى كانوا يقراونها لاصدقائهم كما كانوا يقومون بتعليقها بأنفسهم .وقد اصبحت تمثل لديهم الرأى الحر والجرىء . كما اصبحت فى نفس الوقت مدرسة للشباب فى القرية يتعلمون فيها من البسطاء كيف يفكرون وماذا يقراون من اجل هؤلاء الفلاحين وكيف يتعلمون باصرار اصول الادب والفن .

الصحافة الجماهيرية والمثقفين

شىء اخير يتعلق بالكثير من المثقفين هو أن يتركوا نقاشهم وجدلهم حول : هل ننزل الى مستوى الجماهير ام يجب ان ننتظر حتى يرتفع مستواهم أوهل قضية اللحاق بالحركة الادبية والفنية اهم من مشكلات الجماهير ؟ فلم يعد لتلك القضايا منطق مقبول . كما أن هناك فئة اخرى يقولون انهم يكتبون للجماهير ، ولكنهم فى اعماقهم يستخفون بالوسائل التعليمية والثقافية للجماهير كما يستخفون بسذاجة الجماهير الامية فى الفهم والتفكير . ولذلك فان المشكلة الاولى للجماهير عندنا وهى الامية لا تعد مشكلة بحث لكثير من المثقفين عندنا لإننا ندرس الإدب والفن من وجهة نظر واحدة والنظرة الثانية للجماهير نهملها ونبتعد عنها . والذى يحدث الآن اننا فى جهة نبحث ونتطاحن وننغمس فى الكتب لتتبع اخبار الادب والفن ومشكلاتهما ، بينما جماهير الشغيله فى جهة اخرى يصارعون الرجعية وقوى التخلف . ونتيجة هذا الكفاح يتولد ادب وفن جديدان تزدهر بهما صحافتهما الشعبية . يجب ان نلتقى مع الجماهير فى عمل واحد مشترك — هذه هى الحقيقة — ولنعلم جيدا ان مشكلات ادبنا هى جزء من مشكلات جمهورنا . فان مشكلات الجماهير هى وحدها التى ستحدد ملامح الادب والفن ومسار الثورة الثقافية .

ان ملامح الثقافة فى القرية واضحة . فالمشكلة الاولى هى الامية . ودار النشر الجماهيرية هى صحيفة الحائط ومدرستنا هى مشاكل الجماهير والتى ستؤدى حتما الى اعادة تكويننا الثقافى من جديد والتى ستكسبنا اسلوب واحاسيس وعواطف العمال والفلاحين والشباب . فمشاركتنا فى محو الامية ليس عملا هينا يتركز فى التعليم فقط بل يتعداه الى تقويض السيطرة الاقطاعية والاستعمارية فى وجدان الشعب ومشاركتنا فى الصحف الجماهيرية ليس فى اننا نكتب بخط اليد بدلا من حبر المطبعة ولكنه مشاركة فى اعداد القراء وتربيتهم ومعايشة الاحداث معهم اولا بأول مما يجعل ادبنا وفنوننا مليئة بالتجارب الحية .والعمل المشترك سيؤدى الى اعداد مجموعات كبيرة من الفلاحين والعمال والشباب فى كل مكان وفى القرى النائية فى جيش ثقافى لتكون مهمتنا بعد ذلك هى خلق الانسان الجديد المحب للعمل، وللعلم ، وللسلام . فلنبدأ من حيث تقف الجماهير .



فى ٢٣ يوليو ، ينعقد المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى ، وتوجه الطليعة ، نداءها الى كل المناضلين ، لمناقشة نتائج المؤتمر لما تمثله من اهمية بالغة على مستقبل العمل الوطنى فى بلادنا . وسوف تفرد الطليعة ، صفحات — «مناقشات مفتوحة» — لآراء وتعليقات وتعقيبات المواطنين . ونرجو ان ترد لنا هذه التعليقات فى وقت ومساحة مناسبين لنشر اكبر عدد ممكن من هذه الآراء .

تعقيب حول مقال «الطريق لمواجهة العدوان»

كتب **عبد العزيز الصبروت** ، يعقب على مقال الطريق لمواجهة العدوان وتصفية الكيان العنصرى فى اسرائيل الذى كتبه **عادل حسين** فى العدد الماضى (يونيو) ، يقول :

تعرض كاتب المقال للجانب الخاص بأزمة الاقتصاد الاسرائيلى ، فقد شمل هذا الجانب ،

الهجرة من اسرائيل وعجز ميزانية اسرائيل وافلاس كثير من البنوك واغلاق كثير من المصانع وزيادة البطالة وانكماش معدل النمو للناتج القومى .

وايمانا بضرورة التقييم الصائب — وليس بالتهوين او التهويل — لمقدرة العدو وامكانياته الاقتصادية ، باعتبار ان ذلك التقييم هو الاساس الذى ينبغى ان نعتمد عليه فى بذل الجهد والامكانيات التى تحقق لنا النصر وتزيل آثار العدوان . ومن هذا الفهم نود أن نناقش بايجاز بعض النقاط التى احتواها المقال ....

فالقول بأن الهجره من اسرائيل الى الخارج تزايدت حتى وصلت فى عام ١٩٦٦ الى ١٠٠ الف مهاجر فيه قدر كبير من المبالغة ، فالهجره على هذا النحو كانت تؤدى بالضروره وبحكم الارقام الى تناقص عدد سكان اسرائيل ، باعتبار ان الزيادة الصافية فى المواليد على اساس معدل ٢ فى الالف سنويا — حسب احصاءات الامم المتحدة — لن تتجاوز بأى حال زيادة صافية قدرها ٥٠ الف نسمة ، وبالتالى لايمكن تصور ان الهجره الى اسرائيل فى ذلك العام بلغت ١١٦ الف نسمة يستبعد منها هجرة الى الخارج ١٠٠ الف والباقى ويقدر بـ ١٦ الفا يضاف الى الزيادة الصافية فى المواليد حتى تصبح الزيادة الكلية فى السكان ٦٦ ألف نسمة ، حسب تقديرات احصاءات الامم المتحدة ووفقا لآخر احصاء عن عدد السكان فى اسرائيل حتى اغسطس ١٩٦٧ ويقدر بـ ٢ر٧ مليون نسمة ، ومن المنطقى ان يختلف ذلك تماما مع ماذكره المقال بأن مصادر الهجره الى اسرائيل قد شحت منذ عام ١٩٦٤ وبلغت قمتها فى عام ١٩٦٦ ، كيف يكون الشح وتحقق الهجرة الى اسرائيل فى عام ١٩٦٦ ذلك الرقم الخيالى الذى يعوض الهجرة من اسرائيل ويساهم فى زيادة السكان .

وعن عجز ميزانية اسرائيل خلال عشرة شهور من عام ٦٦/٦٧ بـ ٣٧٢ مليون ليرة اى مايعادل ١٢٤ مليون دولار — قبل الخفض الاخير لسعر الليرة الاسرائيلية — فهذا التقدير متواضع جدا وليس قياسيا فى تاريخ اسرائيل ، بل ويتضاءل كثيرا مع حجم المساعدات والمعونات التى تتلقاها اسرائيل ، والتى تبلغ سنويا وفى المتوسط ٤ أمثال هذا العجز وغيره فى السنوات اللاحقة .

وعن القول بأن كثيرا من البنوك قد افلس وكثيرا من المصانع قد أغلق ، فمن المسلم به ان ظروف التضخم والتوسع النقدى والائتمانى — وهى ظاهرة تصاحب الاقتصاد الاسرائيلى — تشجع على زيادة الائتمان المصرفى بدرجة كبيرة ، وهذا ماحدث فعلا خلال الفترة يونيو ٦٦/اغسطس ٦٧ بزيادة معدلها ٣٧٪ . ومع هذا كان من الضرورى الاشارة الى اسماء هذه البنوك التى افلست والمصدر الذى ذكرها .

ويرتبط بذلك ايضا ما جاء بالمقال بأن عدد العاطلين فى اواخر عام ٦٦ بلغ حوالى ٩٦ الف عاطل ، وما أكدته بيانات مكتب الاحصاء فى اسرائيل بأن عدد العاطلين الذين سجلوا فى مكاتب العمل فى تلك الفترة — عام ٦٦ — بلغ ٩٩ الف عاطل ، وهذا رقم هائل يساوى ٣ر١٠٪ من قوة العمل الاسرائيلية ، ورغبة فى تصحيح الموقف بالنسبة للبطالة فى اسرائيل ، فان عدد العاطلين المسجلين خلال فترة ما ولتكن سنة، لايعنى ابدا ان يظل هؤلاء الذين قيدوا انفسهم فى مكاتب العمل عاطلين، كما أن القياس الصحيح لعدد العاطلين لايكون بتجميع عدد العاطلين المسجلين خلال شهور سنة ما،ولكن بعد استبعاد الذين تتاح لهم فرص العمل خلال السنة .ويبدو اننا لازلنا — فى تقديرنا للبطالة فى اسرائيل — نخلط بين عدد المسجلين وبين العاطلين فعلا فى تاريخ معين .

اما عن انكماش معدل النمو الاقتصادى وهبوطه الى ٢ر١٪ فى عام ١٩٦٦ مقابل ٤ر١٠٪ فى السنوات ٦٠/٦٥ ، فلم يذكر المقال لذلك سببا ، وليس هناك من الاسباب ما يدعو لذلك ، سواء فى مجالات الانتاج الصناعى او الزراعى ، او فى مجال التجارة الخارجية ، او فى مجال الاستثمار .

وعن جفاف المعونات الالمانية وانقطاعها كلية بعد سداد آخر قسط فى عام ١٩٦٦ ، فان هذا — فى اعتقادى — يعوضه الاستثمارات الداخلية التى حرصت حكومة اسرائيل على تكوينها فى الداخل — وهى نقطة ضعف خطيرة بالنسبة للوضع الجغرافى واستراتيجية اسرائيل حيث ضيق الرقعة والتركز الشديد فى المناطق الصناعية — واصبحت تساهم فى تحسن عجز ميزانها التجارى اعتمادا على انقاص الواردات وزيادة الصادرات ودعم احتياطياتها من النقد الاجنبى بكل وسيلة .

وفى هذا الصدد نود ان نضيف بايجاز الحقائق التالية التى تمثل الهدف الاسرائيلى خلال السنوات ٦٨/٧١ ، وهو هدف زيادة معدل نمو الناتج القومى الحقيقى الى ٩٪ سنويا اعتمادا على الجوانب الثلاثة التالية :

— مضاعفة معدلات الاستثمار اعتمادا على تنوع مجالاته المحتملة .

— فائض العمالة — مع زيادة عدد السكان والتقدم فى العمر لصغار السن — والمتاح من الخبرة الفنية فى السنوات القادمة ، وعلى وجه الخصوص استيراد الخبرة وتشجيع هجرتها الى اسرائيل .

— امكانيات التمويل المتاحة بفضل احتياطى النقد الاجنبى الذى اقترب فى مارس ١٩٦٨ من الـ ١٠٠٠ مليون دولار .

وعلى هذا الاساس وبهذا الفهم والادراك لحقيقة العدو الصهيونى ينبغى ان نخطط ونستعد لمواجهته .

●

الناخبون يخاطبون المرشحين ، لا العكس

جرت العاده ان يوزع المرشحون بياناتهم على الناخبين . ولكن **وحدة الشركة العربية للاعمال المدنية بالاتحاد الاشتراكى — قسم عابدين** ، خرجت على هذا التقليد واصدرت عن الناخبين فى مجالها بيانا الى المرشحين ، تقول فيه :

نرجو ايها الزميل المرشح ان تلتمس بعض العذر للناخبين متى اسقطوا المجاملة من الحساب . المجاملة للرئيس ، او للمرءوس ، او للزميل ، او للصديق ، او للقريب . فلا يجامل الانسان على حساب مستقبله ومصلحته ومصيره .

لذلك نرجو ان نوضح للسادة المرشحين آراء ورغبات الناخبين والتى تتلخص فيما يأتى :

١ — ان عضوية اللجنة ليست طريقا او سلما للانتهازية ولن نسمح باستغلالها لتحقيق اية مطامع شخصية . انما هى تطوع من المرشح نفسه — لا بوقته وبماله فحسب — بل وبحياته دفاعا عن مبادئنا الاشتراكية التى ارتضيناها بالميثاق واكدها الشعب فى اقتراعه على البيان .

وضمانا لذلك **فلن يكفينا ان يعلن المرشح تاييده للميثاق والبيان فحسب ، بل لابد وان يكون واعيا بهما وبمضمونهما وعيا كاملا مؤمنا بقضية التحول الاشتراكى ايمانا عميقا لمسناه فى اقواله ومناقشاته وآرائه وتصرفاته** .

٢ — نرجو ان تكون معركة الانتخابات بشركتنا معركة جادة نظيفة تتفق مع جلال المرحلة الحالية بعيدة عن المهاترات . ولن نسمح بأن يغتاب اى مرشح زملاءه من المرشحين .

٣ — ان قانون الاتحاد الاشتراكى ، يحتم عقد **مؤتمر الوحدة** مرة على الاقل كل اربعة شهور . واعلم ايها الزميل المرشح **اننا سوف ننتهز هذه الفرصة لمحاسبة اللجنة واعضائها** . سنتابع نشاط كل عضو من اعضائها — موقفه من المعركة ومتطلباتها والاعداد لها . موقفه من التحول الاشتراكى والقرارات الاشتراكية . حرصه على الالتحام بالقاعدة والتعبير عن ارادتها واتجاهاتها وتنفيذ التكليفات التى تصدر اليه سواء من اللجنة او من المستويات الاعلى . حرصه على زيادة ثقافته الاشتراكية . حرصه على حضور اجتماعات اللجنة ومدى نشاطه داخلها .

ان عضوية اللجنة ليست عضوية شرفية بل عمل جاد متواصل ، ولتتيح من الآن كل من لايقدر او يقوى عليه او على مواصلته .

٤ — ان التطوع للعمل السياسى والرغبة فيه ، ليس صفة تظهر اعراضها فجاة فى مناسبات الترشيح والانتخابات . بل هو نشاط وآراء ومناقشات وسلوك دائم يعكس مدى ايمان الانسان بالمجتمع الذى يعيش فيه وكيف يتطور . ومن ثم لا يقف فى اى لحظة موقفا سلبيا من هذا التطور بل يساهم فى تشكيله سواء بتقديم الآراء والحلول البناءة او بتاييد التيار السياسى السليم والدفاع عنه او بالمعارضة والتصدى للشائعات والنكت والتيارات السياسية الرجعية التى تحاول ان تعوق هذا التطور .

لذا نريد نحن الناخبين ان تتكرر اللقاءات والاجتماعات على مستوى الاقسام او الادارات او على مستوى الشركة . حيث يحدثنا فيه كل مرشح — قبل الانتخابات — عما فعله من أجل الوطن والمجتمع والمعركة — وعلى الاقل خلال الفترة من ٥ يونيو حتى الآن .

لذلك ، نرجو ان توفر على نفسك ايها الزميل المرشح ، مشقة بذل الوعود عن مطالبنا الاقتصادية او مشاكلنا الفردية داخل الشركة والتى نعلم انها ليست الاختصاص الاصيل للجنة الاتحاد الاشتراكى .

حدثنا عن المعركة . وابذل لنا الوعود عما ستفعله فى حشد الجماهير وتعبئتها من أجل المعركة وطرد العدو ومن أجل النصر .

●

برنامج .. من دكرنس

ومن مركز **دكرنس — محافظة الدقهلية** ، ارسل **طلعت الشمبكى ، محمد فوده ، محمد عبد الفتاح درويش ، احمد ابراهيم حامد ، عبد الفتاح خالد ، محمود السيد سليمان ، محمد احمد طه ، محمود عوض ، جمال على ابراهيم ، عوض على جوده ، محمد جاد رمضان ، عبد الحميد ابراهيم ، عبد الحميد الدسوقى ، ومحبوب عبد الستار** ، وهم من شباب الدقهلية منهم المثقف والعامل والفلاح ، ببرنامج عمل يطرحون فيه — أمام ابناء مركزهم — تصورهم للموقف الراهن ويطرحون آرائهم فى سبيل تحقيق النصر فى المعركة ضد العدو .

ويدور برنامجهم حول محورين . **اولهما** عن « **حشد قواتنا العسكرية** » على مستوى القوات المسلحة ومساندة الجهود التي تجرى من أجل « **اقامة جيش ديمقراطي قوي لا مكان فيه لمراكز القوى** » ، وعلى مستوى **المقاومة الشعبية** لتدريب الشعب على حمل السلاح وتربية رجال المقاومة تربية سياسية تؤهلهم للتضحية بكل غال والاستفادة من تجارب الشعوب التي حاربت الاستعمار وفتح باب التطوع للحركة الفدائية لتحرير الارض المحتلة ومساندة المقاومة العربية الفلسطينية .»

ويدور محور البرنامج ، **ثانيا** ، حول « **حل مشاكل الجماهير** » حلا عادلا « يتناسب والتضحيات التي قدمتها وتقدمها » . فيدعون — في مجال العمل بين الفلاحين — الى دراسة مشاكل التسويق التعاوني وحلها حلا جذريا ورفع اسعار محصول القطن وحل مشكلة مقاومة الآفات « بطريقة غير مرهقة للفلاح » . ومعالجة « مشكلة الارز » باعفاء مالكي كسور الفدان المنزرعة ارزا من التوريد وربط تقدير مقررات التوريد بالمساحة المنزرعة . والوقوف ضد « المحاولات التي تبذل باسم القانون بطرد الفلاحين — مزارعين او مستأجرين . وعلى الاخص من اراضي كبار الملاك الذين رفعت عنهم الحراسة. وبالنسبة للعمال الزراعيين ، يدعون الى ضرورة انشاء صناعة تعتمد على الخامات المحلية لتشغيل العاطلين .. وتمليك الاراضي الجديدة المجاورة للعمال الزراعيين والتأمين عليهم ضد البطالة والعجز والشيخوخة والوفاة نظير اشتراكات رمزية تتناسب مع ضآلة دخولهم وذلك «من خلال نقابات فعالة ونشطة». وبالنسبة للعمال الحرفيين، يدعون الى ضرورة تكوين جمعيات تعاونية لهم على اساس الانضمام الاختياري وتحت اشراف الدولة ورعايتها. وتسويق انتاجها داخل مؤسسات القطاع العام . وتكوين « **اتحاد عام للحرفيين على مستوى الجمهورية** » . وتخفيف شروط التأمينات الاجتماعية لهم والتأمين عليهم ضد البطالة والعجز والوفاة نظير اشتراك رمزي . وبالنسبة للتجار الصغار ، يدعون الى تكوين جمعيات تعاونية لتقديم الائتمان لهم في شكل سلع مرغوبة على اساس العدالة في التوزيع . وزيادة نسبة ربح التوزيع في السلع ليبتعدوا عن تجارة السوق السوداء والتأمين عليهم ضد العجز والافلاس والوفاة . وبالنسبة لسائقي السيارات، يدعون بأن تكون لبطاقات السيارات الخاصة بالكاوتشوك وقطع الغيار ، فاعليتها . حتى لايقع اصحابها فريسة تجار السوق السوداء . والاسراع في صرف مستحقات السائقين بمقتضى تأمينهم ضد البطالة او العجز او الوفاة وتحت عنوان مطالب عامة ، يؤكدون ماجاء بالميثاق وببيان ٣٠ مارس اهمية نقل السلطة للشعب. ويدعون الى «توزيع عادل للدخل » بوضع « خطة زمنية على مستوى الدولة لتذويب الفوارق بين الطبقات عن طريق تخفيض الدخول العالية ورفع دخل الطبقات الكادحة لمواجهة ظروف المعيشة » ويرون « ان تكون نسبة اقل دخل الى اعلى دخل لا تتعدى ١ الى ١٥ بما في ذلك الدخول الغير رسمية. وعن الحريات يؤكدون على ضرورة الحفاظ على «حرية القول والفكر والرأي والنقد البناء في اطار الخط الاشتراكي وحرية التظلم من اي مستوى والوقوف بحسم ضد محاولة تعذيب المواطن او اهانته على ايدي السلطة .. »

●

بيان من اللجنة العليا للتوجيه الوطني في الضفة الغربية

وجاءنا من « **اللجنة العليا للتوجيه الوطني** » في **الضفة الغربية** ، البيان الذي دعت فيه المواطنين الى الاضراب في ٥ يونيو الماضي ، يقول البيان داعيا الى الاضراب :

ايها المواطنون الصامدون .

لتكن ذكرى الخامس من حزيران المشؤومة حافزا لنا على النضال والصمود والمقاومة ..

لتكن دافعا لرص الصفوف الوطنية وتوحيد القوى والجهود لمقاومة الاحتلال وعدم التعاون مع المحتلين ، لنبق ثابتين على تربة هذا الوطن الى الابد ، وليكن يوم الخامس من حزيران ١٩٦٨، يوما من ايام شعبنا في رفض الاحتلال ومقاومة العدوان . يوما تتجلى فيه وحدة شعبنا وارادته وتمسكه بعروبته وباشقائه في الضفة الشرقية ، واصراره على مواصلة درب الكفاح حتى يندحر المعتدون وتزول اثار العدوان .

ولهذا فاننا ندعوكم ايها المواطنون الصامدون. ندعو الطلاب والمعلمين والموظفين .. ندعو العمال والفلاحين .. ندعو الاطباء والمحامين والصيادلة والمهندسين .. ندعو جميع الاحزاب والشخصيات الوطنية ورجال الدين والهيئات النسائية والمنظمات الاجتماعية .. ندعو البلديات والمجالس القروية، ندعو التجار واصحاب شركات الباصات والنقليات وسائقيها ، ندعو جميع المواطنين في المدن والقرى والمخيمات رجالا ونساء الى الاضراب العام والتزام البيوت في الخامس من حزيران ١٩٦٨ تعبيرا سلميا عن عزمهم على مقاومة الاحتلال وتصفية اثاره .

اننا بهذا نبرهن لاشقائنا في البلدان العربية ولاصدقائنا وللرأي العام العالمي ، وحتى لاعدائنا اننا لن نستسلم ولن نرضخ وسنبقى ابدا نقاوم

الاحتلال ونكافح بكل ما لدينا من وسائل وطاقات من اجل تصفية اثار العدوان وتحقيق السلام القائم على العدل فى ربوعنا . فلنبرهن للعالم اجمع اننا شعب جدير بهذا الوطن . جدير بالحرية وكريم الحياة .

اللجنة العليا للتوجيه
الوطنى فى الضفة الغربية

●

بيان من جبهة تحرير ظفار

ووصلنا من **جبهة تحرير ظفار** ــ مكتب القاهرة ــ بيانها فى الذكرى الثالثة لقيام **« ثورة التاسع من يونيو ١٩٦٥ »** ، تقول فيه :

منذ ٩ يونيو عام ١٩٦٥ والشعب الظفارى يسير بقيادة جبهة تحرير ظفار نحو النصر وتحقق له من المكاسب الثورية ما يدفعه الى المزيد من التضحيات وتخطى المصاعب . ولقد كان اول ما حققته الثورة للشعب ، تمسكه بالثورة المسلحة وتحويلها الى عمل شعبى واسع فى مختلف المجالات .

ان الثورة المسلحة ما كانت تصمد فى وجه عدو متفوق قوة وعلما ، لولا ان الارادة الشعبية تجمعت فى بوتقة واحدة ، وشهرت السلاح فى وجه العدو بساعد رجل واحد ، مكونة جيش التحرير الشعبى الذى اصبح الان قوة عسكرية لديها من القدرات ما يمكنها من الحركة بحرية فى كل اتجاه ، كذلك فان جبهة تحرير ظفار اصبحت تملك **تنظيما** مدنيا واسع النطاق قدم امكانيات دفعت بالعمل الثورى خطوات ايجابية وامدته بفعاليات التقدم الجبار وبفعل حرص الجماهير واخلاصها للثورة وبقدرتها على امتلاك زمام قيادة الثورة ، فلقد حققت جبهة تحرير ظفار مكاسب للشعب فى المجال العسكرى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى ، ففى المجال العسكرى تمكنت الجبهة من بناء جيش التحرير الشعبى بفرقة ومجموعات الفدائيين ، الامر الذى معه تحقق للجبهة ــ امكانية السيطرة الكاملة على المناطق الشمالية بدون استثناء ، واصبحت للجبهة قدرة على تحقيق مكاسب اجتماعية فى هذه المنطقة التى تم تحريرها ، فهناك الاجهزة الادارية التابعة للجبهة والتى تنظم علاقات الافراد فيما بينهم بمفاهيمها الثورية ، والتوجيه الثورى لتنشيط الزراعة والاعتناء بالثروة الحيوانية واعفاء المواطنين من الضرائب التى كانت تفرضها السلطات الاستعمارية . والعمل السياسى الشعبى هو ركيزة تنظيم جبهة تحرير ظفار المدنى ، فتوعية المواطنين سياسيا وثوريا هو العمل اليومى ، مما اعطى الشعب قدرة على تفسير المخططات الاستعمارية وتفنيد المؤامرات وكشف الاعداء .

كذلك فان توسع الجبهة فى مخططاتها الزراعية قد ساعد الفرد على رفع دخله واعطى للثورة امكانية من اجل العمل على فتح جبهات اخرى .

ان هذه المكاسب التى اصبحت حقيقة واقعية وملموسة للجماهير دفعت بالاستعمار الى المزيد من مؤامراته ومخططاته الاجرامية ضد الجماهير العربية فى كل اوطانها ، واعتقد الاستعمار خطئا ان حرب حزيران عام ١٩٦٧ وما نتج عنها قد احدثت ضربة للامة العربية فى كل الجبهات . ولذلك فلقد سارع الى تخطيط مؤامراته فى منطقة الخليج العربى محاولا ايجاد كيان بديل لوجوده العسكرى ، لضمان مصالحه البترولية والاستراتيجية العسكرية . ولقد دعاه الامرالى دعوة الشيوخ والامراء الاقطاعيين للتعاون معه لخلق كيان اقليمى رجعى محوره ضمان المصالح الاستعمارية ضد الجماهير العربية ، وذلك بعد ان اصبح فى الامكان امتداد الثورة المسلحة من ظفار الى منطقة الخليج العربى ، غير ان موقف جماهيرنا الشجاعة منذ ٩ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ الى هذه اللحظات قد اكدت ارادة الصمود والنضال ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية فى مختلف الجبهات ، وشعبنا الظفارى يقف اليوم فى مقدمة شعوب المنطقة فى الخليج العربى مصمما على النضال المسلح ، وانطلاقا من هذا المطلب الجماهيرى **فقد اعلنت جبهة تحرير ظفار معارضتها لكل المشروعات الاستعمارية بما فى ذلك الاتحاد المزيف المزمع اقامته فى منطقة الخليج العربى ، وان الجبهة ترى ان الحل الوحيد لانهاء مشكلة الوجود الاستعمارى هو النضال المسلح** ، وهى لذلك تناشد جميع القوى الثورية فى المنطقة وفى الوطن العربى الى التجمع والعمل من اجل اداء الواجب القومى والوطنى لتحرير المنطقة من نفوذ الامبريالية والاستعمار الانجلو ــ امريكى وجميع القوى الرجعية المتحالفة معهم .

ان شعبنا الظفارى يؤمن ايمانا مطلقا ان نضاله ضد الامبريالية والاستعمار هو امتداد لنضال الامة العربية ، وجزء من حركة النضال العمالى ضد الاستعمار والامبريالية من اجل تحقيق السلام والاستقرار

ان جبهة تحرير ظفار تندد بشدة بالمؤامرات الاستعمارية والحرب الاجرامية التى تشنها الامبريالية الدولية وبخاصة عدوان الامبريالية الامريكية المستمر ضد شعب فيتنام وكذلك عدوان الاستعمار البرتغالى ضد الشعوب الافريقية . كما ان الجبهة تشجب التفرقة العنصرية فى كل من جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا وفى زامبابوى ، وتناشد شعوب العالم ان توحد جهودها وقواها لتضع حدا للاستعمار بمختلف اشكاله .

وثائق



جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

تضم هذه الكراسة مقالات لـ : جاك بيرك ، رينيه بيروتى ، ريجيس بلانشير ، البير بول لانتان ، بيير مارتلو ، تيودور مونود ، اندريه فيليب ، اندريه برنان ، مكسيم رودنسون .

هذا الكراس الذى نشرته المجلة المسيحية الفرنسية ذات الميول الديموقراطية « تيموانياج كريتيان » (شهادات مسيحية) فى عدد خاص ، هو عبارة عن مجموعة دراسات ومقالات حول أزمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين ، اشترك فى كتابتها لفيف من الكتاب والمفكرين الفرنسيين عقب حرب يونيو . وكان هؤلاء الكتاب قد شكلوا فيما بينهم منذ عام « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » — وهى جماعة وضعت كهدف لها البحث عن الحقيقة التى تاهت فى اوربا بسبب تداخل وتضارب لاحد له للدعايات ، وأوجه نظر متباينة ، حكمتها فى انتقائها للوقائع وتفسيرها للاحداث ميول وانحيازات كانت فى أحوال كثيرة مسبقة ، وجرفتها حملات الدعاية الصهيونية التى أحاطت بانعكاسات المعركة واهدافها فى اوربا عموما وفرنسا خاصة .

وقد توخى هؤلاء الكتاب والمفكرون على حد تعبيرهم — منهاجا لبحثهم — « التزام الحيدة والموضوعية فى فحص الحقائق وتحليلها ، بعيدا عن الاهواء والنزعات العارضة .. ووصولا الى استجلاء الموقف ، والتقدم كمفكرين ، لهم مكانتهم ، باقتراحات وافكار لعلها تسهم بدور فى تسوية الازمة على أساس من العدل والحق . »

وارضية هؤلاء المفكرين والكتاب تختلف بالحتم عن أرضيتنا . وهي محكومة في نهاية الامر بالموقـــع الذى منه ينطلقون ، وبنظرة اوربية . الا انه جهد تميز بالحيلولة دون الانجراف وراء موجة الدعاية الصهيونية التى اجتاحت اوربا وقتذاك ، وجهد حاول جدبا ان يحتفظ بتوازنه ، ووضوح الرؤية في وقت كانت الظروف كلهـــا تلتقى لطمس الحقيقة وتشويه الصورة .

اننا نبدأ في هذا العدد بنشر النص الكامل لهذا الكراس ، وذلك لاتاحة الفرصة للقراء العرب ان يتابعوا الصورة كما يتصورها بأبعادها المعقدة ، انصافا للحق ، وبالتالى أصدقاء لهم من بين كبار المفكرين في فرنسا ، على تنوع اتجاهاتهم وميولهم السياسية . وهدفنا من نشر هذا الكراس ، هو عرض القضية كما يراها هؤلاء المفكرون ، وحتى تتفتح فرص جادة لاقامة حوار مثمر يرمي الـــى الاقتراب من الراى العام العالمى ، وازاحة الحواجز التى طالما نجمت عن تناول المشكلة بالصورة التى قد تجد اصداءها عند العرب ، ولكن دون استكشاف لتقديرات الغير . وربما كانت هذه الوسيلة هي الكفيلة بافساد مخططات العدو في الحفاظ علـــى هالة من التأييد لدى من هو ليس محكوما بآراء مسبقة يغذيها على الدوام بايجابية في الحـــركة والمتابعة والملاحقة .

■■■

لماذا تكونت جماعـــة البحث والعمل من أجـــل حل عادل للقضية الفلسطينيـــة ؟!

جـاك بيرك

مقدمة :

لم نرفع صوتنا في مايو الماضى ببهجة في قلـــوبنا .

كان عدد كبير من الديمقراطيين الذين كافحنا معهم من أجل طـــرد الاســـتعمار من المغرب العربى ومن افريقيـــا ، يميلون هذه المرة الى اسرائيـــل . كانت الاغلبية تتخـــذ هـــذا الموقف بدافـــع من العطف عـــلى شـــعب عامل صـــغير ، يبدو كانه مهـــدد لا فى وجوده السياسى فحسب . بل وفى وجوده البشرى أيضا . وفى هذا الصدد تزود الطرف الاخر بحجج كثيرة تطوعت بها بعض التصريحات المتطرفة .

وكانت هذه المشاعر المفهومة ، تقابلها مشاعر اخرى مريبة ومشكوك في نواياها . لقد انطلقت في شوارعنا ومن اجل شعب اجنبى ، مظاهرات لابد وان نقول انها كانت مسرفة في تعصبها . فما الذى كان سيحدث لو ان العمال العرب المنتمين للمغرب العربى والمقيمين في منطقة باريس ، ارادوا الرد على تلك المظاهرات ؟ كان الذين لم يستسيغوا بعد خروج فرنسا من الجزائر سيتحينون الفرصة للقيام بهجوم انتقامى . فها هو مبرر جديد يتهيأ لهم لضرب « الدخلاء » عن طريق ملتو ، لا يحول على اى حال دون تحقيق مأربهم . وبدأت عمليات التهليل الصاخب وان كانت لم تثمر كما ارادوها . كانت الشعبة الادبية التابعة للاتحـــاد الوطنى للكتاب الفرنسيين قد كشفتها في الوقت المناسب . صحيح ان الحـــزب الشيوعى الفرنسى قد اتهم اسرائيل منذ البداية بتغطية اهداف الاستراتيجية الامريكية ، وقد انضم البعض بشكل فردى لهذا التحليل . وكانت بعض الهيئات ترفض اصـــدار حكم يحمل معنى واحدا صريحا . غير ان عناصر اخرى نشطة وشخصيات معروفة لدى الرأى العام الفرنسى ، فصلت في القضيـــة وقـــررت اعتبار اسرائيل ضحية ، وراحت تحذر الراى العام مما اسمته « ميونخ الجديدة » . وكان كلامهم يحظى بالتصديق . وهكذا تحالفت كل الظروف لتحول دون تحليل الوقائع ولتدفع بلادنا الى نظرة احادية الجانب ، ولتحول فرنسا مرة اخرى ، وبشكل مباشر أو غير مباشر ، الى عدو للعالم الثالث .

ولا جدال فى ان بعض الميول العاطفية تدخلت في فرض هذا التحالف ، ولكن كانت هنـــاك بعض نواحى الجهل والاستنتاج الخاطىء . فاعتبـــار اسرائيل دولة كغيرها من دول الشرق الاوسط ، هو تناس لفرضها بالقوة منذ حوالى عشرين عاما ، وتناس لاضرار الفلسطينيين العرب والدول المتاخمة على رفض هذا الفرض . ان تصوير العرب على انهم المتدخلون ، وان اسرائيل مدافعة مسالمة عن حقوقها المكتسبة ، لهو قلب للعلاقات التاريخية بين الطرفين . وتشبيه المقاومة العربية ، حتى لو اتخذت شـــكل ، اعادة الغـــزو ، بالاضطهاد الهتلرى هو تحد لكل ما هو بديهى ، ذلك ان

العرب لم يشتركوا فى جريمة اضطهاد اليهود لا من قريب ولا من بعيد ، بل انه فى وسعهم تذكر ذلك جيدا على عكس كثير من الاوروبيين الذين يريدون ان يتناسوا . ومع ذلك فقد استغلت الدعاية الصهيونية هذه الاخطاء وحققت نجاحا حتى بين قطاعات الرأى العام التى كنا نتصور انها مسلحة اكثر من غيرها بالقدرة على تحليل الاحداث وعلى الحكم على المغالطات .

كان يتحتم علينا اذن ان نعمل حتى ولو ادى ذلك الى انشقاقات قاسية .

تكوين جماعتنا

ان وقوع هذا الانشقاق كان يعنى ان هناك ثمة مشكلة . وهذا ما تجاهله ورفضه كل من اعلنوا منذ البداية انه لا رجوع فى الاوضاع المطلوب اعادة النظر فيها ، لاسباب دفاعية او وقائية وبطريقة مشروعة او استفزازية . وسيحكم التاريخ على هذه المسألة ، اى مسألة حصار خليج العقبة . على ان مجرد التذكير بالظروف التى تأسست فيها اسرائيل تكفى لان تجعلنا ندرك ان قبول حدودها وتوسعاتها بلا رجوع الى القرارات لا يعنى فقط الاعتراف بوضع لا يزال موضع نزاع ، بل يعنى ايضا السماح بتحقيق اهداف توسعية . ولذا فقبل بداية العدوان نفسه نادى الكثيرون من بيننا باجراء دراسة موضوعية تهيء بقدر الامكان لاجراء تسوية جذرية للمشكلة . ولهذا السبب صدر نداؤنا يوم ٨ يونيو بجريدة « الموند » .

على ان الاحداث حالت دون البحث الوثائقى من اجراءات « اعادة النظر والتعويض والابتكار » التى كانت تبدو لنا الوسائل الوحيدة الكفيلة باقامة تعايش فى الشرق الاوسط . ولو ان العالم الثالث قام باجراءات تحكيم لدفع الاطراف المعنية الى حل عادل ، فهل كان الوقت سيسمح بذلك ؟

لقد هبت حملة عاصفة مكنت وضع اليد الاسرائيلى على فلسطين من التوسع حتى قناة السويس ومن التغلغل فى الاراضى السورية . وهكذا راجت فكرة تقول — بمقتضى تقليد من المؤسف انه اصبح شبه مسلم به — ان المنتصر اصبح فى وضع يسمح له بالمفاوضة من مركز قوة مع اعلانه مقدما عن استحالة اعادة النظر فى استيلائه على مدينة القدس القديمة . وهكذا فهو يكتفى بالتنازل عن جزء من المكتسبات الجديدة فى مقابل اعتراف جيرانه به اعترافا قانونيا . وهذا ما فعله ولا يزال يفعله حتى الان .

اما فريق المثقفين المختلف معنا لانه كان ينفى ان هناك ثمة مشكلة فى الامر ، فقد تراجع الان مؤملا فى قيام مفاوضات بين الطرفين . على ان هذا الطريق يفترض مقدما الاعتراف بالامر الواقع المفروض منذ عام ١٩٤٨ . وهذا هو موقف الولايات المتحدة والدول المتضامنة معها . وفى مقابل ذلك اصطدمت اسرائيل باستهجان البلدان الاشتراكية واغلبية بلدان العالم الثالث . وهذا التقسيم بليغ الدلالة فى حد ذاته ! اما الحكومة الفرنسية فقد قامت بحركة ملفتة للانظار ، نقدها بمرارة جزء من الرأى العام الفرنسى ، فوقفت ضد الطرف الذى بدأ بفتح النيران . وشاءت الاقدار ان تكون اسرائيل هذا الطرف ..

وادى الشد والجذب بين الاطراف المتنازعة الرأى فى العالم حول حقيقة الخلاف الذى نشب وسط الرأى العام عندنا ، ادى الى انفساح المجال امام وجهات نظرنا اكثر مما كانت تسمح الظروف عقب نشوب الازمة مباشرة . وقد اظهرت المناقشات التى ساهمنا فيها ان حججنا بدات تتفوق على حجج خصومنا . ومما عاون فى هذا الاتجاه التحول الذى حدث فى القطاع الذى كان يعطف على اسرائيل خوفا من المخاطر التى تتهددها ، اذ بدأ يتشكك حول اهداف اسرائيل من الحرب .

واصبح من المحتم علينا لا ان نخلق توازنا يقابل اندفاع الرأى العام فى الاتجاه المضاد ، ولكن اصبح من واجبنا ان نفحص ما فى وجهات النظر القائمة من عواطف وحقوق ووقائع ، ومن ارتباط بالاوضاع العالمية . كان لابد من نقد كل من وجهتى النظر واستهجان كل ما يحول النزاع السياسى الى نزاع عنصرى او دينى . ولذا فقد قمنا باتصالات مفيدة بحركات مقاومة العنصرية ومعاداة السامية والدفاع عن السلام . وبالطبع كان يستحيل علينا ان نظل متمسكين بموقف الحياد بين الطرفين ما دام احدهما اصبح الغازى والاخر هو المهان . على ان هذا الموقف كان يتعين عليه الا ينال من الموضوعية التاريخية ولا من الفهم الانسانى .

هكذا ولدت فى ١٦ يونيو « **جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية** » . وكان ميثاقها يسمح بافساح مجال مشترك لافكار تنتمى لوجهات نظر متنوعة . وقد خلق هذا الميثاق صلة بين اهداف بياننا الاول وبين مواقف الشعبة الادبية التابعة للاتحاد الوطنى للكتاب الفرنسيين ومواقف الشخصيات التى عبرت عن نفسها فى نفس الاتجاه او شعرت بانها متفقة معنا .

ولسنا فى حاجة الى ان تتحول وجهات النظر المتقاربة الى وجهة نظر واحدة . وقد تمسكنا حتى الان بحق المنضمين الينا فى التعبير عن

مقترحاتهم التصرقية فى اطار المناقشة والامال المشتركة . فالحوار الذى آلت جماعتنا على نفسها اقامته ، يتعامل مع واقع من شأنه ان تنعكس تطوراته على مواقف الاطراف المعنية . ولذا فهو يفترض تعدد اقتراحات العمل . وبفضل هذا المنهاج استطاعت الجماعة ان تحقق تبادلا حيا لوجهات النظر بين مساهمين فى الحوار لهم انتماءات سياسية متباينة ، ولا يعتقدون انهم ملزمون بخط واحد فى القضية المطروحة عليهم . وكانت الكميات الوفيرة من الوثائق التى جمعناها ، وحيوية بعض المناقشات ، دليلا لعلنا لسنا فى حاجة الى تأكيده ، على اننا لدينا الكثير الذى يجب ان نقوله وان نفعله .

ولم نخطىء عندما اعلنا منذ البداية ان الفرصة الوحيدة لحل القضية كانت تفترض فى المقام الاول النظر اليها كقضية .»

خيبة أمل فى صيف ١٩٦٧

لا نريد ان يفسر هذا الكلام على انه رضاء ذاتى عن النفس ! وحتى لو أننا اردنا ذلك فان تطورات النزاع حالت دون قيام مثل هذا الرضاء الزائف . فقد تثبت الوضع الناجم من العنف فى الصيف الماضى دون ان يبدو على الهيئات الدولية اى قدرة او رغبة فى معالجته . وقد عقدنا ولازلنا نعقد آمالا كبيرة على قيام تحكيم من جانب العالم الثالث ، فاذا بتقسيمات النفوذ تبرز من جديد خلال الدورة غير العادية لمنظمة الامم المتحدة . واتخذ عدد من الدول الافريقية مواقف غير متوقعة على اقل تقدير ، كما ان امريكا اللاتينية ، او بالاحرى حكوماتها ، سارت مع الولايات المتحدة . وهكذا فشلت الجمعية العمومية فى حل القضية بل وفى طرحها . وحتى اصدقاء العرب لم يعرفوا كيف يقدمون صيغة مناسبة للقضية . فان «ازالة آثار الهزيمة» لا تحل اى مسألة جذرية . وهكذا وقف قرار دول عدم الانحياز الى جانب ارجاء اى تسوية حقيقية وكانت المهادنة التى تسعى اليها بعض الوفود تدعو كلا من الطرفين الى التنازل : التنازل عن الامر الواقع بالنسبة لطرف . والتنازل عن الحقوق بالنسبة للطرف الاخر . ولا غرابة فى ان يرفض العرب ذلك ، فالاصرار على العدل يمثل آخر ملجأ لهم ، وهم يدركون تماما ان التنازل عنه يعنى ضياعهم الكامل .»

واذا سلمنا بان ارسال مراقبين من الامم المتحدة على خطوط وقف اطلاق النار كان امرا طيبا الا انه بدا فى الوقت نفسه كعامل من شأنه تثبيت العنف . فقد سارع احد الطرفين باعتبار ذلك تأكيدا للحدود الفاصلة ، ويخوله حق استخدام القناة ، على ان يتولى الزمن وتتولى التفرقة القيام ببقية المهمة .»

وانعقد مؤتمر الخرطوم فى اغسطس . وبدأت عمليات تقدير للخلافات بين الدول والانظمة والقيادات المختلفة . ودار الحديث حول الخط الصارم والخط المرن والخط الوسط .. وكان هذا يعنى تردى القضية الخطيرة فى مبتذلات السياسة ، تلك القضية التى راحت تعانى ، كما عانت فى الماضى ، ضعف صياغتها .»

ولا ارى وانا اكتب هذه السطور ان المناقشات الدائرة الان فى منظمة الامم المتحدة ، قد اتخذت اتجاها اكثر ايجابية مما كانت فى الصيف الماضى .»

عود الى الوراء

وعملا بالحق الذى خولته جماعتنا لكل اعضائها بالتعبير عن وجهة نظرهم الخاصة فى حدود الموقف العام ، فانى امنح نفسى حق التعرض لتحليل المواقف العربية لانها مألوفة لدى اكثر من غيرها .

ففى اجتماع الخرطوم بدا المعسكر العربى متفرقا الى اتجاهات قد نميل احيانا الى اعتبارها اقرب لان تكون مزايدات للاستهلاك الداخلى من ان تكون مخططات رشيدة . ففى مقابل المواقف المندفعة التى لا تبالى بمخاطر التطبيق ، نجد واقعية تستخف بالمبادىء . وانا لا اقصد هنا بلدا بالذات بل اشير الى تناقض يمزق بلا شك كثيرا من المواقف العربية . فكل شعوب العالم مرت ، بما فى ذلك شعبنا ، بمثل هذه التمزقات فى لحظات الكوارث القومية . ولكن المسألة تبدو اكثر تعقيدا فى هذه الحالة بالذات بسبب بعض السمات التى يجدر بنا ان نتمعن فيها .

فمن الواضح ان مصائب القضية العربية تنبع منذ جيل مضى من التأييدات الخارجية التى تمكنت الصهيونية من اكتسابها . على ان تلك المصائب ترجع ايضا الى ان العرب لم يسعوا الى كسب التأييد على مستوى الواقع ، اى على الارض وبواسطة رجال فلسطين ، بقدر ما سعوا الى تأييد شديد التعرض ، تباعا او فى آن واحد ، للمزايدات والتأليبات . ولا شك ان هذا التأييد ثمين ، بل واثمن مما كان فى وقت آخر ، خاصة وانه يواجه ما يشبه التحالف المضاد على نطاق العالم . على انه لا يستطيع ان يتفوق على احتياجات الواقع وتدرجاته . فالواقع يلزم فى المقام الاول الارض ورجال فلسطين انفسهم ، ثم الشعوب المتاخمة ، فالدول العربية المحيطة ، ومن

بعدها الشعوب الافروآسيوية ، واخيرا كل الذين يقفون فى العالم مع التخلص من الاستعمار ومع السلام والحرية . ولا نظن ان الفعاليةتستلزم فى كل هذه الحالات نفس النوع من الاساليب . فخسائر الماضى والحاضر التى يجب تداركها فى المستقبل تكمن فى الخلط بين العمل المباشر والمساندة الفعلية المادية او المعنوية فقط ، وبين الحماس والمواقف الايديولوجية ، هذا اذا لم يكن ذلك الحماس مجرد ديماجوجية او احلام .

فهذه المخاطر والاخطاء التى يستغلها العدو منذ ثلاثين عاما لايجب ان تكونمدعاة لخلق اوهام ونشرها . وتلك على الارجح هى النتائج التى توصلت اليها المناقشات التى دارت اخيرا فى الحوار الذى اجرى بين المثقفين العرب فى دمشق . فالقضية العربية يجب الا تجافى اى شىء من النقد ، بل يجب ان يتم الدفاع عنها بعزم وباللغة التى يفهمها العالم .

واذا كانت ردود فعل الشعوب العربيــــة صحيحة فى اساسها ، فهل نستطيع ان نقــول انها وجدت وسائلها المدروسة والتطبيقالسياسى المناسب ؟ هذا الواجب يقع على عاتق الحكومات كما يقع بقدر اكبر على عاتق الطلائع المكافحــة والمثقفة التى يتعين عليها ان تقدم له تعبيرا سليما بعيدا عن العاطفية غير الواقعية ، وبعيدا عن المناورات التى تتصور انها واقعية . ولا يمكن ان يتم هذا الضبط الدقيق بين الهدف والوسائل، وبين الامال والممكن ، وبين الاحلام والواقع الا بالتحليل (*)

ما هو النزاع الفلسطينى ؟

لا يقتصر الامر على مجرد نزاع عادى تتصدى فيه لبعضها امم صغيرة ، ولا يمثل خطورة الا لاهميته الاستراتيجية ، ولانه يخفى وراءه شبكة من التحالفات . فهذه المواجهـــــة لا تتعلق فقط باصطدام بين عدد من الشعوب ، ولكنها مواجهة بين نظرتين للعالم ، كل منهما تدافع عنشرعيتها. ان اصوات لوى ماسينيون ومارتن بوبير كانت مفتقدة فى هذا الحوار ، لتاكيد اوجه النظر المعبرة عن كل طرف ، ولكن هناك جانب آخر من النزاع يتعين تحديده تاريخيا . فهل يمكننا ان نتكلم فىقلب القرن العشرين عن اراض تمتاز عن غيرها بانها « مقدسة » او بانها ارض « الميعاد » ؟ السنا بصدد كوكب متحرر تقامر من اجل قيامه شجاعة الانسان وتتوقع المكافأة من تحقيقه ؟ ومن هنا فان قضية عرب ويهود فلسطين تندرج تحت قضية اكثر الحاحا ، ايا كان الطابع الخـــاص لقضية كل منهما ؛ واعنى بذلك قضيةتحرير العالم من الاستعمار ...

فحتى اذا تجردنا عن الحقائق المؤثرة لواقع هذين الشعبين ، واذا اختص الامر فى فلسطين لا باليهود والعرب ، ولكن بالهولنديين والمغول مثلا ، من ذا الذى يشك ان الغزو والاستعمار كان لابد وان ينشئا نفس النتائج والاثار ؟ وهل ينبغى علينا ان تختلف نظرتنا كلية لان الامر يتعلق باليهود والعرب ؟

وفى هذا الصيف ، كان جزء من الرأى العـــام الفرنسى يهنىء نفسه علىتحقيق مايشبه الانتصار بالتوكيل ، تماما كما لو كان العالم لا يعرفشيئا اسمه التحرر من الاستعمار كواقع او كأمل . ونشرت بعض المجلات الاسبوعية صورا لحـــرب مرحة تكاد تعتمد على حق الهى ! ومن الخطأ ان نستخف بمثل هذه السذاجات المريبة ! فكأن كل الدروس المستخلصة من التحرر منالاستعمار قد نسيت بهذه المناسبة . وفضلا عن ذلك ، هل كنا بصدد عملية تحرر من الاستعمار ، او ان هذه المرحلة التى تصورناها لحظة حاسمة فى العالم قد تم تخطيها ؟ وهل عملية التحرر مـــن الاستعمار كانت مجرد اعادة توزيعلعلاقاتالقوى فوق كوكبنا ؟ ! وهل المقياس النهائى فى الحكم على كل حدث ينبغى ان يستخلص من «السلام بمقتضى المفهوم الامريكى للكلمة ؟ ! » وهل من الممكن ان تكون هناك الان اعمال غزو مشروعة وعمليات استعمار طيبة ، واجراءات ضم مقدسة تماما كما توجد حاليا فى اماكن اخرى عمليـــات ضرب بالقنابل ديمقراطية ؟ وهل هناك ما يبرر عمليات احتلال الاراضى وطرد الاهالى تستطيع ان تصطبغ بالشرعية مع ايجاد مبررات اخرىغير الحجج التى كانت معروفة فى العهد الفيكتورى ؟

بالطبع فان القادة الاسرائيليين يرفضون مثل هذه التساؤلات باعتبارها خارجة عن الموضوع، على انهم لا يستطيعون ان ينكروا ان احتلالهم ايا كانت مبرراته ، يتصرف ككل احتلال آخر ، ومنذ الوهلة الاولى ، بدأت ، او بالاحرى استؤنفت من جديد الدائرة اللعينة للارهاب والقمع. وكانت موجة اللاجئين العرب الجديدة شاهداعلى مأساة جامعة .

اما الادعاء بان العرب يدفعون ثمن اخطــاء حكوماتهم او ثمن حق اسرائيل فى استعادة اراض كانت من نصيبها فى الازمنة الغابرة ، فما كان يستطيع ان يخفى واقع الاحتـــلال . غير ان الخسارة المعنويةالتى لا توهماسرائيلنفسها بانها لم تحققها ، قابلتها امتيازات على الارض : فرض

نبضتها على فلسطين بأسرها ؟ وعلى جزء من سوريا ومصر ،واشراف ارضى على قناة السويس، وتفوق واضح فى التسلح والتنظيم .

وسواء كانت اقامة الصهيونية بفلسطين عودة الى ارض الميعاد او تعويضا عن مظالم دامت قرونا عديدة او ثمنا للالام التى عاناها اليهود خلال الحرب العالمية الاخيرة ، فان كل ذلك لا يمثل فى نظر الذين يتحملون الثمن شيئا مختلفا عن قومية غربية مستوردة أو فرعا من فروع الاستعمار .

وكيف يمكن انكار ان هذا المظهر لا يؤثر اكثر فأكثر على غيره من المظاهر ؟ ان نزاع عام ١٩٦٧ ليضفى على نزاع عام ١٩٤٨ مغزى ما كان احد يتصور ابعاده عندما بدأت عملية توطين الجماعات الاولى . وسواء اردنا او لم نرد فان هذا التغيير الذى استحدثته من الجانبين بواسطة الارتباطات الدولية ، يسيطر وستزداد سيطرته على تعريف النزاع .

ثلاثة اسئلة

علينا أن نقوم بمسئولياتنا تجاه الاسئلة الثلاثة التالية :

١ ــ هل من الممكن ان تفرض ــ كدولة بسكانها واراضيها وسيادتها ــ مؤسسة سياسية ذات طابع غربى ونابعة من حضارة صناعية ، وسط منطقة تسكنها من قبل شعوب اخرى فى طريقها الى الانطلاق الوطنى والتقدم ؟

٢ ــ لا شك ان هذه الحالة لا تزال قائمة منذ عشرين عاما وهى متمتعة بقرار من هيئة الامم المتحدة وبطاقتها فى التصرف وفى العمل العسكرى. ولكن هل هذه الطاقة قادرة على الوقوف على قدميها بلا مساندات خارجية فادحة ؟ وهل من الممكن الدفاع عن شرعيتها بلا اتفاق مع شعوب المنطقة ؟

٣ ــ لا يمكننا ان نتوقع هذا الاتفاق من خلال مراكز قوى . ومن جهة أخرى ، هل العودة الى وضع عام ١٩٤٨ امر عادل وعملى ؟ الا يكون من المشرف للطرفين ومن المحقق لامنهما ان تسوى المسألتان الاساسيتان فى القضية وهما مسألة هجرة اليهود ومسألة اللاجئين العرب ؟

أمل ورهان

ان التمادى فى التقديرات والحسابات يتعدى مضمون هذا الكتيب الذى أوردت فيه جماعتنا عددا من اعمالها الاولى . وانى اكرر مرة اخرى ان هناك فروضا عديدة مقدمة فى اطار وحدة الهدف ، وتوجد بين هذه الفروض هامش من الامكانيات التى سيختار التاريخ من بينها . فأى بحث لا يمكنه على اى حال ان يحل محل التصرف الواقعى للبشر وللامور . ومن الممكن ايضا الا تؤدى هذه الابحاث الى اى نتيجة ان لم تؤد الى ما هو اسوأ . وقد تعودنا على مثل هذا الاحتمال للاسف من خلال منازعات اخرى ظلت متجمدة نتيجة العداوة الشديدة بين اطراف النزاع ،ونتيجة لعدم اكتراث الغير . على اننا سنكون قد ساهمنا بدفاعنا عن حل ممكن وضرورى ، فى استبعاد مثل هذا الاحتمال .

كم نحن فى حاجة الى هذا الحل الممكن والضرورى ؟ . فتمسك اسرائيل بالاحتلال وتمسك العرب بالرفض لا يمكن ان يستمر سواء من هذا الجانب او ذاك . لقد ضمت القدس وشلت القناة وطرد مئات الالاف من المزارعين من بلادهم او اخضعوا للمنتصر : وموقف من هذا النوع لا يمكن ان يستمر . ولا تستطيع اى سياسة دولية ان تحافظ على هذا الوضع الشاذ . وهكذا يبدو ان التقديرات الاسرائيلية معتمدة على التفاوض ابتداء من مركز قوة ، تقديرات خاطئة فى المدى القصير .

ولا شك ان هذا هو احساس البلاد العربية التى تقود عملية المقاومة ، ولكنها لا تستطيع ان تتجاهل فى نفس الوقت مخاطر الفرقة ،والتراجع من جراء الحفاظ على حالة من التوتر ، تؤثر على النشاطات الحية لبعض هذه الدول . لقد افادها الرفض فى مواجهة الامبريالية الانجليزية والفرنسية . فهل هذه البلاد واثقة من ان استخدام نفس السلاح بلا قيد ولا شرط سيفيدها فى هذه الحالة الخاصة ؟ ان المساندة من جانب المعسكر الاشتراكى ، المشجعة دون ان تكون حاسمة ، لا تكفى الى ما لا نهاية لاقناعها بالمشاركة فى مناقشات دولية لا أمل منها فى الحصول على تفهم. على ان الصواب لا يكون فى عصرنا هذا الا من خلال الاخرين . وكل تصرف رشيد لابد ان يعترف بالعالم لكى يتقبله منه . ولا يمكن ان تكمن قوتنا فى الانفراد بذاتنا .

ولذا فمن الحكمة ومن الفطنة ،لكل من الطرفين ومن اجل السلام العالمى ، الا نلجأ الى المفاوضات ما دامت تفترض منذ البداية تحقيق النتيجة التى يطالب بها احد الطرفين ، بل ان نلجأ الى تحكيم

يحدد المبادىء التى بدونها لا يمكن أن تجرى مفاوضات حقيقية .

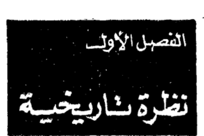
وهذا مجرد امل او مجرد رهان اذا شئنا .

وقد ينجرف الشرق الادنى فى عملية تدميرتجعله مجالا لمواجهات مضرة بكيانه الذاتىاكثر مما كانت مضرة فى الماضى . وقد تكون العودة الىالتحليل والى مبادىء التعامل الدولى الواضحةوالمتوارية، وسيلة لعودة السلام والحرية فى هذا الجزء من العالم .

وهذا هو الذى تهدفنجماعتنا الىعمله ـ على ضعف ـ ما تملكه من وسائل .

جاك بيرك
اول ديسمبر ١٩٦٧.

■■■



التاريخ القديم والتاريخ المعاصر

موريس بوتان

طلب منا عدد كبير من الاعضاء والمراسلين ان نقدم نبذة تاريخية من احداث فلسطين . وقد قمنا بوضع تسجيل زمنى للتواريخ وللاحداث الهامة ،لان هذا المنهج ، فى راينا ، اقرب الى الموضوعية من اى منهج آخر . وبالطبع فان تفهم واستيعاب ابعاد هذه الاحداث يستدعى الا ننسى ابدا الخلفية الدائمة لها وهى : تاريخ الشرق الاوسط منذ عام ١٩١٨ ، الدور الامبريالى للدول الكبرى :فرنسا وانجلترا حتى عام ١٩٤٧ والولايات المتحدة بعد هذا التاريخ ، ظهور الاتحاد السوفيتى على مسرح الاحداث فى عام ١٩٥٧ ، سيطرة كارتيل البترول على المملكة العربية السعودية (ارامكو) وعلى العراق (شركة بترول العراق) والصراع بين القادة التقدميين والرجعيين العرب.

(١) بعض التواريخ

■ ١٠ قرون قبل الميلاد

قيام المملكة العبرية الموحدة فى ارض كنعان (داود وسليمان)

■ عام ٧١٩ قبل الميلاد

الاستيلاء على السامرية، وطرد اهالى مملكة اسرائيل . بداية عملية تشريدهم على نطاق واسع ، (الدياسبورا) .

■ عام ٥٨٧ قبل الميلاد

« نبوكد نصر » يدمر معبد سليمان . نقل الاسرى من السكان الى بابل .

■ عام ٥١٥ قبل الميلاد

اعادة بناء المعبد من جديد بعد ان اصدر كيروش فى عام ٥٣٨ ق.م. ، قرارا ، بعد انتصاره على بابل ، يسمح بعودة طائفة اليهود وطقوسها الى اورشليم .

■ **عام ٦٦ بعد الميلاد**
تمرد الشعب اليهودى على الرومان .

■ **عام ٧٠**
استيلاء تيتوس على اورشليم . التدمير الثانى للمعبد . ابادة ٦٠٠ الف يهودى حسب ما اورده المؤرخ تاسيت . زوال اى كيان ذاتى لليهود .

■ **عام ١٣٢**
آخر تمرد لليهود تحت قيادة بار كوشاك.فشل التمرد وسحقهم بناء مدينة جديدة فوق اورشليم تحت اسم « ايليا كابيتوليتا » الامبراطور هادريان يصدر قرارا يستبق بمقتضاه كل اليهود والمسيحيين التابعين من أصل يهودى من المدينة .

اقليم يهودا يتخذ اسم **فلسطين** لمحو اى ذكرى لوجود اليهود من قبل .

■ **عام ٤٣٨**
اول قانون، تصدره الامبراطورية الرومانية المسيحية يقرر التفرقة فيمعاملة اليهود .

■ **عام ٦٣٦**
دخول **العرب** فلسطين وطرد البيزانطيين . البلاد تتحول جزئيا الى بلاد عربية اسلامية تتعاقب على السلطة السياسية سلسلة من الدول الاسلامية المختلفة الاصول .

■ **عام ١٠٧١**
السلاجقة المنتمون الىاصل تركستانى يحتلون البلادبدورهم

■ **١٠٩٦**
اول عمليات اضطهاد وابادة على نطاق واسع ضد اليهود فى اوربا بمناسبة الحروب الصليبية .

■ **عام ١٠٩٩**
تاسيس مملكة اورشليم اللاتينية على اثر اول حملة صليبية .

■ **عام ١١٨٧**
المسلمون ، بقيادة صلاح الدين ، سلطان مصر، يستولون من جديد على كل اراضى فلسطين .

■ **عام ١٥١٧**
فلسطين تتحول الى اقليم **يتبع امبراطورية الاتراك العثمانيين** . احتفاظ سلاطين استمبول بالسلطة السياسية فيها حتى عام ١٩١٨ .

■ **عام ١٧٩١**
الجمعية التشريعية (فى الثورة الفرنسية) تمنح يهود فرنسا المساواة التامة فى المعاملة .

(٢) نشأة الصهاينة فى العالم

تظهر وسط بعض اليهود فكرة اعادة بناءمملكة اسرائيل القديمة فى شكل دولة حديثة نتيجة الامال الواردة فى الرؤيا ، والتى تتكلم عن عودة صهيون ، ونتيجة للاحساس بالحاجة الى«الوطن» المفتقد والشعور بالمعاملة كمواطنين من الدرجة الثانية .

وتظهر هذه الدعوة منذ القرن السابع عشر ولكنها لا تتبلور الا فى نهاية القرن التاسع عشر بالرغم من تقدم عملية انصهار يهود أوربا الغربية وامريكا. وفى حوالى عام ١٨٨٠ ، اصبحت عمليات الإبادة فى روسيا وبولندا وقضية دريفوس فىفرنسا، اهم احداث القرن التاسع عشر بالنسبة لليهود .

■ **عام ١٨٨٠**
اليهودى الروسى «بنسكر» ينشرمؤلفه « **التحرير الذاتى** »

■ **عام ١٨٩٨**
تيودور هرتزل المجرى ينشر « **الدولة اليهودية** » ثم ينشر بعد ذلك بسنوات كتابا جديدا بعنوان « **الارض القديمة الجديدة** » (١٩٠٢) .

يعمل هرتزل مراسلا فى باريس لجريدة «نيوفراى برس» التى تصدر فى فيينا، وهو يعانى منقضية دريفوس، **ويتصوران الصهيونية هى الوسيلة لحل القضية اليهودية** : فاليهود عاجزون عن الاندماج بشكل فردى فى القوميات الاخرى ، ولذا يجب ان يتكون منهم شعب منفصل، يتجمع فىدولة مستقلة وهو يتصور ان الصهيونية ليست سوى حالة خاصة لتطبيق نظرية القومية التى انتصرت فى القرن التاسع عشر باوروبا، على انهرتزل **مستعد لقبول أى مكان** فى بحثه عن ارض يختص بهااليهود وحدهم، وهو يفكر بشكل خاص فى هضاب مدغشقر وفىاوغندا . .

لا تتقبل « المساعدة » الصهيونية ، ومنها بالاخص وايزمان ، اول رئيس لدولة اسرائيل فيما بعد ، التردد فى موقف « نبى » الصهيونية . ففى **المؤتمر الصهيونى الاول** المنعقد فىمدينة بازل عام١٨٩٧، يصدر برنامج يقول ان « الصهيونية تهدف الى تكوين وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، يضمنه القانون العام » .

ولنذكر بهذا الصدد أنجماعة « أحباب صهيون » وهىالحركة التى نشأت فى روسيا ، تعتبر أن الارض الوحيده التى تقبلها كوطن لليهود هى الاخرى التى يتوجه اليها كل اليهود المؤمنين عند احتفالهم بعيد الخروج من مصر منذ تشتيتهم فى الارض ، وتعبر عنذلك الدعوةالشعائرية التى يرددونها فى هذه المناسبة : « العام القادم فى أورشليم » .

وهكذا فانمطالبتهمبفلسطين بالذات ، الارض التى عاشفيها اجدادهم ، لا ترجع لاسباب اقتصادية اواعتبارات تاريخية، ولكن لان فلسطين ارض الميعاد اى جزء من تراثهم ومن العهد الموسوى . والتمسكبفلسطين بالنسبة لهمدليل على اخلاصهم لذاتهم عبر القرون المتعاقبة : على أن فلسطين، بل واورشليم نفسها ، لم تكن ابدا بالنسبة لليهود ما تمثله بولندا مثلا بالنسبة للبولنديين طوال فترة تقسيمها . كانت اكثر واقل من ذلك فى آن واحد : فهى وطن روحى غير معروف لهم وشبه

اسطورة . وكانت الصهيونية السياسية فى اغلب الاحوال تحت قيادة رجال غير متدينين او معتدلين للغاية فى معتقداتهم ولكنهم انضموا لهذه الفكرة لكونها متغلغلة فى السواد الاعظم من القاعدة الجماهيرية .

ومن حيث الواقع لم يبق فى فلسطين الا عدد قليل من اليهود . واذا كان بعضهم يذهب اليها فهو ينتقل الى هناك لقضاء بقية ايام حياته وليدفن فى ارضها ، وبالرغم من وجود شواهد على رجوع بعضهم خلال القرون المتعاقبة ، الا ان عددهم فى فلسطين كلها لم يزد عن ١٥ الف نسمة فقط فى عام ١٨٥٠ . وكان « احباب صهيون » اول من فكروا منذ عام ١٨٨٠ فى الاستيطان الزراعى فى فلسطين . غير ان هذه المحاولة كان مآلها الفشل على الارجح، لولا تدخل البارون ادمود دى روتشيلد . وفى عام ١٨٩١ ، ارسل اعيان القدس من المسلمين التماسا لاستامبول يرجون فيه وقف هجرة اليهود وبيع الاراضى لهم.

■ **عام ١٩٠٣ — ١٩٠٤:**

يشترى روتشيلد اراضى العرب على اثر مفاوضات ناجحة مع السلطان ، ويرسل فنيين زراعيين الى البلاد . ولا يعمل هؤلاء المستوطنون الاوائل بأنفسهم فى الارض فالفنيون من اليهود ، اما اليد العاملة فلا تزال عربية .

■ **عام ١٩٠٥:**

ينشر اللبنانى نجيب ازورى، وهو احد مؤسسى فكرة القومية العربية كتاب « صحوة القومية العربية فى آسيا التركية » وهو يلاحظ ظاهرتين هامتين فى تركيا : صحوة القومية العربية ، ومجهودات اليهود لاعادة تأسيس مملكة اسرائيل فيقول : « ومكتوب على هاتين الحركتين ان تظلا فى صراع حتى تتغلب احداهما على الاخرى » .

■ **عام ١٩٠٦:**

على اثر اعمال القمع والاباده الواسعه النطاق فى روسيا بعد فشل ثوره ١٩٠٥، ينتقل عدد من المهاجرين الروس المتشبعين بافكار تولستوى الى فلسطين لكى يسيطروا عليها بالعمل اليدوى فيؤسسوا « الكيبوتزيم » الاولى .

■ **عام ١٩٠٨:**

الوكاله اليهودية (تحت قيادة الحركه الصهيونية وبتمويل من اليهوديه العالميه) تتاسس فى يافا لمتابعة وتنشيط عملية الاستيطان .

■ **عام ١٩٠٩:**

تأسيس مدينة تل ابيب

■ **عام ١٩١١:**

الحاخام بن يهودا ينتهى من عمل يتضح فيما بعد اهميته الكبرى : فهو يتوصل الى انشاء لغة عبريه حديثه يمكن ان يستخدمها كل يهود العالم الذين يريدون الذهاب الى فلسطين .

الاستيطان اليهودى لا يتقدم الا بخطى بطيئة للغاية حتى قيام الحرب ، ولكنه يعتمد من الان على مبادىء واساليب محدده ، فقد اقيمت قاعدة الوطن القومى اليهودى بوصفها اول اهداف هذا الاستيطان .

(٣) فلسطين عشية حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

يتراوح عدد يهود فلسطين بين ٥٠ و ٦٠ الفا فقط ، وسط عدد من السكان يربو على ٧٠٠ الف نسمة . وهم لايملكون سوى ٢٪ من مجموع مساحة الاراضى . اما البقية فهى فى ايدى اهالى من جنس خليط ، يتكلمون العربية وان كانوا ينتمون من حيث اللغة والثقافة الى مجموعة اكبر تضم سكان سوريا، وبين النهرين (العراق) وشبه الجزيرة العربية ومصر، والاغلبية الساحقة من هؤلاء العرب تعتنق الاسلام ، ونقل نسبة المسيحيين بينهم عن ١٠ ٪ .

وهم يعيشون فوق ارض يعتبرون انفسهم ملاكها الشرعيين منذ قرون . غير ان الشعور القوى لم يستيقظ بعد بينهم فلا تزال فلسطين تحت الحكم العثمانى) وهى عبارة عن وحده ادارية مستقله تدخل فى نطاق منطقه جغرافيه معروفة باسم سوريا .

(٤) حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

■ **اكتوبر ١٩١٤:**

تركيا تدخل الحرب فى صف امبراطوريات وسط اوروبا . ينجح الحلفاء فى اثاره بعض القبائل العربية ضد الاتراك . انها « ثوره الصحراء » التى لعب فيها لورانس الشهير دورا معروفا . وهو يرى ، مع اصدقائه العرب ، انه من الواجب احياء عظمه الماضى باقامة مملكه عربيه ، وتعد الحكومة الانجليزية من ناحيتها بتقديم المساعده للعرب فى كفاحهم من اجل التخلص من السيطرة التركية .

■ **يوليو ١٩١٥ — مارس ١٩١٦:**

تبادل الخطابات بين حسين (شريف مكة) وماكماهون . (تصر الحكومة البريطانية دائما على ان هذه الوعود لاتشمل ارض فلسطين) .

■ **مايو ١٩٦٦:**

الاتفاقية المبرمة بين سيرمارك سايكس ومسيو جورج بيكو (اتفاقية سايكس — بيكو) ليست سوى عملية تقسيم للشرق الاوسط الى مناطق نفوذ فرنسية وانجليزية، اما فلسطين ، وقد اعتبرت فى حالة ادنى من ان تكون تحت الوصاية ، وضعت « تحت ادارة عالمية يتقرر شكلها بعد التشاور مع روسيا ، وعلى اثر الاتفاق مع حلفاء آخرين وممثلى شريف مكة » .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان هذا القرار يهدف الى التوفيق بين المطالب الفرنسية والانجليزية والروسية المتنافسة ، باسم الاماكن المقدسة المسيحية، وبلا اى ارتباط بالحركة الصهيونية.

■ ٢ نوفمبر ١٩١٧

وعد بلفور الشهير ، وهو عبارة عن خطاب من بضعة سطور موجه من وزارة الخارجية البريطانية الى لورد روتشيلد ، بوصفه ممثل اللجنة السياسية التابعة للمنظمة الصهيونية . وفى هذا الخطاب يعلن وزير الخارجية البريطانية باسم حكومته انها « تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وتريد ان تبذل كل جهودها لتحقيق هذا الهدف ، على ان يكون من المفهوم بوضوح انها لن تفعل اى شىء قد يضر بالحقوق الدينية او المدنية الخاصة بالجماعات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ، ولا بالحقوق والاوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى اى بلد آخر . »

■ ١٠ ديسمبر ١٩١٧

جيش النبى يدخل القدس .

■ ١٤ فبراير ١٩١٨.

فرنسا تنضم الى وعد بلفور، ومن بعدها بقليل ايطاليا ثم الولايات المتحدة .

■ خريف ١٩١٨.

القوات الانجليزية تحتل فلسطين بأسرها .

■ ٧ نوفمبر ١٩١٨.

اعلان مشترك للقيادة العليا الفرنسية والانجليزية فى الشرق الاوسط ، يعترف « بحق تقرير المصير » للشعوب التى تم تحررها من الحكم العثمانى .

— وترتب على **الوعود** المبذولة اثناء الحرب ، نتائج خطيرة بالنسبة « للقضية الفلسطينية » .

١) الحكومات العربية تستطيع ان تطالب بتحقيق الوعد المبذول لها بخصوص استقلال فلسطين العربية ، وتؤيد هذه الحجة ، الحجج المبنية على الوجود العربى فى فلسطين، وعلى حق الشعوب فى تقرير مصيرها . وتؤكد هذه الحكومات ايضا ان لفلسطين مغزى دينيا وروحيا لكل من المسيحيين والمسلمين فى انحاء العالم بأسره ، وان قدسيتها بالنسبة لهم لا تقل عن قدسيتها بالنسبة لليهود . ولا شك ان المعبد اقيم فى فلسطين ولكن موعظة الجبل وصلب المسيح تما هناك ، كما يعرض فى هذا المكان واحد من اقدس الاماكن عند المسلمين ، على ان هذه الحقائق لاتمنح المسلمين او اليهود فى العالم اى حقوق ارض مطلقة على حساب الاهالى المحليين .

٢) اما اليهود فيرون من جهتهم انهم مسلحون بوعد دولى باقامة وطن قومى لهم، سيتحول فيما بعد الى دولة اسرائيل المرتقبة ، عندما يصبح السكان اليهود اغلبية .

■

قبل النزاع بتسعة شهور

رسالة مكسيم رودنسون الموجهة الى معهد جويفا ـ هافيفا (١)

ايها السادة !

يؤسفنى انى لن اتمكن من حضور الحلقة الدراسية العالمية لاحياء ذكرى البروفسور مارتن بوبير ، فظروفى الصحية تمنعنى حاليا من ترك فرنسا .

واود ان أؤكد للحلقة الدراسية عطفى على الاهداف التى كانت تعتمل فى فكر هذا الرجل العظيم، مارتن بوبير ، وعلى نظرته الانسانية العميقة للقضايا السياسية التى لابد وان يعجب بها المرء حتى ولو لم يوافق على كل ارائه الفلسفية والسياسية.

واود ان الفت نظر المشتركين فى هذه الحلقة الى النقاط التى يبدو لى ان الكثيرين منهم يهملونها فى أغلب الاحوال ، والتى ارى فى

(١) ارسل هذا الخطاب للحلقة الدراسية العالمية المنعقدة بمناسبة وفاة مارتن بوبير ، وقد عقدت من يوم ٣ الى ٧ سبتمبر عام ١٩٦٦ فى معهد جويفا ـ هافيفا (باسرائيل) تحت رعاية صندوق بوبير التذكارى للتفاهم اليهودى العربى ـ وقد نشر هذا الخطاب بالانجليزية فى مجلة « نيو اوتلوك » (نظرة جديدة) التى تصدر فى تل ابيب ـ المجلد العاشر العدد ١ (٨٥) ، يناير ١٩٦٧ (ص ٣٨ ـ ٤٠) تحت عنوان « الوضع الناجم عن قيام اسرائيل » .

نظري انها اساسية بعد مرور عشرات السنين من الدراسة والتجربة للعلاقات اليهودية العربية ».

١ ـ تكتفي ، في اغلب الاحوال ، مثل هذه الاجتماعات في اسرائيل بالدعوة الى قيام علاقات افضل بين اليهود والعرب في نطاق دولة اسرائيل . ولا شك ان هذه النداءات سليمة ، فهي تسمح للعرب بصفة عامة ان يتبينوا ان هناك عددا من اليهود على الاقل يكنون نوايا طيبة تجاه جزء من العرب ، كما أنها (أي النداءات) ستكون فعالة في مكافحة تفاقم الموقف العنصري عند يهود اسرائيل . غير ان هذا الاتجاه ابعد عن ان يفي بالتقارب العربي ـ اليهودي ما دامت القضية الاساسية التي يثيرها النزاع الدولي بين العرب واسرائيل لم تواجه صراحة .

٢ ـ ان الدعوة الموجهة الى العرب للتخلي عما يطلق عليه في اغلب الاحوال « معاداتهم للسامية » لن تجدي اطلاقا ، ما لم تكن هناك اضافات مناسبة لها . فتشبيه موقف العرب بمعاداة السامية بالمفهوم الاوروبي ليس سوى غش ، حتى ولو تلاقت احيانا عداوة العرب لاسرائيل بالافكار المعادية للسامية . كان موقف الاوروبيين المعادين للسامية يعتمد على اسطورة نابعة من وضع معين . وحتى لو كان هذا الوضع مفيدا لبعض اليهود ، فان الموقف المعادي للسامية لم يكن له ما يبرره لانه لم يكن من صنع اليهود ، بل من صنع المجتمع الاوروبي المتحرك ضد اليهود . ولم يكن من الممكن ايجاد العلاج لهذا الوضع بالكفاح ضد اليهود عامة ، او ضد جماعات معينة من اليهود .

اما موقف العرب ، فهو ناجم على العكس من ذلك تماما ، من وضع خلقه اليهود انفسهم . وهذا ما تجبرنا الحقائق التاريخية على الاعتراف به حتى ولو قيل ان المشروع الذي خلق هذا الوضع له مبرراته (وهذا ما لا اراه انا) والافكار المتولدة عند العرب حول اليهود ناتجة عن هذا الوضع ، وستفقد فعاليتها بانقضائه . ولذا فالعلاج يتمثل في وضع نهاية لهذا الوضع ، ولو بالكفاح ضد جماعات اليهود التي تعارض في تغييره .

٣ ـ من العبث وغير المجدي ان نتوجه الى العرب مع الرفض المبدئي لفكرة تغيير الوضع الراهن . فهذا معناه مطالبتهم بالاستسلام . وقد تجبرهم تطورات الاحداث الى قبول الوضع المفروض عليهم ، على ان ذلك لن يكون على اي حال من جراء نشاط الندوات او المؤسسات . فاذا كان البحث يدور حول اتفاق اخر غير الاتفاق المفروض عنوة ، فلابد على الاقل من تقديم مشروع يمكن ان يكون نقطة بداية لقيام مفاوضات . واعتقد ان هذا المشروع يجب ان يكون اقامة دولة فلسطينية ذات قوميتين ، يهودية وعربية ، وتضم كل اراضي فلسطين القديمة التي كانت تحت الوصاية مع توفير ضمانات حقيقية لا تسمح لاي من العنصرين بالسيطرة على العنصر الاخر . وهذا يفترض بالطبع اعادة النظر في الحدود والمؤسسات السياسية القائمة ، واسمح لنفسي بان اؤكد ان تلك كانت فكرة يهوذا مانييز ومارتن بوبير عشية قيام حرب فلسطين . ولا يبدو لي اطلاقا ان هذه الفكرة غير واقعية في الوقت الراهن . وهناك عوامل كثيرة يبدو انها ستساهم في تحقيقها .

٤ ـ من العبث وغير المجدي ان توجه الدعوة الى القوى الثورية العربية . فالمطالبة بالارض التي انتقلت الى ايدي اسرائيل لا تزال مطلبا وطنيا لا يستطيع اي نظام سياسي او اجتماعي عربي ان يتجاهله ، حتى ولو كانت العناصر الرجعية هي التي تزعمت هذا المطلب في الماضي ، وقد يبرز هذا المطلب في المقدمة او يتراجع ، حسب عوامل السياسة الداخلية او الخارجية التي تتطور بشكل لا يمكن التنبؤ به مقدما ، ولكنه لا يتوقف على طبيعة النظام السياسي الا بشكل جزئي . وقد تتخذ دولة عربية ثورية موقفا اكثر اندفاعا نحو الحرب من دولة رجعية لاستعادة الارض . وقد حدث هذا مرارا من قبل ولاسباب مفهومة .

٥ ـ من العبث وغير المجدي البحث عن تقارب مع العرب ابتداء من فكرة الحقوق التاريخية لليهود على ارض فلسطين . فهذه الفكرة غير مقبولة بالتحليل العقلي الرشيد . ومن المهم ان نوضح انها غير مستساغة من العرب ، وستظل كذلك . لا شك اننا لا نستطيع ان نطالب كثيرا من الاسرائيليين بالتخلي عن الاسطورة الخاصة بنشأة وطنهم ، تلك الاسطورة الدينية عند بعضهم والقومية عند البعض الاخر . ولكن قد يكون من الممكن ان ندفعهم الى ادراك ان الافتراض جعل هذا نقطة الانطلاق امر يجعل اي حوار مع العرب مستحيلا ، كما انه يجعل من الصعب ايديولوجيا التفكير في الاجراءات المقترحة في البند الثالث المذكور سابقا ، والتي حاولت ان اوضح ضرورتها واذا كنا لا نريد ان نحول هذه الفكرة الى مجرد اسطورة myth فيجب على الاقل ان نستبعدها وان نضعها بين قوسين عندما نتقابل مع العرب .

٦ ـ يجب على الاسرائيليين وعلى اليهود غير الاسرائيليين المنتمين الى تفكيرهم في السياسة الدولية ، ان يكفوا عن تقديم المطالب والاصرار عليها بالتلويح بالتشهير وبالاتهام بالخيانة ومعاداة السامية ، لكي يفرضوا على غيرهم من اليهود الانضمام اليهم ، وهذا لمصلحتهم . لقد نشب النزاع الاسرائيلي العربي من جراء دعاية واعمال مجموعة من اليهود ، اي الصهيونيين

الذين نشطوا ضد رأى وارادة مجموعات كبيرة من اليهود . ويجب ان يتحملوا النتائج المتوقعة المترتبة على اعمالهم (وقد توقعها مارتن بوبير بالاخص) . ومن حسن الحظ انه لا يمكن تحقيق الدعوة الى تكوين كتلة يهودية واحدة على النطاق الدولى لتدعيم سياسة تقررها مجموعة من اليهود . وبقدر ما اوحت الدعاية الصهيونية للعالم انها اصبحت على وشك تحقيق هذه الفكرة ، بقدر ما تسببت فى نشر معاداة السامية . ولو ان هذا المشروع تحقق ، لادى الى تأكيد اسطورة معاداة السامية التى وقف ضدها اليهود والليبراليين فى الماضى وكشفوا طابعها الاسطورى

٧ — من الممكن ان يحدث تقارب بين الاسرائيليين والعرب اذا نمت داخل اسرائيل الحركات التى تتجاوب مع آمال العالم الثالث ، والتى يشارك فيها العرب ، ولا ان تساير افكار العالم الامبريالى المتقدم صناعيا، والتطرف القومى الاسرائيلى واليهودى .. الخ . وبالطبع فان اقامة حكومة على هدى هذين المثلين الاعليين سيكون من العوامل المشجعة .

٨ — ان الدعوات المختلفة للتقارب على المستوى الدينى مع المسيحية وحتى مع الاسلام ، مقبولة كغيرها من الدعوات الى التسامح الدينى . على انه من المفيد ان ندرك تماما ان هذه الدعوات لن تكون ذات فعالية على المستوى السياسى ، وهو المستوى الاهم حسب مفهوم حلقتكم الدراسية .

وانى لاتمنى لاجتماعكم التوفيق ، وارجو ان تكونوا على ثقة تامة من اخلاصى الكامل لقضية التقارب بين اليهود والعرب

مكسيم رودنسون
سبتمبر ١٩٦٦

■

خط حركة « الجماعة » من يونيو الى نوفمبر ١٩٦٧

(٨ يونيو ١٩٦٧) نداء من أجل « فحص القضية من أساسها »

« حيث ان الموقعين ادناه مقتنعون بانه لاتوجد امكانية لايجاد حل حقيقى للنزاع الفلسطينى عن طريق الحرب :

— فانهم يتوقعون من الامم المتحدة أو من أى مبادرة دولية، خاصة اذا جاءت من العالم الثالث ، أن تصر على اجراء مفاوضات وعلى فحص القضية من اساسها ، بوصفهما الوسيلتين الوحيدتين للتوصل الى حل سلمى دائم .

— ويدعو كل ذوى النوايا الطيبة الى البحث عن التدبيرات والتعويضات والاستحداثات التى تسمح بقيام تعايش بين الشعبين اليهودى والعربى فى فلسطين » .

توقيعات

كلود كاهين ، ر. بلانشير ، مكسيم رودنسون ، جاك بيرك ، بيير كوت ، م. دى جانديالك ، اندريه فيليب ، ش. بتلهايم ، الرئيس جرونبوم — بالان ، مارسيل باتايون ، ح. بوفريه هنرى ليفيفر ، روبير بورون ، م. ديجى ، دنييز بارا ، تيودور مونود ، جرمان تيون ، ج. برونتو ، سيرج جوناس ، اندريه وانيين برنان ، ناوا توميش ، د. ديموس ، جونار روزا ، ك. فانسان ، ر. رودريجيز ج. فسلافسكى ، ى. رو ، جانين فرديس ، جاك ميتر ، الانسه د. لابيل ، ش. ملامود ، مدام ايمانويل مونييه ، مادلين تريبو ، ف. رايل — سولت ، مدام ميشيل بوفيلار ، ح.ك. دريفوس ، كولبت دريفوس — بريساك ، رينيه شيرير ، م. كفينج جان فافريه ، ف. شاتلين ، ه. برتولى ، س. سيرنوش ، ج. شابيرا مدلين ديبيريو ، جان ودمنيك ، ديسانتى ، ا.ب. لانتان ، الامير جزافييه دى بوربون بارم ، اليبون ديوبه .

١٦ يونيو ١٩٦٧

استجاب لهذا النداء حوالى مائتى شخص من باريس والاقاليم والخارج . وفى يوم ١٦ يونيو اجتمع اكثر من مائة وعشرين شخصا لتكوين «جماعة البحث والعمل من اجل حل القضية الفلسطينية» تحت رئاسة السادة بورون ، ب . كوت ، ر . بلاشير .

وقد عرض السيد رودنسون الاهداف التى تسعى اليها الجماعة فتمت الموافقة عليها بالاجماع . وهذا هو نص الاهداف :

(أ) البحث عن اسباب وسمات النزاع الاسرائيلى العربى من زاوية الاستفادة من هذا البحث فى القاء الضوء على امكانيات التوصل الى تسوية دائمة للقضية .

(ب) نشر نتائج هذا البحث لابلاغها للرأى العام والسلطات العامة والدولية .

ومن حق اعضاء الجماعة ان تتباين آراؤهم حول جذور وخلفيات هذا النزاع . والحد الادنى للموقف المتفق عليه فيما بينهم هو :

١ — ضرورة بذل اكبر الجهود من اجل التوصل الى حل سلمى لهذا النزاع الاليم والخطير ، على ان يضمن التعايش فى العدل بين الجماعتين المقيمتين على ارض فلسطين .

٢ — ولما كان هذا التعايش لا يمكن أن يظل قائما اذا فرض احد الشعبين ارادته على الاخر بالقهر ، فانه من الواجب البحث عن التدبيرات والتعويضات والاستحداثات للوضع السابق على الازمة الحالية ، والتى تسمح بقبول الطرفين تسوية شاملة ونهائية .

وتنفيذا لهذا البرنامج تقرر فى نفس الاجتماع ان تتولى مجموعة من اعضاء الجماعة (١) مهمة انجاز الاعمال الجارية وان تتشكل اربع لجان دراسية (لجنة سياسية ، ولجنة اقتصادية ، ولجنة قانونية ، ولجنة القدس) على ان يكون مفهوما ان كل الاقتراحات المقدمة كتابة فى اطار برنامج العمل ، ستقبل بكل ترحاب حتى يتيسر للاعضاء المقيمين خارج باريس التعبير عن وجهات نظرهم

من يونيو الى نوفمبر

انضم عدد كبير من الاشخاص عن اقتناع ، بغض النظر عن انتماءاتهم ومعتقداتهم بضرورة البحث الموضوعى عن « حل جذرى » يستبعد كل عنصرية ، ايا كان مصدرها . وانضم للجماعة خلال هذا الصيف اكثر من خمسمائة شخص من بينهم عدد كبير من الجامعيين ورجال السياسة والاطباء والصحفيين والكتاب والمناضلين فى مختلف المنظمات والاحزاب . وتضم الجماعة حاليا حوالى ٤٠٠ عضو بالاضافة الى مئات المناصرين لها المنتشرين فى كثير من الاقاليم وفى الخارج ، فضلا عن باريس .

ويعبر هذا الكتيب عن وجهات النظر المتبادلة والافكار والاراء المبدئية والابحاث التى لم تتوقف منذ يونيو الماضى . وهو يمثل بالطبع نقطة بداية غير نهائية .

ويتكلم هنا كل كاتب باسمه ، على ان تحتفظ الجماعة بحقها فى تحديد مواقفها فيما بعد ، عندما تتقدم الابحاث .

ولذا فنحن بصدد عملية تعرف اولى ، تدعو كل المشاركين لاجراء بحوث نقدية . وسنستقبل بكل ترحاب كل الملاحظات التى ستوجه الينا لانها ستسهم فى تشكيل كل تقدم فى تفكيرنا .

تواصل « الطليعة » نشر دراسة جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم

---

(١) تضم هذه المجموعة: دنييز باراهنرى برتولى ، جاك بيرك ، شارل بتلهايم ، رينيس بلاشير ، روبير بورون موريس بوتان ، كلود كاهيى ، هنريان دى شابونى ، فرنسوا شاتليه ، بيير كو ، رينيه دومون ، البير بول لانتان ، بيير مارتلو ، تيودور مونود ، ولت مونييه ، فيليب اورسينى ، لوى بيريليه ، اندريه فيليب ، مكسيم رودنسون ، جورج وفانى شابيرا ، مادلين تريبو ، فيركور .


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
بأسوان

الثمن ١٠ قـروش

مطابـع مؤسسة الاهـرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٨

أغسطس ١٩٦٨
السنة الرابعة

شباب ١٩٦٨ يهز العالم

- ماهى الحرب ؟ دراسة جديدة
- وثائق: جماعة البحث والعمل الفرنسية من أجل القضية الفلسطينية.
- الديجولية بين المد والجزر
- تشيكوسلوفاكيا: هل الاشتراكية فى خطر ؟ "تقرير"

عن الفداء والفدائيين .. والمناضل وليم نصار



الفكر الثورى المعاصر

طريق المناضلين الى

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

عنوان المراسلات

((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤شارع مظلوم
القاهرة تليفون ٦٤٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات

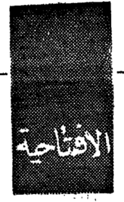
لسنة بالبريد العادى . ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهرس

العدد الثامن — السنة الرابعة — اغسطس ١٩٦٨.

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى خر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك »



عن الفـداء والفـدائيـين.. والمنـاضـل" وليـم نصـار

تفسح « الافتتاحية » مكانها اليوم ،بكل الاعزاز والتقدير ، لحديث والدى مناضلنا العربى الفلسطينى « وليم نجيب نصار » ابن « فتح » الباسل ، والمقاتل من اجل حرية وطنه ضد الاحتلال الاسرائيلى لفلسطين والبلاد العربية.

فقد بعث المواطن « نجيب . ح . نصار » والد المناضل الذى يتعرض الان للتعذيب الصهيونى فى السجن الاسرئيلى برسالة الى الطليعة ، ارفق بها نداء موجها منه ومن السيدة زوجته ، أم المناضل ، الى الرأى العام العالمى يناشدانه العمل على انقاذ حياة ابنهما الاسير المضرب عن الطعام .

وقد آثرت الطليعة ، وهى تنشر نص كل من الرسالة والنداء ، ان ترد على والدى المناضل بخطاب مفتوح . وهى تثق بأن خطابها لن يكون الخطاب الوحيد ، الذى يستجيب للنداء ، وانما سيسارع الشباب العربى وشباب القوى التقدمية فى العالم الى تدفئة وجدان والدى المناضل الاسير بعواطفهم ومشاعرهم النبيلة من خلال خطاباتهم اليهما وذلك على عنوانهما « عمان ـ الاردن ص . ب ١٠٥١ »

رسالة والد المناضل الى الطليعة

حضرة السيد رئيس مجلة الطليعة المحترم

تحية طيبة وبعد ،

اهتمامكم بالفداء وبأمر الفدائيين دفعنى الى الكتابة اليكم حول ولدنا المناضل وليم نجيب نصار الذى سبق وان نشرتم خبر اعتقال وتعذيب اسرائيل له فى «البيان» الصادر فى ٢٢ ابريل الماضى وفى «الطليعة» عدد مايو ١٩٦٨ .

ازاء اصرار اسرائيل على الاساءة الى أبطالنا الابرار وانطلاقا من ايماننا المطلق بقوة وفاعلية الرأى العام العالمى رأينا ضرورة توجيه صرخة من الاعماق تدين اسرائيل وتؤكد وحشيتهاوتعريها أمام الضمير الانسانى لعله يبادر الى الانتصار لحق الفرد وكرامة المجتمع .

ونرفق معكتابنا هذا نداء باللغة العربيةورسالة باللغة الانكليزية راجين التكرم — من أجل ام باكية وأب حزين يعيشان فى قلق دائم وهم مقيم ومن أجل أبطال الفداء — بنشر النداء بالعربية فى مجلة الطليعة الغراء والعمل على نشر النص الانكليزى فى الصحف الغربية التى تؤمنون بعدم تحيزها للعدوان الاثيم .

ولكم منا الشكر الجزيل مقرونا بالاعجاب والتقدير .

نجيب .ج. نصار

نداء والدى المناضل الى الرأى العام العالمى

فى الثالث من شهر اذار الماضى القت اسرائيل القبض على وليم نصار وهو يقاوم قوات الاحتلال وبعد تعريضه لابشع انواع التعذيب اوقعت عليه العقاب الصارم بسجنه مدى الحياة بعد محاكمة صورية ظالمة .

ويبدو ان التعذيب الوحشى والحكم الجائر لم يكونا كافيين لاطفاء نيران الحقد المشتعلة فى قلوب قادة اسرائيل الذين اقلقتهم جذوة النضال الكامنة فى روح الاسير فعمدوا الى النيل من عزته واستهدفوا تدمير كرامته وتجريده من كبريائه وأرادوا له أن يتجرع كأس المذلة حتى الثمالة الا أن وليم لم يلن وأبى أن يستكين وعبر عن صموده بالاضراب عن الطعام رافضا الاستسلام راضيا لنفسه مزيدا من العذاب .

ويا ليت هذا الذى لقيه وليم اشبع قلوب النازيين القساة فى اسرائيل فبدلا من أن يكتفوا امعنوا فى الكيد للمناضل والقوا به فى زنزانة انفرادية واختاروا حرمانه من مقابلة ذويه واوصدوا ابواب السجن فى وجه والديه اللذين يعيشان مع ولدهما المعذب بعقولهما وقلوبهما وآمالهما اياما طويلة مفعمة بالمرارة .

يتشدق الصهاينة بالرحمة وحبهم للسلام ويدعون بمكر وخبث كرههم للعنف وهم ابعد مايكونوا عن هذا فدعواهم منتهى النفاق وجميع اقوالهم هراء تنطوى على احقر معانى الرياء والا فليبرهن حكامهم على انسانيتهم باطلاق السجين من زنزانته وبالامتناع عن الاساءة اليه والى المبادىء التى ثار وسجن من اجلها، والرجوع عن قرارهم اللاانسانى القاضى بمنع ام حزينة باكية واب هده الاسى من زيارة ولدهما الذى يعانى مالا يعلمه الا الله .

العقاب والمعاملة الوحشية التى فرضتها اسرائيل على وليم نصار هما تجسيد لاحط معانى العدوان على حق الفرد والمجتمع الانسانى ، ونحن لهذا نهيب بالضمير الانسانى ونرسل النداء الى جميع

احرار العالم ونناشد الهيئات الدينية والاوسـاط الفكرية ان تثير قضية وليم نجيب نصار فى المحافل الدولية وان تقف الى جانبه لتنقذ حياة شاب مثقف كره الظلم وثار على الاستعباد وآمن بالمقاومة طريقا لتحقيق العدل فى قضية وطنه الجريح فلسطين ».

خطاب الطليعة المفتوح الى والدى المناضل

السيد / نجيب نصار ....

تحيـة طيبـة وبعـد ..

آثرت ، ردا على رسالتك ، ان اكتب اليك هـذا الخطاب المفتـوح على صـفحات « الطليعة » ، بدلا عن خطاب خاص مغلق . فالقضية ، حتى وان اقتصرت على جانبها الانسانى : اب وام يسعيان الى انقاذ حياة ابنهما ، ليست بقضية خاصة . فحياة وليم نجيب نصار لم تعد حياة خاصـة بفرد ، وانمـا هى جزء لا يتجـزأ من حيـاة عامة ومصير شعب .

ولست فى حاجة ، يا مواطننا الجليل ، ان اؤكد لك ولمواطنتنا الجليلة ، ان « وليم نجيب نصار » بمبادرته الشجاعة الى العمل والتضحية دفاعا عن ارضه وشعبه ، لم يعد مجرد ابن عادى لام واب عاديين فى وطننا . وانما هو ــ باختياره سلوك طريق المقاومة المسلحة مع « فتح » ــ قد اذاب بالفعل اسرته الصـغيرة فى اسرته الـكبيرة التى تحتضن ، المـا واملا ، شعبا شريدا ووطنا جريحا وارادة ما برحت مقيدة ، ولكنها قادرة ــ من خلال نضال « وليم » ورفاقه ــ على التحرر والانطلاق .

بهذا الاختيار ، غدا « وليم » ابنا قوميا لكل الاباء والامهـات فى الوطن العـربى ، ورائدا من اولئك الرواد من الشباب العربى ابناء محنة العشرين عاما ، الذين تحـدوا بوعى واصرار ، ظلمات النكسـة وشـلل الهزيمة وحكمة الواقعية الذليلة ، فأناروا الطريق وخاضـوه ــ ولا يزالون ــ نحـو الحرية الحقيقية للانسان والوطن .. منهم من سقط شهيدا ، ومنهم من سقط اسيرا ، ومنهم ما برح يقاوم وراسه على كفه ، ومنهم من يهرع للانضمام الى رفاق الطريق قبل ان يخسر احترامه لنفسه وشرف انتسابه الى الامة العربية .

واذا كان وليم ابنـا واخا ورائدا لكل الاباء والامهات والابناء والبنات والشباب بوطننا ، فانه بالمقابل ، يا من وهبتما وليم الى النضال العربى المعاصر ، قد غدوتما اما وابا لكل هؤلاء المناضلين ــ رفاق وليم ــ الشهداء منهم والاحياء .. وكل من يسير على الطريق ومن يشد الخطى نحوه .

ولست ايضا فى حاجة الى ان اؤكد لكما يا والدى كل المناضلين فى جيلنا ، ان اهتمام « الطليعة » بالفداء وبأمر الفدائيين ، هو ــ بالحق ــ اضعف الايمان .

فرغم اقتناعي النظري ان القلم كالمدفع.. كلاهما سلاح ضروري ولازم في معركة المصير، الا ان حامل القلم يظل — مهما كان جهده ، ومهما كانت ثمرة هذا الجهد — مفتقدا لشرف الاسهام في تقديم تضحية عملية، ترقى الى مستوى التضحية الكلية التي يقدم عليها حامل المدفع ، وهي كل ما يملكه من عمر ومستقبل وحياة .

ولست اريد هنا ان امارس نوعا من «المازوشستية» الزائفة تجاه حملة الاقلام، ولكني اصارحكما ، يا امنا وابانا ، بمشاعري فأقول : ان الاهتمام بالفداء والفدائيين هو نوع من التكفير عن عدم المشاركة الفعلية بالمدفع والتضحية اليومية بالحياة . وربما يكون العزاء الوحيد هو في محاولة تجنيد القلم — على قدر الطاقة — في مواكبة طريق المناضلين ، وفي القاء الضوء على تضحياتهم وبلورتها كنماذج حية لصناع الحياة الجديدة والانسان الجديد على ارضنا ، وفي كشف وفضح كل من يريد برفاق الطريق شرا بأساليب مباشرة او غير مباشرة .

ومع ذلك « فالقلم » ما زال متخلفا بدرجة كبيرة عن زمالة « المدفع » . بل ان ثمة خللا خطيرا ما برح يشوب علاقة الزمالة النضالية بين القلم والمدفع في وطننا . فالقلم يبدو في كثير من الاحيان في موقف المتفرج او المصفق بعيدا عن المشاركة في المسئولية . « والمدفع » ، الذي ما فتىء يلقى المتاعب والصعاب العديدة وهو يشق الطريق في دروب وطنه لينطلق في وجه العدو المحتل ، ينتابه الشك في قدرة القلم على ان يكون له ظهيرا وسندا وصدى حقيقيا لطلقاته وضوءا كاشفا لخطواته .

ولعل في التحام مثقفين من امثال وليم نصار ومازن جودت ابو غزالة وكمال النمر وفاطمة البرناوي وغيرهم في حلبة النضال العملي ، يحملون المدفع ويهبون الحياة ويصمدون للتعذيب الوحشي ، ما يبني جسر اللقاء الحي والتفاعل الموضوعي بين القلم والمدفع في مرحلتنا النضالية المعاصرة .

والحق انه بدون ان يقوى هذا الجسر ويمتد ويتسع على الدوام فان حملة الاقلام يبتعدون عن حركة الحياة في شعبنا ، ويساعدون — على غير قصد — قوى الاحتلال على زرع الاستسلام والموت وحكمة الهزيمة في حقلنا .

لا نستطيع اذن ، يا امنا وابانا ، الا الاهتمام بالمناضلين من ابناء المقاومة المسلحة، صناع الحياة الجديدة من خلال استشهادهم ومغالبتهم للموت والتعذيب وسجون النازية الجديدة في اسرائيل ، والا سقطنا في هوة الخيانة .

يا امنا وابانا ..

ان نداءكما الى الراي العام هو وثيقة حية تترجم بصدق وحيوية القيم التي شرع مناضلونا من ابناء المقاومة المسلحة يزرعونها في حقلنا القومي : الانسان من خلال الشعب ، والابن غير معزول عن الوطن ، والحياة كثمن عادل للتضحية ومغالبة الموت العام .

ان صوتكما يصدر عن عاطفة الابوة والامومة تجاه ابن سجين العذاب ووحشية النازية عندما يقول : « **واختاروا حرمانه من مقابلة ذويه وصدوا باب السجن عن والديه اللذين يعيشان مع ولدهما المعذب بعقولهما وقلوبهما وآمالهم اياما طويلة مفعمة بالمرارة** » .

ولكن نفس الصوت المعذب مع فلذة الكبد ، يتسـامى الى ذروة الذوبان فى معاناة العذاب القومى واسترخاص كل تضحية ،حتى بفلذة الكبد ، فى سبيل حرية الوطن، وذلك عندما تطويان جراحكما الشخصيةلتواجها الراى العام قـائلين .((**ويبدو ان التعذيب الوحشى والحكم الجائر** لم يكونا كافيين لاطفاء نيران الحقد المشتعله فى قلوب قادة اسرائيل الذين اقلقتهم جذوه النضال الكامنة فى روح الاسير ، فعمدوا الى النيل من عزته واستهدفوا تدمير كرامته وتجريده من كبريائه وأرادوا له ان يتجـرع كـاس المذلة حتى الثمالة ، الا ان وليم لم يلن ،وابى ان يستكين، وعبر عن صموده بالاضراب عن الطعام رافضا الاستسـلام ، راضـيا لنفسه مزيدا من العذاب ..))

والحق ، يا امنا وابانا ، ان من يرفض الاستسلام للعدو المحتل ويرضى لنفسـه مزيدا من العذاب ، هو بالدقة تجسـيد للمناضل العربى المعاصر ، الذى انضجته المحنة وصهرته المقـاومة ووهب نفســـه لقضية شعبه ووطنه .

فوليم ورفاقه هم هذا الجيل الجديد من الشـباب العـربى الذى عرف طريق الخلاص والمقاومة الحقيقية ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية والمساومة والخوف. باختصار هو الجيل الذى حبلت به الثورة العربية زمنا طويلا وكان ميلاده مع هزيمة يونيو ١٩٦٧ ايذانا بفجر جديد وقيم جديدة. ولن يستريح هذا الجيل من العذاب حتى يطهر الوطـن العـربى من الاســـتعمار والصهيونية ودعاة المسـاومة والهزيمة .

وفى وليم بالذات ، مثله مثل رفيقيه المناضلين كمال النمر وفاطمة البرناوى يتجسد معنى الثورية العربية التقدمية المعاصرة المعادية للعنصرية والتعصب الدينى والمساومة مع الاستعمار القديم والجديد والصهيونية .

يا امنا وابانا

اننا نتعهد بأن نبذل ما وسـعنا الجهد لنشر ندائكما محليا وقوميا وعالميا ، كمـا نتعهد بأن نواصل العمل على توطيد اواصر الزمالة النضـالية بين القلـم والمـدفع فى معركتنا المصيرية . ورغم كل الصـعاب والعذاب والالم فنحن نثق فى عودة فلسطين وعودة وليم وكل الرفاق من خـلال حركة التحـرير .. طـريق العــودة الحقيقى والوحيـد .

ولكما احر التمنيات يا والدى مناضلنا العظيم

لطفى الخولى



شباب ١٩٦٨ يهز العالم

- الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة
- منابع الالهام الفكرى والنضالى
- الحركة فى العالم الرأسمالى
- الحركة فى العالم الاشتراكى
- الحركة فى أمريكا اللاتينية
- الحركة فى مصر والوطن العربى
- ثورة الشباب والموجات الجديدة فى الأدب والفن

تثير حركات الشباب ، وبخاصة الطلبة، من التساؤلات بقدر ما تثير من الاهتمام :

ما هى السمات المميزة للحركة عموما ، وما هى السمات التى تختص بها الحركة فى مجتمعات الغرب المتقدم ، وفى الشرق الاشتراكى ، ثم فى بلاد العالم الثالث ؟

وهل هذه الحركة فورة طارئة ، لن يلبث مجتمع ((الكبار)) ان يستوعبها ، ام اننا ما زلنا نشهد البداية ؟ وما هى التوقعات المنتظرة فى مستقبلها القريب ؟ وما هى اساليب الاستعداد لملاقاتها ؟

ثم ، هل بين الانفجارات الطلابية — التى تحدث هنا وهناك فى كثير من بلاد العالم — خيط متصل يربطها جميعا فى سياق تاريخى واجتماعى متصل ، ام انها مجرد احداث متفرقة لا يربط بينها الا التقارب الزمنى وبعض الظواهر السطحية والتلقائية؟

واين توضع بعض تحركات الشباب والطلبة الشديدة التباين،من الثورة الثقافية فى الصين ، وثورة الجامعات الامريكية ، واحتلال السوربون فى فرنسا..الى حركات البروفوس والبيتنكس والهيبيز ، وكيف يمكن تصنيف هذه او تلك من الحركات ، ومعرفة ما يدل منها على الاتجاهات الثورية وما يدل منها على مجرد التمرد،وكيف ينحدر بعضها الى مستوى التعبير المرضى عن العجز السياسى والقصور الاجتماعى والتخلف الثقافى ؟

واخيرا ، (وربما كان من الانسب ان يكون اولا) ، ماذا يريد الطلبة والشباب عموما ؟ وما معنى ما يقوله اكثرهم خيالا وجراة حين يصيحون : ((نحن نريد عالما جديدا رائعا.. فقد اصبح العالم الذى نعيش فيه لا يحتمل))

... وما هى الاساليب العمليــة التى يلجأ اليها الجيل الجديد لتحقيق حلمه عن «العالم الجديد الرائع» ، ام انه لا يزال فى دور الحلم ؟ وهل سيقدر له ان يحققه ؟ وكيف ؟ وما هو دور الافكار الجديدة فى الهام الشباب ودفعهم الى الحــركة العنيفــة ، ومن هم المفــكرون والملهمون الجــدد الذين تحمــل صورهم فى مظاهرات الشبــاب ، وتنفــد طبعات بعد طبعات من كتبهم ومؤلفاتهم ؟

هذه وغيرها من الاسئلة — ويا لها من اسئلة — نتلمس الاجابة عليها فى هذا البحث الذى لا نطمع الا ان يــكون دعــوة جادة ومخلصة للتفكير فى كل مشكلات عالم اليوم، تلك المشكلات التى طرحها الجيل الجــديد امام البشرية كلها ، بكل ما يتمتع به الجيل الجديد من جراة وحماس واخلاص .

وقد قسمنا الدراسة الى ثمانية اقسام ، ننشر فى هذا العدد الاقسام الخمسة الاولى، وفى العدد القادم ننشر الاقســـام الثــلاثة الاخيرة :

١ — الخريطة العالمية لحــركة الشباب والطلبة .

٢ — منابع الالهام الفكرى والنضالى .

٣ — الحركة فى العالم الراسمالى .

٤ — الحركة فى العالم الاشتراكى .

٥ — الحركة فى امريكا اللاتينية .

٦ — الحركة فى الوطن العربى .

٧ — الحركة فى مصر .

٨ — ثورة الشبــاب والموجات الفنيــة الجديدة .

اشرف على الدراســة :

سعد زهران

اشترك فى اعداد هذه الدراسة :

القسم	المشاركون
الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة	سعد زهران
منــابع الالهام الفــكرى والنضالى .	عادل غنيم ، خيرى عزيز د. وليم سليمان، وديع امين
الحــــركة فى العــالم الراسمالى	طريف عبد الله — خيرى عزيز
الحــــركة فى العــالم الاشتراكى	خيرى عزيز
الحركة فى امريكا اللاتينية	رفعت السعيد

١

الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة

السمات العامة للحركة

سيدخل هذا العام التاريخ بوصفه عام الشباب، وعام الطلبة خاصة، فعلى الرغم من اهمية ما تواتر من احداث خلال النصف الاول من عام ١٩٦٨، الا ان تحركات الطلبة هى اهم هذه الاحداث واولاها بالدراسة والتعمق .

فما الذى يعطى تحركات الطلبة كل هذا الوزن الذى جعل غالبية المشتغلين بالحياة العامة، من سياسيين ورجال دولة وتربويين وصحفيين وعلماء ومنظرين، يولونها جميعا كل هذا الاهتمام، فيصفها البعض بأنها ((**ثورة الطلبة**))، والبعض الاخر بأنها ((**الشبح الجديد الذى يهدد اوروبا**)) ، بل يذهب آخرون الى اننا نشهد ((**ميلاد الاممية الطلابية الجديدة**)) ؟

لنبدأ اولا بالسمات الظاهرة للحركة :

١ ــ العالمية

لاول مرة تكاد تكون غالبية بلاد العالم، بمختلف انماطها الاجتماعية ونظمها السياسية، مسرحا لحركات الطلبة . وقد كان المألوف، حتى وقت قريب، ان تكون المستعمرات والبلاد التابعة هى التى تموج بحركات الطلاب . وكان ذلك يعزى الى الدور القيادى النشيط الذى تقوم به الطبقة الوسطى من الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار، وللتركيب الاجتماعى للطلبة، حيث ينحدر غالبيتهم من صفوفها . بينما كان الطلبة فى البلاد الرأسمالية المتقدمة يستبعدون عادة من دائرة الفئات النشيطة سياسيا، حيث كان نشاطهم واهتماماتهم تنصرف عموما الى النواحى الاجتماعية والرياضية والثقافية، تنظمها نواد او جمعيات او اتحادات تحت اشراف المؤسسات الحكومية والثقافية والدينية .

اما اليوم، فان الحركة الطلابية، ذات الطابع والاهداف السياسية والاجتماعية، لم تعد مقصورة على البلاد التابعة واشباه المستعمرات، او حتى على بلاد العالم الثالث، ولكن ها هى تمتد الى البلاد المتطورة صناعيا فى الغرب الرأسمالى والشرق الاشتراكى على السواء . بل ان الانفجار الطلابى فى الغرب جاء اشد عنفا ودويا بشكل لم يسبق له مثيل . لقد انتقل زمام المبادرة فى المعارضة لسياسة الحرب والتفرقة العنصرية وسيطرة

المخابرات على مقدرات الامة الامريكية — انتقل زمام هذه المعارضة الى ايدى الطلبة الامريكيين منذ حوالى اربعة اعوام . وطور الطلبة فى المانيا الغربية وسائلماسمى **((بالمعارضةخارج البرلمان))** بعد ان تواطأ الحزبان الكبيران للمضى فى سياسة مناهضة للديموقراطية والسلام ، وقاد الطلبة الالمان حركات ثورية مناوئة للحكومة فى شوارع اكثر من ١٠٠ مدينة المانية ، بشكل لم تره المانيا منذ اكثر من ثلاثين عاما . ثم جاء الانفجار الطلابى فى جامعتى « نانيتر » و « السوربون » فى باريس ، فكاد ان يشعل ثورة سياسية ، اجتماعية شاملة ، وكادت الشرارات تمتدلتصيب اوروبا والعالم الغربى بأسره .

لنستمع الى مجلة **((نيوستيتسمان))** البريطانية تقول ، وحركة الطلبة الفرنسيين فى ذروتها (٢٤ — ٣٠ مايو ١٩٦٨) :

((ثمة شبح جديد يحوم فى كل انحاء اوروبا ، ذلك هو شبح (سلطة الطلبة) . فما يحدث الان يشبه ماحدث عام ١٨٤٨ . فقد كانت كل ثورة تشتعل فى احدى عواصم اوروبا تحمل فى جنباتها بذور العدوى التى سرعان ماتنتشر فى كل مكان آخر . ان ما يحدث الان فى فرنسا شىءعلى درجة هائلة منالاهميةليس فقط بالنسبة لفرنسا، وانما ايضا بالنسبة للعالم كله)) .

وتستطرد المجلة :

((ان متابعة مايحدث الان فى فرنسا انما هو فى حد ذاته ممارسة للعلم السياسى . فهناك تتاح الفرصة لمشاهدة الآلام التى تسبق ميلاد صورة لمجتمع جديد ، وربما كانت هذه الآلام ايضا مقدمة لاغتيال هذه الصورة الجديدة . انها فرصة نادرة ان نكون احياء لنشاهدها)) .

ولا مكان هنا لان نحصى كل البلاد التىوصلها المد الطلابى ، فأسهل ان نعد على الاصابع تلك البلاد التى لم يصلها المد بعد . وحتى هذه البلاد، يكاد يكون الاجماع منعقداً على ان الموجةستصلها ان عاجلا او آجلا . ولم يعد احدفىهذه البلاد يبنى موقفه على أساس منع هذه الموجة من الوصول او استبعادها من حساب الاحداث ، وانما القوى السياسية المعنية متوفرة على دراسة كيفية استيعاب هذه الموجة او احتوائها ، وهذا اضعف الايمان،او تهيئةانسبالظروف لحسن توجيهها،او الاخذ بأسباب الاصلاح السياسى والاجتماعى الجذرى،الذى يجعل من حركة الطلاب والشباب جزءا منسجما معها ودافعا لها — وهذا اقصى ماتصل اليه سلطة ثورية من طموح ومقدرة . وحتى فى بعض البلاد التى عرفت الحركة بشكل اهدأ نسبيا ، لا يستبعد المسئولون ان تعود الموجة ثانية بشكل ربما يكون اشد عنفا .

وتبعا لتلك المواقف ، يتراوح الاحساس العالمى بترقب وصول الموجة بين الخوف والتهيب والحماس .

وتعبيرا عن الخوف كتبت ((**التايم**)) الإمريكية (٣١ مايو) ، تحت عنوان **((عصر الاضطرابات))** :

((تولى الولايات المتحدة اهتماما عميقا بالسياسات والاضطرابات الاجتماعية التى تغلى بداخلها ، ومع هذا فان الاحداث التى تقع فى فرنسا .. قد اصابتها بصدمة واثارت قلقها ... وهذا الشعور مرده الاحساس بأن مايحدث فى فرنسا بمثابة مثال عنيف للاحداث التى تضع بصماتها على العالم اليوم .. وان نبأ اعتزال ليندون جونسون مهام منصبه بمثابة رد فعل مباشر للقلق الشعبى . وتعد القوى المضادة للسلطة فى الولايات المتحدة اليوم — كالسلطة السوداء ، والحملة الصليبية للفقراء ، وحركات مناهضة الحرب الفيتنامية ، واعمال الشغب ، والمظاهرات التى قام بها الطلبة للدعوة لهذه المسائل وغيرها — كل هذه الاشياء تعد صنو الانتفاضة التى حدثت فى فرنسا من حيثالعلاقة بين السبب والمسبب)) .

وادلى **((انتونى وودجودبن))** ، وزير التكنولوجيا البريطانى بتصريح نشرته الصحف البريطانية فى ٢٧ مايو جاء فيه :

((ان الاستياء الذى يعبر عن نفسه فىصورة تبلد يائس او احتجاج عنيف يمكن ان يردينا جميعا فى حمامات من الدم ، ولا جدوى من القول بان شيئا من ذلك لايمكن ان يحدث فى بريطانيا ، فمن الممكن ان يحدث فيها فعلا)) .

وقد نشرت جريدة ((**التايمز**)) اللندنية برنامجا محددا اقترحه الوزيرالبريطانىللاصلاح الاجتماعى والاقتصادى والديموقراطى ، وطرحه للمناقشة العامة ، بهدف تجنيب المجتمع البريطانى هذه الصورة القاتمة التى عبر عن تهيبه منها .

وتعبيرا عنامل باهتكتبت ((**النيوستيتسمان**)) (بقلم المعلق بول جونسون) :

((ان فرنسا ولدت فيها روح ثورية جديدة ستثرى ولا شك حياة اوروبا كلها ، وانى اتمنى — دون أمل كبير — ان تساهم بريطانيا بدورها هى الاخرى)) .

اما فى بكين ، فقد قامت مظاهرة تضم نصفمليون تحيىثورة الطلبةوالعمال الفرنسيين، كما اعتبرتبكين انمايحدثفىفرنسا هو مناشعاع

الثورة الثقافية التي بدأتها الصين منذ حوالى ثلاث سنوات ».

٢ — التقارب والتوافق الزمنى

من المفارقات التاريخية ان تأتى ارهاصات حركة الشباب والطلاب الحالية من **اقصى الغرب** عام ١٩٦٤، ومن **اقصى الشرق** عام ١٩٦٥ . ففى الفترة من سبتمبر ١٩٦٤ الى يناير ١٩٦٥ ، شهدت جامعة « **باركلى** » الامريكية بكاليفورنيا ، وفيها اكبر تكتل طلابى جامعى فى الولايات المتحدة ، سلسلة من الاضرابات والاعتصامات واشكالا اولية من اعمال العنف . كما يذكر العالم ان عام ١٩٦٥ كان هو العام الذى انطلقت فيه الثورة الثقافية من عقالها فى الصين (سبتمبر ١٩٦٥) . ولم تتخذ الثورة الثقافية طابعها الجماهيرى الكاسح الا بعد ان انتقلت الى جامعة بكين (مايو ١٩٦٦) ، حيث تكونت الفصائل الاولى للحرس الاحمر بعد قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بالنقاط الست عشرة التى تقوم عليها الثورة الثقافية ، وذلك فى ١٢ اغسطس ١٩٦٦ . وفى ١٨ اغسطس استقبل « **ماوتسى تونج** » المليون الاول للحرس الاحمر ، الذى سرعان ما ضم ٥٠ مليونا ، معظمهم من النشء الذين تقل اعمارهم عن عشرين عاما ، اى من الطلبة .

وما كان يخطر ببال احد ، منذ ثلاث سنوات ، ان يربط بين الانفجار الذى حدث فى جامعة باركلى الامريكية وبين احداث الثورة الثقافية الصينية ، التى بدأت بعد احداث باركلى ببضعة اشهر ، ولكن اليوم ، وبعد ان اصبح من المألوف ان يربط المراقبون والباحثون بين حركات جامعة نانتير والسوربون فى باريس وبين اساليب الحرس الاحمر فى الثورة الثقافية . (كتب « **الجنرال بوفر** » فى جريدة **الفيجارو** فى ٢٦ مايو : « **المثير فى الامر** هو التماثل بين الوسائل التى استخدمت فى الحى اللاتينى وبين تلك التى استخدمتها الثورة الثقافية فى الصين » — وبعد ان اصبح من المسلم به اعتبار التحركات الطلابية الاخيرة فى الغرب الراسمالى المتقدم ظاهرة عامة ذات سمات مشتركة وتاريخ متواصل — اليوم لنا الحق ان نستخلص هذه النتيجة الهامة ، وهى ان ارهاصات الحركة الطلابية الحالية التى تنتشر فى كل العالم شرقا وغربا تمتد جذورها الى **كاليفورنيا عام ١٩٦٤ ، والى بكين عام ١٩٦٥** . ومنذئذ ، تتابعت تحركات الطلاب بمعدل متعاظم الى ان وصلت إلى هذا المعدل الانفجارى الذى لحظناه فى صيف ١٩٦٨ ». ونسجل هنا ان الارهاصات الاولى ، ثم التفجيرات التالية ، جاءت بعد حوالى عشرين عاما من انتهاء الحرب العالمية الثانية . وتلك ملحوظة سنأخذها فى الاعتبار عند الحديث عن الاسباب والاهداف السياسية العامة للحركة العالمية الحالية للطلاب والشباب .

٣ — العنف

لم يكن التظاهر والاصطدام بالشرطة وقوات الامن مألوفا فى حركات الطلاب الا فى المستعمرات والبلاد التابعة ، ونحن من اعرف الناس بذلك من تاريخنا — فى ثورة ١٩١٩ ، والهبات الثورية فى ١٩٣٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

والجديد اليوم هو ان تحركات الطلاب فى الفترة الاخيرة تميزت فى كل البلاد بهذا الطابع الانفجارى العنيف . واصبح التظاهر ، واحتلال الكليات والجامعات ، والاصطدام بقوات الامن ، وحصار الشرطة للجامعات ، واغلاقها ، ثم اقتحامها لاجلاء الطلبة المعتصمين عنها — كل هذا اصبح من الاخبار المألوفة التى تأتى من معظم البلاد . بل لقد وصل طلبة المانيا الغربية وفرنسا الى اساليب فى العنف لم تعرفها فرنسا الا اثناء حرب المتاريس فى ١٨٧٠ ، ١٩٣٦ . « كتب الصحفى السوفيتى « **أ. شوليوكين** » ، مراسل مجلة « **نيوتايمز** » من باريس فى عدد ٢٢ لسنة ١٩٦٨ :

« وقعت اصطدامات عنيفة بين البوليس ومظاهرات الطلبة فى باريس وغيرها من المدن الفرنسية ، وكان الحى اللاتينى مسرحا لمعارك عنيفة بينهما . كان المتظاهرون يبنون المتاريس من الاشجار المقطوعة والسيارات المقلوبة واحجار الرصف . وطوال الليل كان البوليس يوالى هجماته مستخدما الغازات المسيلة للدموع ، وصفارات سيارات الشرطة وعربات الاسعاف تصرخ طول الليل وهى تنهب شوارع المدينة . وقد اعلنت صحيفة فرانس سوار ان عدد الجرحى وصل الى ١٠٤٥ من المتظاهرين ، ١٢٣٣ من رجال البوليس ، وبعض الاصابات خطيرة ، وذلك فى الفترة من ٥ مايو الى ٢٧ منه » .

واذ تصف مجلة « **نيوستيتسمان** » الجو النفسانى للطلبة الذين سئموا ان يذهب ممثلو الاتحادات والروابط الطلابية الرسمية ، عاما بعد عام ، لتقديم مطالبهم الى المسئولين وهم

يلبسون ملابسهم كاملة ، مؤدبين مهذبين مراعين كل قواعد البروتوكول ، تستطرد المجلة البريطانية (٢٤ — ٣٠ مايو) :

« يقول الطلبة ان مناقشة المشاكل لا تنفصل عن العمل من اجل حلها : العمل فى الشارع .. ان اسلوب المثقفين يجب ان يكون العمل فى الشارع وتحقيق الديمقراطية فى الشارع ، ذلك لان سلطة الدولة لن تسلم بالمطالب الا اذا ووجهت بتحد سافر .

هل هذه طريقة عنيفة ؟

نعم . ولكنها مفيدة » .

٤ — عنصر المفاجأة

تكاد الانفجارات الطلابية فى الفترة الاخيرة ان تكون مفاجأة كاملة لغالبية المسئولين شرقاوغربا، وفيما بين الشرق والغرب من بلاد العالم الثالث.

ويرجع عنصر المفاجأة الى عجز الصيغ الفكرية المستقرة عن التنبؤ بهذه الانفجارات قبل وقوعها، وعدم وصول المشتغلين بعلوم الاجتماع والسياسة الى اتفاق على صيغ جديدة لتفسيرها حتى الان.

لم يكن الغرب المتقدم يتوقع ما حدث من الطلبة هناك ، حيث يذهب علماء الاجتماع البرجوازيون الى ان مايسمونه «بالاضطرابات» و « حوادث العنف والشغب » لا تحدث الا فى البلاد الفقيرة المتخلفة ، او فى صفوف الجماعات البشرية التى تتسم بنفس صفتى الفقر والتخلف فى البلاد الغنية (مثل الزنوج او المتعطلين فى الولايات المتحدة) . ومن ثم كانت المفاجأة كبيرة حين اصبحت الجامعات فى غالبية مجتمعات الغرب المتقدم بؤرة لحركات تمرد تصاعدت فى السنوات الاخيرة ليكون العنف من سماتها اللصيقة . ويضاعف من وقع المفاجأة انها تحدث فى اوساط جامعية عرفت على مر الاجيال بوقارها الاكاديمى، كما ان غالبية شبابها من ابناء ما اصطلحوا على تسميته « بالطبقة الوسطى » التى يتفقون جميعا على انها مستريحة ماديا ، محافظة فكريا وسياسيا .

كتبت « **الايكونوميست** » ، (١ — ٧ يونيو) تعليقا على احداث فرنسا ، وكانها تكتشف شيئا جديدا :

« لقد ظهرت بالفعل ثلاث نقاط كبرى من خلال هذا الموقف المضطرب . النقطة الاولى هى انه من الممكن حدوث موقف ثورى فى دولة متقدمة صناعيا .. الخ » .

وفى **الشرق الاشتراكى (الشيوعى)** ، تتلخص نقطة البدء الفكرية فى ان الصراع الطبقى هو مصدر الاصطدامات السياسية والاجتماعية . ولما كان الاتجاه السائد فى قيادات البلاد الاشتراكية (باستثناء الصين) انها كفت عن تبين اية اسباب او مظاهر جديدة للصراع الطبقى فى مجتمعاتها (باستثناء الصراع بين الطبقة العاملة المنظمة فى حزبها السياسى الحاكم الذى يمارس دكتاتورية البروليتاريا من جانب ، وبين الطبقات المستغلة المخلوعة والامبريالية العالمية من جانب آخر) — ولما كان الطلبة ، وخاصة بعد اكثر من عشرين عاما من دكتاتورية البروليتاريا ، لايمكن اعتبارهم احتياطيا للطبقات المستغلة المخلوعة ولا للامبريالية العالمية ، فان الانفجارات الطلابية فى عدد من البلاد الاشتراكية كانت مفاجأة حقيقية لاولى الامر هناك ايضا .

اما فى **العالم الثالث** ، فسبق ان استقر فهم خاص عن ان دور الطلبة يكون هاما بصفة خاصة فى مرحلة النضال التحريرى ضد الاستعمار ، ومن اجل تحقيق الاستقلال السياسى . وساعد على تثبيت هذا الافتراض فترة من الهدوء النسبى فى حركات الطلاب فى العالم الثالث عموما فى اعقاب تحقيق الاستقلال السياسى « وانصرفوا الى دروسهم بعد ان جلا المستعمر » . فلما تفجرت الحركات الطلابية اخيرا ، كان ذلك مفاجأة للافكار السائدة فى هذه البلاد عن دور الطلاب فيها .

يزيد من عنصر المفاجأة **بالنسبة للجميع** ، انه لم يتح لاى جيل من الوسائل لكى يربى الجيل الناشىء على الصورة والمثال الذى يرسمه مثلما اتيح للجيل الحالى من اولى الامر فى كل بلاد العالم . لقد خيل للمسئولين فى جميع البلاد انهم قد ملكوا بأيديهم جميع الوسائل التى تمكنهم من رسم ملامح النشء وصفاته بكل تفاصيلها . فبرامج التعليم ، ووقت الفراغ فى المنزل والشارع والنادى ، والتكوين السياسى والنفسى ... الخ ، كل هذا مرسوم ومحسوب بادق المقاييس وباعظم ماعرفه الانسان حتى الآن من وسائل التربية والتوجيه الفكرى والثقافى والمعنوى ، من التليفزيون والسينما والصحافة الى المدرسة والمؤسسات الدينية ، وغيرها من وسائل التعليم والتثقيف ، ووسائل الاعلام والاعلان والدعاية .. هذا ، طبعا ، علاوة على ما تملكه الدولة الحديثة من وسائل الرقابة والمصادرة على سلوك « رعاياها » وافكارهم ومعتقداتهم .

وكلما امعنت الدولة فى العصرية والتكنولوجية، وكدست من اسباب القوة المادية ، كلما اكتمل « يقين » المسئولين فيها بأنهم لم يدعوا شيئا من مستقبل الجيل الناشىء للصدفة .

فأية مفاجأة حين تنفجر حركة الجيل الناشىء على هذه الصورة التى هى ابعد ما تكون عن التصور ؟ ! عندئذ يتضح ان « اليقين » الكبير لم يكن الا وهما كبيرا ، وان العنصر غير المتوقع وغير المحسوب فى سلوك الجماهير وتحركات الاجيال الناشئة مايزال اكبر بكثير من قدرات العقول الالكترونية والوسائل « الصناعية » للتحكم فى الرأى العام ، وفى صنع آراء الناس ومعتقداتهم على ايدى خبراء السياسة والدعاية المحترفين .

٥ ـ قيادات طلابية خالصة

كان المألوف حتى وقت قريب، حين يتحرك الطلاب ، ان يبحث الناس عن « المحرك » من خارج صفوفهم . وكان البحث يجرى عادة بين الاحزاب والتنظيمات السياسية المتصارعة فى البلد المعنى . وغالبا ماكانت الحركات الطلابية تعفى الناس مئونة البحث ، وتعلن بداءة عن انتماءاتها الحزبية ، ولكن الجديد فى حركات الطلبة فى الفترة الاخيرة انها ـ فى مجموعها ـ خارجة على التنظيمات الحزبية التقليدية القائمة ، وانها خلقت قياداتها الطلابية والشبابية الخالصة .

وبحكم العادة ، حاولت مختلف الاطراف ان تبحث عن الاصابع التى تختفى خلف الانفجارات الطلابية الاخيرة . وحيث تكون الحركة مناهضة للنظام القائم او معارضة او ناقدة له ، كما هى العادة ، فان المسئولين ينسبونها الى القوى المعادية . واذ تنتشر الحركة خلف الحدود القومية للبلاد المتفرقة، وتأخذ هذا الطابع العالمى، فان البحث عن « الاصابع الخفية » يتخذ شكل « الصاق الاتهام » بهيئات او اتجاهات عالمية ، ومن ثم ، كثر الحديث فى الغرب عن « مؤامرة شيوعية عالمية » ، مع ايحاءات قوية بأنها ذات طابع « صينى » . كما تردد الاتهام فى الشرق وفى العالم الثالث عن دور « المخابرات الامريكية » .

لكن ، حين تتخذ الحركة ابعادها التى وصلت اليها ، وبخاصة بعدها الجماهيرى ، تعبر الاطراف الاكثر احساسا بالمسئولية ، والاكثر قدرة على مواجهة مسئولياتها ـ تعبر عن يقينها بأن الحركة لها اسباب موضوعية. وان القائمين عليها عناصر سليمة فى مجموعها ، يعبرون عن آراء ومطالب جماهير حقيقية . هذا طبعا دون ان تستبعد ان الاصابع الخفية التقليدية لا تكف عن محاولة التسلل الى صفوف الحركة وركوب الموجة ، وهذا امر طبيعى تماما يحدث فى جميع الحركات الجماهيرية ، وان كان لا يفسرها .

وقد كتبت مجلة « **نيوستيتسمان** » البريطانية تحذر اولئك الذين يضيعون جهودهم عبثا بحثا عن مؤامرة شيوعية دولية وراء تحركات الطلبة ، ونادت بضرورة اخذ حركاتهم بمنتهى الجدية، والالتفات الى جميع القضايا التى يثيرونها. واصدرت « **الاوبزرفر** » فى صدر ملحقها الاسبوعى (فى ٢٣ يونيو الماضى) مقالا على صفحة كاملة للباحث والسياسى البريطانى « **فيليب توينبى** » تحت عنوان مثير ضخم يعلن : « **الطلبة على حق حين يصيحون ان العالم اصبح لايحتمل** » .

وتحت عنوان « **ثورة الطلبة فى الغرب** » نشرت مجلة « **نيو تايمز السوفيتية** » (٢٩ مايو) مقالا وجهت فيه نقدا عنيفا لبعض صحف الغرب التى « **تبذل محاولات دءوبة لتصوير مظاهرات الطلبة على انها تمرد غير هادف او انها تعبير عن تطرف مثالى للشباب ولكنه مفرغ من المعنى ، وغير موجه ضد شرور المجتمع الرأسمالى ومفاسده** » . وتختتم مقالها بقولها « **ان النشاط الذى يدب فى حركة الطلبة فى العالم الرأسمالى يبين ان فئات اجتماعية جديدة تدخل حلبة الصراع ضد الاضطهاد الذى تمارسه دوائر الاعمال الكبرى** » .

وعبر « **الرئيس تيتو** » عن اقتناعه بتلقائية حركة الطلبة اليوغوسلاف (الذين اضربوا وتظاهروا واحتلوا جامعة بلغراد اكثر من اسبوع فى يونيو الماضى) ، وقال « **ان ٩٠٪ من الطلبة شباب شرفاء لم نهتم بهم بالقدر الكافى** » . واعرب الرئيس تيتو عن اقتناعه بعدالة المطالب التى تقدم بها الطلبة والعمال الشبان ، واعلن عن « **عزمه على التنحى اذا لم يستطع حل هذه المشكلات** » .

وقال **الرئيس جمال عبد الناصر** فى معرض وصفه لحركة الطلبة التى قامت فى مصر فى اواخر فبراير هذا العام ان الشباب فى مظاهراته الاخيرة اثبت وعيه ، وانه تظاهر وتكلم وعبر عن نفسه، وعندما احس بمحاولات لاستغلاله ، رفض ان يكون اداة .

٦ ـ الطابع الثورى والديموقراطى الاصيل

واذا كانت حركات الطلبة ليست لها انتماءات حزبية، فليس معنى ذلك انها ليست ذات انتماءات

سياسية وفكرية ، وانما هي — في مجموعها — يمكن ان تندرج تحت ما اصبح يعرف باسم **((اليسار الجديد))** ، وانها موجهةضد **((الامبريالية والبيروقراطية))** معا ، ويمكن اعتبارها اولحركة جماهيريه ذات ابعاد عالمية يتصدى لها اليسار الجديد ، وربما يتمخض عنها بروز قوة سياسية منظمة جديدة ذات شأن على مسرح السياسة الغربية . ولعله من قبيل الادعاء ان نحاول ((تحديد)) المقصود باليسار الجديدفيهذهالعجالة، لذلك نجد من الانسب ان نورد هنا ما شهدت به بعض من اهم المنابر الغربيه المطلعة . (وهي ابعد ما تكون عن التعاطف مع اليسار عموما ، فما بالنا بموقفها من اليسار الجديد) .

ترى ((**التايمز**)) البريطانية (٢٨ مايو) ان ثورة الطلبة والشباب في الغرب عموما دليل على بعث جديد لكارل ماركس ، حيث تقول :

((لقد عاد كارل ماركس الى وطنه منجديد، وقد تجدد شبابه بعد رحلة طويلة حول العالم .. لقد اصبحت دول اوروبا الشرقية ، التي طبقت مبادىء ماركس منذ البداية ، في نظر الشباب الثائر ، دولا متخلفة من الناحية الفكرية ... كذلك ، فان مبادىء كارل ماركس الاساسية ، واهتمامه بموضوع الملكية ، وايمانه بالعدالة والمساواة والقيود التي رأى فرضها على الملكية الخاصة ، كل هذا لا يزال يثير خيال الشباب الذي يؤمن بها مثلما آمن بها شباب عام ١٩٣٠ ، لكن شباب اليوم ، عندما يفكر في كارل ماركس ، فانه لايفكر فيه من زاوية الاضطرابات التي قام بها عمال برمنجهام واسيكس ، و . من زاوية ما يحدث في ادغال بوليفيا ، وعبث فييتنام ، وميدان بوابة السلام في بكين ، وبالطبع ، مايحدث ايضا في كوبا . ويضرب الشباب المثل بكوبا على اساس نموذج المجتمع الجديد الذي يريده، نموذج للمجتمع الذي يرفض البيروقراطية وتموج في داخله الثورةالدائمة المستمرة..ونموذج للمجتمع الذي تتحقق فيه الصلة المباشرة بين الحاكم والمحكوم ، او هو اخيرا نموذج للمجتمع الذي خلص نفسه من براثن الاستعمار الامريكي .. اما انخفاض مستوى المعيشة في كوبا ، فانه يحسب لكوبا لا عليها ، لانه ايضا مبعث اعجاب الكثيرين بهذه الدولة الفتية ، على اساس ان هذا يعني التزامها بالثورية المستمرة الكاملة دون ان تلتفت الى موضوع اشباع الغرائز المادية . ويأمل ((الدكتور فيدل كاسترو)) ان يزيل من الوجود ذلك النظام النقدي الفاسد القائم على حافز الربح . وفي رأى الثوريين الاوروبيين ان هذه هي الطهارة الثورية الحقة التي لا يشارك كوبا فيها غير الصين ، الى حد ما .. ويقول الشباب الراديكالي انالثوري الحقهو من يشعر بان هناك احلاما لابد ان يحققها ..))

وعند الحديث عن الشباب الامريكي تقول ((**التايمز**)) ايضا :

((ان الشباب الامريكي يرى ، كما يقول جاك نيوفيلد ، ان مكافحة الشيوعية لا تتلاءم الا مع الافكار العنصرية والنزعات العسكرية والقوى الرجعية في الولايات المتحدة ، ذلك انه لايرى الشيوعيين الا ضحايا ، ولم يرهم قط وفي يدهم سياط الجلادين . وعلى اية حال فانه توجد الآن درجة منالتعاطفالمشترك بينالاحزاب الشيوعية التقليدية والطلبة الراديكاليين الجدد في أوروبا والولايات المتحدة)) .

وتقول جريدة ((**يونيتدستيتس نيوز أند وورلد ريبورت**)) ، الامريكية (في ٢٧ مايو) :

((لا شك ان الغالبية العظمى من الشباب قد تكيفت مع الظروف القائمة ، وتسير داخل نطاقها، وهناك اقلية محدودة وجدت لنفسها مخرجا في حبوب الهلوسة .. غير ان هناك اقلية نشيطة تريد ان تغير وجه العالم .. وقد اختار هؤلاء لانفسهم ابطالا غرباء ، احدهم ((تشي جيفارا)) ، القائد الذي يبدو في صورة الشهداء المسيحيين ، والآخر هو ((هوشي منه)) الذي يعده انصاره اعظم مناضل في سبيل الحرية .. ان جوهر مايصبون اليه هو انهم يريدون المزيد من الديموقراطية ومن الحرية الشخصية والحد من قوة السلطة المركزية ..))

وعن الجو الثوري الديموقراطي الخالص الذي ساد حركة الطلبة الفرنسيين كتبت ((**النيوستيتسمان**)) البريطانية (٢٤ — ٣٠ مايو) :

((في ساحة كلية الآداب التي تعتبر قلبالحركة الطلابية وعقلها المفكر ، فان الف زهرة لم تتفتح فحسب ، وانما ايضا ملأت جو الربيع بعبيقها الذي يتفجر ثقافة . فالاشتراكيون الشباب ، والمسيحيون الماركسيون ، وانصار ماوتسي تونج، والماركسيون اللينينيون ، واتباع ((جيفارا)) ، وانصار ((فيدل كاسترو)) ،والوطنيون البريطانيون، والديموقراطيون البرتغاليون والاسبان ، وشباب المانيا وفرنسا وبريطانيا — كلهم كانوا يرددون الشعارات ، ويتناقشون في المبادىء ، واللافتات ترتفع في كل مكان ، واللوحات التي رسمها طلبة الفنون الجميلة تفصحعن ولاءات متعددة ومبادىء مختلفة .. وفي قاعات المحاضرات نوقشت كل الامور — ابتداء مناشكالالعمل الثوري، ومرورا بتحديد النسل وطبيعة الدولة ، وكيف يمكن مواجهة البوليس ، وممارسة الحب بحرية ، وما هو دور الآباء ، وما هي فائدة الامتحانات ، وماهو الموقف في فييتنام، وما هي قضية الطلاق والزواج، واخيرا ، ما هي طبيعة دور الجامعات . وكان

طابع المناقشات التى تدور بين جميع هؤلاء هى انها تحظى فى النهاية بتفهم مشترك لجميع القضايا . وكان العمال يفدون على الجامعة للاستماع والاشتراك فى المناقشات . ونفس الشىء فعله الرجال العجائز ، وربات البيوت ، والاجانب ، والنواب ، والكتاب ، والصحفيون . وتميزت المناقشات بأنها كانت تدور فى اطار منطق قوى . وهكذا فان ثورة الطلبة تحولت الى حدث « سياسى » .

وكتبت « **الفيجارو** » الفرنسية تصف جانبا آخر من نفس المشهد :

« **كانت اكشاك كثيرة تبيع المجلات السياسية التى تصدرها كافة الجماعات السياسية ، كما تبيع صور ماوتسى تونج وشى جيفارا وتروتسكى ولينين وستالين ... وكانت المناقشات تدور فى حرية كاملة ... وقد جذب المهرجان الفلسفى جموعا غفيرة ، كانت تصل يوميا الى ٢٥ الف شخص من المناضلين والفضوليين ، فى الردهات وقاعات الاجتماعات** » .

وعن جوهر الانتصار الذى حققته حركة الطلبة الفرنسيين ، كتبت « **الاوبزرفر** » ، (٢٦مايو) :

« **اذا كانت ازمة الاسبوعين الماضيين تعنى شيئا ، فانها تمثل تحررا عنيفا للعقل الفرنسى من السيطرة الرسمية ... هذه هى ابعاد الانتصار الذى حققه الطلبة : لقد حولوا ميزان السياسة الفرنسية ناحية اليسار ، وجعلوا الشعب يتذوق طعم العمل المباشر الذى يتم خارج البرلمان . لقد فجروا الرغبة فى الاصلاح فى كافة مظاهر الحياة الفرنسية ، واظهروا ان العنف طريق مختصر لتغيير المجتمع . لقد انطلق المارد الرهيب من القمقم** » .

وعن العلاقة بين حركة اليسار الجديد والاحزاب الشيوعية القائمة ، تقول « **التايمز** » :

« **يمكن القول ان الراديكاليين من الشباب الجديد اصبحوا لا يطيقون صبرا بالقوالب التقليدية للمبادىء الشيوعية ، وان كانوا يبدون اعجابا بشى جيفارا فلانه يمثل عنصر التجديد والاثارة والثورية الدائمة ، فضلا عن انه يعنى انتهاء النظام القائم الذى يتميز بالجمود والعنف ... ويعتبر الكتاب الشيوعيون ذوو الاصالة من طليعة الذين اثروا على الراديكاليين الجدد فى الغرب ، ومن هؤلاء الكتاب : روزالوكسمبورج ، وهربرت ماركيوز ، وريجى دوبريه** » .

وكتبت « **الفيجارو** » تحت عنوان « نحو يسار متطرف جديد » ، (٢٥ مايو) :

« **ان الحركة لا تكشف الا عن سمتين وحيدتين هما : مناهضة الرأسمالية ، ومناهضة البيروقراطية ، وهما يضفيان عليها طابعا معقدا وحرا وموجها وغير محدود فى آن واحد . وبهذا المضمون الصينى الخالص ... افلت الزمام من ايدى اتحاد الطلبة (التابع للحزب الشيوعى الفرنسى) الذى يحاول منذ البداية ان يقصر المناقشات على مطالب الجامعة وحدها ..** »

وفى يوم ٢٦ مايو ، كتب « **الجنرال بوفر** » مقالا فى « **الفيجارو** » ايضا تحت عنوان « الثورة الثقافية » جاء فيه :

« **على نقيض المخاوف التى يبديها كثير من المراقبين ، لا نجد انفسنا امام صراع بين اليمين واليسار ، او بين الحكومة والمعارضة ، ولكن فى صراع ثلاثى يدخل ضمنه الحزب الشيوعى الذى له طريقته فى الثورية ، وان كان لا يقبل ان يفلت منه الزمام بسبب حركات مستوحاة من تعاليم ماوتسى تونج يقوم بها الشباب الغربى** » .

وتشخص « **الايكونومست** » ، (١ — ٧ يونيو) الحركة فى فرنسا بقولها :

« **ظهرت بالفعل ثلاث نقاط كبرى :**

النقطة الاولى هى انه من الممكن حدوث موقف ثورى فى دولة متقدمة صناعيا ، فالاضطراب الاجتماعى الذى سببته الاضرابات فاق فى حدوده ماحدث فى عام ١٩٣٦ .

والنقطة الثانية هى ان الحزب الشيوعى قد اظهر انه ليس مستعدا الآن لاستغلال مثل هذا الموقف .

والنقطة الثالثة هى ان حركة ثورية لها مغزاها قد ظهرت بصورة تلقائية على اليسار من الحزب الشيوعى » .

وتضيف الجريدة الى تحليلها هذا السؤال :

« **هل يستطيع اليسار الثورى الجديد ان يخلق وسط حرارة المعركة منظمة لها فاعليتها ؟** »

وتقول « **النيو ستيتسمان** » ، (٢٤ — ٣٠ مايو) عن الحركة فى فرنسا :

« **ان حركة الطلبة كشفت عن عيوب النظام ، وايضا عن عيوب القوى السياسية التقليدية فى المجتمع الفرنسى . ان الحزب الشيوعى الفرنسى والديجوليين حلفاء طبيعيون ، فكلاهما لم ينس شيئا ولم يتعلم شيئا ... ان فرنسا ولدت فيها**

روح ثورية جديدة ستثرى ولا شك حياة اوروبا كلها ... »

وكتبت جريدة «**الموند الفرنسية**» ، (٢٢ مايو) ، تكشف عن الروح الاممية والانسانية التى تجيش بها الطلائع الطلابية الاشد وعيا والاكثر حماسا ، والتى تجلت فى اضراب طلبة احدى الجامعات السويدية مطالبين بزيادة المعونة التى تقدم لبلاد العالم الثالث ، كتبت الموند :

« **والرغبة فى القضاء على نفس الاسس التى يقوم عليها مجتمع الاستهلاك يقابلها عند الطلبة الاشد تحمسا ، وعى بالظلم الجذرى الذى يحكم العلاقات الدولية . فقد صاح طالب فى السوربون قائلا : هل تظنون انه يمكن للمرء ان يشعر بالرضا وهو يشهد مليارين من الناس يموتون جوعا فى العالم فى حين يعيش مليار واحد فى رغد وتبديد ؟**

فلا عجب ان يصحب هذا التنديد بنذالة الدول الكبرى امام ماساة العالم الثالث نقد لاذع لتحفظ الاحزاب السياسية التقليدية وعجزها ، سواء كانت يمينية او يسارية » .

تاريخيـــة الحركة

تلك هى اهم السمات الواقعية التى نستطيع جميعا ان نلمسها فى الحركة الحديثة للطـــلاب والشباب فى العالم عموما ، وفى الغرب المتقدم بصفة خاصة . وبقيت سمة اساسية اخرى ، هى مايمكن ان نسميه « **تاريخية الحركة** » . ومعيار تاريخية الحركات والاحداث ان تكون نتاج مجموعة من العوامل التاريخية ، وان تكون بدورها مقدمة لسلسلة من الاحداث التاريخية . .

ولما كان هذا يفضى بنا الى موضوعات كثيرة متشعبة يصعب تغطيتها فى هذا المجال ، لذلك سنقصر حديثنا على بعض من اهم العنـــاصر التاريخية التى نرى ان الحركة نتاج لها ، وسنعنى بصفة خاصة بالاشارة الى الطفرة التى تجرى فى ادوات الانتاج ، والتى تسمى بالثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا ، بوصفها — من وجهـــة نظرنا — العامل الاساسى وراء مايجرى من تغيرات وتفجيرات ثورية فى الابنية الاجتماعية — السياسية لعالم اليوم .

كذلك لابد ان نشير ، دون اى استطراد ، الى تراكم المشكلات السياسية والاجتماعية التى ادعى الجيل السابق انه خاض الحرب العالمية الثانية بكل تضحياتها ليجد لها حلا . حيث ادعى حلفاء الجيل السابق ان انتصارهم كان يعنى خلق عالم متحرر من الحرب والاستعمار ، ومن العـوز المادى والاستبداد السياسى .

حقيقة ان عالم مابعد الحرب العالمية الثانية شهد انهيار الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، ولكن قبل ان يفيق الى نفسه نكب **باستعمار جديد** اشد ضراوة واكبر قدرة على احكام قبضته على اعناق ضحاياه . اما عن خطر الحرب ، فلم يحدث ان جثم كابوس هذا الخطر على العالم مثلما حدث فى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية ، وهو فى هذه المرة اشد هولا ، لانه يتضمن خطر الفنـــاء الذرى الشامل . ولم يحدث ان بددت البشرية من جهود وطاقات وثروات على التسلح واساليب الدمار الشامل مثلما تبدد فى عالم اليوم (**١٥٠ مليار دولار سنويا تنفقها البلاد الصناعيه المتقدمة على التسلح كل عام**) . ولم يحدث ان شـــنت حروب ظالمة وحشية لارغام الشعوب الصغيرة على قبول العبودية والتبعية مثلما حدث فى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية . صـــحيح ان اوروبا والولايات المتحدة ظلتا بمنأى عن ميادين الابادة الجماعية التى تجرى على ارض فييتنام وكوريا وفلسطين ، ولكن الى اى حد يستطيع الجيل الناشىء حتى فى الغرب المتقدم نفسه ان يأمن لحياته فى عالم يسوده قانون الغاب ، وتهدر فيه دماء مئات الملايين لمجرد انهم فقراء وملونون ؟ وبخاصة اننا فى عصر اصبح اسهل ان تكون فيه كثير من الدول منتجة للقنابل الذرية من ان تكون منتجة للقمح بقدر يكفى سكانها ؟ وصحيح ايضا ان اوروبا وامريكا الشمالية اصبحت مجتمعات مستهلكة ليس فقط للسيارات وانما لليخوت والطائرات الخاصة ، ولكن الى اى حد يمكن احتمال مفارقة وجود هذا التبديد الى جانب المجاعـــة والامية والبؤس المادى والمعنوى الى غير حدود الذى يعانى منه مئات الملايين الذين يسكنـــون آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ولا ذنب لهم الا انه ليس فى ايديهم الاحتكارات الدولية التى تحدد السعر العالمى ، فحق عليهم ان تنهب ثرواتهم وان يستعبدوا هم واطفالهم الى ابد الابدين ؟

وصحيح ايضا انه قضى على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، ولكن اين هى الديموقراطيـــة والحرية التى يرفل فيها المنتصرون ؟ . ان الصيحات ترتفع ، كما لم ترتفع من قبل لتعلن انه قد ثبت ان الدولة الحديثة بكل مؤسساتها ، ليست الا اكمل جهاز للاستبداد السياسى عرفه التاريخ .

تقول جريدة « **سكتسمان** » البريطانية (٢٧ مايو) : « **ان فى اوروبا كلها نوع او آخر من انواع الاستبداد بالسلطة . حقا ، ان نظام الانتخابات مايزال معمولا به .. ولكن ما العمل ان كانت الانتخابات لا تغير الا الاشخاص ، واذا اصبحت الديموقراطية الانتخابية شكلا من اشكال القمع ؟ »**

ولنستمع الى « الاوبزرفر » البريطانية التي كتبت (٢٦ مايو) تقول تحت عنوان « **ازالة الحواجز بين الحاكم والمحكوم** » :

« ان الانتفاضة الضخمة التى تجتاح فرنسا الان ليست مجرد ازمة حكومية او ازمة نظام حكم ، وانما هى فى المقام الاول ازمة دولة . وهى ليست ازمة الدولة الفرنسية فحسب ، وانما هى ازمة الدولة عموما ، بمفهومها فى العالم الغربى الصناعى ..

والسؤال الذى طرحته الحركة : كيف ينبغى ان نستخدم التكنولوجيا الحديثة فى بناء مجتمع المستقبل ؟ وهذه الانتفاضة لا تهدف الى انكار المزايا المادية لمجتمع المستهلكين بقدر ما تهدف الى التغلب على الفراغ الروحى والتبلد السياسى ،

واذا كانت هذه الاسئلة لاتجد اجابات شافية فى الوقت الحاضر ، فان من حق فرنسا ، رغم ذلك ، ان تفخر بأنها قد طرحت تلك الاسئلة بقوة وشجاعة وذكاء بحيث لم يعد فى مقدور احد ان يتجاهلها بعد الان . ان هذه الانتفاضة تمثل الجانب الخفى من عملية تفكك دولة الامة المركزية . فالتكنولوجيا التى تتطلب فى بعض الحالات وجود تنظيم واسع النطاق ورقابة مركزية على عملها وعلى المؤسسات المتعلقة بها ، مثل السوق الاوروبية المشتركة ، تتيح فى نفس الوقت وجود قدر اكبر من اللامركزية فى نواح اخرى . فمن الممكن ان تؤدى الوسائل الحديثة للاتصال بالجماهير الى استرداد الفرد والجماعة الصغيرة قدرا كبيرا من استقلالها الذاتى » .

والآن ، الى نظرة خاطفة على الثورة التكنولوجية وعلاقتها بموضوعنا .



الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا والتغيرات الهيكلية فى المجتمعات الصناعية

ليس من قبيل التسرع او الجرى وراء العبارات المحدثة ان نقول ان الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا تكمن وراء مايحفل به عالم اليوم من تفجيرات سياسية واجتماعية ، وهى التفجيرات التى تحتل فيها « ثورة الطلبة » مكانا طليعيا خاصا .

ذلك ان اصل الاصول فى التغيرات والثورات السياسية — الاجتماعية هو التغير الذى يطرأ على وسائل الانتاج . وليس ما اصطلح على تسميته بالثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا الا عنوانا على تغيرات ثورية ، باقصى ماتعنيه الكلمة ، فى وسائل انتاج السلع المادية خلال سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية . ويقدر الباحثون ان المكتشفات العلمية والتطورات التكنولوجية التى انجزت خلال العشرين عاما الاخيرة تفوق كل ماسبق من تقدم منذ فجر نشاط الانسان . كذلك يقدر العلماء ان معدل تلاحق الاكتشافات العلمية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، يضاعف كل عشرة اعوام من الحصيلة الكلية لمعارف الانسان السابقة على مر العصور .

وعلى الرغم من ان الانسان لا يزال يخطو بتؤدة فى سبيل وضع هذه المعارف العلمية فى خدمة الصناعة ، الا ان ما تحقق حتى الآن فى هذا الصدد يعد هائلا ، وبخاصة فى مجال الالكترونيات والاوتوميشن (الآلية) والطاقة . ونكتفى فى هذا المجال بأن نورد فقرات محدودة من كتاب الصحفى والكاتب الفرنسى — الليبرالى — جج سرفان شرايبر ، « **التحدى الامريكى** » ، يقول :

« أصبحت المعركة الرئيسية فى الحرب الصناعية هى معركة الحاسبات ، المسماة بالعقول الالكترونية .. والتى ستكون ، بين عامى ١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ثالث الصناعات الكبرى فى العالم من ناحية الحجم ، بعد البترول والسيارة .. وستشكل صناعة الحاسبات ، ابتداء من عام ١٩٧٠ ، اثقل مجال للاستثمارات ، ١٠ ٪ على الاقل من مجموع الاستثمارات » .

اما عن الاهمية ، فان المؤلف — استنادا الى اقوال الثقاة — يبين ان البلاد التى لن تحقق تفوقا فى هذا المجال (وهو هنا يتحدث عن اوروبا مجتمعة) — « **ستظل تحت نفوذ البلاد التى تكون قد سيطرت على تكنولوجيا العقول الالكترونية** » .

ثم يستطرد ، نقلا عن احد كبار خبراء هذه الصناعة : **« ان مملكة الحاسبات ليست الا فى بدايتها ، وستبدأ الحاسبات ، كأداة للتحليل والتسعير ، وكعنصر حاسم فى السيطرة على الصناعة ، ابتداء من عام ١٩٧٠ »** .

فما هو عمر هذه الصناعة التى ستصبح ، فى مدى اقل من عامين ، العنصر الحاسم فى السيطرة العالمية على الصناعة ؟

يقول المؤلف ان اول آلة حاسبية اخترعت فى برلين عام ١٩٤١ ، وان **« اول آلة الكترونية امريكية انجزت بكاملها عام ١٩٤٦ .. وفى عام ١٩٦٠ ، كان خبراء الحكومة الامريكية يقدرون ان مجموع صناعات الولايات المتحدة ستستخدم بعد ٥ سنوات ، ١٥ الف حاسبة .. وفى التاريخ المعلن كان فى الخدمة ٢٥ الف حاسبة ، اما اليوم فهناك ٤٠ الف حاسبة »** .

ويلخص الكتاب (الصادر عام ١٩٦٧) التطورات ، او الطفرات السريعة المذهلة لهذه الصناعة فى سطور :

« الجيل الاول من الحاسبات ، الذى كان سائدا منذ عشر سنوات ، كان مبنيا على التجهيز الالكترونى العادى (اللمبات) ، وكانت الآلات بطيئة نسبيا . والجيل الثانى الذى كان سائدا منذ حوالى ٥ سنوات ، فقد خطا خطوة عملاقة باستبدال اللمبات بترانزستورات صغيرة . اما الجيل الثالث ، فقد بدأ مؤخرا برهان جبار من شركة اى . بى . ام ، وهو مبنى على الدورات الكاملة ، التى تعتبر اعجوبة فى العبقرية التكنولوجية » .

ومن اهم النتائج الاجتماعية التى ترتبت على هذه الثورة فى وسائل الانتاج هو مايسمى **« بالتغيرات الهيكلية »** فى بناء المجتمع الحديث ، سواء فى الاطار القومى الخاص بالبلاد الصناعية المتقدمة ، التى كان اثر الثورة التكنولوجية عليها مباشرا وايجابيا (فى الجانب المادى) ، او على النطاق العالمى ، حيث يمكن ان نلمس الاثار غير المباشرة على بلاد العالم الثالث المتخلفة صناعيا ، وهى آثار سلبية ، فى الجانب المادى بصفة خاصة .

واهم هذه التغيرات الهيكلية فى البلاد الصناعية المتقدمة ، هو انخفاض نسبة المشتغلين بالعمل الانتاجى المباشر فى الزراعة والصناعة ، وزيادة نسبة المشتغلين بالاعمال غير المنتجة ، سواء فى الخدمات العامة او فروع الاقتصاد غير الانتاجى (الصحة والتعليم والتجارة والتأمين والبنوك .. الخ الخ) ، او كانوا مشتغلين فى الصناعات المنتجة ولا يقفون مباشرة فى خط الانتاج . وتعرف هذه الفئات بأنهم « العاملون ذوو الياقات البيضاء » ، تمييزا لهم عن العاملين ذوى الياقات الزرقاء ، او العمال بالمعنى التقليدى المعروف .

وعلى سبيل المثال : زاد عدد العاملين الكتابيين فى الولايات المتحدة من ٧ر٢ مليون عام ١٩٥٠ ، الى اكثر من ٩ ملايين عام ١٩٦٠ ، بزيادة حوالى ٣٠٪ . وقد ادى التوسع فى استخدام الآلات الحاسبة والكاتبة ، وماكينات مسك الدفاتر وغيرها الى تقليل الفوارق بين ذوى الياقات البيضاء وذوى الياقات الزرقاء فى طبيعة العمل وفى الاجور على السواء . ففى ١٩٥٠ ، كان متوسط دخل العاملين الكتابيين ٣٣٢٠ دولارا فى العام ، وهو ليس اعلى بكثير من المتوسط العام للدخل من الاعمال والمهن عموما (٣٣١٢ دولارا) .

ونشرت مجلة « نيوتايمز » السوفيتية (عدد ١٣ لسنة ١٩٦٨) ، دراسة عن ذوى الياقات البيضاء ، ذكرت فيه انه فى الولايات المتحدة ايضا ، وخلال السنوات الخمس عشرة ، من ١٩٤٧ الى ١٩٦٢ ، زاد عدد ذوى الياقات البيضاء **المشتغلين فى الشركات الصناعية** بنسبة ٦٥٪ ، بينما انخفض مجموع عدد العاملين فى الصناعة عموما بنسبة ٧٪ فى نفس الفترة ! وفى ١٩٤٧ ، كان العمال غير المنتجين يكونون ١٦٪ من قوة العمل فى الصناعة ، ولكنهم فى ١٩٥٧ اصبحوا يكونون اكثر من ٢٣٪ . وفى بعض الصناعات الهندسية ، حيث حدثت تطورات تكنولوجية تتطلب نسبة اكبر من الفنيين ، تكون النسبة اكبر من المتوسط العام فى الصناعة . وعلى سبيل المثال ، فان نسبة العمال غير المنتجين فى صناعة الماكينات الكهربائية ارتفعت عام ١٩٥٧ الى ٢٨٪ من مجموع العاملين ، وفى صناعة الآلات الى ٣٣٪ ، وفى صناعة المدفعية الى ٤٠٪ ، وفى بعض صناعات الطيران والصواريخ الى اكثر من ٥٠٪ .

ذوو الياقات البيضاء يتحولون الى جزء من « الشعب العامل »

وعلى الرغم من ان هذه الارقام « قديمة » نسبيا ، الا انها تشير الى الاتجاه العام الذى تأكد وتضاعفت سرعته فى السنوات العشر الاخيرة . ففى سنة ١٩٦٥ وصل عدد العاملين من ذوى الياقات البيضاء الى حوالى نصف القوى العاملة فى الولايات المتحدة . اما اليوم فان عددهم يفوق عدد ذوى الياقات الزرقاء المشتغلين مباشرة فى العمليات الانتاجية .

هذه التغيرات فى : (١) عدد العمال ذوى الياقات البيضاء ، و (٢) نوعية عملهم بعد ادخال الالات فى العمل الكتابى ، و (٣) الهبوط النسبى لمستوى اجورهم الى درجة تقارب ، وتنخفض فى احيان كثيرة عن اجور ذوى الياقات الزرقاء ، مع زيادة اعبائهم المالية لما ينفقونه للمحافظة على المظاهر ، و (٤) صلة نسبة كبيرة منهم بالعمل الانتاجى ..

كل هذا يؤدى الى « تعميل » هذه الفئة ، اى تحولها السريع الى « عمال » . ومن هنا اصبحت الادبيات الاجتماعية والسياسية فى غالبية البلاد المتقدمة تستخدم مصطلح « العمال الكتابيين » و «العمال الفنيين» و «العمال العلميين» .. الخ بدلا من كلمات « الكتبة » و « الفنيين » و « العلماء » .. الخ ، واصبح الجميع ، باستثناء قلة قليلة من المديرين وكبار البيروقراطيين، اصبحوا يندرجون فى عداد « الشعب العامل » . الذى يضم كل مواطن يعد عمله ، وما يتقاضاه من أجر او مرتب ، هو المصدر الوحيد لدخله . وتبلغ نسبته اكثر من ٩٠٪ من مجموع سكان البلاد الصناعية المتقدمة .

وهذا التغير الاساسى الكبير فى تركيب الهيكل الاجتماعى ، يترتب عليه توحيد نضال كل الشعب العامل ضد الاحتكارات الامبريالية فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، وضد الفئات البيروقراطية صاحبة الامتيازات فى البلاد التى تنتقل الى الاشتراكية . (ومعروف ان التخلف الاقتصادى وغياب الديموقراطية هما الاساس لخلق فئة بيروقراطية صاحبة امتيازات فى البلاد التى تصبح فيها ملكية وسائل الانتاج ملكية جماعية ، وانها تظل محتفظة بقدر كبير من السيطرة والتحكم حتى فى عدد من البلاد التى اتمت بالفعل الانتقال الى الاشتراكية) .

وتتوقف نوعية واتساع كفاح الشعب العامل ضد الامبريالية والبيروقراطية على درجة وعى الجماهير وتوفر القيادة القادرة . وهو يبدأ بالنضال من اجل تحسين احوال معيشة وظروف العمل ، وينتهى بالنضال من أجل القضاء على الامبريالية ، والحد من السيطرة والتحكم البيروقراطى ، اى ان جوهر هذا الكفاح هو الصراع الطبقى من اجل الاشتراكية ..

هكذا ، لم تؤد الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا الى طمس الصراع الطبقى بين الاحتكارات الامبريالية والطبقة العاملة (كما ظل يردد علماء السياسة والاجتماع الغربيون لجيل كامل) ، وانما تفضى هذه الثورة الجديدة فى وسائل الانتاج الى تعاظم صراع طبقى جديد بين الرأسمالية الاحتكارية والبيروقراطية فى جانب ، وفى الجانب الاخر يتشكل من ائتلاف جماهيرى اوسع، يضم الشعب العامل كله فى اطار المجتمع الصناعى الحديث ، ويضم ايضا كل الشعوب التى يطحنها الفقر والاضطهاد ، وفى بلاد العالم الثالث على النطاق العالمى .

نخلص من هذا ، الى انه على خلاف ما ذهب اليه علماء الاجتماع البرجوازيون من ان المجتمعات الصناعية الحديثة « تبرجز » العمال .. (اى تحولهم الى برجوازيين ، اى الى طبقة متوسطة جديدة) ، فان الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا قد أدت الى العكس ، اى الى « تعميل » غالبية ذوى الياقات البيضاء ، الى تحويل نسبة كبيرة من ابناء الطبقة المتوسطة الى عمال كتابيين وعمال فنيين .. الخ ..

ويترتب على هذا مباشرة ، ان الطلبة الذين كانوا يعتبرون احتياطيا للطبقة المتوسطة (البرجوازية) ، سواء لان غالبية ابائهم ينتمون الى هذه الطبقة من ذوى الياقات البيضاء ، او لان مستقبل الطلبة ، بحكم طبيعة ما ينتظرهم من عمل، ان يندرجوا فى عداد «ذوى الياقات البيضاء ايضا » ، نقول يترتب على ذلك ان الطلبة فى المجتمع الصناعى المتقدم لم يعودوا احتياطيا للبرجوازية ، وانما اصبحوا احتياطيا « للشعب العامل » ، وربما جزءا منه. وهذا ما يحسه الطلبة فى الغرب المتقدم ويعبرون عنه بدرجات متفاوتة من الوعى والنضال ..

فى تحقيق اجرته جريدة **«الاوبزرفر»** البريطانية بين اعضاء هيئات التدريس فى الجامعات البريطانية ، تورد الجريدة (١٦ يونيو) الحديث التالى على لسان احد الاساتذة :

« عندما كنا طلبة كان يسودنا شعور واع ، وقبول لفكرة اننا من صفوة المجتمع ، واننا نتعلم فى الجامعة لنؤهل للقيام بدور قيادى .. اما اليوم، فان الطلبة يرفضون بشدة فكرة الصفوة هذه ، على الرغم من كل المحاولات التى تبذل لاثبات العكس .. »

ويستطرد الاستاذ :

« .. وكثيرا ما لا تستطيع ان تفرق — من ناحية المظهر — بين الطلبة وعمال البناء الشبان الذين يؤدون بعض الاعمال فى الحرم الجامعى . وانهيار الفارق هذا يقابل بالرضا من جانب الطلبة » .

ولعل ابلغ ما قيل فى هذا الصدد ، هو ما قاله **« روبرت ستيفنز »** ، فى جريدة **« الاوبزرفر »** ايضا (٢٦ مايو) ، فى معرض حديثه عن ثورة الطلبة الفرنسيين فى مايو هذا العام :

« ربما كانت الاهداف التكتيكية المباشرة لزعماء الطلبة تتمثل فى تقويض الحواجز الطبقية والسياسية الفاصلة بين الطلبة والعمال ، كما كانت لهم ايضا اهداف عملية تتمثل فى تيسير التحاق ابناء الطبقة العاملة بالجامعات وضمان العمل لخريجي الجامعات ، ومحاولة تحطيم فكرة فصل التعليم عن العمل ، واحلال فكرة التجدد والتفاعل الدائم بين التعليم والعمل محل مفهوم التعليم كوسيلة للاعداد والتأهيل — وترتبط بهذه الفكرة الجديدة فكرة أن المعرفة اعظم وسائل الانتاج ، وانها لاينبغي ان تكون حكرا على اقلية ضئيلة » .

التعليم الجامعى فى المجتمعات الحديثة المتقدمة

ننتقل بعد الحديث عن التغيرات الهيكلية فى البناء الاجتماعى ، وانتقال ذوى الياقات البيضاء ، فى جملتهم (والطلبة جزء منهم) الى صفوف الشعب العامل — ننتقل الى الدور الهام الذى يلعبه التعليم عامة ، والتعليم العالى خاصة ، فى المجتمع الصناعى المتقدم ، الى درجة اننا اصبحنا على مشارف عصر « **التعليم العام العالى** » .
وكل هذا من مقتضيات ملاحقة التقدم الذى فرضته الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا ، ومسايرة ضرورات السباق على التفوق فيها .

ويكاد يجمع الدارسون للتقدم الاقتصادى فى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، على ان الاستثمار فى التعليم ، هو اهم الاستثمارات فى مجال البناء الاقتصادى. ويسوق « **جج سرفان شرايبر** » ، مؤلف كتاب « **التحدى الأمريكى** » ، فقرات من تقرير « **ادوارد.ف. بنسون** » وهو أهم تقرير كتب عن التعليم وعلاقته بالبناء الاقتصادى فى الولايات المتحدة ، ليدلل على صحة هذه الفكرة :

« يقول بنسون انه فى الفترة من ١٩٠٩ الى ١٩٢٩ ، يعود اكثر من نصف تطور الاقتصاد الى الزيادة فى عدد الايدى العاملة ونمو رؤوس الاموال المستثمرة .. اما اليوم ، فان العوامل الاكثر اهمية فى التوسع الاقتصادى ، تلك التى تأتى على رأس قائمة العوامل الواحد والثلاثين التى احصاها بنسون هى التعليم والابتكارات التكنولوجية ... وكان التعليم يسهم بنسبة ١١٪ فى النمو الاقتصادى فى الثلث الاول من القرن ، وبنسبة ٢٣٪ فى الفترة مابين ١٩٢٩ ، ١٩٥٧ . ثم بنسبة اكبر منذ ذلك التاريخ ... وفى عام ١٩٣٠ ، كان مجموع النفقات المكرسة للتعليم فى الولايات المتحدة يبلغ ٣٫٢ مليار دولار ، وفى عام ١٩٦٥ تضاعف هذا الرقم الى اكثر من عشر مرات ، حيث ارتفع الى ٣٩ مليار دولار فى تلك السنة ... وفى عام ١٩٠٠ كانت الجامعات الامريكية تستقبل ٤٪ من الشبان الذين يؤهلهم عمرهم للالتحاق بها ، وفى عام ١٩٦٥ ارتفع هذا الرقم الى اكثر من عشر مرات ... ومعدل الفترة الدراسية للاشخاص الذين يبلغون من العمر الخامسة والعشرين ارتفع من ٨ سنوات عام ١٩١٠ الى ١٢ سنة عام ١٩٦٥ » .

ويسوق الكتاب الاحصائية التالية ، نقلا عن دراسة مقارنة عن التعليم العالى « **للدكتور شورافاس** » ، الاستاذ بجامعة وشنطن :

البلاد	عدد الطلبة الجامعيين عام ١٩٦٦	نسبة عدد الطلبة الى عدد السكان الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و٢٤ سنة
الولايات المتحدة	٥٫٥٢٦٫٠٠٠	٤٣٪
الاتحاد السوفييتى	٤٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٤٪
اليابان	١٫٣٧٠٫٠٠٠	١٣٫٥٪
فرنسا	٥٠٠٫٠٠٠	١٦٪
ايطاليا	٢٨٤٫٠٠٠	٦٫٩٪
المانيا الغربية	٢٨٠٫٠٠٠	٧٫٥٪
كندا	٢٣٠٫٠٠٠	٢٢٫٥٪
بريطانيا	١٦٥٫٠٠٠	٤٫٨٪
السويد	٦٢٫٠٠٠	١١٪
بلجيكا	٥٤٫٠٠٠	١٠٪

ونشرت صحيفة « **التايمز** » ، (٢٧ مايو) احصاء عن الزيادة السريعة فى عدد الطلبة الجامعيين فى عدد من البلاد الهامة خلال العشر سنوات الاخيرة ، جاء فيها ان نسبة الزيادة :

فى الولايات المتحدة	٢٢٠٪
وفى الاتحاد السوفييتى	٣٠٠٪
وفى فرنسا	٣٣٠٪
وفى المانيا الغربية	٢٦٠٪
وفى الصين	٦٠٠٪

المطالب النقابية لطلاب الجامعات

هكذا ، لم تعد الجامعات تفتح ابوابها للصفوة الاجتماعية فحسب ، ولكن ها هو عهد « **الجامعة ذات الاعداد الكبيرة** » قد بدأ . وصحيح ان ميزانية التعليم تضاعفت اضعافا كثيرة ، ولكن على الرغم من هذا ، فان الطلبة يشعرون ان مضاعفة الانفاق على التعليم لا تتناسب مع التزايد الجنونى فى الانفاق على التسلح والحروب العدوانية او الاستعداد لها ، وغير ذلك من مجالات التبديد غير العقلانى فى « مجتمع الاستهلاك » فى الغرب الرأسمالى ، هذا التبديد الذى يتزايد بمعدلات

تفوق كثيرا معدل الزيادة فى الانفاق على التعليم التى لايتمشى مع الاحتياجات المتعاظمة للجامعات . ولا تقف هذه الاحتياجات عند ملاحقة التزايد العددى ، ولكن تمتد الى ضرورة توفير المكتبات والاجهزة والمعدات الحديثة اللازمة لمتابعة التطور السريع فى العلم والتكنولوجيا . وقد لخصت الصحف الشكاوى « النقابية » التى بدا بها طلبة جامعتى « نانتير » و « السوربون » ثورتهم فى اوائل مايو الماضى ، والتى تعتبر نموذجا يكاد يتكرر بتفاصيله فى معظم الجامعات التى تحرك طلابها :

● عدم وجود اماكن كافية فى المدرجات والمعامل والمختبرات (مثلا : يشكو الطلبة الفرنسيون من تكدس اكثر من ١٧٠٠ احيانا للاستماع الى محاضرة فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة السوربون) .

● سوء الاجهزة والمعدات ، وتخلف اساليب التعليم بالنسبة للتقدم العلمى . (ويلاحظ ان الشركات الكبرى تكاد تحتكر — دون الجامعات — وسائل التدريب المتقدم وفرص البحث المثمر للفنيين والعلماء ..) .

● قلة عدد المدرسين بالنسبة لعدد الطلبة (١ : ٢٧) ، مع ملاحظة ان نسبة كبيرة من هيئة التدريس غير متفرغة ، ومشغولة بأعمال خارج الجامعة .

● سوء المناهج وتخلفها ، وسوء نظام الامتحانات العتيق وتعسفها .

● ارتفاع الرسوم الجامعية لدرجة ان ٤٠٪ من الطلبة مضطرون للعمل لمواجهتها .

(وللظروف السابقة مجتمعة ، فان حوالى ثلاثة ارباع طلبة الجامعة الفرنسيين لايتمون دراساتهم ، وحتى بعد اتمام هذه الدراسة انتشرت البطالة بين الخريجين فى العامين الاخيرين) .

● سوء احوال السكن والمعيشة فى المدن الجامعية . (هذا علاوة على بعض مطالب خاصة بحرية استقبال الطالبات فى مساكن الطلبة . وتلك مطالب — وان كانت اشد ماتكون بعدا عن تصورنا للاختلاف الشاسع فى المعايير الاخلاقية والدينية السائدة فى مجتمعات الغرب وفى مجتمعنا — الا انها تعد ، بمعايير غالبية الرأى العام الشبابى هناك ، تعد طبيعية ومعقولة . والاتجاه السائد بين المسئولين الآن هو الاستجابة اليها وقبولها) .

ومن الطبيعى مع توفر الظروف الموضوعية ونضج الوعى السياسى ، ان تفضى حركة المطالب « النقابية الطلابية » الى التمرد ، بل الى الثورة العامة على النظام نفسه . تقول **« الاوبزرفر »** (٢٦ مايو) :

« ان مجىء المبادرة من جانب الجامعات لم يكن راجعا الى الدور التقليدى للطلبة ... انما كان يرجع فى المحل الاول الى ادراك الطلبة للدور الثورى الذى يلعبه التعليم فى المجتمعات الحديثة ، والى ايمانهم بأن هذا الدور لايمكن تأديته على الوجه الاكمل دون اجراء تغييرات ، لا فى بنيان النظام التعليمى فحسب ، وانما ايضا فى بنيان الدولة نفسها » .

خمسا : التمرد على مجتمع الاستهلاك « البرودئوس والبيتنكس والهيبيز »

كذلك ، شهد عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فى بلاد الغرب المتقدم ، تفاقما لم يسبق له مثيل فى ازمة فائض الانتاج ، فى الولايات المتحدة اولا ، ثم انتقل الى اوروبا الغربية بعد ان اعادت بناء ما خربته الحرب فى اواسط الخمسينات . وقد كان الاعتقاد السائد فيما مضى ان وصول الاقتصاد الصناعى الراسمالى الى درجة معينة من « النضج » يجعل معدلات نموه تميل الى الانخفاض . غير ان التطور السريع فى العلم والتكنولوجيا ، وبخاصة فى مجالى الطاقة والاتوميشن (الآلية) ، بالاضافة الى الاسعار التحكمية التى تفرضها الاحتكارات فى الداخل والخارج ، وفرت قدرات كبيرة لاعادة استثمار جزء اكبر من الدخل القومى (يصل فى حالات كثيرة الى ٢٥٪) ، وجعلت معدلات النمو فى اقتصاديات الدول الرأسمالية المتقدمة فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تفوق كثيرا معدلات النمو اثناء فترة مابين الحربين .

وقد بين الاقتصاد السياسي الماركسي، ان فائض الانتاج ، بالاضافة الى فوضى الانتاج من اجل الربح، هما المصدران التقليديان للازمة الاقتصادية في النظام الرأسمالي . وقد حاول ((**كينز**)) ، ومن جاء بعده من تلامذته من الاقتصاديين البرجوازيين، ان يحدوا من عنـــصر الفوضى بالتحكم في بعض الروافع الاقتصادية التى تنظم عمليات ((**تبديد الفائض**)) لكى تظل عجلة الانتاج تدور ، وذلك بالمحافظة على حد ادنى من التوازن المرن بين ما ينتج وما يستهلك ، وبين الاستثمار والعمالة ، وبين حركة رأس المال ومعدلات الارباح .. الخ. وليست نظرية « المجتمع الاستهلاكى » التى خرج على العالم بها الامريكى ((**والت روستو**)) ، الا الطبعة الاخيرة لسلسلة من النظريات التي وضعت لتنظيم وتبرير عمليات التبديد الجنونية للسلع المادية التي ابتكرتها الاحتكارات الامريكية ، والتى تحاول فرضها على غرب اوروبا كالنمط الامثل لما يسمونه بمجتمع الرفاهية . (هذا طبعا علاوة على الوسائل التقليدية الاخرى لتبديد الفائض ، ومن اهمها : الانفاق الطائل على سباق التسلح وشن الحروب لفرض التبعية على شعوب العالم الثالث ، ونفقات سباق الفضاء ...)

وعلى سبيل المثال ، انتجت المصانع الامريكية ٩ ملايين سيارة ركوب عام ١٩٦٥ ، واعيد صهر ٢ر٣ مليون سيارة فى نفس العام، علما بأن متوسط عمر السيارات التى اعيد صهرها لايزيد على ٥ سنوات . فالمعروف ان الأمريكى المتوسط يغير سيارته كل عامين او ثلاثة ليقتنى الطراز الجديد.

ويفرد ((**جول هنرى**)) فصولا من كتابه ((**ثقافة ضد البشر**)) الصادر عام ١٩٦٣ ، ليشرح كيف يسخر جهاز اعلانى هائل (**اكثر من ٢٠ مليار دولار فى العام**) للالحاح على المواطن الامريكى عن طريق كافة وسائل الاعلام والدعاية والإعلان، ليروضه على قبول عادات استهلاكية اتلافية ، وكيف بدأت الاجيال الجديدة من الامريكيين تحس بالعبث واللاعقلانية فى هذه العادات التى لاتملك منها فكاكا ، وذلك بسبب شيوعها وحصارها اياه ، والحرج الاجتماعى الذى يحس به لو توانى عن تغيير موديل السيارة كل عام ، او الملابس وادوات التجميل كل موسم ، او انقضت اجازته دون ان يقوم برحلة الى اوروبا اواحدى جزر الكاريبى او المحيط الهادى ، او اذا مرت ايام على صدور اسطوانة لاحد نجوم الغناء دون ان يقتنيها .

وقد سبق ان تحدث ماركس عن « الاغتراب » الذى يحس به العامل الاجير كمنتج فى ظل الرأسمالية ، وذلك بسبب علاقات الاستغلال التى تنطوى عليها العملية الانتاجية . والجديد فى « مجتمع الاستهلاك » الحديث ، والذى بدأ يكتب عنه علماء الاجتماع، هو الاحساس بالاغتراب كمستهلك ، حيث يحس المواطن ان كل مايتعين عليه ان يشتريه او يقتنيه او يستهلكه مرسوم ومحدد له سلفا ، وانه محاصر بواسطة اجهزة الدعاية والاعلان، وبجو من العادات والقيم يجبره على التورط فى سلسلة لاتنتهى من الاقساط الدورية. ومن ثم ، لو أمكن للمواطن ان يهرب من ايقاع الحياة الصاخب السريع ليفكر لحظة لأحس ان هذه الاجهزة لا تنظر اليه الا باعتباره « زبونا » يجب التحايل عليه لانتزاع آخر ما فى جيبه كمستهلك ، سواء كان هنـــاك مبرر عقـلانى لما يستهلكه او لم يكن ــ وذلك هو الاعم الاغلب.

المواطن فى مجتمع الاستهلاك ليس الا رقما مجهلا فى طابور لا ينتهى،كعامل تارة ،وكمستهلك تارة اخرى ، وهو فى الحالتين موضع استغلال ومطاردة وحصار . وهكذا يحس الشعب العامل بالاغتراب فى الحالين . ولسنا بحاجة الى تأكيد ان ذوى الياقات البيضاء اشد احساسا من بقية فئات الشعب العامل بوطأة الاغتراب كمستهلكين، وذلك بسبب مايتاح لهم من وقت فراغ اكبر وثقافة اشمل ودخولهم مجتمع الاستهلاك مبكرين عن ذوى الياقات الزرقاء . ومن ثم يمكنهم انتشار أعراض الامراض النفسية والعصبية فى مجتمع الاستهلاك الامريكى ، (وامتداده الاوروبى بدرجة أقل) ، حيث ينتشر الاحساس بالعجز والاحباط وضياع الشخصية، وانعدام الفاعلية الاجتماعية، وانهيار القيم والمعايير العقلانية والاخلاقية ، وانفلات مصير الانسان تماما من يده ــ وهى كلها من اعراض الاغتراب . ثم يحال المواطنون بالجملة الى الاطباء والمحللين النفسانيين ، ليحملوا الناس على تحمل اعبائهم بطائفة من الاكاذيب ذات طابع علمى وانسانى زائف .

ولكن اقساما متزايدة من النشء الذين تفتحت عيونهم على هذا النمط من الحياة يبدأ فى التمرد الغاضب . انهم يبدأون برفض مايرسم لهم وما يملى عليهم ، ويفضلون ان يخرقوا هذا الحصار التجارى اللاعقلانى : يلبسون ما يريدون دون مراعاة لما تفرضه بيوت الازياء ، ويأكلون اى شىء فى اى مكان دون عبـــودية للاعلانات المنتشرة عن المطاعم والمشارب الحديثة ، ويستمعون الى الاغنيات التى تنطلق من حناجر فنانيهم فى عفوية دون رضوخ للأنماط التى تفرضـــــها شركات الاذاعة والاسطوانات ، ويقضون وقت فراغهم ونزهاتهم بعيدا عن شركات السياحة ، على النحو الذى يعن لهم بتلقائية وانطلاق لا تحده حدود مرسومة .

ذلك هو الاساس الاجتماعى والنفسانى لحركات البيتنكس والبروفوس والهيبيز (**والمعروفة فى اللغة الدارجة عندنا جملة بالخنافس**) ، والتى

لا تعدو أن تكون تعبيرا فجا عن التمرد على مجتمع الاستهلاك . وغالبا ما يختلط هذا التمرد برفض (صبيانى احيانا) للمؤسسات القائمة بكل ما تفرضه من قيود وشرور . ومن ثم تختلط هذه الحركات فى صورها الاكثر « ثقافة » باتجاهات سلامية معادية للحرب الفيتنامية ، واتجاهات ديموقراطية معادية لشمولية الدولة الحديثة . وهذا ما يكسبها مسحة شبه ثورية من بعض جوانبها .ولكن هذا التمرد غالبا مايكون قصير النفس ، قصير الاجل . ذلك ان عدم ارتكان هذا التمرد الى اساس فكرى ونضالى واضح ، والاشكال الفوضوية والبوهيمية التى كثيرا ماينحدر اليها، تجعل اجهزة الدعاية والاعلان والاحتكارات من خلفها ، سرعان ما تنجح فى « احتواء » هذه الحركات ، فى تحويلها الى « بدع » ، ثم تحويل « البدع » الى « سلع » .

ان طريقة اللبس التى يبتكرها الشبان المتمردون هربا من الموضة السائدة ، سرعان ما تلتقطها بيوت الازياء وتحولها ، بعد شىء من التهذيب، الى موضة جديدة رائجة . والاغانى التى يرددها الشبان المتمردون سرعان ما تلتقطها شركات الاسطوانات وتكسب منها الملايين ، واخبارهم وصورهم الغريبة تتحول الى مادة لتسلية قراء الصحف البرجوازية وزيادة توزيعها . . الخ وهكذا يجد المتمردون انفسهم صيدا فى الشبكة التى بداوا هم فى غزل خيوطها . وهكذا تخبو حركات التمرد وتخمد واحدة بعد اخرى ... الى ان تتقدم قيادات شبابية جديدة اكثر ثقافة واستقامة ، وتحول التمرد الفج الى حركة ثورية اكثر نضجا، تربط نضال الشباب المثقف الثائر بنضال الفقراء والزنوج ، تربط نضال ذوى الياقات البيضاء بالطبقة العاملة من ذوى الياقات الزرقاء، وتربط بين الشعب العامل فى الولايات المتحدة واوربا والشعوب المقهورة المكافحة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، فى نضال عالمى ضد الامبريالية والاستعمار والبيروقراطية .



تفاقم هجمات الاستعمار الجديد وحركات الشباب فى العالم الثالث

فى أوائل الخمسينات ، كان المأمول ، والمتوقع، أن تكون معدلات التنمية الاقتصادية فى البلاد النامية أعلى بكثير من نظيرتها فى البلاد الصناعية المتقدمة . وكان هذا التوقع يقوم على افتراض اقتصادى يذهب الى ان معدل الربح يكون اكثر ارتفاعا فى المشروعات الصناعية التى نسبة راس المال الثابت فيها صغيرة ، وهى التى تشكل غالبية مشروعات التنمية فى البلاد حديثة العهد بالصناعة . كما يقوم ايضا على فكرة ان البلاد التى تدخل الصناعة متأخرة يمكن أن تستفيد من آخر كلمة فى الاكتشافات والمخترعات العلمية والصناعية الحديثة ، وتلك اكثر انتاجية من المعدات والتجهيزات الصناعية القديمة . هذا علاوة على انخفاض مفترض فى التكلفة ، نتيجة لرخص الايدى العاملة عن نظيرتها فى البلاد المتقدمة .

وكان يبدو ، بناء على هذا التفكير ، أنه يكفى ان تحظى أية دولة باستقلالها السياسى ، وأن تتخذ قرارا نابعا من مصلحتها كدولة مستقلة ، بعيدا عن الضغوط الاستعمارية ، لكى تنطلق فى بناء صناعتها القومية بمعدلات مرتفعة تقربها بسرعة من مستوى الدول الصناعية المتقدمة . وساد جو من التفاؤل العريض بأن يحل الاستقلال السياسى كافة مشكلات التخلف فى اسرع وقت . وكان من المألوف ان يتحدث قادة البلاد حديثة الاستقلال بشىء كبير من الثقة عن ضرورة تعويض ما فات من وقت نتيجة للسيطرة الاستعمارية، وان ما حققته البلاد الصناعية المتقدمة فى اكثر من مائتى عام يمكن تحقيقه فى اقل من جيل واحد . . الى آخر هذه الصيغ التى كانت تتواتر يوميا منذ حوالى عشرة أعوام .

ولكن ، ظهر أن هذا التفكير لم يكن الا من قبيل

التمثيلات الطيبة التى انقلبت الى شىء اقرب الى نقيضها فى التطبيق ، بعد ان حققت غالبية بلاد العالم الثالث استقلالها السياسى . وظهر هذا بصفة قاطعة ، وبالغة القسوة ، فى الستينات . فمثلا ، ذكرت مجلة «**النيوزويك**» الامريكية فى مقال لها بعنوان «**الاغنياء والفقراء**» (٢٢ ابريل ١٩٦٨) انه فى الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧ ، زاد مجموع الدخل القومى فى الولايات المتحدة (٢٠٠ مليون نسمة) من ٥٨٧ مليار دولار الى ٧٣٧ مليار دولار بنسبة حوالى ٢٥٪ ، اى بمعدل سنوى ٥٪ تقريبا . بينما زاد الدخل القومى فى الهند (٥٠٠ مليون نسمة) فى نفس الفترة من ٤٥ مليار دولار الى ٥٧ مليار دولار ، بنسبة حوالى ١٦٪ اى بمعدل سنوى ٣ر٣٪ تقريبا . واذا اخذنا فى الاعتبار الانفجار السكانى فى الهند ، لكانت الزيادة فى الدخل بالنسبة للفرد من السكان لاتذكر . وبينما تقدر الاحصائيات العالمية ان معدل الزيادة فى دخل الفرد فى الولايات المتحدة يصل الى ١٢٠ دولارا فى العام ، فانه لا يزيد فى الهند عن دولار واحد . واذا اخذنا فى الاعتبار الاحتياجات المتزايدة التى يفرضها التطور ، لكانت النتيجة الواضحة هى تدهور حقيقى فى مستوى معيشة الفرد فى الهند .

وليست المجاعات التى ضربت مناطق شاسعة من الهند واندونيسيا فى العامين الماضيين ، والتى بدات تجتاح مناطق جديدة فى نيجيريا هذا العام ، ليست — على حد توقع خبراء الزراعة والاغذية العالميين — الا مقدمة لمجاعة شاملة تنتظر غالبية بلاد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فى اوائل الثمانينات ، اذا استمرت التطورات الاقتصادية مع الانفجار السكانى على هذا النحو المأساوى .

فكيف انتهى الحلم الجميل بالتصنيع والازدهار فى ظل الاستقلال الى كابوس مروع قوامه المجاعات والانفجارات الاجتماعية والانقلابات السياسية الدامية ؟

يلخص الاقتصاديون الاجابة على هذا السؤال فى مشكلتين : الاستثمارات ، والخبرة الفنية .

ويكاد ينعقد الاجماع اليوم على ان العامل الاساسى فى تعثر الاستثمارات فى العالم الثالث هو تحكم الاحتكارات الدولية فى الاسعار العالمية لكافة المنتجات ، سواء من المواد الخام او السلع الصناعية ، هذا التحكم الذى ادى الى قيام علاقات تجارية غير متكافئة بين البلاد الصناعية المتقدمة والبلاد المتخلفة ، ومن ثم الى هذا الافقار المروع والنهب المتزايد لموارد الثانية لحساب الاولى . ان عالم مابعد الحرب العالمية الثانية يشهد تدهورا مستمرا فى النسبة بين اسعار المواد الخام ونصف المصنوعة التى تشكل غالبية صادرات البلاد المتخلفة ، وبين اسعار السلع الصناعية التى تستوردها هذه البلاد من الدول الصناعية المتقدمة ، والتى هى فى اشد الحاجة اليها لبناء صناعتها القومية . وهكذا ، رغم كل المحاولات التى تبذلها البلاد حديثة الاستقلال لزيادة مدخراتها القومية ، ورغم ماتبذله من جهود مضنية لمضاعفة انتاجها من المواد الخام بهدف مبادلتها بسلع انتاجية — رغم كل هذا فقد غرقت هذه الجهود فى بئر التفاوت المتعاظم ابدا بين الاسعار العالمية والسلع الصناعية .

واية نشرة صادرة عن مؤتمر التجارة والتنمية التابع للامم المتحدة ، مليئه بارقام لاتنتهى ، توضح هذا النهب المستمر . ويكفى هنا ان نورد الارقام البسيطة ، والبالغة الدلالة ، التى ساقها الباحث الشيوعى البريطانى « **جاك ووديس** » فى كتابه « مدخل لدراسة الاستعمار الجديد »(١) . يقول « ووديس » انه لشراء طن واحد من الصلب كان على البلاد المبينة فيما بعد ان تنتج وتصدر الى السوق العالمى المقادير المقابلة من المواد الخام :

	١٩٥١	١٩٦١	الزيادة
غانا (رطل كاكاو)	٢٠٢	٥٧١	٪٢٨٣
البرازيل (رطل بن)	١٥٨	٣٨٠	٪٢٤٠
ماليزيا (رطل مطاط)	١٣٢	٤٤١	٪٣٣٤

ان هذا التحكم الاحتكارى فى الاسعار مجاف لكل القوانين الاقتصادية . فتكلفة انتاج الصلب فى البلاد الصناعية المتقدمة فى تناقص مستمر نتيجة للتقدم التكنولوجى الذى لم يسبق له مثيل . كما ان الزيادة فى انتاجه يمكن ان تكون بغير حدود ، بالقياس الى المعدلات المحدوده فى الزراعة ، ان هذه الحركة غير المعقولة للاسعار مجافية لكل منطق اقتصادى سليم ، هذا فضلا عن مجافاتها لكل معايير العدالة فى توزيع العمل الدولى والعائد الاقتصادى العالمى . ان المنطق والقانون الوحيد ، ان كان ثمة قانون ، هو قانون الغاب الذى يبطش

---

(١) قامت « الطليعة » بتقديم عرض له فى العدد السادس ١٩٦٨ .

فيه القوى بالضعيف الى حد الشروع فى القضاء على مقومات وجوده المادى .»

ومعنى هذا أن المستعمرين الجدد يقولون : «أيها الغانيون والبرازيليون والماليزيون .. وغيرهم ايا كانت جنسياتكم فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .. انكنتم تفكرون فى الاستقلال الاقتصادى، وترون ان التصنيع هو طريقكم الى ذلك ، وترون ان زيادة انتاجكم للمواد الخام سيوفر لكم الاستثمارات اللازمة لذلك، فباستطاعتنا أن نفسد كل هذا بجرة قلم يخطها احد سماسرتنا فى بورصة نيويورك أو نيواورليانز أو لندن أو بروكسل .. اذا زدتم انتاجكم الى الضعف فاننا سنخفض السعر الى النصف، واذا زدتموه الى ثلاثة امثاله، فسنخفض السعر الى الثلث أو الى الربع اذا لم يعجبكم .. لاأمل لكم فى مستقبل ، ولا فكاك لكم من العبودية مهما ادعيتم الاستقلال ».

وهذا مايحدث بالفعل ، فاثناء حكم الرئيس **«قوامى نكروما»** ، بذلت غانا المناضلة جهودا مضنية لزيادة انتاجها الزراعى ، وأممت تجارة الصادرات لكى تضمن عائدا مجزيا تستثمره فى مشروعات التنمية . وبالفعل ارتفع انتاج الكاكاو الى ثلاثة أمثاله ، ولكن — ويالالاسف — انخفض سعر الكاكاو فى السوق العالمى الى اقل من الثلث ، فضاع على البلد الافريقى الصغير المناضل — هكذا وبكل بساطة ، كل ماكان يحسبه من زيادة فى دخله القومى مترتبة على الزيادة التى سعى الى تحقيقها فى انتاجه . ولنا أن نتصور الارتباك المادى الذى يمكن أن يصيب اقتصادياته بعد ان كان يرسم توسعا فى الانفاق والاستثمار يتناسب مع الزيادة المطردة فى انتاجه ، هذا عدا اليأس والهبوط المعنوى .

ليس غريبا اذن ان تتعثر غالبية البلاد حديثة الاستقلال فى مشكلاتها الاقتصادية ، وان يتقدم الاستعمار الجديد وعملاؤه ليعلنوا ان تجربة الاستقلال الاقتصادى والتصنيع قد فشلت ، وان الاستثمارات فى البلاد المتخلفة يجب أن يكون زمامها بأيدى الاحتكارات الدولية القادرة دون غيرها . وفى هذا الجو تتفاقم المؤامرات الانقلابية للاطاحة بالنظم الوطنية التقدمية والعودة الى حظيرة التبعية الاستعمارية ، بكل مايرتبط بهذه التبعية من اوضاع طبقية متخلفة . ولاشك ان العامل الاقتصادى كان أهم أسباب نجاح هجوم قوى الثورة المضادة فى اسقاط عدد من النظم الوطنية التقدمية فى العالم الثالث فى أواسط العقد الحالى .

ولكن ، هل الانضواء تحت السيطرة المكشوفة للاستعمار الجديد يعفى من النهب ؟ لا ، على العكس . فان احصاءات صندوق النقد الدولى تشهد بأن خسائر دول أمريكا اللاتينية من التجارة غير المتكافئة بينها وبين الولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٥١ الى ١٩٦٢ تقدر بمبلغ ٢٠,٥ مليار دولار .

وتكمل الاستثمارات والقروض عمليات النهب والاستنزاف الهمجى لثروات البلاد النامية . فمجموع الاستثمارات الغربية فى الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٢ فى ٥٦ دولة نامية قدرت بمبلغ ٣,٠ مليار دولار، درت أرباحا قدرها ١٥ مليار دولار فى نفس الفترة . وتذكر مجلة **«القارات الثلاث»** التى تصدر فى **«هافانا»** أن مجموع الارباح التى جنتها احتكارات الولايات المتحدة فى امريكا اللاتينية عام ١٩٦٦ بلغ ١,٢٦١ مليون دولار ، بينما لم تقم الاحتكارات الامريكية باعادة استثمار الا ٢٩٩ مليون دولار فقط فى نفس العام .

وتقول مجلة «نيوزويك» الامريكية (٢٢ أبريل) ان مجموع «المعونات» الاقتصادية التى تلقتها البلاد النامية عام ١٩٦٧ ، وغالبيتها فى شكل قروض، وصل الى ٩ مليارات دولار، بينما بلغ مجموع ماتسدده هذه البلاد من أصول القروض وفوائدها المستحقة حوالى ٤ مليارات دولار فى نفس العام . واذا استمرت الاتجاهات الحالية لهذه «المعونات» فانها لن تكفى ، على مدى بضع سنوات من الآن ، لسداد الاقساط والارباح المستحقة .

صيحة « التطرف »

ما الذى يؤدى اليه هذا الحصار الاقتصادى والسياسى الخانق لبلاد العالم الثالث من جانب الاحتكارات الدولية ؟

يقول **«راءول بريبيش»** ، الرئيس الارجنتينى لمؤتمر التجارة والتنمية بعد انفضاض دورته الثانية التى انعقدت فى نيودلهى فى أوائل هذا العام :

« اذا لم ننجح فى تحقيق تنمية ذات وزن (فى البلاد النامية) ، فان البديل واضح . ان الموقف الذى يزداد تدهورا فى البلاد الفقيرة سيثبت ان المتطرفين على حق . وحركة السلطة للسود

التى لا تزال ظاهرة امريكية فحسب تستصبح حركة السلطة للصفر والسلطة السمر على نطاق عالمى » .

والحق ان كلام (بريبيش) لايعبر عن خوف من المستقبل المشحون بالمخاطر فحسب، ولكنه ينسحب على الماضى القريب ايضا . ذلك انه منذ افول نجم الامبراطوريات الاستعمارية القديمة فى أواسط الخمسينات ، والصراع ناشب على قدم وساق ضد الاستعمار الامريكى الجديد . واذا انتقلت الولايات المتحدة من اساليب التسلل السياسى والضغط الاقتصادى والغزو الفكرى ، الى الالتجاء الى القوة العسكرية لفرض نفوذها على المتمردين فى صفوف العالم الثالث ، وبصفة خاصة فى ظل سياسة جونسون ، بدأ صوت «المتطرفين» الذين اشار اليهم «بريبيش» يعلو فى كل مكان .

وقبل ذلك ، بذل رجال الدولة البارزون فى البلاد غير المنحازة جهودا مخلصة ودعوية ليلفتوا النظر الى تلك الظواهر الخطيرة منذ فترة ليست قصيرة . ومنذ مأساة الكونغو ، التى ولدت مع استقلاله السياسى عام ١٩٦٠ ، ارتفع صوت النذير من قادة القارة الافريقية يحذرون من خطورة الاستعمار الجديد . ومنذئذ تكررت ، وتنوعت ، محاولات توعية الراى العام العالمى بخطورة المشكلة ، الى درجة ان (يوثانت) صرح ـ بمجرد توليه سكرتارية الامم المتحدة عام ١٩٦١ ، بأن اكبر تحد يواجهه العالم اليوم هو الهوة التى تزداد اتساعا بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة ، وان ذلك هو اكبر خطر يهدد امن العالم ورخائه اللذين لا يمكن ان يتجزآ . وفى نفس العام ، صدر كتاب «معذبو الارض» للمناضل المارتنيكى فرانز فانون ، الذى اكمله وهو ينزف مابقى من عمره ، ليكون صرخة مدوية تعلى صوت شعوب العالم الثالث ، التى بدات تحس بخيبة الامل والمرارة ، وتخوض معاركها الجديدة المريرة ضد الاستغلال الجديد ، وكلما مر الوقت ارتفعت صيحات النذير ، وتدعمت بالادلة والارقام ، كما اثبت المؤتمر الاول للتجارة والتنمية الذى انعقد فى جنيف فى صيف عام ١٩٦٤ ، ثم فى مؤتمر الدول الـ ٧٧ الذى عقد فى الجزائر عام ١٩٦٧ ، واخيرا فى المؤتمر الثانى للتجارة والتنمية الذى انعقد فى جنيف فى صيف عام ١٩٦٤ والذى علق على نتائجه احد مندوبى الدول الفقيرة بقوله : « **لم يحدث ان تحطمت آمال كبار مثلما تحطمت بكل هذه القسوة فى هذا المؤتمر** » .

اذن ، فقد ضاعت التحذيرات عبثا ، وكأنها صيحة فى واد .

وعندئذ تصل اصوات «المتطرفين» الى كل الاسماع ، بالاتى :

١ ـ عدم جدوى الاساليب السلمية فى اقتلاع جذور الاستعمار الجديد ، وضرورة شن كفاح مسلح للقضاء على ركائزه فى العالم الثالث . فمهما كانت القوة الاقتصادية للاحتكارات الدولية، ومهما كان اتساع سوقها الداخلية ، الا انها تعيش على توازنات اقتصادية قلقة وهوامش امان محدودة ، ومن ثم فان قطع شرايين دمائها الممتدة فى بلاد العالم الثالث يشكل عنصرا حاسما فى اضعاف مواقعها وتسهيل مهمة القوى التقدمية فى قلاع الغرب الامبريالى نفسه لانهاء سيطرتها . والسبيل الوحيد لذلك هو «العنف الثورى» فى مواجهة « العنف الامبريالى الرجعى » .

٢ ـ من خلال الحركة الثورية المسلحة ضد الامبريالية والرجعية يجرى توحيد «الامم الكبيرة» فى وحدات قومية كبيرة . (وحدة بلاد امريكا اللاتينية ، الوحدة الافريقية ، الوحدة العربية ، وحدة شعوب الهند الصينية ، وحدة شعوب شبه القارة الهندية . . الخ) ، فلاأمل فى صمود اقتصادى ـ سياسى فى وجه الامبريالية العالمية الا بوحدات اقتصادية وبشرية كبرى .

٣ ـ الوصول بالثورة الوطنية المعادية للامبريالية الى آخر ابعادها الاجتماعية المعادية للراسمالية، فلا يمكن تنفيذ سياسة المواجهة الكاملة مع الاستعمار الجديد الا بمنهج ثورى متكامل ومندفع الى النهاية ، يكفل تعبئة اوسع فئات السكان (ومن ثم افقرها) ، واعدادها ثوريا ، وخوض حرب شعبية طويلة الامد ، وثورة اجتماعية وثقافية متواصلة يمكن ان تمتد اجيالا متعاقبة .

٤ ـ رفع شعار «الاعتماد على النفس» تعبيرا من اليأس من تضامن فعال من جانب اية قوى ذات فاعلية ـ حاليا ـ فى البلاد الصناعية المتقدمة ، شرقا وغربا .

هذه النقاط الاربع هى الاركان الاساسية لما يمكن تسميته «بالخط الصينى» تجاه الثورة الوطنية الاجتماعية فى العالم الثالث (**وهذا اجتهاد خالص منا ، ذلك انه بحسب علمنا لاتوجد وثيقة واحدة تضم عناصر هذا الخط**) . واقل من هذا «تطرفا» اتجاه آخر ، تلعب فيه القيادة الكوبية دورا بارزا ويظهر واضحا فى سكرتارية منظمة شعوب القارات الثلاث فى هافانا . ولنرجع فى هذا الصدد الى أصل الاصول :

يقول (**جيفارا**) فى كتابه (**(الاشتراكية والانسان فى كوبا)**) :

«ان مجموع الاجراءات التى نقترحهـا على الدول النامية للنهضة باقتصادها لايمكن ان تتخذ من جانب واحد . يجب أن يكون مفهوما أنه يتعين على الدول الاشتراكية ان تشارك فى دفع تكاليف التنمية فى الدول المتخلفة . يجب ان تسود بين مجموعتى الدول الاشتراكية والنامية علاقات مبنية على سياسة جادة وجديدة تماما » .

هكذا يعبر «جيفارا» عن عدم فقدان الامل فى قيام نوع جديد من العلاقات الاقتصادية بين البلاد النامية والبلاد الاشتراكية . هذا ، دون أى تردد فى نقد صريح ومباشر يوجهه الى الدول الاشتراكية الصناعية ، حيث يقول :

«كيف يمكن ان نسمى تبادلا للصالح المشترك بيع منتجات خام تكلف الدول المتخلفة جهودا وآلاما لاحدود لها ، بأسعار السوق الدولية ، فى مقابل شراء آلات تنتجها مصانع ضخمة تعمل بالاوتوميشن ؟

«لو أننا أقمنا علاقات من هذا الطراز بين الدول الاشتراكية والدول النامية ، لتعين علينا أن نقول ان الدول الاشتراكية تتواطأ الى حد ما مع الاستغلال الاستعمارى .

«يجب على الدول الاشتراكية أن تلتزم معنويا بتصفية هذا التواطؤ الضمنى مع الدول المستغلة فى الغرب» .

ويرى «جيفارا» ان الاشتراكية تمر بمرحلة انتقالية ، فقد كان الرأى السائد من قبل ان الاشتراكية تمثل مرحلة تالية لنضج الظروف الاقتصادية فى المجتمع الراسمالى وبلوغها أرقى مستويات التقدم الفنى . ولكن الذى حدث هو ان الثورة قامت فى دول متخلفة ، وفى نفس الوقت ، لاتزال هناك شعوب كثيرة ترزح تحت نير القهر الاجنبى والعبودية . فهل تسعى الثورة فى البلد الذى انتصرت فيه الى التفرغ لمصالحها المادية المباشرة بمعزل عن الثورة الاشتراكية العالمية ؟ **ان الاشتراكية — عند جيفارا — هى الثورة الاشتراكية العالمية** . والاشتراكية لابد أن تمر بمرحلة انتقالية يكون الاتجاه الغالب فيها هو تصفية القوانين الاساسية للرأسمالية ، وفرض القوانين الجديدة للاشتراكية . والمهمة الرئيسية التى تواجه هذه المرحلة الانتقالية هى الاعداد للثورة الاشتراكية العالمية وبناء قاعدتها المادية . وليست هذه المرحلة هى مرحلة البناء الاقتصادى للاشتراكية فى دولة واحدة .

هذا مايسمونه بالخط الثالث فى الحركة الشيوعية العالمية ، والذى يقولون انه خط «الدول الاشتراكية الصغيرة» . ويذهب البعض الى أنه يضم — الى جانب كوبا — كلا من فيتنام وكوريا الشمالية . وهو اتجاه يرى ان الانحياز الى هذا الجانب او ذاك فى الخلاف الصينى السوفيتى يمكن ان يفقده اكثر مما يستطيع أن يحتمل » .

يقول جيفارا :

«لانستطيع ، نحن المسلوبى الحقوق ، أن نتحيز لشكل أو آخر من اشكال التعبير عن الخلافات لما يصطحب الدفاع عن كل رأى منها من شدة وعنت ، حتى وان اتفقنا مع بعض المواقف التى يتخذها فريق أو آخر» .

ويعبر جيفارا عن الهدف الاساسى للحركة الثورية فى كل العالم فى عبارة موجزة ، انه :

«القضاء على الامبريالية بازالة اقوى قلاعها ، أى القضاء على التسلط الامبريالى للولايات المتحدة الامريكية . ولكن خطتنا التكتيكية هى تحرير الشعوب تدريجيا ، شعبا بعد شعب ، أو مجموعة من الشعوب بأكملها ، فنحمل العدو على هذا النحو ، على خوض معركة قاسية بعيدا عن ارضه ، ولنصفى قواعد وجوده ، وهى الاراضى التابعة .. ان عملنا كله يتلخص فى صرخة الحرب ضد الامبريالية ، وفى نداء مدوى نوجهه لوحدة الشعوب ضد الولايات المتحدة الامريكية ، عدو الجنس البشرى الاكبر » .

محاولات التصنيف متخلفة وغير مجدية

وعلى اية حال ، فان محاولة تصنيف هذه الحركة الثورية او تلك وفق هذا القالب أو ذاك ، ومحاولة حصر هذه القوالب فى اثنين او ثلاثة .. كل هذا يعد من قبيل التبسيط المخل . فقد وصل التنوع والتعدد فى الاساليب والمراكز الثورية الى حد أصبحت فيه محاولات التصنيف هذه أمرا متخلفا ومعيبا فى الفكر الثورى .

وقد كتب عن هذه المعانى تفصيلا «ريجى دوبريه» ، الثائر الفرنسى المعروف ، وصديق جيفارا الذى كتب فى مؤلفيه : «دفاع عن الثورة» و «الثورة فى الثورة» ، موضحا افكار قادة الثورة الكوبية عن الحرب الثورية فى أمريكا اللاتينية . وهو يقضى ايامه الان فى احد سجون بوليفيا ، حيث حكم عليه بالسجن ٣٠ عاما ، وأصبح واحدا من أهم

ملهمى حركة الشباب الثائر فى الغرب ؟ حيث يعد تجسيدا ليقظة الضمير الانسانى فى الغرب ازاء ما يعـانيه العالم الثـالث من عذاب على ايدى الاستعمار الجديد ». وينتقد «دوبريه» اتجـاه الحركات الثورية ، فى طفولتها ، الى تقليد او نقل خبرة الثورات الكبيرة التى سبقتها ، ويبين — من خلال مناقشات واقعية خصبة — ان العمليات الثورية الكبرى ، وان كانت ذات جوهر واحد ، الا ان اساليبها واشكال نضالها ، « استراتيجيتها وتكتيكاتها » لا يمكن ان تعيد نفسها ، وانما هى تتعدد بتغير الزمان والمكان ».

حتمية الكفاح المسلح

هكذا تنوعت اشـكال «التطرف» الذى ولدته «الاوضاع التى تزداد تدهورا فى البلاد الفقيرة» على حد تعبير «راءول بريبيش» ، او بتعبير آخر تنوعت أشكال الثورة فى مواجهة تحديات الاستعمار الجديد للدول حديثة الاستقلال . وتتوقف اشكال النضال ومساره على عدة عوامل أهمهـا : (١) اشكال هجوم الاستعمار الجديد وضـغوطه (٢) موقف الفئة الحاكمة من الصراع بين الجماهير المستغلة المطحونة وبين قوى الامبريالية العالمية والثورة المضادة فى الداخل . (٣) التقاليد النضالية فى البلد المعين (٤) نوعية الزعامة التى تتصدى للقيادة ، طبقيا وفكريا ونضاليا ».

ففى فيتنام مثلا ، حيث (١) يلجأ الاسـتعمار الى أشد أنواع الحروب الاسـتعمارية ضراوة وقسوة ، (٢) وتوجد فى سايجون فئة حاكمة بلغت مابلغته من خيانة ووحشية ، (٣) وتوجد قيـادة ثورية مجربة ذات فكر ناضج وموقف طبقى واضح ، لاينفصل فيه القيادة عن القاعدة الشعبية المقاتلة فاصل مادى او روحى ، وحيث القادة فيه هم «أول من يموتون وآخر من يأكلون» — على حـد تعبير جيفارا ، (٤) وحيث توجد تقـاليد حـرب تحريرية طويلة الامد ، بدأت منذ الاحتلال اليابانى فى ١٩٤٢ ، واستمرت ضد الفرنسيين ، ثم ضد الامريكيين حتى الان — فى فيتنام هذه يكون الكفاح المسلح هو الشكل الوحيد الممكن ، وتصل فيـه التضحيات والبطولات الى هذا المستوى الاسطورى الذى يلهم المناضلين فى كل مكان فى العـالم ، ويتواصل فيه كفاح الاجيال دون تناقض بين شباب وشيوخ ، وينتظم فى الصف طلبة وشـباب دون العشرين ، بينما يقف على رأس الصف « هوشى منه» الذى يقارب الثمانين . ومن المفارقـات ان الشـباب الثائر فى الغرب الامبريالى الذى يرفع شعار « لاتفاهم مع من دون الثلاثين » ، يرفعون فى نفس الوقت صور الجد «هوشى منه» كأعلى مثل لمناضل من اجل الحرية ».

وفى بلاد الشرق الاقصى وجنوب شرقى آسيا عموما ، حيث يبلغ الضغط الاستعمارى الامريكى قمته ، وحيث للطبقات المستغلة الحاكمة فى غالبية هذه البلاد تاريخ متواصل فى الخيانة ، وحيث تصل الصراعات الاجتماعية الى درجة عالية من الحدة ، وحيث للحروب التحريرية تقاليد عريقة — هناك تنتشر الحركات المسلحة ، وتتسع دائرة نشاطها عاما بعد عام . وحيث تواصل قيادات الجيل السابق طريق الحرب التحريرية الشـعبية وتقاليدها ، فلا تناقض بين الاجيال . (كما هو الحال فى فيتنام وكوريا) . ولكن حيث يجنح الجيل السابق من القادة الى الاساليب السلمية ، ويترك نفسه — وجيوش المناضلين من خلفه — أعزل أمام هجمات الاستعمار الجديد وقـوى الثورة المضادة ، كما حدث فى أندونيسيا ، عندئذ يظهر جيل جديد من الشباب يتصدى للقيادة ، ويحمل السلاح ، ويتجه الى الدغل ».

وذلك هو الحال أيضا فى بلاد امريكا اللاتينية ، حيث يتصدى جيل جديد ، من تلاميذ القيادة الكوبية ومريديها ، لمهمة نشر الثورة المسلحة على أرض القارة . ويزداد الصراع بين هذا الجيل وبين قيادات اليسار التقليدية التى تجنح غالبيتها الى العمل السياسى السلمى انتظارا «لنضـوج الظروف الموضوعية للثورة» . ويحاول «كاسترو» تجميع القيادات الشابة فى منظمة واحدة لحركات تحرير امريكا اللاتينية ».

راى فى الثورة الثقافية

أما الصين ، التى تتعرض لاستفزازات وضغوط استعمارية لاتهدأ ، وبعدما يحدث من عدوان يومى متجدد على جمهورية فيتنام الديموقراطية ، فان القادة الذين يلتفون حول «ماوتسى تونج» يرون الا منجاة من المخاطر الا بان تحيا الامة الصينية كلها فى جو من الاستعداد الدائم لخوض حـرب عدوانية يمكن ان تشنها عليها الولايات المتحـدة فى أى لحظة ، وأن تعد نفسها لان تخوضها منفردة ، «بالاعتماد الكامل على النفس» . ولعل هذا هو العامل الحاسم فى اطلاق الثورة الثقافية من عقالها . وليس صدفة أن يكون تصعيد الحرب الفيتنامية ببدء الغارات الجوية على فيتنام الشمالية فى فبراير ١٩٦٥ ، وأن يصدر ماوتسى تونج نداءه ببدء الثورة الثقافية فى صيف نفس العام ، وأن يكون جيش التحرير الشعبى فى الصين هو معقلها

ونظاميها ، ثم تصبح حركة جماهيرية ينخرط فى صفوفها ٥٠ مليونا من شباب الحرس الاحمر بعد شهور قليلة من اطلاق شرارتها الاولى .

واذا اردنا ان نخاطر بايجــاز مغزى الثورة الثقافية فى كلمة فانها تتلخص فى محاولة تدريب أمة بأسرها على أن تعيش فى ظروف أقرب الى « شيوعية الحرب » ، بينما هى لاتخوض حربا ساخنة فى الواقع .

وقدعمدماوتسى تونج الى الاستفادة من ظرف غير موات ، هو التهديد الامبريالى الامريكى عامة ، وتصعيد الحرب الفيتنامية بصفة خاصة ، لتحويله الى ظرف موات ، الا وهو تخطى مراحل كثيرة فى الصراع الاجتماعى الدائر داخل المجتمع الصينى ، تعجلا لتحقيق المجتمع اللاطبقى ، وتغليبا لفكرة الرامى الى اختصار الطريق الى مجتمع المساواة ، الشيوعى المثالى ، الذى حلم به هو ورفاقه من جيل المسيرة الكبرى . ورأى «ماو» ان أهم مايهدد مخططه يتلخص فى : (١) خطر البيروقراطية المتعاظم فى الحزب والدولة ، (٢) خطورة فكرة الحـوافز المـادية فى تنمية الروح البرجـوازية للتملك والاستهلاك ، (٣) الفكر والتطبيق السوفيتى عن التعايش السلمى ، والذى لايساعد — فى رايه — على خلق مناخ «شيوعية الحرب» الذى يسعى لاشاعته فى الملايين السبعمائة من ابناء الشعب الصينى .

ومن سوى الشباب الناشىء يمكن أن يتجاوب مع فكرة الثورة على البيروقراطية ، من مثله يمكن ان يلتهب حماسه المثالى لتغليب الحوافز المعنوية، واختصار الطريق الى مجتمع المساواة والشيوعية المثلى ؟

ولانعدو الحقيقة اذا قلنا ان جوهر المنهج الذى يطبقه فى الداخل قيادة كل من فيتنام الديموقراطية وكوريا الديموقراطية وكـوبا ، حيث لحـروب التحرير تقاليد راسخة وتاريخ متواصل لم يتوقف، المنهج الذى يطبقه كل من **هوشى منه ، وكيم ايل سونج ، وفيدل كاسترو** ، هو أقرب الى منهج شيوعية الحرب الذى تتبعه قيادة ماوتسى تونج فى داخل الصين . بل كانت هذه القيادات أسبق فى تطبيقه ، ذلك ان الحرب لم تتوقف بينها — كدول — وبين العدوان الاستعمارى المسلح منذ حصولها على الاستقلال السياسى حتى اليوم . ومن ثم لاتوجد هوة تفصل هذه القيادات عن ابناء الجيل الناشىء فى بلادها . وان وجدت هوة ، فانها تلك التى تسبب عزلة فئات من ابناء الجيل الوسيط الذى يتشكل من بعض رجاله جيـوب البيروقراطية فى الدولة والحزب ، وهذا يفسر جانبا من الصراع الحزبى القائم فى كوبا والصين .

ولعل كمبوديا هى الشذوذ الذى يثبت قـاعدة الكفاح المسلح فى ذلك الاتون الملتهب فى الشرق الاقصى وجنوب شرقى آسيا . فذلك هو البلـد الوحيد الذى لا يزال يتشبث — بنجاح — بسياسة الحياد وعدم الانحياز فى الميدان الدولى، وبسياسة التطورات الاجتماعية السلمية فى الداخل . والدور الشخصى الذى يقوم به « نوردوم سيهانوك » عامل هام فى ذلك . كما أن مراعاة الدول الكبرى المعنية لهذا الحياد شرط ضرورى لاستمراره . ولو ان الولايات المتحدة وسعت دائرة الاستفزازات ضده، لاصبح من العسير عليه المحافظة على هذا الموقف، كما أن الهزيمة المرتقبة للامريكيين ، وانسحابهم من شبه جزيرة الهند الصينية من شأنه ان يجعل هذه السياسة تثمر ثمارا أفضل، وذلك اذا واصلت القيـادة الوطنية فى كمبوديا النهج التقـدمى فى الداخل .

ردود فعل محافظة (ذات مضمون رجعى)

واخيرا ، هناك النمـو غير الصـحى لبعض الاتجاهات المحافظة (ذات المضمون الرجعى) بين شباب بعض بلاد العالم الثالث ، والـذى غالبا مايساء فيها استغلال الدين . ذلك ان :

(١) سوء فهم الاتجاهات الجديدة فى الغرب ، والمطابقة الخاطئة ، بين النزعات الفوضـوية والانحلالية فى هذه الاتجاهات وبين فكرة التقدم ، وما يولده هذا الخلط ، المتعمد أحيانا ، من ردود فعل محافظة .

(٢) سيادة التكوين العقلى الريفى ، ورفض الانفتاح الا على الجانب المادى من حضارة البلاد الصناعية المتقدمة ، دون تعمق جوانبها الفكرية والفلسفية ، ومن ثم العجز عن تمثل ماهو أصيل وصالح منها لظروفنا .

(٣) جو اليأس الذى يمكن ان ينتشر فى ظروف الازمات او المحن او التوتر الاجتماعى النفسانى الحاد او انفلات السلطة الذى يصحب تفاقم هجوم الاستعمار الجديد وحصاره للبلاد حديثة الاستقلال، وبخاصة تلك التى تسعى لتلمس طريقها الاشتراكى الخاص .

(٤) الانشقاقات المتكررة التى تحدث فى صفوف القيادات الوطنية ، بعـد تحقيق الاسـتقلال السياسى ، حيث تنحاز قيادات وفئات وطنية الى اليمين ، ركونا الى الراحة وسعيا لتحقيق امتيازات طبقية جديدة ، ومايصحب هذا من فجيعة للجيل الناشىء فى كثير من مثله وقياداته ، وخيبة أمله

في كثير من الاهداف والشعارات . هذا علاوة على ماتخلقه القيادات المتخلفة نفسها من تيارات فكرية وسياسة محافظة ذات مضمون رجعي .

(٥) تراكم العوامل التى تزيد من مشكلات اليسار التقليدى وازماته ، من الاضطهاد المزمن، الى تشبث غالبية قياداته بالصيغ الفكرية التقليدية التي تتخطاها الاحداث بسرعة مذهلة ، الى الهرولة وراء تلك الاحداث واللهث وراء التطورات ومراعاة التحالفات والتوازنات ، الى المحاولة المألوفة والسهلة التى تلجأ اليها كل القوى السياسية المعنية لتعليق ادرانها على شماعات اليسار حين لايكون فى السلطة ..

كل هذه العوامل مجتمعة ارضية مواتية لنمو الاتجاهات المحافظة ذات المضمون الرجعي. وقد تأتلف جميعا فى لحظة تاريخية معينة فى مجتمع بعينه لتطلق قوى الفكر والتشكيلات السياسية الرجعية ذات العلاقات المشبوهة من عقالها . وكسب الشباب ، والطلبة خاصة ، من أهم ماتضعه هذه القيادات فى جدول أعمالها ، وهى اذا نجحت فى ذلك تكون كارثة حقيقية . ولعل الحمام الدامى الذى تعرضت له اندونيسيا (١٩٦٥-١٩٦٦) ، والذى راح ضحيته اكثر من نصف مليون اندونيسي، افظع مثل من نوعه فى التاريخ . وهذا يلقى على قوى التقدم مسئولية اليقظة الكاملة ، وعدم ترك الشباب والطلبة نهبا للضياع والفراغ الروحى أو الهبوط المعنوى ..

من الاتجاهات المرضية

نفسية « الهروب من الجيتو »

قبل أن ننهى حديثنا عن العالم الثالث ، لابد أن نشير الى بعض الاتجاهات المرضية الملاحظة بصفة خاصة بين شباب الطبقة المتوسطة ، وما فوقها ، فى هذه البلاد . ونبدأ هنا بتشخيص سريع لحالة نفسية منتشرة بين هذه الفئات الاجتماعية، وهى حالة يمكن أن نسميها : **« الرغبة فى الهروب من الجيتو »** .

و«الجيتو» لفظ عالمى يطلق على الاحياء التى تسكنها الفئات المضطهدة المنبوذة من السكان ، لاسباب عنصرية فى الغالب ، مثل أحياء الزنوج فى المدن الامريكية ، وأحياء اليهود فى بعض بلاد اوروبا قبل الحرب العالمية الثانية . ويمكن أن تقول ان الامبريالية ، خلقت - الى جانب الجيتو القومى فى مدنها - « جيتو عالمى » يشمل مجموع بلاد العالم الثالث على اتساعها . وكما يتكدس الزنوج فى جيتو **«هارلم»** فى نيويورك ، وفى جيتو **«واتس»** فى لوس انجيلوس .. الخ ، حيث الاعداد الغفيرة والفقر العميم ، كذلك تتكدس الشعوب الفقيرة الملونة بمئات الملايين فى عشرات من بلاد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، حيث الجيتو العالمى .

وكما ينجب جيتو الزنوج فى الولايات المتحدة ثوارا من طراز **« كارمايكل »** و **« راب براون »** ، كذلك يمكن ان ينجب برجوازية زنجية تتعالى على أبناء جلدتها وتحاول أن تنفصل عنها . ومن أول ماتسعى اليه البرجوازية الزنجية ، تأكيدا لذاتها ، هو سعيها للانتقال من الجيتو للسكن فى احد الاحياء «الراقية» التى يسكنها البيض . والحالة النفسية لمثل هؤلاء الزنوج ، سواء نجحوا فى الانتقال للسكنى فى أحياء البيض ، أو حالت دون ذلك قوانين التفرقة العنصرية فى السكن ، تلك الحالة النفسية هى مايمكن أن نسميه « نفسية الهروب من الجيتو » ، والتى تتلخص فى أنها :

(١) تصيب الفئات الاجتماعية المتيسرة نسبيا من سكان الجيتو. (٢) تنطوى على شعور بالتعالى على بقية سكان الجيتو ، يكمله نوع من الاحساس بالضعة تجاه السكان البيض خارج الجيتو . (٣) أو هى فى أحسن الفروض تعكس حالة من الانهاك المعنوى وعدم تحمل ظروف الحياة الصعبة والمتوترة فى الجيتو ، وبخاصة فى ظروف احتدام الاضطهاد العنصرى ، وعدم الرغبة فى مشاركة سكان الجيتو آلامهم وآمالهم ونضالهم (٤) واخيرا هى حالة من اليأس من اصلاح حال الجيتو وساكنيه والرغبة فى نفض اليد من أية مسئولية اجتماعية او سياسية تجاه الاخوة وابناء العشيرة الواحدة .

وينتهى هذا الاحساس عادة اما بالهروب المادى من الجيتو ، اى بالهجرة منه الى الاحياء «الراقية» التى يسكنها البيض ، أو بالحياة فى عزلة نفسية ومعنوية داخل الجيتو نفسه ، أى بالهروب المعنوى والروحى من الجيتو ، على الرغم من مواصلة التواجد المادى فيه .

ومن المؤسف ان نفسية الهروب من الجيتو تصيب نسبة كبيرة من ابناء الطبقة المتوسطة وما فوقها ، فى بلاد العالم الثالث ، وبخاصة فى صفوف المثقفين . ومن الامثلة التاريخية أن الولايات المتحدة أعلنت ، ذات يوم من أيام ١٩٦٣، عن ترحيبها بأى كوبى يطلب الهجرة اليها ، هروبا من نظام فيدل كاسترو . وكانت مفاجأة حين قبل كاسترو التحدى ، وأعلن فتح باب الهجرة دون قيود . عندئذ تقدم بطلب الهجرة ٣٥٠ الف كوبى (فى بلد تعدادها لايزيد على سبعة ملايين) ،غالبيتهم من المثقفين والفنيين . وكانت المفاجأة الثانية حين توقفت أمريكا عن أرسال السفن التى وعدت

بارسالها لشحن طالبي الهجرة ، بعد ان اخذت الثلاثة آلاف الاولى منهم . اما المفاجاة الثالثة فجاءت حين رفض كاسترو ان يصادر حرياتهم او يوقع عليهم العقوبات التى انتظرها المراقبون الامريكيون ، وانما اكتفى بان جعلهم يكسبون قوتهم من العمل فى مزارع القصب ، لكى يتعلموا كيف يعانى الشعب العامل من اجل كسب قوت يومه ، ولكى يعرفوا انهم رفضوا النعمة التى اسبغها عليهم هذا الشعب نفسه ، حين تكفل بنفقات تعليمهم ووضعهم فى وظائف مريحة بمرتبات مجزية وحياة طيبة نسبيا ، واخيرا ليلقنهم درسا عمليا فى كيف تكون الثقة بنوايا اصدقائهم الامريكيين الذين وضعوهم فى هذا الموقف الحرج .

هكذا نرى ان كوبا التى انجبت جيفارا وكاسترو ، انجبت ايضا ٣٥٠ الفا (على الاقل) من مرضى «الهروب من الجيتو» .

ولعل مانسميه فى مصر «بالخنفسة» ، كما ظهرت بين بعض شبابنا ، هى بعض اعراض هذا المرض المنتشر بين شباب الطبقة الجديدة ، والفئات المتوسطة عموما ، ليس فى مصر فحسب ، بل فى غالبية بلاد العالم الثالث .

لقد سبق ان راينا كيف ان ظهور «البروفوس» و «البيتنكس» و «الهيبيز» هى من مظاهر تمرد الجيل الناشىء فى الغرب المتقدم واحتجاجه على مجتمع الاستهلاك ، وراينا كيف ان بعض « قادة » هذه الاتجاهات المتمردة فى الغرب قادر على التعبير الفكرى والفلسفى عنها ، على الرغم من العنصر الفوضوى الكبير فى تشكيلها . وباستثناء عدد من مشيخات البترول ، حيث هبطت الثروة مع تفجر البترول ، وانتقل المجتمع من «البداوه الى الانحلال» باستثناء هذه الجزر المعزولة وامثالها ، فان بلاد العالم الثالث ابعد عن مجتمع الاستهلاك بعد الارض عن السماء . لذلك اذا راينا عددا من شبابنا او شباب هذه البلاد عموما يطيل شعره وينصرف بعض التصرفات الشاذة وياخذ ببقية المظاهر التى ياخذ بها البيتنكس او الهيبيز فليس هذا تعبيرا عن شىء حقيقى فى مجتمعاتنا ، وانما هذا من مظاهر التقليد الفج لما يفعله شباب الغرب . وهؤلاء عادة من تلاميذ او خريجى المدارس الاجنبية ، ومن ابناء الطبقة الجديدة او الفئات الغنية التى تعيش بنفسية الهروب من الجيتو . ان آباءهم وأسرهم يتباهون فى حياتهم الخاصة بحيازة سلع الاستهلاك المستوردة من الغرب ، ويرسلونهم الى المدارس الخاصة والمدارس الاجنبية ، ويقتنون أجهزة التسجيل والاسطوانات التى تحمل تسجيلات أغانى البيتلز والحان رقصات الجيرك . وهكذا نرى أن تشبه الابناء بالبيتلز امتداد لملكية الاباء للمنتجات الغربية ، ووراثة لمرض الهروب من الجيتو الذى يصيب الاباء . وهذه المظاهر تؤدى الى مزيد من العزلة المعنوية والروحية لهذه الفئات الاجتماعية عن ابناء وطنها ، وتضيف الى عناصر تآكل مكانتها بين مواطنيها .

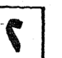
ومن المفارقات أن ينطوى مظهر واحد على مضمونين متناقضين ، فبينما هو فى الغرب المتقدم ينطوى على فكرة الاحتجاج والهروب من مجتمع الاستهلاك ، اذا به فى البلاد المتخلفة يعبر عن تطلع مرضى للالتحاق بمجتمع الاستهلاك ، ولو كزائدة تبحث لها عن مكان . وذلك من الاسباب التى تضيف الى عدم الفهم المنتشر بين فئات من مثقفى العالم الثالث لكثير من الاتجاهات الجديدة بين الشباب فى الغرب المتقدم .

ولايفوتنا ان نؤكد ان هذه النفسية المرضية ، هى من اهم اسباب هجرة الفنيين وحملة المؤهلات من البلاد النامية الى البلاد المتقدمة فى الغرب ، وبخاصة الى الولايات المتحده . ويترتب على ذلك ماهو معروف من حرمان البلاد النامية من مصدر من اهم مصادر الثروة القومية ، الا وهى الخبرة الفنية ، علاوة على الخسارة المادية المباشرة فى المبالغ الطائلة التى تنفق على تعليمهم واعدادهم . وذلك باب آخر من أبواب نهب الثروات البشرية للبلاد النامية ، والعمل على زيادة البلاد الفقيرة فقرا .

وواضح ان هذه المشكلة يستحيل علاجها عن طريق الحوافز المادية . فمهما ارهقت البلاد النامية ميزانياتها فلن تقدر على توفير كسر ضئيل مما يستطيع مجتمع الاستهلاك توفيره لرعاياه . فالامر اولا واخيرا يتلخص فى ضروره بذل جهود خاصة ومضاعفة لكسب هؤلاء عن طريق التوعية والمثل الحسنى ، وتوفير جو من الديموقراطية الحقة يتنفسون فيه ، وجو من التقدير الاجتماعى المناسب ، وتهيئة فرص الخدمة العامة امامهم بطريقة تشعرهم بأن لعلمهم وخبرتهم قيمة مباشرة فى بناء القيم الماديه والمعنوية التى ترفع مستوى أبناء وطنهم ، اى العمل على تحقيق ذات المثقف بوصفه انسانا مثقفا ، وليس بوصفه مستهلكا . وتلك مهمة على نبلها وضرورتها ، جد شاقة وعسيرة .

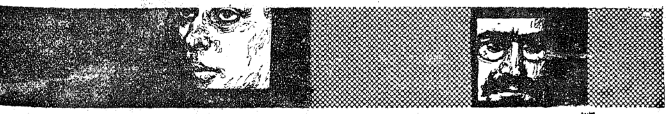
ولكن اي مهمة تواجه بلاد العالم الثالث ليست شاقة وعسيرة ؟

يمكن للمرء من خلال استقراء حـركة الشباب والطلبة فى العالم ، التوصل الى الالهامات الفكرية والنضالية التى تعتبر الارضية المشتركة للحركة .



ومن الملاحظ أن فكرا واحدا أو سيرة نضالية واحدة لا تحظى بسيطرة كاملة على الحركة ، وانما هناك خليط ضخم من الافكار والشخصيات الملهمة .

ومع ذلك يمكن القول ان ثمـة افكارا رئيسية وشخصيات محددة تستأثر بالقدر الاكبر من اهتمام الشباب والطلبة . وفى هذا القسم من الدراسة نقدم عرضا لهذه الافكار والشخصيات .



شي جيفـــــارا
(١٩٢٨ ـ ١٩٦٧)



● الشهــــداء المسيحيـــون الاوائل .. والطهارة الثوريه

ان فكر شي جيفارا وحياته وبطولته واستشهاده . هي اعظم ملهم لحركة الشباب الثورى فى عـالم اليوم ، بما فيهم الشباب الامريكى نفسه . فنموذج شي جيفارا الذى تخلى عن منصبه فى قيادة الحزب الشيوعى الكوبى ، وعن رتبته كميجور ، ومنصبه كوزير ، لكى يعود مرة اخرى مقاتلا فى وحدات حرب العصابات فى ادغال بوليفيا واحراشها وجبالها ، لهو فى الحقيقة من اكثر النماذج التى عرفها التاريخ ولاءاً للثورة وللشجاعة ، ونكران الذات .

وكما اوضحت التايمز البريطانية فى ٢٨ مايو الماضى ، « فى حجـرات الطلبة التى لا اول لها ولا آخر ، والتى تنتشر فى كل انحاء العالم ، تجـد صورة شي جيفارا معلقة على الحوائط . وفوق المكاتب ، فى برلين ، ونيويورك ، وسان فرانسيسكو ، وطوكيو ، وبراغ ، ولندن ، واسكس ، واماكن اخرى عديدة . انه موجود فى حجرات المتطرفين الذين يرسلون شعور لحاهم ، وفى حجـرات الفتيات الحالمات ، والاكاديميين الذين يتصفون بالوداعة ـ لقد اصبح جيفارا شخصية ملهمة ليس فقط بالنسبة للذين يفجرون الثورة وانما ايضا بالنسبة للذين يتطلعون لاستحداث مواقف سـياسية جديدة ، واحداث تغيير فى المجتمع ، واعادة صـياغة شخصياتهم » .

ويمثل جيفارا بالنسبة لموجة حركات الشباب التى تجتاح العالم اليوم ، معانى جديدة ، تذكى هذه الموجة وتشعلها بالحماس . لقـد قدم الى المجتمعات الغربية المتقدمة ، مبادىء واسـاليب ثورية نضجت فى مناخ يختلف تماما عن المناخ الغربى وازدهرت فى تربة امريكا اللاتينية ، عبر مراحل كفاح وتطور الثورة الكوبية ، واضـحت تشكل قوة ثورية دافعة للشباب الاوربى والامريكى والعالمى عامة .

وان رسالة جيفارا الاخيرة الى شعوب العالم ، والتى تعد صرخة ثورية للمقاومة ازاء العنـف الاستعمارى المتزايد . ودعوة للشجاعة الثورية الدولية فى مواجهة ابتزاز الولايات المتحدة للشعوب عن طريق التلويح بالقوة ، انما اتت قوة دافعة لشباب العالم الذى يتزايد احساسه يوما عن يوم بالدور العدوانى الذى تقوم به الولايات المتحدة عالميا . وقد اتخذ الشباب من هذه الرســالة دليل عمل ثوريا فى كافة بقاع العالم . ففيها حدد جيفارا بوضوح انه ليس هناك « من رد سليم وصحيح على ابتزاز الامريكيين بالتهديد بحـرب ، سوى عدم الخوف منها ، وعلى الشعوب ان تقيم تكتيكها العام على اساس الهجوم فى شدة ودون هوادة فى كل موقع من مواقع المواجهة »

اما بالنسبة للشباب الافريقى فقد اوضـح جيفارا حقيقة بالغة الاهمية بالنسبة لهم وهى ان قارتهم « تشكل الاحتياطى الطويل المدى ، على مستوى المخططات الاســتراتيجية للامبريالية الامريكية » كما اشار الى انه « سوف تبزغ فى افريقيا مرحلة جديدة عندما تبادر الجموع السوداء فى افريقيا الجنوبية ، وفى روديسيا بشن معركتها التحريرية الحقيقية ، او عندما تبدأ الجمــاهير الغفيرة بالعمل على انتزاع حقها فى الحياة الكريمة من الاقليات الحاكمة » .

اما بالنسبة لشباب امريكا اللاتينية ومناضليها فقد وضع على عاتقهم مهمة ضخمة : « عليهم ان يوجدوا فيتنام ثانية وثالثة » خاصة وهو يرى ان « الغـالبيه الـكبرى من بلادها ، قد نضجت للكفاح المسلح » .

كذلك فان هذه النفجرات العـالمية لحركات الشباب لايمكن ان تكون قد جاءت بمعزل عن دعوة جيفارا للـكفاح العـالمى ضـد القوى الرجعية والامبريالية العالمية . « علينا ان ندرك ان الامبريالية تشكل فى آخر الامر ، نطاقا عالميا يمثل آخر مرحلة للراسمالية ، ويستدعى القضاء عليه ان ندخل فى مواجهة عالمية ، ويجب ان يكون هدف تلك المعركة الاستراتيجى ، القضاء على الامبريالية » . وتقوم خطته التحريرية على اساس : « القضــاء على الامبريالية ، بازالة اقوى قلاعها ، وهو التسلط الامبريالى للولايات المتحدة الامريكية » .

ولاشك ان موقف جيفارا الاستقلالى بالنسبة للصراع العقائدى الصينى ــ السوفيتى . كان احد العوامل الاساسية وراء ذلك الالتفاف الشبابى شبه الاجماعى حول موقفه من تلك المشكلة ، «حتى وان كان اتفاقه مع فريق على قدر اكبر من الفريق الاخر» حسبما أوضح جيفارا نفسه . « فلا نستطيع نحن المسلوبى الحقوق ، ان نتحيز بشكل او آخر من اشكال التعبير عن الخلافات لما يصطحب الدفاع عن كل راى منهما من شدة وعنت » وان كان الموقف الجيفارى اكثر اتساقا فى اهدافه ووسائله العامة مع ماتسعى وتهدف اليه «الماوية» فى الصراع العالمى لسحق الامبريالية الامريكية .

ومن اهم النظريات التى قدمها جيفارا والكاستروبين بعامة ، هى نظرية «البؤرة الانتفاضية» التى تعتمد على قيام جيش حرب العصابات المكون من الفلاحين والمثقفين ،بخلق بؤرة كفاح ثورية تقوم بالدعاية وباثارة الشعب ودفعه للقيام بالثورة . وهى على خلاف التبرير اللاثورى الذى كانت تتعلل به الاحزاب الشيوعية التقليدية فى أمريكا اللاتينية عن ضرورة « توافر الشروط الموضوعية اللازمة للثورة » ، ذلك ان الاقدام على العملية الثورية ـ حسبما اوضح «جيفارا فى ندوته مع الطليعة فى أبريل ١٩٦٥ــ يشكل فى حد ذاته عاملا موضوعيا وهذه مسألة حاسمة » . وتشكل فكرة جيفارا عن «البؤرة الانتفاضية» حافزا فكرية ثوريا بالغ الاهمية بالنسبة لحركة الشباب المناضل فى أمريكا اللاتينية بوجه خاص .

كذلك فان واحدا من اهم الاسباب الكامنة وراء الشعبية الهائلة التى يحظى بها جيفارا بين شباب العالم الثالث بخاصة ، هى اشارته الى صيغة التبادل غير العادلة التى تطبق فى الاقتصاد العالمى اليوم . فقد كشف جيفارا فى دراسته التى قدمها لمؤتمر جنيف للتنمية والتجارة ، النقاب عن لعبة «السوق العالمية» التى انشأها النظام الراسمالى العالمى ، ويمارس من خلالها استغلال الدول النامية بعلاقات تجارية غير متكافئة . وأشار فى هذه الدراسة بصراحة وموضوعية الى قضية العلاقات التجارية بين الدول الاشتراكية الصناعية المتقدمة ، والدول النامية « هذه العلاقات التى تخضع لنفس الشروط التى تفرضها «السوق العالمية» . وقد تساءل فى مؤتمر الشعوب الافروآسيوية المنعقد فى مدينة الجزائر عام ١٩٦٥ ذلك التساؤل الهام فيما يتعلق بتلك القضية «كيف يمكن أن نسمى تبادلا «للصالح المشترك» بيع منتجات خام تكلف الدول المتخلفة جهودا وآلاما لاحدود لها ، بأسعار السوق الدولية ، فى مقابل شراء آلات تنتجها مصانع ضخمة تعمل بالاوتوميشن؟ « لو اننا اقمنا علاقات من هذا الطراز بين الدول الاشتراكية والدول النامية ، لتعين علينا ان نقول، ان الدول الاشتراكية تتواطأ الى حد ما مع الاستغلال الاستعمارى . يجب على الدول الاشتراكية ، ان تلتزم معنويا ، بتصفية هذا التواطؤ الضمنى مع الدول المستغلة فى الغرب». « يجب ان تسود بين مجموعتى الدول الاشتراكية والنامية ، علاقات مبنية على سياسة جادة وجديدة تماما» .

وفى كتابه « الاشتراكية والانسان فى كوبا » اختط جيفارا مبدا بالغ السمو انسانيا فى علاقات الدول الاشتراكية بالدول النامية : « ان تنمية البلدان التى حصلت على تحررها اليوم ، يقع على عاتق البلدان الاشتراكية ، والاشتراكية لن تقوم لها قائمة ، الا اذا حدث تحول فى الضمائر يترتب عليه موقف اخوى جديد تجاه الانسانية، سواء على المستوى الفردى فى المجتمع الذى يبنى الاشتراكية ، او على المستوى الدولى تجاه الشعوب التى تعانى من الاضطهاد الاستعمارى».

ولعل من اخطر آراء جيفارا التى تزداد انتشارا بين الكثير من حركات الشباب فى الغرب والعالم وبين شباب الاحزاب الاشتراكية والشيوعية آراؤه عن قيمة وأثر الحوافز المادية فى البناء الاقتصادى الاشتراكى ، وفى المجتمع الاشتراكى ، وفى تكوين الانسان الاشتراكى ، وآراؤه فيما يتعلق بالنتائج المترتبة عن اعطاء فرصة اكبر لعمل قانون القيمة فى البلاد الاشتراكية . يقول جيفارا فيما يتعلق بهذه القضية : « نقرا فى بعض مراجع اكاديمية العلوم الاقتصادية السوفيتية عن ان هناك امكانية لاستخدام قانون القيمة استخداما «ذكيا» . وهذا فى رايى لايمثل الحقيقة . لاادعى أنهم عندما يزعمون ذلك ، انهم سيئو النية ، وانما اقصد انهم اخطأوا التقدير .. فماذا حاولوا ان يفعلوا ؟ حاولوا اعطاء فرصة اكبر لتطبيق قانون القيمة ، والسماح له باحداث كل فاعليته ، بناء على ذلك ادخلوا المنافسة من الناحية الفعلية بين المشروعات، وادخلوا الحافز المادى سواء فى صورته الشخصية او فى صورته الجماعية . لكن تعريف الراسمالية، هو اطلاق حرية العمل لقانون القيمة ، وكلما اطلقت حرية أكبر لحركة قانون القيمة ، اتجهنا مرة اخرى الى الراسمالية »

« هناك دائما خطر الدخول فى طريق مسدود بمحاولة تحقيق الاشتراكية ، باستخدام اسلحة عفنة ورثناها عن الراسمالية (السلعة بوصفها وحدة اقتصادية ، الربحية، المصلحة المادية الفردية كحافز .. الخ) ــ ومن هنا لابد من اختيار سليم لاداة تجنيد الجماهير . يجب أن تكون هذه الاداة فى جوهرها ، أداة معنوية دون تجاهل الاستخدام السليم للحافز المادى ذى الطابع الاجتماعى اساسا ــ لاشك انه من السهل اللجوء الى الحوافز المعنوية فى لحظات اشتداد الخطر ، ولكن الحفاظ

على هذه الحوافز ، يستدعي تنمية قيم جديدة في المجتمع ، يجب أن يتحول المجتمع في مجموعه الى مدرسة كبيرة للقيم الجديدة » .

كذلك يرى جيفارا « ان تنمية الوعي هو الشرط الجوهري لبناء الاشتراكية ، وان تنمية الوعي الاشتراكي ، متعارضة ، مع تنمية الحوافز والمصالح المادية المباشرة للافراد » كما يرى : « انه لايمكن بناء القاعدة المادية للاشتراكية ، بدون تنمية الوعي الاشتراكي ، ومعنى ذلك أن القانون الايديولوجي ، هو القانون الاساسي في البناء الاشتراكي ، وليس القانون الاقتصادي . فليست القاعدة المادية هي العنصر الحاسم في خلق الانسان الجديد، وانما الوعي، ذلك ان الوعي الاشتراكي هو الاساس ، وهو الذي يشكل مسلك ونشاط الانسان الجديد » .

كما وان الاشتراكية عند جيفارا هي الثورة الاشتراكية العالمية . والاشتراكية لابد ان تمر بمرحلة انتقالية ، يكون الاتجاه الغالب فيها ، هو تصفية القوانين الاساسية للراسمالية وفرض القوانين الجديدة للاشتراكية . والمهمة الرئيسية التي تواجه هذه المرحلة الانتقالية ، هي « الاعداد للثورة الاشتراكية العالمية وبناء قاعدتها المادية ، وليست هذه المرحلة هي مرحلة البناء الاقتصادى للاشتراكية ، في دولة واحدة » .

وبعد ، فاذا كان جيفارا قد أكد على ضرورة خلق انسان جديد غير انسان القرن التاسع عشر، او القرن العشرين الفاسد المتدهور ، فقد كان هو نفسه انتفاضة وضاءة في وجه مفاسد وانانية «القرن العشرين» الفاسد المتدهور ، كان نموذجا مبكرا للانسان الجديد الذى طمح اليه هو نفسه، انسان القرن الحادى والعشرين . واحدى مصادر الجاذبية في شخصيته التي ضمنت له كل ذلك الحب العالمي، الاخذ بمجامع القلوب، هي مطابقته المخلصة التامة والنادرة بين كلماته وحياته . ذلك ان جيفارا لم يدخر اى وسع ، او يبخل بأى تضحية في سبيل تحقيق وتطبيق ماآمن به ، وأعتقد . فقد ترك وراءه كل شيء ، ترك « أعز ذكرياته ، واخلص احبائه » ليذهب الى ميادين جديدة للمعارك ، وليضع في خدمة المعركة وبحسب تعبيره هو«هذا الشيء القليل الذى نستطيع تقديمه ، حياتنا وتضحياتنا » ، وخلق بذلك تلك الجذوة التي تشتعل ابدا في قلوب شباب العالم ، حربا لاهوادة فيها على اشكال الانانية ، والاستغلال ،والتسلط، والظلم الامبريالى والاجتماعى في اى بقعة ومكان.

■■■

هوشي منه
(١٨٩٠ : —)



● اعلى مثل للمناضل من أجل الحرية

ومن أشد النماذج تأثيرا في حركة الشباب العالمي ، نضال الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار الامريكي ، الذي يجسده ويرمز اليه الرئيس الفيتنامي الشعبي ((هوشي منه)) . ولا يرجع ذلك الحب والاعجاب الشديدين بشخص هوشي منه ، وبخاصة من جانب الشباب الغرب اوربى ، الى مجرد نضاله العام ضد الامبريالية والاستعمار ، ومن اجل حرية بلاده واستقلالها ، وانما الى نضاله ضد الامبريالية الامريكية بالذات ، في هذه المرحلة التاريخية خاصة . فاذا كانت اوربا الغربية ، وفرنسا الديجولية على وجه محدد ، تنزع نزوعا متزايدا للتخلص من سيطرة الولايات المتحدة ، فان للنضال الفيتنامى الموجه ضد الامبرياليين الامريكيين كل مغزاه ، وبخاصة من هذه الناحية ، لانه يأتي متسقا كل الاتساق مع التمرد الغرب اوربى على الامريكيين ، ومع ذلك الانتصار لقوى التحرر والاشتراكية من جانب القوى الثورية في الغرب الرأسمالي ..

وان محبة هوشي منه ، و « الحماس الغرب اوربى والعالمي » لانتصاراته ، وذلك التعاطف مع قضية شعبه النضالية ، كل تلك لا تعود فحسب الى مجرد انتصار الشباب الاوربى والعالمي لقضايا التحرر والاستقلال كقضايا عادلة ، وانما ترجع محبة هوشي منه ايضا ، الى القيمة العظيمة التي تجسدها حياته الشخصية ، وتضحياته غير المحدودة ، وكفاحه المتصل من اجل الشعب . ففي حياته النضالية الشاقة من اجل الشعب والثورة الاشتراكية ، ضحى

هوشي منه بكل شيء ، واثبت أنه ليست هنـاك من تضحية تغلو على الثورة ، وعلى تلك المحبـة الشاملة التي وهبها لشعبه وللانسانية جمعاء . فالمناضـل والقائد العظيم ، قد حـرم في غمرة الكفاح من اجل الشعب والثورة ـ بالاضافة الى كافة صنوف الحرمان المـادى التي عاناها ـ من ابسط الحقوق المكفولة لابسط الادميين ، سواء في بلده او في سائر بقاع العالم ، حرم ذلك الحق الطبيعي في الزواج وتـكوين اسرة خاصـة به : « أنني تزوجت بلادى ، وابناؤها هم ابنائي » ، فهو يعيش راهبا في صـومعة النضـال الوطني والإشتراكي والانساني عامة ، وهو ليس استثناء من هذه الناحية ، بالنسبة لعديد من النمـاذج العظيمـة التي امدتنا بهـا الثورة الاشـتراكية الآسـيوية ، وامدت بها العـالم . فما زال هوشي منه ، برغم المكانة العظيمة التي بلغها ، يعيش متواضعا كما يعيش ابسط فلاح في بلده . يكره الجنلات ويعزف عن الرسـميات والمظاهر الجوفاء ، بعد ان انفق ما يزيد على نصف قرن في نضال مرير ، وتضـحيات متواصـلة من اجل الامة الفيتنـامية ، والثورة الماركسية اللينينية ، عاشها في اعماق المخابيء وكهوف الجبال وظلمات السجون ، وخاض خلالها غمار اعنف المعـارك وأشقها . وتسمى بعديد من الاسـماء الحركية السرية ، ضمانا لنجاح النشاط الثورى السرى ، اسماء غير اسمه الاصلي وهو نجوين تات ثانه ، منها : « كونج » و « با » و « فوونج » و « شن » و « لين » و « تران » واخيرا « هوشي منه » ، ومعناها « الرجل المستنير » .

وقد ولد هوشي منه سنة ١٨٩٠ ، في مقاطعة نجهى ـ ان ، وكان أبوه رجل علم فقيرا محبـا لوطنه في نفس الوقت . وقد طرده المستعمرون الفرنسيون من وظيفته بسبب اتهامه بالقيـام بنشـاط ثورى ، كمـا حـكموا على شـقيقة هوشي منه الصغرى بالسـجن ٩ سـنوات مع الاشغال الشاقة بتهمة سرقة السـلاح وتهريب الوطنيين ، كما سجنوا اخاه الاكبر بتهمة ايواء زعيم ثورى . وهكذا تفتح وعيه الوطني على اضطهاد المستعمرين الفرنسيين لاسرته وبني وطنه . وكان هوشي منه مولعا بادب الوطنية ، وابدى مهـارة في معرفة اللغة الصينية ، ثم تعلم بعد ذلك اللغة الوطنية ودخل كلية **كيوك هوك** في هيو . وترك الدراسة سنة ١٩١٠ ، وعمل مدرسا في مدرسة خاصة انشـأها بعض الوطنيين ، ولـكنه ترك التدريس في اكتوبر سـنة ١٩١١ ، ورحل الى سايجون حيث درس التجارة في مدرسة مهنية لمدة ٣ اشهر .

وبعد ذلك قرر السفر الى الخارج . ولما لم يكن يملك شيئا يساعده على السفر ، فقد عمل مساعد طباخ في سفينة تجارية فرنسية . وعندما وصل الى مرسيليا ، هاله منظر الفقـراء والمضطهدين والعاطلين والبغايا ، وكافة صنوف البؤسـاء في هذا المجتمع الغربي « المتحضر » .

وانتقل من مرسـيليا الى الهافر ، حيث عمل خادما عند عائلة فرنسية ، وعمل بعدئذ مضيفا على باخرة دارت على موانيء افريقيـا ، فمر باسبانيا والبرتغال ، والجزائر وتونس ، وبلدان افريقيا الشرقية ، والكونجو ... الخ . حيث شاهد شعوب المستعمرات مذلة ومهانة ومحتقرة ، مما اجج سخطه على الامبريالية والاستعمار . وانتقل بعد رحلته هذه الى لندن ، حيث زاول اعمالا مختلفة ، منها مساعد طباخ في فندق « كارلتون » ، ومع ارهاق العمل ، كان يتابع الدراسة ايضا .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، عـاد الى فرنسا . ثم سافر الى الولايات المتحـدة ليدرس الحياة والنظـام الاجتمـاعي في البلدان الواقعة على الجهة الاخرى من المحيط الاطلسي ، وهناك التقى وجها لوجه مع بشاعة الرأسمالية الامريكية ، ورعاع الكلو كلوكس كلان ، واعمال شنق الزنوج ، وشاهد اضرابات العمـال ضد الحرب ، ومن اجل رفع الاجور . وعاد بعد نهاية الحرب الى باريس . وحين انعقد مؤتمر الصلح في فرساى ، تقدم بعدد من المطالب للمؤتمر نيابة عن جماعة من الوطنيين الفيتناميين (١) .

ومن نشاطه المبكر ، اسهامه في تأسـيس الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٢٠ ، وكان اول شيوعي فيتنامي . وعاش خلال اقامته في فرنسا في ظروف قاسية ، اذ أنه كان يعمل كل يوم ساعات في تحميض الافلام ليكسب قوته ، ثم يقضي ساعات النهار الاخرى في النشاطات السياسية والكتابة .

ونظرا لاهتمامه بقضية المستعمرات فقد انشأ بمساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٢١ ،

---

(١) من كتاب « الرئيس هوشي منه » الذي كتبته « لجنة دراسة تاريخ حزب العمل الفيتنامي » واصدرته دار النشر باللغات الاجنبية في هانوى .

« عصبة البلدان المستعمرة » فى باريس ، وقد اصدرت مجلة اسبوعية اسمتها « لى باريا » ، كان هوشى منه مديرها ومحررها وامين صندوقها وموزعها . ودأب على تعرية الاستعمار وفضحه فى مقالاته بهذه المجلة ، او فى الصحف التقدمية الاخرى ، وأصدر فى ذلك الوقت كتابه « الاستعمار الفرنسى فى المحك » ، الذى كان جزءا من حملة شديدة شنها على الاستعمار والمستعمرين .

وكان هوشى منه قد التقى فى باريس بكثير من المفكرين التقدميين والثوار ، وتعرف هناك الى تروتسكى ، وفيها أيضا قرأ نظريات لينين عن الاشتراكية وتشبع بهاءواصبح فى طليعةانصارها، بعد نجاح ثورةاكتوبر ١٩١٧،فى الاتحادالسوفيتى.

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٣ ، حضر مؤتمر الفلاحين العالمى فى موسكو ، وانتخب فيه عضوا فى اللجنة التنفيذية ، ممثلا لفلاحى البلاد المستعمرة . وعندما عقد المؤتمر الخامس للدولية الشيوعية فى موسكو ، بعد وفاة لينين ، كان ممثلا للحزب الشيوعى الفرنسى وللبلدان المستعمرة . وخلال اقامته القصيرة فى الاتحاد السوفيتى ، كتب فى عدة صحف ، وألف كتابين ، اولهما : « الصين والشباب الصينى » ، وثانيهما : « الجنس الاسود ».وقد انتقل هوشى منه بعد ذلك الى كانتون سنة ١٩٢٤، ليكون قريبا من بلاده.وبدا من هناك يدرس وضع بلاده عن كثب.وشعر بالحاجة الى مزيد من العمل الدعائى للافكار الماركسية اللينينية ، ومزيد من العمل فى مجال التنظيم .

وقد اعاد سنة ١٩٢٥ ، تنظيم جماعة سياسية تدعى «تام تام كسا» ، (جمعية اتحاد القلوب) ، التى كانت قد انشئت سنة ١٩٢٣ ، فى كانتون ، وسماها « منظمة فيتنام للرفاق الثوريين الشباب » ، واستخدمها فى نشر الافكار الثورية . وأنشأ فى الوقت ذاته « الجماعة الشيوعية » ، لتكون عصب المنظمة الاولى ، وليستطيع من خلالها ان يثقف الشباب وان ينظمهم ، وليهيء لميلاد الحزب الشيوعى . كذلك انشأ « عصبة الشعوب المضطهدة فى آسيا » ، التى اشترك فيها ممثلون عن كوريا ، واندونيسيا ، والملايو ، والهند ، والصين ، وفيتنام . كذلك عمل « هوشى منه » على ارسال دفعات من الكوادر للتدرب فى الاتحاد السوفيتى ، وأرسل آخرين للتدرب فى الكلية العسكرية فى الصين.واستطاع خلال سنتين من سنة١٩٢٥ ، الى سنة ١٩٢٧ ، ان يدرب وأن يرسل الى فيتنام أكثر من ٢٠٠ من الكوادر الذين اخذوا ينشئون دورات تدريبية بدورهم .

وعلى الرغم من نشاطه التنظيمى المتواصل ، واظب على العمل الدعائى ، فأصدر جريدة الشباب ، الناطقة بلسان القيادة العامة لمنظمة الرفاق الثوريين الفيتناميين . وكتب سنة ١٩٢٦ كتابه « الطريق الثورى » ، الذى حدد فيه للثورة الفيتنامية طريقا امتزجت فيها الماركسية بالواقع الفيتنامى . وقد ابرز فى هذا الكتاب ٣ حقائق هامة هى :

١ ـ ان الثورة من صنع جماهير العمال والفلاحين ، وليست من صنع قلة ، ومن هنا تنبعضرورة تنظيم الجماهير .

٢ ـ يجب ان يقود الثورة حزب ماركسى ـ لينينى .

٣ ـ يجب ان تتحد الثورة فى فيتنام مع البروليتاريا العالمية .

وفى سنة ١٩٢٧ ، بدأت الثورة المضادة فى الصين بقيادة « تشانج كاى شيك » ، وشملت حملة الاضطهاد التى شنها عملاؤه ، لا الصينيين فحسب ، بل الفيتناميين ايضا ، المقيمين فى كانتون . فانتقلت اللجنة المركزية لمنظمة الرفاق الثوريين الفيتناميين الشباب الى هونج كونج . ومن هناك سافر هوشى منه الى شنغهاى ثم الى الاتحاد السوفيتى.وحين عقد مؤتمر مقاومةالحرب الامبريالية فى بروكسل ، ذهب لحضوره ، وسافر من هناك الى فرنسا فألمانيا فسويسرا وايطاليا .

وسافر سنة ١٩٢٨ الى سيام ، وبدا نشاطه فى اوساط المهاجرين الفيتناميين . وهناك اصدر صحيفة « ثان آى » (الصداقة) ، التى كانت واسعة الانتشار فى اوساط المهاجرين الفيتناميين، وكانت ترسل سرا الى داخل البلاد . وكانت الدعاية الثورية المتواصلة ، والعمل المتواصل ، قد هيأ فى داخل فيتنام لقيام حزب ماركسى لينينى. فنشأت ثلاث جماعات شيوعية .

ودعا الى عقد مؤتمر فى هونج كونج لوحدة المنظمات الثلاث..وقد عقد بالفعل سنة ١٩٣٠ ، ونتج عنه ميلاد حزب واحد ، بدأ نشاطا دعائيا

وتنظيميا اوسع واشد . وفي هذه الفترة كتب كتابه : « يوميات ناج من دمار سفينة » ، محاولا ان يطلع شعبه فيه على احداث ثورة اكتوبر ، من خلال رواية ما سمع وما قرأ عنها باسلوب المذكرات اليومية . وحين اشتدت حركة المقاومة في الداخل ، اندفع الاستعماريون الفرنسيون في حركة القمع ، واخذوا يطاردون الوطنيين حيثما كانوا . وتجاوبت السلطات البريطانية في هونج كونج مع السلطات الاستعمارية الفرنسية ، وقامت باعتقال الوطنيين الفيتناميين ، ومن بينهم هوشي منه، في ٥ يونيو سنة١٩٣١،وكانت مصممة على تسليمه للسلطات الفرنسية،التي أصدرت حكما باعدامه ، لولا تدخل اوساط ديمقراطية عالمية .

وعندما افرج عن هوشي منه ، ذهب الى الصين ، ثم سافر سنة ١٩٣٣ ، الى الاتحاد السوفييتي ، حيث عمل في « معهد دراسة المسائل الوطنية والاستعمارية » ، التابع للاممية الشيوعية . وقد استغل هذه الفرصة ليحضر دروس « كلية لينين » ، وهي كلية حزبية على مستوى عال ، مخصصة لقادة الاحزاب الشيوعية .

وعاد بعد ذلك الى الصين ، عندما كان قد تم التفاهم بين الحزب الشيوعي الصيني ، وحزب الكومنتانج ، على محاربة الاستعمار الياباني . وقد ارسل الحزب الشيوعي الصيني بمهمة تدريب قوات تشان كاي شيك على حرب العصابات ، وكان هوشي منه سكرتيرها الحزبي . على ان هوشي منه الذي كانت تشغله احداث بلاده، لم يبرح ان انتقل الى منطقة الحدود الصينية الفيتنامية ، واخذ يراقب الوضع في بلاده ويرسل توجيهاته لقيادة الحزب ويساهم في تحرير صحفه .

ولم يلبث ان عاد ، مع عدد من الكوادر الى مقاطعة « باك بو » في بلاده ، بعد ثلاثين سنة من حياة التشرد والنفي ، وبدأ منذ ذلك الحين نشاطه العملي مخصصا للثورة . وقد نظم دورات تدريبية كان يرسل خريجيها الى مناطق البلاد المختلفة لتقوم بتحريض الجماهير . وانشأ في هذه الفترة جريدة « فيتنام المستقلة » ، التي كان يشرف عليها بنفسه . وعقد في « باك بو » في مايو سنة ١٩٤١ المؤتمر الثامن للحزب . وقد رأى المجتمعون ان التناقض بين الشعب الفيتنامي والاستعماريين العدوانيين قد اصبح التناقض الرئيسي آنذاك .

ولذلك قرر ان يهيء للثورة المسلحة . كما رأى المؤتمر انشاء جبهة تضم كل فئات الشعب لتحقيق استقلال فيتنام . وفي ١٩ مايو ، انشئت « جبهة استقلال فيتنام » التي تسمى باختصار « فيت مينه » .

وكان هوشي منه قد شن قبل ذلك الحرب على القوات اليابانية التي احتلت الهند الصينية . كذلك عمل على اعادة الاتصال بالحزب الشيوعي الصيني ، وحين اجتاز الحدود في اواسط سنة ١٩٤٢ ، القت سلطات تشان كاي شيك القبض عليه ، حيث ظل مسجونا قرابة سنتين ، وقد الف خلال هذه المدة مجموعة شعرية اسماها « يوميات السجن » . وعاد هوشي منه سنة ١٩٤٤ الى فيتنام ، فدرس الوضع عن كثب وقرر ان يؤجل اعلان الثورة المسلحة لاعتبارات اوضحها حينذاك . ولكنه عاد في اواخر سنة ١٩٤٤ ، الى الصين من اجل ان ينشيء علاقات مع الحلفاء لمحاربة اليابانيين . ومع مطلع سنة ١٩٤٥ ، دعا هوشي منه الى مؤتمر للحزب عقد من ١٣ الى ١٥ / ٨ / ١٩٤٥ ، وقرر حشد القوى في مواضع هامة (٢) ، وتنسيق النشاط السياسي والنشاط العسكري . كما تبنى المؤتمر العلم الوطني والنشيد الوطني ، وحدد المواقف السياسية من القضايا الاساسية . وعقد يومي ١٥ و ١٦ / ٨ / ١٩٤٥ ، مؤتمر شعبي انتخب قيادة التحرير الوطني ، وكانت هذه القيادة ، حكومة فيتنام المؤقتة التي انتخبت « هوشي منه » بالاجماع رئيسا للجمهوريه . وقام باعلان الثورة العامة . وكانت قوات الثوار قد تمكنت قبل ذلك من اسقاط الامبراطور باو داي ، الذي نصبه المستعمرون اليابانيون على فيتنام لكي يتعاون معهم . كذلك سبق اعلان الجمهورية اعتقال اليابانيين لهوشي منه ، الذي افرج عنه بعد هزيمة اليابان . وفي النهاية وجد المستعمرون الفرنسيون انفسهم امام الامر الواقع ، فوافقوا على اعلان استقلال مقيد لفيتنام . ولكنهم شرعوا في التدخل ضد الجمهورية الفتية ، الامر الذي استلزم حربا تحريرية مريرة ضدهم استمرت من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٤ ، حيث هزم الفرنسيون هزيمة حاسمة في معركة «ديان بيان فو» ، التي انهت الوجود الفرنسي في الهند الصينية .

ومع التدخل الامريكي في الجنوب ، والهجوم الجوي على الشمال من قبل المستعمرين الامريكيين الجدد ، كان على هوشي منه ان

---

(٢) ناجي علوش : مقدمة كتاب مختارات حرب التحرير الفيتنامية .

يواصل كفاحه فيما يسمى بحرب المقاومة الثانية التى يشهد العالم ختامهـا فى الفترة الحالية ، بالانتصارات المدوية لجبهة التحرير الوطنى فى جنوب فيتنام ، وبالمقاومة الباسلة المظفرة التى ابداها الشمال فى مواجهة الامريكيين .

وهوشى منه ، مع كل النضال الشاق الذى خاضه ، ليس من ذلك النمط من الزعماء الذين يأبهون بالاوسمة والنياشين والمظاهر ، بقدر اهتمامهم بمواصلة الكفاح من اجل الاهداف التى نذروا لها حياتهم ، اذ رفض فى نوفمبر الماضى وسام «لينين» الذى اهداه اليه الاتحاد السوفيتى فى الذكرى السنوية الخمسين لقيام الثورة البلشفية .. رفض ان يتقلده الا بعد ان يتم « طرد المعتدين » . وبالاضافة الى قدراته النضالية وكفاحه الصلب ، فهو يجيد التحدث بالفرنسية والروسية والعديد من اللهجات الصينية ، كما انه يتكلم اليابانية والالمانية والبرتغالية والانجليزية . وهو ليس مقاتلا فيتناميا فحسب ، وانما مقاتل عالمى ايضا ضد الاستعمار اينما كان . واذا كان فكره الواضح الجلى لا يدع مجالا للشك فى هذه الحقيقة ، فان سلوكه ونضاله ومحاولاته المستمرة لانشاء جبهات لفلاحى البلدان المستعمرة ، او الاشتراك فى مؤتمرات الفلاحين العالمية .. الخ ، تزيد هذه الافكار وضوحا . انه رجل عمل وكفاح وقائد جماهيرى ، وفكره دائما منصب على ما يخدم العمل ، سواء بتعرية الاستعمار وعملائه ، والاضطهاد العنصرى وزبانيته ، او بتحريض الجماهير وتوجيهها وقيادتها ، وهو قاس على البيروقراطية والفساد ، قسوته على الاستعمار والاضطهاد .

وقد عبر « هوشى منه » فى كتاباته المبكرة عن ضرورة ارتباط الاحزاب الشيوعية الاوربية ارتباطا وثيقا بقضية الكفاح من اجل تحرير المستعمرات التابعة لبلادهم ، واعتبر اى تباطؤ فى انجاز هذه المهمة بمثابة تنكر للخط الماركسى اللينينى فى الثورة . قال هوشى منه فى المؤتمر الخامس للاممية الشيوعية ، الذى انعقد حتى يوليو سنة ١٩٢٤ ، منتقدا سياسة الحزبين الشيوعيين الفرنسى والبريطانى من هذه الناحية : « ما دام الحزبان الشيوعيان الفرنسى والبريطانى ، لا ينتهجان سياسة تقدمية حقيقية بالنسبة للمستعمرات ، ولا يوثقان صلاتهما بشعوب المستعمرات ، فان برنامجهما بمجموعه ، سيكون فى الوقت الحاضر ، وفى المستقبل غير ذى تأثير ، لانه سيكون مناقضا اللينينية . وتبعا لرأى لينين ، **فان انتصار الثورة فى اوربا الغربية ، يعتمد على اتصالها الوثيق بحركة التحرر الوطنى الموجهة ضد الامبريالية فى المستعمرات المستعبدة** ، كما ويعتمد على اتصالها الوثيق بالمسألة الوطنية . لان حركة التحرر الوطنى والمسألة الوطنية ، تشكلان جزءا من قضية الثورة البروليتارية العالمية ، وديكتاتورية البروليتاريا » .

« تحدث الرفيق **ستالين** فيما بعد — (الكلام لهوشى منه) ، عن وجهة النظر التى تقول انه من الممكن للبروليتاريا الاوربية احراز النصر دون ان تتحالف مباشرة مع حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات ، واعتبرها وجهة نظر الثورة المضادة . ولكننا اذا حكمنا على الامور من خلال ما يجرى فى الواقع عمليا ، فنحن مجبرون على القول ، ان احزابنا الشيوعية الكبيرة ، باستثناء الحزب الشيوعى السوفيتى ما زالت تتبنى وجهة النظر آنفة الذكر ، لانها غير فعالة فى اقامة هذا التحالف بين البروليتاريا الاوربية ، وحركة التحرر الوطنى فى المستعمرات . ما الذى فعله البورجوازيون فى البلدان الاستعمارية فى سبيل اخضاع الشعوب التى يستعبدونها ؟ لقد سخروا كل شىء لهذا الهدف . وبشروا باستخدام الوسائل التى وضعتها تحت تصرفهم اجهزة الدولة ، دعاية واسعة النطاق ، مالئين رؤوس شعوب البلدان الاستعمارية بالخطب والافلام والصحف والمعارض ، وبشتى الوسائل الاخرى ، **الامر الذى جعل تلك الشعوب تحمل وجهة نظر استعمارية** . لقد قدموا امام عيونهم صورا من الحياة الرضية السهلة النبيلة الباذخة ، التى تنتظرهم فى المستعمرات . والسؤال الان ، ما الذى فعلته الاحزاب الشيوعية فى بريطانيا العظمى ، وهولنده ، وبلجيكا ، وفى البلدان الاستعمارية الاخرى ، لمكافحة الهجوم الاستعمارى الذى شنته البورجوازية على الطبقة العاملة فى بلادها ؟ ما الذى عملته تلك الاحزاب ، منذ اليوم الذى تبنت فيه البرنامج السياسى الذى وضعه لينين ، من اجل تثقيف الطبقة العاملة فى بلادها بروح الاممية الصحيحة ، وبضرورة اقامة العلاقات الوثيقة مع جماهير الشغيلة فى المستعمرات ؟ ان الذى انجزته احزابنا فى هذا المجال ، ليست له قيمة تستحق الذكر . اما بالنسبة لى انا ، فقد ولدت فى مستعمرة فرنسية . وانني عضو فى الحزب الشيوعى الفرنسى .

ويؤسفني جدا ان اقول ان حزبنا الشيوعي لم يفعل شيئا للمستعمرات » .

واضاف هوشي منه ، فيما بعد : « ان العناصر القائدة الجديدة فى الحزب قد اعترفت ان الحزب فى سبيله لمواجهة هذه المسألة . وهذه بادرة حسنة ، لانه ما ان يلاحظ قادة الحزب ويدركون هذا الجانب الضعيف فى سياسة الحزب ، فسيكون هنالك امل فى ان الحزب سوف يبذل قصارى جهده لاصلاح اخطائه » .

وفى مقالته بعنوان « بعض الملحوظات حول مسألة المستعمرات » ، التى كتبها فى «الايمانيتيه» الفرنسية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢٢يقرر هوشي منه، حقيقة اللامبالاة من جانب البروليتاريا فى البلدان الاستعمارية ، ازاء المستعمرات ، كما ينتقد جهل سكان المستعمرات بالماركسية اللينينية ، وكذلك التشويهات البورجوازية المتعمدة للبلشفية فيقول : «ان لكلمة بولشفيك وقعا معبرا وحيا لدى سكان المستعمرات ، لان البرجوازيين يستعملونها كثيرا . فهى تعنى بالنسبة لسكان المستعمرات ، اما هدم كل شيء ، او التحرر من النير الاجنبى . فالمعنى الاول الذى اعطى للكلمة ، يبعد عنا الجماهير الجاهلة والخائفة . والمعنى الثانى يدفع الجماهير الى الاتجاه القومى . وكلا المفهومين خطران على حد بسواء . واما الذين يعرفون ماذا تعنى الشيوعية ، فهم فئة قليلة من المثقفين . ولكن هذه الفئة من الذوات تنتسب الى البورجوازية المحلية التى تدعم الاستعماريين البورجوازيين ، لذلك ليس لها من مصلحة فى نشر المبادىء الشيوعية ، وشرحها للناس . بل انها على العكس ، مثلها مثل الكلب فى الاسطورة ، يفضل ان يحمل طوقه فى عنقه ، شريطة ان يلقى اليه بنصيبه من العظام . ان الجماهير بصورة عامة ، ثورية الى اقصى الحدود ، ولكنها فى جهل مطلق ، انها تتحرق لتحرير نفسها ، ولكنها لا تعرف السبيل الى ذلك» . وقد اكد هوشي منه، فى نفس هذه المقالة ، على سمات القهر والوحشية التى اتسم بها المستعمرون الفرنسيون بوجه خاص ، واشار اشارته الطريفة الى انه « لو كان **غاندى وديفاليرا** قد ولدا فى احدى المستعمرات الفرنسية ، لكانا قد انتقلا الى السماء ، منذ زمن بعيد » .

وطوال اقامته فى اوربا لم يدخر هوشي منه اى وسع فى سبيل اطلاع الرأى العام هناك على بشائع الحكم الاستعمارى ووحشيته ، ففى مقالته « المرأة الانامية والسلطة الفرنسية » ، الذى نشره فى مجلة « لباريه » فى اول اغسطس سنة ١٩٢٢ ، كتب يقول : « ان الاستعمار فى حد ذاته عملية عنف يمارسها القوى على الضعيف ، ويصبح هذا العنف اكثر بشاعة عندما يطبق على النساء والاطفال . ان سادية الاستعمار قاسية ، وشاملة الى درجة لا تصدق ، ولكننا سنحصر انفسنا ها هنا فى ذكر بعض الحوادث التى رآها ورواها شهود لا يشك فى نزاهتهم . ان هذه الوقائع تتيح لاخواتنا فى الغرب ادراك طبيعة «الرسالة الحضارية» التى تقوم بها الرأسمالية . كما تتيح لهن معرفة الالام التى تتعرض لها اخواتهن فى المستعمرات . يروى احد المستعمرين الحادثة التالية » :

« هرب سكان القرية فور وصول الجنود ، ولم يتخلف غير شيخين وامرأتين احداهما صبية صغيرة ، والاخرى ام ترضع طفلا على يدها ، وتمسك بيدها الاخرى بنتا عمرها ثمانى سنوات . سألهم الجنود : « هل معكم مال ، افيون ، مشروبات روحية ؟ » .

ولما لم يتلق الجنود جوابا ، لان الاخرين لا يفقهون الفرنسية ، حنقوا ، فما كان منهم الا ان لكموا احد الشيخين بأعقاب البنادق . وفى هذه الاثناء جاء جنديان فى حالة سكر شديد،اخذا يتمتعان لبضع ساعات ، بشى الشيخ الاخر فى نار اوقدوها من الحطب ، بينما اغتصب الاخرون المراتين والبنت الصغيرة . حينئذ وبعد ان تعبوا ، مالوا على البنت الصغيرة وقتلوها . فى هذا الوقت ، تمكنت الام ان تفر بطفلها الى الغابة ، وتختبىء فى ايكة ملتفة الاغصان . ومن على بعد مئة ذراع ، شاهدت الجنود يعذبون زميلتها الصبية . لم تعرف لماذا اقترفوا جريمة القتل . ولكنها رأت البنت الصغيرة ملقاة على ظهرها مكبلة ومكممة ، بينما شرع جندى يغرس ببطء حربته فى احشائها ثم يستلها ببطء ايضا مكررا هذه العملية مرات عديدة ، وبعد ذلك انكفأ على يدها فقطع احدى اناملها ليخرج منه خاتما ، ثم قطع رأسها ليخرج من عنقها عقدا . وتمددت الجثث الثلاث على الارض . البنت ذات الثمانى سنوات عارية تماما ، والصبية فاغرة الامعاء ، بينما ارتفعت قبضة يدها اليسرى متشنجة فى وجه السماء التى تنظر غير مكترثة . والرجل الشيخ عار هو ايضا ، ولكن كان شكله مرعبا جدا ، اذ تشوهت ملامحه من الشى ، وذاب شحمه وتجمد فوق جلد بطنه الذى انتفخ وتقدد فصار احمر ذهبيا مثل لحم خنزير مشوى » .

وفى مقالته « استشهاد عمدونى وبن بلخير » التى نشرها فى لباريه فى اول نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، فضح هوشي منه وحشية الاستعمار الفرنسى فى تونس وشمال افريقيا . فبعد ان اوضح كيف جند الفرنسيون حوالى ١٠٠,٠٠٠ تونسى فى الحرب العالمية الاولى ، لم يعد منهم الى بلادهم

تسوى ٠٠٠ر٤٠ ، اشار الى الحديث الفرنسى عن « الاخوة الابدية التى توثقت اواصرها بالمجد والدماء » ، ذلك الحديث الذى تبدل بمجرد ان وضعت الحرب اوزارها « فهذه الاخوة قد تغيرت . فلم يعد يعبر عنها بالورود والازهار . لقد اضحى المسدس والكرباج هما ابلغ من يعبر عنها » . وقص بعد ذلك قصة استشهاد الفلاحين والرعاة التونسيين على ايدى المعمرين الفرنسيين .

وفى مقاله « جيش الثورة المضادة » ، الذى نشر فى سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، فى «لافى اوفرير» . نبه هوشى منه الى محاولات الراسمالية الفرنسية لاستغلال جنود المستعمرات المتسمين بالطاعة العمياء ، للعمل على ارهاب حركة الطبقة العاملة الفرنسية ووقفها . وفى ذلك يقول . « ان ما ينبغى على الطبقة العاملة الفرنسية ادراكه . هو ان الاستعمار يعتمد على المستعمرات فى احباط كل محاولات الطبقة العاملة فى سبيل التحرر . فالاستعمار لم يعد لديه ثقة مطلقة فى الجنود البيض الذين تلوثوا ، قليلا او كثيرا ، بفكرة الطبقات . لذلك تستخدم العسكرية الفرنسية الوطنيين الاسيويين والافريقيين عوضا عنهم . فهنالك يوجد من بين الـ ١٥٩ فرقة التى تؤلف الجيش الفرنسى ، ١٠ فرق من البيض المقيمين فى المستعمرات ، اى من شبه الوطنيين . وتوجد ٣٠ فرقة افريقية ، و ٣٩ فرقة من مواطنى المستعمرات الاخرى ، وبهذا يكون ١/٢ الجيش الفرنسى مؤلفا من سكان المستعمرات » .

« ان الانسان ليعجب من وجود ٣١ فرقة من سكان المستعمرات معسكرة فى فرنسا ذاتها ويتساءل لماذا ؟ وما هو المقصود من وراء ذلك ؟ هل جيء بأبناء المستعمرات هؤلاء ليمدنوا الفرنسيين ؟ .. وهكذا يكون هدف الراسمالية الفرنسية من وراء ذلك واضحا . وبعد هذا تقع المهمة على عاتق الطبقة العاملة الفرنسية كى تتصرف . عليها ان تتآخى مع الجنود الوطنيين . عليها ان توضح لهم ان عمال فرنسا شأنهم شأن جنود المستعمرات مضطهدون ومستغلون من قبل السادة اياهم . وان عمال فرنسا وجنود المستعمرات اخوة ينتمون لطبقة واحدة . ويجب ان يكون واضحا ، انه عندما تدق ساعة الكفاح عليهم جميعا ان يقاتلوا فى صف واحد ضد سيدهم المشترك ، وانه لا يجوز ان يقتتل الاخوة » .

وفى مقالة بعنوان « حركة الطبقة العاملة التركية » ، الذى نشر فى « الايمانيتيه » فى اول يناير سنة ١٩٢٤ ، وضع يديه على حقيقة الثورة التركية التى اعقبت عقد **« معاهدة سيفر »** التى تقرر بموجبها اقتسام البلاد العربية التابعة لتركيا ، واقتسام تركيا نفسها ، ووضعها تحت نظام شبه استعمارى (٣) . فقال : « ان الشعب التركى بتضحيته وبسالته الجديرتين بالاعجاب ، مزق معاهدة سيفر البغيضة واستعاد استقلاله . واحبط الشعب التركى مؤامرات الاستعمار ، ودك عرش السلاطين . واستطاع ان يجعل من تركيا المنهكة والممزقة والمداسة ، جمهورية قوية . لقد انجز الشعب التركى ثورته . ولكن الثورة التركية شأنها شأن الثورات البورجوازية الاخرى ، تجلب الخير لطبقة واحدة فقط ، هى طبقة اصحاب الاموال . ان البروليتاريا التركية التى لعبت دورا بارزا فى الكفاح من اجل الاستقلال الوطنى ، تجد نفسها اليوم مجبرة على شن صراع آخر .. اعنى الصراع الطبقى » .

وفى مجلة « لاكورسباندنس انترناسيونال » سنة ١٩٢٤ ، اوضح هوشى منه ان « الامبريالية وصلت فى هذه الايام الى درجة عالية من الاتقان العلمى . انها تستخدم البروليتاريا البيضاء لتغزو بها بروليتاريا المستعمرات ، ثم تقذف ببروليتاريا هذه المستعمرة او تلك ضد بروليتاريا هذه المستعمرة او تلك . واخيرا ، تعتمد على بروليتاريا المستعمرات لتسيطر على البروليتاريا البيضاء . ان السنغاليين قد لحقت بهم السمعة المؤسفة نتيجة مساعدتهم للعسكرية الفرنسية فى ذبح اخوانهم فى الكونجو والسودان وداهومى ومدغشقر . وحارب الجزائريون فى الهند الصينية . وجندت فرق انامية وارسلت الى افريقيا . وهلم جرا . لقد جلب اثناء المذبحة العظمى اكثر من مليون فلاح وعامل من المستعمرات ، الى اوربا ، ليذبحوا العمال والفلاحين البيض . ومنذ زمن قريب فقط ، حاصر الجنود الذين اتى بهم من المستعمرات جنودا فرنسيين فى الرور ، كما ارسلت فرق المدفعية الخفيفة من جنود المستعمرات ليقمعوا اضراب العمال الالمان » .

واستنكر هوشى منه منذ مطلع شبابه اضطهاد الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية . فكتب فى « لاكورسبوندانس انترناسيونال » يقول : « ان

---

(٣) بعد ان هزم الشعب التركى المتدخلين البريطانيين واليونانيين الغى معاهدة «سيفر» كلية .. وفى مؤتمر «لوزان» الذى استمر انعقاده حتى يوليو ١٩٢٣ ، نجحت تركيا بدعم من الاتحاد السوفيتى فى الغاء صلح سيفر ، وعقد معاهدة صلح جديدة .

السود هم اكثر شعوب العالم تعرضا للاضطهاد والاستغلال . ومن المعروف ايضا ان انتشار الراسمالية ، واكتشاف العالم الجديد ، كان من نتائجهما المباشرة ، ولادة العبودية من جديد . هذه العبودية التي كانت لقرون عديدة ، كارثة على الزنوج ، واهانة مؤلمة لبني الانسان . في الولايات المتحدة يجر البيض الزنجي ، في موجة من الحقد والوحشية ، الى غابة او ساحة عامة ، فيربطونه الى شجرة ويصبون عليه بترولا ، ويحيطونه بمادة سريعة الاشتعال . وبينما هم ينتظرون اضرام النار ، يحطمون اسنانه واضراسه واحدا بعد الاخر ، ثم يفقأون عينيه ويقتلعونهما من محاجرهما ويجتثون خصلا من الشعر الجعد من راسه ، فتنزع تلك الخصل معها قطعا من الجلد ، كاشفة عن جمجمة دامية، في حين تتساقط قطع صغيرة من لحم جسده المسحوق بالضرب . ولا يستطيع الزنجي ، ان يصرخ لان لسانه يكون قد تدلى وانتفخ بسبب كيه بقضيب احمر من شدة الحرارة . وفي هذا الوقت ، يروح بدنه يرتعد ويرتجف مثل افعى لم تسحق تماما ، ثم تسقط احدى اذنيه بضربة من سكين . ثم تتقدم النساء فيبصقن على وجهه .. يحدث كل هذا في الوقت الذي تكون فيه راس سوداء ملقاة على الارض تنبعث منها رائحة كريهة من الدخان والدهن المحروق . وتلك الراس مشوهة بشعة فاغرة الفاه بشكل مرعب ، وقد بدا عليها كأنها تسأل الشمس الآفلة : اهذه مدنية »؟

وليس هناك من هدف لنشر مثل هذه الكتابات التي كتبها هوشي منه في شبابه الباكر ، سوى اعطاء صورة ملامحها الحقيقية الصادقة . كذلك يؤثر عنه اسلوبه الساحر الاخاذ في مخاطبة الشباب والشيوخ والاطفال . وطموحه الحضاري وبخاصة من ناحية المكانة التي يتعين على الشعب الفيتنامي ان يحظى بها بين شعوب العالم واممه القوية . ففي رسالته « الى الطلبة في يوم اعادة فتح المدارس » ، بعد تأسيس جمهورية فيتنام الديمقراطية ، كتب هوشي منه في سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، يقول للطلبة « ان ثمانين عاما من العبودية قد اضعفت بلادنا ، وعلينا الان ان نعيد بناء الارث الذي تركه لنا اسلافنا ، لكي نجاري الشعوب الاخرى في العالم . وانتم امل البلاد في هذا البناء ، وعما اذا كانت فيتنام ستكون بلدا عظيما ام لا ، وعما اذا كان الشعب الفيتنامي سيكون مساويا للامم القوية في العالم ام لا ، ان ذلك موقوف الى قدر عظيم على دراستكم » .

ويتضح جانب من ابعاد شخصيته الانسانية في تلك الرسالة التي وجهها الى المواطنين في فيتنام الجنوبية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤٥ : « اريد ان انصح مواطنينا في الجنوب بشيء واحد فقط : فيما يتعلق بالفرنسيين الذين يؤسرون في الحرب ، انني انصح بمراقبتهم جيدا ، ولكن يجب ان نعاملهم معاملة حسنة . يجب ان نظهر للعالم ، بصورة عامة ، وللفرنسيين ، بصورة خاصة ، اننا ننشد الحرية والاستقلال فقط . واننا لا نقاتل من اجل عداوات واحقاد شخصية . يجب علينا ان نرى العالم اننا شعب ذكي ، واننا اكثر تمدنا من الغزاة القتلة » .

وعندما اعلنت حكومة الثورة الحرب على المجاعة بعد ثورة سنة ١٩٤٥ ، وجه«هوشي منه» رسالة الى جميع المواطنين لمكافحة المجاعة ، اقترح فيها : « ولسوف اكون اول من يطبق هذا الاقتراح : ان لا نأكل وجبة طعام كل عشرة ايام . وهذا يعني ثلاث وجبات طعام كل شهر ، ونقدم هذا الارز للفقراء . وبهذا يتاح لاولئك الجائعين (بسبب الفيضانات) ، ان يجدوا شيئا يأكلونه حتى يأتي موسم الحصاد القادم ، ويتيح لهم النجاة من الموت . انني واثق من ان جميع المواطنين من باب البر ، تواقون الى الاستجابة لندائي هذا ، شكرا لكم بالنيابة عن الفقراء » .

وبعد هجوم المستعمرين الفرنسيين الغادر على هانوي في ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، وجه هوشي منه « رسالة الى الشعب الفيتنامي والشعب الفرنسي وشعوب الامم المتحالفة » ، وعلى هذا النحو ، خاطب هوشي منه ، الشعب الذي ينتمي اليه الجيش الاستعماري العدواني في فيتنام : « ايها الشعب الفرنسي : اننا نكن لك عواطف صادقة ، ونرغب باخلاص في التعاون معك ضمن اطار الاتحاد الفرنسي ، لان لنا وايالك مثلا اعلى مشتركا ، هو الحرية والمساواة والاستقلال . انهم الاستعماريون الرجعيون الفرنسيون الذين لطخوا شرف فرنسا بالوحل ، وهم الذين يسعون للتفريق بيننا عن طريق اثارة الحرب . وفي اللحظة التي تعترف فيها فرنسا باستقلالنا ووحدتنا ، وتستدعي للوطن ، الاستعماريين العدوانيين . في تلك اللحظة ستستعاد ، وفي الحال ، علاقات الصداقة ويقوم التعاون بين شعبي فيتنام وفرنسا . ايها الجنود الفرنسيون : لا توجد ضغائن او احقاد بيننا وبينكم . ان الاستعماريين الرجعيين ، يثيرون الاصطدام من اجل مصالحهم الانانية . وسوف تعود الفوائد لهم . بينما يعود لكم الموت . وسينعم بميداليات النصر على العسكريين . ولن ينعم عليكم وعلى عائلاتكم الا بالالام والفقر . فكروا بهذا جيدا ، فكروا به مرارا . هل ترضون

في تضحوا بدمائكم وحياتكم من اجل الرجعيين ؟ واذا ما انضممتم الينا فسوف تعاملون كأصدقاء » .

اما الحرب التحريرية التي يخوضها هوشي منه على رأس شعبه في الشمال والجنوب ، ضد المعتدين الامريكيين هذه الايام ، فقد جاءت برهانا قويا دامغا على ان للقوة المادية الغشوم ، حدودا امام الانسان ، واوضحت للعالم وللحركة التحررية العالمية بخاصة ، نواحي الضعف الخطيرة التي تنطوي عليها القوة الامريكية الهائلة ، التي يمكن برغم كل شيء الحاق الهزيمة المرة بها . ومع ذلك ، وبالرغم من اشكال العدوان الوحشي الهمجي الذي تمارسه القوات الامريكية ضد شعب فيتنام ، برغم كل ذلك ، يحتفظ هوشي منه بذلك الشمول الانساني الذي اتسمت به شخصيته : « لقد جاءت القوات الامريكية الى الجنوب ، لكي تقتلنا ولكي نقتلها ، وهو امر يبعث على الخجل » ، « نحن نحترم الشعب الامريكي لانه ذكي ، ويحب السلام والديمقراطية » ، « سوف تنتصر حقوقنا المشروعة ، وهي الاستقلال والسلام ، لان هذه هي بلادنا » .

لقد سئل هوشي منه ، عقب البيان الذي اصدره « **جونسون** » بالدخول في مفاوضات من اجل السلام في فيتنام ، والذي اعتبر تصريحا من الوحشي الامريكي بعجزه امام ارادة المقاومة الفيتنامية ، سئل عن السر العجيب لانتصاراته ، فأجاب : « انه لا سر هناك ، ولا شيء من هذا القبيل ... اللهم الا اني احس بنبض الشعب وأومن به ، واعرف تماما انه وحده الذي يصنع المعجزات » . ذلك هو الايمان العميق الذي ملأ جوانح ذلك الزعيم العظيم الذي رفع الشباب صوره في باريس ولندن ونيويورك وبروكسل وبرلين ، وروما ، وفي كل مكان حافل بالمناصرين لقضايا الحرية والتقدم والسلام .

■■■

ماوتسى تونج
(١٨٩٣ : —)



● شيوعية الحرب .. وتحويل الظروف غير المواتية الى ظروف مواتية

رغم الاقرار بحقيقة عدم تمتع فكر ماوتسي تونج ، وفي الوقت الحالي بنفوذ واسع وفعال على الحركة العمالية الاوربية ، احزابها الاشتراكية الديموقراطية والشيوعية ، الا ان بصمات ماوتسى « بالماوية » بدت واضحة على حركات الشباب والطلبة في الغرب ، وعلى تنظيماتهم وحلقاتهم السياسية الجديدة من ناحية ، كما اصبحت تشكل قطب جذب فكريا وثوريا ، لا لحركات الشباب،بل لكثير من الحركات التقدمية عامة ، في العالم الثالث الفلاحي من ناحية اخرى.

على ان تزايد نفوذ افكار ماوتسى تونج فيالفترة الاخيرة ، وعلى حركات الشباب بوجه اخص ، لا يرجع فقط الى تحولات نوعية في « فكر ماوتسى تونج » وانما يرجع الى تزايد ضغط وثقل قوى الدفع المادية الملموسة للفكر الصيني الذي ينعكس عن الوجود الواقعي الذي اصبحت تتمتع به الصين الشعبيه داخل المعسكر الاشتراكي ، آسيويا وعالميا . وتزايد نفوذ فكر ماو في هذه الناحية ، مرتبط بالوضع الجديد الذي اصبحت تشكل فيه الصين القطب الثاني من اقطابالصراع الايديولوجي في المعسكر الاشتراكي ، بعد المرحلة التي سادها النفوذ الايديولوجي للمركز الثوري القيادي الواحد .

هذا النفوذ الفكري الجديد، مرتبط تماما بالقدرة الاشعاعية للصين الجديدة الاخذة باسباب القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية سواءالتقليدية منها او النووية . فقد اضحت صين **ماوتسىتونج** اليوم بلدا منظما قويا ، دخل مجال امتلاك السلاح النووي ، في الوقت الذي يملك فيه ، اضخم قوات برية في العالم ، ويستطيع حسبما اوضح الكاتب

البريطاني **فيليكس جرين** تعبئة جيش للدفاع المدني يتكون من مائة مليون في بضع ساعات . كذلك اوضح **اللورد شالفونت** وزير نزع السلاح البريطاني ، ان الصين تستطيع حاليا ضرب أية قوات او قواعد امريكية قريبة من ارضها وكذلك سفن الاسطول الامريكي السابع ، واي دولة مجاورة لها ، بالصواريخ الذرية . واكد العالم **تشو يوان تشنج** الذي يعمل بمركز الدراسات الصينية بجامعة ميتشيجان ، ان الصين ستتمكن قبل عام ١٩٧٢ ، من انتاج صواريخ بعيدة المدى ، تستطيع أن تصل الى أراضي الولايات المتحدة نفسها .

هذا البروز المتزايد للصين ، كقوة تملك بأيديها الكثير من اسباب التأثير المادية والسياسية على مستقبل العالم هو الذي يستقطب حول اتجاهاتها وفكرها ، الاهتمام المتزايد ، وبخاصة من جانب شباب العالم ، الذي يزداد لديه الاحساس بانه على اعتاب المرحله التي ستلعب فيها الصين الشعبية دورا متعاظما في الشئون العالمية يتفق وامكانياتها البشرية والسياسية والعسكرية الضخمة ، وهو الدور الذي تنبأ به الكثيرون من قادة العالم وساسته ، قديما وحديثا، « لو صحا هذا العملاق، فسيهز العالم — بونابرت» فما تفكر فيه الصين ، وما تقرره ، وما تعزم عليه ، ذو اهمية كبرى ، لانه يتعلق بفكر وعزم وقرارات ١/٤ البشرية لا بمجرد تجمع بشري صغير على الهامش يسهل عزله بحزام صحي جديد .

واذا كانت الثورة الثقافية الصينية ، التي قام بها طلبة المدارس والمعاهد والجامعات في الصين للقضاء على الافكار القديمة والتقاليد والثقافات والعادات القديمة في المجتمع الصيني ، اذا كانت قد حظيت بكل هذه السخرية والهزء من قبل العالم الغربي الرأسمالي ، فان أحدا لم يكن يتوقع الاثار الخفية الباطنية التي اختزنتها اعمال هذه الثورة ونموذجها في عقل وقلب الكثير من الشباب الاوربي الغربي ، والتي ظهرت جلية واضحة في انتفاضات هذا الشباب التي سببت متاعب كبيرة للحكومات الغرب اوربية لاتزال بعضها تعاني منها حتى الان .

وكان اطلاق ماوتسي تونج للثورة الثقافية كتعبير عن ارادة الجماهير الشعبية العريضة وفي مقدمتها الشباب ضد بعض القوى التي تجمدت وتكلست في المواقع القيادية وضد البيروقراطية الحزبية ، هي خطوة جديدة ونقلة جذرية في منهج العمل الثوري ، اذ وضع القاعدة الشعبية في مواجهة الاجهزة الحاكمة ، وضع الشباب بكل حيويته وثوريته واندفاعه الثوري « الخام » غير المشذب ليختبر به مدى صلاحية قيادات .. هي رغم خبراتها المكتسبة وتاريخها النضالي الكبير قد جمدتها المكتبية والمنهج البيروقراطي في تسيير النشاط السياسي .

وهكذا لم يكن الجديد في موقف ماوتسي تونج ، هو احتواء حركة للشباب ، فاجأته بالظهور ، بل في المبادرة الى استثارة هذه الطاقات الحية الفتية والارتكاز عليها في عملية لتجديد طاقات الثورة وفاعليتها .

وماوتسي تونج حسبما قدمه وزير الدفاع الصيني **لين بياو** في مقدمة الكتاب الاحمر الصغير «مقتطفات من أقوال الرئيس ماوتسي تونج » (الذي وزع منه في العام الماضي فقط ٣٥٠ مليون نسخة ، بالاضافة الى ٨٠ مليون نسخة من كلمات ماو المأثورة ، و ٥٠ مليون نسخة من شعره) هو «اعظم ماركسي لينيني في عصرنا الحاضر» وان افكاره هي «الماركسية اللينينية في العصر الذي تتجه فيه الامبريالية نحو الانهيار الشامل ، وتتقدم فيه الاشتراكية نحو الانتصار على نطاق عالمي » كما أن افكار ماوتسي تونج ، حالما تستوعبها الجماهير الواسعة ، تتحول الى قوة لا ينضب لها معين ، والى قنبلة ذرية معنوية ليس لطاقتها نظير » .

والحقيقة ان ماو قد اضاف شيئا جديدا للماركسية اللينينية ،الا وهي اعتماد الثورة في البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة على الفلاحين ، وبدئها بالسيطرة على الريف كطريق يفضي لحصار المدن والاستيلاء عليها في النهاية وهو طريق مغاير لما اتبعه **لينين** في الثورة الروسية سنة ١٩١٧ ، اذ اعتمد على طبقة العمال الصناعيين اساسا ، واعتبر الاستيلاء على المدن مهمة الثورة الاولى وهي النظرية الملائمة للدول الاكثر تفوقا من الناحية الصناعية في اوربا وامريكا . كذلك فقد وضع ماو ووزير دفاعه **لين بياو** ، استراتيجية عامة للثورة العالمية تقوم على الاعتقاد بانه« اذا امكن اعتبار اوربا وامريكا الشمالية مدن العالم ،فان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية هي المناطق الزراعية في العالم ، وان الثورة العالمية المعاصرة ، تمثل هي ايضا صورة من حصار الريف للمدن» و «ان الجماهير الثورية

في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ستسحق الرأسمالية العالمية في الوقت المناسب » .

كذلك تقوم الماوية حاليا على اعتبار مساندة حركات التحرر الوطني والحركات الثورية العالمية، هي الخط العام الواجب على الاحزاب الماركسية اللينينيه ، فالماوية ترى ان مناطق آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الواسعة ، هي المناطق التي تتجمع فيها مختلف انواع التناقضات في العالم المعاصر ، وان الحركة الوطنية الديموقراطية الثورية في هذه المناطق، وحركة الثورة الاشتراكية العالمية ، هما التياران التاريخيان العظيمان في عهدنا الحاضر ، وان قضية الثورة البروليتارية العالمية برمتها ، تدور على النضالات الثورية لدى شعوب هذه المناطق التي تشكل الاغلبية العظمى من سكان العالم .

على أنه اذا كانت زيادة الاهتمام بفكر « ماو » بين شباب العالم الثالث، تأتي متسقة مع متطلبات التغيير الثوري اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، في ذلك الجزء من العالم ، الذي تتشابه ظروفه ومشكلاته الى حد كبير مع ظروف الصين ومشكلاتها . فان زيادة الاهتمام به بين الشباب الغرب الاوربي والولايات المتحدة ، تعود بدرجة كبيرة الى اسباب تتعلق بالقيم والنماذج الثورية في الاغلب . فالماوية ، فكرا وسياسة وتطبيقا في مجتمع « المساواة » الصيني ، تشكل ردا عمليا ممكنا على التناقضات التي تأخذ بخناق المجتمع الغربي . الذي يجر الفرد الى دوامته التي لا تقف عند حد . وفي هذه الناحية ، وبالاضافة الى العداء التقليدي العميق الصيني — الامريكي في ميدان السياسة ، فان الجماعية الصينية تعتبر كذلك ، النقيض الجذري والعدائي للفردية الامريكية والغربية المتطرفة .

فالصين التي أجبرت على العيش في عزلة وحشية ، بسبب حصار الاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية لها من ناحية ، وبسبب عزلتها داخل المعسكر الاشتراكي بحكم الصراع العقائدي ، اضطرت لتبني قيما مختلفة جذريا عن تلك التي حكمت كل المجتمعات الاخرى بما فيها المجتمعات الاشتراكية ، الاكثر تقدما من الناحية الصناعية .

ذلك انه كان على صين ماوتسي تونج ان توجد بمفردها وسائل تطورها الخاصة ، وان تعتمد على قواها الخاصة بالنسبة للدفاع او التصنيع، ولذا فلظروفها الخاصة أصبحت مجتمعا يعارض بشكل جذري ، قيم الاخرين ، ويعمل على اثبات ان قيمه افضل واكثر فعالية .

فاذا اشار الامريكيون منذ سنة ١٩٤٩ في «كتابهم الابيض » الى أن الصين تعيش بشكل دائم على حافة المجاعة . وانها لن تستطيع ان تعيش بمجرد مواردها الخاصه . لذا فرضوا عليها حصارا اقتصاديا لا يعرف الرحمة . وقد اصبحت اليوم هي البلد الوحيد في العالم ، التي يقل دخل الفرد فيها عن ١٢٠ دولارا في السنة ولا تتلقى اية معونة خارجية ، والتي لا يتعاقد معها احد بعقود طويلة الاجل حتى بالنسبة لمشترياتها من الحبوب ، زد على ذلك ، انها تساعد عددا معينا من البلاد الافريقية والاسيوية ، وتقدم لهم قروضا بدون اية فوائد .

وترى « الماوية » ، حسبما أوضح **ك.س. كارول** وهو من اكبر خبراء الشئون الصينية والسوفيتية في العالم ، ان السعار الغربي على سلع الاستهلاك الفردية ، « ليس أمرا طبيعيا » ، بل على العكس مظهر لانحراف خطير ، ينسى الانسان ان المنبع الحقيقي للسعادة والحرية هو الحياة الجماعية » . واذا كان الصينيون يسعون بدأب من أجل التقدم المادي لرفع مستوى المعيشة الجماعي، ويعملون من أجل المزيد من المدارس والجامعات والمسارح والمستشفيات ، الا أن هذا التحسن لاينبغي أن يثير من وجهة نظرهم . الشهوات الفردية التي يكون من نتيجتها تكوين طبقات اجتماعية ممتازة . كذلك فهم يرون ان الفروق التي لا تزال توجد عندهم في الامور ، ينبغي ان تختفي شيئا فشيئا ، كذلك فانهم في عملهم لبلوغ « مجتمع المساواة » لا يعتزمون ارضاء كل حاجات الانسان ، وانما فحسب البدء بالحاجات الاولية ، التي تسمح لهم بالبقاء خلال « فترة الصراع الطبقي على النطاق العلمي » .

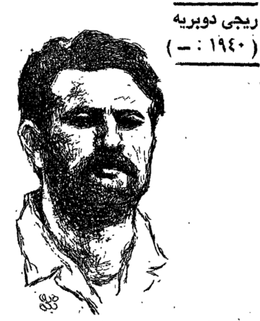
أما الفائض بعد الاستهلاك، فيخصص لتحسين البناء الاجتماعي كله ، او لمساعدة البلاد الشقيقة الفقيرة ، ولكن النظام سيمنع بدء السباق السيء، سباق الاستهلاك الفردي الذي يقود الى «المراجعة الحديثة » . وعلى هذا النحو تشكل الماوية بالنسبة للشباب الغربي ، ردا « ايديولوجيا» ، وفي القيم على السعار والتدافع وراء سلع الاستهلاك الفردية والذي يسود المجتمعات البورجوازية، كما ان السعادة الاجتماعية التي تسعى اليها الصين الجديدة ، تشكل احد الاقطاب المعنوية الجاذبة لاهتمام وتطلع شباب العالم الثالث خاصة ، والشباب النقي في الغرب الذي تدق من هذه الناحية على الوتر الحساس لمثاليته الاجتماعية والانسانية الباقية .

وعلى أية حال ، فان الصين اذا لم تنجح على الدوام — حسبما اوضح الكاتب الفرنسي **ك.س. كارول** — في بيان التفوق الاخلاقي للتقشف ، فانها تستطيع ان تدين وتكشف الفساد الاجتماعي والانساني والتوقف عن الحركة اللذان يعيشان في

المجتمعات البورجوازية او المتبرجزة . وعلى هذا النحو تكون التجربة الصينية فاضحة للغرب ، كما فعلت ذلك تجربة الثورة البلشفية من قبل ، وربما تكون اكثر قدرة على فضحه ، امام الاجيال الجديدة من الشباب بوجه خاص ، لان العالم لم يعد يشك اليوم (كما كان يفعل سنة ١٩١٧) فى أن تجربة اشتراكية يمكن ان تنجح برغم عداء العالم لها .

■ ■ ■

ريجى دوبريه
(١٩٤٠ : —)



● تجسيد لبقظة الضمير الغربى إزاء ما يعانيه العالم الثالث على أيدى الاستعمار الجديد

أما « جول ريجى دوبريه » مدرس الفلسفة والباحث الاجتماعى والصحفى والسينمائى ، فقد اثر بكتابه «ثورة فى الثورة» تأثيرا كبيرا على حركة واتجاه وكفاح الشباب والطلبة فى امريكا اللاتينية خاصة — والعالم الغربى عامة — وقد طبعت كوبا وحدها ٢٠٠,٠٠٠ نسخة من كتابه الذى « قرأته ووعته عناصر البرجوازية الصغيرة ، الطلاب مثلا ، هذه العناصر التى يخرج منها هناك رواد الكفاح المسلح » حسبما أوضح **جان بول سارتر** فى الكراسة التى اصدرتها « لجنة الدفاع عن دوبريه » .

ودوبريه الذى ولد فى باريس سنة ١٩٤٠ تخرج فى مدرسة المعلمين العليا فى باريس ، مدرسا للفلسفة ، وتخصص بعد ذلك فى علم الاجتماع وتاريخ الفن ، وقام بعد ذلك بجولة فى كل انحاء امريكا اللاتينية تقريبا وبصورة خاصة فى كوبا ، حيث ربطته أواصر صداقة وثيقة مع **فيدل كاسترو** .. وقد قام دوبريه بتدريس الفلسفة فى جامعة هافانا بكوبا . وفى ابريل ١٩٦٤ طرد من « **ليما** » بحجة قيامه « بدعاية شيوعية » ورحل بعدها الى بوليفيا ثم عاد الى فرنسا . وفى اكتوبر ١٩٦٦ عاد مرة اخرى الى بوليفيا واقام فيها ثلاثة اشهر فى محافظة « **كاوبيليكان** » وفى مناطق المناجم الاكثر اهمية. وفى ابريل سنة ١٩٦٧ عاد مرة اخرى الى بوليفيا للقيام بمهمة صحفية . وكانت هذه المهمة فى الحقيقة دعوة من **شى جيفارا** ، لدوبريه . ليكون اول صحفى يأخذ منه حديثا بعد عودته الى العمل السرى . وقد استطاع دوبريه الوصول الى مقر قيادة جيفارا فى بوليفيا ، وبقى فى معسكر الثوار كزائر . الا انه بحث مع جيفارا امكانية التحاقه كمقاتل فى صفوف العصابات، ولكن جيفارا فضل قيامه بعمله الصحفى وببعض الاعمال الخارجية التى يمكن ان تخدم قضية الثوره . فلما تعقد الوضع فى معسكر الثوار واصبح الاتصال مع الخارج صعبا ، عرض ريجى دوبريه مره اخرى على جيفارا موضوع انضمامه كمقاتل فى صفوف العصابات ، « الا أن شى اجابنى ملمحا الى عدم خبرتى فى الحياة خارج المدن ، واشار الى ان عشرة من المفكرين الذين يعيشون فى المدن ، اقل فائدة له كمقاتلين فى صفوف العصابات ، من فلاح واحد من سكان المنطقة » .

وغادر دوبريه معسكر الثوار ، ولكنه اعتقل بقرب احدى المدن البوليفية . وعلى الرغم من انه لم يشارك فى نشاط العصابات البوليفية المسلح، الا ان السلطات البوليفية اتهمته بتصدر ذلك الكفاح مع شى جيفارا، وبانه «قاتل ولص ماجور ومرتزق باع نفسه لكوبا » . واتهمته بأنه جاء « ليقوم بالاتصال بالحزب الشيوعى البوليفى نيابة عن فيدل كاسترو » . وبأن كتابه « ثورة فى الثورة » يجعله مسئولا ، بصفته المرتكب الذهنى لاغتيالات ٢٣ مايو ، ١٠ أبريل » وهى كمائن دبرتها العصابات الثورية لضباط وجنود الجيش البوليفى الحكومى . وقد طالب الادعاء باعدامه .

وعلى الرغم من أن السلطات البوليفية وعملاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية تأكدوا حق التأكد من ان دوبريه لم يقم بتوجيه نشاط العصابات البوليفية المسلح ، او المشاركة فى نشاطها العسكرى ، الا أن المحكمة العسكرية البوليفية أصدرت حكمها بسجنه ٣٠ عاما . والحقيقة ان هذا الحكم لم يكن قط بسبب نشاط دوبريه المسلح «المزعوم» وانما لان « اى ثورى ، ينظر للثورة فى امريكا اللاتينية ، ايا كان موطنه ، وايا كان

عمله ، هو العدو الاول ، لكل حكومة فى أمريكا اللاتينية ، محظور عليه أن يعطى الثورة المنخفضة فى كل مكان ايديولوجية او نظرية » حسبما علق الفيلسوف الفرنسى سارتر .

وأهم مؤلفات دوبريه السياسية «الكاستروية» المسيرة الكبرى لامريكا اللاتينية» و «استراتيجية الثورة فى أمريكا اللاتينية» ، ولكن كتابه « ثورة فى الثورة » يعد اكثرها أهمية . وقد وضع دوبريه فى هذه المؤلفات حصيلة الخبرة المنتقاة منجولاته ومناقشاته فى انحاء أمريكا اللاتينية فقد عاش عامين فى هافانا بقرب كاسترو وبقية أبطال ثورة كوبا ، وتسنى له الاطلاع على تفاصيل حركة الثورة المسلحة فى أمريكا اللاتينية عن طريق المعايشة ، وصلتها بالثورات الاسيوية عن طريق المناقشة والمطالعة ، وهو مالم يتوافر بنفس القدر لمفكر معاصر آخر .

وكتابه «ثورة فى الثورة» وهو أشد كتبه تأثيرا فى الشباب ، ينطلق من أسس ماركسية لينينية فى تحليل حركات الكفاح المسلح ، رغم ان دوبريه لاينتسب الى أى منظمة شيوعية ، وانما ينتسب « بالفكر والواقع الى حركة ثورية عامة تقوم على الكفاح المسلح » حسبما أوضح هو نفسه . ويؤكد دوبريه فى كتابه أن التجربة الكاستروية فى سماتها العامة تلائم معظم بلاد أمريكا اللاتينية . وان كتابه «صادق التعبير عن آراء شي» . ومن أهم نتائجه فى هذا الكتاب هو أنه فى أمريكا اللاتينية لاتستقل القيادة السياسية عن القيادة العسكرية ، بل تؤلفان كلا عضويا واحدا ، هو الجيش الشعبى الذى تتألف نواته من جيش العصابات . وبالتالى يمكن أن يوجد الحزب الطليعى على شكل نواة عصابات المقاومة، وتكون حرب العصابات هى الحزب فى مخاض ولادته . ويرى فى كتابه أن على قوى العصابات ان تضع هى نفسها سياستها ، فلا تكون لها علاقات بالاحزاب السياسية ، ولاتكون لها بها على الاقل، علاقات تبعية ، ولا يكون لهذه الاحزاب مفوض سياسى ، بل تتألف العصابة من رجال، هم فى الوقت نفسه مقاتلون وسياسيون .

ويرى دوبريه فى هذا الكتاب « ان الامبريالية الامريكية تلعب فى امريكا اللاتينية آخر اوراقها. الورقة الحاسمة التى ستحدد نهايتها ، وان ضرب الامبريالية فى أمريكا الجنوبية ، يوازى بالنسبة لها اصابة فى صميم وجودها كامبريالية دولية . فبعد أن تطرد غدا من آسيا » لن تجد أرضا تشهد نهايتها غير أمريكا اللاتينية . لهذه الاسباب ، ولاسباب أخرى ، فان النضال الثورى الذى بدأ فى أمريكا اللاتينية سيكون ضاريا ، وسيدور — وقد بدأ يدور منذ اليوم — فى ظروف بالغة القسوة ، أقسى من ظروف أية قارة أخرى »

وفى فصل بعنوان « تحرير الحاضر من الماضى » نبه دوبريه الى اخطار تأثير التجارب الثورية الماضية ونماذجها ، على الحاضر الثورى، داعيا الى تحرير الحاضر من تأثيرات الماضى السكثيبة ، والاعتماد فى توجيهه على العمل الثورى الخلاق الخاص بكل بلد على حدة . وبهذا الصدد يقول : « لقد فكر الديموقراطيون الروس بالغريزة ، فى اعادة تجربة **(كومونة باريس)** فى بتروغراد ، وبالغريزة أيضا ، فكر الشيوعيون الصينيون فى العشرينات ، بأن يعيدوا فى كانتون تجربة أكتوبر الروسية ، كما فكر الرفاق الفيتناميون بعد سنة من انشاء الحزب ، فى اطلاق مجالس السوفيت الفلاحية فى عصيان مسلح شمالى البلاد ، ولكننا ونحن ننظر الى هذه الامور اليوم ، نرى أنه ماكان ممكنا للعصيان على الطريقة السوفيتية أن ينجح فى المستعمرات الاسيوية فيما قبل الحرب العالمية الثانية . ومن هنا اضطر أشد المناضلين الشيوعيين اصالة ، أن يبدأوا فى تعلم انتصارهم »

« ومن المغرى القول ، أنه كان من حسن الحظ أن **فيدل كاسترو** ، لم يقرأ كتابات **ماوتسى تونج** العسكرية قبل نزوله على سواحل «اورينتى» ، لان ذلك اضطره أن يبتكر ، على الطبيعة ، انطلاقا من تجربته الخاصة ، قوانين عسكرية ملائمة للارض . لقد اكتشف الثوار كتابات ماو فقط فى آخر الحرب وبعد أن أصبح تكتيكهم محددا (كتاب « المشاكل الاستراتيجية لحرب الانتصار ضد اليابان » لماوتسى تونج، لم يقع تحت أيدى كاسترو وجيفارا الا بعد هجوم صيف ١٩٥٨ ، وقد دهشا عندما وجدا فى هذا الكتاب ، القواعد التى كانا قد طبقاها تحت ضغط الحاجة) . ولكن ثوار امريكا اللاتينية ، يعودون من جديد الى قراءة خطب كاسترو وكتابات جيفارا بنفس العيون التى قرأوا بها كتابات ماو عن الحرب ضد اليابان ،وكتابات «جياب» وبعض نصوص «لينين» ، ويعتقدون أنهم قد تعرفوا الى الكتابات الاولى ، من خلال كتابات كاسترو وجيفارا . وهذه هى العملية البصرية الكلاسيكية التى تسمى «الطبعة الثانية» ، وهى عملية خطيرة عندما يكون للحرب الثورية فى امريكا اللاتينية ظروف تطور خاصة جدا ، ومختلفة لدرجة عميقة بحيث لايمكن اكتشافها الا من خلال التجربة الخاصة ، وبهذا المعنى ، فان جميع الكتابات النظرية حول الحرب الشعبية قد أضرت بقدر ماأفادت . لقد اتهم كاسترو يوما ، الارتباط الفكرى المحض بالقتال ، بانه مسئول عن فشل بعض حروب العصابات ».

ولقد تعرض دوبريه فى كتابه لنظرية « الدفاع الذاتى المسلح» وهى تتلخص فى: استيلاء الثوار على جزء من البلد ، وعزل سلطة الدولة عنه نهائيا ، والتمركز فيه . وهو يرى ، ان نظرية الدفاع الذاتى ليست وليدة قلة الجراة فى نفوس محركيها،

بل انها على العكس من ذلك ، وليدة مبالغة في التضحيات الرائعة ، وتبذير في البطولة لا يؤديان الى شيء ، بل يؤديان الى كل شيء ، ماعدا الاستيلاء على السلطة السياسية ، ويعتبرها نظرية اقرب الى « الكفاح المسلح العفوي » . كذلك فأنه ، كما ينفي « الكفاح الاقتصادي » دور الحزب الطليعي ، فأن « الدفاع الذاتي » ينفي دور القطاع العسكري المنفصل عضويا عن السكان المدنيين ، وكما ان الاسلوب الاصلاحي يسعى لتكوين حزب جماهيري ، دون اختيار مناضلين، أو مؤسسات صارمة التنظيم ، فان « الدفاع الذاتي » يهدف الى اشراك كل الناس في الكفاح المسلح ، أي الى تكوين عصابات جماهيرية ، بالنساء والاطفال والحيوانات الداجنة التي تقطن مستعمرة العصابات المقاتلة .

« ان مجتمع ، ((**الدفاع الذاتي**)) بحكم طابعه المحلي ، لا يملك زمام المبادرة ، ولا يملك اختيار مكان المعركة ، ولا يمكن ان يستفيد من عوامل الحركة والمفاجأة ، ولا من امكانية المناورة ، وتبقى الرقعة الجغرافية التي يقوم عليها «الدفاع الذاتي» ، وهي منعزلة بطبيعة الحال ، عرضة للتطويق وللهجوم المدبر بدقة متناهية ، من قبل العدو ، وفي الزمان الذي يختاره . كذلك ، فكما أن « الكفاح العفوي » لا يهدف لاستيلاء الطبقات المستغلة على السلطة السياسية ، ولا ينتظم بالتالي في شكل حزب سياسي ، فان « الدفاع الذاتي » لا يهدف الى السيطرة العسكرية للطبقة المستغلة ، ولا يهدف بالتالي الى الانتظام في شكل جيش شعبي نظامي . ان المنطقة او المدينة التي لا يحميها الا سكانها ، لا يمكنها الا ان تنتظر بسلبية هجوم العدو ، وبذلك تربط مصيرها بارادته ، ولايمكنها أن تجبر الديموقراطية البرلمانية او نظام القلة الحاكمة ، ان يفضحا محتواهما الطبقي . ان « الدفاع الذاتي » يسمح للطبقة المسيطرة الا تبدو بمظهر دكتاتورية العنف ،ويحافظ على التوازن بين دكتاتورية القلة الحاكمة والضغط الشعبي ، بدل ان يكشف عنف هذه الديكتاتورية ، كما اوضح شي جيفارا . ان « الدفاع الذاتي » يحصر حرب العصابات في دور تكتيكي ، ويحرمها من آفاقها الاستراتيجية الثورية . ولو قسناه بالمهمة التي يتصدى للقيام بها ، وهي حماية المدنيين ، فاننا نرى انه يوفر لهم هذه الحماية في المدى القصير ، اما في المدى الطويل فان عمله تهديد لسلامة المدنيين » .

وعن ((**الدعاية المسلحة**)) اوضح دوبريه ، ان القوة الجسدية للبوليس والجيش هي قوة سحرية . وهذا السحر لا يمكن فكه بالخطب ، (لم يعقد **فيديل كاسترو**) في منطقة العمليات التي قاتل فيها لمدة سنتين ، اي اجتماع جماهيري) ولكن بالاثبات بان الرصاص ، يمكن أن يخترق ايضا رجال البوليس والجيش . وعلى رجال العصابات ، بعكس ذلك ، ان يستعملوا قوتهم لكي يثبتوا للناس ، ان قوة العدو هي قوة استعراضية . وليس كالقتال وسيلة لفك هذا السحر ، هذا التراث من الخوف والذل امام رب العمل ، والبوليس ، والحارس الريفي ، وينفك السحر بسرعة ، كما يقول فيديل ، الى حد ينقلب فيه الاحترام التقليدي الى استهزاء ، ويصبح الفلاحون الذين ينخرطون مع رفاقهم القدماء في العصابات ، وقد اصبحوا يقللون من قيمة العدو ، ولا يحسبون له حسابا . وعندها تضطر قيادة العصابات الثائرة الى عمل معاكس : اضفاءشيء من القيمة على العدو ، تجنبا للمغامرات .

وقد تعرض دوبريه بالنقد لفكرة ((**قاعدة الارتكاز الثورية الثابتة**)) أو ((**منطقة الامان**)) ــ التي تعطيها التجربة الصينية ، قيمة استراتيجية أساسية ــ على أساس ان شروطها غير متوفرة في أمريكا اللاتينية اليوم . فقاعدة الارتكاز الثورية الثابتة تتطلب مجموعة من الشروط الملائمة مثل :

ــ امتداد وعمق الارض ، اللذان يكملهما نقص في المواصلات في المناطق الريفية .

ــ نسبة كثيفة من السكان الريفيين .

ــ وجود حدود مشتركة مع بلد صديق .

ــ غياب قوات للعدو منقولة بالطائرات .

ويستنتج من ذلك ، أن أيا من هذه الشروط تقريبا غير متوفر في أمريكا اللاتينية اليوم ، وأن شرط النقص العددي في قوات العدو ، الذي كان متوفرا في الصين ابان حرب التحرير ضد اليابانيين ليس متوفرا في أمريكا اللاتينية اليوم .

ويرى أن الرغبة في احتلال قاعدة ثابتة ، او الاستراحة في «منطقة أمان» ، حتى لو امتدت على آلاف الكيلومترات المربعة ، حرمانا للثورة من أحسن ما في يدها من سلاح الا وهو : الحركة، وتركها منغلقة في منطقة عمليات ، والسماح للعدو باستعمال أحسن أسلحته .

أن فدية اقامة « منطقة الامان » ، هي العسكرة الثابتة ، المتمركزة في أماكن اشتهرت بوعورة مسالكها . وان هذه الثقة في فضائل الارض فقط، هي دائما ثقة محملة بالاخطار ، ذلك أنه لايوجد في الحقيقة أماكن لايمكن الوصول اليها . لسبب منطقي بسيط ، هو أنه اذا أمكن للثوار الوصول الى هذه الامكنة ، فلا شيء يمنع العدو من الوصول اليها . وان قاعدة السلوك التي كان يتبعها جيش الثوار في كوبا هي التحرك المستمر. لم يكن احتلال قاعدة للثورة ، هو الهدف السياسي والعسكري

الاول للثوار فى كوبا ، برغم ماكان يشكله هذا الاحتلال ، كعامل حاسم . لقد كان الهدف الاول هو تدمير قوات العدو ، وقبل كل شيء ، جمع السلاح . ان قاعدة الثوار حسبما قال **فيديل كاسترو** ، « هى الارض التي يتحرك الثائر داخلها ، والتى تنتقل معه كلما تحرك ، ان قاعدة الارتكاز فى المرحلة الاولية ، موجودة فى حقيبة المقاتل » .

وقد عالج ريجى دوبريه فى كتابه « ثورة فى الثورة » قضية غاية فى الاهمية ، هى **علاقة الحزب السياسى بعصابات الثوار** . ووفق مايراه فان وضع عصابات الثوار تحت السيطرة الاستراتيجية والتكتيكية لحزب لايقوم باجراء تغيير جذرى على تنظيمه القائم فى زمن السلم ، وجعل هذه العصابات كشعبة جديدة للعمل الحزبى ــ ان عملا كهذا يؤدى الى سلسلة من الاخطاء العسكرية القاتلة . أهمها النزول الى المدينة من جانب قائد العصابات للاتصال بقيادة الحزب الموجودة فى العاصمة ، للمشاركة فى مناقشات القيادة وفقا لمبدأ المركزية الديموقراطية . وعلى هذا النحو ، فان عاجلا أو آجلا ، سيقع المسئول العسكرى فى قبضة العدو ، أو يغتال ، ونادرا ماينتهى مصيره بالسجن فقط . يقول فيديل : ان « المدينة مقبرة الثوار والموارد » ، كذلك فان نزول القائد الى المدينة ، يسبب أثرا معنويا بالغ السوء على رجاله ، فى ظروف الحياة التى يعيشونها والتى تفرض على القائد ان يكون دوره الاول هو اعطاء المثل على الجلد والتضحية ، ولذا يرى دوبريه ، انه لايجوز للقائد ان ينزل الى المدينة لحضور اجتماع سياسى ، عليه ان يجعل السياسيين يصعدون الى الجبل ليناقشوا فى مكان امين ، والا فليرسل لهم مبعوثا ــ كذلك فمصدر الخطر الثانى فى تبعية العصابات للحزب السياسى فى المدينة هو ان افتقارها للسلطة السياسية يؤدى الى تبعية الجبل للمدينة فى المسائل العسكرية ومسائل التحركات . وهذه التبعية كثيرا ما تؤدى الى تخلى القيادة السياسية فى المدينة عن حرب العصابات . ويرى ايضا ان ربط رجال العصابات بقيادتهم السياسية فى المدينة لا يؤدى فقط الى خلق وضعية حقيقية ، بل الى عقدة نقص فكرية ، وعقدة تبعية لدى رجال العصابات ، بحيث ينتظرون كل شيء من الخارج : كوادرهم السياسية ، التوجيهات ، المال ، السلاح ، وحتى تواريخ العمليات ، فيضيع منهم بالتالى المبدأ السياسى والمعنوى ، وهو مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية فقط ، وتتحول حرب العصابات يوما بعد يوم الى فريسة سراب المساعدات الخارجية الوشيكة : انتظار وصول المساعدة الموعودة ، وفى اليوم المحدد ، لا تصل المساعدة ، او يصل النزر اليسير منها ويؤجل وصول الباقى الى الغد ، ويقعد الثوار فى الانتظار ، وهكذا يتركون كفاحهم المسلح ولو بفعل عدم الاكتراث .

ويتساءل ريجى دوبريه ذلك التساؤل العميق الدلالة : « كيف يمكن لساكن المدينة ، مهما كان ماركسيا ــ لينينيا ، ان يقدر القيمة الحيوية لمتر مربع من النايلون ، او لعلبة طعام محفوظ ، او لزوج احذية ؟ وكما يقولون : « لايعرف الشوق الا من يكابده » . ان كل رجل يعيش فى المدينة ، حتى ولو كان رفيقا ، هو بورجوازى دون ان يعرف ، بالمقارنة مع رجل العصابات : فلا يمكن لساكن المدينة ان يعرف مدى المفروض على رجل العصابات ، لتأمين أكله ونومه وتنقله ، وباختصار لتأمين وسائل استمراره فى الحياة » .

« الغابة فى المدينة ليست بهذه الوحشية : الرجال فيها يتعاركون ليعترف بهم كحيوانات متفوقة . لقد توقفوا عن القتال خوفا من الموت . والحياة للجميع . صحيح ان توزيعها غير عادل ، ولكنها موجودة على الاقل » . انها عند التجار فى اشكال المواد الجاهزة : شرائح اللحم ، الخبز الجاهز ، الماء فى الصنبور ، النوم دون ابراج حراسة ، تحت سقف ناشف ، النور فى شوارع لا افاعى فيها ، الغاز ، العلاج عند الصيدلى او فى المستشفى . يقال اننا نستحم فى الوضع الاجتماعى ، والحمام اذا طال يصيب الجسم بالطراوة . ويجب الخروج من هذا الحمام للتنبه الى اى حد يستطيع هذا « الحضن الدافىء » ان يرجز الانسان ويبقيه فى طور الطفولة » . ان الجبل يحول البرجوازى والفلاح الى بروليتاريين ، اما المدينة فان بامكانها ان تبرجز حتى البروليتارى » .

« عندما يتكلم ثوار العصابات مع رفاقهم المسئولين فى المدن ، او مع ممثليهم فى الخارج ، فانهم يتعاملون معهم كبرجوازية الثورة » . وحتى لو احتاج الثوار الى بورجوازية ــ كالحاجة الى رئة اصطناعية فى لحظة الاختناق ــ فهم لايستطيعون التغاضى عن هذا الفارق فى المصالح وفى البيئة ، فالجهتان ، لا تتنشقان الهواء نفسه . وقد خاض فيديل كاسترو نفسه هذه التجربة ولم يتردد ، حتى وهو يخاطر بأن يصبح وحيدا فى اللحظات الحرجة ، فى ادانة وطرد « بورجوازيته » الميالة الى عقد محالفات دون مبادىء : خاصة عندما ندد باتفاقية ميامى ، فى كتابه الرابع بتاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، الذى بدأت فيه الاخلاقية البروليتارية تواجه السياسة البورجوازية ، وقد كانت الاخلاقية البروليتارية مجسدة بجيش الثوار ، ثم تكشفت بعد ذلك عن سياسة بروليتارية » .

« لقد استطاعت بعض جبهات الثوار ان تستمر سنة على مساعدة ٢٠٠ دولار ، تلقتها من التنظيم السياسى الذى ترتبط به ، والذى كان فى الفترة نفسها ، ينفق الوف الدولارات على مهمات دعائية فى الخارج والداخل ، وعلى رواتب موظفين

الحزب في خارج البلاد وداخلها ، وعلى خلق اجهزة صحافة ، وتنظيم مؤتمرات للعفو العام عن السجناء الخ ، اى ان كل هذه النفقات ، كانت للاستفادة من المجد الذى تحققه لها الجبهات القاتلة التى تعيش منعزلة ، ومحرومة من وسائل القتال . لقد امكن من هذه التجربة ، ومن تجارب اخرى مشابهة ، استخلاص هذه العبرة : من الاجدى والاكثر ضمانا للعصابة الثائرة ان تقوم هى نفسها وانطلاقا من قاعدتها ، بغزوات تستعمل فيها السيارات اذا لزم الامر ، للاغارة على قرى مجاورة لجمع المؤن والادوات الريفية ، مع انشاء مخازن خاصة ، بطمر الحاجيات في التراب او اخفائها ، وتأمين بذلك حرية العمل لعدة اشهر . ومهما كانت هذه العمليات محفوفة بالمخاطر ، فانها تظل افضل من انتظار مزاج التنظيمات السياسية فى المدينة او امكانياتها على ارسال المؤن ، او مصادفات النقل والمصاعب التى تسببها عملية الحصار الخ . كذلك فان عمليات كهذه تخفف الى الحد الادنى امكانية التسلل الى عصابة الثوار ، او تحديد مكانها ، تلك الامكانية التى تحصل دائما من المدينة باتجاه الجبل .

وفيما يتعلق بعلاقة الحزب السياسى برجال العصابات ، هناك خطر آخر يتمثل فى الافتقار الى القيادة الواحدة . هذا الافتقار الذى يضع القوات الثورية فى وضع خادم المدفع الذى ليس لناره اى اتجاه محدد ، فيضيع المهاجمون فى الطبيعة ، ويطلقون النار كيفما اتفق ، ويموتون من اجل لا شىء . ان عدد وقوة الوسائل النارية لايصلح لشىء من غير خطة لاطلاق النار ، ومن غير تحديد قطاع خاص يجب اسقاطه بنيران متقاطعة او مركزة ، وغياب القياده التنفيذية المركزية ، اى القيادة السياسية — العسكرية يؤدى الى مثل هذا التبذير ، وهذه المذبحة التى لا طائل تحتها .

ووفق هذه النظرة ، يعلق دوبريه على فشل الاضراب العام الذى دعا اليه « السهل » فى كوبا ، فيوضح « ان السلطة الحاكمة كانت تملك جميع وسائل قمع وسحق اضراب عام . الا ان هذه الوسائل لم تكن تنفع هذه السلطة فى احراز النصر فى حرب عصابات . وهكذا كانت « السييرا » هى التى نفذت الثورة ، بعد ان جرها « السهل » الى حافة الخطر . وكان منطقيا ان تتسلم السييرا مسئولية قيادة الثورة بعد فشل الاضراب ، وبعد ما اتضح لدى الجميع ان السييرا وحدها تستطيع انقاذ الثورة .

وينتقد ريجى دوبريه بقوة فى كتابه ، مفهوم « الديموقراطية الوطنية » فيقول : « هناك من غير شك ، فى الجذور ، نظريات سياسية قديمة ، اصبحت اليوم مطعونا فيها ، فاقدة الرصيد ، مقلمة الاظافر بالفشل ، ولكنها مازالت تطفو على السطح بحيوية مثل النظرية القديمة القائلة بتحالف الطبقات الاربع ، التي تضم البرجوازية الوطنية ، نظرية « الديموقراطية الوطنية » ، اى الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية حسب الانتاج الراسمالى ، ولكن بعد تبييضه ، وتنظيفه من كل تدخل امبريالى .

وبالنسبة لنشاط الارهابيين فى المدن ، يوضح ان الارهابى فى المدينة ، لايمكنه ان يلعب اى دور حاسم ، بل انه يجد فى الوقت نفسه بعض الاخطار على المستوى السياسى . ولكنه اذا ماكان مرتبطا بالنضال السياسى ، نضال الريف ، فانه يتمتع من الناحية العسكرية ، بقيمة استراتيجية ، فهو يضطر الالوف من جنود الاعداء للتجمد ، فيشغل الجزء الاكبر من اجهزة القمع فى مهمات الامن العقيمة . ذلك ان حماية المصانع والجسور والمحطات الكهربائية والمباني العامة والطرقات وانابيب النفط ، يمكنها أن تشغل ٣/٤ الجيش ، وتضطر الحكومة فى مثل هذه الاحوال لحماية كل من لديهم ممتلكات ، أما رجال العصابات فليس لديهم مايحمونه فى اى مكان ، ليس لديهم اعباء تثقل كاهلهم . لذلك فان ميزان القوى بين الدولة والثوار لايمكن ان يحدد بالتعادل الحسابى .

ومن كل ذلك يخلص دوبريه الى انه بالنسبة لامريكا اللاتينية ، لايمكن تصور كادرا سياسيا دون ان يكون فى الوقت نفسه كادرا عسكريا .

ويلمس دوبريه ، احدى السمات الخاصة بظروف الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية موضحا أن الكفاح المسلح يتسم بأهمية خاصة فى امريكا اللاتينية . لان اختلال القوى الكبيرة فى البداية ، بين عدد رجال الثورة ، وآلة القمع كلها ، وقلة عدد السكان فى الريف ، وفى الاماكن التى يجرى فيها القتال ، لايسمحان باستبدال التكنيك والتسليح لفترة معينة ، بالجماهير وعدد المقاتلين ، كما يحدث فى الصين وآسيا بشكل عام ، على العكس من ذلك لابد من امتلاك التكنيك بخبرة تامة من اجل تعويض هذا الاختلال الاساسى ، وبشكل عام ، النقص النسبى فى عدد السكان فى كثير من البلدان ، ومن هنا الدور الاكثر اهمية من اى مكان آخر ، للمتفجرات مثلا ، والبازوكا ، والاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة الخ .

« لقد ثبت أن التجربة العسكرية لكفاح الشعب هى أكثر حسما من تجربة سياسية لاعلاقة لها بالعصابات من اجل تشكيل الكوادر الثورية . ان القادة الذين ينادون بتوسيع نطاق الحرب الثورية اليوم فى امريكا اللاتينية ، هم شباب ، ليس لديهم تجربة سياسية طويلة سبقت دخولهم العصابات المقاتلة . وان من السخف الاستمرار فى الحديث

من التناقض بين «الكوادر السياسية» و«الكوادر العسكرية» ، وبين «القيادة» السياسية ، و«القيادة» العسكرية ، ليس باستطاعة «السياسات» الصرف ، والتى تنوى أن تظل كذلك ابدا أن تخدم الكفاح المسلح للشعب ، اما «العسكريون» الصرف فيخدمون هذا الكفاح ، ثم من خلال ممارسة حرب العصابات ومعايشتها ، يصبحون ايضا سياسيين . لقد أثبتت تجربة كوبا، ومؤخرا تجربة فنزويلا ، وتجربة جواتيمالا والبلاد الاخرى . ان التربية السياسية ـ حتى للبرجوازى الصغير أو الفلاح ـ تتم فى حرب العصابات بأسرع وأعمق مما تتم بقضاء الوقت نفسه فى مدرسة الكادر ، وهذا على صعيد الرجال ـ مفعول حرب العصابات التى تتسم بشكل أساسى وكامل بالطابع السياسى . وفى ذلك ميزة مزدوجة على التربية السياسية التقليدية ، سواء داخل حزب ، أو فى النضال النقابى ، أو فى مدرسة وطنية أو دولية للكادر . ففى « مراسيم الشرف » السياسية هذه، يكون البرجوازى الصغير ، أى الفلاح ، على ثقة من أنه لن يتلقى تربية عسكرية ، ولايكون على ثقة من أنه سيتلقى أحسن تربية سياسية . فى كوبا مثلا : قدم جيش الثوار ، والعمل السرى للثورة، كوادرهما القيادية ونواة مناضليهما . واليوم ايضا ، مازال الثوار فى طليعة هذه الطليعة ، يدافعون فى قلب الثورة عن الخط الاكثر جذرية والاكثر شيوعية ، أليس هذا قدرا غريبا بالنسبة « للعسكريين » كما يتخيلهم « السياسيون » ؟

ويشير دوبريه الى حقيقة أخرى بالغة الاهمية وهى أن التفريق بين المستوى السياسى والمستوى العسكرى يحمل اسماء **ماوتسى تونغ** (المستوى السياسى) و **شوتيه** (المستوى العسكرى) فى أثناء الحرب الاهلية الثورية الصينية والمسيرة الكبرى، ثم **هوشى منه** و **جياب** فى أثناء الحرب ضد الفرنسيين ، وربما أضفنا **لينين** ، **وتروتسكى** ، فى أثناء حروب التدخل الامبريالى فى الاتحاد السوفيتى . اما فى كوبا فقد جمع رجل واحد ، القيادة العسكرية (العمليات) ، والقيادة السياسية هو **فيديل كاسترو** .

ويوضح دوبريه أن هناك صلة عميقة فى أمريكا اللاتينية بين الايديولوجية وعلم الاحياء فى كل مكان يجرى فيه كفاح مسلح ـ فالرجل المسن المتعود على جو المدينة ، يجد صعوبة فى الالتحاق بالجبل، أو بعمل سرى نشيط فى المدن ، وبين مختلف أنواع التربية التى تتطلبها حرب العصابات ، تظل التربية البدنية هى الاساسية مع التربية الخلقية :الاثنتان تسيران جنبا الى جنب ، وليست التربية الماركسية ـ اللينينية الكاملة ، فى البداية ، شرطا حتميا .

ويلفت دوبريه النظر الى حقيقة ، أن الاحزاب الشيوعية التقليدية فى أمريكا اللاتينية لم تعش منذ نشأتها مسألة الاستيلاء على السلطة ، ولم يتح لها أن تكون على رأس حرب تحرير شعبية، وهو يستعين بفكاهة أطلقها **تشى جيفارا** ، فى توجيه أخوى من جانبه الى الرفاق الحزبيين فى أثناء الكفاح ضد باتيستا ، اذ قال « باستطاعتكم أن تخلقوا كوادر تتمزق فى ظلام السجون ، دون البوح بكلمة ، ولكن ليس باستطاعتكم أن تشكلوا كوادر تستولى على مخبأ للمدفعية الرشاشة » ـ ويرى دوبريه أن هذه الملاحظة ليست ابدا حكما قيميا ، ولكنها تقييم سياسى. فليس الامر متعلقا باستبدال جبن بشجاعة ، ولا باستبدال ايديولوجية بأخرى ، بل استبدال شجاعة ، بشكل آخر من الشجاعة، واستبدال أسلوب من العمل (والتطابق النفسى) بأسلوب آخر »

واذا كان **تشى جيفارا** ، **قد أوضح** بجلاء أن حرب العصابات ليست سوى وسيلة توصل الى غاية استراتيجية هى الاستيلاء على السلطة السياسية، فقد أشار دوبريه الى استخدام بعض الاحزاب لحرب العصابات كوسائل للضغط السياسى والمزايدات السياسية . « هاهى حرب العصابات تتحول الى خدمة غايات أخرى ، أسلوب للضغط على حكومة بورجوازية ، عنصر للمقايضة السياسية ، كتلة احتياطى للايام السوداء ، هذه هى الغايات التى ارادت القيادة السياسية أن تجيزها لادارتها العسكرية ، فأصبح الاسلوب الثورى يخدم غايات اصلاحية ». ويرى دوبريه أن ليس من حل لذلك سوى أن تفرض العصابات الثائرة نفسها كقيادة سياسية . وان أشد التعريفات السياسية حسما ، هو الانتماء الى العصابات الثائرة ، الى قوات التحرير المسلحة ، التى توحد جميع المناضلين القادمين من كافة الاحزاب، وفى النهاية يقرر جيش الشعب، مستقبل الحزب الذى كان من المفروض نظريا أن يكون أداته ، وفى الاساس ، فان الحزب هو الجيش ». ففى كوبا لم يكن الحزب هو النواة القائدة للجيش الشعبى ، كما يقول جياب عن فيتنام ، بل ان الجيش الشعبى هو الذى كان النواة القائدة للحزب . وهكذا حققت ثورة امريكا اللاتينية ، وطليعتها الثورة الكوبية ، اضافة حاسمة الى التجربة الثورية العالمية، والى الماركسية اللينينية. وعلى هذا النحو يرى دوبريه وجوب تطوير العصابات الثائرة ، من أجل تطوير الطليعة السياسية ، وجوب أن يكون التشديد الاساسى على تطوير حرب العصابات ، وليس على تقوية الاحزاب القائمة أو خلق احزاب جديدة ، ولذلك فان العمل العصيانى فى رايه هو العمل السياسى رقم واحد ».

وفيما يتعلق بتأثير الصراع العقائدى السوفيتى ـ الصينى على الكفاح فى أمريكا اللاتينية ، ينبه دوبريه الى وجوب « تجنب اهدار الجهود

والموارد على جبهات حسـيانية «صرفة» أو أيديولوجية «صرفة» ، وتجنب تعقيم الطاقات الثورية ، الامر التقليدى فى أمريكا اللاتينية ، فى منافسات أو انشقاقات الطوائف .

وفى البحث الذى أعده دوبريه بعنوان « قضايا الاستراتيجية الثورية فى أمريكا اللاتينية » أوضح أنه على الرغم من وجود كوبا ، فان بعض المنظمات الثورية فى أمريكا اللاتينية ، لاتزال واقعة تحت النفوذ العقائدى للحركة العمالية الاوربية — التى غالبا ماتكون غريبة عن قضاياها الحقيقية ، وأوضح كذلك ان الباب ، باب الثورة الاشتراكية الذى فتحته كوبا على حين غرة ، على مرأى من الاستعمار قد أحكم اغلاقه من قبل الاوليجاركيات الحاكمة من الداخل ، والاستعمار المتأهب للتدخل عند أدنى بادرة من الخارج . فكيف يكون بامكان الشعوب الشقيقة أن تعيد اقتحام هذا الباب ؟ اما بممارسة ضغط أقوى وأطول ، واما بأن تعمد الى فتح باب جديد يختلف موضعه بالنسبة لكل أمة من الامم فى أضعف مكان فى الجدار .

وبالنسبة للتحولات التى أحدثتها كوبا يوضح: أولا : ان كوبا قد دفعت بغتة بالصراع الطبقى فى أمريكا اللاتينية الى مستوى أرفع ، لم تكن الطبقات المستغلة ولاطلائعها مستعدة له . ثانيا : انها رفعت من المستوى المادى والعقائدى للردة الاستعمارية بأسرع ممارفعته عند الطلائع الثورية.

ومع ذلك فنجاح كوبا الثورية ، قد غير العمل الثورى ، أسلوبه ومضمونه ، وأمدهما بحيوية شابة — ويأتى الضغط السكانى ليجسم من اهمية هذا التجديد . فنصف سكان فنزويلا مثلا ، هم دون العشرين من عمرهم . وهذه الشبيبة ، المتقدة من عبء الذكريات ، لن تتبع الا الذين تراهم يقاتلون الى جانبها . ثمة «طلاق» عنيف بين الاجيال فى أمريكا اللاتينية بأسرها ، وخاصة على صعيد التصرف السياسى ، يبيه هرم فئات الاعمار فى بلدان جنوب أمريكا شبه المستعمرة . وهذا الطلاق، انما يعكس ظرفا موضوعيا سيزداد بروزا مع الايام .

أما بالنسبة لما يسمى بـ «جيل العشرينات» ، فان هـذه الطائفة من القادة الاشتراكيين الديموقراطيين الذين ترعرعوا فى المنفى ، بمنأى عن التضحيات الثورية التى تبذلها شعوبهم ، فقد صفت نفسها بنفسها ، لحسن الحظ ، دون ان تنتظر موتها الطبيعى ، والثورة الكوبية التى خانتها هؤلاء ، قد فضحتهم علنا .

وأوضح دوبريه فى بحثه الشهير « قضايا الاستراتيجية الثورية فى أمريكا اللاتينية » كذلك، أنه بعد الثورة الكوبية ، ازدادت التضحيات بالارواح وظلت آماد الحرب الثورية وازدادت تعقيدا . وأشار الى أن الثورة الكوبية قد تمكنت من أن تحظى بدعم مادى ومعنوى حتى من السياسيين الليبراليين التقليديين . ففى أشد فترات النضال السرى شراسة ، استطاعت حركة ٢٦ يوليو ، أن تجمع التبرعات فى نيويورك باسم «حقوق الانسان» وأن تتلقى المعونة المالية من «بيبى فيجويريس» رئيس جمهورية كوستاريكا ، باسم الدفاع عن الديموقراطية ، ومن فنزويلا المتحررة لتوها من دكتاتورية **بيريز جيمينيز** ، وان تتسلم طائرة محملة بالاسلحة من **لارا زابال** ، زعيم الانقلاب الديموقراطى ، وأن تؤمن لنفسها دعاية عالمية ايجابية عن طريق صحف عالمية مثل **«لايف» ، و«بارى ماتش»** .

«هل تعتقد أن صحفيا مثل **هيوبرت ماثيوز** ، سيأتى لاجراء تحقيق صحفى معنا ، أو أن أمثال **«فيجويريس»** يرسلون لنا المسدسات ؟» هذا السؤال وجهه لى بسخرية قائد جمهورية فلاحية مستقلة فى كولومبيا على مسيرة بضع ساعات من بوجوتا . وكان الفلاحون آنذاك يتأهبون لصد هجوم يعده الجيش النظامى منذ سنوات بالتعاون مع البعثة العسكرية الامريكية وهم يفتقرون الى كل شىء . والمراكز العالمية القادرة على مساعدتهم بعيدة جدا ، المال والسلاح ينقصهم ، والحملات المنظمة تشن عليهم من قبل الصحافة المحلية والعالمية لتشويه أهدافهم ومعنى نضالهم ، والعزلة والجوع — تلك هى ملامح الوجه المرير الاخر لنداء الشجاعة المفروض حكما على الثوريين المعاصرين : « اعتمدوا على قواكم الذاتية » — لقد آن الاوان لكى نغير لغتنا ومنظارنا فى أوربا وفى المناطق الاخرى ، عندما نحاول فهم المصاعب التى يواجهها رفاقنا فى هذه البقعة من العالم .

وقد حلل دوبريه الحقيقة التاريخية لاحزاب «البورجوازية الوطنية» التى وصلت الى الحكم فى أمريكا اللاتينية فقال : « قام حزب «البورجوازية الوطنية» بمصادرة الثورة الشعبية ، واستولى على الحكم، كمافعل «الحزب الدستورى الثورى» فى المكسيك ، و«حزب العمل الديموقراطى» فى فنزويلا ، و«الحركة الوطنية الثورية» فى بوليفيا . لكن هذه البرجوازية الصغيرة التقدمية ، لاتملك قاعدة سلطة اقتصادية قبل تسلمها الحكم ، لذا فهى تحول الدولة ، ليس الى اداة سيطرة سياسية فحسب، بل الى مصدر للسلطة الاقتصادية أيضا . فتصبح الدولة الى حد ما ، اداة لتكوين علاقات استغلال جماعية ، فى حين هى فى أوربا الراسمالية تتويج لهذه العلاقات . وبواسطة عملية اختصار للطريق ، وهى التى تميز البلدان شبه المستعمرة، تتحول الدولة من كونها التعبير القانونى عن علاقات الانتاج القائمة فى مجتمع ما ، لتصبح ، الى حد ما أيضا ، اداة تكوين علاقات انتاج لم تكن

موجودة اصلا فى هذا المجتمع . اذ ذاك يصبح تكاثر الوظائف الحكومية — المورد الوحيدلتوظيف آلاف الاتباع العاطلين عنالعمل — البديل عنتنمية الجهاز الانتاجى ، فهذه البورجوازية لاتساوى شيئا على الصعيد الاقتصادى ، اذا لم تكن مسيطرة على جهاز الدولة ، لهذا فالسلطة السياسية هى كل شيء بالنسبة لها . وهى لن تتوانى على الاقدام على اى عمل من اجل الاحتفاظ بها . من هنا ، فالشكل المميز الذى يتخذه وعيها الطبقى ، هو اليقظة السياسية . فتمسى بطاقة العضوية الحزبية ، الشرط المسبق للحصول على وظيفة حكومية . وترى هذه الكائنات انها فى صراع حياة أو موت ضد كل من تسول لهنفسه مجرد الاقتراب من غنائمهم ، فيسحقون مثل هذه المحاولات ويقضون عليها فى المهد . وتحت تهديد المطالب الشعبية ، تخون هذه البرجوازية المكونة من الاثرياء الجدد ، العقيدة الوطنية فورا ؛ فتغير ولاءها وتكرس نفسها للتعاون السافر مع الاستعمار .

كذلك يوضح دوبريه أن التيار الاصلاحى يصر على اعتبار المفهوم الثورى الكاستروى ، أى نظرية «البؤرة الانتفاضية» ، مفهوما مغامرا مشبوها باستمرار وخطرا احيانا . ويرى أن السلوك الصحيح للطليعة هو كسب الوقت ، وتوفير القوى ، وتعزيز شرعية المنظمة بأىثمن، وارسال افضل المناضلين الى البلدان الاشتراكية الاوربية ، لتوسيع احتياطى الكوادر ، فيرجع هؤلاء فى العديد من الاحيان فاقدى شخصيتهم الوطنية ، معزولين عن الوضع المحلى ،فيتجاهلهم مناضلو الداخل ، أو ينبذونهم ، وينظر التيار الاصلاحى الى اى بادرة باتجاه النضال المسلح، أى باتجاه الرد بالاسلحة غير الشرعية على الحرب غير المعلنة التى يشنها الاستعمار ضد المستغلين، على انها بادرة « غير ناضجة » فى أفضل الاحوال و «استفزازية» فى أسوأها . أما بالنسبه لقادة ومناضلى المنظمات الكاستروية الجديدةوللكوبيين انفسهم ، فان ظروف النضال المسلح متوافرة بشكل عام ، والمطلوب هو خلقوانطلاق « البؤرة الانتفاضية» بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية ، وان «الكاستروية» فى نظر دوبريه هى أضمن «دليل للعمل» فى الظروف المحددةلغالبية اقطار امريكا اللاتينية ، فالتيار المسمى «بالكاستروية» — من وجهة نظره — ليس سوى اللينينية ذاتها ، علما بأن «الكاستروية» ليستبأى حال من الاحوال نموذجا مغلقا تستوعبه جماهير أمريكا اللاتينية كى تكرره حرفيا ، وانما هى دليل الخطوة الاولى نحو التحرر على الصعيد القارى .

وقد سئل دوبريه فى حوار جرى مع طلاب هافانا فى ١٩٦٦ ، عن التكتيك الذى يجب أن تتبعه الحركات الثورية فى أمريكا اللاتينية تجاه الكنيسة الكاثوليكية ؟ فأجاب « لاأملك أن اعطيكم جوابا عاما ، ولا أن أقول لكم ماينبغى أن تفعله هذه الحركة أو تلك ، كل ما استطيعه هو وصف ما تفعله الحركات ، وهذا شيء آخر . لان لكل بلد ظروفه الخاصة . وأظن أنه يجب أولا أن نتحدث عن الاب «كاميللو توريس» فهذا الراهب الكاثوليكى الذى آمن بقضية الثورة الكولومبية والتحق على هذه الصورة الكلية بصفوفها ». وهذا أيضا دليل ، على انه لاينبغى انتهاج سياسة معادية للكاثوليك فى هذه المرحلة من النضال ، بل ولا فى السنوات التى تليها . فالكاثوليك ، يجبأن يلعبوا دورا ثوريا كالاخرين ، بل ربما أكثر من الاخرين بسبب المناقب الاخلاقية التى يمكن ان يمتاز بها الكاثوليكى المناضل ».

وسئل دوبريه أيضا فى هذا الحوار ، عما اذا كان يعتقد أن هناك تناقضا فى كون الطلاب (وبصورة عامة اولئك الذين يأتون من أوساط المثقفين) هم الذين يقودون الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية وفى كون هذه الحركة فى الوقت نفسه تعانى من قصور شديد على الصعيد النظرى ، ومن تقصير بالغ فى مجال تعميق الايديولوجية الثورية ؟ فأجاب : « ان هذا تناقض لم يخطر لى التفكير فيه من قبل ». صحيح ان الطلبة هم الانعلى راسالكفاح المعادىللاستعمار فى أمريكا اللاتينية ، ولكن يمكن ان نقول ايضا ان المثقف فى فنزويلا أو البيرو ، حين يلتحقبالكفاح المسلح ، قد ينسى بعد قليل من الوقت منشأه الفكرى وهو ربما يفعل ذلك لان وجوده فى الطليعة يفرض عليه كثيرا من المهام العاجلة . ومع أن دوبريه قد أوضحأن هناك بالفعل تهوينا ظاهرا من شأن النظرية الثورية ومن شأن النقد الذاتى وتحليل العدو والبيئة الواقعية ، الا أنه أوضح أن هناك عددا من القادة لايمكن اتهامهم بأنهم نسوا جهد التعمق الايديولوجى ».

وفى سؤال آخر عن أى الطبقات فى الظروف الراهنة لامريكا اللاتينية ، هى التى تؤلف الطليعة الثورية ، اجاب : ان الطبقة الطليعية اليوم هى طبقة الفلاحين الفقراء المجتمعة تحت القيادة الواعية المتمثلة فى الوسط الطلابى . لان البؤرة الثورية هى عمليا ، التقاءالفلاح الفقير مع منيمكن أن نسميه بالمثقف الثورى . هذا لايعنى اننا لانجد عمالا فى عصابات فنزويلا أو البيرو ، بل يعنىأنهم برغم وجود عدد منهم ، لايمثلون بعد القوة الرئيسية . لماذا ؟ لاسباب تاريخية مختلفة :ضعف الطبقة العاملة عدديا، وتحولها الى البيروقراطية، وتحولها واقعا الى الارستقراطية فى البلدان التى

بلغت فيها تتبيا بعض النمو ، وكونها مقيمة فى المدينة ، بينما المعركة الاساسية تدور فى الريف. كل هذه الاسباب المتنوعة تجعل من الفلاحين القوة الرئيسية ، لاقوة الطليعة بمعنى القيادة او الايديولوجية . وهذه نقطة هامة ، لانها تعنى أن فى وسعهم أن يصبحوا قوة الطليعة اذا رافقت اجتماعاتهم ، قيادة ثقافية » .

وردا على سؤال من طلبة هافانا حول موقف الشباب الاوربى الذى يفهم كل الفهم الوضع الثورى فى امريكا اللاتينية ، تجاه الحال الراهنة للقوى الثورية فى بلدانهم ذاتها ؟ أجاب دوبريه : « أظنك تريد ان تقول ان الشباب الاوربى لايستطيع ، او لاينبغى له ان يحمل السلاح . وليس فى هذا تناقض على ماأرى . فكل شاب أوربى ، مثلى انا ، برغم كونه شابا ، وبرغم كونه اوربيا ، تكونت ذاته بتأثير تقليد تاريخى مختلف، انما يعكس الظروف الواقعية للبلد الذى يعيش فيه . وصحيح ان هناك ضيقا ظاهرا لدى الشبيبة الاوربية (واعنى هنا الشبيبة الايطاليه والشبيبة الفرنسية) ، قلقا يتجلى فى طرازين سلوكيين : احدهما لدى اولئك الذين يناضلون فى الداخل ، وآخر لدى أولئك الذين يناضلون فى الخارج . فمناضلو الداخل ، يحاولون ان يشنوا معركة ذات طابع ايديولوجى وتنظيمى ضدالاتجاه السلمى . وانتم تعلمون ان الحزبين الفرنسى والايطالى يشهدان باستمرار خلافات بين خط الشباب الشيوعى او الثورى ، وبين خط الحزب نفسه . وبالتالى فان ذلك القلق يعبر عن نفسه فى هذه المعارك التى قد تؤدى بدورها الى تناقضات ، كما حدث فى فرنسا منذ عامين . وهناك فى الجانب المقابل ، أولئك الذين — دون أن يحونوا بينتهم — ذهبوا يكافحون فى البلاد التى تستعمرها فرنسا : فكثيرون مثلا ، هم الفرنسيون الذين ناضلوا الى جانب الجزائريين ، أو أنشأوا فى داخل فرنسا تنظيما سريا يضم جزائريين وفرنسيين ليدعموا حركة التحرر . وهؤلاء المناضلون بالغو الكثرة ، ولاسيما فى صفوف الشباب ».

كذلك فقد وجه دوبريه الانظار الى أنه كان من الاحرى انشاء منظمة قارية (لامريكا اللاتينية نفسها) قبل انشاء منظمة للقارات الثلاث . ذلك أنه اكثر أهمية أن يعرف الفنزويلى مايجرى فى كولومبيا من ان يعرف مايجرى فى سيام او أفريقيا الجنوبية . خاصة وان جهل بلاد امريكا اللاتينية ببعضها ، يكاد يماثل جهل امريكا اللاتينية بما يجرى فى القارات الثلاث .

وردا على سؤال أيضا ، حول المدى الذى تأثرت به أوربا الغربية فى الجدل العقائدى القائم الان فى قلب الحركة الماركسية ، وعلى وجه الخصوص بالنزاع الصينى — السوفيتى ، أجاب دوبريه : ان الحديث عن هذا النزاع فى بلد ما ، يتزايد بقدر مايتكون حركة التحرر فى هذا البلد اقل من سواها فى المجابهة العملية لمهمات الكفاح . ففى أوربا نشهد تضخما نظريا يأتى تعويضا عن الانكماش العملى ، ولذلك كان طبيعيا ان يخترقها الجدل حول هذه القضايا ذات السمة الايديولوجية. اما على صعيد المنظمات ، فليس هنالك انقسام ذو شان ، ولم ينشق اى حزب شيوعى اوربى على نفسه ، باستثناء الحزب البلجيكى ذى القاعدة الهزيلة . على اننا برغم هذا نشهد قلقا كبيرا بين أعضاء هذه الاحزاب ، كما ان المواقف الصينية تجتذب الشبيبة الى حد بعيد ، وان كان ذلك التأثر الشديد بالمشكلة ، وهذا العطف على الاراء الصينية ، لم يتحولا الى اى انشقاق .

وعندما تكونت فى فرنسا «لجنة الدفاع عن ريجى دوبريه» بعد القبض عليه ، كتب مناشدا « انى أطلب الى اصدقائى ان يصححوا الامور، فبدلا من أن تكون «قضية دوبريه» مرآة للضمائر الطيبة الخجولة ، او مورد رزق لتجار العواطف الاسبوعيين ، يجب استخدامها لتوعية الراى العام قليلا حول مشاكل امريكا العامة ، مشاكل الكفاح المسلح والفاشية الامريكية الجديدة . فليتوقف الحديث عن دوبريه ، الذى مازال حيا حتى الان، ومعرضا للاتهام ، وهو جالس على كرسى الاتهام، وليكن الحديث عن ثوار بوليفيا وغيرهم ، عن اولئك الذين ماتوا فى القتال ، أو الذين مازالوا على قيد الحياة يقاتلون على أرض فظيعة الصعوبة ، ليتحدثوا عن تاريخ عمال المناجم ، عن تعرضهم لامراض الرئة والذبحة .

« ان وضع افكار «فيديل» و «تشى» موضع التنفيذ فى خلق اكثر من فيتنام لانقاذ الفيتنام ، او القضاء نهائيا على صناع الفيتنام ، لايحتاج الى رجال خارقين ، بل يحتاج من كل منا ، كثيرا من نكران الذات ، والكفر بكل شىء ، وربما بالحياة، والسهود والعناد ، ومعدة تتحمل البقاء خاوية لعدة أسابيع . »

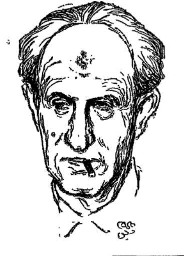
« عن هذا ، وعن هؤلاء يجب الكلام ، وليس عن محكوم عليه بين الف محكوم ، مؤمن له النوم والاكل على راحته ولعدة سنوات ، ان قضيتى

وسط اليونان وكولونيلاتها ، وأمريكا اللاتينية وجنرالاتها ،وفيتنام ووستمورلند ،يجبان تكون تافهة وضائعة ، كما تضيع الابرة وسط كومة تبن،

وبعد ، فان الايقاع الثورى للعصر ، ولشباب العصر ، ربما تبدى هنا فى كتابات ريجي دوبريه، الذى يبلغ الان مجرد الثامنة والعشرين من العمر فحسب ، أكثر مما تبدى فى اى مكان آخر ، ذلك أن دوبريه لايمثل نفسه أو جيله فى الحقيقة ، بقدر مايعكس ، الايقاعات والانجازات على مستوى الفكر والنضال، للثورة العظيمة فيأمريكا اللاتينية، ايقاعات وانجازات صناعها وابطالها العظام ابتداء من ((**فيديل كاسترو**)) ، حتى ((**جيفارا**)) ، و ((**الميدا**)) ، و ((**كاميلو سيينفويجوس**)) .

■■■

هربرت ماركوس
(۱۸۹۸ : -)



● تناقضات المجتمع الصناعى .. سلاح ذو حدين

تعد أفكار ماركوس الفلسفية ونظرياته فى نقد الحضارة التكنوقراطية المعاصرة احد المصادر الفكرية التى تحرك ثورة الشباب والطلبة فى جامعات الغرب والشرق على السواء . ففى فرنسا ظهرت اخيرا الترجمات الاولى لاعماله واقبل عليها الطلبة بشغف شديد . فطالبات السوربون تقصصن صور ماركوس وتعلقنها على ملابسهن . وفى الشهور الاخيرة لقيت مؤلفاته اقبالا منقطع النظير فىبريطانيا .وهربرت ماركوس معروف منذ زمن طويل فى أوساط المثقفين فى المانيا، كما يتبادل المثقفون فى تشيكوسلوفاكيا كتبه ، ولماركوس فى امريكا جمهور واسع من القراء .

ويرى هربرت ماركوس ان المجتمع التكنوقراطى الحديث فى الغرب والشرق هو فى جوهره مجتمع شمولى Totalitarian واستبدادى فى الاساس لأن جهاز الانتاج لايحدد فقط احتياجات الناس ومهاراتهم ومواقفهم ،وانما ايضا يحدد احتياجات الفرد وتطلعاته وبهذه الطريقة يتم اسكات الجماهير . وسرعان مايتحرك الجهاز البيروقراطى ليسحق أى مبادرة لايقاظ الجماهير من سباتها .

والحرية الاقتصادية عنده تعنى ((حرية عدم الخضوع للقوى الاقتصادية وحرية التحرر من الحاجة الى كسب قوت الحياة)) . والحرية السياسية تعنى ((تحرر الافراد من القيود السياسية التى لم يصنعوها وليس لهم رأى فيها ولا يسيطرون عليها ..)) والحرية الثقافية ((هى أن يستعيد الفرد حريته فى التفكير الطليق الذى لا يتأثر بوسائل الدعاية ومحاولات غسيل المخ الجماعية)) .

ولكن ما هى القوى الاجتماعية الثورية القادرة على تصفية المجتمعات الاستبدادية وحل التناقض بين قوى الانتاج الحديثة ونظام الانتاج الراهن ؟
انهم اولئك الذين لا تشملهم عملية الانتاج اى الاقليات العنصرية والمتخلفين عن مجتمع الصناعة والعاطلين عن العمل بصفة دائمة والمنحرفين . الخ هذا فضلا عن المستفيدين من الثقافة لقدرتهم على التحرر من تأثير تسلط ((المجتمع الصناعى)) .

والطلبة يستطيعون ، فى رأى ماركوس ان يلعبوا دورا هاما للغاية لانهم الشباب الذى لم يدخل بعد دائرة العمل الانتاجى،ولهذا فهم وحدهم القادرون على تصور عالمهم الجديد وتحديد ماهو حقيقى وما هو مزيف وما يمكن التسامح فيه وما لا يمكن التسامح فيه . ودور الطليعة من الشباب تختلف كثيرا عن دور الطليعة من الشيوعيين التقليديين ، فالقضية ليست قضية تعبئة جماهير مستغلة من أجل الثورة على الاوضاع ، او تعبئة

قوة من العمال يقع عليها الاستغلال لكي تثور فهذه الثورة لم تعد ممكنة لان العمال فى رأى ماركوس لم يعودوا مستغلين ولا يعرفون انهم واقعون تحت ظروف الاستغلال ، ومن ثم فقد أصبحوا يدافعون عن الوضع القائم . ولهذا فان الحلفاء الطبيعيين للطليعة الجديدة هم هؤلاء الذين يحسون بالفعل انهم يعيشون تحت وطأة ظروف الاستغلال مثل الملونين والفقراء والطلبة . ومن هنا كان دور الطليعة الجديدة هى اثارة النظام القائم حتى يفصح عن طبيعته ،ويلجأ الى استخدام اساليب القمع التى يتسلح بها والذى يتمثل فى اطلاق البوليس النار على الجماهير . وهذا الصدام لابد وان يوقظ حماس فئات أوسع من الجماهير التى ستدرك عندئذ انها مستغلة ، وان السلطة تضللها وتحد منها ، ومن ثم تقوم الثورة التلقائية الشاملة . ان كلمات جيفارا « انه ليس من الضرورى دائما الانتظار حتى تتوفر جميع شروط الثورة ، فالمركز الثورى يستطيع ان يخلقها ..» هذه الكلمات هى (على حد قول الاوبزرفر البريطانية ٢/٦/٦٨) بالدقة رأى ماركوس « فى العمل وفى التطبيق » .

وينتقد ماركوس بشدة « تعبئة الجامعات لتحقيق إهداف الحكومات التكنوقراطية ،واصبح هذا النقد أحد النقاط الرئيسية فى برنامج مايسمى بسلطة الطلبة (Student Power) والسعى لتحويل جامعات التأهيل الحالية الى ما يسمى « بالجامعات النقدية » (Critical Uniuersities)

وقد زار ماركيوس الذى يبلغ من العمر سبعين عاما – باريس اخيرا ليساهم فى المناقشات التى نظمتها « اليونسكو » بمناسبة مرور قرن ونصف القرن على ميلاد كارل ماركس . وسافر الى برلين واشترك فى اجتماعات الطلبة الصاخبة فى جامعة برلين ، وغنى معهم فى حماس رائع نشيد الانترناشيونال ، غير انه عجز عن ان يقدم اجابات شافية ومقنعة على أسئلة الطلبة الثوريين الذين اخذوا يسألونه عما اذا كان قد فقد الامل فى العمال وعن امكانية توحيد اوربا والعالم الثالث فى جبهة واحدة لمحاربة الامبريالية وعن امكانية تغذية التنظيمات العمالية القديمة بدماء جديدة ..

وماركوس فيلسوف المانى يشتغل الان بتدريس الفلسفة فى جامعة كاليفورنيا . ولد فى برلين عام ١٨٩٨ من عائلة تميزت بثقافتها الغزيرة . وكان يناضل فىصفوف الحزب الاشتراكى الديموقراطى ولم يكن قد تجاوز العشرين منعمره عندماانفجرت الثورةالالمانية .وتركالحزب على اثراغتيال روزا لكسمبورج . وفى أواخر الثلاثينات تولى تحرير الموضوعات الفلسفية فى المجلة النظرية التى يصدرها الاشتراكيون الديموقراطيون فى المانيا مع احتفاظه باستقلاله عن الحزب. وعندما تأزمت الاوضاع فى المانيا غادر برلين الى جنوب المانيا حيث انصرف الى تحضير رسالته الفلسفية عن هيجل .

وكان لفشل الثورة الالمانية وانتصار النازية فى المانيا وقيام الستالينية فى الاتحاد السوفيتى اثر عميق فى تشكيل فكر ماركيوس السياسى والاجتماعى . وعلى اثر انكسار الثورة الالمانيه فضل الابتعاد كغيره عن النشاط السياسى العملى ليتفرغ للعمل الفلسفى . واسس هو **وجورج لوكاتش وكارل كورش** المدرسةالفلسفيةالتىعرفت « **بمدرسة جدليه الماركسيه الاوربية** » وخلال تلك الفترة التقى **بولهلم رايخ** احد تلاميذ فرويد وكان شيوعيا يساريا يحاول اقامة جسر يربط « التحرر الجنسى » احد معطيات علم النفس التحليلى لفرويد بالماركسية الثورية ، وكتب ماركيوس حول هذه النقطة فقال « ان فرويد كان ينظر الى تاريخ الانسان علىانه تاريخالكبت الذى عاناه الانسان نفسه ، وان العودة الى العالم الذى قهره الانسان فى اعماقه يمثل نوعا من التاريخ الباطنى يقود اكتشافه لا الى ازاحة الستار عن اسرار الانسان فحسب ، وانما ايضا يسقط الحجب التى كانت تخفى وراءها اسرار الحضارة » . ولعل هذا هو السبب الذى جعل ماركيوس يدعو الىالاهتمام بمسألة القهر الجنسى الذى مارسه الانسان ليعطل حواسه الجنسية لاعتقاده بأنتعطل النشاط الجنسى الطويل يشكل عقبة فىطريق الانتاجية لاتقل اهمية عن البنيات الاجتماعية والاقتصادية بتاثيرها على عمليةالتحول النوعية للحياة ،وقد بلور ماركوس آراءه فىمحاولة التأليف بين نظرية فرويد والماركسية فى كتابه «الايروس والحضارة» (Eros and Civilifation) وهذه الاراء قادت الفيلسوف الالمانى الى الالتقاء بجامعى آخر هو **تيودور أدورفو** الذى كان يسير فى اتجاه مواز لتفكير ماركوس . وفى جامعة فرانكفورت قام المفكران بابحاث لدراسة «سلطة العائلة » ونشرا حصيلة جهودهما فى باريس سنة ١٩٣٦ فكانت نقطة انطلاق لابحاث تدور حول « الشخصية المستبدة » .

وبعد انتصار الهتلرية فضل ماركيوس وادورفو الاشتغال بالتدريس فى الجامعة فسافرا الى سويسرا ثم الى باريس وتحولت دار المعلمين العليا الى مقر « لمعهد فرانكفورت » ولمجلته « زايت شريفت فورسوزيال – فورشونج » التى كان يشرف عليها المفكران الالمانيان بالتعاون مع عناصر أخرى منها « رميون آرون » و « جورج فريدمان » ومن هؤلاء تكونت المدرسة الفكرية التى عرفت « بمدرسة فرانكفورت » .

وفى ١٩٤١ صدر كتابه « العقل والثورة » ، وهو دراسة تحليلية لمذهب هيجل فى الفلسفة والاجتماع ، وفيه دفاع عن هيجل وابراز لطريقته النقدية والعقلانية ، واثره فى المدارس الماركسية

والوجودية والوضعية في الاجتماع والفلسفة . وبين ماركيوس في هذا الكتاب كيف أن الهيجلية تتعارض فيجوهرها معالافكار التي مهدت للفاشية .. وكان الهدف الاساسي مناصداره هو الرد على المفكرين الذين حاولوا ان يستندوا الى هيجل في الدفاع عن الفاشية .

وبعد انتهاء الحرب عمل هربرت ماركوس خلال سنوات طويلة بمعهد الابحاث الخاص بروسيا التابع لجامعة هارفارد وتوج عمله بتأليف كتاب « الماركسية السوفيتية » الذي عالج فيه نواحي الاختلاف بين مذهب ماركس ، والنظرية والتطبيق السوفيتي للشيوعية في عهد لينين وستالين وخروشوف ، وعنى بتحليل تطور المفهوم السوفيتي للدياليكتيك واستراتيجية الانتقال الى الاشتراكية ونظرية الدولةوعلاقة الدولة كمؤسسة بالبناء الاقتصادي والايديولوجي السوفيتي ، وكيف أن بقاء « الدولة » و « عدم تلاشيها كما تصور لينين في كتابه الدولة والثورة » انما يرجع الى وجود النظام الراسمالي العالمي . وان تلاشي « الدولة » بعد أن صفت التناقضات الطبقية وانتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي محكوم بالتغيرات في العلاقات الدولية ولا تخضع فقط للتغيرات التي تحدث في القاعدة الاقتصادية (نظام الملكية) للمجتمع السوفيتي .. ويفسر ماركوس دور « الايديولوجية » (الاداب والفنون والفلسفة والقيم الاخلاقية ..) في تدعيم السلطة السياسية لبيروقراطية الحزب والدولة ، ودور الحزب في تسييس القيم واخضاع البناء الفكري والايديولوجي باسره وتسخيره لخدمة أهداف البيروقراطية الستالينية . ويرى ماركوس ان ضعف احتمالات الثورة الاشتراكية في المجتمعات الراسمالية الصناعية المتقدمة في الغرب انما يرجع الى حيوية ونشاط الراسمالية الصناعية المنظمة، واستمراره وبقاء النظام الشمولي في المجتمع السوفيتي (باعتبارهما اتجاهان مترابطان ومتشابكان) ، وهذا كله جعل من الاحزاب الشيوعية الاوربية الورثة التاريخيين لاحزاب ماقبل الحرب .. الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية . غير ان الاحزاب الشيوعية لم يكن على يسارها ، الى عهد قريب ، حركة اكثر منها تقدما ، اما الان فهناك الشيوعيون الصينيون .. وهذا ما يعبر عنه بوضوح قاطع الصراع الصيني — السوفيتي . لقدحلت الاحزاب الشيوعية القومية بما في ذلك الحزب الشيوعي السوفيتي محل الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية التي كانت قائمة قبل الحرب ، بينما يدعى الصينيون انتماءهم الى التراث الماركسي اللينيني الصحيح .. وفضلا عن هذا فان تحليلهم للامبريالية وبحثهم الدائم عن استراتيجية ثورية مستمدة من هذا التحليل انما يذكرنا بمعارضة تروتسكى لستالين ، وجوهر الخلاف الصيني — السوفيتي في رأى ماركوس لا يكمن فيضرورة تجنب الحرب (فالطرفان يسلمان بهذه الضرورة) ؟ وانما الخلاف حول كيفية وطريقة تجنبها طالما كان ذلك ممكنا . فالصينيون يسعون الى تقويض النظام الامبريالي بالاعتماد على النشاط الثوري للعالم الثالث المعادي للامبريالية . بينما يسعى السوفيت الى محاصرة واعاقة الامبريالية عنطريق « التعايش السلمي القائم على التضامن » والغرب في هذه المفاوضات هو « صاحب المبادرة » . (من مقدمة الماركسية السوفيتية) .

(وفي كتابه « الانسان ذو البعد الواحد » (One Dimensional Man) الذي يعد من اخطر المؤلفات التي صدرت فيالولايات المتحدة من ناحية تأثير « الافكار الهدامة » التي احتواها . يقول ماركوس : « ان الكفاح في سبيل الحياة في امريكا أصبح غير ذي فائدة وسط مجتمع الرخاء .. » وان « تقدم القوى الانتاجية يفرض موضوعيا تدمير الراسمالية وقيمها التي أصبحت بالية وضعيفة » ولذلك « يحاول المجتمع القديم القائم على القهر والقمع كل ما في وسعه ليحول دون وعي الافراد لامكانية تحررهموللمحافظة علىاستمرار السيطرة التي يخضعون لها ، فالمجتمع القديم(يعني المجتمع القائم) يعمل على التحكم في الوعي عن طريق حزبية تسيرها « الادارة » وبواسطة ديمقراطية يحكمها ارهاب ناعم يزرع الخوف الدائم ويشيع الشعور بعدم الامان .. » ويمعنى آخر « يلتقط المجتمع التكنيكي جميع الرغبات وجميع تطلعات الافراد ليحولها عن هدفها وليضعها في خدمة عملية الانتاج وهكذا يحل محل الاهداف العميقة شعور سطحي بالرضى يساعد الصناعة على جنى الفوائد والارباح ويتيح لنظام السيطرة البقاء والاستمرار .. » و «يتحول جهاز الانتاج الى نظام استبدادي معتمدا على قدرته علىالتحكم فيسلوك الفرد وعلى لجم رغباته وصياغة آماله وتطلعاته» .. ويلخص ماركوس في نهاية كتابه مايريد فيقول مرددا قول الشاعر والتر بنيامين « ان الامل يولده اولئك الذين يعيشون بلا أمل » .

غير ان ماركوس في تحليله لاوضاع « المجتمع الصناعي الحديث » يغمره احساس عميق بالتشاؤم وهذا يرجع الى اهماله لقيمه وفاعلية العوامل الايجابية التي تتحرك في « قلب المجتمعات الصناعية وفي مقدمتها الطبقة العاملة » .

والواقع ان نقد هربرت ماركوس « للحضارة التكنولوجية المعاصرة » و « الاستبداد الحديث » لا يتضمن رؤية واضحة لمجتمع المستقبل أو استراتيجية محددة المعالم للتغيير الثوري وهنا تكمن خطورة طاقة التفجير الهائلة الكامنة فيارائه ونظرياته التي يمكن ان تعد اسهاما خطيرا في المد الثوري المعاصر ،وفيالوقت نفسه يمكناستخدامها من جانب القوى المعادية للتقدم والثورية .

ليون تروتسكى
(١٨٧٩ ــ ١٩٤٠)



● الرجوع الى الاصول ... وعدم الثقة فيما نقله الجيل السابق

كانت « التروتسكية » تيارا فكريا وسياسيا ذا وزن فى الحركة الشيوعية العالمية فى الثلاثينات واوائل الاربعينات ، بل لقد كانت توجد احزاب وتنظيمات تروتسكية فى عدد لا بأس به من بلاد العالم ، كانت تشكل فيما بينها ما عرف باسم « الدولية الرابعة » . الا ان الانتصار المدوى الذى احرزه الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية ، والثبات الرائع للتجربة السوفيتية فى وجه الاعصار الفاشى تحت قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى بزعامة ستالين ، كل ذلك كان انتصارا ساحقا للستالينية ، وهزيمة قاسية للتروتسكية ــ التى لم تلبث ان صفيت غالبية تنظيماتها واحزابها ، كما صفيت الدولية الرابعة ، خاصة وان تروتسكى نفسه كان قد اغتيل عام ١٩٤٠. (*)

واليوم ، يحاول شباب العالم القلق ، الذى لم يعد يطمئن الى النتائج الجاهزة التى ينقلها اليه الجيل السابق ؛ يحاول هذا الشباب ان يكتشف بنفسه كل شىء . لذلك ، ليس غريبا ان تلقى مؤلفات تروتسكى رواجا بين شباب « اليسار الجديد » فى الغرب ، ليرى بنفسه اصول وتاريخ الخلافات الفكرية والسياسية فى صفوف اليسار العالمى ، وبخاصة ان تروتسكى اول من ناقش ــ من وجهة نظر ماركسية ــ قضية البيروقراطية فى البلاد التى تنتقل الى الاشتراكية .

ولد تروتسكى فى عام ١٨٧٩ ، وبدأ نشاطه الثورى بتنظيم « حلقات » العمال فى نكولاييف . وفى ١٨٩٨ نفى الى سيبيريا ، وسرعان ما هرب من المنفى الى الخارج . وفى لندن اسهم فى تحرير صحيفة « اسكرا » التى كان يصدرها لينين . وبعد انقسام الحزب سنة ١٩٠٣ ، انضم الى المنشفيك . وقبل ثورة ١٩٠٥ ، خرج بنظريته الشهيرة «نظرية الثورة الدائمة»، مؤكدا ان ثورة ١٩٠٥ البرجوازية سوف تتحول مباشرة الى ثورة اشتراكية . ودافع عن نظريته فى صحيفة ناشالو، وهى الصحيفة المركزية لجناح المنشفيك . وفى ديسمبر ١٩٠٥، انتخب تروتسكى رئيسا لسوفيت العمال فى بطرسبرج.ولم تمض ايام على انتخابه حتى اعتقل ومن معه من اعضاء اللجنة التنفيذية ، غير انه تمكن من الهرب من المنفى، واقام فى فيينا . وهناك اصدر جريدة عمالية شعبية « برافدا » لتوزع داخل روسيا . وما لبث ان انشق على المنشفيك وحاول تكوين جماعة خارج الحزب .

واتخذ تروتسكى موقفا امميا واضحا منذ بداية الحرب الاستعمارية (١٩١٤ ــ ١٩١٨) . ولما طرد من فرنسا سافر الى الولايات المتحدة ، ثم عاد الى روسيا بعد ثورة فبراير (١٩١٧) ، وانضم الى الحزب البلشفى فى يوليو ١٩١٧ . ثم اعتقلته حكومة كرنسكى واتهمته بقيادة العصيان والثورة ، ولكن سرعان ما افرجت عنه تحت ضغط عمال بطرسبرج . وعلى اثر انحياز سوفيت بطرسبرج الى البلشفيك انتخب رئيسا له ، وتصدى بهذه الصفة لتنظيم وقيادة الانتفاضة المسلحة فى ٢٥ اكتوبر ١٩١٧ . وفى مقال نشرته البرافدا فى عددها (٢٤١) اشاد ستالين نفسه بدور تروتسكى فى تنظيم ثورة اكتوبر فقال :

« ان كل العمل الذى تطلبه التنظيم العملى للثورة تم تحت القيادة المباشرة للرفيق تروتسكى رئيس سوفيت بتروجراد ، ويمكننا ان نعلن عن يقين بأن الحزب مدين اولا وقبل كل شىء للرفيق تروتسكى فى انحياز الحامية بسرعة الى جانب السوفيت ، والتنفيذ الجرىء لعمل اللجنة العسكرية الثورية » .

وكان تروتسكى عضوا دائما فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى منذ ١٩١٧ ، وعضوا فى مجلس قوميسيرو الشعب (مجلس الوزراء) ، فكان قوميسيرا للشئون الخارجية حتى توقيع اتفاقية بريست لتوفسك ، ثم قوميسيرا للحرب . وتولى مسئولية تنظيم الدفاع عن جمهورية العمال والفلاحين الفتية ، وخلق الجيش الاحمر ، وتصدى لقيادة قوات الجيش الاحمر ضد قوات الثورة المضادة (١٩١٧ ــ ١٩٢٢) ، التى تساندها الدول الرأسمالية الكبرى ، وذلك فى

اربعة عشر جبهة ، وبلغ طول جبهة القتال ٧٠٠٠ ميل . وانعقد النصر فى النهاية للجيش الاحمر تحت قيادته . وكان تروتسكى كقائد للجيش الاحمر يحظى بثقة لينين الكاملة ، فاعطاه السلطة المطلقة فى اصدار الاوامر وتوجيه العمليات العسكرية .

واهم مؤلفات تروتسكى « ثورتنا » ١٩١٨ ، و « الدفاع عن الارهاب » ١٩٢١ ، و « الادب والثورة » ١٩٢٥ ، و « حياتى » ١٩٣٠ ، و « تاريخ الثورة الروسية » ١٩٣٢ — ١٩٣٣ (٣ اجزاء) ، و « مذكرات فى المنفى » ١٩٣٥ ، و « الثورة التى خانوها » ١٩٣٧ ، و « مدرسة ستالين فى التزييف » ١٩٣٧ .

● تروتسكى ونقد البيروقراطية الستالينية .

ويحلل تروتسكى فى كتابه « الثورة التى خانوها » (١٩٣٧) ، العوامل التى ادت الى نشأة البيروقراطية الستالينية ، فيقول « ان تسريح الجيش الاحمر بملايينه الخمسة قد لعب دوراً هاماً فى تكوين البيروقراطية ، اذ تولى القادة المنتصرون المراكز القيادية فى السوفيتات المحلية ، وفى الاقتصاد والتعليم ، وطبقوا حيثما حلوا النظام الذى ضمن النجاح فى الحرب الاهلية . وهكذا ابعدت الجماهير تدريجيا عن المساهمة الفعلية فى قيادة البلاد ، كما انعش الاتجاه الرجعى، الذى ظهر فىصفوف البروليتاريا الامل والثقة فى قلوب الفئات البرجوازية الصغيرة فى المدن والارياف ، وخاصة بعد تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة . واصبحت البيروقراطية الناشئة، التى ما قامت الا لتكون اداة للبروليتاريا، تعى بدورها « تحكم » بين الطبقات ، واخذ يتدعم استقلالها ، كما ساهمت تطورات الوضع الدولى والهزائم التى منيت بها الحركة الثورية العالمية فى تعزيز مواقع البيروقراطية السوفيتية . فقد تم سحق ثورة المجر ، واجهضت الثورة فى استونيا ، واغرقت ثورة الصين (١٩٢٧) فى بحر من الدماء ، وهزمت الثورة فى المانيا والنمسا . ان هذه الكوارث التاريخية هى التى قتلت امل الجماهير السوفيتية فى الثورة العالمية ، وسمحت للبيروقراطية بالصعود ، باعتبارها الامل الوحيد فى الخلاص » .

ويحلل تروتسكى المجتمع السوفيتى (فى الثلاثينات) فيقول :

« ان المجتمع السوفيتى مجتمع متناقض فى منتصف الطريق بين الراسمالية والاشتراكية ..

١ — القوى الانتاجية فيه لا تزال غير كافية لاعطاء ملكية الدولة طابعا اشتراكيا .

٢ — ويعانى (الاتجاه) الى التراكم البدائى الذى تفرضه الحاجة ، نتيجة للثغرات التى لا تحصى فى الاقتصاد المخطط .

٣ — وتشكل قواعد التوزيع ، التى لا تزال تحتفظ بطابع برجوازى ، اساسا لتمايز جديد فى المجتمع .

٤ — ويؤدى النمو الاقتصادى الى تحسين بطىء فى وضع الكادحين، بينما ينمى بسرعةتكوين فئة مميزة لا تخضع للرقابة .

٥ — وباستغلال التناقضات الاجتماعية تحولت البيروقراطية الى طغمة غريبة عن الاشتراكية .

٦ — ان الثورة الاجتماعية التى خانها الحزب الحاكم لا تزال ماثلة فى علاقات الملكية وفى وعى الجماهير الكادحة .

٧ — ونمو التناقضات المتراكمة يمكن ان يفضى الى الاشتراكية ، كما يمكن ان تؤدى الى عودة الراسمالية .

٨ — وفى الطريق الى الراسمالية يتعين على الثورة المضادة ان تحطم مقاومة العمال ، وفى الطريق الى الاشتراكية ، على العمال ان يطيحوا بالبيروقراطية .

وفى التحليل الاخير فان القضية سوف يحسمها صراع القوى الاجتماعية الحية على الصعيدين القومى والعالمى » .

ويعد التحليل النقدى الذى قدمه تروتسكى لظاهرة البيروقراطية فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية فى البلدان المتخلفة ، وخاصة نقده للبيروقراطية الستالينية ، اسهاما جوهريا فى علم السياسة والاجتماع المعاصر . وقد اعتمدت المدرسة اليوجوسلافية فى الفكر الاشتراكى على عناصر كثيرة من فكر تروتسكى فى تأسيس نظريتها فى الدولة وفى نقد وتحليل الستالينية .

وهذا كله يفسر الجاذبية التى لافكار تروتسكى فى اوساط المثقفين والطلبة الذين يعلنون وقوفهم ضد الاستبداد الحديث بكافة صوره .

وفى مقدمة كتاب« سنة ١٩٠٥ »كتب **تروتسكى**، موضحا فكرته عن «الثورة الدائمة» : «ان الثورة الروسية التى كانت اهدافها فى الاساس ، بورجوازية فى طبيعتها ، لم تكن لتستطيع مع ذلك، التوقف بعد ما انجزت هذه الاهداف . ولم تكن الثورة بقادرة على ان تحل مشاكلها البورجوازية العاجلة والمباشرة ، الا بوضع البروليتاريا فى السلطة .ولم تكن هذه الاخيرة لدى توليها للسلطة، بقادرة علىأن تحصر نفسها فىالحدودالبورجوازية للثورة ، وعلى العكس ، وبالدقة ، من اجل ضمان

النصر،فان الطليعة البروليتارية قد تكون مضطرة، وقد تجبر فى المراحل المبكرة جدا من حكمها ، ان تتخذ اجراءات عميقة داخلية،ليس فقط فيما يتعلق بالملكية الاقطاعية،وانما داخل الملكية البورجوازية ايضا،وفى هذا قد تدخل فى صدام عدائى ليس فقط مع كل التجمعات البورجوازية التى ساندت البروليتاريا فى المراحل الاولى من النضال الثورى، وانما كذلك مع الجماهير العريضة للفلاحين الذين كانوا اداة حاسمة فى حملها الى السلطة . ان التناقضات فى وضع حكومة العمال فى بلد متخلف ، اغلبيته الساحقة من الفلاحين ، يمكن فقط ان تحل على مستوى دولى او اممى فى ميدان الثورة البروليتارية العالمية .

وفى كتيب «ثورتنا» الصادر فى عام ١٩٠٦ كتب «تروتسكى» يقول مدعما فكرته « من غير مساندة مباشرة من جانب البروليتاريا الاوربية وهى فى السلطة ، فان الطبقة العاملة الروسية ستكون عاجزة عن الاحتفاظ لنفسها بالسلطة وعن تحويل حكمها المؤقت الى ديكتاتورية اشتراكية دائمة » .

■■■

فرانز فـــانون
(١٩٢٥ــ١٩٦١)



● صيحة المعذبين فى الارض

عاش « فـــرانز فانون » التجـــربة الاستعمارية بكل كيانه ، وكشف سرها الدفين ، ليس فقط كواحد من اهالى احدى جزر المـــارتنيك التى كانت من اوائل الاقاليم التى سحقها الاستعمار بأقدامه وهو فى طريقه الى امريكا ، ولكن ايضـــا كمفكر يعانى هذه المأساة الانسانية الرهيبة بعقله ووجدانه وعمله .

تعلم فى فرنسا ، وتمثل التراث الفكرى الغربى من مختلف منابعه . واشتغل طبيبا للامـــراض العقلية فى احدى مدن الجزائر « بليدة » وهكذا عاش احداث ثوره الجزائر ، وشاهد عيانا الوجه الاخر للعملة الاستعمارية : العنف . وعرف من ممارسة مهنته كم يشوه الاســـتعمار الطبيعـــة الانسانية . واذ ادرك ان سر قيمة المثقف لايكمن فيما يفكر فيه ولكن فى الصلة بين فكره وما يعمله. قدم استقالته من المستشفى ليعمل مع المجاهدين الجزائريين يتحدى الاستعمار الشرس بسلاحه وبقلمه . والواقع انه منذ ان كان طالبا نابغا يدرس الطب فى مدينة ليون ، كان يقوم بنشـــاط سياسى : يشارك فى اعمال طلبة المستعمـــرات ويتصل بالمناضلين السياسيين .

واسندت اليه ثورة الجزائر عدة مهام: منها تمثيل الثورة فى كثير من المؤتمرات الدولية رئيسا لوفودها . ثم اصبح سفيرا لحكومة الجزائرالمؤقتة فى اكرا عاصمة غانا . وفى ديسمبر ١٩٦١ لفظ فانون انفاسه الاخيرة ولم يزد عمره عن ٣٦ عاما. وكانت وصيته الاخيرة ان يدفن فى تراب الجزائر. وصمم جيش التحرير على تنفيذ الوصية مهما كان الثمن وعلى الرغم من كل المخـــــاطر . وحمل المجاهدون الجزائريون جثـــة رفيق كفاحهم ، واقتحموا بها الخط المكهرب الذى اقامهالفرنسيون لحصار الثورة ، وضمت الارض التى روتها الدماء هذا الثائر العظيم فى صمت وجلال .

ولكن صوت فانون لم يخمد مع موته ، فمازالت كتبه تقدم التحليل العميـــق لظاهـــرة مقـــاومة الاستعمار ، وثورات العالم الثالث . كتب آخرها واروعها حين اضطره المرض الخبيث، سرطان الدم، للانسحاب من ميدان القتال الى الحرب الفكرية. هكذا وضع كتابه « معذبو الارض » بينما الداء يأكل دمه . وهو كتاب قيل عنه انه كتيار من الماء المثلج يصفع الوجه . ولكنه اكثر من ذلك واخطر. قدمه سارتر لمواطنيه الاوربيين بهذه الكلمات : « تسلحوا بالجراة واقدموا على قراءة هذا الكتاب لهذا السبب الاول وهو إنه سيشنعركم بالخجل . والخجل كما قال ماركس عاطفة ثورية .. أيهـــا

الاوربى ، اننى اسرق كتاب عدو فاتخذه وسيلة لشفاء اوربا من دائها . انتفع بهذا الكتاب » .

فكيف يحلل فانون ظاهرة الاستعمار ؟ (١)

ان العالم الذى ينشئه الاستعمار ثنائى التركيب مقسم . قد تكون صورته البسيطة الواضحه هى وجود مدن أو أحياء للسكان الاصليين ، ومـدن او أحياء للاوربيين .

ولكن ما هو الخط أو الحد الذى يصنع هذا التقسيم ؟ . انه العنف . فبينما نرى فى المجتمعات الرأسمالية تقوم أجهزة التعليم، العلمانى والدينى، وما يشابهها من مراكز اصلاح وتوجيه اخلاقى — بتشجيع الاتزان والتعقل واحترام النظام القائم بحيث ينتشر حول ضحايا الاسـتغلال جـو من الخضوع والضبط يخفف عبء قوى الامن — بينما نرى ذلك فى المجتمعات الرأسمالية ، فان الاخضاع والضبط يقوم بهما فى المستعمرات ممثلو سلطة القهر الصريح ، ان وسيط السلطة الحاكمة هنا يستعمل لغة هى عنف صرف ، انه لا يخفف الاضطهاد ولا يسدل على السيطرة حجابا .

كيف يمكن تبرير هذه القسمة بين العالمين ؟. بتجريد المستعمر من انسانيته حتى ليصبح حيوانا. ويشرح جان بول سارتر ذلك فى مقدمته لـكتاب فانون « معذبو الارض » . يقول : ان جنودنا فيما وراء البحار ينبذون فكرة المساواة بين البشر .. اذ لما كان أحد لا يستطيع ان يسلب رزق اخيـه الانسان أو أن يستعبده أو أن يقتله الا ويكون قد اقترف جريمة ، فان المبدأ الذى أصبح مسلما به هو أن المستعمر ليس شبيه الانسان . وعهد الى قواتنا بمهمة احالة هذا اليقين الى واقع . صدر الامر بخفض سكان البلاد المستعمرة الى مستوى القرود الراقية من أجل تسويغ أن يعـاملهم الاوربيون المستعمرون معاملة الدواب » بعد ذلك ، لن يكون ثمة اعتداء على « انسان » .

ولكن المستعمر (بفتح الميم) يعرف هذا المخطط ويضحك كلما اكتشف نفسه حيوانا فى اقوال الاخر . ذلك انه يعرف انه ليس بحيوان . وبمجرد ان يدرك انه انسان ، يأخذ بشحذ اسلحته لتحقيق انتصار انسانيته . وهو يمضى فى هذا الطريق رغم المعركة الخلفية التى تبدأ القوى الاستعمارية فتحها لاحتواء سخط المستعمر — نعنى بذلـك الحديث عن الثقافة والقيم الغربية ، الواقع ان السواد الاعظم من شعوب المستعمرات لا يمكن ان تنفذ اليه هذه المشكلات ، فالقيمة الاساسية عنده هى الارض التى تكفل الخبز ، والكرامة طبعا . ولكن الكرامة التى تكفلها لا شأن لها بكرامـة « الشخصية الانسانية » التى يتحـدث عنـها الاستعماريون . فهذه شخصية خيالية لم يرها شعب المستعمرة بأم عينه . فما رآه هو الاعتقال والضرب والجوع . الاخلاق عند هذا الشـعب هى ان يتخلص ممن يسومه الذل ، ان يحطم عنفه، ان يطرده طردا كاملا .

كيف ؟ بالعنف . فمحو الاستعمار حدث عنيف دائما . انه نزال بين قوتين متعارضتين أساسا، قوتين تستمد كل منهما صفتها الخاصة من ذلك التكوين الذى يفرزه الظرف الاستعمارى ويغذيه ان التجابه الاول الذى تم بين هاتين القوتين انما تم تحت شعار العنف ، كما ان تساكنهما — أو قل استغلال المستعمر للمستعمر — انما تلاحق بدعم قوى من الحراب والمدافع . لقد حمل الوسيط بين هاتين القوتين العنف الى بيوت الشعب المقهور والى ادمغته ، ان المستعمر (بكسر الميم) هو الذى صنع المستعمر .

فالشعب الذى ظلوا يقولون له — وعنه — انه لا يمكن ان يفهم غير لغة القوة ، يعزم امره الان على أن يعبر عن نفسه بلغة القوة . والواقع ان المستعمر الوافد قد دله منذ زمان طويل على الطريق التى يجب ان يسلكها اذا هو اراد ان يتحرر . وحجته هى نفسها حجة المستعمر (بالكسر) انه بدوره هو الذى يؤكد اليوم ان الاستعمار لا يفهم الا لغة القوة . ان النظام الاستعمارى يستمد مشروعيته من القوة ، هذه مسألة لم يحاول هذا النظام اخفاءها قـط . ان كـلا من الخصمـين المتصارعين انما يبدأ القتال وهو على تلك الحالة النفسية المشتركة بينهما . واشتداد العنف لـدى الشعب المقهور سيكون متناسبا مع العنف الذى يمارسه النظام الاستعمارى المرفوض .

ويحس قارىء فانون بنبض قلب كله حنان على الجماهير المقهورة ، انه لا يحتقر جهلها وتخلفهـا ومخاوفها . تقرأ فى صفحات كتبه تحليلا علميـا لمظاهر الحياة الشعبية التى لا تثير لدى بعض المثقفين الا السخرية والرثاء ، واحيانا السخط . مثلا عالم السحر والغيلان الذى يبث الرعب فى الفرد والجماعة — انه يؤدى وظيفة للمستعمر (بالفتح) ،يحل التناقض بين ارادة الثورة الجامحة التى تستفز كيانه من الاعماق، وبين قوة الاستعمار التى لا يمكن مقاومتها — قوة الحديد والنار — فمن الخرافات المرعبة يمضى المستعمـر (بالفتح) يستمد اسبابا تمنع روح الهجوم عنده من الانطلاق: « صدقونى اذا قلت لكم ان أشباح الغيلان مرعبة اكثر من المستعمرين » ان القوى الغيبية السحرية تبدو له قوى جبارة وبذلك تصغر قوى المستعمر فى نظره كثيرا وتخرج من نطاق اهتمامه .. ولا يكون عليه بعد ذلك ان يـكافحها لان اعـداءه الخرافيين هم الذين يرهبونه قبل كل شيء . وهكذا تنحل الامور كلها فى معارك دائمة على مستوى الوهم والخيال .

واحيانا فى معارك حقيقية — حـين لا يبقى لساكن المستعمرة من سبيل الى تأكيد شخصيته

---

(١) ترجم كتاب فانون « معذبو الارض» الى العربية الدكتور سامى الدروبى والدكتور جمال الاتاسى .

الا الصراع مع الخوته — في معارك الثار الضارية والخلافات القبليـة والعنصرية والدينيـة . ان المعارك التى تقوم بين القبائل انما هى تدمير للذات وهذا التدمير هو احد الوسائل التى بها يتحـرر المستعمر من توتر عضلاته . وهذا السلوك كله انما هو انتحار تجـاه الخطر ، انتحـار يسمح للمستعمر الذى تقوى بذلك سيطرته انيقول بهذه المناسبة نفسها ان هؤلاء الناس ليسوا عقلاء .

ولكن حين يجىء كفاح التحـرير ، فان هـذا الشعب الذى كان قبل ذلك مقسما الى طوائف وهمية ، هذا الشعب الذى كان فريسة رعب هائل لا يغلب ، وكان مع ذلك سعيدا بضياعه فى زوبعة الاوهام — يتبدل اثناء كفاح التحرير وينظم نفسه تنظيما جديدا . ويشفى المجتمع من امراض المس والزار وطقوس الرقص الاسطورية . يهجر كل هذه الخرافات ، وتنطلق الطاقة فى مسالكها الطبيعية نحو العدو الحقيقى .

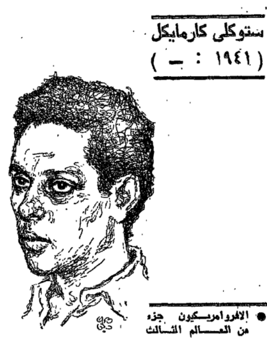
والكتاب وثيقة تدين الاستعمار . تكشف صورته الحقيقية الشوهاء بعد ان تعريها من كل وسـائل التعمية والاخفاء . يقول سارتر : « أهذا مفيد ؟ نعم ، لان اوربا مهـددة بالموت تهـديدا كبيرا . قد تقولون ايضا : ولكننا نعيش فى اوربا ونستنكر التطرف ، صحيح انكم لستم مستوطنين فى البلاد المستعمرة . ولكنكم لستم خـيرا من اولئـك المستوطنين، انهم رواد كم انتم ارسلتموهم الينا وراء البحار ، وقد اغفلوكم . لقد انذرتموهم انـكم ستنكرون اعمالهم من اطراف الشفاه اذا هم اسرفوا فى سفك الدماء . مثلكم فى ذلك مثل دولة — ايا كانت هذه الدولة — تغذى فى الخارج جمهرة من المثيرين والمحرضين والجواسيس ، فاذا قبض عليهم انكرتهم .. ففى اوربا اليوم .. يجب ان بعد اقل تغافل فسكرى تواطؤا اجراميـا مـع الاستعمار ...»

ويرجع العنف الى من بدأ استخدامه، يعود الى اوربا . وتنطلق هنا وهناك نذر الحرب الاهلية . « لقد عجزنا عن سحق « السكان الاصليين » . ارتد العنف الينا ، وتجمع فى أعماقنا . واخـذ يبحث عن مخرج » .

وفى مواجهه انواع التخدير التى تغرق بهـا السلطات عقول الجماهير ، تاتى القلة المتنورة، المفعمه نفوسها بمحبة الانسان فى كل مكان لتعبر عن سخطها على تراث العار الاستعمارى الذى ظهرت صورته الشوهاء ، وعلى واقع الاستغلال والنفاق والفساد والحروب التى تطفح بها الحياة الغربية ، ويكون من بين الينابيع الملهمة لصيحة السخط والرفض التى تنطلق من الشباب ، وصية هذا الشاب التى خطها فى غمار ثورة السخـط على الاستعمار ورفض التسليم ببقائه .

■■■

ستوكلى كارمايكل
(١٩٤١ : —)



● الافروامريكيون جزء من العـالم الثـالث

يعود الوزن الذى يتمتع به **ستوكلى كارمايكل**، فى حركة الشباب الثورية العالمية ، الى تأثيره المتزايد على حركة شباب الزنوج الامريكيين وعلى مسار الكفاح الزنجى فى الولايات المتحـدة الامريكية عامة . وهى قضية بالغة الاهمية لامن ناحية تأثيرها على تماسك النظام الامريكى داخليا او تزعزعه فحسب ، وانما ايضا من ناحيه تأثيرها على الراسمالية الامريكية نفسها بعامة ، ذلك ان حركة « القوة السوداء» التى يدعو اليها كارمايكل، تحارب فى جبهتين، ضد العنصرية والنظام الراسمالى فى الولايات المتحدة معا .

ومن هنا فان الشق الثانى للكفاح يمكن ان يكون له آثاره على تحرير البروليتاريا البيضاء نفسهـا فى الولايات المتحده . ذلك ان الكفاح المسلح العنيف للزنوج الامريكيين سيترك دون شك اثاره وبصماته على طبيعة النظام الامريكى نفسه ، وعلى طبيعة الصراعات القائمة بداخله، وطبيعة علاقات القوى، والعلاقات الاجتماعية ، كذلك .

وقد قدم **ستوكلى كارمايكل** وزميله **تشارلز هاملتون** فى كتابهما بعنوان « القوه السـوداء » حسبما اوضحا اطارا سياسيا وايديولوجيا ، يمثل الفرصة الاخيرة المعقولة لهذا المجتمع كى يتخلص من مشاكله العرقية ، دون حرب عصابات طويلة مدمرة . ولم ينكرا فى هذا الكتاب ان مثل هـذه الحرب العنيفة قد تكون غير ممكنة التجنب . ولكن اذا كان هنالك ، اقل فرصة لتجنبها ، فان سياسة القوة السوداء ، كما يحددها كتابهما ، تعتبر الامل الوحيد القابل للتطبيق .

وفى رأى مؤلفى هذا الكتاب ، **«ان القوة السوداء تعنى ، ان السود يرون انفسهم جزءا من قوة جديدة ، هى «العالم الثالث»** ، وأنهم يرون كفاحهم وثيق العلاقة بحركات التحرير فى العالم ، وعليهم الارتباط بهذا الكفاح التحريرى .

ويعتقد «كارمايكل» ان الزنجى الامريكى يستطيع أن يكون الجسر بين الغرب ، وقارتى آسيا وافريقيا **« فما يجمعنا نحن الامريكيين السود مع الشعوب الملونة الاخرى فى العالم ، هو اننا احسسنا جميعا بكعب الحذاء القاسى الذى لايرحم للسيادة البيضاء ، لقد جعلنا جميعا «زنوجا» بشكل او بآخر ، وقد صممنا جميعا أن واجب الانسان الاسود هو التخلص من «عالم الزنوج» وان اعادة بناء المجتمع الانسانى هو الهدف العظيم »**(١)

ويرى انه عندما يطور السود هذا الاحساس بالجماعة تطويرا كليا فقط ، يستطيعون ان يبداوا فى معالجة مشاكل العنصرية فى الولايات المتحدة معالجة فعالة ، **«وهذا مانعنيه بالوعى الجديد ، وهى الخطوة الحيوية الاولى »** .

ويعتقد كارمايكل ان الخطوة التالية لذلك ، هى عملية **«التحديث السياسى»** ، التى لابد منها ، اذا ما اراد المجتمع ، الزنجى التحرر من العنصرية ، والمقصود به ثلاث مبادىء رئيسية :

١ — مناقشة القيم والمؤسسات القديمة فى المجتمع .

٢ — البحث عن اشكال جديدة ومختلفة للبناء السياسى من اجل حل المشاكل السياسية والاقتصادية .

٣ — توسيع قاعدة المشاركة السياسية لتشمل مزيدا من الناس فى عملية «اتخاذ القرارات» .

ويرى انه لايجب ان يكون هدف السود ان يتمثلوا فى **«أمريكا الطبقة الوسطى»** ، لان هذه الطبقة — ككل — ليس لها ضمير حى فيما يتعلق بالانسانية . لان قيمها تعنى الدمار للجماعة السوداء ، وتقوم على التوسع المادى لا على الانفتاح الانسانى ، وتدعم قيم هذه الطبقة حتما ، المجتمعات الصغيرة المغلقة المنعزلة المستقر بعيدا فى الضواحى المشجرة ، وتردد هذه الطبقة تفضيلها لمجتمع تنافسى حر ، بينما تنكر فى الوقت نفسه على السود كجماعة ، حرية المنافسة بالقوة والخديعة .

« ان الطبقة الوسطى تطرح فكرة وضعفنوى متفوق فيما يتعلق بالعنصر ، انها تريد حكومة **صالحة لنفسها ، ومدارس صالحة لاطفالها** . ويتسلل كثير من سكانها ، فى الوقت ذاته الى الجماعة السوداء فى النهار ، يستغلونها ، ويعودون بالنقود الى أوساط طبقتهم الوسطى فى الليل ، ليعززوا أوبراتها ومعارض فنونها وبيوتها المريحة . وهم عندما لايكونون فى الواقع يسرقون ، فانهم يطردون حفنة من السود الاكثر يسرا ، الذين يحاولون الولوج ، وعندما يوافقون على الاندماج الرمزى ، او ينشدونه ، فانما ينطبق هذا الاندماج على امثالهم من السود — الذين أصبحوا «بيضا» على قدر الامكان . ان هذه الطبقة هى العمود الفقرى للعنصرية الرسمية فى البلاد . واننا نعارض الذوبان فيها كهدف ، لان قيمها ضد الانسانية ولانها كقوة اجتماعية تكرس العنصرية »

ويستطرد كارمايكل فى عرض وجهة نظره فيقول :

« يجب علينا ان نواجه الحقيقة فى أن مادعوناه الحركة فى الماضى ، لم يناقش قيم الطبقة الوسطى ومؤسساتها ، واذا كان هنالك شىء فهو انها تقبلت هذه القيم والمؤسسات دون أن تتحقق كلية من طبيعتها العنصرية . ويعنى التجديد ، التأكيد على كرامة الانسان ، لا على قدسية الملكية ، انه يعنى خلق مجتمع يكون الشقاء والفقر الانسانيان فيه ، بغيضين على المجتمع ، وليسا دليلين على الكسل أو القصور فى المبادرة . وان تحقيق ذلك معناه أن «تحدث» ، وتموت هذه البلاد . .

ان السود سيصبحون ذوى فعالية متزايدة ، عندما يلاحظون أن وضعهم المتدهور باق الى حد بعيد ، نتيجة للقيم والمؤسسات القائمة . وعندما يبداون الضغط والمقاومة ، ويضعون النظام كله موضع الارتياب ، ستبدأ حركة «التحديث» السياسى ، التى نؤمن انها تتحرك الان ، والقوة السوداء احد اشكال حركتها . »

والقوة السوداء دعوة للسود فى أمريكا ، كى يتحدوا ، كى يعترفوا بتراثهم ويوجدوا فيما بينهم حسا بالمجتمع ، وليبداوا بتحديد اهدافهم الخاصة ، وقيادة منظماتهم الخاصة ، ودعمها . وهى دعوة لمعارضة مؤسسات هذا المجتمع وقيمه العنصرية . ويرى كارمايكل ان الاصل فى المجتمع الاسود ليس هو الوضع الجغرافى ، وانما وحدة اللون .

وتقوم فكرة القوة السوداء فى نظر كارمايكل ، على مقدمة منطقية أساسية هى : قبل أن تستطيع

---

(١) القوة السوداء : كارمايكل ، وتشارلز هاملتون

جماعة ان تدخل المجتمع المفتوح ، عليها أولا أن ترص صفوفها . ومعنى هذا ان تضامن الجماعة ضروري قبل ان تكون قادرة على العمل بفعالية من مركز قوي للمساومة في مجتمع متعدد الجماعات القومية . وقد وجدت كل جماعة قومية جديدة في هذا المجتمع ، الطريق الى الحياة السياسية والاجتماعية ، تقليديا ، من خلال تنظيم مؤسساتها الخاصة التي تمثل بواسطتها حاجاتها داخل المجتمع الاكبر .

ان القوة السوداء تعني ان «شريفا» أسود يستطيع ان ينهي وحشية الشرطة في مقاطعة «لوندس» بولاية الاباما . ويستطيع مقدر الضرائب، وجابي الضرائب ، ومجلس الواردات في المقاطعة وهم من السود ، أن يقرروا الضرائب ويجمعوها ويوزعونها على بناء طرق ومدارس افضل تخدم السود في المناطق التي تشبه «لوندس» حيث يشكل السود اغلبية . يجب أن يحاولوا استخدام السلطة لممارسة التوجيه . وعندما لايكونون اغلبية فان القوة السوداء تعنى تمثيلا ومشاركة في التوجيه مناسبين ، وهي تعني خلق قواعد سلطة وقوة، يستطيع السود منها الضغط لتغيير اطر الاضطهاد المحلية او القومية بدلا من أن يكونوا في مواقع الضعف .

والقوة السوداء ، لاتعنى من وجهة نظر كارمايكل ، مجرد وضع وجوه سوداء في السلطة، ذلك أن اشخاص السود ليس هو القوة السوداء، ومعظم السياسيين السود الموجودين في كل أنحاء البلاد اليوم ليسوا امثلة للقوة السوداء في نظره . فالقوة يجب أن تكون قوة جماعة ، ونابعة من الجماعة . وتقر القوة السوداء — ويجب أن تقر من وجهة نظره — بالاساس العرقي للسياسة الامريكية ، وبطبيعة السياسة الامريكية الموجهة بالقوة . وإذا كان أنصار فكرة القوة السوداء يوحدون صفوف السود من أجل تحقيق أهدافهم، فان هذا لايعنى انهم سيسعون لنفس النوع من المكاسب التي حصل عليها المجتمع الابيض . ذلك ان القيم والاهداف النهائية ، ليست السيطرة على جماعات أخرى ، او استغلالها ، ولكن المشاركة الفعالة في القوة الكلية للمجتمع .

لقد وصم بعض المراقبين دعاة القوة السوداء، بالعنصرية ، على أساس ان دعوتهم « عنصرية مضادة» . والحقيقة انه ليس هناك تشابه بين دعاة القوة السوداء ، والعنصريين البيض ، لان العنصرية ليست مجرد عزل على أساس العنصر، بل عزل من أجل الاخضاع او المحافظة على الخضوع — وهدف العنصريين ابقاء السود في القاع ، بالعسف والقوة كما فعلوا في امريكا لمدة تزيد على ٣٠٠ عام وعلى هذا النحو فان هدف تقرير المصير ، وتحديد الهوية الذاتية للسود — اي القوة السوداء — هو المشاركة الكاملة في عملية اتخاذ القرارات التي تؤثر في حياة السود ، والاعتراف بالفضائل الموجودة فيهم باعتبارهم سودا .

ويستنكر « كارمايكل » الاتهامات العنصرية البيضاء ضد السود . فمن المعروف مثلا ان الايرلنديين يسعون للسيطرة على جمعياتهم ، وكذلك الايطاليون ، والبولنديون ، والانجلو ساكسونيون البيض ، ولكن عندما يدعو السود لمنظمات سوداء يسيطر عليها السود ، فانهم يصنفون بسرعة في نفس فصيلة «كوكلوكس كلان» . وبهذا الصدد يوضح كارمايكل : « ان الجماعات **الاخرى قد حققت الكثير من الانجازات ، بيد انه لم يجر اعلامنا أن هذه الجماعات ببناء القوة الايرلندية ، والقوة الايطالية ، والقوة البولندية ، او القوة اليهودية ، وحدوا انفسهم ، وعملوا من مراكز القوة . »**

ويرى كارمايكل ان احدى مآسي الكفاح ضد العنصرية ، أنه حتى الان ، لم يكن هنالك منظمة قومية تستطيع ان تخاطب الروح القتالية المتصاعدة لدى الشباب الاسود في أزقة المدن والحزام الاسود في الجنوب . لقد كان هناك حركة **((حقوق مدنية))** فقط يبني لهجتها جمهور من متفرجي البيض من الطبقة الوسطى ، وقد استخدمت كمنطقة عازلة بين جمهور المتفرجين ذلك ، وبين الشباب السود الغاضبين .

ويوضح كارمايكل ، **((انه من وجهة نظرنا يجب أن يفهم الرعاع البيض الهائجون ، وقطاع الطرق البيض الليليون، أن أيامهم الحرة في ((قتل الرؤوس)) قد انتهت ، ولابد للسود من أن يردوا ، ويجب أن يفعلوا ذلك . فما من شيء يثبط شخصا مقدما على قتلك أسرع من الرسالة الجلية : حسن أيها الاحمق تحرك ، وجازف ، بما اجازف به — بالموت .**

ان الذين يدعون للقوة السوداء منا ، واضح في أذهانهم تماما ، أن طريقة ((اللاعنف)) في الحقوق المدنية ، طريقة لايستطيع السود أن يتحملوها ، وترف لايستحقه البيض .)) (٢)

---

(٢) نفس المرجع السابق .

ويناقش كارمايكل بعد ذلك مصطلح «الاندماج» فيوضح ان العدل الاجتماعى حسبما يراه دعاته ، سيتم « **بدمج الزنجى بالمؤسسات الرئيسية فى المجتمع ، التى كان يقصى عنها تقليديا** » وهى فكرة قائمة على افتراض ان مامن شىء ذى قيمة لدى الجماعة السوداء ، وان القليل مما له قيمة يمكن أن يخلق فى أوساط السود . وماسيعمل هو امتصاص السود «المهضومين» فى الطبقة الوسطى المحيطة بهم من الجماعة البيضاء .

واهداف الاندماجيين هى اهداف طبقة متوسطة، يدعوا لها بوضوح نفر ضئيل من زنوج الطبقة المتوسطة أو ذوى مطامح الطبقة المتوسطة . و«الاندماج» باعتباره غاية يعالج مشكلة السواد، ليس بطريقة غير واقعية فقط، ولكن بطريقة مهينة أيضا . فهو مبنى من وجهة نظر كارمايكل على القبول التام بحقيقة انه من اجل ان يتوافر للسود بيوت لائقة وتعليم لائق ، عليهم ان ينتقلوا الى حى أبيض مجاور ، أو يرسلوا اطفالهم الى مدرسة بيضاء . وهذا يؤكد بين كل من السود والبيض، فكرة أن «الابيض» أرقى اوتوماتيكيا ، وأن «الاسود» بالتحديد من مستوى أدنى . ان الهدف من وجهة نظر الداعين لفكرة السلطة السوداء، ليس فى نزع الاطفال السود من مجتمعهم المحلى الاسود ،وحشوهم بقيم الطبقة المتوسطة البيضاء، وانما الهدف هو بناء المجتمع المحلى الاسود وتقويته.

وينادى كارمايكل بضرورة « **المحافظة على الشخصية الثقافية وأصول المجتمع المحلى الاسود، ويجب أن يكسب ذلك المجتمع حريته وهو محتفظ بتكامله الثقافى . ان التكامل يتضمن الكبرياء ، بمعنى الرضى ـ بالنفس لا بالشوفينية ـ يكون المرء أسود ، وبانجازات السود ومساهماتهم التاريخية ، فما من شخص يستطيع أن يكون صحيحا تاما وراشدا اذا ماأنكر جزءا من نفسه، وهذا مايطلبه الاندماج حتى الان . وهذا هو الفرق الاساسى بين الايدماج ، كما يمارس الان ، وبين فكرة القوة السوداء .** »

ويناقش كارمايكل موقف الماركسيين اللينينيين الامريكيين من قضية العنصرية ، فيوضح أنهم يريدون أن يقولوا أن العنصرية غير موجودة ،وانما هناك قوانين عنصرية فقط ، وهذا ، فى رأيه ، غير صحيح . ويتعين على الماركسيين اللينينيين حسبما يرى ، أن يواجهوا الحقيقة ، ويعترفوا بوجود شىء موضوعى قائم ، اسمه العنصرية ، التى لم يواجهها لاماركس ولا لينين فى كتاباتهما .

ويقول أيضا ان المعركة ضد الاستغلال، هى المعركة التى يمكن ان نبدأ فيها باستخدام الماركسية ـ اللينينية . أما فى المعركة ضد التفرقة العنصرية، فان الماركسية اللينينية لاتعمل ولاتقدم شيئا ينير الطريق للعمل امام هذه الظاهرة التى لم تعالجها من قبل .

« **ان السؤال المطروح هو ، ماذا كان العامل الابيض الفقير يستطيع أن يتخطى شعوره بالتمايز أو التفوق العنصرى ، وهذا لان الفقراء البيض عنصريون ـ مع الاسف ـ الى درجة كبيرة . ومع أنهم يعانون نفس الاضطهاد والاستغلال الذى نعانيه ، الا أنهم يعتقدون أنهم ـ بسبب لون بشرتهم ـ أفضل منا . فاذا طلبنا منهم التعاون معنا فى المعركة ضد الرأسماليين ، فانهم يرفضون ويقولون : «انكم سود ـ انكم حيوانات وليس بيننا وبينكم شىء مشترك» فاذا قال الماركسيون اللينينيون ان علينا أن نمد أيدينا الى هؤلاء العمال البيض ، فسوف لاأفعل هذا مع من يعتقدون انني حيوان . فهذه ليست معركتى ، انها معركة الماركسيين اللينينيين فى أمريكا أن يعلموا العمال البيض أولا وقبل كل شىء ـ ولكن الماركسيين اللينينيين فى أمريكا يخشون القيام بهذه المهمة لمعرفتهم بعمق التفكير العنصرى لدى الرجل الابيض فى الولايات المتحدة ، ولهذا فهم يطلبون منا القيام بها . ولكننا رفضنا ، وسوف نخوض المعركة ـ اذا فرضت علينا ـ بمفردنا ـ فهى معركتنا وسنموت فيها ، واذا استطاع العامل الابيض أن يصل الى وعى ثورى ـ وهذا مانرجوه ـ فعندئذ يمكن أن نتكلم عن العمل سويا ضد الرأسمالية .** »(٣)

ويفرق كارمايكل بين اتجاه «القوة السوداء» وكافة الاتجاهات الاخرى داخل حركة الزنوج فى الولايات المتحدة فيوضح «**ان حركة القوة السوداء تعتبر الزنوج جزءا من العالم الثالث ، وتعتبر كفاحهم مرتبطا ارتباطا وثيقا بجميع حركات التحرر فى العالم ، وليس فقط فى افريقيا . ومن الاهمية بمكان لهم ، الكفاح مع هذه الحركات ، لان نفس النظام يستعبدنا ويستعبدهم** » . ومن هذا المنطلق يقرر كارمايكل ان حركة «القوة السوداء» هى الحركة الوحيدة فى الولايات المتحدة التى تدرك **الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين** ، وانها فى جوهرها امتداد للعنصرية البيضاء فى المنطقة العربية ، وان اتخذت مبررات واقنعة اخرى . لذلك، فان حركة «الثورة السوداء» هى الحركة الوحيدة فى الولايات المتحدة التى تؤيد الكفاح المشروع للشعب العربى الفلسطينى لتصفية

(٣) الطليعة : حوار مع كارمايكل العدد ١٢ سنة ١٩٦٧ .

الكيان العنصرى الصهيونى ، ولاسترداد ارضه السليبة بقوة السلاح .

كذلك يوضح حقيقة هامة ، وهى ان رفض الحركات الاخرى للحقوق المدنية اللجوء الى العنف، انما يرجع الى تشكيل هذه الحركات من عناصر الطبقة المتوسطة التى تتمتع بالامان الاقتصادى فى ظل نظام الراسمالى الامريكى القائم . ويوضح أيضا «ان المنضمين لحركتنا ، فى وضع اقتصادى **غير مأمون ، انهم مهددون اقتصاديا ومستعدون للكفاح حتى الكفاح المسلح »**

تلك هى السمات البالغة العمومية لفكر **ستوكلى كارمايكل** التى تحظى بانتشار متزايد مضطرد بين حركة الشباب الزنجى فى الولايات المتحدة الامريكية ، والتى تحظى بتعاطف متعاظم بين الشباب الثورى فى أوربا والعالم الثالث عامة .

■■■

المهدى بن بركة
(١٩٢٠ — ١٩٦٥)



● طلائع اليسار الجديد فى العالم العربى

اذا كان لليسار الجديد من وجوه معروفة فى العالم العربى ، فقد كان المهدى بن بركة هو اول هذه الوجوه وأبرزها. واذا كان اليسار الجديد ، فى بلاد العالم الثالث عموما نتاج خيبة الأمل العامة فى الاحلام التى تعلقت بفكرة تحقيق الاستقلال السياسى فحسب ، ونتاج الصراع التحريرى الذى تجدد فى هذه البلاد ضد زحف الاستعمار الجديد وسيطرته ، فان هذا اشد ما يكون انطباقا على المهدى بن بركة وتاريخه الفكرى والنضالى .

ولعل القوى الرجعية والايدى الاثمة التى امتدت لاختطافه ثم اغتياله فى باريس ، (بينما كثير من « قادة » اليسار التقليدى يرفلون فى حلل الحرية فى الرباط والدار البيضاء) — نقول ، لعل هذه القوى الرجعية كانت اكثر ادراكا لوزن خصومها وفاعليتهم من كثير من قوى الثورة العربية ذاتها . ولعل التاريخ المبكر الذى اختفى بعده المهدى بن بركة (نوفمبر ١٩٦٥) من العوامل التى لم تلفت الانظار بشكل كاف لتلك الطاقة الثورية الكبيرة ، التى لو قدر لها أن تواصل الخط الذى تكشفته لكان لها شأن كبير فى مستقبل الوطن العربى ، وبخاصة مغربه . والحق أن افكار المهدى ونفوذه وامجاده ما تزال حتى اليوم مصدر الهام كبير لتيار قوى فى بلاد المغرب العربى، تتعدى حدود الحزب الذى اسسه المهدى : « الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية » . وليس من قبيل التمنيات الطيبة ان نتوقع لهذا النفوذ نموا مفاجئا مع موجات المد الثورى التى سترتفع حتما فى المستقبل القريب ، فى هذا الجزء المحمل بعوامل الثورة من العالم العربى .

والحق ان طاقات المهدى كانت موضع تقدير عالى من الطلائع الثورية فى العالم الثالث . وليس صدفة أن اختارته الهيئات التحضيرية لمنظمة تضامن شعوب القارات الثلاث (ومقرها هافانا عاصمة كوبا) ليكون سكرتيرا لها . ومن المؤسف أن ايدى الغدر امتدت لتنتزع روحه الثائرة قبل أن يتاح له احتلال هذا المركز النضالى العالمى المرموق الذى رشح له .

ويقدم بن بركة فى كتابه « **الاختيار الثورى فى المغرب** » ، مجموعة الدروس المستخلصة من واقع التجربة الخاصة للمغرب وبلدان العالم الثالث بشكل عام ، والتى ادت بمعظم هذه البلدان الى الوقوع مرة أخرى فى براثن الاستعمار الجديد،

حيث يقول : « **ومتى بدا انه لا مناص من الاعتراف بالاستقلال القومى ، فان خطة الاستعمار الجديد تسعى الى افراغ هـذا الاسـتقلال من مضمونه التحررى الصحيح ، اما بفرض اتفاقيات غـير متكافئة فى الشئون الاقتصادية والعسكرية والفنية . . واما بتنصيب حـكومات عميـلة عن طريق انتخابات مزورة** » .

ويطرح بن بركة فى كتابه قضية أساسية تعد من أخطر القضايا التى تواجه البلدان الحديثـة الاستقلال فى المرحلة الجديدة ، مرحلة ما بعـد الحصول على الاستقلال ، والتى تتعلق بمشكلة السلطه واسلوب الحكم وكيفية القضاء علىجهاز الدولة القديم ، وتحقيق الديمقراطية فى الحيـاة العامة : « **ومعناها بالنسبة الينا هو البحث عن الذين يمسكون بايديهم حقيقه السلطه السياسية من أجل اخضاعها للارادة الشعبية، اى انها لاتعنى مجـرد المبادرة بانتخـابات تبقى السلطة بيـد القابضين عليها خلف واجهه برلمانيه شكلية ، ان تحقيق الديمقراطية يستلزم سلسله من التـدابير الجذرية ، ومن ضمنها اصلاح المجالس القروية والبلدية الذى يجب ان يبدأ من القاعدة ويقوم على أساس احترام الارادة الشعبية** » .

ويضرب بن بركة مثالا على ذلك بمـا حدث فى تجربة الكونغو ، وخـروج بعض المسئولين على رأس الجيش على السياسـة العـامة للنظام ، مشيرا بذلك الى اغتيال الرئيس لومومبا وما تلاها من أحداث دامية ، واخضاع الـكونغو لسياسة واستغلال الاستعمار الجديد . ويحـدد بن بركة اهم العوامل والاخطار التى تسهل خضوع النظام الجديد لمناورات الاستعمار الجديد وهى :

● بقاء المؤسسات الاستعمارية التى خلفهـا نظام الحماية ، والتى تتمثل فى وجود الاراضى الزراعية المملوكة للاجانب (٢ر٥ مليون فـدان فى المغرب) .

● سيطرة الاحتكارات الاجنبية على وسـائل الانتاج الاساسية ونظام التسليف والتجارة .

● ومما يزيد خضوع النظام القائم للرغبات الاجنبية ضعفه وعجزه اللذان يضطرانه لاستجداء المساعدة المالية والفنية ، تلك المسـاعدة التى تصبح والحالة هـذه وسـيلة لتركيز مصـالح الاستعمار الجديد ومصالح حلفائه الاقطاعيـين والسماسرة والبورجوازيين .

ويطالب بن بركة بضرورة مقاومة الانحرافـات والتضليلات التى تتستر تحت اسم الاشتراكية ، والتمييز بينالاهداف التقدمية الاصيلة للاشتراكية العلميه والاشتراكيات المزيفه التى يملأ طنينها ارجاء القارة الافريقية . والاشتراكية العلميـة كما يراها بن بركة تقتضى :

● حلا صحيحالمشكلة الحكم،باقامة مؤسسات سياسية تمكن الجمـاهير الشـعبية من رقابة ديمقراطية على اجهزة الدولة وعلى توزيع ثرواتها وانتاجها القومى .

● اسسا اقتصادية لاتترك اى مظهر منمظاهر سيطره الاستعمار او سيطرة حليفيـة الاقطاع والبورجوازيه الكبيرة الطفيلية .

● تنظيما سـياسيا واجتـماعيا للسهر على مصالح الجماهير الشعبية وتربيتها ، من أجل التعبئة الشاملة لسائر الموارد القومية الضرورية لتراكم وسائل الاستثمار ..





فرنســـا

لاشك ان انتفاضة الطلبة الفرنسيين الاخيرة ، وما تتابع بعدها من أحداث على مسرح السياسة الفرنسية، يؤكد حقيقة ان هذه الانتفاضة ، كانت أخطر مساهمة طلابية أوربية فى الشئون السياسية للبلد الذى انفجرت فيه . ذلك ان هذه الانتفاضة ، بعد انضمام العمال اليها ، قد وصلت الى حد محاولة تصفية النظام الديجولى كلية ، وقد اسفرت تلك الانتفاضة عن ظهور الطلبة الفرنسيين كقوة جديدة مؤثرة على مسرح الاحداث السياسية ، لا تكافح فحسب من أجل مطالبها الفئوية الضيقة ، وانما تضع النظام الرأسمالى كله موضع تساؤل . كذلك فان هذه القوة الجديدة لم تقصر كفاحها داخل « اطر النظام » المسموح به ، وانما تعدتها الى أسلوب المقاومة العنيفة »، ولم يكن مستغربا ان حظرت الحكومة الفرنسية نشاط ١١ منظمة يسارية متطرفة من التى ساهمت بشكل نشط فى تنظيم الاضرابات والمظاهرات الاخيرة فى فرنسا .

والامر الواضح هو ان النظم التعليمية العتيقة فى الجامعات الفرنسية ، والظروف المعيشية الغير مرضية والتى يعانى منها الطلبة الفرنسيون كانت المفجر المباشر لتلك الانتفاضة ، فمناهج التعليم فى الجامعات لا تتفق ومستوى التقدم العلمى والتكنيكى المعاصر، كذلك فالجامعات تعانى ازدحاما هائلا ونقصا شديدا فى الامكنة ، فجامعة السوربون مثلا لا يوجد بها سوى ٤٠٠٠ مقعد لنحو ٤٠٫٠٠٠ طالب . هذا عدا نقص الاساتذة ، وطرق التدريس واساليبه العتيقة ، وصعوبة اسئلة الامتحانات التى توضع خصيصا — على حد تعبيرهم — لاستئصال شأفة الطلاب بالجامعة — بالاضافة الى البيروقراطية المركزية الشديدة فى التعليم القائم على الانظمة العتيقة ».

كذلك فان أبناء العمال فى الجامعات الفرنسية ، لا يمثلون باعتراف وزير التعليم نفسه ، سوى نسبة ١٠٪ من مجموع الطلبة وتكاليف التعليم مرتفعة لدرجة يضطر فيها ٥٠٪ من الطلبة الى العمل ليستطيعوا مواصلة دراستهم . ومع ذلك فمن بين كل ٤ طلبة ، يعجز ٣ عن مواصلة دراستهم ، كذلك فالمنح الدراسية نادرة جدا ، بينما يعانى الطلبة معاناة شديدة عن الافتقار الى السكن ،والمكتبات ومن البطالة المتفشية بعد التخرج، فثلاثة من كل ٤ خريجين ،لايجدون عملا مناسبا .

على أن انتفاضة الطلبة الفرنسيين لم تقف عند حدود تحقيق مطالب فئوية ضيقة ، ومادية فى اغلبها، ذلك انها حركة احتجاج عنيف على «التشويهات الرأسمالية » للحياة الفرنسية ، وعلى الطريق الاقتصادى والمعنوى المسدود الذى تقود الشباب نحوه،وعلى عدم اكتراث السلطات تجاه دعوات الاصلاح

المختلفة ، وعلى الحرب الامريكية القذرة فى فيتنام .

وتتصل فى اشعال الشرارات الاولى يعود الى حركة ٢٢ مارس التى جمعت عددا من التنظيمات الطلابية اليسارية الصغيرة فى حركة احتجاج على حرب فيتنام ، وفى صمت ٢٠٠ طالب من طلبة كلية اداب نانتير الذين تظاهروا احتجاجا على القبض على عدد كبير من اعضاء لجنة فيتنام الوطنية .. الا ان احتجاجهم السياسى الخاص بالقضية الفيتنامية ، ارتبط فى نفس الليلة بشعارات التمرد على الاوضاع الداخلية فى الجامعات الفرنسية ، وعلق الطلبة لاول مرة شعاراتهم الجديدة « لا نريد جامعة بورجوازية » ، واطلقوا على قاعة اجتماعاتهم السياسية اسم «شى جيفارا» . وبدات شعارات التمرد على «مجتمع الاستهلاك» وشروره وارتباطه بالظلم الاقتصادى الجذرى الذى يحكم علاقته الدولية بالعالم الثالث ، بدات تشيع فى مناقشات الطلبة واجتماعاتهم السياسية الجماهيرية ، وظهرت لافتات الطلبة منذ ذلك الحين : « ان الانسانية لن يهدا لها بال حتى يشنق آخر راسمالى وآخر بيروقراطى » ، واظهر الطلبة تاييدا وحماسا عاصفا للمناقشات الدائرة حول « القضاء على البورجوازية ، والاشتراك فى الثورة العالمية » ، بينما لم يكل زعماؤها عن اعلان هدفهم ، وهو «خنق انفاس المجتمع الراسمالى»

على ان اضراب العمال الفرنسيين بالملايين على اثر الانتفاضة الطلابية ، لم ينبع من مجرد رغبات التضامن مع الطلاب فى حركتهم العادلة . ذلك ان العمال قد وجدوا فى الانتفاضة فرصة سانحة لتحسين اوضاعهم المعيشية ، ومن هذه الزاوية فان الكفاح العمالى الفرنسى فى الانتفاضة الاخيرة ، وتحت قيادة الحزب الشيوعى لم يتخذ فى جوهره سوى مجرد طابع « اقتصادى » بحت ، ولم يرق فى اكثر اشكاله ايجابية الى المستوى السياسى الثورى المتطرف الذى وضع فيه الطلبة النظام كله موضع تساؤل . وبدا يكون انفجار الطلبة فجاة بمثابة مفجر لكثير من المشاكل الفرنسية الاخرى . فهناك ٤ ملايين عامل فرنسى اجورهم اقل من ٦٠٠ فرنك شهريا ، رغم ان ساعات عملهم تتراوح بين ٤٧ ساعة و ٥٠ ساعة . كذلك فبالرغم من انتشار البطالة التى بلغ عدد ضحاياها ٤٥٠,٠٠٠ فرنسى ، فان الفلاحين يتركون ارضهم الى المدن حيث لا يجدون العمل . وتتفاقم الصعوبات ، وتزيد مع تطور المنافسة فى السوق المشتركة . كذلك ترجع الخطورة التى وصلت اليها الاوضاع خلال تلك الانتفاضة الى فشل النظام فى تطوير مؤسسات فرنسا الاجتماعية بسرعة كافية . ومن اسبابها ايضا شعور الملايين من العمال الفرنسيين الذين يتقاضون الحد الادنى للاجور ، وهو ما يعادل ٣٥ جنيها استرلينيا ، بالحرمان من مظاهر الرخاء المنتشر . بالاضافة الى الاحساس بالانانية المتاصلة لدى الطبقات الفرنسية الاكثر ثراء ، والتى فرضت على البلاد سياسة زراعية سيئة ، ونظاما ضرائبيا غير عادل يقوم على التوسع فى الضرائب غير المباشرة التى تتحملها الجماهير ، بالاضافة الى كافة مظاهر عدم المساواة التى اصبحت واضحة ومثيرة للاستياء فى الحياة الفرنسية .

وقد كان موقف الحزب الشيوعى منذ البداية هو رفض الاستجابة للتحرك الطلابى ، لكنه رغم ذلك قام بحملة كشف وادانة للنظام الديجولى . وعندما اصبح لهذه التحركات امتدادات بين الطبقة العاملة اتخذ الحزب موقفا اكثر ايجابية ، الا ان هذا الموقف كان فى اطار النضال من اجل تحسن الظروف المعيشية للعمال . بينما اعتبرت الظروف غير مواتية لطرح شعار الاسقاط ، مما كان مثار انتقاد حاد من جانب اليسار المتطرف اذ اتهموا الحزب بأنه معارضة تجمدت فى الاطار الدستورية القائمة ، وان كان من اجل السلطة ينحصر فى الوسائل التقليدية التى يسمح بها نظام الديمقراطية البورجوازية ، ومن هنا تجد آراء ديبريه وجيفارا وماو استجابة بين اليسار المتطرف من الشباب .

وان حصر نشاط ١١ منظمة يسارية فرنسية يوجد من قبل عدد من المراقبين السياسيين ، واستحالا للحقيقة التى تعرضنا لها من قبل . على انه بمثابة اعتراف بالقوى التى تشكل معارضة خطرة على « النظام » فى فرنسا . هذا بينما يرى اليسار المتطرف ان الحزب الشيوعى ، برغم نفوذه الجماهيرى الضخم ، يوضع من قبل السلطات الفرنسية فى عداد قوى «النظام» برغم موقفه المعارض . هذا ومما تجدر ملاحظته ان عددا من اعضاء الحزب الشيوعى الشبان ، وبعض اعضاء لجنته المركزية ، وجهوا انتقادات عنيفة للطريقة التى اتبعها الحزب الشيوعى فى ابعاد وعزل **بنديت كوهن** عن الطلبة الفرنسيين . كذلك فقد ادى موقف الحزب تجاه الحركات اليسارية الجديدة الى استقالة **اندريه بارجوبيه** المستشار الاقتصادى لاتحاد نقابات العمال الذى يسيطر عليه الحزب . كذلك فان تعليق الحزب الشيوعى آماله فى الوصول الى السلطة ، على تحالفه مع الاتحاد الاشتراكى الذى يتزعمه **فرانسوا ميتران** ، قد عرضه لهجمات بالغة العنف من قوى اليسار الجديد .

كذلك فمن الظواهر الجديدة التى برزت اخيرا ظهور اقليات عمالية جديدة لا تقتصر فى موقفها على رفض التعامل مع الحكومة والمجتمع فحسب ، وانما تؤكد كذلك ان السلطة الحقيقية فى فرنسا تكمن فى الشارع ، وهى اقليات تتهم الاتحاد العام للعمل والحزب الشيوعى بالخوف والضعف .

وبعد ، فقد احرز الطلبة انتصارا فى معركتهم الخاصة بتصريح ديجول عن وجوب اصلاح الجامعات ، وادخال

التخطيط فى التعليم العـالى ، « ومواءمه الجامعـات لمطلبات العالم الحديث ولمتطلبات القوميه الامر الذى يستدعى اجراء تغييرات عميقه ، ثم اقتراحها ، وسيتم اجراؤها » . كذلك فقد كسب العمال مكاسب اقتصادية مباشرة من اضرابهم، فوافقوا على العودة الى العمل بعد تسويه تقضى بزياده اجورهم ، وخاصة للفئات الاقل اجـرا ، والخفـض التدريجى ساعات العمل الى ٤٠ ساعه فى الاسبوع . ومن اهم الاصلاحات التى يفكر ديجول فى القيام بها ، تنفيذ مشروعه الذى تأجل زمنـا طويلا والخـاص بمشاركة العمال فى الادارة .

وتـرى النيوستيتسمان البريطانية « ان حركة الطلبـة كشفت عن عيوب « النـظام » ، وعيوب القوى السياسيه التقليدية فى المجتمع الفرنسى » كما انها تشكل أعظم تحد واجهه الجنرال ديجول فى غضون السنوات العشر التى قضاها فى السلطة ، كذلك من الاضرابات العماليـة التى شهدتها فرنسا عقب الانتفاضـة الطلابيه تعد احطر اضرابات شهدها فرنسا منذ وزارة ليون بلوم بصيفه سنة ١٩٣٦ . اما الاوبزرفر البريطانيـة فترى ان الطلبه ـ حولوا ميزان السياسه الفرنسيه ناحية اليسار، وجعلوا الشعب يتذوق طعم العمل المباشر الذى يتم خارج البرلمان ، وفجروا الرغبه فى الاصلاح فى كافة مظاهر الحياه الفرنسية ، واظهروا ان العنف طـريق مختصر لتغييـر المجتمع » .

الولايات المتحدة الامريكية

يمكن ارجـاع بداية الموجة الحالية من الحركات الطلابية والشبابية فى الولايات المتحـدة الى سبتمبر ١٩٦٤ . فقد ثار طلبة **جامعـة كاليفورنيا** فى مدينة بركلى بسبب حظر التجمعات فى حرم الجامعة لاغراض سياسية . وامتد الحظر الى لجنة تنسيق الطلبة لمناهضة العنف ضد الزنوج . وشمل الحظر ايضا جمع تبرعات داخل حـرم الجامعـة لمزاولة اى نشـاط سياسي خارج الجامعة . وتزعم الحركة **ماريو سافيو** ، الذى تزعم ايضا «حركة حرية الكلام». وفى منتصف ديسمبر تمكنت الحركة من ان تحرز للطلبة اقصى مايمكن من المكاسب بما فى ذلك حـرية النشاط السياسى وجمع الاموال .

غير ان الجامعة تمسكت بحقها فى توقيع الجزاء التـاديبى على الطلبة الى جانب ماعسى ان يصدر ضدهم من احكام قضائية بسبب المظاهرات السياسيـة خارج الجامعة . فثار الطلبة وقبض على ٨٠٠ منهم .

وكان من اسباب سخط الطلبة ايضا تضخم الجامعة وانصراف الاساتذة الى الاهتمام بالعـالم خارج الجامعة دون الطلبة (بلغ عدد طلبة الجامعات فى الولايات المتحدة هذا العام ٦ ملايين مقابل ٢٫٠٠٠ ٩٤١ سنة ١٩٢٦ ، ٢٫٧ مليون سنة ١٩٥٥) . وقد ادى اكتظاظ المدارس العامة فى المدن الى كثرة المدارس الخاصة . وعلى سبيل المثال تصل المصروفات فى احدى مدارس البنات الى ١٦٥٠ دولارا فى السنة .

ويتلقى ١٣٪ من طلبة الجامعات فى الولايات المتحدة اعانة او منحة، فى حين ان الرسوم الدراسية قد تصل الى سبعة امثال المنحة او الاعانة .

وتبلغ نسبة الطلبة الملتحقين بالجامعة والمعاهد العليا ٤٠٪ فى الولايات المتحدة ، مقابل ١٧٪ فى عام ١٩٤٠ (١) .

وقـد ادى تطـور العلم والاكتشـافات الى صعوبة نقله الى التلاميذ فاثار ذلك مشـكلة جديدة لدى الاساتذة والطلبة .

وفى اوائل ١٩٦٥ امتدت حركة الطلبة من كاليفورنيا الى جامعات امريكية اخرى . ففى كانزاس قبض على ١١٣ طالبا رفضـوا مغادرة قاعة اجتماع عقد احتجاجا على التفـرقة العنصرية . وفى واشنطن اعترض الطلبـة على العضوية الاجبارية لجمعيـة الطلبة . وفى جامعة سان جون فى نيويورك خرق الطلبة تقاليـد الطاعة بالانضمام الى ٢٠٠ من اعضاء هيئة التدريس فى مطالبتهم بزيادة المرتبات وبمزيد من الحرية، واحتجوا على منعهم من الاستماع لخطب **مالكولم اكس** ، والزعيم الاشتراكى **نورمان تومـاس** ، **وروبرت كيندى** . وفى جامعـة ميتشيجان طالب الطلبة بحقهم فى ابداء الرأى فى سياسـة التعليم الجامعى وفى ادارة الكليات وفى فلسفة التربية .

وانتشر هياج الطلبة واتخـذ اشكالا متعددة . لكن المحـرك الرئيسى كان وقوفهم الى جانب حركة الحقوق المدنية . وتجمع فى سلما طلبة من جامعـات ييل وهارفارد وبرنستون . وعقب استاذ علم الاجتماع فى جامعـة سان جون قائلا : « ان هـذا الجيل من الطلبة يملك ما افتقدته الاجيال السابقة الغضب المقدس، والشـجاعة ، والرغبـة فى التضحية » .

ثم تطرق تفكير الطلبـة الى ما وراء الحقوق المدنية . واتخذوا لحركتهم هدفا اشمل هو المساواة بكل اشكالهـا ، ليس فقط بين الاجناس ، بل فى مسائل مثـل العلاقة بين الطلبة والكلية ، وبين الكلية والادارة ، وبين الطلبـة والادارة .

وقد قال احد خريجى جامعة وشنطن : ان القيم الموروثة لم تعد تسعف الطالب فى مواجهـة الفوضى فى حياته . كما لم يعد يقنعه اتجاه والده السياسى . انه يقاوم الاخلاقيات المبنية على المال ، والتفاوت بين الاجناس ، والسياسة الخارجية العنيفة ، وميكنة الحياة الجامعية .

وقال عالم اجتماع آخر مـن

---

(١) مجلة «التايم» عدد ١٩٦٧/١/٦

بركلى : ان الشباب يأخذون مأخذ الجد المثل العليا التى ينادى بها مجتمعهم ، ولا يأخذون عيوبه قضية مسلمة كما يفعل الكبار . لكنهم غير مستقرين حول مستقبلهم وعلاقاتهم الجنسية الخ .

وفى مايو ١٩٦٥ بدا تنظيم اعمال الاحتجاج على حرب فيتنام باجتماع حاشد ضخم فى جامعة بركلى بكاليفورنيا ضم ٣٥ الفا واستمر ٣٥ ساعة .

وفى اكتوبر ١٩٦٥ دعت لجنة التضامن مع فيتنام فى جامعة بركلى الى تنظيم مظاهرات احتجاج ضد التدخل الامريكى المسلح فى فيتنام . وعمت الحركة مائة مدينة واشترك فيها ١٠٠ الف مواطن ، وامتد نشاطها الى تعطيل نقل الجنود للجبهة .

وفى نوفمبر ١٩٦٥ توجهت الى واشنطن مسيرة من ٤٠ ولاية انتهت باجتماع ضم ٥٠ الفا واستمر يوما كاملا وعبرت الجماهير عن مشاعرها المعادية للحرب فى ٧٠ مدينة . واحرق بعض المتظاهرين انفسهم احتجاجا على الحرب كما احرقت بطاقات التجنيد .

وكان للشباب دور بارز فى تنظيم وتوجيه هذه الاعمال كما يدل على ذلك انبثاقها وتنظيمها فى الجامعات ومساهمة الشباب فى كافة مراحلها .

وتدل هذه الاعمال المناهضة للحرب فى قلب قلعة الامبريالية والحرب على جراة وشجاعة بالغتين فى مواجهة هستريا الشوفينية والدعاية المحمومة لحرب .

وما زال دعاة الحرب وجهاز لدولة والقضاء الموالى لهم والون اضطهاد مناهضى حرب يتنام . يدل على ذلك الحكم السجن سنتين على الدكتور سبوك طبيب الاطفال الشهير بتهمة تحريض الشباب على الامتناع عن اداء الخدمة العسكرية حتى لا يموتوا فى فيتنام . وقد قوبل الحكم بعاصفة من السخط من انصار السلام فى امريكا .

ويقول احد زعماء الطلبة ان الحركة الطلابية تستهدف ضرب السيطرة او الزعامة الامريكية العفنة والامبريالية ، وانه قد آن الاوان لمهاجمة السرطان الذى ابتلى به بلدهم : ان الكثيرين يموتون فى الشوارع ، وفى ادغال فيتنام . لهذا حرر زعماء الشباب فى مائة كلية رسالة الى جونسون لانهاء حرب فيتنام (٢) .

ولم يهدأ الطلبة الامريكيون منذ بدأت تحركاتهم سنة ١٩٦٤ ، بل ظلت تحركاتهم ومطالباتهم مشتعلة .

من ذلك اضراب طلبة (١٣ الفا) واساتذة جامعة **سان جون** الكاثوليكية فى ديسمبر ١٩٦٥ بسبب انخفاض مرتبات الاساتذة ، ولانه ليس للطلبة صوت فى اتخاذ القرارات الخاصة بسياسة التعليم . ويسود الجامعة فكر دينى متزمت يعطى الكلية حق الرقابة على كل ماينشره الاساتذة من بحوث ، أو مقالات . وانتهى الامر بفصل ٣١ من الاساتذة فأضرب الطلبة تأييدا لهم .

وبناء على طلب بعض حكام الولايات المتحدة (كاليفورنيا — فلوريدا) خفضت اعتمادات التعليم . ففى فلوريدا ٥٨ر٠٠٠ مدرس استقال نصفهم سنة ٦٧ تجنبا للوقوع تحت طائلة العقاب المقرر للاضراب ، واغلق ثلث مدارس الولاية البالغ عددها ١٨٠٠ وتعطلت الدراسة بالنسبة لنصف مليون تلميذ .

وفى اواخر سنة ١٩٦٧ انتشرت موجة من العنف بين الطلبة فى كثير من الولايات . وكان المحرك فى معظم الاحيان هو التفرقة العنصرية .

وجاء مصرع **مارتن لوثر كنج** فزاد من حدة المشكلة العنصرية ودفع الطلبة الى الاحتجاج لاجبار مدارسهم على المساهمة فى احداث التغيير المنشود . ففى جامعة بوسطن احتل ١٢٥ طالبا زنجيا مبنى الادارة فى اواخر ابريل حتى وافق مدير الجامعة على قبول مزيد من الطلبة السود وتدريس مواد من الزنوج . وفى كولجيت اعتصم ٥٠٠ طالب فى مبنى الادارة لمدة خمسة ايام حتى وعد الاساتذة باصلاح بعض الاجهزة التى اقصى عنها الزنوج . وفى كونكتيكت احتل ٢٠٠ طالب مبنى الادارة اكثر من يوم واحتجوا لدى مدير الجامعة وكبار المسئولين مطالبين بمزيد من المنح الدراسية للزنوج ، وبتدريس برنامج عن سيكولوجية الجيتو (حى الاقلية المضطهدة) . وفى جامعة كارولينا الشمالية تضامن ١٥٠٠ طالب فى المطالبة برفع اجر الموظفين غير الجامعيين بمقدار ١ر١٥ دولار فى الساعة ونجحوا فى ذلك .

لكن ربما كان اكبر تحرك هو ما حدث فى جامعة **كولومبيا** فى نيويورك فى الاسبوع الاول من مايو ١٩٦٨ ، فقد استولى الطلبة على خمسة مبان رئيسية فى الجامعة واحتلوا مكتب مدير الجامعة واسروا احد العمداء مدة ٢٤ ساعة . وكان لثورتهم — التى تعتبر استمرارا لما قام به طلبة بركلى سنة ٦٤ — ثلاثة اسباب:

١ — خلاف حول مشروع اقامة ستاد رياضى . وانتهى الامر باستئجار فدانين لهذا الغرض بدلا من طرد السكان المجاورين من الزنوج واهالى بورتوريكو وقطع المياه والخدمات البريدية عنهم .

٢ — قطع علاقة الجامعة بمعهد

(٢) مجلة «التايم» ٦/١/١٩٦٧.

البحوث التابع للبنتاجون (وزارة الحربية) .

٣ — المطالبة باعفاء الطلبة المتظاهرين للسببين السابقين من المحاكمة التأديبية .

والى جانب هذه النقاط الرئيسية ، تكشف الامر عن مسائل ذات مغزى اجتماعي وسياسي هام . فقال احد الطلبة انه وجد لدى مدير الجامعة ارقام تليفون المخابرات المركزية . وقال طالب آخر ممن حضروا الاضطرابات بركلي : ان هذا هجوم على الملكية ، الامر الذي لم يحدث من قبل من جانب طلبة بيض من ابناء الطبقة الوسطى . انهم يريدون وضع حد للملفات السرية ويتعرضون لنظم المجتمع .

وكانت قاعة هاملتون بالجامعة هدف الطلبة الثائرين . فاحتلها جمع من الطلبة السود والبيض اعضاء منظمة الطلبة من اجل مجتمع ديمقراطي (لها فروع في ٣٠٠ جامعة) . وفي اليوم التالي انفرد الزنوج بالقاعة ولحق بهم آخرون من حي هارلم وكانوا اكثر الجماعات تنظيما . أما البيض فقد احتلوا المكتبة «وفي قيادتهم بعض الثائرين بأفكار ماو/جيفارا » . وكان هناك مركز ثالث للتمرد به خريجون ومهندسون معماريون . ولم يستدع مدير الجامعة البوليس خوفا من تفاقم الموقف واستجاب لمطلب الملعب . واثبت الطلبة بذلك مقدرتهم على غلق اى معهد دراسي .

وفي اواخر عام ١٩٦٦ حاصر طلبة جامعة هارفارد ماكنمارا عند زيارته للجامعة وهاجموا سياسته في فيتنام .

ولقد اهتز العالم كله سنة ١٩٦٧ عند انكشاف تمويل المخابرات المركزية لمنظمة الطلبة الامريكيين ونشاطها الدولي ، وقد لا يعلم الكثيرون ان المرشح الديمقراطي **يوجين مكارثي** طالما انتقد نشاط الوكالة ، وشبه تسلطها كمصدر للمعلومات بتسلط هتلر . بينما كان **روبرت كيندي** على علم بنشاط الوكالة بين الطلبة وقت ان كان نائبا عاما ، واقر هذا النشاط باعتبار رئيس الوكالة ممثلا لرئيس الجمهورية . ومما يذكر ان كل هذا تم بعلم الرؤساء ايزنهاور وجون كيندي وجونسون .

نخلص من كل ما تقدم الى ان الطلبة والشباب الامريكيين قد فضحوا مساوىء مجتمعهم وثاروا عليه لاسباب يمكن اجمالها في الاتي :

● مناهضة حرب فيتنام والمطالبة بوقفها .

● تأييد منح الزنوج الحقوق المدنية ومساواتهم بالبيض .

● حق الطلبة في ممارسة النشاط السياسي دون تدخل من سلطات الجامعة .

● تحسين احوال الطلبة في الجامعة . وتضامنهم مع المدرسين في مطالبهم المعيشية .

● مشاركة الطلبة في ادارة شئون الجامعة من كافة الوجوه .

● وضع حد لتسلط المخابرات الامريكية على نشاط الطلبة القومي والعالمي .

وقد اخذ نضال الطلبة يحرز انتصارات اكيدة . ان عمدة نيويورك الجمهوري **جون ليندساي** يحييهم (٦٨/٦/٣) لنجاحهم في اجبار جونسون على الانسحاب من الترشيح .

واصدرت كلية الحقوق بجامعة نيويورك وثيقة لحقوق الطلبة في الولايات المتحدة تقع في ٤٠ صفحة ، وضعتها لجنة من ١٥ طالبا و ٤ اساتذة . ومما جاء فيها :

● عدم جواز مجازاة الطالب دون سماع اقواله ، بحجة انه تعهد باحترام لوائح الجامعة .

● ضرورة تحديد السلوك المطلوب من الطالب التزامه ، وبيان تفصيلات اجراءات التأديب وتدرج العقوبات من التوبيخ الى الفصل .

● حق الطلبة في المشاركة في اية مناقشات متعلقة بهم .

● حق الطالب في عدم تدخل الجامعة في شئونه الخاصة : اخلاقياته واوراقه الخاصة .

● حرية الاحتجاج السلمي .

● تجنيد الطلبة لاغراض مشروعة (وكانوا قد احتجوا على تجنيد بعضهم لخدمة المخابرات المركزية ، والقوات المسلحة ، وصناعة الاسلحة) .

● حرية النشر بما في ذلك استبعاد رقابة سلطات الجامعة على جرائد ومجلات الطلبة .

وماريو سافيو هو ابرز الشخصيات الطلابية في الولايات المتحدة ، ابرزت الصحف الامريكية اسمه عام ١٩٦٤ ، وهو الذي قاد تحركات جامعة بركلي منذ ذلك التاريخ . ولد ماريو في نيويورك من أصل صقلي ونجح بتفوق على ١٢٠٠ تلميذ في المدرسة الثانوية ، ثم انتقل مع ابويه الى كاليفورنيا حيث التحق بالجامعة . ودخل لجنة تنسيق الطلبة لمقاومة العنف . وفي صيف ١٩٦٤ التحق بمدرسة في ولاية ميسوري ليدرس للزنوج الشعر والتاريخ والرياضة وعلم الوراثة الذي وصفه بانه موضوع ملائم لاثبات ان لا فرق بين الابيض والاسود .

ولما عاد الى كاليفورنيا اخذ يعبيء الطلبة للاحتجاج على منع الجامعة اياهم من التجمع في داخلها لاغراض سياسية . ولما قامت الحركة واعلن مدير الجامعة تمسكه بالحزم ازاء الطلبة هاجمه سافيو في الميكروفون فأبعد بالقوة واخلى سبيله . ولما قدم الطلبة المقبوض عليهم (٨٠٠) للمحاكمة خشيت السلطات ان يحاكموا امام محكمين فيثور الجمهور ، فاذن لهم القاضي ان يتنازلوا عن المحلفين فاتهمه سافيو بالنفاق وقبض عليه ٢٨ ساعة لهذا السبب وشارك سافيو فيما بعد في لقاءات دولية للطلبة والشباب .

ألمانيا الغربية

الامر الملاحظ فى الانفجار الطلابى الالمانى الغربى الذى اعقب محاولة اغتيال **رودى دوتشكة** زعيم اتحاد الطلبة الاشتراكيين الالمان ، انه لم يرق الى مستوى العمل للاطاحة بحكومة **كورت كيسنجر** التى تمثل ائتلاف المسيحيين الديمقراطيين ، والاشتراكيين الديمقراطيين .وهو مستوىوصل اليه الانفجار الطلابى الفرنسى بالنسبة لحكومة ديجول كذلك لم يجر الانفجار الالمانى وراءه الطبقة العاملة الالمانية الغربية فىمعارضة نشطة للنظام الراسمالى الاحتكارى فى المانيا الغربية ، مثلما حدث بوضوح فى فرنسا ، عندما انضمت كل قوى اليسار الىانتفاضة الطلاب الفرنسيين . ويعزى كثير من المعلقين السياسيين ذلك الاختلاف فىالحقيقة الى أنالقوى اليسارية الجديدة فى فرنسا، وأيا كان ما يقال بشأن اتجاهها «اليسارى المتطرف» ، هى وليد تاريخى لحركة اليسار التقليدى وبخاصة اليسارالماركسى اللينينى فى الغرب الاوربى ، وهو اليسار الذى لا يمكن الا أن يكون قد ترك بصماته وطابعه واتجاهه النضالى فى صورة تراث فكرى وانسانى ضخم معاد للرأسمالية فى المجتمعات الغرب أوربية .

والامر المثير لانتباهنا فىحركة الطلبةالالمان الغربيينوالفرنسيين بصفة خاصة ، هو انه ليس بالمصادفة ، ان حركة الطلبة الالمان اليساريين الجدد ، كانت وما تزال اضعف فى تاثيراتها العامة وفى ثقلها من حركة الطلبة اليساريين الجدد فى فرنسا ، اذ أنذلك يرتبط بالوضع العاملقوى اليسار الشيوعى واليسار الديموقراطى عموما فىكلا البلدين .. وعلى هذا النحو ، فان الملاحظة التى لا تحتاج الى عناء كبير ، انما توضح الفرق بين قوة الحزب الشيوعى الفرنسى المتمتع بالشرعية والمسيطر علىاتحادات العمال والطلبة والنساء الخ . وقوة الحزب الشيوعى الالمانى الغربى المحظور نشاطه ، وبين قوة وعمق اليسار الديموقراطى والتقاليد الديموقراطية الفرنسية وبين الملاحقة المتواصلة للقوى الديموقراطية المناضلة فى المانيا الغربية . ذلك أن التفاوت بين الوضعين ، انعكس بوضوح فى « وليدهما » السياسى ، الذى تجاوز حدود اليسار التقليدى .

وعلى أية حال فالامر الذى لا شك فيه ان مظاهرات واضرابات الطلبة الالمان الغربيين اليساريين ومقاومتهم العنيفة ، عقب محاولة اغتيال رودى دوتشكة ، قد ادخلتهم مسرح الاحداث السياسية فى المانيا الغربية ، بل انها ادخلت النشاط اليسارى للطلبة الالمان الغربيين فىدائرة الضوءوالاهتمام الدولى. على ان مطالبة النواة اليسارية الثورية الجديدة فى المانيا الغربية باحداث تأثيرمماثل لنشاطاليسار الفرنسى الجديد ، أمر يفوق طاقة اليساريين الالمان وواقع قوتهم ذلك أن الهجوم على امبراطورية **شبرينجر** الصحفية فى كل انحاء المانيا الغربية والهجوم علىاتجاه الحزب النازى الجديد هناك ، وعلى اتجاه الحكومة الالمانية لاقرار قانون الطوارىء الخ . انما يعد فى حد ذاته جهدا نضاليا ايجابيا ودليلا على قوة اليسار المتزايدة ، ولا يمكن قط التقليل من شأنهما ، بالنسبة لواقع الاوضاع السياسية العامة فى المانيا الغربية .

والطابع السياسى لحركة الشباب الالمانى اليسارى يبدو اكثر بروزا منطابعها الاقتصادى الفئوى الضيق الخاصبالاوضاع الطلابية . وقد اوضحت جريدة « **التايمز** » البريطانية « ان خطر اليمين ، وبوجه محدد من ناحية الحزب النازى الجديد الذى يقوده **ادولف فون ثادن** قد ازداد فى المانيا الغربية ، والمظاهرات الطلابية الضخمة فى كل المدن الالمانية الغربية ، انما وجهت ضد هذا التهديد » . وردا على بعض الاوساط السياسية التى رددت زعما بان الحركة الطلابية فى المانيا الغربية لا تضم سوى اقلية ضئيلة جدا من اليساريين أوضح مراسل « التايمز » فى بون «ان ما يحدث هو انتفاضة عامة للشباب الالمانى ضد مجتمع متخم فاسد ، مذنب ، تستوطن فيه اليمينية ، نتاجه ورمزه امثال الهرشبرينجر ملك الصحافة المزدهر » . ليس ذلك فحسب بل ان الشعارات المعادية للراسمالية والمعادية للامبريالية هى من اكثر الشعارات ترددا .. وعدد كبير من الطلبة الالمان الغربيين ، بغض النظر عن اختلافاتهم فى الرأى ، متفقون على رفض الطريق الرأسمالى .وربما كان تصريح رئيس « الاتحاد الاشتراكى للطلبة الالمان » يلقى الضوء على اتجاههم اذ أوضح ان « الاتحاد يستهدف ان يحول دونانتاجالاختصاصيين الاغبياء» الذين توظفهم الرأسمالية لصالح مكاسبها » . كذلك اعلن الطلبة اليساريون الالمان عنتضامنهم مع ثورة العالم الثالث ورفضهم « للحسنات » التى يقدمها «حكم بون المتعفن لهم » .

واذاحللت الامورتحليلا واقعيا فلا ينبغى التقليل من شأن ذلك الهجوم العاصف على مكاتب دور شبرينجر الصحفية وتحطيمها واحراقها فىالمدن الالمانية الكبرى، وهى الدور التى تؤيد السياسة الامريكية على طول الخط، وتمثل اقصى اليمين فى صحافة المانيا الغربية ، كما لا ينبغى التقليل من حركات الطلاب التى رفعت صورالثوار منامثال «شىجيفارا» و « هوشى منه » فى قلب المدن الالمانية الغربية الكبرى،وخاضت سلسلة من المعارك فى جامعات **برلين وهيدلبرج وفرانكفورت** وغيرها لتحرير الجامعات الالمانية من العقلية المحافظة الرجعية التى تسودها .

واحد عوامل التصاعد في نشاط الطلبه اليساريين الالمان هو ان الائتلاف بين الحزبين المسيحي الديمقراطي والاشتراكي الديموقراطي وتعاونهما معا في الحكم قد جعل المانيا الغربيه بلا معارضه فعليه ، وترك الميدان حاليا امام حكومه كيسنجر تعمل فيه بشكل مطلق . بدا قرر الطلبه انيشكلوا من حركتهم معارضه خارج البرلمان، وبداوا منذ النصف الاول من سنة ١٩٦٧ يشتركون في مظاهرات سلميه ذات اهداف مختلفه ، ضد العدوان الامريكي في فيتنام وضد التسلح الذري وكانت اعنف مظاهراتهم ضد شاه ايران خلالزيارته لبرلين الغربية. ولا شك ان احد عوامل انفجار حركة الطلبة يتمثل في تلك « المكارثية » الجديدة التي عملت دور صحف شبرينجر على اشاعتها في الحياة الالمانية الغربية مستهدفة تأجيج نيران الكراهيه ضد الاقليات ولا سيما المثقفين اليساريين . على انه لا ينبغي عزل الانفجار الطلابي الالماني عن المشكلات الاقتصادية التي ازداد اتضاحها في اقتصاد المانيا الغربية اخيرا ، وكشفت الستار عنزيف دعوى «المعجزةالالمانية»

على أن اتحاد الطلبه الاشتراكيين الالمان الذي يتزعمه دوتشكة ليس كلا متجانسا ، اذ توجد بداخله اتجاهات متباينة « تروتسكية » يتزعمها عدد من الفرنسيين التابعين للاممية الرابعة في باريس ، وشيوعية تضم الحزب الشيوعي السري في المانيا الغربية، والقوى المتاثرة بفكر ماوتسي تونج واتجاه كاسترو ـ جيفاري، بتعاونمع المتحمسين لهوشي منه وجياب ، ويتعاطف مع تيار الثورة فيالعالم الثالث . ويعكس الصراع الفكري الذي تم في مؤتمر اتحاد الطلبة الاشتراكيين الالمان في فرانكفورت حقيقة الصراعات داخل قوى اليسار الجديد في المانيا الغربية فبينما اكد الشيوعيون يناصرهم التروتسكيون ـ بالرغم من العداء الشديد بين الاتجاهين ـ ان الذات الثورية تتجسد في الطبقة العاملة . اوضح التيار « الكاستروي الجيفاري » ان الطبقة العاملة الاوربية قد صبحت محافظه لا يمكن انتتمثل فيها الذات الثورية ، واضافوا بان الطليعة الطلابية الثورية هي في الاساس التي تملك ذاتا ثوريه في الظروف الراهنة ، ولذا فمن المتوقع حدوث استقطابات جديده داخل اتحاد الطلبة الاشتراكيين .

وحركة الطلاب اليساريين الالمان كما تتجسد في اتحاد الطلبه الاشتراكيين ، تعمل على تطوير نفسها للقيام بدور اكبر في حياة المانيا الغربية ، فبعد انتشارها في كل جامعات المانيا الغربيه . بدات تخطط للوصول الى مدارس التدريب المهني ، والمدارس الثانوية ، والمصانع ، لتأمين القاعده الشعبيه اللازمة لتدعيمها . وفيما يتعلق باسلوب النضال التي تنوى الحركة اتباعه وضح احد مساعدي دوتشكه اخيرا : « ان تنظيم المظاهرات بموافقة السلطات وتحترعايتها لا يجدى فتيلا ، ففي بلد كالمانيا، لا يمكن ان نصل الى غايتنا الا عن طريقالمجابهه العنيفه، وحتى الدمويه مع ادوات النظام » . وعلى هذا النحو فيبدو ان اتحاد الطلبة الاشتراكيين الالمان ، وغيره منالقوى الثورية وصفوف الحركة الطلابيه الغرب اوربيه ستحول الجامعات الغرب اوربية الى نوع من « البؤر الثورية » لنشر الثورة والتمرد على النظام الراسمالي الرجعي ، وحسب التكتيكات التي رسمها الفرنسي « ريجي دوبريه » في كتابه « ثورة في الثورة » الذي يعتبر دستورا ثوريا لكثير من الزعماء الطلابيين الغرب اوربيين .

وعلى اية حال ، فان الصراع الطبقي في الغرب الراسمالي قد تلقى دفعة فتية قوية من الحركة الطلابية . وهذا النفوذ المتزايد لقوى اليسار بين الشباب الاوربي، بدأ ينعكس على مناخ أوربا السياسي . ففي المانيا، تعاطفت المانيا الشرقيه مع الطلبة اليساريين في المانيا الغربية ، ووضعت قيودا على السفر الى برلين الغربية لمنع سلطات المانيا الغربية وعرقلتها عن توجيه الضربات المتواصلة للحركة الديموقراطية في برلين الغربية ، وردا علىاقرار قوانين الطوارىء الدكتاتوريه في المانيا الغربيه . كذلك اثرقرار المانيا الشرقية على طابع العلاقات بين المانيا الغربيه والاتحاد السوفيتي ، خاصة بعد ما تردد من ان المانيا الغربية ترهن شروط موافقتها على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النوويه بفتح طرق المواصلات العادية مع برلين الغربية . الا انه مما لا شك فيه ان نمو حركة الطلبة اليساريين فيالمانيا الغربية تعد نصرا لجمهورية المانيا الديمقراطية ، ودعما غير مباشر لسياسة **والتر اولبريشت** زعيم المانيا الديموقراطيه داخل بلاده، ذلكالدعم الذي يظهر فيتصريحات المسئولين الالمان الشرقيين ، الذين اوضحوافيما نشرتهصحيفة « **النيوز دويتشلاند** » الالمانية الشرقية « انه لا تزال هناك سلسلة مفاجآت غير سارة » لالمانيا الغربية ،ما دامت مستمرة في عدم الاعتراف بالمانيا الديموقراطية والزعم بانحكومتها تمثل كل الالمان .

بعض بلدان الغرب الرأسمالي

واذا انتقلنا الى بقية الدول المتقدمة في اوروبا الغربية وبريطانياواليابان لوجدنا فيها جميعا ظاهرة تمرد الطلبة وعصيانهم وثورتهم على النظم البالية وعلى الاستبداد والتحكم الراسمالي . ونجد حركات الطلبة تتخذ طابعا سلاميا ديمقراطيا يساريا .

ففي **سويسرا** ينظم الطلبة حركة احتجاج ضخمة ضد الدعاية للحرب .

وفي **بلجيكا** ادت مظاهرة الطلبة في جامعة لوفان — وهي اكبر جامعة كاثوليكية في العالم — الى استقالة الوزارة ، وهذا امر نادر الحدوث . وسبب الازمة التوتر والصراع القائم بين اغلبية السكان الفلمنكيين الناطقين بالهولندية ، وبين الاقلية من الوالون الناطقين بالفرنسية . وهذا الخلاف بين الناطقين باللغتين يخفي في حقيقته صراعا اجتماعيا . اذ يعارض الفلمنكيون سيطرة الوالون الذين كانوا اغلبية السكان قبل الحرب العالمية الثانية ويستأثرون بالنفوذ والمراكز . فهو صراع من اجل المساواة القومية للاغلبية بالاقلية . واصر طلبة الاغلبية وهم ٥٥٪ من المجموع على تقسيم الجامعة ونقل القسم الفرنسي الى موطن الاقلية في الجنوب .

وفي **اسبانيا** اسباب قديمة للسخط بين الطلبة ، منها تمسكهم بحريتهم في ادارة دور الاقامة الخاصة بهم دون تدخل من الحكومة وسرعان ما اتخذ هذا السخط طابعا سياسيا في مدريد فتظاهروا ضد نظام حكم فرانكو الفاشستي في ١٩٦٨/٥/١٨ هاتفين : يسقط فرانكو ، تحيا الاشتراكية . واقاموا المتاريس بجوار الجامعة وحاولوا احتلالها . واجابت الحكومة باغلاق كلية الفلسفة والاداب .

وفي **ايطاليا** بدأت الاضطرابات في نوفمبر ١٩٦٧ من اجل اصلاح نظم الجامعات ، منح اعانات للطلبة الفقراء ، تحسين ظروف المعيشة ، اعطاء الطلبة صوتا في ادارة الجامعة . وفي مارس ١٩٦٨ وقع في روما صدام مع البوليس ، وكانت نقطة الانطلاق اصلاح البرامج التعليمية وتوفير المعامل . لكن الاحداث تلاحقت واتخذت طابع التمرد على اوضاع المجتمع الايطالي . وقامت مظاهرات للطلبة امام السفارة الفرنسية تأييدا للمثقفين والعمال الفرنسيين . واعتصموا في جامعة روما . وانتشرت الحركة في مدن اخرى . وفي تورينو اضرب الطلبة واحتلوا الكليات وطالبوا بتخصيص قاعة دائمة لعقد اجتماعات الاحتجاج . واستعانت ادارة الجامعة بالبوليس لاجلائهم . وامتدت حركة الاضراب الى ميلانو وجنوه وتريستا وغيرها من المدن الايطالية .

وفي **النمسا** احتل مئات من الطلبة جناحا من جامعة فيينا ورفعوا العلم الاحمر على احدى الكليات ، ووزعوا منشورات تطالب بمنحهم مجالا اكبر للمشاركة في ادارة الجامعة .

وفي **اليابان** طالب الطلبة باستقالة مجلس جامعة نيبون في طوكيو — وهي كبرى الجامعات اليابانية — بسبب التلاعب في اموال الجامعة وعدم تحديد اوجه صرف حوالي مليوني جنيه . وفي كلية الطب احتل الطلبة مكتب العميد . ومبنى شكواهم وكذا شكوى طلبة جامعة طوكيو تخلف اساليب التدريب . وقد عمت الاضطرابات ستين جامعة في طول اليابان وعرضها لخلافات بين الطلبة وكلياتهم ، ومن المعروف ان الطلبة من انشط الفئات والتصدي لقضية تصفية القواعد الامريكية في اليابان والاحتجاج على معاهدة الامن المتبادل مع الولايات المتحدة .

وفي لاهاي **بهولندا** هجم الشباب على سفارات اسبانيا واليونان والبرتغال ، وهي من اكثر البلدان اغراقا في الرجعية والفاشية في اوروبا . وبعد ايام صدر بيان بتوقيع « جماعة اول مايو » توضح فيه انها مسؤولة عما وقع . وقد بدأت حملة لتشويه سمعة هذه الجماعة ، واختلاق الاكاذيب فقال استاذ مساعد باحدى كليات هولندا ان هذه الجماعة نواة فوضوية غالبية افرادها من الفرنسيين والاسبان لها صلات تنظيمية بجماعات يسارية متطرفة منتشرة في معظم بلدان اوروبا الغربية . ويدعى الاستاذ الهولندي ان هذه الجماعة تتعاون مع ٢٥٠ جماعة اخرى تضم ٣٠٠٠ عضو يعملون جميعا تحت شعار «التضامن الثوري» . واضاف ان هذه الجماعات تسهل فرار الجنود الامريكيين الذاهبين الى فيتنام وانها مسئولة عن القاء القنابل على سفارة اسبانيا في هولندا وسفارتي اليونان وبوليفيا في بون . ويقول رئيس الشبيبة الاشتراكية في هولندا ان هدف القائمين بهذه التحركات هو الاحتجاج على رواج اللامبالاة التي تسيطر على الرسميين وعلى الاحزاب .

اما في **بريطانيا** فقد زادت اعمال العنف بين الطلبة بهدف الحصول على مزيد من الاعانات ، والقيام بدور اكبر في اصدار القرارات الخاصة بادارة الجامعات ، ووقف تأييد بريطانيا لحرب امريكا في فيتنام ، وزيادة نصيب الفرد من الغذاء في مطاعم الجامعة ، وحق الغجر في اقامة شبه دائمة في انجلترا ، ومهاجمة الدكتاتورية في اليونان الخ .

ولقد اثار وقف ثلاثة طلاب بجامعة اسكس ثائرة زملائهم وايدهم في ذلك بعض الاساتذة . وليست هذه مجرد حركة مطالبة بالعدالة او بتمثيل الطلبة في بعض الهيئات ، اذ تتجاوزها الى اعلان معاداة السيطرة البرجوازية ممثلة في نائب مدير الجامعة وسياسة تأييد حرب فيتنام .

وتقول جريدة **الصنداي تايمز** انه اذا كانت هناك قلة فوضوية او مستعدة لاعمال العنف او لاقامة سلطة الطلبة ، فان الاغلبية منظمون تنظيما دقيقا ويريدون تغيير الحكومة للاطاحة بالمقاييس الليبرالية لحرية الكلام التي تجعل المجتمع البرجوازي يسمح لعالم بان يتحدث الى الطلبة في الوقت

الذى يسمح له بأن يساهم فى حرب الجرائم . ويسيطر الطلبة الثائرون على مساكن الطلبة ، وهم على اتصال بالاساتذة الذين ليس لديهم حجرات للجلوس او الاكل او حتى دورات مياه . ولا يكتفون بالمطالبة بالمساواة بل يطالبون بالديمقراطية وبالمساواة فى التمثيل فى كل شىء . وتطالب اقلية منهم بهذه الحقوق حتى فى المسائل العلمية الاكاديمية .

وفى مارس ١٩٦٨ اشترك الطلبة من كل البلدان الاوروبية فى مسيرة من ميدان الطرف الاغر فى لندن الى مبنى السفارة الامريكية .

ورفع بعض الطلبة شعار « نحن لا نصغى لاحد تزيد سنه على ٢٥ سنة » . ويقف ابناء الجيل الجديد ضد الجيل القديم لانهم لم يحلوا المشاكل التى نشأت بعد الحرب .

ووصلت الحالة فى بعض الجامعات البريطانية الى حد التفجر ولجأ الطلبة الى العنف تعبيرا عن مشاعرهم ومطالبهم . من ذلك مثلا أن ٧٠٠ طالب احتلوا كلية للفنون فى اواخر مايو بسبب مطالب عديدة متباينة كالافتقار الى تسهيلات مناسبة وقذارة دورات المياه الخ .

وتحت تأثير ما حدث فى اسكس وفرنسا وبلاد اخرى ، قررت جامعة كمبردج مؤخرا تكوين مجلس استشارى من الطلبة ينعقد فى اكتوبر القادم لابداء الرأى فى شئون الجامعة ، ويمتد اختصاصه من ابداء الرأى فى البرامج الدراسية الى تحديد مواعيد المكتبة .

ولعل ابرز شخصية طلابية فى بريطانيا هو **طارق على** (٢٤ سنة) ولد فى لاهور (باكستان) وكان فى سنة ١٩٦٥ رئيسا لاتحاد طلبة اوكسفورد . وهو يشغل حاليا عدة مناصب منها انه عضو تنفيذى بحملة التضامن مع فيتنام . ويستهدف تكوين معارضة خارج البرلمان على نسق المانيا الغربية وميوله يسارية .

ومن الشخصيات الهامة فى بريطانيا دافيد **ادلشتين** (٢١ سنة) الطالب فى كلية الاقتصاد بلندن . هاجر من جنوب افريقيا سنة ١٩٦١ وهو لاحزبى ، ومن مؤسسى تحالف الطلبة الراديكاليين . زار كوبا فى يناير ١٩٦٨ وتأثر بثورتها وبجيفارا وبعض تعاليم ماوتسى تونج . وقد صرح للتايمز قائلا : ان سلطة الطلبة تعنى هيمنتهم المطلقة على كل شىء ومعهم المدرسون . وانه ليس فى بريطانيا ديمقراطية برلمانية ولا اقتصادية . وانه لا يرى البدء باستخدام العنف ولا الرد عليه الا ردا على العنف .

وتتصاعد فى **السويد** موجة الكراهية للولايات المتحدة . وتتوالى المظاهرات واعمال العنف احتجاجا على حرب فيتنام . فقد كثرت حوادث محاصرة الدبلوماسيين الامريكيين وقذفهم بالبيض . وحوصرت السفارة الامريكية فى ستوكهولم عدة مرات . وفى ٨ مارس ١٩٦٨ استدعى السفير الامريكى الى واشنطن بعد موجة من المظاهرات المعادية لامريكا . واحرق العلم الامريكى عدة مرات فى مظاهرات امام السفارة الامريكية . والقى الطوب وزجاجات البيرة على النوافذ ، بينما يصف المتظاهرون جونسون بالقاتل . ويضاف الى ذلك تسهيل هروب الجنود الذاهبين الى فيتنام .

تلك هى بعض الوقائع التى ذكرتها مجلة **يونايتد ستيتس نيوز اند ورلد ريبورت** (١٨ مارس) وتضيف ان القوة الدافعة لهذا التحرك المعادى لامريكا هى مجموعة من الشباب الراديكالى الذين كونوا حركة تسمى **«الجبهة التحرر الوطنى»** . ومن زعماء الشباب **« جان ميردال »** ، ابن الاقتصادى الشهير جونار ميردال نصير السلام ، وتنسب اليه المجلة قوله ان من اهدافه القضاء على كل نفوذ اقتصادى او غيره للولايات المتحدة فى السويد .

ولا تقتصر الكراهية للامريكيين على اقصى اليسار ، بل أن منظمات الشباب بكافة اتجاهاتها تقريبا تهاجم تدخل امريكا فى فيتنام .

وتقول المجلة ان العداء لامريكا شديد بصفة خاصة بين الطلبة ، لكنها تعلله بانه يخرج بهم عن حالة السأم التى تولدها دولة الرفاهية بمناقشاتها المملة عن الضرائب وازمة المساكن . لكنها تعترف بان التليفزيون يعرض صور الدمار الذى تنزله امريكا بفيتنام مما يثير المشاعر ضد امريكا .

تعاون الحركات الطلابية

وتعترف جريدة **التايمز** (٣٠ مايو) بانه ليست هناك مؤامرة دولية بين الطلبة والشباب . لكن المنظمات الطلابية تتعاون تعاونا وثيقا فيما بينها . فالكثير منها عضو فى اتحاد الطلبة الدولى ومقره براغ . ومثال ذلك اتحاد الطلبة الفلمنكيين (بلجيكا) ، والاتحاد العام لطلبة كويبك (كندا) ، واتحاد الطلبة الفرنسيين ، واتحاد طلبة جامعة برلين الحرة ، واتحاد الطلبة الايرلنديين . وبعضها يحضر اجتماعات الاتحاد الدولى دون الانضمام اليه كاتحاد الطلبة البرتغاليين فى الخارج . وبعضها منضم لمؤتمر الطلبة الدولى اليمينى مثل اتحاد طلبة كندا .

ويحضر الكثير من الاتحادات المسيرات والمظاهرات فى الدول الاخرى . ومثال ذلك مشاركة اتحاد الطلبة من اجل مجتمع اشتراكى (المانيا الغربية) فى مظاهرات ميدان جروفنور فى لندن يوم ٦٨/٣/١٧ بناء على دعوة طارق على من منظمى حملة التضامن مع فيتنام والذى حضر بدوره اجتماع الطلبة الاشتراكيين فى برلين فى فبراير . ولا تنتهى قائمة الاجتماعات المنعقدة فى مختلف البلدان وذات الطابع الدولى لاشتراك ممثلى الطلبة من اقطار اخرى فيها .

الحركة فى العالم الاشتراكى

٤

الصين الشعبية

يرى معظم الملقين السياسيين ان احدى الحقائق العامة لانتفاضات الطلبة الاخيرة فى العالم ، وبغض النظر عما بدا فيها من اختلافات ثانوية عن هذه الحقيقة ، انها كانت فى مجملها العام ، دعوة الى المزيد من « اليسار » ، انها كانت دفعة للعالم نحو المزيد من « اليسار » . بالطبع هذا عنوان عريض للقضية ، والواقع اكثر تعقيدا من ذلك بكثير ، فمن الملاحظ انه فى بولندا (من البلدان الاشتراكية) واندونيسيا (من بلدان العالم الثالث التقدمية) لعب الطلبة والشباب دورا فى خدمة عوامل الانتكاس والتراجع ، بينما كانوا فى تناقضهم مع نظم الحكم الراسمالى والرجعى عوامل نضج وتفسخ للمجتمعات الغربية .

واذا كانت **« الثورة الثقافية »** الصينية ، تحتل دون شك ، مكانا بارزا فى حركة الطلبة والشباب العالمى ، فقد كانت فى حقيقتها دفعا للصين «اليسارية» نحو المزيد من « اليسار » . وعلى هذا النحو نلاحظ ، انه بينما خرج النظام اليسارى الصينى بعد الثورة الثقافية اكثر يسارية ، كان على اوربا « اليمينية » ان تجنح نحو « اليسار » ، تحت ضغط القوى الشابة الجديدة ، او ان تجنح الى اليمين بضرب هذه الاتجاهات وفى المانيا باجراءات الطوارىء العنيفة ضد الديمقراطية والحريات .

واذا كان المنحى اليسارى للثورة الصينية (المتمثل فى حركة الثورة الثقافية) قد جاء وليد التحديات الضخمة التى تواجه تلك الثورة (والمتمثلة اساسا فى الحصار الامبريالى الامريكى وفى اخطار الهجوم الامريكى المفاجىء وفى ضغط عوامل التخلف) ، فان المنحى اليسارى الاوربى (والمتمثل فى نزعات الطلبة والشباب) قد جاء وليد الفساد والتعفن الرجعى ، والمحافظة ، فى النظام البورجوازى الغربى . ولذا فبينما نجد المنحى اليسارى الصينى ، دعوة للمزيد من المنعة والقوة للنظام ، نجد المنحى اليسارى الاوربى ، دعوة « للهدم » وهز اسس النظام .

وقبل التعرض لحركة « الثورة الثقافية » فى الصين ، نحب ان نلفت النظر الى واقعتين هامتين . الاولى هى انه قبل انقضاء عام ١٩٦٥ ، وعندما اقدم الامريكيون على تصعيد الحرب فى فيتنام على نحو خطير ، عقد فى بكين اجتماع حضره كبار العسكريين ، بناء على طلب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى والرئيس **ماو تسى تونج** ، وذلك لدراسة « وسائل تقوية الاستعدادات العسكرية ، حتى تكون الصين مستعدة لدخول

الحرب ضد الامبريالية الامريكية، على ارفع المستويات » . وبعد ذلك نشرت الادارة السياسية فى الجيش الصينى تقريرا لمديرها هسياو هوا قال فيه : « ان العمل يجرى على قدم وساق ، لبلورة الوعى العقائدى بين صفوف الجيش ، لان صدامنا مع امريكا بات وشيكا » . ودعا التقرير الشعب الصينى الى « اعداد نفسه لحرب شاملة قد تستخدم فيها الاسلحة الذرية ، والى الاهتمام بتوفير الامكانيات اللازمة ، لمواجهة اخطر الظروف واشدها » واكد التقرير كذلك : « اهمية الاعداد العقائدى والسياسى ، لان الحرب سيقرر مصيرها الانسان » .

والواقعة الثانية هى قيام لين بياو وزير الدفاع الصينى ، واقرب الزعماء الصينيين الى ماوتسى تونج ، بتشكيل حلقات دراسية على نطاق واسع فى الجيش الصينى ، لدراسة « فكر ماوتسى تونج » ، وذلك قبل اندلاع الثورة الثقافية بحوالى عامين . علما بان الجيش الصينى هو الذى قام عند تفجر الثورة الثقافية ، بمساعدة طلبة المدارس على تنظيم انفسهم فى فرق « الحرس الاحمر » ، وامدهم « باليونيفورمات » والرتب الخ ، كما ان صحيفة الجيش هى التى قامت بتوجيه الصحافة الصينية خاصة فى المراحل الاولية للثورة الثقافية، وهى التى اخذت منذ مايو سنة ١٩٦٦ توجه نيرانها لكشف العناصر « المعادية لماوتسى تونج » ، وهى التى بدأت الهجوم على تنج تو احد سكرتيرى الحزب فى بكين ، ولى شى رئيس الدعاية فى العاصمة فى نفس الشهر . واذا كانت قد اوضحت منذ يونيو سنة ١٩٦٦ ، وبعد اغلاق المدارس ، ان وقت نزع القناع عن اعداء ماو قد حان ، فقد تلى ذلك على الفور ، اقصاء بنج شن عمدة بكين وسكرتير أول لجنة بكين الحزبية ، وهو من اهم واخطر الشخصيات التى تصدت لها « الثورة الثقافية » .

كذلك فقد لوحظ ، قبل تفجر « الثورة الثقافية » ان بعض المثقفين ، بدأوا يدعون الى الاسواق الحرة ، وزيادة عدد المؤسسات الصغيرة المستقلة بارباحها وخسائرها ، واخذوا يستغلون الكونفوشيوسية لترويج عدد من الاخطار الراسمالية ، والمطالبة بعودة الملكيات الصغيرة على نحو ما الخ . ووصل الامر بتلك التحركات الفكرية البورجوازية، ان البروفسيور يانج هسيين شين — وهو من القادة المذهبيين فى الحزب — اخذ يتزعم مبدأ تصفية المواجهة العنيفة بين الصين والاستعمار ، ومبدأ التقليل من المساعدات التى تقدمها الصين للحركات التحررية كما شن هو واتباعه هجوما فلسفيا على كتابات ماوتسى تونج . كذلك فقد دأبت مجموعة اخرى من الكتاب ، على رأسها الباحث التاريخى ووهان ، والكاتب تنج تو ، وماوشا ، على نشر كتابات رمزية تاريخية هادفة الى هجوم غير مباشر على الحزب الشيوعى الصينى ، والاشتراكية ، وتعاليم ماوتسى تونج . وبدا عدد من القادة العسكريين يدعون للنظريات « العسكرية المحترفة » ، بدلا من « النظريات العسكرية الصينية الثورية » .

وفى نفس الوقت ايضا ، لوحظ ان اعدادا من اعضاء الحزب فى بعض اللجان ، اصبحت تعيش فى مستوى معيشى اعلى مما ينبغى بالقياس الى وضع الجماهير الصينية العاملة ، وقد لوحظت تلك الظاهرة بشكل خاص فى قادة لجنة بكين الحزبية التى كان يتردد اعضاؤها على المطاعم الفاخرة والنادى الدولى ، ومحلات الترف التى هاجم الحرس الاحمر وجودها بشدة ، ومسألة كهذه لها حساسيتها فى بلد تعداده ٧٥٠ مليون نسمة ، ويقل دخل الفرد فيه عن ١٢٠ دولارا فى العام ، بلد تقوم وحدته الصلبة على النقاء فى التطبيق الاشتراكى وعلى القدوة الحسنة من جانب الزعامة السياسية ، بلد يقدر الشيوعى الطيب ، لا على أساس معتقده النظرى ، وانما على اساس سلوكه اليومى ، باعتباره النموذج الذى يعيش فى تقشف كامل ، ويحمل فى كل الظروف، اكثر الاعباء ثقلا . اما كل موظف ومثقف يستغل نفوذه لتسهيل حياته الخاصة ، فانما يكشف النقاب فورا — فى عرف الصينيين — عن طبيعته «المراجعة» . ذلك ان «المراجعة» عندهم لا تعنى فحسب تبنى الاراء السوفيتية التقليدية ، وانما « المراجع » هو ايضا «الانسان الانانى غير الصلب » . وقادة لجنة بكين الحزبية ، لم يكتفوا بامتيازاتهم المادية ، وانما «خلقوا ايضا انقساما خطيرا داخل فرع الحزب الشيوعى الصينى فى بكين » ، وبدأوا يلعبون لعبتهم داخل الصحافة الصينية فاستطاعوا استغلال جريدة « الشعب » و « اخبار المساء » ومجلة « الجبهة الامامية » لترويج افكارهم « التحريفية التى تهدف لاعادة الراسمالية » حسبما اوضحت بيانات الحزب .

هناك اذن مد رجعى بورجوازى فى المجتمع ، وفى صفوف الحزب له قادته وممثلوه ، فلما حل آخر مايو سنة ١٩٦٦ ، اصدر ٦ طلاب منشورا يهاجمون فيه مدير جامعة بكين ، وكبار الاساتذة بها ويتهمونهم بالرجعية والبورجوازية . ولما كان مدير الجامعة هو سكرتير لجنة الحزب الشيوعى بها ، وهو منصب له خطورته ، فقد وقعت الاشتباكات العنيفة بين الطلبة الموالين « للحزب » ، والطلبة الستة . وكانت المفاجأة هى وقوف الاذاعة الصينية الرسمية ، والصحف ، مع الطلبة الستة ونشر الاتهامات الموجهة الى مدير الجامعة ونائبه ، وكبار الاساتذة

ثم صدور القرار بعزلهم جميعا من مناصبهم .

وهنا بادر «ماو» — بما أطلق عليه المراقبون تعبير اكبر عملية التفاف جماهيرية فى التاريخ — وامر باغلاق جميع مدارس الصين وجامعاتها لمدة عام ، حتى يتم تغيير انظمة التعليم والامتحانات بها وتطهيرها من التيارات البورجوازية والرجعية، ولتمكين الطلبة من تحقيق « الثورة الثقافيه » ، والتفرغ لدراسة التعاليم الثورية . واعلن ماو ان الثورة الثقافية بدأت فى كل الصين للقضاء على الرجعية والبورجوازية ، والافكار القديمة، والعادات والتقاليد والثقافات القديمة . .وبدأت عملية التطهير فى صفوف الدولة والحزب . وبدأ عشرات الملايين من شباب الصين وطلبتها،يمارسون ثورتهم الثقافية،ويتصدون لاعداء الثورة، أعداء « فكر ماوتسى تونج » وقد منحت السلطات الصينية — بموجب الثورة الثقافية — حق النقد لكل فرد بحيث يستطيع بموجبه ان يوجه الاتهامات ، والنقد الى اى شخص آخر على الملصقات ،وربما تكون هذه أغرب عملية ديموقراطية من نوعها فى التاريخ ».

ولم تقتصر « الثورة الثقافية » على الطلبة ، وانما امتدت الى العمال حيث تأسس جيش عمالى سمته ملصقات «الحرس الاحمر» « جيش العمال الجديد » وقائده الاعلى « ماو » ومهمته تقوية « الحرس الاحمر » والدفاع عن خط « ماو » البروليتارى . كذلك انضم الموظفون الى العمال والطلبة وجرت عملية توحيد لقواهم المشتركة .

والحقيقة أن الثورة الثقافية لم تكن قط عملية تصفية دموية لخصوم ماوتسى تونج ، وانما عملية جماهيرية تثقيفية كبرى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ،فالحرس الاحمر، بناء على توجيهات «ماو» عالجوا « المراجعين » ليثقفوهم بالاقتناع ، وليس من أجل طردهم ونفيهم ، كذلك فان « ماو » ادان ميراث الصين القديمة المستعبدة، وقاد « الحرس الاحمر » فى حملة كبرى ضد الخرافات المسيطرة على عقول الجماهير ، من أجل ثقافة جديدة ، وافكار وعادات وتقاليد جديدة ».

ان « الثورة الثقافية » الكبرى فى الصين ، ذات صلة اكيدة بما أوضحه « ماو » للشباب سنة ١٩٦٤ ، حين أشار الى « أن مسألة تكوين خلفاء يحافظون على الثورة البروليتارية ، تتعلق بمعرفة ما اذا كنا قادرين ام لا على منع « المراجعة » فى الصين، انها مسألة حياة أو موت بالنسبة لحزبنا وبلدنا لعشرات الالاف من السنين ، وعلينا ان نقهر تكهنات الامبريالية التى تأمل فى قيام « تطور سلمى » فى ثالث او رابع جيل من الحزب الصينى . أن آمالهم تتعلق بشباب دون الخامسة والعشرين ، لم يشتركوا فى اية حرب ، ولم يروا استعماريا ، او رأسماليا فى السلطة ، ويجهلون كل شىء عن المجتمع القديم ، وقد يحكى لهم اباؤهم ذلك او يقرأونه فى الكتب ، ولكن ليس الخبر كالعيان » ».

كانت وجهة نظر ماوتسى تونج هى الدفع بهؤلاء الى الممارسة الثوريه عبر خضم الثورة الثقافية ، « كى يتعلموا الثورة بانفسهم»،وليستطيعوا المحافظة على تراث الصين الثورى .وقد ارتد التهكم والسخرية والهزء الذى نالته الثوره الثقافية فى الصين على ايدى العالم الغربى فى التحركات العنيفة للشباب التى فاجأت المتهكمين . فاذا كان الحديث قد بدأ يدور اليوم فى اوربا الغربية حول اقامة الصين « لمركز عمل » صينى مزعوم فى أوربا، لتوجيه «ثورات ثقافية» فى جميع أنحاء القارة ، فذلك انما يكشف عن تفهم «بوليسى» لمصدر الحركات التاريخية وحقيقة بواعثها ».

يوغوسلافيا

أما مظاهرات الطلبة اليوغوسلاف فى العاصمة والمدن اليوغوسلافية الكبرى فى الاسبوع الاول من يونيو ،فهى تدخل فى تقييمها العام ، ضمن اطار حركات الشباب الداعية الى الاصلاح فى النظام الاجتماعى والسياسى ».

وقد بادر الرئيس **تيتو** الى التصريح « بأنه يوافق الطلبة على ضرورة حل المشكلات التى القوا الضوء عليها » بل واعلن كذلك عزمه على التنحى « اذا لم يستطع حل هذه المشكلات » الأمر الذى كان له اثره على الحركة الطلابية بل الامة كلها ». وقد انصرف الطلبة الى دراساتهم عقب خطاب تيتو الذى ناقش فيه وجهات النظر الطلابية ،وعقب الوعد بالاصلاح الذى قطعه الرئس اليوجوسلافى على نفسه».

وقد اوضح تيتو ان اعضاء اللجنة التنفيذية للجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف، متفقون على ضرورة تحقيق الاصلاحات التى نادى بها الطلبة والعمال . وقد اعلن ايضا « انه اذا كان هناك من يختلف مع هذه القرارات أو ينحرف عنها، فلن يكون له مكان بيننا ، وانما ينبغى له بدلا من ذلك ، ان يفسح مجالا للاشخاص القادرين على حل المشكلات» وترى **«السكتسمان»** البريطانية ان تيتو — بهذا التصريح — كان يوجه كلامه الى القياديين الذين يعرقلون الجهود التى يبذلها لاصلاح الحياة السياسية والاقتصادية فى البلاد».

وقد اعترف المارشال تيتو بتلقائية الحركة ، ولكنه اشار الى ان « عناصر اجنبية » ساعدت على اثارة الاضطرابات ووصف هذه العناصر بانها « تتراوح بين اشد الاشخاص

رجعية واشدهم تطرفا » . الا انه اوضح ان ٩٠٪ من الطلبة شباب شرفاء « لم نلق اليهم بالا، بالقدر الكافى » . وقد اشارت « **الدى فيلت** » الالمانية بهذا الصدد الى ان تيتو يقصد بذلك انصار « **جيلاس** » الزعيم اليوغوسلافى السابق ، وانصار الزعيم الصينى «**ماوتسى تونج**» ، واوضحت انه « لايجوز التهوين من تأثر الطلبة اليوغوسلاف بتعاليم وافكار ماوتسى تونج » خاصة وقد ألمح تيتو الى ان « النقد الموجه الى النظام الحالى منبثق من المعارضة اليسارية لا اليمينية » . ويرى عديد من المعلقين ان الشعارات التى يرفعها الطلبة والخاصة بالاسراع بتطبيق المزيد من الديموقراطية فى الحياة الاجتماعية ، والغاء جميع الامتيازات الخاصة التى تتمتع بها طبقة الملاك ، تقف دليلا على ان الحركة الطلابية قد ادت دفعة جديدة للصراع الاجتماعى والطبقى . وترى « الدى فيلت » « انه لن يبقى امام اللجنة المركزية ، الا ان ترد على الهجوم اليسارى ، باجراءات يسارية تتخذها ، وسيؤدى ذلك الى ان تتجه اللجنة كثيرا نحو اليسار » .

ومن الامور ذات الاهمية الخاصة بالنسبة ليوغوسلافيا المتعددة القوميات ، ان الطلبة اليوغوسلاف قد اكدوا خلال حركتهم ان المشكلات الحقيقية التى تواجه بلادهم، هى مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية، وان حالات التوتر التى حدثت مؤخرا بين القوميات ، كانت من عمل بعض الساسة القدامى العاجزين عن معالجة المشكلات الاكثر تعقدا . ورفضوا بشكل قاطع اى اشارة الى قيام نضالهم على أسس قومية .

الا ان الملاحظ ، انه برغم انصراف طلبة الجامعات الى دراساتهم ، الا ان طلبة كليتى الحقوق والفلسفة بجامعة بلجراد، والمعتبرين أكثر الطلبة «تطرفا» ابقوا على نشاط « لجنة العمل الطلابية » التى تواصل اجتماعاتها مرتين اسبوعيا ليباشروا تحقيق كافة المطالب التى دعى اليها الطلبة .

وعلى اية حال ، فالامر المؤكد ان الاغلبية الطلابية قد وثقت بعزم المارشال **تيتو** على اجراء الاصلاحات المطلوبة، خاصة وان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى كانت قد قررت تكوين « لجنة لدراسة مسائل الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى» فى يوغوسلافيا، وهى اللجنة التى اصبح الامل معقودا عليها فى اجراء الاصلاحات الديموقراطية والاجتماعية التى طالب بها الشباب اليوغوسلافى فى اول حركة عفوية قاعدية له منذ الحرب العالمية الثانية .

تشيكوسلوفاكيا

الامر الملاحظ فى حركة الطلبة التشيكوسلوفاك ان تحركهم قد تم عقب قيام اتحاد الكتاب فى تشيكوسلوفاكيا بعقد اجتماع طارىء ، وضع ضمن مطالبه افساح الطريق لمزيد من الحريات الديموقراطية فى تشيكوسلوفاكيا. وقد أعقب ذلك على الفور خروج الطلبة فى المظاهرات التى وضعوا ضمن شعاراتها عن الحرية والديموقراطية، شعارات اخرى تطالب بتحسين احوالهم المعيشية .. على أن عددا من المراقبين الاقتصاديين يرون ان رفع هذه الشعارات فى تشيكوسلوفاكيا لا يرجع الى أن هناك ازمة اقتصادية تعانى منها البلاد، وانما على نحو أصح، لان هناك طموحا لتحقيق قدر اكبر من الرفاهية .

والحقيقة ان وجود مؤسسة سياسية منظمة فى تشيكوسلوفاكيا على رأسها الحزب الشيوعى ، قد اتاح الفرصة للاستفادة من الضغط الطلابى من اجل الديموقراطية .

فقد تحرك **الكسندر دوبتشيك** وكان سكرتير الحزب الشيوعى السلافى ، على الفور ، وطرح مشكلة القومية السلافية ، فى اللجنة المركزية ومن خلالها ،طرح للمناقشة كافة الظروف السياسية والاقتصادية فى البلاد . وقد استطاعت المعارضة القوية لحكم نوفوتنى داخل الحزب ، ان تسقطه، وتزيد من كشف الاخطاء التى ارتكبت فى عهده .

وقد اوضح بيان اللجنة المركزية للحزب الذى صدر عقب اجتماعها فى الاسبوع الاول من يونية الماضى ، « انه لن تكون هناك عودة الى الظروف السابقة التى كانت سائدة تحت سلطة **انطونين نوفوتنى** او الى الاحوال الرأسمالية التى كانت سائدة قبل عام ١٩٤٨ » واضاف « اننا نزيل العوائق السياسية ، حتى يستطيع جميع المواطنين ، بغض النظر عن معتقداتهم السياسية او قوميتهم أو معتقداتهم الدينية، ان يملكوا قدرا متساويا من امكانية تأكيد انفسهم طبقا لمقدرتهم على العمل » .

والحقيقة ان تصريحات دوبتشيك المتتالية عن الانفتاح الديموقراطى فى تشيكوسلوفاكيا، بالاضافة الى بيان اللجنة المركزية انما تكتسب اهمية عملية ازاء مشكلات المجتمع التشيكوسلوفاكى الحالية، خاصة اذا علمنا ان انتشار ظاهرة عدم الرضى بين الشباب ، محورها الاساسى هو المطالبة بديموقراطية تسمح لاصواتهم ان تصل الى الهيئات الحاكمة .

ولكن ضعف الوعى والادراك من جانب بعض عناصر الشباب، بالاضافة الى الجهود المغرضة التى يقوم بها عدد من المجموعات التى توصف نفسها «بالليبرالية» فى الحزب ، قد دفع عددا معينـ

من الجيل الجديد الى تصور خاطىء هو أن العيب فى الاشتراكية ، بينما المسألة فى حقيقتها أخطاء تطبيق ، ومن هنا تنبع الاهمية الخاصة للجهود التى تقوم بها مجموعة دوبتشيك داخل الحزب على أساس التنديد والاستنكار لاخطاء الماضى ، وهو الشرط الضرورى اللازم اليوم هناك ، لرد الاعتبار الىفكرة الاشتراكية ذاتها .

على أن من أهم ما يلاحظ على حركة الشباب فىتشيكوسلوفاكيا هو ان القوى المتصارعة داخل الحزب وخارجه ، تعمل جميعها بدأب على استمالته الى صفها الامر الذىكان لهنتائج سيئة على وحدة الشباب . وأبرز مظاهر ذلك الوضع، تفتيت الاتحاد العام للطلبة الى اتحادات وظيفية ، بمعنى تكوين اتحاد زراعى وصناعى الخ ، الى جانب الاتحاد العام . ولكن اذا كان من الممكن ضمان بعض الوحدة للطلاب حتى فى مثل هذا الاطار ، فان أخطارا أكبر على وحدة حركة الطلبة والشباب، تأتى من ناحية الحزبين العاملين فى الجبهة الوطنية مع الحزب الشيوعى ، اذ يعمل كلمنهما على تكوين منظمة شباب خاصة به ، مما يؤدى بالحتم الى تفتيت وحدة الطلبة .

ومع ذلك فان الصراع بين العناصر الثورية المختلفة داخل الحزب ، والعناصر «المحافظة» و « الجامدة » ، بالاضافة الى التطلعات الديموقراطية للشباب، وتأثير حركته العامة ، كل تلك كان لهااثارها على جهود الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى الفترة الاخيرة . وفى هذا الاطار يوضح سكرتير الحزب **دوبتشيك** « اننا نجرى تحليلا نقديا لنواحى الفشل فى عمل الحزب ، ونبحث عن الطريق الكفيل بضمان تطور متنام ومتصاعد للاشتراكية . اننا نريد أن نثبت انالحزب الشيوعى قادر على ان يبدأ بنفسه ،ويقدم تحليلا نقديا لنشاطه ، وانه قوى بالفعل ، بحيث يضمن اجراء التجديد الخاص به ، ان التحويل الديموقراطى فى بلادنا، اشتراكى الطابع تماما » .

كذلك فقد بدىء فى اتخاذ الاجراءات الكفيلهبتأكيد ضمانات حريه الراى والتعبير ، خاصة وقد اقترح برنامج العمل الذى اصدره الحزب الشيوعى تقسيم اجهزة امن الدولة الى وحدتين مستقلتين ، احداهما للدفاع عن الدولة ضد اعدائها فى الخارج ، والاخرى للمحافظة على الامن العام ومكافحة الجرائم فىالداخل . . كذلك تضمن استقلال المحاكم عن اية عوامل سياسية ، والغاء الرقابة « الاولية » على الصحف والسماح بحق السفر والاقامة فى الخارج ، كما اقر قانونا جديدا لانتخابات تجرى فى نهاية هذا العام على اسس اكثر ديموقراطية تتيح مزيدا من الحرية فى اختيار المرشحين ، بالاضافة الى العمل لاقامة نظام برلمانى أكثر قوة ، واعطاء قدر أعظم من الحيوية للجمعية الوطنية . وهكذا فان ضمان وجود قنوات موصلة لوجهات النظر الشبابية والطلابية والشعبية عامة الى الهيئات الحزبية القيادية ، يمكن ان يكون له اثار مباشرة على تحقيق المطالب الديموقراطية التى دعا اليها الطلبة والشباب .

بولندا

اختلفت حركات الاضطراب والمظاهرات التى قام بها الطلبة والشباب فى بولندة فى مارس الماضى عن الحركات الاخرى فى القارة الاوربية ، سواء كانت فى الغرب الاوربى ، أو فى الشرق فى تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ، لانه اذا كانت حركات الشبابفى الغرب (وبخاصة فى فرنسا والمانيا الغربية) — فى مجملها العام — دعوة تقدمية معادية للرأسمالية ، واذا كان الطابع الغالب على حركات الشباب فى الشرق فى تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ، دعوة للاصلاح الديموقراطى والسياسى والاجتماعى فىالحياة الاشتراكية ايضافان مظاهرات واضطرابات الطلبة البولنديين كانت دعوة لردة معادية للنظام الاشتراكى لعب الدور الاساسى فيها يمين رجعى صهيونى . ذلك أن بقايا الاسر البورجوازية الثرية بالاضافة الىالعناصر الصهيونية التى ثبت أنها تدين بولائها الاول لاسرائيل لا لبولندة ، هى التى اقدمتعلىالتحرك وتوجيه حركة الطلبةالبولنديين فى العاصمةنحو هذه الوجهة . وان كان ذلك لا ينفى ان عددا من الشباب الوطنى انحرف لهذه الحركة بدوافع وطنية ، واستجابة لشعارات وطنية عامة وجدتفى نفسه استجابة فورية لها .

الا انه لما كانت هذه الحركة قد اتسمت بالعداء للنظام الاشتراكى ، لذا كان منالطبيعى ان تلك الوعود بالاصلاحاتالتى قدمتها الهيئات الحاكمة للطلبة فى البلاد الاخرى ، لم تتكرر هنا فى بولندة ، بل على العكس اتخذت حكومة الرئيس **جومولكا** موقفا هجوميا على النشاط الارتدادى الصهيونى الذى يستخدم الطلاب وسيلة له ، واقدمت على اجراء تطهيرشامل فى كافة مناحى الحياة البولندية للعناصر الصهيونية والرجعية .

وقد كشفت حركة الطلبة البولنديين ان العناصر الصهيونية ومن يؤيدونها، نجحت فى احتكار الحركة والتوجيه فى مجالات الحياة البولندية المختلفة خاصة فى مجالى التعليم والاعلام، كما كشفت عن فقدان القوى الممثلة لمصالح الشعب البولندى الحقيقية لكثير من مراكز التأثير العسكرى والاجتماعى فى البلاد،

والحقيقة ان عوامل تاريخية معينة تكمن وراء هذه الاوضاع، اولها الوضع الممتاز « الذى اصبح يتمتع به اليهود الذين ظلوا على قيد الحياة بعد ابادة النازى لحوالى المليونين من يهود بولندة ، اذ تمتعوا بهذا الوضع الممتاز » كرد فعل لاضطهاد النازى لهم وابادتهم بالجملة. حتى اصبحت اليهودية جواز مرور للمناصب الهامة اذ اصبحت مرادفة للتقدم فى مفهوم الكثيرين. وثانيها ان بعض العناصر اليهودية قد احتلت بالفعل مراكز كبيرة فى قيادة الحزب الشيوعى البولندي ، من ابرزهم فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية جاكوب برمان المسئول عن ايديولوجية الحزب ، وعن جهاز المخابرات ، ومنظمات الشباب ، والاستاذ مينز المسئول الاول عن الاقتصاد البولندى فى هذه المرحلة.

وبعد عودة جومولكا سنة ١٩٥٦ واجراء تصحيح لكثير من الاوضاع داخل الحزب وابعاد كثير من العناصر اليهودية المنحرفة ، الا ان عناصر يهودية اخرى استمرت فى عملها المناوىء للديموقراطية والاشتراكية ، واخذت تستغل التقاليد الديموقراطية للجامعات البولندية القائمة على احتفاظ الجامعات باستقلالها ، للحفاظ على ماحققته من هيمنة واحتكار للسيطرة على المجالات ذات الاثر المباشر على توجيه الفكر الاجتماعى بين الشباب ، خاصة، مجالات الفلسفة والاقتصاد والقانون « واخذت تنشىء من مناهجها العلمية على رأس الجامعات مركزا لاشاعة فكرية معاكسة لخط الثورة الاجتماعى، ولتشجيع المفهومات المتعصبة والقومية العتيقة ولتمييع الايديولوجية الاشتراكية ، ولبث العداء للاتحاد السوفيتى ، وللانبهار بالغرب وبقيمه وفكريته، ومناهضة موقف الحزب الشيوعى البولندى فى كشفه السياسة العدوانية الالمانية الغربية بشكل خاص .

وثبت ان هؤلاء الصهيونيين كانوا يعملون بتنسيق كامل من خلال قيادة تنظيمهم فى نيويورك — مع الاستعمار الامريكى .

وقد انضم لمجموعة الاساتذة الجامعيين الذين لعبوا دورا فى احداث مارس الماضى ، اعضاء « نادى بابل » التابع للجمعية اليهودية الثقافية البولندية. على انه اذا كان النشاط المعادى لهؤلاء جميعا يعمل على السريان فى المجتمع البولندى دون ان يكشف نفسه بشكل صارخ ومفضوح ، لذا فقد اسفر عن نفسه بوضوح ظاهر فى الفترة التالية لانتصار اسرائيل العسكرى فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، اذ انفجر هذا النشاط فى صورة مظاهرات معادية صراحة للسلطة الاشتراكية التى اتخذت موقف الادانة الكاملة للعدوان الاسرائيلى . هذا وكان راديو « اوربا الحرة » الاستعمارى يعمل على تأجيج المظاهرات بتوجيهاته المثيرة ، ولم يتوقف الصهيونيون منذ يونيو ١٩٦٧ عن اثارة المشاكل للحكومة البولندية سواء من داخل النظام مستعينين بمراكزهم القيادية، او من خارجه مستعينين بالضغط الاقتصادى الامريكى ، وحملة الاكاذيب الغربية . واخذت العناصر الصهيونية ، تمد يدها بالتعاون الى كل القوى التى لها ادنى مصلحة فى اسقاط النظام البولندى .

ولذا كان لابد للزعامة البولندية من مواجهة هذه العناصر المعادية واجتثاثها ، فقامت باجراء تطهير كبير فى الحزب والدولة والجامعات فصلت فيه ٩٧ من كبار اعضاء الحزب ، واستبعدت ١٤ وزيرا ونائب وزير ، و ١٢ مديرا من مديرى المؤسسات والمصالح الحكومية ، و ٣٠ من اساتذة الجامعات ، و ٢ من كبار علماء اكاديمية العلوم .

ويرى البعض ان هناك عدة اسباب وراء اتجاه حركة الطلبة والشباب فى بولنده فى مارس الماضى ، وهى العناصر التى قامت قوى الرجعية والصهيونية باستغلالها ، منها ان النظام خلال مايقرب من عشر سنوات ، لم يجدد نفسه بالقدر الكافى لتطعيم صفوفه بدماء جديدة ، حتى ان بعض مرتكبى الاخطاء ، استمروا فى مراكز سيطرة ونفوذ، كذلك فان الصحافة لم تكن تعبر تماما عن الجماهير ورغباتها ، فهى لم تنبه الحكومة الى الاخطاء المتزايدة من قبل البعض ، ولم تستطع اقناع الجماهير بسلامة موقفها ، كما وان نشاط الحزب الشيوعى فى دوائر المثقفين ، لم يكن بالقدر اللازم لمواجهة التطلعات الثقافية والفكرية للشباب .

والحقيقة ان تفجير هذه المشكلة ، قد اتاح لبولندة الفرصة للتخلص لاول مرة وبشكل حاسم من تلك المؤثرات الفكرية الضارة والمعوقة لانطلاقتها الصحية فى طريق البناء الاشتراكى . كذلك فشلت هذه الاضطرابات فى اسقاط حكم جومولكا ، او الاضرار بالعلاقات السوفيتية البولندية ، أو اجبار الحكومة البولندية على تغيير موقفها العادل من العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط .

ويجرى الحزب الشيوعى البولندي ، تمهيدا لمؤتمره الخامس ، دراساته للموقف وبشكل خاص حول نقاط محددة، هى مفهوم الديموقراطية والحرية ، وحرية التعبير والاجتماع والصحافة .. الخ فى المجتمع الاشتراكى على ضوء الماركسية اللينينية ، بالاضافة الى مناقشة قضايا الاقتصاد البولندى ، وقضية البحث عن وسائل جديدة للتطبيق الاشتراكى، وهى المسائل التى تحظى بأهمية اساسية فى جهود الحزب . هذا وقد اكدت صحافة الحزب الشيوعى فى الفترة الاخيرة ، اهمية الحرص على سيادة القانون ، وصون الحريات الفردية ، ومقاومة البيروقراطية والروتين، والاتصال الاكثر عمقا وصراحة مع اوسع جماهير الشعب .



٥

الحركة فى أمريكا اللاتينية

أمريكا اللاتينية

وفى أمريكا اللاتينية .. تمتزج صورة كاسترو وجيفارا بكثير من التفاصيل ، تفاصيل الحياة اليومية لكوبا ، المواجهة اليومية لمؤامرات الاستعمار واعداء الثورة .. والمواجهة اليومية للحصار الاقتصادى ومشاكل البناء الاشتراكى .. وتمتزج بطبيعة الحال بالنجاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تحققها الثورة الكوبية ..

والحقيقة ان الثورة الكوبية تمارس بالرغم من كل شىء نفوذا كبيرا فى أمريكا اللاتينية .

واذا كان كاسترو قد رفع شعار «كل السلطة للشباب» لاسباب موضوعية خاصة بكوبا ذاتها .. فان تجربة الاعتماد على جهود الشباب .. وتحميلهم مسئوليات السلطة تجتذب انظار كل شباب أمريكا اللاتينية وتمنحهم مزيدا من الثقة فى أنفسهم ..

ان كوبا تسلم نفسها للشباب .. هكذا تبدو الصورة عند أية محاولة للتأمل فى الواقع الكوبى .. ان اكثر من ٥٠٪ من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الكوبى يقل سنهم عن ٢٧ سنة .. وكثير من المناصب القيادية فى الحكومة والجيش واجهزة الادارة المختلفة يتولاها شبان يقل سنهم عن ٢٥ سنة ..

ويحاول كاسترو ان يشرح وجهة نظره ، فيقول فى خطاب له فى ٢٦ يوليو الماضى : « ان الشباب هم طليعة المجتمع التى يجب أن تحتذى ، ان مواقفهم اليومية تجاه الحياة وتجاه العمل وتجاه الثورة تؤكد ذلك ، وثمة أناس يتساءلون : لماذا نتحدث كثيراً عن السن ، اليس من الافضل أن نتحدث عن الطبقات؟ ان المتفقهين فى دراسة الماركسية يرددون هذا السؤال دائما ، ونحن نجيب عليهم ، اننا ونحن نتحدث عن السن ننهج المنهج الماركسى الصحيح ، فنحن نتحدث عن السن والطبقات معا » .

ويمضى كاسترو قائلا :
« يتعين علينا الا ننسى أن كل الجيل الذى عاصر انتصار الثورة قد تشكل تماما فى اطار وتحت نفوذ الافكار والاساليب والقيم الرأسمالية ، وحتى الطبقة العاملة ذاتها قد خضعت لتأثير هذه الافكار .. التى امتدت جذورها عميقة » .

صحيح ان ماركس يقول ان العمال والكادحين يشعرون بالكراهية ضد مستغليهم وان الطبقة العاملة هى الطبقة التى يسمح لها تكوينها الاجتماعى بفهم الاشتراكية ووضعها موضع التطبيق .. هذا صحيح تماما . لكن هناك حقيقة أخرى هى أن الطبقات الحاكمة تمارس نفوذها على عقول الناس جميعا ..

ولقد استطاعت الثورة أن تنزع من عقول الكثيرين بعض

تأثير الفكر الرأسمالى لكن الذى لاشك فيه أن عقول الشباب الصغار الذين تربوا فى ظل الثورة هى أكثر العقول نظافة من هذه الافكار ...

ثم ينتقل كاسترو الى المقارنة بين العمال ... وبين أفواج الطلاب والشباب المتطوعين فى مجالات الانتاج ...

« فالشباب يمثلون القوة الطليعية فى مجال الانتاج ايضا .. لماذا لان العامل يشتغل ثمانى ساعات فقط ... بينما الشبان المتطوعون يعملون ١٤ أو ١٥ أو ١٦ أو حتى ١٨ ساعة يوميا، وبلا أجر ..

ويضحك كاسترو قائلا « انهم لايطالبون بزيادة الاجور» ولابد أن العمال قد احسوا أنه يعرض بهم فوقف أحدهم ليصيح :

« لكن هؤلاء الشباب يعودون الى البيوت ليطالبوا بأضعاف ماكانوا يأكلون من طعام .. ولهذا فان آباءهم يطالبون بمزيد من الاجر »

لكن صيحة الرجل ضاعت وسط هتاف آلاف الحناجر الشابة »..

والحقيقة ان ثمة أسبابا موضوعية ، وربما كانت أسبابا ذاتية خاصة بكوبا وحدها هى التى فجرت شعار اللجوء الى الشباب ..

فهناك الازمة الاقتصادية الحادة التى تتطلب كثيرا من الجهد المتطوع بغير أجر .

وهناك آلاف الخبراء والمديرين والفنيين الذين هاجروا .. ولابد أن يحل محلهم عناصر شابة . وهناك المطالبة النشطة من جانب العمال بزيادة الاجور ، ولابد من مواجهتها بنموذج ثورى للتضحية .. نموذج يعمل ١٨ ساعة يوميا بغير أجر ..

ثم .. وهذا هو المهم .. التناقض بين مجموعة كاسترو وبين مجموعة الحزب الشيوعى الكوبى القديم .. التى لاترضى عن الاتجاه الكوبى فى السياسة الخارجية والتى ترفض موقف كوبا المتحامل ضد الاتحاد السوفيتى ، والتى تختلف مع كاسترو فى كثير من المواقف ، ولاسبيل لعزل هذه المجموعة الا بتصعيد الشبان ودفعهم الى أعلى مراكز السلطة فى الحزب والجيش والحكومة ..

وهكذا فان قليلا من التأمل للوضع فى كوبا يوضح لنا أن شعار **« الاعتماد على الشباب »** هو البديل لشعار **« عزل الكوادر القديمة »**..

واذا كان المصدر الاساسى لهذه القضية مصدرا كوبيا بحتا ، فان طبيعة الظروف فى أمريكا اللاتينية قد حولته الى شعار شامل للقارة كلها »

فكاسترو لايصطدم بكوادر الحزب الشيوعى الكوبى القديم وحده ، وانما هو يصطدم أيضا بمعظم الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية . فالشعار الكوبى « الثورة المسلحة هى السبيل الوحيد للنضال » هذا الشعار ترفضه كثير من الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية .. التى ترى أن شعار الثورة المسلحة ليس الشعار الوحيد ، وأن ثمة بلادا يمكن للعمل السياسى ان يحقق فيها نجاحا . وان مطالبة كاسترو برفض كل أشكال العمل العلنى فى ظل الديمقراطية البرجوازية هو موقف يسارى خاطىء ..

وثمة خلافات أخرى .. حول الموقف من السياسة الخارجية والاتحاد السوفيتى .. وحتى مع الاحزاب التى تمارس النضال المسلح تنشب خلافات حول أساليب العمل المسلح وتكتيكاته .

المهم أن النموذج الذى يقدمه كاسترو لامريكا اللاتينية ، هو الشباب والمدفع ... وهكذا تمتزج اسطورة جيفارا بصمود الثورة الكوبية بالشباب الذى يمارس السلطة ، بالحماس لاسلوب الرصاص ، برفض أسلوب العمل السياسى العلنى فى ظل الانظمة البرجوازية .. لتخلق تيارا وسط شباب أمريكا اللاتينية .. يتمرد على حكوماته .. وعلى قياداته التقليدية ويتمرد على الاحزاب الشيوعية «التقليدية» ويتطلع لشىء واحد ، بندقية ثم الانطلاق الى الجبال ..

هذا الجيل من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ سنة وبين ٢٥ أو ٣٠ على الاكثر يمثلون الزحف الجديد الذى يتخذ من جيفارا نموذجا يجب أن يحتذى ..

وقد برز الوجه الحقيقى لهذا الجيل فى مؤتمر « منظمة شعوب امريكا اللاتينية » الذى عقد فى كوبا فى اغسطس من العام الماضى . فقد سيطر على هذا المؤتمر ممثلو هذا الجيل من الشباب وعلى منصة الرئاسة فى المؤتمر لم يكن هناك شخص واحد يتجاوز عمره الثلاثين سوى اريسمندى احد سكرتيرى الحزب الشيوعى فى اورجواى . اما الباقون فشبان يتراوح عمرهم بين ١٦ سنة و ٢٥ سنة يمثلون الحركات المسلحة المنتشرة فى كل جبال أمريكا اللاتينية .

ومن على منصة المؤتمر عبر شباب أمريكا اللاتينية عن آرائهم واتجاهاتهم .

قال مندوب الدومينكان «ليس من الممكن أن نصف انفسنا بأننا طليعة ، اذا اكتفينا بمجرد الكلمات ، ان الواجب الوحيد لاى ثورى هو أن يصنع الثورة ، والطليعة هى التى لاتكتفى بالحديث عن الايديولوجية ، وانما تتحدث عن الايديولوجية وهى تعمل فى ميدان القتال .. »

أما مندوب بوليفيا فقد قال « اننا لانثق فى الكلمات المجردة ،

لانثق فى النضال الذى ينسكب على الورق، اننا نؤمن انه لاسبيل الى العمل السلمى فى بلادنا .. لاسبيل سوى النضال المسلح »

ويقف شاب عمره ٢٣ سنة يمثل فنزويلا يقول « ان القيادة الانتهازية للحزب الشيوعى الفنزويلى ترفض الكفاح المسلح ..تهزأ بالضحايا التى تقدمها.. تحاول أن تخدع الجماهير بخدعة النضال السياسى .. »

أما مندوب الارجنتين وهو أيضا شاب لايزيد عمره عن ٢٥ سنة فقد صاح من فوق المنصة « لاتخدعوا أنفسكم مرة أخرى بخدمة الديمقراطية البرجوازية ..لاديموقراطية فى ظل البرجوازية .. لامجال سوى الكفاح المسلح .. لاطريق سوى البندقية ..أما هؤلاء السادة الذين يفضلون أن يجلسوا فى المدينة ليأكلوا البفتيك ويستمتعوا بكل مباهج الحياة ، ثم يتحدثون عن الثورة فهم برجوازيون .. برجوازيون .. برجوازيون » .

انهم يتمردون على كل شىء ، على المجتمع القديم ، وعلى أساليب النضال القديمة ،ويفقدون الثقة والصبر ، ويرفضون الدبلوماسية والعمل البطىء .. ويرفضون الحلول الوسط ..

ونحن نخطىء لو تخيلنا أن هذا الشباب خاضع للنفوذ الفكرى لكوبا وحدها.. فهم خليط غريب من أفكار كاسترو وتروتسكى وماو وهم يهاجمون حتى كوبا ذاتها .. فما أن بدأت جلسات المؤتمر، حتى بدأت كوبا تعانى..

فالشبان الصغار الذين لايتطلعون الى أبعد من سلاسل الجبال التى تصلح مخابىء للثوار، والذين لايفكرون فى التوازن الدولى والعلاقات الدولية والارتباطات الدبلوماسية والمصالح الاقتصادية ، ويعتبرون الخضوع لذلك كله انتهازية ونفاقا .. هؤلاء الشبان سببوا لكوبا متاعب جمة فى المؤتمر ، فهم يطالبون بكثير من المواقف التى تحرج كوبا كدولة من تأييدها ..

لكن بالرغم من كل الخلافات فان كاسترو هو الزعيم النموذجى لهذا الجيل من الشباب والنموذج الكوبى هو الجنة التى يحلمون بها .

بل ان حركات الشبان هذه تملك بعض النفوذ على الفكر الكوبى نفسه .. فكوبا فى عزلتها القاسية لاتملك سوى أن تتطلع الى هذه الحركات وان تستند اليها، وان تمد لها العون وتستمد منها العون ..

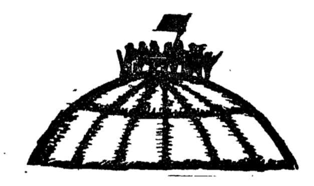
ولابد أن كاسترو وهو يعد خطاباته يفكر كثيرا فى اختيار الالفاظ والمواقف التى تعجب هؤلاء الشبان المنتشرين فوق ربى كل سلاسل الجبال فى أمريكا اللاتينية ..

وعندما وقف كاسترو ليلقى الخطاب الختامى من فوق منصة مؤتمر شعوب أمريكا اللاتينية.. بدا واضحا أنه قد تأثر كثيرا بالافكار التى رددها الشبان الصغار على منصة المؤتمر وفى جلسات لجانه الاربعة ..

وعندما اختتم كاسترو خطابه وقف الجميع يصفقون فى حماس دافق .. الا شخصا واحدا «اريسمندى» الرجل الوحيد الذى تخطى مرحلة الشباب ، ويسمح له بأن يجلس على منصة الرئاسة..

وصاح أحد الشباب « اريسمندى لايصفق لفيدل » وتطلع الجميع نحو اريسمندى الواقف فى ثبات على منصة الرئاسة ويداه مضمومتان خلف ظهره ..والتفت كاسترو اليه.. واستدارت عدسات التليفزيون وكاميرات المصورين لتسجيل الحدث الهام «اريسمندى لايصفق لفيدل كاسترو» .

واستمر هذا الموقف الحرج اكثر من عشر دقائق .. الشباب يصفقون فى حماس يحاولون احراج الرجل وآلاف الابصار تتجه اليه فى اصرار تحاول احراجه ايضا ، لكن يديه تبقيان مكانهما خلف ظهره .. معلنة أن ثمة جيلا آخر يقاوم .





ماهى الحرب ؟

طارق شرف

تنشر «الطليعة» ابتداء من هذا العـــدد ، سلسلة مقالات «عن الحرب» يكتبها « طارق شرف » . وذلك من واقـــع خبرته العملية ودراساته النظرية كرجل عسكرى .

ويقدم الكاتب من خلال هذه المقـــالات ــ عرضا وتحليلا ــ لماهية الحرب ، ونظرة عبر التاريخ لمدارس الحرب المختلفة ، والحرب العالمية الثانية ، والجيش المصرى فى ثلاث حروب . ويخصـــص المقال الاخير للاقتراحات التى يراها ضرورية من وجهة نظره لحربنـــا المشروعة ضد العدو .

وتقدم «الطليعة» هذه المقالات ، تنفيـــذا للخط الذى التزمت به ، وهو تقديم أرضية رحبة « للفكر العسكرى العربى » باعتباره جزءا لايتجـــزأ من المواجهـــة الحضـــارية والسياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية مع العدو الصهيونى الاستعمارى .

فى ضوء مامر به الوطن من احداث جسيمة ، وفى ظل الدور الذى قدر له أن يلعبه فى صـــنع التاريخ أبدا كتابتى عن الحرب. ولقد ظللت أؤجل كتابتى فى هذا الموضـــوع طوال الســـنوات العشر الماضية لانى أؤمن أن الذى يضغط على عقلـــه وقلمه لـــكى يـــكتب ، أو الـــذى يعتبر أن الكتابة فى موضـــــوع خطـــير مثل هـــــذا وســـيلة لكسب العيش ، لن يضع على الورق ســـوى كلاما غير مترابط ولايعبر عن المعـــانى الحقيقية التى يرغب فى نقلها الى عقول قرائه . وهنا أود أن أوجه النظر نحو نقطة أساسية فى دراسة الحرب : لقد تكلمت عن «عقل» الكاتب وعن «عقول» القراء . ولم أتعرض ــ ولن أتعرض ــ للنواحى العاطفية . ففى دراســة الحرب ليس هناك للعواطف اى مجال فالموضوع اخطر وأدق من أن تتدخل العاطفة فيه . بل هو تقدير رياضى بحت لانه يتعلق بالوطن، ولذا فان اى خطأ عاطفى قد يؤدى لعواقب وخيمة للغاية .

والحرب عموما هى تجميع للخبرات الانسانية، وتنصهر فى أتونها كل عناصر أمتياز ، وتقدم الدول. ولقد كان وطننا فريسة للمعتدين الاجانب طوال تاريخه الطويل . ورغم أنه حقق فى بعض العصور انتصارات رفعت من شأننا بطريقة متقطعة على مر هذه السنين ، الا أننا لم نتمكن من ايجاد مدرسة للفكر العسكرى المصرى منذ زوال الامبراطورية المصرية الحديثة، التى أقامها الفراعنة العظام . ومنذ أن اجتاحت الاعاصير المعادية التراث العسكرى العربى الاسلامى . ظل حالنا فى هذا المجال الحيوى من مجالات النشاط الانسانى على جموده وركوده . وكان هذا من دوافعى للكتابة . كما أنى ارجو ان أتمكن من وضع الحرب من ناحيتها العلمية فى متناول كل قارىء بالعربية لكي يستطيع مجتمعنا الناهض وأسرتنا العربية الكبرى التى تحاول تحقيق تجميع طاقتها مواجهة مقاومة عنيفة وشرسة فى جميع المجالات ومنها المجال العسكرى — ان يواجه تحديات اعدائنا .

وهنا أود أن أشير لسطر واحد فى مقدمة كتاب المؤرخ فلتشر برات : «معارك غيرت وجه التاريخ»

The Battles that Changed History

وفيه يقول . «أهم مظاهر الثقافة الاوروبية الغربية كانت فى قدرتها على تحقيق نتائج حاسمة بواسطة العمل العسكرى».

وآخر ماسأتكلم عنه فى تقديمى هذا ، هو طريقتى فى الكتابة . وهو عنصر مهم حيث انه المفتاح الذى يستطيع به القارىء ان يتابع الاسلوب بسهولة : هناك ثلاث نقط بارزة فى الاسلوب: أولاها انى سأقدم الموضوع بطريقة أقرب للحديث منها للبحث العلمى، وهذا يقودنا للنقطة الثانية وهو رجائى ان يغفر لى القراء استطرادى فى كثير من الاحيان مما قد يؤدى لشعوره بخروجى عن الموضوع .

اما النقطة الثالثة فهى اهمها على الاطلاق، وهى **اعتبار التاريخ العسكرى المصدر الاساسى للعلم بالحرب** ، وذلك بشرط تقديمه بطريقة سليمة وموضوعية . وتاريخ البشر يزخر بتجاربهم الوحشية . ومن هنا فسنستطيع على الدوام أن نعثر على تجارب تمت تحت ظروف تشابه الظروف التى قد نواجهها فى اى مرحلة من تاريخنا . ولا أدعى بالطبع انها ستكون «الحل» على الدوام ، ولكن دراستها ستساعدنا على ايجاد أحد أسس هذا الحل . ويؤكد اهمية دراسة تاريخ الحروب ان كل القادة العظام ومن ورائهم المفكرون العسكريون العباقرة قد أجمعوا على ان مبادىء الحرب ثابتة ، والذى يتغير هو تفاصيل اساليب التطبيق . وهنا اترك لعلماء الرياضيات المجال لافهام المهتمين بهذه الشئون كيف يمكن حساب وتقدير المتغيرات بوسائل رياضية بدائية للغاية.

ومما يجعلنى اتمسك باعطاء هذه الاهمية لدراسة التاريخ العسكرى بتمعن ، هو ان الحرب فى العصور الحديثة اصبحت تضم نواحى نشاط متعددة تجعل عدد العلوم التى يلزم دراستها من التعدد كما ، ومن الجسامة كيفا ، بحيث لايمكن لفرد ان يلم بها كلها بالفعل — وهنا نضطر للجوء للتخصص . وهذا مسموح به فى المجال العسكرى على مستوى القيادات الصغرى ، أما القيادات الكبرى لابد وان يكون لديها القدرة على استيعاب الموقف الكلى فى شموله . ويكفى ان نقرأ مقالة « **اللواء تشريد نيشينكو** » فى عدد مجلة العلوم العسكرية السوفيتية الصادر فى اغسطس سنة ١٩٦٧ وموضوعها «**الاسلوب العلمى للقيادة**» والذى يحلل فيها بحث قدمه «**الماريشال زاخاروف**» رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة فى الاتحاد السوفيتى لكى نستطيع تقدير العلم الذى يجب ان تتمتع به القيادات الكبرى .

ويضاف الى هذا أنه من الصعب أن يستوعب الدارس ، علما نظريا بحثا يقدم نظريات جامدة لاحياة فيها . بل ان النظريات العلمية بمجرد أن ينتهى الشارح من عرضها يقدم فى ذيلها مباشرة مثلا أو أكثر عن طريقة تطبيقها . وبالنسبة للحرب فان هذه مسألة حيوية : فعندما ندرس مبادىء الحرب ونضعها فى قوالب صماء ونحاول أن يستوعبها الدارس دون فهم حقيقى لاساليب تطبيقها التى تختلف باختلاف الظروف ، فان هذا لايمكن بحال ان يؤدى لنفس القدرة على الاستيعاب الذى نتوصل اليه من تقديم معارك تاريخية قادها جنود يحملون أسماء طنانة فى ذهن الدارس ، ونحاول أن نفهمه من خلالها أسلوبهم فى المزاوجة بين تقدير الظروف والمواقف المختلفة بالنسبة لتطبيقهم المبادىء . وباختصار فان الافضلية على الدوام فى تدريس الحرب تكون للتمثيل من واقع التطبيق التاريخى . ويقول «**الجنرال فوللر**» وهو من أكبر الباحثين العسكريين المعاصرين فى مقدمة كتابه الاخير : «**ادارة الحرب**» Conduct of ular ان الجندى أو الرجل العسكرى قد يقضى مدة خدمته كلها دون ممارسة فعلية لمهنته بالمقارنة بالطبيب مثلا الذى يمارس تخصصه بطريقة يومية. وهنا نجد أن الوسيلة الوحيده لضمان استمرار اتصال الجندى بالواقع يكون عن طريق دراسته المستمرة للعمليات التى دارت فى الماضى . ورغم كل هذا فيجب أن نضع فى تقديرنا التوازن الذى يجب الحصول عليه بين الدراسة النظرية والتطبيق العملى اهم . أما بالنسبة للقيادات الكبرى فالعلم للمستويات الصغرى فى الجيوش ، يكون التطبيق العملى اهم . اما بالنسبة للقيادات الكبرى فالعلم النظرى يتقدم على التطبيق ، ولكنه فى الواقع يكون مستندا للتطبيق والخبرة العلمية للقائد التى حصل عليها أثناء خدمته كضابط صغير .

والآن أبدأ في الكلام عن موضوع اليوم : **ماهي الحرب ؟**

هل هى علم أم فن ؟ وبالطبع يمكن الاجابةبأن هذا ليس بسؤال لانه يمكن القول عنها بأنها علم في دراستها ، وفن في التطبيق . ولكن اليس هناك من يطبقون العلم مستندين الى أساليب محددة تحديدا صارما مثل العمل في معمل للكيمياء . وانا أقول انها فى تطبيقهاعلم للانسان العادى،و فن بالنسبة للعبقرى الموهوب . وهذه هى الاجابة بدون تعليق على كل من سألوا عن المفاضلة بين **((مونتجمرى))** و **((روميل))** مثلا . ولكني أؤكد ضرورة دراسة النواحي العلمية البحتة حتى بالنسبة للموهوب أو العبقرى . فالخروج عن القواعد دون معرفة دقيقة بها عملية خطيرة للغاية لاننا لن نعرف مايدور فى « الجانب الاخر من التل » اى فىصفوف العدو .

ولكل دولة على المستوى الاعلى « نظرية حرب عامة» تحددها العوامل التالية :

- النظرية السياسية للدولة .
- النظرية الاقتصادية للدولة .
- النظرية الاجتماعية للدولة .

وتسمى هذه النظرية أيضا : بالاستراتيجية العليا للدولة ، وواضح ان المقصود بها استخدام كل موارد الدولة لخدمة الاغراض العسكرية للدولة .

ولكنى لن اتكلم عن هذه النقطة ، وانما هناك الناحية العسكرية البحتة للحرب ،وهي ماأحاول ان اقدمه فى هذا المقال ، وهى تشمل جانبين : الجانب الإستراتيجي والجانب التكتيكى .

فما هي الاستراتيجية ؟

أفضل من كتب عنها بدون جدال هو **((ليدل هارت))** فى كتابه الممتاز Strategy وهو يقول عنها ما يلي « عرف كلاوزفيتز الاستراتيجية بأنها **فن استخدام المعارك كوسيلة للتوصل لتحقيق الغرض من الحرب** . ولكن هذا التعريف يعيبه انه يدخل بها فى مجال السياسة او الاستراتيجية العليا . كما يعيبه انه يضيق معناها الى مجرد استخدام «المعركة» وحدها، وبدا يؤدى الى أن المعركة هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية الاستراتيجية . وهذا أدى الى أن دارسي كلاوزفيتز غير المتعمقين خلطوا الغاية بالوسيلة وتوصلوا الى ان المعركة هي العنصر الاساسى في الحرب وكل شيء عداها أمر ثانوى . اما فون مولتكه فقد توصل لتعريف افضل واكثر حكمة :

الاستراتيجية هى المزاوجة العملية بين الامكانيات المتوفرة للقائد وتحقيق الغرض المرجو من الحرب»

ويخرج ليدل هارت بعد تحليل طويل لكل هذا الكلام بأن الاستراتيجية هي **فن توزيع واستغلال الامكانيات العسكرية لتحقيق الغايات السياسية. فالاستراتيجية لاتتعلق بتحريك القوات فحسب كما نقول عنها أحيانا وانما بأثر هذه التحركات ايضا .**

ثم يستطرد بعد هذا لكى يعرف لنا التكتيك بدوره من خلال تعريفه للاستراتيجية **عندما يصل استخدام الاداة العسكرية الى مرحلة القتال الفعلى (الاشتباك) فان ادارة وتوزيع أجزاء هذه الاداة تسمى ((تكتيك)) .والواقع ان المستويين متداخلين ولايمكن فصلهما الا على المستوى النظرى الاكاديمى .**

كلاوز فيتز ومفسروه

يعتبر الكثيرون ان **((كلاوز فيتز))** هو داعية الحرب الحديثة بل ونبيها. ولكن الواقع ان دارسو مؤلفه العظيم **((عن الحرب))** on War يجدون صعوبة كبيرة فى مجرد استيعابه ، وبالتالى فى تطبيق تعاليمه .

وهذا شيء طبيعي لان الكاتب نفسه يقول عن كتابه انه غير كامل ،وبالاحرى ليس بكتاب على الاطلاق . ويجب أن نذكر انه عبارة عن مجموعة من الكتابات عن كل مجالات الحرب . وقد استند فى افكاره كلها الى تجاربه العملية فى الحروب التى خاضها ضد نابليون فى مطلع القرن التاسع عشر. ويقول بعض الكتاب العسكريين ان الكثيرين من القادة الالمان العظام مثل **((لودندورف))** مثلا لم يستوعبوا افكار **((كلاوز فيتز))** بطريقة كاملة .

وقد قام **((كلاوز فيتز))** بتعريف الحرب فى مؤلفه الشهير على المستويين المادى والمعنوى :

فعلى المستوى **المادى** يقول: **الحرب عمل عنيف مقصود به ارغام العدو على الخضوع لارادتنا .** ويستطرد قائلا أن الوسيلة لاجباره على الخضوع لارادتنا هى تعجيزه عن مقاومتنا بتدميره او نزع سلاحه . وهنا تحتل الوسيلة مكان الغاية الاصلية وتصبح هى الغرض فى حد ذاتها .

وعلى المستوى **المعنوى** يقول : **الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى .** مؤكدا بهذا خضوع النواحي العسكرية للتوجيه السياسي وغلبة عنصر الحكم للدولة على عنصر القيادة العسكرية .

ويجب الحرص فى النظر لهذا التعريف لان اساءة فهمه من الجانبين المدنى والعسكرى يؤدى لاخطاء فادحة . فالمفكر لم يقصد بهذا تدخل الحكم المدنى فى تفاصيل ادارة العمليات العسكرية ، او ان على القيادات العسكرية الرجوع لحكوماتها فى كل أمر عسكرى هان شأنه أو كبر ، وانما عليها الخضوع للغرض الذى حددته الحكومة ، أما طرق التحقيق والتنفيذ فهى مسئوليتهم البحتة . وتفسير هذا الكلام لم يضعه فى أسلوب مفهوم سوى عدد محدود من الكتاب على رأسهم **((ليدل هارت))**. كما ان مذكرات **((الفيلد مارشال آلانبروك))** رئيس هيئة الاركان الامبراطورية خلال السنين الصعبة للحرب الثانية ، والتى يقدمها لنا المؤرخ البريطانى الشهير **((آرثر برايانت))**، تصور لنا بطريقة طريفة العلاقة بين حاكم قوى **(تشرشل)** وبين قياداته العسكرية ، وهى معادلة صعبة بالفعل .

واذا ما ضممنا لكتابات كلاوز فيتز التى ظهرت فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، مؤلفات **((جومينى))** الضابط السويسرى الاصل الذى خدم مع جيوش نابليون تتوفر لدينا صورة كاملة عن مدارس الفكر العسكرى خلال هذه الحقبة . ووجدت هذه الحصيلة من الفكر أفضل تطبيق لها على ايدى رجلين عظيمين وكلاهما بروسى : ففى المجال العسكرى بزغ نجم هذه الدولة على يد **فون مولتكه الكبير** الذى ضم فكرة كلاوز فيتز الى ماحققته اصلاحات **((شارنهورست))** و **((جنايزناو))** فى الجيش البروسى بعد هزيمته الساحقة أمام نابليون فى ١٨٠٦، فى معركة يينا . وبعدها بخمسين عاما تضافرت هذه الاصلاحات وهذا الانتاج الفكرى على ايجاد الجيش البروسى الممتاز الذى حقق لبروسيا انتصارات باهرة ضد النمسا ثم ضد فرنسا . وأخيرا كان العنصر الفعال فى اقامة الوحدة الالمانية على ايدى **غليوم الاول** امبراطور المانيا وخادمه العظيم **بسمارك** ((المستشار الحديدى)) .

ومن الطريف أن **مولتكه** قد خدم قبلها كمستشار عسكرى للصدر الاعظم العثمانى فى حروب تركيا ضد «ولايتها» مصر على أرض الشام ، وانتصرنا فيها بجيشنا من الفلاحين نصرا ساحقا على الجيش العثمانى . ومن أهم العوامل احساس البروسيين ومن بعدهم الالمان بوضعهم الحرج بين جيرانهم الاقوياء الذين يحيطون بهم من ثلاث جهات : روسيا للشرق والنمسا للجنوب وفرنسا للغرب . وهنا اترك للقارىء المجال للمقارنة بين موقف بروسيا واسرائيل مع حساب المتغيرات السياسية والقومية والاقتصادية ، وقصر المقارنة على السلوك السياسى والعسكرى للاثنتين .

ويقول البعض ان كتابات **((كلاوز فيتز))** قد اصبحت عتيقة وغير ذات موضوع فى عصرنا هذا ، وأنا أقول ان هذه الكتابات اذا ماضميت اليها تعاليم **((ليدل هارت))** و **((فوللر))** لم تصبح ذات موضوع بالفعل الا بعد نظريات التطوير الاقتصادى التى تيسر تحقيق اكبر قدر من الاكتفاء الذاتى ونتائج التطور التكنولوجى من حيث آلة الاحتراق الداخلى فى أرقى صور استخدامها : الدبابة والطائرة ، بل وعربات هوفر «وسادة الهواء» وما تيسره من حيث امكان عبور أى موانع أرضية أو مائية .

وقد قال كل القادة العظام الذين برزوا فى الحرب العالمية الثانية امثال **((روميل))** و **((جوديريان))** و **((مانشتاين))** من المانيا و **((مونتجمرى))** و **((هوبارت))** و **((ويفل))** من انجلترا و **((باتون))** من امريكا ، أنهم تلاميذ لليدل هارت وفوللر ، وانهم يدينون بأغلب أسباب امتيازهم لقراءاتهم للانتاج الفكرى لهذين الرجلين .

واود أن أسجل من جانبى ان هذا ليس تقليلا من شأن القادة الممتازين الذين ظهروا فى صفوف جيوش الاتحاد السوفيتى الصديق امثال **((جوكوف))** و **((روكوسوفسكى))** و **((بافيل روتميستروف))** ، ولكنى أركز هنا على مدرسة الفكر التى نواجه تلاميذا لها اليوم . وذلك يسهل لنا معرفتهم وتقدير أسلوب تفكيرهم والقدرة على التنبؤ بنواياهم الى حد كبير . ويجب على ايضا ان اشير الى ان المدرس الحقيقى لاسرائيل ليس **((موشى ديان))** ولا حتى **((اسحاق ساديه))** مؤسس قوات الهاجاناه التى كانت نواة للجيش الاسرائيلى الحالى ، وانما هو الجنرال **((تشارلز اوردوينجيت))** البريطانى وهو من أتباع أسلوب ليدل هارت فى الحرب غير النظامية ، واستعان أيضا بخبرات لورنس فى الحرب العالمية الاولى . وسأعود الى هذه النقطة فيما بعد فى باقى سلسلة هذه المقالات . فمن مشاهداتى أظن أن اسرائيل تقوم سياستها فى المجال العسكرى على دراسة نظرية الاقتراب غير المباشر التى نادى بها ليدل هارت فى كتابه **((الاستراتيجية))** Strategy **وفى المجال** التكتيكى يستعينون الى حد كبير بتعاليمه التى وردت فى كتابه **((ثورة فى عالم الحرب))**

« The Revolution in Warfare »

مع مزجها بنظرية الحرب الخاطفة الالمانية والاسلوب التنظيمى الامريكى المعتمد على مجموعات القتال وليس على التشكيلات الثابتة .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى يومنا هذا قامت نظريات الحرب فى العالم الغربى على أساس كتابات الاثنين ، واعنى بهما فوللر وليدل هارت .

وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على كتابات ليدل هارت نتحول لفوللر وهو يقول عن الحرب : اننا عندما نبسطها لاصغر صورها وهى الصراع بين

فرديين نجد ان كل ما يفعلانه يتحضر في ثلاثة اسس واضحة : وقاية - ضرب - حركة .

وهو يسمي وسائل الوقاية والتسليح (او الضرب) والحركة بالعناصر المادية للحرب ، وانه باستخدامها كلها سويا نصل الى التكتيك ، او فن القتال . ولكنه يضيف ان عناصر الحرب الثلاثة مترابطة ولايمكن فصلها (كما لايجب فصلها) . وهو يتكلم عن الحركة فيضعها في ثلاثة مستويات: استراتيجية (سير اقتراب) ، تكتيكية (هجومية) واخيرا تحركات ادارية .

وعن الضرب يقول ان كل الاسلحة تنقسم الى قسمين : اسلحة رماية ، واسلحة صدم Shock and fire او يمكن القول بانها اسلحة منتجة للنيران بواسطة المقذوفات التى تخرج منها واسلحة التحام للقتال القريب .

وعن الوقاية : فالحركة تيسر استخدام السواتر الطبيعية في الارض وهي في حد ذاتها لاتعطي العدو الفرصة لكي يركز نيرانه في منطقة تواجد الهدف طالما تحرك باستمرار .

والان نتكلم عن مبادىء الحرب . وهي غير متفق عليها في مدارس الحرب في الماضي والحاضر . وافضل مايمكن عمله هو تقديمها كتجميع للاراء في قالب واحد :

١ - المعلومات : عن كل مايدخل في تقدير الموقف في الحرب من جانبنا وجانب العدو . وعدم توفرها يجعلنا كاعمى يقاتل بصيرا .

٢ - المفاجأة : وقد تكون استراتيجية مثل هجومنا على العدو في وقت ومكان غير متوقعين، او تكتيكية مثل استخدام سلاح لا يعلم عنه العدو شيئا .

٣ - خفة الحركة : وهي القدرة على التحرك في اي اتجاه دون التقيد بانواع الاراضي والعوائق وعدم استخدام تشكيلات وتنظيمات اثقل من أن نستطيع تغيير اتجاهها بسرعة .

٤ - السيطرة : وتقوم على عدة عوامل منها: الضبط والربط وهو التزام كل الرتب بحدود قاطعة في اصدار الاوامر واطاعتها وتنفيذها - والتدريب الممتاز - وقوة شخصية القائد وثباته العصبي ومعرفته الدقيقة بواجباته .

٥ - المرونة : القدرة على التكيف مع اي ظروف طارئة غير داخلة في الحسبان اصلا .

٦ - الحشد : تجميع القوة وعدم بعثرتها . وافضل مايمكن ان تتمثل به في هذا المجال هو المثل الانجليزي الشائع : «لو حاولت ان تكون قويا في كل مكان فلن تكون قويا في أي مكان» .

٧ - التعاون : عمل كل الامكانيات البشرية والمادية كفريق واحد مترابط .

٨ - الاقتصاد في القوى : استخدام الحجم الملائم من القوات لاي عملية ، مع وضعنا في الحسبان «فائض الامان» ، اي أن تقديرنا للعدو ليس دقيقا كل الدقة .

٩ - المحافظة على الغرض : عدم تغيير النوايا والخطة اثناء سير العمليات دون عذر قاهر للغاية

١٠ - الامن : وهو الجانب السلبي للمعلومات اي منع العدو من الحصول على معلومات عن قواتنا .

١١ - الشئون الادارية : ضمان اعاشة القوات والمعدات وامدادها اثناء سير العمليات.

١٢ - اضاف بعض المفكرين المعاصرين عنصر السيطرة الجوية لمبادىء الحرب .

والان لنتكلم عن نقطة هامة : ملاءمة اهل بعض المناطق لاغراض الحرب ، وعدم ملاءمة البعض الاخر لها . او بالاحرى ملاءمة اهل الوديان الزراعية لاغراض القتال بالمقارنة باهل الجبال والصحارى . ولن اكلف نفسي عناء الرد على هذا الكلام الا بامثال من واقع التاريخ العسكري . لقد هزم أجدادنا الفلاحون ، الجيش البريطاني في رشيد ، وهزموا الجيش العثماني الجبلي في الشام هزائم نكراء ، ثم عادوا ليهزموا الجيش البريطاني في كفر الدوار ، واخيرا فلنتذكر حصار الفالوجة في ١٩٤٨ . وليقل البعض بعد هذا ان الفلاح غير مستطيع استيعاب الالات الحديثة التى اخرجها التقدم التكنولوجي . فمنذا الذي يقود الجرارات الميكانيكية في الحقول ، ويستخدم آلات الجني والحصاد ؟ واذا كان المعلم خائبا فمن السهل عليه ان يقول ان التلميذ غير قادر على الفهم ، والحقيقة انه هو غير قادر على الشرح لالتزامه باسلوب اكاديمي اجوف ، بينما ينبغي عليه ان يستوعب العلم ثم يتفضل بتقديمه بالطريقة التى يضمن بها فهم التلاميذ وليس بالطريقة التى تريحه .

وهنا نخرج الى موضوع هام : ماهي الصفات اللازمة للمقاتل ؟

بالاضافة لاي كلام تحدده المراجع العلمية والتطبيق العملي الذي لابد من دخوله في الاعتبار، ارى أن اهم الصفات تتبلور فيما يلي :

١ — **وجود دافع قوى وايجابى :** مثل احساس المرء بأن شيئا عزيزا عليه فى خطر داهم،ويستدعى الامر ان يدافع عنه ولو بحياته . وهذا شعور لايمكن ايجاده بالكلام المنمق والحجج القوية لإنها لاتؤثر الا تأثيرا وقتيا يزول بسرعة .

٢ — **قوة الارادة :** التىتدفع المرء لتنفيذ مايعتقد بوجوبه للدفاع عما يهمه .

٣ — **الكبرياء والاعتزاز بالنفس:** مما يمكن المرء من مواجهة الموت والخوف .

٤ — **الضبط والربط :** وهو عنصر اساسى فى اى جيش ، وان اختلفت مظاهره . وعموما فانه يزداد شدة وقسوة كلما افتقرت الامة للتراث العسكرى المجيد .

٥ — **العلم باستخدام السلاح :** ولايجوز قبول مستوى اقل من الممتاز ، وليس هذا اغراقا فى المثالية . فالحرب نشاط اخطر من ان يتقبل افرادا غير ممتازين . وعدد قليل ممتاز خير من حشد ضخم جاهل . وعلى كل جندى ان يتعلم احترام سلاحه وقيمته . ولا اقصد بهذا قيمته المادية ، وانما شرف حمله السلاح وامتيازه على اقرانه من المدنيين بتقديمه روحه دفاعا عن الوطن .

٦ — **اللياقة البدنية والقدرة على التحمل :** بالتدريب الشاق المستمر .

٧ — **المباداة :** أو هى القدرة على تحمل المسئولية والتصرف او المرونة العقلية . وهى تتفاوت حسب واجبات الفرد ومسئولياته . وكل دولة لديها ضمن ابنائها رصيد يسمح لها باختيار انسب الموجودين لاى واجب فى صفوف قواتها المسلحة .

٨ — **الاتزان العاطفى :** ضمان عدم احساس اى فرد من افراد القوات المسلحة خلال اوقات السلم بالخوف او الاهتزاز تجاه قياداته وباقى المجتمع الذى يحميه ويضحى فى سبيله .

وواضح طبعا ان هناك معادلات صعبة يجب مواجهتها : فمثلا كيف ننمى الصفات الفردية المطلوبة دون أن تؤثر فى القدرة على العمل كفريق مترابط ؟ وكيف نعلم الشباب المباداة او القدرة على التصرف السليم دون توجيه وبغير مساس بالغرض الاساسى للخطة العامة ؟ وكيف ننمى الكبرياء والاعتزاز بالنفس دون أن نؤثر على مدى الاستجابة لما يفرضه الضبط والربط من طاعة ؟ وكيف نعلمهم التصميم وقوة الارادة بل والعناد دون أن نؤثر على مرونتهم العقلية ؟ وسأعود لهذا فى آخر المقالات القادمة .

وآخر ماأتعرض له فى مقالتى اليوم صفات القائد الناجح .

وأهم صفة فى القائد هى **قدرته على تحليل الارض بسرعة** . أو بمعنى آخر كيف يوزع قواته على الارض مستغلا شكلها فى جعلها تقاتل فى صفه . أو أن يضع نفسه بطريقة تجعل بداية المعركة فى صالحه باستمرار . فاستغلال الارض ساعدت كل القادة العظام فى الحصول على انتصاراتهم الباهرة .

كما يجب ان يتوفر فيه كل مايلى :

١ — تكريسه حياته كلها لمهنته وحدها ، واى شىء آخر يصبح ثانويا .

٢ — قوة الشخصية .

٣ — القدرة العلمية والكلامية التى تمكنه من معرفة نواحى الضعف فى وحدته ثم علاجها بسرعة .

٤ — تقديمه راحة أفراده ووحدته على راحته الشخصية .

٥ — ممارسة الاشراف المباشر على تنفيذ الاوامر التى يصدرها مع استعداده لان يقوم بعمل اى شىء يطلب من رجاله عمله .

٦ — غرضه الاساسى هو خدمة الله والوطن .

وهنا اقول ان هناك نوعين من الوحدات الميدانية اساسا :

● وحدات ثابتة (أو اقرب للثبات بما يفرضه عليه تنظيمها وتسليحها) : المشاة والمدفعية . ووحدات خفيفة الحركة : المدرعات والطيران والبحرية .

وبالنسبة للوحدات الثابتة فيجب أن يتميز قادتها بالعناد وقوة الشكيمة . اما الوحدات الخفيفة الحركة فانا اتمثل قادتها على الدوام مثل الجواد كريم الاصل الذى يدق الارض بحوافره رغبة فى الانطلاق ، واهم صفاتهم الاندفاع ،واغلب مشاهير قادتها ممن لايطيقون صبرا على تنفيذ مهامهم .

الديجولية بين المدّ والجزر



محمد سيد أحمد

هتفت المظاهرات التى اجتاحت فرنسا فى مايو الماضى بسقوط « الديجولية » . لكن ديجول اعلن فى ٢٩ مايو الماضى انه يقبل التحدى ، ولن يستقيل ، وسيظل فى الحكم . وردا على حركة احتجاج عارمة ، امتدت من اضطرابات الطلبة الى اوسع اضرابات فى كل تاريخ فرنسا الحديثة ، خاضها العاملون بمختلف مرافق الاقتصاد الفرنسي ، قرر ديجول التصدى للموجة بطرح الثقة فى نظامه ، وخرجت الديجولية من الاختبار باكبر فوز احرزته فى اى يوم منذ عشر سنوات عندما لجأ رينيه كوتى اخر رئيس للجمهورية الرابعة الى ديجول لتولى السلطة . وربما تبدو المفارقة فى اول وهلة مذهلة ، وهى تطرح قضية « الديجولية » كظاهرة اثارت كل هذه المعارضة ، ثم استطاعت ان تخرج من الازمة ، وفى مدة لا تتجاوز الشهر الواحد ، اقوى مما كانت . غير ان ابعاد الظاهرة لا يمكن استجلاؤها بقصر بحثها على فترة زمنية محددة ، مهما بلغت من اهمية . ومن الصعب ايجاد تفسير شاف لمجرى الاحداث خلال الشهرين الماضيين فى فرنسا ، واحتمالاتها مستقبلا ، دون التعرض لجذور « الديجولية » كظاهرة بارزة فى تاريخ فرنسا المعاصر ، وكمنهج فى الفكر يخدم مصالح محددة ، ونمط محدود من العمل السياسى .

الاساس الفكرى

وتستند الديجولية فى اساسها الفكرى قبل سياستها فى التطبيق الى تصور محدد للحكم ،

لخصه ديجول شخصيا في مؤتمر صحفي في ٣١ يناير ١٩٦٤ قال فيه : « يجب ان يكون مفهوما - وهذه حقيقة - ان سلطة الدولة التي لا تتجزأ، فوضها الشعب كلية الى رئيس الجمهورية بعد انتخابه ، ولا توجد سلطة اخرى ، لا وزارية ولا مدنية ولا عسكرية ولا قضائية ، يجوز قيامها او بقاؤها الا صادرة منه » . وفي هذا المفهوم للسلطة - الاقرب الى قول لويس الرابع عشر الشهير منذ ثلاثة قرون « الدولة هي انا » - يكمن الاختلاف الاساسي بين الذي يميز « **الديجولية** » عن « **الديموقراطية البرجوازية** » بمفهومها المألوف . ويكمن وجه الشبه بين « الديجولية » كظاهرة وبروز شخصيات في تاريخ فرنسا جسدت مرحلة باسرها، وطبعت ملامح المرحلة بسماتها الشخصية مثل نابليون الاول والثالث .

ويقوم هذا التصور للحكم في صياغته الحديثة على ان هناك مفهومين متعارضين ينبغي رفض محاولة التوفيق بينهما ، اولهما يستمد شرعيته من تحرك ديجول انقاذا لفرنسا بالنداء الذي القاه من راديو لندن في ١٨ يونيو ١٩٤٠ ، واعلن فيه رفض الهزيمة والاستسلام للاحتلال الالماني ، بعد ان غزت القوات النازية فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية . والمفهوم الثاني يستند الى النظام الحزبي ، وهو المسئول عن كل المساوىء التي تعرضت لها فرنسا منذ تاسيس الجمهورية الثالثة ، ويشير ديجول بصفته رجلا عسكريا بوجه خاص الى الانتكاسات التي عانتها فرنسا في الحرب العالمية الاولى وهزيمتها المنكرة في الحرب العالمية الثانية .

ويلاحظ ان ديجول عندما وقف يؤيد قيام تنظيم سياسي يلتف حول شخصه وسياسته ، لم يطلق عليه ابدا اسم « الحزب السياسي » ، بل كان التنظيم الاول الذي اسس في ابريل ١٩٤٧ بعد استقالته من رياسة الحكومة المؤقتة في ٢٠ يناير ١٩٤٦ يدعى « **اتحاد الشعب الفرنسي** » وبعد عودته الى الحكم في ١٩٥٨ ، اسس « **اتحاد الديموقراطيين من اجل الجمهورية الخامسة** » وكلاهما اقرب الى التجمع الواسع منهما الى الحزب السياسي بمفهومه التقليدي ، وان كان هيكلهما الداخلي قد اتسم دائما بانضباط صارم، وطاعة لا تحتمل الجدل لارشادات الزعيم وتوجيهاته .

وقد اثبت ديجول في اكثر من مناسبة انه لايقيم وزنا كبيرا **لقواعد « الديموقراطية البرلمانية » البرجوازية** . ففي ١٩٦٢ مثلا ، اقال الحكومة الاولى التي الفها - برياسة ميشيل ديبريه - بعد تنصيبه رئيسا للجمهورية ، دون تقديم اية اسباب ، ورغم ان هذه الحكومة حازت على الدوام ثقة الجمعية الوطنية باغلبيتها من انصار ديجول . وفي نفس السنة ، تمسك ديجول ببقاء وزارة بومبيدو في الحكم ، رغم ان الجمعية الوطنية صوتت ضدها . ومنع ديجول انعقاد احدى دورات هذه الجمعية الوطنية ، على الرغم من ان اغلبية بين النواب وقعت على طلب بعقد هذه الدورة ، عملا بمقتضى الدستور الذي وضعه ديجول نفسه في ١٩٥٨ . وبشكل عام ، تعكس هذه التصرفات موقف ديجول من كافة الاجهزة التمثيلية بما في ذلك مجلس الشيوخ وجمعيات المقاطعات والمجالس البلدية وغيرها .

ولكن ربما برزت صفة « **الديجولية** » **كحكم فردي** لا يأبه كثيرا بتحفظات اجهزة الحكم ومؤسسات الدولة ، في اصرار ديجول على اصدار قرارات تتعلق باخطر القضايا دون مجرد الرجوع الى حكومته او الجمعية الوطنية . فقد قرر ديجول وحده على سبيل المثال عدم اشتراك فرنسا في توقيع اتفاقية حظر تفجير القنابل الذرية في ١٩٦٣ ، وهي الاتفاقية التي وقع عليها الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا، ورفضت فرنسا التوقيع اسوة بالصين . من الدول التي تملك اسلحة ذرية .

الجذور التاريخية

ولا شك ان لشخصية ديجول دورا هاما في تحديد ملامح « الديجولية » ونظامها في الحكم ، ولكنها ليست العنصر الوحيد . وترتبط الديجولية في ملامحها ، وتعود بجذورها الى الملابسات الفريدة التي احاطت بقفز ديجول ليحتل مكان الصدارة على مسرح السياسة الفرنسية ، بعد ان تصدى في احلك لحظات الهزيمة لموجة اليأس القلابة ، وبرز كمنقذ يطالب بمواصلة القتال ورفض الامر الواقع ، بعد ان وقع بيتان وثيقة الاستسلام في ١٩٤٠ .

وكان ديجول قبل الحرب قد لفت النظر اليه في هيئة اركان حرب الجيش الفرنسي بارائه المبتكرة والجريئة عن كيفية مواجهة متطلبات الحرب الحديثة ، وهي اراء لم تحز موافقة أغلبية الضباط الكبار ، صانعي الهزيمة فيما بعد ، لقد طالب في بحث وضعه عن « فرنسا وجيشها » (١٩٣٨) بان يتشكل الجيش اساسا من وحدات ميكانيكية ومن مصفحات قادرة على المناورة السريعة بدلا من تركيز اغلب الجهود على تحصينات ثابتة مثل خط ماجينو . وكان مفهوم ديجول عن الجيش الذي ينبغي ان ينهض اساسا على خبراء يحمل البذرة الاولى لتصوراته اللاحقة عن المجتمع

الحديث القائم فى كفاءته على التكنوقراطيين ، والخالى من عوامل افساد، هذه الكفاءة بسبب المنازعات الحزبية العقيمة !.. وقد اثبت ديجول جدارة خاصة اثناء الايام الاولى من الحرب بصموده فى وجه الغزو الالمانى الخاطف على راس الفرقة الرابعة من المصفحات ــ وكان رئيس الوزراء بول رينو قد اولاه هذه المسئولية لاختبار افكاره فى التطبيق ، بعد ثبات فساد النظريات العسكرية السائدة .

الا ان انهيار الجيش الفرنسى فى ايام ، اجبر ديجول على التسليم بان السبيل الوحيد لمواصلة القتال هو الانسحاب من فرنسا الى انجلترا ، وخلق جيش من « القوات الفرنسية الحرة » التى تعتمد اساسا على قدرات فرنسا المختزنة فى مستعمراتها الواسعة . ورفض معظم قادة الجيش الفرنسى الاخذ بهذه الفكرة واللجوء الى لندن ، وفضلوا توقيع وثيقة الاستسلام، فانفرد ديجول بهذا العمل ، واطلق نداءه الشهير فى ليلة ١٨ يونيو .

وكان لنداء ديجول من اذاعة لندن وقعه البعيد فى بعث روح المقاومة داخل الاراضى الفرنسية المحتلة ، وعلى اتساع مناطق العالم التى كانت تتبع فرنسا قبل الحرب . فقد انشئت الوحدات الاولى لقوات فرنسا الحرة فى افريقيا الاستوائية الفرنسية وفى التشاد والكاميرون ، وقد خاضت معارك مجيدة بجانب القوات البريطانية فى ليبيا (بير حكيم) وفى الحبشة . ثم بدأت عمليات التنسيق بينها وبين فرق المقاومة داخل الاراضى الفرنسية نفسها .

وفى ١٩٤٣ ، بعد تخليص شمال افريقيا من سيطرة المحور ، فرض ديجول وجوده كقائد « للجنة الفرنسية للتحرر الوطنى » بالجزائر ، وفى يناير ١٩٤٤ اعلن ديجول من برازافيل انتهاء نظام المستعمرات الفرنسية ، وتحويلها الى « مجموعة دول داخل الاتحاد الفرنسى» . تم حول « لجنة التحرر الوطنى » الى «حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية » ، ودخل باريس مع الحلفاء فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٤ .

واسهمت القوات الفرنسية الحرة تحت قيادة ديجول ــ وبالتعاون مع وحدات الانصار والمقاومة ــ فى استمرار تحرير بقية الاراضى الفرنسية ، وتوغلت داخل المانيا . وبعد احراز النصر ، نظم ديجول استفتاء وافق ٩٦ ٪ من الفرنسيين على ضرورة تغيير الدستور ، بما يدعم من سلطة الهيئة التنفيذية ، وتاسيس الجمهورية الرابعة . وعين ديجول بالاجماع رئيسا للحكومة المؤقتة ، ولكنه استقال بعد عام . محتجا على نشاط الاحزاب ، واعلن اعتزاله السياسة وانسحابه الى مقره الريفى فى كولومبى .

ولم يمر على استقالته ستة اشهر حتى اعلن ديجول فى خطاب القاه فى بايوه اعتراضاته على الدستور الجديد ، وشكل بعد ذلك « **اتحاد الشعب الفرنسى** » الذى تصوره تنظيما عليه ان يتجاوز الاحزاب القائمة ، وان يعيد وحدة الفرنسيين كما توحدوا فى لهيب معارك المقاومة ، رغم انتمائهم وقتذاك الى اتجاهات سياسية وفكرية مختلفة ــ وقد صوت من اجل « **الاتحاد** » ٤٠ ٪ من الناخبين فى الانتخابات البلدية عام ١٩٤٧ . وضم بالذات اصوات النساء والمحاربين القدامى ، واقل فئات فرنسا استقطابا وبلورة من الوجهة السياسية ، فضلا عن جزء هام من قوى اليمين ، ومن دوائر الاعمال التى وجدت فى النظام الحزبى ما يعرضها لضرورة خوض المعارك الانتخابية حتى تكفل لنفسها مراكز ذات نفوذ فى الدولة وفى المؤسسات صاحبة البت والمسئولية فى تحديد اتجاهات السياسة الفرنسية ومجرياتها .

وهذه القوى الاخيرة بالذات هى التى ضغطت من اجل عودة ديجول « لانقاذ فرنسا من الفوضى فى ١٩٥٨ » . فقد اخذت الحكومات الفرنسية المتعاقبة بعد استبعاد الشيوعيين من الحكم فى ١٩٤٧ تنتهج سياسة تؤكد تبعية فرنسا للمشروعات التوسعية الامريكية ، بدعوى ان هذه السياسة هى الوحيدة الكفيلة بتمويل عمليات التعمير بعد الحرب ، وقد بداتها بقبول برنامج مارشال ، وتبعه انخراط فرنسا فى حلف الاطلنطى . واصبحت هذه السياسة تكتسب ابعادا تهدد استقرار المؤسسات الفرنسية نفسها بالحروب التى اخذت تشنها فرنسا ضد شعوب مستعمراتها السابقة من اجل الاحتفاظ بما اسمته « الوجود الفرنسى» او بالاحرى بالسيطرة الفرنسية عليها ، وكان فى مقدمة هذه الحروب حرب فيتنام التى انتهت بكارثة « ديان بيان فو » واتفاقات جنيف فى ١٩٥٤ ثم حرب الجزائر التى اصبحت تنذر بعد ١٩٥٨ بعواقب وخيمة .

حرب الجزائر .. وعودة ديجول الى الحكم

فى ١٣ مايو ١٩٥٨ ، انفجر تمرد فى مدينة الجزائر تحت رعاية بعض ضباط المظلات وبعض كبار رجال الادارة ــ واعلن الجنرال **سالان** قائد القوات الفرنسية فى الجزائر «اننا سننطلق جميعا عما قريب الى الشانزاليزيه » قاصدا بذلك تضامن المتمردين مع الشعب الفرنسى من اجل

قلب الجمهورية الرابعة ، « حتى تظل الجزائر فرنسية » .

وفى يوم ١٥ مايو ، اعلن ديجول « استعداده لتحمل مسئولية الحكم » . وفى كل ارجاء فرنسا قامت المظاهرات تطالب بقمع الانقلاب الرجعى الفاشى فى الجزائر ، الذى يهدد النظام الجمهورى داخل فرنسا ذاتها . كما يفسح الطريق للمغامرات السياسية ولحكم الفرد المطلق .

فى ٢٤ مايو ، احتل المتمردون جزيرة كورسيكا وبسبب رفض الحزب الاشتراكى التضامن مع الحزب الشيوعى فى عمل مشترك ، لم تتخذ حركه المعارضة لمواجهه احتمالات قيام انقلاب يمينى داخل فرنسا كل ابعادها الممكنة . **وفى ٢٩ مايو لجـأ رئيس الجمهـورية ــ اندريه كونى ــ الى ديجول وانتخب فى اول يونيو رئيسا لوزارة ضمت ممثلين من كـافة الاحـزاب باسـتثناء الحـزب الشـيوعى .**

وتقدم ديجول بمشروع دستور ، تم اقراره فى استفتاء يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٨ ، وبعـد اعادة انتخاب الجمعيه الوطنيه باغلبيــة ديجوليــه فى نوفمبر ، **اصبح ديجول اول رئيس للجمهـوريه الفرنسيه الخامسه فى ٢١ ديسمبر .**

وبعد ان اعلن ديجول فى الايام الاولى من توليه السلطة تمسكه ببقاء الجزائر ارضا فرنسـيه ، اعلن فى ١٦ سـبتمبر ١٩٥٩ لاول مـره ضرورة الاعتراف بحق الجـزائريين فى **التقـرير الذاتى ،** خوفا من تعاظم تمرد الجنرالات ، والخطر الذى اصبحوا يمثلونه للديجوليه فى فرنسا .

الا ان مجرد الاعتراف بحق « التقرير الذاتى » للجزائر ، فجر غضب المتمردين الى ابعد حد . وفى ٢٤ يناير ١٩٦٠ ، اندلعت مره اخرى الاضطرابات فى العاصمة الجزائريه ــ وفى ٢٢ ابريل ١٩٦١ ، استولى المتمردون على السلطة فى الجزائر لافساد كل محاولة من جانب الحكومه الفرنسيه تحت ضغط حركة الجماهير لانهـاء حرب الجـزائر والاعتراف بالحكومة المؤقته . الا ان كثـيرا من ضباط الجيش الفرنسى رفضوا الخضوع لاوامر الضباط المتمردين ، وبذلك امكن سحق التمرد .

وواصل المتمردون اعمال المقـاومة بمحاولات ارهابية لاغتيال ديجول فى فرنسا . وفقط ببلوغ الصدام اقصاه ، وتحت ضغط حركة ديموقراطية واسعة داخل فرنسا ، وضع حد لحرب الجزائر وتقرر التسليم بحقها فى الاستقلال .

الاساس الاقتصادى

الا ان لجوء قطاع عريض من الراى العـام الفرنسى الى ديجول « كمنقذ من الفوضى » لم يكن مرتبطا فقط باهتزاز هيكل النظام السياسى ، من جراء التورط فى حرب الجزائر الى حد يهـدد بوقوع انقلاب يقوده قادة الجيش بتحريض من المستوطنين الفرنسيين وبسند من اليمين المتطرف وانما كان تعبيرا فى الوقت ذاته عن تحولات عميقة اصبحت تعترى هيكل الاقتصاد الفرنسى .

فديجول بنظرته الى الامور هو الرجل القادر على تسليم مراكز الدولة الرئيسـيه الى ممثلين مباشرين للاحتكارات الفرنسية الكبرى . وهو القادر على تدعيم راسمالية الدولة الاحتكارية بادخال تعديلات هامة على القيادة السياســية للدولة ، واستبعاد المخاطرة التى كان يتعرض لها من قبل ممثلو الدوائر الاحتكارية باضطرارهم خوض المعارك الانتخابية حتى ينفذوا الى هـذه المراكز القيادية . وقد لوحظ بالفعل سنة ١٩٥٨ ان معظم الوزراء هم رجال تم انتقاؤهم بين كبار ممثلى الاحتكارات ودوائر المال ــ ويمكن ان يقال بوجه عام ان الفواصل قد اختفت تماما ، وحل محلها صلات تتسم بطابع العلاقات الشخصيه بين مديرى مجموعة الاحتكارات التى تملك مصـانع الاقتصاد الفرنسى ، وبين كبـار موظفى الاداره والحكومة ، وهذه العلاقات الشخصية هى التى تكفل خضوع قطاع الدولة لهيمنة ومصالح القطاع الخاص باحتكاراته الكبرى .

وقد برزت ضرورة انجاز هذا الربط المباشر بين الدوائر الاحتكاريه وبين قياده الدوله ، واستبعاد كل فاصل بينهما كان يستبقيه النظام السابق على الديجوليه ، لاستكمال طابع الاقتصـاد الفرنسى كنظام محكم « لراسماليه دوله احتكارية » ، وهذا التحول كان يفرضه احتفاظ فرنسا بقدراتها على التنافس فى ظل التغيرات الهيكليه التى اصبحت تعترى الراسمالية الاوربيـه المعـاصرة ، ودون اللجوء الى حـل ينهض على اقصـاء سـيطرة الاحتكارات ، وانتهاج طريق ديمقراطى يفضى الى التحول نحو الاشتراكية .

فكانت قدرات فرنسا الانتاجية بعـد انتهاء الحرب العالمية الثانيه لا تتجاوز ٤٠ ٪ من قدراتها فى عام ١٩٣٨ . وفى ظل الانطلاقة الجماهيرية التى اعقبت التحرير ، وضعت خطة استهدفت اجراء اصلاحات اقتصادية اساسية ، وشـملت هـذه الاصلاحات تاميم بعض القطاعات الحيويه فى مجال الصناعة . وخلال نفس الفترة ، وضـع نظام للتأمين الاجتماعى ، وأممت صناعات استخراج

الفحم ومحطات توليد الكهرباء ، كما اممت بعض البنوك وشركات التأمين ، واقيمت لجان بالمصانع تشرك العمال فى مراقبه الانتـاج . الا ان هـذه الاصلاحات فى نهاية المطاف لم تتجـاوز اتخـاذ اجراءات انقاذ ضرورية فى عدد محدود من مواقع الصناعة الحيوية ، ولم تفلـح فى ادخال تغـيير جوهرى على مجرى الاقتصاد الفرنسي واتجاهه الرئيسى ـ وسرعان ما افسدت ثمار المكتسبات الجماهيرية التى اعقبت الحرب بتنفيـذ برنامج مارشال ، الذى كان له دوره الفعال فى تقسيم وحدة الحركة النقابية الفرنسـية وافساد الجـو السياسى ، وتاكيد سيطرة الاستثمارات الامريكية على كثير من مواقع الاقتصاد الهامة .

الا ان نمو اقتصـاديات البلـدان الاوربية فى السنوات التالية واتجاهها الى الاندماج فى السوق الاوربية المشتركة ، ووفقـا لمجموعة اخرى من الاتفاقات «الاوربية» دفعها الى البحث عن مخارج لتواجه بها غزو الدولار ، وربما كان من ابرز الملامح التى ميزت هذه العملية الاتجاه القومى الى **تركيز وترشيد** الاقتصاد لزيادة قدراتها التنافسية فى مواجهة امريكا من جانب ، وحتى تـكتسب كل دولة اوربية قدرة اكبـر على منافسـة الدول الاوربية الاخرى الداخلـة معهـا فى مشروعـات « الاندماج » وصاحب عمليات التركيز القضاء على نسبة كبيرة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتأكد التحول نحو سيطرة اكبر للاحتـكارات ، والضرورة الملحة كى تصبح هذه الاحتـكارات العملاقة صاحبة الكلمة الحاسمة فى اجهزة الدولة.

السياسة الخارجية

ومن هذه الزاوية كانت الديجولية حلا نموذجيا لمواجهة صعاب فرنسا الاقتصادية ، وبخاصة انها لم تكن فى اصلح المواقع بين دول اوربا لمواجهـة اخطار التنافس ، نظرا لان صناعاتها بعد الحرب لم تجدد كما جددت فى بعض البلدان الاخرى مثل المانيا الغربية . وكان عليها ان تواجه فتح حدودها وازالة الحواجز الجمركية بينها وبين الدول الست التابعة للسوق الاوربية المشتركة ، كما كان عليها مواجهة منافسة المجموعات الاحتكارية الامريكية، وتحديات التحـولات السريعـة فى التكنولوجيا الحديثة وما تستدعيه من نفقات استثمارية هائلة.

ومن هنا تميزت التحولات الاقتصـادية التى ادخلها ديجول بملامح محددة تحقق « رسـالة فرنسا الاوربية الطليعية » ، وتستهدف فى الاساس:

ــ اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بتدعيم مركز الاحتكارات الفرنسية على حساب الاحتـكارات الامريكية داخل فرنسا او خارجها بقيـد واحد فقط ، هو عدم المساس باسس النظام الراسمالى الاحتكارى العالمى .

ــ تدعيم مركز فرنسـا التنافسي داخل اطار الوحدة الاوربية ، رغم انطلاقها فى هذا السباق من مواقع اكثر تخلفا من بعض الدول الاوربيـة المجاورة .

واتسمت هذه السياسـة بجـوانب ايجابيـة بالقدر الذى اخذت تلاحق فيه سيطرة الدولار حيثما استبد ، واتيحت لفرنسـا فرصة التدخل لاضعاف مراكزه ، ومحـاولة اقتحـام مواقعـه وضرب هيمنة الولايات المتحدة على سياسة دول الغرب ، وتحديد ملامح سياسة اوربية مستقلة ، نذكر من هذه الجهود على سبيل المثال ، الاعتراف بالصين الشعبية تحديا لموقف امريكا فى هـــذا الصدد، وتمهيدا لفتح اسواقها للمنتجات الفرنسية ورحلة ديجول الى امريكا اللاتينية منذ عامـين لمحاولة ضرب مواقع الاحتكارات الامريكية على نطاق القارة الامريكية الجنوبية ، وتفجير مشكلة كويبك فى كندا ، والتدخل بموقف حيادى جرىء من مشكلة فيتنام لضرب مواقع امريكا فى جنوب شرقى آسيا ، ثم ربما كانت القنبلة الكبرى التى فجرها ديجـول ضـد امريـكا هى اصراره على الانسحاب من حلف الاطلنطى . واخيرا واصـل ديجول معارضته للسياسـة الامريـكية بموقف فرنسا البارز فى ازمة الشرق الاوسط ، تشجيعا للاتجاهات المعارضة لامريكا على اتساع العـالم العربى ، وتأكدت بابرز صورها فى سياسة فرنسا ازاء العراق ، وبيع الاسلحة لها بهدف تهيئة الجو المناسب للحصـول على امتيـازات التنقيب عن البترول . وان كانت هذه المحاولة قد تعرضت فى الحال لمناورات الاحتكارات البترولية . وفى افريقيا، جددت فرنسا علاقاتها مع مستعمراتها السابقة بما يشجع نمو علاقات لا تعوقهـا حسـاسيات الوضـع السابق ، وتعود للاحتـكارات الفرنسية بفوائد واسعة .

وقد برزت هذه السياسة كـذلك فى موقف فرنسا من ازمة العملات واحراجها لموقع الدولار بالمطالبة باحلال الذهب محله كاساس للمعاملات الدولية ، واصرارها على هذه السياسة فى لحظة تعرضت فيها امريكا لنزيف خطير فى مخزونها من الذهب فى بداية هذا العام . الا ان ديجول قـد حرص دائما فى هذه المواقف على ان يمتنع عـن اية اجراءات تهدد اسـتقرار اسـس النظـام الرأسمالى العالمى ، وتعرضها لاخطـار يصـعب تداركها .

وربما كان من ابرز ملامح سيـاسة ديجـول الاوربية ، تدعيما « لرسالة فرنسا الخاصة » ،

مقاومة دخول بريطانيا السوق الاوربية المشتركة ، واخيرا كان اخطر مظاهرها تدعيم موقع فرنسا العسكري بتنميه « القوة الضاربة الفرنسية » ، واستمرار إنتاج احدث الاسلحة . من ابرزها على سبيل المثال « الميراج ٤ » ، فضلا عن الابحاث التي تجريها بشأن تصميم الغواصات النووية والصواريخ البعيدة المدى ، ومواصلة صنع القنابل الذرية والهيدروجينية ، ورفض توقيع كافة الاتفاقات الدولية الخاصة بحظر تفجير هذه القنابل واختبارها . ويترتب على رفض ايقاف الإبحاث النووية استحالة اتخاذ موقف مخالف بالنسبة للابحاث المماثلة الجارية في المانيا الغربية ــ وتمثل هذه الابحاث بالذات في يد عناصر لها اهداف انتقامية خطرا يفوق بمراحل الخطر الذي تمثله مواصلة هذه الإبحاث في فرنسا .

● واستكمالا لسياسة ملاحقة الاحتكارات الامريكية ، ودفع اوربا الى التخلص من سيطرتها ، اقامت « الديجولية » علاقات صداقة مع دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، وهي تبحث عن نقاط ارتكاز اساسية في هذا المجال بين الدول الاشتراكية التي سبق ان احتفظت دائما بعلاقات وطيدة مع فرنسا ــ مثل بولندا ــ او تلك التي تنتهج سياسة اقل التزاما من غيرها بموقف مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها رومانيا ، او يوغوسلافيا ، وعلى هذا الاساس تحاول فرنسا اليوم تنمية علاقات مع تشيكوسلوفاكيا .

ثمن السياسة الديجولية

الا ان هذه السياسة الطموحة بالتزاماتها المتعددة لم يكن من الممكن انتهاجها دون ان تؤثر على هيكل الاقتصاد الداخلي بعدد من الملامح الهامة :

● كان لا بد اولا من زيادة تدخل الدولة في مجريات الاقتصاد بهدف الاسراع بعمليات التركيز وتدعيم مركز اكبر الوحدات الانتاجية ، وتحويلها الى وحدات ذات «طابع دولي» قادرة على منافسة الشركات الاجنبية . وقد ارتفع عدد عمليات «الدمج» و « الالحاق » بين الشركات من ١٢٤٣ في ١٩٦٥ الى ١٤١٠ في ١٩٦٦ ، وتجرى هذه العمليات حاليا بمعدل ٥ كل يوم . وضمن الشركات الخمسون الاولى في فرنسا ، شهدت ٣١ منها عمليات «دمج» خلال الاعوام الاخيرة ــ وبديهي أن هذه العمليات تصاحبها عملية فصل جزء من العاملين بها ، نظرا لازدواجية بعض الوظائف بعد الدمج وهؤلاء العاطلون يغذون جيش الذين يبحثون عن عمل .

● بفضل « الديجولية » وما استتبعها في مجال الاقتصاد من عمليات التركيز والترشيد ، استطاعت الاحتكارات الفرنسية أن تلاحق التنافس الحاد على نطاق الاسواق العالمية ، وداخل السوق الاوربية ، بعد رفع الحواجز الجمركية . ونجحت في ان تجد مخارج من المعضلات التي تواجهها رغم ان الصناعات الفرنسية لم تجدد بعد الحرب كما جددت في بعض دول السوق الاخرى ، وظلت الاستثمارات المتاحة لتطوير قدرات الانتاج دون المستوى الذي يجعلها « مربحة » بالقدر الكافي في التنافس مع جاراتها . ففي الفترة ما بين ١٩٥٧ و ١٩٦٦ ، زاد الانتاج في فرنسا بمقدار ٦٠٪ ، وانتاجية العمل بمقدار ٥٠٪ . **الا أن هذا التطور كان لابد أن ينعكس على مستوى معيشة العاملين .** اذ ان رفع الاستثمارات كان لا بد ان يصاحبه تشجيع الادخار والحد من الاستهلاك ، فان الاجور الاسمية لم ترتفع الا بمتوسط ٢٨٪ سنويا . ولم ترتفع الاجور الحقيقية بسبب ارتفاع الاسعار على الاطلاق ، بل انخفضت في بعض الفروع بمقدار بلغ احيانا ٤٪ . وظل ٤ ملايين من الفرنسيين لايتجاوز دخلهم ٦٠٠ فرنك في الشهر ، ووصل عدد العاطلين الى نصف مليون . واذا اضفنا اليهم اشباه العاطلين ، قفز عددهم الى المليون ، وهو وضع لا يقابله مثيل في دول السوق المجاورة ، واقتطعت اجراءات التأمين الاجتماعي ٣ آلاف مليون فرنك من قدرة العاملين على الاستهلاك ، وارتفعت ايجارات المساكن منذ ١٩٥٩ الى الضعف . وارتفعت الضرائب بمقدار عشرة آلاف مليون فرنك ، منها ٧ آلاف مليون فرنك هي ضرائب غير مباشرة يتحملها في الاساس العاملون . ورغم هذا كله ، لم يبذل ادنى جهد لتخفيض قدرة الطبقات المالكة او الطفيلية على الاستهلاك والانفاق .

● ومن العوامل الدولية التي زادت من تفاقم الازمة خلال العام الماضي ، ازمة العملات ، وبالذات انخفاض قيمة الاسترليني ، والتهديد الذي اصاب مركز الدولار ، وسباق دول السوق ، وفرنسا خاصة ، لزيادة مخزونها من الذهب ، وهبوط زيادة الانتاج في معظم الدول الراسمالية . ولم يتجاوز هذا المعدل في فرنسا ٤٪ في عام ١٩٦٧ ، وهو اقل معدل نمو شهدته فرنسا منذ ١٩٥٩ .

● وتنفيذا لسياسة تخفيض الانفاق الذي لا يرجع بفوائد محسوبة مباشرة في صالح الاحتكارات ، خفضت النفقات المخصصة للتعليم ولتجديد وتطوير البرامج التعليمية ، تمشيا مع مقتضيات التطور العلمي المعاصر . فقد قررت الخطة الخامسة في ١٩٦٦ تخصيص ٣٢٩ مليون فرنك لهذا الغرض ،

علما بأن الحـد الادنى المطلوب قررت الهيئـات المختصة انه لا يقل عن ٤٣٠ مليون فرنك. ولم ينفق بالفعل على هذا الباب سوى ٢٥٥ مليون فرنك . كذلك تخصص فرنسا مبلغا ضئيلا للبحث العلمي لا يتمشى اطلاقا مع اهدافها وطموحها ، وهو مبلغ لا يتجاوز ٥ر٢٪ من الناتج القـومي ، علما بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي منذ ٥ خمسة اعوام يخصص كل منهما مبلغا لا يقل عن ٣٪ من الناتج القومي لهذا المجال. وتملك الولايات المتحدة عدداً من الباحثين يبلغ ١٢ ضعف عدد الباحثين الذى تملكه فرنسا، رغم ان تعداد السكان في امريكا ليس سوى ٤ مرات عدد سكان فرنسا .

نفس الضغط في الانفاق ملحوظ في قطاع الخدمات الطبية وبعض مجالات الخدمة العامة الأخرى .

أحداث مايو

الا ان السياسـة « الديجـولية » الطموحة ، القائمة على تحميل جماهير العاملين العبء الاعظم في تطوير قوة الاحتكارات ، واسـتكمال ملامح رأسمالية الدولة الاحتكارية ، كان لابـد ان تتعرض - بعد تجاوز الضغوط الاجتماعية حدا معينا - لعواصف اجتماعية لا تجدى « هيبة » النظام ولا طابعه الاتوقراطي في تدارك آثارها .
وبالفعل تضافرت العوامل العديدة التى ذكرناها لاطلاق حركة احتجاج شاملة ، بـدات بحـركة الطلاب ، ثم اكتسبت طابعهـا الاكثر اصـالة باضرابات العمال التى لم تشهد فرنسا مثيلا لها في تاريخها .

ولادراك ابعاد هذه الحركة التى ضـمت اكثر من عشرة ملايين شخص ، يكفي ان نشير الى ان ايام العمل التى ضاعت بسبب الاضرابات تقدر بأكثر من مائة مليون يوم عمل مقابل ٦٠ مليون يوم عمل في كل الاضرابات السابقة منذ عـام ١٩٥٠ . وتقدر الخسائر في الانتاج بـ ٩ الاف مليون فرنك . واصبح العجز في ميزان المدفوعات يقدر في هذا العام بالف مليون فرنك ، كما ينتظر اتجاه نحو التضخم بسبب ارتفاع اسعار السلع الاستهلاكية بمقدار ١٠٪ . ولاول مرة اضطرت فرنسا الديجولية ان تتصرف في الف مليون فرنك من احتياطيها من الذهب والعملات ببيعها لبنوك زيوريخ ، كما اقترضت ٦٤٥ مليـون دولار من صندوق النقد الدولي ، وسحبت ١٤٠ مليـون دولار من تسهيلات ائتمانية ممنوحة لبريطانيا .

وقد حاولت الحكومة الديجـولية تدارك آثار هذه الاضرابات بمحاولة الوصول الى تسـوية عاجلة عن طريق مفاوضات نظمتها بين اتحادات العمال واصحاب الاعمال - وتم الاتفاق فعلا في « بروتوكولات جرينيل » على رفـع الاجـور بمقدار ١٠٪ ، وتحسين المعاشات والتأمينـات والاعتراف بحق العمل النقابى داخل المصانع .

الا ان جـماهير المضربـين لم تـكتف بهـذه الاصلاحات الجزئية ، واعتبرت تنازلات الاحتكارات تنازلات قاصرة لا تحقق جوهر مطالبها . وزادت حركة الاضرابات اتساعا بدلا من الانحسـار . واخذت تطالب بتغيير نظام الحكم ، ووضع نهاية للديجولية ، وادخال تعديل جذرى على مجريات السياسة الفرنسية يعتمد على انتزاع السـلطة من الاحتكارات ونقلها الى القوى الديمقراطية .

الاضطراب الاجتماعى حليف الديجولية

الا ان اضطرابات الطلبة قبل اضرابات العمال - بعد عشرة اعوام بالضبط من الاضطرابات التى هدد بها جنرالات الجيش استقرار الاوضـاع في نهاية حرب الجزائر - افسحت الفرصة مرة اخرى - كى تبرز الديجولية « كالمنقذ من الفوضى » ! .
واستغلت الديجولية الاتجـاهات الفوضوية التى سادت حركة الطلبة كى تلصق تهمة الفوضى بكل قوى الاحتجاج على الديجولية، وكى تصبها بالذات على « النظام الحزبى » وبوجه اخص على الشيوعية والحزب الشيوعى ، رغم ان هذا الاخير قد ابدى منذ البداية تحفظاته القوية على حـركة الطلبة ، واتهم منها بالتخاذل وعرقلة انطلاقتهـا ، ووضع الحواجز امام تداخلها بالحركة العمالية، وعمل على تمييز مطالب العمال واهدافهم السياسية المحددة عن تطلعات الحركة الطلابية الهلامية ، ونشاطها المتسم بطابع العنف المجـرد دون ارضية فكرية متسقة او اهداف عملية ثابتة .

وانطلاقا من هذا الموقف ، بادر ديجـول بحل الجمعية الوطنية واجراء انتخابات عامة ، افسحت له فرصـة تعبئة كافة القوى المحافظة، بما في ذلك اليمين المتطرف وجنرالات الجيش ، بعد ان استبد الخلاف بينه وبينهم منذ توليه السلطة منذ عشرة اعوام ، وذلك بفضل اتفاق مباشر اجراه ديجـول مع الجنرال سالان - واثبتت نتيجة الانتخـابات ، والفوز الساحق الذى احرزه انصار ديجـول **ان الاضطرابات الاجتمـاعية الناجمة عن جـوانب القصور والتحلل في النظام الحزبى ، وعجز القوى الديموقراطية على استيعاب كل مظاهر الاحتجاج والرفض للنظم القائمة في عمل موحد ومنظم ، هى خير حليف لمنطق اللجوء الى «المنقذ» والى سيادة ظاهرة الديجولية ، بل وزيادتها قوة .** لقد برزت هذه الحقيقة في ١٨٥٨ ، وتأكدت مرة اخـرى في ١٨٨٦ . ويلاحظ في الوقت نفسـه ان السنوات التى شهدت فيها جهـود القوى الديموقراطية لتجميع صفوفها كمشروع لنظام الحكم بديل الديجـولية ،

يفسح الطريق لتحول ديموقراطى معارض لسيطرة الاحتكارات ونمو الاشتراكية ، هي السنوات التى سجلت ارتدادا لسيطرة الديجولية وانخفاضا ملحوظا للاصوات المؤيدة لها . وبلغ هذا الاتجاه المعارض والبديل ذروته فى انتخابات الرياسة فى نهاية ١٩٦٥ وفى انتخابات الجمعية العامة فى بداية ١٩٦٧ . ثم انتكس مرة اخرى بعد تفجر حركات الطلبة .لقد بلغت الاصوات التى صوتت من اجل ديجول ٢٥ر٧٩٪ فى ١٩٥٨ ، ثم انخفضت الى ٧٥ر٦١٪ فى ١٩٦٢ والى ٧١ر٤٣٪ فى انتخابات الرياسة فى ٥ ديسمبر ١٩٦٥ . وبلغت مرة اخرى بعد الاحداث الاخيرة اعلى نسبة سجلتها فى اى يوم من الايام .

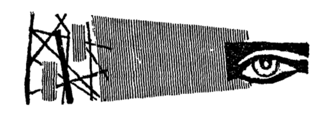
تربيع الدائرة

ولا شك ان الديجولية ستستخدم انتصارها الساحق فى سبيل تأكيد منهجها القائم على العداء للنظام الحزبى كوسيلة لمواجهة تطور المشاكل الاجتماعية والاقتصادية . وستقدم بلا شك على محاولات لتنفيذ اصلاحات اقتصادية وسياسية وجامعية بهدف الحيلولة دون تكرار حدوث ماجرى فى مايو الماضى.وقدم ديجول فكرة ((**المشاركة**)) كمنهج لمواجهة هذه المشاكل .وفسرت هذه الكلمة تفسيرات مختلفة — ورأى البعض فيها المزيد من مشاركة العمال والطلاب فى ادارة المصانع والجامعات — ورأى البعض الاخر تعبيرا عن اتجاه تكنوقراطى يستهدف تنظيم المجتمع بما يكفل اعلى كفاءة فنية لانتاجيته ، بغض النظر عن المنازعات الطبقية والاجتماعية ، ورأى آخرون انه يستهدف اكتشاف حل وسط بين الراسمالية والاشتراكية وما يتجاوز هذا وذاك .

ولكن ايا كانت الاجتهادات فى تفسير « **الكلمة** » فالمؤكد ان الديجولية ستسعى الى محاولة الحد من عوامل الاحتجاج والاضطراب ، بالبحث عن سبل تكسب رضاء العاملين ، بتوزيع الارباح ومحاولة اشراكهم فى عمليات الانتاج ، كأفضل وسيلة لعزل الاحزاب والنقابات واحتفاظها بهيمنتها على اعرض الجماهير ، الا ان هذه المحاولات من المحتم ان تصطدم بمعارضة اليمين — بما فى ذلك دوائر راسمالية الدولة الاحتكارية — دون ان تحقق من جانب آخر تصفية اليسار ، او ضمان انتزاع العمال من تنظيماتهم الطبقية والاقتصادية التى طالما اختبروها فى معاركهم . وربما كان المظهر الاول لانشقاق من جانب اليمين ما تردد عن الخلاف بين ديجول وبومبيدو ،واصرار هذا الاخير على رفض فكرة مشاركة العمال فى الارباح ، كممثل صادق لمصالح الاحتكارات .

وفى نفس الوقت لا ينتظر من جانب الاحزاب ، وبالذات من جانب احزاب اليسار ، سوى المزيد من الهجوم ، قوامه ان تمثيل مصالح راسمالية الدولة الاحتكارية يتعارض جذريا مع كل فكرة جادة فى الاستجابة لمطالب الجماهير . ومن المحتم على السلطة ان تختار بين مصالح الاحتكارات ومصالح الجماهير ، ولا يمكن التوفيق بين هذه المصالح وتلك ، مهما كانت براعة الحلول المستمدة على فكرة « المشاركة » ، ومهارة المفاوضين .

ولذلك ، فرغم ان الديجولية تشهد اليوم اوج مجدها اذا قسنا الامور بمقياس الثقة التى احرزتها فى الانتخابات الاخيرة ، الا انها محوطة فى الوقت ذاته لاخطر اختبار فى تاريخها ، وربما لمعادلة لا تقل صعوبة فى حلها عن تربيع الدائرة ! ●





- زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو وبلجراد
- مقاومة تهويد القدس ومواصلة النضال المسلح
- الموجة الانتخابية فى ظل الديمقراطية الغربية
- التراث للتراث ... أم التراث للحياة ؟

■ الجمهورية العربية المتحدة

المؤتمر القومى العام يبدأ اعماله

كان انعقاد المؤتمر القومى العام يوم ٢٣ يوليو .. وهو الموعد الذى حدده بيان ٣٠ مارس ، تتويجا لسلسلة من عمليات الانتخابات المتوالية لتشكيل مستويات الاتحاد الاشتراكى العربى ، مبتدئة من اللجان الاساسية التى انتخبتها القاعدة الجماهيرية العريضة — حتى المؤتمر القومى العام .

وقد تم تشكيل المؤتمر القومى العام من ١٧٠١ من الاعضاء – تم انتخاب ١٦٥٠ منهم – من مؤتمرات الاقسام والمراكز والبنادر مباشرة بواقع ثمانية مندوبين من كل قسم او مركز أو بندر نصفهم من العمال والفلاحين وانضم اليهم أعضاء لجنة الاشراف على الانتخاب .

وقد تم فى الجلسة التمهيدية الاولى التى عقدها المؤتمر برئاسة الدكتور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية ورئيس لجنة الاشراف على الانتخابات – انتخاب المناضل جمال عبد الناصر رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى وسط مظاهرة حماسية اشترك فيها جميع اعضاء المؤتمر ، ووصفها بعض المعلقين بأنها اعادت للاذهان مظاهرات ٩ ، ١٠ يونيو . وطبقا لقانون الاتحاد الاشتراكى العربى فان المناضل جمال عبد الناصر أصبح بهذا الانتخاب رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى .

وفى الجلسة الثالثة والاخيرة من جلسات الدورة الاولى ، شكل المؤتمر بناء على اقتراح من الرئيس جمال عبد الناصر لجنة من مائة عضو من أعضائه وهى اللجنة التى ستتولى الاعداد لاعمال المؤتمر فى دورته القادمة التى سوف تعقد خلال الاسبوع الاول من سبتمبر القادم .

وكان جمال عبد الناصر قد بنى اقتراحه بتشكيل اللجنة على أساس أن المؤتمر قد انعقد بدون جدول أعمال وبدون تحضير لما سيبحث فيه » — وبالتالى فكان لابد من ايجاد لجنة « تكون فى الواقع لجنة ادارة لعمل المؤتمر ، وتقوم بمهمة وضع جدول اعمال تفصيلى للمؤتمر تحدد المسائل التى يجب أن يقرر المؤتمر فيها سياسة معينة على أساس برنامج ٣٠ مارس ، وتنبثق عن هذه اللجنة العامة لجان فرعية تتولى اعداد دراسات تفصيلية عن المسائل التى تضمنها برنامج ٣٠ مارس واى مسائل اخرى ترى اللجنة ان الواجب يحتم اضافتها» . « وسوف تتيح المناقشة وفترة العمل الفرصة بعد ذلك لانتخاب المستويات الاعلى على أساس

التجربة مع الناس وعلى أســـاس اختبـارهم ومواقفهم » .

وقد روعى فى تشكيل اللجنة خمسة اعتبارات:

١ ــ ضمان نسبة الخمسين فى المائة لتمثيل العمال والفلاحين .

٢ ــ عدم اشتراك الوزراء والمحافظين وكبـار المسئولين فى اللجنة ، على أن تستـعين اللجنة بخبرات من تشاء من هؤلاء المسئولين .

٣ ــ تمثيل غالبية المحافظات باثنين على الاقل من الاعضاء .

٤ ــ اشراك عدد من اعضـاء لجنة الخمسين التى اشرفت على الانتخابات .

٥ ــ تمثيل شباب الجامعات .

ويرى المراقبون ان الخطاب الذى القاه الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة بدءاعمال المؤتمر القومى والتى اتفقت مع العيد السادس عشر لثورة ٢٣ يوليو كان أبرز واهم احـداث الدورة الافتتاحية كلها .

وقد تأكد هذا بردود الفعل الواسعة محليـا وعربيا وعالميا . ويرى المراقبون أن المناضـل جمال عبد الناصر ــ كان حريصا على أن يستهل خطابه بمواجهة حاسمة وقاطعة لكل المحاولات التى تبذل للتشكيك فى المؤتمر والهدف من انعقاده، بل وتلك المحاولات التى بذلت من أجل تفريغ المؤتمر نفسه من مضمونه بالحد من سلطاته ومسئوليته ولقد أكد المناضل جمال عبد الناصر على « أن تكوين المؤتمر ليس ملهاة سياسية ، وعمله ليس مجرد تنفيس لاى بخار محبوس ، وانما هو خطوة حاسمة قد تحققت لنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة . . »

ووضع المناضل جمال عبد الناصر اعضاء المؤتمر أمام مسئوليتهم الكاملة بتاكيده « أنه ليست هناك سلطة فى الدولة كلها ولاينبغى أن تكون هناك سلطة فى الدولة كلها اعلى من سلطة هذا المؤتمر » وأكد بوضوح « انه ليس هناك حد او قيد على أعمال المؤتمر ، وانه ليست هناك سلطة تملك ان تضع عليه من الشروط والقيود مالا يريده لنفسـه ولعمله » .

وفى الجانب السياسى العام من الخطاب طرح المناضل جمال عبد الناصر على اعضاء المؤتمـر عشرة موضوعات من شئون السـاعة ، وقـد اختصت القضايا التى أثيرت فى الخطاب باهتمـام واسع من المراقبين والمعلقين السياسيين والرأى العام العربى والعالمى ، وبخاصة الحديث عن أزمة الشرق الاوسط واحتمالات الحل السياسى والحل العسكرى للازمة . وكذلك الحديث البالغ الاهمية عن موقف كل من الولايات المتحـدة الامريـكية والاتحاد السوفيتى منا .

لقد أكد المناضل جمال عبد الناصر « ان الازمة بطبيعتها لاتستطيع الانتظار طويلا ــ والموقف القائم لايمكن قبوله ويخلق موقفا قابلا للاشـتعال السريع والانفجار فى أى وقت » . وأكد أن المبدأ القائل بأن ماأخذ بالقوة لايمكن أن يسترد بغير القوة » ــ مبدأ سليم وصـحيح فى كل الظروف « وان هناك التزاما مبدئيا اساسيا يعتبر مسألة حياة او موت وهو تحرير الارض المحتلة شبرا شبرا حتى ولو غطى كل شبر شهيد » .

ولكن هذا لا يمنع الجمهورية العربية المتحدة ان تحاول باخلاص الوصول الى حل سـياسى للمشكلة ــ على اساس قواعد ثابتة فى سياستها لاتحيد عنها . . وهى « لامفاوضة مع اسرائيل ــ لاصلح مع اسرائيل ــ لااعتراف باسـرائيل ــ لاصفقات على حساب الارض الفلسـطينية أو الشعب الفلسطينى » وأكد الرئيس عبد الناصر فى خطابه « انه ليست هناك مشروعات موجودة الان علشان الحل السلمى ، ولايبدو ان هنـاك مشروعات او فى المستقبل ستكون لايجاد الحل السلمى »

ومن اجل « ان نعرف مين اصـدقائنا ومن اعدائنا » ومن اجل التاريخ ــ عرض المناضـل جمال عبد الناصر حقيقة موقف كل من الولايات المتحده الامريكية والاتحاد السوفيتى ، حيث أعلن ان مسانده امريكا لاسرائيل فى الامم المتحده مسانده كاملة، وانحيازها لوجهة النظر الاسرائيلية والدفاع عنها معناه أن امريـكا تؤيد احتـلال اسرائيل للاراضى العربية » ــ وأن رفض أمريكا التصريح بما ينص على ضرورة انسحاب قوات اسرائيل الى الموقف التى كانت فيه قبل ٥ يونيو دليـل آخر على أن امريكا تؤيد اسرائيل بل تتواطأ معها» .

واعلن عبد الناصر فى خطابه ان اعطاء الاسلحة والطائرات لاسرائيل وهى محتلة للاراضى العربية فى الوقت الذى لم تعطنا ولاطلقة ولن تعطينا أى طلقة معناه أن أمريكا تؤيد اسرائيل وتساندها فى احتلال الاراضى العربية. ليس هذا فحسب بل ان الاسطول السادس الامريـكى هو احتياطى استراتيجى لاسرائيل على حد قول رئيس وزراء اسرائيل نفسه . وقد اكد المناضل عبد الناصر على حقيقة ان السياسة الامريكية فى المنطقة قد فشلت فشلا ذريعا ولايستطيع الان أن يجـاهر بالصداقة لامريكا الا عميل واضح صريح » .

وفى عرضه لدور الاتحاد السوفيتى وموقفه أكد على حقيقة أنه « بدون الاتحاد السوفيتى كنا الان نجد انفسنا واقفين أمام العدو بدون سلاح مرغمين على قبول شروطه» واعاد للاذهان تصريحه السابق

عن ان جزءا من السلاح الذى حصلنا عليه ـــ جاء كهدية من الاتحاد السوفيتى ، والجزء الاخر سوف يسدد ثمنه على اقساط فيما بعد .

وفى اجابة على التساؤل الذى يثيره البعض ـــ لماذا يعطينا الاتحاد السوفيتى هذا كله ؟ اوضح جمال عبدالناصر اننا والاتحاد السوفيتى يجمعنا هدف واحد هو مقاومة الاستعمار . فنحن لانريد نفوذا اجنبيا فى منطقتنا من العالم وهو حريص كل الحرص على الوقوف ضد الاستعمار وعلى تصفية التركز الاستعمارى الذى يملا المنطقة الجنوبية الى حدوده .. » واكد تأكيدا قاطعا ـــ وفى صراحة ووضوح « ان الاتحاد السوفيتى لم يحاول فى اى مرة او حتى ونحن فى عز زنقتنا ان يملى علينا شروط او يطلب منا شيء ـــ وحتى فى عام ٥٩ عندما وصل الخلاف الى حد ان كان واضحا فى الجرائد ـــ لم يحدث ان بذلت من جانب الاتحاد السوفيتى اى تحفظ او تهديد .. » وارجع موقف الاتحاد السوفيتى الى عقيدته فى التحرر الوطنى وكفاح الشعوب ونضالها .

ويتعرض الرئيس جمال عبد الناصر لاول مرة لموضوع ظهور الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض كعنصر موازنة للاسطول السادس الامريكى

التوزيع الفئوى والوظيفى لاعضاء المؤتمر القومى

لم نستكمل بعد البيانات عن التوزيع الفئوى والوظيفى لاعضاء المؤتمر القومى . اذ نشرت بيانات عن ٥٦٤ عضوا من بين ٨٥٠ عضوا يتضمنون تعريف الفئات . ورغم قصور المعلومات حتى الان فمن الاهمية بمكان التعرف على صورة اولية للاوضاع الاجتماعية لممثلى قوى الشعب العامل فى المؤتمر ، وفيما يلى نقدم التوزيع الاجتماعى والوظيفى بشكل اولى سوف نستكمله بالحصول على البيانات الكاملة فى العدد القادم :

فئات :

الفئة	العدد	البيان
١ ـ الحكومة المركزية (مجلس الوزراء ورئاسة الجمهورية)		
ا ـ الوزارة	٢٤	وزيرا
	١	وزير سابق
ب ـ رئاسة الجمهورية	١	مدير مكتب رئيس الجمهورية
	٤	مستشار رئيس الجمهورية
المجموع	٣٠	
٢ ـ موظفون فى الحكومة (قطاع الخدمات)		
ا ـ الوظائف العليا	١	نائب وزير
	٧	وكلاء وزارة
	٢٠	مديرو مصالح
ب ـ موظفون (متوسطون وصغار)	١٠٢	موظف
	١٣	مدرسا
المجموع	١٤٤	
٣ ـ موظفون فى (القطاع العام) مؤسسات وشركات وهيئات :		
ا ـ رؤساء مجالس ادارة المؤسسات العامة والشركات والهيئات	٢١	
ب ـ اعضاء مجالس ادارة شركات ومديرو مصانع ومنشآت القطاع العام	٣٦	
جـ ـ موظفون (متوسطون وصغار)	١٢	
المجموع	٦٩	
٤ ـ اعضاء مجلس الامة — المجموع	٣٠	عضوا
٥ ـ الادارة المحلية :		
ا ـ المحافظون	١٧	محافظا
ب ـ سكرتير عام المحافظة	٦	
جـ ـ رئيس مجلس المدينة	١٢	
د ـ موظفون بهيئات الادارة المحلية	١٧	
المجموع	٥٢	
٦ ـ الاتحاد الاشتراكى (الامانة العامة، المكاتب التنفيذية، الجماعات القيادية)		
ا ـ الامين العام السابق للاتحاد الاشتراكى	١	
ب ـ اعضاء الامانة العامة	٣	(لا يدخل فى هذا العدد الوزراء الذين كانوا فى الامانة العامة)
جـ ـ امناء واعضاء المكاتب التنفيذية	٤٠	
المجموع	٤٤	

الذى يتصدى لجمل البحر الابيض بحيرة امريكية ـــ « فاكد ان الاسطول السوفيتى لم يهددنا وان الدول المتحررة فى المنطقة كلها ترحب بظهور الاسطول السوفيتى .. »

لقد حمل المناضل جمال عبد الناصر مسئولية كبرى ـــ وهى تعبئة قوى الامة كلها وحشدها على خطوط المواجهة مع العدو وتأمين الجبهة الداخلية على اساس « انها السند الذى ترتكز عليه جبهة القتال ، وان المعركة معركة كل الشعب ، وهى معركة حياة الشعب ويجب ان يخوضها كل الشعب ، ويجب ان تكون انتصارا للحياة وللشعب .

زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو وبلجراد

كانت زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو فاتحة لمرحلة جديدة فى العلاقات العربية السوفيتية ، ولقد تميزت هذه الزيارة بانها كانت زاخرة بالعمل المستمر المتواصل الذى استغرق تقريبا كل ايام الزيارة ، والذى استدعى اطالة مدتها ليومين آخرين والى الحد الذى دفع منظمى

تابع التوزيع الفئوى والوظيفى لاعضاء المؤتمر القومى

الفئة	العدد	البيان
٧ ـ المهنيون		
• مهندسون	٣٢	
• محامون	٢٧	
• اطباء	١٨	
• صيادلة	٤	
• محاسبون	٤	
• صحفيون	٢	رئيس مجلس ادارة الاخبار والهلال والجمهورية
• رجال الدين	٢	
المجموع	٩١	
٨ ـ تجار ومقاولون		
• تجار	١٢	
• مقاولون	٢	
المجموع	١٤	
٩ ـ مزارعون وملاك اراضى (يحوزون او يملكون اكثر من ١٠ افدنة)	٥٢	
١٠ ـ اساتذة جامعات	٢٦	
١١ ـ طلبة جامعات	١١	
المجموع الكلى	٥٦٤	

وبالنسبة لممثلى العمال والفلاحين فى المؤتمر القومى ، فان اعدادا كبيرة من ممثلى العمال لم تحدد طبيعة عملهم الذى يشغلونه . كذلك بالنسبة للفلاحين لم يذكر امامهم سوى كلمة فلاح دون ذكر لملكياتهم .

انما يمكن رصد الاتى . ان من بين ممثلى العمال والفلاحين :

- ١ وزير سابق
- ٤ ٣ رؤساء مجالس ادارات شركات ١ رئيس مجلس ادارة جمعية تعاونية
- ٢٥ من مديرى الشركات وبنوك التسليف ومديريات تربية وتعليم وسجل تجارى ومكتب عمل ومستشفى وفندق وجمعيات استهلاكية وادارات حكومية ومؤسسة
- ٢ مدير جامعة
- ١ وكيل جامعة
- ١١٧ موظفا : اعمال كتابية ـــ وسكرتيرى مساعد ومدارس وجمعيات تعاونية وشركات ومؤسسات وجامعات ونيابة ووزارات وادارات حكومية ومساعدى محاسبين ومهندسين وصيادلة ونيابة
- ١٨ عضو مجلس امة
- ١ رجل دين
- ٢٩ امناء واعضاء مكاتب تنفيذية وامناء شباب ومنتدبين بالاتحاد الاشتراكى
- ٢ صحفيين (احدهما عضو مكتب تنفيذى)
- ٦ سائقى قطاع عام وخاص
- ٣٩ رؤساء اقسام ومفتشى ادارات وتموين ورؤساء حركة ورؤساء عمال صناعة وزراعة ووكلاء ادارات وبنوك تسليف ومراقبى انتاج وملحقين اداريين وملاحظين عمال ورؤساء حسابات
- ١ مخرج اذاعى
- ١٧ منتفعا بالاصلاح وعمال زراعة وصناعة ونسيج وصناع مهرة وعمال تراحيل وكهربائى ومطشجى
- ٢ خفير عمومى وشيخ خفر خصوصى
- ٧ موظفين بالادارة المحلية (رئيس مجلس قروى، عضو مجلس محافظة موظفين بديوان المحافظة
- ٣ عاملين بمديريات امن ورئيس مكتب امن
- ٥ رؤساء ووكلاء ونواب وسكرتيرى نقابات عمالية
- ١ مأذون
- ١ جزار
- ١ اسطى بمعهد مال

٢٩٢ المجموع

برنامج الرحلة الى اجراء تعديلات تستهدف تخصيص أطول وقت ممكن للمباحثات بين القادة.

واذا كانت زيارة الرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفيتى تكتسب أهمية خاصة من طبيعة الفترة التى تمت فيها والتى عبرت عنها جريدة الازفستيا بقولها « انها ليست زيارة تقليدية » وانما هى زيارة تتم فى وقت اتفقت فيه الجمهورية العربية المتحدة مع الاتحاد السوفيتى على ضرورة ازالة آثار العدوان » ، وكان واضحا منذ البداية ان ازمة الشرق الاوسط والتوصل الى تصفية آثار العدوان الاسرائيلى قد استغرقت جزءا كبيرا من المباحثات .

والحقيقة ان هذه الزيارة كانت فرصة سانحة لمزيد من الدعم لعلاقات الصداقة الوطيدة بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة وشعوب الاتحاد السوفيتى . ولقد عبرت الخطب التى القاها

تعليق

مشكلات العمل فى الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى العربى

الان وقد تم بناء الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى ، فان أسئلة ملحة تتردد على لسان العديد من اعضاء الاتحاد الاشتراكى . ولعل ابرز هذه الاسئلة واكثرها شيوعا هو السؤال عن كيف يمكن للوحدات الاساسية والقيادات المحلية ان تمارس مسئوليتها؟ وكيف يمكن تفادى سلبيات المرحلة الماضية من حياة الاتحاد الاشتراكى العربى ؟

واذا كان من المسلم به أن تقدم اى تنظيم مرهونا بتوافر القيادة الصالحة الكفء القادرة على مواجهة المشكلات السياسية والجماهيرية وحلها ـ فقد اثبتت تجربة العمل السياسى ان الوزن الحقيقى لاى تنظيم يتوقف على مدى فاعليته فى قيادة حركة الجماهير ـ وان هذه الفاعلية لا يمكن ان تتوافر بوجود القيادة القادرة فقط وانما تتوافر ايضا بقدرة التنظيم على الالتحام بحركة الجماهير واستقطابها وتعبئتها وتنظيمها حول الخط السياسى العام للتنظيم .

ولجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى العربى هى القيادة المباشرة للجماهير الشعبية فى مراكز الانتاج والاحياء والقرى ـ وهى نقطة الاتصال التى تربط بين التنظيم والجماهير ـ وعلى عملها ودورها يتوقف الى ابعد حد نجاح العمل السياسى .

ومن هنا فان عملا كبيرا وشاقا ينتظر الوحدات الاساسية التى تم انتخابها ـ وكذلك الامر بالنسبة للقيادات المحلية المتمثلة فى مؤتمرات الاقسام ولجان الاقسام والمراكز ـ والتى تتشكل من عناصر تعيش وتعمل وسط الجماهير فى مواقع الحياة والانتاج .

هذه المواقع التى اثبتت نتائج الانتخابات فيها الرغبة العميقة لدى الجماهير فى ممارسة الديمقراطية ـ وتوافر الوعى السياسى والاجتماعى الذى تأكد بمساندة الجماهير للعديد من العناصر المناضلة من اجل الاشتراكية والديمقراطية وحجب اصواتها عن بعض القيادات التى فرضت عليها من قبل .

ولكى تستطيع اللجان الاساسية والقيادات على مستوى الاقسام والمراكز تحقيق النجاح فى عملها ـ يجب ان ترتكز فى عملها على محورين اساسين :

اولهما ـ ضرورة استمرار توافر وتدعيم المناخ الديمقراطى العام الذى ساد البلاد قبل واثناء عملية انتخابات الاتحاد الاشتراكى خاصة فى مراحله الاولى ـ ومواصلة ممارسة وتدعيم الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى.

وثانيهما ـ ضرورة تحديد ماهيه العمل السياسى المطلوب من الوحدات وابعاده ـ ورسم خط فاصل بين العمل السياسى والعمل النقابى او الادارى.

ان اتمام عملية بناء الاتحاد الاشتراكى العربى ليست سوى خطوة اولى ـ يجب ان تتبعها خطوات عديدة من اجل بعث الحياة الدافقة فى التنظيم الجديد.

وكما كان من غير الممكن اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى على اسس ديمقراطية دون ان يتوافر مناخ ديمقراطى عام فى البلاد ـ فانه من المستحيل ان يتنفس الهيكل التنظيمى الذى تم بناؤه ،وان تزدهر الديمقراطية فى داخله ـ الا بممارسة هذه الديمقراطية .

ومن هنا فان استمرار المناخ الديمقراطى العام الذى دار فيه الحوار المفتوح الواسع فى اعقاب هبة الجماهير الشعبية يومى ٩ ، ١٠ يونيو ـ والذى تجسدت خطوطه العامة فى بيان ٣٠ مارس .

ان سيادة الجو الديمقراطى العام سوف ينعكس على نشاط الاتحاد الاشتراكى ويطرح امامه المشكلات الحقيقية التى تصعب الحياة امام المواطنين ، وينمى روح المسئولية العامة لدى الاعضاء ويسد الطريق امام زحف العمل الكتبى والبيروقراطى .

وسوف يؤدى تقلص المناخ الديمقراطى العام فى البلاد الى تقلص فى الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه والعودة شيئا فشيئا الى الاوضاع التى سبقت الانتخابات .

وسوف يؤدى استمرار تاكيد وتوسيع المناخ الديمقراطى العام خارج وداخل التنظيم ـ لان تبقى اللجان الاساسية والقيادات اللصيقة بالجماهير على مستوى الاقسام والمراكز ـ تشعر انها مدينة بوجودها للجماهير العاملة ـ فى مجالها ـ وانه بدون كسب ثقة هذه الجماهير واحترامها لن تستطيع ان تواصل العمل ولن يجدد انتخابها ـ وهذه النقطة بالذات من اهم نتائج بناء الاتحاد الاشتراكى على أسس ديمقراطية

ان تاكيد هذه الحقيقة سوف يؤدى الى التخلص من المفهوم الذى ساد لدى عدد غير قليل من القيادات التى شغلت مراكزها بالتعيين ـ والتى كان حرصها الاكبر على ارضاء المسئولين عن التنظيم بتاكيد نجاح العمل السياسى على صفحات التقارير المنمقة والمبالغة فى الانجازات واخفاء المشاكل التى يثيرها الجماهير وتوزيع الاتهامات على كل صوت يرتفع بالنقد ـ الامر الذى انتهى بهذه القيادات الى العزلة عن الجماهير ذاتها وغرقها فى مشكلات العمل المظهرى والبيروقراطى .

ومن اجل استمرار تدعيم المناخ الديمقراطى داخل التنظيم يجب مواصلة النقد والنقد الذاتى البناء المبتعد عن الجوانب الشخصية والمكرس للمصلحة العامة ـ ورفع قضية ممارسة النقد والنقد الذاتى الى مستوى العمل السياسى الجاد الذى يهدف الى تربية الاعضاء وتثقيفهم ـ وتعميم

القادة الذين شاركوا فى المباحثات عن تقديرهم العميق لاهمية هذه الصداقة وللدور الحاسم الذى يمكن ان تلعبه .. فقد قال الرئيس عبد الناصر فى الخطاب الذى القاه فى مأدبة الغداء التى اقيمت تكريما له فى الكرملين : مرة اخرى نجتمع معا ، وتتيح لنا الظروف ان نلتقى لقاء مباشرا على الطريق العريق المضىء للصداقة العربية السوفيتية التى هى اليوم حقيقة عظيمة من حقائق السياسة الدولية ، خصوصا فيما يتصل بالشرق الاوسط . ومرة أخرى يتاح لى ايها الاصدقاء ان اكون معكم وان اعبر لكم جميعا عن تقدير شعبنا وكل الشعوب المناضلة ، للدور الهائل الذى يقوم به الاتحاد السوفيتى شعبا وقادة فى سبيل الكفاح من اجل عالم افضل مبرأ من كل سوءات الماضى ، نظيفا من الاستعمار والاستغلال السياسى والاقتصادى ، آمنا من خطر

الخبرات الجماهيريةالثمينة والمبادرات الفردية الناجحة .

ويجب ان يكون نشاط الوحدات تحتانظار الجماهير ورقابتها المباشرة ـ وذلك بان نعلن الوحدات على جماهيرها جدول اعمالها قبل الاجتماع بوقت كاف ـ وان ننشر بعد كل اجتماع ملخصا وافيا لاهم نتائج الاجتماع وان تنمى بين العاملين من خارج اللجنة روح المشاركة فى العمل السياسى بتقديم الاراء والمقترحات والاسهام فى المناقشات الهامة ـ وجذب العناصر النشيطة فى العمل السياسى باعطائها مهاما محددة ، وتنظيمها فى لجان نوعية (دعوة وفكر ـ مقاومة شعبية ، ادخار الخ) ـ كما يتعين على اللجان بناء ركائز للعمل السياسى التنظيمى فى صفوف العاملين بتشكيل وحدات تنظيمية تضم العناصر النشيطة .

ويتعين على لجان الوحدات ان تنبذ تماما فى عملها الدعائى ترديد ما تقوله القيادة السياسية حرفيا ـ باعتبار ان ذلك هو الالتزام ـ فالوحدات مطالبة بان تتفهم توجيهات القيادة السياسية أو الخطة العامة للعمل السياسىالمقدمة من القيادة ـ وان تقوم بدورها فى تبسيطها وان تقدمها مشروحة ومدعمة بالامثلة الحية من واقع الوحدة ، وان تقدم تطبيقا للخطة على مجال عملها مقسما الى فترات زمنية مناسبة بحيث يمكن تعبئة العاملين حولها ومتابعتها جماهيريا .

واذا كانت ظروف الانتخاباتالماضية قد جعلت دور مؤتمرات الاقسام والمحافظات قاصرا على عملية الانتخاب فقط فان تشغيل هذه المؤتمرات تطبيقا للائحة ـ لا يجب بأى حال ان يكون تشغيلا شكليا لمجرد تنفيذ اللائحة ـ بل يجب ان تقوم هذه المؤسسات بدورها القيادىوان نطرح عليها تقارير سياسية وتنظيمية عن نشاط اللجان التابعة لها ومشكلات العمل السياسى والتنظيمى فى مجالها ومتابعة تنفيذ القرارات السياسية والتنظيمية على مستوى المجال الذى تقوده ـ وبهذا يكون عملها اسهاما ديمقراطيا فى دفع العمل السياسى كله للامام .

ولكى تستطيع الوحدات الاساسيه والقيادات المحلية ممارسة عملها بشكل سليم يتعين لها تحديد مجالات العمل السياسى المطلوب منها وابعاده .

والعمل السياسى الاساسى للوحدة هو تعبئة الجماهير حول الخط السياسى العام للثورة ـ وتعميق الفهم السياسى السليم للقضايا والمشاكل التى تتعرض لها الثورة فى مسيرتها ـ وفى الظروف الراهنة يجب ان تكون قضية تصفية العدوان الاستعمارى الاسرائيلى هى حجر الزاوية فى العمل السياسى وزاويه الرؤيا التى تدرس من خلالها المشاكل والقضايا والمواقف .

ومن هنا فانه يتعين على اللجنه الاساسيه دراسه دور الوحدهالانتاجيه فى خطة التنمية الشاملة ومراقبه تنفيذها (الخط العام) دون الدخول فى تفاصيل العمل الفنى ـ والبحث عن وسائل تدعيم وتطوير وتجويد الانتاج وخفض المصروفات وازاحة المعوقات وتنمية المبادرات والمنافساتالاشتراكية فى صفوف العاملين وتنمية روح الملكيه العامه لوسائل الانتاج ـ وروح المشاركه الجماعية فى الحلول الذاتية لمشاكل الوحدة او الحى او القرية ـ وربط كل هذه الاعمال ربطا سياسيا بقضيه تحرير الارض المحتلة وتصفية العدوان القائم .

ويتعين على اللجان ان تقف بحزم ضد الاتجاه الذى ساد من قبل . والذى تدل كل الدلائل منذ ظهور نتائج الانتخابات على تجدده بشكل واسع ـ وهو اغراق اللجان فى نظر شكاوى عمل فردية ـ هى اصلا من صميم عمل اللجان النقابية والنقابات ولا شأن لها بالعمل السياسى .

لقد ادى ذلك الاتجاه من قبل الى اضعاف اللجان ـ وتبديد وقتها ـ وليس من سبيل لمقاومة ذلكالا بتشغيل اللجان النقابية ذاتها ومساعدتها على القيام بمهامها واللجان الاساسية للاتحاد الاشتراكى هى المسئولة عن تشغيل اللجان النقابية فى الوحدات ومراقبة عملها مراقبة سياسيه .

واذا كان هذا الخطر يتهدد اللجان الاساسيه من خارجها فان هناك خطرا اخر يتهدد عدد كبير من اللجان من داخلها وهى بالتحديد اللجان التى توافر فى تشكيلها عدد كبير من المديرين او توجد فيها منصب رئيس مجلس الادارة مع منصب امين الوحدة الاساسية ـ وهذه الوحدات معرضة اما للتجمد نتيجه عدم اعطاء الادارة العليا الاهتمام الكافى للعملالسياسى ـ واما لحدوث صراع شديد اذا كان بداخلها عناصر واعيه قادرة على خوضه فى مواجهة هذه الحالة . الامر الذى قد تواجهه الادارة او رئيسها بالاجراءات الادارية .

وليس من سبيل امام هذه اللجان للقيام بمسئوليتها سوى ان توضع تحت الرقابه الجماهيريه ، ومن ناحية اخرى تقدم لها المستويات القيادية المساعدة اللازمه فى ايجاد الصيغة الملائمة للعمل السياسى التى يمكن ان تجمع حولها الاطراف المختلفة ـ ان تحديد اسلوب الصراع داخل الوحدات التنظيمية وفتح القنوات الطبيعية امامه ، الى جانب الرقابة الجماهيرية على اعمال الوحدة كفيل بكشفالعناصر المعرقلة للعمل السياسى ، لا على اساس مواقف مسبقة مترسبه من قبل الانتخاب او خلالها ، وانما على اساس من مواقفها العملية من مختلف القضايا والمشاكل والمسئوليات وعلى اساس الحساب عن مسئولية محددة . .

ان الانتخابات التى تمت من اجل بناء الهيكل التنظيمى للاتحادالاشتراكى العربى كانت البداية ، وعلى اكتاف اللجان الاساسية والقيادات المحلية تقع مسئولية ضخمة وعليهم انيتقدموا بشجاعة وثقة من اجل استكمال المسيرة .

حلمى يس

الحرب والعدوان ، ومتجهـا وفق آمال الشعوب نحو أهداف السلام القائم على العـدل والـذى بدونه لا يكون هناك سلام .

ويهمني بصفة خاصة ايهـا الصـديق العزيز بريجنيف ان اوجه الشكر خـالصا وعميقا الى الجماهير العـاملة في الاتحاد السـوفيتي التي تصدرت تحت قيادة حزبكم الكبير لقيـادة ثورة تعتبر من اهم التحولات في التاريخ . واذا كنتم قد احتفلتم اخيرا بالعيد الخمسين لهذه الثورة فان المنجزات الهائلة التى رآها العالم هي الشاهد الصادق على ضخامة المسئوليات التى تحملتهـا الشعوب السوفيتية وعلى مدى النجـاح المحقق الذي بلغته ، وان الشعب المصرى سوف يحتفل بعد ايام كما اشرتم ايها الصديق بالعيد السـادس عشر لثورة ١٩٥٢ . ولقـد اسـتطاعت الثورة المصرية بطبيعتها العربية القوية وبخطها الوطني الواضح وبعدها الاجـتماعي ان تضـع تأثيرات بعيدة المدى على ارض الامة العربية وفى آسـيا وافريقيا وامريكا اللاتينية حـيث تقوم حـركة التحـرير الوطني والاجـتماعي باشرف الادوار دفاعا عن حقوق وكرامة الانسانية والانسان » .

وفي نفس المأدبة ... وتأكيدا لنفس معـاني الصداقة والاخوة ، القى ليونيد بريجينيف كلمة جاء فيها :

«ان اللقاءات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة » قد اصبحت تقليدا وعلامـة بارزة من علامات تطور علاقاتنا ... ان لقاءنـا اليوم يتم مع مطلع الذكرى السادسة عشرة لاهم حدث من احداث تاريخ الجمهورية العربية المتحدة وهو ثورة ١٩٥٢ . « ان هذا الحدث قد وضـع بداية مرحلة جديدة لنضال الشعب المصرى من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ، واننا نؤكد ان شعبنا الذى صنع منذ نصف قرن من الزمـان ثورة اكتوبر الاشتراكية ليسعده بصدق واخلاص التحولات التقدمية في الجمهورية العربية المتحدة» « ولعله من الواضح للجميع ان ركائز الامبريالية والاستعمار في منطقة الشرق الاوسط قد أصيبت بتصدع بالغ نتيجة لنمو النضال الوطني التحررى ونتيجة لثورة يوليو » .

« وان التغيير الجذرى والمهم فى حياة بلادهم هو ان جماهير الشعب قد اصبحت لاول مرة فى تاريخ مصر ومنذ قرون طويلة تشترك فى بنـــاء الحياة الجديدة » .

كذلك كانت الزيارة فرصة سانحة لتأكيـــد الموقف المشــترك ضد العـدوان الاسرائيلى .. وتأكيد العمل المشترك لازالة آثاره .. فقد قال الرئيس عبد الناصر فى خطابه : «ان الامة العربية والشعب المصرى لن تقبل بالعدوان ، ولن ترضى به ، وسوف تكتل كل قواها ومواردها فى سبيل تطهير الارض العربية وتحريرهـا » . ، واكـد ايضا « ان الهدف الاساسي والاول امام شعوب امتنا العربية **هو ازالة آثار العدوان بغير بديل ،** مهما كانت المصاعب ومهما كانت التضحيات » .

وتحدث بريجينيف عن ازمة الشرق الاوسط قائلا : « ان آثار العدوان لم تصف بعد ، فـان المتطرفين الاسرائيليين بدفع مبـــاشر من الدول الاســـتعمارية يتصرفون بمنتهى التبجح ، فهم يمتنعون عن سحب قواتهم من الاراضى المحتلة ، كما نص على ذلك قرار مجلس الامن . وقال .. « اننا على يقين ان سياسة الاغتصاب التى يتبعها المتطـرفون الاسرائيليون ازاء الـدول العربيـة محكوم عليها بالفشل ولهذا فالعزل السـياسى والمعنوى للمعتدى وحملته يزداد يوما بعد يوم ، وفى مثل تلك الظروف نعتقد انه من الضرورى **ان نصرح من جديد عن تضـامننا مع الشـعوب العربية** وفى مواجهة الدسائس العدوانية لاعداء السلام والتقدم ، قدم الاتحاد السوفيتى ويقــدم المساعدة الـكاملة والتأييد الـكامل للجمهورية العربية المتحدة وغيرها من الـدول العربية . .

« ان الاتحاد السوفيتي سوف يكون دائما الى جانب البلدان العربية فى نضالها من اجل ازالة آثار العدوان ومن اجل سحب القوات الاسرائيلية دون ابطاء من جميع الاراضى العربيـة المحـتلة نتيجة لعدوان يونيو » .

كذلك اكد البيان الرسـمى الصـــادر عـن المباحثات « ان الاتحاد السـوفيتي والجمهورية العربية المتحدة يعتبران ان العدوان الاسرائيلى حلقة خطيرة فى السلسلة العـامة فى سيـاسة الاستعمار الذى يسعى الى تعطيل تقدم الدول العربية والرجـوع بهـا الى الوراء . وايقـاف النضال التحررى الذى تخوضه الشعوب العربية . وان استمرار احتلال اسرائيل لاراضى البلـدان العربية التى استولت عليها اثر هجومها الغـادر هو خرق للمبادىء الاساسية لميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي وتهـديد لاســتقلال البلدان العربية ووحدة اراضيها » .

كما اكد البيان المشترك ايضا على ضرورة حل مشكلة الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

واذا كان الاتفاق تاما حول مســألة الشرق الاوسط .. وقد اكد البيان المشترك ايضا اتفاق وجهتى نظر البلدين على كثير من القضايا التى تشغل الرأى العام العالمى مثل فيتنام وحركـات

التحرر الوطنى فى افريقيا ومسألة الاعتراف بالمانيا الديمقراطية .. الخ .

ومن موسكو الى بلجراد واصل الرئيس عبد الناصر رحلته ليجتمع بالرئيس تيتو .

وقد كان لقاء الرئيسين عبدالناصر وتيتو فرصة جديدة لاعلان راى موحد حول ازمة الشرق الاوسط .. فقد اكد الرئيس تيتو اكثر من مرة خلال المباحثات ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة دون ابطاء وضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى هذا الصدد .

كذلك استعرض الرئيس تيتو نتائج جولته فى آسيا واكد ان عددا كبيرا من المسئولين فى هذه الدول قد اعربوا عن تقديرهم للموقف العربى وتفهمهم له ، ومعارضتهم لسياسة اسرائيل التى يتضح كل يوم اتجاهها الى التوسع والعدوان .

.. كذلك كان اجتماع الرئيسين عبد الناصر وتيتو فرصة جديدة لتأكيد فعالية سياسة عدم الانحياز ومنحها مزيدا من القدرة والفعالية . كعنصر فعال فى السياسة العالمية .

ولا شك فى ان لقاء الرئيسان عبد الناصر وتيتو سوف يحقق انطلاقة جديدة لقوى عدم الانحياز، ويمكنها منأن تنشط من جديد على مسرح الاحداث الدولية ، ومن أن تواصل مساهمتها الفعالة فى النضال الموحد ضد الاستعمار ومؤامراته .

●

اسرائيل تعيد للاذهان تجربة العدوان النازى

أدرزت الدبلوماسية العربيةخلال الشهور القليلة الماضيةنجاحا ملموسا فيما يتعلق بموقف عديد من الدول الاوربية منمشكلةالشرقالاوسط ، والتغير الذى طرأ على موقف هذه الدول من اسرائيل بعد حرب يونيو . ويشيرون بهذهالمناسبة الى النجاح الذى حققته جولة محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة الاخيرة ، فى عدد من دول شمال اوربا الاسكندنافية .

وكان **محمود رياض** قد بدا جولته بزيارة كلمن **السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك** فى ٢٥ يونيو الماضى ، بدعوة من وزراء خارجية هذه الدول ، وذلك على اثر عودته من زيارته لكل من المانيا الديمقراطية وبولندا فى منتصف شهر يونيو ، حيث اجرى محادثات هامة مع رؤساء ووزراء خارجية هذه الدول الذين ابدوا جميعا تفهما واضحا

تعليق
تنشيط مؤتمرات الاقسام ضرورة للتحرك السياسى الفعال

نكاد تكتمل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى فى جميعمستوياته من القاعدة الى القمة ، ويصبح الاتجاه الرئيسى عندئذ ان بتحرك هذا البناء الشعبى ليحقق الاهداف المرجوة منه ، سواء ما جاء منها بالميثاق ، او ما احتواه برنامج ٣٠ مارس ، او ما تفرضه ظروف حركة المجتمع فى مقبل الايام .

ويكاد يكون حاسما فى مرحلتنا المقبلة ، باعتبار كفاحنا من اجل تحرير ارض الوطن التى احتلها كلب الاستعمار الحارس ، ومن اجل استمرار الضمبة كالاساس القوى الوحيد لبناء الاشتراكية والنجاح فى معركة الحرية ، نقول يكاد يكون حاسما فى الامر ان تتحقق وحدة وطنية لا انفصام لها ، هى القاعدة لمزيد من الصمود لنفوت على الاستعمار ضرباته .

واذا نحن درسنا امر مستويات الاتحاد الاشتراكى ، كما تم بناؤها ، لكانت مؤتمرات الأقسام تتميز عن غيرها بميزات تجعل من تنشيطها ضرورة اساسية تمثل سلاحا رئيسيا فى تحركنا السياسى المقبل . فهى تتميز بانه يتجمع فيها ممثلون مباشرون لكل التنظيمات القاعدية التى تنتشر بدورها فى جميع ارجاء بلادنا ، سواء كانت وحدات سكنية او جماهيرية ، وسواء كانت وحدات انتاج او خدمات ، وبحيث ان اى اتجاه ينمو ويتدعم ، ويتم تفهمه فيها يمكن نشره بأسرع وقت ، وباكبر قوة فى جميع انحاء المجتمع . وهى من ناحية اخرى تتميز بالصلة المباشرة عن طريق مندوبيها فى المؤتمر القومى العام حيث يمكن ان ينعكس منهم جميع الاتجاهات والامال التى تراود الجماهير لتدرس وتناقش وتمحص وتمثل عندئذ سياسة عامة للبلاد نبعت بالفعل من صميم الشعب وواقع الرأى العام .

ان الموقع الذى تحتله مؤتمرات الاقسام وسطا بين القمة التى ترسم سياسة البلاد ، والقاعدة التى تنفذها ، ويجب ان تلتف حولها ، يجعل منها اذا احسنا تنشيطها واشراكها فى امور السياسة ، سواء منها العامة والجارية افضل موصل يربط بين القاعدة والقمة يتحقق به ضمان ان تكون القرارات السياسية اقرب تعبيرا عن ارادة الجماهير ، وان تلتق الجماهير فى حركة الحياة اليومية حول السياسة العامة ، وتتحقق به الممارسة الديمقراطية التى يفترضها نظامنا الاشتراكى ، ويقوى به التحالف الوطنى لكل الطبقات صاحبة المصلحة كضمان اكيد لسلمية التطور ولعدم وجود اى فرصة ينفذ منها الاستعمار فيما بيننا .

د . محمد عجلان

لتطورات الموقف فى الشرق الاوسط ، كما أتيحت له فرصة مخاطبة شعوب هذه البلدان عن طريق المؤتمرات الصحفية واذاعة احاديث بالراديو والتليفزيون هناك ، وعرض فيها موقف العرب بالتفصيل من ازمة الشرق الاوسط ، واعلن ان العرب لن يتخلوا عن شبر واحد من الاراضى المحتلة ، وان العقبة فى طريق السلام فى الشرق الاوسط هى اسرائيل برفضها احترام ميثاق الامم المتحدة وقرار مجلس الامن ، الذى يدعو الى انسحابها من الاراضى العربية ، واكد محمود رياض رفض العرب التام لفكرة اية اتصال مباشر مع اسرائيل ، وقال : ان تجربة العرب اقنعتهم بان توقيع اسرائيل على اى اتفاق لا قيمة له ، وان اية تسوية ينبغى ان يضمنها مجلس الامن ، وخاصة الدول الكبرى الاعضاء فى المجلس .

وقد صرح **جون لانج** وزير خارجية النرويج : « بان النرويج تدرك تماما وتقدر الجهود التى تبذلها الجمهورية العربية المتحدة لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى بعد تجربة النرويج للعدوان النازى عليها اثناء الحرب العالمية الثانية . كما اعرب زعيم الاغلبية فى البرلمان النرويجى ، عن رفضه التام للسياسة التوسعية الاسرائيلية .

وقد جرى اجتماع هام بين **محمود رياض** والدكتور **جونار يارنج** المبعوث الدولى فى استكهلم ، حضره **تورستون نيلسن** وزير خارجية السويد ـــ وكان هذا هو اللقاء الاول بين وزير خارجية الجمهورية العربية وجونار يارنج منذ آخر اجتماع بينهما فى ٩ مايو الماضى قبل ان ينقل المبعوث الدولى نشاطه من قبرص الى الامم المتحدة فى نيويورك .

وقد صرح محمود رياض قبل مغادرته فنلندا الى الدنمارك بان محادثاته فى السويد والنرويج وفنلندا كانت ناجحة تماما ، وانه لمس خلال هذه المحادثات تفهما كاملا وادراكا سليما لحقائق الموقف .

وقال وزير الخارجية : انه لاحظ ان الصورة فى الدول الثلاث تغيرت تدريجا خلال هذا العام نتيجة لوضوح الحقيقة امام العالم ، وخاصة امام الدول الاسكندنافية التى سجلت عدم ارتياحها لموقف اسرائيل ، وان هذه الدول تحاول استكشاف الحقيقة ، وأضاف : « انه على اثر العدوان مباشرة لم تكن لدى الراى العام فى الدول الاسكندنافية فكرة صحيحة عن المشكلة الفلسطينية لانه كان متأثرا بالدعاية الصهيونية » .

ولقد ابدت اسرائيل اهتماما خاصا بزيارة محمود رياض الاخيرة لدول شمال اوربا ، فقد طار ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل فى نفس الوقت الذى بدأ فيه محمود رياض زيارته الى لاهاى ليعقد مؤتمرا لسفراء اسرائيل فى اوربا ، ليزيدوا من جهودهم لواجهة الدعاية العربيه واستقطاب الراى العام الاوربى ، وقد صرح **ليفى اشكول** بانه سيزور قريبا بعض دول اوربا وامريكا اللاتينية ، وذلك ردا على الحملة الدبلوماسية التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة اخيرا ، كما طلب ابا ايبان الى مجلس الوزراء الاسرائيلى فى ٧/١٥ ، زيادة اعتماد الميزانية الحالية المخصصة للدعاية بمبلغ أربعة ملايين جنيه اسرائيلى ، لتوسيع نشاط الدعاية الخارجية ـــ وقال ايبان : ان الميزانية الحالية للدعاية وقدرها ثلاثة ملايين جنيه لاتكفى ، وانه اذا كان هناك عجز فى مواجهة الدعاية العربية ، فانه يرجع الى عدم توفر الاموال الكافية للدعاية .

ومن ناحية اخرى فقد كانت هناك محاولات من جانب وكالات الانباء الغربية ، لتحريف تصريحات محمود رياض فى الدنمارك ، وان تنسب اليه تصريحات كاذبة حول اعتراف الجمهورية العربية المتحدة باسرائيل كحقيقة واقعة ، وعن حق اسرائيل فى المرور فى قناة السويس ، وذلك بهدف الاساءة الى التحرك العربى ومقاومة المحاولات التى تقوم بها الجمهورية العربية المتحدة للاتصال بالعالم الخارجى .

وقد عقد محمود رياض اجتماعا بسفراء الدول العربية فى القاهرة فى ٧/١٤ ، حيث اطلعهم على نتائج مباحثاته مع المسئولين فى الدول الاسكندنافية ، واجتماعه مع جونار يارنج فى ستوكهلم ، حيث اصبح الموقف يقتضى تشاور الدول العربية واشراكها مجتمعة فيما يجب ان تكون عليه الخطوات فى المستقبل ، وكذلك توضيح الموقف بخصوص تحريف وكالات الانباء للتصريحات التى ادلى بها فى مؤتمره الصحفى فى الدنمارك ، والذى اكد فيه تمسك الدول العربية بمبادىء الخرطوم الاربعة ، وانه لا مفاوضات ، لا صلح ، لا اعتراف باسرائيل ، وان التصرف فى القضية الفلسطينية انما هو من حق الفلسطينيين انفسهم .

●

مقاومة تهويد القدس ومواصلة النضال المسلح

تؤكد الانباء الواردة من الضفة الغربية استمرار المقاومة العربية للمخططات الصهيونية لتهويد مدينة القدس العربية ، وعزلها عن بقية مدن الضفة الغربية وتهجير سكانها ، وفرض الضرائب والرسوم العالية على السكان

لدفعهم الى ترك منازلهم ، وهدم بعض الاحياء ، وتغيير مناهج التعليم .

وقد اذاع سنيمسان النابلسي عضو مجلس الاعيان الاردني ورئيس لجنة انقاذ القدس خلال مؤتمر صحفي عقده في عمان في اوائل الشهر الماضي . نداء من اهالي القدس الى الشعوب العربيه والحكام العرب ، للعمل على انقاذ المدينة المقدسة وسكانها العرب — واكد النابلسي ان سكان المدينة عازمون على مواصلة الكفاح بشتى الطرق للحيلولة دون المخطط الصهيوني مهما كانت التكاليف والتضحيات . وقال . ان سكان القدس يودون ان يؤكدوا بان الصهاينة ما كانوا ليجرؤوا على هذه الاعمال لولا التأييد الذى يلاقونه من السياسة الامريكية ، وعلى الشعوب العربية ان تدرك ذلك وعلى اجهزة الإعلام العربية ان توجه الانظار الى هذه الحقائق .

وقد وزعت اللجنة العليا للتوجيه القومي فى الضفة الغربية فى ١٢ يوليو ، منشورات تدعو المواطنين فى المناطق المحتلة الى عدم دفع الضرائب لسلطات الاحتلال ، كما تحث العرب على المقاومة عن طريق التمسك ببيوتهم واراضيهم ، كما اعلن الاهالي من جانبهم رفضهم دفع اية ضرائب لسلطات الاحتلال الاسرائيلية .

وقد جاء فى تقرير لجامعة الدول العربية من داخل الاراضي المحتله ، ان اسرائيل تقوم حاليا بطرد السكان العرب من القدس والاستيلاء على املاكهم ، تمهيدا لجعل المدينة المقدسة مدينة تغلب عليها الصبغة الصهيونية ، وان اسرائيل قد اعتمدت لتنفيذ هذا المخطط مبلغ ١٥ مليون دولار .

هذا ويواصل الفدائيون العرب هجماتهم الجريئة الناجحة داخل الاراضى المحتلة ، والتى تميزت بالتركيز الشديد على مواقع ومنشآت العدو الحيوية ، وذلك على النحو الذى تم فى حادث نسف مبنى قيادة الجيش الاسرائيلى فى مدينة اريحا ، وايضا بالنسبة لنسف خط السكة الحديد بين غزة والعريش فى ثلاثة مواقع ، ونسف الجسور التى يمر فوقها الخط الحديدى ، وكذلك نسف قنوات المياه المغطاة فى منطقة غزة ، وذلك فى يوم ٣٠ يونيو .

وقد احدث نسف القيادة العسكرية للعدو فى اريحا صدمة قوية للقيادة العسكرية الاسرائيلية فى تل ابيب ، التى حاولت ان تخفى حقيقة الحادث ، فاعلنت ان اريحا تعرضت لهجوم خطير من رجال المقاومة .

وقد اعلن المتحدث الرسمى لفتح تصريحا ، يتهم فيه سلطات العدو وبعض الجهات الاخرى بتشويه بلاغات فتح العسكرية ، وانه سبق للعدو ان كذب حادثة ديان ، ثم عادت صحفه ووسائل اعلامه فاعترفت بالحادثة . . وان حركة فتح تود ان تلفت نظر الراى العام العربي والعالمي ، الى اعلان العدو وفى نفس اليوم الذى وقعت فيه عملية نسف القيادة العسكرية فى اريحا عن مصرع خمسة من ضباطه ، ادعى انهم قتلوا فى حادثه تصادم بين سيارتهم وجرار ، وان من بين القتلى ضابط برتبة كبيرة رفض العدو الافصاح عن اسمه ورتبته فى حينه ، واعلن العدو نظام منع التجول فى مدينة اريحا ومنطقتها بعد وقوع حادث النسف مباشرة ، كما انزل اعداد كبيرة من قواته لتمشيط المنطقة ، كما اعترف العدو بوقوع اشتباك على بعد ميلين جنوب شرق اريحا ادعى فيه انه قتل اثنين من رجالنا .

وقد اعلن موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى الكنيست ان الفدائيين قد شنوا خلال شهر مايو الماضى ٦٩ هجوما على المواقع الاسرائيلية ، اسفرت عن مصرع ٦ اسرائيليين واصابة ١٩ ، وقتل ٢٨ فدائيا ، واصيب ٩ آخرين .

ومن ناحية اخرى استقبلت الجماهير فى كافة ارجاء الوطن العربى بارتياح شديد تصريحات الملك حسين لبعثة التليفزيون فى الجمهورية العربية المتحدة ، واذاعته محطات التليفزيون العربية ، مساء يوم ٩ يوليو والذى اكد فيهما ردا على سؤال : عن مدى مساهمة الاعمال الفدائية فى تخليص الارض من الاحتلال الاسرائيلى ؟ اذ اجاب الملك حسين بقوله : « ما من شك احنا معتزين كل الاعتزاز بالمقاومة التى يبديها اهلنا واخواننا فى المناطق المحتلة من وطننا بشكل سلبى وايجابى وباستمرار فى وجه الاحتلال وقوى الاحتلال .

●

■ **فلسطين**

رياح التغيير فى العمل الوطنى الفلسطينى

هل يستطيع الرجال المائة تجاوز الصعاب للوصول الى افضل الصيغ لتحقيق الوحدة الوطنية . . ؟ سؤال كان يتردد على السنة المراقبين بمجرد ان اعلن بدء جلسات المجلس الوطنى الفلسطينى . فمنذ اللحظة الاولى التى اغلقت فيها ابواب القاعة الكبرى للاجتماعات بمقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية على المائة رجل القادم معظمهم من داخل الارض المحتلة ويمثلون كافة القوى والمنظمات الفلسطينية

العاملة . ادرك المراقبون ان اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى تختلف هذه المرة عن كل الاجتماعات السابقة من حيث الهدف والاسلوب .. كما ادرك المراقبون ايضا ان المناقشات داخل قاعة الاجتماعات وفى اروقة المجلس ستكون مغايرة تماما لكل الاجتماعات التى شهدتها قاعات الامانة العامة للجامعة العربية .

حقيقة ان هناك قضية اساسية طرحت نفسها على المؤتمرين — وهى قضية الوحدة الوطنية وتصعيد العمل الفدائى داخل الارض الفلسطينية المحتلة ليصبح حرب تحرير شعبية شاملة — ولكن تحت هذه القضية برزت عشرات من القضايا الهامة كانت تحتاج الى مواجهة والى حلول حاسمة وواقعية ..

ولعلها هى المرة الاولى فى تاريخ الجامعة العربية التى يعقد فيها مثل هذا المؤتمر .. فهناك على الاقل ٦٠٪ من اعضاء المؤتمر من الشباب الفدائى الذى مارس كل شىء الا اسلوب السياسة وما يحكمه من مناورات وتكتيكات . وخلف هؤلاء الرجال الستون كان يوجد عشرات ومئات من المناضلين فى القواعد يتطلعون الى نتائج هذه الاجتماعات .وخلف هؤلاء الرجال المائة كان يوجد آلاف مؤلفة من أبناء الشعب الفلسطينى تتطلع الى اعلان الوحدة الوطنية بين جميع التنظيمات من اجل البدء العملى والفورى فى تصعيد الكفاح المسلح ليتحقق التحرير الشامل والكامل للارض السليبة .

ولقد عقد المجلس الوطنى الفلسطينى دورته فى القاهرة من صبيحة العاشرة حتى مساء السابع عشر من يوليو « تموز » ١٩٦٨، وتمثلت فيه القوى والمنظمات الفلسطينية العاملة .. منظمة التحرير الفلسطينية . حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » كبرى منظمات المقاومة العاملة .. والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وممثلون عن جبهة التحرير الفلسطينى والاتحادات والنقابات والشخصيات الفلسطينية .

وبموضوعية كاملة نقول انه كان مؤتمرا متميزا تماما عن كل المؤتمرات الفلسطينية السابقة ..

فلقد عقد المؤتمر الفلسطينى الاول فى مدينة القدس فى الفترة من ٢٨ مايو الى ٢ يونيو ١٩٦٤ وسط ظروف كانت تحاول اسرائيل فيها تحويل مجرى نهر الاردن .

وفى اثناء انعقاد جلسات هذا المؤتمر الاول كانت حركة فتح تطرح شعاراتها بضرورة القيام باعمال عسكرية لتعطيل مخططات اسرائيل .. ووقتها لم يعمل فى الساحة الفلسطينية سوى منظمة الفتح . وبالفعل قامت قوات العاصفة باعمال فدائية استهدفت ضرب الانابيب والمضخات الرئيسية للمشروع الاسرائيلى ..

وانعقد المجلس الفلسطينى الثانى فى القاهرة فى الفترة من ٣١ مايو حتى ٤ يونيو ١٩٦٥، ووقتها كانت حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » قد بدأت انطلاقتها الثورية واعلنت رسميا عن نفسها ووضعت امام الشعب العربى نظريتها المتكاملة فى تحرير فلسطين . وفى هذه الاثناء كانت ترتفع الاصوات والمحاولات من اجل التشكيك فى الخط الوطنى لحركة فتح ورفعت شعارات التوريط للدول العربية والخطأ فى التوقيت .

وانعقدت الدورة الثالثة للمجلس الوطنى الفلسطينى فى غزة فى الفترة من ٢٠ الى ٢٤ مايو « آيار » ١٩٦٦ وسط محاولات لاغراق القضيه الفلسطينية فى متاهات الخلافات العربية .

ومن خلال هذه المؤتمرات الثلاثة كان يبرز الخط الواضح لحركة فتح وهو الاصرار على ان العمل الفلسطينى هو العامل الحاسم فى جميع المواقف .

ولم يعقد المؤتمر الرابع لظروف خاصة بالمنطقة ولظروف متعلقة بالوطن العربى بعد عدوان الخامس من يونيو « حزيران » ١٩٦٧ .

وجاء مؤتمر القاهره وسط ظروف متميزة ومختلفة تماما عن كل الظروف السابقه وكان لابد وان يكون المنطلق الاساسى لعمل المجلس الوطنى الجديد هو التوجه الكلى نحو فلسطين والانطلاق بالعمل على صورة تحقق الوحدة الوطنية وتعمل على تصعيد العمل العسكرى . بمعنى ان يكون العمل الفلسطينى عملا حرا .. ذاتيا ومستقلا ، وغير خاضع وغير تابع وغير موجه . يكون هذا العمل قائما على الكفاح المسلح كأساس لا يجوز المساومة عليه مهما كانت الظروف .. والتصدى بحسم لشجب جميع المشاريع المشبوهة ومنها فكرة الكيان الفلسطينى المزيف فى الوطن المحتل، ورفض قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩٦٧ لما ينطوى عليه من اخطار تؤدى الى تصفية القضية الفلسطينية . وتأكيد الاجماع على اعتماد النضال المسلح طريقا للتحرير وتصميم الشعب العربى الفلسطينى على مواصلة هذا النضال ليصبح حربا شعبية تحريرية شاملة تخوضها الامة العربية بجميع قواها وتحشد لها كافة طاقاتها وامكانياتها .

ومنذ اللحظة الاولى لبداية جلسات المجلس الوطنى ادرك المراقبون ان هناك ٤ قضايا رئيسية اذا اجتازها المؤتمر بنجاح فقد نجحت كل اعماله . قضية تطوير منظمة التحرير باجهزتها المختلفة . وقضية تحقيق الوحدة الكاملة بين جميع المنظمات المقاتلة .. وقضية تنظيم الجباية

الشعبية والموارد المالية للمنظمات وعلاقتها بمنظمة التحرير .. ثم قضية تشكيل اللجنة التنفيذية التي تمثل القيادة الجماعية للشعب الفلسطيني واختيار رئيس لمنظمة التحرير .

واحيلت كل هذه القضايا الى اللجان الفرعية المختصة وبالفعل قطعت اللجان شوطا بعيدا في انجاز اعمالها ثم جاء اليوم الاخير للمؤتمر حيث يتم فيه انتخاب لجنة تنفيذية جديدة لمنظمة التحرير .

وكان هناك اكثر من اتجاه :

اتجاه يقول بتوزيع عدد المقاعد على المنظمات والقوى المشتركة بحيث يصبح للجنة التنفيذية المؤقتة ٤ مقاعد ولحركة فتح ٣ مقاعد وللجبهة الشعبية مقعد ولجبهة التحرير مقعدان وللمستقلين مقعد واحد . ولم يحظ هذا الاتجاه بأي تأييد .

واتجاه آخر قوي يقول بأن حركة فتح هي التنظيم الرئيسى العام في الارض المحتلة ومن هنا ينبغى ان تكون فتح هى العمود الفقرى للجنة التنفيذية لها الاغلبية المطلقة في عدد المقاعد يعاونها ممثلون عن بقية التنظيمات وذلك لاحداث التغيير المطلوب . وهنا بدات بوادر الخلافات والمناورات .

وعلى الفور طرحت قيادة فتح مشروعا بتجديد الثقة باللجنة التنفيذية المستقيلة ، ومنحها مدة ٦ اشهر لممارسة اعمالها في ضوء قرارات اللجان والدعوة لعقد المجلس الوطنى خلال هذه الفترة .

وخرج المؤتمر من الازمة التى كادت تطيح به بقرار اجماعى بمنح الثقة الكاملة للجنة التنفيذية المستقيلة ..

ويبرز سؤال : هل نجح المؤتمر بذلك في تحقيق اعماله .. ؟

وبموضوعية شديدة نقول ان القطع في الاجابة بلا او بنعم تحميل للاشياء اكثر مما تحتمل . فالذى لا شك فيه ان المؤتمر خرج بايجابيات متعددة كان ابرزها اعلان تشكيل المجلس العسكرى الاعلى ، وبعدد من التوصيات الهامة الاخرى .. ولكن في نفس الوقت هناك كثير من السلبيات لم يستطع المؤتمر تجاوزها .. ابرزها عدم خلق وحدة وطنية حقيقية بين المناضلين .

وفي تقديرنا ان الوقت كله الان بيد اعضاء اللجنة التنفيذية التى منحت ثقة جميع التنظيمات بلا تحفظ . فبيدها وحدها احداث التغيير في ضوء توصيات المجلس الوطنى .

توصيات اللجان :

ولقد كان اهم ماتضمنه تقرير اللجنة السياسية النص على :

● ان المرحلة التى تمر بها القضية الفلسطينية هى مرحلة الكفاح الثورى المسلح لتحرير الارض وان هذه الارض هى فلسطين التى اغتصبت منذ عام ١٩٤٨ حتى الان .

● ان الشعب العربى الفلسطينى هو طليعة العمل السياسى والعسكرى في مرحلة الكفاح المسلح ، وانه جزء لا يتجزأ من الشعب العربى ، وبناء على ذلك فان تحرير الارض هو مسئولية الشعب العربى الفلسطينى في الدرجة الاولى ، ومسئولية الشعب العربى كله .

● ان الكفاح المسلح الفلسطينى مرتبط تمام الارتباط بحركات التحرر الوطنى في العالم اجمع ، وان الصهيونية مرتبطة ارتباطا كاملا بالاستعمار العالمى ، وانها حركة عنصرية فاشستية ، وهى لا تستهدف فلسطين فقط وانما تهدف الى السيطرة الكاملة على الوطن العربى .

● فلسطين وطن عربى تجمعه روابط القومية العربية بسائر الاقطار العربية التى تؤلف معها الوطن العربى الكبير .

● الشعب العربى الفلسطينى هو صاحب الحق الشرعى في وطنه وهو جزء لا يتجزأ من الامة العربية يشترك معها في آمالها وآلامها ، وفي كفاحها من اجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة .

● شعب فلسطين يقرر مصيره ، بعد ان يتم تحرير وطنه وفق مشيئته وبمحض ارادته واختياره ، والشخصية الفلسطينية صفة اصيلة لازمة لا تزول وهى تنتقل من الاباء الى الابناء .

● الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى عام ١٩٤٧ ، سواء من اخرج منها او بقى فيها ، وكل من ولد لاب عربى فلسطينى بعد هذا التاريخ داخل فلسطين او خارجها هو فلسطينى .

● اليهود الذين هم من اصل فلسطينى يعتبرون فلسطينيين اذا كانوا راغبين بأن يلتزموا العيش بولاء وسلام في فلسطين ..

● ان الوحدة الوطنية بين جميع افراد الشعب الفلسطينى هى التى تدفع قضية التحرير الوطنى الى التصاعد والاستمرار .

● على الشعب الفلسطينى ان يقف على الحياد من جميع الحكومات العربية بمختلف انظمتها .. والحكومات والشعوب العربية مطالبة اليوم بتقديم كل مساعدة للثوار الفلسطينيين ، ووضع الطاقات العربية الهائلة في خدمة تحرير الارض العربية .

● الصهيونية حركة استعمارية في نشوئها ، عدوانية وتوسعية في اهدافها ، عنصرية تعصبية في تكوينها ، وفاشستية بمراميها ووسائلها . وان اسرائيل بوصفها طليعة هذه الحركة الهدامة

وركيزة للاستعمار،مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الاوسط خاصة وللاسرة الدولية بصورة عامة . ومن اجل ذلك فان اهل فلسطين جديرون بعون الاسرة الدولية وتأييدها .

وجاء في مقدمة ما تضمنته توصيات لجنة الاعلام والتوجيه القومي مايلي :

● اعطاء معلومات صادقة وامينة عن العمليات العسكرية التي يقوم بها ثوار فلسطين في الارض المحتلة .

● نشر الحقيقة في جميع المواقف السياسية التي تؤثر على قضية التحرير .

● اقامة حوار بين الثورة الفلسطينية ورجال الاعلام في الخارج وذلك بما يلائم فهمهم للقضية الفلسطينية، واستمرار التصدي للعدو الاسرائيلي بما يقترفه من جرائم داخل الارض المحتلة ، وكشفه كحركة معادية للشعوب .

● مناشدة رجال الاعلام العرب باتخاذ مواقف تعمل على وحدة العمل الفلسطيني ، ولا تعمل على تشتيت هذه الوحدة .

● مخاطبة العقل العربي باستمرار وتعميق خطورة الاستعمار الصهيوني .

وكان من اهم ما تضمنته توصيات اللجنة القانونية تحديد سلطات وصلاحيات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية،وقد نص على ان اللجنة التنفيذية هي اعلى سلطة تنفيذية للمنظمة وتكون دائمة الانعقاد واعضاؤها متفرغون للعمل، وتتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقررها المجلس الوطني وتكون مسئولة امامه ، مسئولية تضامنية وفردية . وانه من حق اللجنة وضع نظام لزيادة عدد اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني حتى يتمكن المجلس من استيعاب جميع طاقات الشعب العربي الفلسطيني .

وتتولى اللجنة التنفيذية تمثيل الشعب الفلسطيني والاشراف على تشكيلات المنظمة واصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم اعمال المنظمة ، على الا تتعارض مع الميثاق والنظام الاساسي ، وتنفيذ السياسة المالية للمنظمة واعداد ميزانيتها .

وعلى العموم ، تباشر اللجنة التنفيذية جميع مسئوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني .

ولقد استمرت مناقشات اللجنة المالية وتوصياتها وقتا طويلا ، لان اللجنة وضعت نظاما لاستمرار وصول الضريبة المقررة على جميع الفلسطينيين في انحاء العالم . وكان محور النقاش حول «الصندوق القومي الفلسطيني» الذي تصب فيه الاموال من الشعب الفلسطيني ، وتبرعات الشعب العربي ، ومعونات الحكومات العربية والصديقة للثورة الفلسطينية .

ولقد طرحت امام اللجنة عدة اسئلة منها : تسليم الارصدة الموجودة لدى المنظمات الفدائية الاخرى الى الصندوق على ان يقوم الصندوق بالانفاق على المنظمات .. كذلك هناك مصادر تمويل اخرى لبعض المنظمات ، هل تنضم هذه المصادر الى الصندوق القومي .. ؟ بحيث يصبح الصندوق الجهة الوحيدة التي تصل اليها الاموال جميعها .. وايضا « الجبساية والانفاق » هل تصبح من حق المنظمة ..

ولقد اسفرت المناقشات على قيام الصندوق القومي الفلسطيني بالمساهمة الفعالة بناء على توصيات المجلس العسكري لجميع المنظمات المقاتلة .. وان تظل اموال كل منظمة لديها لحين اتمام مرحلة الوحدة الكاملة .

ولقد كان من ابرز انجازات المجلس الوطني النص على تشكيل مجلس عسكري اعلى يقود عمليات الفدائيين داخل الارض العربية المحتلة ، كما يكون هذا المجلس مسئولاً عن كافة الشئون العسكرية ويكون مقره داخل فلسطين المحتلة وتظل اسماء اعضائه سرية غير معلنة .

وقد اسفر الاتفاق عن ٣ امور هامة بالنسبة للعمل العسكري الفلسطيني :

١ ــ التنسيق كمرحلة وكمدخل الى توحيد المنظمات الفدائية في منظمة واحدة مقاتلة .

٢ ــ العمل على تصاعد العمل الفدائي في المرحلة القادمة ووضع تخطيط علمي ليشمل جميع الاراضي العربية المحتلة ليصل الى حرب تحرير شعبية شاملة .

٣ ــ استمرار الثورة المسلحة واستمرار امدادها بالطاقات البشرية والمالية والعتاد التي يكفل لها تخطي جميع الصعاب التي تقدمتها .

والمراقبون يعتقدون انه رغما عن كل ما في هذا القرار من ايجابيات الا ان بدء التنفيذ ووضع كل هذه التوصيات موضع التطبيق يحتاج الى جهد كبير وتغيير شامل واساسي في عدد كبير من المسائل الداخلية للمنظمات الفدائية الشاملة . فاطراف هذا المجلس العسكري ثلاثة : حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » وجيش التحرير الفلسطيني .. ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .. وما اكثر التناقضات الموجودة بين هذه الاطراف . فعلى سبيل المثال لا الحصر .. لمنظمة فتح استراتيجيتها الخاصة في حرب التحرير استمدتها بعد عمل دائم ومستمر لمدة ٣ سنوات متصلة بدأت عام ١٩٦٥ بعمليات زرع الغام،وانتهت بعد حرب الايام الستة في عام ١٩٦٧ بتغيير شامل واتساع في عملياتها حتى وصلت

الى استخدام مدافع الهاون والصواريخ بالاضافة الى العمليات الكبيرة التى قامت بها داخل الارض المحتلة وما اوجدته من قواعد لها داخل المدن الاسرائيلية نفسها ..

باختصار شديد فان تنظيم « فتح العسكرى وهى قوات العاصفة قد فرض نفسه تماما على الساحة الفلسطينية واجتاز كل السلبيات التى اعترضته وهو فى تقدير المراقبين يمر الان فى اخطر مراحله من ناحية اتساع وشمول عملياته .

يقابل هذا تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهو لايزال يجتاز دور ومرحلة البداية ، مع انه قد فرض نفسه مؤخرا على المنطقة الا انه لازال فى حاجة شديدة الى ممارسة الاسلوب العسكرى واسلوب حرب العصابات اكثر من ممارسته للاساليب السياسية .

وامام هذين التنظيمين يوجد جيش التحرير الفلسطينى .. وهنا تكمن المشكلة .. فهو اولا جيش نظامى تركيبه الطبقى ونوعية تسليحه وتدريبه ونظام رواتب جنوده فى حاجة ماسة الى تغيير شامل ، فالمعركة الان مع اسرائيل ليست فى حاجة الى جيش نظامى بقدر ما هى فى حاجة الى قوات مرنة متحركة للفدائيين .. المعركة الان تحتاج الى نوعيات مخالفة تماما لتدريبات الجيوش .. ثم ان هناك تغييرا لابد ان يحدث فى قيادات هذا الجيش بمفاهيمها العسكرية التقليدية واحلال قيادات عسكرية جديدة تعتمد اساسا لها على اسلوب حرب العصابات . ثم ان التغيير ايضا يجب ان يمتد ليشمل نظام رواتب ضباط وجنود جيش التحرير ، فليس هناك داع على وجه الاطلاق لان يتقاضى مثلا احد قواد جيش التحرير راتبا شهريا يصل الى ٣٠٠ دينار اردنى وبدلات سفر الى الجبهة تصل الى ٥ دنانير كل يوم ، بينما اقصى راتب يتقاضاه ضابط قوات الفدائيين هو ١٥ او ٢٠ دينارا شهريا .

كل هذه القضايا ينبغى ان تطرح وتناقش بموضوعية وعلنية بين اعضاء المجلس العسكرى قبل ان تناقش تصعيد العمليات .. والا فان التناقضات ستتعمق بين الفرق المقاتلة، وتمتد حتى تصل الى مستوى القواعد المماثلة وهنا مكمن الخطر .. فهل تجتاز القيادة العسكرية الجديدة مثل هذه القضايا .. ؟ سؤال ينتظر الاجابة عليه .

خلاصة ما نقول :

ان الموقف كله الان بيد اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين .. فمعها اجماع المؤتمر الوطنى على الثقة بها .. ومعها توصيات ومشروعات خرج بها المؤتمر تتطلب وضعها موضع التنفيذ .

والوقت كله الان — ايضا — بيد المنظمات العاملة ، فليتجرد الجميع من انتماءاتهم وليعلوا صوت واحد فقط هو صوت العمل الوطنى الفلسطينى . فمهما بذلت اللجنة التنفيذية من جهد فان جهدها سيظل قاصرا مالم تتعاون معها بقية التنظيمات .

ان الستة الاشهر القادمة ستحمل رياح التغيير فى العمل الوطنى الفلسطينى ..

●

■ **اتحاد امارات الخليج**

الاتحـــاد .. جـزء من استراتيجية شرق السويس

اعلن مؤتمر حكام امارات الخليج العربى التسع ، الذى اختتم اعماله فى **ابو ظبى فى ٨ يوليو الماضى** ، عن توصل الحكام العرب الى حلول ايجابية بشأن الخلافات التى كانت تعترض قيام الاتحاد بين الامارات ، الذى سبق اعلانه فى ٢٧ فبراير الماضى .

ويرجع النجاح الذى صادفه المؤتمر الى الوساطة الكويتية ، وعلى اساس المقترحات التى قدمها الشيخ جابر الاحمد وزير خارجية الكويت الى حكام الامارات فى أواخر شهر يونيو ، والتى تضمنت استبعاد بحث مسألتى اختيار عاصمة ، ورئيس دائمين للاتحاد فى الوقت الحالى ، وهما المسألتان اللتان كانتا محل خلاف خاصة بين ابو ظبى والبحرين ، وادت الى فشل مؤتمر الحكام السابق فى ٢٥ مايو الماضى .

وقد اعلن المؤتمر عن موافقة الحكام بالاجماع على الموضوعات الرئيسية التالية :

- تشكيل مجلس اتحادى مؤقت يضم ممثلا عن كل امارة .
- انتخاب الشيخ خليفة بن حمد نائب حاكم قطر رئيسا للمجلس .
- تشكيل لجنة اتصال دائمة ، يشترك فيها عضو عن كل امارة ، مهمتها اجراء اتصالات دائمة بخبير القانون المصرى اثناء تأدية مهمته بصياغة الدستور الجديد للاتحاد .
- تشكيل لجان متخصصة للعمل على توحيد النقد ، وتأمين الاتصالات البريدية والتليفونية والتلغرافية ، واختيار علم الدولة الجديد ، والنشيد القومى ، واصدار جريدة رسمية للاتحاد .

ووافق حكام الامارات العربية التسع ، على ان يتم فى كل دورة انعقاد للمجلس الاعلى للاتحاد ، تحديد

مكان اجتماع المجلس الذى يليه ، وقد تقرر ان يعقد المؤتمر الرابع لحكام الامارات فى قطر فى شهر اكتوبر القادم . والمعروف ان اتحاد امارات الخليج قد بدأ التفكير فى تكوينه فى منتصف عام ١٩٦٧ ، على اثر اعلان بريطانيا الانسحاب العسكرى من منطقة الخليج فى نهاية عام ١٩٧١ وبتدبير منها ، لذا فقد تعرض لحملة من النقد والهجوم الشديدين من جانب القوى الوطنية والثورية فى منطقة الخليج العربى ، التى تناضل ضد الاحتلال والاستغلال البريطانى للامارات العربية .

وقد اعلنت **جبهة التحرير الوطنى بالبحرين** فى أواخر مارس الماضى «ان الاتحاد بين بلدان الخليج هى قضية مصيرية تقررها شعوب هذه البلدان بنفسها ، وليست مؤامرة استعمارية تحاك فى الظلام ويطعن بها الشعب من الخلف ، وهدفها الحفاظ على المصالح النفطية للاستعمار العالمى وحماية الرجعية فى المنطقة واشراك هذه البلدان فى عملية التآمر التى تقوم بها قوى الردة العربية بمؤازرة الاستعمار العالمى ضد الدول العربية المتحررة» ان هدف الاتحاد المزيف هو ضرب القوى الوطنية ومحاولة اقامة جدار امام الثورة المنطلقة من الجنوب ومحاصرتها والتآمر العلنى ضد الثورة ومساندة الانظمة الرجعية فى الخليج » .

كما اعلنت **جبهة تحرير ظفار** فى شهر مايو الماضى : ان الاستعمار الانجلو — امريكى يدرك تماما كما يدرك الامراء انفسهم ان حكومة شاه ايران لاتمثل اى خطورة على المنطقة فى ظل حكمهم، ولكن تصعيد الخطر الايرانى فى الخليج العربى فى ظل ظروف حكم الامراء ما هو الا محاولة من أجل لهب المشاعر القومية للجماهير العربية ودفعها بصورة غير مباشرة لمؤازرة الامراء لايجاد نوع من التحالف فيما بينهم بحجة مواجهة الخطر الايرانى، ولكنه فى حقيقته يهدف الى مواجهة خطر الثوريين العرب وليس الاطماع الايرانية » .●

●

■ **العراق**

انقلاب .. دون تغييرات أساسية

لم يكن الانقلاب الذى وقع فى العراق فى ١٧ يوليو ، وأطاح بحكم الرئيس عبد الرحمن عارف مفاجأة بالنسبة للمراقبين فى العالم العربى . فان الظروف التى أحاطت بمجيئه الى السلطة فى ١٦ ابريل عام ١٩٦٦ ، وعدم استقرار الوضع فى البلاد، كانت تنذر دائما بوقوع احداث خطيرة فى العراق.

ولقد أدى موت الرئيس الراحل عبد السلام عارف فى أبريل ١٩٦٦ ، الى تفاقم الصراع بين القوى السياسية التقليدية فى البلاد للاستيلاء على الحكم ، وحسمت بعض العناصر القومية من اعضاء «حركة الثوريين العرب» الاوضاع بالوقوف الى جانب اللواء عبد الرحمن عارف واختياره رئيسا للجمهورية .

وفى ١٢ يونيو ١٩٦٧ اجتمع الرئيس عبدالرحمن عارف لاول مرة بممثلين للقوى الحزبية التقليدية فى البلاد من الوزراء والعسكريين السابقين الذين شاركوا فى الحكم منذ قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، ومن بينهم احمد حسن البكر وناجى طالب من رؤساء الوزراء السابقين ، لمناقشة الاوضاع الداخلية فى البلاد والموقف العربى بعد النكسة فى حرب يونيو ، والاتفاق على وضع خطة للعمل فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ولكن الاجتماع لم يسفر عن نتيجة لعدم اتفاق وجهات النظر بين القوى السياسية المختلفة .

ويرجع المراقبون بداية الخلاف بين ضباط حركة الثوريين العرب ، وبين الرئيس عارف، الى اختياره للفريق طاهر يحيى رئيسا للوزراء فى ١٠ يوليو ١٩٦٧ الذى لايتمتع بتأييد كاف بين الضباط ، وبخاصة الضباط الشبان ، ولايتمتع بتأييد القوى السياسية التقليدية .

وكان آخر لقاء بين الرئيس عارف وممثلى تلك القوى السياسية فى ٣٠ مارس الماضى، والجديد فى هذا اللقاء، ان هذه القوى قد اظهرت اتفاقا تاما لاول مرة فى وجهة نظرها وطالبت: بتشكيل مجلس وطنى فى العراق من ٣٠ عضوا يشارك فى حكم البلاد ، وله صلاحيات رئيس الجمهورية فى عزل وتشكيل الوزارات — وتشكيل وزارة ائتلافية — وتحديد فترة انتقال لحين قيام مجلس تأسيسى منتخب من قبل الشعب — ودعم القوات العراقية فى الاردن — وحل مشكلة الاكراد فى الشمال — ومعالجة المشاكل الاقتصادية والوضع المالى فى البلاد . ولقد وعدهم الرئيس عارف بالنظر فى هذه المطالب، وتبين لهم بعد ذلك الاتجاه الرسمى برفض هذه المطالب ، فكان ان بعثوا فى ١٦ ابريل بمذكرة الى الرئيس عارف تتضمن المطالب السياسية السابقة، واشترك فى التوقيع على المذكرة ١٣ شخصا هم: **أحمد حسن البكر ، وناجى طالب ، وعارف عبد الرازق ، وعبد العزيز العقيلى ، وصالح مهدى عماش ، وحردان التكريتى ، ورجب عبد المجيد، وصبحى عبد الحميد ، وعبد الهادى الراوى ، ورشيد مصلح، وعبد الستار عبد اللطيف ، واسماعيل مصطفى ، ومحمود شيت خطاب .**

وكانت هذه آخر المحاولات التى بذلت لاقناع الرئيس عارف بتغيير موقفه ، ولكن بدون جدوى، فقد أعلن الرئيس عارف رفضه للمذكرة السياسية، وأيضا تمسكه بطاهر يحيى .

ومن الناحية الاخرى أعلن ممثلو هذه القوى السياسية رفضهم لمقابلة الرئيس عارف مرة

اخرى ، كما بدأ الضباط من حركة الثوريين العرب يتخلون عنه ، ويتصلون بأحمد حسن البكر ومهدى عماش وحردان التكريتى من قادة البعث القومى وغيرهم ويعدون للاطاحة بحكم الرئيس عارف ، رغم انهم وقفوا لفترة طويلة من قبل يساندونه ويدعمون حكمه .

وفى ذلك الوقت قام الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء باجراء تنقلات فى الجيش شملت عددا من قادة الوحدات والضباط بهدف تشتيتهم واضعاف قوتهم ، وقد عارض فريق من الضباط تنفيذ النقل من بينهم المقدم عبد الرازق النايف وكيل المخابرات العسكرية .

وقد عجل من تدهور الوضع توالى الازمات الوزارية، مثل استقالة الوزيران الكرديان فىوزارة طاهر يحيى وهما احسان شيرزاده والعقيد عبد الفتاح الشالى فىاواخر شهر يونيو،ووقوع الخلاف بينطاهر يحيى واسماعيل خيراللهوزير الخارجية، الذى يقال انه على صلة بحركة الضباط الشبان فى الجيش ، وكان آخرها استقالة العميد الركن عبدالكريم فرحانوزيرالزراعة والاصلاحالزراعى. وكان ان اضطر طاهر يحيى الى تقديم استقالة وزارته على ان يقوم بتشكيل وزارة جديدة .

ويقال ان القوائم الوزارية التى تقدم بها طاهر يحيى كانت تقابل بالرفض من جانب القصر الجمهورى مماالظهر عجزه عن تشكيلالوزارة.وفى ١٦ يوليو كلف **محسن حسين الحبيب** سفيرالعراق فى موسكو أثناء وجوده فى العراق فى ذلك الوقت بتشكيل الوزارة الجديدة ، وقد أبدى الضباط الشبان ارتياحهم وتعاونهم مع محسن الحبيب لتشكيلها ، ولكن بدلا من صدور القرار الجمهورى باعتماد الوزارة الجديدة ، فوجىء الجميع بتراجع الرئيس عارف ، وتكليف طاهر يحيى بتشكيل الوزارة من جديد .

وعند ذلك تحركت القوى الاخرى لاتخاذ موقف سريع وحاسم . وكان أن ذهب العميد عبد الرزاق النايف ومعه بعض الضباط الى القصر الجمهورى لمقابلة الرئيس عارف وطلبوا منهتنفيذ المطالب التالية :

- ابعاد طاهر يحيى عن الحكم وتشكيل وزارة أخرى ترضى عنها القوى السياسية المختلفة والضباط فى الجيش .
- ابعاد الضباط الذين لا يثق فيهم الجيش ، واعادة الضباط الذين شملهم النقل الى أماكنهم، وأيضا عودة الضباط المحالين على التقاعد الى الخدمة .

ورفض الرئيس عارف هذه المطالب وأعلن تمسكه بطاهر يحيى . ثم خرج الضباط بعد ذلك اللقاء للاتصال بزملائهم الذين كانوا يختبئون فىذلك الوقت داخل القصر الجمهورى وفىالخارج ،والقيام بتنفيذ الانقلاب فى نفس تلك الليلة ، وكان أن نجح الانقلاب فى اقصاء الرئيس عبد الرحمن عارف عن الحكم وترحيله عن البلاد ، والقبض علىعدد كبير من الوزراء والمسئولين من بينهم الفريقطاهر يحيى وأديب الجادر رئيس الشركة الوطنية للبترول ، كما تقرر الحجز على أموال ٢٦ شخصا من المسئولين السابقين منبينهم طاهر يحيىوأديب الجادر بتهمة تحقيق مكاسب شخصية،وأن التهمة الموجهة لهما تتعلق باتفاقات البترول مع مؤسسة «ايراب» الفرنسية للبترول،وأنهما قد حصلا على رشوة كبيرة من الشركة الفرنسية ، وتشكيل مجلس ثورة فى البلاد ، وانتخاب احمد حسن البكر رئيسا للجمهورية وعبد الرزاق النايف رئيسا للوزارة .

وقد أعلن الدكتور **ناصر الحانى** وزير الخارجية فى الحكومة العراقية الجديدة : ان الاسباب التى عصفت بالوضع فى العراق وجود مشكلات امتد عليها الزمن ولم تلق حلا سليما وفى مقدمتها مسألة الشمال والتصدع الذى أصاب الوحدة الوطنية وعدم وضوح الاهداف .. وقال ان الخط السياسى للحكومة الحاضرة يتسم بالحقيقة الطبيعية وهى ان العراق جزء من الوطن العربى،وان الجمهورية العربية المتحدة وشعبها الشقيق قد وقفت نفسها للقومية العربية وعملت دائبة وظلت فى الطليعة رائدة نهج عربى سليم . وضحت من أجل هذا بما يحتم علينا أن نضع طاقاتنا وامكانياتنا كلها الى جانب امكانياتها .. وان الحكومة الجديدة تؤمن بالتعاون العربى وسنعمل جاهدين على تنسيق امكانياتنا مع الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ، بحيث نضع طاقاتنا العسكرية والمالية للعمل سويا على اعادة الاجزاء السليبة من الوطن العربى وازالة العدوان وتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وقد اشتركت فى انقلاب ١٧ يوليو بعض الكتل السياسية وهى : الجناح اليمينى فى حزب البعث القديم ويمثله أحمد حسن البكر ، الذى اختير رئيسا للجمهورية . (وهو جناح غير جناح حزب البعث الحاكم فى سوريا) ـ والضباط المحافظون من أنصار اللواء عبد العزيز العقيلى وهو من اليمينيين ـ وحركة يطلق عليها «الثوريون العرب» ويمثلها عبد الرزاق النايف رئيس الوزراء الحالى ـ والقوميون المستقلون ويمثلهم ناجى طالب عضو مجلس الثورة .

ويبدى المراقبون فى العالم العربى تخوفهم من نشوب الصراع من جديد بين هذه الكتل وغيرها من القوى السياسية التقليدية علىمسرحالسياسة العراقية ، ومن أن يؤدى الى مزيد من تفاقمالوضع فى العراق واضعاف قواه الداخلية .

والمعروف أن جناح أحمد حسن البكر يسيطر على المراكز الرئيسية فى الدولة ويشغل

حاليا ٨ وزارات من بينها الداخلية ، فضلا عن رئاسة الجمهورية ورئاسة اركان الجيش — كما ذكرت الانباء ان قادة الانقلاب قد اتصلوا ببعض القوى المعروفة للاشتراك فى الوزارة ولكنها أبدت اعتذارها عن عدم القبول .

●

■ **فيتنــــــام**

الانســـحاب من « خى ســانة » لتفــادى « ديان بيان فو » أخرى فى « سايجون »

أكد الانسحاب الامريــكى من قاعــدة « خى سانة » الهــامة فى شمال فيتنام الجنوبية ، المزيد من تدهور الوضع العســكرى والســياسى الامريكى هناك . فاذا كانت الولايات المتحدة قــد أشارت فى اجهزة اعلامها وصحافتها من قبل ، الى ان « خى سانة موقع استراتيجى »،و «قاعدة هامة جدا » « لا يمكن السيطرة عليها » و « ان رجال البحرية الامريكية موجودون هناك ليبقوا» وان « الولايات المتحدة ستدافع عنها بأى ثمن » ، فان أحدا من المعلقين السياسيين والعسكريين لا يأخذ تصريحاتهم عن أن « قيمــة خى ســانة العسكرية معدومة »وعن « انهاء فعالية القاعدة» الا دليلا على محــاولة تغطيــة فشلهم المتزايد الوضوح فى الجبهة الفيتنامية عامة .

ذلك ان خى سانة فى حقيقتها هى أهم نقــطة دفاع عن الاقليمين الشماليين فى فيتنام الجنوبية ، وهى نقطة الدفاع الغربية عن القوات الامريكية كلها ، وتقبع على « بوابة » الطريق رقم «٩» الذى يربط بين « لاوس » ، وبحر الصين الجنوبى . واذا كان الجنــرال وستمورلاند قد اعلن من قبل « انا لن نترك هذه القاعدة على الاطلاق » ، فان الجنرال ابراهام خليفته قد قرر اخلاءها ، ويقف ذلك دليلا فى الحقيقــة على فشل استراتيجيــة وستمورلاند التى تجسم الفلسفــة العســكرية الامريكية ، والتى تزعم « بأن كل الحروب وكل المشاكل يمكن حلها بنجاح من خلال ((استراتيجية الابادة)) عن طريق استخدام مزيد من الرجال ، ومزيد من العتاد والذخيرة ، ومزيد من النــيران والطاقة النارية » دون النظر الى المسائل من الناحية السيكولوجية أو السياسية — على أنه اذا كانت القيادة الامريكية تفسر انسحابها من « خى سانة » على أساس عدم حاجتهم الى هذه القاعدة ، بقدر حاجتهم الى الحركة ، فان عديدا من المعلقين العسكريين يتســاءلون عن السبب الحقيقى — فى هذه الحالة — لانشاء هذه القاعدة وانفاق كل هذه التكاليف الباهظة لتموينها وحمايتها بأفواج من الطائرات الضخمة التى تتكلف الواحدة منها ٨ ملايين دولار .

وعلى أية حال ، فان القتال حول خى ســانه حتى فى الحدود التى تم فيها ، حافل بعديد من الخبرات والعبر والدلائل العسكرية فيما يتعلق بقدرة الثوار الفيتناميين على المقاومة ، ذلك أنه فى منطقة انتشار الثوار وعرضها ٨٠٠ متر وطولها ثلاثة كيلومترات ، ألقت طائرات الولايات المتحدة ، طوال ٧٧ يوما عددا من اطنان القنــابل يماثل كل ما ألقى على المانيا خلال الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من ذلك ، فقد استطاعت القوات الثورية ،وفقا لما جاء فى البيان الخاص بقيادة جبهة خى سانه » ، استطاعت ان تبيد ١٧,٠٠٠ من جنود العدو ، منهم ١١,٠٠٠ امريكى ، وان تأسر المئات من الجنود الامريكيين وجنود الجيش العميل وتحطم وتسقط ٤٨٠ طائرة امريكية ، وتدمر المئات من العربات ، و ٦٠ مدفعا مورتار وانواع اخرى ، وتدمر ايضا ٥٠ مخزنا للجازولين والمؤن .واضطروا أخيرا الى الانسحاب من القاعدة لتفادى الافناء التــام .

وأخيرا (٧/٢٣) وصلت أنباء هجوم قوى جديد على قاعدة دانانج الامريكية الضخمة ، استخدمت فيه الصواريخ ، ودمرت مدرجات المطارات وكثير من المنشئات والمخازن والطائرات . وقتل أثنــاء الهجوم جنرال أمريكى ، هو روبرت وودلى ، قائد الجناح السابع للسلاح الجوى الامريكى . وترى وكالات الانباء الغربية أن المعارك الدائرة حــول دانانج ربما تكون بداية هجوم شامل جديد للثوار على المدن والقواعد الامريكية فى فيتنام الجنــوبية على غرار هجوم رأس السنة القمرية ، الذى كان بداية الهزائم الامريكية فى أوائل العام الحالى .

هذا فى الوقت الذى اعلن فيه الجنرال **فان تيان دونج** الفيتنامى الشمالى ، ان الحرب فى فيتنام الجنوبية قد دخلت « مرحلة مجيدة جديدة » تسمح لقوات الثوار بشن هجمات واسعة النطاق ، تهدف الى ابادة اكبر عدد من الجنود الامريكيين » فى حين تشن قوات تكتيكية من الثوار هجمات تجريبية محدودة على سايجون لاختبار دفاعها قبل الهجوم الشامل الجديد المتوقع .

وفيما يتعلق بتطورات محادثات باريس ، أوضح ((**يوثانت** سكرتير عام الامم المتحدة)) ، انه ليس ثمة احتمالات تسفر عنها المحادثات التى تجــرى

بين واشنطن وهانوى عن سلام مبكر فى فيتنام . كذلك اوضحت المصادر الدبلوماسية المطلعة فى لندن انه ليس من المحتمل التوصل الى تسوية لمشكلة فيتنام قبل انتهاء انتخابات الرئاسة الامريكية هذا فى حين أشارت مصادر وفد فيتنام الشمالية الى انه بالرغم من تصريحات « هيوبرت همفرى » نائب جونسون ، التى دعا فيها الى وقف اطلاق النار فى فيتنام فورا ، الا أن الوفد الامريكى فى المحادثات ، لم يعرض وقف اطلاق النار . مما يدل من وجهة نظر الفيتناميين الشماليين :« على وجود خلافات بين زعماء الحزب الديموقراطى الامريكى فيما يختص بالسياسة الامريكية فى فيتنام » . على ان الامر الذى له كل دلالته الواقعية فيما يتعلق بالسياسة الامريكية المتبعة حاليا فى فيتنام ، هى أن الرئيس الامريكى جونسون ، قد قام أخيرا بتوقيع قانون باعتماد ٩ مليارات دولار كميزانية اضافية ، ثلثاها لتغطية النفقات الزائدة لحرب فيتنام ، ١٠٠٫٠ مليون دولار لزيادة «المجهود الحربى» فى كوريا الجنوبية .

٢٠ يولــيو .. ذكرى توقيع اتفاقيات جنيف

اربعة عشر عاما

مضت على توقيع اتفاقيات جنيف بشأن الهند الصينية ، وهى الاتفاقيات التى وضعت الاساس الصحيح لوضع تسوية سلمية وعادلة لمشكلات هذه المنطقة التى ظلت لامد طويل مركزا لصراعات دامية ومريرة والتى توشك ان تدفع بالعالم كله الى هاوية صدام عالمى نووى .

وقد عقد مؤتمر جنيف بناء على قرار اتخذ فى اجتماع وزراء خارجية امريكا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا الذى عقد فى برلين فى فبراير ١٩٥٤ ، واتفق على أن يحاول هذا المؤتمر تسوية المشكلات المتخلفة عن حرب كوريا ، وان يحاول التوصل الى هدنة فى الهند الصينية .. وفى ٢٦ ابريل ، وبينما كانت معركة « دين بيان فو » تدخل

تعليق

روديسيا بين خلافات البيض والكفاح المسلح

ما هى الدلالات التى تكمن وراء استقالة هاربر وزير داخلية سميث واحد الاعضاء البارزين فى قيادة حزب الجبهة الحاكم ؟ وهل تنبىء هذه الاستقالة عن احتمالات معينة لتطورات الاحداث فى روديسيا فى المستقبل القريب ؟

ليس مبالغة فى تبسيط الامور ان نقول: ان هذا الانقسام « الجزئى » داخل جبهة البيض المنصريين ، واحد من ثمار الكفاح الوطنى المسلح الذى بدأه الافريقيون فى روديسيا فى مارس الماضى .

لقد تحقق الكفاح الوطنى المسلح فى وقت كانت فيه مشكلة روديسيا قد وصلت الى حد ينبغى معه البحث عن حل .

ـ فليست بريطانيا راضية كل الرضا عما يحدث فى روديسيا .

ـ ولا الافريقيين بشكل عام ، وفى روديسيا بشكل خاص راضين عن تطورات المشكلة .

ـ ولا صفوف جبهة البيض راضية حيث ان الاستقلال من جانب واحد لم يحقق رغم مضى حوالى سنتين الاستقرار المنشود .

ـ والرأى العام العالمى كذلك غير راض عن تطورات المشكلة .

فى هذا الجو من « عدم الرضا العام » جاء الكفاح المسلح كعامل جديد حاسم وغير متوقع ، ليستقطب صفوف الوطنيين الافريقيين وقوى الرأى العام المتحرر فى الخارج ، بينما طرح بين صفوف جبهة البيض الحاكمة سؤال : كيف نواجه الكفاح المسلح ؟ وكان لابد ان تختلف وجهات نظر البيض فى ذلك .

فمجموعة سميث تعتقد بضرورة الاعلان عن « دستور دائم » ـ يجرى اعداده فعلا ـ يعطى للافريقيين (الذين يرضى عنهم البيض طبعا) حق دخول الانتخابات والحصول على عدد من مقاعد البرلمان (الاقلية طبعا) . وهو بذلك يسعى الى ضرب اكثر من عصفور بحجر واحد « الدستور » :

ـ فهو يرضى ـ من حيث الشكل ـ قطاعات من الرأى العام العالمى بزعم أنه ينمو الى « حكم الاغلبية » الافريقية بالتدريج ، ليحدث انقساما فيه يخفف من حدة موقف الرأى العام العالمى ضده .

ـ وهو يرضى ايضا حكومة بريطانيا التى تبحث فى الواقع عن « مخرج » ـ حتى شكلى ـ لحل المشكلة بينها وبين حكومة البيض فى روديسيا . ويعتمد سميث فى ذلك على جهد « المحافظين » الذين سيتلقفون « الكرة » للهجوم على حكومة العمال بهدف الوصول الى حل .

ـ وهو يحدث بذلك ـ مؤقتا ـ انقساما بين صفوف الافريقيين فى روديسيا معتمدا على بعض القطاعات التى لا تحبذ الاخذ باسلوب الكفاح المسلح ، والاعتقاد بامكانيات « الحل السلمي » .

ـ وهو يكسب بذلك ـ أيضا ـ معظم صفوف البيض نظرا لما سوف يحققه اعلان الدستور من استقرار « شكلى » .

أما مجموعة هاربر فتعتقد بضرورة الاسراع باعلان الجمهورية ورفض منح الافريقيين اى مقعد فى البرلمان ثم الاعتماد بشكل كامل على جنوب افريقيا و « رمى طوبة » بريطانيا وامكانية الوصول معها الى حل .

ان البيض ـ جميعا ـ ينطلقون من منطلق واحد هو : الاحتفاظ بروديسيا وحكم الاقلية المنصرية مهما كان الثمن . ويختلفون حول اسلوب هذا « الاحتفاظ » فحسب ، والواقع ان خطوة سميث المتوقعة والمرتقبة والاكثر ذكاء فى نفس الوقت ، كان يمكن ان تمثل خطورة اشد لو انها تمت قبل بدء الكفاح المسلح للوطنيين الافريقيين . ولكن الحركة الوطنية المسلحة اخذت زمام المبادرة ـ بغض النظر عن مدى حجمها ووزنها الان ـ ويتوقف على مدى فعاليتها وتقدمها تطورات احداث المستقبل فى روديسيا .

حسين شعلان

مرحلتها الحاسمة مؤذنة بانهيار تام للسياسة الاستعمارية الفرنسية فى المنطقة ، افتتح مؤتمر جنيف . وقد حضر المؤتمر **مولوتوف** . (الاتحاد السوفيتي) **جون فوستر دالاس** (امريكا) **ايدن** (بريطانيا) **بيدو** (فرنسا) **شواين لاى** (الصين الشعبية) .

ومنذ الوهلة الاولى للاجتماع ادرك الجميع أن المشكلة الاكثر اهمية والاكثر الحاحا هى مشكلة فيتنام حيث تتعرض فرنسا لخطر هزيمة ساحقة.

ولم يكن دالاس قد ذهب الى جنيف بحثا عن السلام لكنه ذهب الى هناك فى محاولة لاقناع شركائه الغربيين بضرورة القيام بعمل عسكرى موحد فى فيتنام متعهدا باقناع الدول الست عشرة التى شاركت فى حرب كوريا كى تشارك ايضا فى الحرب ضد فيتنام . وقد حاول بيدو أن يؤيد **دالاس** ، لكن مركز حكومته كان مهتزا وضعيفا ، وما لبثت ان سقطت بعد أسابيع بعد أن سحبت منها الجمعية الوطنية الثقة . اما بريطانيا فقد عارضت بشدة اى عمل جماعى ضد فيتنام وقال ايدن كلمته الشهيرة « ان الحرب فى فيتنام حرب غير ملائمة، ضد شعب غير ملائم .. وفى مكان غير ملائم » ومع احتدام الخلاف بين الحلفاء الغربيين غادر دالاس المؤتمر غاضبا فى ٣ مايو تاركا بدلا منه الجنرال بيندل سميث .

وبالرغم من الغضب الامريكي امكن للمؤتمر ان يحقق نجاحا باهرا ساعد عليه النصر الباهر الذى حققه الشعب الفيتنامى فى معركة « دين بيان فو » .. وهكذا امكن التوصل الى اتفاقيات جنيف التى تنص على ..

- انسحاب القوات الاجنبية تماما خلال ٣٠٠ يوم ..
- انه بهدف الاسراع فى اعادة تجميع كل طرف لقواته العسكرية تقسم فيتنام الى قسمين يفصلهما خط العرض ١٧
- لا تزاد القوات المسلحة لاى من شطرى فيتنام ، ولا يدخل اى منهما فى تحالفات عسكرية، ولا يسمح لاراضيه بان تكون مركزا لاية قواعد عسكرية اجنبية .
- لا يجوز لاى من الجانبين اتخاذ اية اجراءات عقابية ضد الانصار السياسيين للقسم الاخر والمقيمين فى اراضيه .
- تاكيدا لوحدة فيتنام نص على أن تجرى فى ٢٠ يوليو ١٩٥٦ انتخابات عامة فى كل من شطرى فيتنام بهدف اعادة تأسيس حكومة موحدة لفيتنام كلها .
- تقرر أن تشرف على تنفيذ هذه الاتفاقية لجنة ثلاثية من مندوبى كندا وبولندا برئاسة هندى

وقد وقع المندوبون جميعا على هذه الاتفاقية ما عدا المندوب الامريكي الذى اكتفى بأن أصدر اعلانا منفصلا تعهد فيه الا تستخدم أمريكا القوة والا تهدد باستخدامها لافشال اتفاقيات جنيف .

اما بقية القصة فمعروفة .. فامريكا بعد ان فشلت فى جر حلفائها الى حرب جماعية ، قررت ان تخوض هذه الحرب منفردة .

والحقيقة ان حلفاء امريكا عندما رفضوا الخطة الامريكية انما رفضوا ان يكونوا ضحية للمصالح الامريكية ،ففى الفترة الاخيرة من الاحتلال الفرنسى للهند الصينية كانت الاحتكارات الامريكية هى المستفيد الحقيقى من هذه الاحتكارات .. وفجأة اكتشف الفرنسيون انهم يحاربون هناك دفاعا عن المصالح الاقتصادية الامريكية .. وقد عرض الرئيس الفرنسى السابق **رينو** المسألة بوضوح وصراحة قائلا « انكم ايها الامريكيون تحصلون من الهند الصينية على ٨٩٪ من مطاطها الطبيعى و ٥٢٪ من احتياجاتكم من الصفيح .. وهكذا فاننا من الناحية الفعلية نحارب فى الهند الصينية دفاعا عن مصالحكم انتم لا من أجل مصالحنا نحن » .

وهكذا خاضت امريكا الحرب منفردة ، فبدأت باقامة حكم عميل ، وعرقلت اجراء الانتخابات العامة التى نصت عليها اتفاقيات جنيف كسبيل لتوحيد شطرى فيتنام .. ثم تطورت اللعبة الامريكية من مد الحكومة العميلة بالمساعدات العسكرية .. الى مدها بالخبراء العسكريين .. الى ارسال اكثر من نصف مليون جندى امريكي وجنود آخرين من البلدان الموالية لامريكا . . وتحولت فيتنام بسبب التدخل الامريكي الى مسرح لاشد انواع الحروب ضراوة ووحشية وبشاعة .

وفى مواجهة هذه الحرب الوحشية يخوض الشعب الفيتنامى فى الشمال والجنوب معركة الدفاع عن استقلال ووحدة الوطن . ويخوض الشعب هذه المعركة القاسية تلهمه قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمل الفيتنامى التى تقول : « قد تجف الانهار .. وقد تندثر الجبال ، ولكن تصميم شعبنا على اعادة وحدة الوطن لن يتزعزع ولسوف ننتصر فى النهاية » .

وبالرغم من كل الاجراءات الوحشية واسلحة القتل الجماعى والغازات السامة والخانقة والحارقة ، بالرغم من عمليات الابادة بالجملة يواصل الشعب الفيتنامى صموده الشجاع مؤكدا كلمات ايدن « انها الحرب غير الملائمة ، ضد الشعب غير الملائم ، فى المكان غير الملائم » .

.. وبعد اربعة عشر عاما من التجارب وانهار الدماء والدمار تظل اتفاقيات جنيف كما كانت منذ البداية السبيل الوحيد لايجاد تسوية عادلة .. وسلمية للمشكلة الفيتنامية .

■ **اوربا الغربية**

الموجة الانتخابية في ظل الديمقراطية الغربية

شهدت البلاد الغربية ، خلال الاسابيع الماضية ، تطبيقات عديدة للانتخابات البرلمانية على النسق الغربي في ايطاليا وفرنسا وتركيا وكندا واليابان . كما ترى حاليا اولى مراحل المعارك السياسية لاختيار المرشحين لانتخابات الرئاسة الامريكية . ويجمع هذه التجارب - على اختلاف نتائجها ودلالاتها الظاهرية - مغزى واحدا عميقا هو عجز الديمقراطية الغربية عن تلبية رغبات الجماهير واحتياجاتها .

ففي **تركيا** ، ينتصر الحزب الحاكم المتمسك بسياسة الاحلاف ، بالرغم من المظاهرات العنيفة المستمرة التي يقوم بها شباب الجامعات والشعب ضد القواعد الامريكية ، وضد اشتراك تركيا في حلفي الاطلنطي والمركزي .

اما في **ايطاليا** ، فبالرغم من التقدم الذي احرزه الحزب الشيوعي في نسبة الاصوات ، وفي مقاعد البرلمان ، وبالرغم من تصدع ائتلاف يسار الوسط الذي تخلى الاشتراكيون في ظله عن مطالب الجماهير ثمنا لبقائهم في الحكم مع الحزب الديمقراطي المسيحي اليميني - بالرغم من كل ذلك وقع اختيار رئيس الجمهورية والزعيم الاشتراكي الديمقراطي **ساراجات** على الديمقراطي المسيحي **جيوفاني ليوني** لتشكيل حكومة **اقلية** من الحزب المسيحي وحده . وتحظى هذه الحكومة بثقة مجلس النواب بفضل امتناع الحزب الاشتراكي المتحد عن التصويت عند الاقتراع على الثقة . وهكذا تمضي ايطاليا بحكومة حزب نال اقل من ٤٠ ٪ من اصوات الناخبين وله ٢٦٦ مقعدا من ٦٣٠ في مجلس النواب .

لكن ماذا تستطيع مناورات الرجعية والاحزاب اليمينية والانتهازية ازاء حركة الجماهير سيدة الشارع والبلاد ؟

بينما كان يجرى تشكيل الوزارة (٢٣ يونيه) سد الطلبة اليساريون مدخل معرض بينالي فينتسيا وتعرض الجناح الامريكي لاقسى هجوم ، وانسحب بعض مشاهير الفنانين من ايطاليا والسويد وفرنسا وغيرها . وفي اوائل يوليو اضرب عمال الصناعة والزراعة والمواصلات والبنوك وجمع القمامة ، وبات متوقعا ان تنفذ نقابات السكة الحديد تهديدها بالاضراب الشامل في بعض القطاعات ، وكذا عمال وموظفو الصحف . وفي اثناء الاقتراع على الثقة (١٠ يوليو) اضرب آلاف العمال لمدة ٢٤ ساعة احتجاجا على فصل بعضهم من اعمالهم ومطالبين بزيادة الاجور وتحسين ظروف العمل ، وقاموا بمسيرة عطلت المرور وسط العاصمة . وصرح **لويجي لونجو** زعيم الحزب الشيوعي ، بأن جميع الدلائل تشير الى عجز الحكومة عن تقديم حلول فعالة للمشاكل التي تعانيها البلاد .

هكذا بدأت ايطاليا تشعر بالصيف الساخن الذي تدفع اليه الرجعية البلاد باصرارها على تجاهل مطالب الشعب وارادته التي اعرب عنها في الانتخابات ، والتي لا يبدو ان الاعيب ومناورات الاحزاب البورجوازية ستقدر على تعطيلها بالاستناد الى حماية الديمقراطية البرلمانية الخادعة .

وفي **اليابان** ، اسفرت انتخابات ٧ يوليو لتجديد نصف اعضاء مجلس الشيوخ (١٢٥) ، عن فوز حزب الحكومة **الديمقراطي الحر** برئاسة **ايزاكو ساتو** . ولا يقوم مجلس الشيوخ بدور هام في توجيه سياسة البلاد ، بعكس الحال بالنسبة لمجلس النواب . ومع ذلك فقد اهتم المراقبون بهذه الانتخابات ، لانها بمثابة مؤشر الى اتجاه الناخبين (٦٧ مليونا) ، ازاء سياسة الحكومة ، كما انها آخر انتخابات تسبق حلول موعد تجديد معاهدة الامن المتبادل مع امريكا سنة ١٩٧٠ .

ولقد كانت السياسة الخارجية محور الانتخابات وقد حصل حزب الحكومة على ٦٩ مقعدا (بخسارة مقعدين) فأصبح له ١٣٧ من ٢٥٠ مقعدا بمجلس الشيوخ . ولما كان زعماء المجلس محرومون من حق التصويت وعددهم ١١ (رئيس مجلس ووكيله ، ٣ وزراء ، ٦ نواب وزراء) ، فان حزب الحكومة يحتاج الى ١١+١٢٦=١٣٧ مقعدا لضمان الاغلبية ولو فقد مقعدا واحدا آخر لاضطر في سبيل الاحتفاظ بالاغلبية الى التخلي عن المراكز القيادية في المجلس للاحزاب الاخرى . ومن هنا تأخذ خسارة المقعدين دلالتها . يضاف الى ذلك ان الـ ٢٥٠ عضوا يجرى انتخاب ١٠٠ منهم في دوائر عامة قومية ، ١٥٠ في دوائر محلية بلدية ، وتتناقص بانتظام الاصوات المؤيدة للحزب الديموقراطي الحر في الدوائر المحلية كالاتي :

١٩٥٩	٥٢ ٪
١٩٦٢	٤٧٫١ ٪
١٩٦٥	٤٤٫٢ ٪

وفي مقابل ذلك احرزت احزاب المعارضة بعض التقدم في الجملة .

ونتيجة الانتخابات لا تعبر حقيقة عن سخط الرأى العام الياباني الشديد على القواعد الامريكية ومحاولات تزويدها بالاسلحة النووية ، كما تتعارض مع موقف الشباب الياباني المناهض

للولايات المتحدة ، ومع المطالبين باقامة علاقات اكثر ودية مع الصين الشعبية ، وبزيادة التبادل التجارى معها .

وقد بلغت الاضطرابات المناهضة لامريكا وقواعدها العسكرية رقما قياسيا خلال الشهر السابق على الانتخابات . ففى اوائل يونيو قام ١٢٠٠٠ طالب من جزيرة كوسيو بمظاهرات عنيفة ، بسبب سقوط طائرة مقاتلة امريكية فى حرم الجامعة وطالبوا بجلاء كافة الطائرات من قاعدة ايتازوكى ، وانضم اليهم عدد من المتفرجين وحاولوا اقتحام القاعدة . وبعد ايام حاول الطلبة منع تفريغ شحنة ذخيرة من سفينة امريكية فى ميناء قرب هيروشيما . وقطع العمال والطلبة الطريق على قطار ذخيرة امريكى ، واحتلوا محطة سكة حديد لتعطيل الحركة بها .

وقبل الانتخابات بأيام قامت مظاهرات صاخبة مطالبة بازالة القواعد ومخازن الذخيرة الامريكية فورا والغاء معاهدة الامن المتبادل.ومن المعروف ان امريكا تستغل القواعد والمدن اليابانية لاصلاح معدات الحرب واعادتها الى ميادين القتال فى فيتنام وغيرها .

ومن اهم المطالب الوطنية لليابانيين ، اعادة جزر ريوكيو ، واهمها اوكيناوا ، وقد استولت عليها الولايات المتحدة ابان الحرب وتشترط لاعادتها الاحتفاظ فيها بقواعد نووية امريكية كخطوة نحو تعميم هذه القواعد فى باقى انحاء اليابان . وقد اضرب مؤخرا العاملون اليابانيون فى القواعد العسكرية بالجزيرة ، احتجاجا على أمر اصدرته السلطات الامريكية بحرمان الاهالى من حق الاضراب .

وازاء هذا لجأت امريكا للتأثير على الناخبين الى مناورة . فأعادت الى اليابان جزر بولين التى احتلتها ابان الحرب،واستغل ساتو الشعور الوطنى فوعد باعادة اوكيناوا ايضا كسبا للاصوات ، واعلن موافقته على احتفاظ امريكا بقواعد نووية فى الجزيرة فى حديث له يوم ٢٤ يونيو .

ويقف الى جانب الرأى العام الاحزاب الاشتراكية والشيوعية وتنظيمات العمال والطلبة ، وكلها تعارض بشدة معاهدة الامن المتبادل ووجود القواعد العسكرية الامريكية .

وفى **كندا** ، نشهد انتصار حزب الاحرار ، وصعود نجم زعيمه الجديد بيير اليوت ترودو (٤٨ سنة) ، خليفة لستر بيرسون فى رئاسة الحزب والوزارة ، بعد مؤتمر الحزب فى ابريل ١٩٦٨ . وكان محور الانتخابات الصراع بين دعاة الانفصال فى كويبك ودعاة الوحدة الوطنية ووقعت بسبب ذلك اضطرابات عنيفة عشية الانتخابات ، وتأخرت اذاعة النتيجة فى الاذاعة الفرنسية بمونتريال .

لقد احرز حزب الاحرار ١٥٤ مقعدا فى مجلس العموم من ٢٦٤ مقابل ١٣١ سنة ١٩٦٥ ، وبهذا اصبحت له لاول مرة الاغلبية المطلقة . وحصل حزب المحافظين على ٧٢ مقعدا مقابل ٩٧ سنة ٦٥ ، وبينما انتصر الاحرار فى كويبك واونتاريو والغرب تغلب المحافظون فى المناطق الساحلية .

ولا يختلف موقف الحزبين الكبيرين كثيرا فى موضوع الوحدة القومية ، فكلاهما يرى المحافظة عليها ويعارض الانفصال ، او منح اى اقليم شخصية دولية مستقلة .

ويعزى انتصار حزب الاحرار الى اعتمادهم على عنصر الشباب — ومنهم عدد من الوزراء — كما يعزى انتصارهم الى ان كافة المكاسب فى مجال التأمينات الاجتماعية قد احرزت فى ظل حكوماتهم خلال السنوات الاخيرة . وقد اعلن ترودو قبيل الانتخابات انه يعتزم فى حالة انتصاره اعادة تقييم السياسة الخارجية برمتها فى اتجاه الاعتراف بالصين الشعبية ، واعادة النظر فى مدى اشتراك كندا فى حلف الاطلنطى بالتركيز على التعاون السياسى بدلا من التعاون العسكرى .

ان الشعب الكندى ايضا يتطلع الى التغيير . وتعكس الوعود الانتخابية لحزب الاحرار مطالب الجماهير ، فان لم تستجب لها الحكومة فان هذا سيكون نذيرا بمتاعب كبيرة تنتظر الحكومة الجديدة .

●

■ **فرنسا**

شعار « المشاركة » بعد اللجوء الى « تكتيك قديم » !!

ليس هناك خلاف يذكر بين المعلقين السياسيين فى العالم ، حول نتيجة الانتخابات التشريعية الاخيرة . فقد ادت الى انتصار برلمانى ضخم للديجوليين وهزيمة واضحة لليسار بما فيه الحزب الشيوعى ، وتحرك من جانب الوسط نحو الديجوليين ، وتطور فى السياسة الديجولية الداخلية نحو الاخذ بفكرة « المشاركة » (مشاركة المنتجين مع القائمين بالانتاج والدولة فى تصريف الامور المحلية ومن ثم العامة) . يضاف الى كل ذلك ظهور ملامح جديدة على مسرح السياسة الفرنسية ، منها — حسبما اوضحت مجلة **« جين افريك »** الدولية فى ٦/٣٠ الماضى — ان ٥ أو ٦ ملايين من الشباب الفرنسى الذين لا يضمهم اى تنظيم سياسى فى فرنسا ، يرفضون جميع السياسات

والساسة الفرنسيين العاملين حاليا على مسرح السياسة الفرنسية ، ويقدمون انفسهم كقوة ذات خطورة فى حياة بلدهم السياسية .

والحقيقة ان الديجوليين عمدوا الى الاستخدام الماهر « لتكتيك قديم » ، وذلك باستغلال موجــة الاضطرابات والمظاهرات الناجمة عن « ثورة الطلبة » ، للاقناع بأن البديل الوحيد عن الديجولية هو الفوضى والعنف الدموى وسيطرة «الشيوعيه» . . وقد اشارت صحيفة «الايمانيتيه» فيمايتعلق بهذا الصدد فى ٧/٢ الماضى الى ان « التهويلات بالحرب الاهليه والاكاذيب والعنف ، قد أتت ثمارها ، وقد كان للضغط الهائل الذى مارسته الدعاية الحكومية نتيجته فى دعم الاتحاد اليمينى المقـدس بصفـة مؤقتة » . بيد انها أشارت فى أول يوليو الماضى الى أنه « ليس هناك من شــك فى ان ديجـول سيهنىء نفسه على مثل هذه الجمعية ، حيث الكلمه العليا ستكون لاغلبيته ، غير انه قد يخطىء اذا هو لم يذكر ان مجلس عام ١٩٥٨، الذى كان عدد نواب اليمين فيه ٣٩٠ عضوا ، قد حجبت عنه الثقة قبل انتهاء الدوره التشريعية باغلبيه قدرها ٢٨٠ صوتا ضد ١٧٣ . فما من شىء امكن تسويته بعد ، وتلك التناقضات التى جعلت رئيس الدولة يقف فى شهر مايو الماضى فى وجه الطبقة العاملة وفى وجه الجامعه ، لم يذهب بهـا انتصـاره فى الانتخابات . ان الوضع الاقتصادى لم يتغير كثيرا ، وكذلك النصف مليون من المتعطلين عن العمل ، كما ان الجامعة لا زالت فى انتظار الاصلاح . ومن الواضح أن الحكم الديجولى الذى يتيه بنجاحه الكبير ، سوف يستمر غدا فى سياسته فى الانكماش الاجتماعى التى سار عليها خلال الاعوام العشرة الماضية ، بل انه قد يجعلها تزداد تفاقمـا . ولما كانت نفس المقدمات تعطى نفس النتائج ، فانه سوف يصطدم من جديد بالاحتجاج الشعبى » . واشارت الايمانيتيه الى ان«ديجول قد حصل على ايقاف التنفيذ ، ولكن نظامه مقضى عليه لا محالة ». على أن بعض المعلقين السياسيين يرون أن مثل هذه التعليقات من جانب « الايمانيتيه قد تكون محاولة لتغطية فشل الحزب الشيوعى ومحاولة للتقليل من شأن النصر الديجولى ، وهو انتصار محسوس .

وعلى اية حال فقـد كتبت مجلة « لورور » الفرنسية (فى عددها الصادر ٧/٢ الماضى) موضحة ان نسبة الـ ٤٥ر٣٪ من الاصوات التى حصل عليها الديجوليون ، اقل كثيرا من معنى الاغلبية الفرنسية ، ولذا فعلى انصار بومبيدو الا ينسوا ان ٥٤ر٩٢٪ من الفـرنسيين الـذين لم يقـع اختيارهم على مرشحيهم ، لا يزالون موجودين ، يرقبون ما يفعلون » .

هذا وقد وجهت «الفيجارو» الفرنسية تحذيرها فى اول يوليـو الماضى الى الاغلبيـة الديجوليـة العريضة التى تحققت فى البرلمان بقولها : « انه يتعين على الاغلبية العريضة ، ان تدرك ان المناهج المستخدمة منذ ١٠ اعوام ، لا تستطيع فيما لو استمرت او تفاقمت ، الا أن تقضى نهائيا على هذا النصر العريض » . كذلك فقد اشارت الـ « ى. س. نيوز اند ورلد ريبورت » الامريكية فى ٦/٢٩ الماضى الى أنه «ليس من المتوقع ان تضع الانتخابات العامه نهاية لمشاعر السخط الخطيرة التى غزاها اهمال ديجول للمشكلات الداخلية التى تواجه بلاده لفترة طويلة،وان ثمة احتمالا بانفجار ازمة أخرى فى اكتوبر القادم عقب انتهاء العطـلات الصيفية ، فمن الممكن ان تضغط على الزناد عوامل عدة ، كالتذمر من جراء التضخم الذى تعانى منه البلاد ، والبطالة وغيرها من العثرات الاقتصادية فتنطلق الشرارة الاولى لقلاقل جديدة » .

وعلى اية حال فأيا كانت التوقعات التى تتعلق بمصير الديجولية ، فان فكرة « المشاركة » التى اتى بها ديجول ، ستمكنها الى حد كبير من الحركة التكتيكية المتقدمة ضد خصومها من اليساريين . ذلك ان « اتحاد احزاب اليسار غير الشيوعى كما اوضح الكاتب الفرنسى « **اندريه فيليب** فى الموند » اخيرا ـ قد قلل بنفسه من قيمته . فبينمـا كانت تناقش ازمة الطلاب فى البرلمان ، لم تكن كلمـات الاتحاد الا تكرارا لشعارات قديمة لا تتفق مـع مشاكل الساعة ، وفضلا عن ذلك ، فانه لم يقدم اى برنامج جدى ، وكل ما فعله هو الانطلاق فى المزايدات فى المسائل التى تعين على الحكومة ان تبدى تنازلات بشأنها » .

ولعل من اهم النتائج المترتبة عن فوز الديجوليين باغلبية ساحقة ، ان هذا الفوز سوف يغنيهم عن الاعتماد على انصار **فاليرى جيكار ديستانا** الذين كان ديجول يعتمد عليهم فى البرلمان لتحقيق الاغلبية لانصاره فى الماضى ، كذلك فانها ستغنيهم ايضـا عن الاعتماد على نواب الوسط المعتدلين .

على انه وفق ما اشارت اليه «الفينانشيال تايمز» البريطانية فى أواخر يونيو الماضى ، فان فــوز ديجول بهذه الاغلبية الساحقة يعد نصرا لفكرته التى تستهدف تجنيب فرنسا ، الصراعات الحزبية العديدة ، وتركيز الصراع فى فرنسا فى نظام برلمانى يعتمد على حزبين فقط : الحزب الديجولى من جانب ، والشيوعيون والاشتراكيـون من الجانب الاخر .

وعلى اية حال فان نجاح النظام الديجولى فى ضمان الاستقرار للمجتمع الفـرنسى سـواء فى المستقبل القريب او البعيد ، انما يتوقف على قدرته على اتخاذ موقف جاد وحقيقى لتحقيق كافة المطالب التى كانت محورا للاجماع الجماهيرى والطلابى ابان الاضطرابات الاخيرة .

■ **تشيكوسلوفاكيا**

هل الاشتراكية فى خطر ؟

لاتزال التطورات الاخيرة فى تشيكوسلوفاكيا ، بعد تنحية الرئيس التشيكوسلوفاكى السابق ((**انطونين نوفوتنى**)) ، وبدء ((الاصلاحات الديمقراطية)) الجديدة ، لا تزال موضع اهتمام وقلق بالغين ، لا من جانب الراى العام الاوربى فحسب ، وانما من جانب الراى العام التقدمى العالمى عامة .

فقد اشارت الاحزاب الشيوعية الخمسة التى عقدت مؤتمر قمة لها فى بودابست اخيرا ، بشأن المسألة التشيكوسلوفاكية ، وهى الحزب الشيوعى السوفيتى ، والبولندى ، والالمانى الشرقى ، والمجرى ، والبلغارى ، اشارت فى رسالتها الى الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، الى ان التطورات التشيكوسلوفاكية الاخيرة ((غير مقبولة بالمرة بالنسبة لدولة اشتراكية)) ، واوضحت ان ((على التشيكوسلوفاك واجبا تجاه الحركة الشيوعية)) ، وحثت زعماءهم على اتخاذ اجراءات ((ضد القوى اليمينية والقوى المعادية للاشتراكية)) . واكدت ان الاحزاب الخمسة تشعر ((بقلق عميق)) بشأن ما يسمى بـ ((خط التحول الديمقراطى)) ، الذى اتبعته القيادة الجديدة فى تشيكوسلوفاكيا ، وابرزت ((ان الموقف فى تشيكوسلوفاكيا يعتبر تهديدا للحركة الشيوعية كلها)) ، واشارت بصفة خاصة الى البيان الذى وقعته ٧٠ شخصية تشيكوسلوفاكية بارزة ، ودعت فيه الى الاسراع فى الاجراءات الجديدة ، ووصفت الرسالة البيان بأنه ((البرنامج السياسى والتنظيمى لثورة مضادة)) . كما اكدت ان ((المرتدين فى تشيكوسلوفاكيا يسيطرون على الصحافة والاذاعة والتليفزيون)) .

وقد نشرت صحيفة ((برافدا)) السوفيتية مقالا افتتاحيا قالت فيه ((لقد اصبح من الواضح الان ، ان القضية هى قضية ما اذا كانت تشيكوسلوفاكيا ستبقى دولة اشتراكية ام لا)) ، الامر الذى ضاعف من القلق لدى المتابعين لتطورات المشكلة التشيكوسلوفاكية ، واردفت ((برافدا)) قائلة ((ان عمال المصانع ومنظمات الحزب وبعض اعضاء اللجنة المركزية للحزب التشيكى يطالبون بفرض قيود على العناصر اليمينية المناهضة للاشتراكية ، وباتخاذ اجراءات فعالة لتدعيم الاشتراكية)) . كما ذكرت البرافدا فى نبأ آخر له اهميته : ((انه تم اكتشاف مخابىء سرية للاسلحة على الحدود التشيكوسلوفاكية المتاخمة لاراضى المانيا الغربية ، تحتوى على اسلحة صنعت فى الخارج)) وقالت ((ان اجهزة البوليس التشيكوسلوفاكى اكتشفت مخزنا سريا للاسلحة فى منطقة مصيف كارلوف فارى تحتوى على مسدسات وبنادق اوتوماتيكية ومدافع رشاشة ، وكلها صناعة امريكية)) . واتهمت برافدا وزارة الدفاع الامريكية ووكالة المخابرات المركزية الامريكية بتدبير مؤامرة تهدف الى تقويض وحدة الدول الاشتراكية . كما ذكرت وكالة الانباء التشيكوسلوفاكية ((انه وجد فى مخزن الاسلحة ٢٠ مدفعا رشاشا ، واسلحة حديثة اخرى ، وذخائر)) .

الا ان رد الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى على رسالة الاحزاب الشيوعية الخمسة قد اكد بوضوح : ((اننا لا نرى اسبابا واقعية تسمح بوصف الموقف الراهن بأنه ((مضاد للثورة)) ، وجاء فيه : ((ان التحالف والصداقة بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى مبنيان على اسس متينة فى جذور النظام الاشتراكى نفسه ، والتقاليد والخبرات التاريخية للشعب التشيكوسلوفاكى ، وفى جذور مصالحه وافكاره ومشاعره ، وان تشيكوسلوفاكيا مصممة على السعى لتعميق علاقات الصداقة بين دول العالم الاشتراكى على اساس الاحترام المتبادل للسيادة)) . وقال الرد ايضا : ((ان زعامة نوفوتنى شوهت اساليب الحزب ، وخلقت نزاعات بين التشيك والسلوفاك ، وبين العمال والمثقفين ، وبين الشبان والمسنين ، اما اسلوب الحزب الشيوعى ، فيعتمد على التأييد الاختيارى للشعب ، وعليه ان يستمد سلطته من اعماله ، لا ان يفرض آراءه بالاوامر)) . كذلك اعلن **الكسندر دوبتشيك** سكرتير الحزب التشيكوسلوفاكى فى حديث له بالتليفزيون اخيرا ((انه لن يتراجع خطوة واحدة عن الاصلاحات التى اقرها الحزب)) . وقال : ((اننا نريد ان تكون اشتراكيتنا مستمدة من الجذور العميقة فى عقول شعبنا ، فقد دفعنا ثمنا باهظا لاخطائنا فى الماضى ، ولابد للاشتراكية من ان تستعيد وجهها الانسانى)) ، كذلك فقد تبين مما اذاعه راديو براج ((ان مجلس الوزراء التشيكى ايد موقف مكتب رياسة الحزب من رفض النظرية القائلة ان اسس الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا مهددة بالخطر)) .

كذلك اوضح الرئيس اليوجوسلافى **تيتو** فى حديثه للاهرام ((ان الموقف ليس فيه ما يعرض الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا للخطر ، واذا حدث بعض التدخل او الضغط من جانب الغرب ، مما يشكل او يمكن ان يشكل خطرا مباشرا على النظام الاشتراكى نفسه ، فان

تشيكوسلوفاكيا لديها عندئذ ما تدافع به عن نفسها .. لديها جيشها وحزبها الشيوعي ، والطبقة العاملة فيها » . واكد الحزب الشيوعي اليوجوسلافي في وثيقة طويلة شرح فيها موقفه من احداث تشيكوسلوفاكيا ، اكد « ثقته في الزعامة الحالية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، وفي نضالها من اجل الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا ، وضمنها ان الشيوعيين اليوجوسلاف يعتبرون التطورات الراهنة فيتشيكوسلوفاكيا ، « مساهمة هامة في تدعيم النظام الاشتراكي » ، وحذر فيها من ان « اى عمل سياسي من الخارج ، قد يفسر على انه محاولة لتقييد استقلال الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي .

على أن هناك جهودا تبذل في موسكو وبراج لتفادى اى مواجهة مباشرة بينهما فيما يتعلق بشئون تشيكوسلوفاكيا . وقد اكد هذا الاتجاه ما صرح به مسئول تشيكوسلوفاكي من ان الشيوعيين التشيكوسلوفاك يتوقعون ان يعقد بينهم ، وبين وفد شيوعي سوفيتي ، اجتماع في القريب العاجل . وقد حددت « البوربا » اليوجوسلافية ، ان هذا الاجتماع سيتم بين **ليونيد بريجنيف** ، **والكسندر دوبتشيك** سكرتير الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي .

●

■ **الولايات المتحدة الامريكية**

« الذين لا يجدون القوت »
« في مجتمع الاغنياء والمترفين »

انتهت « مسيرة الفقراء » التي نظمها الزنوج والبيض المناصرين للحقوق المدنية ، في العاصمة الامريكية ، باعتقال القس **رالف ابرناثي** خليفة الدكتور **مارتن لوثر كينج** في قيادة حركة الزنوج الامريكيين الداعية الى عدم العنف . وقد اعلن زعماء المسيرة بعد اعتقاله ، انهم سيواصلون النضال من اجل ان يصدر الكونجرس الامريكي قوانين توفر العمل والرعاية الصحية والتعليم والخدمات الاجتماعية لفقراء الولايات المتحدة .

وقد فشل زعماء هذه الحملة في استصدار أمر مؤقت من احدى محاكم واشنطن بمنع **اورفيل فريمان** وزير الزراعة الامريكي ، من اعادة مبلغ ٢٢٧ مليون دولار لوزارة الخزانة ، وهو مبلغ كان مخصصا لمساعدة الامريكيين الذين يعانون من الجوع ، هذا في الوقت الذي قام فيه مجلس النواب الامريكي بمحاولة لاستقطاع مبلغ ١٠٠ مليون دولار آخرين من الاعتمادات المخصصة لبرنامج مكافحة الفقر .

وبالنسبة للقضية الرئيسية وهي قضية « الطعام للفقراء » فان الحملة قد ركزت اهتمامها على سوء التغذية والجوع في ٢٥٦ وحدة من افقر الوحدات الادارية في البلاد . وفي هذا الصدد اشارت « **الهيرالد تريبيون الدولية** » الى انه « قد ظهر بوضوح ان وزارة الزراعة كانت تتحرك ببطء شديد بالنسبة لتحقيق مشروعات غوث الامريكيين البائسين » في هذه الوحدات . كذلك اشارت الى ان « طغيان لجنة الكونجرس الذى اجبر الوزارة على ان تركز بصورة كاملة تقريبا على مصالح منتجي الطعام ، كان من الامور التي لقيت اهتماما كبيرا » في لقاء ممثلي « المسيرة » بالمسئولين الحكوميين ، الا انه لم تتضح بعد النتائج « العملية » لمثل هذا اللقاء .

ومما هو جدير بالذكر ان السيدة **كوريتا كينج** ارملة **مارتن لوثر كينج** قد ربطت خلال المسيرة ما بين الكفاح الداخلي ضد التفرقة العنصرية ، والكفاح لوقف الحرب العدوانية في فيتنام ، وذلك في دعوتها للحرب على ما اسمته بالخطايا الثلاث ، وهي الفقر ، والتفرقة العنصرية ، والحرب في فيتنام . وقد دعت ايضا الى تكوين اتحاد متماسك من النساء الامريكيات للدعوة لهذه الفكرة في سائر انحاء الولايات المتحدة ، كذلك فقد اشارت مجلة « **سيد دويتشة تسايتونج** » الالمانية الى حقيقة هامة ، وهي « ان الفكرة المسيطرة على جماهير المسيرة ، هي ان هذه آخر محاولة سلمية ، وآخر مجهود يبذله البيض والسود معا ، للوصول الى نهاية لبؤسهم » .

واشارت ايضا الى ان « الهجمات على حكومة **جونسون** من جانب زعماء الزنوج او الامريكيين من اصل مكسيكي ، او الهنود الحمر ، ذات طابع شديد العنف والوضوح » .

وعلى اية حال ، فقد اعلن القس رالف ابرناثي اعلانا له «دلالته» عن نجاحه « في انتزاع اعتراف من كل وزير امريكي بعد الاخر ، بقصور توزيع فائض الاغذية ، وبالنقص الشنيع في وسائل التعليم ، وبضرورة تعديل النظام الاجتماعي الامريكي من اساسه ، بعد ان كان نفس هؤلاء الوزراء يؤكدون من قبل ، انهم قاموا بأقصى ما في استطاعتهم لتحسين تلك الأوضاع » . وقد اكد ابرناثي كذلك ان حركتهم سوف تستمر في الضغط ، وركز في عباراته وخطبه على ما اسماه « بخيانة المثل العليا الامريكية ، والاطفال الجائعون في الطرقات ، والمتشردون البؤساء فيفيتنام ، والعدد الهائل من البشر الذى يصل الى ٣٠ مليون فرد لا يجدون قوت يومهم ، في مجتمع يكتظ بالاغنياء والمترفين » .

■ أدب ــ ثقافة ــ فن

وحـدة الفنون أم موجة جـديدة ؟

أفتتح في باريس معـرض يضم انتـاج ليشيل بوتور الروائى الفـرنسى المعروف باتجاهه الىكتابة الروايه الجديدة ، بالاشتراك مع المصور **جاك هارولد** . وقـد اتخـذ هـذا الانتـاج المعروض اسم ((**جديث العهود**)) فلفت الانتباه الى اكتمال التكنيك بين الادب والتصوير والطباعة .. اذ اشترك الاثنان فى تقديم شىء جديد من وحى العمل الصحفى هو طباعة صورة فنية للرسام أوحت الى الكاتب ببضع كلمات تقع على الحافة بين الشعر والنثر .. هى قد تكون شرحا للصورة، وقد تكون الصورة شرحا لها ، وان كان احدهما بالقطع نقطة انطلاق للاخر . ولم يتم التفاعل بين الرسام والكاتب دفعة واحدة ، بل حدثت التجربة على دفعات . فكان جاك هارولد يقـدم التصميم العام للصورة المطبوعة على الورق ، ثم يأتى بوتور فيدرس التجربة الفنية للمصور ويبدأ فى كتابة ((**تعليقه الشعرى**)) عليها . ثم يقـرأ المصور كلمات الشعر ويعود الى صورته على هديها فيستكمل بناءها بما أوحت به روح بوتور. وهو بالطبع لا يلتزم بقواعد الشعر التقليديه ، ولا الحديثة ، على أن التجربة لا تنتهى بمجرد الانتهاء من الرسم والكتابة ، وانما هى تتكامل مع طبيعة الورق وطريقة الطباعة ، بل وادوات الحفر التى تستخدم قبل ظهور ((**الكلاشيه**)) مطبوعا على نوع خاص من الورق البارز ، أى الذى يبرز خطوط الصورة المرسومة كما لو كانت حفرا على الورق.

وقد استرعى انتباه النقاد ان العمل فى مجموعه ليس كتابا يمكن قراءته من البداية الى النهايه .. وانما يمكن قراءة هذه ((الصفحات)) بغير تنظيم، اى انه يمكنك ان تقرا اية صفحة شئت بالطريقة التى تعجبك . على أن بوتور كتب هذه ((الجمل)) على الرسوم فى صياغة كلاسكية تتناقض كلية مع الاسلوب الفنى الذى وضع به الجملة حيث انك لن تعثر لها على بداية تقودك الى نهاية .

والقارىء لكتاب ((**تعديلات**)) لميشيل بوتور تفاجئه هذه التجربة المزدوجة ، وفيما يلى بعض النصوص المقتبسة ان جازلنا انـنسمى ((**العرض**)) التشكيلى الادبى كتابا ، ففى كتاب ((تعديلات)) يقول :

((على سجاد من حديد ساخن ، حذاء الجندى تدوس قطع البسكوت ..

((الراهب يلتقط محفظته منجيبه ويحصى ثروته

((خلف النافذة التى يسقط عليها المطر تظهر لنا هذه الكنيسة ، وهذه القرية التى تعرفون جيـدا انها (تورنس)))

ومن الكتاب ((المعروض)) الان ، نقتطف هذه الفقرات منجانب الرسوم زاهية الالوان كالقطيفة التى حفرها هارولد على ورق ((فيلات)) غـير قابل للاصفرار :

((ظلال سجر الاكاسيا فى الشتاء على صحبة من زهر الكاموميليا ، أسنان رصاصيه لغروب الشمس تنغرز فىاعناق الديوت علىالسطحوعصرات المعصاره تتجمد على سور سجر النور)) ((يوم البيت اليابانى مزدحمبالريش المندوف ،والمضيئات الصغيرة ، والهمسات)) .

ويقول الناقد الفنى للتر فرانسيز ((**مارك البيه لونان**)) ان هذا الكتاب ليس روايه بالطبع ، وهو لا يندرج فى باب ((الروايه الجديدة)) بايه حال ، وانما هو اقرب ما يكون الى القصيدة او على وجه ادق هو حديث ولدته رؤيه الرسوم التى حفرها جاك هارولد . وميشيل بوتور ينتمى الى قلة من الكتاب يوجهون عنايتهم الى جماليات اللغة واستحداثها بصوره يتجاوزون بهـا المصطلحات السائدة .

ويستطرد الناقد قائلا ان ميشيل بوتور قد سبق به ان جرب نفسه فى هذا المضمار الجديد حين قدم دراسة عن المصور الامريكى **بول جنحر** .ومن الممكن ان نسجل هذا ((الحديث)) مع جاك هارولد تسجيلا اكثر ((انساعا)) من الاشكال التعبيريه المرسومة . والكتاب بعد ذلك يفتح افاق تقييم جديد لهذه الاعمال الفنية التى لم يكن لها ((خانة)) محددة فى النقد الحديث . فاذا كان بوتور قد قدم دراسة عن المصور الامريكى ، واذا كان قد قدم دراسة اخرى عن بودلير ، فان هذا العمل الجديد لا سبيل الى تصنيفه أكاديميا فى مناهج النقـد التقليدية السائدة .

●

على هامش الحلقة الدراسيـة
الاولى فى جمعيـة الادبـاء

التراث للتراث أم التراث للحياة ؟

أذا كان عصر النهضـة الاوروبية قد سـمى عند معظم المؤرخين بعصر ((**الاحياء**)) الحضارى و ((**البعث**)) الكلاسيكى ، فان عصر النهضـة العربية الحديثة لا ينطبق عليه هذا المفهوم بصورة

الية لاختلاف المسار التاريخي للحضارة الاوروبية عن المسار التاريخي للحضارة العربية . فلقد كان ابتعاث التراث اليوناني والروماني عند الاوروبيين بمثابة الرد الروحي الامثل على هيمنة الكنيسة والنظم الاجتماعية المتخلفة المتحالفة معها . ولم يكن هذا حالنا مع الخيوط الاولى لفجر نهضتنا التي بدات الانفلات من اسر عصور الانحطاط مع بدايات القرن الماضي . وكانت الشرارة التي ايقظت وجداننا على ما نحن فيه من تخلف هي الحضارة الاوروبية التي التقينا بها للاسف لقاء غير متكافيء او لقاء المقهور بالقاهر . لذلك كانت العناصر الفكرية لنهضتنا شديدة التعقيد : فنحن احوج ما نكون الى الكثير من قيم وافكار الحضارة الوافدة حتى نعوض ما فاتنا ونلحق بالركب الانساني المتقدم ، وفي نفس الوقت نحن نرفض الوجه السلبي لهذه الحضارة ، والمتمثل في عدوانها الاستعماري على اراضينا . ومن جانب اخر كانت يقظتنا المفاجئة تتطلب منا وعيا جديدا بذاتنا الحضارية حتى نتعرف على جوانب السلب في تخلفنا فنلفظها من حياتنا ، ونستنير بالعوامل الايجابية فنبقي عليها ونأخذ في تدعيمها وتطويرها . وهنا ، بالضبط ، برزت قضية التراث في تاريخنا القومي الحديث كواحدة من اخطر القضايا التي واجهتنا ابان هذا العصر . فلم تكن القضية كما هو الحال في اوروبا قضية « احياء » و « بعث » يحمل في تضاعيفه الرد الروحي الامثل على مؤسسات التخلف الاجتماعي في بلادنا . وانما كانت القضية اعقد من ذلك بكثير : كانت من ناحية تستلزم « **استيرادا** » لبعض العناصر الاجنبية في حضارة الغرب ، ومن ناحية اخرى « **تقييما** » علميا دقيقا للتراث . ولم يكن الامر يسيرا اول الامر ، فلقد انقسمت طوائف المثقفين في جميع انحاء المنطقة العربية الى فريقين : المحافظون وهم يرون فيما آل اليه حالنا ابتعادا عن روح السلف الصالح ، والمجددون وهم يرون ان المهمة العاجلة للفكر العربي هي الانفتاح على الحضارة الجديدة. ولقد تطرف بعض هؤلاء وبعض اولئك ـ وهم قلة قليلة من كلا الطرفين ـ فقال غلاة المحافظين ان الحضارة الغربية « رجس من عمل الشيطان » ، وقال المتطرفون في التجديد ان الاسلاف لا يملكون سوى قبورهم . **غير ان الخيوط الاولى لفجر نهضتنا الحديثة انبثقت في منتصف المسافة بين المتطرفين من الجانبين فكانت الشرايين التي امتدت من قلب تراثنا الى روافد الحضارة الحديثة رجالا ولدوا من صلب روحنا ، من رفاعة الطهطاوى الى طه حسين ، رجالا نشأوا في رحاب الازهر ثم ولوا وجوههم شطر الغرب وعادوا ثانية الى بلادهم يحرثون ارضها ويمرضون ثراها للشمس الجديدة والهواء الجديد** . ومن هنا كانت « النهضة » ، في تاريخنا القومي على نحو مختلف اشد الاختلاف عن النهضة الاوروبية . فلقد تجاورت في جيل واحد ، هو جيل العشرينات من هذا القرن ، ثورة **طه حسين** « في الشعر الجاهلي » وهو يعيد النظر في التراث ، وثورة **العقاد** « في الديوان » وهو يعيد النظر في قمة الكلاسيكية ، وثورة **هيكل** «**في زينب**» وهو يعيد النظر خلقا وابداعا في تراثنا القصصي برائعته الرومانسية . وهكذا جنبا الى جنب كنت ترى العناصر المتباينة تتجاور لتشكل « **مسارنا الخاص** » في الركب الحضاري . هذا المسار هو جوهر نهضتنا وبذرتها الاولى ، التي تطورت فيما بعد مع تطور الاجيال ، ولكنها بقيت دائما تثمر لنا هذا المزيج المركب بعيدا عن تطرف المتطرفين نحو الاسلاف وتعصب المتعصبين للغرب .

★ ★

والحلقة الدراسية التي دعت اليها جمعية الادباء في القاهرة خلال الفترة ما بين ٦ و ٩ يوليو ١٩٦٨ حول التراث العربي هي جزء لا ينفصل من هذا المجرى الدافق بالحياة ، مجرى الحضارة العربية الحديثة في تقدمها وانتكاسها ، مدها وجزرها . ولعل الاحداث الدامية التي واجهتنا منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧ هي التي استدعت هذه الموجة الحادة من « اعادة النظر » في كافة جوانب حياتنا وموتنا . ولا شك ان التراث من اهم الموضوعات الجديرة باعادة النظر من حيث الجهود التي بذلت في احيائه وتقييمه وتقديمه للناس حتى ينتفعوا به في حياتهم ، فالتراث بغير بشر يستلهمونه العون على هذه الحياة ، يتحول الى مجلدات فاخرة ترضي الغرور اكثر مما تشفي الصدور . ولذلك كان مجرد التفكير من جانب جمعية الادباء في اقامة « حلقة التراث العربي » وهي اولى حلقاتها الدراسية ، مبادرة ايجابية تستحق التقدير .. مهما شاب الجهد بعدئذ من عيوب المحاولات الاولى . ومن هنا ايضا كانت التحية الصادقة الى هذا الجهد والقائمين عليه هي محاولة تقييمه موضوعيا حتى ندعم في المستقبل ما هو ايجابي ونتلافى كل ما هو سلبي ، ونتقدم حثيثا نحو الكمال .

واولى ايجابيات هذه الحلقة انها بداية الاسلوب العلمي السليم في احياء « الحياة الادبية » من مواتها ، وذلك بان تدخل مرحلة الحوار الموضوعي المؤسس على العلم بدلا من المهاترات الشخصية المؤسسة على العاطفة . وفي احيان قليلة غلب الانفعال العاطفي على لهجة بعض المحاضرين ـ ولا اقول مادتهم ـ سواء عن حرص حقيقي على التراث او عن مواقف شخصية ، ولكن المناخ العام للحلقة كان مناخا علميا اصيلا ، وان تعددت

الانجاهات الفكرية التي تضبط ايقاعه بين المحافظة والتجديد . فبالرغم من انه لم تكن هناك مناقشات للابحاث التي القيت الا انه كان يسيرا ان ندرك تعدد وجهات النظر وتنوعها . والحلقة بذلك اقرب ما تكون الى ((**الصورة الموضوعية**)) لقضية التراث . وكان من الممكن ان تكون اكثر قربا من هذه الصورة لو ان هناك من اصحاب الاتجاهات الاخرى متخصصين في هذا الفرع او ذاك من فروع التراث .

والنقطة الايجابية الثانية هي ان الحلقة خلت من شرين خطيرين : اولهما ((**البكاء على الماضي**)) والاخر ((**التشنجات الشوفينية**)) فالخطر الاول يهدد باسوأ الوان الرومانتيكية التي تدغدغ

تعليق

مظاهرة .. في وجه بينالي فينيسيا

اغلق بينالي فينيسيا الدولي (الـ ٣٤) . . . وهو من اكثر معارض الفن التشكيلي العالمية . ولم يكن هذا الاغلاق بسبب انتهاء فترة العرض، وانما كان على اثر مظاهرات قام بها الطلبة والعمال يحتجون فيها على ما اسموه بالفن البرجوازي .

والخبر يثير قضية هامة وهي علاقة الفن بالجماهير . ومن المسلم به ان هذه القضية معقدة بالنسبة للفن التشكيلي اكثر من غيره من الفنون الاخرى والتي لابد ان تتناول مضمونا ما . (الاعمال الادبية والسينمائية) .

فالفن التشكيلي منذ ان انطلقت محاولات التخلص من كل ما هو تقليدي ومع نشوء الاتجاهات التأثيرية وما تبعها من محاولات تشكيلية خالصة انشغلت مجموعات كبيرة من الفنانين بالقيم التشكيلية والنظريات المجردة . وفي داخل الاتجاه التجريدي وحده نشأت اتجاهات جديدة عديدة (مثل الانشائية) والسوبرماتية واللاموضوعية والتلقائية .. الخ).

وقد احس المشاهد ازاء هذا الخليط المتعدد من الاتجاهات بحيرة وراح يتلمس المعرفة من ناحية او التعرف على اشارات ترشده الى محتوى هذه الاعمال .

ولا ريب ان محاولات كثيرة شجاعة في بحثها عن قيم شكلية قد اثرت في الرؤية الفنية المعاصرة . ولكن يجب القول ايضا ان الاهتمام بربط هذه القضايا التشكيلية البحتة بمضمون اجتماعي للفن كان أمرا ثانويا وضعيفا . بل واكثر من هذا كان يتم التأكيد على نفي أي صلة بمضمون ما واعلان القصد من ان أي مضمون لا قيمة له وان الرغبة الوحيدة لدى الفنان هي الحصول على قيم تشكيلية خالصة ، قيم نابعة من ذاتية الفنان او من مقتضيات العصر ! ! او نابعة من مشاكل المعالجة الفنية ذاتها .

وهكذا كانت هذه الاتجاهات تعبر في آخر الامر عن عزلة الفنان ووقوفه وحيدا في عالم تتصارع فيه قوى عملاقة ومنظمة .

ومن الغريب انه كانت هناك حركة قوية للفنانين التجريديين في روسيا قبل الثورة ، وانتهت هذه الحركة تماما مع هجرة عدد من الفنانين (منهم ماليفيتش وكاندينسكي) في سنة ١٩٢٢ . ذلك انه لم يكن باستطاعة الثورة الروسية ان تتحمل نظرية الفن من أجل الفن .

ولكن تجربة ربط الفن بقضايا الجماهير وحياتها في الاتحاد السوفيتي لم تكن مشجعة اذ انها اهملت التطور الهائل الحادث في الرؤية التشكيلية الحديثة وجاءت معظم الاعمال اقرب الى الاعمال التسجيلية التي تقوم على فهم تشكيلي متخلف يتلمس في أحسن الاحوال الاتجاهات الرومانسية والتأثيرية فضلا عن سيطرة التقاليد الاكاديمية الجامدة .

وعلى عكس ماحدث في الاتحاد السوفيتي كانت هناك في خارجه اتجاهات ذات مضمون اجتماعي ورؤيا تشكيلية جديدة .

في فرنسا نجد روو وجروميير في معالجة موضوعات الحياة باسلوب جديد مؤثر . وفي المانيا كان الاتجاه التعبيري اقوى منه في أي بلد آخر حيث كانت المانيا في تطورها حافلة بتناقضات فكرية واجتماعية عميقة . واضطلعت جماعة ((القنطرة)) بدورها في تأكيد الاتجاه التعبيري ـ كرشنر ، نولد ، كاتي كولفتز ثم دكس وجروز ـ وأمكن لهؤلاء ان يعبروا عن قيم كامنة عن طريق تكثيف المعنى الداخلي للاشياء وتحميلها شحنة عاطفية معبرة .

وفي المكسيك قامت المدرسة المكسيكية الحديثة بقيادة نقابة الفنانين ـ سكويرس وريفيرا واوروزكو ـ بارساء قيم فنية لها دور اجتماعي وتستند الى أصول قومية .

وفي الولايات المتحدة قامت حركة ناجحة ساعد ((مشروع الفن الفيدرالي)) على بروز الفنانين الانسانيين ايفرجوود ، بن شان ، ليفين وغيرهم .

ان تاريخ الحركات التعبيرية الناجحة في الفن تؤكد ضرورة استناد العمل الفني الى قيم تشكيلية معاصرة كما تؤكد ضرورة انبثاق مثل هذه الحركات من عمل اجتماعي لا يقوم على المجهودات الفردية وحدها .

واذا كان ((ماتيس)) يرى ان فنه يمثل ((الاتزان والهدوء او هو كمن يقدم مقعدا مريحا للمشاهد بعد عناء وتعب اليوم)) ، فان الاتجاهات التعبيرية على العكس من ذلك تحدث لدى المشاهد حالة من التوتر وتوقظ فيه حواسه الاجتماعية وتكيفها على وضع جديد هو مزيج من الانفعال والسخط .

على انه من المرجح ان الاعمال الفنية التي اثارت الجماهير الى حد التظاهر كانت مشغولة بالقيم الشكلية البحتة، والنظريات المجردة المعقدة التي لا ترى فيها الجماهير شيئا، وتصبح اعمال ماتيس اذا ما قورنت بها شيئا مفهوما وصريحا !!

ومن هنا تزداد القضية تعقيدا اذ كيف يمكن الخروج من متاهات الرؤية الفردية والقيم الذاتية والجوانب التشكيلية المجردة ؟ ؟

ان ازمة الفن التشكيلي المعاصر من ازمة الفنان الذي يقف وحده في مهب ريح الحضارة التكتيكية الحديثة . انه يحاول ان يجد لنفسه مكانا في الوقت الذي لم ينجح في ربط اعماله الفنية بقضايا الجماهير الحية ، كما انه لم ينجح حتى في حل مشاكله التكتيكية وتحويل العمل التشكيلي من أسلوب الحرفة الى اسلوب الانتاج الآلي الحديث مسايرا بذلك التقدم الذي حدث في كافة قطاعات الانتاج الفني الاخرى تلك مشاكل يعاني منها الفنان التشكيلي المعاصر . ولكن لن يحل هذه المشاكل اغلاق بينالي فينيسيا ولو كان ذلك عن طريق مظاهرات الجماهير التي ادانت هذه الاعمال الفنية ووصفتها بأنها فن برجوازي . ذلك ان الفنان المعاصر هو نفسه ضحية من ضحايا نظام الحياة والفكر الذي فرضته البرجوازيه .

داود عزيز

الحواس بما يشبه استعذاب الألم والاستكانة على جدار من الذكريات يقف حاجزا منيعا بيننا وبين رؤية الحاضر فضلا عن المستقبل . والخطر الثانى يهدد بأسوأ الوان التعصب الذى يدغدغ الحواس أيضا بتضخيم الذات والتورم القومى والاستناد على اوهام متخلفة من الحسب والنسب تقف حاجزا منيعا بيننا وبين رؤية ذاتنا على حقيقتها. ولا شك أن الانفصال عن الحاضر بالتباكى على الاطلال ، وجنون العظمة بالتعصب القومى هما اخطر الاخطار التى يمكن ان تواجه امة كامتنا فى محنة كمحنتنا . ولا اقول ان جميع الابحاث خلت من هذين الشرين ، ولكنى اركز على المناخ العام للحلقة وقد نجح فيما اعتقد بالتخلص المعقول منهما .

والنقطة الايجابية الثالثة ان الباحثين فى مجموعهم اقدموا على ما يسمى بالنقد البناء لموقفنا السلبى من التراث . وكان من الممكن امتدادا لهذا النقد ان تناقش الحلقة سلبيات التراث ، لولا ان التخطيط للحلقة فيما اتصوركان يستهدف المناقشة من زاويه « **التراث للتراث** » لا من زاوية « **التراث للحياة** » . وفى تصورى كذلك ان هذا ليس عيبا من الناحية العلمية اذ لابد من مرحلة « التراث للتراث » التى تشتمل على محاولة اكتشافه والعثور عليه وتوثيقه ونشره على الكافة . ولابد ان تأتى بعدئذ مرحلة « التراث للحياة » التى تشتمل بدورها على تقييمه واستلهامه باقامة الصلات غير المفتعلة بينه وبين الناس . ومن الناحية الموضوعية تحتاج هذه القضية الى حلقة جديدة وتخطيط مختلف . اما فى حدود الهدف العام المفترض ـ من جانبى ـ لهذه الحلقة ، وهو « التراث للتراث » فقد اوفى معظم الباحثين هذا الجانب حقه من النقد لموقفنا السلبى المسرف احيانا فى سلبيته .

هذه الايجابيات العامة وغيرها كثير مما يصادفنا خلال عرضنا للبحوث التى القيت لا تخرج عن دائرة المنهج الشامل فى مناقشة « التراث للتراث » منهج الانحصار فى مادة القضية المطروحة للبحث داخل الاطار الوصفى التقريرى . ولما كانت بعض البحوث تخرج عن حدود هذه الدائرة الاكاديمية ، كانت تنتفى عنها على الفور هذه السمات الايجابية التى تميزت بها الحلقة فى مجموعها . ومن اليسير كما قلت ان نتبين الاختلافات المنهجية بين الباحثين ، وهى الاختلافات التى تكاد تشكل تيارات فكرية متعددة بين ابناء القضية الواحدة .

★ ★ ★

وفى حدود الهدف العام من الحلقة كان ضياع التراث العربى بين مكتبات العالم ومتاحفه اهم النقاط التى اثيرت ، فقد اعلنت الدكتورة **عائشة عبد الرحمن** انها اكتشفت فى مكتبة فينا وحدها وجود مائة الف بردية مصرية قديمة وعشرة آلاف بردية اسلامية حول الفتح العربى لمصر . ولما تصفحت دفتر الزيارات لهذه المكتبة لم تجد سوى اسمين عربيين مرا بها مرور الكرام . وابرزت الباحثة دور الجهل لدى شيوخ المساجد وخدم المدارس والكنائس الذين باعوا اغلى الكنوز العربية من المخطوطات بابخس الاثمان ، وتم نحاول الى الان استرداد هذه المخطوطات استردادا مجازيا بتصويرها وتحقيقها وترجمتها ان تعذر وجود النسخة العربية ثم نشرها . واضافت انه بدلا من ذلك افسحنا الطريق واسعا امام الموسوعات « العربية » الصادرة عن المؤسسات الاجنبية ذات الاغراض المشبوهة حتى ترتبط الاجيال العربية جيلا بعد جيل بعجلة وجهات نظر الاخرين اطول فترة من الزمن ، بينما لا تزال دائرة المعارف الاسلامية التى بدأ تدوينها عام ١٩٣٤ فى ضمير الغيب لا احد يدرى ماذا تم بشأنها بعد مضى ٣٥ عاما ، كل ما ندريه انها لم تنشر بعد لسبب بسيط ان علماءنا والاجهزة المشرفة عليها لم تصل بها الا عند حرف الطاء . وفى هذا الصدد ذكر الدكتور **عز الدين فودة** ان كتابا يتيما مجهول المؤلف يهم الباحثين عن قضية الخوارج حول فرقة « النجدات » لا توجد منه سوى نسخة واحدة فى جامعة لينينجراد ، ولم تكلف جامعاتنا نفسها بتصوير هذا النص وتحقيقه ونشره . وبالرغم من ان المجمع العلمى فى دمشق قد نشر فى مجلته « عدد يوليو ١٩٤٣ » قائمة باهم مخطوطات تراثنا فى الفكر السياسى باستانبول ، فان جهة ثقافية عربية واحدة لم تتحرك منذ ذلك الوقت بحثا وراء هذا التراث . بينما قامت الجامعة العبرية فى اسرائيل بعمل اول معجم مفهرس للشعر العربى منذ الجاهلية الى الان . واخرج الدكتور فودة من حقيبته كتابا بالفرنسية لشاعر عربى يهودى هو « ابو الحسن العلوى » نشرته اسرائيل باعتباره واحدا من الذين حموا التراث العبرى من الضياع . وقال الدكتور **محمود احمد الحفنى** انه توجد اكثر من ١٥٠٠ مخطوطة عربية باحدى دور الكتب الاوروبية فى مختلف العلوم والفنون لم تدون فى فهارس ولا يعلم بها احد . وذكر الدكتور **كمال بشر** ان معجما عربيا تقوم عليه احدى الجهات منذ سنين ما يزال عند حرف الهمزة « ولو ان الامور سارت على هذا النحو فاغلب الظن اننا سنصل عند حرف القاف بمناسبة يوم القيامة » كما علق ساخرا . اما الدكتور **عبد الصبور شاهين** فيقرر فى حزن عميق وصادق انه «لو سارت عملية نشر تراثنا المخطوط

بهذا المعدل البطيء فاغلب الظن ان اجيالا كثيرة من بعدنا سوف تنقضي دون تحقيق الامل . لابد من معاهد متخصصة واقسام علمية تقوم على دراسة تراثنا ونشره بامكانيات سخية تبذلها الدولة للجامعات والمعاهد المختلفة لترغيب شباب الباحثين في مواصلة الشوط الى نهايته والاستمتاع بلذة العمل في خدمة التراث » . ليس عيبا ان يدرس الاخرون ـ ومنهم اليهود ـ تراثنا ، ولكن العيب الا نشاركهم هذه الدراسة فنحن اولى بها ، اما الجدارة فمعيارها العلم وحده . ان احياء التراث يتخذ مدلوله الحقيقي ابتداء من حصر ما لدينا وما لدى العالم من تراثنا ، ثم فرزه وتبويبه وتصنيفه الى نيسير قراءته ـ كما هو ـ لعامة المثقفين وكافة طبقات الشعب ان كان ذلك ممكنا ، ثم تقييمه في حلقات دراسية كهذه وبحوث مستقلة فردية وجماعية تقييما علميا دقيقا في متناول اليد ، واخيرا استيحاؤه في الاعمال الفنية ليسهم في تشكيل الوجدان الشعبي المعاصر .

ولا مانع بطبيعة الحال من ان نسلك في تطبيق هذا المنهج سلوكا يتسم بتعويض ما فات فلا ضرورة لان يتم على مراحل .. ولكن لابد من التمييز بين كل عملية واخرى حتى لا تختلط الامور وتضيع القضية الحقيقية . فاكتشاف المخطوط وتوثيقه بالتصوير والتحقيق والنشر مهمة تختلف في الكثير عن دراسة المخطوط دراسة اجتماعية او فلسفية او سياسية او تاريخية او فنية .فالاولى مهمة المحققين والاخرى مهمة المفكرين والنقاد والفلاسفة . والمهمتان معا تختلفان عن الخلق الفني الذي يستوحي النصوص ويتجاوزها بالتفسير الخاص والخيال المشروع وتلك هي مهمة الادباء والفنانين من شعراء وروائيين ومسرحيين وموسيقيين وتشكيليين .

★ ★ ★

وبعيدا عن قضية « توثيق » التراث ،اختلفت مناهج الباحثين في هذه الحلقة ازاء ثلاث مشكلات رئيسية : الاولى هي قضية التفاعل الحضاري بين الشعوب ، والاخرى هي الموقف من المستشرقين ، والثالثة هي الموقف العملي من التراث المتداول فعلا . وكان واضحا منذ البداية ان هناك بالنسبة للقضية الاولى ،تيارين ،احدهما يرى الدنيا اخذ وعطاء لا ينقطعان ، والاخر يرى اننا اعطينا النور ولم ناخذ سوى الظلام . والى التيار الاول ينتمي الدكتور **ابراهيم بيومي مدكور** الذي يقول تحت عنوان دالّ هو « الفلسفة الاسلامية حلقة في سلسلة الفكر الانساني » ان « الثقافة الانسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية ، وما اشبهها بنهر جار تصب فيه فروع مختلفة ، وهو في مجراه يغذي آفاقا جديدة ويبعث طاقات شابة ، وتحرص الحضارات المختلفة على تعرف امجاد الماضي والاخذ عنها بصرف النظر عن اصولها ومصادرها ، وقديما قالوا : العلم لا وطن له » ، « واحياء التراث ليس وقفا على جيل او على امة بعينها . ويوم ان آمنت الانسانية بتراثها تضافرت على احيائه . دون تعصب لجنس او تحيز لقوميه » ، « ومن هنا كان تعاقب الثقافات واخذ بعضها عن بعض » . بهذا التاكيد على فكرة واحدة في مواضع مختلفة من بحث الدكتور مدكور ينتفي من مخيلتنا على الفور طيلة الرحلة التي يصطحبنا فيها مع تاثيرات ابن سينا وابن رشد على الثقافة اللاتينية ، اية التباسات من شأنها ان تغمض عيوننا عن حقيقة الدورة الجدلية ، دورة الاخذ والعطاء . بل ان هذه الدورة التي تكاد في بعض تطبيقاتها ان تتحول الى ما يشبه القانون العلمي هي التي تخفف عن وجداننا وطأة الشعور بالنقص امام التفوق الحضاري الراهن للغرب لعلمنا ان حضارتنا قد اسهمت يوما بعصارتها في تغذية شجرة الحضارة الاوروبية فمن حقنا اليوم ان نستمد من هذه الشجرة ما نحتاج اليه من عصارات قادرة على تغذيتنا وتطويرنا . ان عالمية الثقافة وانسانية الحضارة هي وحدها التي تدفعنا الى الايمان بقيمة واهمية التفاعل الحضاري بين تراثات الشعوب . وفي هذا الصدد قال الدكتور **احمد هيكل** في بحثه عن « تراثنا الادبي والادب الاوروبي » : « اذا كان ادبنا العربي يتأثر اليوم بالاداب الاوروبية **ويستمد منها بعض الخصوبة والنماء** فقد اثر بالامس في تلك الاداب تاثيرات منحتها القوة واكدت ان الاخذ مسبوق بالعطاء » ، « وقد كان الدارسون الاوروبيون انفسهم اول من ادرك هذه التاثيرات العربية الخصبة في الاداب الاوروبية وبدأوا يدرسونها ويشيدون بها منذ القرن الثامن عشر .. **ومن الطريف ان يكون اهم هؤلاء المسجلين لفضل التاثيرات العربية من رجال الدين المسيحي الاوروبيين من امثال الاب خوان اندريس القس والعالم الاوروبي المنصف** » .

يؤكد الباحث على هذا المعنى حتى تخلو وجداناتنا من العقد ومركبات النقص ،فاذا رافقنا الدكتور هيكل في بقية البحث الى الاندلس لن يستخف بنا الطرب بما اثرنا به في الاداب الاوروبية شعرا ونثرا ، وانما سوف ندرك حقيقة هامة هي ان ما نتأثر به اليوم من منجزات الاداب الاوروبية

وتجديداتها هو من بعض جوانبه جزء منا وليس غريبا علينا . وبالتالى فليس «نقلا» و «اقتباسا» ما ندخله على ادبنا من تجديدات استحدثها الغربيون المعاصرون وانما هو استكمال الدورة الجدلية للتفاعل الحضارى بين الشعوب . وعلى غير هذا المنهج سار فريق اخر من الباحثين فى ابحاثهم كالدكتور بدوى طبانة الذى تكلم عن « تراثنا النقدى » فحمله اكثر مما يحتمل حين جعل لكافة المناهج الغربية الحديثة فى النقد الادبى اصولا واضحة فى التراث العربى .. هكذا يصبح الالتزام وحرية الفن ، كلاهما فكرتان « قال بهما نقاد العرب منذ زمن بعيد » ويسبق الدكتور طبانة عبارته بهذه الكلمات الفاصلة « والذى نقوله فى غير تحفظ » ثم يتعسف مع النصوص تعسفا ظالما للنقاد العرب ، وغير منصف لنقاد الغرب حين يستشهد بآراء لقدامة سبق بها بيرك الانجليزى وكروتشة الايطالى ، واراء للجاحظ سبق بها فولتير . وقد نسى الباحث ان معايير « الاكتفاء الذاتى » لا تنطبق على الحضارات والثقافات ، ولا يمكن لمفاهيم شديدة الحداثة والمعاصرة كالالتزام والشكل والمضمون وحرية الفن ان تكون ذات اصول واضحة فى التراث العربى لاختلاف العصر الحديث وهمومه عن العصور القديمة لا لشىء اخر . فالحق انه اذا كان الادب العربى قد اثر فى الادب الاوروبى بالموشحات الاندلسية واقاصيص الف ليلة وليلة وغيرها ، فانه بعيد عن ظن العلم حتى الان ان يكون للنقد العربى اية تأثيرات على مدارس النقد الغربى الحديثة والقديمة . ذلك ان التراث اليونانى والرومانى كان سخيا فى هذا الميدان على وجه خاص ، ويعد ارسطو بالذات ابا شرعيا لمختلف اتجاهات النقد الاوروبى امدا طويلا من الزمن ، فقد ظل هذا النقد مجرد تفريعات وتهميشات على كتاب الشعر لارسطو حتى ما يعرف بعصر التنوير . واذا كان علماء الثقافات المقارنة قد حسموا الكثير من مؤثرات الثقافة العربية على الثقافة الغربية فانهم حتى الان لم يطرحوا للبحث ــ فضلا عن ان يحسموا ــ قضية التأثير بالنقاد العرب . ولما كان الدكتور بدوى طبانه لم يات فى بحثه بشاهد او بدليل على هذا التاثر ، فان المرجح هو ان الباحث ممن يرفضون فكرة « التفاعل » ويؤثرون فكرة « العطاء » بغير اخذ . وهى الفكرة المنطلقة من تصور « الاكتفاء الذاتى » عند العرب ، على الصعيد الحضارى .

والقضية الثانية التى افصحت عن وجود اكثر من تيار بين الباحثين ، هى الموقف من الاستشراق والمستشرقين . وقد قادت الدكتورة بنت الشاطىء تيارا ضاريا فى عنفه وهجومه على المستشرقين فاتهمتهم بالتهم التقليدية المعروفة التى تبدأ من التبشير بالمسيحية الى العمالة الصريحة للاستعمار اى الجاسوسية . وحاول بعض الباحثين ان يكونوا اكثر موضوعية فقالوا بان المستشرقين فى اغلبهم علماء اجلاء ولكنهم ذوو نوايا خبيثة تغلف كل ما يكتبون فهم يشككون عن طريق العلم فى قيمنا ومقوماتنا الاساسية . وتفاوتت الحملة على الاستشراق فى درجات عنفها ، حتى كاد الدور الذى قام به ــ ونتباهى نحن بنتائجه حين نقول اننا اثرنا فى الحضارة الغربية بكذا وكذا ــ ان يختفى تماما وراء ضباب كثيف . الا ان اساتذة أخرين كالدكتور بيومى مذكور وقف ليشيد بجامعة اكسفورد التى قامت فى الربع الاول من هذا القرن بحركة موفقة ترمى الى تسجيل التراثات القديمة بما فيها التراث المصرى عامة والاسلامى خاصة ، وتم لها ذلك فى حوالى عشرين عاما . وكذلك جامعة هارفارد التى اوكلت الى جورج سارتون مهمة تسجيل العلم منذ نشأته الى اليوم ، واضطلع ثورندايك فى جامعة كولومبيا بتاريخ السحر والعلوم التجريبية . ولا يختتم الدكتور هيكل بحثه قبل ان يذكر بكل تقدير واجلال عشرات الاسماء التى اسهمت فى حياد دقيق وموضوعية صارمة فى توثيق التراث العربى ونشره ودراسته . ويقول الدكتور محمود الحفنى انه « كما ظهر فضل المستشرقين من علماء الاثار فى الكشف عن اسرار الحفريات وكنوزها التاريخية ، فقد كان للمستشرقين ايضا فضل البحث عن التراث العربى فى مختلف النواحى فنقلوا الكثير من المصنفات العربية القديمة الى لغاتهم حتى ليمكن القول بان اهم ما انتجه الفكر العربى اصبح معروفا لدى كثير من الشعوب » . بل ان الدكتورة بنت الشاطىء نفسها تذكر قصة المستشرق الروسى الذى امضى سنوات عمره بحثا وراء كتاب ابن ماجد الذى كان يقود سفينة فاسكو دى جاما .

ولا ريب ان هناك عوامل نفسية كامنة فى لاوعينا تشارك فى تقييمنا لدور الاستشراق والمستشرقين ، فالحروب الصليبية وغياب الدولة الاندلسية كان لهما اسوأ الاثر فى تشكيل نظرتنا الى الغرب عامة . ولعل هذا ما يفسر ظلال الشك التى تسيطر على اعصابنا كلما طرحنا او طرحت امامنا احدى العلاقات الثقافية بيننا وبين اوروبا ، فاما ان نقول انهم اخذوا عنا كل شىء ، واما ان ندمغ بعض الادوار المضيئة لفريق هام من المستشرقين بالعقم والبطلان . ولعل هذا ايضا ما يفسر التطرف فى الجانب المقابل ، اى فى التبعية الكاملة لكافة ما قالوا به من افكار حول تراثنا . والطريق الصحيح الى تقييم الاستشراق على

مدى تاريخه هو الاستنارة بالظروف الخاصة بنا ويكل اتجاه من اتجاهات الاستشراق على حدة ، فلا ريب ان بعض هذه الاتجاهات كان يرمي الى تشويهنا ، ولكن البعض الاخر ادى لنا اجل الخدمات ،بل ان هذا البعض الاخر يشكل الغالبية العظمى من المستشرقين . ويجب ان نفرق جيدا ودائما بين الخطأ الذي يمكن ان يقع فيه المستشرف كأي عالم معرض للخطأ لسبب او لاخر - واهم الاسباب انه يعالج تراثا اجنبيا عنه - وبين سوء النية والخبث والتضليل المتعمد . وكذلك يجب ان نفرق بين معاهد الاستشراق في بعض البلدان الاستعمارية حيث تتحول الدراسات العربية الى اقنعة جاذبة للتسلل الينا ، ومعاهد الاستشراق في العالم الاشتراكي حيث تتحول هذه الدراسات الى دعامات حية للعلاقات الصحية بين الشعوب .

والقضية الثالثة التي اوضحت الابحاث فيها الاختلاف المنهجي الحاسم بين بعض الباحثين هي قضية الموقف العملي من التراث . فتحت عنوان «التراث العربي ودوره في اصلاح الحياة الانسانية» تحدث الدكتور **احمد شلبي** في المجال السياسي قائلا ان الاسلام قضى على التوارث في الحكم واسس نظام الشورى حتى تصبح العصمة للامة في مجموعها لا في الفرد ايا كان . وقد منع الاسلام الحاكم واعوانه من ان يدخلوا الصفقات العامة بائعين او مشترين ، كما حرم عليهم قبول الهدايا « وكان المعروف قبل الاسلام ان المالك هو الحاكم ، ففي النظام الاقطاعي باوروبا كان مالك المقاطعة هو حاكمها ، وفي الجزيرة العربية كان شيخ القبيلة هو محورها في السياسة والاقتصاد ، فلما جاء الاسلام قطع بين السياسة والمال ، ولم يجعل المال قط وسيلة للوصول لكراسي الحكم وشهدنا طبقة من الحكام المسلمين هم الى الفقر اقرب منهم للغنى كمحمد وابي بكر وعلي ، ولم يصبح الملاك حكاما في الاسلام بسبب غناهم الا في عهد ضعف التفكير الاسلامي بسبب الهزائم التي منيت بها مبادىء الاسلام امام زحف التيارات الثقافية الخارجية » وكانت الضرائب قبل الاسلام واجبة على الفقراء يؤدونها للاغنياء ، فقضى الاسلام بالتسوية بين الجميع في دفع الضريبة لبيت المال . واستطرد الدكتور شلبي في ذكر مآثر الاسلام على التربية والاسرة والعلاقات الاجتماعية . اما الدكتور **عز الدين فودة** فقد افتتح محاضرته بقوله انه لم تكن هناك نظرية سياسية عند العرب، وانما يمكن القول ان هناك فكرا سياسيا عند المسلمين ونحن نكتشف اصول هذا الفكر في مصدرين اساسيين: هما مقدمة ابن خلدون وكتاب «سياسة نامة » لنظام الملك الفارسي . واوضح الدكتور فودة ان المسلمين قد عرفوا النظرية الدستورية من ناحية والعلاقات الدولية من ناحية اخرى .. الاولى عن طريق فكرة السيادة «الخلافة والامارة» وتبرير السلطة الفعلية ، والاخرى عن طريق « دار العهد» واقامة السفارات الدائمة والمتجولة بين الدولة الاسلامية والدول الاخرى ، وتوقيع المعاهدات بين المسلمين وغيرهم . ولعل تحويل يثرب الى « المدينة » كان اول عمل سياسي في الاسلام يحمل فكرا محددا في راي الدكتور فودة . ثم قال اننا لا نستطيع بالرغم من ذلك كله ان ندعي ان هناك « نظرية في علم السياسة » بمعناها الحديث وهو الصراع من اجل السلطة . وانما هناك افكار تحتاج الى عملية « ترشيد » حتى نميزها في سياقها عن المواعظ الاخلاقية والفلسفة والدين ، وغير ذلك مما نجده مختلطا بعضه البعض في كتاب واحد . وليس ذلك وقفا على التراث العربي ، فان كتاب « ارسطو » المسمى بالسياسة يندرج في هذا الباب من ابواب التاليف الجامع ، والذي لا يقدم في النهاية « نظرية » سياسية . واشار الدكتور عز الدين فودة الى ان العديد من المخطوطات التي تفيد المفكرين السياسيين العرب في هذا الشان ليست تحت ايديهم ، فهو لا يشك لحظة واحدة في ان جماعة سياسية كالخوارج لها فكرها السياسي المحدد ، ولكنه لا يستطيع كعالم ان يستخرج هذا الفكر من بطون الكتب المعادية لها ، وناشد في النهاية علماء اللغة العربية والتاريخ العربي في دار العلوم وكليات الاداب وجامعة الازهر ان يولوا هذا الجانب ما يستحق من اهمية بالبحث عن المخطوطات الضائعة وتصويرها وتحقيقها ثم نشرها حتى تنال بعدئذ ما تستحقه من دراسة وتقييم .

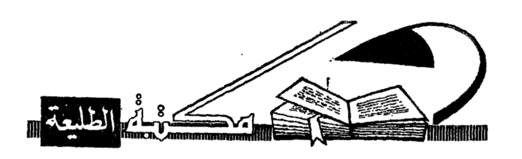
وبينما نرى ان الدكتور فودة قد سيج بحثه بحدود الدائرة المرسومة لمناقشة «التراث للتراث» اي انه لم ينتقل الى مرحلة التفسير والتأويل التي تثير الخلاف او لا تثير ، نجد ان الدكتور شلبي قد آثر ان يقدم التراث السياسي في الاسلام كمصدر وحيد نستطيع ان نحتكم اليه في كافة شئون حياتنا المعاصرة . والفرق بين الباحثين جوهري وعميق ، فالدكتور فودة لا يحيد عن المنهج الاكاديمي في اسلوب البحث مهما كانت النتائج لان رائده الوحيد هو العلم . اما الدكتور شلبي فقد اراد في صفحات معدودة ان يخطط للمجتمع المعاصر تخطيطا سياسيا شاملا لادق تفاصيل مشكلاتنا اليومية . وليس هذا فيما اعتقد هو الهدف من الحلقة ، وليس هذا ايضا هو المنهج الاكاديمي والاسلوب العلمي . فقد تناول بقية الباحثين تلك النقاط التي عالجها الدكتور شلبي

فى اسطر قليلة ، بصورة اكثر تفصيلا من ناحية ، ومن زاوية « التراث للتراث » من ناحية اخرى. وهى الزاوية التى تضىء لنا واجباتنا العملية والملحة نحو هذا التراث . اما « التراث للحياة » فيحتاج كما قلت الى حلقة جديدة وتخطيط مختلف . والموقف العملى من التراث لا يستحق من الدكتورة **عائشة عبد الرحمن** والدكتور **سعيد عاشور** التعريض بتراثات الاخرين ، فالقضية العادلة التى يدافع عنها كلاهما لا تستوجب تجريح التراث اليونانى او الانجليزى او الاشتراكى. فليس عيبا ان نهتم بتراث الاخرين « من اساطير اليونان الى ساحرات مكبث الى كتابات ماركس» ولكن العيب الا نهتم بتراثنا ايضا !! بل ان دراستنا لتراث الاخرين هى التى تضع ايدينا على اول ابعاد التراث ـ كل تراث ـ وهو البعد الانسانى العام . ودراستنا لتراثنا تضع ايدينا على البعدين الاخرين : البعد القومى بعيدا عن البكاء على الاطلال والتعصب الشوفينى ، والبعد الاجتماعى من موقع التطور التاريخى والتقدم .

* * *

ان قضية انتقال تراثنا الى اوروبا ـ على سبيل المثال ـ تحتاج الى عديد من التساؤلات حول ما نعنيه بالضبط بهذه القضية حتى لا نقع فى احبولة الرضا القانع المخدر للوجدان ، او نتورط فى شباك التعصب القومى المذموم . اننا نحتاج الى معرفة الفراغ الذى كان موجودا فى الحياة الاوروبية وقد سده التراث العربى بالفعل . الا يعنى هذا ـ مثلا ـ ان هناك تشابها انسانيا محضا فى كلا الحياتين الاوروبية والعربية ، ولما تصادف تعاصر ازدهار حضارتنا مع ظلام حضارتهم ، فقد تحتم ان نسد الفراغ الاوروبى ضمن الدورة الجدلية التى لا تنتهى من الاخذ والعطاء ؟ ومن الناحية الاكاديمية البحتة ينبغى التساؤل عما تأثر به الغربيون فعلا لا بما نقلوه الى لغاتهم ومتاحفهم حتى نصبح على وعى كامل بما نردده من اننا اعطيناهم هذا او ذاك من فروع المعرفة . ولا يفوتنا فى قضية انتقال التراث ان نتساءل عما اذا كان التراث العربى قد انتقل الى اماكن اخرى وازمنة اخرى غير اوروبا والعصر الوسيط ؟ وذلك حتى نسترشد بانعكاسات تراثنا على بيئات مختلفة وازمنة متباينة على القيمة الحقيقية لهذا التراث وجوهره الذى لا يتغير من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان وعناصره التى يصيبها التغيير حتما فى عملية الانتقال ، او التأقلم والتكيف والتزيى باردية جديدة فى اماكنها الجديدة . وقبل ان ينتقل تراثنا الى غيرنا ، ما هو تأثيره الفعلى فى اسلافنا ؟ ماذا رفضوا منه وماذا قبلوا ؟ وما هو تأثيره على معاصرينا ؟ ان الجواب الشامل الموضوعى على هذه التساؤلات هو الذى يباعد بيننا وبين التركيز على نقل الغرب لتراثنا « بروح الثأر » من عدوانهم التاريخى علينا ، لا «بروح العلم» وان امتلأت قلوبنا بمرارة العلقم . هذا الجواب الشامل ايضا هو الذى يحمينا من اقرار فكرة عربية اصيلة اخذها الغرب او حاكاها ، ثم رفضنا لها عند التطبيق .

وبعد ، فهذه كلها ملاحظات عابرة على حلقة ناجحة من الحلقات الدراسية التى تزمع جمعية الادباء متابعتها فى ميادين اخرى للثقافة كالنقد الادبى والمسرح والقصة وما اليها . ومن اجل ان تكون الحلقات القادمة اكثر نجاحا واقترابا من الهدف المرسوم لهذه الحلقات اسجل بعض النواقص التنظيمية فى « حلقة التراث العربى » وفى مقدمتها ان الاستعداد لاقامتها لم يكن فى مستوى الهدف منها . فالبحوث لم تطبع قبل القائها لتوزيعها على الرواد ، بل ان بعض الباحثين ارتجلوا كلماتهم ارتجالا . ولاتساع الموضوع وتشعبه ازدحمت الايام الاربعة فى لهيب الصيف باكثر من اربعة اساتذة فى اليوم الواحد (منتصف اليوم على وجه ادق فقد كانت الجلسات تعقد ابتداء من الثامنة مساء) . وقد اسر الى القائمون على تنظيم الحلقة بان الاساتذة الباحثين هم المسئولون عن هاتين الملاحظتين . وتبقى بضع ملاحظات لاعلاقة لها مطلقا بالباحثين . منها ان احدا لم يفكر فى دعوة علماء فى التراث العربى من خارج مصر ، بينما قضية التراث العربى بالذات تحتاج الى الاستعانة بالمتخصصين العرب فى كل مكان ، وكذلك فان مثل هذه الدعوة تؤكد على قيام الوحدة الثقافيه بيننا قبل الوحدة السياسية . وقد خلت الحلقة من مناقشه فرعين هامين من فروع التراث هما : الفن التشكيلى والفولكلور . والحق ان العمارة الاسلامية والزخرفة العربية وغيرهما من الوان التراث التشكيلى العربى قد حاق بها العسف بعدم ادراجها فى الحلقة . اما التراث الشعبى العربى فلعله من اخطر القضايا الجديرة بالبحث فى حلقة كهذه ، فالتراث الشعبى هو اساس التكوين النفسى المشترك لابناء القومية الواحدة ، وتراثنا الشعبى بالذات هو الذى ترك بصمات واضحة على الاداب الاوروبية . والتراث الشعبى اخيرا هو التراث الجامع للابعاد الثلاثة الرئيسية : البعد الانسانى والقومى والاجتماعى. الم اقل فى البداية اننا بحاجة الى حلقة جديدة بتخطيط مختلف لنفس الموضوع ؟ غير ان التوصيات الايجابية التى اختتم بها يوسف السباعى هذه الحلقة الناجحة تحمل كل منصف ، وكل مخلص لهذه الامة ، امين على مقوماتها الاساسية ، ان يغتبط اشد الاغتباط بهذه البداية الرشيدة فى جمعية الادباء



■ المثقف فى الهنـــــــد
● تأليف : نـيراد شـــودرى
● عرض وتلخيص : فريدة النقاش

■ من المجـلات الفـكرية العالمية
● مجلة « التريكونتيننتـــال »
● الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية

المثقف فى الهند

■ المثقف فى الهنـــــــد
● تأليف : نـيراد شـــودرى
● عرض وتلخيص : فريدة النقاش

نيراد شودرى

واحـد من ألمع كتـاب الهنـد ومفكريهـا المعـاصرين ، وهو مثقف كبـير من جيلى نهـرو وتلاميـذ غاندى وتاجور ، من هـؤلاء الرواد الذين تشربـوا فلسفات الهند القديمة وحكمتها وخبروا فنون الغرب واسـاليبه ، ربما اكثر من الكتاب الغربيين انفسهم « كنا فى السادسة عشرة لكى نثبت مدى درايتنا بالادب الانجليزى ، نحفظ اعمال شكسبير عن ظهر قلب » . وفى هذا الكتاب الجديد الذى هو احدث اعماله ، يطرح شودرى للمناقشة كل مشـكلات المثقف والثقافة الهندية منذ القرن الثامن عشر ، حيث بدأت الهند تتفتح شيئا فشيئا على حضارة الغرب ، ورغم هـذه البداية .. بداية رؤية العالم من جديد ظل الفكر الهندى خلال القرن الثامن عشر ملتزما باتبـاع تعـاليم « الدهارما » ، اى اسـلوب الحيـاة الهندوسـية القديمة ، بما فيـه من الخرافات والاساطير والرادع الدينى ، وهكذا ظلت الحياة الفكرية على جمودها .

لم تمثل هذه التعاليم الفلسفية الشهيرة خلال القرن الا اهمية تطبيقية ضـئيلة جدا ، ويرى « شودرى » أن الغرب قد بالغ الى حد بعيد فى تصوير تأثير هـذه النظم المجردة على الحيـاة الهندية ، ففى المشكلات الدنيوية كانت هـذه الفلسفات موضوعا للسخرية والهزل اكثر منها موضوعا للاجلال والاحترام .

ورغم ذلك ظلت هـذه الفلسـفات تمارس تأثيرها الهائل على اسلوب التعليم ومناهجه التى كانت تقوم دون أى تغيير او تعديل على مناهج واسـاليب الفلسـفات القديمـة بكل جوانب تصورها ، فكان الطلاب يختارون معلما متخصصا فى مادته ليدرسـوا عليه ، فاذا قبل يذهبون الى منزله ويعيشون معه كأفراد عائلته سواء بسواء ثم يتلقون تعليمـات شـخصية منه بخصـوص سلوكهم وقراءاتهم ، ولا يستطيع المعلم ولا يقبل ان يتقاضى اجرا على ذلك ، بل على العكس كان يتحمل كل نفقات الاقامة والمعيشـة الخاصـة بتلاميذه ، والذين كان يصـل عـددهم فى بعض الاحيان الى خمسين طالبا فى نفس الوقت ، وهو عبء ثقيل ، ولكن ما من « معلم » « باندت » ، كان يرفضه ، وفى حالة التلميذ النابه كان المعلم يبدو مزهوا ويبـذل جهـدا زائدا لكى يدعمـه ويساعده على ان يبدأ حياته العملية ويحتل مكانا فيها .

امـــا فيمـا بينهم « المعلمـون » والمهتمون بالحياة الفكرية فكان النقاش العلمي يأخذ شكل الخلافات والشلل ، وتكثر المكائد ، وكان هنـاك شيء عظيم واحد قدمه التراث الثقافى الهندوسى القـديم ، وهو الحفـاظ على معـرفة الادب السانسكريتى والفلسـفة الهندية ، والتى كانت

مصدرا خصبا ـ بل والمصدر الوحيد الصحيح ـ لكل ما قدمه الغرب من دراسات هندية اعتمدت على الكفاءة اللغوية والنحوية للبانديت .

ومع ذلك فلم يستطع هذا التراث الثقافى ان يقدم للحياة الفكرية الهندية الجديدة من يلعب دورا هاما فيها باستثناء بعض الاشخاص القلائل الذين ادوا ادوارا محدودة جدا فى بعض المناطق.

اما التراث الثقافى الاسلامى ، فقد اختلف تماما فى مدى تطوره وتأثيره ، فقد ظل مستقلا استقلالا تاما عن التراث « الهندوسى » ، ولم يخضع ابدا لتأثيره ، ولم تكن هناك فى الحقيقة اية صلة او علاقات داخلية متبادلة بينهما ، وقد تولى العلماء حماية التراث الاسلامى والدعاية له ، وفى الحقيقة كان العلماء المسلمون اكثر تاثيرا فى المجتمع الاسلامى الحديث مما استطاع المعلمون «البانديت» ان يؤثروا ، واختلف التراث الثقافى الذى خلقه المسلمون الذين تلقوا ثقافة غربية اختلافا جذريا عن حركة الثقافة الهندوسية التى عاصرتها ، ففى الوقت الذى كان فيه الفكر والثقافة الاسلاميةالجديدة امتدادا للقديم وتطويرا له ، حدث انفصام كامل بين الفكر الهندوسى القديم والحركات الجديدة ، ولهذا السبب استطاعت الحركة الفكرية الاسلامية الجديدة ان تدعم القديم ، وامتزج الاثنان امتزاجا كليا لتتولد منهما نتائج سياسية خطيرة خلقت لدى المسلمين احساسا عميقا بالذات حتى توصلوا لان يعتبروا انفسهم امة منفصلة عن الهند ، ويطالبوا بدولة لهم على هذا الاساس ، والتى قامت بالفعل بعد ذلك ولم تكن باكستان الا نتيجة منطقية جدا لهذا الفكر ، وحين خرج الانجليز من الهند كان انشاؤها شيئا طبيعيا جدا .

وكان لهذه الحركة الاسلامية شخصياتها ودعاتها البارزون ، ابتداء من السيد احمد خان الى محمد على جنة المؤسس الحقيقى للدولة الباكستانية ، حتى محمد اقبال الذى كان اكبر وأعظم شخصية فكرية اسلامية بين المسلمين الهنود جميعا .

اما الهندوس الجدد الذين تاثروا بالغرب ونقلوا ثقافاته ، فلم يتفهموا ابدا الحركة الفكرية التى بدأت تتضح بين المسلمين الهنود حتى اخذوا يتبينون دلالاتها السياسية ، وكان موقفهم اذ ذاك هو العداء الصريح والعميق للايديولوجية الاسلامية دون ان يحاولوا فهمها او تقييمها .

وفى بداية هذا القرن اخذ الفكر الغربى الجديد بكل تياراته واتجاهاته واساليبه يغزو الهند ، واخذ تدفقه يقطع الصلة تماما بين الهند القديمة وهند القرن العشرين ، اذ دخل هذا الفكر كما هو ، نتاجا لحضارة الغرب .

وهناك قضية ينبغى ان نتوقف عندها لنوضحها وهى ان عملية « تغريب » الذهن الهندوسى لم تتم ، او يدعو لها الحكام البريطانيون او المستوطنون الذين كانوا على العكس يفضلون ان يظل رعاياهم الهنود متمسكين بتقاليدهم القديمة ، وكان هناك عدد قليل جدا من البريطانيين الذين دعوا الى تغيير مناهج التعليم واساليبه على اساس النظام الانجليزى ، وانما كان معظمهم ضد هذه الحركة حتى انهم حاربوها .

أما حركات التبشير المسيحية فكانت تعمل على نشر الافكار الاوروبية بهدف نشر المسيحية ودعمها ، ولكنها لم تحاول ابدا ان تنشر او تدعو للعقلانية الغربية ، وهكذا جاء ادخال التقاليد الثقافية الغربية على ايدى الهنود انفسهم ، وكان ذلك بالطبع نوعا من الاستعمار الثقافى ، ولكنه استعمار اذا جاز التعبير رحب به الناس الذين انتموا الى النظام الثقافى الوطنى المتفكك المتعدد اللغات واللهجات والمنفصل انفصالا تاما عن الحياة اليومية بكل مشكلاتها المعقدة .

وهكذا دخل الفكر الغربى الجديد الى الهند رغم انف المستعمرين الانجليز ، وكان تأثير هذا الفكر عليهم هائلا ، فأصبح الرجال الذين كانوا عاجزين تماما عنفهم ديكارتديكارتين متحمسين، ودخلت المجتمع نظرة جديدة للحياة ، واختلفت النظرة الى الثقافة والمثقف ، ولم يعد هؤلاء الذين تأثروا بالفكرالجديد نفس الهندوس الطيبين المسالمين مرة اخرى .

وعرفت الهند بناء على ادخال الفكر الغربى وقيام الحكم الاجنبى ما يمكن تسميته بعصر النهضة ، وفى البدء كان من الصعب جدا ان يدخل هذا الفكر الجديد الى العقل الهندى ، لانه عاش هذه القرون على تراثه القديم ، ولكن ما لبث الهنود ان اخذوا يتفاعلون مع هذا العالم الجديد ، وخلال هذه المرحلة التى هى اواخر القرن التاسععشر وبداية العشرين ، كان المثقف الهندى يثير عدة قضايا اساسية ، مثلا ما هى جوانب

التصور في مؤسساتهم ونظرتهم وكيف يمكن التغلب عليها ، وكيف يمكن شرب ثقافات الغرب الجديدة الدخيلة ، مع مزجها بتقاليدهم ، وما هو الموقف الذى ينبغى اتخاذه ازاء الحكم الانجليزى ، ومن خلال هذه القضايا التى احتدم الصراع حولها ولد تياران فى وسط المثقفين الهنود احدهم ليبرالى ، والاخر محافظ . ولم يكن الخلاف الاساسى بينهما على ضرورة ادخال الفكر الغربى الى الهند والتعلم منه ، وانما كان على مدى الاستفادة والاخذ من هذا الفكر ، وكان الخلاف الجوهرى بينهما هو الاصلاح الاجتماعى الذى ترتبت الدعوة له على بداية دخول هذا الفكر الجديد الى الهند ، وكان هذا الاصلاح الاجتماعى هو القضية الاساسية لدى الليبراليين .. بينما عاداه المحافظون بقوة ، وكان لهذا الاصلاح جانب هام هو تحرير المراة ، الذى ابدى المحافظون فيه موقفا متشددا .

وقد ركز الاتجاه الليبرالى على علم الاجتماع ، وحاول مفكروه استخدام اسلوب الغرب دون تغيير لكى يخلصوا الهند من عادات تقليدية فظيعة مثل حرق الارامل والزواج المبكر جدا وقتل الاطفال وتعدد الزوجات .

وفى مجال السياسة شغلوا انفسهم طويلا فى تحديد معنى الحرية فى مجتمع لا يمتلك حريته السياسية ، ولم يعرف بعد معنى الحرية الاجتماعية ، ولكنهم توصلوا فى النهاية ، ورغم العثرات الى ان يقودوا النضال الوطنى من اجل التحرر .

ورغم ذلك ، ورغم ان المثقفين توصلوا فى النهاية الى قيادة الشعب الهندى الى التحرر والى تولى زمام القيادة ايضا بعد التحرر ، فان هذه التيارات الفكرية والخصومات الايديولوجية كانت تدور وتصطخب عادة بين قلة صغيرة من المثقفين لم تشكل لها جماهير ابدا ، وكانوا فى النهاية اقلية معزولة فى قلب المجتمع الهندى ، والذى يشكل الفلاحون ٩٠ ٪ منه ، ولم تكن النشاطات الفكرية تعنى شيئا على الاطلاق بالنسبة لهم ، ونستطيع ان نقول ان هذه ظاهرة عامة تحدث فى كل بلد بخصوص النشاط الفكرى والثقافى ، فهو يقوم بين اقلية مسيطرة « فكريا » وبروليتاريا « داخلية » كما عرفها توينبى ، وقد حدثت فى الهند ظاهرة بالغة الغرابة ، وهى ان جميع الحضارات كانت بناءات فوقية تفرض على مجتمع يتكون من العمال والفلاحين وحرفيين متخلفين ، وهو مجتمع لم يتطور كثيرا منذ العصر الحجرى فى غرب آسيا ، وكان يمول هذه الحضارات بالطعام والخدمات . وكانت الثقافة التى تاتى بها كل حضارة تمارس تأثيرا ضئيلا ، ولكن هذا المجتمع نفسه لم يسهم اى مساهمة ايجابية فيها ولم يكن ايضا عدوا نشيطا لاى منها .

ومن المؤكد اننا لكى نقيم تأثير اى حركة فكرية فى الهند فان العنصر الوحيد الذى ينبغى ان نضعه فى الحسبان هو الطبقة المتوسطة ، وحين دخل الفكر الغربى الحديث الى الهند لم تستجب القطاعات الغالبة من هذه الطبقة له ، وظلت مخلصة لتقاليدها القديمة ، واخذت تقاوم الافكار الغربية فكريا ونفسيا ، وكان من المحتم ان يحدث هذا لان الطبقة المتوسطة كانت هى وريثة الثقافات الهندية القديمة ، سواء الهندوسية او الاسلامية . وحين فقدت هذه الثقافات مقومات الحياة ظلت هذه الطبقة متمسكة بمظاهرها الخارجية . وهكذا ظلت نساء الهند ، باستثناء قلة ضئيلة جدا بعيدات كل البعد عن التأثر بهذه الثقافة الجديدة ، ولكن هذه الاستثناءات مارست تأثيرا هائلا ، واثارت اهتماما بالغا لانهن كن يتمتعن بذكاء غير عادى وقوة شخصية باهرة ، ورغم ذلك ولانهن قلة ضئيلة ظللن غير قادرات على ان يصبحن ادوات للثورة الاجتماعية والفكرية على كل القديم ، وكانت قاعدة شبه عامة ، انه حتى فى العائلات التى يمارس فيها الرجال نشاطا فكريا متقدما ويتبنون الافكار الجديدة كانت النساء تعيش حياة تقليدية ، وحتى اذا ما تبنى الرجال الافكار الغربية كلية «تغربوا» فلم يكونوا يحبذون تغييرا مشابها فى حياة نسائهم ، وحتى الان وفى بيوت المثقفين الهنود البارزين ، فان النساء لا يشاركن فى المناقشات الفكرية ، وفى بعض الاحيان لا يشاركن فى الحياة الاجتماعية ذاتها .

وفى قلب هذا المناخ غير المشجع الا قليلا يعيش المثقف الهندى اليوم ينظر الى هذه الهوة الكبيرة بين الفكر النظرى والتطبيق بين الحديث عن التقدم الذى يتم فى العالم ، وبين واقع التخلف الهندى الفظيع الذى يخلق مجتمعا تتعدد فيه الكفاءات والامكانيات ، وتضيع نتيجة لضيق الفرص ، فكيف يمكن للمثقف ان يواصل الحياة دون ان يتعرض للجوع او التقشف فى مجتمع فقير ومعاد للثقافة والفكر مثل المجتمع الهندى .

وقبل ان نخوض عميقا فى هذا الموضوع ، علينا ان نضع تعريفا للمثقف ، حيث ان الهنود ولعون بالتعريف ، فحين اتحدث عن الهندوس اجد من يتحدانى ان اعرفهم وقد سئلت ايضا ان اعرف الحب لاننى عالجت هذا الموضوع ذات مرة ، ربما لاننى كتبت ايضا عن اكتشاف المراة فاننى على يقين ان احدهم سوف يسالنى ان

اعرف المراة وحينئذ سوف اراني مضطرا لان اعطى تعريفا غير لائق .

المهم ان المثقف هو الشخص الذى يستخدم قدراته الثقافية لكى يفهم ويشرح العالم من حوله وكنتيجة للدراسة والملاحظة والتجربة يتوصل الى نتائج يؤمن بأنها صميمة او على الاقل المترجمة وصدقا من تلك التى كانت سائدة من قبل ، وهو يوصل أفكاره هذه الى ابناء وطنه بهدف التأثير فى عقولهم وحياتهم وسلوكهم .

ويقول شودرى للمثقفين الهنود انه متفائل جدا وهو يبنى هذا التفاؤل على اساس تجربته الخاصة القاسية « فقد مارست قدراتى وعملى الفكرى فى اقل الظروف ملاءمة واقساها ومع ذلك استطعت أن استمر » ونحن نضع فى اعتبارنا هذا المثل اليونانى « لاتدع انسانا سعيدا حتى يموت » والذى يمكن ان نترجمه «لاتقل ان انسانا قد استطاع أن يبقى حتى يموت» و «لكننى الان فى السبعين من عمرى وقد بدأت فى كسب عيشى منذ الثالثة والعشرين ، وهكذا استطعت الاستمرار والبقاء سبعا واربعين عاما فى ظل ظروف قاسيه وحتى معاديه لاى نشاط فكرى او ثقافى .. لقد ولدت مع عقبات رهيبه تقف فى وجه اى نجاح دنيوى وساعدت الظروف ايضا عليها .

ولكننى لااريد ان اعطى لجميع المثقفين الشباب «وصفتى» فمثلما كانت ظروفى صعبه بطريقة غير عادية فان علاجى ايضا قاس ويدعو الى اليأس . ويقول « لاروشنو » انه تقع فى حياة الانسان احداث يستدعى الخروج منها ان يجن المرء قليلا وقد كانت كل المواقف ذات الدلالة فى حياتى تعرض على مواقف كان اى انسان آخر يعدها جنونا ، وانا لااستطيع ان ادعو الاخرين الى ذلك ولا أتمنى ابدا ان يدفع احد الثمن بالفاقة والمعاناة والمذلة كالذى دفعته .

ولهذا سوف تكون نصيحتى لهؤلاء المثقفين الذين يعيشون فى ظل ظروف طبيعيه ويواجهون مصاعب طبيعية وعادية يخلقها المجتمع فى وجوههم ، والله يعلم انها سيئة بما فيه الكفايه لاننا نعيش فى مجتمع يعانى من آلاف المشكلات والامراض . ونصيحتى الاولى لهؤلاء الكتاب الشبان الايحاولوا ابدا ان يعيشوا من نتاج جهدهم الثقافى كمؤلفين، او كتابا بالقطعة . ففى هذه الايام وحتى فى الغرب لايستطيع حتى واحد فى الالف أن يعيش على دخل ارقى نوع من الكتابة ينتجها مثقف ، وقد اقترح مثقف فرنسى ان خير مايفعله من يريد ان يكون كاتبا هو أن يبحث لنفسه عن وظيفة فى اليونسكو .

وحين اجرت جمعية المؤلفين الانجليز احصاء لدخول الكتاب بناء على اجابات تلقتها من ٦٠٠ كاتب كلهم محترفون كانت النتيجة ان ٨٢ منهم يكسبون مايزيد على ١٥٠٠ جنيه فى السنة من الكتابة ، بينما وجدوا ان واحدا من كل عشرة كان يكسب من ٢٠ الى ٣٠ جنيها فى الاسبوع ، و ١٨٪ يكسبون ما بين ٥ الى عشرة جنيهات فى الاسبوع ، أما مايقرب من ٤٠٪ فقالوا انهم لايكسبون أكثر من ٥ جنيهات فى الاسبوع . وهكذا نجد أن غالبية الكتاب المحترفين يتحصلون على دخل من الكتابة اقل من متوسط دخل الفرد والذى كان يصل فى عام ١٩٦٢ الى ١٥ جنيها فى الاسبوع .

هذا لايعنى أن الكاتب لايستطيع ان يكسب عيشه بطريقة الكتابة ولكن ليس عن طريق هذا النوع من الكتابة التى يهتم بها كاتب جاد تؤرقه قضيه يؤمن بها ويحاول أن يصل فى معالجته لها الى ارقى مستوى تؤمنه له امكانياته وكما يقول جون ستيوارت ميل « ان الكتابات التى يعيش بها الانسان ليست هى نفسها التى تعيش » .

وكلما قرأنا كتبا اكثر يتضح لنا ان المهمة الحقيقية للكاتب هى أن ينتج عملا عظيما وان اى عمل آخر غير ذلك يقوم به لايؤدى الى نتائج حقيقيه ، وكل انتاج يقدمه الكاتب للصحافة او الاذاعة او السينما فانه مقضى عليه بالتلاشى وبخيبة الامل ، لانه مهما كان جادا ومخدوما فانه لايحدث نفس الاثر والنتائج البعيده المدى التى يمكن أن يحققها عمل عظيم كبير ، فالاعمال العظيمة الخلاقة التى يضع فيها الكاتب فكره وتجربته وقراءاته ويحدد فيها موقفا من قضايا الانسانية الحيوية هى التى تكون بعيدة الاثر ، وهى التى تعيش فى النهاية ، ومن الحماقة بمكان أن يفكر الكاتب الناشىء فى أن يضع اثمن افكاره واكثرها صدقا ، ويضع جهده الحقيقى فى هذه الاعمال السريعة التى تقدم للاذاعة أو الصحافة او السينما لانه فى هذه الحالة يحكم على الافكار الجيدة كما على الافكار التافهة الصغيرة بالنسيان والفشل .

اننى اتمنى أن يتوصل كل كاتب شاب الى القناعة التامة بأنه خير مايمكن ان يفعله وارقى ما يمكن أن يقوله ويكتبه لا يمكن — الا فى ظروف استثنائية ونادرة — ان يساعداه على العيش ويقول جون ستيوارت ميل « فما من شاعر كبير او فيلسوف منذ العصر المسيحى الاول استطاع ان يحصل على مكانه او معاش كبير على اساس

انه شاعر او فيلسوف » . ويتضح شودرى ، ذلك الشيخ الذى تجاوز السبعين ولم يؤلف الا ثلاث كتب كبيرة جعلت تأثيره وشهرته تتجاوز حدود الهند وآسيا لتملأ العالم، وليصبح مصدرا لكتاب الغرب ولكثير من دراساتهم عن الفكر الهندى ، ينصح الكتاب الشبان ان يشتغلوا بالوظائف العامة وان يثابروا والا يملوا ابدا ، وسوف يواجهون الكثير من الالام والمتاعب ،ولكنها رغم قسوتها سوف تقنعهم وتجعلهم قادرين على المزيد من العطاء والخلق فى قلب هذا العالم المعقد الواسع الذى بقدر مايضع فى وجوههم من العراقيل يحتاج الى جهدهم حتى يحافظ على توازنه .



مجلة « التريكونتيننتال »

(القارات الثلاث)

● الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية

« تريكونتيننتال » ـ القارات الثلاث ـ هى المجلة النظرية التى تصدرها السكرتارية التنفيذية لمنظمة تضامن شعوب القارات الثلاث فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، والتى تصدر فى هافانا مرة كل شهرين . وهى فى عددها الاخير تتناول بشكل خاص المشاكل الراهنة للحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية ، تلك القارة التى تنتج ٦٠٪ من واردات الولايات المتحدة من الزيت الخام ، ١٠٠٪ من الموز ، ٨٧٪ من البن ، ٧٣٪ من السكر ، ٥٠٪ من الكاكاو ، ٤٠٪ من جملة واردات الولايات المتحدة من المعادن الاستراتيجية. وتشكل رؤوس الاموال الامريكية ٦٣٪ من الحجم الكلى للاستثمارات فى القارة ، ٣٢٫٤٪ من الاستثمارات المباشرة فى حقل البترول . وقد انتجت القارة ارباحا لرؤوس الاموال الامريكية، المستثمرة استثمارا مباشرا فى امريكا اللاتينية تبلغ ١٢٦١ مليونا من الدولارات فى عام ١٩٦٦ ، اعيد استثمار ٢٩٩ مليونا منها فقط فى بلاد القارة اما الباقى فقد ذهب ربحا حلالا الى خزائن البنوك والاحتكارات الامريكية .

فى هذه القارة يمتلك ١ر٪ من الملاك ٦٢٫٥٪ من جملة الاراضى الصالحة للزراعة ـ بما فى ذلك الاحتكارات الاجنبية طبعا .

وفى هذه القارة ترتفع نسبة البطالة الى ١٣٫٨٪ من القوى العاملة، وتبلغ نسبة الامية ٣٤٫١٪ ، ويصل معدل الوفيات بين الاطفال الى ١٠٧ من كل ١٠٠٠ طفل .

وقد تعرضت القارة لـ ٨٦ عدوانا او تدخلا عسكريا او دبلوماسيا فى شئونها الداخلية من جانب الولايات المتحدة الامريكية خلال الفترة من ١٨٠٩ الى ١٩٦٦ .

ومن اجل هذا كله تبدأ المجلة من منطلق « حتمية مواجهة السياسات الرجعية للولايات المتحدة ، وهى مواجهة ستنتهى اليها كافة اشكال النضال فى امريكا اللاتينية كمرحلة ضرورية من تطور هذا النضال » كما انها « مواجهة طابعها الاساسى عنيف ـ او مسلح ـ كما حدث فى جمهورية الدومينكان ، وينبغى ان تقابل بالعنف أيضا من جانب القوى الثورية » .

هذا العنف الثورى هو الذى يشكل الخط السياسى العام للمجلة ، ومن ثم فقد خصصت ثلاثا من موادها الاساسية لموضوعات تتناول جوانب مختلفة من الكفاح المسلح للحركات الثورية فى امريكا اللاتينية ، او على الاصح فى بلدين من بلدان القارة هما فنزويلا وجواتيمالا ، حيث تلعب حرب العصابات دورا متزايد الاهمية على مسرح الحياة السياسية .

فعلى غرار النموذج الكوبى بدأت الثورة فى فنزويلا منذ ست سنوات . وتتضمن مواد المجلة

تقريراً للقيادة الموحدة لجبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني في فنزويلا يسجل المعالم الرئيسية للخط العسكري والسياسي لقوات حرب العصابات ، والمشاكل التي اكتنفت العمل الثوري في المرحلة الماضية حتى انتهت الى انقسام الحركة الثورية والحزب الشيوعي في فنزويلا منذ اكثر من عام . فيقول التقرير : ان « القطاعات التي كانت تنادي بتصفية الكفاح المسلح قد انضمت الى معسكر الاصلاحيين والوفاقيين ، وراحت تحاول ان تنظمه ، وانحصر نشاطها في اطار (الديمقراطية البرلمانية) الذي لا معنى له » . وقد نختلف بالطبع مع كاتبو هذا التقرير وناشروه في ادانتهم لكافة اشكال النضال الديمقراطي والبرلماني بشكل مطلق ، ولكننا نسلم على اية حال بانهم ادرى بمشاكل بلادهم وقارتهم ، كما أن علينا أن نسلم بأن خبرتهم الغنية في حرب العصابات يمكن أن تكون دائما ذات فائدة لكفاحنا التحريري المسلح في الارض العربية المحتلة في فلسطين .

ويعدد التقرير مجموعة الاخطاء التي وقعت فيها الحركة الثورية في فنزويلا في المرحلة الماضية من النضال ، وفي مقدمتها ان العمليات لم تكن تتم على اساس استراتيجية المعارك ولم تكن محكومة بقوانين تطور الحروب ، بل كانت تخضع للمناورات السياسية التي تحاول استخدام الكفاح المسلح كوسيلة للضغط من اجل مكاسب سياسية . ومن اجل هذا لم تصبح الحرب هي العامل الاساسي في حياة البلاد السياسية طوال ست سنوات من النضال . فمن الوجهة التاكتيكية « لم تكن طبيعة النضال محددة بوضوح كاف ، مما ادى الى الارتباك والبلبلة الايديولوجية التي تتراوح بين العقلية الانقلابية المغامرة والاساليب الانتخابية ، بين اساليب التمرد والنضال الطويل الامد . وقد ادى هذا الى الانتقاص من اهمية حرب العصابات والجهاز المسلح بوجه عام » .

ويخلص التقرير من هذا الى ضرورة تحديد العدو الرئيسي الذي ينبغي ان توجه اليه الضربات ، وضرورة التمييز بين العدو على المدى القصير — اي العدو في مرحلة محددة من مراحل النضال — وبين العدو على المدى الاستراتيجي . اما العدو الاستراتيجي من الوجهة السياسية فهو النظام الحاكم في فنزويلا الذي يساند الطبقات المستغلة ، اما العدو المباشر في المرحلة الحالية فهو حكومة حزب العمل الديمقراطي والتي تعتبر في المرحلة الحالية الدعامة الاساسية للسلطة السياسية التي يعتبر الاطاحة بها عاملا هاما في التعجيل بانتصار الثورة . اما من الوجهة العسكرية فالعدو الرئيسي هو القوات المسلحة الفنزويلية التي تحولت قيادتها الى جهاز تنفيذي لمخططات البنتاجون . ويوضح التقرير ان هذه الصورة قد تتغير في حالة ما اذا وقع غزو امريكي ، حيث يصبح العدو الرئيسي عندئذ هو قوات الغزو والقطاعات التي تساندها من قيادات القوات المسلحة .

اما من الوجهة الاقتصادية فان العدو الرئيسي الان وفي المستقبل هو الشركات الاستعمارية الامريكية التي تنهب ثروات البلاد ، والعدو الثانوي هو العناصر الوسيطة والموالية لرؤوس الاموال الاستعمارية الامريكية .

والشعار الاساسي الذي تخوض القوى الثورية الحرب في ظله هو « وحدة كل القوى المادية والبشرية والسياسية من اجل تدعيم وتطوير الجهاز المسلح للثورة على اساس تنظيمها اثناء القتال » بهدف تحقيق الوحدة العضوية الكاملة لكل الثوريين في المجالين السياسي والعسكري ، وليس مجرد وحدة شكلية كتلك التي كانت قائمة من قبل . وبحيث تكون اشكال التنظيم «ملائمة تماما لشكل النضال الرئيسي — النضال المسلح» .

ثم يعرض التقرير لنتائج تطبيق الاستراتيجية العسكرية الجديدة التي تقوم على توحيد جبهات القتال الموزعة على امتداد ١٢٠٠ كيلومتر ، والتي ادت الى زيادة الخبرة النضالية وتربية الكادر ورفع مستواه النضالي والايديولوجي وتطهير صفوف الثورة وتحقيق التجانس الفكري والسياسي في صفوف الحركة الثورية وتحديد طريق فنزويلا الى الثورة بسماته الخاصة المحددة . ولا يغفل التقرير الخسائر التي حاقت بالحركة الثورية — والتي يصفها بأنها خسائر لا تعوض — والتي يعزوها الى انتهاك قواعد الامان ونقص اليقظة الثورية في بعض الحالات .

ويخلص التقرير الى ان «تجميد العمليات يؤدي الى تصفية النضال المسلح . وينبغي ان تتطور العمليات كما وكيفا وفقا للخطة المتكاملة للحرب» . ويضيف : « في عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ لم يكن نشاط العمليات في المدن يستجيب لاستراتيجية عسكرية تقوم على مبدأ النضال الطويل الامد ، بل كانت تعكس سمات عقلية انقلابية يائسة » .

ويحدد التقرير في النهاية المهمة الرئيسية للحركة الثورية في «تطوير قوات الشعب المسلحة ، ودفع عجلة الحرب الشعبية الى الامام بكل قوتها ، ومد النضال المسلح الى المناطق الحيوية من البلاد» .

ويحدد لويس انريك بول — او الميجور « ارتورو » — احد قادة حرب العصابات فى احدى جبهات القتال فى شرق فنزويلا طبيعة قوات العدو الذى يواجهه رجال حرب العصابات فى هذه المنطقة بانها وحدات من الجيش النظامى تضم وحدات خاصة مدربة على مقاومة حرب العصابات تسمى « الصيادون » تعمل تحت قيادة رئيس اركان الحرب وتتلقى توجيهاتها كما يتم تدريبها على ايدى « مستشارين » عسكريين امريكيين ، بالاضافة الى وحدات من الطيران والاسطول، والحرس الوطنى الذى تنحصر مهمته الرئيسية فى حراسة المنشئات البترولية والحكومية والموانىء كما يقوم باعمال الشرطة المحلية ، بالاضافة الى جهاز المخابرات العسكرية الذى يعتبر جهاز القمع والامن الرئيسى، وجهاز بوليسى خاص يتبع وزارة العلاقات الخارجية ، وبوليس البلدية. « وينبغى الا يغيب عن اذهاننا ان هذه القوات جميعها تعمل تحت امرة قيادة موحدة توجهها بعثة من المستشارين العسكريين الامريكيين» .

ويجيب الميجور « ارتورو » على سؤال بشأن التركيب الاجتماعى والسياسى للجبهة ،ومتوسط اعمار رجال العصابات فيها ، فيقول ان غالبية المقاتلين والمناضلين السياسيين ينتمون الى منظمة « حركة اليسار الثورى » (مير) كما ان بعضهم من الاعضاء السابقين بالحزب الشيوعى الفنزويلى والبعض الاخر لا ينتمى الى اصول حزبية والبعض من الاعضاء السابقين بحزب العمل الديمقراطى (الحاكم) واحزاب «الاتحاد الديمقراطى الجمهورى » و « الاشتراكى المسيحى » . «اما التركيب الطبقى فهو ٤٥٪ من الفلاحين ، ٢٥٪ من العمال ، ٣٠٪ من المثقفين والطلاب الثوريين » . ويتراوح متوسط اعمار المقاتلين بين ٢٠ — ٢٥ عاما ، اما اصغر مقاتل بينهم فيبلغ السابعة عشرة .

ويجيب على سؤال آخر فى حديثه الطويل الغنى بخبرات حرب العصابات من جميع جوانبها : « ان التغير فى علاقات القوى ، الذى سوف يحيل ضعفنا قوة ، لا يمكن ان يقاس بمقياس التطور العسكرى ، او بعدد ما لدينا من بنادق او بقدرة رجال العصابات على القيام بعملياتهم . بل انه ينبغى ان يقاس بمدى نجاحهم فى كسب تأييد جماهير الفلاحين وتنظيمهم ، وتعبئتهم لجماهير الشعب وقدرتهم على عزل العدو محليا وعالميا » . وهو لا يرى فى شى جيفارا « بطلا رومانسيا » بل « مزيجا من المفكر الثورى والمقاتل المثالى . ان بطولته هى بطولة رجل حرب العصابات والمنظر الثورى الذى عرف كيف يغنى الحركة الثورية فى امريكا اللاتينية باضافات ثمينة باستخدام المنهج الماركسى اللينينى » .

وفى مقال ثالث عن « جواتيمالا » تنشر « تريكونتيننتال » مزاعم منديز فونتينجرو رئيس الجمهورية عن اعادة السلام الى البلاد ، ذلك السلام الذى يكلف الحكومة تخصيص اكثر من عشرة آلاف جندى لمواجهة حرب العصابات ، بالاضافة الى اجهزة الارهاب والقمع البوليسى التى تقوم بحملات الاعتقال فى المدن ، حيث « يختفى » المواطنون كل يوم ويقتلون ويعذبون وحيث تحاصر مناطق باكملها بحثا عن رجال حرب العصابات الذين يقومون رغم هذا كله بهجماتهم الجريئة على الحاميات الصغيرة ويثبتون قدرتهم وكفاءتهم فى العمليات ويمارسون تأثيرهم على المستويين السياسى والدعائى ، بعد ان اعلن قائد منظمة « قوات الثورة المسلحة » سيزار مونتيز فى خطاب مفتوح فى ٢١ يناير الماضى باسم عدد من قادة حرب العصابات فى جبهات القتال انسلاخهم عن قيادة الحزب الشيوعى وتشكيلهم لقيادة مركزية جديدة لحرب العصابات والتقاؤهم على طريق الثورة المسلحة بحركة ١٣ نوفمبر الثورة التى تخلصت بدورها منذ اول مايو سنة ١٩٦٦ من عناصر قيادتها التروتسكية وطردتها من البلاد .

وتتميز حرب العصابات فى جواتيمالا بارتفاع نسبة الهنود الحمر بين مقاتليها حيث يمثل الهنود اكثر من ٥٠٪ من مجموع السكان . وقد بلغ من نجاح حرب العصابات تنظيميا وسياسيا فى الارتباط بجماهير الفلاحين والهنود انها استطاعت ان تقيم قرى على النمط الفيتنامى . وتعدد « تريكونتيننتال » بين اهداف حرب العصابات فى جواتيمالا « اعدام المستشارين العسكريين الامريكيين واعضاء البعثات العسكرية الامريكية والمخابرات الامريكية » . ويتمثل الخط الاستراتيجى «لقوات الثورة المسلحة » فى «اقامة قيادة موحدة وتجميع كل العناصر الفعالة من اجل اقامة جيش الشعب » .

والواقع ان نموذج الثورة الكوبية والنضال البطولى لشعب فيتنام يلقيان بظلهما على كل موضوعات العدد ،بل ان المجلة تعلن فى افتتاحيتها « ان نضال الشعب الفيتنامى — رغم بعد الشقة بين فيتنام وبلاد امريكا اللاتينية — يمثل بالنسبة للثوريين فى هذه البلاد فاصلا من تاريخ نضالهم ذاته » . وتتناول « تريكونتيننتال » فى احد موضوعاتها الرئيسية خبرات الشعب الفيتنامى فى مقال بعنوان « **الحرب الخاصة والاستعمار الجديد** » بقلم **هوانج بيش سون** عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى

الفيتنامية ورئيس البعثة الفيتنامية الدائمة في كوبا ومندوب الجبهة الدائم لدى منظمة تضامن شعوب القارات الثلاث .

ويعرض الكاتب في مقاله لمراحل تطور الاستراتيجية السياسية والعسكرية الامريكية ازاء حركات التحرر الوطني ، وكيف لجأت الولايات المتحدة في مواجهة تعاظم قوى الثورة الوطنية والاشتراكية في العالم ، ويقظة الشعوب ونهضتها ، وافلاس النظام الاستعماري وانهياره، الى انتهاج سياسة استعمارية جديدة تقوم على استخدام القوى الرجعية المحلية في تحقيق هدف المحافظة على الوضع العالمي للنظام الامبريالي عن طريق « المساعدات » الاقتصادية والعسكرية، واقامةالقواعد والمشاركة فيالاحلاف العسكرية . وحيث فشل الامبرياليون الامريكيون في اخضاع فيتنام الجنوبية لاستعمارهم الجديد لجأوا الى « الحرب الخاصة » التي لم تلبث أن تحولت الى « حرب محلية » . ويناقش الفرق بين الحرب الخاصة والحرب المحلية او الحروب المحدودة ، حيث تحاول الامبريالية ان تصور الاولى على انها لون من الحرب الاهلية ، بينما تقف الامبريالية بكل عتادها وسلاحهاوامكانياتها وخبرائها ومستشاريها العسكريين وراء هذه الحرب التي لا تختلف في طبيعتها العدوانية عن كافة اشكال الحروب الاستعمارية العدوانية الاخرى . ويقول الكاتب ان استراتيجية الولايات المتحدة الحالية التي تسمى استراتيجية « **الاستجابة المرنة** » تنطوي على ثلاثة انواع من الحروب : الحرب النووية الشاملة ، والحرب المحلية ، والحرب الخاصة . وبينما تهدف الاولى الى محو المعسكر الاشتراكي فان الحرب المحلية والخاصة « رغم اختلافهما في الشكل واسلوب التطور الا انهما سواء في انهما نتاج للاستعمار الجديد » .

« واذا كان الاستعمار الجديد نتاج حتمية تاريخية لمرحلةاحتضار الامبريالية ،بهدفمواجهة الزحف الشامل لقوى الثورة العالمية والاحتفاظ بمواقع الامبريالية ، فان الحرب الخاصة هي نتاج تطورالاستعمار الجديد للامبريالية الامريكية في مواجهة حركات التحرر للشعوب المقهورة» . والامبرياليون الامريكيون اذ يلجأون الى الحرب الخاصة انما يفعلون هذا في اتساق معسياستهم في « استخدام ابناء البلاد في القتال ضد بعضهم البعض » . وهي سياسة تسمح لهم من ناحية بخفض النفقات العسكرية الىالحد الادنى ،وهذا أمر له اهميته فيالاعداد لحرب ذرية شاملة ،ومن ناحية اخرى فان هذا يعطي عملاءهم مظهرا مستقلا بينما يخفي في الوقت ذاته طبيعتهم العدوانية عن انظار العالم .

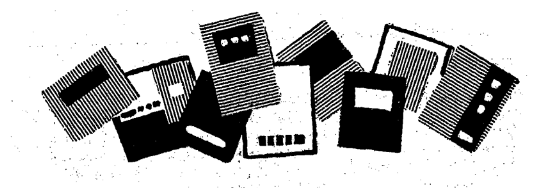
ويمضي الكاتب في تعداد الميزات التي عول الامبرياليون الامريكيون على توافرها فياسلوب « **الحرب الخاصة** » ، وكيف كشفت الحرب الشعبية في فيتنام الجنوبية عن غباء واضعي الاستراتيجية العسكرية الامريكية التي تعاني من نفس النقائص التي تميز كل الحروب العدوانية . فهي بالضرورة تعتمد على القوى الرجعية والطبقات البورجوازية البيروقراطية العميلة . ويحلل الاساس الاقتصادي للقوى التيتعتمد عليها الامبريالية فيفيتنام ،والتناقضات التي تنخر صفوف هذه القوى في مواجهة شعب تمرس طويلا بتقاليد النضال والوحدة واكتسب قدرا عاليا من الوعي السياسي وثروة منالخبرة النضالية ، مما ادى الى الغاء آثار تفوقالولايات المتحدة في السلاح والتكنولوجيا والى فشل كل استراتيجياتها وتاكتيكاتها . « ان السلطةبالنسبة للامبرياليين الامريكيين تعني الدولارات والقنابل والمركبات الكيميائية السامة . ان مفهوماتهم الرجعية تحول بينهم وبين ادراك ان العامل الاساسي والحاسم هو الانسان » . ذلك الانسان الفيتنامي الذي يجمع الى جانب روح النضال الثوري والاصرار على النصر ، القدرة على استخدامالاساليب العلميةفيالتفكير والعمل، ويضع الخطط ويصوغ السياسات التي تتفق والاوضاع الحقيقية في فيتنام . ويختتم هوانج بيش سون مقاله بقوله :

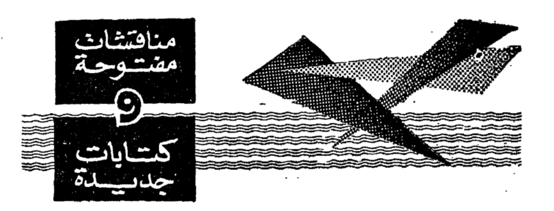
« ان فشل الحرب الامريكية الخاصة في فيتنام الجنوبية لهو ابلغ الادلة على ان الحربالشعبية قوة لا تقهر . وانتصار الشعب الفيتنامي فيحرب الامبريالية الامريكيةالخاصةيقودنا الىاستخلاص نتيجة حتمية هي ان اى شعب في المرحلة الحالية – ايا كان حجمه – اذا ما نجح في ان يوحد صفوفه ليرفع راية النضال الثوري دون خوف من التضحيات او المعاناة ، من اجل كسب استقلاله وحريته ، واذا ما وضع لنفسه خطا سياسيا سليما لذلك النضال ، فانه لا يمكن ان يهزم امام اى قوة امبريالية ، حتى ولو كانت الامبريالية الامريكية ذاتها » .

والامبريالية الامريكية ليست في الحقيقة وحشا خرافيا لا يمكن النيل منه ، ولكنها نظام تنهشه التناقضات الداخلية التيكشفتعننفسها كأوضح ما تكون منذ صيف العام الماضي في ثورة الزنوج في الولايات المتحدة ، ثم في ازمة الدولار وفيالعديد

من ظواهر العنف الذي يسود الحياة السياسية في قلعة الامبريالية العالمية . ويتناول **جيمس فورمان** (وهو احد قادة « لجنة تنسيق عدم العنف» والسكرتير التنفيذي للجنة الدولية للمنظمة التي يقودها ستوكلي كارمايكل وراب براون) في مقال آخر احداث وخبرات ثورة الزنوج في الولايات المتحدة في صيف ١٩٦٧ ، فيشير الى آثار استقلال شعوب القارة الافريقية وجلوس ممثليها في مقاعد الامم المتحدة جنبا الى جنب مع ممثلي الشعوب الاخرى في تفتح وعي زنوج الولايات المتحدة الذين عانوا كل ويلات العنصرية حتى لقد بلغ عدد الزنوج الذين اعدموا شنقا في الولايات المتحدة « دون محاكمة » منذ «تحرير» الزنوج اكثر من ٦٠٠٠ زنجي . ويستطرد فورمان يعدد العوامل التي اثرت في حركة الزنوج في الولايات المتحدة من الارهاب في ظل المكارثية الى الاغراء بالمال من اجل التأثير في برامج المنظمات الزنجية وتفريغها من اي مضمون ثوري او متعاطف — او حتى غير معاد للماركسية ، ومن حركة الماو ماو الى مناقشات الامم المتحدة حول الحرب الجزائرية وانتصار الفيتناميين في ديان بيان فو . « ولكن الثورة الكوبية التي وقعت على مسافة لا تزيد عن تسعين ميلا من شواطئنا ، هي التي بينت للكثيرين من الشباب الاسود ان الثورة ممكنة ، وان التغيير الاجتماعي الشامل — والقضاء على الفقر والامية والفساد والاستغلال الرأسمالي الواسع النطاق — لم يكن من الممكن تحقيقه عن طريق الانتخاب ، ولم يتحقق الا بالثورة المسلحة » .

ويحدد فورمان اهداف الزنوج بانها « النضال بوضوح ضد العنصرية والرأسمالية والامبريالية الامريكية ، سواء اكانت موجهة ضد الشعوب السوداء في الخارج او في الداخل » . ان تصاعد المقاومة يولد القمع ، ولكن القمع لن يكون له من نتيجة سوى ان يشحذ حدة المقاومة . « ان تحطيم منظمة مثل لجنة تنسيق عدم العنف ، سيكون امرا مؤسفا ، لكنه لن يستطيع ان يوقف حركة تحرير الزنوج اكثر مما استطاع مقتل شي جيفارا ان يوقف تيار الثورة في امريكا اللاتينية » . وهو يتنبأ بان عام ١٩٦٨ سيشهد افظع اجراءات القمع التي تعرضت لها حركة الزنوج في تاريخها ، ولكن « ينبغي أن ننظم انفسنا حتى نستطيع ان نواجه الاساليب والاسلحة الحديثة التي يستخدمها العدو باستراتيجية جديدة من جانبنا » . ولعل فيما تواترت به الانباء مؤخرا من اجراءات القمع الوحشية ضد مسيرة الزنوج التي تزعمها القس ابرناثي ما يشير الى صدق هذه النبوءة .





بكتسب اهتمام الشباب بواقع مجتمعه ، مشروعيته الكاملة من حقيقة انه صاحب المستقبل وقائده . وفى هذا المقال ، يتناول واحد من شباب بلادنا — احمد احمد ابوالعطا المعيد بالمعهد العالى للالكترونيات بمنوف — الموقف الراهن بالتعليق من وجهة نظره .
واذ تحيى « الطليعة » هذه الاهتمامات الجادة — أيا كان اتفاقها أو اختلافها معها فى الرأى — فانها تدعو كل شباب بلادنا المناضلين الى المشاركة بجهدهم فى معالجة هذه القضية التى تشغل كل اهتمام شعبنا .

الموقف الراهن بين الحاضر والمستقبل

أحمد أحمد أبو العطا

يأتى احتلال جزء كبير من الارض العربية بواسطة قوى الصهيونية ممثلة فى اسرائيل ، ومعضدة بقوى الامبريالية العالمية فى مقدمة المشاكل التى يواجهها وطننا فى هذه الايام ، وهو الى جانب هذا أخطر هذه المشاكل على الاطلاق

.. ومن هذه المشكلة تتفرع عشرات المشاكل المباشرة وغير المباشرة التى يجدر بنا أن نتناولها بشىء من التفصيل والدراسة .

بادىء ذى بدء لابد لنا من الاعتراف **باستحالة** أى حل سياسى لهذه المشكلة . فالامبريالية العالمية تود تحطيم نظامنا الاشتراكى المناوىء لمصالحها ، وهى تعضد اسرائيل فى موقفها المتشدد ، ولا حل سياسى للازمة الا بضغط تمارسه الامبريالية على اسرائيل ، وهو أمر مستحيل الوقوع — فى رأيى — فى الظروف العالمية الحاضرة .

نخلص من هذا الى ان الحل الوحيد أمامنا هو الكفاح المسلح خلال معركة ضارية قادمة حتماً

حقيقة أن خطوات غير عادية قد اتخذت لاعادة بناء الجيش المصرى ، وأن قوته الفعلية اليوم تربو على قوته الفعلية قبل ٥ يونيو . ولكن من يدرى ، فربما تتدخل الامبريالية فى المعركة القادمة بصورة سافرة خصوصا اذا ما هدد شبح الهزيمةاسرائيل .. ليس أمامنا فى هذه الحالة سوى حل واحد « الحرب الثورية » . ويتحتم علينا منذ الان ان نعد لها ماديا بتدريب الافراد القادرين — كل القادرين — تدريبا عسكريامتعدد المراحل، وانشاء الاشكال التنظيمية التى تحتويهم ، ومعنويا بنقل حقيقة الخطر الذى نواجهه الى الشعب .

ويشدنا هذا بالطبع الى الحديث عن **قضية التنظيم السياسى،** وقد علمتنا تجارب كل الشعوب ان الاشتراكية لا تبنى الا بتنظيم حزبى طليعى . يضم كوادر حقيقية مستعدة للتضحية حتى الموت فى سبيل عقيدتها ، وهى فى نفس الوقت تملك من امكانيات القيادة ما يجعلها بالطبيعة طليعة لنضال أمتها ، كذلك علمتناتجارب هذهالشعوب أن هذه الكوادر تخرج أولا وبصفة أساسية من بين صفوف الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية والعميقة فى الثوره من الفلاحين والعمال أولا وقبل كل الفئات الاخرى .

ان انتماء هذه الكوادر الى الفئات الكادحة هو الضمان الوحيد لئلا تنحرف . صحيح أن غياب محكات العمل الطبيعية قد عاق اكتشاف هذه الكوادر حتى الان . ولكن وطننا يملك اليومفرصته الذهبية.فالصهيونية أعدى أعداء الوطن ترفع اعلامها على بعد مائة متر فحسب من منطقة القناة وتحتل مساحةتقرب من ١/١٠ مساحة هذا الوطن . فليكن ما يقدمه كل انسان من أجل ازالة هذه الاعلام البغيضة محكا طبيعيا نكتشف من خلاله كوادر تنظيمنا المأمول . والحرب — كما قلت — قادمة،وهى فرصة لا يمكن تعويضها لصهر وصقل هذه الكوادر .

هذه الكوادر المنتمية أساسا الى العمال والفلاحين هى الضمان الوحيد لاستمرار الثورة الاشتراكية وعدم انتكاسها . ولا ضمان لعدم انحراف هذه الثورة الا بمزيد من الدورالقيادى لهذه القيادات المنتمية والغير قابلة للانحراف عن اهداف قواعدها الكادحة ، يصونها ويحميها فىخلال مسيرتها الثورية اشاعة الديمقراطية الكاملة داخل هذا التنظيم وممارسة النقد والنقد الذاتى دون حد او قيد .

ويجرنا هذا بدورهالى الحديث عن نقطتين هامتين :

النقطة الاولى هى مشكلة سياسة الاجور والمرتبات فى بلادنا ، فمن غير المعقول ان يبدا التحول الاشتراكى منذ سبع سنوات ثم تظل سياسة الاجور والمرتبات دون تغيير جوهرى ، بينما هى سياسة صاغها الفكر البرجوازى والاقطاعى الذى كان يسود بلادنا طوال القرنين الماضيين ، لابد لنا اليوم من هدم شامل لهذه السياسة واعادة بنائها على أساس فلسفة النظام الاشتراكى العادلة : لكل بقدر ما يستحق ، وبقدر ما ينتج حقيقة وما تقدمه البلاد من خدمات ، كذلك لابد من تحديد ثورى للنسبة القصوى بين أعلى وأدنى المرتبات، فالنسبة الحالية (اكثر من ١٠٠ : ١) هى اكثر بكثير جدا مما يستطيع أىمجتمع اشتراكى أن يقبله .

والنقطة الثانية هى مشكلة الراسمال الوطنى الذى اجاز له الميثاق الاشتراكفى العمل الوطنى وجعله جزءا من التحالف الخماسى لقوى الشعبالعاملة ، بشرط الا يتحول الى الاستغلال، فاذا به فى عشرات من المواقع يستغل ويمارس ضغوطا مختلفة سعيا وراء المزيد من الربح والتراكم الرأسمالى ، الامر الذى يهدد قاعدة الفكر الاشتراكى بالخطر .

ثم انتقل الى الحديث عن عدة قضايا أشعر بأهميتها البالغة وحساسيتها :

١ — قضية وضوح الرؤية لدى القواعد الجماهيرية فلابد أن تكون القيادة بالحقيقة كاملة يعرفها الشعب ويسهر بها على مصالحه الحقيقية ، وقد أثبتت تجربة النكسة القاسية خطورة انعزال القيادة عن الشعب وخطورة ترك الشعب يتخبط فى ضباب الحيرة والجهل المؤلمين .

٢ — قضية الشللية والمحسوبية وضرورة القضاء النهائى عليها على كل المستويات وضرورة تحطيم سياسة مراكز القوى والترضيات والمصالحات وانصاف الحلول . هذه عبرة اخرى مباشرة نخرج بها من تتبع جلسات محكمة الثورة . الشللية والمحسوبية هى احدى الظواهر المدمرة التى ينبغى التخلص منها بحسم ، ويكفى ما ادت اليه فى الماضى القريب منكوارث احداها هى النكسة التى يعانى منها وطننا الان .

٣ — لابد من الاسراع فىعملية تقنين الثورة ، فالقوانين التى سنتها البرجوازية والاقطاع طوال قرنين من الزمان لضمان مصالحهما وخدمة اهدافهما ، ما زالت هذه القوانين تسرى حتى اليوم وتعوق وصول الثورة الاشتراكية الى كل موقع والى كل فرد .

اود ان اشير هنا — كمثال على ما اقول — الىنظام **التقارير السرية** عن العاملين الذى يعمل به اليوم فى مصالحنا الحكومية ومؤسساتنا كأساس للترقية والبعثات والمنح وما اليها . ولا يخفى على أىعاقل انبلدا يعيش تحولا اجتماعيا خطيرا الى

الاشتراكية ، وتتصارع فيه قيم اجتماعية منهارة مع قيم جديدة تثبت اقدامها ، وما يواكب هذا الصراع من خلافات حادة تحول بين الرؤساء فى كثير من الاحيان وبين الحيدة التى يتطلبها الحكم السليم والنزيه على اعمال المرءوسين — لا يخفى على احد ما فى هذا النظام من اسقاطات تجعل تطبيقه مهزلة يتحتم الرجوع عنها فى الحال . وهذا مجرد مثال ».

٤— قضية الاعلام الاشتراكى

فما زالت اجهزة الثقافة والاعلام بعيدة عما ينبغى لها أن تقوم به فى مجتمع يتحول الى الاشتراكية. وما زال مضمون موادنا الثقافية اقل كما وكيفا مما يحتاجه الوطن فى مثل هذه الظروف . كذلك فان الثقافة مازالت غالية الثمن بعيدة عن متناول القطاعات العريضة من الشعب ، والى القائمين على شئون الثقافة نقول : « مزيدا من الثورة الاشتراكية فى مؤسساتنا الثقافية ، ومزيدا من الانفتاح على تجارب شعوب سبقتنا فى الطريق الى الاشتراكية » .

تدعو الطليعة كل المناضلين ، الى المساهمة فى مناقشة الموضوعات المثارة فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى . ولسوف تفتح صفحات « مناقشات مفتوحة » لعرض ما يصلها من آراء المواطنين .

■ ■ ■

واجبات .. بعد الانتخابات

علق المواطن **ممتاز احمد حسنى** — وكيل حسابات مديرية التربية والتعليم بالمنصورة — على معركة الانتخابات الاخيرة وأهميتها . وبعد ان اوضح وجهة نظره القائلة بأنه فى نفس الوقت الذى نجحت فيه عناصر شابة ثورية من تولى مسئوليات قيادية فى التنظيم الشعبى ، فقد نجحت عناصر اخرى رجعية فى ان تزاحم العناصر الثورية وتنتزع منها بعض المراكز . ولكنه لا يكتفى برصد ذلك ، بل يضيف قائلا :

ان جماهير شعبنا بعد الدروس القاسية التى مرت بها . قادرة على سحق الرجعية والانتهازية والقوى اليمينية المخربة ، وكل المؤامرات التى تحاك ضدها .

واذا كانت بعض العناصر المؤمنة الصلبة قد خسرت المعركة فى بعض الوحدات ، فانها بلا شك قادرة بحكم وعيها ، وبحكم ارتباطها الواسع بالجماهير ، على ان تعمل وتتحرك وتبذل الجهد مضاعفا لخدمة مصالح الكادحين فى كل مكان ، واضعة نصب اعينها قضايا الشعب الاساسية وأهمها على الاطلاق قضية نقل السلطة للشعب العامل التى يجب ان نتمسك بها حتى آخر نفس ، باعتبارها مفتاح الموقف نحو تحرير الارض ، ونحو بناء الدولة العصرية الاشتراكية .

واذا كانت المرحلة القادمة ، تعد أهم مراحل تاريخنا المعاصر ، فان المطلوب الان من كل المواطنين ان يكونوا فى مستوى الوعى الثورى المطلوب ، وان يسلحوا انفسهم بالاشتراكية العلمية كمعين لا ينضب ، نستطيع به ان نتخطى كل العقبات والتحديات ».

●

الصحافة الاقليمية .. والمؤتمر القومى

وتناول المواطن **ابراهيم الحلوانى** — الشركة العامة للبترول — فى رسالة له ، قضية الصحافة الاقليمية . يقول :

لا شك ان الصحافة الاقليمية عامل هام لتطوير الحركة الثقافية للمجتمع ، فهى تعلب دورا خطيرا فى تشكيل الثقافة الاجتماعية والسياسية للجماهير ، كما ان وجودها يخدم قضية التغيير السياسى والاقتصادى والاجتماعى ».

ومن الواضح ان هناك صحافة قومية عامة تهتم اهتماما كافيا بالمسائل العامة ، ولكنها لا تنفذ بصورة ايجابية لتحليل مشاكل الاقاليم وعلاج الاوضاع غير الصحيحة فيها . فهى لا تلقى الضوء الكافى على كل الجوانب الخفية والسلبية التى يعانى منها مجتمع الكفور والقرى والمدن . وان صدور مثل هذه الصحافة الاقليمية بصورة منتظمة ودورية سوف يلعب دورا مؤثرا فى احداث التغيير المطلوب فى الاقاليم ».

وتبرز اهمية الصحافة الاقليمية بظهور المجالس الشعبية القادمة (مجالس المحافظات) ، فهى بدورها تنقل صورة شاملة وكاملة لمشاكل الاقليم دون عناء ، وترتبط اهميتها بالتالى بحركة المؤتمرات المحلية (مؤتمر المراكز والمحافظات) ، حيث تدفع بمشاكل الاقاليم امام هذه المؤتمرات للحل السريع ملتزمة بالنقد المسئول وتوضيح الصورة بأمانة ودقة .

وفى تقييم التجارب السابقة للصحافة الاقليمية، يمكن ان نقول ان بعضها بعد مسافات شاسعة عن حقيقة مشاكل الجماهير وكرس اهتمامه بأخبار واوضاع الطبقة الحاكمة فى دواوين المحافظات ، والقت الاضواء على الاشخاص ، واهتمت بالاعلانات كمصدر للتمويل ، وهى بذلك بعدت عن الحياة اليومية لحركة الجماهير ومشاكلها اليومية ، التى تستدعى تصعيدها الثورى للاجهزة المسئولة المختصة . وكان نتيجة لذلك ان بعدت الصحافة الاقليمية عن حركة الجماهير ، وبالتالى حكمت على نفسها بالجمود والسلبية المطلقة .

ولا يمكن ان ننكر ان الصحافة الاقليمية واجهت مشاكل مادية ، وهى اولى المشاكل الجوهرية التى اعاقت حركتها وشلت تقدمها ، كما ان الكفاءات البشرية المناضلة فى هذا المجال لم تكن قادرة على التحرك الثورى والالتزام باصدارها فى مواعيدها لارتباطها الوظيفى . والمشكلة الثانية مشكلة التوزيع ، غير ان هذه المشكلة الاخيرة — بوجه عام — ما زالت معقدة وتحتاج الى دراسة علمية دقيقة .

ان قضية الصحافة الاقليمية فى ظروف تكوين البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى تفرض نفسها — واقعا وفلسفة — وايضا تفرض نفسها كقضية ثورية — وواقعا وفلسفة على المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بما لها من وزن خاص فى اثارة الوعى السياسى لدى الجماهير ، وتفتيح الاذهان بقيم النضال وتفجير قضايا جديدة ، وتثبيت قيم جديدة — اكتسبت خلال المعركة .

ان وجود مؤسسة عامة للصحافة الاقليمية يلتزم بتأسيسها التنظيم السياسى ، ولتنشيط حركتها وتدعيمها ماديا وبشريا هى — فى رايى — الحل الوحيد لايجاد صحافة اقليمية بكفاءة عالية تخدم متطلبات هذه المرحلة الخطيرة من حياة الامة العربية .

أعداء الشعب ...
ليسوا « نمورا من ورق »

وكتب المواطن **محمد محمود حماد ابراهيم** — برمبال القديمة بدكرنس .. دقهلية — يربط بين ضرورة مواجهة اعداء الثورة والشعب ، وبين تدعيم البناء الاشتراكى ، فيقول :

لن يكف اعداء الثورة عن العمل ضدها طالما يجدون الثورة تتقدم وتحرز نجاحات فى سبيل تأكيد سلطة الشعب العامل . انهم يبذلون كل الجهد للابطاء من حركة الجماهير الشعبية ، لانهم يعلمون ان فى ذلك نهايتهم الاكيدة . ولهذا يحاربون من اجل البقاء . فالمعركة بالنسبة لهم هى مسألة حياة او موت ، يلقون فيها بكل ما يملكون من اسلحة مهما كلفهم ذلك .

ولهذا ، فاننى أؤكد على ضرورة مواجهتهم لا بمنطق انهم « نمور من ورق » ، ولكن بفكرية انهم « نمور مفترسة » . حقيقة انهم « نمور من ورق » اذا قيست قوتهم بقوة شعب انتفاضة ٩ يونيو ، الذى يعلم تماما من هم اعداؤه ، وكيف يتصدى لهم . ولكن يجب ان نعترف بأنهم — وخاصة فى الريف — نمور مفترسة .

ولهذا اقول ان الثورة فى حاجة الى مزيد من القوة والدعم فى الريف بالذات ، حتى يتأكد الفلاح من ان هذه الثورة العظيمة قادرة على حمايته ، وقادرة على سحق اعدائه . ان الفلاح فى حاجة الان الى ثقة كبيرة فى قوة ثورته ومقدرتها على مواجهة اعدائه فى الداخل وفى الخارج . ولن يكتسب الفلاح هذه الثقة الا بالعمل الحقيقى الثورى ، الذى يدعم الثورة الاشتراكية العظيمة فى الريف بالذات .

ان المجتمع الاشتراكى الذى بدأ يرسي دعائمه فى بلادنا ، لابد ان يدعم نفسه بالمزيد من الثورة الاشتراكية فى كل شيء ، لقد اصبح للاشتراكية جنود مخلصون فى بلادنا ، وهم دائما على اتم استعداد لتلبية اى نداء من قيادتهم الاشتراكية ، بأن يخوضوا اى معركة مهما كانت ضراوتها وشدتها فى سبيل تدعيم البناء الاشتراكى ، وفى سبيل سحق اعداء الشعب .

الازهر يحتج لدى يوثانت على معاملة الاسرى العرب من الفدائيين

طرحت الطليعة امام القوى الوطنية العربية،قضية انقاذ حياة المناضل الفلسطيني وليم نجيب نصار الذى أسرته سلطات اسرائيل الارهابية . وقد وصلت الطليعة عشرات الالاف من الرسائل التى تحمل توقيعات جماعية من مختلف الهيئات والمؤسسات والتجمعات والنقابات فى الوطن العربى ،الى السكرتير العام للامم المتحدة تطالبه بالتدخل لانقاذ حياة البطل وليم نصار ،بالاضافة الى معاملة رجال المقاومة الفلسطينيين كأسرى حرب تطبق عليهم القوانين الدولية .

وعندما يرتفع صوت الازهر من اجل انقاذ وليم نصار ، والمطالبة بوقف عمليات التعذيب الوحشى التى تمارسها السلطات النازية الصهيونية ضد الاسرى العرب من الفدائيين ، فهو لايؤكد بذلك فحسب حقيقة انه يتمسك بتراثه التاريخى كمعقل من المعاقل الوطنية الهامة ، وانما ليؤكد حقيقة اخرى مشرقة .. ليثبت للرأى العام العالمى أن الازهر يقف دائما ليساند ويدافع عن حياة كل وطنى وبغض النظر عن عقيدته الدينية مادام يناضل من أجل قضية وطنية عادلة .

وتنشر الطليعة فى هذا العدد صوت الازهر الشريف ــ ممثلا فى رسالة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الازهر وتوقيعات علمائه وطلابه والعاملين به الذين بلغ عددهم ٣٠٩ ــ الى السكرتير العام للامم المتحدة ليتدخل ((لمنع عمليات التعذيب الوحشى التى تمارسها السلطات النازية الصهيونية ضد الاسرى العرب من الفدائيين)) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر
مكتب الامام الاكبر
شيخ الازهر

السيد خالد محيى الدين

السكرتير العام للمجلس القومى للسلام

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد :

فايماء الى نشرتكم الاخبارية رقم ٢٣ الخاصة بالحشد لمعركة الشرف والحق والتى تخوضها الامة العربية ، وما تتعرض له حريات السكان العرب من خطر يتهدد أمنهم ومصيرهم ومعاملة الاسرى من الفدائيين العرب بوحشية تمارسها السلطات النازية الصهيونية .

نرسل الى سيادتكم بتوقيعات السادة العاملين بالازهر مسجلة احتجاجهم على هذه المعاملة التى تتعارض مع ابسط قواعد الانسانية لرفعها الى السيد سكرتير المنظمة الدولية .

ونحن اذ نشكر لكم جهودكم من اجل السلام ، ندعو الله لكم بالتوفيق .

تحريرا فى « ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٨٨ هـ
٢٦ يونيه سنة ١٩٦٨م

شيخ الازهر
حسن مأمون

وثائق



وثيقة سياسية

كراسة "تيموانياج كريتيان" (شهادات مسيحية)

جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

نواصل فى هذا العدد نشر كراسة (تيموانياج كريتيان) (شهادات مسيحية) عن قضية فلسطين ، وهى وثيقة وضعتها الجماعة التى تشكلت فى فرنسا تحت اسم ((جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية)) ، واعلنت انها تضع كهدف لها توخى الحقيقة والتزام الموضوعية فى عرض القضية من زواياها العديدة والمتباينة دون ميول او انحيازات مسبقة .

ونعتذر للخطأ الذى وقع فى العدد السابق من ((الطليعة)) بنشر جزء من الفصل الاول الخاص باستعراض تاريخ القضية (تحت عنوان ((نظرة تاريخية))) قبل رسالة ماكسيم رودنسون الى معهد جويفا هفيفا باسرائيل ، وهذه الرسالة تشكل مع مقال جاك بيرك الافتتاحى مقدمة الكراسة .

وفى هذا العدد ، ننشر الفصل الاول من الكراسة المخصص للاستعراض التاريخى للاحداث ، مع اعادة نشر الجزء الذى سبق نشره خطأ فى العدد السابق . ونتابع تقديم الفصول الاخرى من الكراسة فى الاعداد التالية للطليعة . وقد حرصنا على نشر الوثيقة كاملة دون حذف أو اختصار ، رغم ما قد يقوم من اختلاف فى وجهات النظر بيننا وبين الكتاب المشاركين فى هذا العمل .

الفصل الأول

نظرة تاريخية

التاريخ القديم والتاريخ المعاصر

موريس بوستان

طلب منا عدد كبير من الاعضاء والمراسلين أن نقدم نبذة تاريخية عن أحداث فلسطين . وقد قمنا بوضع تسجيل زمني للتواريخ وللاحداث الهامة ، لان هذا المنهج ، في رأينا ، اقرب الى الموضوعية من اى منهج آخر . وبالطبع فان تفهم واستيعاب أبعاد هذه الاحداث يستدعى ألا ننسى أبدا الخلفية الدائمة لها وهى : تاريخ الشرق الاوسط منذ عام ١٩١٨ ، الدور الامبريالى للدول الكبرى ، فرنسا وانجلترا حتى عام ١٩٤٧ والولايات المتحدة بعد هذا التاريخ ، ظهور الاتحاد السوفيتى على مسرح الاحداث فى عام ١٩٥٧ ، سيطرة كارتيل البترول (أرامكو) .

١ – بعض التواريخ

■ ١٠ قرون قبل الميلاد

قيام المملكة العبرية الموحدة فى أرض كنعان (داود وسليمان) .

■ عام ٧١٩ قبل الميلاد

الاستيلاء على السامرية وطرد اهالى مملكة اسرائيل . بداية عملية تشريدهم على نطاق واسع ، (الدياسبورا) .

■ عام ٥٨٧ قبل الميلاد

« نبوكد نصر » يدمر معبد سليمان . نقل الاسرى من السكان الى بابل .

■ عام ٥١٥ قبل الميلاد

اعادة بناء المعبد من جديد بعد أن أصدر كيروش فى عام ٥٣٨ ق.م. ، قرارا ، بعد انتصاره على بابل ، يسمح بعودة طائفة اليهود وطقوسها الى أورشليم .

■ عام ٦٦ بعد الميلاد

تمرد الشعب اليهودى على الرومان .

■ عام ٧٠

استيلاء تيتوس على أورشليم . التدمير الثانى للمعبد . أبادة ٦٠٠ الف يهودى حسبما أورده المؤرخ تاسيتس . زوال اى كيان ذاتى لليهود .

■ عام ١٣٢

آخر تمرد لليهود تحت قيادة باركوشاك . فشل التمرد وسحقهم . بناء مدينة جديدة فوق أورشليم تحت أسم «ايليا كابيتو ليتا» . الامبراطور هادريان يصدر قرارا يستبعد بمقتضاه كل اليهود والمسيحيين النابعين من اصل يهودى من المدينة .

اقليم يهودا يتخذ أسم فلسطين لمحو اى ذكرى لوجود اليهود من قبل .

■ عام ٤٣٨

أول قانون تصدره الامبراطورية الرومانية المسيحية يقرر التفرقة فى معاملة اليهود .

■ عام ٦٣٦

دخول العرب فلسطين وطرد البيزنطيين . البلاد تتحول جزئيا الى بلاد عربية اسلامية .

تتعاقب على السلطة السياسية سلسلة من الدول الاسلامية المختلفة الاصول .

■ عام ١٠٧١

السلاجقة المنتمون الى أهل تركستان يحتلون البلاد بدورهم .

■ عام ١٠٩٦

أول عمليات اضطهاد وابادة على نطاق واسع ضد اليهود فى أوروبا بمناسبة الحروب الصليبية .

■ عام ١٠٩٩

تاسيس مملكة اورشليم اللاتينية على اثر اول حملة صليبية .

■ عام ١١٨٧

المسلمون ، بقيادة صلاح الدين ، سلطان مصر ، يستولون من جديد على كل اراضى فلسطين .

■ عام ١٥١٧

فلسطين تتحول الى اقليم يتبع امبراطورية الاتراك العثمانيين . احتفاظ سلاطين استمبول بالسلطة السياسية فيها حتى عام ١٩١٨ .

■ عام ١٧٩١

الجمعية التشريعية فى الثورة الفرنسية تمنح يهود فرنسا المساواة التامة فى المعاملة .

٢ ـ نشأة الصهيونية فى العالم

تظهر وسط بعض اليهود فكرة اعادة بناء مملكة اسرائيل القديمة فى شكل دولة حديثة نتيجة الآمال الواردة فى الرؤيا ، والتى تتكلم عن عودة صهيون ، ونتيجة للاحساس بالحاجة الى « الوطن » المفتقد والشعور بالمعاملة كمواطنين من الدرجة الثانية .

وتظهر هذه الدعوة منذ القرن السابع عشر ولكنها لا تتبلور الا فى نهاية القرن التاسع عشر بالرغم من تقدم عملية انصهار يهود أوروبا الغربية وأمريكا . وفى حوالى عام ١٨٨٠ ، أصبحت عمليات الابادة فى روسيا وبولندا وقضية دريفوس فى فرنسا ، اهم احداث القرن التاسع عشر بالنسبة لليهود .

■ عام ١٨٨٠

اليهودى الروسى «بنسكر» ينشر مؤلفه « **التحرير الذاتى** »

■ عام ١٨٩٨

تيودور هرتزل المجرى ينشر « **الدولة اليهودية** » ثم ينشر بعد ذلك بسنوات كتابا جديدا بعنوان « **الارض القديمة الجديدة** » (١٩٠٢) .

يعمل هرتزل مراسلا فى باريس لجريدة «نيو فراى برس» التى تصدر فى فيينا ، وهو يعانى من قضية دريفوس . **ويتصور ان الصهيونية هى الوسيلة لحل القضية اليهودية :**

فاليهود عاجزون عن الاندماج بشكل فردى فى القوميات الاخرى ، ولذا يجب ان يتكون منهم شعب منفصل ، يتجمع فى دولة مستقلة . وهو يتصور ان الصهيونية ليست سوى حالة خاصة لتطبيق نظرية القومية التى انتصرت فى القرن التاسع عشر باوروبا .

على ان هرتزل **مستعد لقبول اى مكان** فى بحثه عن ارض يختص بها اليهود وحدهم ، وهو يفكر بشكل خاص فى هضاب مدغشقر وفى اوغندا .

لا تتقبل « القاعدة » الصهيونية ، ومنها بالاخص وايزمان ، اول رئيس لدولة اسرائيل فيما بعد ، التردد فى موقف « نبى » الصهيونية . ففى **المؤتمر الصهيونى الاول** المنعقد فى مدينة بازل عام ١٨٩٧ ، يصدر برنامج يقول ان « الصهيونية تهدف الى تكوين وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، يضمنه القانون العام » .

ولنذكر بهذا الصدد ان جماعة « احباب صهيون » وهى الحركة التى نشأت فى روسيا ، تعتبر ان الارض الوحيدة التى تقبلها كوطن لليهود هى الارض التى يتوجه اليها كل اليهود المؤمنين عند احتفالهم بعيد الخروج من مصر منذ تشتيتهم فى الارض ، وتعبر عن ذلك الدعوة الشعائرية التى يرددونها فى هذه المناسبة : « العام القادم فى اورشليم » .

وهكذا فان مطالبتهم بفلسطين بالذات ، الارض التى عاش فيها اجدادهم ، لا ترجع لاسباب اقتصادية او اعتبارات تاريخية ، ولكن لان فلسطين ارض الميعاد ، اى جزء من تراثهم ومن العهد الموسوى . والتمسك بفلسطين بالنسبة لهم دليل على اخلاصهم لذاتهم عبر القرون المتعاقبة : على أن فلسطين ، بل واورشليم نفسها ، لم تكن ابدا بالنسبة لليهود ماتمثله بولندا مثلا بالنسبة للبولنديين طوال فترة تقسيمها . كانت اكثر واقل من ذلك فى آن واحد : فهى وطن روحى غير معروف لهم وشبه اسطورى ، وكانت الصهيونية السياسية فى اغلب الاحوال تحت قيادة رجال غير متدينين او معتدلين للغاية فى معتقداتهم ولكنهم انضموا لهذه الفكرة لكونها متغلغلة فى السواد الاعظم من القاعدة الجماهيرية .

ومن حيث الواقع لم يبق فى **فلسطين** الا عدد قليل من اليهود . واذا كان بعضهم يذهب اليها فهو ينتقل الى هناك لقضاء بقية ايام حياته وليدفن فى ارضها ، وبالرغم من وجود شواهد على رجوع بعضهم خلال القرون المتعاقبة ، الا ان عددهم فى فلسطين كلها لم يزد عن ١٥ الف نسمة فقط فى عام ١٨٥٠ .

وكان ((**احباب صهيون**)) اول من فكروا منذ عام ١٨٨٠ فى الاستيطان الزراعى فى فلسطين . غير ان هذه المحاولة كان مآلها الفشل على الارجح، لولا تدخل البارون ادموند دى روتشيلد . وفى عام ١٨٩١ ، ارسل اعيان القدس من المسلمين التماسا لاستامبول يرجون فيه وقف هجرة اليهود وبيع الاراضي لهم .

■ **عام ١٩٠٣ — ١٩٠٤**

يشتري روتشيلد أراضي العرب على اثر مفاوضات ناجحة مع السلطان ، ويرسل فنيين زراعيين الى البلاد . ولا يعمل هؤلاء المستوطنون الاوائل بانفسهم فى الارض فالفنيون من اليهود ، أما اليد العاملة فلا تزال عربية .

■ **عام ١٩٠٥**

ينشر اللبنانى نجيب ازوري وهو أحد مؤسسى فكرة القومية العربية كتاب «**صحوة القومية العربية فى آسيا التركية** » وهو يلاحظ ظاهرتين هامتين فى تركيا: صحوة القومية العربية ، ومجهودات اليهود لاعادة تأسيس مملكة اسرائيل فيقول: «ومكتوب على هاتين الحركتين ان تظلا فى صراع حتى تتغلب احداهما على الاخرى » .

■ **عام ١٩٠٦**

على اثر اعمال القمع والابادة الواسعة النطاق فى روسيا بعد فشل ثورة ١٩٠٥ ، ينتقل عدد من المهاجرين الروس المتشبعين بأفكار تولستوى الى فلسطين لكى يسيطروا عليها بالعمل اليدوى فيؤسسوا ((**الكيبوتزيم**)) الاولى .

■ **عام ١٩٠٨**

الوكالة اليهودية (تحت قيادة الحركة الصهيونية وبتمويل من اليهودية العالمية) تتأسس فى يافا لمتابعة وتنشيط عملية الاستيطان .

■ **عام ١٩٠٩**

تأسيس مدينة تل ابيب

■ **عام ١٩١١**

الحاخام بن يهودا ينتهى من عمل تتضح فيما بعد اهميته الكبرى : فهو يتوصل الى انشاء لغة عبرية حديثة يمكن ان يستخدمها كل يهود العالم الذين يريدون الذهاب الى فلسطين .

الاستيطان اليهودى لا يتقدم الا بخطى بطيئة للغاية حتى قيام الحرب ، ولكنه يعتمد من الان على مبادىء واساليب محددة ، فقد اقيمت قاعدة الوطن القومى اليهودى بوضعها أول أهداف هذا الاستيطان .

٣ — فلسطين عشية

حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

يتراوح عدد يهود فلسطين بين ٥٠ و ٦٠ الفا فقط ، وسط عدد من السكان يربو على ٧٠٠ الف نسمة . وهم لا يملكون سوى ٢٪ من مجموع مساحة الاراضى . أما البقية فهى فى ايدى اهالى من جنس خليط يتكلمون العربية وان كانوا ينتمون من حيث اللغة والثقافة الى مجموعة اكبر تضم سكان سوريا وبين النهرين (العراق) وشبه الجزيرة العربية ومصر، والاغلبية الساحقة من هؤلاء العرب تعتنق الاسلام ، وتقل نسبة المسيحيين بينهم عن ٢٠٪ وهم يعيشون فوق ارض يعتبرون انفسهم ملاكها الشرعيين منذ قرون . غير أن الشعور القومي لم يستيقظ بعد بينهم ، فلا تزال فلسطين تحت الحكم العثمانى ، وهى عبارة عن وحدة ادارية مستقلة تدخل فى نطاق منطقة جغرافية معروفة باسم سوريا .

٤ — حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

■ **اكتوبر ١٩١٤**

تركيا تدخل الحرب فى صف امبراطوريات وسط اوروبا . ينجح الحلفاء فى اثارة بعض القبائل العربية ضد الاتراك . انها « ثورة الصحراء » التى لعب فيها لورانس الشهير دورا معروفا . وهو يرى ، مع اصدقائه العرب، انه من الواجب احياء عظمة الماضى باقامة مملكة عربية . وتعد الحكومة الانجليزية من ناحيتها بتقديم المساعدة للعرب فى كفاحهم من أجل التخلص من السيطرة التركية .

■ **يوليو ١٩١٥ — مارس ١٩١٦**

تبادل الخطابات بين حسين (شريف مكة) وماكماهون . (تصر الحكومة البريطانية دائما على ان هذه الوعود لا تشمل ارض فلسطين) .

■ **مايو ١٩١٦**

الاتفاقية المبرمة بين سير مارك سايكس ومسيو جورج بيكو (اتفاقية سايكس — بيكو) ليست سوى عملية تقسيم للشرق الاوسط الى مناطق نفوذ فرنسية وانجليزية . أما فلسطين ، وقد اعتبرت فى حالة ادنى من أن تكون تحت الوصاية، وضعت « تحت ادارة عالمية يتقرر شكلها بعد التشاور مع روسيا ، وعلى اثر الاتفاق مع حلفاء آخرين وممثلى شريف مكة » . ويجدر بنا ان نلاحظ ان هذا القرار يهدف الى

التوفيق بين المطالب الفرنسية والانجليزية والروسية المتنافسة باسم الاماكن المقدسة المسيحية، وبلا أى ارتباط بالحركة الصهيونية .

■ ٢ نوفمبر ١٩١٧

وعد بلفور الشهير ، وهو عبارة عن خطاب من بضعة سطور موجه من وزاره الخارجية البريطانية الى لورد روتشيلد ، بوصفه ممثل اللجنة السياسية التابعة للمنظمة الصهيونية . وفى هذا الخطاب يعلن وزير الخارجية البريطانيه باسم حكومته انها « تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وتريد ان تبذل كل جهودها لتحقيق هذا الهدف ، على ان يكون من المفهوم بوضوح انها لن تفعل اى شىء قد يضر بالحقوق الدينية أو المدنية الخاصة بالجماعات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ، ولا بالحقوق والاوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى اى بلد آخر » .

■ ١٠ ديسمبر ١٩١٧

جيش اللنبى يدخل القدس .

■ ١٤ فبراير ١٩١٨

فرنسا تنضم الى وعد بلفور ومن بعدها بقليل ايطاليا ثم الولايات المتحدة .

■ خريف ١٩١٨

القوات الانجليزية تحتل فلسطين بأسرها .

■ ٧ نوفمبر ١٩١٨

اعلان مشترك للقيادة العليا الفرنسية والانجليزية فى الشرق الاوسط ، يعترف « بحق تقرير المصير » للشعوب التى تم تحريرها من الحكم العثمانى .

— وترتب على **الوعود المبذولة** اثناء الحرب ، نتائج خطيرة ، بالنسبة «للقضية الفلسطينية»

١ — الحكومات العربية تستطيع ان تطالب بتحقيق الوعد المبذول لها بخصوص استقلال فلسطين العربية ، وتؤيد هذه الحجة ، الحجج المبنية على الوجود العربى فى فلسطين، وعلى حق الشعوب فى تقرير مصيرها . وتؤكد هذه الحكومات ايضا ان لفلسطين مغزى دينيا وروحيا لكل من المسيحيين والمسلمين فى انحاء العالم بأسره وان قدسيتها بالنسبة لهم لا تقل عن قدسيتها بالنسبة لليهود . ولا شك ان المعبد أقيم فى فلسطين ، ولكن موعظة الجبل وصلب المسيح تما هناك ، كما يعرض فى هذا المكان واحد من اقدس الاماكن عند المسلمين، على ان هذه الحقائق لا تمنح المسلمين او اليهود فى العالم أى حقوق أرض مطلقة على حساب الاهالى المحليين .

٢ — أما اليهود فيرون من جهتهم أنهم مسلحون بوعد دولى باقامة وطن قومى لهم، سيتحول فيما بعد الى دولة اسرائيل المرتقبة ، عندما يصبح السكان اليهود أغلبية .

٥ — بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة

على أثر انتهاء الحرب مباشرة انطلق اليهود فى شراء أراض جديدة وفى تأسيس مستعمرات زراعية .

■ يناير ١٩١٩

الامير فيصل الذى دعى لتولى عرش المملكة على «المناطق العربية المحررة » يوافق على « وعد بلفور » مع بعض التحفظات عليه (**اتفاقية فيصل — وايزمان**) . والامر لا يتعدى فى نظره سوى ايواء عدد من اللاجئين البائسين والتعاون مع بعض الفنيين . ولكن الخلاف يظل كامنا .

■ ٥ ابريل ١٩٢٠

عصيان فى القدس (يوم الاحتفال بخروج اليهود من مصر) .

■ ٢٥ ابريل ١٩٢٠

اجتماع المجلس الاعلى للحلفاء فى سان ريمو تصدى عنيف للامانى العربية مع تاكيد للامانى الاساسية للصهيونية . فلسطين تصبح تحت وصاية عصبة الامم على أن تكون بريطانيا الدولة الوصية .

رد فعل العرب يتمثل فى الحال

■ ١٩٢٠ — ١٩٢١

بدو منطقة الجليل يهاجمون المؤسسات الجديدة . التحامات فى يافا .

■ ١٩٢١

الحاج امين الحسينى يصبح المفتى الاكبر للقدس ، بمساعدة الانجليز وخلفا لوالده الذى توفى . وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وينتمى الى احدى الاسر العربية الكبيرة فى فلسطين . وكان من قبل ضابطا فى الجيش التركى بالرغم من صغر سنه . وقد حرص على ان يستخدم نفوذه الكبير من أجل تحقيق الوحدة العربية التى كان يحلم بها الكثيرون غيره .

■ ١٩٢٢

يصدر تشرشل « كتابا ابيض » (نتيجة للتمردات الثورية) . ينفى الكتاب وجود أى نية لانشاء دولة يهودية فى فلسطين ، ويفسر الوطن القومى على انه جالية مستقلة ذات ثقافة يهودية .

— ويؤيد الكتاب انشاء دولة فلسطينية موحدة ذات قوميتين بتعاون اليهود والعرب فى اطارها .

ـ لا يمانع اليهود كثيراً فى هذه السياسة ، ولكن العـــرب يرفضونها ».

٦ ـ الوصاية على فلسطين

■ **يوليو١٩٢٢ ـ سبتمبر١٩٢٣**

يتحول نص الوصاية الذى وافقت عليه عصبة الامم الى قرار نافذ المفعول

يذكر القرار وعد بلفور ، ويعترف بالصلات التاريخيـــة لليهود بفلسطين ، وبحقهم فى انشاء وطن قومى فى هذا البلد.

وتتمتع دولة الوصاية بحقوق تشريعية وادارية،على أن توفر للبلاد ظروف سياسية وادارية واقتصــــــادية تضمن نمـــو مؤسســـات الحـــكومة الحرة وتضمن الحقوق القومية والدينية لكل سكان فلسطين ، أيا كان جنسهم او دينهم » . (المادة الثانية) ».

ينص القرار على الاعتراف رســميا بجهــاز يهودى هو « المنظمة الصهيونية » تقـــوم بابداء الرأى الى الادارة والتعاون معها ». (المادة الرابعة) ».

ومن جهة اخرى « يجب على الادارة ان تيسر عمليات هجرة ليهود فى ظروف منـــاسبة »... وان تشجـــع اســـتيطان اليهود بشـــكل كثيف فى البلاد ، دون المساس بحقوق واوضاع الاطراف الاخرى من السكان » (المـــادة السادسة) ».

■ **١٩٢٣ ـ ١٩٢٦**

سلام نسبى

■ **١٩٢٩**

ترتفع نسبة السكان اليهود الى ١٦٪ بعد أن كانت ١١٪ فى عام ١٩٢٢ . قلق العرب ». اضطرابات عديدة . حـــادث حائط المبكى الخطير يؤدى الى اشتباكات بين العرب واليهود». اجراء تحقيق .

■ **اغسطس ١٩٢٩**

تاسيس «**الوكالة اليهودية**» فى زيورخ لتنظيم الهجرة وجمع الاموال لشراء الاراضى ».

■ **٢٠ اكتوبر ١٩٣٠**

كتاب ابيض لباسفيلد :

تؤكد هذه الوثيقة مره اخرى الطابع الثقافى للوطن القومى . وهى تقترح وضع قيود جديدة على الهجرة وعلى شراء الاراضى تؤيد الوثيقـــة بوضـــوح قيام التزامات متســـاوية ، بمقتضى قرار الوصاية ، بين العـــرب واليهود ».

الاوساط الصهيونية تستقبل هذا التصريح بعداء شديد ».

■ **١٣ نوفمبر ١٩٣١**

ماكدونالد ، رئيس الوزراء البريطانى ، يوجـــه خـــطابا «للدكتور وايزمان » يطمئن فيه اليهود ».

■ **ديسمبر ١٩٣١**

انعقاد المؤتمر الاســلامى العالمى فى القدس تحت رئاسة المفتى الاكبر . الهـــدف الاول للمؤتمر هو الدفاع عن الاماكن المقدسة الاسلامية بعد احداث ١٩٢٩ الخطيرة ».

■ **١٩٣٠ ـ ١٩٣٥**

التوتر السياسى تخفت حدته، غير أن تقدم النازية فى المانيا ، وانتشار الاضطهـــاد فى أوروبا الوســـطى يزيـــد من تـــدفق المهاجـــرين اليهـــود فيصـــبح الســكان اليهود حوالى ٢٨٪ من المجموع الكلى من السكان فى فلسطين ».

■ **١٩٣٦**

الشعور القومى العـــربى يشتد للخطر ويقاوم **يقوم العرب باضراب عام** ـ باعمال ارهاب ـ وبهجوم على المستعمرات ـ وبتخريب المزارع ـ وحرب العصابات فى الريف تتحول الى تمردات فلاحية موجهة ضـــد الملاك العرب ايضا (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ».

اليهود ينظمـــون صفوفهم للمقاومة المسلحة ، ويتمتعون بتوزيع الاسلحة البريطانيـــة عليهم . انشاء « الهاجاناه » وهى منظمة عسكرية شعبية يهودية ، تجرى الدولة الوصية تحقيقات جديدة ».

■ **٧ يوليو ١٩٣٧**

نشر تقرير بيل :

التقـــرير يرى ان تنفيـــذ الوصاية مستحيل (الامل فى قيام تعاون عربى ـ يهودى) وانه لابد من الغاء الوصاية ».

اللجنة تقترح **تقسيم الاراضى** الى دولة يهودية ودولة عربية، على أن تظل منطقة القـــدس والاماكن المقدسة المسيحيـــة تحت الوصاية الدائمة ».

ـ الطرفان لايقبلان الاقتراح

ـ اليهود يعبرون عن خيبة املهم لانهم يريدون دولة تشمل فلسطين كلها ».

ـ العرب لا يقبلون سوى دولة عربية لا يكون اليهود فيها سوى اقلية محدودة للغاية ».

ـ الاضطرابات تعود ويصبح لها صدى فى كل البلاد العربية المجاورة ».

■ **سبتمبر ١٩٣٧**

مؤتمر العرب فى بلودان بسوريا

البعض يقترح تسميته المؤتمر الاول للوحدة العربية ، الصبغى الاساسى فى المؤتمر ، وفى كل مؤتمر جاء بعده ، يدور حـــول فلسطين ».

■ ١٩٣٨ – ١٩٣٩

الاضطرابات التى ينظمها القوميون العرب تشتد عنفا . اعمال قمع ، واعتقالات ونفى للقادة . اجراء تحقيق جديد .

■ ٩ نوفمبر ١٩٣٨

صدور تقرير وودهيد :

يقترح مشاريع تقسيم جديدة، تختلف عن مشروعات بيل وان كانت تدور حول تقسيم فلسطين الى ثلاثة اجزاء : دولة عربية، ودولة يهودية، واماكن مقدسة.

– الحكومة البريطانية تعلن على اثر نشر التقرير انها ترفض التقسيم بوصفه اجراء غير عملى، وتدعو عرب فلسطين والدول العربية المجاورة والوكالة اليهودية الى مائدة مستديرة فى لندن .

■ مارس ١٩٣٩

المندوبون العرب يرفضون الالتقاء بممثلى اليهود . عقد اجتماعين منفصلين . تقديم اقتراحات تشبه اقتراحات **الكتاب الابيض** الذى سيرد ذكره فيما بعد .

لا اتفاق .

■ ١٧ مايو ١٩٣٩

الكتاب الابيض يعلن أن دولة الوصاية تداوفت بالتزامها الخاص بالتشجيع على اقامة وطن قومى لليهود ، وانه يجب **أن تتهيأ فلسطين بسكانها القائمين** للحكم الذاتى . ويتنبأ الكتاب **باقامة دولة مستقلة بحكم مشترك** بين العرب واليهود . وتحدد الهجرة اليهودية بـ ٧٥ الف شخص خلال خمس سنوات مع الحد بشكل واسع من شراء الاراضى .

يستنكر **اليهود** الكتاب الابيض بالاجماع باعتبار انه يجعلهم دائما فى وضع الاقلية داخل دولة عربية معادية لهم : ويحتجون بأن هذا العمل فيه خرق للوصاية .

تستأنف من جديد الاضطرابات واعمال العنف من جانب اليهود فى هذه المرة .

يرفض **القادة العرب** الكتاب الابيض فى اول الامر ثم يقدرون ان تنفيذه الدقيق **يتمشى** مع مطالبهم الاساسية .

■ صيف ١٩٣٩

تقديم الكتاب الابيض للجنة الدائمة للوصاية التابعة لعصبة الامم . الكتاب الابيض يتناقض مع التفسيرات المعطاة للوصاية فى الماضى سواء من جانب دولة الوصاية او من جانب الاجهزة الاخرى المختصة التابعة لعصبة الامم .

٧ – حرب ١٩٣٩ – ١٩٤٥

الحرب تجعل التنفيذ المحلى للكتاب الابيض مستحيلا ،هذا بالاضافة الى المعارضة اليهودية التى لم تتوقف . غير ان القيود الخاصة بشراء اليهود للاراضى وبهجرتهم تنفذ .

وهكذا بدأت عملية الهجرة السرية : فهناك عدد كبير من اليهود الذين يعانون من الاضطهاد فى اوروبا لايستطيعون دخول البلاد فيحاولون ذلك بكل الوسائل .

الحكومة البريطانية تهدد باعتقال الوافدين الجدد. مأساة الباخرة « باتريا » التى أغرقها الارهابيون اليهود فى ميناء حيفا فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٠ . وبالرغم من ذلك فهناك يهود عددهم (٢٧ الف متطوع) وعرب (١٢٥٠٠ متطوع) يحاربون فى صفوف الحلفاء .

■ ١٩٤٤

الاصطدام يشتد عنفا بين المنظمات اليهودية فى فلسطين وبين الحكومة البريطانية « الهاجاناه » تتحول الى جيش شعبى سرى ، قوامه اكثر من ٦٠ الف رجل . تتزايد هجمات المنظمات الارهابية («الارجون» او الفرع المنشق منها «شترن») بالقنابل والسرقات واعمال النهب للحصول على الاموال ، وتهاجم هذه المنظمات اقسام الشرطة والسلطات البريطانية (اغتيال لورد موين فى القاهرة) .

البرنامج السياسى للاحزاب القائمة

اليهود : تظل سياستهم الاساسية تنفيذ **برنامج بلتيمور** لعام ١٩٤٢ (بالاضافة الى تسليم ١٠٠ الف تاشيرة دخول للتخفيف من مآسى اليهود فى اوروبا) .

– الحصول على حق الوكالة اليهودية فى الاشراف على الهجرة .

– الغاء القيود الخاصة بشراء الاراضى .

– اعلان تاسيس دولة يهودية ، بمجرد أن يصبح اليهود اغلبية فى فلسطين .

العرب : تظل سياستهم الاساسية تنفيذ الكتاب الابيض الصادر فى عام ١٩٣٩ بالكامل .

– المطالبة بوقف هجرة اليهود .

– تحقيق الاستقلال السريع لفلسطين فى اطار انضمامها للجامعة العربية .

■ سبتمبر ١٩٤٢

تكوين لجنة عربية فلسطينية

■ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٢

اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر العام فى الاسكندرية .

■ ٢٧ اكتوبر ١٩٤٤

نشر بروتوكول هو بمثابة شهادة ميلاد حقيقية للجامعة العربية .

يعلن البروتوكول فى فقرة خاصة ، التمسك بالحقوق الثابتة لعرب فلسطين . ويشير الى الرغبة فى الا يحدث ربط بين مشكلة الصهيونية وبين مشكلة يهود أوربا الوسطى ويقول : « انه من التعسف والظلم ان تجرى محاولات لحل مشكلة يهود اوروبا بارتكاب ظلم افدح يكون عرب فلسطين ضحية له » ..

■ ٢٣ مارس ١٩٤٥

ميثاق القاهرة

ينص الملحق الاول للميثاق على ان الوجود الدولى لفلسطين وكذلك استقلال فلسطين الدوليين لا يمكن مناقشتهما قانونيا ، تماما كما هو الحال بالنسبة لبقية الدول العربية »

■ ٨ مايو ١٩٤٥

انتهاء الحرب فى اوروبا ..

٨ — مابعد الحرب

— تظهر بعد الحرب بقليل مشكلة « الافراد المشردين » على نطاق واسع ..

— يؤيد حزب العمال البريطاني فى حملته الانتخابية مسألة انشاء دولة يهودية : على أن اعمال الارهاب الجديدة التى يرتكبها المتطرفون اليهود تجبر لندن على اتخاذ اجراءات قمع جديدة .

— وفى وسط هذا الارتباك ، يحل الرئيس ترومان فجأة محل روزفلت ، فيقوم بمبادرة تخالف سياسة الحكومة البريطانية التى لا تزال متمسكة بالكتاب الابيض ؟ وهو يطالب باصدار **١٠٠ الف تأشيرة** للسماح بدخول هذا العدد من اليهود الى فلسطين فورا ..

■ ١٣ نوفمبر ١٩٤٥

— البيان المشترك لترومان وبيفن (وزير خارجية بريطانيا العمالى) : اتفقت الحكومتان على ان تتولى **لجنة مشتركة انجلو — امريكية** دراسة القضايا اليهودية والفلسطينية ..

■ ٢٠ ابريل ١٩٤٦

اللجنة تقدم تقريرها وتلاحظ :

— ان سكان فلسطين زادوا من ٧٥٠ الف نسمة فى عام ١٩٢٢ الى ١٫٧٦٥٫٠٠٠ فى نهاية ١٩٤٤ . وزاد السكان اليهود من ٨٤٫٠٠٠ الى ٥٥٤٫٠٠٠ نسمة ، اى انهم اصبحوا يشكلون ٣١٪ من مجموع السكان ..

— أصبح **اليهود** يشكلون جالية قومية موحدة تماما تحت قيادة « الوكالة اليهودية » التى اصبحت دولة داخل الدولة .. وهذه الجالية مستقلة الى حد كبير عن حكومة فلسطين المختلفة معها ، ومتميزة تماما عن الجالية العربية الواقعة هى فى نزاع مع الحكومة ..

— حقق **اليهود** ثروا وانجازات يستطيعون ان يفخروا بها ، ولكنهم يميلون الى اغفال دور المزايا المالية والمدرسية والفنية التى قدمتها لهم الصهيونية العالمية فى تحقيق هذه الانجازات

— **العرب** منقسمون فى المجال السياسى بسبب الخلاف القائم بين قادتهم انصار حسين ومنافسيهم) : اما من الناحية الاجتماعية ، فهناك هوة تفصل بين الطبقات العليا القليلة العدد ، وبين كتلة الفلاحين . والجالية غير منظمة وظروف التعليم سيئة للغاية ..

— فلسطين تحولت الى **« معسكر محصن »** : كانت أعمال العنف حتى عام ١٩٣٩ من جانب العرب تعبيرا عن احتجاجهم على تدفق الهجرة اليهودية . ومنذ عام ١٩٣٩ اصبحت الهجمات من جانب اليهود هى التى أصبحت علامة احتجاج على القيود المفروضة على الهجرة .. اما بريطانيا ، الدولة الوصية ، فكانت فى وضع لا تحسد عليه : « **ولو انسحبت القوات البريطانية لحدث اراقة دماء فورا ولمدة طويلة لا يمكن التكهن بنهايتها** » ..

نتائج التحقيق

« ... نرى ان التقسيم لن يكون عمليا ، ما لم يوافق عليه أساسا اليهود والعرب ، ولا يوجد اليوم ما يشير الى ذلك .. ونرى ان الحل الوحيد هو قبول مبدأ عدم سيطرة احد الطرفين على الاخر .. فلا تتحول فلسطين الى دولة عربية او دولة يهودية ... ان اقامة الحكم الذاتى تتوقف على رغبة اليهود والعرب على العمل معا ... والى أن يتم ذلك فستظل فلسطين تحت نظام الوصاية » ..

والتقرير موضع رفض العرب واليهود على السواء ..

■ يونيو ١٩٤٦

الحرب تشتد ، وتتزايد حالات الاعتداء .. تحاول سفن المهاجرين خرق الحصار البريطانى الذى يتدعم ... وتتوالى اعمال قمع : اعتقال الفين ، واحتلال مكاتب الوكالة اليهودية فى القدس ..

■ يوليو ١٩٤٦

مذكرة من كل دولة عربية لبريطانيا ، تطالب استانبوقف الهجرة ، وتنفيذ الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ ..

■ ٢٢ يوليو ١٩٤٦

الارهابيون اليهود ينسفون

«فندق الملك داود» مقر القيادة العليا البريطانية فى فلسطين: ٩١ قتيلا و ٤٥ جريحا .

■ ١٠ سبتمبر ١٩٤٦

تقوم لندن بمحاولة اخيرة بدعوة **مؤتمر مائدة مستديرة** ، ولكن ممثلو اللجنة العربية العليا ومندوبو الوكالة اليهودية يمتنعون عن الحضور .

■ ٤ اكتوبر ١٩٤٦

الرئيس ترومان يعلن تأييده لاقامة دولة يهودية .

■ اكتوبر — نوفمبر ١٩٤٦

الارهاب يتزايد . عمليات التخريب تنتشر .

يفكر العرب فى تكوين تنظيمات لرد الاعتداءات .

■ ديسمبر ١٩٤٦

المؤتمر الصهيونى فى بازل : فشل المعتدلين .

■ ٢٧ يناير ١٩٤٧

مؤتمر لندن ينفض بعد فشله التام .

■ ١٨ فبراير ١٩٤٧

يعلن مستر بيفن فى مجلس العموم عن فشل الحكومة البريطانية . ويصرح بانه ينوى عرض القضية الفلسطينية على الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة .

■ مارس ١٩٤٧

تصريح للرئيس ترومان : « لما كانت بريطانيا عاجزة عن القيام بالتزاماتها فى شرق البحر الابيض المتوسط وفى الشرق الادنى ، فقد قررت الولايات المتحدة القيام بها » .

■ ١٢ مايو ١٩٤٧

خطاب هام لجروميكو مندوب الاتحاد السوفيتى فى الامم المتحدة ، يعلن بدوره « فشل نظام الادارة عن طريق الوصاية على فلسطين »، ويوافق على تكوين لجنة تكلف بتقديم اقتراحات لتسوية القضية الفلسطينية . وهو يرى انه « لايمكن الحفاظ على مصالح اليهود والعرب بالشكل المطلوب الا بخلق دولة عربية — يهودية ديمقراطية مستقلة ، مزدوجة وان ظلت موحدة » . واذا تعذر ذلك « تقسم البلاد الى دولتين مستقلتين ، بسبب تزايد التوتر فى العلاقات بين اليهود والعرب » .

■ ٢ يونيو ١٩٤٧

الاجتماع الاول « للجنة الخاصة » للدول المحايدة : العرب يقاطعون الاجتماع .

■ ٣١ اغسطس ١٩٤٧

نشر تقرير اللجنة التى توصى **بتقسيم البلاد الى ثلاثة أجزاء** (دولة يهودية ، دولة عربية ، أماكن مقدسة) .

■ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة تتبنى تقرير اللجنة:

٣٣ دولة **تؤيد** (من بينها الدول الاشتراكية) .

١٣ دولة **تعارض** (الدول العربية والهند) .

١٠ دول تمتنع (ومنها بريطانيا) تعلن بريطانيا فورا تخليها عن الوصاية ابتداء من ١٥ مايو ١٩٤٨ .

٩ — بعد قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين

العرب يعلنون رفضهم للتقسيم ، لان الامم المتحدة خرقت فى نظرهم مبادىء ميثاق الامم المتحدة بتنكرها لحق عرب فلسطين الذين يكونون ثلثى السكان ، فى تقرير مصيرهم .

ومن جهة اخرى ، فانهم يلاحظون أن الدولة اليهودية تستأثر بـ ٥٥٪ من مساحة البلاد فى حين ان اليهود لايملكون سوى ٦٪ منها ، وانه فى هذه الدولة التى يتكون نصف سكانها من اليهود والنصف الاخر من العرب ، فان الطبقة الحاكمة ستتكون من اليهود وحدهم .

■ ١٩ مارس ١٩٤٨

الولايات المتحدة تغير من سياستها نتيجة لمعارضة العرب فهى تتراجع عن التقسيم ، وتقترح اعادة النظر فى القضية أمام الامم المتحدة .

■ مارس — ابريل ١٩٤٨

— اليهود لا يوافقون على ذلك ، وفى نفس الوقت الذى تنسحب فيه القوات البريطانية، تحتل **الهاجاناه** الارض المقترح تخصيصها لليهود فى قرار التقسيم .

— انشاء جيش التحرير العربى .

— معارك عنيفة للاستيلاء على حيفا ويافا .

— السكان يهربون من مناطق الصدام .

■ ٩ ابريل ١٩٤٨

مذبحة « دير يس » التى نظمتها « قوات الارجون » وقتل فيها ٢٥٠ من النساء والاطفال والشيوخ (العرب) تشيع الذعر وسط المدنيين ، فيهربون بدورهم .

ومن جهة اخرى فقد دعت الدول الصديقة المجاورة الاهالى للجلاء عن ديارهم حتى «يعودوا

اليها متقصرين بعد اسابيع قليلة » (وقد اتهم العرب فيما بعد اليهود بأنهم نشروا هذه الاشاعات « المطمئنة ») ».

■ ١٣ مايو ١٩٤٨:

الحكومة البريطانية تصدر بيانا بشأن رفع الوصاية ».

■ ١٤ مايو ١٩٤٨:

اعضاء المجلس الوطني المثلون للشعب اليهودى فى فلسطين والحركة الصهيونية العالمية يعلنون « **اقامة الدولة اليهودية فى فلسطين تحت اسم اسرائيل** » ، ابتداء من يوم ١٥ مايو ».

« كانت اسرائيل مهدالشعب اليهودى . فهنا تكونتشخصيتها الروحية والدينية والقومية . وهنا تحقق استقلالها ونمت ثقافتها ذات القيمة القومية والعالمية . وهنا كتبت التوراة ومنحت للعالم .

ان الشعب اليهودى الذى نفى من ارض فلسطين ظل مخلصا لها فى كل البلاد التى تشتت فيها ، وهو لم يكف ابدا عن الابتهال والصلاة من اجل العودة الى فلسطين ومن اجل استعادة حريته الوطنية » ».

— بن جوريون يصبح أول رئيس وزراء للدولة الجديدة ، والدكتور وايزمان يتولى الرئاسة المؤقتة للدولة .

— الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعترفان فورا بدولة اسرائيل على اساس الامر الواقع

وفى نفس الليلة ، تحركت الجيوش العربية فى الشمال : من سوريا ولبنان، فى الشرق : من العراق وشرق الاردن ، فى الجنوب : من مصر ، **ودخلت فلسطين** حيثحققت انتصارات ملحوظة ».

ولكن بعد قوات المفاجأة الاولى، اثبتت الهاجاناهتفوقها ، فاستردت الاماكن المحتلة ، وضمنت لنفسها الاستيلاء على القدس بينما احتلت الفرق الاردنية بقيادة جلوب باشا (الجنرال الانجليزى) القدس القديمة ».

■ ١٧ مايو ١٩٤٨:

— **اجتماع مجلس الامن التابع للامم المتحدة** : تعيين الكونت برنادوت ، رئيس الصليب الاحمر ، **وسيطا دوليا**

■ ١٨ مايو ١٩٤٨:

— الدول الاشتراكية تقتفى اثر الاتحاد السوفيتى، وتعترف قانونيا بدولة اسرائيل ».

■ ١١ يونيو ١٩٤٨:

هدنة لمدة اربعة اسابيعبعد ان رفض العرب فى البداية امر وقف اطلاق النار الصادر من الامم المتحدة .

■ ٢٢ يونيو ١٩٤٨:

حكومة اسرائيل تعتبر الارجون خارجة على القانون».

■ ٨ يوليو ١٩٤٨:

استئناف المعاركالتىتوقفت نظريا يوم١٨ . الوسيط يدرس حل النزاع **وينتهى من مشروع جديد للتقسيم** يضع فى اعتباره النتائج العسكرية .

■ ١٧ سبتمبر ١٩٤٨:

جماعة شترن **تغتال** الكونت برنادوت ومساعده الكولونيل سيرد الفرنسى قبل أن ينشر مشروعه . كان برنادوت قد اعلن عشية مقتله : « ان اى تسوية لا يمكن أن تكون عادلة وكاملة ما لم يتم الاعتراف بحق اللاجئين العرب فى العودة الى ديارهم التى طردوا منها » .

— اليهود يستأنفون القتال فى الجنوب

■ ٢٣ سبتمبر ١٩٤٨:

اعضاء اللجنة القيادية العربية العليا يكونون فى غزة **حكومة فلسطينية** تعترف بها كل الدول العربيةفورا باستثناء الاردن (الملك عبد الله) ».

■ ديسمبر ١٩٤٨:

هزيمة خطيرة للجيش المصرى دون ان تفعل الجيوش العربية الاخرى اى شىء لنجدتها . الجيش اليهودى يستولى على الناصرية والجليل والنقب ».

■ ١١ ديسمبر ١٩٤٨:

قرار لمنظمة الامم المتحدة بخصوص اللاجئين :

المادة ١١ : « ... السماح للاجئين الذينيرغبون فىالعودة الى ديارهم **بالرجوع اليها** فى اقرب وقت . . **ودفع تعويضات** فى مقابل املاك الذين قرروا عدم العودة » ».

وقد اوصت الجمعية العمومية للامم المتحدة بعودة اللاجئين خمس عشرة مرة بلا جدوى . وذلك فى المدة ما بين عام ١٩٤٨ و ١٩٦٣ : وقد رفضت اسرائيل الالتزام الادبى للدولة تجاه سكان فلسطين القدامى ».

■ منتصف ديسمبر ١٩٤٨:

عبد الله يتوج نفسه ملكا على فلسطين ».

■ ٢٤ يناير ١٩٤٩:

عبد الله يتوج نفسه ملكا على **المملكة الاردنية** .

■ ٢٥ — ٣٠ يناير ١٩٤٩:

فرنسا وبريطانيا ودول اوروبية مختلفةتعترفباسرائيل على أساس الامر الواقع ».

■ ٢٤ فبراير ١٩٤٩

الهزائم العسكرية والخلافات الداخلية بين العرب ، وجهود الدكتور بانش الوسيط الجديد للامم المتحدة ، تسمح بعقد **هدنة بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية فى رودس**

■ ٢٣ مارس ١٩٤٩

هدنة بين اسرائيل ولبنان

■ ٣ ابريل ١٩٤٩

هدنة بين اسرائيل والاردن : فيما يختص بناحية ام الرشراش على خليج العقبة ، التى اصبحت فيما بعد ايلات ، تنص اتفاقية الهدنة على وضعها داخل الاراضى التى احتلها الاسرائيليون بعد العمليات العسكرية .

■ ٢٧ ابريل ١٩٤٩

مؤتمر للتوفيق بين البلاد العربية واسرائيل تحت اشراف الامم المتحدة . اليهود يرفضون اى تنازل لصالح اللاجئين الفلسطينيين ، (الذين بلغ عددهم حينذاك حوالى المليون نسمة) .

■ ١١ مايو ١٩٤٩ .

اسرائيل تقبل عضوا فى الامم المتحدة ، ويجوز بهذه المناسبة الاشارة الى قرارات ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ و ١١ ديسمبر ١٩٤٨ .

■ ٢٠ يوليو ١٩٤٩

هدنة بين اسرائيل وسوريا

— ولنذكر ان مشروع تقسيم نوفمبر ١٩٤٧ يمنح اليهود ٥٥٪ من الاراضى ، اى ١٤٫٣٠٠ كيلومتر مربع . وبعد الحرب الاولى ، وعلى اثر الهدنات المختلفة « احتل » الاسرائيليون ٧٨٪ من الاراضى اى ٢٠٫٨٠٠ ك.م. وظلت هذه الاراضى حدود اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ ومن جهة أخرى كان سكان اسرائيل عشية الاستقلال ٦٢٩٫٠٠٠ نسمة ، فوصلوا فى بداية ١٩٤٩ الى ٧٨٤٫٠٠٠ ، وفى ديسمبر ١٩٤٩ الى مليون .

■ ٨ ديسمبر ١٩٤٩

الامم المتحدة تكون هيئة اغاثة اللاجئين تابعة لها .

■ ٩ ديسمبر ١٩٤٩

قرار صادر من الامم المتحدة يرمى الى تدويل القدس والاماكن المقدسة .

— اسرائيل والاردن تعترضان على القرار الذى يستخلص بكل بساطة اراضى العرب فى فلسطين . أما اسرائيل فتعلن عن اتخاذها القدس عاصمة لها بالرغم من اعتراض اغلبية الدول والامم المتحدة .

■ ٢٥ مايو ١٩٥٠

الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تصدر « **بيانا ثلاثيا** » تعلن فيه الحفاظ على التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط . وذلك بالحد من ارسال الاسلحة اليها الا بالقدر الضرورى للدفاع وتقرر منع حدوث اعتداءات جديدة على الحدود . الاتحاد السوفيتى لا يشترك فى هذا البيان .

■ اول سبتمبر ١٩٥١

على اثر الاحتكاكات المستمرة حول مرور سفن الشحن الواردة من اسرائيل او الصادرة اليها بقناة السويس ، **يتخذ مجلس الامن قرارا يدعو مصر الى رفع الحصار** المفروض على الملاحة الاسرائيلية فى السويس . ولم يعمل بهذا القرار .

١٠ — « حرب السويس »

■ ١٩٥٢ — ١٩٥٤

سقوط الملكية فى مصر . ناصر يتولى الحكم فى مارس ١٩٥٤ . شكاوى متكررة من جانب العرب واسرائيل لمجلس الامن بخصوص خرق اتفاقات الهدنة .

■ ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤

المصريون ياسرون « بات جاليم » اول سفينة اسرائيلية تحاول عبور قناة السويس .

■ ٣ نوفمبر ١٩٥٤

الاسرائيليون يستولون على منطقة العوجة المنزوعة السلاح على حدود سيناء .

■ فبراير ١٩٥٥

توقيع حلف بغداد

■ ٢٨ فبراير ١٩٥٥

هجوم اسرائيلى انتقامى على غزة . مجلس الامن يدين اسرائيل ، النظام المصرى الجديد يطلب شراء اسلحة للدفاع عن نفسه . الغرب يرفض محتجا بالبيان الثلاثى الصادر فى ١٩٥٠ ولكن الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا يقدمان له السلاح .

■ ١١ سبتمبر ١٩٥٥

مصر تعلن عن **قواعد المرور فى خليج العقبة** بحيث يصبح عبور السفن فيه بتصريح من القاهرة . اسرائيل تحتج .

■ مارس ١٩٥٦

فرنسا وبريطانيا تعلنان عن عزمهما على بيع اسلحة لاسرائيل . الولايات المتحدة لا تعترض .

■ ١٩ يوليو ١٩٥٦

وزارة الخارجية الامريكية (فوستر دالاس) ترفض منح الجمهورية العربية المتحدة القرض الذى وعدت به لتمويل بناء السد العالى .

■ ٢٦ يوليو ١٩٥٦:

الرئيس ناصر يعلن عن تأميم قنال السويس كرد انتقامى

■ ٢٣ اكتوبر ١٩٥٦

اتفاقية سرية فى « سيفر » بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل لشن هجوم منسق ضد مصر .

■ ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦

اسرائيل تهاجم ج.ع.م — **حملة سيناء** — احتلال العريش — غزة .

■ ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦

الانذار الفرنسى البريطانى للطرفين لوقف القتال . الانذار مرفوض .

■ ٣١ اكتوبر ١٩٥٦.

— تدخل جوى فرنسى — بريطانى ضد الاهداف المصرية
— الجيوش الاسرائيلية تتدفق على طول الشاطىء الشرقى لقنال السويس والشاطىء الغربى لخليج العقبة ، لتصل الى شرم الشيخ وتحتلها وتشرف على مضيق تيران .

■ ٢ نوفمبر ١٩٥٦

الجمعية العمومية للامم المتحدة توافق على مشروع القرار الامريكى **بوقف اطلاق النار** .

■ ٥ نوفمبر ١٩٥٦

الجمعية العمومية تقرر تكوين قوة طوارىء دولية . القوات الفرنسية والانجليزية تنزل فى منطقة القنال .

■ ٧ نوفمبر ١٩٥٦

وقف اطلاق النار .

■ يناير ١٩٥٧

خطاب لايزنهاور امام الكونجرس . يقترح ايزنهاور مبدأ يخمل اسمه . الكونجرس يسمح للرئيس بتقديم المساعدة الاقتصادية والسياسية الامريكية لكل بلاد المنطقة خوفا من وقوع الشرق الاوسط فى دائرة النفوذ السوفيتى ، على ان يكون مفهوما أن هذه المساعدة قد يترتب عليها تدخل القوات الامريكية .

— الاسطول السادس يظهر فى شرق البحر الابيض المتوسط

■ ٢٤ يناير ١٩٥٧

تقرير السكرتير العام للامم المتحدة حول الملاحة فى خليج العقبة وحول العبور الحر من مضيق تيران .

■ ٢ فبراير ١٩٥٧

قرار الامم المتحدة بهذا الخصوص ، الجمعية العمومية:
« ترى أنه لضمان الاحترام الدقيق لاتفاقية الهدنة (٢٠ فبراير ١٩٤٩) وبعد الانسحاب الكامل لاسرائيل من مناطق شرم الشيخ وغزة ، يجب **وضع عناصر من قوات الطوارىء الدولية على الخط الفاصل** بين مصر واسرائيل حسب اتفاقات الهدنة . »

وفى الواقع ، فان « ذوى الخوذات الزرقاء » عسكروا من غزه الى شرم الشيخ فى مناطق مختلفة من الحدود **على الجانب المصرى وحده** ولم يتمكنوا من دخول المنطقة التى ظلت محتلة من جانب اسرائيل .

■ ٨ فبراير ١٩٥٧

اتفاق السكرتير العام للامم المتحدة وج.ع.م. بخصوص أوضاع القوات الخاصة فى مصر : « موعد خروج هذه القوات يحدده السكرتير العام وحكومة مصر » . ويفسر السكرتير العام الامر على انه « بمجرد ان تطلب الحكومة المصرية ذلك . »

■ مايو ١٩٥٨

تدخل امريكى فى لبنان (حيث نشبت حرب أهلية) وفى الاردن .

■ ١٩٥٨ — ١٩٦٦

فترة هدوء شامل على الحدود الاسرائيلية — المصرية وحرية الملاحة فى خليج العقبة . غير ان احتكاكات عديدة حدثت على الحدود الاخرى خاصة فى يوم ١٢ نوفمبر ١٩٦٦ ، حيث شنت اسرائيل غارة انتقامية على قرية السموع فى الاردن . مجلس الامن يدين اسرائيل فى يوم ٢٥ نوفمبر .

ومن جهة اخرى **تقوم اسرائيل** فى عامى ١٩٦٢ — ١٩٦٣ **بأعمال تحويل مياه نهر الاردن** .

وفى يناير ١٩٦٤ يجتمع مؤتمر القمة الاول للدول العربية .

١١ — حرب الايام الستة

■ بداية ١٩٦٧

الولايات المتحدة ترفض تقديم المعونة الغذائية السنوية لمصر (مساعدة مادية : ٨٠٠ الف طن فى عام ١٩٥٨ ، **مليون فى ١٩٦٠ ، ومنذ هذا التاريخ ما بين مليون ومليون ونصف طن سنويا ، اى ما يتراوح بين ١٥ و ٢٥٪** من احتياجات مصر) .

— الجيش المصرى (٤٠ الف جندى) **يتواجد فى اليمن** .

— **اسرائيل تنذر سوريا** وتهددها **وذلك بعد تولى العناصر** البعثية «المتشددة» **الحكم** فى دمشق .

■ ٨ ابريل ١٩٦٧

— على اثر حوادث الحدود السورية ، تدخل الطائرات الاسرائيلية سوريا **وتدمر ٦** طائرات ميج ٢١ .

ـــ الاسطول السابع الامريكى يستعد لزيارة لبنــــان ». تصريح لاشكول يحيى فيـــه التأييد المخلص من جانب هــذه القوة البحرية للدفاع عن اسرائيل .. هياج فى لبنان ». الزيارة لاتتم ».

■ ١٨ مايو ١٩٦٧

حــكومة ج.ع.م. تطلب من السكرتير العام للامم المتحدة نقل ثم سحب « **ذوى الخوذات الزرقاء** » . يوثانت يامر فورا بسحبهم . قلق عام فى الامـــم المتحدة ».

■ ٢١ مايو ١٩٦٧

تصريحات صاخبة للشقيرى رئيس منظمة تحرير فلسطين.

■ ٢٢ مايو ١٩٦٧

الرئيس ناصر يعلن اغــلاق **خليج العقبة امام التحــقن** الاسرائيلية وامـــام المـــواد الاستراتيجية المتجهـــة نحو اسرائيل ».

■ ٢٠ مايو ١٩٦٧

صوت العرب يذيع نداءات الحرب المقدسة ».

■ ٣١ مايو ١٩٦٧

توقيع اتفاقية دفاع بين الاردن وج.ع.م. فى القاهرة .

■ ٥ يونيو ١٩٦٧

الطيران الاسرائيلى يضرب الطيران المصرى على الارض.

■ ٥ — ١١ يونيو ١٩٦٧

حرب خاطفة تسمح لاسرائيل باحتلال غزة وسيناء حتى قنال السويس ، وشرم الشيخ ، والقدس القـديمة ، والاراضى الاردنية الواقعة على الضـــفة الغربية لنهر الاردن . توغـــل اسرائيل فى الاراضى السورية.

■ ٨ يونيو ١٩٦٧

مجلس الامن يصوت علـــى مشروع قرار ســـوفيتى بوقف اطلاق النار ».

■ ٩ و ١٠ يونيو

ج.ع.م. وسوريا والعراق توافق على القرار .

ـــ من الجدير بالملاحظة ان قرار التقسيم الذى اصدرته الامم المتحدة يمنح اسرائيل حـــوالى ١٤٫٣٠٠ ك.م. وكانت اسرائيل تضم بعد هدنة ١٩٤٩ ٢٠٫٨٠٠ ك.م. فأصبحت بعد حرب الايام الستة تحتل ١٠٢٫٤٠٠ ك.م.

تواصـــل « الطليعة » نشر دراســـة جمـــاعة البحث والعمل من أجـــل تســـوية القضـــية الفلسطينية فى العـــدد القـــادم


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ أزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
كيما
بأسوان
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابـع مؤسسة الاهـرام



٩

سبتمبر ١٩٦٨
السنة الرابعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

كراس الطليعة التعبئة الاقتصادية

« مشاكل وحلول مقترحة »

شباب ١٩٦٨ يهز العالم

« القسم الثانى من البحث .. وتعليقات »

- ملف خاص : منظمة الوحدة الافريقية .. الواقع والمستقبل
- وثائق : حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية
- مدارس الفكر العسكرى عبر التاريخ
- الصراعات التى تحكم تشيكوسلوفاكيا اليوم

قاومة الفلسطينية .. بين الإرهاب الثورى وحركة التحرير الوطنية



طـريق المناضـلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

عنوان المراسلات

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤شارع مظلوم
القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات

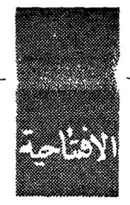
لسنة بالبريد العادى . ج٤٫٥٠م ودول
اتحاد البريد العربى ودول الدار
البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـرس

العـدد التاسع — السنة الرابعة — سبتمبر ١٩٦٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحره على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعه » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحريه المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك »



المقاومة الفلسطينية المسلحة
بين الإرهاب الثورى .. وحركة التحرير الوطنية

هدف هذا المقال هو التفكير بصوت عال ، فى قضية تستقطب اهتمام شعوبنا : المقاومة الفلسطينية المسلحة . وذلك بارحب قدر ممكن من الصراحة ، واوفر نصيب من المعلومات لا ضرر من نشره.

مع بداية سبتمبر الحالى ، تحمل الشعوب العربية على كتفها الشهر السادس عشر من صمودها لهزيمة حرب يونيو . وتعيش ، فى نفس الوقت ، حركة طلائع متزايدة من الشعب الفلسطينى على طريق المقاومة المسلحة للاحتلال الاسرائيلى .

وكانت حركة « فتح » للمقاومة المسلحة قد بادرت بممارسة نشاطها منذ عام ١٩٦٥ ، غير ان ذلك لم يكن يمثل — وقتذاك — الا اتجاها محدود الحجم والامكانيات والفاعلية داخل الشعب الفلسطينى ، ومعزولا الى حد بعيد عن حركة الشعوب العربية عامة ، وجميع التنظيمات والاحزاب العربية خاصة ، وكانت « فتح » تعبر ، فى الاساس ، عن فكرية مجموعة من شباب المثقفين من ابناء الجيل الفلسطينى اللاحق لجيل هزيمة ١٩٤٨ ، كفر بما اسماه «سياسة المضاربات والمزايدات من حول القضية الفلسطينية ، ووصاية الحكومات العربية عليها » ، وامن بطريق الكفاح المسلح طريقا فلسطينيا وحلا جذريا لا بديل له . وذلك على اساس واضح من سيطرة عقيدة الفداء والاستشهاد الدينى فى سبيل الوطن .

وكان الوطن — فى مفهوم فتح — يعنى ثلاثة امور جوهرية متداخلة خيوطها فى نسيج واحد : الارض المغتصبة والحرية والدين . بمعنى ان الدين ، مع فتح ، اكتسب علاوة على قداسته التقليدية ، بعدا وطنيا مميزا ، وراح يلعب دور

« الحافز الروحى للنضال حتى الموت » .وذلك على النحو الذى عرفته فى بواكير ايامها ثورة تحرير الجزائر المسلحة ، التىحرصت على الاعلان عن نفسها « كثورة اسلامية » عندما اطلقت رصاصتها الاولىفى فاتح نوفمبر ١٩٥٤ ضد الاستعمار الفرنسى الاستيطانى . **(لاحظ التماثل بينذلك الاستعمار ، وبين الواقع الاستعمارى الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين) .**

ويمكن للمرء ــ من خلال دراسته لوثائقفتح ومناقشته لقادتها ومؤسسيها ــ ان يستشف مدى تأثرها فى التكوين والمنهجبالتجربة الجزائرية فى امور عديدة .

فاذا كانت « فتح » قد تكونت نواتها منعناصر شبابية مثقفة متدينة ، تنبع من الطبقة الوسطى اساسا ، تمردت علىالاحزاب والتنظيمات السياسية ، وكفرت بعقم حل القضية سلميا .. فان ذلك يسير ــ من زاويتها ــ فى نفس الخط الذى سبق وان سلكته « اللجنة الثورية الجزائرية »نواة الثورة الجزائرية، التىتمردمؤسسوها من جيل شباب المثقفين من ابناء الطبقةالوسطى بعد الحرب العالمية الثانية ،على الاحزاب والتنظيمات السياسية الجزائريةالتى كانت قائمة وقتذاك ، وعدم جدوى نشاطها السياسى السلمىفىتحقيق استقلال الجزائر . **(واعتقد هنا ان ثمة مقارنات تاريخية بين الجزائر وفلسطين اخذتتتوافر فى رأس فتح بين أسلوب مصالى الحاج مثلا وبين اسلوب احمد الشقيرى ،او بين مذبحة العدوان الفرنسى فى سطيف عام ١٩٤٥ وبينمذبحة العدوان الاسرائيلىعلىقرية السموعفىنوفمبر ١٩٦٦ الخ ..)**

واذا كانت « فتح » قد واجهت الاتهامبالمغامرةمنذاللحظةالاولى.وذلكلعدة اسباب من بينها عدم نضوج الظروف الموضوعيةــ سياسيا واجتماعيا ، محليا وقوميا وعالميا ــ للثورة المسلحة ، وعدم توافرالامكانيات البشرية والمادية الذى انعكس فى العدد المحدود لافرادها .. فقد كانتترى ــ اى فتح ــ انه سبق لثورة الجزائر ان واجهت ايضا فى بداية نشاطها المسلحنفس الاتهام بنفس الاسباب. وذلك عندما كانت تواجه الاستعمار الفرنسىالاستيطانىالقوى ابن القرن وربع القرن من الزمن ، وقوات احتلاله التى اربى تعدادها على٢٠٠ الف جندى وقتذاك .. بقوات نضالية لا يزد عددها فى البداية عن ٣٠٠ مقاتلفحسب مسلحين تسليحا بدائيا .. والعالم من حولهم ــ محليا وعربيا وعالميا ــ يشكفى قدرتهم على الصمود والاستمرار لاكثر من أيام معدودة .

وكانت « فتح » ترى ايضا انها بسلوكطريق الكفاح المسلح،توصل خيط ما انقطع، فى حركة الشعب الفلسطينى الذى تنتمىاليه ، حيث يملك الشعب تاريخا نضاليا تضيئه حركات الثورة والمقاومة المسلحتين،قام فيها الدين بدور العامل القومى المميز والحافز للنضال على ايدى رجال دينومثقفين متدينيين ، وطنيين وتقدميين فى عصرهم منأمثال **«الشيخ عزالدين القسام،والشيخ يوسف الزيباوى،والشيخ ابوعلى، زعروره .. »** وبالتالى فهى وريثتهمالشرعية ، وهذا ــ فى مفهومها ــ يماثل ما كان للجزائر من تاريخ نضالى مسلحقام فيه الدين بدوره التقدمى النضالى على ايدى رجال دين وطنيين تقدميين من امثال**« الامير عبد القادر ، وابن باديس، والشيخ العربى التبسى .. »** وان الدين هنا ليسمحورا لتعصب او عنصرية ، وانما هو محور تجميع قومى على طريق نضالى فىبيئة شعبية متدينة تؤمن ــ دون عناء ــ بواجب الاستشهاد فى سبيل حرية الوطن.وبحيث لايمنع ذلك ــ وهو لم يمنع ــ اخوة النضال بين جميع المقاتلين من مختلفىالاديان من ابناء الشعب ، دون ما تمييز ، وتعبيرا عن اخوتهم فى الوطن والقومية .

واكتسب الدين ، عند فتح ، علاوة على هذا ، اهمية ذات مدلول خاص ، كرد فعل مباشر للتعصب الديني الذى تمارسه العنصرية الصهيونية الاستعمارية فى فلسطين .

وكانت « فتح » تواجه بمن يقول لها ان مقارنتها مع الثورة الجزائرية غير موضوعي وغير دقيق .. فهناك على الاقل فارق هام لايمكن اغفاله ؛ وهو ان الثورة الجزائرية كانت تنطلق من ارض جزائرية يسكنها شعب تساعدت استجابته للثورة باستمرار . وكان رد فتح — قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ — يقول : لدينا أرض وشعب ننطلق منهما فى قطاع غزه والضفة الغربية لنهر الاردن .. أم ترانا نسينا أنهما — ارضا وشعبا — جزء من فلسطين والقضية .. ؟ »

بهذا النهج ، الفكرى والعملى ، ظلت « فتح » تشق طريقها للمقاومة المسلحة منذ ١٩٦٥ حتى ٥ يونيو ١٩٦٧ .. وحيدة . وفى سبيل الدعم المالى لاحظ المراقبون ثمة ارتباطات معينه بين فتح وبين بعض القوى الرجعية العربية من ناحية وبعض العناصر المغامرة فى الثورة العربية من ناحية اخرى . كما لاحظوا محاولات من هذه القوى والعناصر للسيطرة على فتح وتوجيهها واستغلالها مقابل مساعدات مادية وعسكرية وتقديم تسهيلات لنشاطها ؛ ورغم انه لم يثبت ان « فتح » وقعت فى مصيدة اى من هذه القوى والعناصر ، الا ان ذلك كان كفيلا بأن يلفها بالضباب ويثير — بالضرورة — شكوك القوى الوطنية والتقدمية حولها .

ومن هنا كان طبيعيا مع سير الاحداث وعلاقات القوى — بعد الهزيمة — ان تسارع القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربي ، بصفة عامة ، الى اثارة تساؤلات مشوبة بالمرارة والشك حول « حقيقة دور فتح فى المواجهة العربية الاخيرة مع اسرائيل » والتى ادت الى توريط العرب فى حرب لم يكونوا على استعداد لها ، فى حين انها كانت مخططة ومدبرة من جانب القوى الامبريالية والصهيونية .

وقد نبعت هذه التساؤلات — فى رأيى — عن امرين اساسيين :

أولهما ، ان اسرائيل اتخذت من عمليات فتح ، ذريعة الى المبادرة بشن الحرب « بحجة الدفاع عن امنها وسلامتها ضد اعمال التخريب » .

وثانيهما ، ان « فتح » نفسها راحت منذ شهر مايو ١٩٦٧ الملتهب ، تعلن بفخر واعتزاز ، انها نجحت بنشاطها فى ان تحقق المواجهة الساخنة بين الدول العربية واسرائيل ، بعد ما كان التردد يشل خطوات العرب امام استمرار العدوان الصهيونى واستتباب نظامه ، وتجمد القضية .

الواقع ان رؤية هذه التساؤلات الان على ضوء ما كشفته الاحداث بعد الهزيمة ، يجردها من موضوعيتها .. لماذا ؟

ان الامر الاول ، لا يعدو ان يكون ، مجرد سبب شكلى من جانب اسرائيل لتبرير العدوان وشن الحرب التوسعية التى كانت مقررة ، ولو لم تكن هناك عمليات فتح (وكانت ضئيلة الحجم والاثر وقتذاك) لما عدم الاسرائيليون التوسعيون وحلفاؤهم من الامبرياليين (الامبريالية الامريكية بالذات) ، افتعال سبب آخر . ذلك ان السبب الحقيقى للعدوان كامن فى طبيعة « الصراع العربى — الاسرائيلى الامبريالى » ، وطبيعة اسرائيل فى المنطقة كقاعدة عسكرية ضاربة لمصالح الامبريالية ولمصالح التوسع

العنصري الصهيوني ، ضد الثورة العربيةالتحررية والاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية والوحدوية .

باختصار ، كانت الحرب العدوانية ، هي الوسيلة المقـرر استخدامها ضد مسار الثورة العربية في نهاية مرحلة زمنية معينة اذا ما فشلت محاولات تخريبها من الداخل وتنفيذ سياسة حرب «العرب ضد العرب» . ويبدو هذا واضحا الان من خلال رصد الاحداث وربطها ببعض منذ بداية التحول نحو الاشتراكية في خط مسار الثورة العربية في عام ١٩٦١ الى المحاولات المتعاقبة للانقلابات وتفريخ مؤامرات الثورة المضادة ، الى الاعلان الامريكي الامبريالي لنظريته عن المثلث الخطر الذي تمتد اضلاعه من مقديشو في الصومال الى الـربـاط في المغـرب الى طهـران في ايـران وذلك في اواخر عام ١٩٦٦ واوائل ١٩٦٧ .

ما اريد ان اخلص اليه هو ان «السبب الشكلي» او « الشرعي من جانب العدو »، لا يجب ان يحجب عنا السبب الحقيقي ، والا تورطنا في حسـابات خـاطئة . فمخطط الحرب والعدوان كان مدبرا وجاهزا للتنفيذ. ومن يملك التخطيط يملك ايضـا تحـديد التوقيت المناسب له. بيد انه ــ مع ذلك ــ يحق لنا ان نتساءل : عما اذا كان في قدرتنا ، نحـن العـرب ، تفـويت الفرصـة على العدو وافشال تنفيذ مخططه في التوقيت الذي حدده؟ وهو سؤال هام ومفيد. ويحتمل الاجابة « بنعـم » و « لا » في نفس الوقت. وان كنت شخصيا أميل الى الاعتقاد بأننا لم نكن نملك ــ وقتذاك ــ قدرة حاسمة على ذلك . ربما كنا قد استطعنا تأجيل الانفجـار بعض الوقت فحسب ، ولـكننا ــ بحكم علاقات القوى وطبيعة الظروف ــ لم نكن نستطيع تجنب الانفجار كلية . على اية حال ، ومهما كانت الاجابة الصحيحة في النهاية ــ وهي ليست موضوع بحثنـا الان ــ فانها تتعلق مباشرة وبطريقة اساسية بالدول العربية ، وليس « بفتح » .

واما عن الامر الثاني الخاص بتفاخـر « فتح » عن دورها في تحقيق المواجهـة الساخنة بين العرب واسرائيل ، فلا يجب ان نضخمه الى اكثر من وزنه الحقيقي ، والا وقعنا « **اسرى لما نحب ان نتصوره** » وفقـدنا الـرؤية الموضـوعية لما هـو « **كائن بالفعل** » . فهذا التفاخر لا يعدو ان يكون مجرد محاولة من منظمة شابنها زوح النرجسية ــ وكانت تواجه انعـزالا، وتصطدم بحواجز من الشك ــ لاستغلال مناخ الحماسة الذي صـاحب عمليـات التعبئة الشعبية وساد الوطن العربي كله وقتذاك. وذلك بهدف تحطيم اسوار العزلة وكسر حواجز الشك وكسب الراى العام العربي .

ومع نهاية الايام الستة في حرب يونيو ، تفجر في اعماق الشعوب العربية تنـاقض حاد بين ما كان متـوقعا من نصر ، وبين ما تحقق من هزية مروعة ، وبين ماكانت تثق فيـه الجمـاهير من نظـم وفكريات واساليب نضالية وبين ما كشفت عنـه الهزيمة من قصور وعيوب وعـدم كفاية ثورية لهذه النظم والفكريات والاساليب . وكان العدو يتوقع ان يتجسد هذا التناقض في حالة من الشلل والتفكك والسلبية للقدرة العربيـة ، افرادا وجمـاعات وشعوبا ، تفرخ عن تشققات قاتلة وفوضى شـاملة وسقوط للانظمة والقيـادات الوطنيـة التقدمية . تنتهي بسيطرة الاستعمار الجديد على المنطقة وتأمين وتقوية الوجود الاسرائيلي الصهيوني وفرض الاعتراف به .

بيد ان ذلك لم يحدث. وانما حدث ان تحول « الذهول العام » الذي ساد عشية الهزيمة الى «صمود جماعي عام» من خلال حركة جماهيرية تلقائية واسعة النطاق شملت الوطن العربي كله في دقائق معدودة منذ مساء ٩ يونيو ، بددت تماما الاثار المعنوية

للهزيمة وحساصرت الاثار السياسية والعسكرية لها فى نطاق محدد لم تستطع الخروج منه ».

ولعبت استقالة جمال عبد الناصر دورا هاما ، فى بلورة حركة الصمود الجماهيرية بسرعة وحسم نادرين فى التاريخ . وذلك بما كان يحمله تنفيذ هذه الاستقالة من معنى كامل للهزيمة وارتداد للثورة العربية ، نتيجة ما يمثله عبد الناصر — كقيادة — من قيم ثورية ونضالية فى مسار الثورة العربية .

ولكن لماذا لم يحدث ما توقعه العدو ، وتفجرت بسرعة غير عادية طاقات الصمود العربية ؟

فى تقديرى ان ذلك يرجع الى المناخ الثورى العربى العام الذى كان سائدا والذى ولده التحام ثورة التحرر الوطنى بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية فى الوطن العربى . الامر الذى حقق — على مستوى الافراد والجموع — وعيا قوميا واجتماعيا ناميا ، كانت أقل شرارة ، كافية لاطلاق حركته الجبارة فى الطريق الصحيح .

وامام ما حل بالجيوش العربية ، التى وضعتها قياداتها فى اوضاع وظروف غير ملائمة ، من دمار بشرى ومادى ، عبرت طاقات الصمود العربية عن ارادتها فى المقاومة الشعبية المسلحة ، كاداة قادرة على صنعها بسرعة ودون اجراءات معقدة ، وكطريق طبيعى ومفتوح كانت « فتح » قد قطعت عليه خطوات من قبل .

وساعد ذلك ، عمليات الارهاب والقمع والتشريد التى مارستها القوى العسكرية — السياسية الفاشية والمسيطرة فى اسرائيل ضد العرب فى المناطق المحتلة ، بصلف وغرور وشراسة واستخفاف ما بعده استخفاف بالقدرة العربية وكرامتها القومية الجريحة ».

وهكذا كان « **رد الفعل الموضوعى** » على النصر العسكرى الاسرائيلى وارهابه الدموى العنصرى الفاشى ، « ارهابا عربيا ثوريا » يتمثل فى مقاومة شعبية مسلحة ».

ولم تعد « فتح » وحيدة كما كانت قبل يونيو ١٩٦٧ ، وانما راحت تنبثق — وهذا هو الجديد — منظمات متعاقبة ومتفاوتة الحجم للمقاومة المسلحة داخل الشعب الفلسطينى ، اهمها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وجيش التحرير الفلسطينى التابع لمنظمة تحرير فلسطين ».

والجديد ايضا ، قيام عدد من الضباط الشبان فى الجيوش العربية وخاصة فى الجيش الاردنى ، بترك مناصبهم الرسمية والتطوع فى حركات المقاومة المسلحة ، جنبا الى جنب مع المئات من شباب فلسطين الذين يدرسون فى جامعات امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية والسويد وغيرها من البلدان الراسمالية ، والاتحاد السوفيتى والمانيا الشرقية وبلغاريا وغيرها من البلدان الاشتراكية ، وكذلك البلاد العربية ، بهجرة مقاعد الدراسة — قبل استكمال دراساتهم — والالتحاق بمنظمات المقاومة . ويمكن ان نضرب على ذلك — فى حدود ما لا يضر نشره من معلومات — امثلة بالنقيب سابقا بالجيش الاردنى **خالد عبد المجيد** ، الذى كان من ابرز قادة فتح العسكريين واستشهد اخيرا فى عدوان اسرائيل على السلط . ومازن جودت ابو غزاله من المعهد الصناعى بشبين الكوم بمصر ، ووليم نجيب نصار من كلية الهندسة بالمانيا الغربية الخ ...

والجديد كذلك هو التغيير الذي بدأ يطرأ على البنية الاجتماعية لمنظمات المقاومة بدخول اعداد غفيرة نسبيا من شباب العمال والفلاحين الفلسطينيين ، فضلا عن المرأة الفلسطينية .

ونتيجة لاحتضان الجماهير العربية في كل مكان لفكرة واسلوب المقاومة المسلحة ، بصورة اصبحت موضع الاقتناع الشعبي العميق ، تحولت المقاومة المسلحة ، بحكم القانون الاجتماعي من مجرد فكر مطروح ونضال معزول ، الى ظاهرة اجتماعية — سياسية نضالية ذات وزن مادي مؤثر وفعال ومسيطر . واصبح بالتالي الانعزال عنها او تجاهلها هو انعزال عن فكر وحركة الجماهير وتجاهل لارادتها . هذه الارادة التي تتبلور في تدفق آلاف الطلبات من الشباب العربي للتطوع في صفوف المنظمات ، وفي الدعم المادي الشعبي المتزايد . ولا يجدي في هذا المقام الاحتجاج بما يشوب تكوين ونشاط منظمات المقاومة المسلحة من سلبيات ذاتية وموضوعية . ذلك ان هذه الظاهرة تنبع من واقع حي ، وتتجه — رغم كل العقبات — نحو النمو والتطور .

والسؤال الرئيسي الذي يجب أن نواجه به هذه الظاهرة للتأكد من سلامتها وموضوعيتها وتطهرها من طابع المغامرة ، كخط عام ، ودون الغرق في التفصيلات الفرعية ، هو جماع ثلاثة اسئلة فرعية :

- **هل هي مشروعة ؟**
- **هل هي ممكنة ؟**
- **هل تعطي ثمارا ايجابية ؟**

اما عن المشروعية ، فلا اعتقد أن ثمة خلافا يمكن ان ينشب حول شرعية المقاومة المسلحة من شعب احتلت ارضه وشرد اهله ، كمبدأ عام ، بل اننا نرى ان شرعية المقاومة الفلسطينية المسلحة راحت تكسب ارضية متزايدة في الرأي العام العالمي وحتى بين اولئك الذين كانوا يتجاوبون من قبل مع الاتهام الاسرائيلي لها بأنها مجرد عصابات تخريب من الخارج .

واما عن انها **ممكنة** .. فان افرازالواقع لها في حد ذاته دليل حي على ذلك ، يدعمه نموها وزيادة حجمها ، بشريا وامكانيات ونشاطا ، على السواء باستمرار من ناحية ، والاحتضان العربي الشعبي الشامل لها من ناحية اخرى .

ولعل الذين يشككون في قدرة المقاومة المسلحة على الامكان والاستمرار ، نابع اساسا عن التصور الفكري المسبق ، بأن هناك اوضاعا واشكالا تقليدية ذات قوالب محددة ومعروفة للمقاومة المسلحة ، لايمكن معارؤيتها والاعتراف بها في اوضاع واشكال وقوالب جديدة . والحق ان هذا — في رأيي — نوع من الجمود على اشكال محدودة من الاساليب النضالية ، في حين انه ، وفقا لقانون التطور طالما ان الحياة دائما متجددة ولا تتكرر تكرارا جامدا واعمى وانما تطرح باستمرار اوضاعا ومشاكل جديدة ، فانها تفرز — بالضرورة — اشكالا جديدة للمقاومة واوضاعها ، فضلا عن ان الطبيعة الخاصة للقضية ، موضوع المقاومة المسلحة ، لابد وان ينعكس على شكلها واساليبها .

والقضية الفلسطينية بالفعل ذات طبيعة خاصة ، ولعلي لا ابالغ اذا قلت انها فريدة في نوعها ، فهي في البدء قضية تحرير وطنية لارض وشعب محددين . ولكن هذه الارض وشعبها يرتبطان ارتباطا مصيريا ، بل هما ساعدا على تعميق هذا المصير ، بكل الارض

العربية وشعوبها على اختــلاف دولهــاونظمها . ولذلك فلا يمكن وضع حد فاصل لا بالنسبةلنا ولا بالنسبةللعدو على السواء،بين ما هو عدوان على ارضوشعب فلسطين وبين ماهو عدوان على بقية الارض العربيةوشعوبها، والتاريخ يقول لنا انه منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ وقعت ثلاثة حروب من حولقضية فلسطين ولكنها فى كل مرة لم تقف عند حدود مواجهة فلسطينية ــ اسرائيلية،وانما كانت باستمرار مواجهة عربيـــة ــ اسرائيلية امبريالية .

وبالتالى فمن الخطا تصور ان ((**ارض المعركة**)) هى فقط ارض فلسطين . هذا غير واقعى وغير تاريخى . ويتجاهل الخبرة المستفادة من خلال ثلاثة حروب . فأرض المعركة هى كل الارض العربية وشعوبها . ولن تجدى اية محاولة لحسرها عنها. وذلك بحكم ان العدو فى جوهره هو الامبريالية العالمية التى تريد السيطرة على كل الوطن العربى لا فلسطين فحسب ، والتى تستخدم اسرائيل اداة لها . والعـــــدو ايضا هو الصهيونية التوسعية التى تريد بنـــــاء ((اسرائيل الكبرى)) على مراحل متعاقبة لا تقف عند الحدود المعروفة فى التـــــاريخ الحديث ، لفلسطين ، وانما تمتد الى مدينة الزقازيق فى دلتا النيل بمصر ، وتلتهم اجزاءمن سوريا ولبنان والعراق وكل الاردن ، وتغوص جنوبا حتى المدينة المنورة فى العربية السعودية .

واذا استثنينا حرب ١٩٤٨ التى كانت عملية زرع لاسرائيل ، فان حربى ١٩٥٦، ١٩٦٧ دارتا دائما خارج فلسطين المحتـــلة فى الارض العربية .

وامام هـــذا الشـــمول العـــربى لارض المعركة من حول قضية فلسطين ــ التى يجب ان يضطلع من اجلها الشعب الفلسطينى بدور طليعى ــ فان المقاومة المسلحة **يمكن** ان تنبت صحيا فى الارض العربية الفسيحة بداءة ثم تنتقل بعد ذلك الى الارض المحتلة من فلسطين بشكل التسرب او التسلل . وهذا هو بالدقة «الجديد فى الامر» المتفاعل مع الظروف الخاصة للقضية . وفرق بين ان يكون الامر ((**جديدا**)) وبين ان يكون ((**غريبا وشاذا**)) ، ووصمه بانه نوع من تصدير الثورة ، أو ثورة من خارج الحدود.

يضاف الى هذا كله نقطة هامة ، وهى ان ((**الامكان من عدمه**)) لايتعلق بالتصور النظرى وانما بالتجربة العملية . والتجربة العملية تؤكد ان اسلوب بدء المقاومة المسلحة من الارض العربية ثم تسللها وتسربها الى الداخل ممكنا فعليا لانه اصبح واقعاوحياة كل يوم .

واما عن ((**الثمار الايجابية**)) للمقاومـــة المسلحة ، فيجب هنا عدم الخلط بين تحقق بعض الثمار الايجابية وبين مدى اهميـــة وفاعلية هذه الثمار نوعيا ومقارنتها بحجم ما تتكبده من خسائر . ذلك اننا يجب ان ناخذ فى الاعتبار عدة امور ، فى مقـــدمتها ماتعانيه حركة المقاومة نفسها من سلبيات ذاتية تسجنها كما سنوضح فيما بعـــد فى مرحلة الارهاب الثورى ، وما تصطدم به المقاومة من قيود عن حركتها فى بعض البلاد العربية ومن وقت لاخر، واخيرا وليس آخرا العمر القصـــير للمقاومة النشـــطة ، الذى لا يتعدى ١٥ شهرا ، وتأثيره على نوعيـــة الخبرة المكتسبة .

ورغم هذا كله ، فاننا نستطيع ان نلمس الاثار الايجابية للمقاومة فى النقاط الست التالية :

● منح ((القضية)) طابع الحضـــور المستمر والساخن ، ســـــواء على المحيط الفلسطينى أو المحيط العـــربى أو المحيط الدولى، وعدم تجمدها واحتوائها فى قوالب

النصر العسكري الإسرائيلي — الامبريالي . وتحويل الهزيمة من وضع مؤقت الى وضع دائم على أساس قبول الامر الواقع والرضوخ له .

● زيادة الاعباء على النظام الاسرائيلي ، سواء من ناحية الامن او من الناحية الاقتصادية نتيجة ما تضطر الى اتخاذه من اجراءات مكلفة لمواجهة اعمال المقاومة ، فضلاً عما تبذره المقاومة من عدم الاستقرار وزعزعة الامن داخل المجتمع الاسرائيلي وما يترتب عليه من تعقيدات سياسية واجتماعية واقتصادية ، ادت الى ظهور اتجاهات بين الاسرائيليين ضد استمرار العدوان والاحتلال والى زيادة ميزانية الدفاع والامن الداخلي ، والى التفكير في اصدار مشروع قانون جديد — تحت زيادة رد الفعل للمقاومة بين السكان وفشل قوات الامن الاسرائيلية في وقفها — يؤمن التعويض عما تحدثه اعمال المقاومة من تخريب في ممتلكات السكان .

● الاسهام في عملية تعثر الهجرة الجديدة الى اسرائيل ، والتي أصبحت في حاجة قصوى اليها . فضلا عن الحد من حركة السياحة التي تعتمد عليها اسرائيل بعد المعونات والقروض ، في تغطية العجز المتزايد في ميزان مدفوعاتها .

● استرداد الشعوب العربية الثقة التي اهتزت بسبب الهزيمة ، في قدرتها على الصمود للعدوان والتحرك ضده بمختلف الوسائل .

● حركت التربية العربية ، انسانيا واجتماعيا وسياسيا ، لولادة جيل ثوري جديد من الشباب العربي عامة والشباب الفلسطيني خاصة يستطيع مواجهة الاتجاهات العنصرية الصهيونية التوسعية ، في الجيل الجديد ، والذي اصبح يعرف باسم جيل الصابرا (التين الشوكي باللغة العبرية) الذي يناط به بناء ما يسمى « باسرائيل الكبرى » .

● ان الشجاعة النفسية والبدنية التي يبديها ابطال المقاومة ، ولو على اساس فردي ، من شأنها ان تبذر انسانيا الاحترام والتقدير اللذين افتقدتهما السمعة القتالية العربية خلال حرب يونيو ، حتى بين الاصدقاء والحلفاء .

وفضلا عن ذلك كله فان المقاومة المسلحة وتصاعدها من شأنهما ان يفيدا الجانب العربي ، ولو كعامل ضغط من ناحية وتنوير من ناحية اخرى ، للرأي العام العالمي وذلك في اطار محاولة العديد من الاتجاهات لايجاد « حل سلمي » لازالة آثار العدوان .

ومرة اخرى فان الاحتجاج بان عمليات المقاومة المسلحة تعطي اسرائيل ، مبررا لتشريد مزيد من العرب من الاراضي المحتلة وفرض مزيد من الاجراءات الارهابية ، كما تمنحها حجة في طلب المزيد من الاسلحة من حلفائها .. نقول مثل هذا الاحتجاج يتجاهل طبيعة اسرائيل العنصرية وارتباطاتها الامبريالية ودورها التخريبي في الشرق الاوسط ، ويخلط بين الاسباب الشكلية والاسباب الحقيقية الكامنة موضوعيا في الموقف . ولعلنا هنا نستطيع ان نسوق دليلا هاما على ذلك ، فان تشريد عرب قطاع غزة وانزال الارهاب الوحشي بهم من جانب اسرائيل ، قد سبق زمنيا انفجار المقاومة المسلحة في هذا القطاع . بل ان المقاومة انفجرت هناك كرد فعل للارهاب الاسرائيلي .

ولكن هل معنى ذلك ان المقاومة الفلسطينية قد تحولت بالفعل الى حركة تحرير وطنية ، كما شرعت بعض المنظمات والاقلام العربية تؤكد ؟

الجواب فى رايى ، الذى يقدمه الواقع الموضوعى لا التصورات والاحلام والامانى هو بالدقة : لا .

ويجب ان نصارح انفسنا ونصارح منظمات المقاومة بهذه الحقيقة ، والا اخطأنا فى الحسابات وانتهينا الى نتائج لا تستند الى واقع الحياة ، ولا تستطيع قوى حركة منظمات المقاومة تحملها فى العمل .

باختصار ، يجب ان ننأى بحرص مضاعف ، عن اسلوب التضخيم او التزييف او التجميل للحقائق . وهو اسلوب ثبت ـ بعد حرب يونيو ـ انه خدعنا قبل ان يخدع العدو ، ودفعنا من اجله ثمنا باهظا .

ان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، رغم نموها الذاتى النسبى وتوسع مجالات نشاطها وتصعيد عملياتها ما برحت فى حدود الارهاب الثورى لمجموعات شعبية مقاتلة انتحارية . تعتمد اعتمادا رئيسيا على البطولات الفردية من جانب ، وعلى العمل العسكرى وحده معزولا عن العمل السياسى . ويسودها اسلوب القيام بعمليات تكتيكية تستهدف بث الفزع والرعب فى جبهة العدو وسرقة شعور الامن والاستقرار من مجتمعه .

والارهاب الثورى ، هو الخطوة الاولى على طريق حركة التحرير الوطنية . ولابد من خطوات جذرية وهامة ليتحول الارهاب الثورى الى حركة تحرير . . اى من مجرد «ردفعل تكتيكى» الى «فعل استراتيجى» . وهذه الخطوات تعنى تحويل البطولات الفردية الى بطولات شعبية جماعية، وتنظيم العمل العسكرى فى اطار خدمة خطة سياسية محددة الاهداف ، وتطوير العمليات التكتيكية التى تستهدف ـ رغم ما تتكبده من خسائر فادحة فى الكادر ـ اثبات الوجود ، الى عمليات ذات طابع استراتيجى تستهدف الحاق ضربات قاتلة بقوة العدو فى مواضع حيوية باقل قدر ممكن من خسارة فى كادر وسلاح المقاومة .

وبدون هذا التحول تواجه المقاومة المسلحة خطر التحرك باسلوب « **محلك سر** » ، حيث يبذل اقصى مجهود ممكن ولكنه لايتقدم خطوة واحدة الى الامام ، بل ويصبح معرضا للنكسات .

ويستلزم هذا التحول تغييرا جوهريا فى طبيعة تكوين حركة المقاومة والتغلب على عقبات تعدد تنظيمات المقاومة ورواسب الشكوك القديمة والارتفاع الى مستوى المسئولية المعاصرة .

ويمكن ان نترجم التغييرات المطلوبة لهذا التحول فى الخطوط السبعة التالية :

● بلورة كيان تنظيمى موحد لحركة المقاومة المسلحة يمتص كل الثغرات الفردية والشللية .

● ربط حركة المقاومة ربطا مصيريا بتيار الثورة العربية الوطنية التقدمية ، باعتبار ان تحرير فلسطين هو جزء من قضية عربية كلية . وليس معنى هذا الربط هو التورط فى انتماءات او صراعات حزبية معينة وانما معناه الارتباط ـ كما حدث بالنسبة لثورة الجزائر ـ بالاتجاه الاكثر تقدما والصاعد تاريخيا فى الحركة الشعبية العربية وهو التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

● الالتزام ببرنامج سياسى اجتماعى محدد الاهداف ، يستطيع ان يجذب من حوله اوسع وحدة وطنية تقدمية ممكنة للشعب الفلسطينى وخاصة فى المناطق

المحتلة . بحيث تتم عملية تسكين المقاتلين بين احضان شعبهم ، ويكون الشعب منظما وقادرا باستمرار على الحماية والعطاء والابداع دون توقف . فالشعب المنظم هو العمق الاستراتيجي لحركة المقاومة ، وبتواجده تتحول حركة المقاومة الى حركة تحرير وطنية شاملة . ولقد اصبح معروفا الان ان الشعب بالنسبة لمقاتلي حركة المقاومة والتحرير هو كالماء بالنسبة للسمك في البحر .

● الانطلاق من افق النظرة العسكرية الضيقة البحتة الى افق النظرة السياسية الشاملة . وتصحيح اسس العلاقة بين العمل السياسي والعمل العسكري بحيث يكون الاول قائدا للثاني لا العكس والا افتقد العمل قدرته على وضع التكتيك في خدمة الاستراتيجية ومرونته في مواجهة المشاكل والقضايا .

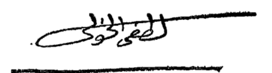
● الاسهام في بناء جبهة عربية عريضة على صعيد الوطن العربي كله ، لحماية ظهر حركة التحرير الفلسطينية المسلحة ودعمها بامكانيات كل الجماهير العربية وطاقاتها .

● الارتباط بحركة التحرر الوطني العالمية ، وذلك تعبيرا عن كونها جزءا لا يتجزأ من مسار الانسانية التقدمية . وبهذا تكتسب عالميا وزنا وتأثيرا متزايدا ازاء وزن وتأثير العدو .

● وحركة التحرير الفلسطينية المسلحة مطالبة على وجه خاص بان تقدم اجابة واضحة على تساؤلات الراي العام العالمي عامة واليهود غير الصهاينة خاصة حول تصورها للموقف ومصير سكان اسرائيل الحاليين بعد انتصارها .

فتؤكد مثلا على شجبها وادانتها للتفرقة العنصرية والتعصب الديني ، وتمييزها الفكري والعملي بين اليهودية والصهيونية وبين اليهود والفاشيين العنصريين ، وان فلسطين بعد تحررها ستكون دولة ديمقراطية يعيش فيها كل من يرغب من المسلمين والمسيحيين واليهود دون ما اية تفرقة او تمييز .

وبعد .. ففي خلال الخمسة عشر شهرا الماضية ، ولدت وتأكدت حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة من خلال حركة الصمود الجماهيرية العربية .. واليوم ندعو ونلح في الدعوة ان تبادر منظمات المقاومة الى تطوير نفسها بنفسها الى حركة تحرير وطنية ... فهذا وحده هو طريق الامل والنصر والتاريخ الانساني .





التعبئة الاقتصادية

مشاكل وحلول مقترحة

شغلت القضايا الاقتصادية الرأى العام فى بلادنا اكثر من مرة خلال العام الحالى . ففى مستهله نشرت المقالات والدراسات حول «اقتصاد الحرب» كما عقد له مؤتمرات وندوات علمية . وغداة بيان ٣٠ مارس قفز الى المقدمة موضوع «الاصلاح الاقتصادي» ودار حوله نقاش واتخذت فى طريقه بعض الاجراءات . ثم طرحت « لجنة المائة » المنبثقة من المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فكرة «التعبئة الاقتصادية» ، وسرعان ماكانت موضع تبادل الرأى فى لجان الاتحاد الاشتراكى ومؤتمراته .

وعبر كل هذه الكتابات ، وعلى اختلاف المناسبات برزت حقيقتان هامتان :

الاولى : ان اقتصادنا القومى قد عرف منذ ماقبل حرب يونيه سنة ١٩٦٧ مصاعب لا يستهان بها فى مقدمتها ظهور بعض الاختناقات فى دورات الانتاج ، والعجز فى ميزان المدفوعات الخارجية ، وعدم تشغيل بعض المصانع بطاقتها الكاملة .. الخ .

الثانية : ان الحرب قد أصابت بالفعل بعض مواردنا واضافت أعباء جديدة وأن احتمالات

الموقف تفرض علينا واجبا مقدسا هو الاستعداد ، فى المجال الاقتصادى ؛ لاحتمالات استئناف القتال.

ولكن الاتفاق على هاتين الحقيقتين لم يكن كافيا لتحقيق الاتفاق حول مقتضيات «اقتصاد الحرب» ولا حول سبل «الاصلاح الاقتصادى» . ومرد هذا الخلاف المتأصل هو الاطار الفكرى الذى ينطلق منه كل فريق ممن تصدوا للحديث والجدل . فثمة فريق يرد متاعبنا الاقتصادية الى طريق التحول الاشتراكى الذى اخترناه . وهم يقولون فى مجالسهم ان الرأسمالية والمصلحة الفردية «والحرية» الاقتصادية كانت كفيلة بتجنيب البلاد كل هذه المشكلات التى نشهدها. كما ان السياسة الاجتماعية التى تستهدف زيادة كبيرة وسريعة فى الدخل القومى وتوسعا فى الخدمات وعدالة فى التوزيع هى سياسة طموح طموحا غير واقعى كان لابد أن تفضى الى مانحن فيه من صعاب ومن ثم فالحل عندهم يكمن فى استهداف معدلات نمو «معقولة» تتناسب مع امكانياتنا وفى تصفيةلجزء كبير من القطاع العام ، والاقلاع عن التخطيط — ولكنهم يترجمون هذا الكلام حين يكتبون بلغةتختلف قليلا . فنرى حديثهم يتركز حول تشجيع القطاع الخاص ، واهمية الاستثمارات الاجنبية واقتراح الحلول العملية التى تتناقض جذريا مع التخطيط المركزى .

ونحن نرى — مع كل الاشتراكيين ومع جماهير شعبنا العريضة — أن طريق التحول الاشتراكى هو طريقنا الوحيد . واننا حققنا فيه منجزات كبيرة . وان ماثار من صعاب مرده قصور فى التطبيق ، او قيود فرضت على التحول الاشتراكى. كما نرى ان وضع الدولة الاقتصادى فى اطار التحول الاشتراكى هو خير ركيزة يمكن الاعتماد عليها فى مواجهة اقتصاد الحرب . واذا أردنا ان نلخص الملامح الاقتصادية لهذا الطريق نقول ان أبرزها :

١ — معدلات تنمية عالية تسمح بالقضاء على التخلف .

٢ — قطاع عام قوى يقود الاقتصاد القومى كله فى طريق التنمية .

٣ — تخطيط مركزى يحقق الاستخدام الامثل لمواردنا .

والتقييم العلمى الامين للتجربة الثورية فى الاقتصاد المصرى هو وحده الذى يسمح بالحكم على صواب الطريق الذى اخترناه ، كما يكشف عن نواحى القصور وبالتالى يلقى الضوء على سبل الاصلاح واساليب التعبئة .

أولا : التنمية الاقتصادية الشاملة

١ — هل حدثت تنمية اقتصادية فى عهد الثورة ؟ ومامداها ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تستدعى تحديد الفترة التى ستقوم فيها بتقييم خبرة التنمية فى مصر . ولقد اخترنا لذلك الفترة التى تبدأ عقب عدوان السويس سنة ١٩٥٦ والسبب فى ذلك واضح اذ انه بعد عام ١٩٥٦ تحرر الاقتصاد القومى نهائيا من التبعية الاقتصادية وبدأ يتكون فى مصر وعى بقيمة التنمية كان مفتقدا حتى ذلك التاريخ . وفضلا عن ذلك فانه منذ ذلك التاريخ بدأت الدولة وبالذات منذ عام ١٩٥٧ تلعب دورا فعالا فى اقتصادنا القومى وفى توجيه عملية التنمية فى مصر وسياستها وبالتالى فانه يمكن مقارنة نتائج عملية التنمية فى هذه الفترة بالفترات السابقة عليها .

اذا حاولنا تتبع معدلات نمو اجمالى الدخل القومى فى الفترات التى تتوافر عنها الاحصائيات نجد أن معدل نمو الدخل القومى منذ بداية القرن وبالذات منذ سنة ١٩١٣ حتى سنة ١٩٢٨ كان ١٪ سنويا . فقد كان معدل النمو ٢٥ر١٪ سنويا فى الفترة منذ سنة ١٩٢٩ الى سنة ٩١٣٩ . أما فى الفترة التى اعقبت ذلك أى بين سنوات ١٩٣٩ وسنة ١٩٥٠ فقد كان معدل الزيادة السنوى فى الانتاج القومى حوالى ٥ر٢٪ سنويا ولم يزد معدل النمو عن ذلك فى الفترة من ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٥ . أما فى الفترة من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٥ فقد وصل معدل النمو السنوى للدخل المحلى حوالى ٦ر٧٪ سنويا وهو معدل لم يحدث فى تاريخ الاقتصاد القومى فى أى فترة سابقة كما ذكرنا .

أما فيما يتعلق بمعدل نمو دخل الفرد باعتباره المعيار التقليدى لقياس معدل التنمية فاننا نلاحظ أن دخل الفرد لم يطرأ عليه تغيير يذكر منذ بداية هذا القرن (١٩١٣) حتى منتصف الخمسينات . لقد كانت الزيادة التى لحقت دخل الفرد فى الفترة منذ سنة ١٩١٣ حتى سنة ١٩٥٥ حوالى ٥٪ بمعدل زيادة سنوى قدره ١ر٠٪ سنويا بينما نجد أنه منذ حرب السويس فان معدل الزيادة السنوى فى دخل الفرد تبلغ حوالى ٤٪ سنويا . أى ان الزيادة فى دخل الفرد منذ سنة ١٩٥٧/٥٦ حتى سنة ١٩٦٥ أى نهاية الخطة الخمسية الاولى تفوق أضعاف الزيادة فى دخل الفرد فى الاثنين وأربعين عاما بين سنة ١٩١٣ و ١٩٥٥ . أى أن

سنة ٥٧/٥٦ تمثل الحد الفاصل بين فترة الركود وفترة التنمية .

ولتوضيح الصورة السابقة لنمو دخل الفرد التى قد تبدو غريبة للبعض بعض الشيء يجب الاشارة الى ان الزيادة فى متوسط دخل الفرد بنسبة قدرها ٥٪ طوال الاثنى والاربعين عاما كانت نتيجة لتذبذبات كثيرة بالارتفاع والانخفاض . فخلال الفترة من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢٨ لم يحدث اى تغيير فى متوسط دخل الفرد . بينما شهدت الفترة من سنة ١٩٢٨ حتى سنة ١٩٣٩ انخفاض فى متوسط دخل الفرد حوالى ١٠٪ وقد ادى نشوب الحرب العالمية الثانية الى انخفاض دخل الفرد بحوالى ١٠٪ ايضا بالاضافة الى الانخفاض السابق نتيجة انخفاض الواردات وعجز الصادرات عن النمو والارتباك فى الانتاج المحلى نتيجة عجز الواردات وكذلك نتيجة تعديل الدورة الزراعية اى انه فى نهاية الحرب كان دخل الفرد منخفضا من سنة ١٩٢٨ حوالى ٢٠٪ . غير انه فى اعقاب الحرب الثانية بدات الصورة تتغير وبدا معدل نمو الدخل الفردى فى الزيادة نتيجة زيادة الواردات وزيادة الانتاج المحلى وبالتالى ارتفاع ارقام الصادرات فزاد دخل الفرد حوالى ١٠٪ عن مثله قبل الحرب ونتيجة لارتفاع اسعار المواد الاولية على اثر حرب كوريا فان دخل الفرد فى سنة ١٩٥١ يزيد بحوالى ٢٥٪ عن مثيله فى سنة ١٩٣٩ فاذا اخذنا فى الاعتبار انه فى الفترة السابقة على سنة ١٩٣٩ انخفض الدخل الفردى حوالى ٢٠٪ عن سنة ١٩١٣ نجد ان صافى الزيادة فى دخل الفرد عن سنة ١٩١٣ هو ٥٪ طوال هذه الفترة . ان دراسة الارقام السابقة تمكننا من تقرير الحقيقة التالية وهى ان سنة ١٩٥٧/٥٦ تمثل الحد الفاصل بين فترة الركود وفترة الانطلاق نحو التنمية وان النتائج التى حققها الاقتصادى المصرى فى الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر الاقتصادى منذ بداية هذا القرن .

٢ ــ تنمية شاملة

ولم تكن معدلات النمو السريعة مقصورة على معدل زيادة الدخل القومى ودخل الفرد فحسب بل امتدت ايضا الى جميع المجالات . فاذا نظرنا الى معدل نمو الانتاج الزراعى السنوى فى الفترة منذ سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٥٥ نجده قد بلغ ١٪ سنويا فى حين انه بلغ ٣ر٢٪ فى الفترة من ١٩٥٥ الى ١٩٦٠ ثم ١ر٣ فى الفترة مابين سنة ١٩٦٠ و سنة ١٩٦٥

والامر لايختلف اذا نظرنا الى معدل نمو الانتاج الصناعى ، ففى الفترة من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٥٩ زاد الانتاج الصناعى بحوالى ١٨٪ بينما كان متوسط معدل الزيادة السنوى فى الانتاج الصناعى خلال سنوات الخطة حوالى ٨ر٥٪ وكان من الممكن لمعدل النمو هذا ان يزيد لولا ازمة النقد الاجنبى التى واجهت الاقتصاد المصرى فى اواخر سنوات الخطة . ولقد كان معدل الزيادة السنوى فى الانتاج الصناعى فى السنوات مابين سنة ١٩٣٩ و سنة ١٩٥٤ هو ٥٪ سنويا فقط .

اما فيما يتعلق بالمساهمة فى زيادة العمالة ، فان العمالة قد زادت خلال سنوات الخطة الخمسية الاولى ١٩٦٥/٦٠ بما يزيد عن الزيادة فى العمالة خلال الفترة من ١٩٤٧ الى سنة ١٩٦٠ وان كان جانب المساهمة فى العمالة فى الواقع هو اضعف مظاهر التنمية التى تمت فى اقتصادنا كما سيجىء ذكره فيما بعد .

وقد زادت فى هذه الفترة ايضــا المصروفات العامة على الخدمات كالتعليم والصحة وغيرها اذا قورنت بالسنوات السابقة على سنة ١٩٥٧م .

٣ ــ هل كانت الاهـــداف طموحة اكثر مما نستطيع

هل كانت اهداف خطة التنمية الاولى اهدافا طموحة فى الظروف التى وضعت فيها ؟ هل كان هدف مضاعفة الدخل القومى خلال عشر سنوات هدفا يفوق امكانياتنا القومية ؟ وبالتالى هل كانت محاولة تحقيق هذا الهدف هى التى ادت الى ظهــور المشاكل والعقبات التى صاحبت تنفيذ الخطـة الاولى او تلتها ؟ ان الاجابة على هذا السؤال من الاهمية بمكان اذ ان كثيرا من الاراء التى ترددت عند وضع الخطة الخمسية الاولى ١٩٦٥/٦٠ ، والتى تتردد الان عند تقييم نتائج هذه الخطة والتى تنادى بادخال كثير من الاصلاحات الاقتصادية فى تنظيم اقتصادنا القومى انما تستند الى حجة ان هدف الخطة الخمسية الاولى كان هدفا طموحا فى ظروف الاقتصاد القومى فى ذلك الوقت وان محاولة تنفيذ هذا الهدف قد اخضعت الاقتصــاد القومى ضغوط واختناقات ادت الى ظهـــور المشاكل التى يعانيها الان . وهذا مايستوجب الابطاء فى معدل التنمية الى حوالى ٤٪ مثلا (وهو المعدل المستهدف فى ميزانية ١٩٦٩/٦٨) .

ان هدف مضاعفة الدخل القـــومى فى عشر سنوات كان يستدعى تحقيق معدل نمو سنوى قدره ٢ر٧ خلال السنوات ٧٠/٦٠ . والواقــع ان هذا المعدل السنوى للزيادة فى الدخل القومى الذى استهدفته الخطة لم يكن يزيد كثيرا عن معدل النمو الذى تحقق فى السنوات الاربع الســابقة

على الخطة . ففى خلال الفترة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٠ كان معدل النمو السنوى للدخل القومى الذى تحقق هو ٦٪ سنويا . وهكذا نرى ان الخطة الخمسية الاولى استهدفت زياده معدل نمو الدخل القومى القومى خلال سنوات الخطة بحوالى ٢ر١٪ فقط عن معدل النمو السائد فى السنوات السابقة . وهذا مالايمكن وصفه بالطموح المغالى ومن ناحية اخرى من المعروف ان تحقيق معدل نمو قدره ٧٪ كان يستدعى تحقيق نسبة استثمار تقارب ٢٠٪ من الدخل القومى وهى نسبة ليست غير عادية ولاتتطلب تلك التضحيات «الضخمة» التى يتحدث عنها البعض . ان هذه النسبة من الاستثمارات قد حققتها دول كثيرة فى ظروف انطلاقها كما انه يجب الاشارة الى ان معدل الاستثمارات الذى تحقق فعلاخلال سنوات الخطة تبلغ مابين ١٧٪ ، ١٨٪ من الدخل القومى .

٤ ـ نواحى القصور

من المعروف ان التنمية لم تبلغ المعدل المطلوب لتحقيق مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات الذى يجب ان نتفق على انه لابد منه للجدية فى تصفية التخلف . ولكن هذا القصورالكمى يصاحبه ـ ويتسبب فيه ـ مظاهر قصور كيفية اهمها :

ا ـ عدم تغيير نمط التصنيع تغييرا جذريا : فقد بدا التصنيع فى مصر بصناعات تحويليةتعتمد على الخارج فيما يتعلق بالكثير من مستلزمات الانتاج . وقد تم التوسع فى التصنيع اساسا فى صناعات تحويلية مما ادى الى زيادة الاعتماد على الخارج وهو ما انعكس فى تفاقم العجز فى ميزان المدفوعات .

ب ـ تزايد الاستهلاك النهائى العام والخاص بمعدلات تجاوزت ماكان متوقعا فى الخطة الخمسية الاولى مما يعنى هبوط معدل الادخار بدل أن يزيد كنتيجة لزيادة الانتاج بمعدل مرتفع .

جـ ـ ظهور العمالة الفائضة مع وجود النقص فى العمالة الفنية فى عدد من القطاعات .

د ـ ازديادالضغوط التضخمية وانعكاساثرها على الاسعار .

هـ ـ افتقاد التنسيق الضرورى بين المشروعات مما كان له أثره فى ظهور الاختناقات وعدم تشغيل بعض المصانع بكامل طاقتها الانتاجية .

٥ ـ اسباب القصور

ويمكن أن نرد كل ذلك الى اخطاء منهجية فى التنمية من ابرزها :

ا ـ الاهتمام بالكم على حساب الكيف :

ومن اهم مظاهر التركيز على الكم دون النوع الاهتمام بحجم الاستثمارات أكثر من الاهتمام بنوعها . فلقد كان التصور القائم ان حجم الاستثمارات انما يمثل العنصر الاساسى فى عملية التنمية لانه هو الذى يحدد حجم الطاقة الانتاجية ولقد ادى هذا الاهتمام بحجم الاستثمارات كالمحدد الاساسى لعملية التنمية ودرجة النمو الى اتباع نوع من الاستراتيجية الكمية (اى التوسع الافقى وتكرار الوحدات والانماط القائمة) بدلا من الاستراتيجية النوعية . والواقع انه وان كان حجم الاستثمارات يمثل اهمية خاصة فىعملية التنمية فانه مما لاشك فيه أن نوعية هذه الاستثمارات انما تعتبر أكثر أهمية فى تحديد معدل النمو وطبيعة التغيير النوعى المطلوب . ولقد ادى عدم الاهتمام بأهمية هيكل هذه الاستثمارات الى أن الخطة جمعت بين طياتها عددا كبيرا من المشروعات لايجمعها هدف محدد ولايشترك فى اختيارها معيار واحد ، أيا كان زيادة الدخل ، أو زيادة العمالة ، أو تخفيف الضغط على ميزان المدفوعات . ولقد ادى هذا الى ظهور ظاهرة اختلال التوازن بين كثير من القطاعات فزادت الاستثمارات فى بعض الفروع عما هو مرغوب فيه وظهرت الاختناقات فى بعض الفروع الاخرى .

ولقد ادى الاهتمام بالكم دون النوع فى خطة الاستثمارات الى عدم الاهتمام بالطاقة الانتاجية فى المدى الطويل التى من شأنها زيادة الانتاج فى المستقبل غير المباشر ، وهى الصناعات الثقيلة والاساسية . لقد ادى تنفيذ خطة الاستثمارات الى الاهتمام بزيادة الطاقة الانتاجية فى المستقبل القريب على حساب الطاقات الانتاجية فى المدى الطويل .

ونجد المظهر الثانى للاهتمام بالكم دون النوع فى مجال الاستهلاك . فعند تحديد المخطط لحجم الاستهلاك والزيادة فيه نظرا الى الاستهلاك العائلى النهائى ككل وكوحدة واحدة دون النظر الى هيكل هذا الاستهلاك ولقد ظهرت آثار هذه النظرة فى تحديد اولويات السلع الاستهلاكية المنتجة وعدم الاهتمام الكافى بتحديد الفئات المستهلكة لهذه السلع او تلك .

وكان المظهر الثالث للاهتمامبالكم دون الكيف فى عملية التنمية هو النظرة الى عقبة ميزان المدفوعات باعتبارها مجرد مشكلة نقص فى كمية موارد النقد الاجنبى وبالتالى قبول اية حلول من شأنها أن تؤدى الى زيادة هذه الموارد دون تاكيد حل نوعى محدد .. هكذا كان تفكيرنا منصبا على الحلول المؤقتة للمشكلة مثل المعونات وتغيير

صعر الصرف والتأثير على حجم الطلب المحلي (استهلاكي او استثماري) . والواقع أن مشكلة ميزان المدفوعات مرتبطة الى حد بعيد بنوعية وهيكل الاستثمارات المنفذة . كذلك فانه عندما أردنا مواجهة مشكلة ميزان المدفوعات عن طريق زيادة الصادرات ادى هذا بنا الى الالتجاء الى زيادة الصادرات التقليدية دون دراسة نوعية الموارد المراد تصديرها ، كذلك فان مشكلة التصدير مرتبطة الىحدبعيد بقدرة العنصرالبشرى على استغلال الموارد المتاحة الى اقصى حد أى مرتبطة بانتاجية العمل .»

ب ـ عدم وضوح استراتيجية اقتصادية طويلة المدى

ولقد سبق أن دللنا على ذلك حين قلنا ان المشروعات المختارة لم تستند جميعا الى معيار واحد محدد ، وبالتالى لم يرتبط بعضها ببعض . وفى أحوال أخرى كنا نجد أن المعيار الذى تم الاختيار على أساسه يتناقض مع الوسيلة المتبعة فى التنفيذ . لقد كانت محاولة تخفيف العبء على ميزان المدفوعات احد العوامل المؤثرة فى اختيار المشروعات . ولكن تطبيق هذا المعيار أدى أحيانا الى عكس الغرض المقصود . فقد وضع المخطط فى اعتباره عند اختيار بعض المشروعات الاثر المباشر للمشروع على ميزان المدفوعات وهو تخفيض الواردات بمقدار ماسينتجه المشروع من سلع . ولكنه أهمل الاثر غير المباشر ، وهوزيادة الواردات من الالات اثناء تنفيذ المشروع الذىيمكن أن يستغرق عدة سنوات ، فضلا عن أنه فى حالة اعتماد المشروع على مستلزمات انتاج مستوردة، يمكن ان تزيد قيمة مستلزمات الانتاج عن قيمة السلع التى كانت تستورد بالفعل قبل انشائه. وهكذا لايؤدى تنفيذ المشروع الى تحقيق الغرض الذي استهدف من اختياره .»

ومن ناحية أخرىاختيار هذه المشروعاتمتحيزا لجانب الصناعات الاستهلاكية . وهكذا فان نمط التصنيع الذى نتج عن الخطة الخمسية الاولى ليس الاامتدادا لنمط التصنيع الموجود قبلتنفيذها. أضف الى هذا أن كثيرا من السلع الاستهلاكية المختارة بجانب انها كانت تحتاج الى استهلاك وسيط مستورد فانها كانت تخدم حاجات الطبقات الوسطى (خاصة السلع المعمرة) وبالتالى فان تصريف منتجات هذه الصناعات تفترض زيادة الدخول المتاحة للاستهلاك لدى هذه الفئات. وعندما أرادت الدولة الحد من استهلاك هذه السلع برفع اسعارها تكدس المخزون السلعى منها . اذ أن تحديد اولويات الاستهلاك فىمجتمع اشتراكي يخضع ولاشك لقواعد منطقية محددة،

تبعد ضمان الحد الادنى من الاستهلاك اللازم والملائم للجميع والذى يضمن للجميع .»

ثم يلى ذلك انتاج السلع الاستهلاكية التى تخدم الاستهلاك الجمعى مثل انتاج الغسالات العامة المتاحة للجميع بأسعار زهيدة بدلا من انتاج الغسالات الكهربائية ، وزيادة انتاج أساليب المواصلات العامة وتحسينها بدلا من انتاج السيارات الخاصة وذلك حتى يجيء الموقف الذى يمكن فيه انتاج السلع الاستهلاكية بحيث يمكن جعلها متاحة للعدد الاكبر من السكان بأسعار معقولة ، وبالتالى يمكن انتاجها على أساس سليم.

ثانيا : القطاع العام

ضمان للاستقلال وأساس للتنمية

وقاعدة للتحول الى الاشتراكية

عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت مصر مجتمعا شبه اقطاعى شبه مستعمر . وكان معنى ذلك أن مصر كانت لاتزال تعانى من سيطرةبقايا الاقطاع والنفوذ الاستعمارى . وانما كان لذلك معنى آخر ايضا هو أن مصر كانت قد عرفت الراسمالية، لكن هذه الراسمالية لمتكن قدسيطرت على المجتمع بعد .»

ومنذ يوليو ١٩٥٢ وحتى يوليو ١٩٦١ كانت الثورة قد أجهزت على بقايا الاقطاع والسيطرة الاستعمارية ، وافسحت المجال للراسمالية والراسماليين . لكنهم عجزوا فى التجربة والواقع عن اجراء التنمية الاقتصادية التى كانت توجبها الظروف الملحة لبلاد متخلفة . وعندئذ كان على الثورة ان تتصدى منخلال تأميمات يوليو ١٩٦١ . ومابعدها لمهمة التنمية كاملة من خلال القطاع العام الذى كان قد ظهر الى الوجود فى اعقاب عدوان ١٩٥٦ ، تعبيرا عن بدء مرحلة استغلالنا الاقتصادى وارساء دعائم التنمية الاولى . ومنذ يوليو ١٩٦١ وتلك هى مهمة القطاع العام الجوهرية .

ومع ذلك فلا نسمع على لسان أغلب اولئك الذين ينتقدون القطاع العام سوى نغمة المقارنة بالمشروع الراسمالى ، ولانصادف سوى صور الحنين الى المشروع الحر ، الى القطاع الخاص ، الى الرأسمالية .وكأننا لم نعرف الرأسمالية ابدا ولم نجربها وكأن الثورة لم تتح لها مالم يقحه لها الاقطاعيون .»

١ ــ الرأسمالية والتنمية قبل الثورة

فقبل الثوره كان الاقتصاد المصرى قد بلغ حد الركود ، أى عدم النمو . وعلى الرغم من النمو الصناعى الذى شهدته البلاد فى اعقاب الحرب العالمية الثانيه ، فلقد كان الانتاج والدخل الحقيقى للفرد فى عام ١٩٥٢ فى نفس المستوى الذى كان عليه فى عام ١٩١٣ .

وعلى الرغم من هذه الحقيقة الاجتماعية المذهلة، فلقد كانت الرأسمالية قد نجحت فى تحقيق ارباح طائلة لها ، نتيجة الاستئثار بسوق الصناعات الخفيفة للاستهلاك ، ونتيجة البيع بأعلى الاسعار فى السوق المحلية . وكانت الرأسمالية ترحل ارباح استثماراتها الى خارج البلاد ، او توسع من قبضتها على الصناعات التى بداتها بالاتجاه الى التكامل والتركز . لكنها لم تتجه أبدا لفتح ميادين جديدة ، وابتعدت تماما عن الصناعة الثقيلة .

فى ذلك الوقت كان الاقطاعيون مشغولين بتبديد ثرواتهم فى الارض، بينما كانت الرأسمالية الزراعية تزحف وراء الاقطاعيين . وكانت الرأسمالية التجارية تابعة للاقتصاد شبه الاستعمارى .

واذا حسبنا مجموع الاستثمارات الثابتة الاجمالية الى الدخل القومى ، واستبعدنا منها بصفة خاصة ماخصص للمبانى السكنية ، لكانت نسبة الاستثمارات قبل الثورة على النحو التالى:

٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢
٣٪	٥٪	٦٪	٧٪	٨٪	٧٪	٧٪	٧٪

فاذا استبعدنا من هذه النسبة نسبة ٥٪ من الدخل القومى لاستهلاك رءوس الاموال الثابتة لكانت معدلات الاستثمارات الصافية كما يلى :

٢.٪ صفر٪ ١٪ ٢.٪ ٣٪ ٢٪ ٢٪ ٤٪

مما يعنى ان النمو الصناعى يكاد يكون قد توقف ابتداء من عام ١٩٤٩ ، او انه قد استمر دون تقدم يذكر فى السنوات الاخيرة قبل الثورة .

وطبقا لبعض التقديرات زادت الطاقة الصناعية من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٤٩ بنسبة ٢٢٪ وبلغت فى عام ١٩٥٠ مستوى يزيد بمقدار ٥٦٪ عما كانت عليه فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٤ . غير ان الزيادة انخفضت الى ٧٪ فقط فى عام ١٩٥١، واذا كانت قد تزحزحت الى ٨٪ فى عام ١٩٥٢ ، فلقد تدهورت الى ١٪ فى عام ١٩٥٣ .

ان مدة التنمية الصناعية التى قامت بها الرأسمالية المصرية لم تتجاوز عشرين عاما من ١٩٣٠ الى ١٩٥٠ . وهى تنمية احتمت وراء الرسوم الجمركيه ، لانتاج سلع استهلاكيه محلية بدل سلع استهلاكية مستورده . هذا بحث فى حدود الصناعات الاستهلاكية الخفيفة :المنسوجات، الاغذية، حيث راس المال غير كبير ، وحيث المواصلات قريبة ، وحيث القوى المحركة فى متناول الرأسماليين . وكان هناك دائما ، وبخاصة خلال الحرب العالمية الثانية ومابعدها ، اتجاه لدى فئات عديدة من الرأسمالية وخاصة المتوسطة لاستخدام الالات المستهلكة بدء الانتاج فى مصانع جديده ، وبصفة عامة فلقد كانت هذه الرأسمالية الصناعية تدفع اخس الاجور فى العالم من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٥٠ ، مما كان يضاعف من وطأة ضيق السوق المصريه وفى هذه الظروف كان حوالى ٢٥٪ من القادرين على العمل فى حالة بطالة دائمة او موسمية ، صريحة او مقنعة . وبينما كان عدد العمال فى الصناعة فى عام ١٩٤٧ يبلغ ٢٧٧ الفا ، انخفض الى ٢٥٥ الفا فى عام ١٩٥٢.

هذه الرأسمالية كانت بالطبع لايشغلها سوى ارباحها ، ففيما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٥ كان معدل القيمة المضافة الى راس المال الصناعى عاليا فى حدود ٨ر١ الى ١ . وكان هذا المعدل اعلى فى المبانى . وبينما كانت معدلات الادخار التى تسمح بها الرسمالية عامه فى حدود تتراوح بين ١٠٪ الى ١٢٪ من الدخل القومى : فانها لم تحاول رفعها ، وعلى العكس اشتغلت الى جانب الصناعة بالمضاربات وبشراء الاراضى الزراعية وببناء العقارات وباقتناء الاوراق المالية. ووصل الامر ببعض عناصرها مثل عبود الى حد المضاربة على اسهم شركاته التى يسيطر عليها . وكل هذا مما يكشف عن الطابع الطفيلى الذى كان يستشرى فى هذه الرأسمالية .

هذه الرأسماليه كانت فى الوقت ذاته تحد من نمو الرأسمالية الوطنية التى تتطلع الى تصنيع البلاد، والتى كانت بالتالى تعارض السيطرة الاستعمارية التى نمت فى كنفها الرأسمالية الصناعية . ولذلك شنت حربا على بنك مصر وشركاته حتى اخضعته لسيطرتها كما حاربت هذه الرأسمالية فكرة تشجيع الصناعات الصغيره والمتوسطة ، وناوأت عملية انشاء البنك الصناعى ثم سيطرت عليه وجمدت رسالته فى التنمية. وبالمثل ، فانها لم تنجب كوادر فنية او ادارية تقود الانتاج . وظلت هذه المهام وقفا على الاجانب او الاجانب المتمصرين ، فيما عدا من تكون فى مدرسة بنك مصر .

ولقد ادى هذا كله الى انه من بين صفوف رجال الاداره العليا فى شركات المساهمة كان المصريون فى عام ١٩٥١ يملكون ٣٥٪ فقط ، وهؤلاء لم يكونوا فى معظم الاحوال سوى وكلاء او عملاء او ادوات للرأسمالية الاجنبية .

٣ ــ الرأسمالية والتنمية بعد الثورة

في ٦ سبتمبر ١٩٥٢ اصدرت الثورة قانون الاصلاح الزراعي ، بامل احداث تغييرات جوهرية على هيكل الريف والمجتمع ، وفي ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ اصدرت قانون انشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي . وابتداء من يوليو ١٩٥٣ ، بدأت الدولة تقدم برامج للاستثمار في مجالات يحجم عن تمويلها رأس المال الخاص خوفا من المخاطرة. وكانت اغلب هذه الاستثمارات تقليدية . فان ٦١٪ منها عبارة عن استثمارات في الري والصرف واستصلاح الاراضي ، بينما الباقي موزع بين الكهرباء والنقل ، وكلها استثمارات عامة يستفيد منها رأس المال الخاص ولاتنافسه،بل انها ضرورية لنمو نشاطه .ثم اغدقت الثورة على الرأسمالية امتيازات لم تحلم بها . حماية المنتجات المحلية، خفض الرسوم الجمركية على استيراد الالات ومستلزمات الانتاج الصناعي ، اعفاءات ضريبية، تسهيلات ائتمانية ، ضمان حد ادنى من الارباح، تقديم الاراضي مجانا او بتسهيلات . واختارت الدولة في الصناعة تلك الميادين التي تتطلب استثمارات ضخمة وتعرض لمخاطر كبيرة ولاتدر ربحا عاجلا مثل الحديد والصلب والسماد والاسمنت . حتى انها فيما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٨ قدمت ٧٤٪ من رأس المال المستثمر في شركات المساهمة في الصناعة الثقيلة ، وفي الوقت ذاته ، عمل مجلس تنمية الانتاج كمستشار فني للراسمالية ، يدرس المشروعات ويقدمها صالحة للتنفيذ لها ، ويساعد على تكوين شركات خاصة كشركة الكابلات الكهربائية وشركة اطارات السيارات . ومع ذلك ظلت الرأسمالية متحصنة في خندقها التقليدي : في الصناعات الخفيفة المألوفة وفي المباني السكنية . وكانت النتيجة رهيبة حقا .

ففيما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٩ زاد الانتاج الصناعي فعلا بمعدل ٦٪ لكن هذا المعدل هبط الى ٤٪ فيما بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٤ .

وفي عام ١٩٥٦ اشتدت مقاومة الرأسمالية للمشاركة في التنمية . وعندما اعلن عن تكوين عشر شركات مساهمة صناعية،مجموع رأسمالها ٢ر٢٢ مليون جنيه ، ساهمت الدولة وحدها بمبلغ ٢ر١٢ مليون جنيه. اما راس المال الخاص فقد اتجه اكثر فاكثر الى البناء . وبلغت نسبة الاستثمارات في البناء الى اجمالي الاستثمارات الجديدة ٤٩٪ في عام ١٩٥٤ .

ومع العدوان قامت الثورة بتمصير المشروعات الاستعمارية ،وتهيأت الرأسمالية المحلية لالتهامها. غير ان الثورة انشأت المؤسسة الاقتصادية ، لتكون بداية لنشاط متميز من جانب الدولة يسعى مباشرة الى تنمية حقيقية للاقتصاد المصري الذي خرج من العدوان بامكانيات كبيرة لاحراز استقلاله عن العالم الاستعماري .

لقد كان لا بد من رفع معدل التنمية الصناعية من ٤٪ حيث كان في ١٩٥٤ ومن ٦٪ حيث ارتفع في عام ١٩٥٦ . وفي اكتوبر ١٩٥٦ بدأ النقاش حول خطة التصنيع . وفي صيف ١٩٥٧ اعدت خطة خمسية ترفع معدل التنمية الصناعية من ٦٪ الى ١٦٪ . لكن هذه الخطة كانت تتطلب استثمارات صافية تبلغ ٤٥ مليون جنيه سنويا، واضطرت الدولة ــ من اجل اجتذاب رأس المال الخاص ــ لان تتحمل بنسبة ٦١٪ من جملة الاستثمارات في الصناعة الثقيلة تاركة الصناعة الخفيفة ذات الربح المضمون للاستثمار الخاص .

ومع ذلك استمر القطاع الخاص يوجه استثماراته للبناء . وفي عام ١٩٥٨ لم تتجاوز مساهمة الرأسمالية ٤ر١ مليون جنيه في الشركات الجديدة ، بنسبة العشر تقريبا . وعلى العكس عمدت الى أسلوب التمويل الذاتي عن طريق عدم توزيع الارباح المطردة الزيادة . فارادت الثورة ان تحد من هذا الاتجاه ، فاصدرت في يناير ١٩٥٩ قانونا بتحديد الارباح التي توزع . هنالك ردت الراسمالية ببيع الاسهم والسندات في البورصة من اجل التخلص منها .

وفي هذه الاثناء كانت الراسمالية قد برعت في تجميع الثروات وسحب الاموال من القطاع العام الوليد ، عن طريق عقود الاستيراد والتوريد والمقاولات ، كما لجأت الى تهريب الاموال ، متسترة وراء تجارة الاستيراد والتصدير والادوية ، أو سافرة بالمضاربة على سعر الجنيه المصري في الخارج .

وكل هذا قد انحرف بالرأسمالية عن تشجيع التنمية الى تخريبها . ولذلك كان الامل الوحيد معلقا بتدخل الدولة عن طريق القطاع العام .

وفي عام ١٩٦٠ بدأ تنفيذ الخطة الاولى والقطاع الخاص هو الذي يسيطر على الاقتصاد القومي. اذ كان يمثل اكثر من ٩٥٪ من الانتاج الزراعي ، ٩٠٪ من الانتاج الصناعي . وكان قطاع المقاولات والتشييد باكمله وقطاع التجارة الخارجية باكمله تقريبا في ايدي القطاع الخاص . كان القطاع العام الانتاجي لا القطاع الحكومي يمثل ١٥٪ فقط من الدخل القومي .

في ذلك الوقت كانت الخطة تعلق آمالها على القطاع الخاص ، كي يتولى تمويل نحو ٤٠٪ من استثمارات الخطة .

لكن القطاع الخاص كان يفكر عندئذ فى ضرورة تصفية القطاع العام اولا . فالمؤسسة الاقتصادية التى كانت تسيطر على انتاج يمثل ١٢٪ فقط من مجموع الانتاج الصناعى ، كانت موضع اعتراض رأس المال .

هنالك طرحت مجموعة من الحقائق المذهلة التى كانت تتطلب مخرجا حاسما :

١ ـ فقد دلت الاحصائيات فى عام ١٩٦٠ على ان حيازة الشركات الخاصة والافراد لاتتعدى ١١٪ من اجمالى القيمة الاسمية للسندات الحكومية .

٢ ـ وبلغت نفقات القطاع العام والقطاع الحكومى فى ميزانية١٩٦١ نحو ٦٥٠ مليون جنيه أى حوالى ٤٧٪ من مجموع الدخل القومى ، بينما لم تحصل الدولة من القطاعين الا على نسبة ٣٠٪ من مجموع الدخل القومى . ومن ثم كان عليها ان تحصل على موارد جديدة ، على الاقل لمواجهة النفقات الجارية .

هكذا كشف التطبيق فى العام الاول للخطة عن استحالة السير بالخطة مع استمرار خضوع الاغلبية الساحقة من الاقتصاد القومى لسيطرة الرأسمالية الكبيرة المحلية التى اتجهت من ثم لتجميد الثورة لحسابها الخاص .

هنالك اتخذت الثورة اجراءات يوليو ١٩٦١ التى ضمنت مصدرا داخليا هائلا لتمويل التنمية، ووضعت حدا لتخريب الرأسمالية وعجزها الفعلى عن التنمية الاقتصادية .

وفى ظل هذا التحول الحاسم ، بدأ السعى لاحداث تنمية حقيقية للدخل القومى ، وتأكد الاتجاه الحاسم نحو التصنيع ، وبذلت المحاولة الجادة لرفع مستوى معيشة الكادحين ، بالحرص على سير التنمية الاقتصادية جنبا الى جنب مع التنمية الاجتماعية .

٣ ـ القطاع العام قاعدة التنمية المخططة

ولا شك ان هذا التحول انما يستند الى القطاع العام الذى يقوم على الملكية العامة ، بحيث اصبح القطاع العام قاعدة لا نزاع فيها للتنمية ، تحقق امل الوطن والشعب فى الانتقال الاقتصادى والتحول الاشتراكى .

ان القطاع العام هو الذى يقوم حاليا بنحو ٩٠٪ من حجم الانتاج القومى (بدون الزراعة)، وهو الذى يزود البلاد بما يزيد عن ٩٠٪ من حجم الادخار المستثمر ،بينما القطاع الخاص ينهج فى توجيه مدخراته الوجهة التى يريدها طبقا لقوانين السوق والعائد السريع المضمون .

ولهذا كان من الطبيعى ان تتركز كل مشاكل التنمية الاقتصادية ، وكل مشاكل الخطة الخمسية الاولى ، حول القطاع العام نفسه بالضرورة ، ومن الطبيعى ايضا ان يتركز كل نقد للتنمية الاقتصادية وكل نقد للخطة الاولى ، بل وكل نقد للتحول الاشتراكى ، على القطاع العام نفسه .

ويمكن القول بان القطاع العام يعانى من ثلاث ظواهر خطيرة ، هى الطاقات المعطلة بداخله ، وضعف انتاجية العمل ، وعدم كفاءة قياداته ، وكل هذا يدفع الى ان يجرى الانتاج بنسبة عالية من الضياع والتنديد للموارد الانتاجية المحدودة، وهو ماينعكس فورا فى صورة تشوه هيكل نفقات الانتاج وترفع اسعار السلع الصناعية ، سعيا وراء ربح ادارى مفتعل لا ربحا اقتصاديا طبيعيا ، مما يسمح بالتشكيك فى كفاءة التصنيع وجدوى القطاع العام ، وفى هذه الظروف ، لابد ان نلحظ حالة من التضخم المكبوت ، حالت دون انفجار اثاره الفادحة . ظاهرتان هما البطالةالكامنةالتى تحول دون ارتفاع الاجور ، ورقابة الدولة على الاسعار . ولهذا فان اى دعوة فى الحال لفتح اقتصادنا وتحريرالاسعار هى دعوة بالغةالخطورة على الاقتصاد القومى .

وقبل ان نتعرض لاهم ما يجب ان يجرى من اصلاح فى القطاع العام ، يجب ان نشير الى بعض الظروف والملابسات الخارجة عن اطار القطاع العام والتى ادت الى وضعه فى أسوأ الظروف الممكنة لاداء رسالته :

فاولا ـ كان هناك غموض متعمد منذ البداية حول مفهوم العلاقة بين القطاع العام والقطاع الخاص .

فوزير التخطيط يقول فى شرح قانون الخطة : (ان المبررات التى ذكرت عن اهمية دراسة نشاط القطاعين الخاص والعام معا كوحدة متكاملة فى التخطيط لا تعنى مطلقا سيطرة القطاع العام) ، وكل هذا تشويه لمفهوم التخطيط ذاته ، فاى خطة للتنمية هذه التى تبدأ برفض سيطرة القطاع العام ، اى بقبول سيطرة القطاع الخاص ، ثم تسمح لهذا القطاع الخاص بالمشاركة الاختيارية فى التنمية ؟! لذلك كان من الطبيعى ان يكون هدف الخطة ان يساهم القطاع الخاص فى نهاية الخطة بحوالى ٨٠٪ من اجمالى الدخل القومى.

وثانيا ــ اعطت الخطة الاولى الاولوية للصناعة الخفيفة مثل صناعة الراديو والتليفزيون والسيارات والثلاجات والغسالات الكهربائية واجهزة تكييف الهواء والدراجات والاغذية المحفوظة ومنتجات الخزف والصيني بالاضافة الى الغزل والنسيج ، وهي صناعات تخدم الطبقات الوسطى ولكن مستلزمات انتاجها غير متوافرة محليا ، وهكذا كان السبب الرئيسي في عجز القطاع الصناعي عن تحقيق معدل النمو المستهدف انما يرجع الى توزيع الاستثمارات والى طبيعة الصناعات التي اختيرت . وقد ترتب على ذلك قيام الوحدات الانتاجية على غير اساس موضوعي ، والتوسع في انشاء الوحدات الاقتصادية والمؤسسات العامة ، واختلال حسابات تكلفة الانتاج ، مع الحرص على تحقيق ربح في نهاية السنة المالية ، مما جعل الاسعار تتحمل أعباء ثقيلة لا مفر منها ، وافسد كل محاسبة اقتصادية سليمة . وبذلك تم تشويه مفهوم التنمية ذاتها .

ومن ناحية اخرى انعكس كل هذا الخلط على مفهوم القطاع العام نفسه . فعلى الرغم من ان الاساس المادي للقطاع العام هو الملكية العامة لمجموع الشعب ، وعلى الرغم من وضع مبدأ مشاركة العاملين في الادارة وفي ثمار الانتاج ، مما كان يصلح اساسا لظهور ونمو علاقات انتاج جديدة داخل هذا القطاع تقول بالضرورة الى الاشتراكية ،نجد ان الجمود اصاب هذا الاساس، فتم التأكيد على ملكية الدولة ، وتم اختيار القيادات في القطاع العام من بين الادارات الحكومية واجهزة الدولة وقيادات الشركات قبل التأميم . وتحولت مشاركة العاملين في الادارة الى مناسبة انتخابية هامة فحسب . وفي النهاية لم يقدم القطاع العام نموذجا جديدا لاسلوب الانتاج يكون هو النقيض والبديل لاسلوب الانتاج الراسمالي . ومن ثم بقي اسلوب الانتاج الراسمالي بغير ادانة عملية ، ولم يصف . ويفاقم من هذا الوضع اننا بلد يسوده اسلوب الانتاج الصغير ، وتنتشر فيه بورجوازية صغيرة شديدة التطلع والقلق .

في هذه الظروف والملابسات عمل القطاع العام، فاحرز النجاح وحقق الفشل .لكن مازال نجاحه هو السمة الغالبة التي تميزه . ويكفي ان يكون القطاع العام بعماله وفنييه ومديريه المصريين هو الذي قام بتحرير الاقتصاد القومي من السيطرة الاستعمارية فانتقلت اكبر المشروعات الى الادارة المصرية دون ان ينهار الانتاج او يتوقف، ويكفي ان يكون القطاع العام هو الذي قام رغم كل ظروفه بسد العجز في ميزانية الخدمات ، وبتوفير جانب كبير من الفائض للاستثمار في التنمية . ومازال القطاع العام هو القاعدة المادية الاساسية التي يمكن ان تسمح لبلادنا بالتحول الى الاشتراكية . بل ان اي تقدم اقتصادي لا يمكن ان يتوقع من غير ان يكون القطاع العام هو محوره ونقطة انطلاقه .

لهذا نحرص على نجاح القطاع العام ، ونحرص بالتالي على معالجة مشاكله وتوفير الظروف المواتية له . وبصفة عامة يمكن القول بضرورة تهيئة الظروف الخارجية المواتية ، قبل رفع كفاءة التخطيط واجهزته ، وقبل حصر القطاع الراسمالي واخضاعه لنوع من التخطيط يشجعه ويخضعه للتنمية القومية ، ومثل نشر اسلوب التعاون لاعادة تنظيم الانتاج الصغير وافادته من مزايا الانتاج الكبير ، لكن توفير الظروف الداخلية المواتية يبدو اكثر الحاحا . ويمكن اجمال هذه الظروف في عبارة واحدة هي : تصفية اسلوب الانتاج الرأسمالي داخل القطاع العام ، واحلال اسلوب انتاج ارقى محله ، هو اسلوب للانتاج الكبير موضوع في خدمة المجتمع باسره ، اي انه يحقق ثلاث مزايا جوهرية هي : الوفرة والرخص والجودة .

وهنا يمكن ان نجتهد في البحث عن عناصر هذا الاسلوب الارقى .

ثالثا : التخطيط القومي الشامل هو الضمان الاساسي لتنمية سريعة لاتعرف الاختناقات

يزعم خصوم التطور الاشتراكي ، ان تجربة التخطيط في بلادنا لم تحرز نجاحا يبرر الاستمرار فيها ، ويقدمون حلولا للمشكلات الاقتصادية تبنى جميعا على تصفية التخطيط . فهل فشل التخطيط عندنا بالفعل ؟ يتعين للاجابة على هذا السؤال ان نحدد اولا معنى التخطيط القومي الشامل ، ثم نبين الى اي مدى اخذنا به .

١ ــ معنى التخطيط القومي الشامل

التخطيط القومي اسلوب للترشيد الاقتصادي على مستوى المجتمع في مجموعه ، بمعنى انه عملية ارادية من سلطة مركزية تعبر عن المجتمع ، تستهدف استخدام مجموعة الموارد المتاحة للمجتمع خير استخدام من أجل تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية التي تحددها الخطة ، والتخطيط القومي لا يكتفي بأن تسعى كل وحدة من الوحدات الانتاجية ــ على حدة ــ لتحقيق اقصى استخدام يمكن لمواردها ، بل يهدف الى

تحقيق الاستخدام الامثل لكل موارد المجتمع ». مما يستدعى تحديد أهداف عامة للنشاط الاقتصادى فى مجموعه ، وتحديد وسائل بلوغ هذه الاهداف وتحديد أهداف جزئية لكل نشاط ولكل وحدة من الوحدات الانتاجية ، فى ضوء هذه الاهداف العامة ، بحيث تصبح كل وحدة مسئولة عن استخدام الموارد المتاحة لها على الوجه الاكمل، من أجل تحقيق الاهداف المحددة لها ، والتى ترتبط بالخطة العامة للمجتمع ».

ان التخطيط السليم ينبنى على معرفة بالقوانين الموضوعية التى تحكم العلاقة بين الظواهر الاقتصادية ، واستخدام هذه القوانين لصالح المجتمع ، وعلى تنبؤ بالمصاعب والمشكلات والاختناقات التى يمكن ان يواجهها تنفيذ الخطة ، وعلى اعداد افضل الحلول لمواجهة مثل هذه المشكلات . **ان التخطيط هو محاولة لتحقيق التنسيق والتوازن الاقتصادى قبل حدوث الاختلال او الاختناقات ، بدلا من ان يتم التوازن كنتيجة للقوى العفوية للسوق والعرض والطلب وتغير الاثمان ، بعد حدوث الاختلال او الاختناقات فعلا . وفى هذا تتمثل افضلية الاقتصاد المخطط على الاقتصاد غير المخطط . وفى هذا تبرز افضلية النظام الاشتراكى على النظام الرأسمالى .** ان النظام الاشتراكى القائم على الملكية العامة لادوات الانتاج ، ينبنى على التخطيط العلمى والشامل . ولا يتصور تحقيق النظام الاشتراكى لاهدافه دون تطوير نظام للتخطيط قائم على المعرفة الاقتصادية والتكنولوجية ، يستهدف تعبئة موارد المجتمع وتحقيق خير استخدام ممكن لها ».

٢ — السمات الخاصة للتخطيط فى مرحلة التحول الاشتراكى

ان أسلوب التخطيط قد يتغير من مرحلة الى أخرى من مراحل التطور الاقتصادى . ولكنه يبقى حيويا دائما للمجتمع الاشتراكى . **ان فترة التحول الاشتراكى وظروف التنمية الاقتصادية تتطلب حشدا اكبر لموارد المجتمع ، ووضع الجزء الاكبر من هذه الموارد تحت التصرف المباشر للسلطة المركزية . ان فترة التحول تعنى اتخاذ قرارات اساسية تتعلق بتغيير العلاقات الاجتماعية . كما ان التنمية فى فترتها الاولى تعنى اعادة تشكيل الهيكل الاقتصادى للمجتمع ، وتتطلب امتصاص التراكم الاقتصادى الذى يمكن تحقيقه فى قطاع من قطاعات النشاط الاقتصادى لاستخدامه فى تنمية قطاعات اخرى جديدة . ان مرحلة التنمية الاولى تتصف الى جانب ذلك باختناقات متعددة ، وبندرة فى العديد من الموارد ، بالنسبة للاستخدامات البديلة المتاحة لها ، وبعدم القدرة على استخدام جهاز الثمن والاسواق كأساس لتوزيع هذه الموارد النادرة ، وذلك مع ضمان استخدامها فى تلك النواحى التى تحقق للمجتمع اقصى معدل للنمو فى الاجل الطويل .**

ان هذه الاسباب وغيرها ، تتطلب ان يكون للسلطة المركزية دور اكبر فى تجميع الموارد وتوزيعها بدورها فى مراحل النمو التالية . ويتطلب استخدام وسائل للتوزيع المباشر للموارد النادرة ، وقدرا اكبر من الرقابة الخارجية على نشاط الوحدات الانتاجية ، مما تستدعيه ظروف تقل فيها ندرة الموارد ، وتزيد فرص المنافسة بين الموردين . ان انتقال بعض البلاد الاشتراكية المتطورة الى اساليب جديدة للتخطيط ، تعتمد بدرجة اكبر على استخدام العلاقات السعرية والسلعية ، منها على استخدام التوزيع المباشر للموارد ، ويتيح درجة اوسع من الحرية للوحدات الانتاجية ، يعود بالدرجة الاولى الى بلوغها مرحلة من التطور الاقتصادى والاجتماعى ، يصبح فيها التوزيع المباشر للموارد بواسطة الاجهزة المركزية والتخطيط المركزى التفصيلى لعمل الوحدات الانتاجية عقبة فى طريق المزيد من التطور .

ان ما يصلح لهذه البلاد ، وفى هذه الظروف ، لا يكون صالحا بالضرورة فى ظروف مختلفة تتصف اساسا بندرة شديدة فى الموارد بالنسبة للاستخدامات المتاحة ، وعلى الاخص فى ظروف العدوان ، وما يترتب عليه من خسائر فى الموارد وزيادة كبيرة فى الطلب عليها .

٣ — خطة استثمار فحسب

ان المشاكل التى يواجهها اقتصادنا القومى لا تعود الى تطبيق اسلوب التخطيط الشامل ؛ بقدر ما تعود الى مجافاة هذا الاسلوب والبعد عنه . **ان وجود خطة للتنمية الاقتصادية فى الجمهورية العربية المتحدة ، لا يعنى استخدام الاسلوب العلمى للتخطيط القومى الشامل .**

ان التخطيط ينبنى على اساس من الدراسة العلمية للموارد المتاحة ، ويعمل على استخدام هذه الموارد اكفأ استخدام ممكن ، ويربط بين الغايات والوسائل ، فيختار أصلح الوسائل لتحقيق الاهداف المرجوة . **والخطة فى مصر حتى الان لا تزيد عن ان تكون تجميعا للاستثمارات التى اقترحتها كل وزارة ، وبيانا لتوقعات الوزارات للاثار التى ستترتب على هذه الاستثمارات ».**

ان التخطيط يتطلب تحديدا واضحا للاولويات التي يجرى على اساس منها اختيار المشروعات ، كما ينبنى على دراسةاقتصادية وفنية للمشروعات المقترحة ، للتـأكد من ان كل مشروع قادر على تحقيق الاهداف المحددة له ، فى ضوء الاهداف العـامة للخطـة القوميـة . والمشروعات التى تضـمنتها الخطة الخمسـية الاولى ، كانت هى مجموع الاقتراحـات الاسـتثمارية التى امكن تجميعها فى كل نشاط ، وذلك فى حدود استثمار محـدد لهذا النشـاط . ولم يتم اختيـار بين المشروعـات البديلة ، او لم تجر دراسـة فنية واقتصادية للمشروعات بواسطة اجهزة التخطيط المختصة (*)

ان التخطيط يقتضى التنسيق بين المشروعات ، والتحقـق من التـوازن بـين مكونات الخطـة الرئيسـية ، كالانتـاج والاسـتهلاك والادخار والاستثمار والصادرات والواردات ، والتحقق كذلك من التوازن القطاعى والسلعى . والخطة جاءت خلوا من اى محاولة جادة للتنسيق بـين المشروعات ، او تحـديد لترتيبهـا الزمنى ، او تحديد لحدود زمنية واضـحة للتنفيذ . كما ان التوازن الذى اوردته الخطة ، كان توازنا شكليا يحتوى على عجز لم تدبر الموارد الاساسية ، او تحدد السياسات الضرورية لمواجهته (*)

ان التخطيط يقتضى وجـود خطـة تمويليـة وائتمانية تخدم اهداف الاستثمار والانتاج ، وترتبط بها ، كما تتطلب ان تحدد السياسات الخاصـة بالضرائب والدخول والاسعار وغيرها ، فى ضوء الاهداف الاقتصادية والاجتماعية التى تسـتهدف الخطة تحقيقها . وتتصف هذه السياسات فى مصر بالتذبذب ، وبأنها تحدد فى ضوء اعتبارات تكتيكية لمواجهة العجز الطارىء فى الميزانية ، دون النظر الى الاثار الطويلة الاجل لهذه السياسات على تنفيذ الخطة الاقتصادية ، ومدى تحقيقها للاهداف التى تستهدف الخطة تحقيقها .

والتخطيط يتطلب ترجمـة الاهداف العـامة للخطة فى نواحى الانتاج والتصدير والاسـتيراد والدخل والعمالة وغيرها ، الى اهداف محـددة تسعى كل وحدة من الوحدات الانتاجية لتحقيقها . وتكون فى مجموعهـا الاهداف العـامة للخطة ، وباستثناء اهداف الاسـتثمار ، فان الوحـدات الاقتصـادية لا تلتزم بأهداف واضـحة للانتاج والعمالة والاجور والتكاليف والتصدير ، وحتى حيث يوجد مثل هذا الالتزام ، فهو التزام شـكلى لا ترتبط به مكافاة الادارة او محاسبتها .

ان التخطيط يتطلب اوسع مشاركة ممكنة من المنتجين فى مناقشة الخطة والتعرف على اهدافها ، وقد حددت الخطة وغيرت أهدافها اكثر من مرة ، دون مشاركة حقيقية من القائمين بتنفيذها ، او من الشعب بصفة عامة (*)

ان اى اصلاح اقتصـادى ومالى ، ينبنى على اساس ان اختيار اسلوب الانتاج الاشتراكى هو اختيار لا ارتداد عنه ، وان تحقيق أعلى معـدل ممكن للتنمية هو ضرورةاساسية لتقدم مجتمعنا ، بل هو مسالة حياة او موت لنا . لابد وان يهدف الى تحقيق اقصى استخدام لموارد جمهوريتنا ، وليس مجرد اقصى استخدام لموارد كل وحدة من الوحدات الانتاجية على حدة (*) والشرط الاساسى لتحقيق ذلك هو توفير الشروط الموضوعية التى تمكن من تطبيق صحيح وعلمى لاسلوب التخطيط القومى الشامل . والخطوة الاولى فى هذا السبيل هى التطوير الشامل لاجهزة التخطيط على كافة المستويات ، وبصـفة خاصـة على المسـتوى المركزى ودعم هذه الاجهزة بالاقتصاديين والفنيين اللازمين لدراسة كل عناصر الخطة ، والتأكد من تحقيق التوازن الفعلى بينها ، والقـادرين على دراسـة وتقييم المشروعات على اسـاس من الاهداف العامة للخطة ، التى تحددها القيـادة السـياسية ، فى ضـوء الاهداف الاقتصـادية والاجتماعية للمجتمع ، والدراسـة الموضوعية لموارده . وعلى اساس من احتمالات التطور الفنى والتكنولوجى (*)

والتخطيط بهذا المعنى ، اما ان يكون مركزيا ، واما لا يكون تخطيطا اصلا . والدعوة الى انشاء هيئـات متعـددة ومتوازية للتخطيط فى مختلف القطاعات تصفية للتخطيط (*) والمجالس القومية المتخصصة ، بحكم تخصصها ذاتها ، لا يمكن ان يكون دورها فى التخطيط الا دورا استشاريا (*)

رابعا : القطاع الرأسمالى والقطـاع التعـاونى

١ ـ الرأسمالية الوطنية وامكانياتها

ليست الثروة الراسمالية حلا لمشكلات القطاع العام ، ولا بديلا لنواحى القصور فى التخطيط . فتاريخنا الاقتصادى الحـديث ، يثبت بالقطع ان الرأسـمالية الكبيرة حققت ارباحا طائلة وتنمية ضئيلة ، وانها رفضت مواجهـة قضـايا التنمية الحقيقية . ولكن الاقتصـاد القومى به قطـاع رأسـمالى آخـر يمـكن ان يلعب دورا هاما فى الاسراع بمعدلات النمو ، وهو قطاع الرأسمالية الوطنية . وذلك لان تخلف الاقتصـاد المصرى النسبى لم يجعل بعد الطابع السائد للانتاج قبـه

طابع الانتاج الآلى الكبير الذى يتم فى وحدات كبيرة تضم المئات والالوف من العمال ، وتديرها ادارة « محترفة » ، تتميز عن اشخاص كبار الراسماليين الذين يسيطرون على ملكيتها . ومثل تلك الوحدات هو الذى يتطلب التأميم ، وتستطيع الدولة ادارته بمستوى عال من الكفاءة . ان الوحدات الانتاجية المتوسطة والصغيرة ، التى تنتج فى ظروف ليست متطورة تكنولوجيا ولا اداريا ، فان اصحابها يكونون عادة اقدر على ادارتها . ومن ثم فدور الراسمالية الوطنية له اساسه الاقتصادى ، ولا تمليه فقط اعتبارات سياسية .

ولكن من هو الراسمالى الوطنى ؟ انه الراسمالى الذى تتوافر فيه الشروط الاتية :

— العداء الاصيل للاستعمار والاستعمار الجديد ، ليس فقط كموقف سياسى ، ولكن لان مصالحه الاقتصادية تتعارض مع مصالح الاستعمار وعملائه .

— الاسهام الفعال فى التنمية الاقتصادية ، وذلك بالابتعاد عن النشاط الطفيلى (المضاربة على الاسعار ، التخزين ، الاقراض الربوى .. الخ) . والابقاء على النشاط الانتاجى فى مجالات الزراعة والصناعة والنقل والتوزيع فى اطار اهداف الخطة ، ومع احترام القوانين المنظمة لتداول السلع والمحددة لاسعارها .

— التنفيذ الامين لكل التشريعات العمالية ، بما يضمن للعمال حقوقهم التى يقررها لهم القانون كاملة غير منقوصة .

وما هى المجالات التى يمكن ان تلعب فيها الراسمالية الوطنية دورا مفيدا ؟ ان الراسمالية الوطنية ، تقوم على وحدات انتاجية ومتوسطة . ولهذا فهى لا يمكن ان تحل المشاكل التى يبدو القطاع العام — فى نظر البعض — عاجزا عن حلها . انها لا يمكن مثلا ان تقدم حلا جذريا لقضية زيادة الصادرات ، لان الزيادة الجدية والمنتظمة للصادرات تفترض دراسة شاملة للاسواق الخارجية واذواق المستهلكين منها ، واقامة علاقات مستمرة معها ، واغراقها احيانا بكميات ضخمة من السلعة محل التسويق . وهذا كله لا يتيسر للراسمالية الوطنية ، ومن ناحية اخرى يجب الا نساعد على نشأة روابط مصلحية بين راسماليين وطنيين وشركات احتكارية كبيرة لتجنب الراسمالية الوطنية مزالق الاستعمار الجديد ، كذلك لا يتصور ان تحل الراسمالية الوطنية مشكلة الاسكان الشعبى ، كما انها لا تستطيع زراعة الاراضى المستصلحة ، زراعة آلية متقدمة تكنولوجيا تنتج للتصدير ، وتصنع جزءا من منتجاتها .. الخ . وعلى العكس تلعب الراسمالية الوطنية بالفعل دورا هاما فى الانتاج الزراعى والحيوانى فى الاراضى القديمة . كما انها يمكن ان تلعب دورا حاسما فى الاسكان « فوق المتوسط » ، وفى عدد كبير من الصناعات التكميلية والخفيفة (التعبئة والتغليف ، الصيانة ، الاحذية ، الاثاثات ... الخ) . ويجب ان تستمر فى دورها فى تجارة التجزئة .

٢ — الانتاج الصغير والقطاع التعاونى

ولا ينبغى ان نتصور ان القطاع الخاص هو الراسمالية الوطنية وحدها ، بل ان هناك مئات الالوف من صغار المنتجين الذين يتميزون بالجمع بين عنصرى العمل وراس المال . فهم يمتلكون بعض وسائل الانتاج ، ولكنهم يعملون ايضا بأيديهم ، بعكس الراسمالى الذى لا يعمل الا فى مستوى الادارة .

ففى المدن نجد عشرات الالوف من الصناع الحرفيين يعانون الأمرين من بيروقراطية الادارة الحكومية والقطاع العام ، ومن استغلال بعض العناصر الراسمالية . فهم لا يجدون مستلزمات الانتاج الا فى « السوق السوداء » فى معظم الاحوال ، ولا يجدون تمويلا الا بفوائد ربوية ، ومصلحة الضرائب ترهقهم فى التقدير ، والتأمينات الاجتماعية كثيرا ما تحملهم نتائج تقصيرها هى فى المطالبة ، فتفرض عليهم غرامات باهظة .. ولا شك ان الحل الجذرى لمشكلاتهم يكمن فى انتظامهم فى تعاونيات الانتاج . ولكن لا يمكن ان تنجح الحركة التعاونية الانتاجية ، الا اذا كانت حركة ديمقراطية قائمة على الانضمام الاختيارى ، مقصورة على الحرفيين وحدهم ، بعيدا عن الراسماليين ، تدار عن طريق هيئات منتخبة بعيدا عن بيروقراطية الادارة الحكومية .

وفى الريف كثيرا ما تضار حقوق صغار الفلاحين الذين يعملون بأيديهم ، نظرا لهيمنة راسمالية الريف على التعاونيات الزراعية ، وللتدخل الادارى المستمر فى حياتها . ولابد ان يعاد تنظيم التعاون الريفى ، بما يكسب الفلاحين الثقة فى التعاونيات ويضمن اقبالهم عليها .

خامسا : قضيتان هامتان فى علاقاتنا الخارجية

رأس المال الاجنبى والهجرة

يحتل العجز فى ميزان المدفوعات المركز الرئيسى فى تفكير عدد كبير ممن تصدوا للحديث

عن « الاصلاح الاقتصادى » . ولقد اوضحنا ان هذا العجز نتيجة اكثر منه سببا . انه نتيجة اخطاء فى التنمية تجسدت فى معايير تحديد اولوية المشروعات ، (وبنوع خاص التوسع فى الصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية التى تتخذ شكل صناعات تجميع) ، وفى التنسيق بين المشروعات المختلفة ، ومن ثم فان العلاج الجذرى للعجز يكمن فى تعديل نمط التصنيع وبتغيير هيكل الاقتصاد المصرى . ولهذا ليس غريبا ان ينتهى اولئك الذين رأوا فى عجز ميزان المدفوعات مشكلة قائمة بذاتها ، الى حلول يعيبها الوهم والخطر ، مثل الدعوة لتشجيع راس المال الاجنبى على الاستثمار فى بلادنا ، وتحبيذ هجرة المصريين الى الخارج .

١ — ما هى احتمالات الاستثمار الاجنبى ، وما هى شروطه ؟

ان مشكلة الاستثمار الاجنبى تقف فى طريقها عقبة كئود لاعلاقة لها بالسياسة ولا بالعقيدة الاشتراكية . **فالراسمالى الاجنبى (شانه فى ذلك شان الراسمالى المحلى فى فترة ما قبل التاميم) ، يسعى لتحقيق اكبر ربح ممكن ، وبلادنا تريد تحقيق اسرع تنمية ممكنة . والهدفان متناقضان فى جميع الاحوال تقريبا .** لقد ثبت احصائيا ان ٧٥ ٪ من الاستثمارات الامريكية الخاصة قد تم فى البلاد الصناعية المتقدمة ، وان ٨٠ ٪ من الربح الذى ذهب الى العالم الثالث استثمر فى استخراج مواد اولية ، وفى مقدمتها البترول ، والسبب فى ذلك هو ان فرص الربح فى البلاد الراسمالية الكبيرة اكبر منها فى البلدان النامية ، ففى الاولى تدار اليد العاملة الفنية وشبكات المواصلات والاجهزة المصرفية والاسواق الاستهلاكية الضخمة ، وحين يقدم راس المال الاجنبى لبلد نام لابد ان يدفعه الى ذلك ربح لايجده فى مكان آخر ، ولا يتصور ان يكون هذا الربح مصدره صناعة ناشئة تواجه عالميا منافسة حادة من الشركات الصناعية الكبرى . ولهذا فهو يقبل على المخاطرة فى الميادين التى لا غنى عنها لنشاط الاقتصاد الراسمالى العالمى مثل البترول .

واذا تجاوز راس المال الاجنبى عن هدف تحقيق اكبر ربح ممكن ، فلا يمكن ان يكون هذا لوجه الله ، وانما يكون لان للشركة المعنية اهدافا اقتصادية وسياسية خفية ، او شروطا تمليها املاء وتضرب الاستقلال الاقتصادى فى الصميم . ولهذا فما دمنا حريصين على هذا الاستقلال ، فلا توجد الا مجالات محدودة للتعاون مع راس المال الاجنبى ، على اسس اقتصادية سليمة ، واهمها البترول وبعض الانشطة السياحية .

وعلى ذلك تتقديم الاستثمار الاجنبى كوسيلة للانقاذ من مشكلاتنا الراهنة ، جرى وراء وهم كبير من ناحية ، كما انه يمكن ان يمهد الطريق لفكرة التسليم بشروط وقيود لا نقبلها ، من ناحية اخرى .

اما **راس المال العربى** ، الذى كثر عنه الحديث مؤخرا ، فانه من المتعذر تماما ان يتدفق على مصر . فماذا يمكن ان يحمله على ذلك ؟ اهو الشعور الوطنى ؟ لا شك انه من التعسف الصاق صفة الوطنية التىتذهب الى حد التضحية بجزء من الربح بعدد من الامراء والشيوخ ووكلاء الاحتكارات العالمية . ان لبنان الذى تدم كل ما يتصور وما لا يتصور من تسهيلات ، يشكو الان من ان رؤوس الاموال العربية تفضل اليوم نيويورك ولندن وباريس وجنيف وروما على بيروت . واخيرا فان راس المال العربى المشار اليه لم يتم بنتيجة تذكر حيث هو متوافر ، ولا تصاحبه الخبرة الفنية التى يجعل منها البعض مبررا اساسيا لتشجيع راس المال الاجنبى .

٢ — الهجرة وكم تكلف الاقتصادالقومى

ويدعو نفس الانجاه الى هجرة المصريين الى الخارج ، بدعوة ان ما يرسله المهاجرون الى ذويهم ، يمكن ان يشكل بندا هاما من بنود الموارد غير المنظورة فى حساب المدفوعات الخارجية .

ويهمل اصحاب هذا الاتجاه ان كل مهندس او طبيب يغادر البلاد قد كلف الشعب حتى حصل على درجته العلمية (ناهيك عن خبرته العملية) آلاف الجنيهات ، وانه يمثل جزءا من راسمالنا القومى فى بلد اهم ثرواته هى الثروة البشرية ، وان هجرة عدد كبير من الفنيين ، لابد ان تنعكس فى شكل هبوط فى مستوى الانتاج والخدمات ، بل يمكن ان تنشا عنها حاجة ملحة لاستقدام خبرة اجنبية .. ودفع مقابلها بالعملة الصعبة .

ومن المعروف ان البلاد المستقبلة للمهاجرين ، تحرص على الا يفد اليها عمال غير فنيين ، او افراد ليسوا فى سن العمل او الانتاج .. بل ان علماء الاجتماع يقولون ان المهاجر عنصر يتصف فى العادة بالديناميكية والاقدام ، وان حرمان بلد من مثل هذه العناصر ، يمكن فى ذاته ان يكون عامل تخلف . ان المهاجرين الايرلنديين من انشط الناس فى الولايات المتحدة . ولكن الهجرة الواسعة قد تركت ايرلندا نفسها فى حالة ركود وتخلف اقتصادى نسبى .

ان العمالة الفائضة عندنا ، يمكن ان تصدر فى غير اشكال الهجرة . يمكن ان تصدر فى شكل عمل مجسد ، عن طريق اتفاقيات التصنيع

لحساب دول اخرى ، كما يمكن ان تصدر فى شكل تعاقد شركات مصرية على تنفيذ اعمال فى الخارج .
ولكن هجرة الفنيين مستحيلة ان تستمر موضعا للتشجيع الرسمى تزينها اجهزة الاعلام ، وتقدم لها الدولة التسهيلات ».

سادسا : « الاصـــلاح الاقتصـــادى » والتعبئـــة الاقتصـــادية يجب أن يقومـــا على اتجاهات اشـــتراكيـــة اســـاسـيـة

ان ظروف الحرب تفرض «التعبئة الاقتصادية» فرضا . وان الاختناقات والمشكلات والصـــعاب التى ظهرت منـــذ قبـــل حـــرب يونيو تجعـــل « الاصلاح الاقتصادى » واجبا . وهكذا نواجه فى الحقل الاقتصادى مهمة مزدوجة. ولكن ظروف الحرب ذاتها فرصة مواتية لتحقيق الاصـــــلاح المنشود فى جو من الحماسة والتعبئة الجماهيرية . والمهم هو ان يتم كل ذلك فى اطار الحفاظ على طريق التحول الاشتراكى لا الردة عنه .. ويتأتى هذا بمراعاة بعض الاتجـــاهات الاســـاسية عند معالجة العشرات من القضايا الجزئية والتفصيلية وفيما يلى ابرز تلك الاتجاهات (١) .

١ — ان التســـليم بضرورة التخطيط القومى الشامل يقتضى تحويل وزارة التخطيط الى جهاز مركزى مدعم بكل الكفاءات الاقتصـــادية والفنية اللازمة، مشبع بأهداف التحول الاشتراكى ، وان تلتقى فى قمته (لجنة التخطيط العليا) المسئولون الاقتصاديون والسياسيون فى اعلى مســـتوى ، وتكون لقراراتها اسبقية على قرارات الوزارات .

٢ — ان يعـــد جهـــــاز التخطيط المركزى استراتيجية واضـــحة للتنمية ، تحـــدد الاهداف والوسائل وآمال التنفيذ ، تكون موضع مناقشة مستفيضة فى كل المستويات ، ثم يقرها المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، لتصبح ملزمة لكافة الهيئات والاجهزة .

٣ — ان جهاز التخطيط المركزى لابد ان ينتقل من مرحلة تحديد الاهداف الاستثمارية ومتابعتها ، الى مرحلة تخطيط الانتاج والاستهلاك ، والقوى العاملة ، واقتراح السياسات الاجرية والسعرية وســـياسات الائتمـــان اللازمة لتحقيق اهداف الخطة .

٤ — ان جهاز التخطيط المركزى لابد أن يعتمد على دراسة علمية وتنبؤ طويل الاجل للتطورات الفنية والتكنولوجية ، وتطور الاقتصاد العالمى ، والموارد المحلية ، البشرية والمادية ، وامكانيات تطـــويرها ، وبمعنى آخـــر ، ان يتم التخطيط المتوسط الاجل والقصير الاجل ، فى اطار من خطة عامة طويلة الاجل ، تنبنى على اســـــــاس من الدراسة العلمية .

٥ — ان الخطط القصـــيرة الاجل ، لابد وان تأخذ الظروف الطارئة (ظروف العدوان مثلا) فى الحسبان ، وان تقترح بالتـــالى ما هو ضرورى من خطوات او سياسات ، لمواجهـــة مثل هـــذه الظروف الطارئة ، ولكن دون ان تفقد ارتباطها الدائم بالاهداف التى تتضـــمنها الخطط الطويلة الاجل ، التى يسعى المجتمع ســـعيا مســـتمرا لتحقيقها .

٦ — ان قضية توزيع الموارد النادرة بـــين النشـاطات المختلفة ، طبقا لاولويات واضـــحة ، لابد وان تلقى اهتماما اكبر من قبل جهاز التخطيط المركزى . ان ما يعوق كثـــيرا من الوحـــدات الانتاجية فى مصر ، هو عـــدم توفر مســـتلزمات الانتاج الضرورية ، والايدى العـــاملة المدربة ، وغير ذلك من الموارد الاساسية . وزيادة الاعتماد على السوق والاثمان والربح كمحددات لنشـــاط المشروعات الانتـــاجية غـــير قادر فى مثل هـــذه الظروف على حل العديد من المشاكل الاساسية التى تعانى منها الوحدات الانتاجية . ان تحديد اهداف محـــددة للانتاج ، لابد وان يرتبط بتوفير للموارد الضرورية لتحقيـــق هـــذه الاهـــداف فى الوحدات التى يعتبر نشاطها الانتاجى ذا اهمية بالنسبة للاقتصاد القومى .

٧ — ان توفـــير قدر من الحرية للوحـــدات الانتاجية لتتمكن من تجديد معداتها من مصادرها الذاتية ، واجراء بعض توسعات ، بالاعتماد على التمـــويل الذاتى ، يجب الا يتعـــارض مع تركيز القرارات الاستثمارية الاساسية فى يد الاجهزة المركزية للتخطيط ، وبالتـــالى تركيـــز الموارد الاســاسية اللازمة لتنفيذ هذه القرارات ، تحت يد اجهزة الدولة المركزية . ان تمويل عمليـــات التنمية الصناعية ، وبنـــاء الهيكل الاقتصـــادى الاساسى ، لم تزل تعتمد على التراكم الذى يتم فى قطاع الزراعة ، وعلى المستقطعات من الاجور فى شكل تأمينات اجتماعية وغيرها ، وعلى القروض الاجنبية . ومن ناحية اخرى ، فان عملية التنمية لم تزل تتطلب بناء وتوسيع صـــناعات جديدة .

(١) وهى اتجاهات عامة تحكم منهج الاصلاح ، وليست برنامجا له . وقد نشرت « الطليعة » فى عدد يوليو ١٩٦٨ [illegible] « الملف » الذى اعدته للمؤتمر القومى لهم نقاط برنامج اقتصادى شامل

ومن ثم فان الجزء الاكبر من القرارات الاستثمارية لابد وأن يبقى من اختصاص الاجهزة المركزية . ان الضريبة الموحدة على الارباح ، مع ترك الحرية للوحدات الانتاجية فى اســتخدام احتيــاطياتها ، يعنى اعطاء الحرية للوحــدات الانتــاجية التى تحصل على قــدر اكبر من الارباح ، على تمويل انواع النشاط الذى تمارســه . ان مثل هــذه السياسة قد تكون مناسبة بعد اتمام بناء الهيكل الصناعى الاساسى . أما فى المرحلة الحالية فقد تؤدى الى الحد من امكانية تنمية بعض القطاعات الرئيسية اللازمة لتحقيق اعلى معدل نمو فى الاجل الطويل .

٨ — ان الندرة النســبية للموارد بالنســبة للطلب عليها ، وضرورة تمويل قطاعات انتاجية جديدة . يحد من امكان الاعتمــاد على الربحية والمنافسة ، كأساس لقياس كفاية المشروعات الانتاجية ، وكعامل من عوامل الضغط ، من اجل تحقيق درجــة اعلى من الكفاية . ان قــدرة المشروعات الانتاجية على رفع الاسعار ، وتحقيق ارباح اعلى دون زيادة حقيقية فى الكفاية ، يتطلب من اجهزة التخطيط المركزية تحديد معايير واضحة للفعالية الاقتصادية للوحدات ، ترتبط بالاهداف المحددة لها ، ووضع هذه المعايير موضع التطبيق الفعلى . والربط بين تحقيق اهداف الوحــدات الانتاجية ، وبــين العــائد الذى يحصــل عليه العاملون والادارة فى المشروعات المختلفة .

وذلك يتطلب تدعيم اجهزة تقييم المشروعات ومتابعتها ، ويتطلب نظــاما واضــحا للحوافز ، يرتبط بالاهداف الاساسية للخطة .

٩ — ان الحساب الاقتصادى لنتائج عمــل المشروعات ، لايمكن ان يعتمد على الحســابات المالية وحدها . ولا يتم على اساس من الربحية على مســــتوى المشروع وحسب ، بل يتم على اساس من مدى نجاح المشروع فى تحقيق الاهداف المحددة له ، على ضوء الاهداف العامة للاقتصاد القومى . ان ذلك يتطلب توحيد انظمة الحسابات والتكاليف ، وربطها بالحســابات الاقتصــادية اللازمة للتخطيط القومى . ان الاعتمــــاد على الحسابات المالية وحدها ، على مستوى المشروع يعنى توجيه كل اهتمام المشروع للربح ، ولو على حساب الاهداف الاخرى التى تتطلبها الخطة .

١٠ — ان التخطيط المركزى ، يعنى الدراسة العلمية ، ولا يعنى المزيد من البيروقراطية . ولذلك فان الوحدات الاقتصادية لابد وان تتمتع بكافة السلطات اللازمة لتحقيق الاهداف المحددة له ، دون تدخــــل الاجهـــزة المركزية ، على ان تتم محاسبتها محاسبة دقيقة على ادائها . ويتطلب ذلك توفير جهاز فعـــال للمتــابعة والتقييم على مستوى المؤسسات ، وعلى المســتوى القومى العام ، يهتم بالدراسة الاقتصادية لنتائج عمل المشروعات ، وتتبع وتحليل العلاقات الاقتصادية الاساسية ، ويقترح التعديلات الضرورية لزيادة فعالية استخدام الموارد المتاحة ، والقضاء على الاختناقات المحتملة ، والتأكد من تحقيق الاهداف المحددة . ويمكن ان يغنى هذا الجهاز عن العدد الاكبر من اجهزة الرقابة الحالية .

١١ — ان التخطيط القومى الشامل ممارسة اجتماعية ، وليس مجرد عملية تكنيكية ، ولهــذا لابد من مشاركة الجماهير على اوسع نطاق فى اعداد الخطة ثم متابعة تنفيذها ، فتجرى مناقشة الاهداف العامة فى مختلف مســتويات الاتحــاد الاشتراكى . وتجرى مناقشة تفصيلية لخطة كل وحدة انتاجية بين العــاملين فيها ، ويقر مجلس الامة الخطة الشاملة فى شكلها الاخــير ، وبعد تعديلها على ضوء المناقشات المذكورة .

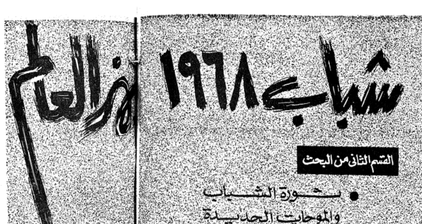
١٢ — ان حرية الوحدة الانتاجية ، لا ينبغى ان تــكون مجرد حرية لمديريهــا ، ولابد من تحقيق اوسع مشاركة من العاملين فى الادارة فى مستوى مجلس الادارة وفى « العنابر » و « الورش » وعن طريق الجمعية العمومية للعاملين .

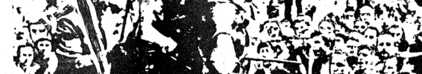
١٣ — ان الخ[illegible]

الرأســمالية الوطنية المجــالات التى ينبغى ان يستثمر فيها ، ويجب ان تعمل الاجهزة المختلفة على تيسير تنفيذ هــذا القطاع للمهــام الواردة بالخطة عن طريق توفير الائتمــان ومســتلزمات الانتاج وتسهيلات التسويق .

١٤ — ان قطاع الانتاج الصغير ، يمكن ان يتحمل عبئا اكبر فى تنفيذ الخطة ، ولذلك فان ثمة ضرورة قصوى لتنشيط التعاون الانتاجى ومده بالمساعدة الفنية وتيسير حصوله على الائتمــان ومستلزمات الانتاج ، وتســويق منتجاته ، مع حمايته من الاســتغلال الراســمالى والتدخــل البيروقراطى .

١٥ — ان الاقتصاد لا يعيش فى عالم بعيد عن السياسة ، وان افضــل الخطط الاقتصــادية يمكن ان تظل حبــرا على ورق ، ما لم تتبنــاها الجماهير ، وتضــع فى خدمتهــا كل طاقاتهــا ومبادراتهــا الخــلاقة . ومن ثم فان الاتحــاد الاشتراكى العربى مدعو لان يلعب دورا حاسما فى كل اجراءات التعبئة الاقتصادية والاصــلاح الاقتصادى ، كما ان القائمين على شئون الاقتصاد فى مختلف مستويات المسئولية لايمكن ان يقتنعوا بالخبرة التكنيكية والادارية ، بل لابد ان تتاح لهم فرصة تحصيل ثقافة اشتراكية عالية تتناسب مع قدراتهم الذهنية ، وتمكن كلا منهم من ان يتخــذ موقفا واضحا من الاهداف والمثل العليــا والقيم التى يتبناها الشعب العامل .





ننشر فى هذا العدد الجزء الثانى من بحث «شباب عام ١٩٦٨ يهز العالم» ، الذى قام به مجموعة من الكتاب معبرين عن رؤيتهم لقضايا ومشاكل الشباب المعاصرة ، وهو يشتمل على :

- الحركة فى الوطن العربى ومصر
- ثورة الشباب ، والموجات الفنية الجديدة .

وقد نشرت «الطليعة» فى عددها السابق ، الاجزاء الخمسة الاولى ، التى تناولت الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة ، ومنابع الهامها الفكرى والنضالى ، والحركة فى كل من العالم الرأسمالى والعالم الاشتراكى ، وفى امريكا اللاتينية .

وقد سبق ان اكدنا ان هذه الدراسة لا تعدو ان تكون تعبيرا عن وجهات نظر كاتبيها ، وهى دعوة للتفكير فى كل مشكلات عالم اليوم ، تلك المشكلات التى طرحها الجيل الجديد امام البشرية كلها ، بكل ما يتمتع به الجيل الجديد من جراة وحماس واخلاص ، واتجاهات متصارعة ايجابية وسلبية ، وبحث عن الطريق .

أشرف على الدراسة :

سعد زهران

أشترك فى اعداد هذه الدراسة :

- الرؤية الجديدة للكون الكبير — مصطفى ابراهيم مصطفى
- الغاضبون على الشاشة الجديدة — سمير فريد
- الموجة الجديدة وصراع الأجيال — غالى شكرى
- شهادات



يعرض هذا البحث وجهة نظر الشباب الجديد فى الحركات الفنية الجديدة ، من موسيقى وفنون تشكيلية ورواية جديدة .

الرؤيــة الجديــدة للــكون الكـبير

نظرة عامة

ليست حركات احتجاج الشباب بالشىء الجديد على عالمنا الحديث . فمنذ ظهور البرجوازية فى القرن الســابع عشر وصعــودها الى السلطة وسيطرتها على المجتمع فى القرن الثامن عشر ، وحركات الشباب سلسلة لا تنقطع ، مع فارق بسيط ، هو ان ما حدث فى القرنين الماضيين كان لا يتناسب مع النمو الاقتصادى الضخم . كانت حركات الاحتجاج تذوب دائما فى المد الاقتصادى والفكرى والاجتماعى .. او كان المجتمع من القوة بحيث يستطيع أن يبتلع ويهضم اى جسم غريب عليه . ذلك أن هذه الحركات كانت تفتقد الى التنظيم . كانت روحــا جماعية لا تجد الجسم الضخم الذى تحركه . ولعل أبرز ثورة قام بها الشباب ، وخرجت عن نطاق الفكر الى مهاجمة النظام القائم ذاته ، الامر الذى استدعى مصادرتها فى كثير من الاحيان ، هى تلك التى قام بها **كتاب الانسيكلوبيديا** وعلى رأســهم « **ديدرو** » و « **دولباخ** » ولم تكن مهاجمتهم للنظام كتلك التى عرفناها عند « **جان جاك روسو** » . كانوا اكثر خطرا على الامن ، ولذا عوملوا بالمصادرة والاعتقال .

ورغم أن هذه الكتابات كانت تمثل تقريبا الاراء الشابة فى ذلك الوقت ، وتجعل من نفسها مركزا لكل مناهض للفكر التقليدى ومؤســساته ، الا أنها لم تكن تتعدى اطار احتجاج المثقفين ، ذلك الذى لم تكن المؤسسات السياسية لتعبأ به او تلتفت اليه . وهكذا حتى ذلك الوقت ظل فكر الشباب نوعا من حركات النشاز التى سرعان ما كان يحتويها المجتمع ويقننها . ذلك لان هذه الحركات الفكرية

نفسها كثيرا ما كانت تلجأ الى المصالحة فى نهاية الامر ، او كثيرا ما كان الفكر التقليدى يجد فيها ما يفيده فيستخدمها لصالحه تماما كما حدث فى الثوره الفرنسية عندما خلقت من الفكر الحر متاريس تختفى من ورائها وهى تقصف قلعة الباستيل وتحطمها . وكانت هذه هى بداية الشعور بالخذلان ، النواة التى نمت فى نفوس أول الرافضين ، ونعنى الرومانسيين (على سبيل المثال الرواية الذاتية لالفريد دى موسيه والمعروفة باسم «اعتراف طفل من هذا العصر » . La Gonfessior d'un enfantdu Siecle

كان يمكن لهذا الفكر الشاب ان يتحول الى حركات جموع . ولكن جيوش نابليون كانت قد خلقت من نفسها أسطوره مهينلها الذبول الا بعد هزيمة « واترلو » ، وكان هذا هو الخذلان الثانى الذى منى به الشباب فى القرن التاسع عشر . وهكذا لم يكن امام « جوليان سوريل » (بطل رواية الاحمر والاسود لستندال) الا أن يكون أفاقا منافقا يسعى لتحقيق مطامعه ولينتهى به الامر الى انتظار الحكم بالاعدام . فقد وقع بين الاسود (رمز القيم الدينية والشرف) والاحمر (رمز القوة والسلاح) .

اذن لم يكن هناك غير طريق واحد : رفض دخول هذه اللعبه ، مع ادانتها فى نفس الوقت . وهكذا اتخذ الاحتجاج على الفكر التقليدى ومؤسساته شكلا اكثر وضوحا مع « شارل بودلير» ، و «آرتور رامبو » و « جيرار دى نيرفال » . « وما دمت قد ولدت بخطيئة أولى وعشت منبوذا ، فلاذهب الى آخر حدود اللعنة» كما قال « بودلير » .

وهكذا غلف الكتاب الشبان سخطهم بالجنون وتعاطى المخدرات - وما يعرف بمذهب «الداندية» ولقد افضى هذا الطريق بالكتاب الشبان الى الموت انتحارا . شنق جيرار دى نيرفال نفسه على ناصية مسكنه ، ومات رامبو مجهولا فى صحراء عدن . واختفى كونت دى لوتريامون دون ان ندرى كيف مات . ودون ان ندرى حتى من هو بالضبط ، اللهم الا تلك الاوراق التى خلفها لنا احد أصدقائه وبعض المجلات الاقليمية . ولقد سارع المحافظون بتابينهم وباقامه التماثيل فى الميادين تخليدا لذكراهم ، ولوث الكاثوليكية اشعار بودلير لتثبت انه كاثوليكى ، ولتثبت ايضا كيف أن الانسان يعيش تعيسا اذا تخلى الله عنه . وهكذا مرة أخرى يبتلع الفكر المحافظ طلائع التقدميين الشبان .

غير ان هذه الخدعه لم تكن لتجوز مره ثالثة على شباب بداية هذا القرن . كانوا قد ادركوا تماما ان الكلمات لا تصنع الحروب ولا تهدم بنيان مجتمع قائم ، فتحولوا الى محاربة الفكر والكتابة وكل الادوات التى كانوا يشرعونها فى وجه المجتمع القديم ، فيحولها هذا بدوره الى صدورهم . وهكذا نشأت الداديه . بعض الشبان وجدوا انفسهم مصادفة معزولين فى سويسرا فى أثناء الحرب الاولى ، وكان من بينهم شاب طموح اسمه « فلاديمير لنين » ، وآخر أسمه « البرت أينشتين » وثالث أسمه «تريستان زارا » . وسرعان ما انضم اليهم فور عودته من الحرب «غليوم ابولينر» وكانت سويسرا فى ذلك الوقت مركزا لتجميع كل الشباب ، المان وفرنسيين ، ممن رفضوا الاشتراك فى الحرب . لم تكن هذه الحركة تهدف الى نظام محدد مسبقا - اذا استثنينا لينين - كما لم تكن تهدف الى أكثر من الاحتجاج ، على كل المؤسسات الفكرية التى افضت الى الحرب . ورغم ان النقاد والمؤرخين قد وضعوها فى عداد الحركات الادبية والفنية ، الا انها كانت ترفض تماما هذا التحديد ، وتعلن انها لن تهدف الى اكثر من التدمير ، وذلك من خلال اثارة سخط الراى العام بواسطة العروض المسرحية او الكتابات المغرقة فى الفوضى والغموض .

وفى نفس الوقت كان فى فرنسا شبان لايتجاوزون العشرين او الخامسة والعشرين يفكرون بنفس الطريقة ، وكان من بينهم اندريه بريتون ، ولويس أراجون ، ومكسيم دى شامب ، وبول ايلوار وغيرهم . كانوا يفتقدون الى شكل محدد يجمعهم فى احتجاجهم فوجدوا فى الدادية الاطار الذى يحتاجونه . وهكذا خرجت المدرسة الى الوجود التى عرفت باسم « السيريالية » . كان تعريف السيريالية فى ذلك الوقت هو ان « تمسك بمسدس فى يدك وتخرج الى الشارع لتطلق النار على كل من تصادفه » واتخذ هجوم الشباب على الفكر التقليدى شكلا اكثر وضوحا بادانة أناتول فرانس وبول كلوديل ، وكل حماة الاكاديمية الفرنسية . وحتى ذلك الوقت لم تتعرض البرجوازية لهذه الهجمات بقليل او كثير ، وادخلتها فى اطار ممارسة حرية الراى . ذلك ان الامر لم يكن قد خرج بعد الى ابعد من حدود المعارك القلمية . ولكن عندما تحول « السيرياليون » الى المهاجمة الفعلية ، رأت السلطات ان لابد من السجن والاعتقال . وهكذا حكم على « أراجون » بالسجن لانه سرق اناء من كنيسة (ولم يكن هذا بالنسبة له اكثر من فعل سيريالى) . وحكم بالسجن على مكسيم دى شامب لانه أهان احد الجنرالات ، وهكذا اطلق على هؤلاء الشبان اسم « مثيرى الشغب السيرياليين : Surrealistes Provocanteurs اما من داخل الجماعة السيريالية نفسها ، فقد كانت الحيرة تمزقها . ذلك انها كانت تدرك تماما ان كل هذه المشاغبات لن تؤدى الى قلب النظام ، وكان لابد من القيام بعمل منظم . وهكذا انضمت جماعة من السيرياليين الى الحزب الشيوعى ، وكانت تلك نهايتها .

في نفس هذا الوقت، اي في نهاية الثلاثينات كان هناك مفكر شاب يعمل بتدريس الفلسفة في احدى المدارس الثانوية ، وكان قد نشر كتابا اسمه (**الخيال**) كانت افكاره استمرارا فلسفيا لتلك الحركات التي قام بها الشباب في بداية هذا القرن، ولم تكد الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى كان قد اتم كتابه الضخم ((**الوجود والعدم**)) . وكان ((**سارتر**)) قد ثار على الكارتزيانية الفرنسية والبرجسونية ، وخرج يقلب في الفكر الالماني ليخرج باطار كامل لفكرة الوجودية . وكانت هزيمة فرنسا في الحرب الثانية دافعا قويا لان يعيد المفكر ، رجعيا كان أو تقدميا ، البحث في ذاته ، ومن هنا تراخت قبضة الفكر المحافظ على طلائع الشباب ليتقدم هؤلاء بايقاع اسرع من ايقاع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. كانت الحرب التي الزمت المفكرين والفنانين بيوتهم قد هيأت لهم فرصة اعادة النظر في كل شيء . وفي كتاب ((**المثقفون**)) ((**لسيمون دي بوفوار**)) نتصور ((**البيركامي**)) مفكرا شابا لم يجد طريقه بعد ، يقف هو وزملاؤه بكثير من التشكك في مواجهة الاتحاد السوفيتي ونظمه . كانت تجربة الحرب وسقوط باريس قد تمثلت لديه في الشك في فاعلية الحزب الشيوعي في فرنسا . وهكذا بعد ان كانت هناك مجموعات من الشباب تؤمن بضرورة النظام وبفاعلية الاتحاد السوفيتي في انقاذ العالم الحر من النازية . اكتشفت بعض هذه المجموعات الشابة الخذلان مرة اخرى . وهكذا بدأت فكرة الغربة واحساس الكاتب بعبث العالم الذي يحيط به . ولكن اذا كان هؤلاء المفكرون الشبان قد افلحوا في تدمير قلاع الفكر القديم فانهم لم يفلحوا في خلق الاسطورة التي يؤمن بها الشباب الذي سياتي من بعدهم . لقد افلحت وجودية سارتر في تمكين الانسان من ان يعيد بحث موقفه وضرورة التزامه بشيء ما ، ولكنها لم تقل له يلتزم بماذا ؟ . هذا بالاضافة الى ان فكرة البحث عن موقف الانسان من الوجود قد دفعت به الى تمركز اكثر في الذات، الامر الذي كان يمكن ان يؤدي الى العودة الى الفكر الكاثوليكي الذي تمثل في كاتب مثل **جاك ماريتان** . ان **كامي وسارتر** لم ياتيا للشباب بأفكار جديدة تصلح لبناء مجتمع جديد ، أو قل ان التطور المذهل للعلم والصناعة واثرهما على البناء الاجتماعي كان اسرع من ان يوضع في اطار قديم . وهكذا وجد كتاب الرواية الجديدة ان اسلم قاعدة يستند اليها الكاتب هي الواقع كما هو، اي الواقع بلا اسقاطات طبقية كما فعل **بلزاك** ، وبلا علاقات عبثية ، كما فعل **كامي** . وهكذا وجد ((**روب — جرييه**)) ان المكان هو الذي يجب أن يكون البطل في الرواية . بمعنى آخر لم يعد الكاتب يؤمن بانه خالق بمعنى القرن التاسع عشر ، وانما هو جزء من الوجود كباقي جزئياته . اصبح الشباب لايؤمن بالكلمات وانما يؤمن بالاحداث والافعال .

لقد خلق مجتمع الصناعة ما يعرف الآن بالفكر الجماعي وبالفرد المرقم ، بمعنى ان احتياجه للكتل البشرية الضخمة قد خلق الفرصة لحركات الجموع، ان المدن الجامعية الضخمة ، والمستعمرات الصناعية ، والمساكن الشعبية ، والنوادي ، قد اتاحت الفرصة لان تفكر جموع الشباب بعقلية واحدة ، وتدفعه للاحتجاج على هذا النظام الذي يجعل منه ترسا صغيرا في آلة ضخمة ، واصبح التظاهر سمة مميزة للمجتمع الصناعي . وهكذا يأتي الاحتجاج باداة من نفس الادوات التي خلقها هذا المجتمع . لقد استلزم الامر مائتى عام ليكتشف الشباب نفس اداة الحرب التي وجهت الى صدره ، وحتى يعيدها الى صدر المجتمع القائم .

واخيرا اصبح من حق علماء الاجتماع ان يطلقوا اسم ((**سلطة الطلبة**)) على الحركات التي انبثقت من كل جامعات العالم تحتج على كل النظم الثابتة التقليدية .

يقولون ان الجامعة هي عقل الامة ، وقد اراد الطلبة أن يجعلوا من الجامعة منارا لراديكالية ثورية جديدة لا قلعة للفكر التقليدي . ويأتي هذا المطلب في وقت لا تحتاج فيه الجامعة للعودة الى تقاليد الحرية الجامعية فحسب — فالمعروف ان السربون على سبيل المثال قامت بأول ثورة في القرن السادس عشر — بل انه يأتي في ظروف اجتماعية تقتضي تغيير فكرة الجامعة نفسها ، ان ازدياد عدد الجامعيين المطرد جعل من الجامعة شيئا اشبه بمدرسة كبيرة لا حلقات جدل وبحث ومناقشة ، بحيث اصبح الطالب مجرد وعاء يتلقى بعض المعلومات التي تؤهله للدخول في عجلة المجتمع المحافظ . اصبح هذا الشكل في التدريس غير مناسب من وجهة نظر التطور العلمي ، وبالتالي التكنولوجي . ان المصانع الضخمة اليوم تمنح للمهندس او الكيميائي فرصة البحث والدراسة اكثر مما تمنحها الجامعة . وفي فرنسا وانجلترا حدثت في السنوات الاخيرة حرب تعرف ((**بحرب العلماء**)) تلك التي قامت بها الولايات المتحدة مستهدفة اصطياد كل الامكانيات الشابة الخلاقة لترحيلها الى امريكا والاستفادة منها وذلك من خلال منحها المعامل الخاصة والامكانيات الضخمة . هناك اذن فصام بين مناهج التدريس بالجامعة وبين احتياجات المجتمع . ذلك ان التطور العلمي والتكنولوجي وتاثيره على المجتمع اصبح اكثر سرعة في ايقاعه من ايقاع التربية الاكاديمية .

تأتي بعد ذلك الحلقة الثانية في سلسلة التطور هذه : لقد اصبح الكم العلمي الذي يتلقاه الطالب في سن صغيرة من الضخامة بحيث اصبح ادراك الشاب لكثير من الحقائق يأتي في وقت مبكر جدا، الامر الذي يخلق هوة سحيقة بين الجيل الشاب

(٢٠ — ٢٥ سنة) وبين الجيل السابق عليه مباشرة (٣٠ — ٣٥ سنة) والاجيال الاكبر سنا بشكل عام . ولو عرفنا ان الذى يحكم فرنسا الان هو الجيل الذى اشترك فى الحرب العالمية الثانية ، وان الجيل الذى اعلن الاحتجاج فى فرنسا هو جيل لم يشهد الحرب لاستطعنا ان نتصور بشكل اوضح طبيعة الهوة الفكرية والاخلاقية التى تفصل بين الجيلين . فعلى سبيل المثال ينادى الديجوليون بفكرة أوربا الموحدة وعلى رأسها فرنسا ، بينما يطالب الشباب بأوربا أمة واحدة فقط . الديجوليون يستغلون صراع القوى الكبرى فى العالم ليخلقوا من اوربا قوة ثالثة . والشباب ينكر كل القوى ويعادى النفوذ. ويريد عالما بلا حرب ، الديجوليون يريدون قنبلتهم الهيدروجينية ، والشباب يرفض فكرة الدخول الى نادى القوى الذرية . هذا بالنسبة لفرنسا . فاذا ما انتقلنا الى المانيا الغربية وجدنا نفس الهوة التى تفصل بين جيل ما بعد الحرب ، اى جيل دوتشكى وبيتربراندت (ابن ويلى براندت وزير الخارجية الحالى) وجيل ايرهارد واديناور . ان هذا الجيل الثانى قد عاش كارثة الهتلرية بكامل حذافيرها وساهم فى اعادة بناء المانيا المهزومة ،ويرغب ويتمسك بالمانيا على وضعها القائم اى المانيا ذات القوة الاقتصادية والعسكرية وهو لا يفهم ما الذى يدفع هؤلاء الشبان الى السخط والاحتجاج ،وقد وفر لهم رغد الحياة وسبل التعليم ولو على حساب التبعية للنفوذ الامريكى .

اما الجيل الجديد جيل دوتشكى فهو يرفض المانيا ومجتمعها الاستهلاكى الذى عبر عنه فردريش دورينمات فى مسرحية « زيارة السيدة العجوز » ، هذه السيدة الثرية التى باعت للقرية الثراء فى مقابل ان يتخلى اهل القرية عن كرامتهم . ان الجيل الجديد فى المانيا يرفض كل القيم القديمة ويحمل الحكام مسئولية ما حدث قبل واثناء الحرب العالمية الثانية .

■■■

الموسيقى

نغمات العصر الجديد

ان اسباب الاحتجاج فى بلد كفرنسا قد تختلف عنها فى المانيا الغربية من ناحية او تشيكوسلوفاكيا او بولندا من ناحية اخرى . ولكن يمكن اجمالها تحت عنوان واحد هو المطالبة بالحريات الديمقراطية وبقيمة الفرد . لقد ثار الطلبة فى البلاد الاوربية الشرقية مطالبين بتنحية الستالينية . ولا شك أن الدوافع للثورة فى كل من المعسكرين تختلف جذريا ولكننا نستطيع بنظرة اعم واشمل، نظرة تعتمد على تطور العلم والتكنولوجيا فى العالم ، نستطيع ان نتبين اوجه شبه مذهلة حقا بين اسباب الاحتجاج والثورة فى كل من المعسكرين :

ان المجتمع الصناعى فى المعسكر الغربى الراسمالى قد استطاع ان يعقم العقلية النقدية لدى الشباب، وذلك من خلال ادخال الفرد فى عجلة الاستهلاك الضخمة . لقد استطاع بفضل الوسائل الاعلامية ان يحول مجرد رؤية الشىء الى الرغبة فى امتلاكه ، واصبح من السهل جدا ترويج اى فكرة او اى بدعة . وقد عرف هذا المجتمع التقليدى كيف ان الشباب يحتاج دائما الى مثال او معبود او خرافة . وهكذا خلق لهم **الفيس بريسلى** والخنافس وغيرهم ، اى كل هؤلاء الذين يعرفون بمنتجى العرض التجارى الضخم . اصبحت الاسطوانة سلعة استهلاكية ضرورية لكل فتى وفتاة، واصبحت تارة ضخمة تدر الملايين، وصار نجوم الغناء والموسيقى المجنونة العنيفة اشبه بقطعة من الاسفنج تمتص كل طاقات التفكير .

ولكن السنوات الاخيرة (٦٦ — ١٩٦٧) شهدت ظهور مغنيين شبان هزوا ضمير الشباب بكلماتهم وموسيقاهم ،فى امريكا مثلا ظهر **«بوب ديلان»** وهو مغن لا يتجاوز الثانية والعشرين ، عاش معظم عمره على أرصفة الشوارع لا يهدف لكسب مادى أو لشهرة ، انما يريد ان يسمع كلمته لابناء جيله . يقول فى احدى اغانيه :

« ايها الآباء والامهات فى كل انحاء العالم »
« كفي نقــدا »
« فانتم لا تفهمون »
« أطفالكم لم يعودوا الان تحت سلطتكم »
« لقد بليت الارض »
« على طرقكم القديمة »
« الامواج تصعد عاليا »
« كونوا بعيدى النظر »
« الامواج ستغرقكم »
« فالعالم والزمن يتغيران »

هناك ايضا **جوان بيز** ، وهي من اصل مكسيكي عاشت فى نيويورك تعانى من التفرقة العنصرية ... وعندما كبرت وأصبحت مغنية معروفة صارت تعلن « **ان السكوت على ما يحدث فى العالم هو وقوف فى صف كل انواع الظلم والقهر** » ... تقول ايضا « **انى اعتقد اننا يجب ان نبادر الى المساهمة فى انهاء الحـرب الفيتنامية ذلك أن المعتدين هم نحن الامريكيين** » .

كل هـؤلاء المغنين يعـرفون برواد « **اغنيـة الاحتجاج** » Protest Song وهم ينتمون الى فئات الشباب المعروفة باسم « **البيتنك** » . وهم فتيان يطلقون لحاهم ويرسلون شعورهم (كمظاهر احتجاج على المدنية الحالية) . وبين الفينة والاخرى يحتلون ميدانا عاما ليوقفوا حركة المرور او ليثيروا السخط العـام .

ولكن سرعان ما ادرك الشباب فى امريكا أن هذه الاحتجاجات لا تفضى الى نتائج ايجابية . ادرك الكثيرون منهم استحالة التغيير أو حتى الحياة بشكل سلبى داخل هذا الاطار الحضارى، ففضلوا الانسحاب تماما . انسحبوا الى الغابات فتيـانا وفتيـات ليخلقوا مجتمعـا يدين بمختلف الاديان الشرقية ويؤمن بالملكية على الشيوع . وعرفت هذه الحركة باسم « **الهيبيز** » .

وقد شهدت اوربا فى العامين الاخيرين حركة شباب انطلقت من **بلجيكا** وعرفت باسم «**بروفوس**» وهى اختصار لكلمة : الشغب . وقد قامت هـذه الحركة احتجاجا على حكم المحافظين فى بلجيـكا واستطاعت ان تمثل نفسها بعضوين فى مجلس بلدية بروكسل .

ان كل هذه الظـاهرات (الجامعة ـ النشاط الفنى ـ المظاهرات) ظهرت فى أوربا نتيجة احداث واضحة المعالم . بمعنى ان كل فعـل تقوم به البرجوازية المحافظة قد قوبل برد فعل معاكس من الشـباب . ان محاولة البلبلة من خـلال خلق مناهج تدريس محافظة ، ومن خلال دفع الشباب الى عجلة الاستهلاك عن طريق وسائل الترفيـه (الموسيقى ـ الرحلات .. الخ) قد دفع الشباب الى الاحتجاج بنفس الوسائل التى استخدمهـا المجتمع المحافظ . وذلك للمطالبة بحرية وجود وطريقة حياة الفـرد . اذن ، اذا كان المجتمع الصناعى قد حاول تجميد الفكر النقـدى لدى الشباب فانه قد وجد نفسه حبيس نفس الاساليب التى اخترعها للقمع .

اما فى مجتمعات المعسكر الاشتراكى فقد حدثت نفس النتيجة وان كان الطريق اليها قد اختلف تماما، فبالاضافة الى القيود التى يفرضها التصنيع على الفـرد كان هنـاك مرض الستـالينية وسلطة البيروقراطية الحزبية ، وهى السلطة التى دفعت الشـباب بسبب طابعها المحـافظ الجامـد الى الاحتجاج والمطالبة بتغيير اساليب الحكم بشـكل ابسط . كان شكل السيطرة على الشباب اقـل خديعة منه فى المجتمعات الغربية وان اتسم بنفس العنف اذا دعت الضرورة لذلك .

لقد اصبحت الاشكال السياسية فى كلا المعسكرين موضع نقد من الشباب بالشكل الذى يدفعه فى الشرق الى المطالبة بالديمقراطيـة الاشتراكيـة الحقيقية ، وبشكل يدفعه فى دول الغـرب الى المطالبة بشىء من الاشتراكية . وهو فى كل هـذا انما يطلب الابقاء على انسانيته وحقه فى الخلق والابتكار ، وربما كان هذا هو الذى يفسر تلك الشعارات التى دفعها الشباب فى اوربا .

العودة للبطولة

لقد دفع الشـباب فى المظاهرات الاخيرة فى فرنسـا واوربا الرأسمالية بشكل عام صـور « **شى جيفارا** » و «**هوشى منه**» و «**ماوتسى تونج**» و « **رجيس دوبريه** » ، واذا كان الخيط العـام الذى يربط بين كل هؤلاء الزعماء هو اليسارية ، فان الشباب الاوربى يؤمن اكثر بصورهم كأمثلة للنضال والكفاح ، وليس كمعبرين عن ايديولوجية اليسار . انهم ابطال قاوموا كل اشكال القهـر والاستبداد وانتصروا عليها . ولكن هذا لا ينفى بالطبع ميلهم لهم كيساريين . هم يمثلون الشباب ابطال العصر الحديث ، وان كان الشباب لايستمد منهم فكره اليسارى بقدر ما يستمده من علمـاء الاجتماع والاقتصاد الحديثين مثـل « **هـربرت ماركيوس** » الذى حل فى ميدان الايديولوجية محل « **سارتر** » واقطاب الفكر الوجودى اليسارى ، ذلك ان الفكر الوجودى فى نهاية الامر قد استخدم بشكل يسىء الى قضية الانسان عموما ويدفعه الى نوع من الفكر النظرى الذاتى الذى لا ينتهى الى الالتزام بالجماعة الا بصعوبة . ان الفكر الوجودى كان أشبه بمتاهة لم يجد فيها الشباب الطريق الذى يسلكه للخروج منها . لذلك فان مفـكر

كرجيبس دوبريه قد أثار اعجاب الشباب لانه في نظرهم الانسان الذى استطاع ان يربط الفكر بالعمل . كذلك نفس الامر بالنسبة لهربرت ماركيوس . لقد استطاع هذا المفكر الالماني — في نظرهم — ان يخلق بكتابه « **الكون ذو البعد الواحد** » ، بعدا كافيا، وصفه بعض قادةحركات الشباب انه : « استطاع ان يجعلهم يدركون طبيعة العجلة التي يدورون فيها وبالتالي رفضها » . ويرى ماركيوس انه من بين الطبقات في أي مجتمع صناعي ليس هناك سوى الطلبة الذين يستطيعون التمتع بهذا البعد . ذلك انهم ليسوا منغمسين تماما في العجلة الاقتصادية التي يفرضها المجتمع عليهم . وماركيوس يرى ان العمال ، بسبب مستوى الحياة الذي يعيشونه الان في الغرب ، لا يستطيعون القيام بالثورة — وهو في هذا يتفق تماما مع ريمون آرون . ويرى ان الثورة القادمة ستكون اولا وليدة المثقفين الذين ينتمون الى البرجوازية الصغيرة . وعندما يقول مثقفين فهو لا يعني بالذات كتاب الادب بقدر ما يعني كل هؤلاء الذين يخرجون من دائرة اهتماماتهم الصغيرة لينظروا في العالم الذى يحيط بهم .

اما المثقفون اصحاب الاقلام فقد اصبح دورهم أقل أهمية مما كان عليه أيام سارتر وكامي وغيرهما .. ان كتاب اليوم أو كتاب الادب بالذات يعيشون على هامش الثورات . ذلك ان حركة الجموع وفكر الجموع اصبحا اكثر أهمية من الاديب . ان جموع الشباب اليوم لا تستقي فكرها من خطباء مفوهين مثل ميرابو او من اقلام مسنونة مثل سارتر او كامي .

واذا كان كتاب الرواية اليوم مثلا يعكسون صورة المجتمع الحالي فانهم لا يسهمون بشكل فعال في بناء المجتمع الحديث . وليس هذا خطأهم وانما هو عصر التخصصات .

■■■

الرواية

مابعد كامي وروب جرييه

أغرب ما في كتاب جيل ما بعد الرواية الجديدة (٢٧ سنة عمومنا) انهم أو بالاحرى شخصياتهم ، مندهشون لوجودهم في هذا العالم وانهم يعيشون ، ويريدون الحياة على الهامش، أو على هامش ما اسماه **بروست « الابعاد الضخمة للظواهر الاجتماعية »** . انهم يعيشون على هامش الهامش . ومع ذلك فهم لا يشعرون بالغربة في مواجهة العالم ولا يريدون الهروب منه . هم فقط يتراجعون ليروا اكثر .

ومع ذلك فمصدر دهشتهم هذه لا يثير الدهشة، فهم قد عاشوا على الاقل عشرين عاما وسط تراجيكوميديات غريبة (الستالينية — معركة خليج الخنازير — منظمات الـ O.A.S. — فيتنام — التفرقة العنصرية) . ان واحدا منهم يحكي في رواية له قصة ميلاده : كانت الام تجري وسط قصف قنابل الطائرات تبحث عن مكان تلد فيه دون أن تموت . ان التباين بين هاتين اللحظتين قد يشرح احساسهم بالدهشة امام الوجود . ان الوجود في نظرهم ليس شيئا صعبا ولكنه غريب .

يقول **سافينياك (٢٢ سنة)** في روايته **(العازل)**: **« بالتأكيد كل شيء هنا يدعونا لان نتذكر ان ليس لنا سوى حياة واحدة .. هذه هي رائحة الوجود، ولكني ادهش دائما بل اتعجب في هذه اللحظات .. أن احذر .. احذر ماذا ؟ . الانسان لا يستطيع ان ينفق حياته في ان يحذر من كل شيء وخاصة من حياته .. واذن فما العمل ؟ »**

لم يعد بامكانهم ان يكونوا « بروست » فحتى يكون المرء بروست جديد فعليه ان يشعر بالانبهار في مواجهة العالم . أما سارتر فلم يعد ممكنا . فحتى يكون المرء « سارتر » فعليه ان يؤمن بوجود ما هو واقع . ان شباب الكتاب اليوم ، يعرف ان الواقع لغة وان الادب يتكون من كلمات . وهم يكررون عليه هذا دائما ولكنه يبدو وكأنه اكتشف هذه الحقيقة وحده .

انهم لا يهتمون بحل مشكلة الوجود بواسطة الرومانسية أو بواسطة العبث ، لقد كانت الذاتية فيما مضى تستطيع ان تحلل الاشياء والكائنات وتعطيها بالتالي دلالات . أما اليوم فان هذه الذاتية تنزلق على سطح العالم الاملس . بل هناك ما

هو اكثر،لقد فهم الكاتب الشاب معنى ((**اللامعنى**)). اما بالنسبة للالتزام فهم يعتبرون انفسهم أكثر ذكاء من محاولة اعطاء معنى للحياة. انهم يحاولون اكتشاف معناها . كتب **ريمون بلليور** فى روايته ((**موعد فى كوبنهاجن**)) : ((**ما كان يمكن أن يمزقه فجأة هو فكرة انها ربما قد كونت عنه او عن نفسها فكرة ما ..**)) ويقف **ايف فيكو** على النقيض التام من عملية البحث فى الذات التى قام بهـا **روكنتان** بطل « الغرف » لسارتر فيقول : ((**انى فى الثلاثين وليس هـذا بخطئى .. انى انـكر وجودى الحاضر**)) . هؤلاء الكتاب لم يعيشـوا قصة تتسم بالتفرد . يقول **جان كلود هيميرى** فى روايته ((**سجل حياة**)) : ((**لقد ولدت فى قطار ، فى الثلج ، على الشاطىء ، فى مقهى على مقربة من موقد بوتاجاز ، فى سينما اثناء عرض فيلم أبله ، فى ممرات تفوح منها رائحة البول بمصحة عقلية ، فى المقابر ، فى السرير**)) .

ان العالم والافكار والمشاعر كل هذا قد انتهى باكثر مما ينبغى ، كل شيء دقيق جدا . كل شيء معروف جدا . لم يعد هناك نبت جديد . وكان عشرين قرنا قد مرت منذ ظهور الغرف لسارتر .

ولكن اذا كان هؤلاء الكتاب الشبان يواجهون بعدم الاكتراث تكوينات **ميشيل بوتور ، او ناتالى ساروت ، او روب جرييه** فانهم يدينون لهم على الاقل برفض الكتابة التشبيهية وبالدقة باللا انسانية .

لقد انمحى الفرد تماما من رواية مابعد الرواية الجديدة . لقد اصبحت العلوم الانسانية شخصية رئيسية فى الرواية . ففى رواية ((**الكتاب المقسم**)) ((**لبيـيـر روتنبـرج**)) نجـــد أن الشخصية الرئيسية اسمها البناء La Structure وهى شخصية تمثل كل السمات التى اعطاها لها كارل ماركس وليفى شتروس : انها بنـاء قابل للتدمير ، او مجموعة من العناصر يمكن ان تنفجر .. ان بيير روتنبرج يتصور فى روايته هذه موقفا ويراه يتفكك ويتحلل فيعيد تركيبه ، ويمسك بكل الصور التى تتعلق به . بعبارة أخرى ان الذى يهم الروائى الان هو الحركة الروائية فى حالة مجردة

انها حالة اشبه بتأمل اوركسترالى لعنـاصر قصة . وفى بعض الاحيان يعطى المؤلف هـذه العناصر فى حالتها الطبيعية وفى احيان اخرى يعيد تركيبها امام القارىء

■■■

فنون تشكيلية

شكل جديد ومضمون جديد

فى العام الماضى قدم فنان لا يتجاوز الخامسة والعشرين واسمه ((**دانيل بوموريل**)) شجرة فى أصيص الى صالون مايو على انها عمل فنى . وقد مثل بهذه الفضيحة سوء التفاهم الجذرى بين هؤلاء الفنانين الذين لايهتمون بالخلق .. خلق اعمال فنية تدوم على مدى التاريخ ، وبين هؤلاء الذين يحتفظون بامتياز انهم خالقون . ان الفن كما يقول بوموريل هو **فعل** . يقول : ((**اريد فقط ان امسك بلحظات سريعة فى الحياة المادية المباشرة . ان تنمية وتنقيح اى عمل فنى بالنسبة لى حركة عقيمة قديمة يرفضها المجتمع الحالى بشدة**)) .

ولكن عالم التشكيل عند الفنانين الشبان لايقف فقط عند مذهب الشيئية او التدميرية . ان الفنان التشكيلى يقف ايضا فى مواجهة عام ٢٠٠١ ويحاول ان يسبقنا الى هناك . ولهذا فهو يتطلع الى سمات فى الكون الكبير بشيء من الانبهار ويحاول استخدامها

فى عمله على سبيل المثال حـالة انعـدام الوزن والعلاقات بين حركات الكواكب والانسان الالى الذى يحل المعادلات الكونية . ويسافر الى القمر ليستكشف لنا الطريق .. كل هذا يترجمه الفنان الان الى ما يعرف فى الفن **بالمتحـركات الفنيـة** وهى اعمـــال لا تشـــخيصيــة لا يقـــوم بتنفيذها فنان واحد ، بل عدة فنانين . (وهـذا ايضا مظهر من مظاهر فكرة تدمير الخلق الفردى) وهى أعمال تتحرك بالكهرباء . وجمالياتها او سماتها المميزة تكمن فى تلك الحركات الضوئية للمبات كهربية ، او فى تلك الاجسام التى تسبح فى صناديق زجاجية فرغت من الهواء .

الفنان الطليعى الان أصبح يرفض فكرة انه فنان او طليعى . انه يرفض الاطار القديم ويحاول ان يكتشف هذا الكون الجديد الذى يمنحه العـلم ويحاول ان يجد مكانه فيه .

السينما

الغاضبون على الشاشة الجديدة

من اهم الظواهر الثقافيه فى العالم اليوم تلك الحركات السينمائية الجديدة التى يقودها الشباب والتى تميز بها الفن السينمائى منذ بداية الستينات .

والثورة هى العنوان الذى يجمع بين هذه الحركات ، كل حسب الواقع الذى تتحرك عليه، كما يجمع بينها ايضا الانتماء الى اليسار سواء الى اليسار الشيوعى ام اليسار غير الشيوعى ، وسواء فى البلاد الراسمالية ام فى البلادالاشتراكية أم فى لبلاد النامية .

وأهم هذه الحركات « السينما السرية » فى نيويورك ، و « **السينما الحرة** » فى **بريطانيا** ، و « **الموجة الجديدة** » فى فرنسا و « **سكوربو** » فى هولندا ، و « **السينما الجديدة** » فى البرازيل ، و «**سينما الشباب** » فى تشيكوسلوفاكيا ، ويوغوسلافيا وبلاد شرق اوربا عامة .

اما « **السينما السرية** » فى نيويورك فقد صدر بيانها الاول فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٦٠ ، وفيه اعلنت رفضها لفيلم هوليود الذى يجمل صورة المجتمع القائم ، ويخفى مشاكله ، والذى لا يعبر عن فنان الفيلم ، وانما عن المنتج ، او الممول ، كما اعلنت ان الفيلم فى مفهومها عمل « شخصى » كالقصيدة الشعرية ، وانه لايحتاج الى جيش الحرفيين الذى يقف وراء كل فيلم ينتج فى هوليود .

ويعتبر الشاعر والكاتب والمخرج **جوناس ميكاس** رائد هذه الحركة ، وهو معروف فى نيويورك باسم « نبى السينما الطليعية » ، وقد حوكم فى مارس عام ١٩٦٤ لرعايته الافلام « **السرية** » ، ومن بينها « كوبا نعم ـ يانكى لا » **لريتشارد ليكوك** ، « تقرير عن اغتيال كينيدى » **لروس كونر** ، « صلة الوصل » **لشيرى كلارك** ، و « فتيات القواقع » **لاندى ورهوك** .

و « **السينما الحرة** » فى بريطانيا هى الوجه السينمائى لحركة «**الغضب** » التى ظهرت فى المسرح وفى الرواية ايضا ، وقد قادها فى السينما **تونى ريتشارد سون** الذى قدم « انظر الى الخلف فى غضب » **لجون اوزبورن** على المسرح وعلى الشاشة ، و « مذاق العسل » **لشيلا ديلانى** على المسرح وعلى الشاشة ايضا ، ومعه **كاريل رايس** فى «مساء السبت صباح الاحد » **ولينساى اندرسون** فى «هذه الحياة الرياضية» **وجون شلزنجر** فى «بيللى الكاذب» **وبريان فوربس** فى «هدأت العاصفة »**وديزموند دافيز** فى « ذات العيون الخضراء » .

و « **السينما الحرة** » سينما متحررة من الاشكال التقليدية فى الانتاج وفى الاخراج ، وهى تثور على الواقع البريطانى المعاصر وتسخر من البورجوازية الاوربية بعنف وتكشف عن تحللها وسقوطها .

وتجمع « **الموجة الجديدة** » فى **فرنسا** بين ايمان السينما السرية بشخصية الفيلم ، وبين تحرر السينما الحرة من الاشكال التقليدية وسخطها على الواقع . وقد بدأت بعشرات المخرجين ،ولم يبق منهم اليوم الا **جان لوك جودار** مخرج « على آخر نفس » و « صنع فى امريكا » **وفرنسوا ترينو** مخرج « فهرنهيت ٤٥١ » ، و « العروس تلبس الحداد » وآلان **رينيه** مخرج « هيروشى حبيبى » و « انتهت الحرب »**وكلود ليلوش** مخرج « رجل وامراة » و « الحياة للحياة » .

اما « **سكوربو** » فهى احدث حركات السينما فى العالم ، وقد ولدت فى منتصف عام ١٩٦٤ عندما صدرت فى العاصمة الهولندية « امستردام » مجلة سينمائية اسسها جماعة من الشباب ،

واطلقوا عليها اسم « سكوب » وفي مارس عام ١٩٦٥ وبعد ان كتب هؤلاء الشباب فى مجلتهم افكارهم واحلامهم عن السينما ، ووضعوا اساسا نظريا متينا لحركة سينمائية طليعية ، قرروا انشاء شركة للانتاج السينمائى باسم « سكوربو » قدمت اول فيلم لها تحت اسم « ايان ثمارا » وهو فيلم قصير عرض فى مهرجان كان عام ١٩٦٥ .

ويعتبر بيم دولابارا الذى لا يتجاوز السابعة والعشرين ، وويم فرستاين الذى يناهز الثلاثين مؤسسا هذه الحركة وكانا من المنتسبين الى اكاديمية الفيلم بامستردام .

وقد انتجت شركة «سكوربو » حتى الان اثنا عشر فيلما تسجيليا وقصيرا ، وفيلمين روائيين . كان « جوزيف كاتوس » الذى انتج عام ١٩٦٦ أولهما . وحصلت افلام « سكوربو » على عدد من جوائز المهرجانات السينمائية وخاصة جوائز النقاد .

و « جوزيف كاتوس » هو اختصار الاسم الاصلى للفيلم وهو « جوزيف كاتوس ليس سعيدا بعودته الى ارض رمبرانت » اى ارض هولندا منسوبةالى اسم فنانها التشكيلىالعظيم .

والفيلم من اخراج ويم فرستاين الذىاشترك فى كتابته مع بيم دولابارا ، وهو يصور سبعة ايام من حياة الشاب الهولندى جوزيف كاتوس . فى اليوم الاول ٢٩ ابريل يعود من رحلة قام بها الى باريس وبرلين الديمقراطية ويلتقى بصديقته مارى ، وعندما يسيران فى الطريق يتابعهما رجال المخابرات مما يثير غضبه .

وفى اليوم الثانى ٣٠ ابريل وهو عيد ميلاد الملكة ينضم جوزيف الى جماعة « بروقوس » وهى من جماعات الشباب الاوربى الساخط التى تتخذ من امستردام مقرا رئيسيا لها ، ونشاهد اعضاء هذه الجماعة بملابسهم المتهالكة وشعورهم الطويلة يسيرون فى الشوارع ويهتفون « جونسون قاتل » ، « ارحمونا من الملكية » ، « حرروا هانز » ، وندرك ان لهم اتجاهات سياسية ماركسية ، وان البوليس يطاردهم وغالبا ما يصادر مجلتهم التى توزع ما يقرب من ٢٠ الف نسخة ، والواقع ان اتجاهها هذا تمرد ساخط اكثر منه ثورة ذات منهج ، وتنفيس عن القلق اكثر منه توجيها لهذا القلق .

ويلتقى جوزيف بشيللا ـ وهى زوجة مخرج تليفزيون كان قد انجب منها طفلا ـ قبل ان يقوم برحلته فى اوربا .

وفى اليوم الثالث اول مايو وهو عيد العمال يكتشف جوزيف انه مريض بمرض خطير فى معدته « بلاكسيوس سيلارس » وان مارى تعمل لحساب المخابرات وانهم يريدون معرفة معلومات عن رحلته الى برلين الديمقراطية ، وكان يظن انهم يطاردونه بسبب المخدر الذى يتعاطاه .

وفى اليوم الرابع ٢ مايو يقوم زوج شيللا باخراج برنامج تليفزيونى عن جماعة «بروقوس» ويتحدث الى جوزيف الذى يقول له « اننى لست منهم ، ولكن احب ان اسير معهم فى الشوارع واصرخ » .

وفى اليوم الخامس ٣ مايو نراه يحاول اقامة علاقة مع صحفية يهودية ، ثم مع فتاة تعمل فى التليفزيون .

ويأتى اليوم السادس ٤ مايو عيد الموت حيث يحاول اعادة علاقته مع شيللا والدة ابنه بعد ان يأخذه الى الطريق ويتركه هناك ، ولكن شيللا ترفض ذلك بحزم .

وفى سابع ايام «جوزيف كاتوس» يوم الخامس من مايو وهو يوم عيد ايضا هو عيدالتحرير يلقى البطل الموت على قارعة الطريق بعد ان يصطدم برجل المخابرات الذى يتبعه ، وبعد ان يثور عليه مرضه المميت ويجعله يتلوى من الالم .

ويتعاطف فرستاين مع بطله اكثر مما يدينه ، ويدين الحياة من حوله اكثر مما يضعها فى اطار نظرة ديالكتيكية ، فليس ثمة امل يشرق فى عالم كاتوس الكئيب ، وليس ثمة قيمة واضحة يناضل من اجلها احد .

اما عن « السينما الجديدة » فى البرازيل فهى من اهم الحركات السينمائية فى البلاد النامية ان لم تكن اهمها اطلاقا .

وقد تكونت هذه الحركة من اثنى عشر سينمائيا شابا ، وتهدف الى « مناقشة مشاكل التخلف الاقتصادى والتنمية الاقتصادية فى دول العالم الثالث » . وترجع بداية الحركة الى عام ١٩٥٥ عندما عرض فيلم «ريودرجة الحرارة ٤٠» لنلسون بريرا دى سانتوس ، ولكنها لم تتبلور كحركة ناضجة الا فى عام ١٩٦٢ عندما شهد العالم فيلم « عاصفة » لجلوبير روشا و « شاطىء الرغبة » لروى جويرا ، ثم « الاله الاسود والشيطان الاشقر » لروشا عام ١٩٦٤ .

و « سينما الشباب » فى شرق اوربا وبخاصة فى تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا هى السينما التى تهز العالم اليوم وتحقق نجاحا ساحقا فى المهرجانات السينمائية ، ولعل اهم ما تحققه هذه السينما انها تقدم المفهوم الصحيح للواقعية الاشتراكية باعتبارها منهجا وليست اسلوبا محددا مقصورا على بعض الموضوعات كما كان الامر زمان ستالين .

واهم المخرجين التشيك ميلوش فورمان مخرج « غراميات شقراء » وايفالد شورم مخرج « شجاعة كل يوم » وييرى فيدل مخرج « قطارات تحت الحراسة المشددة» وفيرا كيتيلوفا مخرجة « زهرات اللؤلؤ » اما اليوغسلاف فيقف على رأسهم دوسان ماكافيف مخرج « قصة حب » والكسندر بيتروفيتش مخرج « قابلت انضج السعداء » .

أدب

الموجة الجديدة .. وصراع الأجيال

لو ان الاداب والفنون توقفت عند حدود التسجيل التاريخى لما يجرى فى العالم من احداث ، لما تجاوزت كونها مجموعة من « الوثائق » الاجتماعية التى يرجع اليها المؤرخون فى شىء كبير من الحذر لانها لاتقوم بحال مكان الوثائق العلمية المحصنة ، وانما اقصى ما تستطيعه هو ان تقدم « المناخ » التاريخى للحدث برائحته التى يجيد الفنان بحاسة الشم الابداعية ان يشيعها بين جنبات « الوثيقة الفنية » التى عكس فيها المجتمع والانسان والتاريخ . ولكن الاداب والفنون لاتتوقف لحسن الحظ عند حدود التسجيل التاريخى ، ولاتكتفى بان تعكس الواقع الاجتماعى ، وانما هى فى احيان كثيره ، وبخاصة عند نقاط التحول الخطيره فى حياه الانسان ترتفع الى مستوى النبوءه ، او على اقل تقدير يتحول العمل الفنى الى مايشبه الرادار يلتقط الظواهر البعيدة عن مستوى البصر المألوف . هكذا كان دور شكسبير عندما حطم الوحدات الارسطية الثلاث ، وهكذا كان دور سرفانتس عندما ابدع الشكل الروائى الحديث .. لم يكن هذا الدور او ذاك مجرد ثوره تكنيكية ، بل كان يرهص بثورة انسان عصر النهضة على اغلال القرون الوسطى وهكذا ايضا اقبلت الثوره الرومانتيكية تعبيرا عن الازمة الحادة بين الفرد والمجتمع فى ظل الراسمالية الوليدة ، وكذلك اقبلت الثورة الواقعية توجز فى شكلها ومضمونها ازمة المجتمع الراسمالى فجاءت القتامة التى عرفناها فى بلزاك وفلوبير وزولا على اختلاف اتجاهاتهم « الواقعية » بمثابة المؤشر الذى لايخطىء الى « الطريق المسدود » الذى انتهت اليه الحضارة البرجوازية . وعندما اقبلت التعبيرية والرمزية والدادية والسوريالية والمستقبلية لم تكن سوى جولات يائسة فى دهاليز الطريق المسدود ومنعطفاته المظلمة مؤكدة من جديد ان لابد من « طريق جديد » . وكانت الحرب الاولى قد لخصت بعمق دام تجربة الانسان الراسمالى ، وجاءت الحرب الثانية لتفسح الطريق امام الانسان الجديد ، انسان ما بين الحربين الذى اعلنت ميلاده ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، سواء كان هذا الانسان يعيش فى ظل دولة الثورة او خارجها . على ان الحرب اذا كانت قد افسحت الطريق امام الانسان الجديد ، فانها فى نفس الوقت قد تمخضت عن العديد من المشكلات التى لم تجسمها بحار الدم وملايين القبور المجهولة .

وتعد الوجودية سواء كانت فلسفة كما يحب ان يسميها المؤيدون او حالة نفسية كما يرغب فى تسميتها المعارضون ، ابرز تيارات الفكر الاوربى التى صاغت « المصير الانسانى » بعد الحرب على ضوء — او ظلام — الدمار الذى شهده الجيل الغربى فيما بين الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ..ويميل الكاتب الامريكي هوفمان الى ان جذور الوجودية تمتد الى تلك الاعمال « العبقرية » التى كتبها دستويفسكى (١) . ذلك أن « الجريمة والعقاب » و « الاخوة كارامازوف » تحمل بذور التمزق الذي عانت منه الحضارة الروسية قبل الثورة ، وهو التمزق الروحى العميق الذى عرفته روسيا بدخولها المفاجىء خضم الحضارة الغربية . فقد أدى

---

(١) راجع كتاب « الوجودية من دستويفسكى الى سارتر » — الطبعة الانجليزية .

شيوع الافكار الفوضوية والثورية الى ذلك الاضطراب الهائل الذى التقط دوستويفسكى ذبذباته مغلنا بالرغم من كل شيء « بداية عصر جديد» ولم تكن أعماله سوى «روح هذا العصر». على ان الثورة الاشتراكية قدهيأت للروح الروسية مسارا مختلفا عن مسار الروح الغربية فى اوربا وامريكا . . ويكاد مارسيل بروست ان يكون فى بحثه عن الزمان الضائع » صاحب الرؤيا الاولى التى تكاملت على نحو من الانحاء فى « يولسيز » لجيمس جويس ، رؤيا ((**انهيار الغرب**)) كما اسماها شبنجلر . وهى « **القضية** » التى تخصص لها فرانز كافكا فى روايته الرائدة ((**المحاكمة**)) فقد اتسمت هذه الرواية بالشمول الذى اصبح فيما بعد من أهم سمات ((**الرواية الجديدة**)) . وكانت الخلاصة المركزة التى اتى بها كافكا هى انه على الرغم من ان الانسان قد جاء الى هذه الدنيا بغير ان يستشيره احد فى هذا المجيء ، فانه يعيش حياته ((**متهما**)) بوجوده ذاته ، متهما فى قضية لايعرف عنها شيئا . ولم تخرج قصة ((**الغثيان**)) لسارتر ولاكتاباته النظرية عن هذا المعنى ، وبخاصة فى كتابه المبكر ((**الوجود والعدم**)) .. حتى اذا جاء البير كامى فى روايته ((**الغريب**)) كان الشكل الوجودى للرواية — ان جاز التعبير — قد استنفد اغراضه فى تجسيد عبث الوجود الانسانى، ذلك انه بالرغم من المكتسبات التكنيكية التى ادخلها هذا الشكل منذ توغل دستويفسكى فى طوايا النفس البشرية وتمكن بروست من خلخلة الزمن الروائى التقليدى واستطاع جويس وفرجينيا وولف أن يدخلا تيار الشعور الى نسيج الشخصية الروائية .. بالرغم من ذلك كله فان الرواية لم تفلت من قيود البناء الكلاسيكى العامة ، لانها لم تفلت أصلا من قيود الرؤيا السائدة على الانسان الغربى آنذاك . وهى القيود التى تستلزم وجود شخصية وحدث وجودا حتميا لافرار منه . حقا لقد تغيرت « الشخصية » فى ادب القرن العشرين ، عما كانت عليه فى القرن السابق ، فأصبحت شخصية لها بعدها الداخلى والخارجى معا ، وكذلك الحدث لم يعد ذلك الواقع الموضوعى المحدد بالزمان والمكان ، بل هناك الى جانب ذلك الحدث النفسى ومآزق روحية وعذابات مريرة تعانيها الذات البشرية من هول فقدانها ((**الايمان**)) الذى هزه من الاعماق سقوط الاعمدة الفكرية التى حملت البناء البرجوازى امدا طويلا .. فلما هبت رياح الحرب « ولم يكن هذا البيت مؤسسا على الصخر بسقط ، وكان سقوطه عظيما » كما يصف بعض النقاد — بهذه الاستعارة من الانجيل — ماحدث لاوروبا غداة الحرب العالمية الثانية . فاذا كانت المانيا قد منيت بهزيمة عسكرية ماحقة ، فان اوروبا الغربية بأسرها قد منيت بهزيمة ((**روحية**)) بعيدة المدى .. فلم تكن الفاشية أو النازية الا تتويجا طبيعيا للنظام الرأسمالى بأكمله . هذه الحقيقة المرة هى التى شكلت رؤيا جيل ما بعد الحرب باحلك الظلمات سوادا . ولما تسنى لقطاع من هذا الجيل ان يرى فى انسان ثورة اكتوبر بديلا للانسان النيتشوى المهزوم — والذى يمكن له أن يبعث من جديد اذا ترك الثور الرأسمالى طليقا — فان هذا القطاع انقسم بدوره الى شطرين : احدهما تبنى الرؤيا الاشتراكية فى بكارتها الاولى بتحفظ كبير على التطبيق الستالينى، والاخر عاد مهرولا خائب الامل يائسا على اثر رؤيته لمعسكرات الاعتقال فلم يعد يميز بين الاشتراكية والنازية مثل البير كامى. لهذا كان الجيل الجديد من كتاب الغرب أقرب الى ((**غثيان**)) سارتر ، و ((**غريب**)) كامى من ناحية المضمون ، وهما من بواكير الاعمال التى ((**جردت**)) الوجود الاجتماعى فى منطوق نظرى محدد هو العبث واللامعقول ، عبث الوجود الاشمل ولامعقولية الكينونة المحكوم عليها مقدما بالزوال . على ان المصدر الاجتماعى المباشر لهذا الاحساس العميق بالعبث ظل قائما فى أعمال المدرسة الجديدة يعكس الاصول الموضوعية البعيدة لهذا الاتجاه فى الفكر والفن : وهى اليأس التام من النظام الذى يستظلون به والامل الغامض فى نظام آخر لايجدون له مثيلا فى العالم الواقعى، فبالرغم من اليأس المخيم على الرؤيا الجديدة الا ان ((**البديل**)) لايلتمسونه فى مثال محدد . ومن الضرورى القول بأن ادباء الرؤيا الجديدة الذين بدأت اسماءهم تلمع فى الخمسينات لاينتظمهم ((**تيار**)) موحد بالمعنى التقليدى ، فالرؤيا الجديدة نفسها تصل بهم الى ذروة التفرد والتنوع الذى لايتيح لهم الاجتماع حول مائدة واحدة . واذا جاز لنا من قبيل ((**الايضاح**)) أن نجمع بينهم تحت عناوين مثل « العبث » و « التجريبية » و « الطليعية » و « الموجة الجديدة » فانه يتعين علينا ان نضع فى اعتبارنا هذه النقطة الرئيسية ، وهى ان هذه العناوين تبلغ من العمومية والتجريد حدا ينبغى الاعتراف معه بأنها الى « المجاز » اقرب منها الى التصوير الدقيق لتفاصيل هذه «الاتجاهات» الجديدة . وفى حدود هذا ((**المجاز**)) نقول ان الاطار الذى تتحرك فيه هذه ((**الموجات**)) الجديدة هو مايمكن تسميته بصراع الاجيال . وفى هذا الاطار تختلف المدرسة الانجليزية عن المدرسة الفرنسية ، وهما معا يختلفان عن المدرسة الامريكية والالمانية . غير ان بداية الخمسينات لاتؤرخ لموجة جديدة فى الغرب وحده ، وانما هى تؤرخ فى نفس الوقت لموجة جديدة فى شرق أوروبا والصين والاتحاد السوفيتى كذلك . فقد كان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى بمثابة نقطة التحول التاريخية بين عصرين فى تطور الفكر الاشتراكى، انعكس بدوره بل وتنبأت به « موجات جديدة » فى الادب والفنون الاشتراكية . أن هذه الموجات

الفكرية والفنية ، سواء في الشرق أو الغرب ، كانت الارهاصات الاولى التى تنبأت منذ حوالى عشرين عاما بما تمور به الارض هذه الايام — شرقا وغربا — من احداث جسام يقودها الشباب الذى تغذى روحيا بالفعل ورد الفعل على افكار ادباء الطليعة على مدى جيل . هذه الاحداث التى تؤثر بصورة مباشرة على خريطة العالم المعاصر ، فكريا وسياسيا . ولعل التقارب الزمنى الذى يصل احيانا الى درجة المطابقة في ظهور الموجات الادبية الجديدة مع بداية الخمسينات بالشرق والغرب ، وفى اشتعال ثورات الشباب الراهنة بالشرق والغرب يؤكد معنى الاطار الذى آثرنا صياغته منذ البداية فى تعبير «صراع الاجيال» وحان لنا أن نضيف انه « صراع عالمى » يكتسب هنا اسبابا تختلف عن اسبابه هناك ، ولكنه في الجوهر ظاهرة عالمية خاصة بالعصر الذى نعيش فيه . وهكذا الامر فى الادب والفن ، فان موجاته الجديده هى فى الاصل موجة عالمية تعبر عن صراع الاجيال وروح العصر سواء عبر عنها **ادوارد ألبى** فى امريكا متسائلا « من يخاف فرجينيا وولف ؟ » او عبر عنها **جون اوزبورن** في انجلترا آمرا « انظر خلفك في غضب » أوعبر عنها « **دودنتسيف** » فى الاتحاد السوفيتى نافيا « ليس بالخبز وحده » .

اللوحة الغربية

بالرغم من ان اكثر ادباء الطليعة الذين يكتبون بالفرنسية ليسوا فرنسيين ، الا أن فرنسا تعد في نظر العديد من النقاد « **البلد الام** » للاتجاهات التجريبية الحديثة . ذلك انها كانت بلا منازع أولى المعامل الفنية للتجارب الطليعية ، وانها كذلك صاحبة تراث عريق فى ثورات الادب والفن .. فالشعر الفرنسى الذى كان خاضعا لمقولة فاليرى « **ان القصيدة ينبغى ان تكون عيدا من اعياد العقل** » هو نفسه الذى ثار على هذه القاعدة حين قال بريتون «**ينبغى أن تكون القصيدة حطام العقل**» أو كما عبر عن نفس المعنى اراجون بصورة افضل حين قال « **ان الشعر لاوجود له الا بفضل الخلق الجديد المستمر للغه وذلك بتحطيم النسق اللغوى وتكسير قواعدها وتغيير ترتيبها المعتاد فى الكلام** » . وتصل هذه الثورة الى ذروتها المعاصرة فى « قصيدة النثر » عند سان جون بيرس(٢) . والمسرح الفرنسى الذى كانت تتوزعه اصداء كورنى وراسين وموليير من ناحية والمسرحيات الواقعية والرومانتيكية من ناحية اخرى هو نفسه المسرح الذى أشهر كاتبا مثل الفريد جارى يكتب عند نهاية القرن التاسع عشر قائلا « اردت أن تكون المنصة حتى رفع الستار عبارة عن مرآة أمام النظارة .. يرى فيها الرذيل نفسه وله قرنا ثور وجسم تنين بمقدار افراطه فى رذائله » ثم يقول ليونارد كابل برونكو مؤرخ مسرح الطليعة بأنه ليس من المستغرب أن يستولى الذهول على الجمهور وهو يشاهد باطنه الدنىء الذى لم يكن قد تم عرضه أمامه كاملا وهى مسرحية تتنبأ بالمستقبل ليس فقط لانها تكهنت بمذبحة القرن العشرين وبعالم اليوم المقلوب رأسا على عقب وانما أيضا لفقدان القيم كل معنى مطلق بحيث يمكن ان يؤخذ ظهر الشىء على انه وجهه .. والمسرح الفرنسى هو الذى أنبت كاتبا مثل ابوللنير الذى يرى أن المسرح ينبغى الا يكون فن خداع وتمويه فالكاتب المسرحى فى راى ابوللنير له حرية مطلقة اذ هو خالق عالمه وسيده :

« من العدل أن يجعل الجموع والاشياء الجامدة تتكلم
اذا راق له
وان يغفل الزمان
وكذا المكان
ان عالمه هو مسرحيته
وفى داخلها هو الاله الخالق
الذى يرتب كما يشاء
الاصوات والايماءات والحركات والكتل والالوان
لا فى سبيل غرض أوحد
هو تصوير مايسمى شريحة من الحياه
بل ليتمكن من بعث الحياة نفسها بكل حقيقتها
لان المسرحية يجب انتكون عالما بأكمله معخالقها

مارسيل بروست (١٨٧١—١٩٢٢)

روائى فرنسى . ولد فى باريس . وتعرف على اناتول فرانس الذى كتب له مقدمة أول آثاره الادبية « الافراح والنوم » (١٨٩٦) . عاش بروست فى عزلة تامة . وبعد وفاة أبويه انصرف الى التأليف ، فكتب قصته الطويلة « بحثا عن الزمان الضائع » فى ١٦ جزءا (١٩١٣ — ١٩٢٧) نال الجزء الثانى منها « فى ظل الفتيات وسط الزهور » جائزة جونكور (١٩١٩) ، وتبع ذلك باجزاء اخرى منها « السجينة » و « الوقت المستعاد » . وهى شبه ترجمة ذاتية . وكتب بروست كذلك عددا من المقالات ومجموعة كبيرة من الرسائل . ويغلب على أسلوبه الصعوبة والتحليل النفسى العميق .

(٢) راجع مقال الدكتور عبد الغفار مكاوى « ثورة الشعر الحديث » بمجلة الفكر المعاصر — العدد ٣٧ — مارس ١٩٦٨ .

اى الطبيعة نفسها لاتمثيلا لجزء صغير فقط مما يحيط بنا او مما حدث ذات مرة »

والمسرح الفرنسى اخيرا هو الذى اتاح لانتونان ارتو ان يكتب ما عناه « بمسرح القسوة » الذى شرحه قائلا « .. فبدون عنصر من عناصر القسوة فى اساس كل مشهد ، لايمكن ان يكون هناك مسرح . وفى حالة الانحلال التى انحدرنا الان اليهـا لاسبيل الى اعادة ادخال الميتافيزيقا الى ارواح الناس الا عن طريق جلودهم» ويعتقد ارتو ان الحوار هيهات ان يؤدى أغراض الميتافيزيقا لان لغة الكلام كما تستخدم فى الغالب الاعم تقصر عن اى شىء أعمق من مجرد التشبيه ، وتختزل السر الى مادة والمعنى الى منطق . ويتخذ ارتو من مسرح جزيرة بالى الشعبى الصادر عن الشعائر مثله الاعلى فى التجسيد المسرحى ، وعن ذلك يقول « ان مشهد مسرح بالى الذى يعتمد على الرقص والغناء والتمثيل الايمائى — وقليل من لوازم المسرح كما نفهمه فى الغرب — يرد المسرح الى قصده البدائى ، بمقتضى وسائل موغلة فى القدم اثبتت التجربة فاعليتها ، هـذا المسرح الذى تعرضه كمزيج من تلك العناصر كلها وقد انصهرت معا فى ضوء من الهذيان والخوف » (٣) .

كان هذا التراث فى واقع الامر يشكل مناخا خصبا لتجربة الاتجاهات الجديده التى بزغت فى أوائل الخمسينات مع بواكير انتاج يونسكو وبيكيت . وقد اطلق **يونسكو** على مسرحيته الاولى « المغنيه الصلعاء » (١٩٤٩) اسم « المسرحية المضاده » وتحت هذا الاسم كتب « مأساة اللغة » . والحق ان يونسكو قد اختار منذ الوهلة الاولى بابا خاصا الى عالم « اللامعقول » ضلفته الاولى هى اللغه وضلفته الثانية هى المسرح . فاللغة عنده لم تعد موصلا جيدا لحرارة التفاهم بين البشر ، بل هى تنتصب جدارا عاليا يحسن هدمه بالصمت . واذا كان فى « المغنية الصلعاء » قد مال الى التصوير الكاريكاتورى لبشاعة « الكلمة المنطوقة » التى تجمد السلوك البشرى فى كليشهات محفوظة ، فانه فى « الدرس » (١٩٥٠) يصل بمأساة اللغة الى حافة الجريمة . هذا من ناحية اللغة ، اما من ناحية المسرح فقد رأى يونسكو فى الاشكال الدرامية السائدة مثالا حيا على « الزيف » باسم الواقعية « **فالمسرح هو المسرح** » اولا وقبل كل شىء ، اى انه لايستطيع بحال ان يكون تصويرا او محاكاة للحياة الا اذا شاء ان يكون «مؤسسة للنفاق الاجتماعى » حيث يتحول الممثلون الى مهرجين وظيفتهم التسلية ، اما حين يدرك المتفرج انه « **امام تمثيل فى تمثيل** » فانه حينئذ يعيد النظر على الاقل عبر المسافة الموضوعية بينه وبين الممثل ، وهى المسافة التى تباعد بينه وبين « **الاندماج** » فينسى « **نفسه** » ان المسرح عند يونسكو اداة تذكير دائمه لن اصابهم داء النسيان وليس مكانا مسليا « **يقضى فيه** البرجوازى وقته ممن يريد ان يقتله » . لهذا يميل يونسكو الى مزج الكاريكاتور القريب من مسرح العرائس بالجو الشعائرى والاسطورى القريب من الطقوس الدينية . ولعل هذا يفسر لنا ازدواج الملهاة والمأساة فى هذا المسرح . انه من ناحيـة يميل الى التضخيم والمبالغة التى من شأنها ان تعطى المتفرج صورة أشد صدقا من الحياة نفسها « **صورة مكبرة ومسرحية للحياة ، صورة تغوص بعمق تحت سطح الواقع** » ومن ناحية اخرى يميل الى التجريد الاسطورى الذى يضيف الى الصورة بعدا ميتافيزيقيا ، لان البشر « **ليسوا حيوانات اجتماعيه** فحسب ، **بل هم ايضا ضحايا هذا الكون الذى حارب الروح ويسحقهم تحت وطأة كتلة ثقيلة من المادة الميتة** » ويتضح لنا هذان المعنيان فى «الكراسى» (١٩٥١) و «الخرتيت» (١٩٥٨) . فالضحكات التى طلقها على المقاعد الخالية والخراتيت البشرية ضحكات اليمة تخرج كالسكين من حلوقنا ، نظل بعدها ننزف دما حتى الموت . ولكن المضمون العام الذى يمكن رصده **بشق النفس من مسرح يونسكو ليس ليبراليا** بالمعنى التقليدى كما يميل بعض نقاده المعادين **للاشتراكية** ، زاعمين ان « **الخرتيت** » تحدث الا

فرانزكافكا (١٨٨٣ — ١٩٢٤)

روائى وكاتب المانى . ولد فى براغ بتشيكوسلوفاكيا من اسره يهودية ثريه . درس القانون وشغل وظيفه حكومية بالنمسا . لم ينشر الا القليل اثناء حياته فلم يستطع ان يعيش من التاليف . يشمل انتاجه الروائى « المحاكمة » ١٩٢٥ ، و « القلعة » ١٩٢٦ و « امريكا » ١٩٢٧ . ومن القصص القصيرة « التناسخ » ١٩١٦ ، و « طبيب القرية » ١٩١٩ . عالمه الفنى اشبه بالاحلام يصور فيها الانسان الحديث نهبا للقلق ، اذ يطغى عليه الشعور بالعزله والنفى والياس والسقوط ، ويحاول سدى أن يجد خلاصا لنفسه ، يمتاز اسلوبه النثرى بالدقة والوضوح ، وله تأثير عميق فى الادب الاوروبى الحديث .

(٣) راجع كتاب « مسرح الطليعة » — ليونارد كابل برونكو — ترجمة يوسف اسكندر — دار الكاتب العربى بالقاهرة .

فى المجتمع الاشتراكى . فالحق ان الخيط الذى ينتظم أعمال يونسكو هو عداؤه الذى لاحد له للمطلقات ، فى الدين أو السياسة أو المجتمع . وإذا كان من اليسير القول بأن دولة ((المطلق)) الشمولية فى ظل الاشتراكية ، أو النازية هى ما يقصد اليه يونسكو ، فانه من العسير على نقاد الغرب فيما يبدو ان يبحثوا بعمق أكثر نفاذا فى الخامة البشرية والاجتماعية التى يتخذها يونسكو مادة لفنه ، اذن لاكتشفوا انها خامة برجوازية فى جوهرها وتفاصيلها ، ولاكتشفوا أن الحضارة التى قامت فى مهدها على التفرد والتنوع قد آلت فى النهاية الى نوع جديد من ((الشمولية)) ودولة المطلق . ان صرخة يونسكو لايقصد بها ((عالما آخر)) غير العالم الذى يعيش فيه حيث يتحول الانسان والفكر والمجتمع الى نظام حديدى صارم تحكمه أزرار غير مرئية فى مكاتب الاحتكاريين من تجار الحروب فى عالم اليوم .. وهى الصرخة التى قد نسميها بلغة السياسيين " ..

فى الكثير من فوضوية القرن الماضى ، كما تجسدت عمليا فى ثورات الشباب الراهنة ، فهى تستمد مضمونها من روح العصر فى القرن العشرين .

المناخ التراجيدى للعصر

ويرجح الكثيرون ان يونسكو يتمتع بشعبية ((تجارية)) تفوق الشعبية التى يتمتع بها **صامويل بيكيت** . ولكن معظم النقاد فى نفس الوقت يرجحون الكفة الفكرية والفنية لانتاج بيكيت الذى يتخاطفه مؤرخو الادبين الانجليزى والفرنسى ، وهو الكاتب الايرلندى المولد .. كاستاذه جيمس جويس . ولقد بدأ بيكيت حياته الادبية روائيا باللغة الانجليزية فكتب ((وخزات اكثر منها رفسات)) و ((مورفى)) و ((وات)) بهذه اللغة ، ثم كتب ثلاثية ((مولوى ـ مالون يموت ـ الذى لايمكن تسميته)) من ١٩٥١ الى ١٩٥٢ باللغة الفرنسية . وبعدئذ انخرط فى كتابة المسرح بالفرنسية التى كان يترجمها بنفسه الى الانجليزية ، فكتب ((فى انتظار جودو)) و ((لعبة النهاية)) و ((شريط كراب الاخير)) و ((الايام السعيدة)) من ١٩٥٢ الى ١٩٦١ . وروايات بيكيت فى الانجليزية والفرنسية هى عودة مفاجئة الى اسلوب جويس وفرجينيا وولف حيث الانكباب التام على عالم الذات الداخلى واستخدام تيار الشعور فى تشريح النفس البشرية . ولعل رواية ((كيف هى)) (١٦٦٣) وحدها هى القريبة من روح المسرح الجديد الذى أبدعه بيكيت ، أو لعلها أقرب الى روح ((الرواية الجديدة)) ـ أو اللاوراية ، كما يصفها سارتر فى مقدمة احدى روايات ناتالى ساروت ـ التى يكتبها فريق من الروائيين الشباب فى خط مواز لمسرح الطليعة . وتروى لنا قصة ((كيف هى)) أن رجلا مسنا لا اسم له يزحف فى حماة قذرة بصعوبة كبيرة .. ويجر العجوز من خلفه جوالا مليئا بمعلبات السمك المحفوظة ليمسك به رمقه . ولهذا فقد كان معه فتاحة للعلب لايدعها تغيب عن ناظريه ، وهو فى قلق دائم خشية ضياعها . ولايدرى العجوز ماذا اتى به الى هذا الوحل القذر ، ولكنه يزحف رئيدا آملا أن تحرز خطواته تقدما ما . ويشعر الرجل فجأة بجسد آخر يجاوره فى الزحف هو جسم ناحل لعجوز مثله يزحف بجانبه . وبعد قليل من الوقت الصامت بينهما يرى العجوز الأول انه باستطاعته ان يرغم الاخر على الكلام ، وذلك بنخسه بفتاحة العلب ، وان باستطاعته ان يرغمه على الصمت بدفن راسه فى القذر المحيط بهما . وتنجح حيلته فيتحدث ((بيم)) ـ وهذا اسمه ـ عن ذكرياته وحبه لزوجته ((بام)) التى تبادله الحب عندما كان يعيش فى عالم النور وقبل أن يأتى الى هذا العالم الموحل المظلم ، وتجرى العلاقة بينهما على نحو يثير الدهشة ، فهو يعذبه بالرغم مما يشعر به نحوه من تعاطف . وقرب الخاتمة يفكر العجوز طويلا فيما يحكم عالمه من قوانين ، ويهديه تفكيره الى أنه ربما لم يكن وحيدا فى رحلة القذارة الموحلة هذه الشبيهة بالبراز ، فقد يكون هناك مئات الالوف من الزاحفين

ميجل دى سرفانتس
(١٥٤٧ ـ ١٦١٦)

روائى ، وكاتب مسرحى ، وشاعر أسبانى . ولد فى أسرة انحدرت من قرطبة ، ورحل الى ايطاليا عام ١٥٦٩ ثم عمل بعض الوقت فى بلاط الكردينال ((اكوافيفا)) . والتحق عام ١٥٧٠ بالجيش وجرح فى معركة ليبانتو (١٥٧١) وشلت ذراعه نتيجة لذلك . وفى طريقه الى اسبانيا لقضاء عطلة اسره المغاربة ، أخذوه ضمن الرقيق الى الجزائر (١٥٧٥) وظل اسيرا حتى ١٥٨٠ ، حينما دفع اهله فدية باهظة ثم عاد الى أسبانيا . اعتزل ١٥٨٢ الجيش بعد اشتراكه فى القتال بالبرتغال ، وتزوج عام ١٥٨٤ . كانت حياته شاقة للغاية مما اضطره الى الاستدانة معظم الوقت ، وسجن اكثر من مرة لعجزه عن تسديد ديونه . أول ما نشر له رواية خيالية تدور حول حياة الرعاة مكتوبة بالشعر والنثر عنوانها ((لاجالايتا)) ١٥٨٥ ثم كتب بين عامى ١٥٨٥ و ١٥٨٨ أكثر من عشرين مسرحية لم يبق منها سوى مسرحيتين . كما ألف كثيرا من الشعر . نشر عام ١٦٠٥ الجزء الاول من رواية ((دون كيخوتة دى لامانشا)) أما الجزء الثانى فلم يظهر حتى عام ١٦١٥ . ويقارن المؤرخون بين حياة المؤلف وبطل الرواية ، بينما يؤرخ بها النقاد لميلاد الفن الروائى بمعناه الحديث .

الذين يلتقون مصادفة ببعضهم البعض ثم يفترقون، كما حدث له مع « بيم » الذى أرغمه الناموس على ان يفترق عنه ويتركه وراءه ، وربما كان الاخرون يمضون فى اتجاه عكسى .

وهذا هو المناخ التراجيدى السائد على عالم بيكيت المسرحى : وحدة الانسان فى وجود «قذر» لامعنى له .. انه يبدو أكثر تجريدا من جميع كتاب المسرح الجديد او اللامسرح .. هو يشترك مع يونسكو وغيره فى ان اللغة ليست موصلا جيدا للحرارة ، وأن المسرح الواقعى يزيف الواقع ولكنه لا ((**يباشر**)) هذه المعانى بممارستها مبالغة وتضخيما او بالعودة الى المسرح الشعائرى ، وانما هو ((**يستلهم**)) هذه المعانى بتجريدها من ملابسات الحياة اليومية والارتفاع بها الى مستوى الكائن الانسانى المطلق فى هذا الكون المطلق ايضا .. فليس من المهم ان تؤدى مأساة اللغة الى جريمة قتل ، وانما هى تؤدى الى الانفصام التام بين الاب والام والابن والخادم فى ((**لعبة النهاية**)) حيث نرى الاب والام فى صندوقى قمامة لايظهر منهما سوى الراسين، تماما كالعجوزين فى بحر الوحل القذر، والابن مشلول على مقسده طول الوقت يعذب خادمه الذى لايدرى أيبقى أم يذهب . ويصل تجريد بيكيت حده الاقصى فى أعظم أعماله على الاطلاق كما يجمع نقاده ، وهى مسرحية ((فى **انتظار جودو**)) . وفيها نلتقى بصعلوكين من المتشردين الى جانب شجرة جرداء فى طريق ريفى موحش ، ينتظران شخصا غامضا ضرب لهما موعدا غامضا مثله فى زمان غير محدد ومكان لم يعينه. واذ هما فى هذا الموقف المبلبل يلتقيان بعابرين على نفس الطريق فى حالة تثير الرثاء . ثم يدخل طفل معلنا أن جودو لن يأتى هذه الليلة ، ولكنه سيأتى الليلة التالية. ويكرر الفصل الثانى احداث الفصل الثانى بطريقة مختلفة دون ان يصل جودو، وان كانت الشجرة الجرداء قد أورقت شيئا ما. ولكن المسرحية لاتخرج عما قالته احدى الشخصيات فى مرارة قاسية: « لاشىء يحدث ، لا أحد يجىء ، ولا أحد يذهب . هذا فظيع » . وبالرغم من هذا التجريد الذى يدفع ببعض النقاد الى تقديم اجتهادات ميتافيزيقية فى تفسيره ، الا ان هناك من يرى فى اعمال بيكيت امتدادا — من ناحية المضمون — لاعمال كافكا ، وان كان بيكيت فى رأى هذا الفريق من النقاد قد مضى فى الشوط حتى نهايته. فالانسان الذى تحول الى صرصور فى محاكمة كافكا تحول الى مخلوق زاحف فى البراز اوغارق فى صندوق قمامة حتى أذنيه فى ادب صامويل بيكيت ، ذلك انه لم يعد محكوما عليه فى قضية لايدرى عنها شيئا فحسب ، بل اصبح الحكم سارى المفعول مشمولا بالنفاذ .. فانسان القرن العشرين لايتمتع حتى ببطولة الاغريق التراجيدية ليناطح الالهة الجديدة فى عالمنا المعاصر والاقدار المهيمنة على مصائر البشر ، وهو كذلك لايتمتع بهزيمة مشرفة كتلك التى حاقت بهاملت أودون كيخوتة. وانما انساننا بين حجرى الرحا ولا مفر له من المصير المحتوم ، ولكنه كثيرا ما ينسى فى ضجيج الحياة اليومية وذهولها هذه الحقيقة المرة ((**وذلك اقصى ما استطاعت حضارتنا ان تقدمه من وهم فى عصر العلم .. ليست مفارقة وانما عبث فى عبث**)) وهى صيحة الدمار بين جدران البيت الايل للسقوط .

غير أن « القديس جينيه ممثلا وشهيدا » كما

جيمس جويس (١٨٨٢–١٩٤١)

روائى ايرلندى ، ولد فى دبلن ، وتلقى تعليمه الاول فى المدارس اليسوعية وتخرج فى جامعة دبلن . قطع صلته بمسقط رأسه ونشأته الكاثوليكية وعاش متنقلا بين ايطاليا وسويسرا وفرنسا حيث كان يكتب مؤلفاته فى جو من البؤس والفقر . ولم يعد الى ايرلندا الا عندما كانت والدته تحتضر عام ١٩٠٤ وهناك امضى شهورا قليلة تعيسة يدرس فى احدى المدارس وفى تلك السنة التقى بالمراة التى اصبحت زوجته ورحلا فى نفس العام الى دول أوربا . كانت أول مؤلفاته ديوان من الشعر بعنوان « موسيقى الحجرة » ١٩٠٧ فاكسبه شهرة ، زادت بعد نشر مجموعة اشعاره ١٩٣٧ . لم يعتبر شعره على العموم اضافة الى الادب ، وانما نثره هو الذى أعتبر كذلك ، ومنه «القصص من دبلن» ١٩١٤ ،وقد تم نشره بصعوبة لاحتوائه على أسماء حقيقية لبعض الشخصيات والاماكن والاحداث ، ثم نشر روايته «صورة الفنان فى شبابه» ١٩١٦ التى صور فيها شباب ستيفن ديدالوس الذى يرجح النقاد انه جيمس جويس نفسه. وقد حاول فيها ان يكشف عن جميع مستويات العقل والتجربة ، وان يستفيد من الاسطورة والرمز ، وينهج مجرى الشعور او تيار الوعى . اما روايته « يولسيز » التى كتبها بين عامى ١٩١٤ و ١٩٢١ فى زيورخ وباريس فقد نشرت تباعا فى احدى المجلات الادبية لعدم تمكن جويس من الحصول على ناشر حتى ظهرت فى باريس عام ١٩٢٢ . ثم برزت اهميتها للعالم اذ هجر جويس فيها الشكل المالوف فى كتابة القصة ، واظهر فيها براعة لغوية فائقة ، كما تميزت الرواية باستعارة جويس من اللغات الاخرى ، وبتنوع الاسلوب حسب حالة الاشخاص (ومنهم ستيفن ديدالوس ، وليوبولدبلوم ، وزوجته مولى بلوم) فقد استخدم جويس طريقة مجرى الشعور والمونولوج الداخلى ، كما استخدم الرموز الدينية والاسطورية والمجازية . ومن اهم قصصه التى من هذا القبيل قصة «فنجانز ويك » ١٩٣٩ . وتاثير جويس على كتاب القرن العشرين لاجدال فيه ، ولكنه تاثير على « مناخ الادب العالمى » اكثر منه اقتفاء لاثره ومحاكاة لاسلوبه .

يصف سارتر جان جينيه ثالث الثالوث الذى هز اركان المسرح الفرنسى هو الذى امتلك معولا ايجابيا يهدم به الاسوار القديمة ويبنى فوق الانقاض مايدعوه برونكو مسرحا شرقيا مؤسسا على الفرائض والطقوس والايحاءات والرموز تتحول شخصياته الى استعارات مجازية اكثر منها كائنات حية ، وعالمه ابدا هو عالم المنبوذين أوالمنفيين والمجرمين والخدم والعبيد، أى هؤلاء الذين لم ينالوا حظوة لدى طبقة أصحاب ((**الفضيلة**)) الحاكمين ، كما لم ينلها هو نفسه كلص معروف بشذوذه الجنسى وعليه وصمة المنبوذ ((ان عالم المجرمين ومضاجعى الذكور الذى يغمرنا فيه شعره الخالب ليس دولة فوضوية ، وانما هو دولة فى مثل صرامة النظام الذى نعيش فيه غالبا وعلى قمة التنظيم يقف القاتل ، وهو فى معظم الاحيان شخص غير ظاهر ، على صورة اله ، قد مسته روح الأجرام)). ومسرحية جينيه الاولى ((**الرقابة القصوى**)) تجرى أحداثها فى احدى زنازين سجن الشواذ حيث نرى ثلاثة سجناء يتسلقون أكتاف بعضهم البعض فى شكل هرمى، وهناك سجين رابع خفى ، هو سفاح زنجى يقف أعلى الشكل الهرمى فى عظمة وكبرياء . واطول قاماتهم جميعا هى لذى العيون الخضراء الذى قتل احدى المومسات ويعلم يقينا انه سيعدم جزاء ذلك ، ولكنه ينسى نفسه وهو يصف مشهد القتل ، ويشع من عينيه بريق التفاخر بارتكابه الجريمة وروعة المصير الذى ينتظره . هذا الأحساس بالتفوق هو الذى يمنحه فرصة السيادة على السجين الاخر الذى يسيطر بدوره على ثالث ليس الا لصا . وكلاهما يقتتلان على اظهار الولاء لذى العيون الخضراء فيقدم لهما امتحانا عمليا هو أن يقتل احدهما زوجته بعد الافراج عنهما . وتتبلور هنا المشكلة فى وضوح : من يسبق الاخر الى قتلها ؟ ويحاول اللص ان يثبت انه ليس مجرما تافها فيقتل غريمه ومنافسه فى الولاء لذى العيون الخضراء .. ولكن هذا يتخلى عنه نهائيا فيدرك فجأة الوحدة المفجعة التى صار اليها . ويوجه جينيه النظر فى الارشادات المسرحية الى ان أحداث المسرحية تجرى كما لو كانت حلما ((**مثل ومضات البرق**)) مشيرا بذلك الى انها لاتصور احداثا واقعية وانما هى احلام يقظة فى راس محموم لسجين خرج توا من خلف الاسوار . وهذا مايربط بينه وبين مسرح القسوة عند ارتو من ناحية ، وبينه وبين خيال كافكا من ناحية اخرى . او هذا ما يميل سارتر الى تفسيره برغبة المنبوذ فى الانتماء ، لذلك يقدم على ((**الفعل**)) ولكن هذا الفعل يؤدى الى رفض الاخرين له، فلا حياة من ثم للضائعين فى هذا المجتمع . وفى مسرحية ((**الخادمات**)) نرى الخادمتين يمقتان سيدتهما التى لا ترى فيهما اكثر من متاع مثل مقعدها الانيق امام حوض اغتسالها . ولكى تثأرا منها كتبتا الى الشرطة باسم عشيق السيدة فأدخلوه السجن ،ولما خرج خافتا افتضاح سرهما فحاولتا دس السم له ، ولكنهما اخفقتا فى ذلك فانتحرت احداهما بهذا السم واعدمت الاخرى بقبولها مسئولية موتها . وفى مسرحية ((**السود**)) قصد جينيه ان تمثل امام ((البيض)) فاذا لم يكن هناك جمهور ابيض فلابد من اخلاء احد المقاعد لشخص ابيض . ويمثل السود مقتل أمراة بيضاء يتوسط تابوتها خشبة المسرح ملفوفا بنسيج ابيض ، تراقبهم وتحكم عليهم . وبعد تمثيل الجريمة ينزل اعضاء المحكمة من شرفتهم ويقومون برحلة خيالية فى قلب الاحراش الافريقية حيث ينتوون عقاب الزنوج . ولكن الملكة السوداء تغلب الملكة البيضاء ، ويخلع اعضاء المحكمة اقنعتهم ليؤدى الجميع الرقصة القديمة التى بدات بها المسرحية . ولعل جينيه لم يكن واضحا بهذا القدر من قبل ، فهو يرى فى الزنوج عالما من المنفيين الذين يفرض عليهم الاخرون عالما آخر . لقد قرر الزنجى فى هذه المسرحية كبقية مجرمى جينيه ، ومثل جينيه نفسه ان ((**يمثل**)) حتى النهاية ذلك الدور المطلوب منه . وحينئذ يتضح كما يقول بيير ماركابرو ((**ان هؤلاء الزنوج ليسوا سوى رموز ، سوى أشباح أنجبها ازدراء وغضب ونفور هى مشاعر جان جينيه ازاء نظام يرفضه بكل كيانه**)) . وهى المشاعر التى شطرت الرأى العام الفرنسى الى قسمين حين عرضت مسرحيته ((**الحواجز**)) عن ثورة الجزائر ، فبينما تقفز بعض النظارة الى المسرح يضربون الممثلين نظم فريق آخر المظاهرات الهاتفة بحياة جينيه وثورة الجزائر .

رواية جديدة .. ورؤيا جديدة

ولم تكن الرواية بمعزل عن المسرح الجديد فى فرنسا ، فقد كان تطورهما موازيا لظهور ((الرؤيا الجديدة)) للانسان والعالم كما يقول آلان روب جرييه (٤) . فقد كان ((**الانسان مركز الكون**)) محور التصور القديم للادب السابق على ظهور الرواية الجديدة . كان جميع الروائيين — مهما تباينت اساليبهم الفنية — يصوغون انسانهم ومشكلاته على انه الحقيقة الوحيدة فى هذا العالم

---

(٤) راجع مقالة ((أسلوب الحقيقة وحقيقة الاسلوب)) بالمجلة ((المجرية الفصلية الجديدة)) — العدد ٢٢ — المجلد السابع — صيف ١٩٦٦ — الطبعة الانجليزية . وكذلك كتاب ((نحو رواية جديدة)) ترجمة مصطفى ابراهيم مصطفى — دار المعارف بالقاهرة

.. بينما الانسان ليس الا احدى الظواهر التى لا حصر لها فى هذا الوجود ، وبالتالى فان الاقتصار عليه يؤدى الى تضخيم مزيف ومبالغة من شأنها ترسيخ ((**عمى الالوان**)) و ((**داء الكذب**)) عند المتسلقين من القراء . كذلك فان هذا التصور قد ادى الى ((**انسنة الاشياء**)) من حولنـا بحيث اننا نرى من خلال الروائى التقليدى اى شىء ممزوجا بانسانيتنا ، اى من وجهة نظرنا ، من ذاتيتنا . وهذا من شأنه ان يفقدنا ((**البصيرة الموضوعية**)) التى تباعد بين الشعور الانسانى و ((**الشىء الكائن**)) مباعدة تمنح كافة الكائنات ذاتيتها المستقلة هى الاخرى . من هنا يمكن القول بان الرواية الجديدة ((لا رواية)) بمعنى انها لا تخضع للتصور التقليدى عند الروائيين السابقين ، كما يمكن القول بانها رواية ((**لاانسانية**)) بمعنى انها تنكر محورية مركز الانسان من الكون ، وتنكر انسانية الكون فى نفس الوقت . لهذا يتغير ((البناء)) الروائى فى الرواية الجديدة تغيرا جذريا ، ولا يعود المونولوج الداخلى هو احدث منجزات التكنيك كما عرفناه عند جويس ، ولا يعود الزمن الداخلى شريحة موضوعية فى قطاع بشرى كما عرفناه عند بروست ، ولا يعود الوجود غير المبرر والمنفى الاضطرارى والسجن الذى لا نهاية له ، هو رؤيا الفنان كما عرفناها عند كافكا وكامى . ان الرواية الحديثة عند هؤلاء شىء مختلف كل الاختلاف عن ((**الرواية الجديدة**)) لان الرواية الحديثة فى حقيقتها تطوير للرواية التقليدية وليست ثورة عليها . هى تطوير يستفيد كثيرا من معطيات العلم الحديث ، ولكن من اجل فهم اعمق ((**للانسان**)) . اما الرواية الجديدة فتضع الانسان فى مكانه الصحيح من اجل فهم اعمق ((للكون)) . وهكذا يصبح الاغتراب فى الرواية الحديثة شيئا مختلفا كل الاختلاف عن الغربة فى الرواية الجديدة لان الاغتراب عند الروائى الحديث هو الاحساس بعبثية الوجود ((الانسانى)) . اما ((**الغربة**)) عند الروائى الجديد فهى الاحساس بعزلة وانفصال الانسان عن بقية العناصر اللا انسانية فى الكون . معنى هذا اننا لن نجد فى الرواية الجديدة ما كان يدعوه النقاد بالموقف والحدث والشخصيات وغير ذلك ، بل قد لا نجد ((**البناء**)) اذا تصورنا الامر تصورا تقليديا . ولكننا سنجد ((وصفـا)) موضوعيا امينا ((**للاشياء**)) من خارجها بلا اية محاولات ((**للتدخل**)) فيما يشغل مناطق ((**الغيب**)) والبحث عن المجهول . وفى معرض الحديث عن اعمال **ناتالى ساروت** يقول الناقد الانجليزى **جون ويتمان** ان الفرد عندها هو كتلة مفعمة من الحركات الاصيلة ــ من الانعطافات ــ التى يختار من بينها العرف او العادة او القصور الذاتى نمطا مبسطا ، ويؤخذ هذا النمط على انه هو ((الحقيقة)) فى حين **انه لا يعدو فى الواقع ان يكون راسبا او تحجرا .** وهى ــ مدام ساروت ــ لا ترتاح الى نزعة التعميم الكامنة فى التعبير اللغوى (والموقف امعن سوءا فى حالة الالفاظ الدالة على الاحاسيس الوجدانية . فمن الصعب ان تتخيل اية شخصية فى قصة لساروت تقول لشخصية اخرى ((احبك)) لان لفظ ((الحب)) اختزال ثقيل على السمع الى حد يبعث على اليأس . وكيف يتأتى اطلاقا لشخص مرهف الحس ان يجمل كل التنوعات المتقلبة لعلاقة عميقة فى كلمة واحدة كثيرة الاستعمال) .

اما الوضع الادبى فى بريطانيا الذى يتخذ لنفسه تسمية ((الغضب والسخط)) فان **ريتشارد هوجرت** يقوم بتحليله على ضوء الوضع الاجتماعى الذى اثمر الاعمال الغاضبة والساخطة . يقول الناقد الانجليزى ان قرنا كاملا من محاولات الاصلاح الانجليزية بدأت فى انجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر يتوجها الان ــ فى منتصف القرن العشرين ــ ظهور طبقة جديدة يدعوها ((الميروتوكراسى)) اى الطبقة المتميزة عن جدارة واستحقاق . وهى الطبقة التى تكونت من ابناء الطبقة العاملة الذين دخلوا الجامعات ، وابناء البرجوازية الصغيرة الذين اجتهدوا فى الوقوف على اقدامهم دون الانحدار الى ((**حضيض**)) الطبقة العاملة . وهى الان طبقة عريضة تتسع لهاتين الشريحتين ، وتضيق عن استقبال الوفود الجديدة سواء كانت قوى اجتماعية او افكارا سياسية ، فهى بالتالى تتحول الى طبقة محافظة . لقد بدأت حياتها باسلوب محافظ . هذه الطبقة

بوريس باسترناك
(١٨٩٠ ــ ١٩٦٠)

شاعر وروائى روسى . من اعظم شعراء الروس وان كان لا ينتمى الى مدرسة بعينها . من اشعاره ((فوق الحدود)) ١٩٣١ و ((الميلاد الثانى)) ١٩٣٢ ، وقصيدتاه القصصيتان الطويلتان ((سبكتورسكى)) ١٩٢٦ و ((سنة ١٩٠٥)) ١٩٢٧ . قام بعدة ترجمات رائعة الى اللغة الروسية فنقل مسرحية ((هملت)) لشكسبير وبقية اعماله التراجيدية ، كما نقل ((فاوست)) لجوته . ونال جائزة نوبل عام ١٩٥٨ عن روايته ((دكتور جيفاجو)) بالرغم من ان قيمتها الفنية لا ترتفع الى مستواه فى اعماله الاخرى ــ ولكن الضجيج السياسى الذى اثير حولها واستغلال بعض الجهات المهيمنة على الجائزة لهذه الاثارة هو الذى احاطها باهمية فيها الكثير من المبالغة .

فيما يرى هوجرت هي التي اثمرت ادب الغاضبين لان ابناءها هم ابطال مدرسة الغضب . اما زميله الناقد **ستانلى هايمن** فيذهب الى ان انهيار الاسطورة الاشتراكية فى بريطانيا — مجتمعا وفكرا — هى التى ادت الى ظهور الغاضبين الساخطين .فروايات «كنجسلى اميس» و«جون وين » و«جون برين» تعالج التحولات الاجتماعية الخطيرة لجيل بريطانى جديد اقبل من « احط الطبقات شأنا » ويلهث فى اللحاق «**باكثر الطبقات حظا** » مادامت الاشتراكية فى انجلترا لا تتجاوز يوتوبيا توماس مور . ويستكمل **مورتون كرول** هذه الفكرة قائلا ان « **اللا انتماء** » الطبقى هو العمود الفقرى للادب الغاضب ، فالضياع الاجتماعى وانعدام القدرة على تحقيق الذات هما النغمتين الرئيسيتين فى كتابات الغاضبين جميعا (٥) .

والنغمة الثالثة هى رفض العلاقات الرسمية والروابط التنظيمية . والنغمة الرابعة هى غياب الارتباط بالماضى او ما عبر عنه **جيمى بورتر** فى مسرحية اوزبورن بقوله أنه لم تعد هناك قضايا يناضلون من اجلها . ومن الناحية الفكرية تكاد الفكرة الليبرالية ان تتكامل مع الفكرة الاشتراكية فى معظم اعمال الادب الغاضب ، وان طغت الليبرالية على الحماس للاشتراكية تحت وطأة الاحساس المفاجىء بغياب التقاليد الديموقراطية فى اساليب الحكم الغربى ، وتتعدد الإتجاهات بين الادباء الغاضبين تعددا يكاد ينفى عنهم امكانية الاشتراك فى تسمية واحدة ، فمن بينهم الاتجاه الدينى ويمثله كولن ولسون وستيوارت هولرويد ، والاتجاه الاصلاحى ويمثله جون وين وكنجسلى اميس ، والاتجاه الثورى ويمثله جون اوزبورن .ولكن هذه الاتجاهات جميعها تعود فتلتقى فى « **الغضب والسخط** » على ما هو قائم ، دينيا وسياسيا واجتماعيا . وتختلف الموجة الجديدة فى بريطانيا — من هذه الزاوية — عن مثيلتها فى فرنسا حيث تميل الموجة الانجليزية الى النقد الاجتماعى الصريح ، اوما يعبر عنه بعض النقاد الانجليز انفسهم « **بالمواجهة الشجاعة** » لما يتسم به مجتمعهم من ثبات واستقرار شبيه بالموت . ويلتفت **جيمس جندن** فى مقال نشره عام ١٩٥٨ تحت عنوان « تأكيد ما هو شخصى » الى النهايات السعيدة التى تميز الكوميديا البريطانية المعاصرة فيقول انها لا تدل بحال على «التفاؤل السهل » فالبطل الروائى الانجليزى المعاصر تعترض حياته صعوبات ضخمة وعليه ان يجتاز السدود ويحطم العوائق قبل ان تتأكد لنا جدارته واستحقاقه ، ولا يعدو ان يكون نجاحه فى نهاية الرواية رمزا لانتصار وجهة نظره على ما يحيط به من زيف وادعاء . وهذا ما يفسر اهتمام الشباب الغاضب بالفرد لشكه فى صلاحية اى حل جماعى على نطاق واسع . ولكن هذا الشباب الغاضب لايقيم وزنا لسائر الافراد بل يحتفل فقط بالفرد الذى يثبت جدارته واستحقاقه، الفرد البصير الذكى الذى لا ينطلى عليه زيف القيم الاجتماعية الباطلة التى تحيط به وتحاصره من كل جانب .. الفرد الذى يستطيع بعرقه وكدحه ان يشق طريقه وسط كل هذا الزحام المتلاطم وكل هذا الزيف . ويذهب **جون راسل تايلور** فى كتابه « الغضب وما بعده » الى ان مسرحية «انظر خلفك فى غضب» لجون اوزبورن تعد وثيقة الاحتجاج الاولى على المجتمع البريطانى المحافظ ، وأن كتاب « اللامنتمى » لكولن ولسن هو الصياغة النظرية المقبولة عند جيل الغضب الانجليزى .. وقد توالت بعد ذلك اعمال اوزبورن وكولن ولسن ، ولكن العمل الاول لكل منهما يبقى مؤشرا حساسا لا يخيب لكافة الوان العنف والتمرد التى اصابت الشباب الانجليزى سواء هذه التى عبر عنها فى صورة صارخة الخنافس ومؤلفو الموسيقى الالكترونية، او تلك التى عبر عنها طلبة الجامعة فى استقلالهم عن الجامعات الرسمية ، واقامة ما يسمى « **باللاجامعة** » حيث يضعون بانفسهم مناهج التعليم التى لا تخرج عن اصول حرب العصابات وعلم النفس الاجتماعى وكتابات جيفارا ودبريه.

ومسرح الغضب البريطانى يتخلص من جميع القيود والاوضاع المسرحية التقليدية واحلال الصورة محل الكلمة فى الانتاج المسرحى والاعتماد على ارتجال الممثلين الى حد يجعلهم يكادون ان يستغنوا عن نص المسرحية او الحوار الذى وضعه المؤلف . فالمهم هو ما يسمونه مسرح الحدث او الحوادث اى المسرح الذى تحدث فيه التجربة المسرحية باسلوب تلقائى حى ، ويشارك فيه النظارة كل المشاركة ، وادخال الرقص التعبيرى والتمثيل الصامت كما نرى فى مسرحية ارنولد ويسكر « **بطاطس مع كل صنف** » ومسرحية شيلادلينى « **طعم الشهد** » ، وادخال الغناء كما نراه فى مسرحية « **الرهينة** » لبرندان بين ، وفى « **رقصة النفر مسجريف** » لآردن ، وفى نتاج برنارد كويس ، وفى مسرحية « **المهرج — او المطرب** » لازبورن . والتخلى عن الستار التقليدى الذى يرفع مع بداية المسرحية ، كما نجد فى مسرحية « **ساغنى لك المرة القادمة** » لجيمز سوندرز حيث لايوجد ديكور على الاطلاق . وفى

---

(٥) راجع كتاب « دراسات تمهيدية فى الرواية الانجليزية المعاصرة » — رمسيس عوض — دار المعارف بالقاهرة — الطبعة الاولى — ١٩٦٨ .

انتاج هؤلاء جميعا يستبدل الكاتب العقدة المسرحية الكلاسيكية بموقف ، او مجموعة مواقف لا تتسلسل تسلسلا زمنيا _ منطقيا . ولعل آردن من اكثر الغاضبين الانجليز احتجاجا على مايجرى فى العالم كله لافى انجلترا وحدها ، ففى مسرحيته « النفرمسجراف » يدير احداثها فى عام ١٨٨٠ باحدى بلدان الجنوب يعمل سكانها فى منجم . ويصل الى البلدة عدد من الجنود بقيادة الشاويش مسجراف متظاهرين بانهم فى حملة تجنيد وهم فى الواقع قد تخلوا عن الحرب وجاءوا الى هذا البلد ليعلموا الناس درسا عن أهوالها ، فهذه هى مهمتهم الحقيقية . ولكن المنجم به اضرابات ويشتبه العمال المضربون فى الجنود خشية أن يتدخلوا لافساد الاضراب . ويحاول مسجراف أن يقضى على هذا الشك ويدعو العمال الى قدح من البيرة ، ويتم بين الجنود والعمال نوع من الالفة والتفاهم وان لم يندحر الشك نهائيا . وكذلك يصل الشاويش الى تفاهم مع مدير المصنع وعمدة البلد ، وهما يرحبان بوجود الجنود ، اذ يجدان فى هذا الوجود ما من شأنه ان يصرف العمال عن مطالبهم . وهكذا يتهيأ الجو ، ويأتى يوم الاجتماع الذى حدده الشاويش ليدلى الى السكان برسالته . وفى الاجتماع يعلن أن عظام فتى من فتيان البلدة فى صندوق معه ، وان الفتى قتل فى بلد محتل ، وقد عوقب اهالى البلد المحتل على قتله بتنفيذ حكم الاعدام فى خمسة أبرياء منهم . ولما كان المنطق العسكرى يقتضى مضاعفة العدد فقد قرر الشاويش قتل عشرة من المسئولين فى البلدة التى ينتمى اليها الفتى المقتول ! وما يكاد الشاويش يعلن هذا القرار حتى يحدث انقسام فى صفوفه فما ظن الجنود أن هذه رسالتهم وما ارادوا سوى وقف القتل نهائيا .. وأثناء الضجة تقتحم الخيالة المكان ، ويلقون القبض على الجنود ويجردونهم من اسلحتهم ، ويصطفون بثيابهم الحمراء صفا طويلا . ويرقص عمال المصانع : يرقص بعضهم فرحا ويرقص البعض الاخر رهبة من الصف الاحمر الذى يخيم عليه . واللون القانى فى مسرحية آردن يشير الى القتل اذ تنتهى الرواية والقتل يجثم على المكان فالمشكلة لم تحل ، ولايدرى احد اين الصواب : مع الشاويش أم مع الجنود . وكل مافى الامر أن العمال والجنود — الذين هم فى الاصل عمال — قد انقسموا على انفسهم ووقفوا جميعا : البعض مقبوضا عليه ، والبعض يرقص فرحا فى ظل حائط من الدم (٦) .

وربما كان الادب الامريكى من الاداب التى اتصلت بالموجة الادبية الجديدة فى وقت متأخر نسبيا ، ولكنه حين لفحته رياحها كان من اكثر هذه الاداب غضبا وعنفا . وقد اتخذ الغاضبون الامريكيون الشعر وسيلة رئيسية للتعبير عن انفسهم ، وتتكون جماعة « البيتس » الامريكية من الشعراء « الفوضويين » امثال آلان جينزبرج وجاك كيرواك وجريجورى كورسو وكينيث ريكس ورث . ولكن ظهور الكاتب المسرحى ادوارد البى غير مسار رحلة الغضب الامريكى من مجرد كونها « عاصفة هوجاء توشك ان تكون زوبعة فى فنجان » الى انه « اذا كان الجنون والعنف يحكمان هذا العالم الذى يسوده القمع والكبت » فانه لا مفر امام كل فنان لا يملك سوى ضميره الا ان يتصدى لهذا العنف بعنف مماثل ، والا ان يمرغ الوجه الملون بالاصباغ المتخفى وراء العديد من الاقنعة فى الوحل الذى صنعته الاصابع الرقيقة خلف القفازات الحريرية . هذا مايصرح به البى منذ كتب مسرحيته الاولى « **قصة حديقة الحيوان** » ذات الفصل الواحد . وفيها يتصادف وجود المتشرد الصعلوك جيرى جنبا الى جنب البرجوازى الانيق الناعم بيتر . ويحاول جيرى أن يصل مابينه وبين بيتر ، بذوق شديد أول الامر وبلهجة تخلو من الود فى النهاية ، الا أن بيتر يتظاهر بالاستغراق فى القراءة حريصا على مسافة الصمت بينه وبين جيرى . حينئذ لايرى جيرى بدا من أن يستل مديته ويغرزها فى جسم بيتر ، مهما كانت النتائج . وفى مسرحيته التالية « **وفاة بيسى سميث** » المغنية الزنجية التى اصيبت فى حادث سيارة فلما نقلت الى المستشفى اعتذر الاطباء فى لهجة مهذبة عن محاولة انقاذها ، لان المستشفى مخصص لعلاج البيض . وتموت

الكسندربلوك (١٨٨٠ — ١٩٢١)

شاعر روسى يعده النقاد اعظم الشعراء الرمزيين فى روسيا . تتلمذ على الشاعر الفيلسوف فلاديمير سولوفيف ، وأصاب شهرة واسعة بسلسلة قصائده « السيدة الجميلة » ١٩٠٤ التى كتبها قبل ثورة ١٩٠٥ ، وعبر فيها عن الاشواق الصوفية للشعب الروسى ناصر ثورة اكتوبر وكتب عنها ملحمته العظيمة « الاثنا عشر » وفيها يصور السيد المسيح وهو يظهر فى شوارع بتروجراد . وفى قصيدته « الاسقوثيون » ١٩٢١ هاجم الحلفاء الغربيين الذين حاربوا الحكم الشيوعى الجديد . ومن آثاره الاخرى ملهاة « الملك فى الميدان » و « الوردة والصليب » وهى مسرحية شعرية تدور حول فرنسا فى العصور الوسطى ، و « روح الموسيقى » .

---

(٦) راجع مقال : د. لطيفة الزيات — العدد الاول من مجلة المسرح — يناير ١٩٦٤ .

صمت بعد أن ترسم دماءها وهى تنزف على الطرقات علامة استفهام كبرى أمام الضمير الامريكى المخدر . وفى مسرحية «الحلم الامريكى» يعالج البى مأساة الفصام العقلى والروحى بين الاجيال الامريكية المعاصرة، فيستلهم تكنيك مسرح العبث فى تشريح اسرة مكونة من الجدة والابوين الذين ات ابنهما بالتبنى ، فهما يبحثان عن بديل له . ويصل شاب وسيم شبيه بالابن الميت ، يقول انه يتمتع حقا بمظهر خارجى طيب ولكنه فى الواقع ميت من الداخل ، ويبدى استعداده لقبول عضوية هذه الاسرة . وفى « من يخاف فرجينيا وولف » يزدوج الصراع بين الاجيال فلا يعود صراعا بين جيل وجيل فحسب ، بل وبين افراد الجيل الواحد أيضا . فهنــاك ابن وهمى لجورج ومارتا اللذين تزوجا لتحقيق ـلحة متبادلة لاعن ود صادق ، وهما يشتجران حول الابن الوهمى او الامل الوحيد فى سماء حياتهما المظلمة . والآن اذ يستعدان للاحتفال بعيد ميلاده الواحد والعشرين يجب ان يشرعا فى اخفاء الامر عن الاصدقاء . ولكن مارتا تندفع بغريزة المرأة التسواقة الى اشهار خصوبتها على المــلا فتعلن عن وجوده ، ومن ثم يتحول الابن الى عدم فيتبدد الوهم الجميل حين يكتشفان انهما ايضا عقيمان .. هذا العقم الذى يرمز به ادوارد البى فى نظر أغلب النقاد الى بوار الحضارة الامريكية وجدبها .

أدب ضــد النــازية

ولعله قريب غاية القرب من هــذه «الثيمات» الامريكية مايحدث لادب ألمانيا الغربية ،وبخاصة فى روايات « جونتر جــراس » وشعر « هــانز انزنسبرجر » .. وهذا الاخير هو الذى يطلقون عليه فى ألمانيا اليوم « فتى ألمانيا الثــائر » ، فهو منذ ١٩٦٥ راح يصدر مجلــة « كورسبوخ » المعادية لانبعاث الشوفينية النازية ، وشعاره فى الفن « ان أعظم الجرائم قاطبة هى ان يصمت الشاعر ازاء الفظائع الكثيرة التى ترتكب » (٧) «والادب العظيم هو دائما وابدا ادب سياسى» ، وفى قصيدة من أحدث ماكتب يقول :

انظروا فى المرآة ايها الجبناء
أيها المنهزمون من قسوة الحقيقة
يامن تكرهون المعرفة وتسلمون الفكر للذئاب
أنتم تفقأون عيون بعضكم بعضا
الاخوة مستحكمة بين الذئاب
انها تسير زمرا
فليعش اللصوص : انتم ،
يا من توجهون الدعوة لاغتصابكم
وترتمون على فراش الطاعة العاجز ، باكين
تكذبون ، وممزقين تريدون ان تصيروا . أنتم
لن تغيروا العالم

وفى قصيدة أخرى تتميز ببساطة تركيبها يقول فى أحد مقاطعها :

من خلال باب المطبخ المفتوح
أرى حليبا مسكوبا
وحروبا دامت ثلاثين سنة
ودموعا على رفوف البصل
وصواريخ ضد الصواريخ
وسلالا للخبز
وصراع الطبقات
وشمالا هناك فى الزاوية
أرى صحنا للقطط

والشــاعر « **هانزانزنسبرجر** » هو المفــكر الالمانى الذى دعته جامعة وسيليان الامريــكية ليحاضر طلبتها ، وبعد ثلاثة أشهر فقط قــدم خطابا مفتوحا الى رئيس الجامعة نشرته صحف العالم يحذر فيه من ان الولايات المتحدة تقود العالم كله والحضارة بأسرها نحو الدمار الشامل كما اتضح له ذلك خلال الفترة القصيرة التى أمضاها بين المثقفين هناك .. فهو لم ير بدا من الاستقالة حتى يتواءم فكره وسلوكه فى وحدة واحدة كما يقول ريجيس دبريه مفضلا ان يقضى ماتبقى له من "عمر بين أفراد شعب مثل الشعب الكوبى ، الشعب القادر على أن يعطيه اشــياء افتقدها طوال اقامته فى الولايات المتحدة ".

وربما كان الرصــد الدقيق لمنــابع الغضــب واللاجدوى والعنف فى الاداب الغربية المعاصرة — فى اطــار صراع الاجيال — يؤدى بنا الى ثلاثة منابع رئيسية :

أولا : ما تستشــفه العين البصيرة الخــالية من الاهواء — وهذه يتمتع بنورها الشباب أكثر من غيرهم — من أن تحولا عميقا يجرى للابنية السياسية فى الغرب يزحزح من تحتها التقــاليد الديمقراطية الغــائرة فى الوجــدان الاوروبى ، ويؤسس مكــانها اشــكالا حديثة للديكتــاتورية المحكمة البناء . وربما كانت صرخة الحرية القريبة من شعار الفوضويين القدامى هى نتاج هــذه الطنة الداميــة لاعز ماكان يمتلك المثقف الغربى من ضمانات تقليدية .

ثانيا : اقبلت حرب فيتنام وثورات الزنوج من ناحية ، والاغتيالات الفردية المتــلاحقة من ناحية اخــرى تقــدم دليــلا قاطعا على ان « الحــلم الامريكى » لم يعد حلا لمشكلة ((**الفقــراء**)) داخل الولايات المتحدة أو خارجها .. وبانهيار هذا الحلم

---

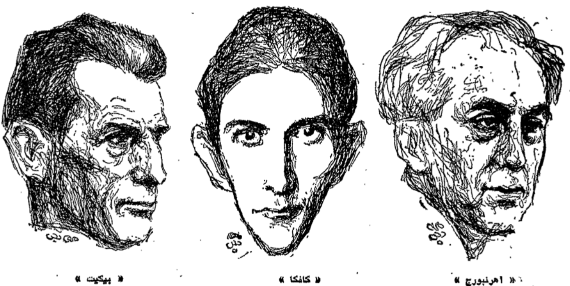
(٧) راجع « تقارير الشهر » بالطليعة عدد مايو ١٩٦٨ ، وكذلك العدد ٣٥ من مجلة « شعر » اللبنانية — السنة التاسعة — صيف ١٩٦٧ .

البديل فيما سبق للنازية الهتلرية ، لم يكن في انتظار المثقفين سوى المكارثية التى أعدمت شرف الكثيرين من عمالقة الادب الامريكى ، واصبح قيام جيل جديد يشهد على الكارثة من داخل امريكا وخارجها أمرا طبيعيا .

ثالثا : لم يتزحزح شبح هيروشيما وناجازاكى من مكانه الثابت فى مخيلة الاجيال المعاصرة فى الغرب ، ولا من ضميرهم . لذلك كان الدمار النووى فى حرب ثالثة من أبشع المسلمات التى تنطوى عليها قلوب المثقفين الشباب فى عصرنا الراهن ، ومن أبرز سمات القلق الـ"ى الذى يطحن عقولهم .

اللوحة الشرقية

اشرقت بنهاية الستالينية آفاق عصر جديد فى تاريخ الفكر الاشتراكى العلمى ، فقد آذنت هذه النهاية بخاتمة مرحلة الجمود العقائدى الذى ساد على الفكر الادبى الاشتراكى طيلة ربع قرن او يزيد قليلا ، عانت خلالها روح الخلق والابداع من ويلات الاختناق والموت . على أن هذا لاينفى أن ثمة نماذج أدبية رائعة قد أفلتت من العهد الزدانوفى بالرغم من كل قيوده ونظرته الاحادية الجانب . ولكن الطابع السائد للمرحلة كان العقم والبوار ، وتدمير أعرق التقاليد الروسية فى الادب والفن . أن غياب دستويفسكى وتولستوى وتشيكوف عن مخيلة الادباء المعاصرين للثورة كاد أن يجعل من الاداب السوفيتية فى بداية ظهورها نبتا بلا جذور تمد أغصانه وفروعه بماء الحياة . وبينما كان المتوقع من نقاد الثورة أن يقيموا الجسور بين التراث والحاضر ، وبين جدلية الحياة وماتعكسه من أدب وفن ، الفينا انفسنا أمام انتاج تنقطع الوشائج بينه وبين تاريخه وبينه وبين حاضره . ولم يعد أمامنا فى الاغلب الاعم سوى تماثيل مجوفة للشعارات قصيرة الامد هى فى أحسن الاحوال واقعية فوتوغرافية تقف عند حدود السطح ولا تنفذ الى الاعماق ، أو هى على نحو آخر مجرد يوتوبيات خيالية جميلة تشيد المدن الفاضلة فوق كثبان من الرمال . ولقد كان الجيل الذى عاصر زدانوف وستالين — فى السياسة والثقافة — هو أكثر الاجيال احساسا ببشاعة ماحدث . ومن هنا لم يكن غريبا على الاطلاق ان تنبعث أولى صيحات ((**ذوبان الثلوج**)) من حنجرة فنان عجوز عانى الامرين من هول ما جرى ، هو اليا اهرنبورج الذى جعل عنوان روايته اشارة البدء لمرحلة جديدة فى تاريخ الحياة السوفيتية والاداب الاشتراكية جميعها . وكان جوهر « ذوبان الثلوج» هو الصراع الخفى بين نمطين من انماط الحياة فى ظل الثورة : أحدهما يرى الفن **((بوقا))** للثورة وسرعان ما يتحول صاحب هذا المفهوم الى ((**فنان الدولة**)) ، والاخر يرى الفن ((**ثورة**)) لها نوعيتها الخاصة التى تتكامل مع الثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولكن طبيعتها تنأى بها عن أن تكون بوقا لشىء . هذا الصراع فى الفن له نظيره فى الحياة ، فالزوج الذى يعيش حياته ((**موظفا محترما**)) ينفذ بدقة روتينية ما يكفل له الترقية فى الحزب والدولة ، غير الرجل الذى يرى فى الوظيفة وسيلة لا غاية ، وجزء من كل هو الحياة بكل ماتشتمل عليه من تطلعات النفس واكتشافات العقل ونبضات القلب . ويسجل اهرنبورج الهزيمة المريرة التى يمنى بها الفنان الحقيقى الذى يكابد بكل ذرات دمه موهبة الخلق والابداع ، بينما يرى بكلتا عينيه كيف يصل الادعياء المزيفون من حملة الشعارات الى أعلى المراتب والمراكز والمناصب . هو — الاصيل — يتضور جوعا حتى الموت ، والاخر — المزيف — تنفتح له الابواب السحرية دون قيد أو شرط . وفى موازاة هذا الخط يسجل اهرنبورج خطا آخر للزوج



« اهرنبورج » « كافكا » « بيكيت »

الذى يحرق النجاحات الاجتماعية المتوالية بغير ان يحس او يشعر بهـذه المخلوقة الى جـانبه ، بينما يحترق شوقا اليها عاشق صـامت تهزمه خسائر الحياة بلا رحمة الواحدة بعد الاخرى .
ولكن اهرنبورج الذى عاش ايامه يرتعد من جبال الثلج التى لاتتحرك كان يؤمن حتى الاعماق انه سوف يأتى يوم تشرق فيه الشمس بوهج لامثيل له فتذيب بحرارة اشعتها هذه الجبال الثلجية .
ولا تعد قصة « ذوبان الثلوج » من ادب الطليعة السوفيتى فبناؤها اقرب الى الروح الكلاسيكية، ولكنها بغير شك كانت الارهـاص الفنى الـذى يرتفع الى مستوى النبوءة ، اذ بعد كتابتها بثلاثة اعوام وبعد نشرها بعامين انعقد المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦ ليؤكـد رسميا صدق النبوءة التى انطلقت ذات يوم من وجدان كاتب تجاوز ايمانه بحتمية التطور ايمانه بالاشخـاص والنظم . ولـذلك كان للعجـوز اهرنبورج شرف الريادة لاخطر مراحـل التطور الادبى والفنى ، لا فى روسيـا وحدهـا وانما فى مختلف بقاع العالم الاشتراكى ، مرحـلة ذوبان الثلوج . وهى المرحلة التى يمكن ان ندعوهـا بعصر « **النهضة** » فى تاريخ الادب السـوفيتى ، والاشتراكى عامة . . حيث بدأت عمليات التنقيب عن الجذور من ناحية ، وفتح النوافذ على العالم الخارجى من ناحية اخرى . لقد تمت النهضـة الاولى فى تاريخ الادب الروسى حين فتح بطرس الاكبر والامبراطورة كاترين النافذة الغربية ليطل المثقفون الروس على اوروبا ، فـاثمرت هـذه النهضة عمالقة الادب الروسى فى القرن التاسع عشر . . وكان لابد للنهضة الثانية ان تزاوج بين تراث النهضة الاولى والانفتـاح من جديد على نافذة العالم المعـاصر . بالاضـافة الى الرؤيا الجديدة للفلسفة الاشـتراكية العلمية ، وهى الرؤيا البعيدة بجوهرها كل البعد عن ان تـكون احادية الجانب . هذه العناصر مجتمعة اطلقت الفنان « **لنهضة** » جديدة ـ لا لموجة جديدة ـ فى حياة الاداب الاشتراكية ،خلقا ونقدا وتذوقا .
هذه النقطة فى غاية الاهمية لانها تحمينا من زلل الوقوع بين براثن التسميات غير العلمية التى قد يطلقها الادباء او النقاد انفسهم على « ظواهر » مختلفة كيفيا عن ظواهر الادب الغربى التى درجنا على تسميتها بالطليعية والتجريبية والجديدة .
وسوف نلاحـظ ان دورة « **الفعل ورد الفعل** » بين الفنان والدولة فى ظل المجتمع الاشتراكى من أهم معالم الطريق الى فهم الظواهر الجديدة فى الاداب الاشتراكية ، لا فهمها فحسـب بل وفى تحديدها وتقييمها . ان حـركة ادبية تقوم على بعث دستـويفسكى وتشـيكوف وتورجنيف فى الرواية والمسرح،وبلوك ومايكوفسكى وآنا اخماتوفا فى الشـعر ، وتشيرنشفسكى ودوبرليـوبوف وبيلنسكى وهـرزن فى النقد الادبى . وسارتر ودى بوفوار وكامى وكافكا فى الترجمة عن الادب الغربى لهى حركة احياء لارض طال جفافها اكثر منها حركة تجارب طليعية ».

الادب بين الكاتب والسلطة

وبالرغم من ان الادب كان سباقا الى التنبؤ بمرحلة التفتح السياسى ، الا ان السلطة السياسية التى قررت رسـميا بدء عمليات التحـرير من الستالينية فى الفكر السـياسى لم تـكن تملك الوجدان الادبى والفنى الذى يقرر فى نفس الوقت بدء عمليات التحـرير فى مجـال الفكر الادبى . وانما قامت طلائع الادباء والفنانين « باستغلال » المناخ الجـديد دون اية ضـمانات من الدولـة بحمايتهم من التيار الستالينى الـذى ما يزال يتنفس فى اتحاد الكتاب والصحف ودور النشر ، وان توارى عن العيون فى المؤسسات السياسية .
ولقـد كانت رواية دودنتسـيف « ليس بالخبز وحده » من بواكير اعمال « جس النبض » التى قام بها الجيل الجديد ، وبالرغم من انها لقيت موجة شديدة من النقد والمعارضة الا ان صاحبها لم يتعرض للقهر او المصادرة ، مع انه كان يمس فى روايته موضوعا غير مطروق فى ادب المرحلة السابقة ، ادب « السنوات الخمس » و « المزارع الجماعية » و « مشاريع الكهرباء » و « مناسبات كبـار رجـال الدولة » . كانت الرواية تناقش ازدواج الفكر والسلوك فى حياة موظف رسـمى كبير . ومن الطبيعى للادباء الجدد ان « يستغلوا » الفرصة المتاحة سـياسـيا فيقيمون الديـكور الستالينى فى اعمالهم ويحطمونه رمزا الى الكثير من الاثقال الراسـبة فى البنـاء الاجتمـاعى ، وتحتاج الى ازالة عنيفة وعاجلة . وكانت قصة « **يوم واحـد فى حيـاة ايفـان دنيسوفيتش** » لالكسندر سولز هنتسين تصـف معسـكرات الاعتقال ايام ستالين وصفا تقشـعر له الضمائر التى تتربع على عرش السلطة فى اى زمان ومكان على ان الاجيال الجديدة لم تكن تتربع على عرش

فلاديمير مايكوفسكى
(١٨٩٣ ـ ١٩٣٠)

شاعر وكاتب مسرحى روسى . كان رائد المدرسة المستقبلية فى الشعر ولسان حال الثورة . تتصف صوره الشعرية بالحيوية والعنف . الف ثلاث مسرحيات منها « البقة » ١٩٢٨ و« الحمام» ١٩٣٠ اطول قصائده عنوانها « ١٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ » مات منتحرا .

السلطة الادبية في الاتحاد السوفيتي ؟ وانما كان الزدانوفيون يفرقون امام السلطة السياسية بين الاشتراكية العلمية فى عهدها الجديد وبين الواقعية الاشتراكية التى ينبغى الا تحيد عن مخططات السابقين « حتى لا نقع فى انحرافات قومية باسم التراث أو فى انحرافات برجوازية باسم الانفتاح على الغرب » كما جاء فى تقرير رسمى لاتحاد الكتاب على اثر الحوار الحاد بين خروشوف والاجيال الجديدة . فقد « استغل » الزدانوفيون بدورهم ان القيادة السياسية المسئولة عن مرحلة التفتح السياسى ، ليست على نفس المستوى من التفتح الادبى والفنى ، وبخاصة عندما وقف خروشوف امام بعض اللوحات التجريدية فى احد معارض الشباب وقال « هذه الرسوم لم ترسم بيد انسان وانما بذيل حمار » . حينئذ ابتسم المحافظون فى دهاء ، فهاهو ذا « بطل المؤتمر العشرين » يصب جام غضبه على « ابطال ذوبان الجليد » .. ولكن خروشوف كان يدلى برأى شخصى لم يصحبه بأى اجراء تنفيذى مهما كانت الكلمات المتبادلة بينه وبين الشباب ، جارحة ومهينة احيانا . حقا هذا لا يعفيه كرئيس للحكومة وسكرتير عام للحزب ان يعرف يقينا ان الفواصل تكاد تكون غير قائمة بين رايه الشخصى ورأيه كرجل دولة. من هنا كان لابد من المبادرة التى اتخذها الشباب وفى مقدمتهم الشاعر يفتوشنكو باحتجاجهم على ما وجه الى ارنست نايزفستنى اشهر نحاتى روسيا من ان انتاجه الفنى « شكلى » .

وكان خروشوف قد قال « من الامثال الشائعة أن لا يقوم ظهر الاحدب غير القبر » فاجابه يفتوشنكو « ارجو انكون قد تخطينا الزمن الذى كان يستعمل فيه القبر كوسيلة للتقويم » ، ثم وصلت اللجنة المركزية للحزب رسالة موجهة الى خروشوف وموقعة من ابرز الشخصيات الادبية والفنية فى روسيا وفى طليعتها اهرنبورج والموسيقار شوستاكوفيتش والمخرج السينمائى روم ، تقول الرسالة «.. **اذا لم يكن هناك تنوع فى وجهات النظر الفنية ، قضى على الفن . اننا نرى الان كيف ان الفنانين الذين سلكوا خطا واحدا ــ الخط الوحيد الذىازدهر ايام ستالين والذى لم يسمح للاخرين ان ينتجوا او حتى أن يعيشوا ــ قد بدأوا يفسرون ماقلته فى المعرض تفسيرا يلائم اغراضهم .. اننا نطلب اليك ايقاف هذه الرجعة الى الاساليب القديمة المخالفة لروح العصر الذى نعيش فيه** » . ولكن الحكومة السوفيتية من جانبها لم تتخذ اى اجراء مضاد للجيل الجديد ، بل وسمحت ليفتوشنكو بالتجوال فى العالم شرقا وغربا يلقى قصائده التى غيرت مذاق الشعر الروسى فى افواه الكثيرين ، وان تسببت بعض التصريحات الصحفية المنسوبة الى يفتوشنكو فى اشتعال لهيب الجدل من جديد مثل قوله « **جميع الطغاة فى روسيا اعتقدوا ان الشعراء شر اعدائهم** » وفى نقده الذاتى الذى ادلى به بعدئذ قال انالمحرر قد اضاف من عنده عبارة « **فى روسيا** » . ولكن اكثر اقواله استفزازا للسلطة ، تلك التى جاء فيها « .. حينما تذكر الفترة الستالينية لا افكر فى ستالين وحسب . اننى افكر ايضا فى شركائه والذين ساعدوه والذين احيانا دفعوه،والذين لم يحركوا ساكنا». حينئذ كان لابد من محاسبته هو ايضا على « الفواصل غير القائمة » بين اشتغاله بالسياسة وحرفته الادبية ، فهو لم يكن مبعوثا سياسيا الى باريس ولندن ونيويورك ، وانما كان «شاعرا روسيا » اولا وقبل كل شىء .

ويفتوشنكو ليس الا واحدا من ابناء الجيل الجديد ، وهو بالقطع ليس اكبرهم موهبة ، وانما كان أكثرهم تصديا للحوار بين الدولة والفن الجديد . فالكثيرون من النقاد السوفيت والغربيين يضعون **اندريا فوزنسنسكى** فى مقدمة الشعراء الجددالذين غيروا الوان الحياةوالحانها. وفى احدى قصائده التى يعدها البعض « مانيفستو شعرى» يتخذ جوجان رمزا للحركة الفنية ، فهو الذى :

كى يصل الى اللوفر الملكى
من مونمسارتر
شق طريقه
دائرا حول جاوا وسومطرة
اقلع ناسيا جنون المال
وثرثرة الزوجات والجو الاكاديمى الخانق
تغلب على قوة جاذبية الارض

فرجينيا وولف(١٨٨٢ ــ ١٩٤١)

روائية انجليزية ومن كتاب المقالالمشهورين فى انجلترا تزوجت ١٩١٢ من ليونارد وولف الناقد والكاتبالاقتصادى،وهى تعد من كتاب القصة التأثيريين . كانت رواياتها الاولى ذات طابع تقليدى مثل رواية « الليل والنهار » ١٩١٩ واتخذت فيما بعد المنهج المعروف بمجرى الوعى أو تيار الشعور ، كما فى «غرفة يعقوب» ١٩٢٢ و « مسز رولواى » ١٩٢٥ ، و « الى المنارة » ١٩٢٧ ، و « الموجات » ١٩٣١ ، ولها روايات اخرى ذات طابع تعبيرى منها : رواية « اورلاندو » ١٩٢٨ ، و « الاعوام » ١٩٣٧ ، و « بين الفصول » ١٩٤١.اشتغلت بالنقد ، ومن كتبها النقدية « القارىءالعادى » ١٩٢٥ ، و «موت الفراشة ومقالات اخرى » ١٩٤٢ . كتبت ترجمة لحياة « روجر فراى » ١٩٤٠ ، وكتبت القصة القصيرة ، وظهرت لها مجموعة بعنوان «الاثنين أو الثلاثاء» ١٩٢١ . وانتحرت غرقا مخافةأن يصيبها انهيار عقلى.

وخلائق كهنة القرابين فى كؤوسهم الملأى بالحمة:
« الخط المستقيم هو الاقصر ، والقطع هو الاكثر انحدارا .
اليس من الافضل ان ننسخ خضرة الجنة ؟ »
بينما انطلق هو هادرا كالقذيفة
يخترق الرياح التى تمزق الاذن وتخلع المعاطف ،
ودخل اللوفر ، لا من البوابات الرسمية ،
بل كقطع غاضب

يخرق السقف

يقول الناقد بيير فورج فى دراسة له حول « الجيل الطالع فى الشعر الروسى » ان الرمز بالنسبة لفوزنسنسكى « ليس حيلة ادبية بسيطة ، فالمسألة ليست مسألة تقديم فكرة بواسطة موضوع يشير اليها مداورة ، وانما هى فى ايحاء العلاقات بين مظاهر الواقع المختلفةالتى تحجبها العادة عنا . والشاعر يرينا الواقع باسلوب يجعل عناصره المتباينة تتوحد ثانية خلال الوعى ... ان الرغبة فى الاطاحة بجميع المظاهر التقليديةللواقع تجعلتجربة فوزنسنسكى قريبة الى التجارب السوريالية . ومما يذكرنا بالشبه بينه وبين السورياليين فى ترتيب الكلمات واللعب بها ، ان ابيات قصائده تسيطر عليها نشوة الكلمات ، وحبه مجانبة الاحرف فىالكلمات المتتابعة ، مما يؤدى الى تجزئة ايقاع البيت نتيجة حركته وسرعته . وهو يعشق التلاعب بالشكل الخارجى للكلمات فيمنح شعره جوا غريبا خاصا به » .

اما يفتوشنكو فله شأن آخر فى قيادة الاجيال الشعرية الجديدة ، انه بمثابة « الدوى الهائل » الذى يذكرهم دائما برسالتهم نحو « الحرية » حرية الفرد والمجتمع على السواء.وهو يعترف :

حقا ، ان اعوامى العشرين هذه
اقل من ان تحملنى الى النضج
لكنها تكفينى كى اعيد النظر والتقدير
وارى اننى قلت اشياء لم يكن واجبا قولها
وصمت حين كان الواجب ان اتكلم .

وماسبق ان قاله نثرا يقوله شعرا هكذا :

تشربون نخب طيف فرلين ،
انتم ياذوى الكروش المتخمة ،
تودون لو تفتكون بالشعراء جميعا
لكيما تقرأوا شعرهم فيما بعد ..

ويقول عنه فورج « ان الشعر السوفيتى الان يتضمن بعض الخصائص التى تشبه خصائص الحركة الرومانتيكية الاوروبية من توكيد للذات وقصائد لها طابع السيرة الذاتية الى محبة للبلاغة والحماس الخلاق وتطور شعر الحب الغنائى .. ويفتوشنكو يجسد هذه الصفات جميعها اروع تجسيد » .

الوجه النظرى للقضية

ولم تكن النهضة الادبية الجديدة فىالاتحاد السوفيتى قاصرة على الخلق الفنى بل صاحبتها نهضة مماثلة فى النقد الادبى والصياغة النظرية للواقعية الاشتراكية ، فأصبح ناقد **كليونيد نوفتشنكو** يقول (٨) « ان الواقعية الاشتراكية ليست لها سلطات فكرية على الفنان الا فى حدود المنهج العام .لان مشكلات كل مجتمع على حده هى التى تضيف الى الخطوط العامة للمنهج تفاصيله الدقيقة وملامحه الذاتية» ويذهب ناقد آخر هو **«ايجور تشير نوتسان» (٩) الى ان محور** النقدالادبى ينبغىان يكون «معايشة العمل الفنىمن الداخل كمجموعة من العلاقات الجمالية والقيم الاجتماعية معا دون الانشغال بمحاولة التصنيف الاكاديمى او ملء الخانات المعدة سلفا اوالحديث المعاد حول وظيفة الادب »ويتغير الموقف من الادب والفن فى المجتمعات الغربية فيقول ناقد مثل **فاديم كوزينوف** « ليس هناك عمل ادبى جيد فى الغرب لا يدين بصورة او باخرى المجتمع الراسمالى » (١٠) ولاريب ان الفهم العميق للقاعدة الفلسفية للاشتراكية العلمية لا يؤدى الى صنع البطولات الايجابية المجوفة ، وانما جدلية الحياة تخلق السلب والايجاب معا وفى وقت واحد وفى حركة دائمة لاتتوقف بحيث تضفى على الشخصية الفنية حيوية دافقة لا علاقة لها بالتماثيل الشمعية ، وكذلك تجعل من الحدث الفنى عالما مستقلا بذاته له قوانينه النوعية الخاصة به والتى تختلف من زوايا كثيرة عن الحدث الواقعى والحقيقة الواقعية (١١) .

ولقد كان هذا التطور النظرى حصيلةمؤتمرات جماعية ومحاورات ثنائية فى جميع انحاء العالم الاشتراكى والراسمالى على السواء . بل ان نقاد الغرب من المفكرين الاشتراكيين امثال هنرى لوفافر وروجيه جارودى ورالف فوكس وجورج طومسون وارنست فيشر قد اسهموا مساهمة

(٨ ، ٩) راجع مجلة الادب السوفيتى — الطبعة الانجليزية — العدد ١٢ — ١٩٦٦ .
(١٠) راجع مجلة الادب السوفيتى .. الطبعة الانجليزية — العدد ٣ — ١٩٦٠ .
(١١) راجع « المناقشات الجديدة حول الواقعية الاشتراكية » بقلم د. سعاد محمد خضر — مجلة الطليعة — العدد الثانى — السنة الثالثة — ١٩٦٧

فعالة فى تطوير اساليب الواقعية الاشتراكية خلقا ونقدا . ولقد كان للمساهمات العظيمة التى قدمها فنانون ونقاد من بلدان اخرى خارج الاتحاد السوفيتى اثرها الكبير والمباشر فى « **النهضة الادبية الجديدة** » التى تجتاح الادب « **الاشتراكى** » فى كل مكان . وتأتى مساهمة « برتولت بريخت » فى مقدمة هذه المساهمات النظرية والتطبيقية على السواء ، فقد كان مسرحه الملحمى بمثابة « الابداع الاشتراكى لفن الدراما » وهى الضربة التى يعدها الكثيرون من مؤرخى المسرح العالمى « علامة الطريق التالية لضربة شكسبير » فى العصر الحديث ، كما يقول جون ويليت فى كتابه « مسرح برتولت بريخت » فبالرغم من المضمون الاشتراكى الواضح والمباشر عند بريخت ، الا ان مسرحه قد ترك « اثرا عالميا » على الدراما المعاصرة ابتداء من تجارب بيتر فايس فى المسرح السياسى الى تجارب أوزبورن وبنتر ويونسكو وجينيه فى مسرح الغضب واللامعقول .

ويحاول نقاد الغرب ان يفسروا التجارب الجديدة فى آداب البلدان الاشتراكية من وجهة نظر أحادية الجانب لا تقل خطورة عن وجهة النظر الستالينية ، فكل « غضبة » يصرخ بها كاتب من هنا او هناك فى ارجاء العالم الاشتراكى هى فى نظرهم « **صيحة العودة الى الرأسمالية** » وبذلك يلتقون مع اكثر الاتجاهات المحافظة تطرفا فى البلدان الاشتراكية نفسها . ومثال ذلك مسرحية « **تانجو** » التى قدمها المسرح البولندى للكاتب سلافومير مروجيك ، وهى تهاجم اوضاعا خاطئة فى المجتمع البولندى ، وتنقد بلهجة عنيفة بقاء هذه الاوضاع واستقرارها . ولكن هذا الهجوم والنقد لا يخرج بالكاتب عن حدود الاشتراكية كنظام ، وانما هو من اجل الاشتراكية نفسها يحذر من السلبيات الكامنة فى اجهزة الحكم والمترسبة فى السلوك البيروقراطى لبعض المسئولين . ومن الممكن — كما حدث بالفعل — ان تستغل بعض الجهات المعادية للاشتراكية فى بولندا ذاتها هذه المسرحية او تلك لتقود حملة ضارية ضد النظام البولندى باكمله . ولكن المسئول هنا ليس « تانجو » او غيرها من المسرحيات ، وانما هى الجيوب الصهيونية والاستعمارية الخفية . « ان المسرحية لاشك ذات مدلول سياسى ، وممكن فعلا لاول وهلة ان تفسر على انها هجوم على النظام . ولكن الواقع ان النظرة المدققة ترى ان الهجوم لا ينصب على النظام بل على الانتهازية التى تتعاون مع الرجعية فى سبيل تحقيق مطامعها البرجوازية باسم الاشتراكية » (١٢) .

وكذلك يحلو لنقاد الغرب بنفس المنهج الاحادى النظرة اغفال بعض الجوانب الهامة فى « **الثورة الثقافية** » الصينية ، فانه اذا كانت هذه الثورة لم تنبت بعد ازهارها الادبية والفنية الا ان الحوار الذى اشتعل طويلا « **على الجبهة الادبية** » كما يقول شويانج قد اثمر مفهوما حيا متجددا للادب والفن (١٣) ، هو امتداد لما قال به ماوتسى تونج منذ اكثر من عشر سنوات « السياسة القائلة دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية تتبارى انما تحفز انطلاق الفن وتقدم العلم ، وتحفز ازدهار الثقافة الاشتراكية فى بلادنا . ففى ميدان الفكر يمكن ان تنمو بحرية أشكال واساليب متنوعة ، وفى مجال العلم يمكن ان تتناظر بحرية مدارس مختلفة . اذ اننا نعتبر ان الترويج قسرا لهذا الاسلوب او لهذه المدرسة ، بقوة السلطة الادارية ، هو عمل يضر بنمو الفن والعلم . ان مسألة الصواب والخطأ فى الفن وفى العلم ينبغى ان تحل عن طريق نقاش حر بين اوساط الفنانين والعلماء وعن طريق ممارسة الفن والعلم ، ولا يجوز ان تحل باساليب خشنة » كما جاء فى كتابه « **حول المعالجة الصحيحة للمتناقضات فى صفوف الشعب** » عام ١٩٥٧ وهو استكمال منطقى لما كان يقول به ماو خارج السلطة عام ١٩٤٢ فى « **احاديث حول الادب والفن بيينان** » كان يقول « نحن نطالب بالوحدة بين السياسة والفن ، والوحدة بين المحتوى والشكل ، اى الوحدة بين المحتوى السياسى والثورة وبين اعلى مستوى ممكن من الشكل الفنى . فالاعمال الفنية الخالية من الجودة الفنية لا اثر لها مهما كانت تقدمية من الناحية السياسية . وهكذا لا نعارض الاعمال الفنية ذات وجهات النظر السياسية الخاطئة وحدها بل نعارض ايضا النزعة التى تدعو الى اعمال فنية من طراز الاعلانات والشعارات تحمل وجهات نظر سياسية صحيحة دون ان يكون لها اثر فنى . لهذا يجب علينا فى مجال الادب والفن ان نخوض الصراع فى جبهتين » . ولا شك ان هذا التراث من الوعى النظرى قد اسهم فى تكوين شباب الثورة الثقافية الصينية ، وهو الشباب الذى كانت له المبادرة — مهما اختلفت موازين التقييم — فى ثورة شباب العالم .

غالى شكرى

---

(١٢) راجع مقال الدكتورة هدى حبيشة بالعدد ٢٨ — يوليو ١٩٦٧ — مجلة الفكر المعاصر .
(١٣) راجع مكتبة « الطليعة » بالعدد التاسع — السنة الثالثة — ١٩٦٧ .



ننشر هنا طائفة من خطابات الشباب الغربى التى نشرتها اخيرا الصحافة الفرنسية . وذلك كشهادات تعبر عن فكر هذا الشباب القلق المتمرد ، وتفسر ما يموج بحركته من سخط ولامبالاة ..

« أنا جربوع »

« انى احب ابى ، ولكن ليس لدى ما اقوله له . اما هو فيشعر دائما انه قد استأنس فى بيته فرخا غريبا .. او « جربوع » Voyou ذلك اننى اطيل شعرى ، واجلس على المقاهى فترات طويلة ، وادخل المعارك . ولاننى قد دخنت الحشيش او الـ L.S.D. عدة مرات . ولكن كل هذا لا يبدو لى غريبا . فمن من الكبار لم يرتكب هذه البشاعات التى لست متأكدا تماما من انها بشاعات ؟

الحقيقة ان « لجربعتى » جذورا اعمق . فمن خلال وجهة نظر الكبار يبدو لى ان رذيلتى هى انى لا اهتم بشىء . ولكن كيف يتصورون هذا ؟ انى احب اصدقائى وصديقاتى ، واحب السينما جدا ، والموسيقى (الجاز والكلاسيك) ، والسيارات . اذن هم يقولون انى لا اهتم بشىء لانى لا اهتم بالسياسة ، واننى لا اهتم بمستقبلى . وهذا غير صحيح . لا احد يستطيع ان يقول ان فيتنام لا تهمنى .. **انها تصيبنا بالقرف ولكن ماذا استطيع حيالها** . فاذا انتقلنا الى السياسة الداخلية ، كيف تريدوننى ان اهتم باليسار او باتحاد اليسار ، وانا اعلم انها بناءات منهارة لن يخرج منها الا الجثث . هم لا يهتمون بى ، فكيف اهتم بهم ؟

تقولون انى لا اهتم بمستقبلى . وربما كان هذا صحيحا . ولكن يجب ان تعترفوا انه لا يعلن عن بريقه . تقولون ان حرب فيتنام قد تمتد الى الصين . ثم بالطبع الى اوربا فى خمس او عشر سنوات ، (سأكون فى ذلك الوقت فى الخامسة والعشرين او الثلاثين) ، وليس هذا بالامر الذى يشجعنى لان اكون محافظ مدينة او مهندسا الكترونيا ».

واذن ؟ ماعليكم الا ان تتبعوا منطقكم الخاص ، اى الحرب التى تهدف الى الابقاء على العالم على ما هو عليه . فى مواجهة كل هذا قد تقولون ان علينا ان نناضل من اجل التغيير ، ولكن ما هى وسائلنا ؟ لا شىء تقريبا » .

اكثر صحة

« اننا نرفض كل الميراث القديم ، لاننا نشعر ان ما تعطونه لنا اما زيف ، واما خطر . انى وابى اصدقاء . ولكن هناك دائما شىء ما يفسد كل مناقشاتنا ، وهو اننى اكتشف دائما انه يريد ان يرانى ناجحا فيما فشل هو فى تحقيقه . هو « مثقف » ، وانا ايضا (فيما اعتقد) . وهو يسارى ، وانا ايضا (ربما) . ولكنه انفق كل حياته فى مناقشات واجتماعات ، والتوقيع على

بيانات ؟ واستفتاءات .. لقد دافع عن كل القضايا - التى خسرت .. وهو يشعر بنفسه فارغا . وهو لا يستطيع ابدا ان ينقل الى تجربة ، وينتظر كل شىء منى ، كما لو كنت احمل كل الحلول . وهو يقول لى انه يتعلم كثيرا عندما ينصت الى . واللحظة الوحيدة التى يحتاج فيها تأتى دائماعندما نتحدث عن الحب والفتيات وسهراتى . الحقيقة ان « الجريمة » فى نظره تكمن فى اننى مراهق مر بعدة تجارب جنسية ، وانتهى بأن جعل من الحب فكرة فيزيقية بحتة .. ومن هذه الناحية فانى اعتقد ان الشباب اكثر صحة من الكبار ، لانهم اقل نفاقا ، واقل تعقيدا .. بالاختصار ، الشباب لا يلجأ الى العلاقات الخفية الفورفيلية . هناك فى السياسة ثوريون يتسمون دائما بالبرجوازية عندما يتطرق الحديث الى الجنس . هناك مناضلون يريدون تحرير كل شىء الا الحب .. واعتقد ان ما يذهل الكبار كثيرا هو ذلك الانجاز الذى قام به الشباب فى ميدان العلاقات » .

لا .. لكل شىء

« ان ازمة الشباب هى فى الحقيقة ازمة الحضارة المسيحية الغربية . ان التغير العنيف فى الايقاع الذى يسير به التطور الصناعى والتكنيكى فى النصف الثانى من القرن العشرين قد قلب كل البناءات الاجتماعية وقائمة القيم البرجوازية .

ومع ذلك فان مجتمع الكبار لم يدرك تماما بعد حقيقة هذا التغير العنيف الذى طرأ على البشرية. هذا المجتمع .. لانه لا يفهم ، وبدافع من غريزة صورته . ونحن نقول لا . لا للوصاية الابوية ، ولا للاخلاقيات المكتوبة ، ولا للنصائح الرجعية لليمينية والليبرالية ، ولا ايضا للكلام الاجوف وللبسار العجوز . لا لكل شىء تجمد .. يجب اعادة مناقشة كل شىء » .

ان اول خطوة لحل هذه المشكلات هى التوجيه الذاتى autogestion ولكن هذه الخطوة لا تتأتى الا من خلال تحول اجتماعى جذرى وتطور جذرى للعقلية الجماعية » .

البوذى والطفل

« لم نعد نؤمن بالافكار ، انما نؤمن بالحقائق والافعال . كيف لا نؤمن بالبوذى الذى يحرق نفسه ، وبالطفل الذى يموت جوعا فى الهند ؟ »

تصرفوا وحدكم

« ما دخلى انا بحروبكم القذرة ؟ لماذا تريدون ان اهتم بجونسونياتكم وستالينياتكم وتهديداتكم بصهر العالم بقنابلكم ؟ تصرفوا وحدكم »

انطوان
(اشهر مغنى احتجاج)

من الذى يبيع ؟

« هذا الشباب الذى ترفضون له المدارس والاساتذة والملاعب الذى تغرقونه بالاسطوانات والصور والمصاصات والبورنوغرافيا والمخدرات ... من الذى يفعل كل هذا ؟ من الذى يبيع ؟ من الذى يفسد ويسمم الشبان بعرض اثداء ومؤخرات مومسات المجتمع الكبير الذى تنشر الصحف دون خجل مكاسبه المالية ومعاملته المصرفية والصناعية ؟ » .

حوار مفتوح حول شباب ١٩٦٨

كلمة من الطليعة :

تواصل ((الطليعة)) في هذا العدد نشر البحث الذى توافر على اعداده مجموعة من الكتاب التقدميين ، من وجهة نظرهم ،حول الحركات المعاصرة للشباب والطلبة تحت عنوان ((شباب ١٩٦٨ يهز العالم)) .وكانت الطليعة قد افسحت صدرها لنشر الجزء الاول من البحث في عددها السابق (اغسطس ١٩٦٨) .

ورغم اننا — اوعلى الاصح الغالبية — في مجلس تحرير الطليعة ، كنا على خلاف في الراى حول عدد من القضايا التي عالجها البحث ، ولنا تحفظات معينة بشأن منهج التحليل . الا اننا في النهاية وافقنا على نشر البحث ووجهة نظر الزملاء كاملة .

لماذا ؟

اولا : لان الموضوع الذى يتناوله البحث على درجة كبيرة من الاهمية ولا يمكن تجاهله . والراى فيه ليس موحدا حتى بين ابناء الاتجاه الواحد .

ثانيا : ان الزملاء الذين اعدوا البحث استهدفوا — اساسا — بجانب ابداء وجهات نظرهم ، عرض القضايا والمشاكل من زاوية رؤية الشباب المعاصر نفسه بمختلف اتجاهاته . وهذه نقطة بداية يجب ان نضع ايدينا عليها قبل ان نتعرض لها بالتحليل والنقد .

ثالثا : ان كتاب هذا البحث هم اما من اعضاء اسرة تحرير الطليعة او اصدقائها ، ومن حقهم عرض وجهات نظرهم على صفحات المجلة ، منسوبة اليهم .

رابعا : ان ((الطليعة)) كمنبر مفتوح للفكر الاشتراكي ، تفسح صدرها لكل نقد او تعليق او رد على ما جاء بهذا البحث . ومن اجل هذا فهي تفتح ، ابتداء من هذا العدد ، بابا جديدا للحوار حول هذه القضية الحيوية من قضايا عصرنا .

وتؤمن ((الطليعة)) انها بهذا المنهاج ،انما تحترم تعهدها بضمان حرية الراى والجدل على اسس موضوعية ورحابة صدر . وهو ما يجب ان نصر على الالتزام به واشاعة مناخه في بلادنا والوطن العربي .

((لطفى الخولى))

اليسار الجديد

فكر ضائع .. عنف مجرد .. وطفولة يسارية

داود عزيز

هذا بشير ونذير باكتشاف جديد له تأثيره على ميزان القوى الاجتماعية المعاصرة . لقد برزت حركات الطلبة باعتبارها حركة **عالمية** ثم عبرت عن نفسها في فترة **متقاربة زمنيا** وكان **العنف** هو السمة الملازمة لهذه الحركات .

هكذا عبرت الدراسة التى قدمها سعد زهران

في العقد السابق من مجلة الطليعة عن هذا الاكتشاف . تتحدث الدراسة عن هذه الحركات وكيف انها كانت مفاجأة للبلدان الاشتراكية ! كما كانت مفاجأة للجميع في العالم الثالث والرأسمالي على السواء !! ثم كيف اتخذت هذه الحركة في فرنسا على وجه التحديد طابعا خاصا في شكل مناقشات مفتوحة تتناول كل شيء ابتداء من حرية الحب الى دور الدولة!! ثم كان الاصطدام بالبوليس والالتجاء الى المتاريس من الاشجار المقطوعة والسيارات المقلوبة !!

ومن هذه المقدمات تطرق البحث الى ان الطلبة قد اصبحوا قوة ثورية طليعية وانها ذات طابع ثوري ديموقراطي أصيل ثم خلط البحث حركات الطلبة بما اسماه حركات الشباب ، وتوقع ظهور قيادات شبابية جديدة او « ميلاد امية طلابية جديد » !! هذه القيادة الجديدة او ما اصطلح على تسميته باليسار الجديد قد ألقت اليه المقادير بمهمة قيادة الكفاح الثوري العالمي .

ومادمنا بصدد نظرية ومادامت « سلطة الطلبة » قد اصبحت مشكلة تطرحها العملية الثورية في بلدان الغرب الراسماليه وربما في العالم فاننا ننشد وضوحا أكثر ومنطقا له بعض التماسك .

الطلبة والثورية الاصيلة

يسلم الجميع بان الطلبة ليس لهم وضع معين ثابت في الانتاج ومن ثم فان صفتهم الطبقية تحددها الاصول الاجتماعية التي ينحدرون منها . ففي البلدان الاشتراكية تتزايد نسبة ابناء الجماهير العاملة من الطلبة عنها في اى بلد آخر . والطلبة في البلدان الراسمالية هم على الاغلب ابناء للبرجوازيات وهناك نسبة اقل من ابناء العمال . وقد اقر وزير التعليم الفرنسي بأن أبناء العمال بين الطلبة لايمثلون سوى ١٠٪ من مجموع الطلبة . أما في البلدان المتخلفة فهم في أغلبهم ابناء للطبقات صاحبة النفوذ الاقتصادي من السكان المحليين وذلك على حسب تطور كل بلد على حده . والطلبة في كل انحاء العالم يعيشون بصفتهم الطلابية لسنوات محدودة وسرعان ماتتغير هذه الصفه بتركهم الدراسة .

ومن ثم فان ثورية الطلبة في كل بلد انما تحددها الظروف الخاصة بالبلد المعين ، والتركيب الاجتماعي للطبقات المختلفة . ولهذا فلا يمكن القول بثبات الوضع الاجتماعي للطلبة . ويمكن بالفعل للطلبة نظرا لاشتغالهم بأمور العلم والثقافة ان تتأثر فئة منهم بالافكار والنظريات الاجتماعية فينعكس ذلك على موقعها السياسي . ولكن جماهير الطلبة في انحاء العالم لاسباب تتصل بعلاقاتهم الاجتماعية لايمكن الزعم بثبات ثوريتهم كما لايمكن الزعم لامر ما ان الطلبة قد اصبحوا طبقة اجتماعية متميزة ، لها دور نضالي ثابت . ان النضال الطلابي امر معروف ولكن بالمناقشة هو المنبع الاجتماعي والاقتصادي للثوره الاصيلة غير المترددة أو المستقبلة .

فلا شك ان هناك مطالب حيوية تهم الطلبة وتصلح اساسا لتكوين اتحادات للطلبة في كل بلد مثل (البرامج الدراسية ومايتصل بها من ظروف اخرى اجتماعية وثقافية) ، كما ان هناك ظروفا قومية خاصة بكل بلد ومثل هذه الظروف قد تأخذ طابعا عالميا (مثل النضال من اجل السلام وضد الحروب أو ضد الاضطهاد العنصري والاستعماري) وهذه تصلح اساسا لحركة طلابية عالمية ولكن مهما كانت حقيقة النضال الطلابي فلا يمكن القول بأنه يرقى الى مستوى النضال من اجل تحقيق الثورة الاجتماعية في كل بلد او انه كفء لقيادة النضال من أجل الثورة الاشتراكية العالمية .

ولا يغير من هذه النظرية المادية السليمة انتشار التعليم في بلد ما ،او وقوع اضطهاد ومظالم اجتماعية على فئات وطبقات اجتماعية اوسع ، او ان يحيق بالطلبة انفسهم ظلم اجتماعي وقهر سياسي واضح . ولايتغير من هذه الحقيقة احتكاك حلقات الطلاب بالافكار الاجتماعيه والسياسيه المختلفة . ذلك انه اذا كان الامر يتعلق بالمساس بامتيازات الطبقات الرجعيه الحاكمة ، فان هذه الطبقات غير مستعده للتنازل عن سلطانها . فماذا يملك الطلاب ازاء هذه السلطة ؟ ان الطبقات الحاكمة تعرف طريقها الى اصابة حركات الطلبه بالشلل التام وذلك بالاعتماد على ذلك الاجراء الذى تعودت ان تلجا اليه وهو اغلاق المعاهد والجامعات تفاديا لتجمع الطلبة . ولكنه امر لاتقدر عليه في مواجهة حركات العمال . وعلى عكس الطلبه فان علاقة العمال بالانتاج ضرورة لوجود الراسمالية نفسها ،ضرورة لضمان ارباحها .

واذا اضفنا الى ذلك ان الوضع الاجتماعى لطلبه يرتفع بهم دائما من اسفل السلم الاجتماعي الامر الذى يفرض على كفاحهم التردد . بل وفي بعض الاحيان يدفعهم الى الوقوف مواقف رجعية . ان نضال الطلبة مهما قيل عنه ، نضال موسمى ليس له صفة الثبات والاصالة ، وثوريتهم رهن بالظروف الاجتماعية التي يعاصرونها . وهم بحكم وضعهم هذا لابد لهم من سند اجتماعي آخر في نضالهم الثوري وينطبق هذا على الطلبة في البلدان الراسمالية المتقدمة او في البلدان المتخلفة .

وليس معنى تحديد وضع الطلبه ودورهم الاجتماعي وطبيعة حركاتهم ، التقليل من اهمية النضال الثوري للطلبة . بل على العكس من ذلك فانه من المهم بذل كل تأييد ومساندة لحركات الطلبة

متى كانت ذات طبيعة ثورية أو حتى اصلاحية ؟ ومتى كانت تستهدف معـــاداة النظم الرجعية والسياسات المتخلفة ، ولكن يجب فى نفس الوقت مقاومة حركات الطلبة اذا لعبت دورا معـــاديا للثورة او اتخذت أداة فى ايدى قوى الثورة المضادة والانقلاب على الثورة .

ومن الواضح أن الظروف الخاصة بكل بلد هى التى حددت طبيعة حركات الطلبة . ففى **الولايات المتحدة** قام الطلبة ، بتأثير الاساتذة الذين يلعبون دورا سلاميا، بمعارضة الحرب الفيتنامية والتفرقة العنصرية ».

وفى **المانيا الغربية** انطلق الطلبة ، وهم متأثرون بالفكر الاشتراكى . بمواجهة الرجعية المتحكمة فى الجامعات ومن اجل الدفاع عن الحرية حيث يطارد النشاط السياسى التقدمى وحيث تتحكم فى الراى العام «صحافة شبرنجر» ».

وفى **فرنسا** حيث الثقافات المتنوعة والتقاليد الراسخة الخاصة بحرية الراى ، ظهرت هناك عدة اتجاهات اجمعت كلها على اصلاح التعليم وتحسين الظروف الدراسية للطلبة . وتنافرت هـــذه الاتجاهات دون اتفاق على وســـــائل التغيير الاجتماعى والسياسى الشامل .

اما فى **تشيكوسلوفاكيا** فلم تكن هناك حركة طلبة انما كانت هناك حركة «مثقفين» «اتحاد الكتاب». وقد لعبت هذه الحركة دورها فحاولت اتجاهات منها اللعب على نغمات الثورة المضادة مما دفع **«دوبتشيك»** الى ادانة العناصر التى حولت اجهزة الاعلام الى نغمات متصاعدة ضد الاتحـــــاد السوفيتى ومجموعة البلدان الاشتراكية وضـــد الاشتراكية نفسها .

ويعترف التقرير المنشور «بأن مظـــاهرات واضطرابات **الطلبة البولنديين** كانت دعوة لـــردة معادية للنظام الاشتراكى لعب الدور الاساسى فيها يمين رجعى صهيونى »

ولم تكن حركة **الثورة الثقافية فى الصين** حركة طلبة ، انما كانت حركة عامة بين الشباب حركتها قوى حزبية انعكاسا للصراع الداخلى فى الحزب والدولة . وهدأت الحركة بانتصار «تيار ماو» فى الحزب والدولة .

واذا كانت حركة الطلبة ، دون نظر لشرق أو غرب ، كما تمضى فكرة التقرير ذات طابع عالمى ثورى ديموقراطى فما هو التفسير العلمى لمـــا جاء فى نفس الدراسة « كشفت حركة الطلبـــة البولنديين ان العناصر الصهيونية ومن يؤيدونها نجحت فى احتكار الحركة والتوجيه فى مجالات الحياة البولندية المختلفة ؟ وكيف يكون التفسير الموضوعى لدور حركة الطلبة فى **اندونيسيا** حيث استخدم الانقلاب الرجعى حركة الطلبة كمخلب سياسى للبطش بالقوى الوطنية والاشتـــراكية واغرق اندونيسيا فى بحر من الدماء وكيف يمكن أن يكون مصير الثورة العالمية اذا تولتها حركات الطلبة على ماهى عليها من تردد وعدم ثبات ».

حركة طلبة أم حركة شباب

أم يســـــار جـــديد ؟!

واذا كان التقرير ينطوى بالفعل على نقاط ضعف واضحة فقد لجأ الباحث الى عملية غريبـــة ».. الطلبة وحركات الطلبة ظاهرة عـــالمية طليعيـــة جديدة ، وهذا حسن. فما الداعى اذن الى الانتقال فى سهولة غريبة للكلام عن الشباب دون الوقوف قليلا للتفرقة بين وضع الشباب ووضع الطلبة . فليس بالضرورة ان يكون الشباب من الطلبة فهناك حركات للشباب بالفعل فى شتى انحاء العالم ». ولكن مايحكمها هو عامل السن دون عامل الفئة الاجتماعية ، ومشاكل الشباب عموما غير مشاكل الطلبة خصوصا . هناك شباب العمال وشباب الفلاحين وكل هؤلاء يمكن أن يضمهم تنظيـــم شبابى ولكن لن يضمهم تنظيم طلابى . وعلى ذلك فمن الخطأ ايجاد ارضية اجتماعية لليســــــار الجديد بزعم ان الطلبة هم جماهيره او أن الشباب هم قواه الرئيسية ».

والزعم ان الطاقات الثورية كامنة فى الشباب زعم ينقصه الدليل هو الاخر . ان الشباب ، تلك المرحلة من العمر تعبر عن منحة تهبها الطبيعة للكائنات . والشىء الحقيقى الكامن فى الشباب هو تلك الطاقة البدنية والفكرية الخارقة والتى يمكن تجنيدها لخير البشرية وسعادتها ، كمـــا يمـــكن تجنيدها ايضا ضد التقدم وضد الانسان ».

ولكن هذه المنحة الطبيعية ليست جواز مرور الى الثورية الحقة . ان تلك الطاقة لاتغنى عن اعتناق الفكر الثورى والانغماس فى الكفاح الثورى ليكون هذا الشباب ثوريا بحق .

ان الشباب ارضية صالحة للفكر التقـــدمى الثورى ، كما هو ارضية صالحة ايضـــا للفـــكر الفاشى والرجعى . ولقد نجحت الفاشية العالمية فى تجنيد اعداد هائلة من الشباب اصـــــحاب القمصان الملونة وجعلته يناصب الرأســـــمالية العداء بالكلام فقط ودفعته للقتال ضد الاشتراكية والديموقراطية بالفعل ». وقد نجحت الحـــركات

الفاشية في بلادنا ايضا في تجنيد شباب مثقف لاعمال الارهاب ».

اننا لايمكن ان نهمل هذه الخبرة التاريخيــة الثمينة في النظر الى حركات الشباب . فلا يمكن أن تولد حركات الشباب حركات ثورية بدون فكر ثوري واضح ».

واذا أخذنا ماجاء بالتقرير نفسه من أن « فكرا واحدا أو سيرة نضالية واحدة لاتحظى بسيطرة كاملة على الحركة انما هناك خليط ضخم مــن الافــكار والشخصيات الملهمة » لتبينا خطـــورة المنزلق الذى تقود اليه هذه «الالهامات الفكرية» الغامضة وهذا الخليط من الافكار الـــــذى يزرع الفوضى الفكرية ».

واذا تركنا جانبا محاولة الباحث تدعيم بحثه من الناحية الفكرية أو الاستناد الى تحليل علمي فانه تداعتهد على قدرهائل من مقتطفات الصحافة البرجوازية والغربية . وهذه الابواق كان لابد لها ان تدلى بدلوها وان تعطي تفسيرا لحركات الطلبة والاتجاهات السياسية التى ظهرت فيما بينهم . وهذه الابواق لاتفسر فحسب بل تستهدف تأثيرا فكريا معينا ».

ومثل ذلك الحديث عن «سلطة الطلبة» ، وكان هدفه الواضح تخويف فئا ت واسعة من الســكان من اى حركة نضالية بالاضافة الى استغلال ماحدث فعلا من أعمال تدميرية . وقد ثبت أن اثارة هذه المخاوف قد اثمرت فانحازات في الانتخـــابات الفرنسية أصوات عديدة الى جانب «ديجول» حتى من بين صفوف معارضيه ».

ولكن هل كان على الباحث أن يرتب مقتطفاته بهذه الصورة ، ويستعين بكل هذه الوفــرة من مصادر برجوازية ورجعية ، دون أن يعلق عليها ؟ ومع اهمال واضح لرأى مايسميه باليسار التقليدى؟

أليس من مسئوليات الكاتب الثورى الكشــف عن محتوى الافكار بآثارها الضارة في مجتمعنا ! فما بال هذا الطوفان من الافكار العديدة الخاطئة . (ديجول والحزب الشيوعي حلفـــاء طبيعيون !!) شبح سلطة الطلبة!!) (الاامتسبق ميلاد مجتمع جديد !) (حمامات الدم !!) (الراديـــكاليون من الشباب الجديد أصبحوا لايطيقون صبرا بالقوالب التقليدية للمبادىء الشيوعية !!) ».

انــكار دور الطبقة العاملة

والمحاولة الوحيدة التى اجتهد الكاتب في أن يقدم تحليلا له أساس مادى هي محاولة البحث في دور التكنولوجيا الحديثة في احداث ما أسماه بالتغييرات الهيكلية في بناء المجتمع الحديث الامر الذى يقرب العاملين «الكتابيين» الى العمال الصناعيين . والتى يصبح معها العمال «الفنيين» و «الكتابيين» و «العلميين» يشكلون مايسميه «بالشعب العامل»

ويترتب على ذلك عملية خلط بين الطبقة العاملة وعدم تمييزها طالما اقترب من وضعها الاجتماعى شرائح اجتماعية جديدة . يقول « وتقضى هذه الثورة الجديدة في وسائل الانتاج الى تعاظم صراع طبقى جديد : الراسمالية الاحتكارية والبيروقراطية من جانب وفى الجانب الاخر يشكل ائتلاف أوسع يضم الشعب العامل كله في اطار المجتمع الصناعى الحديث . يضم أيضا كل الشعوب التى يطحنها الاضطهاد وفى بلاد العالم الثالث على النطـــاق العالمى . »

واذا علمنا أن الكاتب يقصد بالبيروقراطية ماذكره في أسطر قليلة سابقة وبتحديد أكبر قائلا « هذا التغيير الاساسي الكبير في تركيب الهيـــكل الاجتماعي يترتب عليه توحيد نضال الشعب العامل ضد الاحتكارات الامبريالية في البلاد الراسمالية المتقـــدمة وضد الفئات البيروقراطية مـــــاحبة الامتيازات في البلاد التى تنتقل الى الاشتراكية»

فالفكرة اذن ثابتة عند الباحث انه يرسم خريطة الثورة العالمية ويضع لها قطبين ثابتين . الا أنه يحدد التناقض الرئيسي المسيطر والذى لايتغير الا بتحقيق الاهداف الثورية . وهو يضع ما أسماه بالبيروقراطية في نفس القطب المعادي للثورة مع الامبريالية واحتكاراتها . ونخرج من هذه الخريطة بالاتى :

● لايوجد دور بارز للطبقة العاملة مســـتقلا عما أسماه الشعب العامل في المجتمعات الراسمالية المتقدمة فهي جزء من هذا الشعب العامل .

● الراسمالية الاحتكارية على نفس مستوى البيروقراطية اثر الدولة الاشـــتراكية واصبح التناقض الرئيسى المعـــاصر يضـــم الامبريالية والبيروقراطية على السواء .

● على الشعب العامل أن يضـــم خلف كل المضطهدين وشعوب العالم الثالث ضد هـــذين العدوين طبعا .

هذه هى الاستراتيجية الثورية الجديدة التى يبشر بها الكاتب

ولكن أين هى القيادة المسئولة عن تحقيق هذه الاستراتيجية ؟

يجيب الكاتب « هذا متوقف على بروز **قيادات شبابية** جديدة أكثر **ثقافة** : .. تربط نضال الشباب المثقف بنضال الفقراء والزنوج ، **تربط** نضـال ذوى الياقات البيضاء بالطبقة العاملة ومن ذوى الياقات الزرقاء ، **وتربط** بين الشعب العامل فى الولايات المتحدة وأوربا والشعوب المقهورة المكافحة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فى نضـال عالمى ضد الامبريالية والاستعمار **والبيروقراطية**.»

هكذا انتهى دور الطبقة العاملة القيادى للثورة العالمية .. وانما الامر متوقف على بروز **قيادات شبابية جديدة** . وهذه القيادات بلا نظرية ثورية وانما أكثر **ثقافة** .. المشكلة هى مشكلة الثقافة الاكثر وليست النظرية الثورية الاصلح . وهذه القيادات الشبابية تتولى ربط القوى ببعضها ببعض، اى تضطلع بالدور القيادى الذى كانت تقوم به الطبقة العاملة ضد الاعداء المحددين ».

وبالطبع لايوجد أى كلام عن دور القوى الاشتراكية والفكر الاشتراكى فى الثورة العالمية . ولا عن ضرورة الربط بين هذا المعسكر وحركة البروليتاريا العالمية ، وجذب حركات التحرر كاحتياطى ضرورى لتقويض دعائم الامبريالية العالمية . ان محاولة عزل البلدان المتخلفة عن المعسكر الاشتراكى تحت زعم ان هناك تناقض رئيسى فى المصالح بين البلدان الاشتراكية الغنية وبين البلدان المتخلفة الفقيرة هو اخطر مافى هذه الاستراتيجية .

ومحاولة انكار الدور التاريخى للبقة العاملة ليس جديدا اذ يقول كاتب سوفيتى **«ارزوماثيان»** فى كتابه مائة عام من تطور العالم : « يحاول علماء الاجتماع البورجوازيون والانتهازيون من كل لون انكار الدور التاريخى للطبقة العاملة . »

ويسوق نفس الكاتب السوفيتى احصائية تدل على أن البروليتاريا الصناعية قد تزايدت وتركزت فى كل البلدان الرأسمالية . ففى الولايات المتحدة مثلا قد تزايد عدد العاملين فى فروع الصناعة التى تنتج السلع المعمرة من ١٩٣٩ الى ١٩٦٠ من ٤٦٪ الى ٥٦ من مجموع عدد العاملين فى مختلف الصناعات .

ومن البديهى أن البروليتاريا الصناعية اليوم تختلف كثيرا فى تكوينها عن البرليتاريا فى مستهل هذا القرن . وانه نتيجة لتقدم العلم والتكنولوجيا قد تزايد الاستغلال الرأسمالى . وزاد من تحويل أقسام جديدة من السكان الى بروليتاريا . والى اعادة تقسيم العمال بين فروع الاقتصاد . وقد تزايد نسبة العمال المهرة بين الطبقة العاملة ككل فى الولايات المتحدة . كان عدد العمال المهرة عام ١٩٤٠ — ٢٧ عاملا من كل ١٠٠ عامل وانصاف المهرة ٤٨ عاملا ، وغير المهرة ٢٥ عاملا . اما فى عام ١٩٦٠ اصبح عدد العمال المهرة من كل ١٠٠ عامل ، ٣٦ عاملا وانصاف المهرة ٤٩ ، وغير المهرة ١٥ عاملا . وهذا يعطى للرأسمالية فرصة أكبر لاستغلال القوى البشرية ويزيد حدة النضال فى صفوف الطبقة العاملة ضد الرأسمالية من أجل تحسين مستوى المعيشة »، وظروف الانتاج المعاصرة تحتاج الى مهارة أعلى والى معرفة أعمق وتعليم أحسن . ويلعب فيها العمل الذهنى دورا أكبر . وهذا يجعل من الطبقة العاملة فى يومنا هذا بشكل عام أكثر تعليما وأوعى من الناحية السياسية عن بروليتاريا أوائل القرن . وتحاول الرأسمالية أن تحصر تعليم البروليتاريا فى دنيا التخصص ؛ أما خارج المصنع فهى تسلط عليهم وسائلها الثقافية الحديثة ، ولكن العامل الحديث يمكن أن يفهم بسهولة أكبر وأن يربط بين الكفاح اليومى ومشاكل الحياة الاجتماعية الكبرى .ولذلك لم يكن مصادفة أن العمال الذين يأخذون أجورا عالية نسبيا (عمال المعادن والسكك الحديدية والكهرباء .. الخ) يساهمون بدور فعال فى السنوات الاخيرة فى معارك طبقية نشيطة ». وحيث يوجد قادة سياسيون للطبقة العاملة ممن يتخذون خطا ماركسيا ثابتا ولايغفلون عن الهدف النهائى يتحقق لاقسام من الطبقة العاملة مستوى أعلى بل وللطبقة كلها . وهذا بدوره يؤدى الى صراع ضد الرأسمالية والى مستوى أعلى من الوعى السياسى ».

وهناك تغيير هام فى بنيان البروليتاريا الحديثة هو أن هناك نسبة أكبر من المهندسين والتكنيكين والكثير يعملون فى الصناعة وفى الاقتصاد ككل ». ففى الولايات المتحدة نقص عدد العمال فى الصناعات الالية من ٧٣٪ الى ٦٦٪ ، فيما بين ١٩٥٢ الى ١٩٦١ . واصبحت مشاركة المهندسين والتكنيكيين والكتبة والمحاسبين تزيد من ٢٠.٠٪ الى ٢٥٪ فى نفس الفترة ».

وتلك هى القضية التى حاول كاتب المقال أن يخرج منها بأن هناك مايسميه علماء الاجتماع البرجوازيون (تجريد المجتمع البرجوازى من البروليتاريا) أومايسمونه «بامتصاص» البروليتاريا فى غيرها من الفئات . وتفصح فكرة الشعب العامل عن هذه الفكرة فى تخفى ».

والحقيقة أن الهوة بين المهندسين والتكنيكيين وهيئات الادارة تضيق بينهـا وبين بروليتاريا المصنع. فهذه الفئات تنحدر وتقترب من البروليتاريا. ولايبقى سوى قطاع صغير من موظفى الادارة الذين ينتمون الى شرائح البرجوازية فى المجتمع. والفئات المنحدرة تبيع قوة عملها بنفس الطريقة كما يبيعها العمال وتتعرض للاستغلال ويمكن اعتبارها جزءا من العمال الجماعيين ».

ومن ثم فان الجزء الرئيسى للمهندسين والتكنيكيين والكتبة يقترب من البروليتاريا . وهناك اتجاهات لان يتداخل من بينهم البعض فى الطبقة العاملة . ومعنى هذا أن دور البروليتاريا يتأكد ويتعاظم . ومعنى هذا ايضا أن فئات اجتماعية أخرى جديدة تقترب من البروليتاريا .

وهذا يفسر تعاظم حركة اضرابات الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية .

ففى العالم الرأسمالى كان عدد المضربين بالملايين كلها فى خلال ست سنوات (كما هو موضح بالجدول التالى) .

واضرابات العمال تتنوع اهدافها لكى تواجه المشاكل المتعددة التى يفرضها الاستغلال الراسمالى بأساليبه المختلفة . كما انها تواجه فى ذات الوقت تداخل الدولة بالانتاج فى شكل رأسمالية الدولة الاحتكارية . والتجربة تثبت أن الكفاح الاقتصادى لابد أن يرتبط بشكل بالصراع السياسى، بل ويمكن أن يتحول هو نفسه الى صراع سياسى .

وفى هذا تقوم نظرية الطبقة العاملة الثورية واحزاب الطبقة العاملة الثورية بدورها فى شن النضال العادل للطبقة العاملة للدفاع عن مستوى معيشتها ، وربط ذلك بالكفاح من أجل انهاء الاستغلال الرأسمالى . والطبقة العاملة لاتسعى وحدها الى ذلك بل تجمع حولها كل المضهدين الذين يطحنهم المجتمع الرأسمالى . ذلك أن رأسمالية الدولة الاحتكارية لاتواجه باستغلالها الطبقة العاملة فحسب . بل وتجعل من الفلاحين والمثقفين والفئات الوسطى بالمدن وحتى صغار رجال الصناعة ادوات لاستغلالها وسلبها .

واذا كان «ماركس» قد أعلن فى منتصف القرن التاسع عشر أن الطبقة العاملة مدعوة الى ان تلعب دورها القيادى فى التاريخ ، فان الطبقة العاملة قد قامت بالفعل بتحرير ١/٣ سكان هذا الكوكب من نير الرأسمالية واضافت نظاما اشتراكيا عالميا وساعدت الشعوب المضطهدة على تحطيم اغلال الاستعمارية . وهى تعد اليوم لاجتياح قلاع الراسمالية فى مراكزها الرئيسية .

والطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية هى من أكبر فرق الحركة الثورية المدربة . وموقف الطبقات العاملة فى هذه البلدان باعتبارها أكثر الطبقات ثورية هى التحالف مع كل التيارات الثورية الاخرى فى موقفنا هذا والتضامن مع المعسكر الاشتراكى وحركات التحرر الوطنى . وكفاح الطبقة العاملة ضد الرأسمالية هو ضمان النصر للبشرية .

ان الثورة الاشتراكية العالمية قد بدأت مع قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية ودور الطبقة العاملة التاريخى رهن بالانجاز الكامل للثورة الاشتراكية العالمية رهن بتحرير الانسانية من نظام الطبقات نفسه .

ومن هنا فهناك فرق كبير بين تعميم الجديث عن الشعب العامل فى البلدان الرأسمالية لانها نظرة تؤدى الى تمييع الطبقة العاملة فى غيرها من الفئات والطبقات ، وبين اية فئات اجتماعية اخرى تقترب من الطبقة العاملة .

ومحاولة التحليل المادية الوحيدة الخاصة بالتقدم التكنولوجى لم يكن الهدف منها ابراز التغييرات التى تطرأ على طبيعة الطبقة العاملة فى عصرنا ، وكيف أنها أصبحت اكثر استنارة وتنظيما ووعيا . ولكن كان هدفها اعطاء فكرة جديدة تسير فى تسلسل يؤدى الى القول بانتهاء دور الطبقة العاملة ، فالطبقة العاملة قد اختفت فى المجتمعات الراسمالية واصبح هناك الشعب العامل فحسب حتى الطلبة وضعهم الكاتب كجزء من الشعب العامل اذ يقول : « ان الطلبة فى المجتمع الصناعى المتقدم لم يعودوا احتباطيا للبرجوازية انما اصبحوا احتياطيا «للشعب العامل» وربما جزء منه » .

وهكذا تتقدم فكرة الشعب العامل لتحل بدلا من الطبقة العاملة ولتستوعب حتى الطلبة أنفسهم .

ولكن حتى الطبقة العاملة تحتاج الى قيادة تنظم كفاحها . والحزب السياسى للطبقة العاملة مسألة رئيسية لتقدم الطبقة العاملة وقيامها بالدور الحاسم فى تحقيق الثورة الاشتراكية . فماذا عن قضية القيادة السياسة ، وعلاقة ذلك بالشعب العامل ؟

سبق ان اجا ب الكاتب بأنها القيادات الشبابية الجديدة ومادام الكاتب لايفرق بين حركة الطلبة والشباب ويعتبر الطلبة جزءا من الشعب العامل فان مشكلة القيادة عنده تبدو منطقية . تحتاج الثورة العالمية الى قيادة شبابية جديدة بعد ان شاخت القيادة البروليتارية التقليدية . ودور هذه القيادة هو ربط الشباب المثقف بنضال الفقراء «اى قيادة جبهة» وربط ذوى الياقات البيضاء

	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
فى كل العالم الرأسمالى	٢٥—٢٧	٣٥—٣٧	٥٤—٥٨	٥٠—٥١	٥٦	٥٨
فى البلدان الامبريالية	١٢٫٥	١٦	٤٣—٤٦	٤١—٤٣	٤٢	٤٣

بالطبقة العاملة ذات الياقات الزرقاء (أى قيادة للطبقة العاملة) وربط كل هذا مع الشعوب المقهورة فى البلدان المتخلفة (أى قيادة عالمية) وضد من؟ضدالامبريالية والاستعماروالبيروقراطية (أى ضد الدولة الاشتراكية). فأى قيادة هذه سوى انها قيادة متخلفة حتى عن فكر «تروتسكى» الذى لم يكن يرفض الدور القيادى للطبقةالعاملة. ولكن كان يضع الكفاح ضد الامبريالية فى نفس الدرجة مع الكفاح ضد الدولة الاشتراكية أيضا باسم الكفاح ضد البيروقراطية .

وليس هذا فكر «ماو» بالطبع ، لان ماو لاينكر دور الطبقة العاملة ولا دور حزب الطبقة العاملة ولانظرية الطبقة العاملة .

والهدف الواضح من الغاء دور الطبقةالعاملة القيادى هو الغاء دورنظرية الطبقة العاملةوالسير فى ركاب كل من يقولون بأن النظرية الاشتراكية العلمية قد جمدت وانها أصبحت نظرية القرن التاسع عشر أو ربما أوائل القرن العشرين . والكاتب يقول « ان محاولة تصنيف هذه الحركة الثورية أو تلك وفق هذا القالب أو ذاك ومحاولة حصر هذه القوالب .. كل هذا يعد من قبيل التبسيط المخل . وقد وصل التنوع والتعدد فى الاساليب والمراكز الثورية الى حد أصبحت فيه محاولات التصنيف هذه أمرا متخلفا ومعيبا فى الفكر الثورى » .

طابع الفكر الثورى اذن هو الا يكون له مقاييس علمية أو ضوابط وبالتالى فلا نظرية ثورية تصلح فى يومنا هذا لفهم الواقع وبالتالى لا تصلح لتغييره .

ولطالما وقف لينين ضد محاولات الجمود العقائدى مؤكدا أن الماركسية نظرية حية ولكنه وقف أيضا ضد المراجعة أو القول بأنه لاحاجة بنا الى نظرية ثورية .

ويقول الكاتب « يرجع عنصر المفاجأة الى عجز الصيغ الفكرية المستقرة عن التنبؤ بهذه الانفجارات قبل وقوعها » .ويتناسى الكاتب ان عصر الثورات التىتتلاحمكلهامع الثورةالاشتراكية فى مجرى واحد قد بدأ منذ اكثر من خمسين عاما وهو يتناسى أيضا ان الكتابات المركسية قد أكدت مرارا انعصرنا يشهدتحولا عاما منالرأسماليةالى الاشتراكية ، مع مايصاحب هذا من تنوع فى الاتجاهات والحركات الثورية ، مع تنوعالاصول الاجتماعية والظروف الخاصة المميزة لكل حركة من هذه الحركات وانه وضع « ثورى عاصف » تتلاحم فيه القوى الثورية من أجل تفويضاركان البيان الرأسمالى الاحتكارى الامبريالى . وان هذا كله قد جعل من الاشتراكية فكرا طاغيا حتى على فئات غير بروليتارية » .

« وليست الاشتراكية العلمية نظرية عرافة وتنبؤ بالاحداث المتفرقة ولكنها نظريةقيادةالصراع الطبقى نحو أهداف ثورية تبدأ مندراسة الواقع دراسة علمية تضع يدها على مجرى التطور الاجتماعى فتحدد بذلك الارضية التى تدور عليها الاحداث وتفسرها وتعمل على تغيير الواقع نحو واقع جديد اكثر ملائمة لقوات الثورة » .

والذى يشغل الكاتب ليست النظرية الثورية وانما الثقافة ، وشتان بينهما . وأن كانت هناك علاقة حتمية . فالثقافة الاكثر وبشكل مجرد لاتحقق قدرا اكبر من الوضوح الثورى وهو أمر لازم للثورة .» .

« الدولــة »

واذا كان الحديث عن اصالة ثورية الطلبة يفتقر الى الاثبات ، فان الحديث عن « سلطة الطلبة » جدير بالتساؤل .. ماهو شكل هذه السلطة وضد من تمارس قهرها ؟ . وماهو هدف هذه السلطة التى بشرت بها الصحافة الرجعية وقدمها لنا الكاتب كفكرة جديدة فى ضمير الحركة الثورية ؟ ماهو موقع هذه السلطة من عملية الانتاج ووسائل الانتاج المتقدمة الضخمة ؟ ماهو شكل المجتمع المنتظر والعلاقات الطبقية فى ظل هذه السلطة ؟ ماهو موقف هذه السلطة من فكرة الدولة ومن رأسمالية الدولة الاحتكارية ؟ اسئلة لاجواب عليها ولكن فلتحاول أنتستشف شيئا من الافكار من واقع ما قدمت البحث .. يعلن البحث فى أكثر من موضع أن القيادات الشبابية الجديدة ضد مايسمى **بشمولية الدولة الحديثة** . انه يتحدث عن حركات الشبابوكيف أن بينها اتجاهات **ديمقراطية** معادية **لشمولية الدولة الحديثة** وهذا مايكسبها مسحة **شبهثورية** ويرى منظر «سلطة الدولة» **«هربرت ماركيوى»** « ان المجتمع التكنوقراطى الحديث فى الغرب **والشرق** هو فى جوهره مجتمع شمولى **واستبدادى** » .

وهنا تتضح فكرة السلطة الجديدة عن الدولة كما تتضح فكرة العداء للبيروقراطية التى تتردد عند الكاتب .

الدولة الحديثة ، وهى تقوم فى مجتمع تكنوقراطى يعتمد على التكنولوجب الحديثة والتقدم الالى ، لايهم فى ذلك أن تكون دولة اشتراكية فى الشرق أو رأسمالية فى الغرب .. هى بالضرورة دولة شمولية أى تتدخل وتسيطر على آلة الانتاج الضخمة وتديرها بطريقة تفرض معها حاجيات الفرد الاستهلاكية والفكرية .

وبالتالى فهى تتدخل فى حرية الفرد » ومن هذا تكمن طبيعتها الاستبدادية . ومن هنا ايضا يصبح العداء لهذه الدولة الشمولية اتجاه ديمقراطى »

انه اذن عداء لفكرة الدولة » والعداء للدولة فكرة فوضوية اصيلة والمنطق الطبيعى لهذا التفكير هو التخلى ايضا عن آلة الانتاج التكتيكية الحديثة الضخمة » فور التخلص من سلطة الرأسمالية الاحتكارية » فهى حتما سوف تولد دولة شمولية (الدولة بناء علوى) ذلك انه يستحيل بناء الاشتراكية دون المرور بمرحلة انتقالية تلعب فيها الدولة دورا رئيسيا »

والحقيقة التى يجب أن تبدأ بها هى ان اى دولة منذ انقسام تاريخ المجتمعات الانسانية الى طبقات هى اداة قهر ، سواء كانت هذه الدولة عبودية (ملكية العبيد هى المصدر الاساسى للثروة) ، او كانت دولة اقطاعية (ملكية الارض هى المصدر الاساسى للثروة) ، أو كانت دولة راسمالية (ملكية رأسمال ووسائل الانتاج هى المصدر الاساسى للثروة) ، او كانت دولة اشتراكية (الملكية العامة لوسائل الانتاج هى المصدر الاساسى للثروة الاجتماعية) . كل هذه الانواع من الدول سواء فى مجتمعات متقدمة او متخلفة ، هى أدوات للقهر السياسى والاجتماعى ولكنها أدوات قهر ضد طبقة او طبقات لمصلحة طبقة أو عدة طبقات اخرى . ولذلك فالدولة مهما أحاطت نفسها بالتنظيم والتشريعات الديمقراطية هى ديكتاتورية وديمقراطية فى نفس الوقت ، ديمقراطية طبقة أو عدة طبقات ومفروضة كديكتاتورية على طبقة او عدة طبقات . ومها قال البرجوازيون وادعوا على الدولة الاشتراكية فهى ديكتاتورية الجماهير العاملة ضد البرجوازيين المخلوعين ، وهى ديمقراطية الطبقات الشعبية فى نفس الوقت . ومهما تشدق البرجوازيون زاعمين أن مؤسسات دولتهم ديمقراطية فهى حقا ديمقراطية للرأسمالية وملوك المال ، وديكتاتورية مفروضة على الجماهير الكادحة »

ولاسبيل الى فناء الدولة الا بانتهاء الصراع الطبقى فى المجتمعات الاشتراكية بانتهاء نظام الطبقات نفسه وزوال خطره على هذه المجتمعات من الخارج »

ومن هنا فان وضع الدولة البرجوازية على نفس المستوى مع الدولة الاشتراكية هى محاولة لتجريد الدولة الاشتراكية من قواها الرئيسية وسلطتها لقهر الراسماليين المخلوعين ووقوفها ضد محاولات الامبريالية لاحداث ثورة مضادة او تدخل مسلح »

ان الحديث عن الدولة الشمولية هو حديث عناصر مثقفة فوضوية تريد أن تسلب الطبقة العاملة بفكرة اساسية وسلاح رئيسى وضرورة لتحقيق الاشتراكية »

البيروقراطية

والفكرة الثانية التى تقدمها هذه الدراسة هى فكرة العداء للبيروقراطية والثورة على البيروقراطية

وداء البيروقراطية يمكن ان يصيب بالفعل اجهزة الدولة والانتاج الاشتراكية ، كما يمكن ان يصيب حزب الطبقة العاملة السياسى . فما هو أساس هذا الداء ومصدره ؟ أساسه أن بعض الاجهزة والعناصر المسئولة فى الدولة والمؤسسات الانتاجية والحزب تعجز عن رؤية حركة الجماهير ومصالحها الحقيقية . وحالما تعجز هذه الاجهزة عن القيام بدورها الاساسى فى خدمة الجماهير الشعبية فانها تلجأ الى اللوائح والقوانين والاوامر تتحصن بها لتثبت سلطانها رغم مصلحة الجماهير »

وليس هناك حل لمشكلة البيروقراطية سوى الاعتماد على الحل النظرى السليم ، وهو بالدقة اعمال رقابة الجماهير الفعالة ، اعتمادا على مبادىء الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الحزبية واستخداما لسلاح النقد والنقد الذاتى وتلك مهمة جماهير كل الشعب ومهمة قواعد الحزب »

اما القول بأنه « من سوى الشباب الناشىء يمكن ان يتجاوب مع فكرة الثورة على البيروقراطية فهو قول لايمكن قبوله فى سهولة . فنحن لانعرف ان الشباب دواء موصوف للشفاء داء البيروقراطية ولكن العناصر شابة غير جماهيرية ان تكون اشد بيروقراطية من غيرها . كما يمكن لعناصر جماهيرية تثق فى الجماهير وفى حقها ومصلحتها أن تتخطى كافة العوائق بغض النظر عن سنها »

اما الزعم بأن الثورة على **البيروقراطية** هى هدف استراتيجى لثورة الشباب العالمية . ووضع الامبريالية والبيروقراطية فى البلاد الاشتراكية فى مستوى التناقض الرئيسى مع حركة الثورة العالمية ، فهو محاولة لايهام الشباب بالدول الاشتراكية عدو مثلها فى ذلك مثل الدول الامبريالية وبالطبع هناك فرق بين التناقضات الداخلية فى صفوف الثورة وبين تناقض رئيسى يضع هذه البيروقراطية فى الجبهة المعادية للثورة العالمية »

ولكنها فكرة تروتسكية ، ولقد كافح تروتسكى

طويلا من أجل تقويض الاتحاد السوفيتى تحت شعار العداء للبيروقراطية . وكان يعتبر ان الحزب الشيوعى السوفيتى خائن للثورة .

ولكن التاريخ قضى على التيار التروتسكى لانه كان ضد التاريخ نفسه . كما اتاح للحزب السوفيتى والدولة الاشتراكية ان تعالج تناقضاتها بشكل يتفق مع مصالح الجماهير السوفيتية اعتمادا على توسيع مبادىء الديمقراطية الاشتراكية والقيم الديمقراطية للنضال الحزبى

الفقراء والاغنياء .. الاستهلاك ..

ليس معنى ازمة النظام الراسمالى الجمود او توقف الانتاج او التقدم التكنولوجى . وقد اشار « لينين » الى ان نزوع الراسمالية الى الانحلال لاينفى التقدم التكنولوجى ولازدياد الانتاج فى فترات معينة .

ومع كل محاولات الراسمالية من تجديد راس المال الثابت ، ورغم التسابق نحو التسلح والابقاء على ميدان الحرب الفيتناميه مفتوحا ، فان هناك من الدلائل مايشير الى بوادر زمة اقتصادية (تخفيض الاسترلينى عجز الدولار عن الثابت وجود مخزون سلعى كبير — تزايد الاقراض الاستهلاكى — مخزون من الحبوب والزبد) .

وتشتد عناصر المنافسه بين الامبرياليات الاحتكاريه عموما ، وبين الامبرياليات القديمة منها وزميلاتها الصاعده (اليابانيه والمانيا الغربية) ومع اتساع السوق الاشتراكى وتعاظم دوره فى مساعده البلدان المتحرره من نير الاستعمار ، على الاتجاه الى التصنيع ، تشتد ازمة النظام الامبريالى تفاقما . وتحاول الراسمالية الاحتكارية ان تشيع عادات استهلاكية خاصة بها (نوع السلع واسلوب بيعها التخلص من الفائض) .

وفى ظل المجتمعات الراسماليه الكبرى المتقدمه يشيع الاضطراب نتيجة للاوضاع الاقتصادية والسياسية غير المستقره . ولم تعد القيم التى تقدمها الراسمالية ومحاولات التضليل وصرف الانظار بوسائل الدعايه الاحتكارية المنظمة لم تعد قادرة على اقناع الجماهير بظروف الحياة المعاصرة . ويصاحب هذا عجز هذه المجتمعات عن استخدام الطاقة الانتاجية بشكل كامل ، ومن بينها القوى البشرية (انتشار البطالة) . كما أن تقلص السيطرة الاستعمارية على البلدان التابعة ، لم يعد يمكن الامبريالية من تصدير اقسام من العاملين لديها الى هذه البلدان فى شكل حكام وخبراء ورجال اداره وعاملين . كل هذه العوامل قد عقدت الوضع بالنسبة للجماهير عموما .

وانعكس ذلك على بعض الشباب ، وكثرت الاتجاهات الفوضوية ومن بينها العداء لالة الانتاج الحضارية الحديثه واعتبارها مصدرا من مصادر الشرور الاساسية للمجتمع الامبريالى وفرق بين هذه الفكرة وبين العداء للاستقلال الراسمالى نفسه . والحل عند هذه التيارات هو بالطبع التخلص من كل ماجلبته الحضارة والعودة الى نوع من المجتمعات الشيوعية البدائية تتقلص فيها وسائل الحياة الحضارية ويقف الاستهلاك عند حدود الحاجات الاولية الضرورية . وبالطبع ليست وفرة الانتاج وقدرة اعضاء المجتمع على الاستهلاك مرضا . من ثم فان تسمية المجتمع الراسمالى بأنه مجتمع استهلاكى انما يخفى طبيعته الاستغلاليه والعيب الاساسى فى هذه المجتمعات هو الملكيه الخاصة لوسائل الانتاج الذى يؤدى الى أن الانتاج لايخطط له وفق حاجات المجتمع انما وفق ضرورات الربح والاحتفاظ بالة الانتاج تدور مهما كان نوع الانتاج (ادوات حرب أو سلع ترف) . كما ان العلاقات الطبقية فى هذه البلدان رغم كل محاولات التوزيع فشلت فى الغاء التباين الملحوظ فى الدخول والثروات وبالتالى فى القدرة على الاستهلاك .

ولا تهدف الاشتراكية الى وقف دولاب الانتاج او الاستهلاك او الحد منه . انما تعمل ... الاشتراكيه على توجيه آلة الانتاج نحو الحاجات الاجتماعية الضروريه . ثم تعمل على الرفع المستمر لمستوى معيشة الجماهير ، ثم جعل الاشتراكية مرحلة اولى تتلوها مرحلة تالية تحقق الوفرة وتجعل المساواة فى الاستهلاك حقا لكل فرد .

وكما تعمل الاشتراكية على اشباع حاجات المجتمع المادية فانها لاتالو جهدا فى سبيل رفع مستوى الحياة الروحية أيضا .

ومن هنا تبدو اى مقارنة بين المجتمعات الراسماليه المتقدمة والمجتمعات الاشتراكية المتقدمه حول قضية الاستهلاك من باب المزايدة على الفقر .

وهذا يقود بالطبع الى مناقشة العلاقة بين البلدان المتخلفة وبين البلدان المتقدمة (الاشتراكية منها والراسمالية) وفى هذا المجال تبرز القضية التى تلح على كاتب المقال وهى (قضية الفقراء) فهناك مجتمع « الكبار » . وينقسم العالم الى

دول غنية واخرى فقيرة بغض النظر عن نظمها الاجتماعية . وفى هذا يسوى الكاتب بين الدول « الراسمالية الامبريالية » والدول « الاشتراكية المتقدمة » الاتحاد السوفيتي أساسا وذلك فى مواقفها من مشاكل التنمية فى البلدان المستقلة حديثا .

وبالطبع هناك مسئولية واضحة على الدول الاحتكارية الكبرى فى استنزاف موارد ومصادر الثروة من البلدان المتخلفة تاريخيا وحاليا .

وتعتبر عملية الاستغلال والنهب الاستعمارى واحدة من أهم مصادر الثروة الرئيسية التى تجمعت فى ايدى الاحتكارات الامبريالية . كما انه مازالت هذه الكتل الاحتكارية العالمية تفرض استغلالها على هذه البلدان كما تمارس ضغوطا احتكارية عن طريق التجارة الدولية وتحديد الاسعار . وهى فى هذا السبيل تستعين بفئات من البرجوازية المحلية وبعض الحكام المحليين . والاحتكارات العالمية تهدف من وراء ذلك الى سلب هذه البلدان استقلالها والايقاع بها من جديد فى أحابيل التبعية الاستعمارية ، وتلك احد الاساليب التى يلجأ اليها الاستعمار الجديد .

واذا كانت مسئولية الاحتكارات العالمية واضحة ازاء هذه البلدان فان مسئولية الفئات المحلية المتعاونة والراغبة فى التعاون مع الامبرياليات الكبرى تبدو هى الاخرى مسئولية جسيمة ازاء مستقبل شعوبها .

ولكن ماهى مسئولية الاتحاد السوفيتي (البلد الاشتراكى الاخر) فى ذلك ؟

من المعروف — ولايحتاج هذا الى تكرار — انه قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية كان من المستحيل على البلدان المستعمرة أن تتخلص من نظام الاستعباد الاستعمارى . وان الثورة الاشتراكية كانت دافعا لقوى التحرير الوطنى وعاملا على قبل مد قوى البطش الاستعمارى .

ومن المعروف أيضا أن الاتحاد السوفيتى قد بنى اقتصاده وصنع ثرواته بأيدى ومجهودات الشعوب السوفيتية المكافحة . وقد تحقق هذا التقدم وسط انهار من عرق ودماء العاملين سواء فى تشيد مؤسساتهم الانتاجية ، أو فى الدفاع عن منجزاتهم فى وجه حروب شنتها الرجعية الداخلية والقوى الاستعمارية العالمية وقطعان الفاشية العالمية .

ومع ذلك فان قائمة المساعدات السوفيتية الى البلدان الاشتراكية الاخرى والى كافة البلدان المناضلة عن استقلالها والمستقلة التى تطلب مثل هذه المساعدات ، هى قائمة طويلة من الصعب حصرها . فما من حركة ثورية منذ قيام الثورة الاشتراكية لم تجد عونا من بلد الثورة الاشتراكية الاولى .

وهى مساعدات لاتحمل أدنى شروط أو ضغوط سياسية أو اقتصادية . واننا نعرف فى بلادنا قيمة هذه المساعدات ، ولايمكن ان ننتكر لها تحت أى شعارات يسارية أو يمينية .

ان تأييد الاتحاد السوفيتي ومساعداته وهى تنبع من عقيدة اممية صادقة انما تقدم لحركات التحرر فى كل مكان ، امكانيات النضال التحريرى ضد المستعمرين والامبريالية . وهل كان يمكن للعديد من البلدان ان تتجه الى تأميم الاحتكارات الامبريالية فى بلدانها أو ان تسير فى طريق التصنيع دون وجود الاتحاد السوفيتى ومساندته الادبية والمادية ؟

أما الكلام من الهوة التى تفصل بين الدول الغنية والفقيرة فانه كلام يتجاهل الحل الثورى الحقيقى لعلاج ذلك على مستويين مستوى النضال فى داخل البلدان الامبريالية ذاتها وعلى مستوى النضال داخل البلدان المتخلفة .

اما على مستوى البلدان المتخلفة ، فانه لامفر من اتخاذ سلسلة من الاجراءات الداخلية الضرورية لتقطيع حبال الروابط التى يمكن ان تجر هذه البلدان مرة اخرى الى مهاوى التبعية . وذلك بتأميم الاحتكارات الاجنبية وتشجيع قيام قطاع عام للدولة فى الاقتصاد ، وتطوير التخطيط الاقتصادى الذى يمكن أن يحرك قوى ومصادر الثروة فى البلد المعين من أجل التقدم الاقتصادى وتنعقد مشروعات التصنيع والتقليل من الاعتماد على البلدان الامبريالية . وبذلك يمكن مقاومة تحكم الاحتكارات العالمية مع الالتجاء الى اصلاح زراعى لتحرير الفلاح من التبعية لملاك الاراضى المرابين . ورفع مستوى معيشته حتى يمكن خلق سوق وطنية للصناعة المحلية .

هذا البرنامج الاقتصادى الديمقراطى يجب ان يسايره برنامج سياسى ديمقراطى .

ان تحرك البلدان المستقلة الى طريق الاشتراكية انما يعجل بانهيار الامبريالية ويفتح الباب امام تقدم هذه البلدان سريعا . وكذلك فان انهيار النظم الاحتكارية الامبريالية فى بلدانها تحت وطأة كفاح الطبقة العاملة فيها انما يعجل بتحطيم تلك الهوة بين البلدان المتخلفة والبلدان المتقدمة . وذلك بدوره سوف يمكن البلدان الاشتراكية من تقديم مساعدات اكبر متى تخلصت

من مسئوليات التسلح الباهظة . ان الرخاء العالمي لن يتحقق الا بانهيار الامبريالية العالمية من ناحية ، ويتعاون جمهور الاسرة الاشتراكية في البناء والتشييد القائم على العلم واستخدام طاقات الانسان الخلاقة من ناحية أخرى .

اما تقسيم العالم الى بلدان غنية وفقيرة بغض النظر عن نظمها الاجتماعية فتلك نغمة فئة من البرجوازيات المحلية في البلدان المتخلفة والتي تفشل في مساوماتها مع المؤسسات الاقتصادية الامبريالية . والتي تصبح بعد تحقيق الاستقلال غير قادرة على التقدم بالبرنامج المعادي للاقطاعية والامبريالية خطوات الى الامام وذلك لان مثل هذا البرنامج يوسع من نفوذ الجماهير الشعبية ويضيق في ذات الوقت من نفوذ الراسمالية المحلية .

وهذه النغمة يرددها من خلفهم ايضا الدعاة البرجوازيون الصغار الذين يرون أن مشكلة (الفقر والغنى) هي المشكلة الرئيسية وليست مشكلة الاستغلال الراسمالي والقضاء على الاستغلال الراسمالي باعتباره مصدر كل الشرور الاجتماعية (الفقر . الحرب . التفرقة العنصرية الارهاب الفاشي .)

الثورة والعنف

تحاول الايدولوجية الجديدة أن تجد جاذبيتها بين جماهير الشباب برفع شعار استخدام العنف . ((دور الطليعة الجديدة)) هو اثارة النظام القائم حتى يفصح عن طبيعته وتلجأ الى استخدام أساليب القمع . وهذا الصدام لابد أن يوقظ حماس اوسع الجماهير التي ستدرك عندئذ انها مستغلة وان السلطة تضللها وتحد منها ومن ثم تقوم الثورة التلقائية الشاملة .

وهكذا تكون نظرة اليسار الجديد الى فكرة استخدام العنف فعلى الطليعة الجديدة ان تثير النظام القائم الرجعي طبعا (اى تستفزه) حتى يكشف عن وحشيته وتقوم الثورة التلقائية .

ولطالما ادعى المستغلون والحكام والرجعيون أن الجماهير المكافحة تلجأ الى العنف . وهي تحاول بذلك الاتهام ، ان تخفي الطبيعة الارهابية للنظام الرجعي ، وان تتخذ ذلك ذريعة للبطش بحركة الجماهير . كم من اتهام القي في وجه الطبقة العاملة واحزابها السياسية وكم من محاولات بذلت لتشويه وجه حركات التحرر الوطني والصاق الاوصاف بالكفاح الثوري عموما باعتباره (تخريبا وفوضى وعنف ودماء) ولاتبغى القوى المعادية للثورة من ذلك الا اخفاء العنف المسلح والارهاب اليومي المفروض على الجماهير .. لاتبغي الا اخفاء محاولات الاستعباد بالقوة المنظمة المسلحة . أن القوى المعادية للثورة تحاول بمثل هذا الاتهام ان تضفي شرعية ابدية على وجودها وسيطرتها . كما تحاول أن تسلب الجماهير المناضلة حقها في الكفاح ضد صفوف الاستغلال والاستعباد والقهر . والحقيقة أن الجماهير لاتلجأ الى العنف الا لكي تدفع عنفا قائما بالفعل عنفا يهدد في كل يوم وجودها وحياتها .

والعنف شكل من اشكال النضال . ولكن من الطفولة اليسارية اعتباره الشكل الوحيد ، أو الزعم بان الثوره يتقرر مصيرها بفشل هذا الشكل أو نجاحه . غير ان هناك اساليب متعددة للكفاح لابد من وضعها في الاعتبار . فكل ثورة طوال مرحلتها الثورية مفروض عليها تنوع اشكال الكفاح فمن الاشكال القانونية وغير القانونية الى الاضرابات الاقتصادية أو السياسية الى المظاهرات السلمية والمسلحة .. الهبات الجماهيرية المسلحة او غير المسلحة . والطبقة العاملة بخبرتها تعرف ان أساليب الكفاح تتغير وفقا لظروف المد والجزر ، هجوم العدو وتراجعه ومن العبث ان يلجأ العمال مثلا الى الاضراب في فرع للصناعة تبغي الراسمالية اغلاقه . وكانت الطبقة العاملة في حداثة وعيها بأشكال الكفاح تلجأ الى تدمير وسائل الانتاج أو تحطيمها . ولاشك انه كان شكل من أشكال العنف ، ولكنه كان يمثل مرحلة فجة من كفاح الطبقة العاملة . ولقد تعلمت الطبقة العاملة في كفاحها الطويل كيف تنظم كفاحها من أجل تحسين ظروف عملها ورفع مستوى معيشتها ، كما تعلمت عن طريق احزابها السياسية كيف تخوض المعارك السياسية من أجل الدفاع عن الديمقراطية وانتصار الاشتراكية وكذلك تعلمت الشعوب المتطلعة الى التحرر من الاستعمار كيف تدخل المعارك التى تتراوح بين الكفاح المسلح ضد المستعمرين وبين التفاوض من أجل استخلاص مكاسب على طريق التحرر الوطني . وقد كشف تطور الحركات الوطنية عن ان الحصول على الاستقلال السياسي برغم قصوره عن تحقيق التحرر الكامل ، فانه قد مكن لهذه البلدان من تطوير وجودها وكفاحها ، وتقدم هذا الكفاح خطوات كبيرة في سبيل التحول الاجتماعي والتقدم على طريق التطور غير الراسمالي .

ان الاعتماد على الكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد للتحرر الوطني انما يتجاهل امكانيات الكفاح الاخرى .

وحتى كتابات « **ماو** » عن حرب العصابات فانها تسلم بتغيير الكتيك الثورى وكيف انه يتراوح بين الهجوم والتراجع وفقا للوضع السياسى والعسكرى . والانتصار او الهزيمة وفقا لنفوذ المقاتلين جماهير الفلاحين اوضعف هذا النفوذ ووفقا لتركيز قوى العدو او تفرقها وضعفها . فليست المشكلة هى حمل السلاح فحسب وانما المشكلة تتعلق بكيفية ربط العمل العسكرى بالعمل السياسى اعتمادا على الجماهير العريضة . وعلى ذلك فان فكرة العنف المجردة هى فكرة يسارية طفولية .

وقد اصاب مقال « الديجولية بين المد والجزر» لمحمد سيد احمد المنشور بنفس العدد من « الطليعة » عندما قال استغلت الديجولية الاتجاهات الفوضوية التى سادت حركة الطلبة كى تلصق تهمة الفوضى بكل قوى الاحتجاج على الديجولية وكى تصبها بالذات على « النظام الحزبى » . ويوجه اخص على الحزب الشيوعى رغم ان هذا الاخير قد ابدى منذ البداية تحفظاته القوية على حركة الطلبة ، واتهم منها بالتخاذل وعرقلة انطلاقتها ووضع الحواجز امام تداخلها بالحركة العمالية ، وعمل على تمييز مطالب العمال واهدافهم السياسية المحددة عن تطلعات الحركة الطلابية الهلامية ونشاطها المتسم بطابع **العنف المجرد** ، دون ارضية فكرية متسقة او اهداف عملية ثابتة .

وكثير ماترتبط عند اليسار الجديد فكرة العنف بفكرة الثورة وكانهما شىء واحد . والحقيقة ان الثورة كما يعلم كل من اهتدى بالتفكير الثورى السليم هى عملية تغيير كيفى فى السلطة القائمة فمسالة سلطة الدولة هى القضية الاساسية فى كل ثورة بما فى ذلك الثورة الاشتراكية .

والثورة تبدأ بالتغيير فى طبيعة السلطة القائمة ثم التغيير فى هيكل المجتمع الطبقى عن طريق اقامة علاقات انتاجية جديدة . ولايمكن ان تحدث ثورة فى مجتمع ما ، الا نتيجة **لوضع ثورى** . وهذا الوضع الثورى لايمكن ان يفرض فرضا انما يحتاج الامر الى شروط اساسية يصبح معها الوضع ناضجا **لولادة الثورة** . لابد ان تصيب النظام الرجعى أزمة تجعله غير قادر على الاستقرار ، وان تظهر الطبقات الرجعية الحاكمة عجزا عن الاستمرار فى الحكم بوسائلها التقليدية وان يجتاح السخط الجماهير العريضة من الطبقات الثورية فتأخذ الامر بين يديها عن طريق قيادة قادرة على تحريك الجماهير وتنظيمها من اجل تحقيق مهام الثورة الاساسية وكل ثورة تعتمد على التناقضات الداخلية الاساسية وفى نفس الوقت تتاثر بالتناقضات العالمية فتساعدها على النجاح او تمثل بالنسبة لها عقبات ومصاعب . ومهمة الثوريين هى دراسة هذه الظروف الثورية الموضوعية حتى يمكن ان يحشدوا طاقات الجماهير من اجل الثورة . وذلك باستخدام وسائل الدعاية والاثارة والتنظيم وربط الكفاح القانونى بغيره من وسائل الكفاح ، وباستخدام كافة المؤسسات الاقتصادية والسياسية الجماهيرية . وربط كل ذلك بغيره من التنظيمات التى يمكن ان تنشأ فى مجرى الكفاح الثورى . فالكفاح الثورى عملية طويلة يهديها العلم الثورى وامكانيات تطبيق هذا العلم وفقا للظروف التاريخية والاجتماعية المعينة . اما الثورة حالا .. اما استخدام العنف لاستفزاز الطبقات الحاكمة واحداث الثورة التلقائية .. فان ذلك من شأنه ان يتحول الى مغامرة ، قد تحقق بطولة فردية ولكنها لن تحقق ثورة اجتماعية . فلا ثورة بدون حركة ثورية تعتمد على اوسع الجماهير .

لقد تصور لينين الوضع الثورى فى العالم تصورا صادقا حين اعتبر ان نجاح الاشتراكية فى بلد واحد هو ايذان ببدء الثورة الاشتراكية العالمية . وعلى حين عجز تروتسكى فى ذات الوقت من فهم هذا الوضع وتخيل الثورة العالمية تكمن فى القضاء على الراسمالية فى فترة زمنية واحده . وبالتالى عجز عن فهم سر بقاء الدولة السوفيتية وصمودها لكل محاولات التخريب والعدوان من الداخل والخارج . ولم يعش تروتسكى ليرى فكرة لينين المنتصرة ، ليرى تكوين معسكر اشتراكى كبير فى العالم . وليرى قوة الحركة العمالية العالمية وعظمتها وليشهد انتصارات حركة التحرر الوطنى وتلاحمها مع الثورة الاشتراكية واعتمادها على مساندة المعسكر الاشتراكى .

وبالمثل كان اليسار الجديد اليوم يريد ثورته العالمية حالا ، ويريد قطع رقاب الامبريالية فورا وتعليق البيروقراطية على اعواد المشانق . وتعجز هذه النظرة الطفولية عن فهم طبيعة الثورة الاشتراكية العالمية باعتبارها عملية معقدة وطويلة تتعلق بالوضع العالمى ، وجوهر تناقضه الرئيسى بين قوى الاشتراكية وقوى الراسمالية للتطور فى العصر الحاضر . وان الانتصار الكامل للثورة الاشتراكية العالمية يعنى حل هذا التناقض الرئيسى لصالح الاشتراكية وذلك قلاع الراسمالية العالمية . وفى نفس الوقت فان هذا التناقض يمارس تأثيره على كل التناقضات الاخرى .

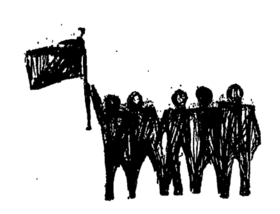
وعلى ذلك فان جمع التناقض الذى يحدد اتجاه التطور الرئيسى مع غيره من التناقضـــات ، والتحدث عن التناقض بين التقدم والتأخر عموما دون تحليل جوهر التقدم والتأخر فى عالم اليوم ، هو محاولة تلفيقية تؤدى الى تخبط يســارى .

ونفس هذا العجز عن رؤية مستقبل تناقضات المعسكر الراسمالى وازمته العامة التي تأخـذ بخنـاقه والتى سوف تفجر تناقضـاته وتصيبه بضعف ووهن شديدين ، أى العجز عن رؤية الظروف الاقتصادية الخاصة بانهيار الامبريالية هو الذى يدفع هذا اليسار الجديد الى الـكلام عن العنف المجرد والثورة فورا .

ولقد انتقد انجلز فى كتابه ضد ديهرنج نظـرة ديهربج من العنف واتهمه بالعجـز عن ادراك دور العوامل الاقتصادية فى التطور فأشار الى العنف باعتباره العامل الحاسم . وكان يؤمن بأن الطبقات تنشأ لان مجموعة من الناس تخضع مجموعة أخرى بالقوة ، وان العنف بالتالى هو العامل الذى ولد انقسام المجتمع الى طبقـات ووفقا لهذه النظرية يمكن القضاء على المجتمع الطبقى عن طريق العنف دائما نظرا الى الظروف الاقتصادية .

هذه بعض الاتجاهات الفكرية التى تحـرك اليسار الجديد فى العالم وهو فكر ممزق غير مترابط ودعوة الى الكفاح دون وضوح للرؤيا والاهداف . ورفع للشعارات الطفوليـة دون النظر الى نتائجها العلمية وتأثيرها على الحركة الثورية .

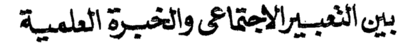
واننا فى بلادنا نحس اليوم أكثر من اى وقت مضى الى أهمية وضوح الرؤية . وندرك دور الافكار الثورية النابعة من التحليل العلمى للواقع ولن تمنعنا دروس النجاح والفشل من الوصول الى المنهج الثورى الصحيح .











د . جمال العطيفى

تدور تجربة المجالس الاقتصادية القومية حول فكرتين : فكرة خلق مجلس نيابى ، يمثل القوى الاجتماعية والاقتصادية الى جانب المجلس النيابى السياسى ، وفكرة ان يكون المجلس الاقتصادى هيئة فنية متخصصة تتبع رئيس الدولة وتقدم اليه المشورة . ونجد هاتين الفكرتين : فكرة المجلس الاقتصادى التمثيلى ، والمجلس الاقتصادى الفنى ، فى الدول الراسمالية والدول الاشتراكية على حد سواء ، وان كان تطبيقهما يتخذ فى كل من النظامين طابعا مختلفا .

وحتى يمكننا ان نقدم رأيا سليما حول فكرة انشاء مجلس اقتصادى قومى ، تنفيذا لبرنامج ٣٠ مارس ، فان الالمام بتجارب الدول الاخرى فى هذا الشأن هو اول خطوة نحو ذلك .

المجلس الاقتصادى كهيئة لتمثيل القوى الاجتماعية والاقتصادية

مجلس المنتجين فى يوجوسلافيا

انشأ دستور ١٩٤٦ ، فى يوجوسلافيا ، نظام مجلس المنتجين الى جانب المجلس الاتحادى . وكانا يكونان معا الجمعية الاتحادية او البرلمان الاتحادى . فالى جانب المجلس الاتحادى الذى كان يمثل المواطنين على اساس الاقتراع المتساوى والمباشر ، نشأ مجلس المنتجين ممثلا للقطاعات الاجتماعية لا للدوائر الانتخابية . وتعبير المنتجين وفقا للنظرية الماركسية ، لا يعنى اولئك الذين يخلقون قيما عادية فحسب ، بل يعنى ايضا اولئك الذين يخلقون القيم الفكرية . ولكن معنى المنتجين فى دستور ١٩٤٦ ا

اليوجوسلافى ، كان اضيق نطاقا . ووفقا للمعيار الذى اتخذه الدستور اليوجوسلافى ، يعتبر من المنتجين بالنسبة لتمثيلهم فى المجلس الاقتصادى المسمى بمجلس المنتجين ، المواطنون الذين يعملون فى المنظمات الاقتصادية ، اى المشروعات الصناعية والتجارية والزراعية ، والتنظيمات التعاونية والحرفية . ويمثل المنتجون فى المجلس الاقتصادى على اساس عضو واحد لكل سبعين الفا من المواطنين المنتجين . ففى انتخابات ١٩٥٣ مثلا ، بلغ عدد اعضاء مجلس المنتجين ٢٠٢ من النواب . وينقسم المجلس الى شعبتين ، احداهما للصناعة والتجارة والحرف ، والاخرى للزراعة . ويكون التمثيل فى كل من الشعبتين متناسبا مع قدر مشاركة كل قطاع فى الانتاج القومى ليوجوسلافيا .

ثم المجلس الاقتصادي

وقد احتفظ دستور ١٩٦٣ اليوجوسلافى ، بفكرة مجلس المنتجين ، تحت اسم المجلس الاقتصادى ، واصبح البرلمان الاتحادى يضم خمس مجالس ، منها المجلس الاتحادى . ويعتبر المجلس التشريعى صاحب الاختصاص العام . ويقوم الى جانبه المجلس الاقتصادى ، ومجلس التعليم والثقافة ، ومجلس الشئون الاجتماعية والصحية ، ومجلس التنظيم السياسى . فالى جانب المجلس الاتحادى الذى يمثل المواطنين ، بوصفهم مواطنين على مستوى الاتحاد ، توجد المجالس الاربعة الاخرى لتمثيل القوى الاجتماعية العاملة فى مختلف انواع النشاط . ويعلل كاردلى حينما كان رئيسا للجنة الدستور ، تنوع هذه المجالس ، بأنه يوسع دائرة اشتراك المواطنين فى الحكم ، ويخلق قاعدة اجتماعية مباشرة للسلطة السياسية . ويتكون كل مجلس من المجالس المتخصصة من ١٢٠ نائبا . والمجلس الاتحادى يكون دائما طرفا فى اى قرار او قانون بالاشتراك مع احد المجالس النوعية الاربعة ، حسب نوع النشاط الذى يتضمنه القانون . فالمجلس الاقتصادى يختص مثلا مع المجلس الاتحادى بمناقشة المشكلات الاقتصادية والمالية ، وخطط التنمية الاقتصادية ، وباصدار القوانين المتعلقة بهذه النواحى .

مجلس المنتجين في يوجوسلافيا

ليس تمثيلا طائفيا أو حرفيا

وقد تختلط فكرة المجلس الاقتصادي على هذا النحو بفكرة تمثيل الطوائف الاقتصادية فى المجالس النيابية ، او ما يسمى تمثيل المهن والحرف . وهى فكرة ترددت الدعوة اليها فى الديمقراطيات الفرنسية ، تخلصا مما يسمى عيوب الديمقراطية السياسية ، بما يكفل تحقيق تمثيل الامة تمثيلا كاملا ، والاستعانة بالكفايات المتخصصة ، والتخلص من سيطرة الاحزاب السياسية . وقد تبنت هذه الفكرة فى التطبيق ايطاليا الفاشستية وبرتغال سالازار .

ولكن عند التأمل ، يتبين ان المجلس الاقتصادى فى دستور يوجوسلافيا ، ليس هيئة تمثيلية للاقتصاد ، وفقا للمعيار التنظيمى ، او المعيار المهنى . فهو لا يمثل الاقتصاد باعتباره دائرة نشاط ، ولا يمثل التنظيمات المهنية والطائفية . ولكن المجلس الاقتصادى هو التنظيم الذى ينوب عن العاملين فى منظمات العمل ، الذين يشغلون وظائف فى الاقتصاد ، او ينفذون النشاط الاقتصادى . فهو هيئة تمثل العمل والعاملين . ومن ثم فهو يسمى ايضا مجلس مجتمعات العمل . فهو مرتبط بنظام الادارة الذاتية للمنتجين ويعتبر امتدادا للحكم الذاتى الذى يمارسه المنتجون . ففى المجتمع الاشتراكى ، حيث تصبح القوى الاجتماعية العاملة المسيطرة على سلطة الدولة ، يكون تمثيل المنتجين وسيلة للتقدم الديمقراطى . وعلى النقيض ، ففى مجتمع طبقى رأسمالى ، لا يكون التمثيل الطائفى الا تأكيدا لسيطرة الاقلية الحاكمة . ففى المجالس الاقتصادية فى الدول الرأسمالية ، يحتل رجال الصناعة والتجارة ، واصحاب المشروعات الخاصة ، اى طبقة الملاك ، مكانهم الى جانب الطبقات المتوسطة من صغار التجار واصحاب الحرف والمهنيين ، ولا يكون للطبقة العاملة تمثيل متفوق على الطبقات الاخرى ، وتصبح الكلمة العليا داخل هذه المجالس لممثلى اصحاب المصالح الاقتصادية من الرأسماليين ، بوصفهم اكثر الممثلين دراية ونفوذا فى هذه الظروف ، وبذلك يتحول هذا المجلس الى برلمان طائفى . ومن ثم فاننا يجب ان نميز بدقة بين فكرة المجلس الاقتصادى فى دولة اشتراكية ، وبين فكرة المجلس الاقتصادى التى تدعو اليها احزاب الديمقراطية المسيحية فى اوربا .

ويلاحظ اننا فى مصر ، قد عرفنا نوعا من تمثيل الطوائف الاجتماعية والاقتصادية فى نظام الجمعية التشريعية عام ١٩١٣ ، حيث كان بعض الاعضاء المعينين يختارون كممثلين لطوائف التجار والاطباء والمجالس البلدية ، والعرب البدو مثلا . وكان من رأى المرحوم عبد العزيز فهمى ، فى مقال نشرته له جريدة الاهرام فى ١٧ مارس ١٩٤١ ، تمثيل الطوائف المهنية ، مثل الاطباء والمحامين

وطائفة اصحاب الاملاك ، الذين يملكون اكثر من خمسة افدنة فى المجلس النيابى . وظاهر ان مثل هذه الافكار كانت مرتبطة بالمجتمع الطبقى الذى كان قائما وقتئذ .

المجلس الاقتصادى والاجتماعى

فى دســـــــتور ديجـــــول

ولــكن فــكرة تمثيــل القوى الاجتمــاعية والاقتصادية لسد نقص التمثيل السياسى الذى يعتمد على الاحزاب ، ولاضفاء صفة ديمقراطية على التخطيط الاقتصادى ، اصبحت دعوة اليسار الاوربى ، مميزا بينها وبين فكرة احلال التمثيل الطائفى محل المجالس السياسية ، وهى الفكرة الفاشستية الى اعتنقها موسولينى وسالازرا .

وقد يكون نظام المجلس الاقتصادى الحالى فى فرنسا متأثرا بهذا الاتجاه الذى تدعو اليه احزاب اليسار . وهى الفكرة التى تحققت قبل ذلك فى دعوة اتحاد اليسار فى فرنسا عام ١٩٢٤ ، والتى طورتها الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ .

ثم برزت هذه الفكرة فى التطبيق فى دســـتور ١٩٤٦ الفرنسى ، الذى انشأ مجلسا اقتصــاديا يمثل المنظمات المهنية والنقــابية والتعــاونية ، حسب اهميتها ، والذى يضــم اعضــاء آخرين تختارهم الحكومة . وكان عدد اعضــاء هــذا المجلس ١٦٦ ، منهم ١٤ تعينهم الحكومة من ذوى الكفايات المتخصصة ، وكان يعد هيئة استشارية للحكومة ، وللمجلس الوطنى ايضا .

وقد احتفظ دستور ١٩٥٨ الحالى ، والمعروف بدستور ديجول ، بنظام المجلس الاقتصادى الذى عرفه دستور ١٩٤٦ . وقد كانت هناك فكرة عند اعداد مشروع دستور ١٩٥٨ ، بأن يعدل تشكيل مجلس الشيوخ ، بحيث يحقق نوعا من التمثيل الطائفى . ثم عدل عن هذه الفكرة . فقد اثبتت تجربة المجلس الاقتصادى فى دستور ١٩٤٦ ، انه كان اداة مفيدة للاقتصاد القومى ، كما انه كان يحقق تمثيلا للقوى العمالية والصناعية بأكثر مما يحققه تمثيلهم فى البرلمان .

ومع ذلك ، فقد قبلت فكرة الابقاء على المجلس الاقتصادى على مضض ، ذلك ان نظام دستور ١٩٥٨ ، كان يعتمــد اســاسا على اهل الريف المرموقين ، وهم الذين كانوا ينظرون بحــذر الى فكرة تمثيل القوى العمالية والصناعية فى المدن .

والآن الوضع قد تغير بعد عام ١٩٦٢ ، وتأكدت اهمية هذه القوى ، بل وتجـددت الدعوة الى تدعيم تمثيلها فى هذا المجلس .

وقد حذت دساتير الدول الافريقية ، التى كانت تدخل ضمن المجموعة الفرنسية ، حذو الدستور الفرنسى . فنجــد نظــام المجلس الاقتصــادى والاجتماعى فى دستور الســنغال ، الصادر عام ١٩٦٠ ، ودستور ساحل العاج ، وفولتا العليا ، الصادرين فى نفس السنة ، وفى دستور جابون ، الصــادر عام ١٩٦١ ، كما نجــده فى دســتور الصومال ، الصادر عام ١٩٦٠ ، حيث يســمى مجلس الاقتصاد القومى والعمل .

ويضم المجلس الاقتصــادى والاجتمــاعى فى فرنسا ، بوضعه الحالى مائتى عضو ، منهم ٤٥ عضوا يمثلون العمال والموظفين والفنيين ، و ٤١ عضوا يمثلون المؤسسات الاقتصادية التجارية والحرفية ، منهم ستة فقط يمثلون المؤســسات المؤممة ، مقابل ١٦ يمثلون الصناعات الخاصة ، و ٩ للتجارة ، و ١٠ للحرف . كما يضم اربعين عضــوا يمثلون الزراعة ، منهم خمســة يمثلون التعاونيات ، و ١٥ يمثلون النشاط الاجتماعى ، مثل الجماعات العائلية والاسكان والصحة العامة والتعاونيات الاستهلاكية والادخار ، و ٧ يمثلون السياحة والتصدير وتعــاونيات الانتــاج ، و ٢ يمثلان الطبقات الوسطى ، كما يضم ١٥ من ذوى الخبرة فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والعلمى والثقافى ، و ٣٥ يمثلون النشــاط الاقتصــادى والاجتماعى فى اقاليم ما وراء البحار ، كما يمثلون الخبرة فى تفهم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الاقاليم . ومن بين المائتى عضو الذين يضمهم المجلس ، تعين الحكومة اربعين عضوا ، بينما يختــار الباقون بالانتخــاب من المنظمــات التى يتبعونها . كما يجوز للحكومة ان تعين اعضــاء استثنائيين معروفين بتخصــصاتهم للاشتراك فى لجان المجلس .

وتتجدد الدعوة هذه الايام الى مزيد من تمثيل القوى الاجتمــاعية فى المجــلس ، فاقترح تمثيل الطلاب والفنانين والجمعيات الرياضية والثقافية وتدعيم تمثيل العمال والمستهلكين .

وهذا المجلس يعد هيئة استشارية للحــكومة وحــدها ، بينما كان المجلس الاقتصــادى الذى انشأه دستور ١٩٤٦ ، هيئة استشارية للحكومة والبرلمان معا .

ويهــدف المجلس الى تحقيق التعــاون بــين الطــوائف المهنيــة التى يمثلهــا ، والى تحقيق مشــاركتها فى السياسة الاقتصادية والاجتمــاعية

الحكومة . وهو يدرس ويقترح الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، كما يدرس التطور العلمي والتكنولوجي ، واثره في تطوير المجتمع . ويجوز لرئيس الوزراء ان يطلب منه الرأي في مسألة معينة . بل ان استطلاع رأيه يكون لازما في كل ما يتعلق بمشروعات البرامج والخطط الاقتصادية والاجتماعية ، وان كانت الحكومة غير مقيدة برأيه .

والواقع ان هذا المجلس ، بحكم تكوينه واختصاصاته ، انما يقوم على تحقيق نوع من المصالحة بين أرباب الاعمال والعمال، ونوع من التزاوج بين قطاعات الصناعة والتجارة والزراعة فيما بينها . وهو خليط من تمثيل المصالح الاقتصادية ومن الاستعانة بالخبرة المتخصصة.

المجلس الاقتصادى فى ايطاليا

وشبيه بهذا المجلس الاقتصادى ، ما ينص عليه دستور ايطاليا ، الصادر عام ١٩٤٧ ، من تشكيل مجلس قومى للاقتصاد والعمل ، من الخبراء وممثلى الطوائف المنتجة ، بنسبة تراعى فيها اهميتها العددية والنوعية . ولكن المجلس الايطالى يختلف عن الفرنسى ، فى انه يعتبر هيئة استشارية للبرلمان وللحكومة ، كما ان له حق الاقتراح الشعبى والاشتراكى فى وضع التشريعات الاقتصادية والاجتماعية . وقد حاول هذا المجلس فى التطبيق العملى ، ان يوسع اختصاصاته ، بعد ان وضعت ايطاليا اول خطة اقتصادية لها لسنوات خمس (٦٥ — ٦٩) . بل قيل انه بدأ يتحول من هيئة فنية الى هيئة سياسية توجه سياسة الحكومة وتؤثر عليها .

المجلس الاقتصادى كهيئة فنية استشارية

وبينما يبدو انشاء مجلس قومى اقتصادى اقرب الى تحقيق نوع من التمثيل الشعبى ، كما لاحظنا فى يوجوسلافيا ، وفى فرنسا ، وان كان يعتبر مجلسا مشرعا فى يوجوسلافيا ، ومجلسا استشاريا فى فرنسا — فان المجلس الاقتصادى يتخذ طابعا مختلفا فى دول اخرى ، فهو هيئة فنية من الخبراء معاونة للحكومة .

المجلس الاقتصادى فى ايرلنده

ومثال ذلك المجلس القومى الصناعى والاقتصادى فى ايرلنده ، الذى انشىء فى عام ١٩٦٣ ، ويرمز له بالحروف NIEG واختصاصه الرئيسى اعداد تقارير عامة برأيه فى المبادىء التى يرى تطبيقها لتنمية الاقتصاد القومى ، وتحقيق عمالة كاملة ، واستقرار فى الاسعار ، وتوازن فى ميزان المدفوعات .. وهو يعد هذه التقارير من وقت الى آخر ، وفق تقديره . وفى نفس الوقت ، فللحكومة ان تطلب منه اعداد تقارير فى الموضوعات التى ترى الاستئناس برأيه فيها ، وكذلك للمؤتمر القومى للعمل ، ان يطلب منه الرأى فى اى موضوع يدخل فى اختصاصه . ويعرض تقرير المجلس مع ملاحظات الحكومة عليه ، على البرلمان المسمى باللغة الايرلندية (أوريختاس) . ويعين رئيس المجلس وثمانية من اعضائه بمعرفة الحكومة ، بينما يختار مؤتمر نقابات العمال عشرة اعضاء ، ويختار عشرة آخرون بمعرفة اتحاد العمل ومؤسسات ارباب الاعمال ، والهيئات التى ترعاها الدولة ، واتحاد الصناعات الايرلندى . وقد نشر المجلس عديدا من التقارير التى بلغت حتى عام ١٩٦٨ ، واحدا وعشرين تقريرا ، كان اهمها تقريره عن نتائج برنامج التوسع الاقتصادى الاول (١٩٥٨ — ١٩٦٣) ، والثانى (١٩٦٤ — ١٩٦٧) .

على ان اهم تجربتين فى المجالس الاقتصادية المتخصصة ، هما تجربة الولايات المتحدة الامريكية ، وتجربة الاتحاد السوفيتى ، وهما الدولتان اللتان تتودان العلم والتكنولوجيا فى عالم اليوم .

مجلس المستشارين الاقتصاديين فى الولايات المتحدة

من المعروف انه فى النظام الرياسى ، ومثاله الدستور الامريكى ، يتمتع رئيس الجمهورية بسلطات واسعة ، ويباشر اختصاصات مختلفة . وقد كان لرئيس الولايات المتحدة دوما مستشاروه الخاصون ، يختارهم حتى من خارج السلك الرسمى . فمعروف مثلا ان الكسندر هاملتون ، كان المستشار المقرب لجورج واشنجطون ، وان الكولونيل ادوار منديل هاوس ، كان مستشار وودرو ويلسون ، وان هارى هوبكنز ، كان موضع ثقة فرانكلين روزفلت . ومع ان لهؤلاء المستشارين غير الرسميين تأثيرهم على سياسة الولايات المتحدة ، الا ان المكتب التنفيذى للرئيس

منذ تنظيمه فى عام ١٩٣٩ ، اصبح يضم هيئات اخرى للمستشارين الرسميين . منها مكتب الميزانيـة ، الذى يعـد الميزانيـة ويشرف على تنفيذها ، ومنها مجلس المستشارين الاقتصاديين. وهناك مكتب المستشار الخاص الذى كان يعمل فيه مجام كان صديقا لكيندى ، واسـمه تيودور سورنسن ، وكان يعمل فى تعاون وثيق مع مكتب الميزانية والمجلس الاقتصادى . وهناك مجالس اخرى للفضاء ، ولتخطيط الطوارىء وللعـلم والتكنولوجيا وغيرها .

ويهمنا فى هذه المناسبة ، ان نعرف شيئا عن المجلس الاقتصادى للرئيس الامريكى ، فقد انشىء هذا المجلس بمقتضى قانون التوظف عام ١٩٤٦ . ووفقا لهذا القانون ، اصـبح من المتعين على الرئيس ان يقدم تقريرا اقتصاديا سـنويا الى الكونجرس ، ومن ثم نشأت الحاجة الى ان يكون الى جانب الرئيس هيئة متخصـصة يباشر من خلالها مسئولياته الاقتصـادية . وانشأ مجلس المستشارين الاقتصاديين من ثلاثة اعضـاء من خبراء الاقتصاد ، وكان اول رئيس له فى عهـد ترومان هوادوين نورس . واختصاصات هـذا المجلس الاستشارى مستمدة من واجبات الرئيس فى تقديمه تقريرا اقتصاديا الى الكونجرس . فمن اهـداف قانون التوظف ، تحقيق اقصى حـد من العمالة والانتاج والقوى الشرائية ، وهو ما لا يمكن تحقيقه الا بتعـاون الصـناعة والزراعة والعمل ، وبتعاون الحكومة المركزية والحكومات المحلية . ومن ثم فان القانون ينص على وجوب ان يتضمن تقرير الرئيس الاقتصادى ، بيانا عن مستويات العمالة والانتـاج والقـوى الشرائية وتوقعاتها المسـتقبلة ، والبرامج الاقتصـادية للحكومة ، والظروف التى قد تؤثر على العمالة او الانتاج ، وتحقيق اقصى حد لهما . ومن هنا يبرز دور المجلس الاقتصادى فى اعداد هذا التقرير ، وفى الاشارة على الرئيس بالسياسة الاقتصادية الكفيلة بتحقيق هـذه الاهداف ، على اسـاس ازكاء المنافسة بين المشروعات ، وتجنب التقلبات الاقتصادية .

وقد يبدو انشاء المجلس الاقتصـادى وكأنه دعوة الى الحكومة للتدخل فى النشاط الاقتصادى. ولكن هذا التدخل لا يتخذ طابعا اشتراكيا ، بل انه يقوم فى فلسـفته على نظرية الاقتصـادى كينز ، الذى كان له تأثيره على الفكر الاقتصادى فى امريكا ، والذى ربط مشـكلة العمالة بحجم الانفاق ، سـواء أكان فرديا أم حـكوميا ، أم استهلاكا رأسماليا .

وثمة ملاحظات على نشاط المجلس الاقتصادى فى امريكا :

الاولى : ان هذا المجلس تأرجح بين فكرتين : فكرة أن يكون مجرد هيئة فنية استشارية ، وهى الفكرة التى دافع عنها ادوين نورس ، أول رئيس لهذا المجلس ، وبين فكرة أن يقوم بدور المدافع عن سياسة الرئيس الاقتصادية امام الكونجرس ، وهى الفكرة التى تبناها كيسرلنج ، الذى خلف نورس فى رياسـة المجلس عام ١٩٥٠ ، والذى اقحم المجلس فى السـياسة الحزبيـة ، وجعله مدافعا عن سياسة ترومان وقتئذ .

الثانية : ان رئيس هـذا المجلس ، فى عهد ايزنهاور ، وهو آرثر بيرنز ، كان فى نفس الوقت مستشارا اقتصاديا للرئيس . وكان هناك اتجاه الى ان يحـل شـخص واحـد محـل مجلس المستشارين . وانتهى الامر الى ان اصبحت صـلة المجلس بالرئيس تتم عن طـريق رئيس المجلس وحده . وفى عهد كيندى ، تغير تشكيل المجلس ، وعين والتر هيلر رئيسا له . وكانت الصعوبة دائما هى كيفية ضمان الا يطغى الجانب الشخصى فى علاقة المجلس بالرئيس ، على الجانب الفنى الذى يحقق اسـتقرارا لعمل المجلس ، واستمرارا له ، رغم تغير اعضائه .

الثالثة : ان هناك مجالس اخرى اصـبحت تعمل الى جانب المجلس الاقتصادى ، مثل المجلس الاستشارى للتنمية الاقتصادية ، الذى انشىء ايزنهاور ، وكان بيرنز ايضا هو رئيسه . كما ان اختصاصات المجلس الاقتصـادى كانت تتداخل مع اختصاصات مكتب تعبئة الدفاع ، الذى حل محل مجلس الامن القومى ، وكان من بين مهامه تحقيق تعبئـة للموارد الاقتصـادية والطـاقات البشرية لخدمة الدفاع الوطنى ، وكان المفهوم ان يركز نشـاطه على المناطق التى تقع فيهـا اضطرابات تمس الدفاع الوطنى ، وان يدع ما عدا ذلك للمجلس الاقتصادى . فاذ به يوسـع من اختصاصاته ، خصوصا بعد حرب كوريا واخيرا حرب فيتنام .

والواقع ان المجلس الاقتصادى فى الولايات المتحدة يستمد قوته وتأثيره من موقف الرئيس . فبقدر نزول الرئيس على رأى المجلس واحترامه لارائه ، بقدر ما يتحول الى أداة هامة .

الخطة الاقتصـادية قانون التحول الثورى

وتزداد اهمية وجود مجلس اقتصادى فى دولة اشتراكية ، تتملك وسـائل الانتاج الرئيسية ،

بلزوم اقتصادها على التخطيط . ومع ذلك فبينما تحرص معظم الدول الاشتراكية على انشاء مجالس او لجان عليا للتخطيط المركزى ، كما تحرص على انشاء هيئات للرقابة على النشاط الاقتصادى او على تنفيذ الخطة ، الا انها لا تعرف نظام المجالس الاقتصادية على مستوى الحكومة . ولكن الجمعيات الوطنية او مجالس الشعب ، وهى التى تقابل البرلمان فى النظم الغربية ، تشكل داخلها لجانا اقتصادية .

وقد كان هذا هو الحال ايضا فى الاتحاد السوفيتى . فوفق دستور ١٩٣٦ ، فان مجلس السوفييت الاعلى هو الذى يصادق على برنامج الاقتصاد الوطنى ، وعلى ميزانية الجمهورية ، ومجلس الوزراء يتخذ التدابير اللازمة لتنفيذ برنامج الاقتصاد الوطنى ، ويشكل لجانا مختلفة لشئون التخطيط والعمل والاجور والتشييد ، ولتحسين اعمال البحث العلمى والصناعة والتجارة والزراعة .

ويبرز الدور الاقتصادى للدولة فى النظام الاشتراكى . فالسلطة الاقتصادية هى اساس التحويل الثورى للمجتمع ووسيلة لادارة الانتاج القومى ، وتحقيق التوجيه السياسى والاجتماعى والثقافى للمنتجين . وترمى هذه السلطة الى خلق تخصصات فى الصناعة والزراعة وتزويد قوة العمل بالعلم . وفى هذا النظام يكون قانون الخطة ، هو القانون الاساسى للتحول الثورى ، الذى يهدف الى انماء الثروة القومية والارتقاء بالمستوى المادى والثقافى للعمال ، وتدعيم قدرة البلاد الدفاعية . وقد عرف الاتحاد السوفيتى مجلس التخطيط المركزى المسمى جوزبلانز Gozplans والذى يعد الخطة الاقتصادية بناء على توجيهات مجلس الوزراء ، ومجلس السوفييت الاعلى ، ويضع الخطوط العريضة للتطور الاقتصادى فى كل جمهورية ، ويحدد لها اهداف الخطة والانتاج .

وقد كانت الادارة الاقتصادية ذاتها ، تتسم بطابع مركزى فى عهد ستالين . وكان يؤخذ عليها مثلا ان مصانع جبال الاورال ، او ارمينيا ، كانت تدار من موسكو ، وان جهاز التخطيط المركزى كان يعوزه الالمام الكامل بالمشكلات العملية للوحدات الاقتصادية المنتجة .

المجالس الاقتصادية فى الاتحاد السوفيتى

وقد كان الاصلاح الاقتصادى الذى اعلنه خروشوف فى الاتحاد السوفيتى ، فى ١٤ فبراير عام ١٩٥٧ ، خطوة هامة للقضاء على هذه المركزية الشديدة ، ويمثل تحولا فى اسلوب ادارة الاقتصاد السوفيتى حتى وضعه بعض المعلقين فى مستوى اهمية العهد الجديد ، وهو الاصلاح الاقتصادى الذى بداه روزفلت فى امريكا .

وقد تمخض الاصلاح الاقتصادى السوفيتى عام ١٩٥٧ ، والتعديلات التى لحقته فى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ ، بناء على توصيات اللجنة المركزية للحزب ، عن نظام المجالس الاقتصادية . فقد قسم الاتحاد السوفيتى الى ١٠٤ وحدات اقتصادية ، يدير كل منها مجلس اقتصادى يسمى سوفنار كهوز (وقد انقص عددها عام ١٩٦٢) ، والغى العديد من الوزارات الاقتصادية . فعلى سبيل المثال ، كانت هناك ١٤١ وزارة للصناعة والتشييد اتحادية وجمهورية ، فلم يستبق منها سوى ٩ وزارات اتحادية ، و ١٤ وزارة جمهورية . واحيلت اختصاصات معظمها الى لجان للدولة تتبع مجلس الوزراء .

ولناخذ مثلا جمهورية لتوانيا ، فقد اصبح فيها مجلس للاقتصاد القومى ، يخضع مباشرة لمجلس وزراء لتوانيا ، ويعاونه مجلس للعلم والتكنولوجيا يقوم بدور المستشار للصناعة فى لتوانيا . ورئيس مجلس الاقتصاد القومى عضو فى مجلس الوزراء .

وهذه المجالس الاقتصادية الاقليمية ، هى التى تتولى سلطة الدولة فى مباشرة الانتاج ، وتخضع بدورها للمجلس الاقتصادى للاتحاد السوفيتى الذى يشرف على تنفيذ عمليات الخطة والتنسيق بين المجالس الاقتصادية المختلفة .

المجلس الاعلى للاقتصاد القومى

ووفقا لهذا الاصلاح الجديد انشأ مجلس اعلى للاقتصاد القومى فى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ، يخضع له ولتوجيهات مجلس السوفييت الاعلى ، ولكنه يصدر قرارات ملزمة لجميع اجهزة الدولة . ويعين مجلس السوفييت الاعلى رئيس المجلس ونوابه ، ويكون رئيسه عضوا بمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى . وقد اختير د . ايستينوف رئيسا له . ولوحظ على هذا الاختيار انه يغلب الجانب الفنى على الجانب السياسى ، لان استينوف لم يكن عضوا فى رياسة الحزب . اما الجوزبلانز (اى مجلس التخطيط) ، فقد تحول الى لجنة الدولة للتخطيط . واصبح المجلس الاعلى للاقتصاد القومى هو المهيمن على جهاز التخطيط ، وعلى مراقبة التنفيذ الذى يتم عن

طريق (السوفنار كهوزات) ، اى المجالس الاقتصادية فى الوحدات الاقتصادية ، وعلى لجنة تنسيق اعمال البحث العلمي ، وعلى معظم لجان الدولة .

ويعنينا من هذا العرض لنظام بالغ الصعوبة فى فهمه ، وقابل للتعديل فى كل يوم ، ان نتبين ما يمكن ان يكون مفيدا لنا منه فى ارساء نظام المجلس الاقتصادى القومى . وظاهر ان المجالس الاقتصادية فى الوحدات الاقتصادية (السوفنار كهوزات) ، تدير الانتاج مباشرة ، وليس لها علاقة بالبحث الذى نحن بصدده . ولكن الذى يستوقف النظر هو نظام المجلس الاعلى للاقتصاد القومى ، الذى يرتبط بمجلس الوزراء ، وبتنفيذ السياسة التى يرسمها مجلس السوفييت الاعلى ، ولكنه ليس مجرد جهاز استشارى ، كما هو الامر فى مجلس المستشارين الاقتصاديين فى امريكا . وهو فى مرتبة تعلو الوزارات ، بل يخضع له جهاز التخطيط وعديد من لجان الدولة الفنية ، مثل لجنة مصادر الطاقة ، ومنها الطاقة الذرية ، ولجنة الالكترونيات ، واللجان الاستراتيجية ، مثل الدفاع والفضاء ، ولجنة تنسيق البحث العلمى والتكنولوجى . ويبدو ان المجلس الاعلى للاقتصاد القومى ، هو اساسا جهاز الدولة الاعلى لادارة الصناعة والتشييد ، فلا يعنى من الزراعة مثلا الا بما يتصل بهدفه الاساسى ، مثل المنتجات الزراعية التى تستخدم فى الصناعة ، ومع ذلك فان المجلس الاقتصادى (السوفنار كهوز) للاتحاد السوفيتى ، تتبعه ثلاث لجان للدولة ، منها لجنة الدولة للصيد ، ولجنة الدولة للتجارة ، والاتحاد الفيدرالى الفنى للزراعة ، الذى يزود الزراعة بالالات .

المجلس الاقتصادى القومى فى برنامج ٣٠ مارس

وبعد ، فما هى صورة المجلس الاقتصادى الذى اقترحه برنامج ٣٠ مارس ؟

لقد اشار برنامج ٣٠ مارس الى المجالس المتخصصة فى موضوعين : حينما تناول المهام الرئيسية للمرحلة القادمة ، ومنها تدعيم بناء الدولة الحديثة ، وما يتطلبه ذلك من انشاء مجالس متخصصة ، منها المجلس الاقتصادى القومى ، الذى يضم شعبا للصناعة والزراعة والمال والعلوم والتكنولوجيا — وحينما رسم الخطوط العامة التى يرى ان يتضمنها الدستور الجديد ، ومنها ان ينص الدستور على قيام الدولة العصرية وادارتها ، وان يكون واضحا ان رئيس الجمهورية يباشر مسئولية الحكم بواسطة الوزراء ، وبواسطة المجالس المتخصصة .

ومن ثم فان صورة المجلس الاقتصادى — وهو اهم المجالس المتخصصة التى اقترحها برنامج ٣٠ مارس — بعيدة كل البعد عن فكرة تحقيق تمثيل للقوى الاقتصادية والاجتماعية ، وفق الصورة التى قدمناها للمجلس الاقتصادى والاجتماعى فى فرنسا ، او المجلس الاقتصادى فى يوجوسلافيا . ولكن الصورة التى رسمها برنامج ٣٠ مارس هى صورة مجالس متخصصة ، اى تعتمد اساسا على الخبراء ، لتكون دعامة لبناء الدولة العصرية المستندة الى العلم والتكنولوجيا ، وهى مجالس يباشر رئيس الجمهورية بواسطتها مسئولية الحكم .

ولكن بقى بعد ذلك ان نسأل انفسنا ، ما الذى نريده من المجلس الاقتصادى المتخصص ؟ انريده مجلسا للاشراف الاعلى على الانتاج الاقتصادى ، اشبه بالمجلس الاعلى للمؤسسات العامة ؟ انريده مجلسا اعلى للتخطيط الاقتصادى ، اشبه باللجنة العليا للخطة ؟ انريده مجلسا لتطوير الخبرة الفنية فى مجالات الاقتصاد ؟ ام انه شيء مختلف عن الانتاج ، وعن التخطيط ، ولا يقتصر هدفه على وضع العلم الحديث فى خدمة الاقتصاد القومى .

ان برنامج ٣٠ مارس قد اشار الى شعب يضمها هذا المجلس للصناعة والزراعة والمال والعلوم والتكنولوجيا . وخطة تنفيذ بيان ٣٠ مارس التى اعدها الوزيران د . حلمى مراد ، و د . عبد العزيز حجازى ، وعرضت على مجلس الوزراء ، قد اشارت الى اختصاصه بمناقشة السياسة التى يرسمها الوزير المختص للقطاع الذى يتبعه ، ويناقشها مجلس الوزراء مع مقترحات التنظيم السياسى . ويخلص من ذلك الى اقرار السياسة الواجبة الاتباع فى ضوء الخطة العامة للدولة ، فتحال عن طريق رئيس الجمهورية الى مجلس الامة ، فاذا تم التصديق عليها تشريعيا ، اعيدت الى الوزارة المختصة لتنفيذها .

ومن ثم فان المفهوم أن هذا المجلس لن يتحول الى مجلس اعلى للانتاج ، أو لجنة عليا للخطة ، أو مجرد مجلس اكاديمى لتطوير البحث العلمى ، ولكنه ينظر فى السياسة الاقتصادية والبرامج الاقتصادية التى تعدها الوزارات المختصة تنفيذا للخطة الاقتصادية .

وهو اذا كان يبدى الرأى فى اقتصاديات اى

مشروع ، الا انه لا يقـع بنفسـه السـياسة الاقتصادية ، التي يجب أن تظل دائما مسئولية الخطة الاقتصـادية للدولة .. وهي مسـئولية سياسية ، تسـأل عنها الحـكومة امام مجلس الشعب .

وعلى سبيل المثال : ان القرار الذى تتخـذه الحكومة بانشاء مجمع للحديد والصلب .. هو قرار سياسى .. ولكن دراسة اقتصاديات هـذا المشروع ، وحجم انتاجه ، والموقع الذى يختار له مثلا .. هذا هو ما يبحثه المجلس الاقتصادى .

وبغـير ذلك يمكن ان يتحول المجلس ـــ وهو هيئة فنية من التيكنوقراط ـــ الى مجلس سياسى غير مسئول امام ممثلى الشعب ..

ويمكن ان يتناول اختصاص المجلس ايضـا ابداء الرأي في مشروعات القوانين التي تتصـل بفروع النشاط الاقتصادي المختلفة ، مثل قوانين الصـناعة والزراعة والتجـارة ، ومثل قوانين الرقابة على النقد ، او قوانين الضرائب .

وفى جميع الحالات ، فان هذا المجلس يجب الا يتحول الى جهاز تنفيذى ، او ان يصبح جهـازا بيروقراطيا معوقا لنشاط الوزارات الاقتصادية ، يؤخر البت فى مشروعاتها . ويجب الا تتحول خبرة اعضائه الي قيد على التفكير والمبادأة السياسية .

والح على القول بانه لاقيمـة لقيـام مجلس اقتصادى اذا لم نؤمن اولا بضرورة وضع خطة اقتصادية متكاملة مفصلة البرامج تحدد الاهداف التى يسـتهدفها الشـعب فى مجـال الانتـاج والاستهلاك بطريقة متسقة . ومع عمل حساب القوانين الاقتصـادية الموضـوعية ، وخواص التنمية الاجتماعية . وهـذه الخطـة تطرح على الشعب لمناقشتها ثم يقرها مجلس الامة ويصدر بها قانون يسمو على القوانين الاخرى ، ويوجه النشاط الاقتصادى القومى .

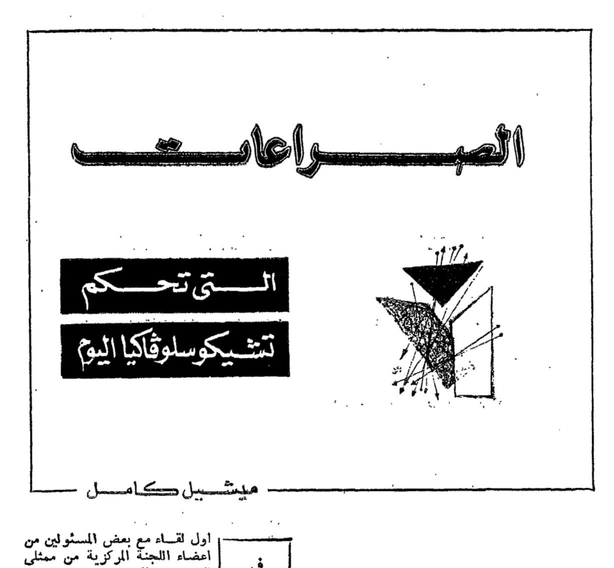
ولا شك ان هـذه الاختصـاصات اذا تولاها المجلس الاقتصـادى القومى ، تقتضى ان يكون تابعا مباشرة لرئيس الجمهورية ، وان يكون فى مركز يعلو الوزارات المعنية بالنشاط الاقتصادى . ولكنه مركز المستشار الفنى لا المجلس التنفيذى الذى يصدر القرارات . وهو هيئة محدودة العدد وليس مجلسا واسعا ، يختار رئيس الجمهورية اعضاءه ، بحكم خبرتهم وتخصـصهم ، وتعاونه سكرتارية فنية من الباحثين .

والواقع ان علاقة المجلس الاقتصادى وغيره من المجالس القومية الاخرى برئيس الجمهورية ، من الامور التى لا يمكن ان تتضح الا بعد ارسـاء مبادىء الدستور الجديد .

وثمة ملاحظتان اخيرتان ، احداهما عن شعبة العلوم والتكنولوجيا ، التي اقترح ان تكون احدى شعب المجلس الاقتصادى . والتفكير فى الدولة العصرية يطرح بذاته هـذا السـؤال : الم يؤن الاوان لقيام اكاديمية للعلوم ، تضم جميع مراكز البحث العلمى ، وتخلق صفوة ممتازة من العلماء المتفرغـين للبحث العلمى ؟ والم يؤن الاوان .. لكى نميز بين الدراسـة العلمية النظرية ، التى تتولاها اكاديمية العلوم ، وبين الدراسة العلمية التطبيقية ، اى التكنولوجيـا ، وان يفسح لهـا مجال فى مواقع الانتاج ذاتها .. وينشأ جهاز فى رياسـة الجمهورية لمتابعة جهودها والتنسـيق بينها ، بدلا من شعبة فى المجلس الاقتصادى ؟

اما الملاحظة الثانية ، فخاصة بما اشار اليه تقرير د . عبد العزيز حجازى ، عن اطار الاصلاح الاقتصادى ، من انشـاء هيئات قومية للتخطيط الصناعى والزراعى والاقتصادى .. تقوم بدور التخطيط والدراسـة فى هـذه المجـالات ـــ فان السؤال الذى لم اجد عنه اجابة واضحة ، هو : ما هى علاقة هذه الهيئـات بالمجلس الاقتصادى المتخصـص .. وتعبـيرات مثل « التخطيط » ، « ورسم السياسة العـامة » ، « وبلورتها » ، تعبيرات يبدو انها تحتـاج الى ان تسـتخدم فى موضعها الصحيح ..





جذبت احداث تشيكوسلوفاكيا الاخيرة ، انتباه واهتمام الرأى العام العالمى بشكل اتجاهاته وانتماءاته .

وفى هذا المقال ، يكتب ميشيل كامل عن رؤيته لواقع تشيكوسلوفاكيا وتطوراته ، على ضوء احتكاكه المباشر بالتيارات السياسية المتصارعة فيها . وذلك حين قام بزيارة الى تشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية فى رحلة دراسية .

فى اول لقاء مع بعض المسئولين من اعضاء اللجنة المركزية من ممثلى الاتجاه المعارض لنوفوتنى فى السياسة التشيكوسلوفاكية ، اوضحت لهم مدى اهتمام الشعوب العربية بتتبع مجرى الاحداث فى البلد الصديق ، الذى وقف دائما وبثبات يؤيد قضية النضال العربى ويدين السياسة الاستعمارية الصهيونية ، ويقدم كل عون اخوى منزه ، مادى وادبى للشعب العربى فى نضاله الوطنى والاجتماعى .

وكان كسر احتكار السلاح بعقد الاتفاقية التاريخية بين بلدينا ، علامة بارزة على طريق الصداقة بين شعوبنا ، وامتد اثرها على نطاق العالم كله ، فأصبحت نموذجا تحتذيه كثير من شعوب العالم الثالث تدعيما لقاعدة نضالها ضد الامبريالية ، فأضافت الى عوامل التحرر من التبعية الاستعمارية عنصرا حاسما شديد الفاعلية .

كما يدرك العرب حقيقة الارتباط الوثيق بين توازن القوى الدولى وقضية تصفية آثار العدوان ،

ومدى تاثير اي ضعف او تفكك يصيب تماسك ووحدة قوى الاشتراكية على معركة تحرير الارض المغتصبة .

وليس مصدر قلقنا هذه العوامل وحدها ،فهو ينبع ايضا من عقيدتنا المشتركة والايمان بقضية الاشتراكية وضرورة تعزيز مواقعها . ففي الوقت الذى تسعى فيه القوى الاشتراكيه الى تخليص مجتمعاتها من عبودية راس المال فى مواجهة مقاومة ضارية من جانب تحالف الاستعمار والرجعية المحلية ، وفى ظروف تتسم بتزايد العنف الاستعمارى ، يستند فيما يستند الى الانقسامات داخل المعسكر الاشتراكي ، فلا شك ان الاكثر اثارة للقلق هو ان نشهد نظاما قطع ما ينوف على العشرين عاما فى ظل الاشتراكية ، تتهدده اخطار الانتكاس والنكوص عن هذا الطريق بفعل انتعاش قوى الثورة المضادة والعناصر والاتجاهات المعادية للاشتراكية .

ونحن ـ جدليا ـ لا يمكن ان نفصل بين الظواهر المتعددة التى تميز الحياة السياسية فى تشيكوسلوفاكيا فى المرحلة الاخيرة . فاذا كانت مشكلة الموقف من الصراع العربي الاسرائيلي والنشاط الملحوظ والمتزايد للتيارات الصهيونيه، تأتي فى مقدمه القضايا التى تشد انتباهنا ،فهناك مواقف مرتبطة بها ، لا تقل عنها اهمية فى دلالتها ومغزاها .. حلقات تشكل سلسلة من المواقف المترابطة تكمل بعضها البعض فى خط متماسك هو اشد ما يثير التكهنات ويدعو الى التساؤلات عن احتمالات المستقبل القريب .. ومنها :

● السماح برواج بعض الاتجاهات المعادية لسوفيت ، والتي تتجه موضوعيا الى تقويض العلاقات الودية به ومع البلدان الاشتراكية ، ثم الموقف من اتفاقية وارسو والكوميكون وبروز نغمة تمايز تشيكوسلوفاكيا جذريا عن بلدان العالم الاشتراكي الاخرى ،مع حملة اعلامية تمجيدالكل ما هو غربى ، مما يثير مشاعر العداء لنماذج التطبيق الاشتراكي والتعاطف على الغرب الراسمالي واساليبه فى الحياة .

لا شك ان نفوذ الحزب الشيوعى قد زاد بصورة مطردة فى الاوساط الليبرالية على اثر اجتماعات اللجنة المركزيه فى ديسمبر ويناير ،ثم بعد اعلان برنامج العمل فى ابريل الماضى ،رغم استمرار التناقض مابين السياسة المعلنة والواقع المعاش . الا ان جانبا هاما من الرصيد الذى كسبه الحزب نتج عن مشاعر العداء للسوفيت والتعاطف مع كل من « يتصدى لهم » ، اذ ان معدل نفوذ الحزب زادت بصورة كيفية بين المثقفين وفى براغ بصفة خاصة على اثر رده على رسالة الاحزاب الخمسة المجتمعة فى وارسو وموقف القيادة من الاقتراحات باللقاء ، سواء المتعدد الاطراف او الثنائى ، وتحديد زمانها ومكانها ، ثم ما ترتب عليها من النتائج .

● التقليل من شأن القوى المعادية للاشتراكية والاستهانة بخطر الثورة المضادة ، رغم تفاقم الصراع الطبقى على النطاق العالمى ، ومثابرة الاستعمار ـ عن طريق المانيا الغربية ـ على تصدير الثورة المضادة ضد الشعوب . . والنظريات السائدة عن زوال التناقضات العدائية ولا طبقية المجتمع ، والتفاف الجميع حول الاهداف الاشتراكية .. وعلى سبيل المثال القول بان « طبيعة المثقفين قد تغيرت ، فأصبحوا مثقفي الشعب .. مثقفين اشتراكيين ، وقوة تسهم بطريقة خلاقة فى تطوير المجتمع .. » .. وقد يبدو هذا القول متفائلا وسابقا لأوانه ، خاصة بعد تراكم اخطاء القيادة السابقة . ومن المتصور زوال الصراعات العدائية بين الطبقات ، الا ان الرواسب الفكرية والتطلعات التنظيميه والسياسية لهذه الطبقات لم تندثر بعد ، كما انها لم تفقد الامل فى استعادة السلطة .. وهناك عديد من المظاهر التى تشير الى هذه الحقيقة ، منها المطالبة باعادة تنظيم الحزب الاشتراكي الديمقراطى وتنظيمات « لغير الحزبيين » كما اقيمت فعلا بعض الاندية والتنظيمات المناوئة تحركها قوى اليمين والعناصر الرجعية وهناك ايضا واقع ان المبادرة فى محاولة دفع التغييرات الاخيرة الى آفاق ومزالق خطرة جاءت من جانب المثقفين ، بالمقارنة مع موقف التحفظ والتأنى والسلبية من جانب الغالبية العظمى من العمال والفلاحين .. ثم انتشار الاتجاهات الليبرالية والمعاديه للاشتراكية .. الخ ، وهى جميعا تؤكد ان الجذور الطبقية والغائرة فى الارض التشيكوسلوفاكية لم تقتلع بعد .

● استغلال شعار « اشاعة الديمقراطية » من جانب بعض القوى المناوئة ، وخاصة فى اجهزة الاعلام واتحاد الكتاب والجامعات لشن حملات ضد المفاهيم الاشتراكية بهدف تصفية الدور القيادى للحزب وتقويض العلاقات الودية مع البلدان الاشتراكية والضغط لتغيير السياسة الخارجية بما يسيء للعلاقات مع حركات التحرر الوطنى .

ورغم الخط المعلن للحزب وتصريحات بعض قادته ، فقد استمرت اجهزة الاعلام فى شن حملاتها المعادية للسوفييت والبلدان الاشتراكية . وعلى سبيل المثال ، فقد ادين بيان الالفى كلمة من جانب الحزب والدولة والمجلس الوطنى ، حتى وصفه النائب كوداي بأنه « دعوة الى الثورة المضادة » ، لكن أجهزة الاعلام تابعت الدعوة له ، وانتعشت الاتجاهات الصهيونية المعادية للعرب،

وفتحت قنوات التليفزيون وصفحات الجرائد للدعاية الغربية تحت ستار اتفاقيات التبادل الثقافى . وفرض بعض المشرفين على اجهزة الاعلام من العناصر المعادية للاشتراكية رقابة محكمة على كل اتجاه يتعارض مع وجهات نظرهم ، هذا بينما ترتفع صيحات هستيرية اذا وجه اى نقد لما تفيض به الصحف من اتجاهات ضارة .

ومن ثم فان الحرية والديمقراطية كالعهد بهما دائما ليست قيما مجردة ، اذ تتجه الى خدمة مصالح محددة . واطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة لا يؤدى ميكانيكيا الى التعبير عن كل الاتجاهات بالعدل والقسطاس ، بل يعبر عن بعضها فحسب . والامر متوقف على طبيعة الاجهزة المسيطرة والعناصر المتحكمة فيها .

● اتجهت القيادة السابقة الى النص على « حق الاقلية فى العمل كتكتل » داخل الحزب ، ويعزى هذا الاتجاه الى الرغبة فى التغلب على حالة العقم التى اصابت الحزب نتيجة سيادة النظرة البيروقراطية المركزية الانعزالية فى الماضى . والتى ادت الى الانتقاص من الحقوق الديمقراطية . ولكن هل يبرر هذا الوضع الخاطىء ، التفريط فى الجانب الاخر من مبدأ المركزية الديمقراطية .. جانب المركزية ، الذى يعنى الافتقار اليه اضعاف الحزب ودوره القيادى .. الا يحيله الى جهاز غير فعال تمزقه الخلافات وتعوزه وحدة الارادة ؟ .

● ورغم الاهمية البالغة للمشكلات الاقتصادية، فهى ناجمة فى الاساس عن تشويهات ونواقص فى النظام السياسى . وان كانت هناك تساؤلات ، فهى تدور اولا حول الموقف من الكوميكون ونظام تقسيم العمل داخله فى اطار متطلبات الثورة العلمية التكنولوجية ، وثانيا عن مدى صحة الاتجاه الى منح المشروعات الاقتصادية فى تشيكوسلوفاكيا حرية التعامل ، مباشرة ودون تخطيط اواشراف مركزى مع المؤسسات الاجنبية .

نقاط الالتقاء وأوجه الخلاف

ومن الملاحظات التى تجدر الاشارة اليها :

ـ لا يكاد يوجد خلاف حول اخطاء ومساوىء النظام البيروقراطى الذى تحكم فى البلاد وفرض عبادة الفرد واساء استخدام السلطة فى الحياة الداخلية واتبع سياسة منافية للديمقراطية والحرية وقضى على الشرعية الاشتراكية ، مما ادى الى انعزال الحزب واضعاف مبادرات الناس ونمى احساس بالمرارة بينهم ، وراح يتعثر فى الخطأ تلو الخطأ . وهناك شبه اجماع على ادانة تلك السياسة سواء داخل تشيكوسلوفاكيا ، أم من جانب الاحزاب الشيوعية ، بما فيها الحزب الشيوعى السوفيتى والبولندى والبلغارى والمجرى والاشتراكى الموحد بالمانيا الديمقراطية التى وجهت رسالة وارسو الشهيرة ، وتأخذ دور المبادرة فى التنبيه على الاخطار التى كانت تحيق بالنظام الاشتراكى بتشيكوسلوفاكيا .

ـ هناك اتفاق على اساليب التغيير والاصلاح من الناحية النظرية ، حتى ان الغالبية العظمى من الاحزاب الشيوعية ـ بما فيها الاحزاب الخمسة سابقة الذكر ـ ايدت خط الحزب وبيانات اللجنة المركزية ، وبرنامج العمل المعلن فى ٥ ابريل الماضى . الا ان الواقع المعاش كان يغاير ويتناقض مع الخط الرسمى المعلن للحزب ، ويتعارض مع بيانات اللجنة المركزية ومواقف قادتها . وقد يرجع السبب فى ذلك الى الظروف غير العادية التى ترتبت على تراكم الاخطاء طوال سنوات ما قبل التغييرات الاخيرة ، وحالة التفكك والضعف التى اصابت الحزب ، فعجز عن مواجهة التيارات والاتجاهات المعادية للاشتراكية التى طغت على سطح الاحداث وقصرت جهودها عن التصدى لقوى الثورة المضادة التى رفعت رأسها تبغى الانقضاض على النظام الاشتراكى .

ـ وهنا يبرز الخلاف الرئيسى حول مكمن الخطر فى الموقف ، فالقيادة السابقة كانت تراه فى القوى التقليدية البيروقراطية التى تتحفز للانقضاض من جديد على السلطة واستعادة مراكزها . اما عناصر الثورة المضادة والقوى الرجعية فلا تمثل خطرا يذكر ، وان انتعاشها ذو طابع مؤقت يفتقر الى القاعدة المادية والفكرية، والحزب قادر على استعادة ديناميكيته فى التصدى له بفاعلية متزايدة ، وهكذا تسود نظريات انتفاء وجود الصراعات العدائية والتغييرات الجذرية التى لحقت بطبيعة الطبقات جميعا حتى اصبحت جميعا « تتفق مع المصالح الاساسية والاهداف الاشتراكية » .. الخ ورفض فكرة وجود عناصر او قوى للثورة المضادة .

هذا بينما تؤكد الاحزاب الشيوعية ـ خاصة فى البلدان المجاورة ـ ان مصدر الخطر الحقيقى والمباشر قادم من قوى الثورة المضاده التى انتعشت ونظمت صفوفها ودعمت مواقعها ورسمت مخططها على اساس الاستفادة من تراخى قبضة الحزب والدولة ، واستغلال شعار الديمقراطية لهدم النظام الاشتراكى . وتشير الى خطأ الاستهانة بتلك القوى والتهوين من اخطارها ، مما يعكس تجاهلا لنظرية الصراع الطبقى .

ـ تعدد المواقف الفكرية والسياسية داخل الحزب دون التزام محكم بالخط العام ، مما افقده وحدة الارادة والعمل فى ظل ظروف انتقالية صعبة .

وفى تعليق على الاحداث الاخيرة فى تشيكوسلوفاكيا نشرت مجلة الاكسبريس الفرنسية ـ ٥ ـ ١١ اغسطس ـ نص حديث لاحد اعضاء الحزب الشيوعى السوفيتى بكييف جاء به « ومن ناحية اخرى ، فان عديدا من العملاء الغربيين ، منتهزين فرصة الموقف الناشىء عن ادانة اخطاء الماضى واستنكارها ، دخلوا الى تشيكوسلوفاكيا ، وتسللوا فى مختلف الاندية والتنظيمات التى انشئت فى الفترة التى تلت يناير من العام الماضى . وقد رسمت منذ ذلك الوقت خطة محكمة ، خطة تتعلق بتحول سلمى نحو الراسمالية .

وتقوم هذه الخطة ـ فى المرحلة الاولى منها مستغلة ظروف رد الاعتبار لعديد ممن لحق بهم العسف فى الماضى ـ على تحطيم سلطة الحزب ، ولتشويه مسئولية العناصر الاكثر صلابة . ولقد كان ذلك ممكنا بسبب غزو العناصر المعادية للاشتراكية وسيطرتها على أجهزة الاعلام .

وفى المرحلة الثانية ، وتحت دعاوى اشاعة الديمقراطية ، يجرى السماح بتاسيس تنظيمات خارج الحزب ، ولا تنتمى الى الجبهة الوطنية .

وفى النهاية ، وعندما يصبح الجو ممهدا ، يسمح لهذه التنظيمات بدخول الانتخابات بينما يكون الحزب الشيوعى قد ضعف بصورة يمكن معهــا تحطيم تأثيره . وختاما لا يبقى سوى القيام بابعاد الحزب كلية من السلطة ، والانضمام للسوق الاوربية المشتركة الغربية ، واعلان حياد تشيكوسلوفاكيا .

ومن هنا فان الاتحاد السوفيتى لن يسمح قط بالتحول نحو الراسمالية فى تشيكوسلوفاكيا سواء سلميا او بالقوة المسلحة .

الموقف من الصراع العربى الاسرائيلى

قد يكون هذا العرض مجرد انطباعات خاصة من واقع تتبع الانباء والتعليقات من الخارج ، ولفترة معايشة قصيرة فى قلب بوتقة الاحداث . ومن هنا كان لابد من الاستماع الى وجهات نظر القيادة السابقة . وكان من الطبيعى ان يستحوذ موضوع الموقف من الصراع العربى الاسرائيلى على الاهتمام الاول والاكبر . وقد بدا **موليك** عضو اللجنة المركزية المختص بشئون الشرق الاوسط حديثه معى بالتأكيد على حرص الحزب والحكومة التشيكوسلوفاكية على تدعيم العلاقات مع البلدان العربية ، وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة ، تقديرا لدورها الطليعى فى قيادة حركة النضال العربى التحررى . وان الدليل المادى على هذا الحرص والتقدير هو ان الدعوة لحضور مؤتمر الحزب الذى كان مزمعا انعقاده قبل الاحداث الاخيرة فى سبتمبر ، لم توجه الا لاربع منظمات سياسية ـ خارج اطار عائلة الاحزاب الشيوعية ـ جاء اختيارها بناء على تقييم دقيق يعكس موقفا سياسيا واضحا ومحددا ، وهى الاتحاد الاشتراكى العربى وجبهة تحرير جنوب فيتنام وحزب الاستقلال الافريقى بغينيا (البرتغالية) وحزب الوحدة البروليتارية بايطاليا .

وكل من لقيتهم من المسئولين اكد ان سياسة الحزب والدولة لم تتغير ، وان ظهور تيار مابين المثقفين والطلبة وفى بعض اجهزة الاعلام يدعو الى اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، لا يعنى بحال من الاحوال التأثير على موقف الحزب الذى تصدى لهذا التيار باعلان ان اعادة العلاقات رهن بموقف اسرائيل نفسها ومعلق على قبولها قرارات مجلس الامن والانسحاب من الاراضى العربية المغتصبة التى احتلتها كنتيجة لعدوان ٥ يونيو الماضى . و « طالما انهسا ترفض الاذعان لهيئة الامم المتحدة والخضوع لقراراتها لا يوجد مبرر لاعادة النظر فى موقفنا » .

ويقر معظم من لقيتهم قبل الاحداث الاخيرة بوجود وانتعاش اتجاهات صهيونية معادية للعرب تمارس ضغوطا ، بلغت ذروتها فى مارس وابريل ومايو ، نظمت حملة لجمع التوقيعات للمطالبة باعادة العلاقات مع اسرائيل ، الا ان الضجة التى اثيرت ، هى فى الواقع اكبر من حجمها الحقيقى ووزنها السياسى داخل المجتمع ، فلم ينجح هؤلاء فى تجميع اكثر من ١٢٫٠٠٠ توقيع . ووجهة النظر التى كانت سائدة حينئذ تتلخص فى تجنب تشتيت الجهود وحرفها عن المشكلات الرئيسية ، ومن ثم العمل على تلافى الدخول فى مناقشات واسعة ، بناء على اقتناع بان الحركة تستهلك امكانياتها وتفقد تدريجيا فاعليتها وتأثيرها ، خاصة تحت ضغط الوقائع المادية المتمثلة فى مواقف اسرائيل وافتضاح سياستها العدوانية التوسعية فى خدمة الاستعمار وتحديها لقرارات الامم المتحدة .

وكانت الحجة التى تساق تبريرا لسيادة هذه الاوضاع ان كل بلدان العالم تتعرض لظهور اتجاهات رجعية وتيارات منحرفة دون ان يعنى ذلك تعميمها لتلصق بالدولة وسياستها . ولا يمكن ان يؤخذ النظام ككل بجريرة فئة قليلة او جماعة محدودة الاثر . وفى هذا المجال اشار البعض الى تصريحات غير مسئولة تصدر احيانا من جانب

عناصر عربية – مثل تصريحات الشقيري قبيل العدوان – وآراء تظهر في الصحافة العربية ولا تعبر عن موقف القيادة السياسية .

والتزاما لتعهد الحزب باحترام حرية الرأى والنشر ، وبقرار الغاء الرقابة على الصحف ، ورغم التجربة المريرة التى كان من نتائجها رواج بعض الافكار الضارة ، فان القيادة السابقة كانت ترى استمرار اتاحة الفرصة لجميع الاتجاهات للتعبير عن رأيها بما في ذلك التيارات المناوئة لسياسة الدولة ، على ان يتصدى الحزب لها ويقارعها بالحجة ، حتى لا تتخذ المواقف بناء على اوامر وقرارات علوية ، انما عن اقتناع ومن خلال المواجهة والحوار .

وكنت قد شاهدت بيراغ تجمعات يومية الطلبة بشارع فاكلافسكي جيش يرفعون لافتات تدعو الى اتخاذ عديد من الاجراءات مثل حل المجلس الوطنى واعادة الانتخابات وحل الميليشيا العمالية .. الخ . وفى مقدمة هذه المطالب إعادة العلاقات مع اسرائيل ، واوضحت لهم انه وان كان لا يحق لنا المطالبة باتخاذ اجراءات الحد من نشاط هذه التجمعات ، الا ان ما يتوقعه المرء هو ان يرسل الحزب من اعضائه من يتصدى لهذه التيارات الضارة . ونفس الموقف نجده في مجالات اخرى، وخاصة بين اجهزة الاعلام وفى اتحاد الكتاب ودوائر المثقفين عامة .

وكان هناك اتفاق على ما اشرت اليه من وجود تناقض بين السياسة الرسمية للدولة والحزب وبين بعض التيارات السائدة ، خاصة في مجال الإعلام ، لكن الرأى الغالب كان يلجأ الى تبرير هذا الوضع قائلا : ان هذا التناقض وقتى وعارض – ومن ثم فكان تساؤلي .. لكن الصحافة، واجهزة الإعلام عامة هى التى تشكل الرأى العام، فإن كانت اتجاهاتها خاطئة ، الا يترتب على ذلك ردود فعل تتمثل فى احد امرين : اما تفاقم التناقض بين المواقف المبدئية السليمة والفكر السائد اجتماعيا مما يزيد من عزلة الحزب ، أو ان يلجأ الحزب تحت وطأة هذه الضغوط الى اجراء سلسلة من التنازلات المتلاحقة خشية الانعزال عن الناس ! وهو ما لمسته فى الواقع .

وجاء الرد ، بان الحزب يدرك تماماً حقيقة الاخطار التى تترتب على هذه الاوضاع . والواقع ان الاراء تختلف حول هذه المشكلة ، فالبعض يرى ضرورة تقنين الحرية وعدم منحها على اطلاقها ، على ان يتم ذلك فى اضيق الحدود ، بما لا يفرض قيودا على التفاعل الحى للاراء ، والبعض الاخر يعلق الامر على مجرى الاحداث ، فاذا استجد او استفحل الخطر على النظام الاشتراكى ومكتسباته يمكن اللجوء الى مقاييس اشد حزما فى الحد من حرية هذه التيارات .
الا ان الغالبية ممن تحدثت اليهم كانوا يتبنون السياسة السابقة ويؤكدون ان الحزب قادر على التصدى للاتجاهات الخاطئة والافكار الضارة .
وان افتقاده لهذه القدرات حتى الان يرجع الى سياسة عبادة الفرد والاساليب العلوية الادارية لقيادة الحزب والحجر على الحريات وانتهاك الحقوق الديمقراطية خلال سنوات حكم نوفوتنى، مما افقد الكادر الايديولوجي كفاءته وقضى على عنصر المبادرة لديه . لكن هذا الكادر سرعان ما يستعيد ملكاته وتزداد قدرته على التصدى للافكار المعادية للاشتراكية . اما طريق فرض القيود فيؤدى الى منزلق خطر ، فالخطوات الاولى فيه تدفع دفعا الى المزيد من الاجراءات فى اتجاه وبمعدل يهدد بالعودة الى الاساليب المركزية البيروقراطية القديمة . وما يحدث فى المرحلة الاخيرة هو رد فعل لاخطاء الماضى . ومن الطبيعى ان نتوقع اندفاعا متطرفا فى الاتجاه المقابل ، قبل الوصول الى حالة من التوازن والاستقرار .

وهناك عوامل تاريخية تتصل بهذه القضية ، يجب أن توضع فى الاعتبار ، منها ردود الفعل الناشئة عن معاداة السامية وحملات الإبادة الجماعية ضد اليهود فى اوربا ، والنظرة التى سادت فى المجتمعات الغربية وتجعل من مجرد الانتماء لليهودية عنوانا على معاداة الفاشية ودليلا على تأصل الاتجاهات الديمقراطية والاستعداد لتقبل الفكر الاشتراكى ، وجواز مرور للمناصب القيادية فى الحزب والحكومة . ولذلك كانت قيادة الحزب خلال عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ على علاقة وثيقة بالقوى التى اعدت لاقامة دولة اسرائيل ، وبطبيعة الحال فقد صوتت تشيكوسلوفاكيا الى جانب قرار التقسيم .

وكان للحملات الدعائية التى صحبت تكوين اسرائيل ، والاشادة بالكيبوترات كنماذج «للمؤسسات الاشتراكية» والموقف من الاستعمار البريطانى فى مرحلة تاريخية معينة ، وحرية النشاط السياسى ، عاملا على النظر لاسرائيل كواحة للديمقراطية وامل للاشتراكية فى الشرق الاوسط ، فى وقت كانت البلاد العربية جميعها ترسف فى اغلال الاستعمار وتعانى من آفات التخلف .

وابتداء من عام ١٩٥١ – ١٩٥٢ حدث رد فعل داخل تشيكوسلوفاكيا ، فاتهمت بعض عناصر القيادة بالتآمر مع الصهيونية والولايات المتحدة الامريكية لقلب نظام الحكم الاشتراكى ،

وجرت محاكمات ترتب عليها صدور احكام على عدد من ابناء البلاد وبعض « رعايا » اسرائيل ، منهم مردخاى اورين من القـــادة السياسيين لحـزب المابام والمشرف على تنظيم وتســليح الهاجاناه خلال عام ١٩٤٨ . وبلغ رد الفعل مداه فى احياء تيارات معادية للسامية ، فاصبح الانتماء الى اليهودية او الاصل اليهودى مدعاة للتشكك والحذر والابعاد عن المواقع الرئيسية فى السلطة. وتأزمت العلاقـــات مع اسرائيل ، فجمدت كـل الاتفاقيات الثقافية والاقتصـــادية ، واقتصر التمثيل الدبلوماسى على « مفوض بالاعمال » .

وبعد انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ـ ١٩٥٦ ـ ارتفعت الاصوات من جديد تطالب باعادة النظر ، فيما اذا كانت بعض القرارات التى اتخذت فى عامى ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ قد امليت تحت تأثير السياسة الستالينية . فأعيد التحقيق فى القضية ورد الاعتبار لمعظم هؤلاء الاشخاص وافرج عـن اورين الذى عـاد الى اسرائيل . وحاولت الدعاية الصهيونية ان ترتب على هـذه الواقعة والشبهات التى احاطت بحقيقة الاتهامات ، خطأ وزيف الموقف كله من الصهيونية والتشكيك فى سياسة تشيكوسلوفاكيا تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ، الا انها لم تحقق اهدافهـا ، بل ان اورين نفسـه رفض الربط بين هــذه الواقعة والموقف السـياسى والفكرى للحـزب ، وادان الصهيونيـة ، حـتى انـه اتهم بالجنون حينـا وبالعمالة للمخابرات التشيكية حينا آخر .

وهناك عديد من النماذج تولدت عن الصراع بين الفكر الاشـتراكى والصـهيونى والتخبط والافتقار الى وضوح الرؤية .. منها كولتشيكا الاستاذ الجامعى الذى قضى سنوات فى السجن اثناء حكم نوفوتنى وادلى بحديث فى التليفزيون اوضـح فيه اقتناعه بتعـارض الماركسـية مع الصهيونية ، مما جعله يقطع صلته بالاخيـرة ، وكشف الستار عن اضاليل الدعاية المغرضة التى لا تفرق بين العداء للصهيونية والعداء للسامية ، ووقع هو نفسه فريسة لها ردحا من الزمن .

واثناء المؤتمر الرابع لاتحاد الكتاب ، وجـه عدد منهم حملة نقد لاذعة ضد اوجـه الحكم فى عهـد نوفوتنى ، تميزت بتركيـز الهجـوم على سياسة القيادة القديمة تجاه اسرائيل . وقـد تصدى ماتشكو ـ عضو قيـادة الحزب واحـد مشاهير الكتاب ـ لحملة النقد دفاعا عن موقف الحزب ، وتمادى فى حماسـه حـتى اعلن انه « سيحطم راس » اى من تسول له نفسه انتقاد سياسة الحكومة تجاه الصراع العربى الاسرائيلى. ولم تمض عشرة ايام حتى غادر ماتشـكو البلاد من اجل التظاهر مع اسرائيل ، واعلن انه لن يعود الى تشيكوسلوفاكيا الا بعـد اعادة العلاقات مع اسرائيل وتقرر فصله من الحزب كما سـحب جواز سفره .

واقام ماتشكو ردحـا من الزمن فى اسرائيل ونشر كتابا بالالمانية تحت اسم « المعتدون » .. واهمية الكتاب تتمثل فى الاقرار بحق العرب فى المقاومة الشعبية المسلحة ، ضد سلطات الاحتلال ، وان انكار شرعية هذا النضـال العادل من اجل تحرير الارض المغتصـبة ، هو كالقـول بانتفاء الشرعية عن الكفاح المسلح ضد الاحتلال النازى فى تشيكوسلوفاكيا ابان الحرب . واكد ان العرب لم تكن لديهم اى نيات عدوانية لشن حرب على اسرائيل ، الا ان الدعاية الواسعة التى قاموا بها قد احسن استغلالها من جانب اسرائيل لتوجيه ضربتهـا المفاجئة .

وادان ماتشكو السياسة التوسعية لاسرائيل ، التى تعتمد على اقتراف جرائم جديدة حتى يتم نسيان الجرائم السابقة عليها ، وتواصل تطبيق هذه الخطة بصفة منتظمة ودورية .

وافاض فى شرح التناقضات العنصرية والطبقية ، وفضح طبيعتها ومداها ، مؤكدا نبوءته بأن المجتمع الاسرائيلى سوف يتفجر من الداخل فى اللحظة التى تصبح فيها اسرائيل « مجبرة » على العيش فى سلام مع البلدان العربية المجاورة .

وتعليقا على هذا التخبط الملحوظ فى التصرفات والمواقف ، كان الراى السائد بين من لقيتهم انه من هذه النماذج يمكن ان نلحظ أزمة الضـــمير لدى الناس ، والمثقفين الثوريين منهم بصفـة خاصة ، تحت وطأة الصراعات الفكرية بكل حدتها وضراوتها ، والتعقيدات الناجمة عنها . فالمشكلة ذات طابع فكرى ، والقول بالعمالة والالتجاء الى اجراءات تنظيمية او ادارية تبسيط للامور ، وتوخى أيسر السبل للتهرب من المسئولية ، ومن هنا ، لا نشك فى الاهميـة البالغة لاسـتخدام اسلوب المحاجاة والحوار ، باستعادة قدرات الحزب على المواجهة والتصدى لهذه التيارات المنحرفة ، خاصة من خلال عمله الدائب على تدعيم الوحدة الفكرية والتنظيمية داخل صفوفه ، تحقيقا للتجانس ووحدة الارادة ، وليكتسب فاعلية متزايدة من واقع الاقتناع لا من مجرد الانضباط .

تغييرات جذرية وجمود فى القيادة

وقضية الموقف من الصراع العربى الاسرائيلى ، ليست الا وجها واحدا من صراع حاد ضار متعدد الجوانب بين ثلاث تيارات رئيسية ، هى القيادة

الحزبية القديمة لنوفوتني وجماعته والتى كانوا يطلقون عليها صفـة « المركزية البيروقراطية الانعزالية » ، والقيادة السابقة بزعامة دوبتشيك ، ويدور الصراع فيما بينهما فى اطار مفاهيم متباينة للتطبيق الاشتراكي .. ثم قوى رجعية وعناصر مضادة للثورة تسعى للاستفادة من الموقف للانقضاض على السلطة بأمل الإستحواذ عليها .

وتنجم هذا الصراع فى صورته الراهنة ، جاء نتيجة طبيعية لتراكم التناقضات فى قلب المجتمع . فقد كانت تشيكوسلوفاكيا « اولبلدصناعي متقدم تسوده تقاليد ديمقراطية عريقة يسلك طريق التطور الاشتراكى » ــ وهذه الصياغة بالتحديد سمعتها تتردد فى كل مكان ، تعبيرا عن التمايز عن البلدان الاشتراكية الاخرى ــ وكان انتصار فبراير ١٩٤٨ الذى حققته قوى الشعب بقيادة الحزب الشيوعى ضد تآمر الرجعية للاستيلاء على السلطة ، حجر الزاوية فى عملية التطور الاشتراكى ، اذ جرت تغييرات جذرية فى اتجاه تطوير الاقتصاد الوطني والتركيب الاجتماعي، وفى طبيعة النظام الإجتماعي والدولة .

وفى ظروف الحرب الباردة وتفاقم التوترالدولى واحتدام الصراع الطبقي ومراعاة لاحتياجات حماية الاستقلال الوطنى بتقوية وسائل الدفاع بالتضامن مع البلدان الاشتراكية ، ومن اجل الكفاح ضد بقايا النفوذ الرأسمالى بتدعيم سلطة الدولة، لجأ الحزب والحكومة الى استخدام المركزية والاساليب الادارية . وبعد أن تحققت تغييرات اجتماعية اساسية بنقل معظم وسائل الانتاج الى الدولة والتعاونيات العمالية . وبعد الخلاص من الاستغلال الرأسمالى والمظالم الاجتماعية المرتبطة به ، وعلى اثر التقدم الذى تم احرازه فى مجال العلم والثقافة ، اى فى نهاية الخمسينات ، دخل المجتمع التشيكوسلوفاكي مرحلة جديدة من التطور ، كانت تقتضى تغيرا فى الاساليب ، ورغم ذلك فقد استمر العمل بالوسائل القديمة ، واتجه الحزب الى التمسك بتطبيق ميكانيكى لاساليب غريبة على المجتمع ، لمجرد نجاحهـا فى ظروف ومجتمعات تختلف عن الواقع التشيكوسلوفاكى .

وفى رأى قيادة دوبشـيك انه يمكن ان نجمل هذه التغييرات التى تمت فى نهاية الخمسينات ، وهى السمات المميزة للمرحلة الجديدة ، فى النقاط التالية :

● لميعد للتناقضات العدائية وجودا فىالمجتمع، اذ اصبحت السمة الاساسية المميزة للتطور الداخلى تتمثل فى عملية التقارب والتجانس بين مختلف الجماعات الاشتراكية .

● ومن ثم ، فان أساليب الادارة والتنظيم التى استخدمت فى الاقتصاد القـومى اصبحت متخلفة ، مما يقتضي تغييرها للتوصل الي نظـام اقتصادي جديد للاداره يسمح بدفع الانتاج لتحقيق تنمية مكثفة شاملة .

● كما بدت ضرورة اعداد البلاد لدخول مرحلة الثورة العلمية التكنولوجية العالمية ، مما يفترض تهيئة مقومات اعلى درجة من التعاون بين العمال الزراعيين والصناعيين مع المثقفين المتخصصين والفنيين ، ويتطلب مستوى هائلا من المعرفة والكفاءة فى الاستخدامات العلمية .

● أفق واسع من الحوافز الاجتماعية ،التبادل الصريح لوجهات النظر ، ومقرطةالنظام الاجتماعي والسياسى ، بما يسمح بتوفير ديناميكية المجتمع الاشتراكى ، كضرورة موضوعية للمنافسـة فى الاطار العالمى ولانجاز الالتزامات تجاه الحـركة العمالية العالمية .

ورغم أن هذه العناصر جميعها قد تبلورت منذ نهاية الخمسينات ، فهى مازالت تفرض نفسها حتى الان كدوافع للتغيير ، وهى التى كان يستند اليها الخط السياسي لمجموعة دوبشيك ، التى دعتالى تطبيقه «بطريقةخلاقة» . وقد بذلت عدة محاولات فى الماضى من أجل اجراءهذه التغييرات ، « فبعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السـوفيتي الذى اعاد الحياة الى الديمقراطية الاشتراكية ، اتخذ الحزب التشيكوسلوفاكى اجراءات تهـدف الى استبعاد الاساليب البيروقراطية المركزية ، ولتجنب تحول ادوات الصراع الطبقى الى اجهزة تستخدم ضد الشعب العامل ، وكلما قطع المجتمع التشـيكوسلوفاكي خطوات فى القضـاء على التناقضات الطبقية ، كلما برزت الحـاجة اكثر الحاحا لتطوير علاقات التعاون بين الناس جميعا بين كل الفئات الاجتماعية والجماعات والقوميات، على أساس من توفير الديمقراطية الاشتراكية ، الا ان هذا الاتجاه قوبل من قبل نوفوتنيوأنصاره بالرفض واقيمت العقبات فى طريقه ، بل ولجأوا الى الكبت فى احيان كثيرة .

وبذلك استمرت الاساليب التى كانت سائدة خلال مرحلة احتدام الصراع الطبقى ، مما خلق توترات مفتعلة بين الفئات الاجتماعية المتباينـة والقوميـات والاجيال المختلفـة وبين الشيوعيين وغير الشيوعيين ، والاعضاء غير الحزبيين .

وبدلا من حل هذه التناقضات ، فقد ظهرالتباين بين الاقوال ــ تحت ضـغط الواقع ــ والافعال تمسكا بالاساليب القديمة وتجمدا فى اطارها ــ فقد نصت قرارات المؤتمر الثالث عشر للحزب على أن « دولة ديكتاتورية البروليتاريا قد انجزت

نهجها الاجتماعية التاريخية فى بلادنا » وان النظام الذى سيتأخذ به هو « نظام الديمقراطية الاشتراكية » فالدولة والمنظمات الاجتماعية والحزب كقوى قيادية ، تعمل على مراعاة المصالح المختلفة للجماهير العاملة ومواقفها تجاه المشاكل الاجتماعية والتعبير عنها بطريقة ديمقراطية ، لحسمها وحلها حلا صحيحا داخل اطار المنظمات الاشتراكية للمجتمع .

الا ان قيادة نوفوتنى استمرت تدور فى حلقة مفرغة تحت تأثير التجمد فى قوالب نظرة بيروقراطية انعزالية . ويتهمها اتجاه دوبتشيك بأنها لجأت — بتأزم موقفها — الى اخفاء الحقائق والتجارة بالالفاظ والعبارات المنمقة البراقة ، واتجهت الى فرض حلول للمشكلات من مواقع القوة التى تحتلها . وازداد تسلط الحزب ، فاحتكر مهام الدولة والاجهزة والمؤسسات الاقتصادية والمنظمات الاجتماعية ، مما اخل بالمبادرات واشاع روح اللامبالاة والافتقار الى الانضباط والاحساس بالمسئولية ، نتيجة شعور عام بالمرارة بين الجماهير ، فرغم المكاسب التى حصلوا عليها ، فقد شهدوا النظام الاشتراكى يتعثر ، ولا يلبى آمالهم فيما يتعلق بالعلاقات الانسانية .

مفهومان لدور الحزب

ويتابع انصار اتجاه دوبتشيك شرح وجهات نظرهم بنقد مفهوم القيادة القديمة للدور القيادى للحزب، على أنه التركيز الاحتكارى للسلطة بين أيدى الاجهزة الحزبية ، « وبذلك استمرت النظرة للحزب على انه اداة ديكتاتورية البروليتاريا، مما أضعف مبادرات وشل فاعلية الدولة والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية » .

ويرى معارضو سياسة نوفوتنى ان الحزب الشيوعى يمثل مصالح الجزء الاكثر تقدما فى الدولة ، والاكثر قدرة على انجاز الاهداف البعيدة للمجتمع ، ومن ثم فهو لا يمثل مجموع المصالح الاجتماعية كلها ، اذ ان التعبير السياسى عن المصالح متعددة الاتجاهات للمجتمع هو الجبهة الوطنية التى تعكس وحدة الفئات والجماعات والقوميات المختلفة . والحزب فى عهده الجديد لايريد ولا يجب ان يحل محل المؤسسات السياسية والاجتماعية، انما على العكس من ذلك يحترم ويرعى مبادراتها ونشاطها ويساعد على انتعاشها واكتساب حيوية متزايدة من أجل توحيد المجتمع على أسس ديمقراطية .

ولا يجب ان تؤدى السياسة الحزبية الى اعتقاد غير الشيوعيين واللاحزبيين بأن حقوقهم وحرياتهم رهن بموقف الحزب الشيوعى ، بل على العكس من ذلك أن يروا فى نشاط الحزب ضمانا لحقوقهم وحرياتهم ومصالحهم .

ويشير برنامج العمل الصادر عن اجتماع اللجنة المركزية فى ابريل الماضى الى ان دور الحزب الرئيسى يتلخص فى اثارة المبادرات الاشتراكية ، والكشف عن الامكانيات والطاقات الكامنة فى طريق التطور نحو آفاق الشيوعية وتقديم الاقتراحات بحلول عملية فيما يتعلق بمختلف المشكلات ، وكسب جماهير الشعب ودفعهم الى تبنى هذه الحلول من خلال الحوار والاقتناع بالاضافة الى اعطاء القدوة والمثل الحسن من واقع تصرفاتهم واساليب حياتهم ومنهج عملهم .

وقد جاء فى قرارات المؤتمر الثالث عشر ان من مهام الحزب « متابعة تدعيم وحدة الطبقة العاملة وهى القوة القيادية فى المجتمع مع العمال الزراعيين التعاونيين والمثقفين الاشتراكيين باعتبار هذه الوحدة هى القاعدة السياسية للدولة . والعمل على التقريب بين الطبقات والفئات والقوميات وتدعيم وحدتها » ، وتنص بيانات القيادة الجديدة على ان « كل الطبقات الاجتماعية والفئات والقوميتين وجميع الجنسيات الاخرى تتفق مع المصالح الاساسية والاهداف الاشتراكية للمجتمع . وانه « اليوم وبعد اختفاء التباين الطبقى يصبح حجر الزاوية فى تقييم وضعية ومواقف الناس فى المجتمع هو كيفية اسهام كل شخص فى التقدم الاجتماعى » .

والاعتقاد السائد بين انصار دوبتشيك هو ان الطبقات كقوى متصارعة وذات مصالح او اهداف متباينة قد تمت تصفيتها . اما القوى المحافظة فتتشكل من افراد من اصول طبقية متباينة ، ولا ينتمون الى فئة اجتماعية معينة ، افراد يقفون ضد التطورات الاخيرة لاسباب مختلفة ، البعض ارتكب جرائم أو أخطاء فادحة أضرت بمراكزهم، وعناصر مخلصة تفكر بجمود واخرى تبنى تقديراتها على اساس مبالغة فى تقدير قوى الثورة المضادة، ومنهم من يفتقر الى الكفاءة ويخشى التغيير .

أما قوى اليمين الرجعى فتتكون من الملاك القدامى والمستغلين والبعض من ابنائهم ، وعدد من الحرفيين وجزء من الشباب والطلبة ممن يفتقرون الى الوضوح بسبب السن، ونتيجة الاسلوب الخاطىء الذى اتبع فى العمل معهم فى الماضى ، ففقدوا الايمان بكل شىء .

وتختلف الاراء حول النظام الداخلي للحزب ، اذ يرى البعض اطلاق حرية النقد والمعارضة الى حد السماح بتشكيل التكتلات ، بدعوى التخلص من حالة العقم التى اصابت الحزب ، وتوفير قدر من الديناميكية يكون عاملا على اثراء دائم لخطه السياسي . الا ان الغالبية مازالت تنادى بان القاعدة في قدرات النشاط الحزبي هي الوحدة الايديولوجية والتنظيمية ، ووحدة الارادة القائمة على ديمقراطية واسعة داخل الحزب ، مع التزام بمبدأ خضوع الاقلية للاغلبية فيما يتخذ من قرارات وفي الدفاع عن خط الحزب بعد اقراره . وهناك اتفاق بين الجميع على انه لن يسمح بتحديد حقوق الاعضاء او التعدى عليها ، خلق جو من الشك وعدم الثقة او استخدام اساليب الارهاب الفكرى واشهار سلاح الاجراءات التنظيمية ضد القائلين بوجهات نظر مختلفة .

وبقيت مشكلة الصراع الطبقي تلح من جديد . هل اختفت حقا التناقضات والصراعات العدائية وذابت الطبقات في كل متجانس ؟ فما هي اذن الاصول الطبقية للقوى الرجعية والمحافظة التى ظهرت على سطح الاحداث في المرحلة الاخيرة ؟ وما سبب التباين في موقف العمال والفلاحين عن المثقفين ؟

وفيما يتعلق بالمواقف المتباينة لمختلف الطبقات ، فكان التعبير الذى استمعت اليه من بعض عناصر القيادة السابقة هو ان التغييرات « مقبولة كعمل ايجابي » ، وقد ايدها العمال والفلاحون في الاجتماعات والمؤتمرات بالمصانع والمزارع ، الا ان هناك قطاعات منهم تخشى التغيير للشكوك التى تؤرقها حول مدى تأثير التعديلات التى تدخل على الاوضاع الاقتصادية والنظام الجديد للادارة الذاتية على المكاسب التى حصلوا عليها في الماضي ، أي ان « مصلحتهم الواقعية ليست على وفاق تام مع التقديرات المستقبلية من جانبهم . كما ان هناك محاولات من جانب القوى المحافظة والرجعية ، من العناصر المعادية للاشتراكية عامة ، لتوجيه العمال الى معاداة الحزب ، ولتقسيم الصفوف وبث الفرقة ، بالترويج لفكرة ان الحركة قامت لخدمة مصلحة المثقفين ، ومن ثم فان المكاسب التى حصلوا عليها اصبحت مهددة من جانب القيادة الجديدة »

ومن السمات المميزة لحركة الثورة المضادة في تشيكوسلوفاكيا ، انها اعتمدت اساسا على التسرب الى الحزب وتخريبه من الداخل ، والعمل على الاستيلاء التدريجي المخطط على أهم المواقع في الحزب والدولة ، تحت ستار نيران ثقيلة مركزة تصبها اجهزة الاعلام ، للانتقال « سلميا » الى الراسمالية . وكانت الثغرة الرئيسية التى نفذت منها ، هي تلك التى نشأت عن عزل الحزب عن الجماهير بسبب تراكم الاخطاء التى اقترفتها قيادة نوفوتني .



عن الحرب



١- من المدرسة الاغريقية حتى القرون الوسطى

طارق شرف

انحصر النقد الموجه لمقالتى الاولى فى أربع نقط :

١ – حديثى اغلب الوقت على لسان غيرى وايرادى أقوال كبار المفكرين دون تعليق .

٢ – عدم تحديدى لابعاد الشخصيات العسكرية التى ذكرتها من حيث دورها فى التاريخ .

٣ – ضيق المساحة المحددة مع التباعد الزمنى لصدور المجلة .

٤ – الاخطاء النحوية او اللغوية .

وبالنسبة للنقطة الاولى اود أن احدد انى لاابدأ تفكيرى ولاكلامى من فراغ وانما التقط الخيط بل الخيوط من أيدى اساتذة فاقونى فى هذا المضمار مما يجعلنى اعتمد على علمهم وخبرتهم . اما بالنسبة لتوضيح الشخصيات من حيث ذاتها ودورها فان هيكل المقالات يجعلنى احدد أنى مضطر للتكلم عنهم جميعا بالتفصيل فى المقالات القادمة . وبالنسبة لضيق المساحة فهذا شىء يجب عذرنا فيه أنا واسرة المجلة . واخيرا بالنسبة للاخطاء النحوية فانا اعتذر عنها مقدما ان وجدت ، ويجب ان اوضح ان مقالتى الاولى كلها شبه مقدمة ، والكلام الاساسى فيها محدود . أما ابتداء من هذه المقالة فانا أرجو من القارىء التركيز وعدم نسيان مفتاح طريقة الكتابة : أنها حديث أكثر منه بحث علمي والميل للاستطراد فى بعض الاحيان ، وأن التاريخ العسكرى هو المنبع الاوحد الحقيقى .

والان لندخل فى صلب موضوعنا ، ولنبدأ بتحليل ما أعنى به «مدرسة فكر عسكرى» فهى ليست نتاجا لتأملات فى أبراج عاجية ثم اخراج نتائج كلامية قابلة للجدل والمهاترة وإنما هى أساس فكرى ناجم من الملاحظات ثم اعداد للتنفيذ ثم تطبيق ناجح على مانرجو .

اذن لدينا ثلاث مراحل أو أطوار تمر بها مدارس الفكر العسكرى : تفكير ثم اعداد وأخيرا تنفيذ . والادوار فى هذه المراحل تلعبها أحيانا شخصيات محددة واضحة وأحيانا تلعبها الظروف التاريخية وتطور الفكر الانسانى فى مجموعه . فلا شك أن الحرب ظاهرة اجتماعية على أسس عدوانية تحددها ظروف وعوامل كثيرة أهمها العامل

الاقتصادى ». وحيث ان العلوم كلها ليست ناتجة من فراغ بل هي تفاعل فكرى بشرى متسلسل — مثل التفاعل الذرى المتسلسل تماما — او أكاد أمثلها بسباق تتابع تتلقى فيه الاجيال المشاعل من تلك التى تسبقها، فلا بد وان الحرب تخضع لهذا الاسلوب فى أساسهــا الفكرى والعلمى . وفى العصور الحديثة التى وصلت فيها التكنولوجيا الى مستوى يسمح بأن يكون لفرد بالذات مهمــا علا شأنه تأثير جذرى الا فى أضيق الحدود ، فانه لايمكن تحديد الشخصيات التى تلعب مثل هــذه الادوار بوضوح لايقبل الجدل ، خاصة بعد ان اقتنــع أغلب سكان كوكبنــا بأساليب الحــكم الديموقراطى . أما فى العصور القديمة فقد أحدثت نظم الحكم الفردى المطلق ظروفا ســاعدت على ظهور المثلين الاساسيين فى مأساة تاريخ الجنس البشرى فى هذا الحين . فأول مدرســة للفــكر العسكرى نلتقى بها عبر رحلتنا فى التاريخ هى المدرسة الاغريقية ».

١ — المدرسة الاغريقية

ومؤسسوها واضحون كل الوضوح ، فقد لعب « ابيامينونداس » وهو قائد عسكرى ، ومن حكام مدينة طيبة الاغريقية دور صاحب الفكرة الاساسية. وقام فيليب المقدونى بتجهيز الاداة اللازمة وتجربتها على نطاق محدود ، وأخيرا استخدمها الاسكندر ليحقق أغراضه بطريقة تكاد تكون مثالية. ويجب الا ننسى مطلقا دور أرسطو فى اعداد الاســكندر ليلعب هذا الدور . بدأت قصة هذه المدرسة فى عام ٣٧١ ق.م. حينمــا تقابلت قوات مدينة طيبــة الاغريقية بالجيش الاسبرطى الرهيب ، وكان من خيرة الجيوش التى ظهرت فى هذا الحين . والتقى الخصمان عند « ليكترا » فى بلاد الاغريق . وكانت قوة الجيش الاسبرطى عشرة آلاف مقاتل والطيبى بقيادة ابيامينونداس أربعة آلاف ضمنهم حلفــــاء ولاؤهم غير مؤكد . وبذا كانت المعركة اذا دارت فى ظروف عادية مضمونة بالنسبة للاسبرطيين الذين يفضلون الاعداء رجلا لرجل، ولهم أيضا هذا التفوق العددى الكبير ». والذى أقصده بالظروف العادية هو أساليب القتال المعتادة فى هذا الحين فى مجالى الاستراتيجية والتكتيك . ولنلق نظرة سريعة على حال بلاد اليونان من هـــذه الناحية . امتازت الجيوش الاغريقية على الجيوش المعاصرة لها — وأهمها الجيش الفارسى الذى هزم على ايديها مرتين قبل هذه المعركة فى « ماراثون » و « بلاتيا » — بعاملين :

أ — توحيد الخطوة : مما جعل فى حيز الامكان أن يحرك القادة تشكيلات كبيرة بطريقة موحدة ».

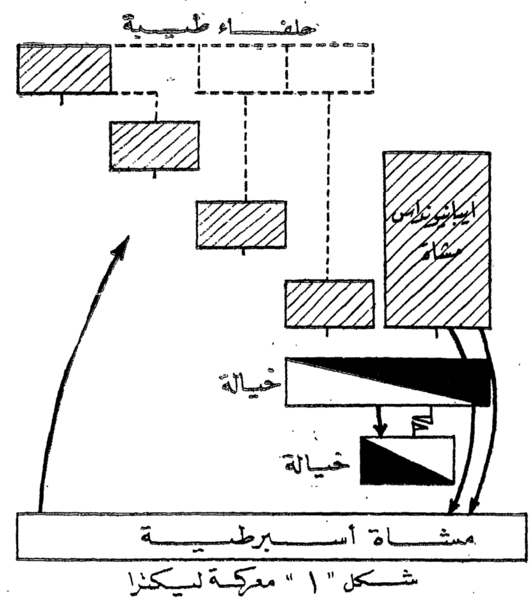
ب — توحيد التسليح : مما جعل من الممكن تقسيمها الى وحدات ثابتة تســمى فالانكس « وكان الفالانكس الاغريقى رهيبا بحق فقد كان الرجال يصطفون بعمق ثمانية الى اثنى عشر صفا بفاصل لايزيد عن ثلاث خطوات بين الافراد . وكان يمكن ضم هذه الفواصل بسرعة لمقابلة اى هجوم من الفرسان (الخيالة) التى كانت من أهم عناصر الجيوش الاسيوية (الفارسية) . وكانت رماحهم الطويلة تجعل هذا المربع الشائك رهيبا بالفعل ويمكن أن نسمى مثل هذه التشكيلات بالتشكيلات « القنفذية » . وأخيرا كان الاغريق يدرعون مشاتهم سواء بدروع مثبتة على الجسم والاجزاء المعرضة أو الدرع المستدير الصغير الذى يحمل على الذراع التى لاتستخدم السلاح .

وبالطبع لم يكن من الممكن أن يأمل ابيامينونداس فى احراز النصر على جيش اسبرطة فى ليكترا باتباع الاساليب المرعية . ولذا فانه انتخب ارض المعركة بعناية بحيث يستطيع توزيع قواته بطريقة تجعل الارض وبعض العوامل الاخرى التى سنذكرها فيما بعد تستر وتخفى نواياه عن العــــدو حتى اللحظة الحاسمة . فاذا ماوقفنا معه فى مواجهة جيش اسبرطة كان على يسارنا أرض غير منبسطة وبها مناطق تكثر بها الاشجار ، وهنــاك حشد ابيامينونداس قواته الطيبية فى شكل مبتكر بعمق ثمانية واربعين صفا ووضع أمامها خيالة طيبيــة التى كانت تفوق الخيالة الاسبرطية كفاءة وعددا. ثم وزع حلفاءه فى خط رقيق مائل للخلف بعيدا عن متناول العدو كما هو مبين بالشكل (١) .

وبدأت المعركة بأن هاجمت خيالته الخيــــالة الاسبرطية وطردتها من الميدان، وانقض هو بجناحه الايسر القوى على الجناح المعادى المواجه وبالطبع حطم القطاع المواجه بسرعة ثم استدار بســرعــة وهاجم باقى القوات الاسبرطية من الجنب والخلف. وعندما انضمت له خيالته التى عادت بعد أن هزمت الخيالة الاسبرطيين انقلبت المعركة الى مذبحة وتسمى الخطة التى اتبعها فى اللغة العســكرية « بالتشكيل المائل » أو اذا كان يتحرك نحو العدو تسمى « السير المــائل » أو الاقــتراب المائل Oblique Grder

وأهم الدروس التى نخرج بها من هذه المعركة الرائعة :

أ — **التفوق العددى** : لايجب أن تعمل على الحصول عليه على طول مواجهتك مع العدو، وانما فى نقطة الاتصال الحاسمة كما تحددها خطتك . ويمكن حماية باقى الخط بأن يميل للخلف قليلا حتى نعطى لانفسنا فرصة تدمير العدو عند هذه النقطة ثم الالتفاف بجنب ومؤخرة العدو الذى سيحاول الاشتباك بباقى قواته . واذا ماحاول العدو أن يتدخل بباقى قواته عند هذه النقطة فانه سيعطى الفرصة لباقى قواتنا لضربه من الجنب والخلف.



شكل "١" معركة ليكترا

ب ـ اهمية تحليل الارض واستخدامها : لحسن توزيع قواتك وستر نواياك عن العدو .

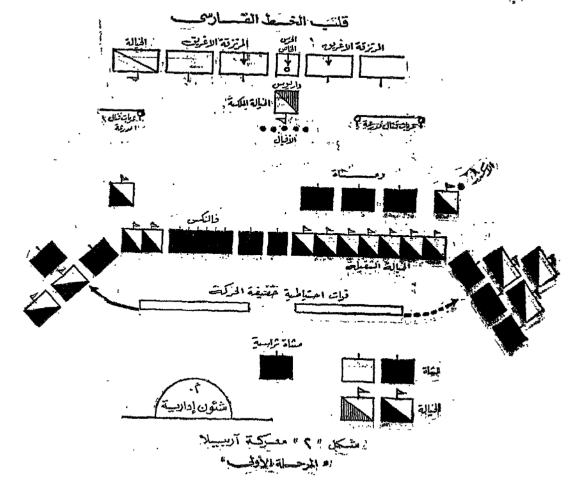
هـ ـ اهمية نشاط وقوة عناصر استطلاعك خفيفة الحركة : بصفة مستمرة بحيث تمنع العناصر المعادية المشابهة من معرفة مايدور فى عمق مواقعك .

د ـ اهمية استغلال النجاح السريع : بعد نجاح اى ضربات ابتدائية لقلب الهزيمة الى اكتساح : بعد أن تخل بتوازن خصمك بضربة قوية يجب أن توقعه ارضا بسرعة قبل أن يستعيد توازنه ثم تقضى عليه .

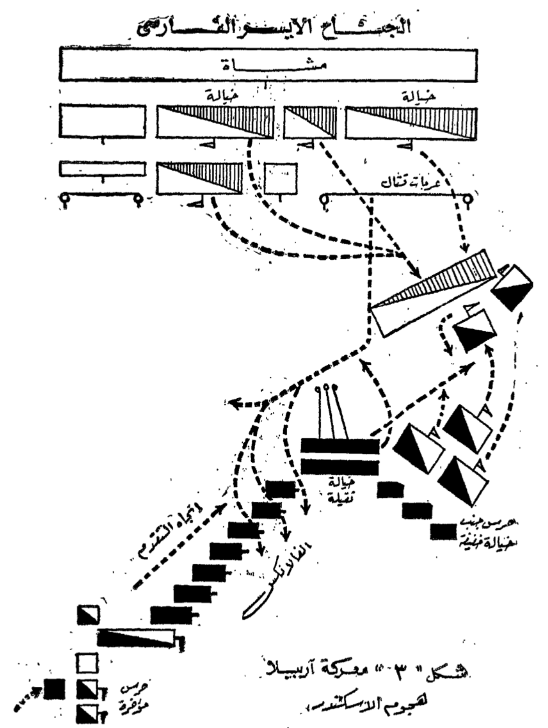
وكان من ضمن الذين حضروا هذه المعركة امير مقدونى شاب هو فيليب حيث قدمته بلاده رهينة كضمان لحسن سلوكها ، لم تفته مراحل المعركة ولا أسباب النصر . وحين عاد الى بلاده بدأ يعيد تنظيم جيش المقاطعة التى أسندوا ادارتها اليه هناك . وبعدها بقليل حدثت ظروف ادت الى توليه الملك ، وهنا بدأ فى دوره الفعلى فى تغيير التاريخ فقد بدأ يجهز الاداة الممتازة التى عرفها التاريخ باسم الجيش المقدونى ، وفى تجهيزه عالج الكثير من نقط الضعف التى لاحظها فى تشكيل الجيوش الاغريقية : كان الفالانكس ممتازا فى مواجهة الهجوم على طول مواجهته (للامام مباشرة) ولكن نظرا لتدريع الافراد وثقل الاسلحة والتزامهم بتوحيد الحركات فقد كانت حركته للاجناب ثقيلة . لذا قام فيليب بتنظيم عنصر «مشاة خفيفة» للعمل على أجناب الفالانكس لحمايتها وفى مقدمته للاستطلاع القريب ولازعاج العدو . ثم قام فيليب بتنظيم الفالانكس فى آلايات قوتها ١٥٣٦ فردا مصطفين بعمق ستة عشر صفا فتكون مواجهة الالاى ٩٦ فردا . اما المشاة الخفيفة التى كانت

تعمل على أجناب الفالانكس فقد سلحها بسيوف ورماح أقصر وبدروع أخف . وقد عرفوا فيما بعد باسم «الدروع الفضية» Siwer Shields وللواجبات التى تستدعى خفة حركة أكبر استخدم فيليب مجموعات من الرماة للعمل فى مقدمة الجيش وعلى أقصى أجنابه . ولكن القوة الضاربة الاساسية لهذا الجيش كانت خيالته الثقيلة : «رفاق الملك» . ومنهم أختيرت قوة الحرس الخاص وتتكون من مائتين وخمسين فارسا وكان الانتساب لها شرفا كبيرا . واخيرا قام فيليب باستدعاء الفنيين من شبه الجزيرة الايطالية (أتروسكيين) لكى يزودوه بآلات للحصار ليصبح جيشه بذلك مكتملا . وبعدها بدأ فى تجربة جيشه ضد القبائل المحلية المتمردة، وبعد ان قضى على أى بادرة للفوضى وأدخل الكثيرين من أفرادها فى صفوف جيشه الجديد بدأ فى الاتجاه للخطوة الاولى نحو تنفيذ هدفه الطموح : توحيد المدن الاغريقية كلها واستخدام القوة الناتجة فى تحطيم الامبراطورية الفارسية . وبالفعل هزم التحالف الذى ضم كل هذه المدن فى معركة كيرونيا، وبدأ فى تحقيق حلمه، ولكنه اغتيل قبل أن يستطيع الوصول لاكثر من هذا وتولى بعده ابنه الشاب الحدث : الاسكندر وطمعت مدن اليونان فى استرداد حريتها فثارت عليه ولكنه انقض عليها كالصاعقة وأتم تأديبها بسرعة ثم انطلق كالاعصار ليفتتح أغلب العالم المعروف . وحيث أننا لسنا فى مجال سرد للتاريخ فيكفى أن نعرف أنه هزم الجيش الفارسى فى معركة «أيسوس» فى آسيا الصغرى ثم اجتاح الساحل الفينيقى وفلسطين ومصر ليحرم الاسطول الفارسى من أى قواعد له حتى لا يهدد مؤخرته فى بلاد الاغريق بأى اغارات ، ثم استدار نحو الدجلة والفرات ليصفى حسابه نهائيا مع الفرس والتقى مع داريوس الفارسى فى معركة جاوجاميلا التى نعرفها باسم آربيلا . ولنقف عند هذه المعركة لاهميتها العظمى للتاريخ العسكرى فقد كانت هذه أول معركة اختراق ، وسنعلم فيما بعد فى سياق هذه المقالة أن الاختراق ركن من أركان المعركة الأساسية بالاضافة للتطويق الذى ينتج عن الالتفاف .

سبق داريوس عدوه الى ميدان المعركة واختار واديا عريضا يصلح لفتح قواته اللجبة التى بلغت حوالى نصف مليون مقاتل من أجناس وبلاد مختلفة أما الجيش المقدونى فقد بلغ خمسة وأربعين الفا واذا ماوقفنا مع الجيش المقدونى فى مواجهة الفرس يكون على الجانب الايمن أرض وعرة ، ويحف الوادى من الجانب الايسر أرض تكثر بها الاشجار . وقد تواجه الجيشان كما هو مبين بالشكل (٢) . وأوجه



شكل «٢» معركة آربيلا
«المرحلة الأولى»



شكل "٣-٣" معركة آربيلا
لهجوم الاسكندر

عناية القارىء الى عنصرى الافيال وعربات القتال المدرعة وهي خطيرة اذا ماأحسن استخدامها .

ولم يكن لدى الجيش المقدونى اي من هذين السلاحين . وصل الاسكندر الى أرض المعركة فى عصر اليوم السابق لها ورفض أى اقتراح بالهجوم على الفور كما رفض فكرة بالهجوم الليلى على العدو لخطورة تحريك قوات كبيرة ليلا والسيطرة عليها فى ظروف رؤية صعبة . كما انه فضل أن يريح جيشه قبل المعركة . وفى صباح اليوم التالى اصطف الجيشان وبدات المعركة بأن تحرك الاسكندر فى خط مائل كما هو مبين فى الشكل (٣) متجها الى الارض الوعرة لكى يضع قواته على ارض لايسهل فيها تحرك عربات القتال والافيال . وحاول داريوس ايقافه لاجباره على خوض المعركة فى الوادى والارض المفتوحة المنبسطة وذلك بأن أمر بالهجوم . ولكن السيطرة على مثل هذا الحشد الضخم بطريقة مركزية (وهى آفة كل الشعوب

الشرقية منذ فجر التاريخ ! لم تكن سهلة على الاطلاق فى ظل الامكانيات المتوفرة فى ذلك الحين لانها تستدعى استخدام الصوت أو الرسل ولذا فان انطلاق تشكيلات الجيش الفارسى نحو أغراضها كان غير منظم ، وكان التوقيت رديئا للغاية مما جعلها تدخل المعركة فرادى وليس فى كتلة متماسكة . كما ان هذا الجيش الضخم لم يكن له أى خفة حركة من الناحية الاستراتيجية مما جعل داريوس اما عن جهل أو عن عدم قدرة على التحكم لايحاول الضغط بجناحيه الثقيلين على جيش الاسكندر فى نفس الوقت مما يفقد القائد المعادى القدرة على استخدام أجزاء من جيشه لتدعيم الاجناب حسب تطورات المعركة ـ أو بمعنى آخر يستخدمهم كاحتياطى بصفة دورية اذا دارت المعركة على قطاعات من الجبهة على مراحل وليس فى وقت واحد . وتفادت المشاة الاغريقية هجوم العربات بأن قام الرماة بضرب السائقين ثم فتحت الفالانكس صفوفها وتركتها تمر بينها دون أى تأثير ، وتركتها تصل لمؤخرتها حيث تلقتها قوات احتياطية قضت عليها ببساطة ،وهذا يرينا أهمية عدم استخدام أى سلاح مهما بلغت قوته وحده بدعوى أنه سيكسب المعركة . وانما يجب تجميع الاسلحة سويا لتعمل كفريق متماسك . ونتج عن كل هذا حدوث ثغرة فى صفوف الجيش الفارسى فجمع الاسكندر خيالته الثقيلة واندفع داخلها بسرعة فائقة والتف بمؤخرة قلب هذا الجيش وهاجم المكان الذى كان يوجد فيه داريوس من الخلف ففر هذا الاخير وانهار جيشه كله ببساطة (*)

والدروس الاساسية التى نخرج بها من هذه المعركة :

أ ـ **تحليل الارض** : بالاضافة الى حسن توزيع القوات عليها تجعل القائد يضع خطة تتناسب مع شكلها بحيث يحاول وضع خصمه فى مركز لايسمح باستخدام أخطر أسلحته ضده .

ب ـ **السيطرة الممتازة** : وذلك بتواجد القائد مع قواته الضاربة ليعطى قرارات سريعة فورية لان المعركة سريعة فى تطوراتها ووجود القائد هناك يجعله فى مركز يسمح له باتخاذ قرارات على ضوء الفرص التى قد تسنح له والتى لاتدوم طويلا .

جـ ـ **خفة حركة القوات الضاربة** : وليس الجيش كله فالذى يوجه الضربة الحاسمة لايكون الجيش كله وانما جزء محدود هو المطلوب ، ان يكون تحت السيطرة الدائمة المباشرة وأن يكون خفيف الحركة أما باقى القوات فتعمل كمحور ارتكاز .

بعد هذه المعركة استمر الاسكندر فى فتوحه حتى وصل الى الهند ثم عاد ليموت فى بابل .

وتبعثرت امبراطوريته بأن مزقها قادته فيما بينهم ودارت بينهم حروب طاحنة سمحت لقوتين ناشئتين بأن تستمرا فى تطورهما الديناميكى لتظهرا على مسرح الاحداث التاريخية . وبدأ بينهما الصراع على السيادة على العالم المعروف فى هذا الحين واعنى بهما روما وقرطاجة وكانت روما مدينة فتية محكومة بنظام شبه اغريقى يقوم الدفاع فيه على أكتاف المواطن الجندى،أما قرطاجة فكانت مستعمرة فينيقية على ساحل افريقيا مكان تونس الحالية وبها طبقة ارستقراطية هم التجار الاغنياء اصحاب الامر والنهى والباقى من العبيد. لذا فان طبيعة تكوين المجتمعين المتواجهين تفرض الكثير على أساليب الاثنين فى الاعداد وفى ممارسة المواجهة .

٢ ـ المدرسة الرومانية وأستاذها وعدوها هانيبال

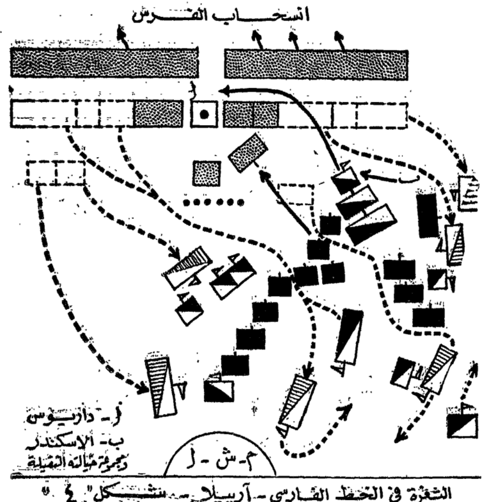
حدث تطوير للفالانكس الاغريقى على أيدى الرومان عندما لاحظوا أنه غير مناسب لظروف القتال كتشكيل متناسب متماسك على أراض وعرة. ونجم عن تطويرهم أن تحول الى مايسمى «باللجيون» . وباختصار تكون من وحدات فرعية اسمها «مانيبول» (سرية) قوة كل منها مائة وعشرون فردا ، وكان يصطف بمواجهة ١٢ فردا وعمق ١٠ صفوف . وكان اللجيون يتكون من ثلاثين من هذه الوحدات الفرعية مشكلة فى ثلاثة أنساق متتالية على شكل مربعات رقعة الشطرنج أى بين كل منها فاصل يسمح بدخول النسق التالى بينها، وبذا كان يمكن للنسق الثانى أن ينضم للنسق الاول فى أى لحظة أو للاول أن ينسحب وينضم للثانى . كما أن من فوائده أن أى عدو يتغلغل بينها كان سيتعرض للضرب من الاجناب ومن المواجهة من النسق التالى . وكان النسق الثالث يتكون من مشاة خفيفة وبين كل منها وحدات فرعية من الاحتياط قوة كل منها ٦٠ فردا كما كانت الخيالة على أجناب هذا النسق عادة . وكانت مواجهة المانيبول ٦٠ قدما والفاصل فى العمق بين الانساق ٢٥٠ قدما . وبذا توفرت للجيون الرومانى خفة حركة أكبر من الفالانكس الاغريقى .

وكان تسليح الافراد برماح طولها سبعة أقدام للقذف أو الطعن والصدم ثم بسيوف قصيرة ذات انصال عريضة . وتوفر عنصر الوقاية بخوذات معدنية ودروع يلبسها الافراد على الصدر واجزاء الجسم بما لايشل حركتهم . وكانوا يحملون بعد هذا درعا كبيرا محدبا لوقاية الجسم على الذراع الخالى من السلاح . وكان الضبط والربط فى الجيش الرومانى ممتازا من حيث الالتزام بسرعة تنفيذ الاوامر والخطوة والحركات الموحدة . وكان أسلوب القتال هو أن يقوم النسق الاول بالقاء

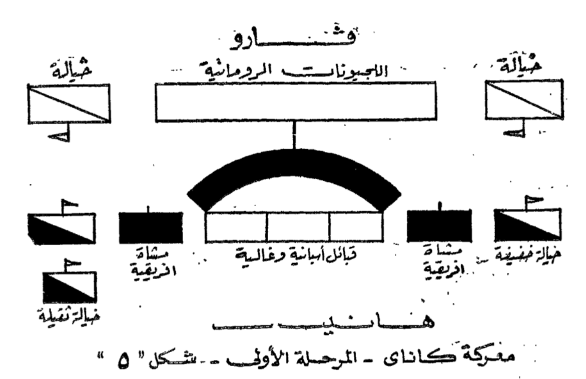
الرماح من الخطوة السريعة ثم يقتحم العدو في تشكيل متماسك ويبدأ القتال المتلاحم، ويليه النسق الثاني . ونادرا ما استطاع عدو أن يواجه مثل هذه الصدمة المزدوجة وصمد في الميدان . ودون الدخول في تفاصيل تاريخية أو محاولة لشرح الاسباب الاقتصادية والمناورات السياسية التي أدت للحرب بين روما وقرطاجنة، والتزامنا بدراسة الجانب العسكري منها وحده ، نبدأ في القول بان قاعدة عمليات قرطاجنة كانت في أسبانيا التي كان الجزء الاكبر منها مستعمرة لقرطاجنة . وقرر هانيبال القائد القرطاجني الشاب العبقري مهاجمة الرومان في عقر دارهم . فتحرك من أسبانيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد بجيش يتكون من خليط من الاجناس والعناصر :

أ - المشاة الافريقية : وكانت ممتازة وعددها محدود وأغلبها من أصل ليبي .

ب - الخيالة (ثقيلة وخفيفة) : ولأستميح القارىء عذرا عن تأخرى في شرح عناصر «الخفة» و«الثقل» في أى سلاح سواء خيالة كانت أو مشاة . فالخفة يقصد بها خفة أو انعدام التدريع ، وخفة التسليح لزيادة القدرة على سرعة الحركة والقدرة على سرعة المناورة في أى اتجاه . وبذا تتضح لنا تلقائيا عناصر «الثقل» . وينجم عن هذا اختلاف في الواجبات ، فالوحدات الخفيفة تستخدم في الاستطلاع والمناوشة (الازعاج) والالتفاف (المناورة) وأعمال المطاردة واستغلال النجاح . وأغلب تسليحها يعتمد على أسلحة الرمي مثل الاقواس والمزاريق والسيوف الخفيفة . أما الوحدات الثقيلة فهي لاغراض الصدام والنطاح وتسليحها لتنفيذ هذه الاغراض الرمح والسيوف الثقيلة . وكانت أغلب خيالة هانيبال من النوميديين سكان ليبيا في هذا الحين . وانضم له فيها عدا ذلك خليط من رجال القبائل في أسبانيا : الكلتيين والايبيريين . وأثناء التحرك انضم له الغاليون من سكان جنوب فرنسا وشمال ايطاليا . وعبر هانيبال بهذا الجيش المختلط مضافا اليه بعض الافيال المدربة (دبابات العصر القديم) . قام هانيبال بعبور جبال الالب بصعوبة بالغة الى ايطاليا وهناك استدرج أول جيش روماني قابله الى فخ محكم وهاجمه تحت ستار الضباب على ضفاف بحيرة «تراسيمين» وأنزل به هزيمة نكراء . وتلا ذلك أن استغل نجاحه استراتيجيا بأن أغار على المناطق المحيطة بروما



الثغرة في الخط الفارسي - آربيلا - شكل "٤"



معركة كاناى ـ المرحلة الأولى ـ شكل " ٥ "

وأحرق المحصولات اللازمة لاعاشة المدينة وحاول استمالة حلفائها من المدن الاخرى . وهذا الجانب الاخير لم يلق نجاحا كبيرا . وكان يتولى الحكم فى روما قنصليون كالعادة المتبعة فى ذلك الحين وكان أحدهما هو «فابيوس» الذى تولى ادارة الجيوش الرومانية . ولعلمه بتفوق هانيبال تكتيكيا عمل على أن يتفادى الاشتباك به والتزم استراتيجية تقضى باحتفاظه بجيوشه فوق قمم الجبال باستمرار حيث لاتفيد الارض خصمه فى استخدام اخطر عناصر جيشه : الخيالة . وكان فابيوس يكتفى بالنزول من فوقها للاغارة على القوات القرطاجية التى تنفصل عن الحشد الرئيسى متفاديا أى معركة كبرى حاسمة مبتكرا بذلك **الاستراتيجية الغابية** . وساد التذمر سكان روما رغم حصولهم على بعض الانتصارات المحدودة لوجود هانيبال فوق أرضهم ولاحساسهم بالعجز امام القائد الزئبقى، وساعد على انتشار هذه الروح بعض الرجال الطامحين فى الحكم أو فى الشهرة الشخصية . وعلا ضجيج الجميع مطالبين بعمل اى شىء . ووسط هذا الجو المكهرب انتهت مدة فابيوس كقنصل وتولى بدلا منه فارو الجاهل المغرور كاحد القنصليين الجدد . ومما اضرم نار غرور هذا الرجل قيام مجلس الشيوخ الرومانى باتخاذ قرار بضرورة الدخول فى معركة مع هانيبال . وكان لهذا القرار أسباب وجيهة للناظر السطحى : الخراب الذى احدثه وجود جيش غازى فى الاراضى الايطالية وانهيار الروح المعنوية فى روما . وتلا ذلك تكوين أكبر جيش فى تاريخ روما حتى ذلك الحين وكان يتكون من ثمانية لجيونات. وحاول القنصل الثانى أن يقنع من حوله بالروية ولكنه لم يفلح ونتج عن

كل هذه الظروف أكبر معركة فى التاريخ العسكرى كله من حيث النتيجة التكتيكية الحاسمة وهى معركة **كاناى** .

وهذه المعركة هى أفضل أمثلة لمعركة **التطويق** الحاسم الذى هو الركن الاخر للمعركة الحربية مع **الاختراق** . وهنا أقول ان كل المعارك التى دارت عبر التاريخ لاتخرج عن هذين النوعين فهى اما معركة اختراق (آربيلا) ، أما معركة تطويق (كاناى) أو هى خليط من الاثنين كما سنرى فى باقى سلسلة المقالات . ولنلق نظرة على المعركة نفسها: كان تعداد الجيش الرومانى حوالى سبعين الفا والقرطاجنى حوالى خمسة وخمسين الفا . وبدأت المعركة باصطفاف الجيشين فى مواجهة بعضهما كما هو مبين بالشكل (٥) ويجب أن نعرف أن هناك تبة (تل) مقعرة فى مؤخرة قلب جيش هانيبال . كما يجب أن نفهم سبب وضعه القبائل غير المضمونة فى قلب الخط ، كان بغرض اغراء الرومان بمهاجمتها ودفعها للخلف مع وضعها فى موضع لايسمح لها بالانسحاب لاكثر مما يريد أو بالفرار تماما من الميدان .

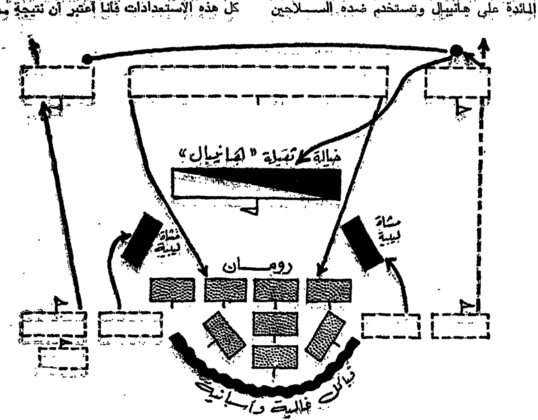
وبدأت المعركة بأن بدأت خيالة هانيبال الثقيلة على جناحه الايسر الهجوم ، وبالطبع اجتاحت الخيالة الرومانية التى تواجهها . وقامت الخيالة الخفيفة على جناحه الايمن بالاشتباك مع الخيالة التى أمامها . وطردت خيالته الثقيلة الخيالة الرومانية وطاردتها بعيدا عن ميدان المعركة .

أما فى الوسط فقد حدث ماتوقعه هانيبال اذ

هجمت المشاة الرومانية الممتازة على القبائل الغالية والأسبانية ودفعتها للخلف بينما ثبتت مشاته الافريقية فى محلها وأصبح الموقف كما يلى : معركة عنيفة بين خيالة هانيبال الخفيفة والخيالة المعادية المواجهة فى جناحه الايمن، وثبات المشاة الافريقية مع انسحاب القبائل فى قلب خطه جعل تشكيل قواته مقعرا كما هو مبين بالشكل (٦) . وهنا بدأت المعركة الحقيقية اذ بدأت مشاة هانيبال الافريقية تضغط على القوات الرومانية للداخل وتدور ببطء على محور ثابت حتى أصبحت تقاتل فى مواجهة محور عمودى على مواجهتها السابقة. وصحب هذا عودة خيالته الثقيلة من مهمتها وانقضاضها على الخيالة الرومانية المواجهة للجناح الايمن لهانيبال والتى كانت تقاتل خيالته الخفيفة من الخلف، واجتياحها لها فى الحال، ثم انضمامها للخيالة القرطاجنية الخفيفة فى هجوم عاصف على مؤخرة الجيش الرومانى الذى أطبق عليه الفخ من كل اتجاه وازدحم جنوده فى المنتصف حتى لم يستطيعوا ان يستخدموا أسلحتهم ضد اعدائهم . وانقلبت المعركة إلى مذبحة مخيفة لم ينج منها سوى ثمانية آلاف جندى رومانى . ويجب أن نفهم جيدا أن حلم كل قائد عسكرى عبر التاريخ أن يكرر هذه المعركة : معركة التطويق المثالية . ورغم هذه الهزيمة لم تنكسر روما ولم تحن رأسها فقد ظهر فى صفوف جيشها شخصية استطاعت أن تقلب المائدة على هانيبال وتستخدم ضده السلاحين الاساسيين اللذين كانا مفتاح تفوقه على الرومان، وهذه الشخصية هى سبيبو الشهير « بسبيبو الافريقى » ، أما السلاحان فقد كانا كما يلى :

أ — على المستوى الاستراتيجى : نقل هانيبال المعركة الى أرض خصومه وإجابة سبيبو بالمثل بأن تركه فى ايطاليا بعد صراع عنيف مع العقليات الرجعية المحافظة من قومه . وانتقل الى اسبانيا أولا لحرمان هانيبال من قاعدته الاساسية ونجح هناك فى احراز انتصارات باهرة ولكنها لم تقلق بال الفاتح القرطاجنى العظيم . وهنا استمر سبيبو فى ضغطه بأن نقل المعركة الى افريقيا نفسها وهناك لم يهاجم قرطاجنة نفسها لقوة دفاعاتها وقلة قواته وانما انقلب على الاراضى الزراعية التى هى مصدر مهم للاعاشة وضربها مما أجبر القرطاجنيون على أن يطلبوا من قائدهم العبقرى العودة للدفاع عن وطنه .

ب — على المستوى التكتيكى : إن كان من اهم مظاهر امتياز هانيبال خيالته الممتازة والتى كان مصدرها كما قلنا نوميديا وهنا ضربة سبيبو أيضا فى عقر داره اذ قام بمساعدة منافس على ملك هذه المنطقة وهو ماسينيسا مساعدات مادية لاحداث انقلاب فيها . وبعد نجاحه لم يحرم هانيبال من الخيالة فحسب بل ضمها الى صفوفه هو . وبعد كل هذه الاستعدادات فانا أعتبر أن نتيجة معركة



معركة كاناى — المرحلة الثانية — شكل " ٦ "

زاما التى انهزم فيها هانيبال هزيمة حاسمة وقضت فيها روما على قوة قرطاجنة العسكرية قضاء حاسما وانهت الحرب ، كانت نتيجة منطقية لتسلسل الاحداث . وبعدها لم يعترض روما اى عائق جدى يذكر فى سيادة البحر الابيض والعالم المعروف فى هذا الحين ، الا بعد ان بدأ عاملان يقوضان أساس السيطرة الرومانية ولو انهما استغرقا مئات السنين :

أ ـ المسيحية : ولن اعلق واترك للتاريخ وللمؤرخين الوصول لاى نتائج .

ب ـ اغارات او بالاحرى موجات الهجرة التى قامت بها القبائل المتبربرة القادمة من وسط آسيا على اوروبا واجتياحها للقوة العسكرية الرومانية .

ولى تعليق اخير قبل ان اترك المدرسة الرومانية : بعد ان سادت روما كل أوروبا تقريبا وكل حوض البحر الابيض واتساع رقعة حكمها حدثت عدة عوامل كان لها اثر هام على تطوير القوات المقاتلة والتاريخ العسكرى :

أ ـ اضطرار روما لتجنيد عناصر أجنبية لعدم كفاية الاعداد الجاهزة للتجنيد لما تتطلبه حماية هذه الامبراطورية الشاسعة . واخيرا تحول الجيش الرومانى الى جيش محترف ولو ان احترافه كان مهنيا وليس من حيث الامتياز العلمى الناتج عن التخصص .

ب ـ نظرا لاتساع حدود الامبراطورية اضطرت الجيوش الرومانية لزيادة نسبة الخيالة فيها الى ان كادت تفوق المشاة . وساعد على هذا ان اغلب القبائل المتبربرة كانت خفيفة الحركة سواء لكونها كلها من عنصر الخيالة ، ولعدم التزامها باى قواعد ادارية وخطوط مواصلات . وانتهى الامر بانهيار النظام العسكرى الرومانى القائم على مشاة اللجيونات تماما . وهنا تصبح الهزيمة التى حلت باللجيونات فى معركة ادرنة والتى اعلنت للعالم انتهاء الامبراطورية الرومانية الغربية نتيجة لهذه العوامل فى الواقع (٣٧٨ ميلادية) نتيجة حتمية .

جـ ـ تأثير الجيران الاقوياء الميالين بطبيعتهم للحرب : القبائل الجرمانية فى المانيا وايضا القبائل الهلفيتية فى سويسرا الحالية ، اذ استنفذوا طاقة كثير من الجيوش والاباطرة الرومان وساعدتهم فى هذا طبيعة أراضيهم : جبال واحراش .

وكما سبق لنا القول انتهى كيان هذه الامبراطورية وجيشها فى معركة ادرنة فى عام ٣٧٨م بهجوم عاصف من خيالة قبائل القوط والوندال .

ولم تبق شعلة الحضارة الرومانية على شىء من اضاءتها الا بانقسام الامبراطورية قبل هذا الى امبراطوريتين وبذلك استمر التطور التاريخى فى مجراه ببقاء الحكم الرومانى الشرقى ومركزه القسطنطينية ، وبذا نرى ان الخلاف الدينى بين مدرستين قد يكون له شأنه فى توجيه التاريخ .

٣ ـ المدرسة الرومانية الشرقية

بزوغ نجم الخيالة

اود هنا ان اكرر بوضوح ان الادوار لم يلعبها أشخاص على الدوام . واننا اذا مالاقينا بعض الافراد فلنضع فى حسابنا الالاف الذين لم يحفظ لنا التاريخ اسماءهم رغم دورهم الاساسى فى التقدم ولم يكن الكثيرون منهم «جنودا مجهولين» بل كانوا معروفين لعصرهم . ولكن المراجع غير كاملة بحكم قصور امكانيات الاعلام فى ذلك الحين . بل ان بعض الادوار لعبها العدو فى تعليم أمة فى مرحلة معينة من مراحل الفكر العسكرى سواء فى مجالات الفكرة الاساسية او الاعداد أو التنفيذ . وأحيانا لعبت الظروف التاريخية هذا الدور فى اناة وصبر واورثت الناتج لرجل شاء حظه ان يجد نفسه فى معترك الاحداث . فاذا مانجح نسب اليه الفضل ونال نصيبه من المجد ، اما اذا فشل فسيتحمل وحده الذل والهزيمة بل والسباب كما هو الحال فالهزيمة يتيمة فى العادة وهو شىء يؤسف له . فالواقع ان الاحداث التاريخية تتأثر بشخصيات معينة ولكنها لاتتغير بسبب وجودها من عدمه ، ولايجب نسبة النجاح أو الفشل الى شخص معين لان التاريخ اكبر من هذا بكثير .

استطاعت الامبراطورية الرومانية الشرقية الصمود بعد سقوط توأمها ، وذلك بشتى الوسائل ، من الرشوة ، وشراء بعض القبائل الخطيرة ، الى استخدام السيف بكفاءة . وفى منتصف القرن السادس الميلادى ، كادت ان تستعيد كل املاك شقيقتها ، بواسطة سلسلة من الانتصارات العسكرية ، ارتبط اغلبها باسم قائد بارز فى التاريخ العسكرى ، وهو **بليزاريوس** . وعوامل الانتصارات التى احرزها هذا الرجل ، يجب ان نهتم بها **نحن بالذات فى محنة وطننا :**

أ ـ قلة الامكانيات التى استخدمها لتحقيق انتصاراته الباهرة .

ب ـ استخدامه للدفاع التكتيكى بصفة دائمة .

ويقول ليدل هارت انه لم يحدث عبر التاريخ

ان استطاع اى قائد عسكرى احراز مثل هذه الانتصارات ، بأن تفادى العمليات الهجومية ، وبخاصة ان جيشه كان يرتكز على عنصر الخيالة الذى يمكن القائد من الحركة ، وبالتالى الهجوم .

وكان العنصر الاساسى للخيالة ، هو الخيالة الثقيلة المدرعة المسلحة بكل من القوس والرمح والسيف سويا . واعطى اختراع الركاب فى هذه الفترة دفعة قوية لاستخدام الخيالة الثقيلة فى واجبها الاساسى : الصدم والنطاح . والفكرة فى اساسها ترمى لتجميع القيمة العظمى **للضرب المتحرك مع الصدم المتحرك** ، ويمثلها فى الجيش الرومانى الشرقى (البيزنطى) ، خيالة قبائل الهون من المرتزقة ، وهم من الرماة ، وفرسان قبائل القوط من الرماحة . وهو تجميع نرى فيه الاساس التاريخى لفكرة الجمع بين الدبابات الخفيفة والثقيلة فى تشكيل واحد ، كما هو الحال فى اللواء المدرع الاسرائيلى ، الذى نجد فيه الدبابة الخفيفة AMX 13 الفرنسية بصحبة الدبابة المتوسطة (الثقيلة) السنتوريون او الباتون (م ٤٨) .

وكانت المشاة فى الجيش البيزنطى من النوعين ايضا ، ولكن المشاة الثقيلة ، كان واجبها منحصرا فى العمل ، كمحور ارتكاز يمكن للخيالة ان تناور حوله (قاعدة تكتيكية داخل ميدان المعركة نفسه). وهذا تمثله المشاة والمدفعية فى الوقت الحاضر فى المعارك التى لا تستخدم فيها اسلحة التدمير الشامل (اسلحة ذرية) .

ومعارك بليزاريوس ذات طابع يكاد يكون واحدا ، لذا افضل ان اشرح اساسها ، بدلا من ان نتتبعها ، او ان نتكلم عن احداها بالتفصيل : انحصر اسلوبه فى بلوغ موقع يعلم انه من الحيوى للعدو الا يتركه فيه ، لانه يهدد شيئا هاما بالنسبة لهذا العدو ، مما يجعله يفعل اى شىء لاخراجه منه — ثم يقوم بتحليل الارض وتوزيع قواته عليها . وبالطبع سيقال ان هذا ليس بالسحر او العبقرية ، فان اى قائد يجيد احتلال المواقع وتجهيزها . ولكنى اتكلم عن **اختيار مكانها** ، من حيث التأثير على العدو نفسيا واستراتيجيا ، والاستعداد لمواجهته هناك تكتيكيا.وهذا العنصر الاخير يوصلنا لفن ادارة المعارك . فمن الجائز ان مجرد تهديدنا للعدو بأن نحتل مواقع خطرة عليه استراتيجيا ، قد يؤدى لرضوخه لمطالبنا ، ولو جزئيا ، ولكن ماذا يحدث لو قبل العدو التحدى وهاجمنا ؟ يجب ان تكون اداتنا التكتيكية قادرة على كسب المعركة اذا وقعت ، وهذا عمل القائد العسكرى ، سواء فى مراحل الاعداد والتنظيم ، او فى مراحل الاشتباك الفعلى . وهذا لتمييز الاستراتيجى للنقط الهامة ، والقدرة التكتيكية على المواجهة بامكانيات قليلة نسبيا مع جعلها تحقق اقصى ما يمكن تحقيقه ، اقول ان هذا هو ما يميز بليزاريوس ، اعظم قادة البيزنطيين ، واعظم قادة عصره بلا نزاع . اما خليفته فى القيادة العسكرية للجيش البيزنطى ، وفى خدمة الامبراطور جوستنيان ، وهو « نارسيس » ، فانه استغل الاثر المعنوى الذى احدثته انتصارات سلفه ، بعد ان اضافه لمقدرته التكتيكية . وتلا ذلك ان قامت الامبراطوريتان الفارسية والبيزنطية بانهاك بعضهما فى سلسلة من الحروب ، مهدت الطريق لاجتياحهما بواسطة الفرسان المسلمين العظام الذين سنقف للكلام عنهم فى المدرسة التالية :

٤ — المدرسة العربية الاسلامية

واتكلم هنا عن مرحلة صدر الاسلام والفتوح الاولى ، وليس عن الجيوش الاسلامية التى خدمت الدولة الاموية او العباسية .

يقول المؤرخون الغربيون المهتمون بالنواحى العسكرية ، ان الميزة الاساسية لسيف الله المسلول خالد بن الوليد ، كانت فى تحويله لاسلوب تكتيكى الى نظام استراتيجى ثابت . فالعرب فى مرحلة صدامهم الاولى مع الفرس والرومان كانوا بطبيعة امورهم من عنصر الخيالة الخفيفة ، فلم يعرف عنهم استخدام الدروع على النطاق الذى استخدمه اعداؤهم ، كما ان تسليحهم كان اخف من تسليح العدو بمراحل . ويبنى على هذا انهم لافتقارهم لكتلة المشاة اللازمة للعمل كمحور ارتكاز للخيالة ، ولافتقارهم للتدريع والتسليح الثقيلين ، كانوا يتفادون الصدم ، ويفضلون المناورة ، او بالاحرى المناوشة Skirmishing

ولو انى اذكر هؤلاء السادة المؤرخين ، بأن الذى حول مجرى معركة اليرموك مثلا هى الصدمة التى قام بها عكرمة ابن ابى جهل بأربعمائة من الفرسان المسلمين ضربوا قلب الجيش الرومانى بعد ان نجح فى صدمته الاولى للتشكيل الاسلامى فالقوا الذعر فى قلوبافراده واستشهد الاربعمائة عن بكرة ابيهم .

ولنعد الان لموضوعنا . واقول اننا سنلتقى بهذه القوات الخفيفة المناوشة فى كل جيوش العالم بصورة اساسية واضحة ، حتى مطلع القرن العشرين ، وسيستمر وجودهم بعد ظهور آلة الاحتراق الداخلى واستغلالها فى الدبابة والطائرة والعربات ، ولكنهم غير واضحى المعالم الا للدارس العسكرى ، فهم يقومون الان بدور

وحدات الاستطلاع خفيفة الحركة ، وساعود لهذه النقطة ، فهى جذرية فى اهميتها .

يتكون المناوشون عموما فى الجيوش القديمة من مجموعات صغيرة من المقاتلين الممتازين يتحركون فى غلالة غير منتظمة امام الحشود الكبرى لاعمال الاستطلاع والازعاج . ويمكن نظرا لخفة الحركة العظمى التى تميزوا بها ، ان يتجمع منهم عدد بسرعة لتدمير اى مجموعات معادية تنفصل عن الحشد الاساسى للعدو .

والذى فعله خالد ابن الوليد انه كان «يناوش» عدوه فى مجموعات صغيرة مبعثرة تحول المعركة الاساسية الى سلسلة من المعارك الصغرى . وبالطبع اذا حاول ان يجمع قواته لتدمير اى قوة او عدد من القوات الصغيرة الاسلامية ، فان خفة حركة هذه القوات ، بصورة متناهية ، تجعلها فى مركز يمكنها من رفض دخول المعركة فى اى وقت ، اى بتطبيق ما يسميه اجدادنا العرب « الكر والفر » حسب ملاءمة الظروف لاى من الغرضين . وكان يمكن لهذه القوات ان تتغلغل عبر اى ثغرات فى صفوف العدو تحدث اثناء سير المعركة ، مما يخل بنظام قواته ثم تقضى عليها بقدرتها على الضرب والحركة السريعة . ونظرا لانتشارها لا يمكن اعتبارها غرضا موحدا اجزاؤه واضحة . ونظرا لسرعتها لا يمكن تحديد معالم المعركة معها ، ولا يمكن اجتذابها بحصال لمعركة « تصادمية » الا اذا قبلتهـا ، وهى لن تقبلها الا اذا قدر القائد ان الظروف فى صالحه . والمعركة التصادمية يجب ان نميز بينهـا وبين معركة المناورة او الحركة ، او العمل على الاجنحة . واى لاعب كرة قدم ، او حتى عارف بشئون اللعبة يمكنه ان يفهم ما اقول . كما اننا نعرف ان خالد كان يحاول على الدوام اصطياد قائد الجيش المواجه ، بأن يصرعه فى اول المعركة فى مبارزة فردية ، او يشق طريقه اليه بالقوة اثناء المعركة ، وهذا يبين لنا عبقرية هذا القائد العظيم فى معرفته لاثر مصرع القائد على الجيش ، او حتى مجرد شل العقل المفكر للجيش ، وهو قيادته .

ولم يكن من الممكن لخالد ان يحقق كل هـذا لو لم تتوفر شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوجد بعبقريتها الاساس الفكرى (الجهاد والشهادة) ، والاساس الادارى والتنظيمى اللازمين لاقامة واعاشة مثل هـذا الجيش .

وهنا نلاحظ ان المشكلة الاساسية التى واجهت كل قادة العصر القديم هى فى استخدام اداة عسكرية تم تكوينها تحت ظروف معينة للعمل فى ظروف مختلفة . فمثلا الفارس المغولى الممتاز اصبح عديم القيمة عندما ركب البحر لغزو اليابان . كما انه لم يستطع مواجهة عدو ضعيف من الناحية العسكرية فى ادغال بورما . كما ان الفرسان المدرعين الذين ساروا غرب اوربا وجدوا انفسهم ضعيفى الحيلة امام المشاة العثمانية الممتازة ، وأمام الرماحة السويسريين فى وديانهم .

اما خالد ، او بالاحرى الرسول صلعم وعمر بن الخطاب من بعده (وهذا ليس بالتجاهل لافضال ابو بكر الصديق رضى الله عنه) ، فانهم وضعوا الاسس اللازمة لتمكين قادتهم العسكريين امثال خالد وسعد بن ابى وقاص وابو عبيدة لتطوير تكتيكات المناوشة بتنظيم مقاتليهم فى سرايا (الكراديس) ، يمكن استخدامها فى اى مكان . وهنا ندخل فى حسابنا ايضا الميراث العسكرى للمقاتلين العرب فى صدر الاسلام ، من حيث النظم القبلية والعيشة تحت ظروف صعبة والاغارات على القبائل الاخرى ، مما جعلهم كأفراد من خيرة مقاتلى التاريخ . وبذا كانوا اللبنات اللازمة لبناء جيش عظيم له تاريخ مجيد .

٥ ـ المدرسة المغولية : جنكيز خان

العوامل الاساسية فى ايجاد جيش نجاحه مضمون فى تحقيق الهدف من وجوده ، ترتبط بعنصر من اثنين :

أ ـ **قيادة ممتازة** : تستخدم عناصر (افراد واسلحة) عادية يتم تدريبها وتجهيزها حسب اصول لا مجال فيها للاجتهاد ، وانما الامتياز فى كيفية استخدامها بكفاءة فى المعركة ، ومثال ذلك فى العصور الحديثة ، الجيش الالمانى ، والجيش البريطانى .

ب ـ ـ **افراد ممتازون** : تقودهم قيادة عادية ولكنها قامت بدراسة اصول الحرب بطريقة علمية ، ومثال ذلك الجيوش الروسية والامريكية والبوير فى مطلع القرن العشرين ـ فالظروف التى يعيش فى ظلها الفرد الروسى والامريكى ، ولو انها مختلفة تمام الاختلاف ، الا انها تؤدى لنفس النتيجة ، وهى القدرة على استخدام الارض والسلاح بسرعة اكبر من غيرهم . ولكن النتيجة النهائية لا تجعل هذه القدرة حكرا عليهم بل ان التدريب الجيد يوصل اى خامة عادية ليس بها شذوذ ، الى نفس النتيجة ، ولو فى وقت اطول . وانا اعلم ان النقطتين قد تثيران جدلا

عنيفا ؟ ولكنها وجهة نظرى من واقع الدراسة كجندى ، وكهاو للتاريخ .

اى ان الافراد الممتازين يكون اساس امتيازهم اضطرارهم للعيشـــة تحت ظروف تنمى قدراتهم الطبيعية ، مثل ارتياد ارض مجهولة ، او انتزاع الزراعة من مناطق جدباء . وعلاج مثل هـــذا الجيش ـــ اذا ما واجهنا مثله ـــ ان نوجد لقواتنا قيادات ممتازة ، لانها تستطيع ان تضع اصابعها على نقط الضـــعف ، وتســـتطيع توجيه ضرباتها لمركز ثقله التكتيكى : ثقـــة مثـــل هؤلاء الافراد بأنفسهم ، وبخاصة اذا كانوا يرتكزون على تاريخ كله انتصارات قد توصلهم الى درجة من الغرور تجعلهم فريسة ســـهلة للاســـتهتار والخطـــأ ، فما بالك بعدو اصابته لوثة من «جنون العظمة» : احتمال تصرفه بحماقة وطيش موجود !

وبعد كل هذا الكلام اقول ان المرة الوحيـــدة التى اجتمعت فيها قيادة ممتازة بأفراد ممتـــازين كانت فى فترة العظمة المغولية فى ملك جنكيز خان ، وليس بعده ، حتى لا يحاول البعض تذكيرى بعين جالوت ، او بما فعله جلال الدين ابن محمد شاه سلطان خوارزم ، ببعض الجيوش المغولية .

ويجب ان نحدد ما يقصـــده التاريخ بالمغول عندما يتـــكلم عنهم ، وعن الجيوش التى فتحت آسيا كلها تقريبا ، ولم يستطع اى جيش معاصر الوقوف فى وجهها . فالمقصود بالمغول هنا مجموعة هائلة من القبـــائل ، بل والاجنـــاس التى كانت تعيش عيشة بدوية فى منطقة تحيط بصـــحراء جوبى وبحيرة بايكال . اى انهم يضمون بهـــذا كثيرين من الاتراك . والمغول احدى هذه القبائل ، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر ، التتـــار ـــ وهـــم يختلفون عنهم ـــ والقرائيط والمركيت والاديجور وغيرهم . وقد فرض جنـــكيز خـــان سلطانه على كل هذه القبائل بقوة السلاح ، وقام باستخدامها فى فتح الصـــين ، وكانت تتكون من ثلاث ممالك ، ثم قام باســـتخدام بعض العناصر الصينية ضمن جيشه الضـــخم ، واســـتفاد من بعض معداتهم المتقدمة مثل آلات الحصـــــار والبارود وما الى ذلك . واستخدم كل هذه القوة فى ضرب سلطنة خوارزم ، اقوى الدول الاسلامية فى آسيا الوسطى ووريثة محمود صاحب غزنة فى هذه المنطقة . ثم ارسل جيشـــا محدودا قام « بزيارة » لشرق اوروبا هزم فيها كل جيش قابله من المجـــريين الى البولنـــديين ، مـــارا بجيش الفرسان التيوتون . وكانت سلسلة من الهزائم الســـاحقة التى اثارت الذعر فى العـــالم كله . وبغض النظر عن الفظائع التى ارتكبها المغول فى حق الحضـــارة والبشرية ، فلابد من دراســـتهم بتجرد علمى لنفهم كنه ما حـــدث ، ونســـتطيع تحليل الرجـــل كقائد عســـكرى ، والاداة التى استخدمها فى تحقيق كل هذا .

بالنسبة لهذه المدرســـة لعبت طبيعة المنطقة والظروف التاريخية التى مرت بها دور المفكر . فقد كان المغول ابناء الصحراء مثلهم فى ذلك مثل العرب ، وكل عاداتهم تشابه عادات العرب من حيث الرعى والصيد والقنص والاغارة . ولكنهم لم يمارسوا التجارة ابدا ، وانمـــا كانت الحرب والقتال هى عمل الرجال الاساسى . ولذا فان جنكيز خان ، وقادته العظام لم يكن امامهم سوى تجميع هذه الطاقات وصـــهرها فى بوتقة التنظيم القائم على علم بظروف الحرب ثم الاستخدام . كان الرجل نفسه عبقريا فى المجـــالين التكتيكى والاستراتيجى ، فقد كان ملتويا على الدوام فى الوصول لاغراضه ، ثم كان عمـــله على الغرض بعد ان يصله ممتازا للغاية . فهو لم يحرك جيشه فى كتلة واحدة ابدا ، وانما كان يحركه على عـــدة محاور ، وحيث ان المغول كانوا كلهم جيشا من الخيالة الصرفة ، فقد توفرت خفة الحركة التى تمكن من التحرك فى اى اتجاه ، والسرعة التى يمكن بهـــا تجميع عدة محـــاور لخوض معركة فاصلة . ولكن فى مرحلة التحرك نفسها لم يكن من الممكن للعدو ان يفهم غرض القائد المغولى ، وان يتوقع اتجاهه ممـــا جعل اعداءه متخبطون عادة فى قراراتهم . وكان تحليله للارض ممتـــازا . وذلك بحكم عيشته فوق صهوة جواده فى اراض شاســـــعة لا يحـــدها غير قدرته ومطيته على التحرك . لذا كان اختياره لميدان المعركة سليما . وخدم جنكيز خان عاملان اساسيان .

أ ـــ توفر مجموعة من القـــادة العظام الذين لا يقلون عن سيدهم فى قدراتهم العسكرية ، وفى قدرتهم على ادارة حملات مســـتقلة بصـــورة لم تتكرر الا فى عهد المانيا النازية ، كما سنرى فيمـــا بعد . وهذا لم يتوفر لنابليون مثلا ، الذى كان اغلب قادته يفرقون فى اخطائهم بمجرد ابتعاده عنهم ، وكان هذا هو السبب الاساسى فى خيبته فى النهاية . ومن اشهر القـــادة العظـــام الذين خدموا الخاقان : سبوتاى بهـــادور ، وكان من اشهر قادة الخيالة الذين ظهروا عبر التاريخ ، وهو الذى قام بتأديب شرق اوروبا .

ب ـــ توفرت له نخبـــــة من الافـــــراد الممتازين : ونعـــود فنقول انه يمكن مقـــارنتهم بالعرب فى شـــبه الجـــزيرة . الا ان العرب لم يلجأوا ابدا للتأثيـــرات النفســـية المخيفة التى اســـــتخدمها المغـــول فى حروبهم ، بأن ذبحوا حضارات بأكملها ، وجعلوا مدنا عظيمة تختفى من فوق سطح الارض ، بعد ان لم يتركوا فيهـــا اى صورة للحياة ، ولو على شيكل حيوان اليف .

وأما عن الاداة نفسها ؟ فقد كانت كلها من الخيالة ، والحق بها فيما بعد ، عناصر خاصة توازى المهندسين العسكريين ، للعمل على آلات الحصار ، وردم الخنادق وما الى ذلك . وقد قسم الجيش الى فرق (طومان) ، ثم سلسلها على اساس عشرى ، فالفرقة تضم عشرة آلاف فارس منتظمين فى عشرة آلايات ، كل آلاى الف ، والالاى عشر سرايا ، كل سرية مائة ، والسرية من عشر جماعات ، كل جماعه عشرة فرسان . وكان الجيش الذى يتولى قيادته احد مارشالاته (الاورخونات) ، يتكون من ثلاث فرق (٣٠ الف فارس) ، معها بعض عناصر التدعيم اللازمة . ولاغراض السيطرة والاتصال ، كان المغول يستخدمون فى الميدان البيارق (الرايات) ذات الالوان المختلفة لاصدار الاوامر ، كما استخدموا العدائين او الرسل ، وكان نظامهم فى هذا الاسلوب الاخير ممتازا للغاية .

وبالطبع كان الجيش المغولى ينقسم الى نوعين من الخيالة : ثقيلة وخفيفة ، ولم يعرف عنهم استخدام المشاة ، ولكنهم كانوا يستطيعون القتال عندما يضطرون للترجل بكفاءة عظمى . ففى عمليات الحصار لم يستطع اى حصن مهما بلغت قوة تحصيناته الوقوف فى وجههم . ومن حيث التسليح تسلح الفارس المغولى بالسلاحين : الرماية والصدم . فقد كانوا مسلحين بالاقواس ، ولها عدة انواع من السهام ذات الاثقال والمرامى والقدرة على الاختراق المختلفة ، ثم بالرماح والسيوف التركية المحدبة Seinirtar وبالنسبة للاقواس ، فقد كانت من النوعين : القصير الذى يستخدم من فوق صهوات الجياد ذى المرمى القريب ، والطويل المخيف للمرامى البعيدة ، وذى قوة الاختراق الكبيرة .

أما بالنسبة للتدريع ، فقد كانوا يستخدمون جلود الحيوانات فى وقاية اجسامهم وخيولهم . وبالنسبة لعقيدتهم التكتيكية او اساليب القتال فقد كانوا يصطفون عادة فى خمسة صفوف ، الخيالة الثقيلة فى الصفين الاماميين ، وهى مدرعة تدريعا قويا ، زاد فيما بعد بما غنموه من بعض اعدائهم ، وبما تعلموه وصنعوه على ايدى البعض الاخر . وتسليحها للقتال المتلاحم ، او الصدم والنطاح . أما الصفوف الثلاثة الخلفية ، فقد كانت غير مدرعة — خيالة خفيفة — ومسلحة بأسلحة رماية . وهنا نلاحظ ان المغول اول من استخدم « غلالات النيران » فى التاريخ برماية السهام فى مجموعات كالسحب ، وذلك بغرض تحطيم تشكيل اعدائهم ، وخفض الروح المعنوية والتمهيد للهجوم ، ولم يحدث ابدا ان بدأوا هجومهم قبل ان عملوا على القضاء على تماسك تشكيلاته ، واحداث اكبر نسبة ممكنة من الخسائر والذعر فى صفوف قواته .

وأضاف جنكيز خان ، بعد كل هذه الاداة المخيفة ، سلاحا استراتيجيا هاما : نظاما محكما وكاملا من الجواسيس والعملاء فى كل البلاد المحيطة لجمع المعلومات ، وفى نفس الوقت نشر الدعاية واثارة الذعر ، وهذا عمل خارق بالنسبة لعصر لم تكن فيه هذه الوسائل متقدمة تقدما يجعلها ذات شأن يذكر .

ومع كل هذا لم يستمر النظام الذى أقامه طويلا ، اذ كان مريضا بالداء الفتاك الذى اصاب كل النظم التى اقامتها اقوام قادمة من الصحراء او الجبال : عدم قدرتها على اقامة نظام ادارى فى مجال الادارة العليا . فرغم ان الناحية الادارية للجيش المغولى كانت ممتازة ، حيث كان كل مقاتل يكاد يكون متمتعا باكتفاء ذاتى كامل . فمثلا كان المقاتل يحمل كيسا به اوتار لاصلاح القوس وشمع للتقويس ، بل وكيسا من الجلد يمكن نفخه لعبور الانهار متعلقا بذيل حصانه ، وبعدها كان كيس اللبن يوضع أمام الركاب على صهوة الحصان ، بحيث تحركه طول الوقت قدم الفارس ، وبذا يحصل على غذاء بصفة دائمة . وحتى لو لم يتوفر له هذا ، ولم يجد حوله ما يقتات به من صيد او خضروات ، قام بفتح شريان فى ساق حصانه وشرب منه قليلا من الدم واستمر بعد ان يقفله . اقول رغم كل هذا ، لم يستطع المغول اقامة حكم سليم لا فى الصين ، ولا فى وسط آسيا ، ولا فى بلاد فارس ، ولا فى جنوب روسيا وبعد اقل من مائتى عام ، فيما عدا انتفاضة تيمورلنك فى اواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، دالت دولتهم .





- محاولات جديدة لتسوية الازمة فى نيجيريا
- فقدان المركز رقم ١ ثمن الهزيمة الأمريكية
- أزمة الصلب فى أمريكا تتفجر من جديد
- حصاد الايام العشرة لمهرجان الشباب العالمى

■ الجمهورية العربية المتحدة

القضايا الاساسية للمؤتمر تناقش فى قواعد الاتحاد الاشتراكى

يبدأ المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى — دورة العمل الاولى فى منتصف سبتمبر الحالى — وذلك بعد ان أوشكت لجنة المائة على الانتهاء من صياغة تقريرها ، الذى يعد بمثابة جدول اعمال للمؤتمر القومى .

وكانت اللجان الاربع التى انبثقت من لجنة المائة هى :

— لجنة التعبئة الداخلية .
— لجنة التعبئة السياسية والعسكرية .
— لجنة التعبئة الاقتصادية .
— لجنة الشئون التنظيمية .

قد شرعت بعد انتهاء الدورة الافتتاحية للمؤتمر فى انجاز المهمة التى اوكلها اليها المؤتمر .

وفى سبيل ذلك ، عقدت كل لجنة سلسلة من الاجتماعات ، استمعت فيها الى بيانات من الوزراء والخبراء المختصين فى مختلف مجالات التخصص ، وناقشت الدراسات والابحاث التى اعدتها المؤتمرات الاقتصادية التى عقدتها نقابة المهندسين ، ونقابة المحاسبين والمراجعين ، والغرفة التجارية ، وجمعية الاقتصاد السياسى والتشريع .

وقد رأت لجنة المائة ان تطرح التقارير التى اعدتها اللجان الاربع على مؤتمرات المحافظات ، لجمع ملاحظاتها قبل الصياغة النهائية لتقرير لجنة المائة ، الذى سيقدم للمؤتمر .

وبعد انتهاء الدورة الافتتاحية للمؤتمر القومى العام ، اتجهت الجهود لاستكمال الشكل التنظيمى لمستويات الاتحاد الاشتراكى العربى — حيث تم فى مستهل الشهر الماضى ، انتخاب الامناء والامناء المساعدين للجان المحافظات — ثم جرى انتخاب الامناء والامناء المساعدين ، على مستوى ١٩٧ لجنة قسم ومركز وبندر ، وخمس لجان للجامعات .

وقد سجل المراقبون ، انه من ابرز ما تميزت به هذه المرحلة من الانتخابات ، ان نسبة النجاح بالتزكية فيها كانت عالية ، بسبب الاتفاقات المسبقة بين الاعضاء ، حول توزيع مسئوليات العمل — كذلك بدا واضحا ان نسبة غير قليلة من امناء الاقسام والمراكز السابقين قد فازوا فى الانتخابات .

وبعد انتخاب الامناء والامناء المساعدين للجان المحافظات والاقسام والمراكز ، لم يبق غير تشكيل اللجنة المركزية ، التى سوف تنتخب بدورها اللجنة التنفيذية العليا — وبذلك تكون كافة المستويات التنظيمية للاتحاد الاشتراكى العربى قد تم تشكيلها .

والى ان ينتهى المؤتمر القومى من رسم الاطار العام للعمل الوطنى فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية — فقد اصدر السيد **شعراوى جمعة** ، المشرف على شئون الاتحاد الاشتراكى العربى خطة عمل للجان الاتحاد الاشتراكى فى جميع المحافظات ، وعلى جميع المستويات ، تقوم على محورين :

اولهما : دفع الحياة فى الوحدات الاساسية عن طريق :

- حصر العضوية وتسجيلها .

- تسديد الاشتراكات على اساس ان الاشتراكات هى المصدر الاساسى لتمويل العمل فى الاتحاد ، ومظهر من مظاهر التزام العضو بتنظيمه .

- توثيق الروابط التنظيمية بين الاعضاء العاملين ، بحيث تحدد مسئولية كل عضو من اللجنة ، بتحديد ارتباطه بمجموعة واضحة من اعضاء المؤتمر ، والتركيز على القياديين من اعضاء المؤتمرات .

- ازالة الاثار السلبية للانتخابات ، مما قد يؤثر على روح الزمالة النضالية — وتنظيم لقاءات بين القيادات القديمة والجديدة ، وبين من فازوا وبين من لم يكتب لهم الفوز .

وثانيهما : العمل على ربط القاعدة الجماهيرية العريضة من اعضاء الاتحاد بالمؤتمر القومى العام واعماله ، والقضايا المطروحة عليه ، وتهيئة الجو المناسب داخل التنظيم ، لاستقبال وتفهم قرارات المؤتمر القومى — ويتم ذلك بعقد مؤتمرات الاقسام والمراكز والوحدات الاساسية لدراسة الموضوعات المطروحة على اللجان الاربع المنبثقة عن لجنة المائة ، وتقديم ما تراه من ملاحظات واقتراحات للجان المحافظات .

وتأكيدا لهذا الاتجاه ايضا ، تقرر ان تعرض التقارير المبدئية للجان الاربع المنبثقة من لجنة المائة ، على مؤتمرات المحافظات ، لجمع ملاحظاتها قبل الصياغة النهائية لتقرير لجنة المائة .

ولقد بادرت امانة محافظة القاهرة ، لدعوة مؤتمرات الاقسام بالقاهرة ، لعقد دورة خاصة وطرحت عليها اهم النقاط التى تناولها البحث فى اللجان الفرعية للجنة المائة .

وقد جرى العمل فى مؤتمرات الاقسام ، على غرار لجنة المائة ، وقامت اللجان بتلقى آراء الوحدات الاساسية ، وصياغة النتائج التى انتهت اليها المناقشات فى مؤتمرات الاقسام .

ويرى المراقبون ان الاستجابة لمؤتمرات الاقسام كانت كبيرة — وتمثل ذلك فى المشاركة فى جلساتها واعمال اللجان — وفى الحرص على طرح القضايا العامة .

وكان هناك نقد اساسى فى الوحدات الاساسية وفى مؤتمرات الاقسام — هو ضيق الوقت الشديد بالنسبة لضخامة الموضوعات المطروحة .

ولقد كشفت المناقشات التى دارت فى مؤتمرات الاقسام ، وفى الوحدات الاساسية ، على ان الجماهير تعطى الاهتمام الاول لتطهير ارض الوطن من الاحتلال الصهيونى ، ومع الترحيب البالغ باعادة بناء القوات المسلحة .

وفى قضية التعبئة الداخلية ، كانت اكثر القضايا الحاحا هى مسألة العدالة فى توزيع اعباء المعركة على الطبقات الاجتماعية ، طبقا لقدرتها والحد من مظاهر الاسراف والبذخ ، التى تستعدى مشاعر الجماهير الشعبية .

وهظى القطاع الخاص ودوره فى خطة التنمية — وعلاقته بالقطاع العام ، باهتمام كبير فى المناقشات ، وقد كشفت القواعد الجماهيرية فى ملاحظاتها كثيرا من اشكال التلاعب والاستغلال التى يلجأ اليها القطاع الخاص — كما طرحت المناقشات الكثير من المشاكل التى يعانيها القطاع العام ، وما يترتب عليها بالنسبة للأنتاج .

وخلال المناقشات حول بعض القضايا ، كقضية المرأة وحقوقها ، وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالاجهزة الادارية — ظهرت الحاجة الماسة الى بذل جهود فكرية كبيرة لبلورة افكار قيادات الاتحاد الاشتراكى ، حول القضايا الاساسية للمرحلة الراهنة من نضالنا الوطنى . ويرى البعض ان اجهزة الاعلام لا تقوم بالجهد اللازم لتعبئة المواطنين حول اعمال المؤتمر القومى فبالرغم من ان الصحافة تنشر موجزا للتقارير والبيانات التى تطرح على لجان المؤتمر ، فان الامر يقتصر على ذلك ، ولا تدور على صفحاتها مناقشات ايضاحية ، تساعد على تعبئة وبلورة الرأى العام .

هذا وقد قررت لجنة التنسيق والصياغة ، المتفرعة عن لجنة المائة — ان يكون التقرير النهائى للجنة المائة مبسطا ، والا يزدحم بعدد كبير من الموضوعات والمشاكل — خصوصا وان المؤتمر القومى سوف ينعقد فى الظروف الراهنة — مرة كل ثلاثة شهور ، وبالتالى فلا ضرورة لان توضع كل المشاكل وكل الموضوعات العامة مرة واحدة امام المؤتمر فى دورته القادمة ، وانما يكتفى بأن يتضمن التقرير الذى سيعرض على المؤتمر الموضوعات العاجلة والحيوية ، الجديرة بأن تعطى الاولوية قبل غيرها فى عرضها على المؤتمر .

●

مزيد من التقدم فى مجال البترول المصرى

يعيش البترول المصرى — خلال شهر اغسطس — اكثر ايامه انتصارا ، واكثر ايامه تطلعا نحو مزيد من الانتاج الذى يخرج لاول مرة من الابار الجديدة التى تم اكتشافها منذ شهور قليلة

ولعل اهم خبر بترولى خلال شهر يوليو هو انه مع بداية شهر اغسطس سيبدأ شحن اول انتاج من بترول حقول العلمين الى الخارج .. بعد ان تم تنفيذ مشروعات مد خطوط انابيب البترول من الابار الخمس فى حقل العلمين فى الصحراء الغربية الى الصهاريج الضخمة المقامة داخل مياه البحر الابيض .. وبعد ان تم بناء الميناء الصناعى امام العلمين والذى سيسمح باستقبال ناقلات بترول حمولة ١٠٠ الف طن حتى يتم شحنها بالبترول الخام المسافر الى دول العالم .

وبتشغيل حقول العلمين كحقول بترولية منتجة قفز عدد الحقول البترولية فى مصر الى ٨ حقول هى : المرجان اكبر الحقول واكثرها انتاجا ثم بكر وعامر وكريم وشقير وغارب والعلمين .. واخيرا « أم اليسر » احدث الحقول المصرية . وقد اعلن الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة والبترول فى ١٥ يوليو الماضى بدء الانتاج فيه رسميا . وبدء انتاج البترول فى حقل أم اليسر هو الخبر البترولى رقم ٢ — بعد بداية شحن اول دفعة من بترول العلمين الى موانى العالم — وحتى هذه الساعة رغم تشغيل الحقل للانتاج الا انه لم يتم تحديد امكانياته الحقيقية .. ورغم ان امكانياته محدودة حتى الان بالقياس الى انتاج البئرين اللتين تم حفرهما ، والرقم هنا نحو ٢٠٠٠ برميل كل يوم .. الا ان انتاج بئر او اكثر لا يعد مقياسا حقيقيا لامكانيات حقل باكمله .. ويتوقع خبراء البترول انه بعد حفر مزيد من الابار ان يقفز الانتاج الى ٥٠٠٠ برميل كل يوم . والمعروف ان حقل ام اليسر تم اكتشافه فى ابريل الماضى فقط ، وفى خلال ٤ شهور لا غير امكن تحويل البئر الى بئر منتجة للبترول ، وتم مد خط انابيب بطول ١٠ كيلو مترات حتى يتصل بالخط الموصل الى رأس غارب حيث سيتم شحن الخام وتصديره الى معامل التكرير فى السويس ، ومع بداية شهر اغسطس ستكون اول دفعة من انتاج بترول أم اليسر فى طريقها الى السويس بالفعل . ويؤكد خبراء البترول — وعلى رأسهم المهندس على والى رئيس مؤسسة البترول — ان خروج البترول من حقل أم اليسر له دلالة كبيرة بالنسبة للمنطقة التى خرج منها والتى اطلق عليها الجيولوجيون اسم « عنقود العنب » وهى تمتد من عامر شمالا حتى شقير جنوبا بطول ٧٠ كيلو مترا وبعرض ٥ كيلو مترات .. وفى داخل منطقة « عنقود العنب » احتمالات اكتشافات جديدة منها .. احتمال ظهور البترول فى منطقة « أم الخير » جنوب أم اليسر وبعض المواقع الأخرى ..

والواقع ان حقل أم اليسر وان كان انتاجه محدودا حتى اليوم .. الا ان السياسة الان فى المجال البترولى تقتضى الاسراع باستغلال كل قطرة زيت تخرج من باطن الارض .. وبحساب العملة الصعبة نجد ان البرميل الواحد من البترول يعنى

بالنسبة لنا دولارا ونصف دولار ، **وان ٢٠٠٠ برميل يوميا تعني بالتأكيد ٣ آلاف دولار يوميا .**

وفى دلتا النيل : حيث تم اكتشاف الغاز الطبيعى فى حقل « ابو ماضى » وحقل « الوسطانى » تجرى الان عمليات اختبار بئر رشيد البحرى ... وقد اعطت اولى طبقاته عند عمق ٢٢٦٠ مترا نتيجة سلبية ، لكن هناك احتمال ان تحتوى الطبقات التالية على كميات اقتصادية من الغاز وهو امر — فى حد ذاته — يعطى للدلتا قيمة فى غاية الاهمية من حيث طريقة استغلال حقولها الغازية .

وفى المرجان — خليج السويس : يتولى الحفار المائى « الزهراء » وزميله الحفار « رقم ٢٦ » مهمة حفر ١٠ آبار جديدة لتنمية الحقل الذى وصل معدل انتاجه اليومى — حسب آخر التقارير البترولية — الى ١٧٥ الف برميل كل يوم وسوف يقفز الرقم الى نحو ٢٠٠ الف برميل من الزيت الخام بعد تنمية حقل المرجان وتوسيعه وبعد ان يصل عدد الابار المنتجة فيه الى ٣٠ بئرا .

ايضا يقوم الحفار المائى « المستكشف » هذه الايام بعمليات حفر آبار جديدة فى منطقة قريبة من حقل المرجان .. تشير تقارير الخبراء ان ثمة احتمالات قوية بوجود بترول بكميات كبيرة تحت سطحها .

وفى الصحراء الغربية : يوجد الى جانب حقل العلمين الذى بدا الانتاج فيه .. عدة عمليات بترولية واسعة اهمها حفر بئر استكشافية فى

تعليق

مشاكل التعليم بين الفن التربوى والسياسة

ما اكثر مايكتب ويقال حول مشاكل التعليم ، وليس من الغريب أن تستحوذ هذه المشاكل على هذا القدر من اهتمام الراى العام — برغم كل شىء — فهى تكاد تدخل كل بيت ، وتلمس كل قلب من قلوب الاباء والابناء .

وحتى نخرج من الدائرة التى تبدو مفرغة ، فمن الخطأ أن نعالج مشاكل التعليم عند اعرافها وشبواشيها فوق السطح ، ونترك الجذور فى الارض لتنمو من جديد .. وتدور بنا المشاكل عاما بعد عام . وقد يكون من الصواب ان نقدم بعض الحلول العاجلة والجزئية لمشاكل لاتحتمل التاخير بشرط ان ترسى قوائمها على الارضية الواسعة الفكرية والاجتماعية والسياسية التى تمثل الابعاد الحقيقية للمشكلة .

والتصريحات الاخيرة لوزير التربية والتعليم عن سياسة التعليم والقوانين الجديدة التى فى دور الاعداد تبرز العديد من النقاط الهامة والخطوات الايجابية .

فمن حيث هيكل البناء التعليمى ومراحله وأنواعه يبرز فى المحل الاول قضية الالزام والتعليم الابتدائى . والوزارة قد التزمت من جانبها أن تعد أماكن لكل الاطفال فى سن الالزام ولا تنتظر حتى سنة ١٩٧٠ كما كان مقدرا فى الخطة الخمسية ، وذلك بتحويل اعتمادات محو الامية التى تذهب هباء الى هذا التعليم . وفى تقديرنا انها خطوة سديدة وهامة تدل على المرونة والواقعية فى معالجة قضية قومية تبدو مستعصية فى بلادنا وهى تعميم الالزام وضحيتها هم أبناء الفلاحين المعدمين وفقراء المدينة .

ولكن القضية فى الحقيقة ابعد من هذا فليست المشكلة مجرد عدم توفير الاماكن اللازمة للاطفال فى سن الالزام ، فهناك فصولا خاوية فى الريف لم يتقدم لها احد او تسرب اطفالها فى الطريق قبل ان يكملوا سنى الالزام . وهذه الفصول التى تبدو فائضة تبتلعها فى العادة المدينة وتحولها المناطق التعليمية عادة لحساب أبناء القادرين حتى دون سن الالزام . فالمشكلة ليست تعليمية بقدر ما هى اقتصادية واجتماعية وسياسية ، ولايكفى فيها النشاط الأعلامى والدعائى وحده : فهى قضية ابناء المعدمين فى القرية والمدينة والحل يبدا من المعالجة السياسية والاجتماعية وهى مسئولية التنظيم السياسى والنقابى ، وتتطلب الملاءمة بين النظام المدرسى واحتياجات البيئة المحيطة ومصلحة الصغار .

وفى المرحلة التالية على الالزام لم تلتزم الوزارة بشىء اكثر من توفير الاماكن لكل الناجحين فى مسابقة القبول للاعدادى وهم فى الاغلب ابناء القادرين ايضا ولا يتجاوز عدد الناجحين فى هذه المسابقة سنويا ٢٨ ٪ او ٢٩ ٪ من جملة تلاميذ الصف السادس وتستوعب المدارس الخاصة بمصروفات حوالى ١٢٪ ويترك ٦٠٪ أو أكثر من الاطفال بين سن الثانية عشرة وسن العمل وهو ١٦ سنة دون رعاية . وهذه الفجوة خطرة خاصة فى المدينة حيث سدت فى وجه الاطفال حتى أبواب التمرين والعمل فى الورش الصغيرة ، بسبب مشكلات التامين والادخار وقوانين العمل .

وفى المرحلة التالية على الشهادة الاعدادية التزمت الوزارة بقبول جميع الناجحين فى الاعدادية العامة على أن تكون توجيه الجمهرة نحو المدارس الفنية بانواعها ، ويقترن هذا الاتجاه بمحاولة رفع مستوى المدرسة الفنية باطالة الدراسة الى خمس سنوات بعد الاعدادية لتخريج الكوادر الفنية المتوسطة . ولكن عصب المشكلة كما عبر عنه المسئولون بحق هو تغيير هيكل الاجور الراهن حتى يجذب الطلاب ويتحول التيار عن الثانوى العام . فلا يجب ان تنتهى هذه الجهود عند حدود التعديل الجزئى برفع الدرجة المالية عند ابتداء التعيين للفئات المتوسطة وما شابه ذلك حفاظا على الالقاب ، بينما العلة الحقيقية تكمن فى نظام تسعير الشهادات وتقييم العمل وعدم تطبيق مبدا الاجر المتساوى للعمل المتساوى ، والكادر المغلق لهذه الفئات والمفتوح الى القمة للمؤهلات العالية .

فاذا وصلنا الى الجامعات والمعاهد العليا ، فالاتجاه السليم الذى عبر عنه المسئولون هو تحقيق الفرص المتكافئة للممتازين من حملة الثانوية العامة والفنية للالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا ولكننا نخشى ايضا ان تبقى القيود الراهنة فى وجه طلاب المدارس الفنية .

اما عن مضمون التعليم ومحتواه فى المناهج والخطط ، ورفع كفاءة العمل والعائد من التعليم فقد تقدمت حلول عاجلة ومباشرة . ففى الابتدائى تقرر الغاء نظام النقل الالى واستبدل بنظام

« أبو سنان » أعطت حتى الآن احتمالات بوجود غاز طبيعي فيها ، كما تم تحديد مواقع عدد من الابار الاستكشافية التى سيبدأ الحفر فيها فى منطقة « ممر الجمال » التى تأكد بصفة قاطعة وجود البترول تحت طبقاتها الرملية .

ان آخر الارقام والتقارير القادمة من حقول الانتاج فى خليج السويس والدلتا والصحراء الغربية تؤكد أن انتاج البترول بعد تشغيل حقل العلمين وبدء الانتاج فى حقل أم اليسر وتنمية وتوسيع حقل المرجان سوف يقفز مع نهاية هذا العام الى نحو ربع مليون برميل كل يوم .

ندوة الصحافة العمالية العالمية

في النصف الاول من اغسطس الماضى ، التقت مجموعة من ممثلى الصحافة العمالية فى بعض البلدان ، من اوروبا الغربية (فرنسا) ، ومن البلدان الاشتراكية (بولندا — تشيكوسلوفاكيا — الاتحاد السوفيتى — المجر — يوجوسلافيا — بلغاريا — المانيا الديمقراطية) ، واشترك فى الندوة الاتحاد العالمى للنقابات ، والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، وبعض الصحفيين من البلاد العربية .

للاختبارات ، وفى الاعدادى والثانوى الغاء نظام الطالب الناجح الراسب ، واعادة الدور الثانى فى سنوات النقل دون الشهادات العامة .

كما تجرى مراجعة الخطط والمناهج فى كافة مراحل التعليم ، وتقرر ايضا الربط بين ترغيبات المدرس والنتائج التى يحققها وفى نفس الوقت تحقيق الاستقرار النفسى للمعلم .

كما تقرر العودة الى نظام الشعب الثلاث بالثانوى ولاشك أن جميع هذه الخطوات الاصلاحية سليمة ولها اثرها فى رفع مستوى العائد من التعليم ، فيما عدا العودة الى نظام الشعب الثلاث فهو يعنى العودة الى التخصص الضيق فى سن مبكر ، وهو مالايتمشى مع طبيعة الثورة العلمية والتكنولوجية التى تتطلب قاعدة واسعة من العلوم والرياضة بالذات ، كما تتعارض مع احتياجات العمل فى مرحلة التحول وما تقتضيه من مرونة فى العمالة واعادة توجيهها الى انواع العمل المطلوبة .

وبعد هذه المناقشة المقتضبة والسريعة فان مايميز التغيير الثورى فى التعليم عن العمل الاصلاحى المحدود هو :

اولا : الا نقف عند حدود الخطوات الجزئية والقصيرة مثل توسيع قاعدة القبول بالالزامى أو غيرها — رغم اهمية هذه الخطوات وفائدتها — بل ينبغى ان يكون الهدف البعيد أيضا ماثلا فى الاذهان منذ البداية . فالهدف هو التغيير الجذرى لهيكل البناء التعليمى بحيث تزول الحواجز والسدود التى تقف بين القاعدة العريضة من ابناء الشعب العامل فى مجموعه ، وقمة الهرم التعليمى ، وان تتخذ الخطوات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تمكن ابناء هذه الطبقات المحرومة من الصعود الى اعلى السلم ، وهو ما يتطلب فتح كافة المسالك والدروب المسدودة ، وانواع التعليم التى لاتؤدى الى شىء ، مثل مراكز التدريب البيئية والملحقة بالمصانع ، وان تتحقق الفرص المتكافئة للجميع على أساس من الكفاءة والاستعداد وحده . وذلك لاينفى بالطبع التدرج او الخطوات الجزئية بشرط ان توضع فى اطارها الثورى وهو تحويل التعليم من احتكار للطبقات القادرة الى اداة فى يد ابناء الشعب العامل فى مجموعه .

ثانيا : ما اكثر ما تغيرت المناهج والخطط ، فقد عدلت فى سنة ١٩٥٧ بعد العدوان وفى سنة ٦٢/٦١ عقب الوحدة المصرية السورية وأخيرا فى سنة ٦٨/٦٧ فيما سمى بالمناهج المطورة ، وبرغم كل هذه التعديلات والمناسبات الهامة التى اجريت فيها ، لم نخرج عن عمليات حذف او اضافة على التوالى دون أن يتغير من المضمون شيئا .

والعلة الحقيقية التى نشكو منها هى الوضع النقابى والسياسى القائم بين جموع المعلمين ، وافتقاد الحركة المنظمة والواعية التى تشد هذه الجموع وتكسبها للفكر الثورى . فقد حرص الاستعمار كل الحرص منذ كرومر ودنلوب على عزل حركة المعلمين والطلاب عن سار الحركة الثورية ، وعن العمل السياسى بشكل انواع الكبت والارهاب . وكانت الفئة الوحيدة من فئات المهنيين والمثقفين التى قضى على تشكيلها النقابى الذى ظهر فى خضم ثورة ١٩ وظلت محرومة من هذا الحق حتى المد الثورى فى سنة ١٩٥١ هم المعلمون

وقد ادى قصور العمل السياسى بين صفوف المعلمين الى عزلة كبيرة بينهم وبين التطورات الثورية المتلاحقة ، وعجز عن فهم الابعاد الفكرية والاجتماعية والسياسية للثورة ، والانغلاق داخل الاطار الفنى وحده ، خاصة بين الكوادر الفنية العليا بالوزارة . هذا الوضع ادى من ناحية الى عجز هذه القيادات الفنية — رغم اخلاصها فى اغلب الاحيان — عن احداث التطوير المطلوب فى المناهج ، أو فى اساليب التعليم ووسائله . ويبدو هذا واضحا فى مناهج العلوم الانسانية التى تتطلب تدريسها درجه عالية من الوعى والفهم السياسى الناضج ، كما يبدو أيضا فى مناهج العلوم والتعليم الفنى التى تتطلب تمكنا ورؤية شاملة لاثار الثورة العلمية والتكنولوجية ومتطلباتها فى التعليم ، هذا من ناحيه ومن ناحية اخرى فقد أدى هذا الوضع الى سيطرة الفكر الامريكى الرجعى فى التربية وهو الذى أفرز لنا طرائق ثرندر ونظم النقل الالى والطالب الناجح الراسب واهمال اللغات وافقار المناهج جريا وراء تجارب أمريكية غير ناجحة ، وحتى يستأصل نفوذ هذه المدرسة فى التعليم وتنشط الحركة النقابية والسياسية الواعية بين المعلمين ستظل امكانية التغيير محدودة — تماما وفى الاطار الاصلاحى الضيق لا الثورى .

وفى تقديرنا انه بجانب ضرورة التغيير النقابى ومايستتبعه من معالجة قضايا المعلمين المادية ، والعمل السياسى المركز بين جمهور المعلمين ، فقد يكون من المفيد كحل مباشر اشراك ممثلين عن التنظيم السياسى وكبار الفنيين بالجامعات والمؤسسات ممن يرتبطون بالعمل السياسى ويتميزون بالوعى فى لجان تعديل المناهج ومراجعة الكتب الدراسية ، وفى غيرها .. ذلك ما يمكن ان يحدث نقله هى خطوة اولى فى طريق التغيير الثورى .

أديب ديمتري

وزار اعضاء الندوة المناطق التى تعرضت وتتعرض للعدوان الاسرائيلي — قناة السويس — منطقة الجولان بسوريا ومنطقة الاغوار ومدينة السلط وبلدة الكرامة بالاردن ، ومعسكرات اللاجئين الذين شردهم العدوان الاسرائيلى الاستعماري .

وفى القاهرة ، عقدت الندوة ست جلسات ناقشت فيها العديد من الموضوعات : قضية العدوان الاسرائيلى على العرب فى يونيو عام ١٩٦٧ ، شرعية المقاومة العربية الفلسطينية للاحتلال الصهيوني — آفاق الحلول العسكرية والسلمية — ماهية الوجود الاسرائيلي المصطنع — خطر الصهيونية على السلام العالمى — الدعاية الصهيونية ، واثرها فى الرأي العام العالمي — ادعاءات اسرائيل الاشتراكية الزائفة — التشابه بين الصهيونية والنازية — دور الهستدروت فى خدمة الرأسمالية العالمية .

وانتهت الندوة الى اقرار مجموعة من المبادىء والتوصيات ، فأعلنت :

١ — انه يجب التفرقة بين اليهودية كدين ، وبين الصهيونية كعقيدة سياسية ، يستخدمها الاستعمار الجديد كأداة لخدمة مصالحه وأهدافه واعادة فرض سلطانه على شعوب المنطقة .

٢ — اكد المجتمعون ، انهم قد تبينوا زيف الادعاءات التى تزعم ان العرب يعتزمون ابادة اليهود .

٣ — ان الصهيونية تمثل حركة سياسية رجعية عنصرية توسعية ، تقوم على مبادىء الاستغلال والعدوان ، وتستند الى فكرة التوسع والسيطرة ، وقد ارتبطت مصالحها ارتباطا وثيقا منذ البداية بمصالح الاستعمار العالمي قديمه وحديثة .

٤ — ان الحملات الدعائية التي تشنها اسرائيل ضد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى هى امتداد لمواقفها المعادية للاشتراكية .

٥ — ان اسرائيل تسعى لحرمان شعب فلسطين من ان يقرر مصيره ، مستخدمة فى ذلك كل وسائل القهر والارهاب ، ومن هنا تبرز شرعية نضال شعب فلسطين من اجل تحرير وطنه واستعادة حقوقه ، وبناء مستقبله على الاسس الاشتراكية الحقة ، والديمقراطية الصحيحة ، دون تفرقة او تمييز دينى او طائفى او عنصري او قبلي . ويعتبر نضال الشعب الفلسطيني هذا جزءا من نضال الشعوب من اجل التقدم والحرية والسلام والاشتراكية .

٦ — ان انسحاب اسرائيل من المناطق العربية التى احتلتها فى يونيو عام ١٩٦٧ ، واعادة الحقوق الشرعية لشعب فلسطين ، وفى مقدمتها حق تقرير مصيره — هو الضمان لتحقيق السلام والامن فى المنطقة ، وازالة كل خطر يهدد السلام العالمى .

٧ — ضرورة العمل على اطلاع كل قوى التقدم فى العالم ، وفى مقدمتها جماهير العمال ، على كل الحقائق خالية من الزيف .

لقد كان انعقاد هذه الندوة فى القاهرة عملا من الاعمال الايجابية البناءة فى مجال الكفاح العالمى ضد الاستعمار والصهيونية ، وضد القوي التى تهدد السلام العالمى . وهذا العمل يفتح الافاق لبذل المزيد من الجهود للقاءات اخري تضم ممثلي الطبقة العاملة فى القارات الثلاث — افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

■

■ الوطن العربى

تطورات الصراع العربي الاسرائيلى

تواصل حركة المقاومة العربية فى الاراضي المحتلة كفاحها المجيد ، الذى اصبح من ابرز علامات الصمود العربي ضد العدوان الصهيوني الامبريالي المستهدف على الامة العربية ، ولقد استطاعت حركة المقاومة الفلسطينية بعد حادث الاستيلاء على الطائرة الاسرائيلية ان تثير انتباه الرأي العام العالمي الى حقيقة وجود الشعب الفلسطيني ونضاله فى سبيل استعادة ارضه وحقوقه المشروعة . وكان رجال المقاومة الفلسطينية التابعون لمنظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد استولوا عليها بركابها واتجهوا بها الى الجزائر فى ٢٣ يوليو الماضي . وقد اثار الحادث ثائرة الصهيونية العالمية والامبريالية فحاولا استخدام نفوذهما الدولي للضغط على الجزائر لاطلاق سراح الطائرة الاسرائيلية وملاحيها ، وكانت آخر هذه المحاولات القرار

الذى اتخذه اتحاد الطيارين الدولى بمقاطعة مطارات الجزائر ومقاطعة الطائرات الجزائرية فى ١٩ اغسطس . وقد بادرت الجمهورية العربية باعلان وقوفها الى جانب حكومة الجزائر ومساندتها بكل الوسائل ، واعلن محمود رياض وزير الخارجية : ان الجمهورية العربية تساند الجزائر فى مواجهة الضغوط التى تتعرض لها من جانب اتحاد الطيارين الدولى ، وان قيام اى شركة بمقاطعة الجزائر سيترتب عليه تعرضها لاجراءات مماثلة من جانب الجمهورية العربية المتحدة . كما اصدرت الاردن والعراق وسوريا ولبنان والكويت واليمن الجنوبية بيانات رسمية تؤكد تضامنها ووقوفها مع الجزائر .

وقد قررت الامانة العامة للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب مقاطعة وسائل النقل الجوية والبحرية للدولة التى تنتمى اليها الشركة التى تنفذ قرار المقاطعة ضد الجزائر .

وكانت المنظمات الفلسطينية قد اعلنت تمسكها



مجالس الادارة .. بالتعيين أم بالانتخاب ؟

فى لقاء الدكتور سيد مرعى وزير الزراعة مع لجنة التعبئة الاقتصادية المنبثقة من لجنة المائة ـ وبعد ان عدد سيادته اسباب الشكوى العامة من الجمعيات التعاونية الزراعية ـ طرح على اللجنة قضية مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية ـ وهل تشكل بالانتخاب أم بالتعيين ؟

وقبل هذا اللقاء بنحو اسبوعين ـ وخلال جولة للدكتور سيد مرعى فى اسيوط ـ أكد سيادته فى خطاب القاه فى مركز طما ـ انه تجرى الان دراسات حول تشكيل مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية عن طريق التعيين من العناصر الصالحة او الانتخاب على اساس مندوبين عن الحياض المختلفة ، « حتى لا تكون للعصبيات دخل فى تشكيل الجمعيات » .

ولا يمكن طرح قضية اعادة تشكيل مجالس ادارة الجمعيات التعاونية ـ على ضوء ماتم كشفه من انحرافات وفساد واستغلال ـ فقط ـ ولكن لابد ايضا من طرح قضية اعادة تشكيل مجالس ادارة الجمعيات التعاونية بوصفها جزءا من برنامج ٣٠ مارس لاعادة بناء المؤسسات السياسية والشعبية على اسس ديمقراطية .

واعادة بناء الجمعيات التعاونية على اسس ديمقراطية امر بالغ الاهمية لمستقبل العمل السياسى فى الريف ـ الذى يضم اكثر من ١٨ مليون فلاح وتنتشر على رقعة ٤٢٠٠ جمعية تعاونية زراعية تشمل معاملاتها اكثر من مليونين و ٢٨٠ الف فلاح .

ان المسئولية الاساسية عن الصور الفاضحة من الانحرافات والاستغلال ـ والتى ابعدت الجمعيات التعاونية عن اهدافها ـ وابعدت الفلاحين عن الجمعيات وافقدتهم الثقة بها ـ انما تقع على عاتق كبار الملاك وراسماليى الريف ـ الذين نجحوا هم واتباعهم فى السيطرة على الجمعيات التعاونية بفضل مواقعهم الاقتصادية القوية فى الريف وباستغلال الثغرات الموجودة فى القانون ـ وتمكنوا بتاييد ومساندة جماعات من الموظفين البيروقراطيين الذين لا يؤمنون بالتعاون ويكنون الاحتقار للفلاحين ـ تمكنوا من استنزاف موارد الجمعيات وامكانياتها لخدمة مصالحهم الخاصة .

والفلاحون هم اصحاب الفضل الاول فى الكشف عن الانحرافات ومظاهر الاستغلال التى سادت الجمعيات ومهما كانت صور هذه المساهمة من جانبهم فى الدفاع عن الجمعيات فهى فى حد ذاتها ـ والى جانب ما حققه الفلاحون من مكتسبات فى ظل الظروف التى سادت الجمعيات فى المرحلة الماضية دليل على ان الجماهير الفلاحية لديها القدرة على الدفاع عن مصالحها .

ومحاولة علاج القضية اليوم على اساس تعيين مجالس ادارات الجمعيات التعاونية ـ لن تكون سوى تمكين لعناصر اخرى من كبار الملاك وراسماليى الريف من السلطة والنفوذ فى الجمعيات ـ ولن ياتى التعيين كما جاء فى بيان ٣٠ مارس « الا بما تفرزه مراكز القوى او ما تقدمه المجموعات المختلفة والشلل »

ان حل اكثر من ثلاثمائة جمعية واسقاط العضوية عن العشرات من المنحرفين ـ وايجاد بطاقات حساب لاعضاء الجمعية بحيث لا يحاسب الفلاح الا بما يدون فى هذه البطاقة ـ وكذلك تشكيل لجنة مشتركة لاعادة حصر الحيازات وصدور القرار الوزارى الخاص بتنظيم العمل فى الجمعيات التعاونية والذى اكد سلطة مجلس ادارة الجمعية واشرافه الكامل على جميع اعمالها كل هذه الاجراءات ليست سوى حلول جزئية وان تتحقق لها الفاعلية فى ظل مجلس ادارة معين لا يستند فى وجوده لارادة الفلاحين وثقتهم ـ ولايمكن ان تحل هذه الاجراءات محل ممارسة الفلاحين لحقهم الديمقراطى فى انتخاب مجالس ادارة الجمعية .

ليس هذا فحسب ـ بل ان تعيين مجالس ادارة الجمعيات التعاونية سوف يكون خطوة الى الخلف على الطريق الذى حدده الميثاق عندما اكد على ان « تعاونيات الفلاحين فضلا عن دورها الانتاجى ـ هى تنظيمات ديمقراطية قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين واستكشاف حلولها »

والحديث عن الجمعية التعاونية الزراعية كتنظيم ديمقراطى للفلاحين ـ انما يعنى انه تنظيم موجه لخدمة الاغلبية من الفلاحين ـ تنظيم يعمل من اجل جذب الملايين من الفلاحين اختياريا لساحة التعاون عن طريق ما يقدمه من خدمات ـ تنظيم يفتح آفاق العمل الديمقراطى فى خدمة التعبئة وتنفيذ ما يخصها من الخطة العامة للتنمية ـ تنظيم يكون مجالا لظهور واكتشاف قادة جدد من بين الفلاحين ـ قادة مشربين بروح العمل الديمقراطى والجماعى .

ان مثل هذا التنظيم لا يمكن الوصول اليه بتعيين بعض (العناصر الصالحة) ـ وانما يمكن الوصول الى اقامته باتاحة فرصة حقيقية لجماهير الفلاحين اصحاب المصلحة لان يشكلوا الجمعية التعاونية وان يختاروا مجالس ادارتها بحرية تامة تحت قيادة التنظيم السياسى وبتاييد ومساندة القانون ـ بعد سد ثغراته على ضوء ماكشف عنه المسح الشامل للجمعيات التعاونية الحالية .

حلمى ياسين

بالطائرة واعتبار ملاحيها الاثني عشر ـ بعد ان تم الافراج عن ركاب الطائرة الاجانب والمضيفات الاسرائيليات ـ اسرى حرب ، في مقابل رجال المقاومة العرب المعتقلين في اسرائيل والذين يقدر عددهم بنحو الف معتقل ، على اساس ان طياري شركة العال الاسرائيلية من احتياطي القوات الجوية الاسرائيلية ، وان ٤ منهم قتلوا في حرب يونيو ، وان عملية الاستيلاء على الطائرة كانت عملية عسكرية لا صلة لها بالمدنيين .. كما اعلن العراق ايضا احقيته في ملكية الطائرة الاسرائيلية، وذلك في مقابل الطائرة (ميج ـ ٢١) التي هرب بها ضابط في السلاح الجوي العراقي الى اسرائيل عام ١٩٦٥ .

ويلاحظ المراقبون ان اسرائيل لا تملك عمل شيء بنفسها تجاه حادث الطائرة ، وانها كانت تعقد أملها على التهديد الذي اعلنه اتحاد الطيارين الدولي ، كما انها لاتريد ان تتوسع في استخدام الضغوط الاعلامية والسياسية ، او بالنسبة لعرض المشكلة على الامم المتحدة ، حتى لا يؤدي ذلك الى مزيد من ابراز الشخصية الفلسطينية.

وقد علم ان هناك اتجاها « من الجزائر بعرض موضوع الطائرة وملاحيها المحتجزين على جامعة الدول العربية ، على اساس انها موضوع لايخص الجزائر وحدها بل يخص جميع الدول العربية، وان موضوع الطائرة اصبح في الواقع جزءا من القضية الفلسطينية ، وان من حق جميع الدول العربية ان تشترك في اتخاذ اي قرار بشأنهما .

وكانت حكومة الجزائر قد اعلنت من قبل : انه لا يمكن فصل الجوانب القانونية المتعلقة بالطائرة الاسرائيلية عن الوضع السياسي للقضية .

وبالنسبة لمواجهة اعمال اسرائيل التي تستهدف القضاء على الشعب العربي الفلسطيني وابادة الاطفال والنساء والشيوخ وقصف خيامهم ومعسكراتهم عن طريق العمليات الجوية العسكرية بحجة مطاردة الفدائيين والقضاء على مواقعهم ، على نحو ما حدث في العدوان الاسرائيلي على معسكر الكرامة من قبل، وفي العدوان الاخير على منطقة السلط الاردنية في ٤ اغسطس ، فقد حذرت منظمات المقاومة الفلسطينية في ٨ اغسطس من انها ستوجه ضرباتها ابتداء من اليوم الى المدنيين الاسرائيليين وتتبع سياسة « العين بالعين والسن بالسن » .

كما اعلنت منظمة فتح ، ان سياسة الابادة للمدنيين وعمليات القتل بالجملة للفلسطينيين سياسة ذات حدين ، ولا ينبغي للمدنيين الاسرائيليين ان يطمئنوا الى انهم في مأمن اذا تعرض المدنيون العرب لعمليات القتل بالجملة وان الاسرائيليين مسئولون لسماحهم للفاشيين العسكريين بالقيام بعمليات القتل بالجملة ضد العرب .

وقد تمثل الرد من جانب الفدائيين في عمليات الثأر لضحايا منطقة السلط في الهجمات العنيفة التي قامت بها منظمة فتح والجبهة الشعبية ومنظمة تحرير فلسطين ،وذلك بعد ساعات قليلة من العدوان على منطقة السلط واستطاعت ان توقع بالعدو خسائر في المنشآت والارواح ،وكانت اسرائيل قد زعمت انها قضت تماما على قواعد المقاومة بعدوانها على منطقة السلط الاردنية .

وقف تهجير عرب فلسطين هدف أساسي من اهداف المقاومة العربية

اعلنت السلطات الاردنية في ٢٩ يوليو الماضي عن اغلاق جسر الملك حسين كاجراء مضاد لاحباط محاولة السلطات الاسرائيلية طرد آلاف المواطنين الفلسطينيين من قطاع غزة الى الضفة الشرقية. وكانت السلطات الاسرائيلية قد ملأت ٥ اتوبيسات باللاجئين الفلسطينيين الذين نقلتهم من قطاع غزة واتجهت بهم الى جسر الملك حسين تحت تهديد السلاح وفي حراسة السيارات العسكرية في محاولة لحمل الفلسطينيين على عبور نهر الاردن الى الضفة الشرقية . وقد رفضت مراكز المراقبة الاردنية السماح للسيارات المحملة بالفلسطينيين بعبور الجسر ،كما رفضت السلطات الاسرائيلية بدورها السماح للسيارات بالعودة الى الضفة الغربية ، وقد نشب على اثر ذلك اشتباك بين الجانبين وتبادل اطلاق النار واصابة عدد من الجنود الاسرائيليين بجراح ، وقد عادت بعد ذلك السيارات المحملة باهالي غزة الى الضفة الغربية ثانية ، حيث كانت اسرائيل قد قامـ



● يوثانت ●

بنقل عشرة آلاف لاجيء كدفعة أولى من معسكر جباليا بقطاع غزة الى معسكر آخر اعد خصيصا بالقرب من مدينة اريحا بالضفة الغربية تمهيدا لترحيلهم الى الضفة الشرقية للاردن .

وكانت الحكومة الاردنية قد بعثت الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة تحذره من اعتزام السلطات الاسرائيلية طرد جميع سكان معسكر جباليا بقطاع غزة ويقدر عددهم بحوالي ٥٠ الفا الى الضفة الشرقية من الاردن، وذلك تمهيدا لاحلال مستوطنين صهيونيين محلهم ، كما تقدمت الدول العربية بطلب جماعي الى يوثانت لايفاد مندوب لاجراء تحقيق دولي في خطة اسرائيل .

والمعروف ان اسرائيل ترفض حتى الان طلب يوثانت بايفاد مبعوث دولي للتحقيق في وضع الاهالي العرب واسرى الحرب في الاراضي التي احتلتها بعد حرب يونيو ، وتصر على ان تشمل مهمة المبعوث الدولي التحقيق في احوال اليهود في الدول العربية ، وهو مالم تنص عليه قرارات الامم المتحدة التي قضت ببحث احوال المدنيين العرب واسرى الحرب في الاراضي المحتلة بعد حرب يونيو .

وقد ترتب على رفض اسرائيل استقبال مبعوث دولي ان اصبح يوثانت عاجزا عن التحقق من شكوى الدول العربية بخصوص خطة اسرائيل الاخيرة بطرد اهالي قطاع غزة ، الامر الذي يشكل تحديا جديدا للامم المتحدة وليوثانت وجهوده من اجل تنفيذ قرارات المنظمة الدولية .

وذكرت مصادر الامم المتحدة ان يوثانت يعد تقريره لمجلس الامن عن عدم نجاحه حتى الان في ارسال مبعوث دولي للتحقيق في وضع المدنيين العرب واسرى الحرب في الاراضي المحتلة ، وانه من المنتظر ان يناقش مجلس الامن موضوع رفض اسرائيل ايفاد مبعوث من الامم المتحدة فور الانتهاء من بحث العدوان الاسرائيلي على منطقة السلط الاردنية .

والجدير بالذكر ان يوثانت يتعرض طوال الاسابيع الاخيرة لحملة شديدة من جانب الصحافة الاسرائيلية التي تتهمه شخصيا بانتهاج سياسة موالية للعرب في الامم المتحدة .

يارنج يواصل مساعيه

عاد دكتور جونار يارنج مبعوث الامم المتحدة الى مقر عمله من جديد في نيقوسيا عاصمة قبرص في ١٥ اغسطس ، بعد ان أمضى ٣ أشهر قضاها في نيويورك وزار خلالها عواصم مختلفة من الدول الاوربية في محاولة للبحث عن حل لازمة الشرق الاوسط . وكان يوثانت قد قرر بعد اجتماعه بيارنج في الامم المتحدة في أواخر يونيو الماضي واستعراض المحادثات الاخيرة التي اجراها يارنج مع ممثلي الدول العربية واسرائيل ، وبعض الدول الكبرى المهتمة بالازمة ، الموافقة على مد مهمة المبعوث الدولي ثلاثة أشهر أخرى تنتهي في آخر نوفمبر القادم ، وذلك في محاولة اخيرة لبذل مزيد من الجهود لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، على أن يقدم يارنج الى الامم المتحدة خلال هذه الفترة ، تقريرا عن احتمالات السلام في الشرق الاوسط .

وكان يارنج ، قد بدأ جولته باجتماعه بأباايبان وزير خارجية اسرائيل في ٩ أغسطس ، وقد صرحت المصادر البريطانية أن يارنج ابلغ ابايبان انه ليس مستعدا للاستمرار في جهوده في وقت تواصل فيه اسرائيل غاراتها الجوية على الاردن مما يؤدي الى تحطيم الامال المعقودة على حل مشكلة الشرق الاوسط .

وذكرت المصادر البريطانية ان يارنج رفض طلب ايبان بالتدخل للافراج عن الطائرة الاسرائيلية المحتجزة في الجزائر لانها تخرج عن نطاق مهمته كما علقت المصادر البريطانية على انذار يارنج لايبان بقولها : بان وزير خارجية اسرائيل يدرك جيدا ان نسف مهمة يارنج في هذه المرحلة الجديدة يسيء الى اسرائيل كثيرا ويضعها في قفص الاتهام ، وقد يؤدي الى فرض عقوبات صارمة من جانب الامم المتحدة على اسرائيل لرفضها تنفيذ قرار مجلس الامن والتعاون مع مندوب الامم المتحدة .

هذا ويسود الدوائر الدبلوماسية في الامم المتحدة شعور بالتشاؤم من امكان يارنج تحقيق اى تقدم في جولته الجديدة .

■

■ **جمهورية اليمن الجنوبية**

الاجماع على حماية السلطة الحاكمة رغم انشقاق الجبهة القومية

تتعرض الثورة في الجنوب اليمني هذه الايام لمحنة شديدة ، بسبب الهجوم الذي تشنه قوى الثورة المضادة الممثلة في حزب رابطة الجنوب العربي المعروف بصلاته الوثيقة بالقوى الرجعية في

المنطقة والاقطاعيين والسلاطين السابقين ، تؤيدهم وتدعمهم المخابرات المركزية الامريكية والبريطانية وذلك منذ ٢٤ يوليو الماضي ، بهدف اســـــقاط حكومة الرئيس **قحطان الشعبى** والقضاء على الثورة فى الجنوب والعـــودة بالبلاد الى حـــكم السلاطين والاقطاع والاستغلال .

وقد تمكنت القوات المسلحة بالتعـــــاون مع الحرس الشعبى من سحق المواقع الرئيسية للحركة فى مناطق ردفان والواصرى والعوالق وبيحان ، والاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة والمدافع الثقيلة والمضادة للطائرات وكلها أمريكية الصنع ، كما عثر على وثائق ومستندات تثبت علاقة الحركة المضادة بالقوى الرجعية فى المنطقة والامبريالية العالمية .

تعليـــق

المواجهة الحضارية بين مصر واسرائيل

يستطيع المتـــابع لبعض الدراســات الاسرائيليـــة الحـــديثة ، أن يتبين أن المواجهة بين المجتمع الاسرائيلى والمجتمع المصرى بالذات لها بعد آخر غير الابعاد السياسية والعسكرية .

المواجهة هنا مواجهة حضـــارية ـــ بين أسس مجتمع يقوم على العنصرية واستغلال الدين ، وبين مجتمع يرفض هـــذه الاسس لبناء حيـــاته فى مختلف المجالات .

واذا كانت المساعدات العلمية والفنية وتوافر المتخصصين قد أعطت اسرائيل صورة الدولة العصرية خصوصا مع النصر العسكرى الخاطف الذى تحقق لها فى يونيو ١٩٦٧ ـــ فان هذا كله لايعنى قط أن اسرائيل دولة متحضرة .

ان اسرائيل تعلم أن هناك تخلفا رهيبا فى أسس بنائها نفسه ، يجعـــل منها مجتمعا ينتمى الى القرون الوسطى . ومن أجل هذا لابد أن تجد تبريرا لهذا الوجود الشاذ . وهى تحسب أنها قد تجد هذا التبرير اذا ما أثبتت أن كل الدول فى المنطقة تقوم على نفس الاسس ومن هنا تمثل مصر شوكة فى حلقها ، لابد من بذل الجهود لاقتلاعها .

كيف ؟

بان تظهر أن مصر فى تاريخها الحديث وواقعها لم تحرك شعبها الا مبـــادىء من نفس نوع تلك التى تحرك اليوم جموع الاسرائيليين ـــ أى الدوافع العنصرية والدينية المنحرفة . وهذا هو مايجهد الدارسون الاسرائيليون فى صنعه . ان واحدا من أبرز هؤلاء (ناداف صفران فى كتابه: مصر تبحث عن الحياة السياسية) يحاول اعادة كتابة تاريخ مصر ليظهر ان الثورة فى مصر لم تحدث الامرتين : الاولى ضد الفرنسيين والثانية ضـــد الانجليز . ويتناسى ـــ عامدا ـــ ثورات المصريين أيام المماليك والاتراك وفى حكم اسرة محمد على ، خصوصا الثورة العرابية ويغفل وحدة الصليب والهلال فى مواجهة الانجليز أيام ثورة ١٩١٩ .

فاذا اقتنع قارئو مثل هذا الـــكاتب بما يقول ، واذا شاع هذا القول وتواتر وانتشر ـــ اذن فاسرائيل ليست بأسسها الحالية مجتمعا شاذا . مصر نفســـها بكل تاريخها الحضارى وثوراتها الرائدة تقوم على نفس الاسس وتحرك شعبها نفس الدوافع .

فاذا كان الصحيح هو غير مايقوله هذا الدارس الاسرائيلى ، فان المواجهة بين مصر واسرائيل تأخذ بعدا جديدا تماما . انها مواجهة بين التقدم الانسانى الحضارى ، وبين التخلف المؤكد ، والتقدم والعصرية هنا هذه المرة هما فى الجانب المصرى .

ولكن اسرائيل لاتقف فى هذه المواجهة وحدها . فعلى الرغم من أن العـــالم الغربى تقوم نظمه وحضارته الحديثة ـــ نظريا على الاقل ـــ على اساس العلمانية والديمقراطية التى لاتفرق بين المواطنين على أساس من جنس أولون أودين . الا أننا نجد أن هذا الغرب نفسه يقيم المنظمات التى تتجه الى شعوب العالم الثالث لتبشر فيه بضرورة استغلال الدين فى الفكر والعمل السياسيين والنشاط الاقتصادى . وتصاغ النظريات عـــلى هذا المنهج لتصبح تشويها اكيدا للدين ، لا يخدم فى النهاية الا التخلف الراهن والنفوذ الاجنبى .

ولكن هذا الفكر وما يترتب عليه من نشاط واقعى يخدم اسرائيل خدمة عظمى لانه يدعم فى العالم الثالث افكارا ومبادىء مناظرة لنفس ماتقوم عليه اسرائيل نفسها . فضلا عما يترتب على ذلك كله من تفتيت للوحدة الوطنية داخل كل دولة .. وهذا أيضا يخدم المنطلق الذى صدرت عنـــه الدعوة الصهيونية ونعنى به استحالة التعايش بين اليهود وغير اليهود .. فاذا ثبت أن هذه الاستحالة قائمة كلما تعددت الاديان ، فان دعوى الصهيونية تجـــد لها برهانا حاسما على صحتها من باب أولى .

اما اذا ثبت أن الواقع العلمى ينكر هذه « الصهيونية الجديدة » انهارت فى نفس الوقت حجة الصهيونية التقليدية وظهر دور الامبريالية فى تأكيد « الجيتو » اليهودى وتقوية الحـــركة الصـــهيونية ومساندتها فى كل مراحلها .

وحين فتحت مصر ، وســـط آلامهـــا المضنية ، واحزانها العميقة ـــ حين فتحت بلادنا فى هذه الظروف القاسية ذراعيها لتحتضن رفات القديس مرقس رسول المسيحية العـــائد اليها من البنـــدقية ولتضمها فى أرضها الطيبة ..

كانت مصر حينذاك فى حقيقة الامر تقـــدم البرهان العملى على أن دعوى الصهيونية ـــ قديمها وحديثها ـــ لاتقوم على اســـاس . وعلى أن الدين لله والوطن للجميع . وأن الاحترام متبادل بين أصحاب الاديان المختلفة فى المجتمع الموحد . لقد كانت الاحتفالات الشعبية والرسمية التى جرت فى هذه المناسبة مواجهة جديدة بين مصر واسرائيل ـــ على الصعيد الانسانى الراقى . وكان النصر هذه المرة معقودا لمصر . وشهد العالم كله ممثلا فى المندوبين الذين حضروا احتفالات عودة الرفات وافتتاح الكاتدرائية العظيمة هذا النصر الحضارى الرائع .

ومن هنا مسئوليتنا تجاه هذا التراث بل الواقع المصرى الثمين من الوحـــدة الوطنية . ان مصر ستواصل تأكيد هذا النصر مرة بعد أخرى . ومازال الطريق ممتدا أمام بلادنا كى تثبت واقعيا وفى جميع المجالات ، يوما بعد يوم ، أن هذا الشعب مازال يصنع الحضارة ويقـــدم النموذج المتقدم الرائد .

د. وليم سليمان

وقد هرب عشرات الضباط والجنود الذين ينتمون الى قبائل العوالق المتمردة من المعركة فى بداية القتال من بينهم العقيد **عبد الله صالح العولقي** مدير الامن في حكومة الجنوب والنقيب **علي عبد الله** قائد المخابرات العسكرية وعبروا الحدود الى جمهورية اليمن ومعهم عدد من المصفحات والسيارات العسكرية ، كما اعتقل **محمد احمد العولقى** القائد السابق لجيش الجنوب وبعض الضباط السابقين الذين طردوا من الجيش بعد انتصار الثورة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، ويجرى التحقيق مع جميع الذين ينتمون الى قبائل العوالق في الجيش ، وقد أعلن وزير الداخلية فى حكومة اليمن الجنوبية أن عدد المقبوض عليهم ٢٠٠ من العسكريين و٥٠٠ من المدنيين بينهم ٢٧ شخصا من القيادة العامة الجديدة لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل .

وبالرغم من الانتصارات العسكرية والقضاء على المواقع الاساسية للحركة المضادة ، فانه لايبدو هناك مايشير الى استقرار الوضع فى الجنوب ، فالموقف ينذر باستئناف القتال من جديد ــ حسب تقدير المسئولين العسكريين فى حكومة الجنوب ، خاصة بعد هرب رجال الحركة المسلحة وزعماء القبائل المنشقة من المدن ليتحصنوا في السهول وقمم الجبال المنيعة لاعادة تنظيم صفوفهم تمهيدا للانقضاض من جديد .

وقد بادرت جمهورية اليمن فى الشمال بطرد **احمد عبد الله الفضلى** السلطان السابق لولاية الفضلى **وجميل بن حسين العوذلى** شقيق السلطان السابق صالح بين حسين العوذلى وزير الامن فى حكومة اتحاد السلاطين السابقة ، كما تم الاتفاق بين الحكومتين اليمنيتين فى الجنوب والشمال على التنسيق العسكرى بينهما لمواجهة المحاولات الرجعية والاستعمارية التى تهدف الى تحطيم الثورة فى الجنوب والشمال .

وترجع بداية هذه الاحداث الى شهر يونيو الماضى بعد عودة الرئيس قحطان الشعبى من جولته فى عدد من العواصم العربية ومن بينها القاهرة لشرح الوضع والمشاكل الخاصة بالجنوب ، وحيث تم الاتفاق على أن تقدم هذه البلدان مساعدات مالية واقتصادية ومعونات فنية للجنوب

وكانت القوى السياسية المناهضة قد تقدمت الى حكومة الرئيس الشعبى ، قبل نشوب القتال بجملة مطالب سياسية تتلخص فى الاتى : الاشتراك فى الحكم ، وتأليف حكومة ائتلافية ، وتكوين مجلس قومي تمثل فيه كافة القوى



● **قحطان الشعبى** ●

السياسية فى الجنوب ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وعودة كل الزعماء السياسيين المبعدين فى الخارج ــ كما شهدت الفترة السابقة تخزين الاسلحة المجلوبة من الخارج ، والقيام باعمال قطع الطرق فى الجبال والاستيلاء على السيارات المدنية والحكومية ، وخلق جو من الذعر والفوضى فى البلاد للتمهيد لحركتهم ، وأعلنت الحكومة رفضها لتلك المطالب واعتبرتها انتكاسة بالثورة وتصفية لها .

فمن ناحية هناك الاوضاع المتخلفة والفقر الشديد والنقص فى السلع الغذائية ، نتيجة استغلال استعمارى استمر ١٢٩ عاما ، فالخزينة خاوية ، واجر القاعدة البريطانية لم يعد يدفع بعد تصفيتها ، وتوقف العمل بميناء عدن بعد اغلاق قناة السويس نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ الاستعمارى ، وتعطل مايقرب من ٢٥ الف عامل ، معظمهم من عمال القاعدة البريطانية ، كما لاتوجد فى البلاد أية مؤسسات صناعية بخلاف معامل تكرير البترول البريطانية فى عدن ، ورقعة من الارض الزراعية لاتزيد مساحتها عن ٢٢٠ الف فدان تعتمد فى زراعتها على الوسائل البدائية ، وتسيطر عليها مجموعة السلاطين الاقطاعيين وكبار الملاك . ويشكل أهالى الريف حوالى مليون وربع مليون نسمة من بين حوالى مليون ونصف مليون تقريبا هم مجموع سكان البلاد ، ووجود بورجوازية تجارية كومبرادوريه تتركز فى عدن وتمثل ذيلا للشركات الاحتكارية الاستعمارية ، والاقتصاد فى مجموعه (حوالى ٨٠٪) اقتصاد خدمات .

وتبرز فى مقدمة تلك المشاكل وجود ٣٥ الف شخص فى اجهزة الدولة القديمة ، يلتهمون ٢٨ مليون جنيه فى شكل رواتب واجور العاملين ــ اذ يبلغ مجموع ما يتقاضاه الجيش ١٤ مليون جنيه، والبوليس ٥ ملايين ، والجهاز الادارى ٩ ملايين جنيه ــ من مجموع الميزانية العامة للدولة والبالغة ٣٣ مليون جنيه ، والتى تعتمد اساسا على المعونة التى كانت تقدمها بريطانيا سنويا لحكومة الاتحاد العميلة السابقة وتبلغ حوالى ٧٥٪ من حجم الميزانية العامة للدولة ــ كما رفضت بريطانيا دفع اية مبالغ كتعويض عن عشرات السنين من الاستغلال والنهب الماضيين ، استمرارا لمحاولات الضغط على الحكم الثورى الجديد .ومن ناحية أخرى ، الانقسام الذى تم فى صفوف تنظيم الجبهة القومية الحاكم ، واستبعاد ابرز مناضلى الجبهة القومية اليساريين من قيادة الفدائيين وجيش التحرير والحرس الشعبى وعلى راسهم عبدالفتاح اسماعيل وزير الثقافة والارشاد وعلى سالم البيض وزير الدفاع ، نتيجة الخلاف حول قرارات المؤتمر الرابع فى ٨ مارس الماضى ، وحول تنفيذ برنامج التحرر الوطنى الديمقراطى الشعبى والذى يتلخص فى الاتى تنفيذ اصلاح زراعى جذرى ، اقامة ميليشيا شعبية منتجة من اتحادات العمال والفلاحين والطلاب وتضم الفدائيين وجيش التحرير والحرس الشعبى فى حدود (١٠٠ ــ ١٥٠) الف شخص وتخضع للحزب . وتطهير مؤسسات الدولة القديمة من العناصر الرجعية والعميلة والانتهازية، وتأميم المؤسسات المالية والبنوك وشركات التامين، وتأميم المؤسسات البورجوازية الكبيرة الاجنبية والمحلية ، وتأميم التجارة الخارجية ووضع سياسة ضريبية تصاعدية ، وتخفيض الرواتب والاجور بما يتناسب مع الغاء الامتيازات الطبقية ويتناسب مع امكانيات البلد الاقتصادية ، بحيث لاتتعدى نسبة الحد الاعلى الى الحد الادنى للمرتبات ٤ : ١ .

وكان من راى الجناح اليسارى : « انه فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية كبلد متخلف ترتبط مسألة التحرر الوطنى وحل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية وبناء اقتصاد وطنى متحرر بذاته ومنفصل عن السوق الراسمالية العالمية، بانتهاج طريق التطور الديمقراطى الشعبى ، وان طريق التطور البورجوازى هو طريق الارتماء فى احضان الاستعمار الجديد ، كما ان الطريق البورجوازى الصغير لايحل مشكلة التحرر الوطنى، وان البورجوازية الصغيرة غير مؤهلة تاريخيا لانتهاج سياسات طبقية جذرية بحكم مواقعها ومصالحها الطبقية ، وفى عصر الامبريالية تسقط السياسات الطبقية البورجوازية الصغيرة ــ ذات النهج التوفيقى ــ فى قبضة الثورة المضادة فى الداخل وبراثن الاستعمار الجديد ، وان طبقتى العمال والفلاحين الفقراء هما وحدهما المؤهلتان فى ظل قياده طليعية اشتراكية على انجاز مهام الثورة الديمقراطية ووضع البلاد على عتبة الثورة الاشتراكية وتحريرها من «سيف المساعدة البريطانية» . كما حدد البرنامج ، « ان الثورة المضادة تتحدد بالطبقات المستغلة فى الريف والمدينة، واجهزة الدولة القديمة بتكوينها الطبقى المتناقض مع بناء اقتصاد وطنى متحرر ، لان الدولة تلتهم ٨٥٪ من الميزانية العامة للدولة ، مما يترك البلاد تحت وطأة الركض وراء العملات الصعبة من الخارج لتامين الرواتب والاجور وهذا بدوره يدخل البلاد فى حلقة اقتصادية مفرغة تضع البلاد تحت رحمة مصادر المساعدات الاجنبية » .

وقد تطور الخلاف بين الفريقين الى درجة الصدام المسلح على النحو الذى تم فى أبين والشقرة وجعار فى المحافظة الثالثة وفى بقية المحافظات الاخرى فى مايو الماضى .

والامر الواضح بعد ذلك هو ان القوى المضادة قد تحركت بسرعة للاستفادة من الوضع المتأزم فى البلاد وقبل أن تتمكن الحكومة من التغلب على الازمة الاقتصادية وتسلم المساعدات والمعونات التى وعدت بتقديمها الدول العربية التقدمية

ويذكر مكرم محمد احمد مندوب صحيفة الاهرام فى تحقيق له من عدن ، أنه كانت هناك لقاءات وحوار نظرى بين حكومة الرئيس الشعبى وقادة الجناح اليسارى من أعضاء الجبهة القومية خارج الحكم ، فى محاولة للوصول الى اتفاق بينهما وذلك قبل بدء الهجوم المضاد فى أواخر يوليو الماضى.

وان ماحدث بعد ذلك وضع الجميع امام هدف واحد هو حماية الحكم من ان يسقط ، وأصدرت المجموعة الموجودة خارج السلطة نداء الى كل قواعدها قبل ان ينتهى الحوار النظرى بأن المهمة الاساسية هى العمل على حماية الثورة، ونزل الجميع الى الساحة وحملوا السلاح من جديد وبدأ الحرس الشعبى يضطلع بمهامه فى ردفان والعوالق وبدات عملية التعبئة الواسعة فى المحافظات . وفى نفس الوقت لم تتخل هذه المجموعة عن الدفاع عن خطها النظرى الذى طرحته فى المؤتمر الرابع فما زالت تمارس ضغطها على المجموعة القائمة فى السلطة من اجل تنفيذ قرارات المؤتمر الرابع الذى وقع الصدام بسببها » .

وقد اعلنت حكومة الجنوب انها لاتعترف بوجود تنظيمات ومنابر سياسية أخرى فى البلاد بخلاف

تنظيم الجبهة القومية ، وهو التنظيم الحاكم، كما اوضحت أيضا موقفها بالنسبة للوحدة الوطنيةفى الجنوب ، وأن من رأيها : « ان الوحدة الوطنية لايمكن أن تكون وحدة بين مؤسسات سياسيةذات نهج متباين .. وانما هى فى الدرجة الاولى تحالف طبقى ، والجبهة القومية تضم داخلهـا عناصر الوحدة الوطنية وهم الفلاحون والعمال والجنود والبورجوازية المحدودة، ومن ثم فانالباب مفتوح لكل الذين يريدون العودة الى ديارهم شريطة أن يعلنوا ولاءهم للجبهة، وان يقبلوا الحياةكمواطنين فى ظل سيطرتها وان لايعملوا ضدها » .

●

■ نيجيريا

محاولات جديدة لتسوية الازمـة فى نيجـيريا

اتجهت انظـار العـالم نحو اديس ابابا يحدوها الامل فى ان تنجح مباحثات السلام التى بدأت فى أوائل اغسطس بين وفدى حكومة نيجيريا الاتحادية وحكومة اقليم بيافرا المنشق ، وان تؤدى الى تسـوية للمشاكل التى كانت سببـا فى اندلاع الحرب الاهلية منذ اكثر من عام .

ولم تكن محـاولات اديس ابابا هى المحاولات الاولى لتسوية الازمة وانمـا سبقتها محـاولات اخرى عديدة فى لندن وكمبالا ونيامى ، كما عقدت عديد من الاجتماعات التمهيدية وبذلت كثير من الوساطات التى شارك فيها وزير الـكومنولث البريطانى كمـا شاركت فيهـا منظمة الوحـدة الافريقية .

ان ضحايا الحرب الاهلية فى نيجيريا يتزايدون يوما بعد آخر ، والمشاكل المترتبـة على النزاع تزداد تفاقما وتعقيدا ،ولن تؤدى الا الىمزيد من الآلام لشعب نيجيريا .. وكل يوم يمر يكشفعن ان استمرار الحـرب لن يـكون وسيلة عملية لتسويةالنزاع خاصة وان قبيلة الايبو التىتشكل غالبية مواطنى بيافرا قد تلجأ اذا ما اجبرت على الهزيمة وتحت النعرةالقبلية، قد تلجأ الى الهروب نحو الادغال والاستمرار فى حرب العصابات مما يفرض اهمية البحث عن تسوية سلمية للنزاع .

غير أن مباحثـات اديس ابابا قد سـارت فى طريق متعثر ولم تحقق حتى كتابة هذا التقريراى تقدم ، بل سـادها جو من الاسـتفزازات والاتهامات المتبادلة والتهديدات بقطع المحادثات من كلا الجانبين .

ويرى المراقبون السياسيون ان التأييد الذى منحته الحكومة الفرنسية لحكومة بيافرا قدادفعها باتخاذ بعضالمواقف الاكثر تشددا أملا فىالحصول على بعض التنازلات من جانب الحكومة الاتحادية على مائدة المفاوضات ، هذا بالاضافة الىحملات التأييد الواسعة التى تقدمها الصحافة الامريكية والاسرائيلية لاقليم بيافرا وتصويرها للحـرب فى نيجيريا على انها حرب ابادة لاقلية مغلوبة على أمرها .

ان الدوائر الاستعمـارية تحاول جهد طاقتها ان تستغل النزاع القائم فىنيجيريا لتحقيق اطماعها ولتحويل نيجيريا الى مسرح للصراع فيمـا بين القوى الاستعمارية المختلفة لاقتسام ثروات البلاد، واعادة توزيع انصبتهم فى بترول نيجيريا . ولذا فليس من الغريب أن تهاجم الصحافة البريطانية تأييد ديجول لبيافرا وتصفه بأنه ضربة موجهـة ضد بريطانيا ، كما تقول الجارديان البريطـانية بأن تزويد بيافرا بالاسلحة الفرنسـية ليس الا محاولة للحصول على مكاسب معينة وبالذاتفيما يتصل بالثروات البترولية .

ان القوى الوطنية فى افريقيا انما يقلقهاالنزاع النيجيرى واستمرار الحـرب الاهلية ويحـدوها



● جوون ● ● اوجوكو ●

الامل في الوصول الي تسوية سلمية عاجلة تسد الطريق امام مؤامرات الاستعمار لاستغلال تلك التناقضات لاعادة فرض سيطرته بالتدريج على القارة من جديد .»

ان آمال القوى الوطنية فى افريقيا معلقة على اجتماع منظمة الوحدة الافريقيـــة فى ١٣ سبتمبر لايجاد تسوية نهائية تقر السلام فى ربوع نيجيريا بعد ان انهكتها الحرب الاهلية . ان الوصول الي هذه التسوية اصبح امرا لايهم نيجيريا وحدها وانما يهم القارة الافريقية باكملها .

ان منظمة الوحدة الافريقية التى تمكنت فى مرات سابقة من المساهمة فى حل مشاكل بعض الدول الافريقية انما تنتظرها مشكلة نيجيريا كى تثبت وجودها وقدراتها وفعاليتها من جديد .

تعليق

رأى .. فى انقلاب الكونجو برازافيل

عندما عاد ماسيمبا دبيا من قريته ، بناء على نداء قادة الانقلاب الـذى وقع فى اوائل الشهر الماضي ، ليواصل مسئولياته كرئيس للجمهورية وقـائد النظام القائم فى الـكونجو برازافيل ، وجه خطابا الي الشعب قائلا : « ان اشياء قديمة كثيرة يجب ان تتجـدد . الدستور يجب ان يعـدل ، والجيش ينبغى ان يربى تربية سياسية » .

والواقع ان الوقـوف عنـد هـذه الكلمات ، يعنى ان نضـع ايدينا على « مفتاح » الموقف كله ، كما يعنى اننا نمسك الطرف الاول « لخيط » تطور الاحداث الاخيرة فى الكونجو برازافيل .

فمنذ تولى ماسيمبا ديبا السلطة فى اغسطس ١٩٦٣ على اثر الثورة التى اطاحت بحكم الاب يولو ، وتبنى السلطه الجديدة للاشتراكية العلمية وتحـول ملكية وسائل الانتـاج « الى الملكيـة الاشتراكية العامة » ، حسمت « القوى الجـديدة » صراعهـــا مع « القـوى الاجتماعية والسياسية القـديمة » . ولكن صراعا آخر بدا ينشب فى شـكل التنـافس الواضح الـذى قـام بين « الاجهزة الحكومية الجديدة » وبـين الحزب (الحركة الثورية الوطنيـة) وخاصة بعد تاسيس منظمة شـباب « الحركة الثورية الوطنية » فى ١٩٦٥ التـابعة للحزب والتى شـكلت نواة « الميليشيا الشعبية » .

ومن خلال هـذا الصراع الجديد ، نشأ – فى الاجهزة الحكومية والحـزب والجيش على حـد سـواء – اتجاهان بارزان . اتجـاه اطلقت عليه وكالات الانباء الغربية ودوائرها اسم « الاتجاه المعتدل » ، اما الاتجاه الثانى فقد سمى « بالاتجاه اليسـارى ، وكان جـوهر الخلاف بين الاتجاهين ، يدور حـول قضية اساسية هى : هل نقف بالثورة الوطنيـة الديمقراطية – بابعادهـــا الاجتماعية – عند هذا الحد ؟ ام يجب ان نستمر الثورة فى تطورها نحو آفاقها الاشتراكية لتحقق آمال الشـعب وطموحه ؟

وبحكم مصالح الاتجاه الاول – التى تكونت خلال وجوده فى السلطة – سعى الى تجميد الثورة واستفاد من وجوده فى السلطة لمحاصرة عناصر الاتجـــاه الثانى بل وتصفية بعضهـا فى المراكز ذات الاهمية الخـــاصة خصـوصا فى الجيش . ومن ابرز امثلة ذلك عـزل ماريان انجوابى منذ عامين .. الـذى كان قائدا لقوات المظلات والذى قـام بالانقلاب الاخير . وفى ذلك الوقت من عام ١٩٦٦ ، حاول انجوابى القيـــام بانقلاب عندما حاصر اعضـاء الحكومة ورئيس الوزراء فى الاســـتاد الرياضى بينما كان ماسيمبا ديبا خارج البلاد . ولكن علاقات القوى فى ذلك الوقت لم تسمح بنجاح المحاولة من جهة ، كما لم تسمح باتخاذ موقف عنيف من انجوابى نفسه ، واكتفي بنقله الى منصب آخر فى الجيش .

على ان الملفت للنظر فى ذلك الحين ، ان ماسيمبا ديبا لم يبد اى احســاس بالقلق عندما نقلت انبـاء محـــاولة الانقلاب هذه اليه وهو خارج البلاد . واكتفى بقوله حينذاك « اننى مطمئن الى الحـــالة فى بلادى . وانـا على اتصال برئيس الوزراء . وليس هناك مايدعو الى القلق » . (الطليعـة – اغسطس ١٩٦٦ – ص ١٢٣ – تقارير الشهر) .

ولكن الصراع بـين الاتجـاهين ظل قائما . وكان آخـر مظاهره الغريبـة استقالة يسويا احد زعماء الحزب تحت ضغط الجناح المعتدل . حيث اعقب ذلك – وكرد فعل لـه – قيـــام تمرد محدود داخل الجيش فى يوليو الماضى تاييدا ليســوبا . ولـكنه مالبث ان اخمد .

فى ذلك الوقت وجد ماسيمبا ديبا – قائد الثورة – نفسـه امام اختيارين : اما التسـليم بتجميد الثـورة ، واما القيام بحـركة التفـاف واسـعة – وذكية – من اجل تصفية الجنـــاح « المعتـدل » قبل ان تصـفى الثـورة الاشتراكية نفسها .

ولم يتردد ماسـيمبا ديبا ، واخـذ زمام المبادرة بحل « المجلس الوطني » وتجميد نشـاط « المكتب السياسي » للحزب ، وتكوين « لجنة الدفاع عن الثورة » تفجيرا للصراع من جهة وخلق استقطاب جديد من جهة اخرى .

فى هـذه الظروف ، قـام انجوابى بمحاولته الثانية ونجحت . وبهذا صفي الجنـاح « المعتـدل » فى السلطة وفى الحزب وفى الجيش من المواقع القيادية . ولم يكـد ماسيمبا ديبا يصـل الي قريته – بعـد قيام الانقـلاب – في ٢ اغسطس ، حتي عاد في ٤ اغسطس الي العاصمة رئيسا للجمهورية وزعيمـا للحزب من جديد . ومن ثم اسـتطاع ماسيمبا ديبا – بمهارة وذكاء خارقين – من اخذ زمام المبادرة وتجـديد حيوية الثورة بمساعدة ماريان انجوابى الذى نجح اخيرا .

حسين شعلان

■ **فيتنام**

فقدان المركز رقم ١ ثمن الهزيمة الامريكية

بدأ ثوار جبهة التحرير فى النصف الثانى من الشهر الماضى بشن هجوم كبير جديد على القواعد الامريكية والمدن الخاضعة لنفوذ القوات الامريكية والمتحالفة .

وفسر بعض المراقبين السياسيين اعتراف هانوى لاول مرة منذ بدء الحرب الفيتنامية ، بمساعدة الثوار فى الجنوب «بكل طريقة ممكنة بما فى ذلك ارسال القوات لتعزيز قواتهم » ، على انه دليل من دلائل الثقة التى تواجه بها فيتنام الشمالية ، وجبهة التحرير فى الجنوب ، المعتدين الامريكيين . يدعم ذلك الاعتقاد أن البيان الرسمي الذى اصدرته جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية ، واذاعة راديو هانوى ، قد دعاالثوار فى الجنوب الى « الاستعداد للهجوم الشامل النهائى الحاسم ضد « الاستعمار الامريكى » .

هذا ويواصل الثوار الفيتناميون هجماتهم التكتيكية على القوات الامريكية والمتحالفة معها وبخاصة فى سايجون وضواحيها ، فى الوقت الذى يسود فيه الركود جو المباحثات الامريكية — الفيتنامية الشمالية ، فى باريس . الأن تصريحات **دين راسك** وزير الخارجية الامريكى الذى اعلن أخيرا معارضته لوقف الغارات على فيتنام الشمالية بدون شروط ، قد حركت هذا الركود على نحو ملموس .. فقد أوضحت جريدة « الايمانتييه » الفرنسية ، ان معارضة « دين راسك » كانت قاطعة ومتشددة الى حد ان « هاريمان » ممثل الولايات المتحدة فى المباحثات الامريكية — الفيتنامية فى باريس ، وجد نفسه غير قادر على تبرير التشدد الذى أظهره وزير خارجية بلاده .

وقد اعقب تلك التصريحات ، تأكيدات مدعمة من جانب الرئيس الامريكى **ليندون جونسون** ، الذى لم يكتف بمجرد « تغطية ظهر وزيره » وانما اضاف ما هو اكثر من ذلك ، وهو انه «فى حالة حدوث هجوم من جانب قوات جبهة التحرير فانه سيكون على الولايات المتحدة أن تفكر فى اجراءات عسكرية اضافية » . وقد فسر بعض المعلقين تصريحات جونسون وراسك بأنها ترجع لاعتبارات تتعلق بالسياسة الداخلية والمعركة الانتخابية وذلك لتحاشى انتقادات المتشددين من الجمهوريين .

كذلك فقد خلص الدبلوماسى والباحث الاسيوى **ايدوين ريشور** فى كتابه « **ماوراء فيتنام** » الى حقيقة انه « من العسير ان نتوقع فى هذه المرحلة أية تسوية تتم عن طريق التعاون بين الجانبين ، ولا تكون بمثابة استسلام من هذا الجانب أو ذاك » . ولذا فان النتائج النهائية سوف تتعلق بالاوضاع فى جبهات القتال .

وعلى أية حال فالامر المرجح بالنسبة للقضية الفيتنامية ، هو استمرار القتال حتى مجىء رئيس امريكى جديد الى البيت الابيض ، وقد كتب « **ستيوارت السوب** » الكاتب الامريكى فى مجلة « النيوزويك » الامريكية فى عدد ١٢ — ٨/١٨ بهذا الصدد يقول انه « مهما يكن اسم الرئيس الامريكى القادم ، فان عام ١٩٦٨ ، سوف يرمز الى نهاية عهد ، بدأ متفائلا مع مشروع «**ترومان**» ، ومشروع « **مارشال** » ، وينتهى جزئيا بحرب لم ننتصر فيها » وقد اشار الكاتب الامريكى الى تلك الحقيقة الهامة وهى «ان النهاية المريرة للحرب فى فيتنام ، سوف تكون لها بالتأكيد نتائج مريرة ، ولكن اثرها الرئيسى سوف يظهر على العلاقة بين الولايات المتحدة وبقية دول العالم . وهذا لايعنى أن هذه الدولة سوف تعود الى ما يشبه العزلة التامة التى فرضتها على نفسها منذ ٤٠ عاما ، ولكنه يعنى انه اذا انتهت الحرب نهاية مريرة ، فان الولايات المتحدة سوف تنطوى على نفسها ، وتتخلى عن دور الزعامة العالمية ، وتترك المركز الذى تحتله باعتبارها الدولة رقم واحد » .

وقد اكد « **ريتشارد نيكسون** » المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة الامريكية أن « واحدا من الاثار التى سترثها الولايات المتحدة عن الحرب الفيتنامية ، هو انه عندما يكون الامر متعلقا بتدخل مماثل له نفس الخصائص والظروف فان الولايات المتحدة ستتردد بقوة قبل أن تفكر فى اقحام نفسها فى هذه المشكلة » و « على الدول الاخرى أن تدرك أن دور الولايات المتحدة كرجل بوليس دولى ، سيكون دورا محدودا فى المستقبل »

وقد اوضح نيكسون فى مقال له اهميته ، نشرته « الجارديان » البريطانية فى ٨/٨ الماضى المخاطر المحتملة امام الغرب فى المرحلة القادمة فأوضح « ان الغرب يواجه خلال العقد القادم احتمالين يمكن أن يتسبب احدهما فى خلق أزمة طاحنة — أن يصبح السوفيت قوة مساوية لقوة امريكا نوويا — أن تملك الصين الشعبية خلال فترة

تتراوح بين ثلاثة أعوام وخمسة أعوام ، ووسائل كافية لحمل الرءوس النووية الى مسافات بعيدة ».
كما أن الصين — بحكم عدم توقيعها على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية — يمكن أن تسلم لقوى التحرر الوطني فى أى مكان ومتى شاءت ، اسلحة نووية » ، ولذا طالب نيكسون بضرورة ايجاد حد فاصل يحول دون وقوع اشتباك بين الدول النووية الكبرى . كما طالب من وجهة نظر المصالح الامريكية — « بدعم آسيا غير الشيوعية ، بنفس الاهمية التى تم بها دعم قوة أوربا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية » ، وتقوم خطة ريتشارد نيكسون فى « آسيا بعد فيتنام » على أساس « ان الولايات المتحدة لو مضت وحدها فى سياسة احتواء الصين ، فانها لن تثير مشاكل داخلية فحسب ، وانما ستزيد أيضا من احتمالات نشوب حرب نووية ، فى الوقت الذى ستسمح فيه للصين بأن تتوغل فى دول آسيا » ، « وان دول آسيا هى التى ينبغى أن تردع طموح الصين على أن تعززها فى ذلك قوة الولايات المتحدة ذاتها » . الا أن عددا من المعلقين السياسيين يرون ، أن قوى حركة التحرر الوطنى الاسيوية ، وبخاصة فى البلاد المجاورة للصين ، ستكون كفيلة بتصفية الوجود الامريكى والعميل فى بلادها ، الامر الذى يضمن فى النهاية لامجرد طرد الامريكيين بعيدا عن أبواب الصين فحسب ، وانما التمهيد لتصفية نفوذهم فى القارة الاسيوية عموما ».

■

■ الولايات المتحدة الامريكية

هل تضمن « الاستراتيجية الجنوبية » الفوز لنيكسون ؟

لاتزال السمة الرئيسية التى تسود معركة انتخابات الرئاسة الامريكية لهذا العام ، هى تفكك صفوف الديمقراطيين بالقياس الى الوحدة الملموسة فى المعركة ، التى يحظى بها الحزب الجمهورى . يزيد من خطورة ذلك التفكك انه يتم فى ظل الفشل الذى منيت به السياسات التى انتهجتها حكومة الديمقراطيين الحالية تحت زعامة ليندون جونسون ، وبخاصة ازاء الحرب الفيتنامية ، وتفاقم المشكلة العنصرية ، ومشكلة الفقر ، واهمال مشروع « المجتمع العظيم » لمحاربة الفقر فى الولايات المتحدة ».

وليس ادل على تفاقم ذلك التفكك من اقدام « جورج ماكجوفرن » السناتور الديمقراطى من داكوتا الجنوبية ، على ترشيح نفسه قبل موعد انعقاد المؤتمر الديمقراطى القومى الخاص باختيار مرشح الحزب للرئاسة باسبوعين فقط ، واقدام هذا المرشح المجهول الشخصية تقريبا على ترشيح نفسه ، واستهدافه الحصول على اصوات الناخبين الذين لايروقهم « همفرى » أو « مكارثى » ، وبخاصة من أنصار السناتور الراحل « روبرت كيندى » ، انما يعكس حالة التفكك التى تسود الديمقراطيين على مستوى حزبهم نفسه ، فما بالنا بالاثار التى ستترتب عن ذلك على وجودهم القومى العام نفسه ؟

وعلى أية حال ، ونظرا لانه لم يكن من الممكن التعليق على نتائج انتخابات المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى الذى انعقد أواخر الشهر الماضى — بعد كتابة هذا التقرير — فان من المتوقع — لدى عديد من المراقبين — انيفوز هيوبرت همفرى نائب جونسون بترشيح الحزب الديمقراطى لمعركة الرئاسة خاصة وأن الاجهزة الحزبية تميل بوضوح الى مساندته . ومن المعروف أن همفرى يدعو الولايات المتحدة الى تقديم كل مساعدة عسكرية ممكنة تحتاج اليها اسرائيل ، بما فى ذلك الطائرات النفاثة ، ويطالب بحق مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة على أن تتم أيضا تسوية مشكلة اللاجئين العرب ».

أما المسائل التى يعطيها « ريتشارد نيكسون » المرشح الجمهورى للرئاسة الاولوية ، فهى مسألة اعادة اقامة روابط وثيقة مع فرنسا وتدعيم حلف الاطلنطى ، والسعى الى مايسمى « بالمفاوضة لا المجابهة مع الاتحاد السوفيتى » والدعوة « لاحتواء الصين » وخفض الوجود الامريكى فى فيتنام ، والتفاوض لايجاد تسوية بدون توسيع لنطاق العمليات العسكرية . وقد أوضحت المصادر الوثيقة الصلة بنيكسون ، انه سيسعى الى « مبادرات جديدة » تزيد التفاهم مع العالم العربى ، ومن المحتمل أن يشمل ذلك الدعوة الى استئناف العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة . الا أن « اليونايتدبريس » أوضحت انه برغم ان نيكسون ايد برنامج الحزب الجمهورى لبيع المقاتلات النفاثة لاسرائيل ، الا أن انصاره تمكنوا من منع النص على طائرات فانتوم بالتحديد كما أشارت الى انه ليس من المرجح أن يجعل نيكسون من « الصداقة العربية » قضية كبيرة فى حملته الانتخابية ، نظرا لاهمية أصوات اليهود فى الانتخابات ، ومما هو جدير بالذكر أن نيكسون قد ركز على « اننا سنستعيد قوة الولايات المتحدة

حتى تتفاوض من مركز القوة لا من مركز الضعف وسنكون حازمين فى الدفاع عن نظمنا ، بنفس الحزم الذى يدافعون به عن نظمهم » .

والمسألة التى اثارت اهتمام المراقبين السياسيين فى الفترة الاخيرة هى اختيار (سبيرو اجنيو) حاكم ولاية مريلاند نائبا لنيكسون ، فقد اشارت « الصنداى تايمز البريطانية » فى ٨/١١ الماضى الى ان « سبيرو أجنيو » « ليس معروفا تماما على المستوى القومى ، ولايضيف الى تذكرة الانتخاب صفات جديدة كالتفوق فى نواح معينة أو الشباب أو الشهرة ، كذلك فانه لايرقى الى اى من المعايير الاساسية التى وضعها ريتشارد نيكسون لاختيار المرشح لمنصب نائب الرئيس . وخاصة المعيار الذى يفرض على مثل هذا المرشح أن تكون لديه مؤهلات الرياسة » ومما له دلالة فيما يتعلق ((بسبيرو اجنيو)) انه اعلن فى الفترة الاخيرة « انه يجب اطلاق الرصاص على من يقومون بأعمال النهب بمجرد رؤيتهم » خوفا من تجدد الاضطرابات العنصرية . ولكن المشكلة فيما يتعلق بسبيرو أجنيو هو أن نيكسون يعتقد أن الاتجاه السياسى العام فى الولايات المتحدة يجنح نحو اليمين ، وهذا يعنى أن نسبة الاصوات التى ستحقق له الفوز ، يجب أن تعتمد على اليمين ، وخاصة على اصوات المناصرين لجورج والاس حاكم الاباما الديمقراطى اليمينى . فاذا كان تعيين سبيرو أجنيو نائبا له ، قد قوبل بارتياح ملحوظ من جانب الوفود الجنوبية ، فان هذا التعيين يمكن أن يفيد فى اقامة جسر يؤدى لكسب اصوات المناصرين لجورج والاس الذى من المؤكد — فى نظر كثير من المراقبين — انه سيفوز باصوات الولايات الجنوبية القديمة .

وبهذا الصدد اشارت « الموند » الفرنسية فى ٨/٩ الماضى اشارة لها مغزاها موضحة « ان عمليات قياس الرأى العام قد دلت على أن كلا من نيكسون وهمفرى سيحصل على نسبة ٤٠٪ من الاصوات الا أن هناك رجلا آخر لم تكن الاحصائيات تعطيه أكثر من ٨٪ من الاصوات وهو **جورج والاس** مرشح الجنوب الذى قفزت نسبته الان الى ١٦٪ » ويشير عديد من المراقبين الى أن والاس يعلم انه لايمكن أن ينتخب رئيسا « ولكن هدفه الحقيقى هو أن يضمن التوازن» بيد أن احدا لم يحدد فى صف من سيقف . كذلك اشارت «الموند» الفرنسية أخيرا الى انه فيما يختص بالشرق الاوسط ، فلن يحدث نيكسون أى تغيير بالنسبة لسياسة جونسون ،وذلك بالنظر الى برنامج الحزب الجمهورى الذى ينص على تقديم المساعدة اللازمة للاسرائيليين ، وبخاصة فى مجال الطائرات المقاتلة التى تزيد سرعتها عن سرعة الصوت ، كذلك الاشارة الى انه لن يحدث تعديل فيما يتعلق بالمفاوضات الدائمة مع موسكو حتى بعد زيارة نيكسون المتوقعة لموسكو ، و « ان مايبدو فى نظر أوروبا حزبان امريكيان ليس فى حقيقته سوى اتجاهين لحزب واحد هو الحزب الامريكى » .

الا أن المسألة التى اكدها عديد من المراقبين السياسيين فى أن نيكسون يعتمد فى استراتيجيته الانتخابية ، على كسب أصوات الولايات الجنوبية وايضا اصوات الجمهوريين التقليديين ، غير أن عددا من الجمعيات الجمهورية قد اشارت الى ان الاستراتيجية الجنوبية قد عادت على الحزب الجمهورى بكارثة تحت زعامة جولد ووتر فى عام ١٩٦٤ . ولكن أغلب المراقبين يميلون الى تأكيد حقيقة أن نيكسون ليس هو جولد ووتر المتطرف، فهو لايقف ضد الضمان الاجتماعى ، ولايبدو فى صورة «تجار الحروب» ، ومن ثم فان الاستراتيجية الجنوبية لابد وأن تؤتى ثمارها لصالح نيكسون حسبما يعتقدون . ذلك انه بعد ان كان الجنوب وقفا على الديمقراطيين لمدة ١٠٠ عام بعد الحرب الاهلية ، الا أن هذا الوضع لم يستمر ، واصبح الجمهوريون الجنوبيون يجلسون فى الكونجرس الامريكى وفى المجالس النيابية والتشريعية بالولايات . وهم يمثلون اكبر كتلة اقليمية فى المؤتمر حيث يشكلون ٣٥٦ مندوبا من مجموع ١٣٣٣ ، ومعظمهم سيقترعون لصالح نيكسون » . كذلك أوضحت « التايمز » البريطانية أن « من المنتظر أن تسيطر كتلة الجمهوريين المحافظين من الولايات الجنوبية فى مجلس النواب ، على الدورة الواحدة والتسعين للكونجرس ، ولسوف تطأ النعال أى برنامج يقدمه رئيس جمهورية ليبرالى ، وتقذف به الى سلة المهملات » . وعلى أية حال ، فالامر المؤكد أن قرار اللجنة القومية بالذهاب الى الجنوب اجراء سياسى له دلالته الرمزية، وليس من الصدفة بمكان ، أن يكون المؤتمر الجمهورى لهذا العام ، هو اول مؤتمر قومى يعقد فى الجنوب .

■

أزمة الصلب فى أمريكا من جديد

لقد حفلت انباء الاسابيع الاولى من اغسطس بوقائع المناوشة السريعة بين حكومة جونسون من جانب وشركات الصلب الامريكية من جانب آخر .

فبعد خمس سنوات من الازمة الشهيرة التي قامت بين هذه الشركات والرئيس الراحل جـون كيندى حول رفع اسعار الصلب عادت الشركات من جديد لتستغل الضعف البادى لحكومةجونسون وتقرر رفع أسعار منتجات الصلب بحجةالزيادة فى أسعار التكلفة ، ولقد نفذت شركتا «بيت لحم» و «ريبلك» ثم شركة «بوارس ستيل» وخمس شركات اخرى من الشركات العشر الكبرى المنتجة للصلب رفع أسعار منتجاتها بالفعل بنسبةتتراوح مابين ٤٪ ، ٧٪ ، ولم يمتنع عن رفع الاسعار الا شركتا «ماكلوث» و «كايزر» .

وازمات شركات الصلب ومعاركها تدور فى الاساس حول من يتحمل نفقـــات التجهيزات الاليكترونية الحديثة فى صناعة الصلب . فمنذ حوالى عشر سنوات فقط كان يتم صهر الصـلب فى الولايات المتحدة ، كما فى غيرها فى فرن المحجرة المفتوح . وفى هذا الفرن كان يتم صهر ٢٠٠ طن من الصلب فى زمن يتراوح بين ٨ ــ ١٠ ساعات . ثم جاء فرن الاكسجين القاعدى فأمكن صهر مابين ٣٠٠ ــ ٤٠٠ طن من الصلب فى أقل من ساعة، ولكن سرعان ماابتكرت عملية سباكة الصـلب المستمرة التى الغت تماما عمليات وسيطة فى صناعة الصلب ورفعت الانتاجية بشكل ضخم ، ثم توج الامر باستخدام وسائل التحــكم الآلى والحاسبات الاليكترونية فى تسيير هذه العملية ..

ولقد أدت هذه التطورات التكنولوجية الهائلة والسريعة جدا الى زيادة ضخمة فى ارباح شركات الصلب الامريكية خاصة بعد أنفتحت لهاالسياسة الامريكية («منجم حرب فيتنام») وان كانت هـذه التطورات قد استدعت ــ فى نفس الوقت ــصرف نفقات ضخمة فى التجهيـزات الاليكترونية ، الامر الذى رفع من رأس المال الثابت كثيرا فىصناعات الصلب . وتستغل شركات الصلب هذه الحقيقة الاخيرة المبتورة ــ اى زيادة التكلفة ــ متجاهلة الارباح الضخمة التى تحققها للتقـــدم بطلبات جنونية .

لقد حاولت فى البداية وتحت شـعار «حق الادارة» تعويض هذه التكاليفعنطريق الاستغناء عن العمال بالجملة او نقلهم الى أعمال وفئات أجور دنيا . الا أن اتحاد نقابات عمال الصـلب واجه الشركات بمطلب «العمل ٣٠ سـاعة فى الاسبوع دون أى تخفيض فى الاجر الكلى» والذى يعتبره الاتحاد مجرد اجراء جزئى لضمان عدم استئثار الرأسمالية بنتائج التطوراتالتكنولوجية .

وعندئذ تحولت الشركات الى استنزاف دافع الضرائب الامريكى بمحاولة جعل الدولة الامريكية تتحمل هى هذه التكاليف . ولكن أوضاع الاقتصاد الامريكى والميزانية الامريكية المتأزمة لم يكن فى مقدورها أن تتحمل أعباء جديدة من هذا النوع .

ولذا وعلى الرغم من ضعف حكومة جونسون بالفعل ، فانها ــ خوفا من مواجهة أزمةاقتصادية عنيفة جديدة ــ سارعت بتاريخ ٤ اغسطس الى اصدار قرار بتحويل جميع عقود المصالحالحكومية لشراء الصلب من الشركات التى رفعت أسعارها الى الشركات التى احتفظت بالاسعار السابقة بعد أن كان جونسون فى قرار سابق قد خول وزيـر الدفاع سلطة سحب عقودالصلب الخاصةبأسلحة القوات الامريكية من الشركات التى رفعت أسعار الصلب .

لقد توالت تلميحـات المسئولين الامريكيين ــ رغم انكار البيت الابيض ــ عن اضطرارالحكومة (اذا لم تتراجع الشركات) اما الى الاستيلاء على صناعة الصلب او الى فرض قيود مباشرة على الاجور والاسعار فى البلاد وذلك لاجبار الشركات على العودة الى الاسعار الاصلية .

وازاء التهديد بضياع «منجم العقود الحكومية» من تحت ايدى هذه الشركات لم يكن امامها الا التراجع ، وبالفعل أعلنت شركتى ريببلك وارامكو التى تبيع ما قيمته ١٠٠ مليون دولار لوزارة الدفاع سنويا ، أعلنتا عن تراجعهما عن زيادة الاسعار.

وهكذا تطورت المشكلة من جـديد لتبحـث احتكارات الصـلب فى امريكا فى مناسـبة اخرى او وسيلة اخرى لتحمل الشعب الامريكى ، وغيره من الشعوب التى تستورد الصلب ، تكاليفالتكنيك الاليكترونى الحديث الذى يدرعليها أضخمالارباح.



● جونسون ●

■ ادب – ثقافة – فن

.. وغاب وجهان للشعر والنقد

لولا «جبل لبنان» الذي هرع اليه الطبيب عبد الله الخوري بابنه الصغير هربا من عيون الامبراطورية العثمانية ، لكان من الممكن ان يتغير تاريخ هذا الفتى العربي الذي فزع من التجنيد الاجباري في جيوش أجنبية فاختفى بتلك المنطقة الجبلية التي تمتعت بما يشبه الاستقلال، ليعيش لنا بعدئذ شاعر من اكبر شعراء العربية المعاصرين هو «**الاخطل الصغير**» كما يعرفه قراؤه ، أو **بشارة الخوري** كما تقول شهادة الميلاد التي تضيف أنه استقبل الحياة في بيروت عام ١٨٩٠ .

ويحتل اسم بشارة الخوري مكانا بارزا في شعرنا المعاصر ، لعديد من الاسباب أهمها : انه استطاع أن يضفي على الشعري العربي في عموده التقليدي رونقا وبهاء قلما يتوافران لابناء هذا الجيل المجوز الذي اقتحم الحياة الادبية مع البدايات الاولى لهذا القرن . فلقد تمكن الاخطل الصغير من أن ينحت لنفسه طريقا خاصا في التعبير الشعري كان من الصعب أن يشقه آخرون نشأوا على محاكاة القديم والتعصب له . على أن بشاره الخوري لم يتمرد على الاسلاف ، بل «احتواهم» كما تقول اللغة الحديثة فتعنى بذلك الاستيعاب والتمثل والتجاوز . وقد أدرك «شاعر العرب» كما دعاه البعض في وقت مبكر انه يعيش في عصر مختلف كل الاختلاف عن العصر الذي عاش فيه المتنبي وابن الرومي وبشار بن برد وعمر بن أبي ربيعة ، ولكنه أدرك في نفس الوقت أن المعاصرة الحقيقية للحياة هي استنبات الورود الجديدة من البذور القديمة ، بشرط أن نسقى الجذور الغائرة في الاعماق ماء الحياة المتدفق من حولنا . وقد احس بشارة الخوري انه أقرب في سليقته الفنية من **غزليات عمر بن أبي ربيعة** فتأثر بها تأثرا بالغا من اليسير أن نشم رائحته في «**الهوى والشباب**» و «**شعر الاخطل الصغير**» وهما الديوانان اللذان خرجا الى النور في حياته التي انطفأت جذوتها هذا الشهر .

أخذ عن عمر بن أبي ربيعة هذا الولع بالحياة وصباباتها ، وهذا الغرام النهم بطيبات العيش فيها ، فنجد أن المرأة هي محور أعماله كلها من غنائيات الى محاولات في القصة الشعرية .. بل هو حين يبدع شعرا وطنيا يستفز فيه النخوة العربية حتى لاترضى على الضيم ، فانما يبدعه في اطار العاطفة المشبوبة، وكأنه يخاطب امرأة فاتنة جمالها وخائنة مراوغتها في امور الحب والوصال .

وقد دعم لديه هذا «الضعف الفطري» كما يسمى هيامه بالمرأة، تلك الثقافة الفرنسية التي نالها في طفولته وصباه ، اذ كان الطابع الرومانسي هو السمة الغالبة على مايقرأ من انتاج الادباء الفرنسيين وفي مقدمتهم الشاعر **الفريد دي موسيه** ولاريب أن توافق غزليات ابن ابي ربيعة على وجه الخصوص مع الرومانتيكية الفرنسية قد ساهم في ميلاد هذه النظرة الوجدانية للحياة ، ولكن لاريب ايضا أن الحياة المحيطة به كانت هي المصدر الاول لهذه الانعطافة من جانبه نحو «ربيع الحياة» . ذلك ان اعلان الدستور عام ١٩٠٨ والتحرر النسبي الذي حصل عليه «الكائن البشري» في بلاده قد أفسح «للامل» أن يتصدر مشاهد الطبيعة من حوله ، فأصبح يسمع التغريد بدلا من النواح ، ويرى الربيع بدلا من الخريف والحياة بدلا من الموت . وبالرغم من **خيبة الامل** الدامية التي مني بها جيله ابان الحرب الاولي ، الا أن الانطباعة الوجدانية الاولي للحرية لم تفارق ذهنه ولاخياله، بل أمست جزءا لاينفصل عن طبيعته حتى في أحلك الظروف سوادا .

وساهمت الصحافة التي عمل بها حينا من الزمن في بلورة وعيه الاجتماعي بمصائب شعبه فالتفت الى أحزان الامة العربية وآلامها في الكثير من شعره ، ولكن المساهمة الكبرى للعمل الصحفي في حياته الفنية هي أنها أكسبت أسلوبه هذا الطابع البرقي في سرعته ، والرقيق في عذوبته . وكان على صلة وثيقة خلال اشتغاله بالصحافة ، بأساطين الشعر العربي من امثال احمد شوقي ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي . أما خليل مطران فكان أحد أقرانه أثناء الدراسة . وقد دخل جنبا الى جنب هذا الجيل بأكمله في صراع مع الجيل الادبي الحديث نسبيا واختار في الحلبة مكانا وسطا لايجحد القدامى حقهم ولايحرم الشباب دورهم في تجديد الوان الحياة والحانها . وكان في الملمات يتجه فورا الى الاجيال الشابة أن تنهض بمسئوليتها التاريخية قائلا :

لاتضنى على الحراب وان
آذتك بالعطري رؤوس الحراب
املئيها شذا كما يملأ
الورد يد الجارحيه بالاطياب

والشعر عند بشاره الخوري هو الذي يمنح الحب خلوده وليس العكس ، لان الشاعر وحده فيما يعتقد هو الذي يعكس ذات نفسه على الحب فيعطيه هذا الوهج الذي يخطف بريقه الابصار . يقول موضحا هذا المعنى :

ماالحسن لولا الشعر الا زهرة
يلهو بها في لحظتين النظر

لكنها ان ادركتها رقة
من شاعر او دمعة تنحدر
سالت دماء الخلد فى أوراقها
ونام تحت قدميها القدر

وبنفس النظرة الرومانتيكية رأى الفقر والفقراء ، تصيبه ظاهرة البؤس بالحيرة والحنان ، الحيرة من امرها والحنان على اولئك التعساء :

من ترى يشرح لى ذنب الفقير
أو ترى يظهر لى فضل الغنى
يرثان البؤس والعيش النضير
ويقيمان كذا فى السكن
افهذه حكمة الله القدير ؟
لا .. وجل الله عن ذى الغبن !

يقول الشاعر العربى الكبير الياس ابو شبكه فى تقييم آثار الاخطل الصغير بشارة الخورى الذى استعار اسمه الفنى من الاخطل القديم تأكيدا لصلته بالتراث «ان بشارة لم يخرج على الطريقة الموروثة البالية فى الشعر ، وانه اتكأ على الفريد دى موسيه من غير توفيق وغزا لامرتين ولم ينجح فى السرد ، وانه نسى فى بعض المواضع انه يكتب شعرا لاخبرا محليا » .. والجزء الاول من هذه الكلمات يشير الى موقف بشارة الخورى من قضية التجديد ، بينما يشير الجزء الثانى منها الى تلك الحلقات المنبرية التى كان يحضرها الاخطل الصغير مع غيره من الشعراء ليلقى فيها شعره تحية الى ذكرى أو احتفالا باحدى المناسبات الوطنية . كان يذهب الى تلك الندوات ليصرخ ذات مرة :

يا امة غدت الذئاب تسوسها
غرقت سفينتها
غرقت فليس هناك غير حطائم

وعن فلسطين ينشد :

يافلسطين التى كدنا لما
كابدته من أسى ننسى اسانا
انا فى شمال الحب قلب خافق
وعلى يمين الحق طير تساد

فاذا سقط الشباب اللبنانى صريعا لرصاصات جنود الانتداب عام ١٩٣٦ توجع قلب الشاعر وهو ينزف :

مادماء تلك بل أوسمة
لثمتها شفة منا وعين
انصفوهم انهم من امة
زانت الدنيا بعدل العمرين
ورثوا باس على فى الوغى
ورموا البطل بايمان الحسين

وانتهت آخر الشهر الماضى رحلة الاخطل الصغير بين الهوى والشباب ، فغاب وجهه مضىء للشعر العربى ما أحوج الظلمات التى تغيم على الامة العربية الان الى خيوط من نوره ..



● بشارة الخورى ●

وفى نفس الوقت غاب عن القاهرة وجه من انصع وجوه النقد العربى الحديث هو الدكتور **محمد غنيمى هلال** الذى فقدناه وهو لايزال فى قمة تفتحه الفكرى وسخائه فى تقديم ثمرات الادب المعاصر ..

ولقد كان غنيمى هلال أستاذا فى النقد والادب المقارن بكلية دار العلوم ، فجامعة الازهر ، واخيرا جامعة الخرطوم ، ولكنه لم يكن فى يوم من الايام مجرد استاذ جامعى تنحصر جهوده الخاصة فى تلاميذه المباشرين .. فبالرغم من جلال هذه المهمة التى تخرج الاجيال بعد الاجيال من المربين والعلماء والمتأدبين ، ومشقتها التى تحتاج الى تفرغ كامل ، فان **غنيمى هلال** لم يدخر وسعا فى أن تشتمل دائرة تلاميذه على مختلف طلاب الثقافة من خارج جدران الجامعة . لذلك عرفته المجلات الادبية فى مصر ولبنان كصاحب قلم من انشطها واكثرها شبابا ، يتابع الانتاج الجديد بعقل واسع الافق ، وقلب يقطر اخلاصا ومحبة .. فكان واحدا من اندر نقادنا الذين واكبوا حركة الشعر الجديد مدافعا عن الفلسفة الكامنة وراء هذا الشعر ناقدا النماذج الرديئة الدخيلة عليه . واتبع فى ذلك منهجا اكاديميا مرنا يستخلص السمات العامة لحركات التجديد فى الاداب الانسانية عامة ، ويبلور الخصائص القومية لكل ادب على حدة .. تساعده فى ذلك ثقافة جادة موسوعية وخبرة سنوات العمر فى دراسة الادب المقارن .

وربما كانت دراسته للادب المقارن تأتى فى مقدمة انجازاته الادبية التى لاتعتمد على النقل الالى عن

كتب الغرب ، وانما تقدم مساهمة علمية ذات وزن فيما شارك به من تطبيقات فى **((ليلي والمجنون))** و **((الحياة العاطفية))** فضلا عن كتابه النظرى الذى طبع عدة مرات **((الادب المقارن))** . ويتبع الدكتور هلال أحدث المناهج العلمية فى أوروبا حيث نشأ هذا العلم وتطور ، وهو حين يضيف جديدا الى هذه المناهج من خلال التطبيق ، فانما يضيفه بفضل هذه المناهج نفسها كما يقول ويوحى منها كما يعتقد . والركيزة الاساسية فى أبحاث الدكتور هلال حول الادب المقارن ، ان الجوهر الانسانى المبدع للادب هو جوهر واحد تشترك فيه جميع الشعوب والاجناس ، وليس هناك مايؤكد تفوق شعب من الشعوب او جنس من الاجناس تفوقا يتصل بهذه الناحية الابتكارية الخالقة للجمال . على ان التطور التاريخى للمجتمعات لايمضى فى خط منتظم ، ومن هنا تختلف مسارات الاداب المختلفة عن بعضها البعض باختلاف المسار الحضارى . ولكنه بالقطع — يقول الدكتور غنيمى — ليس اختلافا جوهريا أصيلا ، وانما هو اختلاف عرضى وطارىء ».

ويعد كتابه **((المدخل الى النقد الادبى الحديث))** فى مقدمة المراجع العربية فى هذا الموضوع الذى يؤرخ لنظرية النقد من اليونان الى العصر الحديث . لايغفل فيه اتجاها ثانويا أو مدرسة فرعية ولايميل نحو التعميم . وانما هو قد اختط لنفسه منذ البداية منهجا شاقا فى التصنيف والفرز والتبويب حتى لايخرج البحث عن الحدود الاكاديمية . ولكن مابين هذه الحدود جاءت استيفاء موضوعيا أمينا لقضية الادب والنقد على السواء منذ اقدم العصور الى الآن . وكعادته دائما ، ألم فى نهاية الكتاب لتاريخ النقد العربى القديم محاولا ان يجمع شعث الافكار المتفرقة والنظرات المشتتة ».

ولقد يأخذ البعض على الكتاب أنه خلا من فلسفة الفن وهو فى نظرية النقد ، وكان لابد لمن يؤرخ أن يفلسف .. غير أن هذا القول مردود بأن المنهج الذى اختاره محمد غنيمى هلال هو النقد الوضعى للنصوص ، اى ذلك النقد اللصيق اشد الملاصقة للادب والبعيد خطوة أو خطوتين عن الفلسفة .. فهو النقد القائم على الصلة المباشرة بينه وبين المنقود دون وسيط «نظرى» بينهما ». وربما كان كتابه الاخر عن «الرومانتيكية» هو أوضح بيان لهذا المنهج . فان الثقافة الفرنسية التى حصل عليها فى السوربون أولا وبين جدران مكتبته ثانيا انحازت بمنهجه نحو الرؤية الرومانسية للادب والفن .. بالرغم من كل اجتهاداته «الموضوعية» فى الشعر والنثر أن ينزع بهما نحو الواقعية ».

وان كان هذا النزوع الذى يتضح بجلاء فى ترجماته وفى مقدمتها كتاب **((ماالادب))** لسارتر ، وتعليقاته الجادة المستأنية عليه يؤكد ان طورا جديدا لهذا القلم الحى المتدفق كان ينتظر صاحبه ، طورا نستطيع أن نلمسه فيما تركه لنا من كتابات متناثرة لم تجمع الى الان . ولعل هذه المرحلة الجديدة التى أطلت بعينيها مؤخرا فى كتاباته هى التى آذنت بصراع مرير بينه وبين الجبهة المحافظة .. سواء حين حرمته جائزة الدولة التشجيعية فى النقد ، أو حين حرمته من درجة الاستاذية فى الجامعة .. فما كان منه الا أن ودع حياتنا كلها تاركا لنا مثالا رائعا ، أكبر من كل درجة وجائزة ».

■■■

■ **رسالة من صوفيا**

حصاد الأيام العشرة لمهرجان الشباب العالمى

شارك رفعت السعيد فى مهرجان الشباب العالمى التاسع بصوفيا عضوا فى بعثة ج.ع.م .
وهو يقدم تقريرا عن المهرجان والجهود التى بذلت فيه والاتجاهات السياسية التى تحركت داخله .
وتنشر الطليعة مع هذا التقرير ثلاث وثائق سياسية هامة عن المهرجان هى :

- **رسالة الرئيس جمال عبد الناصر الى المشتركين فى المهرجان .**
- **القرار الصادر عن الاجتماع العالمى للتضامن مع الشعوب العربية .**
- **البيان النهائى الصادر عن المهرجان .**

ازدحمت صوفيا الصغيرة الجميلة بالناس من كل انحاء العالم ، شباب من كل البلاد اتوا ليشاركوا فى المهرجان العالمى للشباب والطلبة ، شباب من مختلف الاجناس والالوان ، من كل المعتقدات الدينية والسياسية تجمعوا فى صوفيا تحت شعار واحد .. السلام .. والصداقة والتضامن .

٢٠ الف شاب و ١٠ آلاف ضيف وصحفى

ومصور ، أى ثلاثون الفا احتشدوا فى صوفيا الصغيرة ذات المليون ساكن .

وبقدر ماكانت صوفيا مزدحمة بقدر ماكانت سعيدة وكريمة وفخورة بما حققت . فقد جندت بلغاريا كل امكانياتها ، حشدت كل قواها ، كل مقدرتها على التنظيم لتكفل لهذا العدد الهائل من الضيوف القدرة على المشاركة الفعالة فى اعمال المهرجان المتعددالنشاطات من سياسيةالى علمية الى فنية الى رياضية .

وقد اجتازت بلغاريا هذا العمل الشاق محققة نجاحا رائعا .

والحقيقة ان ايام المهرجان كانت فرصة لكل شباب العالم كي يلتقي ليتبادل وجهات النظر وليعبر عن آرائه المختلفة ، وكان النقاش يدور حارا وجادا فى كل شارع وفى كل ركن من اركان الحدائق الجميلة الممتدة عبر صوفيا كلها .

وبالرغم من كل التناقضات ، وبالرغم من الخلافات المذهبية الحادة التى يتحتم عليها ان تنشأ بين هذا العدد الهائل من الشباب القادمين من كل انحاء العالم والذين يمثلوا ١٢٦ دولة ومنظمة عالمية والذين ينتمون الى معظم الاحزاب والتجمعات والمنظمات السياسية والاجتماعية فى العالم .. شيوعيون وكاثوليك وبوذيون واشتراكيون متطرفون وجماعات اليسار الجديد بكل اتجاهاته ،ويشتعل النقاش حادا جدا وعنيفا جدا فى كل ارجاء صوفيا الوديعة دون أن يحدث ما يخل بنظام المهرجان .

حادث واحد فقط . . اضطرت السلطات البلغارية فيه للتدخل .. عندما وصلت الى حدود بلغاريا مجموعة من الشباب التشيكى من حوالى ٣٠ شابا وفتاة شعورهم وذقونهم طويلة جدا ، وملابسهم قذرة وممزقة .. يسيرون حفاه وطلبوا العبور ليشاركوا فى المهرجان معلنين انهم يكونون وفدا مستقلا غير الوفد التشيكى الرسمى .. وبعد مناقشات اعلنت السلطات البلغارية « نظفوا ملابسكم ووجوهكم اولا حتى يسمح لكم بالمشاركة فى المهرجان .. » ، واحتج الشباب بان هذه هى حريتهم الشخصية . . لكن السلطات البلغارية صممت على ان يظل المهرجان محتفظا بصبغته الجادة .

غير انها حادثة عارضة لم تؤثر فى المهرجان ولم يشعر بها الكثيرون .

والحقيقة انالمهرجان كان فرصة هامةللتعرف على الاجابة الصحيحة للسؤال الصعب الذى يطرح نفسه دائما هذه الايام .. وهو كيف يفكر شباب العالم .

ومن خلال المناقشات واللقاءات والخلافات ، بدأ كل وفد يقدم افكاره وتجاربه .

لكن الظاهرة الاساسية التى برزت خلال المناقشات هى ان الشباب بشكل عام يتجه الان يسارا بل ويزداد اتجاهه يسارا يوما بعد يوم . كما انه قد اتضح ايضا انه بقدر الاتساع الهائل لقاعدة الفكر الاشتراكى وسط الشباب بقدر الخلافاتالتى ظهرت مكونة مجموعات كثيرة جدا ذات اتجاهات متعددة .

كانت صورة لينين معلقة على غالبية الصدور لكن ما بعد لينين يثير خلافات جذرية تضطرب فيها صور عديدة اخرى ماو .. جيفارا .. ماركوس . .ريجيس دوبريه . . كاسترو وغيرهم .

وحتى فى قارة واحدة مثل امريكا اللاتينية كانت الخلافات بين جماعات اليسار شاب برازيلى فى الحادية والعشرين من عمره يقول فى بساطة « الاتحاد السوفيتى سياسته خاطئة لكن ماو مخطىء ايضا ، وكاسترو كذلك ليس على صواب ، ان لنا فكرنا الخاص بنا اننا ثوار ماركسيون من نوع جديد » .

وشاب من بوليفيا يؤكد « ان تجربة بلادنا توضح انه لا سبيل للثورة الا بالكفاح الثورى المسلح ، من المستبعد ان يحقق العمل الديمقراطى اى مكسب للجماهير ، نحن لا نثق فى الديمقراطية البرجوازية ولن ندع الجماهير تثق فيها » .

لكن شابا آخر من جواتيمالا يقول « المسألة ليست مسألة اختيار بين الديمقراطيةالبرجوازية وبين الكفاح المسلح . اننا مجبرون على سلوك طريق الكفاح المسلح .. ان عصابات « اليد البيضاء » الحكومية تقتل المناضلين وزوجاتهم واطفالهم وتحرق منازلهم ... ، ٢٣ شخصا من قادتنا قبض عليهم البوليس والقى بهم فى البحر دون اى تحقيق . . لقد غرقت الديمقراطية البرجوازية فى الوحل وليس امامنا سوى ان نحمل السلاح وننطلق الى الجبال » .

لكن افكارا كهذه لم تكن لتستطيع ان تقنع يساريى اوربا الذين يركزون آمالهم على الكفاح الديمقراطى البرلمانى ، طبقا لمعطيات ظروفهم .

لكن حتى يساريو اوربا كانت افكارهم تموج بالخلاف .. فهناك خلافات واضحة حول تقييم احداث تشيكوسلوفاكيا الاخيرة فاجزاء من اليسار الفرنسى والايطالى تبارك هذه الاحداث باعتبارها نموذج لتحرر المجتمع الاشتراكى من بعض القوالب والقيود التقليدية البالية . بينما وفود اخرى عديدة تعلن رأيا مخالفا بل وتنظر بعين الشك للخطوات التى تتخذ هناك .

وهكذا وبقدر اتساع قاعدة الاشتراكيةالعلمية بين شباب العالم بقدر ماكانت الاتجاهات تختلف وقد تبدو هذه الخلافات خطيرة الى حد ما لكنها من بعض الجوانب تمثل ظاهرة صحية وتعبر عن قدرة الفكر اليسارى على استيعاب كثير من القوى بغض النظر عن اختلاف منطلقاتها وتجاربها وافكارها .

لكن المهرجان لم يكن مجرد سوق عاظ تصطرع فيه الافكار بغير نظام . بل كان في الاساس مهرجانا للعمل . ونظرة سريعة على برنامج المهرجان توضح كيف كانت هذه الايام العشرة مليئة بالعمل الشاق . .

عشرات من الاجتماعات واللقاءات واللجان والندوات كانت تعمل ومئات من التقارير كانت تدرس وتناقش مناقشة جادة .. ولنلق نظرة سريعة على رؤوس الموضوعات فان مجرد استعراضها يكفي لاعطاء صورة عن كمية الجهد الشاق الذي يبذل .

دور الشباب في النضال من اجل السلام والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي ، حقوق الشباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، تضامن شباب العالم ، الاشتراكية والراسمالية ، الفرد والمجتمع ، الشباب والسياسة ، الامن الاوربي ، نضال الشباب ضد الاستعمار الجديد ، نضال الشباب ضد التفرقة العنصرية ، نضال الشباب ضد المشاكل الاجتماعية (الجوع ، الجهل ، البطالة) ، دور الاصلاح الزراعي في الاقتصاد القومي واثره على شباب الريف والمدينة ، العلم في خدمة السلام مشكلة الشرق الاوسط الناجمة عن العدوان الاسرائيلي ، ماذا يجب ان يقدم المستقبل للانسان .

وكل واحد من هذه الموضوعات اعدت من اجله سلسلة من التقارير ثم عقدت لجنة لمناقشتها وتبادل الرأى حولها واصدار التوصيات اللازمة .

ولم يقتصر الامر على هذه اللجان الرئيسية فثمة اجتماعات اخرى نوعية للحقوقيين الشبان ، الكتاب الشبان ، الصحفيين الشبان ، المتدينين الشبان والبرلمانيين المدرسين والنقابيين والمسجونين السابقين من اجل حرية اوطانهم .

وكان للطلبة برنامج عملهم الخاص فثمة لجانا لمناقشة اصلاح التعليم وديمقراطية ، النضال ضد الامبريالية وتدخلها في شئون الجامعات ، دور الجامعات في المجتمع ، ضرورة توحيد التنظيمات ضرورة متابعة تخليص الحركة الطلابية من العناصر التي انكشف ارتباطها بالمخابرات الامريكية .

وبعد ذلك هناك لقاءات للهواة .. هواة الفيلم والفن والاسبرانتو والتصوير والصيد .. الخ .

ثم برنامج خاص بالاطفال .. يتضمن اجتماع دولي لقادة منظمات الاطفال ، لقاء عالمي للكتاب والرسامين والشعراء الذين يقدمون انتاجهم للاطفال ، مناقشة تربية الاطفال بروح التضامن العالمي والصداقة .. مسابقة لرسوم الاطفال .. معرض لرسوم الاطفال .

وفوق كل ذلك كان هناك يوم خاص للتضامن مع شعب فيتنام ،

ويوم للدفاع عن حقوق الانسان ،

ويوم للنضال من اجل السلام وضد الاسلحة النووية (وقد اختير لذلك يوم ٥ اغسطس وهو ذكرى القاء اول قنبلة ذرية على هيروشيما) .

ويوم لتضامن الشباب مع الشعوب المناضلة من اجل التحرر والاستقلال الوطني والسلم والديمقراطية والتقدم الاجتماعي .. وفي اطار هذا اليوم جرى الاحتفال بيوم التضامن مع الشعوب العربية .

والحقيقة ان ازمة الشرق الاوسط قد استطاعت برغم بعض السلبيات ان تحتل مكانا هاما من اذهان المشتركين في المهرجان .

وقد شاركت كثير من الوفود الصديقة مع الجهود العربية في فضح العدوان الاسرائيلي امام الرأى العام العالمي .. ومنذ بداية المهرجان كان الوفد الهندي يوزع كتيبا باللغة الانجليزية بعنوان « تهديد السلام في الشرق الاوسط » يدين العدوان الاسرائيلي ادانة قوية ويوضح الاهداف التوسعية والعدوانية للصهيونية العالمية .

كما اسهمت ايضا وفود يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي وبولندا وفيتنام وايطاليا وانجلترا وسيلان وغيرها مساهمات ايجابية في هذا الصدد .

يوم التضامن مع الشعوب العربية

وقد حدد برنامج المهرجان يوم ٣١ يوليو كيوم للتضامن مع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والعدوان وتقرر تخصيص جزء رئيسي من هذا اليوم للتعبير عن تضامن شباب العالم مع الشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي .

ومنذ الصباح الباكر كانت شوارع صوفيا تمتلئ بلافتات اعدتها اللجنة التحضيرية للمهرجان تدين العدوان الاسرائيلي وتطالب شعوب العالم بالنضال لتصفية كل آثاره .

وكان اعضاء الوفد المصري قد انطلقوا الى كل مكان ليعلقوا على صدور كل الناس شارات تقول « نحن ضد العدوان الاسرائيلي » وهكذا تأتي الساعة العاشرة صباحا وكل صوفيا ضيوفها وسكانها الاصليون يشاركون بشكل او بآخر في ادانة العدوان الاسرائيلي .

وفي اربعة اماكن مختلفة عقدت اربعة اجتماعات جماهيرية ضخمة ، ازدحمت فيها الوفود باعلامها وتعالت هتافاتها بالفرنسية والايطالية والاسبانية وبكل لغات العالم «ديان .. سفاح» «الصهيونية .. فاشية » « الموت لجونسون ولديان » ،

وفي احد الاجتماعات حضر بعض اعضاء الوفد الاسرائيلي يحملون لافتة تقول « نحن ندين العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية ونطالب بانسحاب القوات المعتدية فورا » .

وفي اجتماع آخر وقفت السيدة « **ايزابيل بلوم** » رئيسة المجلس العالمي للسلام لتقول «انني شاهدة عيان ، لقد زرت بنفسي معسكرات

اللاجئين الفلسطينيين وشاهدنا كيف يعيش هؤلاء الناس حياة لا انسانية ، أنهم يعيشون اقسى انواع الحياة وأشدها عذابا .. »

وبعد ان تحدثت عن الجهود التي يبذلها المجلس العالمي للسلام لتشديد موجة الاستنكار العالمي للعدوان الاسرائيلي قالت :

« ايها الاصدقاء الأحباء ابناء الشعوب العربية، ان كل انصار السلام في العالم معكم من اجل نضالكم العادل ضد العدوان .. أن على القوى الشريفة في العالم ان تعمل موحدة لتؤكد ان النضال الفلسطيني نضال عادل ومشروع وانه جزء من حركة التحرر الوطني العالمية اننا نحذر العالم اجمع بضرورة الوقوف صفا واحدا ضد العدوان الاسرائيلي وتصفيته باسرع ما يمكن والا فان يهودا جددا سوف يأتون الى المناطق المحتلة .. اى ان مهاجرين جددا سوف يأتون ليتخذوا من الارض التى احتلت بعد ٥ يونيو نقطة وثوب جديدة لعدوان جديد » .

ووقف ممثل الوفد الايطالي ليقول « اننا نحن الايطاليين ممثلو الحزب الشيوعي وحزب الوحدة البروليتارية وكل القوى الثورية فى ايطاليا قد اتفقنا على برنامج موحد للنضال ضد الصهيونية والامبريالية » .

« ان قوى الرأى العام العالمي تتبين الان الحقائق وتكتشف ان اسرائيل ليست سوى كيان صهيوني عنصرى فرضه الاستعمار على أرض العرب ، اننا نحن الشيوعيين والاشتراكيين الايطاليين نؤيد النضال البطولي الذى يخوضه العرب مؤكدين ان هذا النضال لابد وأن يحقق النصر الساحق .. لقد قال تشى جيفارا « لا يمكن لاى ثورى أن يجلس على عتبة داره منتظرا ان يرى الاستعمار محمولا على نعشه » .

وفى الاجتماعات الجماهيرية الاربعة التى عقدت فى الصباح تحدث عشرات من المندوبين يمثلون الاتحاد السوفيتى ومنغوليا الشعبية وفيتنام وكوريا الديمقراطية والمجر وفرنسا وبولندا .. وآخرين ..

وفى المساء عقد الاجتماع الكبير للتضامن مع الشعوب العربية فى ميدان الشهداء وهو واحد من أكبر ميادين صوفيا ، حيث احتشدت الوف الجماهير التى تمثل شباب العالم كله .. والتى ملأت الميدان بلافتاتها وأعلامها وهتافاتها واغانيها الشعبية .. وعلى منصة الرئاسة جلست رائدة الفضاء السوفيتية الاولى « **فالنتينا تريشكوفا** » ورائد الفضاء السوفيتى « **اليكسى ليونوف** » وممثلين لاتحاد الشباب الديمقراطى العالمى واتحاد الطلاب العالمى و ج.ع.م وفلسطين وفرنسا والمجر وبلغاريا .

وافتتحت فالنتينا الاجتماع قائلة « اسمحوا لى ان اعبر باسم رواد الفضاء السوفيتية وباسم جميع الشباب السوفيتي .. لكم ولكل الشباب العربى التقدمى ولكل الشعوب العربية الباسلة عن تضامننا الكامل وتأييدنا لكم فى نضالكم متمنين لكم النجاح . ان الشعب السوفيتى وكل البشرية التقدمية يدينون العدوان الاسرائيلى الغادر ، ولسوف يواصل شعبنا تأييده حتى تحققون النصر الكامل ..

وتحدث « **اليكسى ليونوف** » فقال «ان واجبا ملحا يقع علينا جميعا ، يحتم علينا ان نقف معا ، جميعا بلا اى استثناء ضد العدوان الاسرائيلى ، وانا اعلن باسم ٢٣٠ مليون سوفيتى تأييدنا التام والكامل للشعوب العربية المكافحة .. »

وبعد كلمات اخرى عديدة ، يسير الموكب المجيد .. الوف من الشباب من كل انحاء العالم يتقدمهم ابناء صوفيا يحملون المشاعل ليقودوا الموكب العالمى عبر شوارع صوفيا هاتفين بلغات عديدة ولكن فى صوت واحد « ديان .. سفاح » « الصهيونية .. فاشية » .

وفى مكان آخر من صوفيا ، كانت الدعوة للقضية العربية تتخذ صورة اخرى فقد اقام الفنانون المصريون « النشار والرزاز وعبدالمعبود شحاته وقدرية حسين واحمد نبيل وفرغلي عبد الحفيظ وغيرهم معرضا للفنون التشكيلة .. تضمن عددا من اللوحات عن العدوان . وقد افتتح المعرض وزير الثقافة البلغارى والدكتور مفيد شهاب الدين رئيس الوفد المصرى وكان المعرض فرصة كبيرة للدعوة للقضية العربية ولادانة العدوان .. وقد تردد عليه اكثر من ٦٠٠٠ شخص .

كما قام الوفد المصرى بتوزيع ٣٨٠٠٠ كتيب بالانجليزية والفرنسية تفضح العدوان وتوضح سياسة ج.ع.م لحل القضية الفلسطينية .

والحقيقة أن يوم التضامن الشعوب العربية قد حقق نجاحا كبيرا جدا للقضية العربية وقد تمكن الشباب العربى بما بذله من جهد صادق سواء باتصالاتهم بالوفود وبمناقشاتهم الجادة والموضوعية معهم من حشد قوى كبيرة جدا وواسعة جدا للمشاركة فى هذا اليوم ،ومن انتهاز هذه الفرصة ، لشرح القضية العربية وتوضيحها امام شباب العالم اجمع .

وفد ج.ع.م الى المهرجان

بعثت ج.ع.م الى المهرجان بوفد كبير (٣٠٠ عضو) يمثل مختلف أوجه النشاط التى تضمنها برنامج المهرجان .. سياسة ، رياضة ، فنون شعبية ، فنون تشكيلية ، رسوم اطفال .. وغيرها وقد نجح الوفد المصرى ـ بالرغم من بعض السلبيات التى صاحبت تكوينه ـ فى ان يغطى بكفاءة وقدرة كثيرا من العمل المطلوب منه .

وبالرغم من عقبات كثيرة اهمها :

● اننا ترددنا لفترة طويلة فى اتخـاذ قرار الاشتراك فى المهرجان .. وعندما اتخذ القرار كان كثيرا من الوقت الثمين قد مضى بغير اعداد .

● اننا نتيجة للسبب الاول ونتيجة لبعض الاهمال لم نشارك مشـاركة ايجابية فى اعمال اللجنة التحضيرية الدولية للمهرجـان .. الامر الذى عزلنا عنها الى حد كبير والذى لم يمكننا منذ البداية من افساح مجـال اكبر فى برنـامج المهرجان لمناقشة قضية الشرق الاوسط .

● انه نتيجة لضيق فترة الاستعداد ونتيجة لضعف العلاقة باللجنة التحضيرية الدولية كانت كثيرا من الاستعدادات خارج النطاق المطلوب .. ولم تحقق النتائج المرجوة .

● ان نسبة الكوادر السياسية فى الوفد كانت ضئيلة جدا ، وكانت اقل بـكثير من احتياجات العمل ومن ضرورات المشاركة الفعالة فى اعمال المهرجان .

وقد كان من الضرورى ارسال فرقة رضا فقد حققت نجاحا باهرا جدا وكذلك ممثلو القطاعات الفنية الاخرى والرياضيين ، لكن المشكلة ان كثيرا من الهيئات اصرت على ان ترسل ممثلين لها لم يشاركوا فى اى جهد بل لم يـكونوا قادرين على بذل اى جهد مفيد .. وكان سـفرهم بطبيعة الحال على حساب السياسيين الذى لم يسافر منهم سوى ٢٩ شخصا .

وهكذا تثبت مرة اخرى اننا ما زلنا لا نقـدر بعد الاهمية السيـاسية لمثل هـذه المهرجانات والاجتماعات الـدولية وان الـكثيرين لازالـوا يتصورون ان المسألة كلها لاتعدو ان تكون فرصة للسفر للخارج .

وبالرغم من كل ذلك فقد امكن للوفد السياسى المكون من اعضاء منظمة الشـباب والذى انضم اليه ممثل للمجلس القومى للسـلام والصحفيون وممثلو اجهزة الاعلام الذين سافروا مع البعثة وأبوا الا ان يشاركوا فى كل جوانب النشـاط السياسى امكن لهـذه المجموعة ان تبـذل جهدا كبيرا جدا وان تحقق كثيرا من النجاح فى مختلف المجالات . فقد شارك الوفد فى مختلف اللجـان واسهم فى مناقشاتها اسهاما ايجابيا ملوسـا ونجح فى كثير من الاحيان فى قضـية العدوان الاسرائيلى وفى ان يستصدر من هـذه اللجـان توصيات تدين العدوان وتدين الارهاب الاسرائيلى فى الاراضى المحتلة وتطالب بسحب القوات المعتدية على الفور .

وقد قدم د. مفيد شهاب الدين رئيس الوفد تقريرا رئيسيا فى لجنة السياسة الدولية حـول ازمة الشرق الاوسط عالج فيه القضية معالجة موضوعية كسبت احترام وتأييد الوفود .

كما ان الوفد قد نجح فى تنظيم سلسلة مـن اللقاءات الثنائية مع عديد من الوفود (٣٠ وفدا) منها وفود الاتحاد السوفيتى ، فيتنام ، المانيـا الديمقراطية ، الدانمرك ، النرويج ، السـويد ، فرنســا ، ايطاليـا ، انجلتـرا ، المجـر ، بلغاريا ، يوغسلافيا ، فنلندا .. الخ . وقد كانت هذه الاجتماعات فرصة بالغة الاهميـة لتبادل الخبرة ووجهات النظر ولشرح التجربة المصريـة .. وكانت فرصة هامة ايضا اتاحت لشـبابنا الاحتكاك المباشر بكل هذه الخبرات . كما كانت هذه الاجتماعات ـ فى الاساس ـ مجـالا هاما لشرح القضية الفلسطينية ولاقنـاع الرأى العام العالمى بعدالة موقفنا .

وقد نجحت هذه الاجتماعات نجاحا كبيرا الى الحد الذى جعل منها واحدة من ابرز نجاحات وفدنا .

كما عقد رئيس الوفد المصرى مؤتمرا صحفيا تحدث فيه الى ممثلى صحافة العـالم عن ازمة الشرق الاوسـط .. وقد حقق هـذا المؤتمر نجاحا جيدا .

وباختصار فان البعثة المصرية الى مهرجـان صوفيا قد استطاعت ـ بالرغم من كل السلبيات ـ ان تحقق نجاحات كبيرة وأن تكتسب سـواء فى مجالات السياسة او الفن او الرياضة احترام وتقدير الوفود الاخرى ..

لقد كان مهرجان صوفيا مظاهرة دولية ضخمة تعبر عن آمال الجيل الجـديد وآفاق احـلامه وصموده دفاعا عن الحق والعدل والديمقراطية والسلام .. وكم كان رائعا ان يرتفع شبابنا فى هـذه المظاهرة قويا وقادرا على التعبير وقادرا على الاقناع .

رفعت السعيد

نص القرار الصادر عن اجتماع التضـامن مع الشعوب العربية

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، نعلن اسـتنكارنا الشديد للعـدوان الاسرائيلى الذى ارتكب فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، مؤكدين ان هذا العدوان لم يكن سوى حلقة من سلسلة المؤامرات التى تدبرها الامبريالية الامريكية ضد سلام العالم وأمنه ، وضد حركة التحرر الوطنى العالمية .

ان العدوان الاسرائيلى الذى دعمته الامبريالية العالمية ، وخاصة امبريالى الولايات المتحـدة

الامريكية ، كان يستهدف فى الاساس ضد الانظمة التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، على وجه الخصوص ، واعاقة حركة التحرر العربية التقدمية ، وخلق مركزا جديد للتوتر فى هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية .. منطقة الشرق الاوسط ».

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، نطالب بتصفية كل آثار العدوان الاسرائيلى ، ونلح بشكل خاص على ضرورة الانسحاب غير المشروط من الاراضى التى احتلت نتيجة لعدوان ٥ يونيو .

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، نطالب بحل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وندين بشدة موقف الحكومة الاسرائيلية تجاه هذه القضية ، ذات الموقف الذى يتعارض مع قرارات الامم المتحدة .

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، نؤكد ان مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة انسانية وسياسية ، وانها يجب ان تحل ضمانا للسلام والامن والكرامة الانسانية .

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، نعبر عن تضامننا مع شعوب وشباب البلدان العربية فى نضالهم من اجل مزيد من التقدم ، ومن اجل تصفية كل آثار العدوان ».

اننا نحن المشتركين فى هذا الاجتماع ، لنبعث بتحياتنا للقوى الفلسطينية المناضلة ، ونؤيد كفاحها المسلح ضد القوات الاسرائيلية ».

■

رسالة الرئيس عبد الناصر الى المشتركين فى المهرجان

ايها الاخوة ...

تحية السلام والاخاء والمحبة ، انقلها اليكم من شعب الجمهورية العربية المتحدة شبابه وشيوخه واطفاله ونسائه ، الملايين منهم التى ترى فى مؤتمركم واحة من الامل ، الى عالم تضطرب فيه البشرية من المخاوف والتوقعات ، تعيش حياتها كل لحظة منها تاتيها بنبأ عدوان جديد ، وارواح آمنة تزهق ، واسلحة جديدة للدمار تصنع ، وتحركات الاطماع تقوى وتمتد .

ولكن عندما يتطلع المرء الى هذه الجموع من الشباب من مختلف بقاع العالم ، اختلفت الوانهم ولهجاتهم والسنتهم ، ومع ذلك تجمعوا فى هذا المكان بضمير واحد ، وفهم واحد ، وهدف واحد ، يعمهم السلام والتفاهم ، عندما يتطلع المرء الى هذا كله ، لا يمكنه الا ان يطمئن على مستقبل هذا العالم ، وهو يرى طاقة الشباب الحيوية تتجسد فى مثل هذا المؤتمر الرائع ، وتسير فى طريقها الصحيح ، بعيدة عن العبث ، بعيدة عن التدمير ».

ان اجتماعكم فى هذا المؤتمر لحرى بأن يطرد من اذهاننا كل المخاوف ، ويملؤها بالامل المتضاعف ، فى ان جيلكم الثائر النقى ، هو الذى سيحقق السلام فى هذه الارض ».

هو الذى سيرعى الخضرة تترعرع وتزدهر فى اجواء سماء لا يعكرها دخان الرصاص ، ولا يبدد هدوءها طلقات المدافع ، ولا يمزق صفاءها تفجير القنابل ».

انتم ياشباب هذا الجيل امل عالمنا هذا ... انتم امل العدالة وامل السلام بطهارتكم الثورية وثوريتكم النقية تستطيعون ان تفعلوا الكثير ، وتستطيعون ان تبعدوا طريقكم عن الاطماع التى جرفت اجيالا قبلكم ، وجعلت التناحر شعارا لها

وان شعب الجمهورية العربية المتحدة الذى صمد وآلى على نفسه ان يصارع عدوانا يجثم على ارضه ، تدعمه قوى الاستعمار والامبريالية العالمية .. هذا الشعب لا يملك ، وهو يعمل من اجل انتزاع حقه المغتصب ، الا ان يحيى مؤتمركم وان يتمنى له النجاح ليكون شعار جيلكم ، وكل جيل ، هو اقرار السلام القائم على العدل ، والوقوف بصلابة اصيلة ضد كل محاولة لاهدار حق الشعوب فى الحياة الامنة المطمئنة .

ان حركة الشباب اليوم ، حركة بناءة ، وهى فى طبيعتها تتفق وتتوافق مع حركة التحرير فى كل مكان .

من اجل حياة كريمة لكل البشر ».
من اجل السلام لكل البشر ».
من اجل الرفاهية لكل البشر ».

جمال عبد الناصر

البيان الصادر عن المهرجان

اصدر مهرجان الشباب العالمى التاسع المنعقد فى صوفيا ، فى حفل الاختتام باستاد صوفيا ، ليلة ٦ اغسطس البيان التالى :

اننا نحن العشرين الف شباب ، من مندوبى دول العالم فى المهرجان ، وقد اجتمعنا باسم ملايين الشباب من العمال والفلاحين والطلاب ، من جميع التيارات ، ومن مختلف المفاهيم السياسية والفلسفية والدينية .. اجتمعنا فى صوفيا فى اكبر مظاهرة لوحدة القوى المعادية للامبريالية ، فى اطار الحركة العالمية للشباب والطلاب ، وتحت لواء المهرجان العالمى التاسع للتضامن والسلام والصداقة ..

ولقد عبرنا بصدق واخلاص وحماس ، عن وحدة حركة الشباب والطلاب ، ضد العدوان الغاشم الذى يشنه الاستعمار الامريكى فى فيتنام ، ومن اجل مساندة الموقف العادل لجمهورية فيتنام الديمقراطية ، ومن اجل نصرة الشعب الفيتنامى فى نضاله العادل ، من اجل الحرية والاستقلال والسلام .

ولقد عبرنا عن اصرار الشباب والشابات فى العالم اجمع ، على النضال من اجل الحرية والعدالة والسلام .. عبرنا عن اصراره على مضاعفة الجهود ، لدعم المساندة المادية والمعنوية للقضية العادلة للشعب الفيتنامى ، بما فى ذلك التطوع للنضال الى جانبه اذا تطلب الامر ذلك .

ولقد عبرنا ايضا عن وحدة وصمود القوى المناهضة للامبريالية ، والقوى التقدمية والديمقراطية المحبة للسلام ، فى النضال ضد الامبريالية ، وضد العدوان فى مختلف انحاء العالم .

وقد عبرنا ايضا عن تضامننا النضالى ، مع الشعوب العربية ، ضد العدوان الامبريالى الاسرائيلى ، وطالبنا بالانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ، وايدنا نضال شعب فلسطين من اجل حقوقه الشرعية ..

وعبرنا عن تضامننا مع الشعوب الافريقية ، التى تناضل ضد الاستعمار البرتغالى ، وانظمة الحكم العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا ، وعن تأييدنا لكوبا فى نضالها ضد التهديد الامبريالى وتأييدنا لنضال شعب لاوس ضد التدخل الامريكى .

وقد ابرزنا قوة النضال الذى يشنه الشباب ضد النازية الجديدة فى المانيا الاتحادية ، ومن اجل الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية ، وحماية للامن الاوربى .

كذلك عبرنا عن تضامننا مع الشباب الامريكى فى نضاله ضد سياسة حكومته الامبريالية ، وضد العدوان فى فيتنام ، وضد التفرقة العنصرية ، ومن اجل التقدم والديمقراطية .

لقد تبلور فى اجتماع صوفيا ، ذلك الدور العظيم الذى يلعبه الشباب والطلاب فى هذا النضال العارم للشعوب ، والذى تصاعد فى الاونة الاخيرة بصورة رائعة .

لقد تبادلنا اراءنا وتجاربنا وخبراتنا ، حول المشكلات السياسية الكبرى فى عصرنا ..

ولقد ساعدت على تعزيز روابط التضامن النضالى والصداقة بيننا جميعا ، تلك اللقاءات الودية العديدة التى اشتركنا فيها ، ولا سيما لقاءاتنا مع شباب فيتنام ، وشباب بلغاريا ، وشباب البلدان الاشتراكية ، وحركات التحرر الوطنى ، والقوى الديمقراطية فى الدول الرأسمالية .

كما ان مناقشاتنا الثقافية والعلمية ، قد اتاحت لنا فرص اكتشاف وابراز مدى الخصب والثراء الذى تموج به تقاليد وفنون وابداعات مختلف دول العالم ..

ان لقاءاتنا الرياضية قد اسهمت هى الاخرى فى تدعيم روح التضامن والصداقة والسلام .

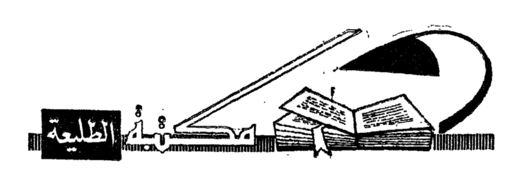
وفى رحاب صوفيا المضيافة ، وبفضل الجهود الرائعة التى قدمها شباب ديمتروف ، وقدمها شعب وحكومة بلغاريا الاشتراكية ، امكن انجاح المهرجان ، واستطعنا ان ننظم اقوى مظاهرة عالمية للشباب والطلاب ، من اجل التضامن والسلام والصداقة ..

يا شباب العالم وطلابه ..

ان نجاح المهرجان قد اظهر مرة اخرى وسيظهر دوما ، قدرة حركة الشباب والطلاب العالمية ، وفعاليتها وحيويتها . ذلك انها تستطيع الان واكثر من اى وقت مضى ، ان تجتذب حولها قوى اكبر عددا ، واكثر عمقا ، واعظم قوة ..

اننا لنناشدكم وكلنا ثقة فى القوة التى تمثلونها ان توحدوا جهودكم وصفوفكم ، وان تعملوا معا من اجل انتصار الشعب الفيتنامى ، ومن اجل الحرية والاستقلال والسلام ، ومن اجل الديمقراطية والتقدم .

عاشت وحدة شباب وطلاب العالم اجمع ، من اجل التضامن والسلام والصداقة ..



■ تشريح جثة الاستعمار
● بقلم : جى دوبوشى
● ترجمة : ادوارد خراط
● عرض وتعليق : طلعت همام

■ من المجلات الفكرية العالمية
● مجلة « الاقتصاد والسياسة » الفرنسية

تشريح جثة الاستعمار

● بقلم : جى دوبوشى
● ترجمة : ادوارد خراط
● عرض وتعليق : طلعت همام

« الحديث عن قضية الاستعمار لا يعنى دائما اتخاذ موقف الرفض من حركة الاستعمار ، او تأييد قضايا التحرر ، بل قد يهدف فى احيان كثيرة الى ضرب الاسس التى تقوم عليها امكانية التحرر ، وذلك بجعل الوقوع فى قبضة الاستعمار قدرا لافكاك منه ، عن طريق ، اعطاء العمل الاستعمارى تبريرا انسانيا وحضاريا » .

وهذا بعض ما يحاوله دوبوشير فى مؤلفه « تشريح جثة الاستعمار » .

فى البداية يحدد دوبوشير الهدف من دراسته بانه : « الكشف عن شخصية الاستعماريين ، عما سبقهم ، عن حوافزهم العميقة ، واسباب ما اجترحوه من اعمال ومن خطط ، وان نضع الشعوب التى وقعت تحت الاستعمار فى موقعها الصحيح فى مواجهة هزيمة ،وهى هزيمة متوقعة، نتيجة لاسباب لا حصر لها ، كما راينا من الاهمية بمكان ، ان نلقى الضوء من خلال المواجهة على نمو العلاقات بين هذين الطرفين ، وعلى التقدم الذى اختطت سبيله هذه التجربة التى لا مثيل لها : تجربة المواجهة بينهما التى تصل الى نهايتها فى التحرر من الاستعمار » .

لكن ماهى دوافع الاستعمار الاوربى ؟ وماهى اساليبه ؟

يجيب المؤلف :

ان البحث عن الذهب بقوة السيف ، وتسترا خلف الصليب ، كان السمة الإساسية لهذه الحركة فى بدايتها .

ففى القرن السادس عشر مثلا ، عندما قرر فرانسوا الاول ، الجالس على العرش الفرنسى ، اقامة مستعمرات فرنسية فى كندا ، اصطدام بالعقبات القانونية الناشئة عن « الاوامر البابوية » ، فقد كان البابا «الاسكندر السادس» قد أصدر اوامره الناصة على اعتبار .. اسبانيا والبرتغال البلدين الوحيدين اللذين من حقهما القيام بعمليات الاستكشاف والتوسع ، لكن

فرانسوا الاول لم يتراجع امام هـذه الاوامر ، وبدا باثارة الشكوك حول (سلامة الاساس الذى يقوم عليه التشريع البابوى فى المسائل الدنيوية ، واجاب على سفير اسبانيا قائلا : ان « للباباوات سلطة قـانونية روحـية ، وان كان لا يدخل فى اختصاصهم ان يوزعوا الارض بين الملوك ، وخاصة ان ملوك فرنسا وغيرهم من الملوك المسيحيين ، لم يدعوا الى الاشتراك فى المشاورة عندما تم التقسيم ، واضاف فرانسوا الاول ساخرا : « ان الشمس تشرق عليه كما تشرق على الاخـرين ، وانه يود كثيرا ان يرى وصية آدم ليعلم كيف قسم العالم بين أولاده » .

وسرعان ما فرض على الصليب ان يتراجـع امام اغراء وقوة السيف ، بل وصـار عليه فيما بعد ان يقدم لهما التبرير المقنع ، لذلك لم تلبث الكنيسة ان قدمت فكرة التبشـير الدينى التى كانت بمثابة اساس ديناميكى يلائم حاجات اوربا المتوسعة . . .

لكن هناك اجابة اخرى اكثر اهمية يقدمهـا دوبوشير فى الجزء النظرى من كتـابه ، **فالمؤلف يحاول فى هذا الجزء : « الاساس والبنيان » ، ان يرجع التفوق الاوروبى الى ميـزات خـاصة تنفرد بها اوروبا فى مقابل نقائص التخلف الكامنة فى كيان شعوب المستعمرات .**

وهو تفسـير يقترب من المنهج الميتافيزيقى ، اذ لا يكاد يختلف عن تفسير حركة الاشـياء ، فى العصور الوسطى ، فى ان لها طبائع تدفعهـا الى هذا الشكل او ذاك من اشكال الحركة .

ولا يمكن لمن ينتهى الى ان التخـلف والوقوع الدائم فى قبضة الاخرين ، هما مصيره الاوحد ، الذى فرض عليه بحكم طبيعته وتكوينه ، ولايمكن له ان يعمل للخلاص من قبضة هـذا المصير .

ففى فقرة مركزة عنوانها « اوروبا الهيلينية » يكتب دوبوشير : (ولدت اوروبا التاريخية من أصلاب اليونان الهيلينية ، وورثت عنهـا ثلاث خصـائص مميزة : الفردية « الملكية الخـاصة ، وارادة التقدم ، ورغبة التوسع ، وبفضل هـذه النزعة استطاعت اوروبا ان تسيطر على سـائر العالم ، وتغلبت الديناميكية الاوروبية فى النهاية على أستاتيكية العالم القديم ، وتولدت الحـاجة الى المنفعة الشخصية من الروح النظرية المغامرة المتطلعة الى المسـتقبل ، اذ وضـعت فى خدمة المصلحة الفردية ، واصبحت المنفعة الشخصية تشكل الحـافز الاقوى من حوافز المشروعـات الاوروبية الرئيسية » .

وهنا نلاحظ ان المؤلف يحاول ان يمد التاريخ الاستعمارى لاوروبا الى اكثر من الفى عام ، وانه يزاوج بين هـذا التاريخ وبين قـدرات الابتكار والمغامرة والخلق .

ان الاستعمار عند دوبوشير (ظاهرة اوروبية) لان الامتياز والنفوق بسـمات اوروبية . فليس العمل الاستعمارى الاوروبى الا نزوة من نزوات : « السوبرمان الاوروبى » ، وليس على الشعوب المقهورة الا ان تتقبل هـذه الدعـاية الثقيلة بلا غضاضة .

ان اوروبا هى القارة الوحيـدة التى افرزت هذا الشكل من اشكال التوسع ، لان هناك تطورا ثنائى الاتجاه فى العـالم ، اذ ان الـديمقراطية اليونانية والعبودية واقطاع العصور الوسـطى ، ونظام القنانة والرأسمالية الحديثة ، والبروليتاريا ، هى جميعا ملامح اوروبية ، ولايمكن عند دوبوشير ان يتسم بها العالم المتخلف منذ القرون السابقة الميلاد !! اذ يرى دوبوشير ان هذا العالم ، قـد شهد شكلا من اشكال الانتاج انعدمت فيه الملكية الخاصـة وارتبط الفرد بالقبيلة والعشـيرة لا الارض ، وحيث اقتضت الضرورة مشاريع عبودية جماهيرية موقوتة انتهت بانتهاء العمل فى هـذه المشاريع ، التى خلقت طبقة من الكتبة والفلكيين والكهنة والمحاسبين والمراقبين الماليين ، وجبـاة الضرائب لم تلبث ان تحولت بالتدريج الى طبقة ذات امتيازات اجتماعية .

ان محاولة « دوبوشير » دحض نظرية التطور الواحدى الاتجاه فى العالم والتوصـل الى نظرية جديدة تلائم نظرته الخاصة الى اوروبا باعتبارها القارة المتفوقة التى انتجت ظاهرة .. الاستعمار ، هذه المحاولة قد قادته الى اهمـال العـديد من الحقـائق التى لم يتوقف حتى لمناقشتهـا :
كتوصل الشرق العربى الى مرحلة الاقتصـاد البضاعى وتحطيمه البنية الاجـتماعية للعـالم الرومانى البيزنطى ، القائمة على نظام القنـانة ، واحتكاره للتجارة العالمية بين آسـيا واوروبا ، ثم تعرضه بعد هذا للنفوذ العسـكرى التركى ، وللحملات الصليبية ، والغزوات المغولية والتترية ، وقيام حكم المماليك ، وانتقال طرق التجارة الى ايدى البرتغاليين ، ثم التعرض لموجات الاستعمار الاوروبى ، كل هذه العوامل بلاشك تثبت الاتجاه الواحدى للتطور فى العالم . وتؤكد أن تعرض بعض المناطق لعوامل عـائقة تغير من مسـيرة التطور المألوفة ، ليس الا مرحلة عابرة فى حركة التاريخ ، مما يثبت ان التطور الثنائى ليس سوى محاولة جديدة لدمغ الشعوب المقهـورة بتخلف ازلى ، يجعل الاستعمار قدرها الوحيد .

أن دوبوشير يحاول «تعريق» حركة الاستعمار الاوروبي ، لذلك نراه يعمل على تحديد اللحظة التاريخية التي وقع فيها انفصال اليونان عن الحضارة الشرقية ، انفصال العالم المتقدم دائما عن العالم الدائم التخلف .. واكتسابه ملامح خاصة جعلت السمة الاولى لاوروبا المستعمرة : هو كونها « هيلينية » .

فعلى انقاض الحضارة « الميسينية » التي تعد آخر اثر للحضارات الشرقية ظهر الهيلينيون.. وبمزيج من تفسير « فرويد » وتحليل «هيجل» للاسطورة والتاريخ ، بالاضافة الى اجتهادات المؤلف الخاصة نراه يقدم ماتم في اللحظة التي يراها « مصيرية » من تاريخ العلاقة بين اوربا الهيلينية وبين ما يسميه « الطغيان الشرقي » ، ان اسطورة « اوديب » في راى المؤلف : « تصور ذلك الحدث على نحو خرافي ، ان ابا الهول ، وهو مصري ، يمثل العقل المستتر او اللاواعي كما يقول هيجل . والسؤال الذي يمتحن به اوديب: « من ذاك الذي يسير على اربع في الصباح وعلى ساقين في الظهيرة وعلى ثلاث في المساء » نقول: ان ابا الهول لم يكن هو نفسه يعرف له جوابا واضحا .. وعندما اجاب اوديب عن السؤال اجابة صحيحة : « هو الانسان » سقط ابو الهول وغرق » .

ويعلق دوبوشير : « ان اليونان » ويجسدها ابو الهول هنا قد اكسبت مصيرها شكلا محددا نهائيا . انها قد روعت الطريق الفذة التي تتخذها، هذه الطريق التي سوف تنحرف بها وتعزلها عن سائر انحاء العالم الذي تمثله مصر هنا » .

ويردف المؤلف : « وبعد ذلك تأتي اسطورتان اخريان جوهريتان فتوضحان مدى التفرد الذي يتصف به المصير الهيليني ، اولاهما : اسطورة « نرسيس » التي تمجد العقيدة الفردية من خلال الوعي بالذات ، وحيث ينظر الانسان الى نفسه ، ويبدو من الوضوح بمكان ان تطور اليونان انما تحكمه الفردية منذ تلك اللحظة : فاليونان تضع الملكية الخاصة في مواجهة الملكية الجماعية ، ولم تعد الملكية ضرورة موقوتة في خدمة الجماعة ، بل تصبح عاملا لا غنى عنه ، ودائما من عوامل الرخاء الفردي ، والاسطورة الثانية : هي اسطورة « بروميثوس » ، الانسان الذي ينتهك اسرار الطبيعة ويستلب النار من السماء لكي ينير بها العالم ، ان هذه الاسطورة تعكس صورة الانسان الصانع ، الانسان المخترع ، ولكنها ايضا تعكس صورة لانسان المغامرة والكشف . وهو الارهاص الاول للمستعمر » .

ويعلق : « ان هذه الاساطير تصور اصول الواقع : (بدايات تاريخ هيلات) ، ولكنها تلقي ضوءا كانه ضوء النبوءة على مستقبل اوروبا التاريخي . ان اليونان مهد .. لانسانية سوف تنمو وتتطور ، منذ تلك اللحظة ، بالتوازي مع الانسانية في سائر انحاء العالم ، ولكنها تتخذ ايقاعا مغايرا » .

ان التآلف بين الفردية والعقل الخلاق سوف يضفي على الانسان الاوروبي خصائصه الاساسية ، وسوف يصبح العقل الخلاق هو الاداة التي لا غنى عنها للتقدم ، وسوف لاينفصل عن التوسع، ولكن التقدم يعني بالضرورة السعي الدائم للوصول بالطرائق التكنيكية الى حد الكمال ، سوف يتحقق التقدم نفسه لصالح الافراد قبل ان يكون لصالح الجماعة ، اذ لن تمثل الجماعة الا مجموعة من الافراد ، ومن هنا يأتي السعي وراء المنفعة الخاصة التي تقع وراء الحوافز الرئيسية في التاريخ الاوروبي، ان المواطن اليوناني أو الروماني ، والسيد الاقطاعي ، والبرجوازي الرأسمالي هم جميعا في المراحل المختلفة من التطور الاقتصادي الاوروبي ، ملاك لوسائل الانتاج . « ص٣٠ و ٣١ » .

والمغالطة تكمن هنا في ان التيار الانساني الذي تمثله اليونان بما يتضمنه من ثقة بقدرات الانسان على مواجهة الطبيعة وكشف لادق اسرارها ، لم يصل الى اوروبا الحديثة وصولا مباشرا عبر العصور ، بل اعترضته هذه الفترة المعتمة التي سادها الاقطاع وشحبت فيها انوار العقل ، لتسيطر الكنيسة بكل ثقلها على حياة الانسان ، ولتفرض عليه بتعاليمها البالغة التعقيد أن يتخلى عن كل طموح عقلي .

فقد عاش الانسان الاوروبي في العصر الاقطاعي ــ الذي انتهى في منتصف القرن السابع عشر ــ فترة كئيبة حقا من تاريخه ، فرضت الكنيسة عليه فيها ان يرى الحياة الدنيا واديا للدموع ، وان يتقبل فكرة انه باع نصف روحه للشيطان ، وان يجعل «الخلاص» بالمعنى الديني هدف حياته الوحيد .. وهكذا استسلم العقل الاوروبي لسفسطات الكهنوت اكثر من خمسة قرون ، وتخاذل أمام مملكة الطبيعة بعد أن كان قد حاول في بواكير حياته ان يواجهها بالفلسفة .

كما ان الانسان اليوناني لم يكن هو الانسان الصانع المبتكر ، اذ ان ملكة الصناعة والقدرة على الابتكار والتطلع الى الكشف لم تولد الا في العصر الصناعي بعد انهيار الاقطاع .

بل ان تخلف اشكال الانتاج ، والاعتماد بشكل شبه كامل على اعمال العبيد ، وانصراف السادة الى حياة التأمل الهامدة ، او ذلك الفصل النهائي بين العمل العقلي والعمل اليدوي كل هذا كان من أخص سمات المجتمع اليوناني .

واعتماددوبوشير على تفسير «هيجل» للتاريخ لا يمكن ان يدعم نظريته الخاصة ، اذ ان تفسير « هيجل » — ككل التفسيرات الذاتية — لا يمكن اعتباره قاعدة للتحليل الموضوعي ، فقد عمل هيجل باعتباره فيلسوفا رسميا للدولة الروسية على ان يجعل النظام السياسي لهذه الدولة يحقق من الحرية للفرد ما عجزت عن تحقيقه اليونان والمجتمعات الشرقية القديمة ، كما عمل بنفس القدر على جعل فلسفته الخاصة قمة وعي « المطلق » بذاته .

ومن أجل هذا اختار هيجل القضايا والنقائض ومركبات القضايا والنقائض بشكل خاص ، لكى يصل الى هذه النتيجة المرصودة سلفا ، وهذا هو الخطأ الذى تقع فيه كل نظرية مجردة تتعالى على الواقع ، وتكتفى بان تفرض عليه نظاما خاصا بالغ الذاتية .

وبالاضافة الى هذا فان محاولة « دوبوشير » طرح تفسيرات شديدة المطاطية والطرافة . . للاساطير لا تؤكد الا اصراره على تخطى الوقائع .

فالاسطورة ليست بناء اثيريا يسقط كل منا عليه ما يشاء من الوان وتفاسير ، بل ان قيمة الاسطورة — كنظام تصورى ابتدعه العقل من أجل تفهم العالم ، كما يلاحظ « روجيه جارودى » انما تستمد من ارتباطها بواقع معين ، ومن تفسير مدلولاتها من خلال هذا الواقع ،اننا ننطلق من الواقع الى الاسطورة، لا من الاسطورة الى الواقع .

وهكذا يتكشف للقارىء تخاذل الادعاء الذى يذهب اليه « دوبوشير » ، والقائل بان الانسان الاوروبى هو متفوق بالضرورة ، ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد .

. . وتطفو من جديد ، الحقيقة المجردة القائلة بان تطور اساليب الانتاج فى اوروبا وتوسع الاسواق ثم ظهور فائض الانتاج والحاجات الاقتصادية الجديدة كانت هى الحوافز الرئيسية الدافعة لحركة الاستعمار ، وان هذا لم يحدث الا فى غضون القرون الاربعة الاخيرة .

ونعود مرة اخرى الى بقية نظرية «دوبوشير» القائلة بسمة التخلف الملازمة للشعوب المقهورة : يذهب المؤلف الى ان هناك ثلاثة اسباب لهذا التخلف :

اولا : **الجغرافيا** : فقد كانت معظم امم افريقيا وآسيا وامريكا .. تتميز بخصائص قارية وليست بحرية ، اى انها كانت فى توسعها تتجه الى داخل القارات ، لا الى تخطى امواج البحار .

ثانيا : **المناخ** : يستشهد الكاتب بملاحظة « مونتسكيه » القائلة بان الحرارة المرتفعة تنضب معين القوةوالشجاعة عندالرجال ، بينما يدعو المناخ البارد الى انبعاث قوة فى الجسم ونشاط فى العقل .

ثالثا : **الدين** : « ان اديان العالم الثالث اديان محلية فى معظمها تفتقر الى الطموح ، اى الى الاشعاع العالمى ، وتسهم فى تثبيت الشعوب ولا تدفعها الى عالم آخر سواء أكان هذا العالم مكانيا أم زمانيا » . وان أكثر الديانات تزمتا وتعقيدا هى الديانات التى تفرض وحدة لا فكاك لها بين الانسان والبيئة الطبيعية ، وهى الديانات التى تعتنق حيوية المادة ، والتى سادت الغابات المدارية فى افريقية وامريكا ، حيث الطبيعة فيها تبدو صارمة لا تلين » .

لكن نظام «دوبوشير» ينهار من اساسه عندما يتناقض مع الوقائع التاريخيةالتى يستشهد بها .

ففى ص ٢٨٢ من الكتاب .. يذكر المؤلف انه بعد هزيمة الامبراطورية الفرنسية الثانية (١٨٧٠ — ١٨٧١) عادت دوائر الاعمال فى فرنسا الى اهتمامها بالاستعمار ، وفى اثناء الحملات الفرنسيةالمتعاقبة على شواطىء غينيا — ولنلاحظ انها منطقة مدارية فى افريقيا يسودها دين محلى متخلف — لاقت الحملات مقاومة ضارية .وكتب « رشناو » قائد احدى هذه الحملات يقول : « لا يريد احد ان يستسلم ، وعندما يسقط احد الاسرى فى قبضتنا ، فانه يضرب راسه بالرصاص بنفسه ، بل تدافع النساء عن انفسهن ، فقد وصل احد الجنود الى نقطة الاسعاف جريحا بضربة سيف فى الراس وجهتها له امراة من «ديونفوتو» ، وتدخل بعض النساء الى الثكنات ، ويحطن انفسهن بحشيات من القش ويشعلن فيها النار » .

ورغم افتقاد ملكة التنظيم الرومانى والقدرات الخلاقةلاوروبا الهيلينية ، يخوض الزعيم الافريقى « سمورى توريه » الكفاح ضد الفرنسيين . ! !

كان « سمورى » — ١٨٩٣ — ينتمى الى قبيلة « ماندينج » — وكان حلمه ان يعيد انشاء « امبراطورية مالى » التى اسسها « سونجات »، واستطاع على راس جيش محدود العدد ان يفتتح مناطق شاسعة تمتد من النيجر العليا فى الغرب الى مملكة « سيكاسو » فى الشرق و « دول احمدو » فى الشمال ، وجمع تحت سلطته عديدا من المناطق الخاضعة لرؤساء كانوا يستنفذون قواهم حتى ذلك الحين فى صراعات عقيمة ، كان بطبيعته يتمتع بملكةالتنظيم ، فقسم البلاد الى ١٦٢ محلة ، متجمعة تحت سلطة عشر

حكومات ، ثم واءم بين جيشه وبين احتياجات الامبراطورية ، فكان هذا الجيش يشتمل على سبع فصائل ، ثم عشر فصائل « فصيلة لكل حكومة » اتخذت مواقعها على الحدود ، والى حرس من الصفوة ، اتخذ موقعه فى «بيساندوجو» العاصمة ، وكانت كل فصيلة تتفرع عن نواة من الجنود المحترفين هم «الصوفا» .. المشهورون. وتدعمها فى حالة الحرب ميليشيا شعبية تزودها بها القرى ، وكان كل فرد من افراد الميليشيا يرتدى حلة رسمية صفراء : « قبعة وسترة وسروال مضموم الكاحلين » ، اما الورش العسكرية حيث كان يعمل الحدادون الافريقيون بنشاط فقد كانت تصلح وتصنع ايضا البنادق سريعة الطلقات وان كان ذلك بعدد محدود جدا » .

ويواصل «دوبوشير» تقديم المقدرة التنظيمية والمهارة العسكرية التى يتمتع بها « سمورى » ــ الذى لم تنضب الحرارة المرتفعة معين قوته وشجاعته ولم تخمد عقله ــ فقد نشبت الحرب بين « سمورى وبين الفرنسيين واستمرت من ١٨٩١ الى ١٨٩٨ (« وتكشف « سمورى » عن عبقرية تكتيكية مرموقة ، ويمكن اعتباره دون جدال ، اكثر العسكريين الافريقيين اقتدارا ، فقد كان استراتيجيا من الدرجة الأولى ، قسم جيشه ثلاثة اقسام ، وفى عزمه ان يشن الحرب التى اصطلح على تسميتها بحرب « الارض المحترقة » ، وتلقى شهادة احد الاخصائيين ــ الجنرال « بارتييه » ضوءا على ذلك . « كان تنظيم قواته فى ثلاثة اقسام : للدفاع عن الارض ، وللاجلاء ، وللغزو الخارجي ، كان ذلك يتيح له ان يحقق شيئا فريدا من نوعه فى التاريخ ، كان شعبه طوال سبع سنوات يغير موطنه كل عام . ويتجه الى الشرق نحو مناطق جديدة ، ولكنها كانت مناطق منظمة وخاضعة بالفعل .. دون ان يترك للغزاة شيخا واحدا ولا حبة شعير واحدة فى المناطق التى يجلى عنها الاهالى »).ص ٢٨٤.

ان دوبوشير يذكر ان : «اسطورة بروميتوس» الاغريقية لا تنطبق على الوضع الانسانى الذى يجد فيه الرجال انفسهم اسرى بيئتهم الطبيعية، عاجزين على الاستحواذ على الطبيعة وتملكها ، لانهم موضع هجوم منها باستمرار » . ص ٣٧ .

لكن الوقائع التاريخية التى تفرض نفسها على كتابه تكذب ما يذهب اليه .



مجلة « الاقتصاد والسياسة » الفرنسية

خصصت مجلة « **الاقتصاد والسياسة** » الفرنسية عددها لشهرى مايو ويونيو ١٩٦٨ ، لتقديم برنامج اليسار الفرنسى وارضيتها السياسية والاقتصادية فى مواجهة « الديجولية » تمهيدا لمعركة الانتخابات الاخيرة التى اجريت فى فرنسا وفى ضوء حركة الاضرابات الواسعة التى امتدت الى كافة مرافق الحياة الاقتصادية خلال شهر مايو » .ويتضمن العدد مجموعة من الابحاث والدراسات تشكل كلا لا يتجزأ هو فى واقع الامر البديل الديموقراطى للنظام الديجولى كما يتصوره الحزب الشيوعى الفرنسى داخل حلف يشمل مجموع أحزاب اليسار ، وخاصة « اتحاد اليسار » الذى يرأسه فرنسواى ميتران ويضم الحزب الاشتراكى والحزب الراديكالى ومجموعة الاندية المعروفة « بالكونفونسيون » .

ولا يقتصر العدد على تقديم الوثائق الرسمية لهذا البرنامج كما صاغته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى (**برنامج الحزب الشيوعى**) و« **الخطة العاجلة للتطوير الاقتصادى والاجتماعى** » وهى عبارة عن وثيقة مشتركة للحزب الشيوعى واتحاد اليسار ، وانما ضم العدد كذلك مجموعة من الدراسات التحليلية التى تعرضت لبعض مظاهر السياسة الديجولية (وبخاصة فى مجال الصناعة والزراعة ودوائر المال والبنوك) ،ودراسات اخرى تقدم البديل لهذه السياسة ، باقتراحات عملية محددة .

ان الفكرة الجوهرية التى تسود كل هذه الابحاث هى أن الديجولية فضلا عن نهوضها على اساس الحكم الفردى تمثل فى التحليل الاخير مصالح **رأسمالية الدولة الاحتكارية** فى فرنسا ، وان جوهر السياسة التى تنهض بديلا لها يفترض نقل هذه السلطة الى القوى الاجتماعية المناهضة لسيطرة الاحتكارات ، بما فى ذلك قطاعات

عريضة من الرأسمالية الفرنسية . وهذا الانتقال بالسلطة شرط ضروري لانبعاث حقيقي كفيل بازالة الاسباب الدفينة الواقفة خلف الاضطرابات والاضرابات التي بلغت قمتها في فرنسا خلال شهر مايو الماضي . وكل طريق آخر ليس من شأنه ان يحل المشاكل التي تواجه فرنسا الا جزئيا ومؤقتا، مع زيادة تراكم عناصر الانفجار الاجتماعي كما برزت للسطح في الاحداث الاخيرة .

وربما كان ابرز ما يتقدم به العدد الخاص من مجلة « **الاقتصاد والسياسة** » هو تحليله الدقيق لحقائق الواقع الاقتصادي طوال الاعوام الماضية في فرنسا ، وتقدمه بحلول بديلة محددة وتفصيلية، مستمدة من هذا التحليل وتمتد الى مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية دون استثناء .

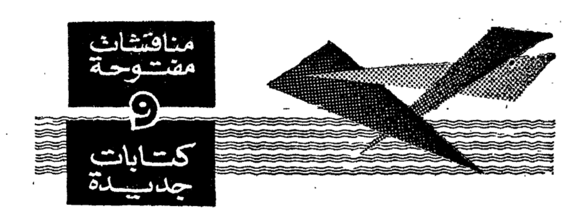
وهذا البديل المقدم للسياسة الديجولية **لا تعني اقامة سلطة اشتراكية ، وانما تعني اقامة سلطة ديمقراطية مناهضة لسيطرة الاحتكارات**، وكفيلة بالانتقال تدريجيا بعد ذلك الى سلطة تنتهج طريقا نحو الاشتراكية، مكيفا لظروف دولة أوربية متقدمة مثل فرنسا . ويستخلص من سياق الابحاث ان كل محاولة لمحاربة الديجولية لا تراعي التعبئة الديموقراطية لكافة القوى الاجتماعية المناهضة لسيطرة الاحتكارات تعرض قوى التقدم للاصطدام بمقاومة القوى المحافظة التي مازالت تشمل قطاعات عريضة من الجمهور الفرنسي ، وتشكل احتياطيا للسلطة الديجولية في وضعها الراهن . وقد وجد هذا التحليل ما يؤكده في نتائج الانتخابات الاخيرة التي ابرزت — بعد صدور هذا العدد — ان تهديد هبات الطلبة بحركة تتسم بطابع العنف افضى الى تكتل القوى المحافظة خلف الديجولية ، وواجه القوى الديموقراطية في فرنسا بضرورة خوض جولة جديدة في ظروف اكثر تعقيدا للوصول الى حلول جذرية للمشاكل التي طرحتها حركة الاضرابات الاخيرة .

وتجيب الابحاث على سؤال هام هو : هل من الممكن اجابة مطالب جماهير العاملين التي أثيرت خلال حركة الاضرابات الاخيرة دون تعريض الاقتصاد الفرنسي لاختناقات واهتزازات واختلالات يصعب موازنتها ؟ . وتبرز هذه الابحاث ان اجابة هذه المطالب لا تنطوي على مجرد أنها لا تتعارض مع ضمان استقرار الاقتصاد الفرنسي ، بل أنها شرط انبعاثها حقيقة وازدهارها مستقبلا . ولكن شرط اجابة هذه المطالب هو القضاء على الارباح الطائلة والمبالغ المبددة الناجمة عن سيطرة الاحتكارات وسياساتها ، وكذلك بعض أوجه السياسة الديجولية التي تنطوي على جوانب انفاق باهظة مثل بناء «القوة الضاربة الفرنسية» والاستمرار في التجارب النووية الخ .. من السياسات التي تهدف الى تأكيد هيبة الديجولية أكثر من خدمة المصالح القومية الحقيقية . وتقول المجلة ان اجابة مطالب جماهير العاملين هو شرط زيادة قدرة الجماهير على الاستهلاك ، وبالتالي تنشيط للانتاج وقدراته على تصريف منتجاته وهو الاثر الذي يتمشى تماما مع الامكانيات المتاحة بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر .

وتركز الابحاث على ان جوهر سياسة انتزاع السلطة من قبضة الاحتكارات الكبرى يكمن في **التاميم** وبالذات للصناعات الاساسية مثل الالكترونيات وصناعة الطائرات ، والصناعة النووية والكيماوية والبترول والصلب وصناعة السيارات . وهذه المجالات على وجه التحديد هي التي تقوم بدور فاصل في الحياة الاقتصادية الفرنسية ، وهي التي تخضع قبل غيرها لسيطرة اكبر الاحتكارات ، وهي التي تمثل قبل غيرها التداخل بين الاحتكارات الفرنسية والاحتكارات الاجنبية وبخاصة رأس المال الامريكي المستثمر في فرنسا . وامتداد التأميم لهذه الصناعات الرئيسية لا يعني بحال من الاحوال **اضعاف مركز القطاع الخاص** ، بل على العكس يكفل تنشيطه باستبعاد سيطرة اقوى المجموعات الاحتكارية المسئولة عن امتصاص جهود الشركات المتوسطة والصغيرة، والحد من نشاطها ، بتغليب مصالحها الخاصة على كل مصالح الامة .

وتأميم هذه المجالات الاساسية كفيل بخلق الظروف المواتية **لتخطيط ديموقراطي** يزيد من كفاءة استثمار امكانيات الاقتصاد الفرنسي ، بما يساير الفرص التي تتيحها الثورة المعاصرة في العلوم والتكنولوجيا ، وبما يكفل تطوير كل قدرات فرنسا الانتاجية ، بما في ذلك مشاكل قطاعات الفلاحين والتجار الصغار والمتوسطين والحرفيين والمقاولين ومشاكل عدم التكافؤ في نمو المناطق المختلفة ، والصناعات المختلفة الخ ...

ويتعرض العدد الخاص بابحاث تفصيلية لمشاكل الادارة الديموقراطية للمؤسسات الصناعية ، وللسياسة الصناعية للحكومة الديمقراطية ، ولمشاكل القضاء على التباين الصارخ بين معدلات النمو في المناطق الجغرافية المختلفة ، ولمشاكل السوق الزراعي ، فضلا عن المشاكل الناجمة عن السوق الاوربية المشتركة ، وكيفية اتباع بديل ديموقراطي لسياسات السوق القائمة على سيطرة الاحتكارات الاوربية الكبرى ، ومشاكل البنوك التجارية وشركات التأمين ووجوب تأميمها فضلا من الصناعات الرئيسية التي سبق الاشارة اليها .. وكل هذه الاتجاهات الرئيسية التي يطرحها البرنامج الديموقراطي كمخطط للتحولات الهيكلية هي التي تشكل الاساس الاقتصادي لانتعاش ديموقراطي يستبعد عناصر الارتباك والانفجار كما برزت في أحداث مايو الاخيرة .



تشغل قضية اعادة بناء التنظيم النقابى ، اهتمام قطاعات واسعة من العمال فى بلادنا . وفى هذا المقال ، يعرض المواطن عبد الرازق توفيق ابراهيم — رئيس لجنة نقابية وعضو المؤتمر القومى — وجهة نظره فى شأن هذه القضية .

حول إعادة بناء التنظيم النقابى ..

عبد الرازق توفيق ابراهيم

منذ بداية التحول الاشتراكى سنة ١٩٦١ ومئات الالوف من العمال تنظر فى ترقب مستمر الدور الذى يمكن ان تؤديه الحركة النقابية فى ظل المجتمع الاشتراكى . وقد وصل القول فى بعض الاحيان الى تساؤلات عن ضرورة وجود التنظيم النقابى فى مجتمعنا فى وجهه الجديد ، وتساءل البعض عن السبب فى اننا لانكتفى بلجان الاتحاد الاشتراكى .

ان هذه التساؤلات قد رددتها الجماهير ليس كرها للحركة النقابية ، ولكن لانها لم تجد من التنظيم النقابى القائم القدرة على القيام بواجباته تجاهها فى ظل مجتمع اشتراكى .

ولقد كانت اللجان النقابية فى القواعد اشد حيرة من الجماهير ذاتها لانعدام الرابطة تماما بينها وبين مستوياتها الاعلى . وزاد من حدة ذلك عدم تجدد الانتخابات فى الفترة السابقة .

ومما لا شك فيه ان الحركة النقابية فى بلادنا قامت بدور كبير لايستطيع منصف ان ينكره عليها فى مواجهة الرأسمالية المستغلة . وكان تنظيمنا النقابى بحق قلعة منيعة لم يستطع الاستعمار ان ينفذ اليها ، وخلاصة القول ان التنظيم النقابى فى بلدنا قبل التحول الاشتراكى كانت له صورته الواضحة وعمله العظيم . وكان له دوره الذى لايستطيع احد ان يتجاهله فى سنوات التحول ، وفى الوقت الذى سبق بناء هيكل الاتحاد الاشتراكى العربى فى صورة المكاتب التنفيذية ، فى قيادة جماهير العمال ودفعها لمساندة البناء الاشتراكى فى مواجهة الحلف الرجعى والادارات التى تعاقبت على شركات القطاع العام بغير اساس مبدئى يحميها من الوقوع فى الخطأ ، ومن هنا فان هذه المحاولة ليست هجوما على قيادات التنظيم النقابى فى مستوياته المختلفة . ولكنها محاولة لدراسة واقع نحاول معا ان نتخطاه الى مستقبل افضل بالمناقشة والحوار الموضوعى حتى نصل فى النهاية الى ما نتمناه لتنظيمنا النقابى .

واقع التنظيم النقابى :

اولا : من الناحية التنظيمية :

يتمثل الهيكل التنظيمى للنقابات فى مجتمعنا فى اللجنة النقابية المنتخبة من الجمعية العمومية لعمال المصنع ثم تقوم

ومصور ، أى ثلاثون الفا احتشدوا فى صوفيا الصغيرة ذات المليون ساكن .

وبقدر ماكانت صوفيا مزدحمة بقدر ماكانت سعيدة وكريمة وفخورة بما حققت ، فقد جندت بلغاريا كل امكانياتها ، حشدت كل قواها ، كل مقدرتها على التنظيم لتكفل لهذا العدد الهائل من الضيوف القدرة على المشاركة الفعالة فى اعمال المهرجان المتعددالنشاطات من سياسيةالى علمية الى فنية الى رياضية .

وقد اجتازت بلغاريا هذا العمل الشاق محققة نجاحا رائعا .

والحقيقة ان ايام المهرجان كانت فرصة لكل شباب العالم كى يلتقى ليتبادل وجهات النظر وليعبر عن آرائه المختلفة ،وكان النقاش يدور حارا وجادا فى كل شارع وفى كل ركن من اركان الحدائق الجميلة الممتدة عبر صوفيا كلها .

وبالرغم من كل التناقضات ، وبالرغم من الخلافات المذهبية الحادة التى يتحتم عليها ان تنشأ بين هذا العدد الهائل من الشباب القادمين من كل انحاء العالم والذين يمثلوا ١٢٦ دولة ومنظمة عالمية والذين ينتمون الى معظم الاحزاب والتجمعات والمنظمات السياسية والاجتماعية فى العالم .. شيوعيون وكاثوليك وبوذيون واشتراكيون متطرفون وجماعات اليسار الجديد بكل اتجاهاته ،ويشتعل النقاش حادا جدا وعنيفا جدا فى كل ارجاء صوفيا الوديعة دون أن يحدث ما يخل بنظام المهرجان .

حادث واحد فقط . . اضطرت السلطات البلغارية فيه للتدخل .. عندما وصلت الى حدود بلغاريا مجموعة من الشباب التشيكى من حوالى ٣٠ شابا وفتاة شعورهم وذقونهم طويلة جدا ، وملابسهم قذرة وممزقة .. يسيرون حفاه وطلبوا العبور ليشاركوا فى المهرجان معلنين انهم يكونون وفدا مستقلا غير الوفد التشيكى الرسمى .. وبعد مناقشات اعلنت السلطات البلغارية « نظفوا ملابسكم ووجوهكم اولا حتى يسمح لكم بالمشاركة فى المهرجان .. » واحتج الشباب بأن هذه هى حريتهم الشخصية . . لكن السلطات البلغارية صممت على أن يظل المهرجان محتفظا بصبغته الجادة .

غير انها حادثة عارضة لم تؤثر فى المهرجان ولم يشعر بها الكثيرون .

والحقيقة ان المهرجان كان فرصة هامة للتعرف على الاجابة الصحيحة للسؤال الصعب الذى يطرح نفسه دائما هذه الايام .. وهو كيف يفكر شباب العالم .

ومن خلال المناقشات واللقاءات والخلافات ، بدأ كل وفد يقدم افكاره وتجاربه .

لكن الظاهرة الاساسية التى برزت خلال المناقشات هى ان الشباب بشكل عام يتجه الان يسارا بل ويزداد اتجاهه يسارا يوما بعد يوم .

كما انه قد اتضح ايضا انه بقدر الاتساع الهائل لقاعدة الفكر الاشتراكى وسط الشباب بقدر الخلافاتالتى ظهرت مكونة مجموعات كثيرة جدا ذات اتجاهات متعددة .

كانت صورة لينين معلقة على غالبية الصدور لكن ما بعد لينين يثير خلافات جذرية تضطرب فيها صور عديدة اخرى ماو .. جيفارا .. ماركوس . .ريجيس دوبريه. . كاسترو وغيرهم .

وحتى فى قارة واحدة مثل امريكا اللاتينية كانت الخلافات بين جماعات اليسار شاب برازيلى فى الحادية والعشرين من عمره يقول فى بساطة « الاتحاد السوفيتى سياسته خاطئة لكن ماو مخطىء ايضا ، وكاسترو كذلك ليس على صواب ، ان لنا فكرنا الخاص بنا اننا ثوار ماركسيون من نوع جديد » .

وشاب من بوليفيا يؤكد « ان تجربة بلادنا توضح انه لا سبيل للثورة الا بالكفاح الثورى المسلح ، من المستبعد ان يحقق العمل الديمقراطى اى مكسب للجماهير ، نحن لا نثق فى الديمقراطية البرجوازية ولن ندع الجماهير تثق فيها » .

لكن شابا آخر من جواتيمالا يقول « المسألة ليست مسألة اختيار بين الديمقراطيةالبرجوازية وبين الكفاح المسلح . اننا مجبرون على سلوك طريق الكفاح المسلح .. ان عصابات « اليد البيضاء » الحكومية تقتل المناضلين وزوجاتهم واطفالهم وتحرق منازلهم ... ، ٢٣ شخصا من قادتنا قبض عليهم البوليس والقى بهم فى البحر دون اى تحقيق . . لقد غرقت الديمقراطية البرجوازية فى الوحل وليس امامنا سوى أن نحمل السلاح وننطلق الى الجبال » .

لكن افكارا كهذه لم تكن لتستطيع ان تقنع يساريى اوربا الذين يركزون آمالهم على الكفاح الديمقراطى البرلمانى ، طبقا لمعطيات ظروفهم .

لكن حتى يساريو اوربا كانت افكارهم تموج بالخلاف .. فهناك خلافات واضحة حول تقييم احداث تشيكوسلوفاكيا الاخيرة فاجزاء من اليسار الفرنسى والايطالى تبارك هذه الاحداث باعتبارها نموذج لتحرر المجتمع الاشتراكى من بعض القوالب والقيود التقليدية البالية . بينما وفود اخرى عديدة تعلن رأيا مخالفا بل وتنظر بعين الشك للخطوات التى تتخذ هناك .

وهكذا وبقدر اتساع قاعدة الاشتراكيةالعلمية بين شباب العالم بقدر ماكانت الاتجاهات تختلف وقد تبدو هذه الخلافات خطيرة الى حد ما لكنها من بعض الجوانب تمثل ظاهرة صحية وتعبر عن قدرة الفكر اليسارى على استيعاب كثير من القوى بغض النظر عن اختلاف منطلقاتها وتجاربها وافكارها .

النقابة العامة لعمال الصناعة:

تتحول النقابات العامة الى أجهزة فنية تضم صفوة من عمال الصناعة تابعة للاتحاد العام للعمال وتختص : ١ — اعداد الدراسات الفنية وتنفيذ البرامج التى تستهدف الارتقاء بعمال المهنة فنيا وفكريا . ٢ — تقوم بدراسة الخطة مع المؤسسات النوعية وتعلق عليها وتقدم اقتراحاتها وملاحظاتها بذلك الى الاتحاد العام للعمال . ٣ — تقيم روابط علمية واتفاقيات مع النقابات العلمية والمهنية ليحدث الربط بينها من اجل خدمة قضية الانتاج ومن [illegible] القرارات التنفيذية التى تنص على المهنة مناقشة واعية وسليمة . ٤ — تقيم الارتباطات الثقافية مع الدول الاخرى . ٥ — تتبنى العمال المهرة اصحاب المواهب وتسهل لهم الحصول على بعثات علمية لتكملة دراستهم وذلك بمنحهم بعثات داخلية او خارجية . ٦ — تقوم بدراسة ما يطلبه منها الاتحاد العام من دراسات . ٧ — تشترك فى وضع الخطة العامة مع الاتحاد العام فى ضوء عمال الصناعة التى تمثلهم . ٨ — تقوم بتنفيذ ما يخصها من الخطة العامة بعد اقرارها . ٩ — تنتخب النقابة العامة من الجمعية العمومية لعمال الصناعة التى تمثلهم على مستوى الجمهورية . ١٠ — نشترك فى تقييم اداء الخطة العامة للاتحاد العام بعد تنفيذها بواسطة الاتحادات المحلية . ١١ — تختار ممثليها فى مؤتمر الاتحاد العام . ١٢ — تختار المندوبين الذين يمثلون عمال الصناعة فى مجلس ادارة المؤسسة النوعية .

الاتحاد العام :

١ — يضم مؤتمر الاتحاد العام ممثلين من الاتحادات المحلية للمحافظات وممثلين عن النقابات العامة لعمال الصناعات المنضمة اليه . ٢ — لايجوز الجمع بين عضوية الاتحاد العام والاتحادات المحلية . ٣ — ينتخب الاتحاد العام من بين اعضاء المؤتمر . ويختص الاتحاد العام بالاتى :

ا — وضع الخطة العامة لعمال الجمهورية العربية المتحدة ومتابعة تنفيذها بواسطة الاتحادات المحلية . ب — الاشراف على الاعمال الفنية والدراسات التى تقوم بها النقابات العامة كأجهزة فنية تابعة له . حـ — تقييم النشاط النقابى فى نهاية العام . د — مناقشة تقارير النقابات العامة عن الخطة العامة للدولة وتبنى مقترحاتها لدى الاجهزة السياسية العليا فى الدولة .

وبذلك يصبح الشكل التنظيمى للنقابات كالآتى :

الاتحاد العام

نقابة عامة — نقابة عامة .. الخ

الاتحاد المحلى

اللجنة النقابية



مرة ثانية ، تدعو الطليعة كل المناضلين الى المشاركة فى المناقشات التى سوف يجريها المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى تقديرا منها لاهمية هذه المناقشات من جهة ، ولتحقيق اوسع حوار ديمقراطى ممكن حول القضايا التى سوف تثيرها هذه المناقشات .

المؤتمر القومى والموقف الراهن

فى رسالة للمواطن **حسن خليل** — مهندس — بعث بها الى الطليعة ، يقول :

فى الثالث والعشرين من يوليو الماضى ، اجتمع المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، معلنا بدء مرحلة جديدة من نضال الشعب العربى فى مصر ، لها اهمية خاصة ، بسبب ظروف ما بعد النكسة ، وما كشفت عنه النكسة من ظروف قبلها ، ساعدت على وقوعها . واذا اجملت الاعمال التى تنتظر المؤتمر فى كلمات ، فهى العمل على ازالة آثار

العدوان ، ثم العمل على ارساء قواعد النضال لما بعد ازالة آثار العدوان . ولئن كان الشق الأول من مهمة المؤتمر قد تحددت خطوطه الرئيسية ، التى يستطيع النضال ان يسير على هديها ، وهى ان ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. ولا مفاوضات مع اسرائيل .. وان الصلح معها امر غير وارد فى خطة النضال العربى .. وان التنازل عن شبر من الارض العربية ، أمر مستحيل .. وان اى تفريط فى حقوق شعب فلسطين غير وارد فى تفكير اى مناضل عربى ، اقول ان كانت هذه الخطوط قد حددت طريق مرحلة ازالة آثار العدوان ، فان مرحلة ما بعد ازالة آثار العدوان تحتاج ايضا الى ارساء قواعد عمل ، واطار واضح ومحدد للنضال من اجل دفع مسيرة الشعب نحو تحقيق الاشتراكية . وهذا هو ما دفعنى الى ان اعبر لاعضاء المؤتمر عن رايى ، انطلاقا من واجبى فى ان اشاركهم العمل والنضال ، وكذلك حقى عليهم فى ان يسمعوا سوتى وكل صوت حر ، كى يصوغوا آمال الاحرار فى برنامج عمل يكفل نجاح مسيرة الشعب بقواه العاملة نحو « سلطة الشعب » .

وقد طرح المناضل جمال عبد الناصر ، فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، مبدأ هاما هو فى رايى اساس جوهرى ترتفع فوقه وتنطلق منه خطوط العمل السياسى فى طريق بناء الاشتراكية . هذا المبدأ هو ان **المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ، اعلى سلطة فى الدولة .** وذلك بخلاف ما جاء فى القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى ، من النص على ان المؤتمر اعلى سلطة فى الاتحاد الاشتراكى (الباب السادس فقرة ١ — ١) ، ذلك النص الذى كان يقصر سلطة المؤتمر على تنظيمات الاتحاد الاشتراكى من داخله فقط ، دون ان تتضح خطوط وابعاد سلطته على باقى الاجهزة فى الدولة .. ومن هنا فاننى ارى ان اول الامور التى يجب ان ينتهى المؤتمر الاول من اقرارها ، قبل ان تنقضى دورته الحالية ، هى توضيح ما هى ابعاد وحدود سلطة المؤتمر القومى على باقى الاجهزة الاخرى . كذلك ان تتضح طرق ووسائل ممارسة هذه السلطة ، والحدود والابعاد التى يتم على اساسها تفويض هذه السلطة للمستويات الاقل من مؤتمرات ولجان على اجهزة التنفيذ فى مواقع العمل فى المحافظات والمراكز والاقسام ، او فى الوحدات الجماهيرية والوحدات الاساسية .

وانطلاقا من نفس المبدأ ، فان قضية الجمع بين السلطة الشعبية فى اعلى مستوياتها ، والسلطة التنفيذية ، وان كان لازما او ضروريا فى عضوية المؤتمر القومى نفسه ، لما يكفله من توافر عناصر من الخبرات المتنوعة ، الا انه يصبح امرا يحتاج الى المناقشة والحسم فيما يختص بعضوية اللجنة المركزية . ولئن كان الراى عندى لا يحبذ هذا الجمع ، فهى على اى حال نقطة هامة ، يجب على المؤتمر ان يناقشها وينتهى من تحديدها فى دورته الحالية . كذلك فان اقرار مبدأ عدم الحصول على مميزات مادية لاعضاء اللجنة المركزية اولا ، واعضاء التشكيلات الاخرى ، يعتبر فى حقيقة الامر اساسا حيويا يحدد مدى استعداد المناضل للعطاء والبذل فى سبيل الشعب العامل . فضلا عن اننى اضيف ان الانشطة المادية للاتحاد الاشتراكى العربى ، يجب ان تقتصر على التمويل الذاتى ، حتى وان ادى ذلك الى جعل الاشتراك متزايدا مع المستوى التنظيمى . كذلك وما دمنا بصدد الحديث عن اللجنة المركزية ، فان اقرار مبدأ ضرورة توفر نسبة ٥٠ ٪ على الاقل من العمال والفلاحين ، أمر نراه حيويا وضروريا ، اذ يضع هاتين الفئتين على قمة مواقع النضال من اجل اهداف قوى الشعب العامل ، الذى يمثل العمال والفلاحين اغلبيته الساحقة . وهذا المبدأ قد اخذنا به فى كل مراحل تكوين التنظيمات السياسية والشعبية ، الا ان القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى اغفل النص صراحة على هذه النقطة ، مما يثير حولها التساؤلات والجدل . وفى رأينا انه على مستوى اللجنة المركزية ، فان تنفيذ هذا المبدأ فى حاجة الى الدقة فى تطبيق تعريف العامل والفلاح ، وقصر صفة العامل على مستوى العمل اليدوى تكريما له ، بوصفه المنفذ لآمال النضال ، وقصر صفة الفلاح على من يفلح الارض ، وليس له من مصدر رزق سواها ، وان يقيم بجوارها ، ذلك بعد ان تسلم بحد الملكية الوارد فى التعريف وهو عشرة افدنة .

واما فيما يتعلق بموعد انتخاب اللجنة المركزية ، فاننى افضل ان يكون آخر اعمال دورة انعقاد المؤتمر ، حتى تكون السياسات قد تحددت ، والاهداف قد وضحت ، وان يكون الترشيح والانتخاب على اساس القدرات المتوفرة فى العضو ، والتى تجعله قادرا على الاسهام فى العمل ، وان يكون التعارف والالتحام قد تحقق بدرجة كافية بين الاعضاء . واقترح فى سبيل زيادة التعرف ، ان يصدر دليل للاعضاء ، ويحمل تاريخ نضال كل عضو من اعضاء المؤتمر ، وحبذا لو وضع كل عضو فى هذا الدليل بقلمه حكمه عن كيفية وصوله الى ما هو فيه من مركز اجتماعى ومادى . وبذلك يضرب الاعضاء مثلا حيا فى النقد الذاتى ، ويبداون فى تطبيق قانون الكسب غير المشروع على انفسهم لتنجلى الشكوك التى قد تحيط بظروف اى عضو منهم .

واخيرا اود ان اؤكد ان المناخ الصالح لتحقيق اهـداف العمـل الوطنى ، هو منـاخ الحرية والديمقراطية فى اطار مصـلحة قوى الشـعب العاملة . فليس يعوق النضال ويعقده عن بلوغ اهدافه مهما كانت وسائله ، سوى اهدار الحرية وسـيطرة فئـة من الفئات على حركة الفئات الاخرى .

حتى لا يـكون النشـاط السياسى نشاطا موسميا

كتب المواطن السـيد شـعراوى ـ من الاسكندرية ـ يعلق على اهمية النشاط السياسى الذى يجرى فى بلادنا هذه الايام ، ويوضح رأيه فى ضمان تجدد حيوية العمل السياسى والتحـامه بالجماهير ، فيقول :

ان ارساء قاعدة انتخاب التنظيم السياسى من القـاعدة الى القمـة ، يعتبر فى حـد ذاته عملا ديمقراطيا . ولـكن ليس بالانتخـابات وحدها نستطيع ان نحقق التحام وانصهار هذا التنظيم بالجماهير العريضة لشعبنا .

والاتحاد الاشـتراكى فى مرحلته الماضـية ، وصل الى نقطة التجمد والانعزاليـة عن قاعدته الجماهيرية . وكان سـبب ذلك انه فى كثير من الاحيان ، كان لا يشغل نفسه بالعمل السياسى . ولا نعنى بالعمل السياسى اجتماعات تعقد هنـا وهناك ، وبين حين وآخر ، ولتأييد واسـتنكار هذه القضية او تلك المشكلة . كلا .. فالعمل السياسى الذى نقصده ونريده للاتحاد الاشتراكى وتنظيماته فى مرحلته الجديدة ، والذى يستغرق كل وقت اعضائه ، هى القضايا العامة . تلك التى يجد عضو التنظيم نفسه مضطرا الى التحدث فيها مع الجماهير يوميا بالموالاة والشرح تارة ، وبالتعليق والحل تارة اخرى . وهذه القضـايا تحتاج الى جهد كبير وشاق وصبر . ومن امثله تلك القضايا العامة والهامة .. قضية ازالة آثار العدوان ، قضية زيادة الانتاج ، مشاكل القطاع العام والخاص ، الاهتمام الكامل والفائق بمشاكل الناس اليومية فى الصحة والتعليم والمواصلات والتموين والعمل .. الخ . قضية محو الامية ، قضايا الثقافة الجماهيرية وتوصيلها للشعب فى القرى والريف ، السـينما والمسرح والحفلات الترفيهية .. الخ . وبعد ذلك تأتى قضية هامة وخاصة فى ظروفنا الحالية ، الا وهى شرح وتبيان مواقف الاعداء والاصدقاء ، ومن هم اعـداؤنا ، ومن هم اصدقاؤنا ، وقضـايا الشـعوب التى لا زالت تكافح ضد الاستعمار .

كل هذه القضايا والمشاكل وغيرها كثير ، هى ما نعنيه بالعمل السياسى .

ولقـد كان الاسـتعمار والرجعية فى الماضى يبذلان المحـاولات الفاشـلة لمنع الشـعب من الاشتغال بالسياسة لعلمه بأنها كارثة ومصيبة بالنسبة له ولوجوده .

ومن الاخطاء التى ارتكبت فى مرحلة التنظيم السياسى الماضية ، هو عدم اجتماع الوحـدات السياسية ، بل وبعض المكاتب التنفيذية .

هـذا ما يجب ان يضـعه المؤتمر القومى فى الحسبان ، وحتى لا يكون العمل السياسى عملا موسميا . ولن يتأتى ذلك الا بالمشـاركة الفعلية للجماهير فى حل قضاياها ومشاكلها . ولا تبحث هذه المشاكل بمعزل عنها فتأتى حلولها مبتورة ناقصة . وظروف بلادنا الان تساعد كثيرا على جذب جماهير عريضـة من شـعبنا . فجزء من بلادنا العزيزة تدنسـه عصـابات وقطاع طرق استعمارية . ومعركة كهذه كبيرة وشاقة ومفتوحة ومع عدو سافر شرس ، تجعل الملايين تشـارك وباخلاص فى العمل السياسى . وهذه مهمة كبرى ملقاة على عاتق القيادات فى الاتحاد الاشتراكى . ووجود التنظيم السياسى فى هـذه الظروف ليس بالواجب الوطنى وحسب ، بل انها عملية ضرورية وملحة للحفاظ على الطريق الذى اخترناه بمحض اختيارنا وارادتنا ، وصونه والدفاع عنه ، الا وهو طريق بناء الاشتراكية فى وطننا .

واذا كنا نتحـدث عن العمـل السـياسى واستمراره ، والمهام الملقاة على المؤتمر القومى ، فلا نستطيع ان نختم كلامنا بدون الاشـارة الى دور اجهزة الاعلام . ونتحدث هنا عن اهمها ، وهى الصحافة . انه لا تزال هناك فكرية موجودة بالصحافة ، تعبر عن الماضى وتدافع عنه ، فليس من المعقول مثلا ان نجد ، وفى ظروف وطننا هذه اقلاما تكتب وتدافع عن زعماء الاحزاب الماضية من الاحرار الدستوريين والسـعديين ، وتقدمهم لنا كأبطال احرار كان لهم مواقف ، بل وضحوا من اجل شعبنا .. واين ؟ ! على صفحات جرائد الاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السـياسى للثورة التى اطـاحت بهـذه الاحزاب كجـزء من قوى الاستعمار والرجعيـة ، وكان تاريخ الشـعب المصرى خال من البطولة والابطال . وكنت لا اود

نكر المزيد من الامثلة ، لولا هـذا الاستفزاز المستمر من بعض الكتاب الذين استباحوا لانفسهم وشبابنا رابض على ضفة القنال ومدنها ، ان يكتبوا عن « الشيخة » « سهير زكى » وجسمها الذى يشبه « الجيلى » . ولن يستمع شعبنا الى الحجج التى تقال عن الترفيه ، ولا داعى « للنكد » وعودة الكرة ، وان الجمهور يريد ذلك .

ان الشعب وجماهيره فى ٩ و ١٠ يونيه ، طالبت بالجدية والطهارة الثورية ، وخرج المناضل جمال عبد الناصر ليقول له أنا معك .

ان مهمة المؤتمر القومى جد شاقة وصعبة ، وشعبنا ينتظر الكثير منها .

●

الشعب يترقب نتائج المؤتمر القومى

ومن السويس ، يتحدث المواطن **عبد العال حنفى عجم** — تاجر — عن الآمال التى يعقدها الشعب على انعقاد المؤتمر القومى ، وترقبه نتائج اعماله ، فيقول :

العمل السياسى فى المرحلة القادمة عمل شاق مضن ، يتطلب جهدا وبذلا وتضحية ، يتطلب الاخلاص والنقاء الثورى ، يتطلب عملا جادا متواصلا ، من أجل تصحيح الاخطاء الماضية ، من اجل تطهير صفوفنا الداخلية من السلبيين والمعوقين والنفعيين ، من اجل تحرير الارض وازالة آثار العدوان ، ومواصلة طريق التحول الاشتراكى .

ان هزيمتنا العسكرية لم تكن الا نتيجة لاخطائنا ، وهزيمتنا فى دعم البناء الداخلى واستكماله . لذلك فان جماهير الشعب تتطلع الى المؤتمر القومى ، وتترقب بتلهف نتائج اجتماعاته. وفى نفس الوقت تطالب بأن تتخذ اجراءات صارمة ضد كل من يحاول تعويق العمل الوطنى ، او الاتجاه به فى متاهات بقصد تغيير اتجاهه ، او تحويله عن تحقيق اهدافه . كما تطالب باتخاذ اجراءات حازمة وحاسمة ضد كل من تسلل الى اى مركز من المراكز القيادية فى تنظيمنا السياسى بطرق واساليب غير مشروعة ، وعلى غير ارادة الجماهير . كما يجب الا نعطى فرصة للمنحرف او المخطىء ، كما كان متبعا من قبل فى تنظيمنا السياسى ، حيث كان يعطى للمنحرف فرصة لعله يصلح من حاله ، وللمخطىء لعله يصحح خطاه . فاذا تكرر منه مرة اخرى يعرض للنظر فى امر فصله من التنظيم ، وقد يطول النظر فى امر فصله شهور وسنوات ، وقد لا يفصل .

ان الموقف لا يحتمل اعطاء مثل هذه الفرص ، ولا يحتمل سياسة اللين والتسويف ، وانما يتطلب الاجراءات المشددة السريعة الحازمة. ان جماهير الشعب تتطلع الى المؤتمر القومى ، وتعلق عليه الامال الكبار .

●

من شباب سمالوط الى والدى المناضل وليم نصار

وتعقيبا على رسالة والدى **المناضل وليم نصار** التى نشرتها الطليعة فى عددها الماضى ، تلقينا من شباب سمالوط (محافظة المنيا) ، رسالة طويلة موجهة الى والدى المناضلين. ولم نتمكن من قراءة التوقيعات سوى : **امين كامل (تاجر) ، عبدالفتاح محمود (فلاح) ، محمد السيد (طالب) ، فاروق سعيد موسى (فلاح) ، صالح شحاته (موظف) ، ابراهيم سيد على (عامل) ، فاروق عبد المحسن (مدرس) ، على عوض جعفر (ناظر مدرسة) ، محمد على موسى (محامى) ، رياض محمد (محامى) ، عبد اللطيف فاضل (طبيب) ، احمد محمود عبد العال (محامى) ، بدوى محمد عبد المجيد (جندى) ، ابراهيم عليوة (مزارع) ، يوسف اسعد (موظف ببنك التسليف) ، محمد محمود على (موظف) ، فؤاد كامل ابراهيم مهندس) ، عبدالحكيم حمدى سالم (مزارع) ، يوسف فرج الله (مهندس ميكانيكى)** . وقد جاء برسالتهم الطويلة :

ابانا وامنا .. ان مناضلنا وقدوتنا ومثلنا الاعلى ، وليم نصار ، هو شمعة توهجت بقوة ، وستظل متوهجة بقوة فى تاريخ النضال العربى ، بل فى تاريخ نضال الانسان من اجل قهر الظلم وانتصار الحق والخير . ان الطريق الذى سار فيه وليم ، وتبعه آلاف ، ويتحرق الملايين من شباب العرب ان تتاح لهم فرصة ان يسيروا فيه — هو الطريق الوحيد الذى اثبت للعالم ان الجيل الجديد من العرب ، هو الجيل الذى انضجته المحنة ، وصقلته الهزيمة وايقظه ناقوس الخطر الذى يتهدد تاريخه ، وينذر بهدم امجاده ويتوعد مستقبله ومصيره . فأدرك الطريق السليم وسارت الطلائع وتبعتها كتائب ، وتنتظر آلاف الكتائب لتصنع الحياة وتبنى المستقبل .

«... اما انت يا ابانا . اما انت يا امنا ..» فلا يهزكم الحزن ، ولا تبكوا وليم . فما قام وليم بواجبه الا وكان يتوقع ان يسجن ، وان يعذب ، بل وحتى ان يموت . تلك كلها لم يكن يحسب لها حسابا . ولكن الذى كان يحسبه ويطلبه ، ان يشعر العالم ان شعب فلسطين طلائع تقوم بواجبها وتتحمل مسئوليتها ، مخلصة للامانة ، صامدة فى المحنة ، مصممة على استرداد الارض وتحرير الوطن من دعاة النازية الجديدة .. اعداء الشعوب . ولقد بدأ العالم يتفهم قضية فلسطين ومحنتها . وما تحقق هذا الا بمساهمة وليم نصار ورفاقه والسالكين دربهم .

يا ابانا ، ويا امنا .. ان كل المناضلين ابناؤكم . وكل الشباب العربى يشعر بعمق صلة الابوة الصادقة ، والامومة المخلصة لكم ، لانكم والدى اخ ومناضل ورفيق سلاح . ويوما قريبا باذن الله سيتحقق النصر . وكما انتصرت جميلة بوحريد على الاسر والسجن والعذاب ، سينتصر وليم نصار ورفاقه وكل المناضلين فى ارض فلسطين .

مر الزمن وهى ؟ ان ليالى العذاب والظلم والعدوان لن تطول . فاذ يعانى وليم عذاباته المرة وينزف دمه فى زنزانة ما من زنزانات البربرية الاسرائيلية ، فذلك يعنى ان دم فلسطين ما زال دفاقا ، وان ارضها ما زالت منجبة ، وان عطاءها ما زال خصبا . ويعنى ايضا ان انسان فلسطين قد شد العزم الثورى ، فاما ان ينتصر ، واما ان يموت فى سوح المعارك ، او تحت التعذيب حافظا اسرار رفاقه ..

غضبت ايما غضب وانا اقرأ النداء الصادق المعبر عن وحشية العنصريين الاسرائيليين ، وكلمة الاستاذ لطفى الخولى الذى حث على بناء « جسر اللقاء الحى والتفاعل الموضوعى بين القلم والمدفع فى مرحلتنا النضالية المعاصرة » . وكيف لا يغضب الانسان حين يتحسس آلام الام والاب .. كيف لا يغضب انسان حين يتحسس آلام المناضل وهو يعانى وطأة التعذيب الفاشى الهمجى .

ايها الاب .. لك المجد .. اذ انجبت ابنا باسلا شجاعا ، اندفع بكل طاقته حاملا رسالته وسلاحه وغضبه وحقه بين يديه . وتلك هى شيمة المناضل الحقيقى ، وذلك هو الشرف العظيم الذى ناله وليم لال نصار .. وللشعب الذى انجب جيل وليم . وازاء هذه المأثرة وهذه البطولة لا املك ، الان ، من القدرة الا ان اكتب اليكم هذه السطور .. فعسى ان تكون لكم دفئا وعسى ان تكون كلماتها وفاء او بعض وفاء .

ان الارض التى ثبتت عليها اقدام وليم ، وهو يحمل راية الكفاح المسلح ضد النازية الجديدة ستظل بركانا متفجرا تحت اقدام الغزاة حتى يأتى النصر .

●

من مواطن عراقى .. الى والد المناضل وليم نصار

ومن **بغداد** ، كتب المواطن **جاسم المطير** ، رسالة الى **والد المناضل وليم نجيب نصار** ، يقول فى خطابه :

ارجو ان تسمح لى ايها الوالد العزيز ان اكرر قول الحقيقة التى اثبتتها الشعوب الثورية على

رسالة من والد المناضل وليم نصار الى « الطليعة »

بعث السيد نجيب نصار ، والد المناضل العربى وليم نجيب نصار الى الطليعة بالخطاب التالى ، تعليقا على افتتاحية العدد الماضى . ونحن ننشره كوثيقة عربية نضالية من أب مناضل ..

حضرة الاستاذ رئيس تحرير مجلة الطليعة ..

تحية عربية وبعد ...

انى عاجز عن ان اعبر بكلمة عن شكرى وامتنانى لافساحكم مكان افتتاحية العدد الثامن من مجلة الفكر الثورى المعاصر ، للحديث عن الثائر العربى السجين ولدنا وليم ابن « فتح » .

واننى على يقين من انكم بخطابكم المفتوح على صفحات « الطليعة » ، رفعتم مشعلا يستضىء بضيائه جيلنا الصاعد المتطلع نحو مستقبل مشرق زاهر . ويقوم يقينى هذا على تلك الكلمات العطرة الزاخرة بأسمى معانى الوطنية ، والعبارات الحافلة بأصدق مشاعر الفخر والاعتزاز بأبطال الفداء التى تلقيتها من العشرات من شبابنا فى الوطن العربى ، الذين سارعوا الى الاستجابة للنداء ، جزاهم الله خيرا .

ولست فى حاجة ، يا استاذى الجليل ، الى ان اؤكد لسيادتكم ان المشاعر النبيلة ، والكلمات

المشعة نورا التى حواها خطابكم ، نفذت الى عقولنا وقلوبنا ، فاشتعلت الدفء فى وجداننا ، وداوت بعض جراحنا ، وزادت فى تصميمنا على المضى فى صبر الصابرين ، ونضال المناضلين ، حتى النهاية .

وحديثكم الخطير عن الخلل الذى « ما برح يشوب علاقة الزمالة النضالية بين القلم والمدفع فى وطننا » ، لابد ان يثير الهمم الفكرية ، فتتفاعل التفاعل الايجابى مع الثورة الدامية التى فجرت براكينها ابنة الشعب « فتح » الرائدة لتشق طريق العزة والحرية والوحدة العربية .

والحرب الثورية التى هدرت رياحها ، وتدفق تيارها فوق ثرى وطننا المفدى ، لابد ان تتمخض عن احداث مثيرة ، واصداء واسعة ، ونحن ان عرفت اقلامنا كيف تروى قصة المقاومة الباسلة ، وان هى درت كيف تعرب عن تقديرنا واعتزازنا بصانعى بطولاتنا الخارقة ، وكيف تدافع عن حق جماهيرنا فى التمرد على واقعها ، جعلنا الدنيا كلها تحترمنا وتبدى اهتمامها بنا ، لان منطق عصرنا هو منطق القوة والقتال ، ولن ينصت الينا العالم ، ان نحن تخلفت اقلامنا ، عن زمالة المدفع وظلت تتغنى بالامجاد الغابرة وتترنم بالكلمات المنمقة ، وتتلهى بالادعاءات الفارغة .

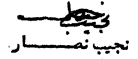
ان متطلبات الواجب القومى ، وحق الوفاء لمن يموتون كل يوم ، ويؤسرون ، تقتضى من طاقاتنا الفكرية ان تتحمل المسئولية فى نقل الاضواء بأقلام صادقة ، وافكار واعية على التضحيات المثلى ، التى قدمتها قوافل الشهداء قرابين لحريتنا ، وفى تسليط الانوار على شموعنا الوضاءة التى تحترق فى السجون لتنير لنا طريق الحياة الحرة الكريمة وفى اسماع الدنيا قاطبة زئير اسودنا التى تفترش الارض وتلتحف الموت ، لتعوضنا عن الاهانة التى لحقت بنا ، لتصير علامة هادية تغذى الفكر الثورى ، وقدوة تحفز العرب فى مشارق الارض ومغاربها ، الى دعم الثورة لتزيدها عزما وقوة ودفعا .

ومما يبعث على الالم ، ويدعو الى التفكير العميق ، ان الجود الذى جاد به ابطالنا الاشاوس ، وهو اقصى مراتب الجود ، لم يثر بعد حمية الفكر العربى ، وينزل به الى حلبة الصراع ، ونحن نهيب بهذا الفكر ان يرتفع الى مستوى الاحداث ، وينهض للعمل بواقعية ، على حشد الاقلام المخلصة ، وتجنيد الافكار الناضجة فى سبيل توحيد الطاقات العربية فى جميع المجالات لتقف كالمارد الجبار امام قوى الظلم ، التى فرضت على شعب عريق ان يهيم فى الاقطار والامصار ، واجبرته على العيش السنين الطويلة على صدقات المحسنين ، وغوث المتصدقين .

وفى اعتقادى ان حشد القوى الثورية ، لا يمكن ان يتم بصورة صاعدة ، الا بعد أن تتم تجارب المقاتلين وتجارب المثقفين بعضها بعضا ، وذلك لا يتأتى الا بتلاحم القوى الفكرية الثورية ، والقوى القتالية ، ووراء هذا التلاحم يكمن الاسلوب الثورى الذى يحرك اعماق الجماهير ، وعليه تقوم الوسيلة الفعالة لتوعية وتنوير الانسان العربى الجديد ، وعلى هديه تسلك الثورة الدرب القويم المفضى الى استقطاب الجهود ، كل الجهود ، فى هذه المرحلة المصيرية الدقيقة التى يجتازها كفاحنا المسلح ضد الامبريالية ، وضدى قوى البغى والعدوان .

ونحن اذ نتطلع ، بأمل ويقين ، الى جهود اعلامنا الفكرية ، ووحدة المقاتلين الاشراف ، نبعث الى سيادتكم من اعماق قلوب مؤمنة بحتمية النصر ، اصدق مشاعر التقدير والاكبار .

عمان — الاردن
١٤ / ٨ / ١٩٦٨ م.



نجيب نصار

■■■

حزب « التحرر والاشتراكية » فى المغرب

وصلنا من المناضلين المغربيين ، **على يعته** .. **ومحمد شعيب الريفى** ، بيانا يعلنان فيه تأسيس حزب جديد فى المغرب هو « **حزب التحرر والاشتراكية** » . وقد تقدم مؤسسو الحزب بنص قانونه الاساسى الى السلطات المغربية فى يونيو الماضى . ويتبنى الحزب « الاشتراكية العلمية كمذهب له » ، ويعمل من اجل « تطبيقها على واقع البلاد ، تطبيقا منظما ، يأخذ بعين

الاعتبار ظروف شعبنا الاجتماعية والتاريخية والنفسية » . كما سيعزز « أواصر الاخوة النضالية مع الحركة العمالية العالمية ، ومع حركة التحرر الوطني ». وفيما يلي نص القانون الاساسي للحزب ، والذي بعث به مؤسسوه للطليعة :

القانون الاساسي
لحزب التحرر والاشتراكية

١ ـ حزب التحرر والاشتراكية

الفصل الاول : يتأسس حزب التحرر والاشتراكية ، طبقا لانظمة المملكة المغربية الجاري بها العمل بشأن حقوق تأسيس الجمعيات .

الفصل الثاني : يقوم مذهب حزب التحرر والاشتراكية على اساس **الاشتراكية العلمية .** ويطبق هذا المذهب تطبيقا يكون **متناسقا مع قيم الشعب المغربي المعنوية والروحية ، المتشبعة بالروح الديمقراطية والثورية المطبوعة بطابع الحضارة العربية الاسلامية .**

الفصل الثالث : يرسم حزب التحرر والاشتراكية كأهداف عاجلة له :

١ ـ الدفاع عن سيادة الوطن واستكمال وحدته الترابية .

٢ ـ انشاء ديمقراطية حقة في الميدان السياسي والاجتماعي .

٣ ـ الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للعمال والفلاحين ومجموع العاملين اليدويين والفكريين وفئات السكان الاخرى .

٤ ـ على الصعيد الدولي يعمل حزب التحرر والاشتراكية في اطار التضامن مع العمال والفلاحين ، والشعوب الذين يكافحون ضد الامبريالية والاستغلال ، والتمييز العنصري ، وفي سبيل التحرر التام ، وتوطيد السلم العالمي .

ويرمي نشاط حزب التحرر والاشتراكية الى **اقامة مجتمع اشتراكي مطابق لواقع البلاد الوطني ، ولتقاليدها التاريخية السليمة ، ولتعاليم الاسلام التحررية ، ولقوانين تطور الانسانية التقدمي .**

٢ ـ شروط الانخراط في صفوف الحزب

الفصل الرابع : يقبل حزب التحرر والاشتراكية عضوية كل مواطن او مواطنة يوافق على برنامج الحزب ، ويلتزم بالعمل على تحقيقه ، وينتمي الى منظمة في قاعدة الحزب ، ويؤدي قيمة الاشتراكات .

٣ ـ واجبات وحقوق اعضاء الحزب

الفصل الخامس : يجب على العضو في الحزب :

١ ـ ان يراعي قانون الحزب الاساسي ، ويقبل بكل حرية الامتثال .

٢ ـ ان يقدم مصلحة الوطن والجماهير الكادحة على مصالحه الشخصية .

٣ ـ ان يجتهد لكي يكون قدوة للاستقامة الخلقية وللاخلاص في خدمة قضية الوطن والكادحين .

الفصل السادس : للعضو في الحزب الحق في :

١ ـ ان يساهم بكيفية تامة في وضع خطة الحزب ، وان ينتخب الهيئات المسيرة وينتخب فيها .

٢ ـ ان يبدي ، في اطار هيئات الحزب القانونية ، باقتراحاته وانتقاداته حول عمل الحزب ، ومنظماته ، ومناضليه ، كيفما كانت مسئولياتهم .

٣ ـ ان يحتفظ برأيه فيما يخص القرارات التي لا يوافق عليها ، لكن على شرط ان يطبق كل قرار متخذ بكيفية قانونية .

٤ ـ تركيب الحزب

الفصل السابع : يرتكز تنظيم الحزب على المبادىء الاتية :

١ ـ يقع انتخاب مسيري الحزب على جميع المستويات ، بكيفية ديمقراطية .

٢ ـ يجب على مسيري الحزب ، جماعيا او انفراديا ، ان يقدموا بصفة دورية كل الايضاحات عن وكالتهم للمنظمات والهيئات التي انتخبتهم .

٣ ـ يجب على كل اعضاء الحزب ان يمتثلوا للقرارات التي اتخذتها منظمات الحزب بصفة ديمقراطية ، ويجب على الاقلية ان تخضع لقرارات الاغلبية ، وعلى المنظمة السفلى ان تخضع لقرارات المنظمة العليا ، كما يخضع الحزب برمته ، وبدون استثناء لقرارات المؤتمر واللجنة الوطنية ـ

٤ — لا يقبل اى خرق لخطة الحزب او مبادئه ، كما انه لا يسمح بأى عمل تجزيئى .

الفصل الثامن : يتكون الحزب من فرق وفروع ومنظمات اقليمية .

الفصل التاسـع : تتركب الفرقة ، التى هى المنظمة الاساسية ، فى محل العمل او السكنى من ثلاثة افراد على الاقل .

الفصل العاشر : يتركب الفـرع من مجموع الفرق الموجودة داخـل دائرة تحـددها اللجنة القيادية للاقليم ، وهو المكلف بتسييرها .

الفصل الحادى عشر : تتركب المنظمة الاقليمية من مجموع فروع الاقليم او الناحية التى تحددها اللجنة الوطنية ، وهى المكلفة بتسييرها .

٥ — الهيئات القيادية

الفصل الثانى عشر :

المؤتمر الوطنى

المؤتمر الوطنى هو الهيئة العليا للحزب .

ينعقد المؤتمر الوطنى باسـتدعاء من اللجنة الوطنية كل سنتين ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك . ويتألف من مندوبى جميع المنظمات الاقليمية المنتخبين حسب نسبة عدد الاعضاء ، بناء على المقاييس المحددة من طرف اللجنة الوطنية . ان المؤتمر الوطنى :

— يرسم خطة الحزب السياسية .

— يعـدل ان اقتضى الحـال قانون الحزب الاساسى .

— ينتخب اللجنة الوطنية ولجنة المراقبة .

الفصل الثالث عشر :

اللجنة الوطنية

اللجنة الوطنية ، هى قيادة الحزب المركزية .

— فهى تقوم بتسيير الحزب بين دورات المؤتمر الوطنى ، وفى الاتجاه الذى حدده .

— وينتخب بين اعضـائها المكتب الوطنى ، والكاتب العام ، وكتابة اللجنة الوطنية .

— وتقوم بتسيير الهيئات المركزية للحزب .

الفصل الرابع عشر :

المكتب الوطنى

يسـير المكتب الوطنى الحـزب بين دورات اللجنة الوطنية .

ينسق الكاتب العام عمل مختلف المسئولين .

تسـهر كتابة اللجنة الوطنية على اسـتمرار نشاط الحزب ، وتنجز المهام العادية تحت مراقبة المكتب الوطنى .

الفصل الخامس عشر : المنظمـة الاقليمية ، تسيرها اللجنة الاقليمية المنتخبة من طرف المؤتمر الاقليمى . ويتألف هذا المؤتمر من ممثلى الفروع المنتخبين .

الفصل السادس عشر : الفرع تسيره لجنـة الفرع المنتخبة من طرف مندوبى الجمعيات العامة للفرق الاساسية .

الفصل السابع عشر : يسـير الفرقة حسب اهميتها العددية ، مسـئول او عدة مسـئولين تنتخبهم الجمعية العامة للفرقة .

٦ — الامتثال الحزبى

الفصل الثامن عشر : ان اسـاس الامتثـال الحـزبى هو القبول الواعى لبرنامج الحـزب ومهامه ، وهذا الامتثال الزامى بالنسـبة لجميع اعضاء الحزب بدون استثناء ، وبقطع النظر عن مسئولياتهم ووظائفهم .

الفصل التاسع عشر : يمكن ان تكون المخالفات للامتثال الحزبى حسب درجة خطورتها موضـع احدى العقوبات التالية :

١ — الانذار .

٢ — التوبيخ .

٣ — العزل من المسئوليات .

٤ — التوقيف لمدة محدودة .

٥ — الطرد من الحزب .

تتقرر العقوبات من طرف منظمة الحزب التى ينتمى اليها العضو المعاقب ، ويجب ان تصادق عليها اللجنـة القيـادية للمنظمـة التى تعلوها مباشرة .

٧ — المالية

الفصـل العشرون : تأتى اموال الحـزب من الاشتراكات ، ومن تبرعات الاعضاء .

الرباط يوم ٢ يونيه سنة ١٩٦٨ .







في منتصف سبتمبر الحالي ، ينعقد في الجزائر ، مؤتمر القمة الافريقي لمنظمة الوحدة الافريقية .. ليتدارس رؤساؤها مشاكل القارة ووسائل مواجهتها .

لقد توهم الاستعماريون في ١٨٨٥ ــ ببرلين ــ انهم قد وضعوا حدودا « ابدية » للقارة بعد ان قسموها ــ بالقهر والنهب ــ فيما بينهم .

وفي ١٩٦٢ ــ باديس ابابا ــ وبعد ان قدمت افريقيا عشرات الالاف من الشهداء والمناضلين .. ثمنا لاستقلالها السياسي ، اجتمع رؤساء الدول الافريقية المستقلة ليؤسسوا منظمة الوحدة الافريقية . . .

وفي هذا الملف ، نقدم دراسة لحركة الوحدة الافريقية منذ مولدها كمجرد افكار مثالية في بداية القرن العشرين ، وحتى انعرت في التطبيق كيانا تنظيميا تعلق عليه شعوب القارة امالا غير قليلة برغم الصراعات ومظاهر المد والجزر التي تواجهها المنظمة .

إعداد : حسين شعلان

حركة الوحدة الافريقية .. بعيداً عن أفريقيا

يخطىء من يظن أن عام ١٩٦٣ حيث انعقد المؤتمر التأسيسى لمنظمة الوحدة الافريقية فى أديس أبابا ، أو حتى عام ١٩٥٨ حيث انعقد مؤتمر أكرا للدول الافريقية المستقلة الثمانية فى غانا ، هو عام «البدء» أو «المحاولة الاولى» لوضع فكرة الوحدة الافريقية فى التطبيق العملى .

فاتجاه الوحدة الافريقية ، ليس «نبتا شيطانيا» وجد من عدم . أو فى فراغ . ولكنه «محصلة موضوعية » لافكار تمتد بجذورها لتاريخ قديم ، كانت فيه هذه الافكار نفسها انعكاسى حى لواقع محدد ..

والاحساس بالحاجة الى «الوحدة» ، هو فى جوهره ، تعبير عن «مصلحة مشتركة» فى مواجهة ظلم أو اضطهاد أو قهر من أجل تحقيق هدف مشترك واحد .

كما أن الاحساس بالحاجة الى «الوحدة» وضرورتها ، درجة راقية من الوعى ، لانه يتخطى «الاحساس الذاتى» بالقهر الى «الاحساس الجماعى» به ، وضرورة « المواجهة الجماعية » لاسبابه . وهو فى موضوعنا هذا ــ وليد الاندماج بين الافريقيين الذين هاجروا «الوطن» وبين الزنوج فى الغرب وفى امريكا بصفة خاصة حيث المهاجرين بكثرة والزنوج بالملايين . وهوــ كذلك ــ رد فعل طبيعى لمواجهة واحدة للتفرقة العنصرية وعدم المساواة بين الاجناس .

وقصة الوحدة الافريقية ، هى قصة المواجهة ضد الاستعمار والاستغلال والقهر . وهى أيضا واحدة من الوجوه الاساسية لقصة الحركة الوطنية الافريقية .

ففى الوقت الذى ظن فيه الاستعماريون انهم قد خططوا فى مؤتمر برلين ١٨٨٥ حدودا «أبدية» لافريقيا فيما بينهم ، مالبثوا أن واجهوا مقاومة وطنية حين استولت بلجيكا عام ١٨٨٥ على الكونجو وحين اقامت المانيا فى نفس العام «افريقيا الشرقية الالمانية» وحين هوجمت السودان ١٨٨٩، وزنجبار ١٨٩٠ ونياسالاند ١٨٩١ واوغندا ١٨٩٣ وداهومى ١٨٩٤، وكينيا ١٨٩٥، ونيجيريا ١٩٠٠، والصومال الايطالى ١٩٠٥ وليبيا ١٩١١ ومراكش الاسبانية ١٩١٢ .. حتى سقطت جميعها الواحدة بعد الاخرى ضحية للاحتكارات الاوروبية الصناعية والمالية .

فى أواخر القرن ١٩ هذا ، وجد المهاجرون والزنوج ــ خاصة أولئك المثقفون منهم الذين ينحدرون من أوساط الطبقة المتوسطة الجديدة التى سكنت المدن الغربية ــ وجدوا انفسهم قد خسروا كل شىء .

● فأرض «الاجداد والاباء» ــ أملهم الاحتياطى فى العودة ــ قدقهرها الاستعماريون وأخضعوها ، فضلا عن الاحساس بالترابط مع اخوتهم فى بلادهم .

● و «الوطن الجديد» ، يصر على رفضهم وعدم دمجهم به حيث تمارس القوى المسيطرة والحاكمة فيه سياسة التفرقة العنصرية ازاءهم .

ومن خلال حركة احتجاج المهاجرين والزنوج على المجتمع الجديد ، وأساسها طلب المساواة العنصرية والغاء التفرقة وتهيئة ظروف افضل للحياة والعمل والتعليم ــ نقول من خلال هذه الحركة برز الاتجاه الى تدعيم الروابط مع افريقيا واتجاه العودة الى ((الوطن)) .

نقطة البدء

واذا كانت حركة تأسيس الكنائس الافريقية المستقلة فى ذلك الوقت ظاهرة تحمل فى ثناياها «شىء آخر اكثر من مجرد الرغبة فى اقامة مكان

للقيادة خال من سيطرة البيض (١) ، فان حركة المهاجرين نحو التجمع ، ظاهرة ادركت ضرورة عقد مؤتمر لمناقشة مستقبل هذه الشعوب الافريقية والجاليات الافريقية الاصل . وقد اشترك في هذه المناقشات زعماء من القيادات الزنجية . وأسفر النقاش عن توجيه دعوة من **سلفستر وليامز** المحامي الزنجي من ترينداد (بجزر الهند الغربية) ، لعقد **أول مؤتمر للجامعة الافريقية** عام ١٩٠٠ وتكوين جمعية بان افريكان (٢) .

نقول ان الاحساس والوعي بضرورة خلق «الكيان» أو «التنظيم» المستقل ، قد برز في ذلك الوقت في أفريقيا بين أبنائها المقيمين فيها وفي خارجها بالغرب وفي أمريكا بشكل خاص بين أبنائها المهاجرين . برز احساس الافريقي بضرورة خلق «الكنيسة المستقلة» حيث لعب الدين هنا دورا هاما في ايجاد «صياغة» تكيف وجوده في مواجهة ظاهرة اصطدامه بواقع معقد وطبيعة معقدة وقوية .. وحيث يعني هذا «الكيان المحلي المستقل» رفضه للواقع الجديد وتمسكه بمثاليات وقيم أخرى . بينما برز — في نفس الوقت — وعي المهاجرين بضرورة خلق «كيان دولي مستقل» يميزهم .. ويعني أيضا احتجاجهم على «علاقات» المجتمع الجديد حيث تسود سياسة التفرقة العنصرية وعدم المساواة .

في ذلك التاريخ من عام ١٩٠٠ والظروف المحيطة به ، حيث حرب **البوير** في جنوب افريقيا وحيث «رودس» يتوسع غزوا في وسط أفريقيا ، وحيث القوانين العنصرية الجديدة تصدر في الولايات الجنوبية لامريكا — في ذلك التاريخ خرج مصطلح «الجامعة الافريقية» لاول مرة في التاريخ في مناخ يسوده الاحساس «بالغربة التامة والاستغلال والعذاب الروحي» (٣) حيث دعا سلفستر وليامز الذي كان يقيم في بريطانيا الى عقد المؤتمر الذي حضره ٣٠ عضوا من المثقفين الزنوج والمهاجرين المتأثرين بالفكر الانجليزي والتقالية الانجليزية . وقد رأس هذا المؤتمر **القس الامريكي الزنجي الكسندر والترز** وتولى السكرتارية **الدكتور ادوارد بوجهاردت ديبوا** . (٤)

وقد حدد المؤتمر أهدافا لمناقشاته : تدعيم الروابط بين الشعوب التي تنتمي الى القارة الافريقية ، ودراسة ووضع الخطط الكفيلة بقيام علاقات فهم مشترك بين الاجناس الافريقية ثم البدء في قيام حركة تطالب بمنح الافراد الذين ينتمون الى الاصل الافريقي في أوربا وأمريكا ، حقوقا انسانية كاملة ومساواة تامة بغيرهم .. ولرعاية مصالحهم .

وما لبثت مناقشات المؤتمر ونتائجه أن تجسدت في صورة عملية في بعض الكيانات التنظيمية التي تشكلت بعد ذلك كحركة نياجارا (١٩٠٥) التي اعقبها خلق «الجمعية الوطنية لتقدم الملونين» (١٩١٠) . وفي جنوب أفريقيا تأسس **المؤتمر الوطني الافريقي (١٩٠١) وفي غرب افريقيا بدأت الاتصالات الاولى** التي أسفرت فيما بعد عن تأسيس **«المؤتمر الوطني لغرب افريقيا»** . وقد تمثلت هذه التنظيمات جميعها — في ذلك الوقت — الخط العام لنتائج مؤتمر ١٩٠٠ الذي يدور بشكل أساسي حول قضية التفرقة العنصرية والمساواة — وحق التعليم ورفع مستوى المعيشة .

ويمكن رصد الملاحظات الاساسية التالية على مناقشات مؤتمر ١٩٠٠ ونتائجه . فقد دارت هذه المناقشات على أرضية عامة «ليبرالية» لم تطرح فيها قضية «السلطة السياسية» وضرورة تسلم الافريقيين لها كأساس لاية اصلاحات وحلول لمشاكل حياتهم . بل حتى قضية «المشاركة في السلطة» لم تطرح بشكل واضح فقد دارت المناقشات حول «الادارة الديمقراطية» للمستعمرات .. ويعود ذلك الى مستوى نضج هذه الحركة السياسية والظروف المحيطة بها . كما أن قضية «التفرقة العنصرية» و «المساواة» كانت هي الشغل الشاغل للقائمين على المؤتمر ، حيث قسوة معاناتهم لها من جهة وحيث طبيعة تكوينهم الاجتماعي كمثقفين يتحدرون من أوساط الطبقات الوسطى . فحتى ذلك الوقت كان الدكتور ديبوا — مثلا — يؤكد على أن «مشكلة القرن العشرين هي مشكلة الملونين » (٥) . على انه من الخطأ التقليل من أثر وفعالية هذا المؤتمر كنقطة بدء لحركة الوحدة الافريقية من جهة وكمؤثر ساهم بشكل كبير في تأسيس بعض الحركات الوطنية التي لعبت بعد ذلك دورا هاما في حركة التحرر الافريقي .

ويبقى أن نرصد ، أن هذا المؤتمر قدم الى حركة الوحدة الافريقية زعيما من روادها الاساسيين هو الدكتور ديبوا الذي حقق بعد ذلك — في هذا المجال — شهرة واسعة .

---

(١) افريقيا : صحوة الاسد . جاك ووديس . ترجمة عبد الخالق عامر ص ٢٧
(٢) من مقال للدكتور عبد الملك عودة بعنوان « الرائد المصري للوحدة الافريقية» مجلة السياسة الدولية العدد ٦ ص ١٥٠ ومن كتاب : « افريقيا في المتحدة » لكوايسون ساكي ص ٥٩ .
(٣) افريقيا : سياسة الوحدة — أ . والرشتين . ص ٧ .
(٤) من كتاب فكرة الوحدة الافريقية . د. عبد الملك عودة . ص ٢٧ .
(٥) من كتاب الدكتور ديبوا : في المعركة من أجل السلام — قصة ٨٣ سنة من حياتي .

بعد ذلك كله ، فان انعقاد المؤتمر بعيداً عن الجماهير الافريقية قد افقده كثيرا من قواه، حتى ان مؤتمرا آخر لحركة الوحدة الافريقية لم يتمكن من الانعقاد قبل عام ١٩١٩ .

أفريقيا للافريقيين

برغم ان تطورات احداث السنوات الاولى للقرن العشرين ــ بعد ١٩٠٠ ــ كانت مواتية لاثارة قضية التجمع الافريقي ضد الاستعمار ، الا ان ظاهرة الانقسام التي دبت في صفوف قيادات حركة الزنوج الامريكية ، اضعفت امكانيات تحريك هذه القضية . فقد نشب الصراع بين تيارين اساسيين : احدهما تيار يتزعمه **بوكر وشنطن** الذي حاول تولى قيادة حركة الجامعة الافريقية وفكر في عام ١٩٠٦ لعقد مؤتمر لها . هذا التيار الذي كان اساسا بعد ذلك لاتجاه الدعوة الى عقد مؤتمرات للشعوب الملونة في العالم كله و«العودة الى افريقيا» ، وتزعمه بعد ذلك ماركوس جارفي ، ولايسع المرء الا ان ينظر في حذر لاتجاه العودة الى افريقيا .. فلا شك ان الراسمالية الامريكية كانت تشجع بروز هذا الاتجاه وتنميته ، لانه من جهة ، وسيلة للتخلص من الزنوج بتهجيرهم حيث يشكلون مشكلة متفجرة . ويمثل هذا الحل ايضا ، تأمل الراسمالية الامريكية بتهجير هؤلاء ، خلق فئة اجتماعية جديدة ــ سوف تتولى ــ بحكم تعلمها وخبراتها في المجتمع الامريكي ــ مراكز عليا وقيادية في اجهزة الدولة في افريقيا . ومن ثم يمكن الاعتماد عليهم فيما بعد .

أما التيار الاخر ، فقد تزعمه الدكتور ديبوا الذى اختلف مع بوكر وشنطن حول تنظيم حركة الزنوج واهداف عملها السياسى ومراحله وشعاراته . وقد لعب ديبوا الدور الاساسى في تأسيس حركة جماعة نياجارا في عام ١٩٠٥ ، ثم عقد مؤتمرى ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ اللذين افضيا بعد ذلك الى تأسيس الجمعية الوطنية لتقدم الملونين .

لكن هذه المؤتمرات جميعها ، لم ترق الى مستوى اهمية مؤتمر ١٩١٩ ، الذى انضجته ظروف تلك الفترة من تاريخ العالم .

ففي افريقيا ، وعلى ارضها ، شهدت هذه السنوات ، سلسلة من اعمال النضال الوطني ضد نتائج الغزو الاستعماري في سيراليون والكاميرون (١٩٠٦) حيث تطور الاحتجاج ضد «فرض الضرائب» الى حركة ضخمة في عام ١٩١١ . وفي ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ شهدت نيجيريا اضطرابات ضخمة ، كما تفجرت في انجولا ثورة بوتا ١٩١٣ــ١٩١٥ . ونشبت الثورة في منطقة جيرياما في كينيا في ١٩١٤ حتى شملت كل كينيا عام ١٩٢٨ . وفي نياسالاند تزعم جون شيلبيوى عام ١٩١٥ معركة يائسة وغير متكافئة ضد الاستعمار . واذا كانت هذه بعض أمثلة النضال الوطني الافريقي في ذلك الوقت ، فان كثيرا من البلاد الافريقية الاخرى في الشمال والشرق والجنوب ، قد شهدت انفجارات وطنية متعددة لاتقل في اهميتها عن هذه الامثلة .

كان ذلك هو المناخ العام في افريقيا في ذلك الوقت ، وقد كان له اثر بالغ على انضاج حركة الوحدة الافريقية في الخارج .. مؤثر فيها جنبا الى جنب المناخ الدولي العام الذى اعقب الحرب العالمية الاولى وانتصار اول ثورة اشتراكية في التاريخ في روسيا ١٩١٧ .

في ذلك الوقت اندلعت حركة التحرر الوطني في المستعمرات بعد الحرب العالمية الاولى تطالب باستقلال بلادها حيث ساد شعار « حق الامم في تقرير المصير » واصبح مطلبا اساسيا للشعوب . وقد انعكست آثار الثورة الاشتراكية بوضوح على ابرز زعماء حركة الوحدة الدكتور ديبوا الذى ابدى ــ في مجلة **الازمة** التي كان يراس تحريرها ــ اعجابه بالاتحاد السوفيتي وتجربته في تعايش الاجناس والالوان والقوميات المختلفة . وجدير بنا هنا أن نذكر أن الدكتور ديبوا كان قد انضم في عام ١٩١١ **للحزب الاشتراكى الامريكى** ، ثم تأثر بعد ذلك بالفكر الماركسى دون التزام بالتنظيم الشيوعى حتى عام ١٩٤٥ حيث انضم اليه في امريكا ثم ترك امريكا واستقر في غانا حتى مات .

لقد تصدى ديبوا الى عقد مؤتمر للجامعة الافريقية حين اوفدته الجمعية الوطنية لتقدم الملونين الى باريس عشية انعقاد مؤتمر الصلح . وهناك اتصل بالنائب السنغالي بليزديان عضو البرلمان الفرنسى عن السنغال الذى سهل له عند الحكومة الفرنسية موافقتها على عقد المؤتمر في باريس .

وفي فبراير ١٩١٩ انعقد المؤتمر تحت الشعار الذى رفعه ديبوا «افريقيا للافريقيين» حضره ٥٧ عضوا منهم ١٢ افريقيا .

ونستطيع أن نلحظ بوضوح على أعمال هذا المؤتمر ونتائجه ، تأثير وجود ١٢ عضوا افريقيا فيه . فبالاضافة الى مناقشات المؤتمر وقراراته بطلب وضع قانون دولي لحماية الزنوج في العالم ضد التفرقة العنصرية ، ومن اجل حقهم في المساواة وفي تكوين نقاباتهم العمالية وامتلاك الاراضى ، وفي حقهم في التعليم ، نجد الى جانب ذلك بصمات الاعضاء الافريقيين على قرارات المؤتمر الخاصة بمشاركة الافريقيين في حكم بلادهم حيث تبدأ المرحلة الاولى لوعى الافريقيين باهمية المشاركة في السلطة السياسية ثم رفع شعار « الحكم الذاتى » . على أن مفهوم المشاركة في هذا المؤتمر



كان يعنى الابتداء بالحكم المحلى والقبلى، ليتدرجوا الى الاشتراك بعد ذلك شيئا فشيئا فى المراكز العليا فى الدولة . وقد اكد هذا المؤتمر فى قراراته انه يمثل حركة الزنوج فى العالم وانه لابد وان يكون له دور فى أعمال «لجنة الانتدابات» التابعة «لعصبة الامم » فى ذلك الوقت ».

مؤتمرات ثلاثة ـــ وتيارات ثلاثة

فى عشرينات هذا القرن ، وبالتحديد فيما بين ١٩٢١ و ١٩٢٧ ، شهدت حركة الجامعة الافريقية، مؤتمرات ثلاثة يجمع بينها أن الغلبة فيها كان للزنوج وخاصة الامريكيين (٦) .

وقد برزت خلال هذه المؤتمرات (١٩٢١ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٧) تيارات ثلاثة هى مايسمى « بالقومية السوداء، والدعوة الى العودة الى أرض الاباء والاجداد » (٧) ،وتيار الاشتراكية وتيار الوحدة الافريقية . واذا كان ماركوس جارفى(٨) يعد زعيم ذلك التيار الاول الذى كانت احدى امتداداته ـــ فكريا ـــ بعد ذلك مايعرف بتيار « الزنوجة » الذى ساد بدوره المثقفين الافريقيين المتأثرين بالفكر الفرنسى ومعظمهم عاش فى باريس فترة تعلمه وشبابه ـــ فان الدكتور ديبوا يعد زعيم التيارين الاخرين ـــ رغم خلافاته الاولى مع الزنوج الشيوعيين ـــ حيث أقام علاقات وطيدة بالاشتراكيين الانجليز أمثال سيدنى ويب. ومالبث أن تزعم الدعوة بعد ذلك **جورج بادمور وكوامى نكروما وجوموكينياتا** .. الخ .

وبينما يتصارع تيار جارفى وتيار ديبوا قبل واثناء المؤتمر فى لندن عام ١٩٢١ ، سادت الانقسامات الفكرية والتنظيمية الاحزاب الاشتراكية فى أوربا بشكل خاص كرد فعل للاحداث التى أعقبت ثورة أكتوبر وحروب التدخل الاستعمارية ضدها .. على أساس الموقف من هذه الاحداث . وقد كان لذلك أثره الكبير على تيار ديبوا الذى كان ينوى دعوة مراقبين من القيادات الاشتراكية فى أوربا وامريكا لحضور المؤتمر . ونتيجة لاضطرابات الموقف الدولى اضطر مؤتمر ١٩٢١ الى عقد جلساته فى ثلاث عواصم أوربية فى المدة مابين ٢٨ أغسطس حتى ٦ سبتمبر .. فى لندن وبروكسل ثم باريس . وقد حضره ١١٣ عضوا من بينهم ٤١ افريقيا و ٣٥ مندوبا من الولايات المتحدة و ٢٤ مندوبا يمثلون الزنوج المقيمين فى أوربا وباقى المندوبين من جزر الهند الغربية .

وقد غلب الاتجاه ـــ فى مؤتمر لندن ـــ الى المطالبة «بالحكم الذاتى المحلى» للافريقيين فى سبيل اقرار «الحكم الذاتى العام» و «اقامة المنظمات السياسية بين الشعوب المغلوبة على امرها »، كل ذلك فى «بيان للعالم» الذى أصدره المؤتمر وطالب فيه عصبة الامم بتأليف لجنة دولية لدراسة أحوال الزنوج فى العالم .

ومن الملاحظ ان نغمة الهجوم الاساسية انصبت على بلجيكا والبرتغال وانجلترا بسبب أوضاع الحكم فى المستعمرات الافريقية . ولكن استثنيت فرنسا من هذا الهجوم . ويرد بعض الدارسين للشئون الافريقية هذا الى وجود الاعضاء القادمين من فرنسا الذين نظروا الى سياسة «الاندماج» التى اتبعتها فرنسا مع مستعمراتها ، كخطوة تقدمية تعطى الافريقيين حق المساواة بوصولهم الى مراحل التعليم وخبرات الحضارة الاوروبية . وقد القت هذه الفكرة ، استحسانا لدى معظم الزنوج القادمين من أمريكا والذين اعدوا الاعتراف بحقوقهم فى المساواة مع البيض ماداموا قد وصلوا الى نفس مستوى التعليم والمعيشة ، مطلبا رئيسيا لهم ، مما يكشف عن تركيبهم الاجتماعى وسط حركة الزنوج والوحدة بشكل عام .

وأمام هجوم المؤتمر من ناحية ، ثم تغلب تيار جارفى على تيار ديبوا ، وحين تأزم الصراع ،انتقل المؤتمر الى بروكسل حيث ساده التيار الاول .ولكن سرعان ماانفجر الصراع الفكرى داخل هذا التيار بين الزنوج القادمين من أمريكا والزنوج القادمين من فرنسا وبلجيكا . فبينما ترى الكتلة الاولى ضرورة اجراء تغيير فى الواقع السياسى فى افريقيا، رأت الكتلة الثانية اقرار الامر الواقع . وتبادلت الكتلتان الاتهامات . وسرعان ماأتجهت الكتلة الثانية الى الانتقال الى باريس حيث انتقل المؤتمر ودب الانقسام من جديد حول تحديدهل هم «زنوج» أم «فرنسيون» ؟

يبقى أن نقول ان تيار جارفى الذى انتشر بين المثقفين الزنوج يقوم على أساس فكرة « البعث الزنجى » التى انتشرت فى أدب وفكر وشعر ونثر يمجد اللون الاسود ويرى القدرة على ان يصل الى مستويات الابيض المعيشية والفكرية والحضارية بشكل عام .

وبعد ذلك بعامين ـــ فى ١٩٢٣ ـــ نجح الدكتور ديبوا بعد مواجهة كثير من الصعاب ، فى عقد مؤتمر بلندن للجامعة الافريقية ، كان أقل أهمية من مؤتمر ١٩٢١ وحضره عدد أقل . وقد شهد المؤتمر امتداد الانقسامات والصراعات السابقة ، انعكست فى قراراته مابين المطالبة بمشاركة الافريقيين فى

---

(٦) افريقيا : يجب ان تتحد ـــ كوامى نكروما . ص ١٣٢ ـــ افريقيا ممسوة الاسد . جاك وودبس . ص ٣٢ .
(٧) فكرة الوحدة الافريقية ، د. عبد الملك عودة .
(٨) زنجى من جامايكا تلميذ لاراء بوكر وشنطن . وصل الى لندن فى عام ١٩١٢ .

الحكم وبين المطالبة بحق ملكيـة الارض على ان كوامى نكـروما ـ فى كتـابه « افريقيـا : يجب ان تتحـد » ـ يعتقـد بأهميـة تحـديد أن مجموعة ديبوا قد بدأت تدرك أكثر فأكثر فى ذلك المؤتمر اهمية « النظرة السـياسية للعـدالة الاجتماعية » ، رغم ضعف تأثير هذه المجموعة . كما يصف نكروما أعضاء المؤتمر بأنهم «مثاليون أكثر من أن يكونوا عمليين» . وتحت تأثير مصاعب تمويل المؤتمر وقلة عضويته انهى اعماله .

وفى ١٩٢٧ اتجهت نية الدكتور ديبوا الى عقد المؤتمر الخامس (٩) فى الاراضى الافريقية نفسها ـ **فى تونس** (١٠) ـ ولكن السلطات الفرنسية اعترضت على ذلك . فاجتمع أعضاء المؤتمر الذى بلغ عددهم ٢٠٨ اغلبهم من الولايات المتحدة ، فى نيويورك ١٩٢٧ . ويلاحظ ان ديبوا قد تحدث فى دعوته الى الوحدة الافريقية ـ فى هذا المؤتمر ـ عن ضرورة تعاون جميع الشعوب الملونة فى العالم من الزنوج والمصريين والهنـود والصـينيين والاثيوبيين .. الخ فى حركة واحدة لتحرير الملونين من الاستعمار والتفرقة العنصرية وأن كل الشعوب الملونة حلفاء طبيعيون فى هذه الحركة (١١) . ويرد الدارسون هذا التحول الهام ، الى الاتصال الذى اجراه ديبوا بعد مؤتمر ١٩٢٣ بزعماء غرب افريقيا فى سيراليون وساحل الذهب (غانا فيما بعد) ومن خلال احتكاكه بزعماء آخرين من آسيا وافريقيا فى باريس عند انعقاد مؤتمر الصلح وبعده . وقد ادى الخلاف الذى تفجر فى ذلك الوقت بين الحزب الشيوعى الامريكى والكومنترن ، وبين الحركات السياسية للزنوج فى أمريكا ، حول «أسلوب حل قضية الزنوج» ، الى اضعاف فعـالية المؤتمر ونتائجه . وكان الهجوم يصف ديبوا وزملاءه بأنهم بورجوازيون ، مما دفع ديبوا الى شن هجوم على الشيوعيين .

ولم يتمكن أحد من الداعين الى الجـامعة الافريقية بعد ذلك ـ وحتى عام ١٩٤٥ ـ الى عقد مؤتمر جديد حيث دخل العالم أزمته الاقتصادية فى عام ١٩٢٩ وضاعت الاموال التى كانت تمول حركة مؤتمرات الجامعة الافريقية ولاسيما الزنوج الامريكيون الذين كانوا يقومون بدور رئيسى فى هذا الشأن .

الافريقيون يتصدرون الدعوة

بعد الازمة الاقتصـادية العـالمية وحتى عام ١٩٤٥ ، شهدت انجلترا عـددا من التحـركات السياسية الافريقية . فقد تكونت فى عام ١٩٣٤ جمعية أصدقاء حرية أفريقيا ونواتها **(مجموعة ساحل الذهب)** . وقامت هذه الجمعية بسلسلة من النشاط تحتج به على بعض التشريعات التى اتخذتها الحكومات الاستعمارية فى مسـتعمراتها الافريقية . وباتساع حركة نشاط هذه الجمعية ، شكلت فى عام ١٩٣٧ «المكتب الافريقى الدولى» (١٢) . ثم شكلت مع غيرها من المنظمات الافريقيـة فى بريطانيا ، **«اتحاد الجامعة الافريقية»** (١٣) عام ١٩٤٤ .

وفى اواخر الحرب العالمية الثانية ، بدا واضحا انتصار معسكر الديمقراطية ضد الفاشية . وكان لذلك اثره على الحركات السـياسية والفـكر السياسى للزعماء الوطنيين فى المستعمرات التى باتت شعوبها تتطلع فى لهفة الى استقلالها السياسى الكامل .

وفى هذا المناخ الدولى الجـديد ، انحسرت الاتجاهات «العرقية» «واللونية» ـ كرد فعل لهزيمة الفاشية ـ مما اثر على علاقـة الزنوج الامريكيين بالافريقيين وبدأت تتخذ أشكالا أخرى ، وأصبح على الزنوج الامريكيين أن يعتبروا انفسهم أمريكيين ليخوضوا المعركة على أرض أمريـكا نفسها . وازاء ذلك كله ، وجد الافريقيون أنه لابد من توليهم بأنفسهم قيادة حركة الجامعة والوحدة الافريقية من أجل تحرير بلادهم واستقلالها .

فى ذلك الوقت كذلك ، ظهرت الزعامات الشابة الافريقية التى كانت تتلقى العلم فى اوربا أمثال **كوامى نكروما وجومو كينياتا وابراهامز من جنوب افريقيا وجونسون من سيراليون وداونز من جامبيا** بالاضافة الى **جورج بادمور** من جزر الهند الغربية . وقد اثر هؤلاء جميعا فى فكر بعضهم البعض واعتنق معظمهم الفكر الماركسى فى ذلك الوقت . بل ان بادمور كان عضوا فى الحزب الشيوعى منذ عام ١٩٢٠ . وقد دعا هؤلاء جميعا الى عقد مؤتمـر للجامعة الافريقية فى ١٩٤٥ فى مانشستر ببريطانيا .

واذا كان الدكتور ديبوا يأخـذ على المؤتمرات السابقة على انعقاد مؤتمر مانشستر ، انها كانت امريكية الشكل والمضمون أكثر منها افريقية المنبع والهدف .. اذ يقول «اننا فى ذلك الوقت لم نكن نتمتع بعقلية افريقية ومفهوم أفريقى »(١٤) ـ نقول اذا

---

(٩) يختلف الدارسون حول اعتبار مؤتمر ١٩٠٠ المؤتمر الاول للجامعة الافريقية . فمنهم من يعتبره كذلك . ومنهم من يعتبر مؤتمر ١٩١٩ المؤتمر الاول ، مثل جاك وودبيس وكوامى نكروما . ولكن يميل معظم الدارسين الى الاتجاه الاول .

(١٠) تحديد مدينة تونس نقلا عن كتاب جاك وودبيس . اذ يعتقد كتاب آخرون ان جزر الهند الغربية هى المكان .

(١١) من كتاب الدكتور ديبوا : فى المعركة من اجل السلام ـ قصة ٨٣ سنة من حياتى .

(١٢) افريقيا : سياسة الوحدة ـ ١ . والرشتين . ص ١١ .

(١٣) نفس المصدر .

(١٤) ديبوا فى المعركة من اجل السـلام ، قصة ٨٣ سنة من حياتى

كان ذلك كذلك ، فان مؤتمر ١٩٤٥ كان افريقي الشكل والمضمون الى اكبر الحدود . ولهذا ينظر الدارسون للشئون الافريقية الي مؤتمر مانشستر على انه منعطف تاريخي وعلامة أساسية فيتاريخ العمل للوحدة الافريقية ».

لقد انتخب المؤتمر الدكتور ديبوا كرئيس شرف حيث كان عمره في ذلك الوقت ٧٣ عاما . وانتخب نكروما وبادمور لسكرتاريته . وانتخب كينياتا سكرتيرا مساعدا ».

لقد كان واضحا أن مرحلة جديدة قد بدأت عندما انعقد مؤتمر مانشستر ١٩٤٥ . وقد صادفت استعدادات انعقاده، اجتماع المؤتمر الاول لنقابات العمال العالمي في لندن . وقد حدث في الاجتماع التمهيدي لمؤتمر مانشستر أن قام ممثلو المنظمات الافريقية ومنظمات جزر الهند الغربية في بريطانيا مع مندوبي النقابات العمالية في المستعمرات بمساندة اتحاد النقابات العالمي ، بوضع برنامج مؤقت وجدول أعمال مؤتمر مانشستر . ونتيجة لهذا كان المؤتمر يمثل انعكاسا لمطالب المنظمات الشعبية النامية في افريقيا (١٥) .

ولقد وضحت آثار هذا التمثيل على قرارات المؤتمر الذى استنكر «الوصاية» و «الحماية» بصفتها مناورات لم تخدم شعوب أفريقيا . ودعا المؤتمر حكومة العمال البريطانية الى تحقيق مطالب شعوب أفريقيا في الاستقلال والديمقراطية وحقوقها في ثروات بلادها . وجاء في بيان المؤتمر « .. اننا لانريد الا نموت جوعا ونحن نقوم بدور (المرطون) في العالم لكى نساند بفقرنا وجهلنا ارستقراطية زائفة واستعمارا مرفوضا . انما سنجعل العالم يستمع الى حقائق اوضاعنا . وسنكافح بكل ما في وسعنا من طرق في سبيل الحرية والديمقراطية والاصلاح الاجتماعي ».

الى هذا الحد ، كان الفارق بين مطالب مؤتمر ١٩٤٥ وبين مطالب المؤتمرات التى سبقته . ويتجلى ادراك المؤتمر لوحدة المعركة ضد الاستعمار في العالم حين بعث بتحياته الى شعوب الهند واندونيسيا وفيتنام التى كانت تناضل في سبيل الاستقلال . وكان ذلك يبشر — فيما بعد — بباندونج والتضامن الاسيوى الافريقي في خمسينات وستينات القرن العشرين .

كما أن الفكر الاشتراكي كان واضح التأثير على اعلان المؤتمر الذى يقول « ان هدف الدول الاستعمارية هو الاستغلال . ولذا فان كفاح الشعوب المستعمرة من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية، انما هو الخطوة الاولى اللازمة لتحقيق التحرر الاجتماعي والاقتصادى والسياسي التام . ويجب ان يكون عمال المستعمرات في طليعة المعركة ضد الاستعمار ».

ويحدد المؤتمر واجبات محددة على الافريقيين فيقول « واليوم ليس ثمة الا طريقا واحدا للعمل الفعال ، وهو تنظيم الجماهير . ولابد ان ينضم الى هذا التنظيم المتعلمون من اهالى المستعمرات. فيا شعوب العالم المستعمرة والخاضعة اتحدوا » .

ويقول نكروما في كتابه « افريقيا : يجب أن تتحد » أنهم اصدروا بعد المؤتمر مجلة شهرية هى « **الافريقي الجديد** » التى لعبت دورا هاما بعد ذلك في بلورة الاتجاهات الوطنية والاشتراكية عند الزعماء الافريقيين المناضلين من اجل تحرير بلادهم . كما لعبت هذه المجلة دورا تنظيميا هاما في تجميع الشباب الافريقي في الخارج من حولها والارتباط بالمنظمات الوطنية الافريقية التى كانت قائمة في ذلك الوقت. كما لعبت دورها في تحقيق قرار المؤتمر بتعبئة الرأى العام العالمى — وبين الزنوج خاصة — لمساندة نضال شعوب افريقيا من اجل الاستقلال وتدعيم كفاحها الوطني .

على ان نكروما ، الذى تسلم علم حركة الجامعة الافريقية ، قد لعب دورا ايجابيا بارزا حين اتصل بزعماء افريقيين آخرين كانوا يقيمون في فرنسا من امثال **ليوبولد سنجور** (السنغال) **وسورو أبيتي** (داهومى) **وهوفيه بوانييه** (ساحل العاج) . ويجرنا ذلك الى الحديث عن تيار « **الزنوجة** » (١٦) .

الزنوجة

نشأ تيار الزنوجة كرد فعل لسياسة «الاندماج» التى انتهجتها فرنسا تجاه المستعمرات . وقد بدأت بين المثقفين الافريقيين الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا أو يقيمون بها كمندوبين عن بلادهم في البرلمان الفرنسي . وقد تأثر هذا التيار — بشكل اساسي — باتجاه **أيميه سيزيه** وهو شاعر من المارتينيك بجزر الهند الغربية . ويدعو تيار « الزنوجة » الى وحدة مجموعة الافريقيين الذين ينتمون الى اصل زنجي ، وليس كل افريقيا حيث تنتمى مجموعات اخرى الى اصول غير

(١٥) افريقيا : صحوة الاسد . جاك وودبس .
(١٦) يستخدم هذا التعبير الدكتور عبد الملك عودة في كتابه : فكرة الوحدة الافريقية . و « الزنوجة » اصطلاح على وزن « العروبة » .

زنجية . ولعل فى ذلك ، ما يفسر لنا تردد بعض القيادات — وخاصة فى المستعمرات الفرنسية السابقة — بشأن قضية الوحدة الافريقيـــة الشاملة .

على ان هذا التيار ، كان يفتقد الى اى مضـــمون ثورى . لانه يـكتفى باثارة عواطف « اللون » و « الجنس » كرد فعل للكبت والقهر اللذين لاقاهما على أيدى المستعمرين الفرنسيين .

وقد غلب على هذا التيار — كمـــا نشـــأ فى البداية — طابع ادبى وفنى . وينظر كوايسون ساكى فى كتـــابه « افريقيا غير المتحـــدة » ، الى **كويجى اجرى** كنموذج فريد فى كتاباته لهذا التيار . ويرى دارسون آخـــــرون ان سنجور وبوانييه ممثـــلان صادقان لهـــذا التيـــار أيضـــا (١٧) . ويستشهد ساكى بجزء مما جاء فى كتب اجرى ، حين يقول الاخير « **اذا صعدت الى الســماء وسألنى الله . اجرى .. سوف ابعثك ثانيـــة الى الارض . فهل تحب ان تبعث فى صورة رجل ابيض ؟ فسوف اجيب : لا . ابعثنى ثانية كرجل اسود . نعم ، كرجل اسود تماما . فاذا ماسألنى الله : لماذا ؟ فسوف اجيب : لاننى جئت كرجل اسود وليس كرجل ابيض ولا استطيع الا ان اكون نفسى . من فضلك . ارجوك ان تبعثنى ثانية كأسود الى الحد الذى تستطيع ان تجعلنى فيه اسودا للغاية** » (١٨) .

ويمكن اعتبار فلسفة « الزنوجة » ، فلسفة هروبية لانه لا يمكن اعتبار اللون او الجنس عاملا اساسيا للفكر السياسى . فذلك لن يؤدى — عمليا — الا الى تمجيد الاوضاع البدائية والقيم القديمة فى افريقيا وما يرتبط بها من نظم حكم وصور اجتماعية متخلفة .

على ان تيار الزنوجة حينما تخطى نطاق الادب والفن الى ميدان السياسة ، ظل اطارا ضيقا لدعوة الجامعة الافريقية وحيث لا يبـــدو اى مستقبل له .

وبرغم ذلك ، فقد نجحت قيادات افريقية فى المناطق الفرنسية السابقة من هذا التيـــــار مثل قيادات غينيا ومالى .. التى اقامت علاقات التفاهم مع قيادات المناطق الاخرى فيما كان يسمى «بافريقيا الانجليزية » و « افريقيا العربية » . ويجرنا ذلك الى الحديث عن موقع افريقيا فى الفكر العربى المصرى .

برغم الارتباطات التاريخية الحضارية القديمة التى ربطت بين « مصر الفرعونية » و « مصر المسيحية » و « مصر الاسلامية » وبين أفريقيا ، الا ان الفكر المصرى حتى منتصف القرن العشرين كان يعرف افريقيا فى صور جزئية . وكان المثقفون المصريون ينظـــرون الى افريقيـــا فى حـــدود السودان ، أو على احســن الفروض فى حـــدود « منابع وادى النيل » . وفى حدود هذه « النظرة الجزئية » لافريقيا ، كان هناك تياران :

— يتبنى الاول منهما ، فكرة « المجال الحيوى » لمصر فى افريقيا تحت شعارات مختلفة . ويتمثل هذا التيار ، فكر البورجوازية المصرية بشـــكل عام وقطاعيها المالى والتجارى بشـكل خاص . ونستطيع ان نضع اصابعنا بوضوح على هـــذه الفكرية ، فى برامج عديد من الاحزاب المصرية التى عملت فى الحركة السياسية المصريـــة قبل ثورة ١٩٥٢ . نذكر — كمثال — ماجاء ببرنامج حزب الفلاح المصرى فى مادته الثامنة عشر اذ يقول عن اهداف الحزب « العمل على زيادة الانتـــاج فى المناجم المصرية والسودانية ... وعدم التصريح باحتكارها للاجـــانب **الا اذا اشـــتركت رءوس الاموال المصرية فيهـا بقدر كبير لا يقل عن ٥٠٪ على كل حال** » . وبينمـــا جمدت برامج معظم الاحزاب البورجوازية فى مصر عند ذلك المفهوم ، غيرت بعضها القليل الاخر مفهومها السابق واحت تعترف بحق شعب السودان فى تقرير مصيره وفى تحديد شكل التعاون بينه وبين شـعب مصر . مثال ذلك ماجاء بالبرامج المعدل للحزب الاشتراكى (مصر الفتاة سابقا) فى هذا الشان ، ونحن نرجع هذا التغيير ، الى اثر الفكر الاشتراكى فى مصر فى ذلك الوقت على الحركة السياسية المصريـــة بشـــكل عام حيث شـــكلت المنظمات التى تبنت الاشـــتراكية وقتهـــا عنصرا مؤثرا فى الحيـــاة السياسية المصرية وقتها .

— اما التيار الثانى ، فهو تيار الفكر التقدمى والاشتراكى ، الذى كان يدرك ان المعركة الوطنية فى مصر جزء لا ينفصـــل عن المعركة الوطنية فى افريقيا وسائر المستعمرات . بل لقد كان التعاطف مع كفاح شعوب القارة ضد الاستعمار ، تسود القطاعات الشعبية ، نذكر مثلا الاهتمام الواسع — بل التعاطف الملحوظ — الذى تابعت به الجماهير الشعبية أنباء المقاومة الوطنية فى الحبشـــة ضد الغزو الايطالى عام ١٩٣٦ . كذلك التعاطف مع حركة « الماو ماو » فى كينيا فى الخمسينات .

(١٧) فكرة الوحدة الافريقية . د. عبد الملك عودة .
(١٨) افريقيا غير المتحدة — أ. ك. ساكى . ص ٤٣ .

وبعد عام ١٩٥٢ ، رفضت الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر فكرية «المجال الحيوى» هذه ، واكدت مفهوم ان قضية تحرر مصر جزء لا ينفصل عن تحرر افريقيا .. والعكس صحيح. وعلى العكس من مفهوم « المجال الحيوى » قدمت الثورة المصرية مفهوم « افريقيا المعادية للاستعمار » .

ومنذ لقاء الرئيس عبد الناصر بالزعماء الافريقيين فى باندونج ١٩٥٥ ، والثورة المصرية تمارس دورا فعالا وهاما فى حركة الوحدة الافريقية حيث اسست — مع غيرها — واحدا من الكيانات السياسية الاساسية السابقة على منظمة الوحدة الافريقية .. هو تجمع دول الدار البيضاء .

■■■

مرحلة البحث عن "صياغة افريقية" .. للوحدة

ليس جديدا ان نقول ، انه مع انتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة النازية والفاشية ، شهد العالم مناخا دوليا جديدا ابرز ما فيه ظهور المعسكر الاشتراكى كقوة عالمية كبيرة ، واندلاع حركات التحرر الوطنى فى العالم من اجل تحرير المستعمرات .

فى هذا المناخ الدولى الجديد ، تهيأت كثير من الدول الافريقية للحصول على استقلالها بفضل نضال حركاتها الوطنية . واذا كانت الحركات الوطنية الافريقية — شأنها شأن سائر الحركات الوطنية الاخرى فى العالم — قد ادركت بخبرتها الذاتية ان معركة التحرير الوطنية تستلزم اول ما تستلزم وحدة قواها الوطنية باصولها الاجتماعية المختلفة ، فلقد ادركت ايضا — بحكم الدروس المستفادة من خبرات الحرب العالمية الثانية نفسها — ان وحدة الدول الافريقية المستقلة هى شرط اساسى من شروط انتصارها على العدو المشترك : الاستعمار العالمى .

فى هذه الظروف العالمية الجديدة ، فان الحركات الوطنية الافريقية التى انتصرت وانتزعت السلطة السياسية من بلادها لم تغلق على نفسها الابواب اعتكافا على معالجة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة التى ورثتها عن الحكم الاستعمارى السابق . بل بقيت قضية الوحدة الافريقية — فى تصوراتها المختلفة — واحدة من القضايا الهامة التى تشغل بال الحكام الوطنيين فى افريقيا .

ليس غريبا ان نجد الاهتمام بهذه القضية منعكسا بوضوح على فكر القادة الوطنيين الافريقيين وفى وثائقهم الحزبية ايضا . ولنأخذ مثالين على هذا الاهتمام . يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » : « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال ، حتى لو اردنا ، ان نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى اعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين . لا نستطيع لسبب هام وبديهى ، ان نعيش فى افريقيا ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى . ولن نستطيع بحال من الاحوال ان نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى اعماق القارة العذراء » (١٩) .

وفى غانا ، اكد برنامج حزب الميثاق الشعبى الذى صدر فى عام ١٩٥١ ، على ان احد مبادىء الحزب الاساسية هى « العمل للوحدة الافريقية » (٢٠) وفى خطاب الرئيس توامى نكروما الذى القاه بعد استقلال غانا ١٩٥٧ ، اكد « ان استقلال غانا سيصبح بلا معنى ، ما لم يرتبط كل الارتباط بتحرير افريقيا بشكل كامل » (٢١) .

ولا يستطيع احد ان يتغافل الاهمية الكبيرة للقاء زعماء الدول الافريقية المستقلة والحركات الوطنية فى البلدان التى لم تكن قد استقلت بعد فى باندونج عام ١٩٥٥ . هذا اللقاء الذى اتاح

---

(١٩) كتاب فلسفة الثورة — الرئيس جمال عبد الناصر .
(٢٠) برنامج حزب الميثاق الشعبى — غانا — ١٩٥٧ .
(٢١) الاشارة منقولة عن كتاب « افريقيا غير المتحدة » لكوايسون ساكى ص ٢٢ — ١٩٦٢ .

الفرصة امام هؤلاء الزعماء لتبادل وجهات النظر حول القضـــايا التى تهم بلادهم ، والذى ابرز امامهم بكيفية خاصة مدى النتائج الايجابيـة التى يمكن ان يسفر عنها تجمع الدول المستقلة في مواجهة مؤامرات الاستعمار العالمى .

وليس من قبيل الصدفة ان تعلو فى هذه الفترة من خمسينات هذا القرن ، النغمة التى سعت الدوائر الاستعمارية العالمية وكتابها ومفكروها .. الى الترويج لها واشاعتها — نغمة الحديث عن «افريقيا المسلمة» و «افريقيا المسيحية» ، او «افريقيا الفرانكوفون» و «افريقيا الانجلوفون» — اى الناطقة بالفرنسية والناطقة بالانجليزية — ، أو « افريقيا شمال الصحراء » و « افريقيا جنوب الصحراء » . وتأكيدا على محاولات التفرقة هذه، سعى المفكرون والكتاب الغربيـــــون الى اثارة الاختلافات الاقليمية والحزازات القبلية واختلافات الطباع .. الخ . ولا يعنى ذلك أننا لا نعترف بالفروق القائمة بين الدول الافريقية وبين شعوب القارة ايضا . ولكننا نرد هذه الفــروق الى اختلاف نظم الحكم التى كانت قائمة والى اساليب الحكم الاستعمارى نفسه ، حيث نهجت فرنســا اسلوب « الاستعمار المباشر » اى الحاق ودمج البلاد المستعمرة بالكيان الفرنسى نفسه . بينما نهجت بريطانيا اسلوب « الاستعمار غير المباشر » بخلق كيان سياسى منفصل للبلاد المستعمرة يتبع وزارة المستعمرات . هذا فضلا عن الفــروق الناجمة عن اختلاف مستويات التطور الاقتصادى . الفارق الاساسى بين حديثنا عن هذه الفروق وبين حديث كتاب الغرب ، هو اننا نتحدث عنهــا فى اطار العمل من أجل الوحدة الافريقية وتضامن شعوب القارة ومواجهتها الواحدة للاســتعمار العالمى : عدوها الواحد . بينما يتحدث عنهــا كتاب الغرب كحقائق ثابتة ابدية فى اطار العمل على تفتيت تضامن شعوب القارة وضرب اهدافها فى الوحدة .

لقد شهدت قضية الوحدة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية، مرحلة جديدة كيفيا كنتيجة مباشرة لاستقلال عدد كبير من دولها فى ذلك الوقت . وابرز ما يجمع بين كل المحاولات التى جرت فى هذه المرحلة الثانية : مرحلة البحث عن صياغة افريقية للوحدة ترتقى الى مستوى مسئوليات مرحلة استقلال القارة ، **ان كل هذه المحاولات جرت على الارض الافريقية نفسها** ، على عكس محاولات المرحلة السابقة الممتدة من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٤٥ .

وقد جرت كل هذه المحاولات على جبهتين اساسيتين :

١ — جبهة حكومات الدول الافريقية المستقلة .

٢ — جبهة شعوب افريقيا المستقلة وغيـر المستقلة .

واذا كنا سنعالج بالتفصيل — فى الصفحات القادمة — المحاولات المتعددة للحكومات الافريقية للعمل من اجل الوحدة الافريقية ، فاننا نرصد مقدما ان هذه المحاولات قد شهدت منذ البداية انقساما واضحا مرده الاختلاف فى طبيعة هذه الحكومات وسياساتها تجاه الاستعمار العـــالمى ، ما بين « دول ثورية » و « دول معتدلة » . ونقصـــد « بالاعتدال » هنا ، سياسة المهـــادنة مع الاستعمار والتقاعس عن تلبيـــة حاجات حركة التحرر الوطنى .

على ان كلامنا هذا سوف يبقى ناقصا ، ما لم نقل ان الحياة بعد الاستقلال قد علمت كثيرا من قادة هذا الاتجاه ، ان الاعتدال فى مواجهـــة الاستعمار لن يفضى ببلادهم الا الى الارتداد من جديد والوقوع فى شرك الاستعمار الجديد . ولعلنا نذكر هنا ان واحدا من زعماء هذا الاتجاه — قبل الاستقلال — هو جوليوس نيريرى ، هو نفسه الذى وقف بعد ذلك ليوجه حديثه الى زعماء الحركات الوطنية فى البلاد الافريقية التى لم تكن قد استقلت بعد ، ليقول « اننى اوجه كلامى الى اخواننا المناضلين من اجل الحرية فى الجنوب ، واقول : اذا لم تحاربوا من اجل تحرير انفسكم بالسلاح فاننا سوف نتهمكم بالجبن » (٢٢) .

واذا كنا نحدد لهذه المرحلة الجديدة ، الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٢ كسنوات لهــــا — من حيث التاريخ ، فاننا نرصد هنا ان هـــذه الفترة قد شهدت عددا من اللقاءات الافريقيـة بلغت فى مجموعها ٨٠ اجتماعا ومؤتمرا .

يبقى ان نقول ، انه اذا كان استقلال معظم الدول الافريقية فى هذه الفترة ، عاملا اساسيا من عوامل اتجاهها نحو تطبيق شعار « الوحدة الافريقية » ، فانه ينبغى ايضا أن نضيف حقيقة هامة .

فلقد كان من النتائج البارزة للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ان ادركت دول افريقية

---

(٢٢) من خطـاب الرئيس نيريرى فى مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى فى موشى (تنجانيقا) فبراير ١٩٦٣ .

كثيرة وجذيئة الاستقلال الا ان الاستعمار العالمي لم يكن مخلصا حين انسحب من المواقع التى كان يحتلها من قبل . بل انه اضطر للتراجع تحت ضغط الحركات الوطنية فيها متربصا لظروف مغايرة يعود فى ظلها الى الوثوب من جديد . وان اضطراره الى التنازل عن مظاهر الاستعمار التقليدى ، من احتلال عسكرى وغيره ، لن يجعله يكف عن محاولة فرض نوع آخر من الاستعمار والسيطرة . ومن ثم ادركت هذه الدول ان املها فى الصمود فى معركتها ضد الاستعمار ، مشروط بتكتلها وايجاد صياغة جديدة لتضامنها .

لقد ادركت كثير من دول افريقيا ذلك الدرس . وكانت تجمعها ظروف متشابهة من حيث التخلف الاقتصادى ، اذ كانت تعتمد على تصدير المواد الخام واستيراد السلع المصنعة تحت وطأة شروط الاحتكارات العالمية واسعارها فى البيع والشراء . كما كانت تفتقر الى رأس المال لمواجهة متطلبات بنائها من جديد . وتفتقر الى الخبرة الفنية ، مما دفعها الى السعى لايجاد نوع من التجمع فيما بينها ، يمكنها من العمل على ابراز وجودها الجديد وشخصيتها الافريقية المستقلة .. لتعويض التخلف الذى فرضه الاستعماريون عليها .. ولتطوير بلادها الى مستوى مسايرة ركب الحضارة العالمية .

مؤتمرات ما قبل الاستقطاب

بعد ان استقلت غانا فى ١٩٥٧ بقيادة كوامى نكروما الذى كرس حياته — قبل وبعد استقلال بلاده — لخدمة قضية الوحدة الافريقية بشكل خاص ، كانت افريقيا تشهد فترة من المد الثورى بعد صمود الشعب المصرى فى مواجهة العدوان الثلاثى ، ثم انتصار الحركة الوطنية فى كل من تونس والمغرب والسودان ثم انفجار الثورة الجزائرية العظيمة ، فضلا عن اعلان استقلال ليبيا من قبل . بل لقد كانت القارة الافريقية تتهيأ بنضال وطنييها لاستقبال عام الاستقلال الكبير فى ١٩٦٠ .

وفى هذه الفترة ايضا ، شهدت الدول الافريقية المستقلة — وخاصة فى غانا ومصر — ارهاصات مواجهة مشاكل ما بعد الاستقلال وبخاصة مشكلتى تدعيم الاستقلال السياسى وبناء الاقتصاد الوطنى القومى والمستقل .

. فى هذه الفترة لعب الرئيس كوامى نكروما ، دورا رئيسيا فى اجتماع **مؤتمر اكرا** ، حينما بادر فى ابريل ١٩٥٨ الى توجيه الدعوة الى رؤساء الدول الافريقية المستقلة فى ذلك الوقت (**مصر — غانا — السودان — تونس — المغرب — ليبيا — اثيوبيا — ليبريا**) ، لحضور اول مؤتمر للوحدة الافريقية على ارض القارة فى عاصمة غانا . وفى ١٥ ابريل افتتح المؤتمر بدوله الثمانى جلسات انعقاده .

ويكتسب مؤتمر اكرا هذا اهمية تاريخية خاصة ، من الحقائق التالية :

اولا : انه اول مؤتمر افريقى يجرى على ارض افريقية ليناقش المشاكل المشتركة لدوله .

ثانيا : انطلقت خلال المؤتمر اول دعوة رسمية الى اتحاد يجمع الدول الافريقية حين تحدث البيان الختامى للمؤتمر عن « انشاء منظمة دولية لتوجيه كفاح الدول الافريقية المستقلة من اجل تدعيم حريتها السياسية وتحقيق حريتها الاقتصادية » (٢٣) .

وبرغم اشتراك بعض الدول « المعتدلة » فى المؤتمر ، الا ان الظروف العامة فى افريقيا المحيطة بانعقاده من جهة ، والثقل الخاص لحضور مصر وغانا ودورهما فى المؤتمر من جهة اخرى ، قد اضفى على المؤتمر طابعا تقدميا عاما حيث جرت مناقشاته على ارضية العداء للاستعمار والتفرقة العنصرية وتأكيد الشخصية الافريقية .

لقد كان مؤتمر اكرا ١٩٥٨ ، اشارة بدء هامة لسلسلة اخرى من المؤتمرات التى جرت على ارض القارة وبين دولها . ففى اغسطس ١٩٥٩ ، وبعد استقلال غينيا (اكتوبر ١٩٥٨) انعقد مؤتمر آخر ضم دول مؤتمر اكرا بالاضافة الى غينيا فى **مونروفيا** عاصمة ليبريا . وقد اقر هذا المؤتمر فور بدء انعقاده قبول الجزائر ، ممثلة بالحكومة المؤقتة ، عضوا فى المؤتمر بكامل حقوق العضوية . وقد اكد المؤتمر — بهذا القرار — حقيقة ان مصير الدول الافريقية المستقلة ومستقبل استقلالها وحريتها ، لا ينفصل باى حال عن مصير ومستقبل الحركات الوطنية التى مازالت تناضل من اجل استقلال بلادها وحريتها .

وما لبثت هذه الدول جميعها ، بالاضافة الى الكاميرون بعد حصولها على الاستقلال فى يناير

---

(٢٣) من البيان المشترك الذى صدر بعد انتهاء المؤتمر فى ابريل ١٩٥٨ .

١٩٦٠ – ان عقدت مؤتمرا فى اديس ابابا فى يونيو ١٩٦٠ . ونوقشت فى هذا المؤتمر قضايا الوحدة الافريقية وحرية الجزائر ، ومصير جنوب افريقيا كأهم قضايا كانت تشغل بال افريقيا ووطنييها فى ذلك الوقت . وانتهى المؤتمر الى مطالبة الدول الاستعمارية بتحديد مواعيد خروجها من القارة ومنح البلاد المستعمرة فى افريقيا الاستقلال السياسى .

عام الاستقلال .. والاستقطاب

يعرف عام ١٩٦٠ فى افريقيا ، بعام الاستقلال . فقد حصلت ١٧ دولة افريقية على استقلالها فى الفترة ما بين يناير ونوفمبر من ذلك العام . ومثلما يطلق على عام ١٩٦٠ « عام الاستقلال » ، فانه يمكننا هنا ان نقول انه كان « عام الاستقطاب » فى نفس الوقت .

فمع استقلال ١٧ دولة افريقية ، بالاضافة لاستقلال ١٠ دول افريقية اخرى قبل ذلك ، طرحت مشاكل ما بعد الاستقلال نفسها على الفور امام شعوب القارة وقياداتها بحثا عن حل تعوض به كل ما فاتها من سنوات التخلف كتركة استعمارية مثقلة .

وفى الجانب الاخر ، كان الاستعمار العالمى – الذى سلم امام ضغط الحركات الوطنية باستقلال هذه الدول – يعيد التفكير بحثا وراء صيغة جديدة تمكنه من الالتفاف حول استقلال هذه الدول ليفرغه من مضمونه الحقيقى وليستعيد نفوذه وسيطرته الاقتصادية بصور اخرى اكثر ذكاء واشد خبثا .

ولم تكد شعوب الدول الافريقية المستقلة تلتقط انفاسها غداة احتفالاتها القومية بالاستقلال وتتهيأ لمواجهة المشاكل الجديدة ولتدبر الامر ، حتى اخذ الاستعمار العالمى زمام المبادرة وسارع بتوجيه ضربة قاسية لاستقلال افريقيا ، بتدبير مؤامرة « انفصال كاتنجا » على ايدى العميل مويس تشومبى فى يوليو ١٩٦٠ . وشهد الكونجو ليوبولدفيل منذ ذلك الحين احداثا دامية اودت بحياة لومومبا ، ثم باستقلال الكونجو كله . هذه الاحداث التى مازال يعانى منها الكونجو حتى اليوم . واذا كان خطأ لومومبا الاساسى ، يكمن فى حقيقة انه تردد فى قبول مساعدة المعسكر الاشتراكى لمواجهة المؤامرة الاستعمارية ، واذا كانت القيادات الافريقية الوطنية الاخرى قد ترددت ايضا فى نصح لومومبا بضرورة قبول مساعدة الدول الاشتراكية تحت شعار « ابعاد افريقيا عن الحرب الباردة » وبتأثير مفهوم مثالى لا وجود له فى واقع عالمنا ، يتوهم ان الامم المتحدة قاض منصف محايد ، او انها صوت العالم وضميره وحامية المظلوم والضعيف فيه – نقول لقد استغل الاستعمار العالمى هذا التردد وذلك الفهم ووجد فرصته الذهبية فى طلب لومومبا من الامم المتحدة التدخل لحمايته . وتحت اعلام الامم المتحدة دخل الاستعماريون الكونجو من جديد ، وقوضوا استقلاله وقتلوا زعيمه الوطنى لومومبا .

اذا كانت مشكلة الكونجو هذه ، اهم مكونات صورة الموقف العام فى افريقيا فى منتصف عام ١٩٦٠ ، فان اشتداد ساعد الحركة الوطنية المسلحة فى الجزائر ايضا ، قد طرحا امام دول القارة واجبات ومسئوليات محددة كان عليها اما ان تتصدى لها – كما فعلت بعض الدول – او التخلى عن ممارستها كما فعل البعض الاخر .

وبرغم انعقاد مؤتمر فى ليوبولدفيل فى اغسطس ١٩٦٠ بناء على دعوة لومومبا ، وحضره وزراء خارجية الجمهورية العربية المتحدة والسودان وتونس والمغرب واثيوبيا وليبريا وغانا وغينيا والكاميرون والكونجو – الا ان الاحداث كانت قد افلتت من ايديهم واصبح الاستعماريون يتحكمون فى تطوراتها الى الحد الذى دبروا فيه انقلابا قاده موبوتو ضد لومومبا بعد شهر واحد من انعقاد هذا المؤتمر .

هنا يمكننا ان نقول : مثلما كانت تجربة العدوان الثلاثى ضد مصر – عاملا هاما من عوامل تجمع الدول الافريقية فى مؤتمر اكرا عام ١٩٥٨ ، كانت احداث الكونجو – بمأساتها المنيفة – وموقف فرنسا من قضية تحرير الجزائر وكفاح الشعب الجزائرى المسلح هما العاملان الاساسيان اللذان حركا بشكل اشد الاحساس بخطورة الموقف وضرورة تجميع الدول الافريقية الى الحد الذى يرقى الى مستوى هذه الخطورة .

وطبيعى ان تلقى هذه المحاولات اكثر من اتجاه وسط ٢٧ دولة مستقلة يقوم على حكمها زعماء تختلف اتجاهاتهم السياسية ومنابعهم الفكرية .

وامام مشكلات الكونجو والجزائر والتجارب الذرية الفرنسية ، تم استقطاب واضح بين دول القارة التى نالت استقلالها . واخذ هذا الاستقطاب شكل تجمعين هامين هما : تجمع الدار البيضاء ، وتجمع برازافيل الذى كان نواة تجمع مونروفيا فيما بعد .

بين الدار البيضاء ومونروفيا

فى ديسمبر ١٩٦٠ ، اجتمعت فى برازافيل مجموعة من الدول كان معظمها مستعمرات فرنسية سابقة ، وهى : **السنغال وافريقيا الوسطى والكونجو برازافيل والكونجو ليوبولدفيل** (بعد انقلاب موبوتو) **وجابون وموريتانيا وداهومى وساحل العاج والنيجر وتشاد** . وكانت نقطة المحادثات الاساسية تدور حول اقامة منظمة **« الافريقية الملاجاشية »** (نظرا لانضمام مالاجاش ـ مدغشقر سابقا ـ للمؤتمر الثانى لنفس الدول فى ياوندى بالكاميرون فى مارس ١٩٦١) . وكان هذان المؤتمران نواة **« اتحاد دول افريقيا ومالاجاش »** الذى يستهدف اساسا التعاون الاقتصادى فيما بينهم .

وامام هذا التكتل ، انعقد فى الدار البيضاء (المغرب) فى يناير ١٩٦١ ، مؤتمر حضره رؤساء كل من **الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى والجزائر** (رئيس الحكومة المؤقتة) **والمغرب** . كما حضره رئيس وزراء **ليبيا ممثلا** شخصيا لملكها .

وقد اتخذ مؤتمر الدار البيضاء ، عددا من القرارات الثورية الهامة التى كانت تعكس منهج دوله فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية . وذلك فى « ميثاق الدار البيضاء لافريقيا » الذى أصدره المؤتمر . فقد اكد الميثاق تصميم الدول الافريقية على المحافظة على تماثل وجهات نظرها فى سياستها كما اعلن تصميمها على تحرير جميع الاراضى الافريقية التى مازالت خاضعة للاستعمار . وطالب « بازالة القواعد الاجنبية التى تعرض تحرير افريقيا للخطر » . ودعا الميثاق الى « اقامة قيادة افريقية عليا تتألف من رؤساء اركان الحرب » لضمان الدفاع المشترك عن افريقيا ضد أى عدوان . وبشأن الكونجو ، طالب المؤتمر « باعادة سلطة حكومة الكونجو الشرعية التى يرأسها باتريس لومومبا » . كما أيد المؤتمر كفاح شعب الجزائر المسلح المشروع من اجل استقلاله وقرر دعمه سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا . وأعلن المؤتمر « اصراره على ايجاد حل عادل يتفق مع قرارات الامم المتحدة ومؤتمر باندونج بشأن مشكلة فلسطين ، كما يعلن اصراره على اعادة حقوق عرب فلسطين » . واستنكر المؤتمر اسرائيل « باعتبارها اداة للاستعمار والاستعمار الجديد فى الشرق الاوسط وافريقيا وآسيا » كما استنكر المؤتمر التجارب الذرية الفرنسية فى افريقيا « باعتبارها عملا استفزازيا ضد شعب افريقيا » . وطالب جميع الدول الافريقية باعادة النظر فى علاقاتها بفرنسا « احتجاجا على تجاربها الذرية فى منطقة الصحراء » كذلك ادان المؤتمر التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وطالب بفرض عقوبات ضدها .

وادراكا من المؤتمر بضرورة تدعيم الاقتصاد الوطنى للدول الافريقية المستقلة كضمان للمحافظة على استقلالها السياسى ، دعا المؤتمر الى انشاء بنك للتنمية الاقتصادية ، تشترك دوله فى تمويله ليساهم بدوره فى توفير الاحتياجات النقدية والقروض اللازمة لعمليات البناء الاقتصادى . كما انعكس وعى الدول المشتركة فى المؤتمر ، بأهمية قيام تعاون وتنسيق اقتصادى فيما بينها تخفيفا للاثار السلبية الناجمة عن تحكم الاحتكارات الدولية فى اسعار المواد الخام والسلع المصنعة معا ، دعا المؤتمر فى بيانه الى انشاء « مجلس التعاون الاقتصادى » ليقوم بدوره فى هذا المجال .

وتأكيدا لاتجاهات « دول الدار البيضاء » الوحدوية ، نص ميثاقها على ترك باب الانضمام اليه مفتوحا لعضوية باقى الدول الافريقية .

ولا يستطيع أى دارس للشئون الافريقية وخاصة فى مجال اتجاه دول القارة الى وضع شعار الوحدة موضع التطبيق ، ان يعزل مابين حركة هذا الاتجاه فى افريقيا ، وبين حركة اتجاه دول العالم الثالث كله الى تحقيق بعض اشكال التجمع والتعاون والتنسيق فيما بينها . هذه الاتجاهات جميعها ، التى يشكل العامل الاقتصادى فيها دعامة اساسية من دعاماتها . ونقصد بالعامل الاقتصادى هنا ، ادراك هذه الدول لواقع التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى تعيشه كنتيجة مباشرة لفترة الحكم الاستعمارى . كذلك وعيها بالمسافة الكبيرة التى تفصل بين « مستواها الحضارى » بشكل عام وبين التطور الحضارى الهائل الذى حققته الدول المتقدمة صناعيا . هذا الفارق الضخم الذى يثبته ـ ان لم يزده ـ الاوضاع الناجمة عن تحكم الاحتكارات العالمية فى اسعار المواد الخام التى تعد الصادرات الرئيسية والوحيدة لهذه الدول .

واذا كان ذلك هو المناخ الاقتصادى العام الذى تعيش فيه هذه الدول ، فان المناخ السياسى العام لعالم هذه الفترة ، كان يتميز بنتائج « الحرب الباردة » التى كانت تطبع الفترة فى الصراع بين المعسكرين العالميين : الاشتراكى والرأسمالى .

فى اطار هذا الفهم ، نستطيع ان نقيم الحدث الدولى الهام والبارز الذى وقع فى اواخر عام ١٩٦١ ، عندما انعقد فى بلجراد المؤتمر الاول

« لدول عدم الانحياز » الذى ترك بصماته بوضوح ـ بعد ذلك ـ على حركة الدول الافريقية فى اتجاهها الى الوحدة .

من هنا ، نستطيع القول بان مؤتمر دول ميثاق الدار البيضاء الثانى الذى عقد فى القاهرة فى يونيو ١٩٦٢ ، هو « الصياغة الافريقية» لمؤتمر بلجراد الكبير ، فبالاضافة الى القرارات الثورية للمؤتمر الثانى لدول الدار البيضاء ، حول قضايا الجزائر والكونجو والشعوب التى تناضل من اجل استقلالها واستنكار التفرقة العنصرية والتجارب النووية .. الخ ، تركز قرارات المؤتمر هذه المرة بشكل خاص على ضرورة « ازالة العوائق التجارية خصوصا على السلع والمواد الاولية التى تصدرها الدول النامية والعمل على فتح الاسواق امام هذه المنتجات وضمان استقرارها نظرا لاعتماد الدول النامية عليها فى توفير العملات اللازمة لتمويل مشروعات تنميتها» (٢٤)

وبخصوص قضية الوحدة الافريقية ، دعا رؤساء دول المؤتمر الى « ايجاد تضامن افريقى يضم جميع الدول الافريقية على ان تكون نواتها تجمع الدول الافريقية المستقلة، هذا التجمع الذى يمكن بحث تكوينه فى مؤتمر يضم جميع الدول الافريقية » (٢٥) . ويجدر بنا هنا ان نذكر ان ليبيا لم تحضر هذا المؤتمر .

اننا نشبه هذه الدعوة ـ على المستوى الافريقى ـ الصادرة من دول الدار البيضاء بحثا وراء تجمع أكبر ، بدعوة دول « مؤتمر بريونى » ـ على مستوى العالم الثالث ـ من أجل خلق كيان تجمع عدم الانحياز . ومثلما أثمرت دعوة «بريونى» بانعقاد مؤتمر بلجراد فى ١٩٦١ ، لعبت دعوة دول الدار البيضاء هذه دورها الهام فى انعقاد مؤتمر اديس ابابا عام ١٩٦٣ الذى تأسست فيه منظمة الوحدة الافريقية كما سنشهد فيما بعد .

كانت تلك هى تطورات مؤتمرى دول الدار البيضاء . وفى الجانب الاخر من صورة الكيانات السياسية الافريقية السابقة على منظمة الوحدة الافريقية ، كان تجمع دول برازافيل أو « اتحاد دول افريقيا ومالاجاش » يسلك طريقه الاخر .

ففى مايو عام ١٩٦١ ، عقد مؤتمر مونروفيا الذى حضرته ١٩ دولة مستقلة منها ١٢ دولة من المستعمرات الفرنسية الافريقية السابقة هى : الكاميرون ووسط افريقيا وتشاد والكونجو برازافيل وداهومى وجابون وساحل العاج ومدغشقر وموريتانيا والنيجر والسنغال وفولتا العليا . وحضر المؤتمر سبع دول اخرى هى : اثيوبيا ونيجيريا وليبريا وسيراليون والصومال وتوجو وتونس . وهى المجموعة التى عرفت بمجموعة مونروفيا .

والواقع ان نظرة واحدة على قرارات مؤتمر مونروفيا هذا ، كافية فى حد ذاتها لتبيان الروابط التى تجمع هذه الدول واسس العلاقات القائمة بينها . فبشأن قضية الجزائر تقول قرارات المؤتمر « تؤيد دول المؤتمر حق الجزائر فى تقرير مصيرها ،**ولكن زعماء دول المؤتمر يتعهدون بالا يبذلوا اية جهود فى الوقت الحاضر لتاكيد هذا الموضوع نظرا لان المحادثات بين الجانبين الفرنسى والجزائرى ستبدأ قريبا فى ايفيان** » (٢٦) . وبشأن التجارب الذرية يقول البيان : يعلن زعماء المؤتمر معارضتهم للتجارب النووية .**ولكن زعماء الدول التى تتحدث الفرنسية فى المؤتمر ، يرون انه ليس من العدل ادانة فرنسا وحدها لانها تجرى تجارب نووية فى الصحراء الكبرى** (٢٧) » .

ومن الجدير بالذكر هنا انه فضلا عن ارتباطات معظم هذه الدول الاقتصادية من خلال اتحاد دول افريقيا ومالاجاش للتعاون الاقتصادى ، يقوم بين الغالبية العظمى لدول مونروفيا وبين السوق الاوروبية المشتركة علاقات وثيقة سواء بعضوية كاملة أو منتسبة .

وفى محاولة للتقريب بين مجموعتى الدار البيضاء ومونروفيا ، قامت نيجيريا بدعوة المجموعتين معا لعقد اجتماع فى لاجوس فى عام ١٩٦٢ . وامام مسألة دعوة زعماء حكومة الجزائر المؤقتة لحضور المؤتمر كما طلب مندوب السودان فى الاجتماع التحضيرى للمؤتمر ، عارض ممثلو وفود الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية . وازاء ذلك رفضت دول الدار البيضاء حضور المؤتمر وقاطعته لانه « سيضحى بالتنظيم الجوهرى للكفاح ضد الامبريالية على مذبح جميع الوان المساومات . وهذا يتعارض بوضوح مع المصالح الحقيقية للشعوب الافريقية» . وذلك على حد تعبير الرئيس احمد سيكوتورى فى ذلك الوقت .

---

(٢٤) البيان المشترك لمؤتمر دول الدار البيضاء الثانى . القاهرة . يونيو ١٩٦٢ .
(٢٥) نفس المصدر .
(٢٦) قرارات مؤتمر مونروفيا : جريدة المساء ١٢/٥/١٩٦١ .
(٢٧) نفس المصدر .

من خلال هذه الاجتماعات المختلفة ، تبين بوضوح مدى اختلاف التجمعين . **هذا الاختلاف الذي يعود الى اختلاف مراحل التطور الاجتماعي والنمو الاقتصادي وتباين درجات الاستقلال السياسي** . ولكنها ـ أي الاجتماعات ـ اوضحت في نفس الوقت ، عمق المشاكل الجادة التي تواجهها حركة التحرر الوطني الافريقية . فالى جانب تخلف الدول الافريقية اقتصاديا وافتقارها الشديد الى الخبرات الفنية والكادر الفني ، فان درجات التحرر الوطني بين دولها متباينة تباين مناهج الحكم واتجاهاتها السياسية . كما أن كثيرا منها كانت تقع تحت ظل ارتباطات عسكرية أو مالية أو سياسية . **هذا** فضلا عن المشاكل التي خلفها الاستعماريون وراءهم مثل مشاكل الحدود ، ومشاكل اللاجئين السياسيين والحزازات القبلية وخلق مصالح متعارضة بين البلاد المختلفة وبين الزعماء .

وبرغم دأب الاستعمار على تعهد بذور التفرقة بين دول افريقيا وتفتيت أي محاولة لتجميعها ـ أي لاستقلالها الحقيقي ـ الا ان حاجة القارة وشعوبها الى تحقيق تضامن فعال لمواجهة كل هذه المشاكل ، زاد من المطالبة بضرورة خلق هذا الكيان الوحدوي . فتجددت الدعوة الى ضرورة التوفيق بين دول الدار البيضاء ودول مونروفيا ، على لسان زعماء افريقيين امثال **ليوبولد سنغور وهوفيه بوانيبه ووليام توبمان وابو بكر تافاوا باليوا** . وقد دخلت هذه التصريحات حيز النطاق العملي ، في صورة عدد من الاجتماعات الثنائية بين عدد من زعماء القارة . وبعد ان اثمرت هذه الاتصالات الثنائية ، وجه **الامبراطور هيلاسلاسي** الدعوة الى عقد مؤتمر يضم جميع رؤساء الدول الافريقية المستقلة في اديس ابابا في مايو ١٩٦٣ : وكانت مرحلة جديدة أخرى في تاريخ حركة الوحدة الافريقية .

الوحدة .. على مستوى الشعوب

يؤكد اصالة هدف الوحدة الافريقية ، وامتداد جذوره في الارض الافريقية بين الجماهير ، ان الدعوة الى تحقيقه ، لم تقف فحسب عند حدود « الجهود الرسمية » لحكومات الدول الافريقية المستقلة . فلقد لعبت المنظمات والهيئات السياسية والنقابية دورا فعالا في حركة الوحدة الافريقية لا نبالغ اذا قلنا ان فعالية هذا الدور تفتقده اليوم « منظمة الوحدة الافريقية » ولعل في ذلك ما يفسر لنا ـ مقدما ـ بعض المشاكل التي تواجهها هذه المنظمة .

واذا كنا نزعم ان حصول معظم الدول الافريقية على استقلالها السياسي ، ومن ثم وصول هذه المنظمات الى الحكم ، قد لعب دوره في مستوى مواصلة هذه المنظمات القيام بدورها في هذا المجال ـ بينما كان العكس هو المفترض ـ ، نقول اذا كنا نزعم ذلك ، فاننا نؤكد في نفس الوقت ان مرحلة ما قبل الاستقلال ـ وفي عشيته ـ حيث نشطت الاحزاب السياسية الوطنية في كفاحها من أجل الحرية ، قد شهدت نشاطا ايجابيا من أجل التضامن والوحدة الافريقية على المستوى الشعبي .

ففي اعقاب مؤتمر اكرا للدول الافريقية الثمانية المستقلة (ابريل ١٩٥٨) ، وكنتيجة من نتائجه ، انعقد في اكرا ـ ايضا ـ المؤتمر الاول للشعوب الافريقية في الفترة ما بين ٥ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، وحضره أكثر من ٣٠٠ مندوب ممثلين لـ ٦٢ منظمة سياسية ونقابية عن ٢٨ بلدا افريقيا لم تحصل على استقلالها السياسي بالاضافة الى ممثلي منظمات ٨ دول افريقية مستقلة .

وانعقاد هذا المؤتمر ، لا يؤكد فحسب قدرات شعوب القارة على تحمل مسئوليات النضال الوطني ومن ثم تبعات الاستقلال السياسي ومتطلباته ـ على عكس المزاعم التي راح يروج لها في ذلك الوقت مفكرو الغرب الاستعماري وساسته ، نقول لم يؤكد ذلك فحسب ، بل وأكد ايضا تصميم شعوب القارة ورغبتها في ممارسة اشكال جديدة من علاقات التضامن والوحدة فيما بينها . فلقد كان مؤتمر شعوب افريقيا هذا رمزا لطموح شعوب القارة في توحيد نضالها ضد عدوها المشترك ومن أجل غد جديد تنتفي فيه ملامح الحكم الاستعماري ومخلفاته ، ذلك كله في اطار ادراكها بان قضية التحرر في القارة باكملها قضية واحدة لا تتجزأ ، وحيث ان مصيرها واحد .

ولقد قدم هذا المؤتمر ، الى الرأي العام الافريقي والعالمي ، وجوها شابة جديدة لزعماء وطنيين من أبناء القارة تحملوا مسئوليات النضال الوطني من أجل تحرير بلادهم . فقد برز في هذا المؤتمر شخصيات قيادية مثل : باتريس لومومبا ، وفيلكس مومية ، واميلكار كابرال ، وجوشوا نكومو ، وعبد الله ديالو .

وانه لغني عن القول ، ان نذكر ان المؤتمر لم يترك قضية بلد افريقي واحد كان يكافح من أجل الاستقلال ، دون ان يتناول مشكلته بالتفصيل في قراراته لا من حيث مناشدة الحكومات والشعوب لمساندة وتأييد كفاح هذا الشعب فحسب ، بل **وتاكيد حقه في حمل السلاح دفاعا عن حريته** .

واذا كان ذلك هو نفس شأن المؤتمر الثاني للشعوب الافريقية الذى عقد فى تونس فى ١٩٦٠ ، والمؤتمر الثالث للشعوب الافريقية الذى عقد فى القاهرة فى ١٩٦١ ، فانه من الجدير هنا ان نسجل الحقائق التالية :

اولا : ان مصطلح « الاستعمار الجديد » واحد من اهم الصياغات التى « صكتها » هذه المؤتمرات وقدمتها الى الفكر السياسى التقدمى العالمى الذى عمقه بدوره واوضح ابعاده . وليس فى ذلك مايثير الدهشة . فلقد كانت افريقيا ، مجالا اساسيا لمبادرات الاستعمار الجديد فى التآمر والالتفاف من حول الاستقلال الحديث لدولها لتقويضة واعادة البلاد ــ فى صور اخرى ــ الى مناطق نفوذه وسيطرته . ولعل تجربة الكونجو هنا ــ او مأساة الكونجو بتعبير ادق ــ نموذجا فريدا من نماذج حركة الاستعمار الجديد واساليبه .

ثانيا : حددت هذه المؤتمرات ، الصياغة الملائمة لمعالجة مشاكل الحدود التى خلفها الاستعماريون ــ عن عمد ــ لحركة التحرر الوطنى الافريقية . وماتزال هذه الصياغة ملائمة حتى الان . اذ يدعو المؤتمر الاول فى اكرا للشعوب الافريقية ، الى قيام « اتحادات اقليمية » بين الدول التى تعاني من مثل هذه المشكلة. ولكن المؤتمر يحدد ثلاثة مبادىء لذلك . فيقول :

أ ــ « ان هذه الاندماجات والاتحادات او التجمعات يجب ان تقوم بين الدول الافريقية المستقلة التى يحكمها الافريقيون » .

ب ــ « يجب ان يتم هذا الاندماج بالاختيار، على ان يتم هذا الاختيار بدوره بناء على استفتاء عام يشترك فيه البالغون من « المواطنين » ».

جـ ــ « اى تجمع او اتحاد اقليمى يجب الا يكون فيه اى تعارض اوخطر يهدد الهدف الاسمى الذى يتمثل فى الكومنولث الافريقى » (٢٨) ».

ولسوف تبقى محاولتنا هنا لمعالجة حركة الوحدة الافريقية فى هذه المرحلة الممتدة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٢ ــ والتى نسميها مرحلة العمل من اجل صياغة افريقية لفكرة الوحدة بين دول القارة ــ نقول سوف تبقى هذه المحاولة ناقصة ، مالم نشر هنا الى محاولة عملية جادة تتخطى حدود « التضامن » الى « الوحدة العنصرية السياسية » ». وتلك هى قيام اتحاد بين دول ثلاث من دول القارة : غانا، وغينيا، ومالى ».

وقد تمت الخطوة الاولى هذه على طريق « الوحدة السياسية » فى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٨ ، عندما اتحدت غانا وغينيا لتشكل « نواة » للوحدة السياسية بين دول افريقيا. فقد اتفقت الدولتان ــ بقيادة نكروما وسيكوتورى ــ على نظام للوحدة « لتبادل الوزراء المقيمين » ويعترف بهم « كأعضاء فى كل من حكومتى غانا وغينيا » ». وقد اعلنت الدولتان عن « المبادى العامة » لقيام « مجتمع الدول الافريقية المستقلة » ». وتنص هذه « المبادىء العامة » على الابقاء على « الشخصية القومية » لكل دولة من اعضائه وعلى « بنائها الدستورى » الخاص ، وعدم تدخل أى من اعضائه فى الشئون الداخلية للدولة الاخرى ، على أن يقوم الخط السياسى العام لهذا « المجتمع » على أساس تحقيق مصالح شعوبه وتدعيم حريتها واقامة علاقات وثيقة دبلوماسية واقتصادية وثقافية فيما بين اعضائه » على أساس من المساواة التامة والاحترام المتبادل ». ومن أهداف هذا المجتمع الهامة « العمل على مساعدة الشعوب الافريقية التى لم تحصل على استقلالها بعد .. فى كفاحها من أجل حرية بلادها » ». وينص « اعلان المبادىء العامة » هذا، على « حق فتح باب العضوية امام اى دولة افريقية مستقلة أخرى للانضمام الى هذا المجتمع » ».

وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٠ ، تقابل كل من احمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا، وكوامى نكروما رئيس جمهورية غانا، وموديبو كيتا رئيس جمهورية مالى ، فى كوناكرى بغينيا ، لمناقشة قيام اتحاد بين دولهم الثلاث . وفى ابريل ١٩٦١ اقدموا على خطوة أبعد حين وافقوا على « ميثاق » للوحدة فيما بين دولهم تحت اسم « اتحاد الدول الافريقية » بهدف أن يكون « نواة لقيام الولايات المتحدة الافريقية » على حد تعبير كوامى نكروما فى ذلك الوقت . واعلن الاتحاد ترحيبه بانضمام أى دولة افريقية مستقلة اليه على أساس الموافقة على اهداف ميثاق الاتحاد ».

وتحدد المادتان الثالثة والرابعة لهذا الميثاق اهداف الاتحاد ». كما يلى :

ــ « المادة ٣ : يهدف اتحاد الدول الافريقية الى تدعيم وتطوير روابط الصداقة وعلاقات التعاون بين الدول الاعضاء » » سياسيا

---

(٢٨) النشرة الافريقية الاسيوية التى اصدرتها السكرتارية الدائمة للتضامن الاسيوى الافريقى فى القاهرة ، بعد انعقاد مؤتمر اكرا للشعوب الافريقية ١٩٥٨ .

ودبلوماسيا واقتصاديا وثقافيا ». كذلك « تنمية ثرواتهم بهدف تثبيت استقلال دولهم وحماية سيادة اراضيها ، والعمل المشترك من اجل التخلص نهائيا من الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد في افريقيا ، وبناء الوحدة الافريقية . كذلك يهدف الاتحاد ، الى تنسيق السياسة الخارجية للدول الاعضاء في اطار العمل الفعال من أجل حماية السلام العالمي » .

ـ « المادة ٤ : سوف يقوم نشاط الاتحاد في العمل بشكل رئيسي في المجالات التالية :

أ ـ في **المجال الداخلي** : بالعمل المشترك لتدعيم العلاقات المتبادلة لاقصى حد بين دوله .

ب ـ في **مجال السياسة الخارجية** : الاحترام الملتزم للسياسة التي يتفق عليها والعمل من اجل تحقيق أوثق تعاون في هذا المجال .

د ـ في **مجال الدفاع** : تحقيق نظام للدفاع المشترك يكفل حماية الدول الاعضاء التي قد تكون ضحية للاعتداء .

د ـ في **المجال الاقتصادي** : تحديد خط مشترك عن طريق العلاقات المباشرة ، لوضع خطة اقتصادية مشتركة تهدف الى التخلص من العلاقات الاقتصادية الاستغلالية للنظام الاستعماري ، وتنسيق خطط التنمية فيما بينهم من أجل مصالح شعوبهم .

هـ ـ في **المجال الثقافي** : العمل على بعث التراث الثقافي الافريقي وتطويره وتدعيم العلاقات الثقافية المتبادلة . »

وقد اتفق رؤساء الدول الثلاث على عقد مؤتمر كل أربعة شهور للاتحاد في دوله الثلاث على التوالي ، على ان يرأس كل مؤتمر رئيس الدولة المضيفة . وفي يونيو ١٩٦١ ، انعقد المؤتمر الثاني « **لاتحاد الدول الافريقية** » في باماكو (مالي) واصدر بيانا مشتركا أكد تصميم الاتحاد على مساعدة شعوب افريقيا في كفاحها من أجل الاستقلال الوطني وخاصة شعوب الجزائر والكونجو وانجولا . كما ناقش أعضاء المؤتمر علاقة افريقيا بالسوق الاوربية المشتركة ، وقرروا العمل من اجل تأسيس «سوق افريقية مشتركة» في مواجهة السوق الأوربية ، والاضرار التي تلحق بالدول الافريقية نتيجة لانتسابها للسوق الاوربية .

واذا كان قيام « اتحاد الدول الافريقية » قد ظل « اماني على ورق » دون ان يشهد تطبيقا عمليا خلاقا لعدم واقعيته ، فلقد سبق قيامه واعقبه محاولات أخرى وان لم تكن على نفس الدرجة من الاهمية . ففي ١٩٦٠ ، قام اتحاد سياسي بين مالي والسنغال لم تكد تمضي على تأسيسه بضعة أشهر حتى انهار الاتحاد لمجرد ان مالي قد اختارت الاشتراكية طريقا لبناء حياتها الجديدة ، في حين تمسكت السنغال بسياستها التقليدية وراح قادتها يبشرون « بالاشتراكية الافريقية » .

وفي هذه المرحلة كذلك طرحت احزاب الاستقلال في تونس ومراكش فكرة « المغرب الكبير » الذي يضم تونس ومراكش والجزائر . على أن هذه الفكرة لم تشهد اجراءات تطبيقية لها ، وتراجعت الى الوراء امام التباين الواضح بين سياسات واتجاهات الحكم في الدول الثلاث .

وعلى نفس الطريق ، اتخذت دول شرق افريقيا بعضا من الاجراءات الاقتصادية باقامة « اتحاد جمركي» فيما بينها . لكنه لم يتقدم أكثر من ذلك . لكن تطورات الاحداث فيما بعد ، شهدت تطبيقا هاما لشعار الوحدة الافريقية ما يزال قائما حتى الان بين تنجانيقا وزنزبار حيث كونتا جمهورية تنزانيا الحالية .

■■■

منظمة الوحدة الافريقية .. بين قوى التحرر وقوى الاستعمار الجديد

في مايو ١٩٦٣ ، وجه الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا ، الدعوة الى رؤساء ٣٢ دولة افريقية (٢٩) ، لحضور المؤتمر التأسيسي «لمنظمة الوحدة الافريقية» في اديس ابابا وذلك بعد سلسلة من الجهود واللقاءات الثنائية التي عقدها كثير من الرؤساء الافريقيين في غرب وشرق وشمال القارة .

ومن المهم أن نجيب ـ منذ البداية ـ على

---

(٢٩) حضر المؤتمر رؤساء ٣٠ دولة افريقية ، ولم يحضر رؤساء المغرب وتوجو اللتان انضمتا بعد ذلك للمنظمة ووقعتا ميثاقها .

السؤال التالي : لماذا اتفق على أن تقوم أثيوبيا بتوجيه هذه الدعوة ؟ ولماذا عقد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الافريقية فى اديس ابابا ؟

وللاجابة على النصف الاول لهذا السؤال ، نقول : ان اثيوبيا لم تلعب « دورا تأسيسيا » فى تكوين أى من الكيانات السياسية السابقة على خلق منظمة الوحدة الافريقية . فهى من جهة واحدة من الدول التى حضرت مؤتمر أكرا للدول المستقلة الثمانية التى شكل معظمها «النواة الاولى» لتجمع دول الدار البيضاء . كما انها لم تكن واحدة من الدول المؤسسة لتجمع «برازافيل» الذى كان بدوره نواة لتجمع دول مونروفيا .. رغم حضورها مؤتمر مونروفيا فى ١٩٦١ . ولعلنا لانتجاوز الصواب اذا قلنا ان اثيوبيا كانت تمثل الوسط بالنسبة لقضية الوحدة الافريقية فى مرحلتها الثانية . فقد ظلت — ولا تزال — تحتفظ بعلاقات لاتقطعها بمختلف التجمعات فى القارة . وزيادة فى الوضوح ، نقول انها لعبت دور «الوسط التنظيمى» حتى لاينسحب قولنا «بالوسط» هذا على اتجاهها السياسى أو الفكرى ، فذلك الاتجاه السياسى والفكرى معروف بتكوينه الغربى . وتلك قضية أخرى . على أية حال فان دور «الوسط» هذا مكن اثيوبيا من الاحتفاظ بمركز وثقل هامين فى صدد تطورات المنظمة واحداثها .

وللاجابة على النصف الثانى للسؤال ، نقول : ان متطلبات تصفية جو «الانقسام» و «التناقض» بين المجموعات السابقة (الدار البيضاء ومونروفيا) كان يقتضى عقد المؤتمر الجديد الذى يضمهم معا ، فى عاصمة لم تلعب دورا تأسيسيا فى التشكيلات السابقة ، ابعادا لشبهات أن أى من المجموعتين السابقتين تسعى منذ البداية للسيطرة على المنظمة الوليدة . ونظرا لدور «الوسط» الذى لعبته اثيوبيا ، فقد مكن ذلك من الاتفاق على أن تكون اديس أبابا العاصمة مكانا لانعقاد المؤتمر التأسيسى لمنظمة الوحدة .

ومنظمة الوحدة الافريقية هنا ، هى ثمرة كل الجهود التى بذلت فى اطار «مثالى» أول الامر ثم فى اطار «عملى جزئى» بعد ذلك . ومن الطبيعى أن تحمل المنظمة فى ثناياها ايجابيات وسلبيات المراحل الماضية وتناقضاتها . على أنها — آخر الامر — واحدة من النتائج الايجابية الرئيسية للثورة المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد فى أفريقيا .

الواقع اذن ، أن منظمة الوحدة الافريقية — فى نظرة أشمل — كانت المحصلة الموضوعية «لزمنها» الافريقى «وزمنها» العالمى . ويتحدد «زمنها» الافريقى بتسجيل الحقائق التالية :

أولا : بالاضافة الى ٢٣ دولة أفريقية استقلت حتى عام ١٩٦٠ ، شهدت منظمة الوحدة ، عشية تأسيسها وغداته ، استقلال ١٥ دولة افريقية جديدة . ومثلما طرح استقلال هذا العدد الضخم من الدول الافريقية ، قضية ضرورة اعادة النظر فى تمثيل دول العالم فى أجهزة الامم المتحدة لضمان تمثيل عادل يتلاءم مع ظاهرة بروز الدول الجديدة فى آسيا وأفريقيا ، نقول انه طرح ايضا قضية ضرورة خلق «كيان دولى اقليمى» لدول القارة الافريقية .

ثانيا : شهدت هذه الفترة فى أفريقيا ، تبدلا فى علاقات القوى الطبقية داخل المجتمعات الافريقية . فقد زاد ثقل الطبقة العاملة الافريقية من حيث الوزن الاجتماعى والدور السياسى الذى تضطلع به . ونهض الفلاحون — وهم الغالبية الساحقة بين شعوب القارة — وشكل العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون الطلائع السياسية والاجتماعية الجديدة . ففى مايو ١٩٦١ — مثلا — تأسس **«اتحاد نقابات عموم افريقيا»** فى المؤتمر الذى عقد بالدار البيضاء ... ليضم نقابات العمال فى ٣٣ دولة أفريقية .

ثالثا : جاء تأسيس منظمة الوحدة الافريقية ، فى أعقاب سنوات حسمت فيها عدد من الدول الافريقية (هى الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى والجزائر) اختيارها للاشتراكية طريقا لانجاز مهام ثورتها الوطنية الديمقراطية ، فنهجت أسلوب التطور غير الرأسمالى ونبذت طريق الرأسمالية وآلامه . ومن هنا ، فقد جاء تأسيس المنظمة فى وقت تزاوجت فيه الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية فى عدد من دول أفريقيا ، وقد ترك ذلك آثاره العامة على تطور الاحداث فى أفريقيا .

رابعا : تزايد حركة الكفاح الوطنى فى الدول الافريقية التى لم تستقل بعد — فى ذلك الحين — وذلك فى اتساق وثيق مع تزايد حركة التحرر الوطنى فى العالم كله . وتأكد بذلك ان التى تقوم بالقضاء على الاستعمار ليست دولة بمفردها أو قارة وحدها . ولكن يقوم بذلك الجزء الاكبر من العالم . وتأكد أيضا ان التى تلفظ انفاسها الاخيرة ليست امبراطورية واحدة بل ان النظام الامبريالى كله يتهدده الخطر . هنا نقول ان الثورة الافريقية المعادية للاستعمار كانت جزءا لاينفصل عن نضال الحركة الثورية العالمية .

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن «الزمن» العالمى لمنظمة الوحدة . ويمكن تحديده أيضا بتسجيل الحقائق التالية :

أولا : نتيجة لتغير ميزان القوى فى صالح قوى

الاشتراكية والديمقراطية والتحرر الوطنى تحطمت أسوار العزلة التى حاول الاستعمار العالمى اقامتها بين الدول الافريقية والمعسكر الاشتراكى من جهة ، وتلك التى حاول اقامتها بين الدول الافريقية وبعضها البعض من جهة أخرى. وقد أثرت هذه الحقيقة فى حركات الوحدة بين دول التحرر الوطنى — وحركة الوحدة الافريقية واحدة منها — بمضمون تحررى وثورى جديد .

ثانيا : لقد شهدت علاقات المعسكرين الدوليين الكبيرين : الاشتراكى والراسمالى ، مرحلة جديدة خفت فيها حدة الحرب الباردة ، ونمت فيها سياسة التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، وقل فى ذلك الوقت احتمال المغامرة باشعال حرب عالمية ، وبدأ الامل فى ان تؤدى سياسة التعايش السلمى بين الدول الكبرى ، لوضع نهاية للصراع حول السيطرة الاجنبية. ولقد ترك هذا المناخ الدولى الجديد ، بصماته الواضحة على علاقات التجمعات الافريقية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت . وأصبح من الممكن قيام علاقات جديدة بين تجمعى دول الدار البيضاء ودول مونروفيا اللذين كانا يمثلان — فى خطوط عامة — نموذجين متباينين لنظم اجتماعية .

ثالثا : فى ذلك الوقت أيضا خرجت الى الوجود الدولى سياسة عدم الانحياز التى تبنتها معظم الدول الافريقية مما سهل من امكانيات لقاء هذه الدول حول منبر واحد هو منظمة الوحدة الافريقية. وهنا تميزت علاقات الدول الافريقية المستقلة — على العكس مما سبق — باطار «مرن» أمكن معه استيعاب نشاط هذه الدول من أجل الوحدة الافريقية فى «كيان تنظيمى» واحد .

رابعا : لم يعد ممكنا أمام تطور الثورة العلمية والتكنولوجية فى العالم، أن تحتفظ كل دولة أفريقية — أو حتى كل تجمع جزئى لها — بمعدل سرعتها فى التطور والتنمية . بل فرض ذلك ضرورات « التجمع الكبير » بحثا عن حل لمعالجة تلك الهوة الشاسعة التى تفصل مابين التطور الحضارى والتكنولوجى الهائل للدول المتقدمة ، وبين التطور البطىء للدول النامية .

فى ظل هذا «الزمن» الافريقى والعالمى — بكل ايجابياته وسلبياته — اجتمعت ٣٠ دولة أفريقية فى أديس أبابا فى مايو ١٩٦٣ بالاضافة الى ٢١ من ممثلى المنظمات والاحزاب الوطنية فى الدول التى لم تستقل بعد ، لتعلن تأسيس منظمة الوحدة الافريقية كحدث جذب انتباه واهتمام العالم كله. ولقد وضع المؤتمر قضية الوحدة الافريقية على راس جدول أعماله ، وصاغ مفهومه لهذه الوحدة فى ميثاق المنظمة الذى أعلن أن الهدف من انشائها هو :

أ — « تقوية وحدة دول أفريقيا وتضامنها » .

ب — «التنسيق وتقوية تعاونها وجهودها لتحقيق حياة أفضل لشعوب أفريقيا » .

جـ — « الدفاع عن سيادتها وسلامة اراضيها واستقلالها » .

د — « القضاء على الاستعمار فى جميع أشكاله من افريقيا » .

هـ — « تشجيع التعاون الدولى ، آخذين فى الاعتبار ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان » (٣٠) .

ثم حدد الميثاق المجالات العملية لتعاون الدول الافريقية فنص على أنها تشمل المجالات السياسية والاقتصادية والتربوية والعلمية ومجالات الامن والدفاع . كما حدد الميثاق المبادىء الاساسية لتنفيذ أهدافه ، وهى: التسوية السلمية للمنازعات عن طريق التفاوض والوساطة والتوفيق أو التحكيم، والالتزام المطلق بتحرير الاراضى الافريقية التى لم تستقل بعد ، وتأكيد سياسة عدم الانحياز تجاه جميع الكتل .

ان نظرة متأملة لميثاق منظمة الوحدة الافريقية، تكشف بوضوح أن شعار الوحدة — فى هذه المرحلة — قد اكتسب مضمونا ثوريا يتمثل فى توسيع نطاق المعركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . كما اكتسب مضمونا اجتماعيا يتمثل فى الوعى بضرورة التعاون من أجل القضاء على التخلف وتحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . كذلك اصبحت الوحدة الافريقية :الهدف والوسيلة فى نفس الوقت . فبينما يفتح العمل لصيانة الاستقلال وتحقيق التقدم الاجتماعى ، الطريق أمام وحدة بلاد القارة ، فان شعار الوحدة الافريقية نفسه، يلعب دوره الهام فى تعبئة جماهير القارة والهامها ، مما يطرح أمام القوى الثورية فى القارة مسئوليات التصدى لحل المشكلات الخاصة بتحقيق التعاون بين جميع الشعوب والبلدان الافريقية سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

---

(٣٠) ميثاق منظمة الوحدة الافريقية المادة الثانية . وجدير بالذكر أن يوم توقيع الميثاق ٢٥ مايو اعتبر فى كل عام — يوم افريقيا تحتفل به شعوب القارة رمزا لوحدة نضالها ضد الاستعمار.

الوحـــــدة ليســت شـعار

الثوريين وحدهم ولكن .. !!

لاشك ان قيام منظمة الوحدة الافريقية كان عملا تقدميا وعظيما . وأمام هذه النقطة بالتحديد يلقى البعض بشكوكه حول هذه الحقيقة الواقعية ، مبررا شكوكه هذه بحقيقة أخرى واقعية تتجسد فى اقدام عدد من الدول الافريقية ذات الارتباطات المعروفة بالدول الاستعمارية ، على التوقيع على ميثاق المنظمة والانخراط فى صفوف عضويتها . ويضيف هذا البعض ــ تبريرا لشكوكه ايضا ــ أن دول الغرب راحت ترحب ــ عند تأسيس المنظمة ــ بالوحدة الافريقية. هذه حقائق لاننكرها. ولكن الوقوف عند ذلك فحسب ، انما يعنى بناء نتائج خاطئة على مقدمات سطحية لاتدرك أبعاد الموقف وأعماقه ككل . وجدير بنا أن نفند هذه الشكوك .

صحيح اننا لم نسمع أن يقف الاستعماريون الى جانب عمليات التوحيد . بل ويدعون اليها فى بعض الظروف .. ويستبدلون مؤقتا شعار «فرق تسد» بشعار «وحد تسد» .

ولكن ذلك ، يعود بنا الى أصل الامبريالية ــ بوصفها المرحلة العليا للراسمالية ــ الهادفة الى ربط العالم فى اقتصاد كل موحد . هذا التوحيد الاقتصادى شرط لسيادة الامبريالية الذى يتخذ اشكالا مختلفة . ان هذا التوحيد هو عملية لامهرب منها . بل لقد قامت بها الراسمالية بالفعل عندما حلت محل نظام الاقطاع وحطمت عزلة الاكتفاء الذاتى . ولكن الراسمالية تقوم بذلك على اساس الالحاق واستعباد غالبية دول العالم . ومن هنا فان الوحدة التى تصنعها الامبريالية انما تقوم على نقيضها فى نفس الوقت. وحدة تحمل عناصر التفتت بداخلها . ومن هنا نقول ان سياسة الاستعمار ــ فى هذا الصدد ــ سياسة ذات طابع مزدوج.. سياسة ذات جناحين : «فرق تسد» و «وحد تسد»

ولكن الشىء الذى لامناص منه ، بعد عدة قرون من انتشار الراسمالية وربطها الامم فى مختلف بقاع الارض بحفنة من الاحتكارات القوية ، وبعد مايقرب من نصف قرن من انتصار الاشتراكية ومواصلة مهمة التوحيد الاقتصـادى القائم على أساس **جذرى** مختلف ــ الامر الذى لاجدال فيه ، ان شعار الوحدة قد اكتسب طابع الرباط المقدس المفعم بقوة سحرية حتى اصبح الجميع يتحدثون عن وحدة الشعوب والدول . **وتشكل هذه الحقيقة اطارا لمناورة واسعة يحاول الاستعمار الجـديد اجادة لعبها على ارض افريقيا .**

وافريقيا ، قارة مورست ضد شعوبها سياسة البلقنة .. سياسة التمزيق للارض والجماعات البشرية ، واضحت كالجرح الدامى ينزف دون توقف . ومن ثم تدرك شعوب القارة وقياداتها الوطنية ، أنها لن تستطيع انتبعث حياتها من جديد بعد آلاف السنين من التخلف ، **الا اذا اتحدت فى** صورة وثيقة . فلا عجب اذن ان تزخر الحياة المعاصرة لافريقيا بكل هذا النشاط من أجل الوحدة الافريقية .

ولايتخلف عن هـذه المباراة أى من القـوى الاجتماعية المختلفة وحتى قوى الاستعمار الجديد والذى مازال ــ وسيظل ــ الوجه الاساسى فى سياسته هو «فرق تسد» .

وفى هذه المرة ــ ١٩٦٣ ــ حاول الاستعمار طمس وجه «التفرقة» هذا ليتقنع وراء الوجه الاخر وجه «الوحدة» . ولكن الشىء الذى لا شك فيه ــ بل الذى تأكد بالفعل كما سيتضح ــ أن تطور حركة الوحدة الافريقية بفعل قواها الوطنية والثورية، كشف الوجه الاساسى لسياسة الاستعمار الجديد سافرا أمام شعوب القارة . نقول ان الاستعمار الجديد ، حاول هذه المرة أن يسلك تاكتيكا جـديدا ازاء منظمة الوحدة بالسعى تقربا اليهـا لعله يستطيع احتواءها متوهما ان وجود عدد غير قليل من الدول الموالية لسياسته داخل صفوف المنظمة يمكن ان يطبع نشاطها ككل بطـابع الولاء أو المساومة . ولكن حقيقة ماتمثله القيادات الافريقية الثورية من ثقل سياسى فى القارة، وبروزها كاستجابة شرعية ملائمة لامال شعوب افريقيا والتفاعل معها، كل ذلك ادى الى تدعيم المنظمة من جهة وتأكيد سياستها المعادية للاستعمار **من جهة أخرى .** ويفسر لنا هذا كله ، لماذا لم يصبر الاستعمار العالمى طويلا على نشاط وأعمال منظمة الوحدة فجاهرها العداء بسرعة غير متوقعة .. حيث بدأ بعد ذلك مرحلة أخرى من الغزو .

عام واحد من الانجازات

تكشف المنجزات التى حققتها منظمة الوحـدة الافريقية فى عام واحد يمتد من أغسطس ١٩٦٣ الى حتى منتصف عام ١٩٦٤ ، عن مدى مايمكن أن تحققه المنظمة من ايجابيات فعالة ، لو تركت تعمل دون تدخل من الخارج ودون وضع العراقيل فى طريقها . وقد تمكنت المنظمة فى هذا العام من العمل نتيجة لان القوى المعادية ــ بكل أجنحتها ــ فضلت الانتظار بعض الوقت حتى تحدد موقفهـا الاخير على ضوء نتائج هذا العام .

فلم تكد تمضى شهور قليلة على تأسيس المنظمة، حتى انعقد فى داكار فى اغسطس ١٩٦٣ ، مؤتمر يضم ٣٢ من وزراء خارجية دول المنظمة فى وقت كان مجلس الامن يجتمع فيه لنظر شكوى الدول الافريقية ضد البرتغال وجنوب افريقيا ، وحيث كانت معاهدة وقف التجارب الذرية بين الاتحاد السوفيتى وامريكا وبريطانيا على وشك التوقيع. كذلك انعقد المؤتمر قبل افتتاح دورة الامم المتحدة لمناقشة ضمان تمثيل عادل لافريقيا فى اجهزة الامم المتحدة . وقد اتخذ المؤتمر بشأن هذه القضايا قرارات ايجابية هامة . على ان اهم قرارات المؤتمر — بالنسبة لحركة التحرر الافريقى — هو قرار «لجنة تحرير افريقيا» فى المؤتمر التى دعت الى مساهمة كل الدول الافريقية فى الصندوق الخاص بلجنة تحرير افريقيا والنص على ان المنظمة «يقع على عاتقها عبء تنسيق المساعدات المنظمة للتحرير غير المشروط لجميع المناطق الافريقية التى مازالت ترزح تحت عبء «السيطرة الاجنبية»». وفى شهرى يوليو وديسمبر ١٩٦٣ اجتمعت هذه اللجنة فى دار السلام (تنزانيا) حيث مقرها الدائم، لدراسة الخطوات العملية لمساعدة حركات التحرير المسلحة . ولتأكيد دور افريقيا لحماية السلام العالمى ، طالب مؤتمر داكار «بمنع تخزين ونشر الاسلحة النووية» كما رحب بمعاهدة موسكو واعرب عن أمله فى ان تكون هذه خطوة الى «تحقيق حظر التجارب النووية ونزع السلاح العام الكامل تحت رقابة دولية دقيقة وفعالة .»

ونتيجة لانفجار النزاع المسلح على الحدود المغربية الجزائرية اجتمع وزراء خارجية المنظمة فى نوفمبر ١٩٦٣ فى اديس ابابا لبحث الازمة . وشكلت لجنة تشرف على وقف اطلاق النار ، و «لجنة السبعة للتحكيم» واهمية هذه القرارات انها حصرت المشكلة داخل حدود افريقيا وحالت دون «تدويلها» لتلعب فيها الايدى الاستعمارية لتفتيت وحدة دول القارة .

وفى اكرا فى اكتوبر ١٩٦٣ اجتمعت لجنة الدفاع التابعة للمنظمة لبحث مشاكل الدفاع المشترك فى افريقيا ، والاقتراحات التى تدعو الى انشاء « قوة افريقية متحدة » . وفى نيامى اجتمعت اللجنة الاقتصادية فى ديسمبر ١٩٦٣ لبحث علاقة القارة بالسوق الاوربية المشتركة ، وبحث وسائل تنظيم وتنسيق خطط التنمية فى افريقيا ، واتخاذ موقف موحد من المؤتمر العالمى للتجارة (مارس ١٩٦٤) فى جنيف . وفضلا عن هذه المؤتمرات فقد اجتمع كذلك مؤتمر دار السلام (فبراير ١٩٦٤) لدراسة أوضاع شرق افريقيا على اثر احداث التمرد فى كل من تنجانيقا وكينيا وللتوفيق بين الصومال واثيوبيا وكينيا حول مشاكل الحدود، ثم مؤتمر لاجوس (فبراير ١٩٦٤) الذى قرر قطع العلاقات السياسية ببريطانيا اذا اقدمت على تسليم الحكم الى الاقلية البيضاء فى روديسيا. ثم مؤتمر الجزائر (فبراير ١٩٦٤) للجنة العلمية والفنية التى دعت الى «تطوير القارة الافريقية باستخدام العلم والتكنولوجيا فى ظل التعاون المشترك ». ثم مؤتمر وزراء العمل الذى درس تنسيق العمل فى المجال التشريعى او الفنى او الاجتماعى بالنسبة للعمل والعمال فى افريقيا . ثم لجنة التربية والثقافة لتنمية العلاقات الثقافية والتغلب على الحواجز اللغوية والدعوة الى تأسيس وكالة للانباء الافريقية .

بمثل هذه الدرجة ، كانت انطلاقة اجهزة منظمة الوحدة فى عامها الاول . وقد اكتسبت هذه الانطلاقة مقومات جديدة بانعقاد مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى يوليو ١٩٦٤ فى القاهرة .

مؤتمر التحدى

فى الفترة مابين ١٧ — ٢١ يوليو ١٩٦٤ ، عقد فى القاهرة مؤتمر القمة الافريقى الثانى . فى ذلك الوقت كانت القاهرة تعيش فترة من اخصب فترات حياتها السياسية والديمقراطية حيث قرارات مارس وانتخابات مجلس الامة والغاء حالة الطوارىء وتصفية الاثار التى كانت قد ترتبت عليها ، ثم استقبال خروشوف والاحتفالات بتحويل مجرى نهر النيل ، وبدء مرحلة هامة فى بناء السد العالى، ثم انعقاد مؤتمر عدم الانحياز بها. وكانت هذه الانتصارات الهامة ، جزءا من انتصارات حركة التحرر الافريقى ككل . ففى شرق افريقيا تمت وحدة تنجانيقا وزنزبار وفى وسطها اشتعلت الثورة الوطنية فى الكونجو فى وقت كان الاستعماريون قد ظنوا انها خبت الى الابد . وعلى ارض القارة فى انحائها المختلفة كانت تقام معسكرات تدريب «المناضلين من اجل الحرية» من الوطنيين فى انجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية ومن جنوب افريقيا .

فى ظل هذه الانتصارات الهامة ، انعقد مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الافريقية . ولقد حاول الاستعماريون ان يوجهوا ضربة الى المؤتمر باحضار «تشومبى» الى القاهرة فجأة . ولكن موقف القاهرة وغالبية اعضاء المؤتمر ، الذى ادى الى اعتقال تشومبى — او بمعنى ادق تحديد اقامته — فوت الفرصة على المؤامرة . بل كان تحديا هاما لها . ويمكننا دون مبالغة ان نقول ان مؤتمر القاهرة ١٩٦٤ هذا ، كان بمثابة « المؤتمر الذهبى» لمنظمة الوحدة — اذا صح هذا التعبير .

وقد بحث المؤتمر اساليب التعاون داخل القارة الافريقية. واقر تكوين لجنتين متخصصتين تابعتين للمنظمة ، ووافق على كل توصيات لجان الدفاع

والتعليم والثقافة واللجنة الاقتصادية والاجتماعية، ولجنة الصحة والتغذية ولجنة البحث العلمي والفني. وبحث الرؤساء وسائل تصفية الاستعمار فى القارة وقضية التفرقة العنصرية، وطالب الدول التى تقوم علاقات بينها وبين حكومة جنوب أفريقيا بالتعاون فى مجال مقاطعتها . وطالب الدول المنتجة للبترول بالكف عن امداد جنوب افريقيا بالمنتجات البترولية. واقر انشاء مكتب لتنسيق خطط الدول الاعضاء لتنفيذ مقاطعة جنوب أفريقيا على نحو فعـــال . وبحث الرؤساء مشكلة روديسيا وتعهدوا باتخاذ خطوات عنيفة وعاجلة ضد اى اعلان لاستقلال روديسيا من جانب الاقلية البيضاء . وادان المؤتمر البرتغال لاصرارها على رفض حق الشعوب التى تخضع لسيطرتها فى تقرير المصير ، وقرر اتخاذ اجراءات مقاطعة فعالة ضد البرتغال . وباختصار لقد كان مؤتمر ١٩٦٤ فى القــــاهرة «مهرجـــانا للانتصارات الافريقية » . نضيف الى ذلك انه من النتائج الهامة ايضا لهذا المؤتمر ، التغــير الكيفى لبعض دول المؤتمر ـــ وخاصة غانا وغينيا ومالى ـــ بشأن مشـكلة فلسطين حيث ادانوا اسرائيـــل وطالبوا بحل مشكلة اللاجئين حلا عادلا ووفقا لقرارات الامم المتحدة . وربط هؤلاء الرؤســـاء بين السلام فى الشرق الاوسط والسلام فى افريقيا.

وليس من الغرابة فى شىء ، ان يقرر الاستعمار العالمى الخروج من «دائرة الانتظار المؤقت» بعد هذا المؤتمر ونتائجه ، ليشن حملة مضادة واسعة ضد حركة التحرر الافريقى ، وبالتالى ضد منظمة الوحدة الافريقية التى اصبحت تمثل بوضوح عنصرا هاما من عناصر التطور الثورى للقارة ، وتمثل ايضا تهديدا جديا لنفوذ الاستعماريين الاقتصادى والسياسى والاستراتيجى ، بل والفكرى ايضا . وقد كان مؤتمر القاهرة قد حقق نجاحا للدرجة التى ظن معها كوامى نكروما «ان المرحلة الاولى من مراحل كفاحنا فى سبيل حرية افريقيا ووحدتها قد تحققت . وسندخل الان المرحلة الثـانية من مراحل هذا الكفاح وهى انشاء حكومة الوحدة الافريقية » (٣١) .

مرحلة أخرى من الغزو

منذ اواخر عام ١٩٦٤ ، وحتى ايامنا هذه ، تشهد حركة التحرر الافريقى ومنظمة الوحـــدة الافريقية موجة من الغزو الاستعمارى ـــ فى صور متعددة . وفى هذه المرحلة تخطت فيها القوى الاستعمارية حدود العمل على تفتيت وحدة الامة فى كل دولة افريقية على أسس قبلية ـــ وان لم تتجنب هذا الاسلوب تماما ـــ الى حدود العمل على تفتيت تضامن ووحدة الدول الافريقية المستقلة على مستوى القارة ككل .

والواقع ان هجوم الاستعمار فى هذه المرحـــلة على حركة التحرر الافريقى ومنظمة الوحدة ، جزء لاينفصل من مخطط هجومه الواسع على حركة التحرر الوطنى فى العالم كله . فمنذ اواخر عام ١٩٦٤ ، برزت سياسات استخدام القوة والعنف .. ابتداء من العدوان الامريكى على شعبى فيتنام والدومينيكان ، الى العدوان البريطانى على شعب جنوب اليمن المحتل (فى ذلك الوقت) . وقد ركز الاستعمار العالمى فى هجومه المضاد فى افريقيا على تقويض المكاسب الرئيسية لحركة التحـــرر الوطنى الافريقية التى تتمثل فى تحرر الغـــالبية العظمى لدول القارة واستقلالها ، ثم قيام منظمـــة الوحدة الافريقية، ثم قيام علاقات وطيدة بين حركة التحرر الافريقى وبين المعسكر الاشتراكى .

غزو .. انقلاب .. ضغط

فى اواخر عام ١٩٦٤، حين فشلت حكومة العميل تشومبى فى مواجهة الثورة الوطنية المسلحة فى الكونجو والتى بلغت وقتها من القوة حدا اصبحت تهدد معه بقاء تشومبى ، قام الاستعمار الامريكى الانجليزى البلجيكى بغزو مسلح ضد شـــعب الكونجو موجها ضربة قاصمة للثورة الوطنيـــة الكونجولية . ولما لم يواجه الاستعماريون بموقف صلب رادع ، واصلوا سلسلة هجماتهم على حركة التحرر الافريقى بالتآمر على استقلال الكونجو برازافيل فى ١٩٦٥ تارة ففشلوا ، او بالضغط على اوغندا لسماحها استخدام اراضيها لعناصر الثورة الوطنية الكونجولية ، أو بالضغط على تنزانيا بأعمال التجسس الواسعة ردا على مساعداتها للحركات الوطنية، وحيث تتخذ لجنة تحرير افريقيا التابعة للمنظمة من أرض تنزانيا مقرا لها ، أو باغتيال بيو بنتو احد الزعماء التقدميين فى كينيا ، أو بشن حملة ضـــغط اقتصادى ونفسى ضـــد غانا بالتلاعب فى السعر العالمى للكاكاو كمحصـــول رئيسى لغانا، او بتفتيت القوى الوطنية فى السودان. ونظرا لمرور كل هذه الاعمال التخريبية دون ردود حاسمة سواء من جانب المعسكر الاشتراكى أو من جانب الدول الافريقية ، واصل الاستعماريون تآمرهم ضد تحرر دول أفريقيا واستقلالها للعودة بها مرة ثانية الى مناطق التبعية ، بشن سلسلة

---

(٣١) المؤتمر الصحفى الذى عقده نكروما فى ٢٥ يوليو ١٩٦٤ فى مطار القاهرة قبل سفره .

من الانقلابات العسكرية بدأت بالكونجو في أكتوبر ١٩٦٥ ، ثم في كل من نيجيريا ووسط افريقيا وفولتا العليا وداهومي وسيراليون حتى كان انقلاب غانا في مارس ١٩٦٥ نموذجا مجسدا للثورة المضادة في أفريقيا .

وقد كان لذلك كله ، آثاره السلبية التي لاتخفى على منظمة الوحدة الافريقية ، التي أظهرتها هذه الاحداث بمظهر العاجز عن القيام بعمل ما لحماية استقلال القارة .

ومن الاعمال الانقلابية الهادفة الى تقويض استقلال القارة ، قيام الاقلية العنصرية في روديسيا باعلان الاستقلال من جانب واحد .. بتشجيع من قوى الاستعمار العالمي . وبذلك سلم الاستعماريون بلدا افريقيا آخر الى قبضة العنصرية في جنوب القارة .

وهل يمكن التغاضي عن حرب يونيو والعدوان الاسرائيلي على الجمهورية العربية المتحدة، وأثر ذلك على حركة التحرر الوطني في افريقيا ، وقضية وحدتها . صحيح أن للعدوان أهدافا رئيسية في ضرب حركة التحرر العربي . ولكن ذلك بالتالي — يمس حركة التحرر الافريقي في الصميم . وليس أدل على ذلك ، من ظاهرة الانقسام بين دول القارة بشأن الموقف من أزمة الشرق الاوسط . وعلى أية حال ، فانه يكفي أن نقول ان تحقيق أهداف العدوان السياسية ، كان كفيلا بتوجيه ضربة قاصمة الى واحدة من القوى الطليعية لحركة التحرر الافريقي ولحركة الوحدة الافريقية .

الهجوم من الداخل

وذلك باحياء كيان «الافروماالاجاش» الى سابق نشاطه السياسي كمنظمة توازي — في حركتها — منظمة الوحدة . ومحاولة لوضع دول القارة أمام واقع انقسامي . فلقد بدا بوضوح ، منذ أوائل ١٩٦٥ واجتماعات دول الافرو مالاجاشي في نواكشوت بموريتانيا ، أن هناك تيارا بين غالبية دول هذا التجمع يدعو الى العودة لممارسة نشاطه السياسي، بينما كان هناك تيار آخر تزعمته موريتانيا والكونجو برازافيل والكاميرون يدعو الى الاكتفاء بنشاط الاتحاد الاقتصادي . فقد ارتبط اجتماع نواكشوت بوجود روبرت روتشيلد ، المدير السابق لمكتب سباك وزير خارجية بلجيكا في نواكشوت . وقد سعى روتشيلد الى اقناع دول الاتحاد بقبول حكومة تشومبي عضوا . وقد تم ذلك بالفعل . ويصف تشومبي هذا القرار بقوله « ان اجتماع ممثلي دول أفريقيا في موريتانيا كان مساندة عظيمة لنا » . وأمام هذه الخطوة أعلنت موريتانيا والكونجو برازافيل والسنغال والكاميرون ، انسحابها من الاتحاد .

لقد كان مقررا — منذ مؤتمر القاهرة ١٩٦٤ — عقد المؤتمر الثالث للقمة الافريقي في أكرا في سبتمبر ١٩٦٥ . ولكن المشاكل والمناورات التي أثارتها دول الافرو مالاجاشي أدت الى تأجيل عقد المؤتمر حتى اكتوبر . وفي الوقت الذي كانت تتطلع فيه شعوب القارة الى انعقاد المؤتمر ، أعلنت معظم دول الافرومالاجاشي أنها ستقاطعه . واستندت دعوى المقاطعة هذه الى نقطة أساسية تزعم أن غانا — بحمايتها للاجئين الوطنيين والديمقراطيين من بعض دول غرب أفريقيا — تحرض على ماتسمى «بالاعمال التخريبية» ضد هذه الدول . كما قيل ان رؤساء دول «المقاطعة» لايطمئنون على حياتهم اذا ذهبوا الى أكرا . وطالبت هذه الدول بتغيير مكان انعقاد المؤتمر وادانة غانا .

وكان معنى موافقة دول المنظمة ، على تغيير مكان انعقاد المؤتمر ، يعني اعترافا ضمنيا بالاتهامات الموجهة ضد غانا وضد نكروما . كما أنه يعتبر تنازلا خطيرا قد يشجع على أن تتبعه تنازلات أخرى قد لاتقل خطورة . ولهذا أصرت غانا — وبقية الدول المتحررة — على عقد المؤتمر في أكرا على ان يؤجل الى اكتوبر وحتى تتم الاتصالات حول هذه القضية للوصول الى اتفاق يرضي اطرافها .

وفي عشية انعقاد مؤتمر أكرا ١٩٦٥ ، وقع حدث أريد به التأثير على وحدة صف دول المنظمة . فقد أعلن «كازافوبو» رئيس الكونجو في ذلك الوقت ، عزل تشومبي — في مناورة مكشوفة — وتعيين ايفارستي كيمبا رئيسا للوزارة . وذلك بهدف سحب مشكلة الكونجو من جدول أعمال المنظمة التي كانت تعارض حضور تشومبي للمؤتمر .

لكن محاولات التخريب من الداخل ، زادت بشكل بعد انقلاب غانا . ولعل في اجبار طائرة وفد غينيا لحضور مؤتمر وزراء خارجية المنظمة تمهيدا لانعقاد مؤتمر القمة ١٩٦٦ في أديس أبابا ، ثم اعتقال الوفد الغيني وتحديد اقامته في غانا ، لمثال واضح لمثل هذه الاعمال التي كادت ان تفجر مؤتمر ١٩٦٦ .. بل لقد ادت بالفعل الى فشل المؤتمر عمليا .

ووراء دعوى ضغط ميزانية المنظمة ، راحت بعض الدول الافريقية تطالب — عمليا — بتصفية لجنة التحرير التابعة للمنظمة . ولكن دور المواقع الثورية داخل المنظمة حالت دون تصفية اللجنة ، وان لم تحل دون ضغط ميزانيتها .

تشويه علاقات أفريقيا بالدول الاشتراكية

لقد كانت العلاقات الوطيدة التى نجحت حركة التحرر الافريقى فى تشييدها بالمعسكر الاشتراكى، واحدة من المنجزات الهامة للحركة الوطنية فى افريقيا . فبالاضافة لما تعنيه هذه العلاقات من ايجاد سند دولى ضخم لكفاح شعوب القارة ونضالها من أجل الحرية والتضامن ، فانها تعنى أيضا تمكين دول القارة من الحصول على مساعدات اقتصادية وفنية كبيرة تساهم فى القضاء على أسباب التخلف وانخفاض مستوى المعيشة لشعوب القارة .. عن طريق المساعدات غير المشروطة التى تقدمها دول المعسكر الاشتراكى لتشييد اقتصاد وطنى افريقى مستقل .

وليس من قبيل الصدفة ، أن تتبارى صحف الغرب الاستعمارى فى الحديث عن « النفوذ الصينى » تارة، أو «السوفيتى» تارة أخرى داخل القارة . بل والزعم بقيام ماأسموه ببعض أعمال التخريب «الشيوعية» ! فى أفريقيا . وأبرز مثال على ذلك ، ماحدث فى كينيا خلال ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦، حين اندفعت قيادات حزب الكانو ــ وخاصة توم مبويا ــ بالحديث فجأة عن مؤامرة لقلب نظام حكم كينياتا على أيدى مجموعة «تتلقى الاسلحة من الصين الشعبية» ! . وامتداد مثل هذه المزاعم الى داخل منظمة الوحدة ، يؤثر بالفعل على وحدة صفوفها وعلاقاتها بالدول الاشتراكية . وهو مايطمع الى تحقيقه الاستعمار الجديد . ولاشك أن حركة الاستعمار الجديد المضادة هذه ، انما تستند فى نشاطها الى ارضية أساسية هى « فكرية العداء للشيوعية» التى تسود أوساط بعض الدوائر الحاكمة فى دول أفريقيا والتى تجنح دائما الى مهادنة الاستعمار والتقاعس عن تلبية متطلبات حركة التحرر الافريقى . ومثل الحديث عن «مؤامرات صينية» أو أخرى «سوفيتية» لايقصد بها سوى اثارة ستار كثيف من الدخان عن المؤامرات الحقيقية التى تدبرها الاوساط الحاكمة فى واشنطن ولندن وبون وبروكسل ولشبونة وتل أبيب .

مشاكل الحدود .. والحرب الاهلية

لا تلبث تطورات الاحداث ، بين وقت وآخر ، ان تسفر عن صراعات تصل الى حد الصدام المسلح بين بعض الدول الافريقية حول الحدود المتنازع عليها فيما بينها . ومن امثلة ذلك الصدام بين اثيوبيا والصومال تارة ، أو بين كينيا والصومال تارة أخرى ، أو بين المغرب والجزائر فى بعض الاحيان ، او بين توجو وغانا فى احيان اخرى . ولا شك ان كثيرا من هذه الصدامات ، تتعدى باهدافها حدود الاعتبارات القومية الى حدود خلق مصاعب جديدة أمام تجمع دول القارة ووحدة كفاحها ضد الاستعمار . اذ لم يكتف الاستعماريون بخلق مشاكل الحدود هذه عن عمد ابان فترة حكمهم السابقة على الاستقلال ــ وحيث يندر وجود دولتين افريقيتين لا مشاكل بينهما على الحدود المشتركة ــ لم يكتف الاستعماريون بهذا ، وانما نجدهم يلجأون بين فترة واخرى الى اثارة مشاكل الحدود هذه لمزيد من اضعاف وحدة دول القارة وتضامنها .

ومثلما يثير الاستعماريون مشاكل الحدود القومية بين وقت وآخر ، فانهم يسعون كذلك الى اثارة الحزازات القبلية بين قبائل القارة الى الحد الذى يصل الى حمل السلاح بين قبيلة ضد اخرى . وصحيح ان الحرب الاهلية الدائرة فى نيجيريا هذه الايام ، نتاج لمشاكل الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ولكنها ــ فى بعض وجوهها ــ كذلك نتيجة لاعمال الاثارة التى تؤلب بها القوى الاستعمارية قبيلة ما ضد قبيلة او قبائل اخرى .

وامام كل هذه المشاكل مجتمعة ، تجد منظمة الوحدة الافريقية نفسها منهكة الى حد بعيد فى متابعة هذه المشاكل والبحث عن حلول لها . ولا شك ان الاستنزاف المستمر لجهود المنظمة فى مثل هذه المشاكل ، انما يضعف من فعاليتها ويشل قدراتها على الحركة بالقدر الذى يلائم مستوى المسئوليات الجسام الملقاة على عاتقها تجاه حركة التحرر الافريقى .

على ان بعد المنظمة عن الارتباط بحركة المنظمات والاحزاب والهيئات والنقابات الجماهيرية الافريقية ، يضعف ايضا من ايجابياتها ويفقدها عنصرا اساسيا وهاما من عناصر حياة المنظمة وتقدمها .

آفاق المستقبل

ومع الاعتراف بكل هذه المصاعب والظروف القائمة اليوم فى القارة . فانه لا يمكن التقليل من منجزات حركة القارة نحو وحدتها . لقد كانت منظمة الوحدة الافريقية بحق ، احدى المنجزات الكبرى للقوى المعادية للاستعمار فى أفريقيا . وهى كذلك « ضمان تنظيمى » لنضال دول القارة وآمالها فى التضامن والوحدة . صحيح ان المنظمة

أخفقت في مواجهة بعض التحديات الاستعمارية والرجعية ، ولكنها — كذلك — نجحت في تهدئة بعض الصراعات الناجمة عن مشاكل الحدود مثلا. ولعبت دورا هاما في اثارة مشكلة روديسيا على النطاق العالمي ودفع الامم المتحدة الى اخذ بعض القرارات التي لا يقلل من فعاليتها سوى « موجة الهجوم » الاستعمارية التي تشنها قوى الاستعمار على حركة التحرر الوطني في العالم ومنها افريقيا . كذلك كانت المنظمة واحدة من دعامات نضال الانسانية من اجل السلام العالمي. كما انها — بالنسبة للقارة — قد ادت بالفعل الى قيام بعض صور التعاون الاقتصادي واهمه زيادة حجم التبادل التجاري بين كثير من دول القارة عما كان عليه قبل ذلك .

أمام تلك المصاعب اذن ، كيف يمكن للقوى الافريقية الثورية ان تتحرك — رغم هذه المصاعب — لتواجه الهجمات الاستعمارية ضد المنظمة ؟

ان المصاعب التي تواجهها المنظمة ، لا تقلل — رغم كثرتها — من امكانيات مزيد من اعمال التوحيد. هذه الامكانيات التي يمكن ان تستند بالفعل الى اساس موضوعي . ذلك ان الرغبة في الوحدة بين شعوب القارة ، رغبة جادة عميقة ويصعب خنقها بشكل كامل . ذلك فضلا عن انه لا مفر امام دول القارة في سعيها الى القضاء على اسباب تخلفها ، الا الوحدة كواحدة من مستلزمات تقدمها وشروطه الهامة .

ان المرحلة التي تجتازها الثورة الافريقية اليوم ، تربط — بالضرورة — بين اهدافها الوطنية وابعادها الاجتماعية ، وتفرض بالتالي ان تكتسب حركة ونشاط القوى الثورية داخلها هذا الطابع المزدوج . واذا كان من الصعب اقتحام مجالات الخلافات الثنائية الحادة والمتعددة القائمة بين عدد من دول القارة ، حرصا على كيان المنظمة واستمرارها ، فان الظروف لا تسمح الان الا باثارة قضايا عامة تتحرك من خلالها القوى الثورية الافريقية .

وعلى المستوى السياسي الوطني ، فان تطورات مشكلة روديسيا واوضاع جنوب افريقيا العنصرية ، تشكل هامشا واسعا متعدد الثغرات لهجوم القوى الثورية والتركيز عليها . وهناك عاملان مواتيان . الاول ان مشكلة روديسيا واخطار التفرقة العنصرية في الجنوب على الدول المستقلة ، اصبحت على درجة من الوضوح امام الرأي العام الافريقي والعالمي ، تسمح بشن هجوم سياسي واسع . والعامل الثاني ان احدا من اعضاء المنظمة لا يستطيع بحال امام شعبه ان يرفض اية توصيات سياسية في هذا الشأن.

كما ان استمرار الكفاح الوطني في كل من انجولا وموزمبيق وشتى الجيوب الخاضعة للاستعمار .. بل وفي روديسيا نفسها ، يشكل اساسا لحركة القوى الثورية ونشاطها في المنظمة .

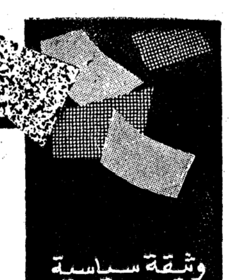
ان الظروف المحيطة بتطورات الثورة الافريقية اليوم ، يطرح امام القوى الثورية التي تشغل مراكز قيادية فيها — في الجمهورية العربية المتحدة ومالي وغينيا والجزائر والكونجو برازافيل وتنزانيا — واجب التصدي للمؤامرات الاستعمارية والرجعية التي تتربص بالثورة الافريقية ومنظمة الوحدة ، بكل طاقاتها وامكانياتها القائمة والمحتملة .

وسبيل ذلك ، هو القيام **بدعم وحدة العمل فيما بينها للدفاع عن مضمون المنظمة المعادي للاستعمار القديم والجديد** ، وما يترتب على هذا من العمل فيما بينها لتنفيذ قرارات وتوصيات اجهزة المنظمة . والدول الافريقية المتحررة ، تحتاج في سبيل ذلك ، الى تحديد سياسة واقعية الى اقصى حد ومبدئية الى اقصى حد .. في صدد ايجاد الحلول المتعلقة بتدعيم الوحدة الافريقية وصفوف حركات التحرر الوطني فيها.

ويبقى ان نعيد تأكيد ما سبق واشرنا له من قبل ، من ضرورة قيام **وحدة عمل ايضا بين مختلف المنظمات والاحزاب التقدمية والهيئات الشعبية والجماهيرية** في دول القارة . ان ما لا تستطيع انجازه حكومات القارة ، تستطيع منظماتها الشعبية بالتأكيد ان تمهد الطريق — على الاقل — لتمكين القوى الثورية من الضغط من اجل انجازه .

ان وحدة القوى الثورية الافريقية — على المستويين الرسمي والشعبي — يعد اليوم حلقة رئيسية لضمانات نجاح نضال شعوب القارة المعادي للاستعمار والتخلف . وبقدر الاسراع في خروج هذا الشعار الى حيز التطبيق العملي ، بقدر ما تؤمن الثورة الافريقية نفسها وتحمي حركة وحدتها واهدافها التي تمثل اليوم املا هاما من آمال الوطنيين الافريقيين وشعوبهم ، وضمانا اساسيا من ضمانات انتصار الثورة الافريقية .

وثائق



وثيقة سياسية

كراسة "تيموانياج كريتيان" (شهادات مسيحية)

١٤

جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

نواصل نشر كراسة ((تيموانياج كريتيان)) (شهادات مسيحية) عن قضية فلسطين ، وهي الوثيقة التى وضعتها ((جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية)) وقد انشئت هذه الجماعة فى فرنسا عقب حرب يونيو ، واعلنت انها تضع كهدف لها توخى الحقيقة والتزام الموضوعية فى عرض القضية من كل زواياها .

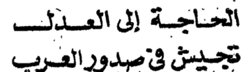
ونواصل فى هذا العدد نشر الفصل الثانى من الوثيقة وهو يتضمن مجموعة مقالات ودراسات لكتاب ومفكرين فرنسيين ينتمون الى اصول فكرية واتجاهات سياسية متباينة ، ولكن تجمعهم الرغبة المشتركة فى استجلاء الامور ، والوصول الى الحقائق العديدة والمعقدة التى تحيط بالموضوع ، ونؤكد مرة اخرى اننا حرصنا على نشر الاراء المعروضة كاملة دون حذف او اختصار ، رغم ما قد يقوم من اختلاف فى وجهات النظر بيننا ، وبين بعض الذين اسهموا فى هذا العمل . وقد اطلقوا على هذا الفصل عنوان ((حوار مع انفسنا ومع الاخرين)) .

الفصل الثانى

حوار مع أنفسنا ومع الآخرين

فوبلت نشراتنا طوال شهور الصيف بردود فعل نعتقد انه من المناسب ان نورد هنا بعض فقراتها المفيدة . وستوضح هذه الفقرات التنوع فى وجهات النظر وحرية التفكير النقدى ، وتلك فى رأينا من شروط البحث الحقيقى . والفقرات الواردة هنا لم تستخلص بطريقة عفوية ، وقد ختمناها بتصريحات يبدو لنا انها أوصلتنا بجهودنا الى بعض الالتقاءات . وهذا الاتجاه ، الذى كان بوسعنا ان نتوسع فيه ، لا يستنفد الموضوع بالطبع ولا يبقى سوى الحث على التفكير والالتزام .

■ ■ ■



لوك بريلييه

كان اليهود طوال القرون المتعاقبة ، وبالاخص فى الغرب، ضحايا الاذلال والاضطهاد بأشكالهما المختلفة . وتوجت هذه السلسلة الطويلة من المحن فظائع الهتلرية فى قلب القرن العشرين . ومن الطبيعى ان يتحول العطف الذى نما تجاههم فى ضمير العالم نحو دولة اسرائيل ، التى بدت فى نظر الكثيرين كضحية اخرى لمعاملة غير عادلة تكاد تهدد وجودها .

ولا شك ان هذا العطف يفسر بعض ردود الفعل العاطفية التى تخدم بشكل منتظم وجهات النظر الاسرائيلية ، والتى ظهرت أثناء الاحداث الاخيرة ، وسط الرأى العام الفرنسى بشكل خاص . وبين بعض اصدقائنا الذين تعوزهم احيانا الموضوعية فى تفكيرهم . ومن النادر ان تلقى كل مساوىء ازمة ، وصلت الى هذا الحد من الضخامة ، على جانب واحد ، كما حدث فى هذه المرة .

لقد قرر عدد من الرجال والنساء ، ومن بينهم أفراد مرموقون من الجالية اليهودية، ان يتجهوا نحو تحليل غير مغرض لاسباب النزاع بحثا

من علاجات مناسبة سواء لوضع القدس ، أولحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، أو لاقامة بناء سياسي يسمح بتحقيق التعايش الذي لا غنى عنه ، وباستغلال الثروات وتطوير الاقتصاد ، بوصفها جميعا عناصر اساسية لاقامة بناء راسخ دائم . وقد حرص هؤلاء الرجال والنساء على ان يقدموا معلومات صحيحة عن الاحداث ، وان يشاركوا في اعادة السلم الى هذه المنطقة من العالم .

وقد انضممت الى هذه الجماعة المهتمة بالبحث ، لانى عشت طويلا في بلاد الاسلام ، واحسست بالحاجة الى العدل التي تجيش في صدور العرب ، ولاني لست من الرجال الذين يعميهم بعض التطرف الشفوي ، أو الاسراف في الخيال المنتشر بينهم . وقد حظيت في الصيف الماضي بمقابلة الرئيس بورقيبة ثلاث مرات خلال زيارتي لتونس. وقد بدت لي مقترحاته في غاية الحكمة . ومن المعروف انه اوصى بالاعتراف بواقع قيام دولة اسرائيل . فاثبت بذلك انه على جانب كبير من الشجاعة ووضوح الرؤية .»

وتنعكس الافكار التي أعلنها في اكثر من موضع في هذا الكتاب الذي جاء ثمرة لمجهودات صبورة من جانب عقول حرة ومستقلة ارادت ان تضع خبرتها في خدمة الحقيقة والسلام .»

■■■

على عاتق من.. يقع عبء المبادرة الأولى؟

شارل بتلهايم

أود أولا ان أؤكد لكم موافقتي على المواقف الاساسية التي عبر عنها التقريران المقدمان من جانبك ومن جانب زميلنا ماكسيم رودنسون في اجتماع ١٦ يونيو .

واعتقد انه من الاصوب ان يكون تحليل اسباب وسمات النزاع ، وافادة الرأى العام بنتائج ابحاثنا ، احد المهام الاولية لجماعتنا . فعلى هذا الاساس وحده ستصبح المساهمة في حل النزاع ممكنة باصدار بعض المبادىء الاساسية.

على أن التقريرين اللذين اشرت اليهما من قبل يحددان لنا منذ البداية الاتجاهات التي يبدو لي انها تشكل في مجموعها أساسا راسخا لعمل جماعتنا في المستقبل . وهناك في رأيي ثلاثة افكار اساسية :

١ ـ الهدف المنشود يجب ان يكون التعايش السلمي للطائفتين .

٢ ـ لا يمكن تحقيق هذا الهدف الا بوضع نهاية للنفوذ الامبريالي في اطار عملية تحرير حقيقية من الاستعمار .

٣ ـ ويفترض ذلك ترتيبات واستحداثات جذرية ، والا ووجهنا بحلول خادعة تحمل في طياتها بذور تناقضات جديدة.

واذا اردنا ان نبلور هذه الافكار ، فيجب ان نقول بكل صراحة ان وجود اسرائيل كدولة لا يتلاءم مع الاهداف التي نسعى اليها . فظروف تكوين دولة اسرائيل ، والسياسة التي انتهجتها منذ تاسيسها ، وعلاقاتها العضوية بالصهيونية والامبريالية ، تشكل منها دولة استعمارية محكوم عليها بانتهاج مسلك عدواني توسعي ، اى بان تكون اداة في ايدي الدول الاستعمارية الكبيرة ، وعلى راسها الاستعمار الامريكي .

ومن هنا ، فان الاستحداث الاساسي المطلوب لا يمكن ان يكون اى شيء آخر غير زوال دولة اسرائيل وتحويل الطائفة اليهودية الى احد طائفتي دولة فلسطينية ، تقوم على اساس ديمقراطي . اى تعتمد على القوى الشعبية ، وتستبعد من بنائها كل المؤثرات الامبريالية ، بما في ذلك العناصر الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالاستعمار الامريكي . ومن جهة اخرى يجب ان تعترف الطائفة اليهودية بالاضرار التي الحقتها بالشعب العربي ، وان تقدم تعويضات من هذه الاضرار ، وبالاخص باعادة اراضي الطائفة العربية الى اصحابها .

وفي رأيي ان المبادرة بمثل هذه التغيرات وتحقيقها ، أمر لا غنى عنه لاقرار السلام الحقيقي

فى هذا الجزء من العالم . ولكنها لا يمكن ان تاتى من جانب الدول الاستعمارية ولا من جانب المنظمات الدولية التى تسيطر عليها هذه الدول ، ولا من جانب اسرائيل .

وعليه فان المبادرة باجراء هذه الاستحداثات وتحقيقها ، لابد وان تنبع من القوى الشعبية فى كل من الطائفتين . ولا يمكن ان تتم مفاوضات ناجحة الا على مستوى الطائفتين فقط ومن خلال المنظمات الممثلة لهما . ولا شك ان هذا الحل بعيد ، ولكنه الوحيد الذى يمكن ان يؤدى الى شىء آخر غير المهادنات التى لن تكون سوى صيغ جديدة للوضع الراهن ، تحمل فى طياتها نفس التناقضات .

ولما كانت الطائفة اليهودية (سواء ارادت ذلك او لم ترده) هى المسئولة موضوعيا عن الوضع الراهن ، فان المبادرات الاولى التى قد تستجيب لها المبادرات العربية ، يجب ان تنبع من جانبها هى ، اى من جانب الطائفة اليهودية . وحتى يتم ذلك ، وطالما ظلت الدولة الاسرائيلية قائمة بتهديداتها المتواصلة للشعب العربى وللكفاح ضد الاستعمار ، فان الموقف الوحيد الذى لا يشجع القوى الاكثر عدوانية داخل الطائفة اليهودية ، يجب ان يتمثل فى مساندة الطائفة العربية الفلسطينية من اجل استرداد اراضيها ، ومساندة القوى الداخلية فى الطائفة اليهودية المستعدة لخوض الكفاح المشترك مع الشعوب العربية .

وهناك ، من بين الاتجاهات التى اعتقد انها لن تقودنا الا الى طريق مسدود والى منازعات جديدة ، اتجاه يجب ان نعترف بانه يحمل فى طياته خطرا شديدا ، واعنى بذلك فكرة ادماج بعض الاراضى الفلسطينية ، والحفاظ على دولة اسرائيل فى صورة تبدو جديدة ظاهريا ولكنها تحتفظ فى الواقع بنفس علاقاتها الاقتصادية والسياسية العالمية . فعدم التساوى فى علاقات القوى سيحول الكيان المندمج الى مستعمرة كبيرة تتكفل فيها الطائفة العربية بتقديم يد عاملة رخيصة لرؤوس الاموال الاسرائيلية والدولية .

ولذا يتعين علينا ان نوضح الفروق الجذرية بين دولة فلسطينية ديمقراطية شعبية ، وبين حلول زائفة لا تقدم سوى صيغ استعمارية جديدة تحت ستار « المعونات » . ان الشعب العربى والعناصر الواعية فى الطائفة اليهودية فى فلسطين ، تستطيع ان تحقق نموها بقواها الذاتية ، بمجرد ازالة الموانع الاقتصادية والسياسية المفروضة على هذا التطور ، وبمجرد انتقال كل موارد الشرق الاوسط الى ايدى سكان هذه المنطقة .

■■■

شرف الرجال له أحيانا الأولوية على الجوع

دنيز سيارا

ماهى الحقائق التى بقيت صامدة بعد الهدير القاتل للاسلحة ، وبعد الهدير الغادر للكلمات التى القت قناعا على المشاكل غداة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ؟

يجب علينا ، فى فرنسا ، ان نعمل من اجل انتزاع المفاهيم المشوهة من العقول والقلوب ، وان نعمل لكى يتكشف شيئا فشيئا وجه الحقيقة التى تحمل فى طياتها العدل .

على ان العدل ليس قاسما مشتركا ، ولا هو ميزان فى حالة توازن تام : انه طريق يتكشف لنا تدريجيا او يفرض نفسه علينا بالايقاع المحتوم لوعينا .

وكان لا بد لنا من التعبير عن تضامننا مع الذين يتعذبون ، متخطين بذلك الكلمات التى اسدلت قناعها على المشاكل ، لان حقوق الناس والقانون الدولى ، كانا قد امتهنا .

وهناك المساندة الاولية على شكل تنظيم المعونات المادية ، ولكن هناك شكل آخر من

المساندة لاغنى عنه وهو المساندة الفكرية .

فاعلان عدالة قضية معينة قد لا يقل اهمية عن تقديم الخبز . وشرف الناس له احيانا الاولوية على الجوع . وقد تكون الحاجة الى راية اكثر الحاحا من رشفة الماء .

ولكن ماهي المساندة الفكرية ؟ انها تعنى ان يكون الانسان واعيا بها .

المساندة تتطلب التفهم ، لان التفهم يعنى المشاركة الارادية مع وجهة نظر الاخرين .

وعندما يتكشف لوعينا وجهة نظر الاخرين الداخلة فى محور العدل ، فانه يسعى الى التحول الى موقف تضامن مع الذين شوهت الدعاية قضيتهم .

وكما كتب رينيه حبشى فى خطابه الموجه الى المثقفين الغربيين : « سيكون شرفا اليما للمبعدين من فلسطين ان يظلوا فى شقائهم كاشخاص مطرودين ، تأنيبا على الضعف امام التشويه القاسى والبطىء للحقيقة » . الا يدعونا ضميرنا الى اصلاح هذا التشويه للحقيقة ؟

وعندما وجهنا فى يوم ٨ يونيو الماضى نداء « من اجل حل جذرى للقضية الفلسطينية » فقد تكونت على اثر ذلك « جماعة البحث والعمل من اجل حل القضية الفلسطينية » من اجل اقرار العدل .

وانا اعرف ان البعض الاخر يتفهم دورنا بشكل مختلف . على انى اعتقد ان هذا هو هدفنا الاول ، وانه لا يزال كذلك .

هل من الممكن ان تبقى داخل « جماعة البحث والعمل من اجل حل قضية فلسطين » وجهات نظر متباينة فى اطار وحدة مثمرة بالرغم من ذلك ؟

ان لم يحدث هذا ، فاننى بالرغم من اشتراكى فى النداء منذ البداية ، ساستقيل من « الجماعة » .

فما جدوى تحولنا الى مركز لنشر كتابات ؟ الا توجد اجهزة اخرى اكثر منا اهلية واستعدادا للقيام بهذه المهمة ؟

اذا كان الامر يتعلق بالبحث عن حلول - او اقتراح حلول ، فما جدوى ذلك ؟

فهناك الامم المتحدة ووزراء الخارجية للبلاد المختلفة . ونستطيع ان نقدم افكارا جديدة ، ولكنها لا بد وان تمر بالذين يمتلكون زمام السلطة السياسية لكى تسلك طريقها .

علينا ان نبحث بلا كلل عن حلول بناءة لوضع لا حل له دون ان نتصور ان اقتراحاتنا ستتحقق ، وهل لا نكون مدعين اذا تصورنا اننا سنحل قضايا تعالجها الامم المتحدة منذ عشرين عاما بلا جدوى ؟

فلنكن واقعيين ، ولنتخل عن الاوهام حول مدى اعمالنا .

فسواء كنا اكفاء او غير اكفاء ، فلن نغير شيئا من مجرى التاريخ . ولكن العدل فى حاجة الى شهود ، الى شهود من الغرب ، لا يعنيهم الامر بشكل مباشر ، ولن يخسروا شيئا او يكسبوا شيئا ، بل مجرد شهود على التفهم الكامل لوجهات النظر العربية .

■ ■ ■

فلنكون جماعة متجردة تماما من أى رأى مسبق

فركور

لم افكر وليس فى نيتى ان استقيل من « جماعة البحث والعمل من اجل حل القضية الفلسطينية » . غير ان هناك سلسلة من الوقائع دعتنى ، ولا تزال تدعونى الى الاخذ ببعض الحذر .

لقد انضممت للجماعة منذ بداية العمليات العسكرية فى يونيو ، لانى كنت سعيدا بالالتقاء بجماعة رفضت الاستجابة للعواطف والتبسيطات ، واعلنت عزمها على دراسة القضية « بعمق » ولانى وجدت بين المنضمين اليها بعض الاسماء التى جعلتنى اثق فى الاهداف وفى حياد الابحاث .

وكنت لا اجهل ان المصاعب كبيرة . ولا شك ان الفرض الاستعمارى لدولة متطورة

تكنيكيا وسط مجتمع اقرب الى القرون الوسطى كان بلا جدال خطأ مأساويا . على ان العالم باسره ، بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى ، شارك فى هذا الخطأ ، فى موجة من عدم وضوح الرؤية (لم اسلم منها) سببتها اعمال الابادة فى معسكرات تربلينكا وتريزين واوسفيتش ، وواصلتها بشكل بشع طلقات النار فى بولندا ضد من بقوا على قيد الحياة ، واللافتات التى رأيتها فى باريس اشعرتنى بالخزى . من منا لم يؤيد فكرة ايجاد مأوى لهم ؟ لقد ايدت ذلك ، واعتقد ان الكثيرين فعلوا ذلك ايضا . وكان لا بد من قيام حرب فلسطين ، وطرد اعداد هائلة من العرب من اراضيهم ، وتحويل الباقين الى مواطنين من الدرجة الثانية ، كى يتضح لنا ان هذا العمل الكريم لم يكن مبررا ، وان العدالة لا يمكن ان تكون عدالة حقة ما دامت تولد الظلم .

على ان كل ذلك لا يحجب حقيقة اخرى وهى انه لا يمكننا ان نرفع الظلم بعد عشرين عاما على حساب اليهود الذين آمنوا بان العالم سيقف بجانبهم فى لجوئهم الى فلسطين . ولا يمكننا ان ننسى ايضا ان الحقد المقدس قد اعلن للاسف ، وان الدعوة الى الابادة ، حتى ولو كانت مجرد كلام دون ان تكون هناك نية لتنفيذها (كما اكدوا لنا ، ولكن بعد الهزيمة) كانت العملة المتداولة بين السكان العرب الملتهبة عواطفهم ، ولا ننسى ايضا ان هذا الحقد لا يزال متغلغلا ، وان التهديد ما زال مستمرا ، وان القيام بدراسة عادلة و « عميقة » للقضية دون ان يكون حجر الاساس فيها هو استحالة محو ظلم باقامة ظلم آخر ، سيكون امرا افظع على الارجح .

وقد كتبت جوهنسن هذه الافكار فى خطاب موجه الى قيادة « الجماعة » على اثر تصريح صديقنا رودنسون . كنت اشارك فى كل افكار هذا التصريح تقريبا ، وان كنت لا استطيع ان اوافق على الفكرة الاخيرة . فسواء كنا يهودا او لم نكن يهودا ، فاننا لا يمكن ان نظل لا مبالين ، اذا حدث تحول فى مجرى المعارك ، لاى انتقام شعبى او ابادة عمياء تعقب «صراعا بين دول ذات مؤسسات حكومية وعسكرية راسخة » ، خاصة وان احدى هذه الدول لا يزال بحكم حجمه الصغير وعدد سكانه القليل شديد القابلية للانكسار بالمقارنة الى تحالف الدول التى تحيط به ، وأيا كانت الاضرار التى سببها لهذه الدول .

ولعلى ما كنت أكتب هذا الخطاب او حتى افكر فى كتابته ، لو ان النصوص الاولى التى تم توزيعها (١) لم تثر قلقى ، لا بسبب روحها العدائية ، او بسبب حقدها الموجه ضد دولة اسرائيل (والتى شبهت احيانا بهتلر) ، ولكن لانى لم اجد تقريبا اى نص من وجهة النظر المقابلة لخلق نوع من التوازن . وهكذا بدأت اخشى الا تؤدى جهودنا الى دراسة القضية « بعمق » الا الى جذب الاعداء الالداء لدولة اسرائيل وعدد قليل من اصدقائها . واذا اعوزنا هذا التوازن ، فانه لن يؤدى الا الى الانحراف بعمل « الجماعة » ، والى حصره فى المدى الطويل فى اطار وجهات النظر العربية وحدها . وقد طالبت بتوزيع خطابى للفت النظر الى هذا الخطر . ولم يتم ذلك لا فى التوزيع التالى للنصوص ولا مع التوزيع الثالث .

بل فوجئت تماما بخطاب لعضو آخر (كانه وضع بدلا من خطابى) يكرر حجج «جرنجوار» و « انا فى كل مكان » ليدين سيطرة اليهود على العالم بصفة عامة وعلى فرنسا بصفة خاصة . وقيل لى ان خطابى قد احتجز (على عكس رغبتى المعلنة) ليعرض على مكسيم رودنسون بالذات ، وفات الوقت على نشرها ، دون ان تفوت الفرصة على آكل لحوم اليهود ، هذا الذى اشرت اليه !

كيف كان يمكننى الا استنتج من ذلك ان هناك على الاقل ميل نحو اتجاه على حساب الاتجاه الاخر ؟

واذا لم تكن قيادة حركة « البحث والعمل » وايضا عضويتها المنبثقة منها ، اذا لم تكن متجردة تماما من اى تفكير مسبق (موال للعرب او موال لاسرائيل) ، فان اعمالها ستنتهى حتما الى تكريسها للانتصار لفكرة عامة مسبقة . وهذا ما لا يتفق مع الاسباب التى دفعتنى الى الانضمام اليها . ولذا لا يسعنى الا ان انسحب . غير انى اود الا تكون مخاوفى قد تأكدت الا نتيجة لسوء تفاهم ، وان كانت اسبابها الاولى لا تزال قائمة (كما يتضح ذلك حتى الان من الخطابات التى تم توزيعها) . وانى لا اتمنى ذلك تماما . على انى أود ان تعتبرونى مراقبا لفترة من الزمن ، واقصد بالطبع مراقبا حسن النية .

---

(١) يشير صديقنا بشكل خاص الى خطاب وصلنا ، وقمنا بتوزيعه من باب الاعلام فقط ، على اعضاء « الجماعة » ، دون ان نؤيده لانه يعكس افكارا لا توافق عليها قيادة « الجماعة » .

وانا لا اثق بالطبع ان البحث عن حل لا يضر مصالح احد الطرفين لامر مستحيل مثل تربيع الدائرة ، واني لواثق ان تحفظاتي الاخيرة ستصبح غير ذات موضوع . وعندئذ لن يحول اي شيء دون مشاركتي في اعمال مكرسة تماما لقضية السلم والعدل .

■■■

لايمكن أن أظل يهوديا فى جوهرى مالم أقف بجانب أبأس الناس . وأكثرهم تعرضا للأذلال والمهانة.

ا. ليفين "ايسى لى مولينو"

لا يمكن ان اظل في الجوهر يهوديا حقا ما لم اقف بجانب أبأس الناس واكثرهم تعرضا للاذلال والمهانة ، وما لم اجسد كل شدائد الانسانية او اشارك فيها واحسها . لقد كان اندريه فيليب محقا عندما كتب يقول : « كان هذا وضع الشعب اليهودي ، وهو الان وضع الشعب الفيتنامي» وانا اضيف « وهو بالاخص وضع شعب فلسطين » . وهكذا يتأكد ويتكامل كياني اليهودي ،بشكل يبدو مناقضا للظاهر ، بل ان كياني يزدهر ويتضح بتعاطفي وتضامني مع عرب فلسطين ، وبمعارضتي الكاملة والمطلقة لدولة اسرائيل والصهيونيةالتي تحمل فيمبادئها المظالم والجرائم التي نعيشها كشهود عاجزين .

وما كانت دولةاسرائيل تستطيع ان تقوم دون ارتكاب هذه الجرائم . وكان الاعتراف بحقها فيالوجود بمثابة منحها حق اقتراف الجرائم ، والامعان والتمادي في ارتكابها . ولا تستطيع دولة اسرائيل ان تحافظ علىوجودها الابسياسة حكامها الحاليين ، وبالاخص موشي ديان ومناحم بيجين . ولو كانت اسرائيل دولة شرعية في نظري لوافقت تماما ، كما توافق اغلبية اليهود بل شبه اجماعهم ، على ضم القدس والضفة الغربية وغيرهما من المناطق المحتلة، لان تبرير وجود اسرائيل في حيفا والناصرية ويافا وبير شيفا.الخ يستدعي بالمنطق تبرير وجودها فيالقدس وحبرون وبيت لحم وغزة . . الخ . فاسرائيل اليهود والتوراة تمتد على كل اراضي فلسطين التي يسكنها العرب ، وكان لا بد من احتلال الصهيونيين لجزء من الاراضي العربية لتأسيس دولتهم . ولا ادري لماذا يكون احتلالالناصرية اكثر شرعية من احتلال الحبرون . ومن الواضح تماما ان عذابات وآلام البشرية جاءت على ايدي التطرفالقومي والدولالمتسيدة التي تسحق الرجال والشعوب الفقيرة . وسلام العالم لن يتحقق الا بالغاء هذه الدول . ولذا فان انشاء دولة جديدة ذات سيادة ليس سوى جريمة ضد الله وضد الانسان . وانا اعادي الصهيونية لاني لا اريد ان اكون شريكا في هذهالجريمة. فليكف اذن هذا النفاق الصارخ الذي لم يعد محتملا من جانب انصار الصهيونية الذين تظاهروا متضامنين مع اعداء السامية المعرفينامثال كزافييه فالا ، اولئك الذين سلموا اليهود الفرنسيين ، ومن بينهم ابي ، للنازيين . انهم يعترفون بحق دولة اسرائيل في الوجود، ويتباكون في نفس الوقت على بؤس وآلام اللاجئين الفلسطينيين . وما كان من الممكن ان تقوم دولة اسرائيل دون أن تتسبب في شقاء وبؤس العرب ، ودون ان تطرد الفلسطينيين من ديارهم واراضيهم لتتملكها ، ودون ان تبيدهم في حالة المقاومة او الرفض . وما كانت تستطيع دولة اسرائيل ان تقترف هذه الجرائم الضرورية لقيامها وتثبيتها دون ان يقابلها رد فعل عنيف من جانب ضحاياها ، اي دون اراقة دماء يهوديةفيالارض المقدسة .

... وتخفيف البرنامج الصهيوني وتعديله لن يقلل من خطورته ، ولن يكف عن عرقلة التطور الوطني لشعب باسره .

وراحة العالم تتطلب الا نثير في قلب القرن العشرين مسألة من هذا النوعلاننا لن نجد حلا لها ؛ من المهم الا نثير قضية ستكون

نقطة انطلاق لخلافات جديدة وعداوات دينية مرة . ولايجوز ان نرتكب ظلما افدح بدعوى تصحيح ظلم قائم .

وهناك الى جانب فريق الصهيونيين المحليين الذين لا يريدون باى ثمن ان تكون فلسطين وطنا لهم ، عدد كبير للغاية من الاسرائيليين الذين يستهجنون تماما فكرة انشاء وطن قومي لليهود ، لانه لم تعد هناك من الناحية السياسية اى وجود لقومية يهودية ، وانها ذابت فى الشعوب الاخرى .

ويرى هؤلاء عن حق ان الصهيونية تفتح الطريق الى معاداة السامية ، وتضعف من مركز اليهود فى مختلف الدول. وهم يرون ايضا ان اخوتهم فى الدين الذين حصلوا فى كل مكان على حق المعاملة بالمثل لم تعد لهم اى مصلحة ، بل لم يعد لهم اى حق فى اثارة قضية من هذا النوع ، ومن باب اولى لم يعد من حقهم المطالبة بارض يحجون اليها ، او يتعبدون فيها ، لانها من حق العالم كله .

ولن يؤدى هذا المطلب فى رايهم الا الى اثارة احتكاكات دينية مؤسفة ، والى تنفير المسلمين والمسيحيين منهم ، والى الاضرار باليهود انفسهم . وبدلا من اتمام عملية اندماج اليهود مع الاجناس الاخرى فان الصهيونيين يشجعون فى مواجهة معارضيهم، على قيام انقسام مؤسف ، وينثرون تحت اقدام اخوتهم فى الجنس بذور عداوات وخلافات لن تكف عن التفاقم .

نواصل نشر دراسة جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم


سياستنا .. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا .. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

١٠

أكتوبر ١٩٦٨
السنة الرابعة

التعليم .. والثورة

"دراسة ومناقشات"

- حوار حول شباب ١٩٦٨
- وثائق : حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية
- الفكر الاشتراكى المصرى فى مطلع القرن العشرين
- تحالف العمال والفلاحين ضرورة وطنية اشتراكية

تشيكوسلوفاكيا .. والعالم الثالث

الفهـــرس

العدد العاشر ــ السنة الرابعة ــ اكتوبر ١٩٦٨



طـريق المناضـلين الى الفـكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير

لطفي الخولي

مستشارو التحرير

د . ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسـف
د. اسماعيل صبري عبدالله
د . جمـــال العطيفي
د . رشــدي ســعيد
د . عبـد الرازق حسن
د . لطيفـــة الزيــات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير

ميشيل كامل

سكرتارية التحرير

عبد المنعم القصاص
ســعد زهران

عنوان المراسلات

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات

لسنة بالبريد العادي ، ج.ع.م ودول اتحـاد البريد العـربي ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادى ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



تشيكوسلوفاكيا .. والعالم الثالث

لا نملك

نحن شعوب العالم الثالث عامة ، والشعوب العربية خاصة ، ان نهرب من مواجهة سؤال : **ما هو الموقف من احداث تشيكوسلوفاكيا، ودخول قوات حلف وارسو الى اراضيها فى ٢١ اغسطس الماضى ؟**

وتشيكوسلوفاكيا ، دولة صديقة ومساندة لحركات التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى والاقتصادى . وهى بالذات شريكة مصر عام ١٩٥٥ فى صفقة الاسلحة الشهيرة ، التى كانت اول معول تاريخى فى تحطيم الاحتكار العالمى للسلاح . وهو الاحتكار الذى ظل فى قبضة الدول الاستعمارية تستخدمه لتقييد حركة شعوبنا فى مواجهة العدوان والدفاع عن استقلالها حتى كانت صفقة الاسلحة التشيكية المصرية .

وكانت تشيكوسلوفاكيا ايضا ، من بين الدول الاشتراكية التى بادرت جميعا خلال حرب يونيو — فيما عدا رومانيا — الى الوقوف بجانبنا ضد العدوان الامبريالى الصهيونى ، وقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

ودول حلف وارسو ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، دول صديقة ومساندة لنا ، الى اقصى الحدود ، سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وهى تنطلق فى ذلك من مبادئها ومواقفها المعادية للامبريالية والاستعمار القديم والجديد . وتكون بذلك — فى علاقات القوى الدولية المعاصرة — السند المادى والمعنوى لحركات التحرر والتقدم ، والمواجهة اليومية المباشرة للعدوان والحصار الاقتصادى والتخريب المتعدد الاشكال .

وتشيكوسلوفاكيا ، عضو فى الاسرة الاشتراكية وحلف وارسو . وهى مع المانيا الديمقراطية (الشرقية) تمثلان — بحكم موقعهما الجغرافى بوسط اوربا — خط

المواجهة المباشرة بين قوى الاشتراكية وبين قوى الامبريالية وقواعدهما العسكرية فى المانيا الغربية بالذات وغيرها من دول اوربا الغربية ، المرتبطة من خلال حلف الاطلنطى بالولايات المتحدة الامريكية وجهازها العسكرى .

وفى تشيكوسلوفاكيا ـ اساسا ـ تتمركز حلقة رئيسية من حلقات الدفاع عن العالم الاشتراكى بأكمله ، سواء من ناحية محطات الرادار او محطات الصواريخ .

ومن هنا فتشيكوسلوفاكيا ـ وهذه نقطة هامة للغاية تساعد على وضوح الرؤية ـ تشكل مع المانيا الديمقراطية مركز الترصد اليقظ ، ونقطة الصدام المباشر بين كل من حلف وارسو وحلف الاطلنطى . حيث يركز هذا الحلف الاخير « رأس رمحه » فى المانيا الغربية ذات النزعات العسكرية النازية المتزايدة .

ومعنى هذا ان كلا من المانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا ذات وضع حساس واستثنائى بالنسبة لامن العالم الاشتراكى كله . وبالتالى فأن العالم الاشتراكى ـ والاتحاد السوفيتى يتحمل خلاله بحكم وزنه وقوته، المسئولية الاكبر فى الدفاع عن أمنه ـ لايستطيع أن يقف مكتوف الايدى امام ظهور اى بادرة خطر تهدد وضع تشيكوسلوفاكيا أو المانيا الديمقراطية ، وتتيح للقوى الامبريالية ـ مباشرة او بطريق غير مباشر ـ النفاذ اليهما واضعاف او خلخلة حلقة الدفاع الجوهرية .

وفى ضوء هذه الاعتبارات تتوفر النظرة الموضوعية لاحداث تشيكوسلوفاكيا وحركة دول حلف وارسو . ولا تتورط فى التجريد الذى يبسط الامور الى درجة مضللة ، ويجمدها عند الاشكال الخارجية دون ما اعتبار الى المضمون . فترى مثلا حركة حلف وارسو ، مادامت حركة عسكرية تدخل بقوات عسكرية لمجموعة من الدول الى ارض دولة اخرى ، عدوانا واحتلالا مماثلا لعدوان واحتلال القوات الامريكية والحليفة لها لفيتنام .

ان مثل هذه الرؤية تتغافل عن عمد طبيعة الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو ، وهى مناقضة تماما لطبيعة الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها . وهى تتجاهل ايضا اهداف حركة حلف وارسو المغايرة على طول الخط لاهداف حركة الولايات المتحدة فى فيتنام .

فحركة حلف وارسو مثلا لم تستهدف التدخل فى شئون تشيكوسلوفاكيا الداخلية وحقها ـ حزبا وشعبا ودولة ـ فى احداث التغييرات السياسية والاقتصادية التى وقعت منذ يناير ١٩٦٨ ، وحريتها فى انتهاج الطريق الخاص بها نحو بناء الاشتراكية وتدعيمها فى مجتمعها . كذلك لم تفرض حركة حلف وارسو حكومة او قيادة للحزب غير حكومة وقيادة الحزب الشرعيتين . وانما كل ما استهدفته حركة وارسو هو حماية تشيكوسلوفاكيا من الاخطار التى تراكمت من حولها وتسربت الى داخلها ـ مستغلة ظروف التغيير المعقدة ـ بهدف سلخها عن الاشتراكية ، والارتداد بحركة التاريخ الى الوراء .

فى حين ان حركة الولايات المتحدة وحلفائها فى فيتنام تستهدف التدخل المباشر فى شئونها الداخلية ، وقمع حركة شعبها التحريرية ، وفرض حكومة زائفة معادية لارادة الشعب وحقه فى تغيير الاوضاع بما يتفق مع مصالحه وامانيه .

فشكل الاجراء المجرد اذن، ليس صالحا لان يكون معيارا للحكم والتقييم . وانما المعيار الصحيح هو المضمون والاهداف .

والوقوع فى أسر النظرة الشكلية يؤدى بنا الى نتائج شاذة . وبمفهوم هذه النظرة الشكلية المجردة يصبح التدخل العسكرى المصرى فى اليمن عام ١٩٦٢ بناء على طلب الثورة ــ ولم تكن حكومتها قد غدت شرعية بمقاييس العرف الدولى بعد ــ عدوانا واحتلالا وليس نجدة ثورية وواجبا قوميا عربيا . ويصبح السكر كالملح تماما لان لون كل منهما ابيض ، والجنرال « جياب » قائد جيش دفاع فيتنام الديمقراطية كالجنرال « دايان » قائد الجيش الاسرائيلى العنصرى العدوانى لمجرد ان كلا منهما رجل عسكرى .

ما اريد ان اخلص اليه هنا ، هو ان حركة حلف وارسو بأهدافها ومضمونها كانت دفاعا عن الاشتراكية وأمن القوى الاشتراكية المساندة تاريخيا لحركة التحرر الوطنى ضد الاستعمار العالمى . ولم تكن تدخلا فى شئون تشيكوسلوفاكيا الداخلية وحريتها فى انتهاج الطريق الاشتراكى المتفق مع ظروفها واوضاعها . والحق انه لو كانت حركة حلف وارسو قد تخطت حدود الدفاع عن الاشتراكية والامن الاشتراكى الى الشئون الداخلية لتشيكوسلوفاكيا وفرض قيادة جديدة للحزب او للحكومة وتغيير للخط السياسى والاقتصادى الذى قرره الحزب فى برنامجى يناير وابريل ١٩٦٨ ، لكان من حقنا وواجبنا ــ عندئذ ــ ان ندين حركة حلف وارسو بقوة وحسم .

واذن فالصورة الواقعية والحقيقية لحركة حلف وارسو انها **مواجهة عسكرية حاسمة وشجاعة للقوى الامبريالية ، تقع ــ بحكم الظروف ونتيجة اختيار الاستعمار والقوى المعادية الاشتراكية لنقطة المواجهة ــ على ارض تشيكوسلوفاكيا . فتشيكوسلوفاكيا هنا ليست الا مسرحا جغرافيا للمواجهة العسكرية .**

وهذه المواجهة لم تأت ، الا بعد استنفاد دول حلف وارسو لمجموعة من الاجراءات السياسية ، لم تصل الى نتيجة .

واذا تتبعنا الاحداث ــ بموضوعية متطهرة من التلوين الغربى لها ــ وذلك منذ بروز ما عرف باسم « **ازمة تشيكوسلوفاكيا** » الى سطح المجتمع الدولى ، نراها تفضى الى الوقائع الاتية :

● قيام الاتحاد السوفيتى وبقية دول حلف وارسو ، من خلال الاتصالات الثنائية والجماعية مع القيادة الجديدة للحزب والدولة فى تشيكوسلوفاكيا بزعامة « دوبشك » ، « وسفوبودا » ، بالتنبيه المستمر الى الاخطار التى راحت تتجمع وتهدد وضع تشيكوسلوفاكيا الاشتراكى ومسئولياتها الاستثنائية عن أمن العالم الاشتراكى . وذلك نتيجة لاعمال التخريب المادى (تهريب السلاح من المانيا الغربية) والمعنوى (الحركات والافكار المعادية للاشتراكية) التى يمارسها الامبرياليون عن طريق قوى الثورة المضادة المحلية ، مستغلة ظروف التغيير الداخلى .

● تدرجت دول حلف وارسو فى تنبيهاتها من « **مذكرة جماعية** » عرفت باسم « **مذكرة الخمسة** » فى ١٥ يوليو ١٩٦٨ ، الى **اجتماع ثنائى** بين القيادة السوفيتية والقيادة التشيكوسلوفاكية فى « **سيرنا** » ، الى **اجتماع قمة** شمل دول حلف وارسو كلها ــ فيما عدا البانيا ــ عقد « **ببراتيسلافا** » فى ٣ اغسطس ١٩٦٨ .

● اسفر اجتماع « براتيسلافا » عن « اتفاق جماعى » يتضمن الخطط العملية

لمواجهة الاخطار التى تهدد تشيكوسلوفاكيا . ورغم موافقة القيادة التشيكية على هذا الاتفاق ، فقد كان من الملاحظ انها لم تستطع ان تحميه وتضعه موضع التنفيذ بسرعة وحسم . وذلك نتيجة لما اصاب الحزب والدولة من تفكك تنظيمى من ناحية ، وازدياد نشاط القوى المعادية للثورة من ناحية اخرى . . حتى انها جاهرت بنقد الاتفاق والدعوة الى عدم تنفيذه والمطالبة « بتحييد » تشيكوسلوفاكيا ، مستخدمة فى ذلك صحف الحزب والاذاعة وتليفزيون الدولة نفسها . ولم تتمكن جهود القيادة التشيكية الجديدة — رغم محاولاتها الصادقة — من حصر وعزل النشاط المعادى الذى اخذ يجتذب الى داخل البلاد — فى هيئة سياح — العديد من المخربين المدربين التابعين للمخابرات الامريكية والالمانية الغربية والاسرائيلية .

واصبح واضحا ان هناك ((**خطة انقلابية جديدة**)) من جانب الغرب الاستعمارى بالتعاون مع العناصر المحلية المعادية للاشتراكية ومن بينها القوى الصهيونية ، ((**لصيد تشيكوسلوفاكيا سلميا**)) . وليس بطريق العنف الدموى الذى فشل من قبل فى محاولة صيد المجر عام ١٩٥٦ . حيث قامت القوى المعادية هناك — بامدادات امبريالية — باشعال فتنة مسلحة ذبح خلالها الالاف من اعضاء الحزب الشيوعى وكوادره . وكان من الممكن بالفعل — وقتذاك — ان تسقط راية الاشتراكية فى المجر ، لولا مسارعة الاتحاد السوفيتى بالتدخل العسكرى والاسهام مع قوى الثورة المجرية فى سحق الثورة المضادة .

ويبدو ان « الخطة الانقلابية الجديدة » فى تشيكوسلوفاكيا ، كانت تريد ان تتجنب العنف . على الاقل فى البداية ، اعتقادا منها انها بذلك لا تقدم للاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو « مبررا ساخنا » للتدخل .

ونلاحظ ان حملة اعلامية غربية واسعة النطاق ، قد شنت بذكاء ، منذ اوائل عام ١٩٦٨ تتهم الاتحاد السوفيتى بالذات باعداد العدة للتدخل العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا بدعوى « عدم رضائه عن تغيير القيادة ورغبته فى اعادة فرض قيادة نوفتنى من جديد » . وكان القصد من هذه الحملة تحقيق امرين رئيسيين :

اولهما : زيادة التشقق داخل تشيكوسلوفاكيا بما يهىء فرصا ارحب لتحرك القوى المعادية ، وتعميق التوتر بين تشيكوسلوفاكيا وبين الاتحاد السوفيتى ، واطلاق العنان لموجات التعصب القومى المدمرة للعلاقات بين البلدان الاشتراكية .

وثانيهما : تعمية الراى العام العالمى عن حركة التسرب الاستعمارية الى تشيكوسلوفاكيا . ووضع الاتحاد السوفيتى فى موضع الدفاع امام هياج عالمى مفتعل ، وذلك بأمل تقييد حركته ، وافتقاده القدرة على المبادرة عند اللزوم .

ولكن ما هو جوهر هذه ((الخطة الانقلابية الجديدة)) ؟

الواقع ان مصممى هذه الخطة انطلقوا من نقطة هامة . وهى انه اذا كان ممكنا اليوم — فى ظروف معينة — تحول مجتمع رأسمالى الى مجتمع اشتراكى بطريق سلمى ، فان العكس ايضا ممكن . بمعنى انه بتوفير ظروف خاصة ، فى بلد له تراث ديمقراطى ويمر بمرحلة تغيير صعبة ضد اخطاء متراكمة ، فانه من الممكن تحول مجتمع اشتراكى — سلميا — الى مجتمع رأسمالى .

والظروف الخاصة المطلوب توافرها للتحول السلمى من الاشتراكية الى الراسمالية — فى تقدير الخطة الانقلابية — يمكن ان نجملها فى العوامل الثلاثة التالية:

● احداث تشقق وانقسام فى المعسكر الاشتراكى ، عن طريق اثارة نعرات التعصب القومى اساسا ، الامر الذى يبذر بذور عدم الثقة بين دوله من ناحية ، ، ويضعف وزنه ككل ووحدته فى العمل ، وقدرته على الحركة الجماعية السريعة عند الخطر من ناحية اخرى .

● انتهاز فرصة توسيع العلاقات بين الدول الاشتراكية والدول الراسمالية ، وسيادة جو التعايش السلمى ، للتسرب داخل المجتمعات الاشتراكية ، فكريا وماديا وتكوين قواعد وعلاقات معينة ، يتاح من خلالها الحركة المضادة على مختلف المستويات وبأشكال متنوعة .

● التركيز على بلد اشتراكى ، له حدود مشتركة مع الغرب ، يمر بظروف صعبة وتتوالد فيه صراعات بسبب اصلاح اخطاء او تطوير جديد للنظم الخ .. الامر الذى ينتج عنه بالضرورة انفتاح ثغرات فى اجهزة الحزب والدولة ، يمكن للقوى المضادة ان تنفذ منها وتعشش فيها رافعة علم الاشتراكية وملتحفة برداء الثورية . ومن خلال تحصنها بعضوية الحزب وما تملكه من امكانيات مادية «مستوردة» — كمحطات الاذاعة والمطابع السرية والاسلحة — تعمد الى تجسيم وتجسيد الاخطاء السابقة وردها جميعا الى الاشتراكية ((**القديمة**)) التى كانت قائمة . وتنادى — بحجة المعالجة — باشتراكية ((**جديدة**)) أو « ليبرالية » او انسانية . وذلك كبديل لما تسميه بالاشتراكية «الجامدة» او «القديمة» أو «الدكتاتورية» . ولكنها فى الحقيقة تستهدف فى الاساس قتل « الاشتراكية » وتصفية حزبها وكوادرها ومفاهيمها وعلاقاتها .

واذا كانت **الخطوة الاولى** للخطة ، هى تسرب القوى المعادية الى الحزب والدولة ، بعد تغيير جلودها ، فان **الخطوة الثانية** هى استخدام شعار « الحرية والديمقراطية » الذى يضىء قلوب الناس ويجمعها ، لهدم الحزب تدريجيا ، وتحويله من « قوة سياسية قيادية » موحدة الفكر والعمل الى مجرد « نادى » فاقد القوة والفاعلية تمزقه الصراعات الداخلية . وفى نفس الوقت تعمل على تكوين « بؤرات » تنظيمية خارج الحزب من القوى المعادية ، تتشكل بالتدريج فى صورة احزاب جديدة ، براقة المظهر تمتص مشاعر الجماهير — التى تكون قد ضاقت بالاخطاء من ناحية ، وعجز الحزب الاصيل وحالة الفوضى والبلبلة من ناحية اخرى .

ثم تأتى **الخطوة الثالثة والاخيرة** فى الخطة ، بالدعوة الى انتخابات برلمانية عامة ، عندما يكون الحزب الشيوعى قد اصبح غير ذى وزن بالقياس الى الاحزاب الجديدة ، فتكسب هذه الاخيرة الانتخابات وتحوز على الاغلبية وتستولى على السلطة . وعندئذ تكشف عن وجهها الحقيقى المعادى للاشتراكية ، فتفصل البلاد عن الاسرة الاشتراكية وترتبط فى تحالف مع الامبريالية . وتنتهى بتحويل المجتمع الاشتراكى سلميا الى الرأسمالية بالطريق الدستورى !

وهذه « الخطة الانقلابية الجديدة » ليست مجرد تخمينات او استنتاجات ، وانما هى « استراتيجية محددة تتفق وظروف التعايش السلمى » اصبح لها منظرين وباحثين . ويأتى كل من ((**زفيجنيف بجزنفسكى**)) استاذ قسم الشئون الشيوعية فى جامعة كولومبيا

بالولايات المتحدة الامريكية ، ((وجوزيف شتراوس)) وزير الحربية السابق فى المانيـــا الغربية ، فى مقدمة المنظرين لهذه الخطة .

يقول الاول ـــ بجزنسكى ـــ فى كتابه ((بديل الانقسام)) : ((يبدأ الوضـــع المطلوب استغلاله من خلال تغييرات داخلية تؤدى الى حالة من التفكك والليبرالية . وهذا ينطبق على تشيكوسلوفاكيا فى الدرجة الاولى وعلى المجر وبولندا بدرجة أقل . ومنذ البـــداية يجب ان نعمل على قيام علاقات اقتصادية وثقافية بين هذه الدول وبين الغرب ثم تأتى فى النهاية العلاقات السياسية)) .

ويقول الثانى ـــ شتراوس ـــ فى كتابه ((مشروع لاوربا)) : ((علينـــا ان نعرف ان تشيكوسلوفاكيا وبولندا والمجر وغيرها تنتسب الى اوربا، بقدر ما تنتسب اليها سويسرا وهولندا وبلجيكا . والواجب اذن عن طـــريق التأثير على هذه البـــلاد ، وعن طريق المفاوضات ـــ حتى مع موسكو ـــ ان نعمل حتى تعود هذه البلاد فى المدى البعيـــد الى اوربا)) .

كلام محدد وصريح . وواضح انه يرشح باستمرار ثلاث بلاد اشـــتراكية بالـــذات لتنفذ الخطة عليها ، وهى تشيكوســـلوفاكيا وبولندا والمجر . وذلك مـــع التركيز على تشيكوسلوفاكيا كخطوة اولى .

لماذا ؟

اولا : لحدودها المشتركة مع المانيا الغربية ، رأس الـرمح فى حلف الاطلنطى ، مما يسهل عمليات الامدادات والتسرب .

ثانيا : لوجود رواسب ذات قوة نسبية من الطبقة الراسمالية المخلوعة داخل المجتمع التشيكوسلوفاكى . وذلك نتيجة ان معظم افراد هذه الطبقة لم يهاجروا الى الخـــارج بعد التحول الى الاشتراكية منذ عشرين عاما وانما آثروا البقاء داخل البلاد . وهى قوى خبيرة وواعية نتيجة انتمائها الى مجتمع صناعى متقدم قبل الثورة الاشتراكية .

ثالثا : للنشاط الصهيونى القوى والمؤثر بالذات فى اوساط المثقفين من خـــلال نفاذه الى الجامعات ودور النشر والصحافة والاذاعة والتليفزيون والســـينما . وهو نشاط مرتبط بالأمبريالية العالمية فى عدائه للاشتراكية .

ومن هنا لا يلتبس من قبيل الصدف العمياء ، ان تنفجر فى مرحلة زمنية معينة ابتـــداء من اواخر عام ١٩٦٧ حركة التخريب الصهيونى فى طليعة القوى المعادية للاشـــتراكية فى كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا على السواء . ويمكن القول ان الحركة الصـــهيونية فى هذين البلدين قصد بها احداث الشرارة الاولى للعملية . ولما فشلت الحركة فى بولندا امام يقظة الحزب وقوته حيث واجهها بحسم ((كطابـــور خامس)) ـــ على حد تعبيـــر ((جومولكا)) الزعيم البولندى ـــ ركزت قواها على تشيكوسلوفاكيـــا مستغلة أوضاعها القلقة بعد التغيير .

والسؤال الذى يبرز امامنا بعد ذلك هو : ماذا كان يحدث لو لم تتحرك قوات حلف وارسو فى ٢١ اغسطس ؟

هناك احتمالان :

الاحتمال الاول : هو نجاح الخطة الانقلابية الجديدة . بمعنى فصل تشيكوسلوفاكيا عن المعسكر الاشتراكى وربطها بالتحالف الغربى الرأسمالى. وعندئذ لا يكون هناك مفر امام الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو من سلوك **احد طريقين :** اما تبول الامر الواقع . وهذا يعنى اخلال خطير بميزان القوى الدولية لصالح الامبريالية يتيح لها مزيد من العربدة العدوانية على نطاق العالم كله ، فضلا عن فتح ثغرة خطيرة فى جدار حلف وارسو تهدد أمن وحياة المعسكر الاشتراكى ككل .

وبالطبع لا يتصور ان الاتحاد السوفيتى وحلفاءه كانوا يقبلون السير فى هذا الطريق. وانما كانوا سيمضون حتما الى الطريق الثانى وهو التدخل العسكرى القتالى بعد ان تكون تشيكوسلوفاكيا قد وضعت تحت حماية الغرب . ومعنى هذا تصادم مروع بين حلف وارسو وحلف الاطلنطى .. اى الحرب العالمية الثالثة ودمار العالم .

اما الاحتمال الثانى : فهو ان تتمزق تشيكوسلوفاكيا بفعل القوى المضادة وحلفائها من الامبرياليين وتنشب حالة من الحرب الاهلية التى يغذيها حلف الاطلنطى بالوقود. ويأتى تدخل الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو فى هذا الوضع منهكا لقواها ومبتزا لطاقاتها وشاغلا لها عن منطقتى الصراع الساخنتين فى العالم اليوم ، وهما فيتنام والشرق الاوسط — حيث يتاح للقوى العدوانية الامبريالية الانفراد بالحركة فيهما .

وعلى هذا الاساس تكون حركة حلف وارسو فى ٢١ اغسطس قد وفقت فى التوقيت . فهى قد حالت من ناحية دون وقوع حرب عالمية ثالثة . ومن ناحية اخرى حكمت بالفشل على خطة الامبرياليين فى الانفراد العدوانى بفيتنام والشرق الاوسط . فضلا عن انقاذ تشيكوسلوفاكيا من مؤامرة التحول السلمى نحو الرأسمالية ، وتدعيم قوة المعسكر الاشتراكى فى ميزان القوى العالمى .

ثم جاء « **اتفاق موسكو** » فى ٢٦ اغسطس بين كل من القيادتين السوفيتية والتشيكوسلوفاكية ، سدا عاليا ضد خطط الامبريالية الجديدة ، ومحاولاتها اليائسة للصيد فى الماء العكر .

والحق ان حركة حلف وارسو لاتقف عند حدود كشف وضرب خطة جزئية او وقتية للامبريالية . وانما هى الخطوة الاولى فى سياسة اشتراكية دولية جديدة ، تستهدف تصحيح خط التعايش السلمى الذى اخلت به الامبريالية اخلالا خطيرا منذ شرعت تطلق موجاتها العدوانية فى الستينيات ضد فيتنام والكونجو وكوبا والدومينكان واندونيسيا واليونان ، وبلغت ذروتها فى العدوان الامبريالى الصهيونى على البلاد العربية فى ٥يونيو ١٩٦٧ ، مستخدمة اشكال واساليب متنوعة من العدوان المباشر وغير المباشر : ابتداء من الحروب المحدودة والحروب الخاصة الى التخريب الداخلى وتفجير الانقلابات العسكرية الى شن الحرب بالامدادات والخبرة التكنولوجية تحت علم دولة عميلة مثلما حدث مع اسرائيل .

وجاءت المؤامرة على تشيكوسلوفاكيا لتكون — بالنسبة للاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية — الحد الفاصل بين صبر ثورى يعبىء الرأى العام الدولى ضد الامبريالية مصحوبا بمعونات مادية وسياسية للمعتدى عليهم ، وبين مواجهة مباشرة بالقوة وتحرك سريع وفعال بالاسلحة التقليدية خلال عمليات محدودة ومركزة . وذلك فى اطار استمرار تقوية الرادع النووى العام .

وهذه الاستراتيجية الاشتراكية الجديدة ، في استخدام حركة القوات ذات الاسلحة التقليدية، تنبىء عنها زيادة ميزانية الدفاع السوفيتي باكثر من ٨٠٠ مليون جنيه عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، وتطوير وتدعيم صناعة الاسلحة التقليدية ، وزيادة حجم الاسطول السوفيتي العامل في البحر الابيض المتوسط الى اكثر من خمسة اضعاف ما كان عليه قبل عام ١٩٦٧ ، وبناء حاملات ضخمة للطائرات ، واخيرا الحركة العسكرية الحاسمة لقوات حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا ، التي وصفها المراقبون العسكريون الغربيون « بانها ضربة معلم ناجحة لا يقدر عليها حلف الاطلنطي » .

والآن ..

اذا كانت حركة حلف وارسو ، هي مواجهة مباشرة بالقوة المسلحة، لقوى الامبريالية العدوانية ، تقع على ارض تشيكوسلوفاكيا دون تدخل في شئونها وفي التغييرات والاصلاحات التي قررها حزبها في يناير وابريل ١٩٦٨ ، وهي اصلاحات ينفذها الاتحاد السوفيتي نفسه وعدد من الدول الاشتراكية بالفعل قبل ذلك بسنوات ..

واذا كانت الحركة قد حالت دون انفجار حرب عالمية ثالثة او على الاقل سدت الطريق امام قوى العدوان الامبريالية للانفراد الوحشي بفيتنام والشرق الاوسط ..

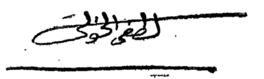
واذا كانت القوى الصهيونية قد ضربت — كحركة معادية للاشتراكية — في معقل من معاقلها التقليدية باوربا الشرقية .

واذا كان ميزان القوى العالمية قد سجل بحركة حلف وارسو تطورا لصالح قوى الاشتراكية والتقدم ضد الامبريالية . وتحطمت خطة التحول السلمي من الاشتراكية الى الرأسمالية في اول تجربة عملية لها ..

واذا كانت الاستراتيجية الامبريالية القائمة على الحروب المحدودة بالاسلحة التقليدية قد اصبحت تواجه باستراتيجية اشتراكية مضادة حاسمة ، وبالاسلحة التقليدية ..

واذا كان خط التعايش السلمي قد بدىء في تصحيحه بحيث يحول دون استمرار استغلال الامبريالية له في عمليات عدوانية جزئية ومتتابعة ...

اقول .. اذا كان هذا كله يقدمه لنا الواقع الراهن موضوعيا . فلا شك ان حركة حلف وارسو في ٢١ اغسطس ، هي بالنسبة لنا — نحن ابناء العالم الثالث والعالم العربي — ضرورية وايجابية ، رغم كل شيء .





التعليم العام فى كل مجتمع ، هو فى مقدمة قضاياه الجوهرية. وتترتب على ماهيته وأسلوبه ومضمونه وأهدافه أعمق الآثار فى تركيب المجتمع وتطويره ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وهذا يفسر الاهتمام الواسع النطاق الذى تلقاه قضية التعليم باستمرار فى بلادنا .

ونقد آن الأوان ، بعد المراحل المتعددة من التجريب، أن نستقر من خلال ربط التعليم بالثورة، على خط استراتيجى واضح ، يضع التعليم فى خدمة قضية بناء المجتمع اشتراكيا وبالاسلوب العلمى.

ومن هنا يأتى اهتمام الطليعة بقضية التعليم. وكان قد سبق أن تعرضت لهـا بالبحث أكثر من مرة . وفى هذا العدد تواصل الطليعة اهتمامها على ضوء الظروف الجديدة. وذلك بنشر دراسة أعدتها مجموعة من المشتغلين بالتعليم ، المهتمين بمشكلات تطويره عن « قضية التعليم والثورة » وقدموها الى «المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية» بمؤسسة الأهرام . ولم يكن موضوع التعليم فى الاصل فى خطة الدراسات التى أقرها مجلس البحوث بالمركز لهذا العام . ولكن الدراسة المقدمة له تميزت بصدورها عن عدد من العاملين بحقل التعليم ، الذين يتميزون بانفتاح على قضايا المجتمع ، كما أن الجهد المبذول فيها قد جعل منها عملا جادا مخلصا يستحق التنويه. وهذا ماحمله على تبنيها والعمل على تعميقها واستكمالها .

وقد كانت هذه الدراسة محل مناقشة ضافية فى مجلس البحوث بالمركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية أسفرت عن تأكيد بعض الاتجاهات الرئيسية التى يجب أن تحكم تطوير الدراسة وبعض النقاط الاساسية التى يتعين ابرازها ، فى اطار اعادة نظر شاملة فى مشكلات التعليم العام .

ويسير المركز عادة على عدم نشر الدراسات التى يتولاها الا بعد أن تعد فى صورتها النهائية على أساس اتاحة الفرصة للباحثين لاستكمال بحثهم فى ضوء المناقشات الجماعية المتوالية ، ومع ذلك رأى المركز ان يبادر بنشر الفصول الاساسية من دراسة «قضية التعليم والثورة» على صفحات «الطليعة» . وقد حمله على ذلك أن قضايا التعليم مطروحة الان على الرأى العام، وان وزارة التربية والتعليم بصدد اصدار عدد من القوانين الجديدة . ولاشك أن الحوار الديمقراطى العميق

حول هذه القضايا الحيوية كفيل بان يساعد على بلورة الاتجاهات السليمة . وقد رأى المركز كذلك، استكمالا للصورة ، ان ينشر مع هذه الفصول خلاصة للملاحظات التى اسفرت عنها مناقشة « مجلس البحوث » بالمركز، آملا ان يوافيه قراء الطليعة المهتمون بقضايا التعليم بآرائهم واقتراحاتهم وملاحظاتهم .

اشترك فى اعداد الدراسة :

- **السيدة زينب محرز**
- **السيدة فاطمة زكى**
- **الاستاذ أحمد تركى**
- **الاستاذ أديب ديمترى**
- **الاستاذ محروس سليمان**

تكاد مشاكل التعليم وقضاياه تستحوذ على اهتمام اوسع قطاعات الراى العام ، حتى برغم الوطأة الشديدة لظروف النكسة ، وما تفرضه من مسائل ملحة وعاجلة . ومسائل التعليم لم تكف عن ان تحتل هذه المكانة ، من اهتمام الثوريين المصريين منذ مطلع القرن ، بل ومنذ بداية القرن الماضى ، على يد المربى الكبير **رفاعة الطهطاوى** ابو المربين المصريين . ومنذ ذلك الحين ظلت هذه القضايا طوال تاريخنا الحديث وجها من اوجه حركتنا الوطنية الديموقراطية ، تحمل سمات المرحلة التى تمر بها ، وابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية .

واذا كان الاهتمام المباشر فى ايامنا ينصب عادة على المشاكل العاجلة ، وبالاخص مشاكل القبول بجميع المراحل فى بداية العام ، وقضايا الامتحانات فى نهاية العام ، فقد أضيف اليها اخيرا اهتمام مضاعف بالقوانين الجديدة للتعليم ، والتى اسرعت وزارة التربية فى تقديمها فى الفترة الضيقة قبل بداية العام الدراسى .

ومع ذلك فما زلنا نعتقد ان مناقشة المبادىء والاسس ، والخطوط العريضة للسياسة التعليمية باعتبارها الامتداد الواجب لسياستنا القومية فى كافة الميادين ، هى الاجدى ، وهى المدخل الطبيعى والمنطقى لاى معالجة للتفاصيل او للقوانين المختلفة خاصة فى المرحلة الراهنة ، والكفيلة بارساء اسس سياسية قومية ثابتة ومستقرة فى التعليم .

واى محاولة لتخطيط سياسة قومية بعيدة للتعليم ، لا تستغنى عن ورود المنبع وتتبع جذور المشاكل فى تاريخ حركتنا القومية . فذلك مايعين على تحديد المعايير والقيم التى نقيس بها حركتنا الى الامام او الى الخلف ، كما تحدد الاهداف التى ينبغى ان نسترشد بها ، والتى تستمد جذورها من تاريخ هذه الحركة وواقعها الراهن . واذا كان البحث لا يتسع لمثل هذه المعالجة التاريخية ، فاننا نكتفى لضرورتها بابراز الخطوط العريضة التى ترسم اطار الحركة .. والا تعرضنا للعشوائية ، ولفقدان الاهداف والقيم .

لقد كان الهدف الكبير للتعليم منذ بداية القرن التاسع عشر ، وهو عصر اليقظة القومية ، خاصة بعد الدور البطولى الذى اضطلع به الشعب المصرى فى هزيمة الفرنسيين ، هو البعث والاحياء العظيم .. لقد كان شغل رفاعة الطهطاوى الشاغل هو وتلاميذه بعث التراث لازكاء الروح الوطنية ، وخلق نظام قومى فى التعليم يربط ما بين الماضى والحاضر ، ما بين التراث العريق فى الازهر والكتاتيب ، ومنجزات علوم الغرب وفنونه وصنائعه ، مستهدفا من وراء ذلك كله اهداف الثوره البورجوازية العالمية .. الثورة الوطنية الديموقراطية .

وكانت جهود الثوريين المصريين والمصلحين خلال ذلك القرن ، منذ البداية التى ارساها رفاعة حتى الاحتلال البريطانى ، تتجه الى تحقيق شعارات الثوره البورجوازية فى التعليم : وهى تعميم الالزام وانشاء نظام قومى موحد يبدأ من قاعدته فى الكتاتيب حتى قمته فى المدارس المخصوصة او العليا . بهذه الروح صدرت لائحة رجب الشهيرة سنة ١٨٦٨ التى تخطط لاول نظام

قومى فى التعليم ، والتى ساهم فى وضعها رفاعة وارتبطت باسم **على مبارك** ، ومن بعدها النظام التعليمى المتقدم الذى اقترحه قومسيون سنة ١٨٨٢ قبيل الاحتلال ، والذى حقق الى حد كبير بناء هيكل تعليمى قومى فى الاطار الذى ذكرناه ، وسارع الاحتلال فى واده وطمسه .

ومنذ بداية القرن الحالى تبلور الصراع ما بين مدرسة **دنلوب** الاستعمارية من ناحية ، والتى جسدت كل اهداف الاستعمار ومخططاته ، والوطنيين المصريين من الناحية الاخرى الذين استأنفوا القتال بعد صدمة الاحتلال ، مسترشدين بنفس المبادىء التى ارسيت منذ مطلع القرن التاسع عشر .

وقد ركز المخطط الاستعمارى على ضرب القومية فى لغتها اولا ، ومن ثم فى تراثها ليعوق البعث القومى ، وعزل بجدار سميك ما بين هذا التراث العريق والحضارة الحديثة .. عزل الازهر والكتاتيب عن التعليم الحديث . فجمد التراث فى الاطار الدينى ، اطار العصور الوسطى ، واقام تعليمه المدنى معزولا تماما ومقطوعا عن التاريخ وارضية التراث فافقده اصالته . لقد دبر الاستعمار قتل الاثنين معا : اماتة التراث الاسلامى الثورى وخنقه فى ارديته القديمة ، وخلق جيل من المتعلمين بلا اصالة ولا عمق . ومن هنا كان حرصه الدائم على بقاء الازهر والكتاتيب فى ناحية والمدارس الابتدائية والثانوية والعليا فى الناحية الاخرى .. الاول معلق لا يؤدى الى شىء ، والاخر مفتوح الى وظائف الدولة . الاول لجمهور الشعب والثانى لابناء الارستقراطية . والهدف من وراء هذه الثنائية الصارخة واضح لا يحتاج الى بيان : وهو تمزيق روح الامة ووحدة تكوينها النفسى والعقلى والتاريخى وقتلها ، وتجميد حركة القومية فى المهد .

وكان شعار الثوريين فى المقابل ، فى حركة الثوره الوطنيه الديموقراطيه التى تصدت لمدرسة دنلوب ومخططاتها ، الدعوة الى وحدة المدرسة القومية بتعميم الالزام ومحو الامية وكسر الحواجز الطبقية الشديدة بين انواع التعليم بنشر التعليم الحر بارخص ثمن اذا عز التعليم الاميرى ، حتى يتاح التعليم لاوسع الطبقات خاصة الطبقات الوسطى ، والتمسك باللغة القومية كلغة اساسية للتعليم ، مع تحرير اللغة العربية من الجمود ، ومزج القديم بالجديد ، او التراث بالعلم الحديث ، بروح العلمانية المتأصلة فى التراث ، والموصولة الحلقات بالتاريخ القومى .

وكانت كل المعارك التى خاضتها البورجوازية المصرية الثورية منذ الاحتلال وقبل الحرب العالمية الاولى ثم عبر ثورة ١٩ حتى الحرب الثانية تهدف الى الافلات من طوق المدرسة الدنلوبية ، فخاضت القومية معركة لغتها وكسبتها فى مطلع القرن ، وطورت هذه اللغة لتتسع لفكر الغرب وعلومه الحديثة على يد الرواد الثوريين والمعلمين فى نفس الوقت : **لطفى السيد وطه حسين والعقاد والمازنى وفريد ابو حديد** ، وغيرهم وغيرهم ؛ وسجلت امنيتها فى تعميم الالزام فى دستور ٢٣ ؛ وعطل التنفيذ الاستعمار والاقطاع الضالع معه . وقاتلت من اجل وصل الازهر بالتيار الحضارى ، فادخلت به العلوم الحديثة . كل ذلك تحت شعارات وحدة المدرسة القومية وعلمانيتها واصالتها التاريخية حتى تصوغ روح الامة وتحقق وحدة تكوينها النفسى ، وكانت فى هذا كله تنتصر وتنهزم ثم تعاود الكرة من جديد ، ولكن ما يميز هذه المرحلة كلها هو النضال الشديد ضد المدرسة الدنلوبية وفلسفتها التسلطية والجامدة والطبقية الصارخة .

ومع الحرب الثانية ، وهزيمة الفاشية الساحقة ، هبت ريح جديدة لا تقاوم .. انتصرت معا فى الديموقراطية ، وارتفعت شعارات الحرية وتكافؤ الفرص ، وظهر تقرير **الهلالى** الشهير وتقررت على اساسه مجانية التعليم الابتدائى ، فخطت البورجوازيه الثورية خطوه فى اتجاه كسر الحاجز بين النظامين التعليمين والمدرستين الابتدائية والاولية ، وان كان المنتفع بها الطبقة الوسطى الدنيا فى الاغلب .

ولكن هذه الحرب جاءت بريح أقوى هى ريح الاشتراكية ، وحركة الشعوب التى تتطلع بقوة الى الاشتراكية ، وترفض باصرار النظام الاستعمارى والراسمالى . لم تعد الراسمالية تلهمها كما الهمت الثوريين الاول منذ رفاعة ، بل الاشتراكية . واكتسبت شعارات الحرية والديموقراطية ابعادا جديدة اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية . وبرز فى واقعنا تياران متناقضان تماما :

● تيار ثورى هو تيار الثورة الوطنية الديموقراطية ، ويضم فى صفوفه فى اقصى اليسار حركة الطبقة العاملة والجماهير الشعبية المعادية للاستعمار والاستغلال والراسمالية وممثليها الثوريين الاشتراكيين العلميين ، الى جوار المثقفين ، ثم البورجوازية الوطنية المعادية للاستعمار خاصة الممثلة فى صفوف حزب الوفد . هذا التيار فى مجموعه وبطبقاته الوطنية المختلفة استأنف النضال ضد المدرسة الدنلوبية كجزء من نضاله لتصفية الوجود الاستعمارى ، وغلبت على شعاراته الليبرالية : التعليم للجميع كالماء والهواء ، وكان شعارا ثوريا يكسر السدود التى اقامها

الاستعمار فى مواجهة التعليم ،وان غلب عليه فقدان الانجاه والتخطيط واتسم بكثير من الفوضى ،وخطى هذا التيار خطوة بعيدة ومؤكدة فى اتجاه تحقيق النظام القومى الموحد فى التعليم بتقرير مجانية التعليم الثانوى ، ومد الجسور ما بين التعليم الاولى والابتدائى ، وفتح ابواب التعليم على مصراعيها .. وبذلك ازاح الكثير من الحواجز الطبقية او على الاقل خلخلها وخففها ، واتاح للحركة الثورية انطلاقة جديدة .

اما التيار الاخر فرجعى ، يضم الطبقات الاقطاعية والراسمالية الكبيرة المتداخلة مع الاستعمار ، وبالاخص اقسامها التى بدات تتطلع الى الاستعمار الغنى والجديد .. الاستعمار الامريكى . وعبرت عن هذا التيار فى التعليم ، وخدمت اغراضه مدرسة تربوية جديدة تستمد وجودها فى الاصل ، من جيل من المربين المصريين الذين ارتبطوا باهداف ثورة ١٩١٩ ، وناصبوا مدرسة دنلوب ايضا العداء . ولكنهم انحصروا فى اطار الفن التربوى وعلوم النفس والتربية ، وانعزلوا عن خضم الحركه الثوريه ،خاصة بعد الضربات التى وجهت اليها خلال السنين الصعبة التى فصلت بين ثورة ١٩ والحرب الثانية .وساعد على عزلتهم وانغلاقهم داخل المهنة بتخصصها الضيق ، الحصار الذى احكمه الاستعمار والرجعية على حركة المعلمين بالذات كجزء من حربها ضد الحركة الطلابية وضد المثقفين الثوريين .

وتضافرت كل هذه العوامل لتحكم الحصار حول هذه المدرسة التى افرغت همومها فى محاولات اصلاحية للتعليم فى حدود علوم التربية وعلم النفس ، والحدود الفنية وحدها ، هذه المدرسة المعزولة ، برغم كل عدائها للمدرسة الدنلوبية التقليدية ، ونتيجة لقصور رؤيتها السياسية ، سقطت فريسة سهلة فى يد التيار الامريكى الزاحف ، بشعاراته البراقة عن الحرية والديمقراطية ، وبرصيده الضخم من الفكر التربوى والتجارب التربوية الجديدة ، وتحولت الى اداة طيعة فى يد احزاب السراى والاستعمار والرجعية ، خاصة احزاب البورجوازية الكبيرة المتشابكة مع الاستعمار ، كما كانت تتمثل فى حزب السعديين على وجه اخص ، ورفعت شعار الكيف فى مواجهة الكم ، والتعليم الجيد والنموذجى بدلا من تعليم الكثرة ، والتعليم الاولى قبل التعليم الجامعى .. ونكاد نسمع على لسانها دعاوى كرومر ودنلوب نفسه وحقيقة الامر انها كانت تحاول ان تصد التيار الشعبى الزاحف فى اتجاه انواع التعليم الراقى ، وتفلسف السياسة المعادية لتعليم الشعب ، وللتوسع فى التعليم عموما ، ولذلك هاجمت بشدة مجانية التعليم الابتدائى ثم الثانوى بدعوى انها خطوات متعجلة لا ترعى شروط التربية وعلم النفس . ولا شك ان هذه المدرسة كانت لها مساهماتها الاصلاحية فى ميدان الفن التربوى والتعليمى ، ولكنها بعزلتها عن تيار الحركة الوطنية والشعبية واحتباسها داخل الاطار الفنى ، فقدت الرؤية الشاملة لحركة النضال الوطنى والاجتماعى ،وانخرطت فى تجارب تعليمية جزئية لا تجدى ، وتحيلت ان تغيير المجتمع يبدأ وينتهى بالمدرسة ، ومن خلال تغيير الفرد بالتربية ، وبذلك اصبحت القضية الاجتماعية لا تعدو قضية تربوية يحلها المعلم داخل المدرسة بالتربية النموذجية .. هذا فى وقت كان الاستعمار لا يزال يجثم على انفاس الامة ، ومع ذلك فهى لا تتبين وجوده او دوره فى تجميد المدرسة والمجتمع وكل شىء . ومن هنا رددت بببغائية نفس الدعاوى للمربين الامريكيين الرجعيين الذين يحاولون تثبيت النظام الاستعمارى والراسمالية العالمية فى مواجهة الحركة الثورية لشعوب المستعمرات والحركة الاشتراكية العالمية . ومن هنا تحولت هذه المدرسة الى بؤرة لنشاط كل المشاريع والمؤسسات الاستعمارية الامريكية مثل النقطة الرابعة وفرانكلين وغيرها . ولعل الجريمة الكبرى لهذه المدرسة فى حق المربين المصريين هى اشاعة هذه النظرة الفنية الضيقة والمعزولة ، بين العديد من المربين خاصة بين القيادات .وبذلك ساهمت فى تعميق وتدعيم العزلة التى فرضتها فى الاصل المدرسة الدنلوبية على كتلة المعلمين .والواقع ان هذه العزلة بالذات عن تيار الحركة السياسية والاجتماعية ، هى اخطر ما يعوق حركة الاصلاح والتغيير الثورى فى التعليم ، ومساهمات المعلمين البناءة فى كافة ميادين العمل الثورى .

تلك هى التركة التى ورثتها الثوره عام ١٩٥٢، ولكن الصراع بين التيارين ظل على اشده بعد الثورة ولا يزال وان اخذ صورا جديده . واستغلت المدرسة الامريكيه التربوية عدم وضوح الرؤية وفقدان الاتجاه فى بعض الاحيان لتتخفى تحت ارديتها الفنية لتمرير مشاريعها وتعاليمها ولتستر مواقعها الحقيقية داخل الجهاز التعليمى وركزت ، الاساس على مقاومة التوسع فى التعليم والابقاء على الحواجز والسدود التى تعوق تذويب الفوارق بين الطبقات داخل النظام التعليمى ،وعلى المناهج والكتب .ونظم الامتحانات ما نجنى ثمرته الان فى تدهور المستوى .وضعف العائد من العملية التعليمية .

وفى خضم هذا الصراع كله ظلت قضايا اساسية دون حل :

لا زلنا فى بداية كل عام نتردد بين الفتح

والاغلاق لابواب التعليم لا تستقر على فلسفة او سياسة واضحة المعالم

ولا زال تعميم الالزام ومحو الامية وقضية تعليم الكتلة الكبيرة من الشعب ، اكثر انجازاته على الورق لا يعرف طريقه الى الحقيقة والواقع، بما يهدد قوة العمل الاساسية .

ولا يزال الحوار الإزلي ما بين التعليم النظري والفني العملي تضغط الدولة في اتجاه تحويل التيار الى مجراه الطبيعي في التعليم الفني ، وتحاور وتداور الطبقات القديمة والجديدة المتسلطة لتصل بابنائها الى معاهد العلم الرفيعة والمسعرة ولتحتفظ بسيطرتها على مستوى العلم الرفيع، ولتقلت من قيمة العمل المهددة في المصانع والحقول .

وتطل علينا الثورة العلمية والتكنولوجية بتحدياتها دون ان نفحص ابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ومتطلباتها في النظام التعليمي بالعمق الواجب .

والحقيقة ان المشاكل الاساسية ستظل قائمة بل وقد تتفاقم ، وهي بالفعل تتفاقم طالما ظلت المواجهة في الاطار الاصلاحي الذي يعدل ويبدل على السطح ، دون ان يضع في الاعتبار طبيعة المرحلة الثورية التي نجتازها وانعكاساتها في الثقافة والتعليم :

ولا شك ان الشعب العامل بكل طبقاته الثورية يتطلع باصرار الى الاشتراكية ، ويرفض التسلط والاستغلال من جانب الطبقات القديمة او الجديدة ويدرك ان تحقيق الاشتراكية ، وهو الهدف البعيد ، رهن بانتصار الاهداف الوطنية الديموقراطية في مرحلة التحول ، واحتلال الشعب العامل لمكانه الطبيعي في السياسة والحكم ، وفي كل اجهزة الدولة ليمارس عملية التحويل ويفتح الطريق الى ما هو ابعد . واذا كانت الدولة العصرية ترتفع كشعار ، فلابد من تحديد مدلولها في هذا الاطار الثوري ، اطار تحقيق الاهداف الوطنية الديموقراطية التي تفتح الطريق لما بعدها وترسي الاساس للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المقبلة التي يتطلع اليها الشعب .

هذه الدولة العصرية بهذا المفهوم لا تتحقق بتلقائية ، ولا تأتي نتيجة تطور طبيعي هادىء ، دون رسم او تخطيط ، بل جوهر بنائها ودعامته، هو التخطيط الواعي الذي يسترشد بفلسفة اشتراكية واضحة المعالم والاهداف .. وفي التعليم يعني هذا في المدى القريب والبعيد ، في مرحلة التحول .. وعلى المدى الاستراتيجي البعيد :

اولا : ان يتحقق ارتفاع المستوى الفكري والثقافي والروحي للشعب العامل في مجموعه خطوة بخطوة مع ارتفاع مستواه المادي . بل وان تسبق التحولات الفكرية والروحية الوعي في كثير من الاحيان حتى يسيل احداث التحول المادي

ثانيا : العلم والتعليم في ظل الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة سلاح اساسي في تطوير قوة العمل وكفاءته ، والارتفاع بمعدلات الانتاجية، بل هو قوة انتاجية بالدرجة الاولى ، وصناعة استراتيجية حقيقية . ومن هنا كان الاهتمام الشديد بتتبع اثار هذه الثورة في التعليم وابعادها الاجتماعية ، سواء في الشرق او الغرب .. في الدول الراسمالية او الاشتراكية

ثالثا : العلم والتعليم سلاح طبقي ، كان سلاحا في يد الطبقات الاستغلالية المسيطرة تحجبه عن الطبقات المستغلة . وتفرض سيطرتها عن طريق امتلاكه واحتكاره لها ولابنائها ، ومن هنا اكتسب التعليم صفته الطبقية الصارخة وثنائيته التي تعزل وتفصل مابين جمهور الشعب وابناء الطبقات الغنية في دور التعليم . وعلى الرغم من افتضاح اهداف هذه الثنائية ، حتى منذ الثورة البورجوازية في اوائل القرن ، فلا زالت تتخفى تحت اقنعة مختلفة تربوية او نفسية او اقتصادية . وانتزاع التعليم من ايدي الطبقات الاستغلالية ، وتحويله الى اداة حقيقية في يد ابناء الشعب العامل هو المهمة الاولى والاساسية ودولة ثورية وتقدمية . وترجمة هذا في التعليم هو المفروض في النظام التعليمي وفي الحياة المدرسية والقضاء على كل اثر للتفرقة الطبقية والثنائية في التعليم ، وانجاز ما عجزت البورجوازية وقصرت عن تحقيقه في هذا الاتجاه ، وهو بناء نظام تعليمي قومي موحد يتيح فرصا متكافئة لابناء كل الشعب، ويفتح اوسع الابواب للقاعدة العريضة .

رابعا : وفي المضمون لابد ان تعكس المناهج هذا المحتوى الوطني والديموقراطي بابعاده الاجتماعية الجديدة ، فالسمة العامة للثورات الوطنية الديموقراطية في بلدان العالم الثالث كله هي التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية ، وارتباط تحقيق اهداف الثورة الوطنية باحداث تغييرات ثورية في المجتمع تجرد الطبقات الاستغلالية القديمة المرتبطة بالإستعمار من السلطة وتولى الشعب العامل سلطته كاملة .

خامسا : والدولة العصرية بالمفهوم الوطني والثوري التقدمي الذى حددناه ، دولة تستند الى

العلم والتكنولوجيا لتعويض التخلف ولاحداث التحولات الفكرية والمادية فى حياة الشعب العامل، والعلم هنا لا يتحقق بالمفهوم المحدود والفنى الضيق ، ولا بتطبيقاته العملية فحسب .. بل يعنى امتلاك الشعب فى مجموعه لا دوات الفهم العلمي والمبادرة العلمية الشاملة والواعية . وهو ما يعنى ان يتحول العلم الى منهج وفلسفة فى الحياة تضيف الى الثروة الروحية للشعب ثروة جديدة.

سياسة القبول بمراحل التعليم

حجر

الاساس فى هذه القضية هو بلا شك خطة الاستيعاب لمرحلة الالزام ، فمن البديهيات التى لاتحتاج الى توضيح انه من المستحيل تحقيق نقلة كيفية فى حالة القوى العاملة ومستوى كفاءتها وانتاجيتها دون اتخاذ خطوات حاسمة لتوفير الحد الادنى من الثقافة والتعليم للشعب العامل ، وكنقطة بدء الانتهاء من استيعاب جميع الاطفال فى سن الالزام. وليست هذه بديهية الثورة الاشتراكية وحدها بل هى البديهية التى قدمتها البورجوازية نفسها عالميا منذ ثورتها فى القرن التاسع عشر فى اوربا ومنذ ثورة سنة ١٩١٩ فى مصر . وذلك لارتباط الثورة الصناعية فى اوربا فى القرن الماضى بالحاجة الى حد ادنى من المعرفة لقوة العمل لاستخدام الالة، ولحاجة البورجوازية لتحرير الشعب العامل من قبضة السيطرة الاقطاعية المظلمة على عقله وروحه .

ولاشك أن الثورة الاشتراكية ترفع هذه القضية الى مستوى المبدأ ، لارتباطها بأهداف التطوير الاقتصادي والثورة الاجتماعية . وثورة يوليو استشعرت منذ البداية هذه الضرورة الاولية ، وخطت بالفعل خطوات ذات اهمية فى اتجاه تعميم الالزام تعبر عنها الارقام التالية :

واذا اعتبرنا عدد التلاميذ بين كل الف من السكان كمؤشر للحجم الحقيقى للخدمة التعليمية فقد ارتفع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية بين كل الف من السكان من ٦٦ تلميذا عام ١٩٥١ الى ١١٤ تلميذا عام ١٩٦٦ .

وفى مشروع السنوات الخمس الاولى ٦٠ــ٦٥ خطط المشروع على أساس ان الهدف هو الوصول الى استيعاب جميع الاطفال فى سن الالزام عام ٧٠/٦٩ بحيث ترتفع نسبة القبول فى هذه المرحلة فى سن الالزام من ١ر٧٧٪ عام ٦٠/٥٩ وهى سنة الاساس الى ٣ر٨٧٪ عام ١٩٦٤ مع نهاية الخطة الاولى .

والارقام تشير الى نجاحات تحققت فى طريق هذا الهدف ، فقد ارتفعت نسبة الاستيعاب من ٢ر٤٥٪ سنة ٥٢/٥١ الى ٢ر٧٨٪ سنة ٦٧/٦٦، وزاد عدد تلاميذ المرحلة الاولى مليونى تلميذ وتلميذة ، من ٤٥٧ر٤٩١ر١ الى ٩٨٠ر٤١٣ر٣ كما تبين الاحصائية السابقة .

هذا ماتسجله الارقام الرسمية ، ولكن نحب أن نؤكد أنه برغم الانجازات الهامة فى هذه المرحلة، فلا زلنا بعيدين تماما عن تحقيق الهدف، وهو الانتهاء من استيعاب جميع الاطفال الملزمين فى الموعد المحدد فى الخطة ٧٠/٦٩ . والارقام الرسمية عندنا

المرحلة	١٩٥١ مدارس	١٩٥١ فصول	١٩٥١ تلاميذ	١٩٦٦ مدارس	١٩٦٦ فصول	١٩٦٦ تلاميذ
المرحلة الاولى	٦٨٤٢	٣٧٥٠٨	١٤٩١٤٥٧	٧٨١٢	٨٠١٥٢	٣٤١٣٩٨٠

تسجل كالعادة على الورق مايتعذر العثور عليه في الواقع .

فتقارير المتابعة الرسمية لوزارة التربية والتعليم تثبت أن عدد الاطفال في سن الالزام الذين تضيق فصولنا عن استيعابهم سنويا حتى اليوم حوالي ثلث عدد هؤلاء الاطفال، فاذا كان المقدر حسب الاحصاءات السكانية ان عدد الاطفال الذين يصلون الى سن الالزام سنويا (٦ــ٩) يبلغ حوالي ٨٠٠ر٠٠٠ او يزيد، فالعدد الفعلي الذى تستوعبه الفصول حاليا لايتعدى ٦٠٠ر٠٠٠، وفي آخر تقارير المتابعة سنة ١٩٦٧ يذكر عدد المقبولين في سنة ١٩٦٠ ٦٥٦ر٨٤٤ بنقص قدره ٣٩٩ر٣٨ تلميذا عن العدد المقدر قبوله في ميزانية ٦٦/٦٧ وهو ٢٨٣ر٦٩٥.

وتبدو الصورة الواقعية على حقيقتها اذا أضفنا الى هذا ظاهرة التسرب الخطيرة في هذه المرحلة، والمقصود بها التلاميذ الذين لايواصلون الدراسة الى نهاية سن الالزام في السنة السادسة. فتقارير المتابعة تعترف أن الارقام المسجلة في الدفاتر الرسمية بالمدارس الابتدائية وخاصة في الريف لاتمت بصلة الى الواقع، فهناك نسبة كبيرة تقيد في السجلات بحكم دفتر المواليد ولاترى المدرسة أصلا، وعدد أكبر يكف عن مواصلة الدراسة بعد قضاء عام أو عامين أو اكثر في الدراسة، وتتدخل العوامل الاسرية والعلاقات الاجتماعية في الريف للتغطية على هذه الاوضاع. ولاشك أن كل هذه الاعداد ترتد الى الامية من جديد . ويصل التقدير الرسمي لنسبة التسرب في هذه المرحلة الى ٩٪ والغالب أن النسبة في الواقع أعلى من هذا بكثير . وهو مايفسر أن العديد من المناطق التعليمية وخاصة في الريف تلجأ الى الغاء العشرات من الفصول المقررة بالميزانية أو ادماجها لان نسبة الحضور الفعلية بين التلاميذ لاتملأ فراغ هذه الفصول .

ومحصلة هذا كله ان هناك مالا يقل عن ٣٠٠ر٠٠٠ من الاطفال في سن الالزام (٦ــ١٢) ينضمون سنويا الى جيش الامية المتضخم وهو مايهدد بخطر القضاء على الهدف القومي الاساسي في الانتهاء من تعميم الالزام سنة ١٩٧٠ .

والغريب في الامر أن وزارة التربية والتعليم تواجه هذه المسألة البالغة الخطر بعقلية قبول الامر الواقع . فقد استصدرت الوزارة في الاعوام الماضية قرارا غريبا بالاكتفاء بقبول من يتقدم لها طواعية من التلاميذ للالتحاق بالمدارس الابتدائية، وهو مايعني التجاوز عن تطبيق الالزام على أشد الطبقات حاجة اليه وهم في الاغلب من فقراء الفلاحين والمعدمين . فالمفهوم بداهة أن من لايتقدم أصلا للالتحاق بهذه المدارس هم من أبناء أكثر فئات الشعب العامل فقرا، وهم في نفس الوقت أولى بالرعاية، وأكثر الفئات الاجتماعية حاجة الى محو الامية بينها والارتفاع بنسبة التعليم بين أبنائها، وهي نفس الطبقات التى طال حرمانها والمعنية بالثورة في المحل الاول والتى يقع على كاهلها تحقيق معدلات أعلى في الانتاج في القرية والمدينة ونجاح خطة التنمية ــ هذا من الجانب الاقتصادى على الاقل ــ بالاضافة الى الجانب الاجتماعي والسياسي .

ويزيد من خطورة هذه الاوضاع أن العديد من المناطق التعليمية تلجأ الى تحويل فصول الريف الفائضة الى المدن تحت ضغط بورجوازية المدينة التى تلحف في الحاق ابنائها حتى قبل أن يصلوا الى سن الالزام في السادسة وهو مايزيد الهوة بين المدينة والقرية كما سيتضح فيما بعد .

ويترتب على هذه الحقائق مراعاة النقاط التالية :

● الهدف الذى رسمته الخطة الخمسية الاولى وهو الدخول بالالزام الى ١٠٠٪ سنة ١٩٧٠ لايحتمل تقصيرا، وهو ضرورة أولية قومية اقتصادية اجتماعية وسياسية . وهو يرتبط بصميم الثورة الاشتراكية واحتياجات حركتها .

● أن هناك حاجة ماسة للمسح الصادق للوضع القائم فعلا خاصة في الريف للتعرف على حقيقة الوضع بعيدا عن الارقام البعيدة عن الدقة.

● ان سياسة قبول الامر الواقع تمثل خطأ جسيما والمطلوب هو العكس تماما، وهو أن تتجه الدولة والتنظيم السياسي، والتنظيمات الشعبية بكل ثقلها لتغيير الوضع القائم في الريف وبالاخص بين فقراء الفلاحين لضمان التحاق أبنائهم بالمدرسة الابتدائية والاستمرار في الدراسة حتى نهاية الالزام .

● واستمرار الاطفال في الدراسة يحتاج الى أكثر من حل سياسي واجتماعي واقتصادي، فتهرب أبناء الفلاحين كما هو معروف يرجع الى ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية وحاجتهم الى عمل أطفالهم او الى بيع قوة هذا العمل، والحقيقة انه من الصعب تصور امكانية انجاز مهمة تعميم الالزام بين اطفال الفلاحين، ومحو الامية تماما بينهم، في الواقع الفعلي وليس على الورق فحسب، دون انجاز مهام الثورة الاجتماعية في الريف، وتحقيق اصلاح زراعي جذرى، يغير من الاوضاع الطبقية والعلاقات الاجتماعية السائدة في الريف .. ومن هنا فلا بد ان يكون العلاج لهذه القضية المزمنة من حدين : حد تعليمي وحد اجتماعي وسياسي ... ولابد أن تسير الخطوات الثورية التى تعالج قضية الارض والفلاح خطوة بخطوة مع الحلول التعليمية .. هذا اذا أردنا تغيير الواقع وليس مجرد تغيير قوائم الاحصاءات !!

واذا كان حل هـذه المشكلة سيأتى على المدى البعيد ، بارتفاع دخل الفلاح ومستواه الاجتماعى والثقافى وعدم اضطراره الى بيع قوة عمل اطفاله، فان من اسبابها المباشرة العزلة القائمة بين المدرسة الابتدائية وحياة القرية ، الامر الذى يحتـاج الى بحوث جادة وحلول عملية توفق بين مصلحة الفلاح الفقير وضرورات التعليم .

ولاشك أن تحقيق الصلة الوثيقة بين المدرسة فى جميع مراحلها والحياة هو مبدأ أساسى فى أى تربية ديمقراطية ، ولكنه أشد لزوما فى مرحلة الالزام بالذات لعديد من الاسباب : اولها ان المدرسة فى البيئة الريفية المتخلفة تؤدى دورا فى التنوير ، وفى تطوير حياة المجتمـع الريفى ، وهو الامر المستحيل تحقيقه فى ظل العزلة القائمة بين المدرسة والمجتمع . والسبب الثانى أن عزلة هذه المدرسة وفقدان التلاؤم بينها وبين حياة القرية يسـاهم بشكل مباشر فى مشكلة التسرب وهجر التلاميذ للمدرسة ، والتصادم بين احتياجات الفلاح الفقير واحتياجات المجتمع الريفى من الثقافة والتعليم .

والغريب أننا ندير ظهورنا لتراثنا فى التعليم الشعبى ، ولانتعلم منه ، بينما يقدم هذا التراث حلولا حقيقية لهذه المشكلة . فمن المعروف فى تاريخنا أن الكتاب كان جزءا لايتجزأ من حيـاة القرية ، يشاركها العمل فى المواسـم ، كمـا يشاركها أفراحها واحزانها .. لقد كان سيدنا فى الكتاب ينقطع بتلاميذه للدرس حينما لايحتاج اليهم العمل فى الحقل ، وكان الفقيه وتلاميذه يشاركون الفلاح عمله ويمدون له يد العون اذا احتـاج الى تعريش بيته او دق الطوب ، وفى مواجهة أخطار الحريق وغيرها .

وكان سيدنا معلما وفقيها فى أمور الدنيا والدين، وهو ماينقلنا الى المشكلة الهامة ، وهى مشكلة معلم المرحلة الاولى .. فلا شك أن عدم استقرار هذا المعلم وقلقه عامل هام وأساسى فى عـزلة المدرسة عن البيئة الريفية . واذا كان المجـال لايتسع للمعالجة المستفيضة لاعداد هذا المعلم ، فاننا نؤكد أن الوزارة كان رائدها الاول دائمـا تخريج المعلم الرخيص الذى يرضى بأقل من القليل، وهو استطراد لتراث الاستعمار القديم فى موقفه من التعليم الشعبى . والاولى أن نسـتفيد فى حاضرنا بالروح الجديدة التى تسرى فى العـديد من مثقفى القرية ، والتى تضعهم فى موضـع المسئولية والحماس لتطوير حياة قراهم وأهلهم . وفى مقدورنا أن نستفيد من حملة الثانوية العـامة بالذات ممن يرتبطون فعلا بقراهم لنعد منهم الجيل الجديد من معلمى القرية بعد دراسـة لمدة عام أو عامين .. ولكن علينا باديء ذى بدء أن نفكر فى وسائل توفير الحياة الكريمة للمعلم فى قريته .. لابد من توفير السكن المناسب والمريح ووسائل المعيشة ، كما ينبغى أن يمنح من الامتيازات فى المرتب وفى وسائل المواصلات واجور السـفر مايجعل اتصاله بالمدينة سهلا ، ومايغريه بالبقاء فى القرية . والواقع أن تجربة وزارة الصحة فى هذا الشأن بالنسبة لقطاعها الريفى لاقت نجاحا كبيرا . فقد وفرت لطبيب القرية السكن المريح ووسائل الراحة والاستقرار . وتستطيع مجالس القرى والمدن أن تؤدى الكثير فى هذا الميدان فهذه مسئوليتهـا الاولى ، ولها فى تعاون أهل القـرى الحريصين على تعليم أبنائهم ، وفى الحلول الذاتية مايمكنها من تقديم حلول واقعية للمشكلة .

الهرم التعليمى

واذا كنا قد أفردنا هذا الحيز للحـديث عن مرحلة الالزام فلانها الاساس والقاعدة لاى اصلاح تعليمى .

أما بقية المراحل وأنواع التعليم فهنا لابد لنا من تناول الهرم التعليمى برمته ، وفى تركيبه العام لصعوبة المعالجة التفصيلية فى حدود الحيز المتاح . الوضع الراهن يمكن تلخيصه فى الجدول التالى :

المرحلة	١٩٥١ مدارس	فصول	تلاميذ	١٩٦٦ مدارس	فصول	تلاميذ
المرحلة الاولى	٦٨٤٢	٣٧٥٠٨	١٤٩١٤٥٧	٧٨١٢	٨٠١٥٢	٣٤١٣٩٨٠
المرحلة الاعدادية العامة	——	——	——	١١٧٨	١٨٠٤٠	٦٦٥٣٢١
المرحلة الثانوية العامة	٢٤٩	٤٤٩٦	١٥٩٧٩٧	٢٧٢	٦٢٩٠	٢٣٤٦١٩
المرحلة الاعدادية العامة	——	——	——	١٧	٥٧٨	١٦٦٧٦
المرحلة الثانوية الصناعية	٢٩	٤٢٣	١٠٠٧٢	٨٩	١٣٥٧	٤٢٠٩٣
المرحلة الثانوية الزراعية	١١	١٥٥	٤٢٠١	٤٨	٦٥١	٢١١٤٢
المرحلة الثانوية التجارية	٢٠	٢٧٩	٧٩١٣	٦١	١٧٩٢	٥٦٣٣٠
الجملة العامة قبل الجامعى	٧١٥١	٤٢٨٧١	١٦٦٤٤٤٠	٩٤٧٧	١٠٨٨٦٠	٤٤٥٠٢٦١
الجامعات	سنة ٥٢/٥٣ ٤٤٫٩٨٦ تلميذا			سنة ٦٥/٦٦ ١٣٧٫١٦٦ تلميذا		

جدول رقم (١)

المرحلة	اعداد المقيدين سنة ١٩٥٣	النسبة المئوية الى جملة المقيدين	اعداد المقيدين سنة ١٩٦٦	النسبة المئوية الى جملة المقيدين
الابتدائى	١ر٣٩٢ر٧٤١	٧٥ر٨ ٪	٣ر٤١٣ر٩٨٠	٧٦ر٩ ٪
الاعدادى	٣٤٨ر٥٧٤	١٨ر٩ ٪	ر٦٦٥ر٣٢١	ر١٥ ٪
الثانوى العام والفنى	٩٥ر٢١٠	٥ر٣ ٪	ر٣٥٤ر٤٢٩	٨ر١ ٪
الجملة	١ر٨٣٦ر٥٢٥	١٠٠٪	٤ر٤٣٣ر٨٣٠	١٠٠٪

والتحليل الرقمى لهذا الهرم يثبت الحقائق التالية :

١ ـــ اختلال التوازن بين المراحل التعليمية المختلفة ، والجدول رقم(١) يوضح هذه الحقيقة فى التعليم ماقبل الجامعى والعالى .

والملاحظات المباشرة حول هذا التوزيع :

● ضيق القمة الشديد بالقياس الى القاعدة .. هذه القاعدة الضيقة بطبيعتها بالقياس الى حجم الاطفال فى سن الالزام ، وحجم الامية ونسبتها المرتفعة بين السكان بشكل عام .

● بروز عنق الزجاجة بوضوح عند التعليم الاعدادى ، واتجاه هذا العنق الى مزيد من الضيق

وقد يبدو هذا طبيعيا للوهلة الاولى ، فلاشك أن أى مرحلة تالية على الالزام فى اى نظام تعليمى ، لابد ان تضيق بالقياس الى حجم المرحلة الاولى التى تضم الجميع .. وليس العيب فى الشكل الهرمى للتعليم فى ذاته .. فهو الشكل الطبيعى لاى نظام تعليمى مهما اختلفت النسب بين القاعدة والقمة . فليس المفروض على اى حال أن تصل كل القاعدة الى قمة التعليم .. والامر الطبيعى ان يتدرج التعليم مع توزيع الاستعدادات والميول والملكات .

ولكن العيب كل العيب فى هرمنا التعليمى هو سيطرة الفلسفة الدنلوبية ثم فلسفة المدرسة الامريكية التى ورثتها من بعد ، التى تفلسف سياسة التضييق على التعليم تحت مختلف التعلات التربوية وغير التربوية ، والتى تقيم من المراحل التعليمية حواجز وسدود ، تسميها اختبارات الذكاء أو اختبارات القبول او غيرها ، وتنتهى فى حقيقة الامر الى تكريس الوضع الراهن ، وتصليب الحواجز الطبقية ، التى يسقط عقدها فى الاغلب ، وبمنطق الامر الواقع ايضا ابناء الطبقات الفقيرة والمعدمة . بينما المفروض فى نظامنا التعليمى فى مرحلة التحول ان يخدم العكس ، فالمفروض والمتفق عليه بين الجميع أن الهدف البعيد هو مد الالزام والوصول به الى نهاية الاعدادى بل والثانوى فى المدى الابعد ، وان الوقوف بالالزام عندست سنوات تفرضه الاعتبارات الاقتصادية وحدها وحتمية التدرج للخروج من الوضع القديم .. وعلى الرغم من استحالة التفكير فى مد الالزام حاليا حتى الانتهاء من استيعاب جميع الملزمين ، الا انه ينبغى الا يغيب عن الاذهان ان المستهدف هو التوسع بالتدريج فى المرحلة الاعدادية ، وان كل مايؤدى الى الاسراع فى هذه العملية دون القاء عبء جديد على الدولة أمر نرحب به .

٢ ـــ اختلال التوازن بين التعليم الفنى والتعليم العام

والجدول التالى يوضح هذه الحقيقة :

السنة	جملة المقيدين بالثانوى العام	جملة المقيدين بالثانوى الفنى	النسبة المئوية للمقيدين بالتعليم الثانوى الفنى الى جملة المقيدين بالثانوى
١٩٥٢	١٠٩و٧١١	١٥و٥٦٦	١٢و٤٪
١٩٦٠	١٤٠و٥٢٤	٦٧و١٨٦	٣٠و٨٪
١٩٦٦	٢٤٤و٩٧٩	١١٩و٨١٠	٣٢و٥٪

ويتضح من الجدول انه على الرغم من الجهود الكثيرة التى تبذل لتحقيق التوازن بين التعليمين العام والفنى ، واعادة توجيه التيار فى اتجاه الثانوى الفنى لضرورات التنمية والحاجة الى الفنيين المتوسطين ومساعدى المهندسين ، الا ان هذه الجهود تكاد تكون بلا نتيجة تذكر منذ سنة ١٩٦٠ حتى اليوم ، لان وضع هذه المدارس والفرص المتاحة امام خريجيها لمواصلة التعليم العالى لاتزال اقل من التعليم العام ، هذا فضلا عن الاساس الاجتماعى وهو الفروق الشاسعة فى الاجور بين العمل اليدوى والعمل الذهنى .

٣ ـــ اختلال التوازن بين تعليم البنات وتعليم الاولاد :

نسبة البنات فى المرحلة الابتدائية الى مجموع المقيدين فى المرحلة ظلت ثابتة عند حوالى ٣٥٪ من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٦٦ .

ونسبة البنات فى المرحلة الاعدادية العامة الى مجموع المقيدين بالمرحلة تراوحت بين ٢٠٪ فى سنة ١٩٥٣ الى ٢٨٪ فى سنة ١٩٦٠ الى ٣٠٪ سنة ١٩٦٦ ثم انخفضت بطريقة مفاجئة عام ١٩٦٧ الى ٢٠٪ .

وفى الثانوى العام كانت نسبة البنات الى مجموع تلاميذ المرحلة ١٨٪ سنة ١٩٥١ ارتفعت الى ٢٦٪ سنة ١٩٦٠ ثم الى ٢٨٪ سنة ١٩٦٦ .

٤ ــ اختلال توزيع الخدمة التعليمية بين الريف والمدينة :

والجدول التالى يبرز هذه الحقيقة الهامة ذات الدلالة، ونختار للمقارنة محافظات يغلب عليها طابع المدينة واخرى يغلب عليها طابع الريف :

نوع المحافظة	اسم المحافظة	عدد التلاميذ فى كل ألف من السكان ٥٩/٦٠ ابتدائى	٥٩/٦٠ اعدادى	٥٩/٦٠ ثانوى عام	٦٦/٦٧ ابتدائى	٦٦/٦٧ اعدادى	٦٦/٦٧ ثانوى عام
مدنية	القاهرة	١٢٤	١٨,٥	١٠,٦	١٤٦,٥	٤٠,١	٢٠
	الاسكندرية	١١٤,٨	١٤	٦,١	١٤٩	٣٤,٧	١٤,٨
	السويس	١٤٥	٢٢,٨	٦,٤	١٧٤	٣٦,٦	١٩,٧
	بورسعيد	٩٩,٦	١٥,٤	٥,٧	١٦٦,٣	٤٥,٣	١٦,٢
ريفية	كفر الشيخ	٦٠,٦	٥	٢,٢	٩٨,٧	١٤,٢	٣,١
	المنيا	٧٧,٣	٥,١	٢,٥	٩٢,١	١٣,٧	٣,٦
	سوهاج	٦٣,٢	٤,٤	٢,٣	٩٢,٤	١٢,٤	٢,٨
	قنا	٩٤	٣,٣	١,٦	٨١,٩	١٠,٦	٢,٥
المتوسط العام على مستوى الجمهورية		٩٤	٩,٦	٤,٦	١١٤,٩	٢٢,٩	٨,١

ومع ذلك فهذا الجدول لا يكشف عن كل الحقيقة، فمراجعة توزيع الخدمة داخل المحافظة نفسها بين المدن والقرى يكشف عن المدى الحقيقى لهذا الخلل . واليك نموذج من التوزيع بين القرية والمدينة فى المحافظات الريفية كما فى الجدول (رقم٢)

والدلالة الاجتماعية والطبقية لهذا التوزيع لا تخفى ، فهو ما يعنى بالتحديد ان الشعب العامل صاحب المصلحة الاولى فى الثورة الاشتراكية وبالاخص الفلاحين والفلاحين الفقراء بشكل أخص بعيدين تماما عن ان ينالوا حقهم الطبيعى فى التعليم والثقافة ، بعيدين عن ان يتسلحوا بالادوات الفكرية والثقافة الضرورية لقيامهم بدورهم البارز والرائد فى الانتاج والسياسة وفق ما نص عليه الميثاق .

الباب المفتوح والباب المغلق

عدد تلاميذ وتلميذات الصف السادس الابتدائى فى العام الدراسى ٦٥/٦٦ حسب الاحصاءات الرسمية ٥٤٦ر٤٠٢ تلميذ وتلميذة . تقدم منهم لمسابقة القبول للمرحلة الاعدادية ١٢١و٣٩٠ تلميذا وتلميذة ، نجح منهم ٩٧٨و٢٠٥ بنسبة ٥٨٪ من المتقدمين ، ٣٧و٧٪ من عدد المقيدين بالصف السادس .

جدول رقم (٢)

المحافظة	الحضر		الريف	
	النسبة المئوية			
	سكان	تلاميذ	سكان	تلاميذ
كفر الشيخ	١٩	٢٣,٩	٨١	٧٦,١
المنيا	١٩,٩	٢٧,٦	٨٠,١	٧٢,٤
سوهاج	١٤,٣	٢٦,٦	٨٥,٧	٧٣,٤
قنا	١٩	٢٤,٨	٨١	٧٥,٢

وتستوعب المدارس الاعدادية الرسمية المجانية على هذا الاساس ٢٨٪ من تلاميذ الصف السادس والمدارس الخاصة ١٢٪ .

وعدد الناجحين فى الاعدادية عام ٦٤/٦٥ ١١٠٥٤٦ قبل منهم بالمدارس الثانوية المجانية ٦٥٢و٥٠ بنسبة ٤٨٪ ، وبالمدارس الخاصة بمصروفات ١٦و٧٪ ، وبذلك يبلغ عدد المقبولين بهذه المرحلة ٦٦و٨٢٧ بنسبة ٦٤٪ من الناجحين بالاعدادية .

وعدد المقبولين فى نفس العام فى الثانوى الفنى بأنواعه ٣١و٣١٩ بنسبة ٣٠٪ .

ونواصل المسيرة فى نفس العام :

جملة المقبولين بالجامعات عام ٦٤/٦٥ ٢٥و٨٤٧ .

وفى عام ٦٦/٦٧ كان جملة الناجحين فى امتحان الثانوية العامة ٧٠و٠٠٠ قبل من هذا العدد فى الجامعات ١٨و٠٥٣، وبالكليات العسكرية والمعاهد العليا ٥٧٦٤ ، وبمراكز التدريب المهنى حوالى ٧٠٠٠ وهو ما يصل بجملة المقبولين الى ٣٠و٠٠٠ من مجموع ٧٠و٠٠٠ .

فاذا اعدنا ترتيب الهرم التعليمى كله لنلقى نظرة على سياسة اعداد القوى العاملة برمتها برزت امامنا الحقائق التالية :

يصل من اطفالنا الى سن الالزام سنويا ما لا يقل عن ٨٠٠و٠٠٠ والمفروض ان هذه قاعدة الهرم الكبير .

تستوعب مدارسنا الابتدائية حوالى ٦٠٠و٠٠٠ يواصل الطريق منهم حتى النهاية فى الصف السادس ما لا يتجاوز حوالى ٤٤٠و٠٠٠ فى الواقع الفعلى يجتاز منهم عنق الزجاجة عند ابواب الاعدادى ما لا يتجاوز ٢٠٠و٠٠٠ اى الربع من قاعدة الهرم .

وهؤلاء هم القاعدة الحقيقية للهرم التعليمى عندنا والطريق مغلق على غيرهم . يصل منهم الى الجامعات والمعاهد العليا حوالى ٣٠و٠٠٠ .

والنسب المقررة للهرم التعليمى فى تقرير اللجنة الوزارية للقوى العاملة ، والذى يعبر عن السياسة الرسمية للدولة فى تخطيط التعليم واعداد القوى العاملة لكافة المستويات ، والتى يتقيد بها تعليمنا حاليا هى :

يقبل بالاعدادى ٣٠٪ من جملة المنتهين من المرحلة الابتدائية . ومن المنتهين من المرحلة الاعدادية يقبل ٣٠٪ فى مراكز التدريب القصير لتخريج العمال للاعمال البينية ، ٢٥٪ بالمدارس الثانوية الفنية ومراكز التدريب لمدة ثلاث سنوات لاعداد العمال المهرة ، ٢٠٪ بالمعاهد الفنية المتخصصة المقترح انشاؤها لتخريج الفنيين من الفئة المتوسطة ، وعدد سنى الدراسة بها خمس سنوات ، ولمدارس المعلمين ٥٪ والمدارس الثانوية العامة ٢٠٪ من خريجى الاعدادية ويقبل فى النهاية بالجامعات ٢٠و٠٠٠ .

والصورة التفصيلية التى يقدمها هذا التقرير والجداول المسهبة التى يذكرها عن عدد الخريجين والفائض او النقص المنتظر فى مختلف ميادين التخصص ومستوياته تعطى بشكل عام انطباعا قاتما وتحذير

من الفائض الزائد من المتعلمين في كافة المستويات وبالاخص في المستويات العليا . وجوهر نظرة التقرير الى الاحتياجات المستقبلة من القوى العاملة ، وفلسفته في التخطيط ، يسودها النظرة الاستاتيكية الجامدة التى تقيس المستقبل بمعيار الحاضر، ولا تستطيع ان تمد ببصرها او تتصور حجم العمالة في مختلف الميادين الا في اطار الوضع الراهن . . ولا ترى ابعاد الثورة الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية وتأثيرها المباشر في حجم هذه العمالة او نوعيتها .. ومن هنا يسيطر على التقرير الفزع الدائم من القوى العاملة الفائضة والزائدة عن الحاجة في كافة الفروع.. ويكفي دليلا على هذه النظرة القاصرة ما يؤكده التقرير عن الزيادة بين العلميين والمهندسين والاطباء ، وهو بلا شك تأكيد غريب في بلد يخرج من تخلف طويل ويجتاز اولى عتبات الثورة العلمية والتكنولوجية .

وعلى الرغم من الضغوط التى يتعرض لها نظامنا التعليمى نتيجة الانفجار السكاني، وبسبب التركة الماضية في فقدان التخطيط وعدم التوجيه واندفاع الاغلبية الساحقة من الطلاب ومن ابناء البورجوازية الصغيرة على وجه الخصوص في اتجاه انواع التعليم النظرى وتطلعها الشديد الى التعليم العالى ... وعلى الرغم من كل هذه العوامل التى خلفت بلا شك اثارا ضارة في توزيع الخريجين ، والبعد عن تلبية الاحتياجات الحقيقية للانتاج خاصة في مستويات الفنيين المتوسطين .. فان السياسة التى يعبر عنها هذا التقرير بشكل عام في تقديرنا خاطئة فهى تدعو بوضوح الى سياسة الحد والتضييق في كافة المستويات وبالاخص في المستويات العليا ، وهو ما ينبغى ان يؤخذ في المرحلة الراهنة بترو وحذر شديدين لعديد من الاسباب والاعتبارات .

ويدل على سياسة الباب المغلق والحد من التعليم التى يأخذ بها التقرير الذى لا يزال يمثل السياسة الرسمية للدولة في اعداد القوى العاملة استنادا الى مبررات اقتصادية بحتة في الاغلب يدل عليها ما يلى :

١ — ما ورد بالتقرير من اقتراحات بشأن خفض سنوات الالزام او التفريق بين مدرسة القرية ومدرسة المدينة في هذه المرحلة من حيث مدة الالزام .

٢ — الوقوف بالقبول بالمدارس الرسمية الاعدادية عند نسبة ٣٠٪ من المنتهين من الالزام وعدم وجود اى محاولة بالتقرير لاقتراح حلول تحفز الى التوسع في هذه المرحلة مع التسليم باستحالة القاء عبء هذا التوسع على الدولة في هذه المرحلة .

٣ — قصر حق مواصلة التعليم في المراحل العليا بالجامعات والمعاهد على خريجى المدارس الثانوية العامة ، وفى انسيق الحدود وبشروط عسيرة للثانوية الفنية والمتخصصة وحرمان بقية انواع التعليم بعد الاعدادى مثل مراكز التدريب القصير او التدريب المهنى من اى فرص لمواصلة التعليم الارقى .

٤ — الغاء نظام الانتساب بالجامعات .

٥ — عدم اقتراح اى نظام للدراسات التى تتيح للعاملين مواصلة الدراسة وهم يعملون .

وفى تقديرنا ان هذه السياسة خاطئة وتعكس مفاهيم متخلفة في التربية والتعليم ولا تلبى مطلقا احتياجاتنا في الثقافة والتعليم في هذه المرحلة وذلك للاعتبارات الاتية :

١ — لاشك ان الفلسفة الاشتراكية لا تقبل العفوية وفقدان التخطيط في اى ميدان سواء ميدان التعليم او اى ميدان آخر ، وتقوم على ضرورة الحساب الدقيق للاحتياجات من القوى العاملة في شتى فروع الانتاج والتخطيط لها .. والتقرير في هذا الصدد يبذل على الاقل المحاولة وهو في حد ذاته جانب ايجابى .

٢ — ولا شك ايضا ان تعليمنا عانى الكثير من الفوضى ، وفقدان التوجيه .. وهناك زيادات واضحة في بعض الميادين ، والاضطراب اوضح ما يكون في سوء التوزيع بين التعليم العام والفنى وفى الاندفاع الذى كان سائدا في اتجاه انواع التعليم النظرى على حساب التعليم العملى سواء في المرحلة المتوسطة او الجامعية والمعاهد العليا، وهذه كلها امور محل اتفاق عام .

٣ — ولكن القفز من رفض سياسة الفوضى وفقدان التوجيه الى الزعم بأن تعليمنا وبالاخص في مستوياته العليا قد فاض وزاد عن الحاجة يحتاج الى ترو ونظر .. وفهم التخطيط على انه يعنى اغلاق الابواب وسد المنافذ في وجه التدفق في اتجاه العلم والثقافة امور بالغة الخطر في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. بعيدة التأثير في مستقبل حركتنا الثورية .

٤ — وتصور تخطيط القوى العاملة في حدود الجداول والارقام وحدها ، وفى اطار سوق العمل وحده وفى حدود الوضع الراهن ، يسقط من الحساب الاحتياجات الروحية والابعاد

الانسانية فى مرحلة التحول والانتقال الى الهدف الابعد وهو تحقيق الاشتراكية ، وهو تصور ضار لابد ان نحذر منه .

٥ ــ واذا كانت الامكانيات والموارد المحدودة لها احكامها ، وهى التى تحد من تطلعاتنا فى ميدان الثقافة وفى غير ميدان الثقافة ، الا ان سياسة الباب المفتوح فى التعليم ــ مع التخطيط ورفض الفوضى ــ لاتزال هى السياسة السليمة فى البلدان المتحررة وذلك لاعتبارات اقتصادية واجتماعية وسياسية نجملها فيما يلى :

أ ــ الاحتياجات الاقتصادية المباشرة لتطوير قوى الانتاج وتصفية التركة الثقيلة من الامية وضعف المستوى التعليمى والعلمى العام وندرة الكفاءة والخبرة .. ويزيد من عمق هذه الاحتياجات ان ضعف رأس المال فى البلدان النامية لا يعوضه الا رفع كفاية رأس المال البشرى والخبرة البشرية ، وقد اصبح العلم ذاته قوة انتاجية ، وهذا العنصر الاقتصادى يكاد يكون محل اتفاق العديد من الخبراء فى اقتصاديات التعليم فى الشرق والغرب .

ب ــ الاحتياجات الاجتماعية لتصفية الفوارق الطبقية الصارخة ، والحرمان الطويل الذى عانت منه جماهير الشعب العامل .

جـ ــ الدور الرائد والبارز للعمال والفلاحين فى تحالف قوى الشعب العاملة وضرورات رفع المستوى الثقافى والفكرى للشعب العامل ليتولى دوره فى قيادة الانتاج وفى السياسة والحكم .

د ــ ابعاد مرحلة التحول عموما الروحية والانسانية والفكرية واحتياجات الحركة الثورية تتطلب بالضرورة رفع المستوى الثقافى والتعليمى العام للشعب فى مجموعه .

هـ ــ وخلق الدولة العصرية ذاته ، وملاحقة الثورة العلمية والتكنولوجية ومتطلبات هذه الثورة يفرض التقريب بين عمل العامل والمهندس ، ويؤكد ايضا ضرورة رفع ثقافة الشعب العامل بشكل عام .

ولكي ندرك ابعاد هذا العامل الاخير نسوق بعض المقارنات بين الوضع التعليمى فى بلادنا وفى البلدان المتقدمة فى الشرق والغرب ، ليس بهدف المطالبة بأن نقفز فى غمضة عين الى مصاف هذه الدول ، بل لنكشف فقط عن بعد الطريق الذى علينا ان نقطعه وزيف الدعاوى القائلة بأن تعليمنا فى مستوياته العليا على وجه الخصوص قد فاض عن احتياجاتنا : فى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٠ بلغ تعداد القوى العاملة ٥٦٫٢٣١٫٠٠٠ نال منها مستوى الدراسة الثانوية ٤٣٪ ومستوى الجامعية والعالى ١٥٪ وفى فرنسا يبلغ تعداد القوى العاملة سنة ١٩٥٤ ١٥٫٧٥٣٫٠٠٠ وصل منها ١٩٪ الى مستوى الثانوى ، ٥٪ فى المستوى الجامعى . وفى انجلترا كانت القوى العاملة سنة ١٩٥١ ١٨٫٢٥٦٫٠٠٠ وصل الى مستوى الثانوى ٢٠٪ والمستوى الجامعى ٧٪ .

بينما فى مصر لا تتعدى نسبة الحاصلين على مؤهل فوق المتوسط واقل من الدرجة الجامعية (من السكان فوق سن العاشرة) حسب احصاء سنة ١٩٦٠ ١٪ ومستوى المؤهل الجامعى ٨٪ .

وفى الاتحاد السوفيتى فى كل الف من السكان سنة ١٩٥٦ حصل ٢٨١ على تعليم ثانوى او عال .. ومن العمال اليدويين ٢١٦ فى الالف ، والفلاحين التعاونيين ٢١٢ فى الالف والعمال الذهنيين ٨٨٤ فى الالف ومن عمال البناء ٣٤٨ فى الالف والمشتغلين بحلب الالبان وتربية الدواجن ٢٠٤ فى الالف والرعاة ١٤٦ فى الالف .

والجدول رقم (٣) أبلغ دلالة وهو من احصاءات اليونسكو :

ونخلص من هذا كله ان هيكل نظامنا التعليمى ، وبالاخص كما عبر عنه تقرير لجنة القوى العاملة مايزال يحتفظ فى الاساس بطابع نظامنا القديم الذى خططت له البورجوازية الحاكمة قبل الثورة ، ووضعت نظريته وصياغته القانونية المدرسة القبانية .

والطابع العام لهذا النظام هو وضع القيود والسدود المتوالية التى تأخذ اسماء واشكالا مختلفة ولكنها تؤدى فى التطبيق الى نتيجة واحدة هى تعثر ابناء الاغلبية الساحقة من ابناء الشعب العامل وعجزهم عن مواصلة الدراسة التى تؤهلهم لها قدراتهم .. وبالرغم من ان تقرير المجانية الشاملة احدث اثرا بعيدا وله وزن فى تغيير معالم الصورة ، الا ان سياسة الحواجز الطبقية لازالت فى جوهرها قائمة سواء فى القبول فى المرحلة الاعدادية ، او فى التوزيع فى انواع التعليم المختلفة . وذلك لان نظام الامتحانات والاختبارات القائم ينتهى فى واقع الامر الى تمييز طبقى لان الفيصل فيه ليس القدرات والاستعدادات الحقيقية بقدر ما هى القدرة المالية والوسط الاجتماعى والظروف البيئية المحيطة بالطفل .

ومحصلة هذا كله الاخلال بالمبدأ الديمقراطى الاساسى فى التعليم ، مبدأ وحدة المدرسة او كما

جدول رقم (٣)

اسم البلد	عدد السكان	التعليم الثانوى العام	التعليم الثانوى الفنى	التعليم العالى
الجمهورية العربية المتحدة	١٩٦٥ ٢٩,٠٠٠,٠٠٠	١٩٦٥ ٢٠٨,٥٨١	١٩٦٥ ١٠١,٢٠٤	١٩٦٥ ١٥٥,٥٥٢
الولايات المتحدة	١٩٦١ ١٨٣,٧٤٢,٠٠٠	١٩٦١ ١٤,٢٨٨,٧٣٣	—	١٩٦١ ٣,٧٢٦,١١٤
اليابان	١٩٦٢ ٩٤,٩٣٠,٠٠٠	١٩٦٢ ٩,٢٣٧,٩٨٦	١,٣٥٩,٧٤٢	٨٢٧,٣٧٦
تشيكوسلوفاكيا	١٣,٨٥٦,٠٠٠	٧٧,١٩٦	٢٧٦,٢٦٢	١٢٧,٥٩٨
يوجوسلافيا	١٩٦٢ ١٨,٧٣٧,٠٠٠	١٩٦٢ ١١٦,١٧١	١٩٦٢ ٣٠٠,٠٨٦	١٦٠,٠٩٢
الاتحاد السوفيتى	١٩٦١ ٢١٨,٠٠٠,٠٠٠	١٩٦١ ٤,٤٠٠,٠٠٠	١٩٦١ ٢,٣٥٩,٧٠٠	٢,٦٣٩,١٠٠

يعبر عنه احيانا « بالتعدد فى اطار الوحدة » بمعنى تعدد وتشعب انواع التعليم بعد المراحل الاولى الموحدة مع المساواة التامة بين مختلف الفروع والتخصصات النظرية والعملية فى الفرص المتاحة وامكانية شق الطريق الى نهاية التعليم واعلى مراتبه على اساس معيار القدرة والاستعداد وحده ..

وليس العيب كما ذكر فى الشكل الهرمى للتعليم فى ذاته ، بمعنى ضيقه كلما ارتفعنا فى سلمه الى اعلى ، وليس فى تعدد انواع التعليم وتفرعاته بعد مرحلة الالزام ، سواء كانت هى مراكز التدريب البيئية ، القصيرة او الطويلة ، او الاعدادى العام التقليدى او غيرها من انواع التعليم ومستوياته المختلفة التى تعد لمختلف التخصصات ومستويات العمل : من العامل الماهر الى المتوسط الى الفنى العالى المتخصص ... فهذه كلها امور طبيعية .. ولكن ما يخل بمبدأ الديموقراطية الاول فى التعليم ، وهو مبدأ تكافؤ الفرص هو وجود انواع ومستويات وقنوات من التعليم مغلقة لا توصل الى شىء بعدها ، واخرى مفتوحة توصل الى اعلى السلم فى الجامعات ، وهو مايعنى فى حقيقة الامر اقامة حواجز طبقية متخفية ، وصور الاخلال بالفرص المتكافئة فى تعليمنا كثيرة ، تبدأ من الروضة والحضانة ، وتمر بالابتدائى كما سنراها فى التعليم الخاص ، ثم فى نظام القبول الراهن بالاعدادى ، وفى تفرعات التعليم الاخرى بعد الابتدائى فى صور التدريب البيئى المهنى المغلقة التى تحبس خريجيها ولا تتيح لهم فرصا لمواصلة الدراسة بأى شكل ومهما كان استعدادهم ، بينما تفتح كل الابواب امام تلاميذ الاعدادى النظامى . وفى المستوى الثانوى لازالت المساواة بين انواعه المختلفة الاكاديمية والفنية بعيدة المنال ، والغرم بالطبع على خريجى المدارس الثانوية الفنية وفرص مواصلة الدراسة الى اعلى .. كل هذه تمايزات وفروق تبدو فى ذاتها طبيعية ، وقد تجد لها تكأة فى علوم البسيكولوجيا والبيداجوجيا ، ولكنها فى واقعنا الاجتماعى تعنى تمايزات وحواجز طبقية تجمد الاوضاع الراهنة، ولا تخطو فى طريق تذويب الفوارق بين الطبقات ، وصهر ابناء الامة فى بوتقة واحدة .

اما التعليم الديموقراطى فى مرحلة التحول بأبعادها السياسية والاجتماعية فيعنى نظام قومى موحد مهما تشعبت فروعه وقنواته النظامية وغير النظامية ، فكلها تصب فى مجرى واحد كبير يوصل اوله الى آخره ... ولا تقف فى الطريق الا حواجز الاستعداد والقدرة والكفاءة الفعلية ..

وهذا يتطلب بالضرورة تهيئة كل الفرص والظروف المادية والمعنوية التى تتيح لغير القادر ماديا مواصلة الدراسة اثناء العمل او فى غير العمل ..

والمجانية هنا هى احدى الوسائل ، ولكنها وحدها لاتكفى مطلقا ، ولابد ان توفر اسباب المعيشة للممتازين لمواصلة الدراسة مهما كان وضعهم فى السلم الاجتماعى .. بذلك وحده تتحقق الديموقراطية فى التعليم ، ووحدة النظام التعليمى القومى .. وتؤتى مجانية التعليم ثمرتها، ولا تتحول

الى حبر على الورق يتمتع به ابنـــاء القـــادرين ويتأمله غير القادر دون طائل .

لهذا كله يلجأ تقرير لجنة القوى العاملـــة المعبر عن سياسة الدولة الرسمية الى ســـلاح القسر والقانون فى توزيع الطلبـــة بين انـــواع التعليم دون ان يهتم بتطبيق المبدأ الديمقــراطى الاساسى فى التوجيه المستنير للطلاب واوليـــاء الامور ، وذلك دون ان يضع الضمانات والوسائل الكفيلة بحماية ابناء الطبقات الشعبية التى طال حرمانها .. وبالاخص فى مرحلة التحول التى ينبغى ان يكون طابعها المقرطة وتحقيق وحدة الامة .

محو الأمية .. وتعليم الكبــار

اذا كان تعميم الالزام ، والانتهـــاء من هذه المهمة يمثل الركن الاول فى اى مخطط تعليمى لمواجهة مســـئوليات التنميـــة الاقتصادية ورفع مستوى الشـــعب العامل الى مستوى متطلبات الانتاج الحـــديث ، وتحقيـــق التحولات الاجتماعية والسياســـية الضرورية فى طريق الاشتراكية .. فان محو الامية وتعليـــم الكبار فى جميع البلدان المتخلفة والناميـــة يمثـــل بالضرورة الركن الثانى فى هذا المخطط ، بحكم التركة المثقلة والموروثة عن الماضى .

ونظرة واحدة الى خريطة التـــوزيع السكانى حسب الحالة التعليمية للافراد فوق سن العشر سنوات تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٠ ، وهو آخـــر ما تيسر لنا من الاحصاءات ، تكشف عن الابعاد الحقيقية لمشكلة محو الامية والمســـتوى العلمى والثقافى العام لجماهير الشعب العامل :

— امى ٠٠٠و٥٨٨و١٢ بنسبة ٧و٦٩٪
— يقرأ فقط ٠٠٠و١٣١ بنسبة ٧و٪
— يقرأ ويكتب ٠٠٠و٩٢٣و٣ بنسبة ٧و٢١٪
— مؤهل اقل من المتوسط ٠٠٠و٣٠٢ بنسبة ٧و١٪
— مؤهل متوسط ٠٠٠و٨٠١ بنسبة ٤و٤٪
— مؤهل فوق المتـــوسط واقـــل من الدرجة الجامعية ٠٠٠و٢٤ بنسبة ١و٪ .
— الدرجة الجامعيـــة الاولى او ما يعادلها ٠٠٠و١٣٠ بنسبة ٨و٪ .
— دبلوم ممتــــاز ٠٠٠و١٠ بنســـــبة ٨و٪
— دكتوراه ٠٠٠و٢ بنسبة ٨و٪ .

ولا شك ان الارقام قد تغيرت كثيرا منذ ذلك التاريخ خاصة بعد تقرير المجانية وبعد القفزات الكبيرة فى معدلات التعليم، ومع ذلك فهذا التوزيع لاتزال له قيمته ولم يفقد دلالته ، ولا يزال غير بعيد عن واقعنا الراهن بالنسبة للمستوى العام لثقافة الشعب ، ومن هنا تكتسب قضـــية محو الامية وتعليم الكبار اهمية كبيرة لانها الطريق الوحيد الى احداث تغيير عاجل فى هيكل التركيب السكانى المتخلف ، وتصفية التركة الماضـــــية ، وتحقيق الشروط الاولية للدولة العصرية وللتحولات الثورية .

ويغطى تعليم الكبار ميادين عدة هى محو الامية، واتاحة الفرص امام العاملين لمواصلة الدراسة، كما يدخل فيها ايضا مايسمى بالثقافة الشعبية وما يعرف بالارشاد والتوجيه الزراعى او الصناعى او الصحى او غير ذلك . ويعنينا هنا التركيز على ميدانين :

١ — ميدان محو الامية .

٢ — ميدان الفرص المتاحة للعاملين لمواصلة الدراسة .

والواقع ان موضوع محو الامية من الموضوعات التى قتلت بحثا ولا نعتقد انها تحتاج الى مزيد، سوى المعالجة الجادة والاحساس بالمســـئولية ازاء قضية لم تعد تحتمل التأجيل ونكتفى بتأكيد بعض النقاط :

● ان كتلة الامية لم تتحـــرك الا فى اتجـــاه الصعود منذ الثورة حتى اليوم بسبب الاعـــداد المتزايدة من الملزمين الذين يفوتهم الالزام، او يرتدون الى الامية نتيجة عدم مواصلة الدراسة ودلالة هذا كله خطيرة بالنسبة لحركة الثورة ، وفى صفوف القاعدة الاساسية من العمال والفلاحين .

● ان القصور ليس فى المشروعات ، فهنـــاك

العديد من المشروعات الجيدة ، وهناك مشروع معروض منذ سنوات امام مجلس الامة ولا يزال يتعثر .

● القضية في الاساس هي قضـــية النظرة والفلسفة التي يعالج بها الموضوع ، فهنـــاك المعالجة الروتينية البيروقراطية ، وهى المعالجة الادارية التقليدية ، وقد ثبت حتى الآن ان مثل هذه المعالجة لم تؤد الى شيء . وهناك المعالجـــة الثورية التي تنظر الى القضية باعتبارها احدى جوانب الثورة ذاتها ، ومن ثم يصبح دور التنظيم السياسي والعمل الجماهيري هو الاساس . وفي تاريخنا عرفنا هذه المعالجة الثورية في الحركة التي قام بها الحزب الوطني في مطلــع القــرن وحققت بعض النجاحات،وفي الحركة التي اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ولم تستمر طويلا نتيجة ملاحقات الاستعمار والسراي والرجعية . وعلينا انستفيد من هذا التراث ونكمل ما بدأه الثوريون الاولون .

● وفي جميع البلدان الاشتراكية والثورية التي واجهت المشكلةكانت المعالجةسواء على المستوى الحكومي او الشعبي تستند الى التعبئة الشعبية والعمل السياسي الدءوب، ودور الحزب الثوريفي تعبئة المتطوعين وتدريبهم بالتعــاون مع الاجهزة الحكومية وتحريك مختلف التنظيمات والنقــابات والمؤسسات للقيام بدورها ازاءجماهيرها .ويتحدد دور الدولة فيمجال التشريع وفيماتقوم بهأجهزتها بالتعاونمع التنظيم السياسي منتدريب المتطوعين وادخال برامج محو الامية في معاهد المعلمين وتقديم كافة الامكانيات والتسهيلات في المدارس والمعاهد والاجهزة الاعلامية والثقافية .

ويقع على مسئولية الدولة ايضا ربط محــو الامية بالنظام التعليمي نفسه، بمعنى فتح الطريق امام الاميين بعد محو اميتهم للتدرج والدخــول في صلب النظام التعليمي وتوفير المداخل الكافية في النظام التعليمي للكبار الذين يريدون مواصلة الدراسة .

تعليم الكبار

وبذلك تقودنا المعالجة الجذرية للامية الى الشق الاخر من الموضـــوع وهو تعليم الكبار واتاحة الفرصة امام كتلة الشعب من العمال والفلاحــين بوجه خاص لمواصلة الدراسة دون ان تغـــادر مواقع العمل ، وهو الموضوع الذي يستحق منا كل التفات في المرحلة الراهنة لانه يرتبط أوثــق الارتباط بقضية الانتاج والثورة .

ونظم الدراسة اثناء العمل تعتبر من الاركــان الاساســـية للنظام التعليمي في جميع البلــدان الاشتراكية دون استثناء ، وجزءا لايتجزأ من هذا النظام . كما تلقى اهتماما كبيرا من الهيئـــات والمنظمات الديمقراطية في البلدان الرأسماليـــة المتقدمة . وهي عندنا بالعكس لا تلقى اهتماما بل تلقى كل انواع المعوقات والعقبات حتى ان تقرير اللجنة الوزاريـــة للقوى العاملة يســـد المنافذ القليلة التي تمت لهذا النظـــام فيدعو الى الغاء نظام الانتساب .

وتجارب البلدان الصناعيةالمتقدمة والاشتراكية فيها بالذات غنية في هذا الميدان ، سواء منهـــا الذي بدأ من مستوى ثقافي وحضاري متخلف مثل روسيا والصين ، او متقدم مثل تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية . ونختار تجربة الاتحادالسوفيتي كمثال لانها التجربة الرائدة في هذا الميدان ، ولانه البلد الذي قام بثورته وهو في وضع اقتصـــادي واجتماعي وفكري لا يختلف كثيرا عما نجده في معظم البلدان النامية حاليا ، على الاقل في الكثير من اجزائه وبلدانه .

وفي السنوات الاولى لقيام السلطة السوفيتية نظمت كليات العمال سنة ١٩١٩ وكان الهـــدف منها فتح ابواب التعليم العالي امام جماهـــير العمال والفلاحينوصبغ التعليم بالصبغةالعمالية . وهذه الكليات كانت تعد طلابها مـــن العمـــال والفلاحين للحصول على شهادة الدراسةالثانوية دون ان يتركوا اعمالهم،وتركز فيها المناهجبحيث تســـتغرق فترة زمنيـــة اقل مما يتطلبها المنهج العـــادي .

وبعد ان ادت هذه الكليات رسالتها استبدلت بمدارس أخرى ثانوية بالمراسلة ، وافتتح ايضا نوع جـــديد هو مدارس شباب العمال الزراعيين والصناعيين ،وهي مدارس مهنية ملحقة بالمصانع والمزارع والمؤسسات ، وهي تتيح لطلابها تدريبا مهنيا ابتدائيا او ثانويا ، وتمكن العامل في نهاية المرحلة ودون ان يغادر عمله الحصول علىشهادة تعادل الشهادة الثانوية وتمكنهم اذا شاءوا من متابعة الدراسة فيمعاهد التعليم العالي ،وتخضع اوقات الدراسة في هذه المدارس لظروف العمل فتنظم في فترات صباحية ومســـائية ، وتلتزم المؤسسة التي يعمل فيها الطلاب بمنحهم اجازة للامتحان مدفوعة الاجر ، ويعفى هؤلاء الطلاب من العمل في بعض الاوقاتاذا تضاربت احتياجات الدراسة مع اوقات العمل .

وفي مستوى التعليم العالي تنظم دراســـات مسائية في المعاهد والكليات ودراسات بالمراسلة، وهناكعدد من معـــاهد المراسلة المتخصصـــة والمستقلة كمعهدي موسكو ولينينجراد الصناعيين،

ومعهد المصنوعات المعدنية بموسكو .
مهندسي المواصلات بموسكو .

ويقدر عدد العمل الذين يكملون دراستهم باحدى هذه الطرق بنسبة عامل من كل ثلاثة عمال في بعض المصانع ، وتصل هذه النسبة في بعض المؤسسات الى ٧٠٪ من عمالها : ويقدر مجموع الطلاب الذين يتابعون دراساتهم العالية وهم يعملون ٤٥٪ من مجموع الطلاب .

وهذه النظم في المراسلة ومدارس بعض الوقت معمول بها في البلدان الراسمالية والاشتراكية بالطبع ولكنها تحتل مكانة خاصة كجزء من النظام التعليمي في البلدان الاشتراكية ، وتلاقي رعاية وتشجيعا من نوع خاص وذلك لاعتبارات اقتصادية واجتماعية وسياسية نجملها فيما يلي :

● الغالبية الكبيرة من البلدان الاشتراكية بدأت ثورتها من اوضاع متخلفة سائدة وواجهت مشكلات تصفية تركة الماضي من الامية وانخفاض المستوى العلمي والثقافي العام بين الجماهير والقوى العاملة

● ان الثورة الاشتراكية بطبيعة القوى المحركة لها واهدافها ومضمونها كما اوضحنا ، تلقى على عاتق الشعب العامل الدور المبرز والقائد . ولكي تقوم هذه الطبقات بمهامها الثورية لابد ان توضع في ايديها كل الادوات الفكرية والعلمية والثقافية التي تمكنها من اداء هذا الدور الذي يتوقف عليه مستقبل الثورة ، ولابد ان يرفع المستوى الثقافي العام للشعب العامل في مجموعه .

● وقد احدثت الثورة العلمية والتكنولوجية في الشرق والغرب على حد سواء تطويرا بعيد المدى في مفهوم الثقافة والتعليم وطبيعة العمل نفسها . ففي ظل المصنع الاوتوماتي واساليب الانتاج الحديثة اقتربت الشقة الى حد كبير بين العمل اليدوي والعمل الذهني حتى ليكاد يختلط العامل والمهندس ، بمعنى ان العمل نفسه يحتاج الى ثقافة واسعة وعريضة ومستوى علمي مرتفع ، وهو ما يجعل رفع المستوى العلمي والثقافي بين الجماهير العاملة ضرورة عاجلة وملحة .. ومن هنا فان تحقيق مفهوم الدولة العصرية يرتبط بتحقيق هذا المستوى الجديد للقاعدة العريضة من قوى العمل ، وهو ما يحتم ان تصبح نظم التعليم للكبار جزءا من النظام التعليمي .

● ولا يتعارض تشجيع هذه الدراسات مع مبادىء التخطيط للقوى العاملة . فبخلاف التخطيط للتعليم العام الذي يحتاج الى احكام كبيرة لانه يتعرض دائما لخطر ضغوط التطلعات القديمة في اتجاه التعليم النظري او التعليم المنفصل عن احتياجات الواقع ، بخلاف هذا التعليم فان العامل في الاغلب يواصل الدراسة في فرع يرتبط بتخصصه ويتوجه من المصنع او المزرعة . وبذلك يتوفر للمؤسسات الحصول على الكوادر اللازمة للعمل والمزودة بالخبرة المطلوبة والمستوى العلمي الرفيع ودون ان يلقى على الدولة الاشتراكية مسئولية البحث له عن عمل . ولكن هذا النظام يفترض بالطبع العدول تماما عن نظام تسعير الشهادات ، واتخاذ العمل وحده معيارا للقيمة والاجر ، كما يفترض ايضا تقريب الفوارق بين اجر العمل اليدوي والعمل الذهني حتى لا نخلق دوافع كاذبة ومصطنعة لمواصلة الدراسة وحتى لا تندفع الاغلبية في اتجاه دراسات نظرية لا ترتبط باحتياجات العمل .

● ومسئولية تنظيم هذه الدراسات وتمويلها يلقى بالطبع على النقابات والاتحادات والمنظمات الشعبية في الاساس ولا تتحمل الدولة الا القليل ولا يضاف عليها عبء فوق اعبائها .

ولكن القيمة الكبرى لهذا النوع من التعليم انه وسيلة اساسية لمقرطة النظام التعليمي ، فهو يتيح فرصا حقيقية لجميع العاملين مهما كانت مستويات تاهيلهم الدراسية للوصول الى اعلى المستويات التي تتناسب مع قدراتهم .. كما انه يقضي على انواع التعليم المغلقة . فمهما توسعنا في القبول بالاعدادي او الثانوي العام او الفني فستظل دائما اعداد اكبر تتوجه الى العمل بعد تدريب قصير او طويل بمراكز التدريب المهني البيئية بعد الابتدائي او بعد الاعدادي او الثانوي .. وهذه المراكز المهنية في نظامنا الحالي مقطوعة الصلة بالمجرى العام للتعليم ومغلقة لا تتيح لخريجيها اي فرص مهما كانت استعداداتهم . بينما تتطلب ديمقراطية التعليم ان يتاح للجميع وفي كافة المستويات الدراسية فرص النزول الى مجرى التعليم العام من اي روافد او قنوات جانبية .. لابد ان تصب كافة القنوات في النهر الكبير الذي يبدأ بالالزام لينتهي الى اعلى مستويات التأهيل الجامعي . ذلك ما يحقق وحدة المدرسة وديمقراطيتها ، وهو الركن الاصيل في التربية الديمقراطية .

والواقع ان تنفيذ هذا النظام لا يحتاج الى جهد كبير ، ففي الامكان الاستفادة من الفصول الصناعية المنشأة بالعديد من مصانعنا وبمراكز التدريب المهني والمدارس والمؤسسات الصناعية والزراعية في الاقاليم . والكثير من مؤسساتنا تستشعر اليوم الحاجة الى هذه النظم وتطالب بها لتتيح لعمالها المبرزين التدريب على مهارات جديدة . وما علينا الا ان نيسر لها السبل ونربط نظامنا التعليمي بالحقل والمصنع ، ونوثق العلاقة بين مؤسساتنا التعليمية والحياة المحيطة بها .

التعليم .. الخاص

وعندما نصل الى هذه القضية التى تحتل اهتماما متزايدا من الرأى العام والمسئولين ، نضع ايدينا على مظهر من مظاهر الخلل الاساسى الذى يطبع نظامنا التعليمى فى مجموعه ، والذى يكشف عن حقيقة العقلية المسيطرة على بعض كبار الفنيين بوزارة التربية والتعليم ، كما يكشف عن الاساليب التى تتلاعب بها الطبقات القديمة والجديدة للابقاء على سيطرتها الاجتماعية والفكرية والاحتفاظ بامتيازاتها الطبقية .

وقبل ان نستطرد فى الاحكام العامة نضع الارقام التى ترسم الصورة فى ابعادها : تدل الارقام على ان حجم هذا التعليم يتضاعف بمعدلات كبيرة عاما بعد عام : فالمدارس الخاصة بمصروفات كانت تضم فى ٦٦/٦٥ ٣٦٣و٤٦٨ تلميذا وتلميذة وربع هذا العدد فى القاهرة وحدها .

وتضم مدارس اللغات وهو نوع من التعليم وذلك حسب احصاء عام ٦٦/٦٥ ٧٦٨٧١ طالبا وطالبة .

والتعليم الخاص يخدم فى الاساس المدينة ، والمدن الكبرى بالذات ، وهو بذلك يتحول الى عامل آخر يزيد من الخلل التاريخى فى الخدمة التعليمية بين القرية والمدينة . وتكشف الاحصائية التالية عن ذلك بوضوح عام ٦٧/٦٦ :

المحافظة	الابتدائى	الاعدادى	الثانوى	ثانوى عادى	مدارس اللغات
القاهرة	٨٨٦٦٣	٦٣٢٢٨	٢٥٣١٤	٤٦٥٧	٤١٨٩٧
الاسكندرية	١٩٣٦٤	٢٢٤٤٤	٨٣٧٣	٢٥٥٣	١٩١١٧
الغربية	٣٦٨٩	١٨٠٢١	٣٥٠٧	٩٨٣	٥١٤٩
كفر الشيخ	١٢٦٩	٤٢١٥	٢١٦	٢٠٣	—
دمياط	١١١٧	٨٢٧	٢٠٨	—	٤٩٩
سوهاج	٢٩٠٠	٣٥٨٧	٧٧٠	—	٥٧٨
قنا	٢٣٥١	١٥٥٢	٢٣٧	—	—

ويلاحظ ان المدارس الخاصة الثانوية تكثر فى المحافظات التى بها جامعات ، وبالتالى تتيح لطلابها فرصا اكبر للتعليم . فالتعليم الخاص لا يقدم حلا للمناطق المحرومة او التى تضيق بها فرص التعليم ، بل يزيد الفرص فى المناطق التى تستحوذ فى العادة على أكبر الفرص .

ويلاحظ التضخم السريع فى حجم التعليم الخاص فى السنوات الاخيرة ، والاحصائية التالية من تقرير مقدم عن التعليم الخاص الى مؤتمر مديرى التربية والتعليم ١٩٦٦/١٠/٨ توضح هذه الحقيقة :

المرحلة التعليمية	٦٤/٦٣	٦٥/٦٤	٦٦/٦٥
الابتدائى — تلاميذ	١٩٠و٣٥٢	٢١٤و١٨٢	٢١٠و٣١٢
نسبة مئوية	٦٪	٦و٤٪	٦و١٪
الاعدادى — تلاميذ	١١٦٥٩	١٤١و٦٧١	١٧٦و٨٠٣
نسبة مئوية	٢٧و٨٪	٢٩و٠٧٪	٣٠و١٪
الثانوى — تلاميذ	٢٥و١٣٧	٣٦و٠٢٣	١١٩و٥٥
نسبة مئوية	١٧٪	٢٠٪	٢٥و٥٪

ويدل على هذه القفزات فى حجم التعليم الخاص حجم الاستثمارات فى السنوات الاخيرة ، فقد وصلت الى ١٠ ملايين من الجنيهات (الاهرام الاقتصادى فى١/١٠/١٩٦٤ — ومن تقرير التعليم الخاص فىمؤتمر المديرين ٦٦/١٠) . ومن الامثلة الصارخة شركة المعاهد القومية وهى اكبر الشركات الرأسمالية فى التعليم الخاص،فقد بدأت برأسمال قدره ١٥٠٠٠٠ جنيه تساهم بالنصيب الاكبر فيه نقابة المعلمين والاتحاد الاشتراكى وعدد من المساهمين يعد على اصابع اليد الواحدة ساهموا برأسمال قدره ٤٠٠ جنيه (روزاليوسف ٦٦/٨/١) واستطاعت هذه الشركة ان ترتفع بقيمة اموالها الثابتة الى نحو مليونين من الجنيهات خلال خمس سنوات ، وقد ورثت مجانا تقريبا كل المدارس الاجنبية بعقد شراء بالتقسيط على ٥٠ عاما مما جعل القسط الشهرى لا يتجاوز المبلغ الذى كان يجب ان تدفعه كايجار شهرى . واعفيت ايضا من رسوم التسجيل ومصروفات البيع عند انتقال ملكية المدارس اليها .. ومع ذلك تدعى هذه الشركة انها تخسر وتدفع لها الوزارات اعانات .

ورغم الارباح الفاحشة التى تحققها المدارس الخاصة فى اغلب الاحيان فانها تلجأ الى الكثير من الوسائل غير المشروعة لتثبت فى ميزانيتها الخسارة فى آخر العام طلبا للمعونة من الوزارة. والسمة البارزة فى عمل الاغلبية من هذه المدارس والتى تدل عليها تقارير المتابعة وشكوى اولياء الامور هو القصور الشديد فى العملية التربوية والجرى وراء الربح بأى ثمن عن طريق استغلال التلميذ والمدرس ، وقلما نجد هيئة تدريس خاصة لكل مدرسة ، بل تعتمد فى الاغلب على انتداب المدرسين بالحصص وبأجور تخضع للمساومة والسوق، وتعتمد بعض هذه المدارس على العقود لعام دراسى اى حوالى ٨ شهور للتخلص من اجور المدرسين والعمال فى الاجازة الصيفية . وتختار المدرسين من بين فئات غير مؤهلة لتستغل ضعفهم وحاجتهم المادية ابشع استغلال .

وتنعكس هذه الاوضاع بشكل مباشر على العائد من العملية التعليمية وبالاخص فى المدارس الرخيصة التى يؤمها ابناء البورجوازية الصغيرة فى المدينة . والمقارنة بين نتائج التعليم الخاص والتعليم الرسمى تبرز هذه الحقيقة ، وعلى سبيل المثال كانت نتيجة امتحان الشهادة الثانوية للعام الدراسى ٦٧/٦٦ على الوجه الاتى :

القسم الادبى :

— متوسط النجاح العام : ٣ر٥٧٪

— متوسط النجاح بالمدارس الرسمية : ٣و٧٠٪

— متوسط النجاح بالمدارس الخاصة بمصروفات : ٢ر٥٢ ٪

— متوسط النجاح بفصول الخدمات : ٥ر٤٧٪

القسم العلمى :

— متوسط النجاح العام : ٦٠٪

— متوسط النجاح بالمدارس الرسمية : ٧و٦٦٪

— متوسط النجاح بالمدارس الخاصة بمصروفات : ٧و٤٥٪

والان كيف يتحدد الموقف من التعليم الخاص ؟

المبدأ فى الاشتراكية الا يكون التعليم اوالثقافة ملكية خاصة او تجارة بأى حال .. ولا يجوز ان يكون عامل الربح هو المحرك فى هذا الميدان فى اى مرحلة من مراحل التحول نحو الاشتراكية . ذلك ان التعليم والثقافة هى من ادوات السيطرة الطبقية الاساسية ، وكانت ولا تزال سلاحا هاما من الاسلحة التى تستعين بها الطبقات المستغلة القديمة الاقطاعية والبورجوازية للابقاء على سيطرتها ونفوذها ، خاصة فى الفترات التى توجه ضربات بعيدة الاثر الى قوائمها الاقتصادية ومراكزها فى الانتاج .. عندئذ تلجأ الى هذا السلاح باصرار اشد للمحافظة على البقية الباقية من نفوذها ، ولاستعادة هذا النفوذ والسيطرة من جديد على الانتاج والحكم .. وهذه الطبقات تستغل كل تركة الماضى :

١ — حرمان الشعب العامل من الثقافة والعلم على المستوى الرفيع ، ولأجيال طويلة ، وندرة الكوادر العلمية والفنية والمؤهلة للقيادة الفكرية والمدربة من بين ابنائه وخاصة فى المراكز العليا فى ميادين الانتاج والسلطة نتيجة هذا الحرمان الطويل .

٢ — التبعية الفكرية التقليدية بين الغالبية من الفنيين والعلميين ، وبالاخص فى حقل الثقافة والتعليم لفكر البورجوازية وفلسفتها ، وتبعية الجهاز الفنى التعليمى بالذات لهذا الفكر تاريخيا.

تستغل الطبقات القديمة والرجعية هذه العوامل وغيرها لتتحصن فى هذه الجيوب استعدادا للانقضاض من جديد على الثورة .

ومن هنا فأى محاولة للتغيير الثورى ولازاحة سيطرة الطبقات القديمة وليتمكن الشعب العامل من القيام بدوره فى الانتاج والسياسة والسلطة يعنى بالضرورة اتخاذ خطوات موازية ومصاحبة لتغيير الصفة الطبقية للتعليم . واذا كانت المجانية خطوة هامة واساسية فى هذا الاتجاه، اتجاه صعود ابناء العمال والفلاحين الى اعلى السلم التعليمى والثقافى ، الا انها وحدها لاتكفى ، فلابد ان يتجه تخطيط التعليم والثقافة على اساس خدمة هذا الاتجاه وتدعيمه .

فأين يقع تعليمنا الخاص من هذه الخطة ؟

الحكم على التعليم الخاص ليس واحدا في جميع الظروف ، وقد ادى التعليم الحر فى تاريخنا دورا وطنيا فى ظل النظام الاستعمارى . فقد لجا اليه الشعب فى مطلع القرن لكسر الطوق الذى اقامه الاستعمار حول التعليم ، وكان افتتاح المدارس الحرة محاولة لتوسيع فرص التعليم امام ابناء الطبقات الوسطى على وجه الخصوص حينما كان مخطط الاستعمار حصره فى ابناء الطبقات الارستقراطية وحدها وفى اضيق الحدود .

اما التعليم الخاص بوضعه الراهن فقد تحول على العكس الى اداة للابقاء على امتيازات ابناء الطبقات البورجوازية وبالاخص الطبقة الجديدة، وعلى احسن الفروض ابناء البورجوازية الصغيرة فى المدن ولم يعرف طريقه ابدا الى ابناء العمال والفلاحين . وتحول الى وسيلة لافلات ابناء الطبقات القادرة من القيود التى يقيمها التخطيط التعليمى لتوجيه التعليم فى الاتجاه السليم . ويدل على ذلك ما يلى :

١ — ان التعليم الخاص كله تقريبا فى المدينة والمدن الكبرى بالذات كما تدل الاحصائية السابقة، وهو ما يعنى أنه لا يزال اداة فى يد الطبقات القديمة او التى ورثتها من ابناء البورجوازية .

٢ — وحتى القطاع الرخيص من التعليم الخاص الذى يستفيد منه ابناء الطبقات الدنيا من البورجوازية الصغيرة فهو لا جدوى منه، فاسد كل الفساد ولا يعطى عائدا تعليميا حقيقيا، اما القطاع الاخر فهو باهظ التكاليف وتتراوح المصروفات به من ٥٠ جنيها الى اكثر من ١٠٠ جنيه ، وهو فى مستوى جيد من حيث درجة الاداء فى العملية التعليمية ، ولكنه تحول الى اداة هامة فى يد الطبقات الجديدة على وجه الخصوص ليتيح لابنائها مستوى من التعليم وفرصا لدخول الجامعات لا تتاح لابناء الشعب .

٣ — والمثال الصارخ لهذا مدارس اللغات وهى اكثر هذه المدارس تكلفة ، وهى بحكم تاريخها من عهد الاستعمار كانت تعد ابناء الاقطاع والبورجوازية الكبيرة لتولى ارفع المناصب فى الدولة والانتاج ، ولايزال هذا التعليم يحقق نفس الهدف لابناء الطبقات القديمة والجديدة الثرية .

٤ — هذا القطاع المميز من التعليم الخاص والممثل فى مدارس اللغات وشركة المدارس القومية خاصة اصبح قطاعا بالغ الخطر من حيث تعميقه للفروق الطبقية وتخريبه لنفسية طلابه نتيجة عزلهم عن مجموع الشعب وتهيئة اذهانهم بحكم بيئتهم لاحتقار هذه الجموع والتعالى عليها، ويزيد من هذا الخطر ان هؤلاء الابناء بحكم وضعهم الطبقى ومراكز ابائهم الاجتماعية والفرص المتاحة لهم يهيأون لتولى مراكز حساسة فى مختلف مجالات السلطة والانتاج .

٥ — ويؤكد الحقائق السابقة ان التعليم لايتجه اطلاقا لانشاء المدارس الفنية التى تشتد الحاجة اليها ، وذلك لفداحة تكاليف هذه المدارس وصعوبة تحقيق الربح منها ، ومن جهة اخرى لعدم اقبال ابناء الطبقات الغنية على هذا النوع من التعليم وهو ما يدل على ان التعليم الخاص فى مجموعه هو محاولة للافلات من مخطط التعليم وارضاء تطلعات ابناء الطبقات القديمة والجديدة الى التعليم النظرى والعالى وحده .

٦ — ويكشف عن طبيعه هذا التعليم الطبقية وعقلية مخططى هذه السياسة من كبار الفنيين بالوزارة ، ان الوزارة حينما استشعرت الخطر على خطة التعليم واحتياجات خطة التنمية من وراء اندفاع التعليم الخاص فى اتجاه التوسع فى التعليم الثانوى العام ارضاء لتطلعات اولياء الامور، لجأت الى حظر فتح فصول الخدمات فى المرحلة الثانوية العامة واستثنت من الحظر المدارس الخاصة بمصروفات ، ومن المعروف ان فصول الخدمات التابعة للاتحاد الاشتراكى هى ارخص انواع التعليم الخاص، وطلابها من ابناء البورجوازية الصغيرة الدنيا ، بينما المدارس الخاصة الاخرى بمصروفات، فالاغلب انها باهظة الثمن، والمستفيد منها ابناء القطاعات العليا وحدهم ، ومعنى هذا ان كبار مخططى الوزارة يهتمون بفرض قيود التخطيط على ابناء الفقراء ومتوسطى الحال ويستثنون منها القادرين .

ومعنى هذا كله ان التعليم الخاص بالوضع الراهن تحول فى الحقيقة الى ورم سرطانى وانبعاج فى نظامنا التعليمى يهدد خطة التعليم كلها بالتخريب لحساب اعلى الفئات الاجتماعية واكثرها قدرة ويحقق لهم الافلات من قيودها ، وبالتالى يعمق الفروق الطبقية ويخل بتكافؤ الفرص ويؤكد استمرار سيطرة الطبقات القديمة والجديدة .

ومحصلة هذا كله ايضا ان التعليم الخاص بالوضع الراهن يهدم المبدا الاساسى فى ديمقراطية التعليم ، مبدأ المدرسة الواحدة لجميع ابناء الشعب دون تمييز . ويعود بنا الى الثنائية التى وضع اصولها كرومر ودنلوب : مدرسة للدهماء هى الالزامية او الاولية تنتهى الى جدار مسدود ومدرسة لابناء الارستقراطية ابتدائية ثم ثانوية ثم عالية . وقد ناضلت الثورة الوطنية الديمقراطية دون هوادة ضد هذه الثنائية خاصة مع تصاعد الحركة الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية واستهلها الهلالى بتقريره الشهير وبمجانية التعليم الابتدائى ، ثم محاولات دمج التعليمين الابتدائى والالزامى التى حاولها طه حسين وتحققت الى مدى ابعد بعد الثورة بتقرير المجانية العامة ، وعلينا ان ننتبه منذ الان الى المنزلق والردة التى يندفع اليها نظامنا التعليمى باستشراء ظاهرة التعليم الخاص ، وعلى الاخص التعليم المميز

الغالى الثمن ، وهو ما يعنى فى حقيقة الامر النكوص عن سياسة المجانية والغائها او تضييقها من الباب الخلفى لان جوهر نظام المصروفات هو تيسير التعليم للقادر ، وحرمان الفقير .

ومع ذلك فلا يعنى هذا ابدا ان الدولة ينبغى ان تتحمل وحدها العبء الثقيل ، وتنهض بمهمة التعليم والثقافة اعتمادا على مواردها المحدودة .. ولا شك ان عبء التعليم والثقافة فى البلدان المتخلفة عبء بالغ الفداحة الى جانب الاعباء الاخرى فى التنمية والدفاع الوطنى ... الخ .

ومشاركة الجماهير والمنظمات الجماهيرية النقابية والتعاونية والخيرية والمحلية وغيرها فى تحمل العبء الثقيل فى التعليم ضرورة فى ظروفنا الراهنة .. ولكن هذه المشاركة شىء ، واباحة الاستثمار الخاص بدافع الربح فى التعليم شىء آخر تماما .. واذا كان الميثاق ونظامنا الاجتماعى يبيح نشاط القطاع الخاص بل ويشجعه فى بعض المجالات الاقتصادية ، فلا شك ان بعض هذا النشاط يعود بالفائدة على الاقتصاد القومى ويستحق التشجيع .. ولكن لا يجب ان يخدعنا الاسم او يدفعنا الى الخلط ، فنظن ان التعليم الخاص مما يمكن ان يدخل تحت بند القطاع الخاص وتحت اشكال الكسب المشروع .. فهذا الامر فى التعليم مستحيل تماما ، الا اذا ابحنا تجارة الرقيق تحت نفس البند .. والتجارة فى التعليم دون مبالغة لا تخرج عن كونها نوع من التجارة غير المشروعة مهما احكمنا فى القوانين واللوائح . واذا كنا نغتفر للتعليم الاهلى فى مطلع القرن بعض جرائمه ، فى مقابل الخدمة التى اداها فى مواجهة مخطط الاستعمار ، فهذا فصل من تاريخنا انتهى ، وكانت له ظروفه ومبرراته ، وقد ارتفعت الصيحة قوية ضده بعد الحرب الثانية وتحقق بالفعل تأميمه ، او مايقرب من التأميم فى عهد طه حسين سنة ١٩٥١ ، فذلك شر لا يجوز ان نعود اليه .

واتاحة التعليم الشعبى ، ونحن نفضل هذا الاسم .. وحفز المساهمات الشعبية لا يعنى سوى تعبئة امكانيات الشعب المادية وموارده ، وتحريك المنظمات الشعبية والجماهيرية النقابية والعلمية وغيرها مما لا يمت الى التجارة بصلة ، فى اتجاه مؤازرة الدولة للاسراع فى تحقيق الاهداف القومية فى هذا الميدان ، وحفز الحلول الذاتية .. ويشترط ان تصب كل هذه الجهود فى اطار الخطة العامة للتعليم ، وتتمشى بدقة مع مبادئها واتجاهاتها وتسرع فى انجازها .. لا ان تؤدى الى تعميق الفوارق الطبقية وتجميدها . وفى تقديرنا أن الاهداف الاساسية التى ينبغى ان يشارك التعليم الشعبى فى تحقيقها هى التوسع بقدر الامكان فى الحضانة والتعليم الابتدائى والاعدادى والفنى والفصول الملحقة بالمصانع والمزارع ونظم تعليم الكبار .

ومن الاشكال المناسبة مشاركة النقابات والهيئات الشعبية والجمعيات الخيرية ومجالس المدن والقرى فى انشاء المدارس فى كافة المراحل المطلوبة .

ومن هذه الاشكال ايضا مشاركة الاهالى والقادرين على وجه الخصوص فى القرى والمدن والاحياء بتقديم الارض والبناء وفتح الفصول الجديدة فى المدارس القائمة وتحمل نفقاتها . ويمكن الاستفادة من هذه الطريقة فى انشاء الفصول الاعدادية فى القرى بالمدارس الابتدائية حتى تتاح للفلاحين بالذات فرصا اكبر فى مواصلة التعليم .

ومن الاشكال التى بدأت تتبناها الجماهير والمسئولين فى العديد من المدن والقرى واوصت بها ايضا مؤتمرات التعليم انشاء جمعيات تعاونية للتعليم بغير دافع الربح وتعينها الدولة وقد انشأت محافظة البحيرة على سبيل المثال جمعية تعاونية للتعليم تشرف على جميع المدارس الخاصة بالمديرية .

والتنظيم السياسى له دوره الهام فى تبنى الاشكال التى تخدم تحقيق اهداف الخطة التعليمية والاهداف القومية ، وفى تعبئة موارد الاهالى ومشاركتهم وتنظيمها . ولا شك ان الدور الذى قام به الاتحاد الاشتراكى فى افتتاح فصول الخدمات كان من ابرز ما يذكره له الناس ، على ان يبذل المزيد من الجهد للارتفاع بمستوى التعليم فى هذه الفصول ، على الا يستبدل التنظيم السياسى نشاطه السياسى بهذا النشاط الاجتماعى ، فليس هذا عمله فى الاساس ، بل دوره فى حفز الجهود الشعبية وتشجيع المبادرات الذاتية من جانب كافة التنظيمات الجماهيرية لخدمة هذا الهدف القومى .

وهناك ايضا فكرة انشاء مؤسسة عامة للتعليم الخاص بشرط الا تقوم على اساس الربح وتخضع لرقابة شعبية وحكومية دقيقة . وهو ما اتجهت اليه الوزارة فى مشروع لها عام ١٩٦٥ وطالبت به ايضا منطقة شمال القاهرة عام ١٩٦٤ .

وعلى ضوء هذا الفهم نتقدم بالاقتراحات التالية :

● تحريم الاستثمارات الرأسمالية بدافع الربح والشركات الاستغلالية فى ميدان التعليم تحريما باتا ومنع الملكية الفردية او الشركات المساهمة مثل شركة المعاهد القومية .

● تأميم جميع المدارس الخاصة وبالاخص الشركات التجارية الكبرى مثل شركة المعاهد القومية ، ودون ابطاء ، لاخلالها بأبسط مبادىء الديمقراطية ، ولخطرها الشديد النفسى والتربوى والسياسى على الابناء ولطبيعتها الطبقية الصارخة.

● تشجيع جميع اشكال التعليم الشعبى التى تقوم على تعبئة الجهود الشعبية وتحمل الاهالى القادرين جانبا من عبء تعليم ابنائهم ».

● تحقيق رقابة شعبية وحكومية على جميع هذه المنشآت ».

● خفض مصاريف المدارس الى الحد الادنى، وفى الحدود التى تتطلبها العملية التعليمية فى المستوى المطلوب ، وتحريم اى نوع من المدارس الخاصة المميزة والطبقية ».

● أن يدخل التعليم الخاص بالمفهوم الذى قدمناه فى اطار الخطة العامة ويلتزم باتجاهاتها الاساسية ».

● أن تسترد الدولة مدارس اللغات والتى استولت عليها شركة المعاهد القومية بالمجان تقريبا ، وضم هذه المدارس لوزارة التربية على ان يكون الالتحاق بها ليس على اساس الثروة بل على اساس الاستعداد والتفوق ».

● وضع قانون يحمى العاملين بالمدارس الخاصة ويضمن لهم نظاما فى المرتبات والترقيات كما يضمن حقوقهم النقابية ».

ونعتقد انه من المفيد فى المرحلة الراهنة فرض ضريبة خاصة للتعليم على الدخول الكبيرة فوق حد معين ، وتعود حصيلتها الى مجالس المدن والقرى لمعونة الجمعيات التعاونية فى التعليم او المدارس التى تنشئها الهيئات والنقابات.. فهذه طريقة اجدى فى المحافظة على وحدة المدرسة الديمقراطية من الطريق الاخر الذى يدعو الى تحميل القادرين عبء تعليم ابنائهم وينتهى فى حقيقة الامر الى تعليم طبقى مميز وصارخ .

واخيرا فاننا ننبه الى خطر كبير ، فقد برزت فى وقت من الاوقات فكرة لانشاء جامعة اهلية ، وفى رأينا انه اذا جاز التعليم الخاص فى اى مرحلة تعليمية فانه لا يجوز مطلقا فى مرحلة التعليم الجامعى والعالى لان هذا المستوى من التعليم بطبيعته باهظ التكاليف ولا يمكن توفيره مع تحقيق الربح الا بمصاريف باهظة تطبعه بطابع طبقى صارخ . وهذه الفكرة فى الحقيقة لا تخرج عن كونها محاولة اخيرة من جانب الطبقات والفئات العليا للافلات من القيد الحديدى على القبول بالجامعات وخلق تعليمها المميز واسترداد سيطرتها على هذه الجامعات او على الاقل خلق جامعات موازية اكثر تميزا من الناحية الطبقية .

ونحب ان نلاحظ فى صدد اللجنة التى تشكلت اخيرا لاعادة النظر فى التعليم الخاص ان تكوينها جاء للاسف على اساس خاطىء، فقد تشكلت من مندوبين عن شركة المعاهد القومية ونقابة المعلمين ومدير التعليم الخاص وهو فى نفس الوقت سكرتير نقابة المعلمين ايضا ، فاذا علمنا ان السيطرة فى هذه الشركة لمجموعة محدودة من نقابة المعلمين ، نستطيع ان نتبين ماذا يؤدى اليه مثل هذا التشكيل . فاللجنة بالوضع الراهن لا تعدو فى تكوينها الا أن تكون جمعية من المنتفعين . ومن الخطأ بالطبع أن توكل هذه القضية القومية الهامة وهى اعادة النظر فى نظم التعليم الخاص الى نفس الشركة الراسمالية الاستغلالية الكبرى فى هذا الميدان ، والى القائمين عليها ، بينما ينبغى ان تصبح مهمة تصفية هذه الشركة بعينها وامثالها من أولى مهام هذه اللجنة .

المناهج .. وقضية المضمون

اذا كانت مشاكل القبول وهيكل البناء التعليمى هى التى استحوذت على الجانب الاعظم من الاهتمام الشعبى والرسمى ، فان قضية المضمون والمحتوى فى التعليم ، آن لها أن تحتل مكانها وتنال الاهتمام الواجب . ولعل بعض جوانب هذه القضية اثير فى اكثر من مناسبة، خصوصا فى الشكوى من هبوط المستوى وضعف بعض المناهج فى اللغات والرياضة والعلوم على سبيل المثال. ولكن قضية المناهج من حيث محتواها الاجتماعى والتطورات التى طرأت عليها ودلالتها ، ومدى تعبيرها عن الحركة الاجتماعية ، كل هذه الجوانب ظلت بعيدة عن دائرة الرؤية ، بينما

المضمون هو بالتحديد ما يتوقف عليه الى حد كبير صياغة العقول والقلوب الجديدة .

ومن المتعذر فى هذا الحيز معالجة المناهج فى جميع المواد والمراحل التعليمية، لذلك نكتفى بتقديم بعض النماذج فحسب كمؤشرات ذات دلالة وبالاخص فى المناهج التى ترتبط مباشرة بصياغة الوعى القومى مثل مناهج اللغة القومية والمواد الاجتماعية وسنكتفى بأمثلة من المرحلة الثانوية العامة لا لانها اهم المراحل، بل لان الامور تبدو فيها مكبرة واضحة ومتميزة الخطوط .

والظاهرة الملفتة للنظر ان المناهج بالذات كانت من اكثر نواحي التعليم التى طرأ عليها التعديل والتغيير على التوالى فى عام ١٩٥٧ وفى عام ٦١/٦٢ عقب الوحدة واخيرا فيما يعرف بالمناهج المطورة ٦٨/٦٧، والسؤال الطبيعى عندئذ : الى اى مدى عبرت هذه التطورات النشطة عن التحولات المقابلة فى حركة المجتمع ومسار الثورة؟ وما هى المقاييس التى نقيس بها التغيير ومدى وفائه بالهدف ؟

الامر الطبيعى ان نقيس مناهجنا بمدى ارتباطها بحركة الثورة وبواقع حركة المجتمع واهداف هذه الحركة وابعادها . . ومن المتفق عليه، حتى لا نظلم واضعى المناهج ، ان ثورة يوليو لم تتحدد اهدافها وتتبلور بشكل حاسم منذ البداية . فقد بدأت بالمبادىء الستة ومرت بالعديد من المراحل والتعرجات . ولكنها اكتسبت وضوحا اكبر بلا شك باجراءات يوليو سنة ١٩٦١ وبميثاق العمل الوطنى وما تلاه حتى يومنا . . وتحددت معالم المرحلة باعتبارها مرحلة التحول . فأين مناهجنا من هذه الحركة ؟

المفروض ان مناهجنا على ضوء هذه الاهداف تترجم من الناحية الايديولوجية الاهداف القريبة والبعيدة للثورة . . اهداف مرحلة التحول الراهنة والاهداف الاستراتيجية البعيدة ، اهداف الثورة الاشتراكية . وهذا يعنى :

- الاهداف الوطنية الديمقراطية . اهداف معاداة الامبريالية والطبقات الرجعية والاقطاعية والرأسمالية الضالعة مع الاستعمار .

- التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية، وهى اكبر الظواهر التى عبرت عنها ثورة يوليو فى مسارها وضوحا، وهى التى اكسبتها دورها البارز بين ثورات البلدان النامية والمتحررة .

- ومعنى ذلك ان الثورة الوطنية لم تعد محدودة الافق بحدود الوطنية البورجوازية الضيقة او التعصب القومى او مجرد معاداة الاستعمار ، بل اكتسبت ابعادا اجتماعية وطبقية جديدة فأصبحت الاهداف الوطنية تنطوى بالضرورة وفى نفس الوقت على تصفية الطبقات المستغلة المرتبطة بالاستعمار، وحتمية الحل الاشتراكى والاستناد الى الطبقات صاحبة المصلحة فى التحول وهى تحالف قوى الشعب العامل وفى المقدمة العمال والفلاحون .

- هذه الابعاد تتطلب الفهم العلمى لحركة المجتمع والثورة والوعى بقوانين الحركة فى المجتمع .
- الفهم الطبقى الواضح للثورة .
- مفهوم واضح وعلمى للاستعمار والامبريالية ودلالته الاجتماعية والطبقية عالميا ومحليا .
- مفهوم الاقتصاد الاشتراكى وجذور الاستغلال .
- الفلسفة الاشتراكية والقيم الاشتراكية فى مواجهة فلسفات البورجوازية وقيم المجتمع الراسمالى .

هذا من الناحية الايديولوجية ، لكن المناهج لابد ان تعبر عن الارتباط الوثيق بين المدرسة وواقع الحياة خارجها ، وتتطور مع الحركة السريعة فى العلوم والتكنولوجيا . ولا شك ان مناهج العلوم فى مدارسنا العامة ومناهج التعليم الفنى بوجه خاص تحتاج الى فحص دقيق ومراجعة شاملة حتى تلبى احتياجات عصر الاوتوماتية والسوبرناطيقا . وكذلك تحتاج مناهجنا الثقافية العامة الى عناية خاصة حتى تتمشى مع متطلبات الصناعة الحديثة من الثقافة العريضة كأرضية ضرورية للتخصص الدقيق . وعلى اى حال فمثل هذه الدراسة نتركها للمتخصصين .

والان لنفحص مناهجنا على ضوء هذه الاهداف على الاقل من الناحية الايديولوجية حتى تتضح بعض جوانب الصورة ونتبين مدى العزلة والانفصال بين مناهجنا وواقع الحركة الاجتماعية .

فى اللغة القومية

فى جميع مناهج الدراسة الموحدة عام ٦١/١٢ والتى وضعت فى ظروف الوحدة المصرية السورية والمد الوطنى القومى العربى ، نجد العنصر القومى العربى والوطنى واضحا متميزا ، ولكنه لم يكن قد اكتسب بعد ابعاده الاجتماعية والطبقية، بمعنى انه كان لا يزال يدور فى حدود المفهوم الوطنى التقليدى ، وكان لواضعى المناهج عذرهم فى ذلك الحين لان الابعاد الاجتماعية لم تكن قد تبلورت او اتضحت بعد . ولكن الامر الغريب ان تجمد المناهج فى عام ٦٨/٦٧ عند نفس المفهوم القديم دون ادنى تغيير سوى بعض اضافات لعبارات من الميثاق .

ولنتبع ظاهرة الجمود هذه فى مناهج اللغة القومية ، وهى اخطر المناهج فى صياغة الوعى القومى :

فى توجيهات المناهج التى صدرت بها منـاهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية عـام ٦٢/٦١ نقرأ الاهداف والتوجيهات التالية :

● موضوعات القراءة تختار من الموضوعات القومية .

● موضوعات تصـوير اضرار الاستعمـار والصهيونية والمبادىء الهدامة وتجاربها فى جميع البلدان وبخاصة فى البلدان الشرقية .

● موضوعات عن النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى والعدالة الاجتماعية .

وفى توجيهات مناهج اللغة العربية المتطورة عام ١٩٦٧ تنقل نفس الاهداف والتوجيهات بالنص دون ادنى تغيير رغم كل التحولات التى تمت ما بـين سنوات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ وفى مناهج الادب العربى للسنوات الثلاث ٦١ ــ ٦٣ نجد العرض التاريخى التالى :

ــ الصف الثالث : الادبى والعلمى : العصر الاسلامى من صدر الاسلام حتى نهاية الـدولة الاموية .

ــ الصف الثانى : الادبى والعلمى : العصران العباسى والاندلسى .

ــ الصف الثـالث : الادبى والعلمى : العصر الحديث وتعالج فيه آداب الحركات الاستقلالية فى الوطن العربى واتصال العرب بالحضارة الغربية واثر ذلك فى فنون القصة والمسرح والمقالة .

وفى سنة ١٩٦٧ نجد نفس المنهج دون تغيير .

ولا غبار على هذا الاستعراض التاريخى للادب، ولكن الغريب فى الامر انه لم يطرأ ادنى تغيير فى الابعاد الاجتماعية والفهم الاجتمـاعى للادب فى تطوره وارتباطه بحركة المجتمع الا فى حدود الفهم التقليدى للادب والنقد كما عرفناه منذ مطلع القرن وبالاخص بعد الثورة البورجوازية عام ١٩١٩ .

بمعنى ان الادب ودلالته الاجتماعية لازال حبيس النظرة البورجوازية التقليدية، ولايذهب الى ابعد من ذلك خطوة واحدة . ولا نجد اثرا على الاطلاق لكل الصراعات الاجتماعية والسياسـية والفكرية التى يموج بها ادبنا المعاصر منذ الحرب الثانية على وجه الخصوص والتى تنعكس بوضوح فى الرواية والقصة والمسرح وفى الشعر الحديث . ولا تعدو القضية الاجتماعية فى اذهان واضعى المنـاهج والكتب اكثر من قضية الفقر ومضاره ، ومن هنا تأتى القطيعة بين طلابنا وشبابنا ، ومثل هذا الفهم المحدود للغة والادب والذى لا نجد فيه اثرا لا بنفسه وما يصطرع حوله من تيارات ومعارك .

ولناخذ نموذجا لهذا كتاب الادب والنصـوص والنقد والبلاغة للصف الثالث الثانوى، اى للطالب الذى يقف على ابواب الجامعات او الحيـاة العامة . والكتاب يعرض للنزعات التحـررية فى الادب المعاصر ونمو الوعى القومى وللتيارات المختلفة فى الادب فى هذا العصر وهى لاتخرج عنده عن التيار السياسى ولا يتجاوز الحديث فيه عن ثورة سـنة ١٩١٩ ومأساة دنشواى، ووفاة مصطفى كامل ومحمد فريد ... الخ . والتيار الاجتماعى ويتضمن الدعوة لحرية الراى فى اطار الافغانى والكواكبى ولطفى السيد ، والدعوة الى تعليم البنت وقضية تحرير المراة ، وآخرها المشكلات الاجتماعية مثل الفقر كما يراها المنفلوطى وفى شعر حافظ والرصافى ثم ظهور الدعوة للعدل الاجتماعى فى قصيدة شـوقى « الاشـتراكيون انت امامهـم » ويقف الادب الاجتماعى فى نظر واضعى المناهج عند هذه المرحلة ثم يقفز فجاة الى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

وفى الابواب التى يعرض فيها للشعر وخصائصه فى العصر الحديث لا يعترف بالشعر الجديد . وفى النثر المقـالة والخطـابة والقصـة والمسرحية بأوصافها التقليدية . اما التيارات التى تصطرع فوق خشبة المسرح وكلما يمثله ادباء كبار معاصرين مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الـرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور وغيرهم فهو غريب عن المنهج تماما ، والادب هو مجرد ادب المنفلوطى والرافعى والمازنى والبشرى الخ .. ومن الطبيعى ان يجد الطالب نفسه غريبا عن هذا المنهج، غريبا على لغته القومية التى يعرفها فى حياته بطريقة اخرى .

والواقع ان معالجة اللغة القومية لايزال يدور فى الاطار الذى عرفناه بعد ثورة سنة ١٩١٩ وفى الثلاثينات والاربعينات ،ويقف عند حدود المرحلة الوطنية ولا يخطو خطوة واحدة فى اتجاه الفهـم الاشتراكى والاجتمـاعى والطبقى على وجـه الخصوص .

فى المواد الاجتماعية

فى اهداف وتوجيهات مناهج ٦١ ــ ٦٢ نجد الطابع الوطنى والقومى واضحا :

● فهم التلاميذ لاهم الظواهر فى مجتمعهم فى اطاره العربى والعالمى .

● التعرف على أهم مصادر الثروة فى بلادهم ووسائل الافادة منها والمحافظة عليها .

● اعتزاز التلاميذ بقوميتهم العربية وامجاد العروبة فى ماضيها .

● الصراع ضد الدول الاستعمارية .

● الخطر الذى يهددكيان العالم العربى من قيام دولة دخيلة عميلة كاسرائيل والعمل على تثبيت مبدأ « بلاد العرب للعرب » .

● الوحدة القومية بين اجزاء العالم العربى .

● تثبيت اسس النظام الديمقراطى .

ولا شك ان هذه الاهداف والاسس الوطنية دعامة هامة للمنهج تقف عند حدود المرحلة الوطنية كما عرفناها فى بداية الثورة ، وعلى اكثر تقدير فى حدود المبادىء الستة المعروفة ، ولكنها لا تستطيع ان تعبر عن التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية وهى السمة البارزة للثورة خاصة بعد سنة ٦١ ، ٦٢ ولا تتقبل كل المفاهيم الاشتراكية والابعاد الاجتماعية والطبقية التى برزت بعد ذلك . ومن هنا نجد ان مناهج المواد الاجتماعية تقف عند مناهج ٦١ ، ٦٢ ولا نجد اثرا لاى تغيير فى المناهج المطورة سنة ١٩٦٧ .

واذا طالعنا تفصيلات مناهج ٦١ — ٦٢ فى التاريخ وهى المقررة حتى اليوم نجد :

ــ الصف الاول الثانوى : وهو المنهج الاخير فى التاريخ لطلاب المرحلة الثانوية غير القسم الادبى ــ يعرض هذا المنهج للتاريخ المعاصر فى العالم من بداية عصر النهضة الاوروبية ثم الانقلاب الصناعى ونمو الحركات القومية فى أوروبا والثورة الفرنسية والامريكية ثم الاستعمار .

ــ الصف الثانى الادبى : تاريخ العالم العربى وحضارته فى العصور القديمة والمتوسطة اى التاريخ الاسلامى .

ــ الصف الثالث الادبى : تاريخ العرب الحديث والمعاصر منذ العهد العثمانى ثم الاستعمار الاوربى والحركات الوطنية فى العالم العربى منذ الحرب العظمى الاولى ثم الثانية .

وهذه المناهج فى الواقع هى نفس المناهج التى عرفناها فى مدارسنا فى الاربعينات قبل الثورة . والملاحظة الملفتة للنظر انها لا تستطيع ان تلفت من اطار الثورة القومية البورجوازية ونهايتها فى نظر واضعى المناهج هما الثورتان الفرنسية والامريكية .. وهذه الثورات هى نهاية المطاف وتغلق الابواب تماما عن الحركة الثورية فيما بعد ذلك وبالاخص الثورة الاشتراكية العالمية وكل صراع العصر الذى نعيشه اليوم . ومن هنا يأتى اى كلام عن الاشتراكية وعن الاستعمار يرد فى المناهج والكتب سطحى ودون تأصيل ولا فهم لجذوره الاجتماعية والتاريخية فى حركة التاريخ نفسها .. وتقف المناهج فى انفصام عن واقع الصراع الدائر اليوم وعن حقائق الثورة العالمية والمحلية ومضمونها الاشتراكى .

ولان مناهجنا لا تنفتح اصلا على حقائق عصر الاشتراكية والثورة الاشتراكية فان اى معالجة للتاريخ تدور بالضرورة فى اطار الفهم البورجوازى التقليدى لحركات التاريخ باعتباره تاريخ افراد او امم دون اى تأصيل طبقى او فهم للجذور الطبقية والاجتماعية لحركة التاريخ وهو جوهر الفهم الاشتراكى العلمى للتاريخ والاساس الوحيد لبناء وعى ناضج .

ونختار من كتب هذه المادة فى هذه المرحلة : تاريخ العرب الحديث للصف الثالث الثانوى الادبى فى معرض الحديث عن اليقظة القومية فى المجال الدولى بعد الحرب الثانية ، يتحدث الكتاب عن موقفنا من العالم الخارجى ويصور الكتلتين على قدم المساواة تماما ، كلاهما يسعى الى اخضاع الشرق لمصالحه . فروسيا احتلت شرق أوربا وحولت دولها الى توابع خاضعة ، وكونت امريكا حلف الاطلنطى ليقف فى وجه الحركة التوسعية للاتحاد السوفيتى ، وهكذا يتكفل كتابنا بنقل حجج امريكا فى انشاء الاحلاف العسكرية وقواعدها العسكرية التى ذقنا طعم نيرانها فى الجزائر وفى حرب السويس وفى العدوان الاخير ! !

ويزيد الكتاب المسألة تأصيلا فيقول ان العرب اذا كانوا يتوجسون من الغرب لتاريخه معهم فالاتحاد السوفيتى من الجهة الاخرى يلعب باصابعه فى السر والعلانية فى البلدان العربية ! !

ويزيد التأصيل تأصيلا فيقول ان محاولة روسيا التدخل فى شئون الدول العربية ليست جديدة ، فقد رأينا روسيا كانت طرفا دائما فى المسألة الشرقية ، ودابت على تقويض الدولة العثمانية ، وناصبت دولة محمد على العداء لمحاولة اقامة دولة عربية قومية فى الشرق ، وعندما قامت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ حاولت ان تندفع بأبواقها من ناحية القوقاز الى البلدان العربية . والمؤلف لا يستطيع ان يتبين ادنى فارق بين روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتى الاشتراكى ! !

مناهج الجغرافيا

ومادة الجغرافيا لا تقل خطورة . وهى فى الواقع

محصلة عديدة من العلوم الطبيعية والاقتصادية والسياسية ومصدرهام للفهم والوعي الاجتماعي. فماذا تقدم مناهجنا التي لم تتغير من سنة ٦١ — ٦٢ الى ٦٨/٦٧ :

— الصف الاول الثانوي : يشمل المبادىء العامة في الجغرافيا ، ثم جغرافيا البيئات الاستوائية والصحراوية والرعوية والغابات المدارية والبيئة الساحلية والزراعية والصناعية .

— الصف الثاني الادبي : ويعالج جغرافية الدول الافريقية والاسيوية ذات الصلة بمصر

— الصف الثالث الادبي : ويعالج جغرافية العالم العربي من حيث موارده الطبيعية وتكامل اقتصادياته .

ونجد اثر الفهم الطبيعي للجغرافيا ، اي اثر البيئة الطبيعية في حياة الانسان — وهو جانب صحيح بالطبع — واضحا بارزا ولكنه لا يستطيع ان يفلت من اطار الفهم البورجوازي ، ويرى الجانب الاخر من الصورة وهو اثر النظم الاجتماعية في هذه البيئات ، فالبيئات الاستوائية او الصحراوية او الرعوية .. الخ لها اثرها الاكيد في حياة الانسان ، ولكن من الخطأ تصور ان هناك بيئات زراعية او صناعية بطبيعتها ، كما تصور المناهج والكتب ، او ان الانسان يظل اسير بيئاته الطبيعية .

ولقصور الفهم للجذور الاجتماعية والطبقية للاستعمار لا تستطيع المناهج ولا الكتب في مادة هامة مثل الجغرافيا ان تعطى صورة حقيقية لابعاد النهب الاستعماري لموارد هذه البيئات وللبلدان الاسيوية والافريقية .

وفي كتاب الجغرافيا الطبيعية والبيئات للصف الاول الثانوي نجد تجسيدا لهذا الفهم المحدود للاستعمار وطبيعته . فالكتاب يتحدث عن البيئة الاستوائية ويعطى مثالا لها حوض الامزون وتوفر المطاط به .. ثم يتحدث عن شركة فورد — لا كنموذج للاحتكارات العالمية المستغلة — وصراعها مع شعوب امريكا اللاتينية ، بل يقدم الشركة وكأنما تقوم بالاعمال الخيرة في البرازيل .

ثم يستطرد الكتاب في وصف البيئات .. البيئة الصحراوية ومنها الجزيرة العربية . وبدلا من ان يقدم صورة للنهب الاستعماري للبترول العربي يعطى الصورة المناقضة التي يفهم منها ان البترول اصبح مصدر رفاهية لمجموع الشعب .. ولا كلمة واحدة عن دور هذه الشركات الاحتكارية الامريكية وعلاقتها بكل المعركة التي نخوضها .

ثم ينتقل الى البيئة الصناعية فيحدد عوامل قيام الصناعة وهي توافر المواد الخام والقوى المحركة والايدي العاملة والاسواق ، ويقول ان الدول الصناعية (وليست الدول الاستعمارية) تنافست في السيطرة على الاسواق الخارجية ، ويفهم الطالب ان السيطرة من طبيعة اي مجتمع صناعي بصرف النظر عن نظامه الاجتماعي ، ثم يشير الى ان المنافسة في الاسواق الخارجية تعتمد على خفض اسعار السلع دون كلمة واحدة عن دور الاحتكارات الامبريالية ، والسياسة الاستعمارية في السيطرة على الاسواق ومنع المنافسة والقضاء على حرية التجارة .. ويخرج الطالب من هذا المنهج الدسم دون ادنى فهم لطبيعة الاستعمار وابعاد النهب الاستعماري لبلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية المعنية بالدراسة .

وفي حديثه عن راس المال كشرط ضروري في قيام الصناعة يصور الامور كما لو كان قيام الشركات المساهمة على الطريقة الراسمالية هي الطريقة الوحيدة لقيام الصناعة ، ولا نجد اثرا للتعارض بين النظم الاجتماعية في طريقة تجميع المدخرات او توفير رؤوس الاموال اللازمة وبذلك يقدم النظام الراسمالي دون وعى على انه النظام الوحيد الطبيعي .

ويتحدث عن البيئة الصناعية ومشاكلها دون ان يتبين ادنى فارق بين المجتمع الصناعي الراسمالي والمجتمع الصناعي الاشتراكي .. فلا اهمية لاختلاف النظم الاجتماعية .

مناهج المجتمع العربي

وهي المناهج التي تعالج القضية الاجتماعية معالجة مباشرة . ومن الطريف الا يطرأ على هذه المناهج اي تغيير منذ مناهج سنة ٦٢/٦١ .

والسمة الغالبة على المنهج الذي يدرس في جميع صفوف التعليم الثانوي انه يعالج المشكلات الاجتماعية مفككة متفرقة ، ولا اثر لربط الظواهر الاجتماعية او لفهم علمي لحركة المجتمع البشري .

— منهج الصف الاول : يعرض لمجتمع ج.ع.م من حيث تكوين الاسرة والنشاط الاقتصادي العادي من انتاج وتسويق واستهلاك والنشاط التعليمي والثقافي والخدمات الاجتماعية الاخرى وينتهي ببيان ترابط الظاهرات الاجتماعية في اطار مفاهيم علم الاجتماع البورجوازي .

— منهج الصف الثاني العلمي والادبي : والهدف منه دراسة المفاهيم الاساسية السائدة : المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني والاتحاد القومي (ثم اصبح الاتحاد الاشتراكي) وتحديد الملكية الزراعية ، ومعنى القومية العربية والاسرة العربية والمدرسة العربية ثم دراسة بعض الاتجاهات

الاقتصادية الحديثة فى المجتمع العربى وخاصة الاصلاح الزراعى وتأميم الشركات والتصنيع .

ـ وفى منهج الصف الثالث الادبى والعلمى : النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى وفوائده، ثم الاتحاد القومى نظامه وفوائده، وهكذا تعرض النظم الاجتماعية من نوع البضائع ذات الفوائد والمضار ، وليست ظواهر ذات جذور فى المجتمع وتعبير عن مصالح طبقات ومراحل معينة فى التطور الاجتماعى .

ونقف عند هذا الحدونكتفى بما قدمناه كنماذج فقط ، والمناهج الاخرى لا تقل خطرا سواء فى الفلسفة او علم الاجتماع او الاقتصاد ، وكذلك فى العلوم والرياضة وهى تحتاج الى دراسة مستفيضة .

وهذا الاستعراض السريع لشريحة ضيقة فحسب من كتلة المناهج تكشف لنا عن خطوط واضحة :

● العنصر البارز فى المناهج منذثورة يوليو هو العنصر الوطنى والقومى العربى والتأكيد على السياسة السلامية والتحررية والعداءللامبريالية .

● وهناك محاولات جادة للربط بين المناهج والحياة المدرسية والحياة خارج المدرسة ويعبر عن ذلك ادخال بعض المواد الجديدة مثل مادة المجتمع العربى والاجتماع والاقتصاد ... الخ .

● ومع ذلك فهناك انفصام حقيقى بين مناهجنا فى مجموعها وحركة مجتمعنا الثورية، وذلك لانها تقف عند حدود المرحلة الوطنية او حدود المبادىء الستة كما ذكرنا ولا تستطيع ان تتحرك مع حركة المجتمع الثورية فيما تلاها من مراحل ، ولا تستطيع ان تتعرف على حقائق العصر على نطاق العالم او على نطاق الثورة القومية العربية ، وهى حقائق الاشتراكية بابعادها الاجتماعية والاقتصادية والطبقية . . ومن هناتعجز مناهجنا والكتب الدراسية عن ان تعطى للتلميذ وعيا مؤصلا لقضايا العصر او لقضايا القومية ولا تستطيع ان تفلت من اطار المفاهيم البورجوازية والرجعية ، ويأتى الكلام عن الاشتراكية والثورة والطبقات مجرد عناوين ولافتات بلا مدلول حقيقى .

والعلة الحقيقية فى هذا كله ليس سوء القصد فى الاغلب من جانب واضعى المناهج او مؤلفى الكتب ، وليست القضية هى عداء هؤلاء الفنيين او المؤلفين للاشتراكية ، بل هو العزلة القائمة بين التعليم ورجاله وبين الثورة ، وافتقاد الحركة الجماهيرية المنظمة والواعية بين المعلمين بسبب الاوضاع السياسية العامة فى البلاد وفى نقابة المعلمين بوجه خاص .. ذلك ما يعزل بجدار سميك بين المعلمين والقيادة الثورية ، ويمنع تكوين تيار ثورى حقيقى بين المعلمين .. وفى مثل هذه الاوضاع لابد ان تستمر السيطرة للفلسفات والمفاهيم القديمةالاقطاعية والراسماليةوالمتخلفة على عقول الكتلة الكبيرة من المعلمين والفنيين فى وزارة التربية والتعليم ، وهى الاوضاع التى مكنت ايضا للمدرسة الامريكية فى التربية والتى تتمثل فى كليات التربية والمعلمين وبعض كبار الفنيين بالوزارة فى ان تستمر فى ممارسة نفوذها والسيطرة على مقدرات التعليم والثقافة .

والتغيير الجذرى للمناهج والكتب يتطلب بالضرورة خلق تيار ثورى وحركة نشيطة بين المعلمين ،وتغيير شامل فى القيادات النقابية والفنية والادارية ، كما يتطلب المساهمة المباشرة لممثلى التنظيم السياسى فى عملية التغيير، ذلك مايربط بين الثورة والمضمون فى التعليم ويحرك المناهج الجامدة .

وحتى الان فاننا فى الحقيقة عالجنا المناهج فى اطار هيكل نظامنا التعليمى الراهن واهداف مرحلة التحول ، ولم نعرض للتغيير المطلوب على المدى البعيد فى ضوء الفلسفة الاشتراكية . فجوهر الفلسفة الاشتراكية فى التربية يستند الى مفهوم العمل المنتج ، بمعنى ان العمل هو مصدر القيمة فى المجتمع الاشتراكى ، وهو ايضا مصدر القيم فى الحياة المدرسية . والمصنع هو النموذج الاعلى للمدرسة ، والمدرسة هى الامتداد الفكرى للمصنع وهذا الفهم يتطلب انقلابا شاملا فى نظامنا التعليمى والاخذ بنظام التعليم البوليتكنيكى المعروف فى جميع البلدان الاشتراكية والذى يقوم على اسس الربط بين المدرسة والمصنع ، والتركيز على دراسة العمليات الانتاجية والمهارات الاساسية اللازمة فى الصناعة والتدريب العملى بالمصانع كجزء من خطة الدراسة نفسها مما يخلق روح الاحترام والحب للعمل ويوصل القيم الاجتماعية ويردها الى جذورها .

والاخذ بمثل هذا النظام لا يزال امامه شوط بعيد ، وحتى نقترب من مثل هذا الهدف لابد ان يزيد اهتمام مناهجنا وخططنا الدراسية لكل ما يربط بين المدرسة والمؤسسات الصناعية وغيرها التى تعيش حولها .. وكان لابد من التركيز على كل ما يرفع من قيمة العمل ، ويربط الفكر بالعمل ويوعى الطالب بالخطوط العريضة لعمليات الانتاج والمهارات الاساسية المطلوبة .

قضية المعلم .. والنقابة

قضية المعلم هى حجر الزاوية فى اى تطوير ثورى للتعليم ، تلك حقيقة اولى واولية ينبغى ان تقرر . ومهما كانت محاولات الاصلاح فى المناهج او الكتب والامتحانات وغيرها فان مآلها الى لا شىء دون القوة المنفذة لها .. ودون البدء بالمعلم وكسبه لقضية الثورة . والامر يتطلب تغييرا جذريا وبعيد المدى فى اوضاع المعلمين الراهنة المادية والادبية ، ودون هذا التغيير ، ودون ان يحس المعلم بالمعالجة الجادة لقضيته فان اى سياسة تعليمية مهما بلغت سلامتها مآلها الى فشل ذريع .

وقد اصاب قضية المعلم نتيجة تراكمات السنين ، الكثير من التعقيد ، فلم تعد مقصورة على مظاهر عجز المعلم عن تحقيق رسالته على الوجه الاكمل ، بل اصبح جزء من القضية ايضا الصعوبة البالغة فى جذب دماء جديدة وشباب صالح لهذه المهنة .

ويعترف بذلك احد وكلاء الوزارة فيقول : « المشكلة هى العزوف المستمر للابتعاد عن مهنة التدريس لانها مهنة صعبة ، تحتاج الى استعداد خاص ، والعاملون فيها رغم انهم يقومون باهم عملية استثمارية لاعداد الجيل المثقف ، الا انهم من اكثر موظفى الدولة تخلفا من ناحية الدرجات والامتيازات » .

ومما يلفت النظر ان كشوف القوى العاملة تضمنت رغبات عشرة الاف متخرج من الجامعة خالية من اية رغبة للتدريس . ولقد كتبت عميدة كلية البنات الى الوزارة تشكو ان السنة التربوية النهائية التى تعد لتخريج معلمات لم يعد عليها اى اقبال . ان هذه الظاهرة المثيرة حقا تدعونا بالحاح الى العمل الجاد والسريع لتغيير الاوضاع الشاذة للمعلمين .

ولسنا بحاجة الى ان نقيم الدليل المادى على تخلف المعلمين عن زملائهم فى مجموع الوزارات الاخرى ، فقاعدة الهرم عريضة واسعة (الدرجات الدنيا) ، اما القمة فضيقة تكاد تختنق (الدرجات العليا) جدول رقم ١ . ويوضح (جدول رقم ٢) مدى تخلف المعلم عن زميله فى الوزارات الاخرى من حيث بقائه مددا طويلة فى الدرجة الواحدة .

فلو القينا نظرة على حركة الترقيات الصادرة فى ديسمبر ١٩٦٧ فى وزارة التربية وفى مجموع الوزارات الاخرى لوجدنا ان المعلم فى الدرجة السابعة امضى ثمانى سنوات حتى ذلك التاريخ ولم يرق بعد ، فى حين ان زميله فى الوزارات الاخرى ، وفى نفس حركة الترقية اى فى ديسمبر ١٩٦٧ رقى الى الدرجة السادسة بعد اربع سنوات فقط . وهكذا لو تتبعنا الجدول لاتضح بجلاء مدى تخلف المعلم عن زميله بوظائف الدولة الاخرى .

ولا شك ان كل تاخير فى تصحيح هذه الاوضاع يضاعف من المشكلة ، ويلقى بظلاله على جهد المعلم وعمله . ونود ان نشير الى ان الالتزامات المالية المترتبة على تحسين هذه الاوضاع لا تكلف الميزانية عبئا كبيرا بعد القرار الوزارى بالاقتصار على علاوة واحدة فى العام حتى فى حالة الترقية الى درجة اعلى . وهنا نتقدم ببعض الحلول كعلاج سريع لهذه القضية المزمنة واضعين فى الاعتبار الظروف التى تجتازها بلادنا ومسئوليتنا جميعا فى حشد الطاقات للمعركة :

١ ـ العودة الى تنفيذ القرار الوزارى الصادر عام ١٩٦٦ والذى يقضى باتمام الترقيات فى الوزارات المتقدمة على نصف الدرجات فقط ويحول النصف الباقى للوزارات المتخلفة ومنها وزارة التربية والتعليم ، وذلك حتى يتحقق نوع التوازن بين موظفى الدولة عموما .

٢ ـ مراعاة المدد التى قضاها المعلمون فى الدرجات السابقة عند الترقية .

٣ ـ تحديد حد اقصى للبقاء فى الدرجة .

٤ ـ تقرير نسبة مئوية للدرجة الاولى وما فوقها .

٥ ـ فى الانشاءات الجديدة يراعى التنظيم الهرمى وان تنشأ الدرجات فى كافة المستويات .

٦ ـ تحقيق العدالة فى توزيع الدرجات خصوصا العليا بين موظفى الديوان وبين العاملين فى الميدان داخل وزارة التربية والتعليم نفسها .

ويجب ان نؤكد فى هذا الصدد انه يكفى ان يشعر المعلم بجدية المعالجة والمحاولة، ولاشك ان جمهور المعلمين لا يتوقع ولا يطلب ان تصفى كل تركة الماضى فى ضربة واحدة ، ولكن المشكلة انه لا يحس حتى الان الا بالكثير من الاقوال ، وعلينا ان نبدأ بالعمل ولو المحدود ، الذى يفتح له بابا للامل، ولابد ان نضع فى الاعتبار على المدى البعيد الجوانب السياسية لهذا الموضوع فلا زالت قضية كسب المعلمين للثورة الاشتراكية قضية خطيرة تلعب عليها الرجعية بكل طاقاتها . ولا ينبغى ان ننسى ان كسب المعلمين للثورة البورجوازية عام ١٩١٩ وخاصة معلم المرحلة الاولى كان من العوامل الهامة فى نجاح الثورة فى تحريك جموع الفلاحين وقيادتهم . ولا شك ان المعلمين من اكثر فئات البورجوازية الصغيره ثورية وقربا للطبقة العاملة، ولا يعدو وضعهم الطبيعى عن كونهم عمالا ذهنيين، فهم اكثر فئات المثقفين قربا الى الطبقة العاملة وايديولوجيتها وذلك بحكم طبيعة عملهم ، ومن هنا كان كسبهم للاشتراكية قضية سياسية بالدرجة الاولى ، وقد حرص الاستعمار والرجعية بوعى وتخطيط على حرمان المعلمين من حقوقهم النقابية ومن انشاء نقابة لهم لهذا السبب بالذات وهو الخوف من التحام حركتهم بحركة الطبقة العاملة والجماهير الشعبية .

النقابة

صدر قانون النقابة قبل الثورة بعد كفاح مرير للمعلمين ابرزه اضراب المعلمين سنة ١٩٥١ ، ولكن القانون لم يوضع فى التنفيذ الا سنة ١٩٥٥ . وبحكم الظروف التى صاحبت تنفيذ القانون منذ البداية سيطرت على النقابة جماعة من النقابيين المحترفين ، وبعضهم له تاريخ طويل فى تخريب تحركاتهم لحساب السراى واحزاب الرجعية . وبشكل عام فان الفكر الرجعى المتخلف كان منذ بداية انشاء النقابة له السيطرة الكاملة على معظم قادتها ، وذلك هو محصلة كل العوامل التاريخية والمخططات الرجعية التى كانت تحرص على ضرب حركات المعلمين ومطاردة الفكر التقدمى فى صفوفهم للابقاء على هذه الكتلة الهائلة من المثقفين وذات النفوذ البعيد فى المدينة والقرية فى قبضة الرجعية ، واستمرار هذا الوضع ادى الى نتائج خطيرة فى ميدان التعليم وفى الحقل الوطنى بشكل عام .

كل ذلك ادى بشكل طبيعى الى تجميد الاوضاع فى وزارة التربية والتعليم من حيث عجز الوزارة عن مواكبة التحولات التى طرات على الحركة الثورية وخاصة بعد سنة ١٩٥٦ وجمود التعليم خاصة فى مناهجه والتدهور الواضح فى مستوى التعليم والعائد من العملية التعليمية .

وكعلاج مباشر للوضع الحالى نتقدم بالاقتراحات الاتية :

● الحاجة السريعة الى اجراء انتخابات سريعة للنقابة فى جو جديد من الحرية النقابية لتغيير التشكيل الحالى من القاعدة الى القمة .

● الاهمية الكبيرة لنشاط التنظيم السياسى فى صفوف المعلمين وبهدف احداث تغيير له وزنه فى تركيب مجلس النقابة على غرار الدور الذى لعبته العناصر المتقدمة فى احداث التغيير فى نقابات المحامين والصحفيين على سبيل المثال .

● توفير الضمانات الحقيقة للحرية النقابية والسياسية له اهمية قصوى لابعاد الرئاسات الرجعية فى الوزارة عن احتلال مراكز القيادة ايضا فى النقابة عن طريق ممارسة التهديد والتخويف ولابد ان يتكون مجلس النقابة فى الاساس من المعلمين حملة الطباشير على حد التعبير المعروف فى اوساط المعلمين .

● وتطوير النقابة يرتهن بالقضاء على التفرقة الطائفية فى صفوفهم وبالاخص بقسمتها الى فئتى أ ، ب ولكن تصفية اثار الطائفية بين المعلمين تحتاج

الى وقت وقيادة سياسية واعية ولا يجوز ان يأتي مباشرة بقرارات علوية لان له تاريخ طويل وجذور .

● وعلى اية حال فان تحقيق الديمقراطية في النقابة وتمثيلها للمعلمين تمثيلا صادقا يرتبط بتعميق الديمقراطية وتوسيعها وممارستها في جميع الحالات والمستويات . وتحتاج الى الكوادر الثورية النشطة بين المعلمين .

في الجهاز المنفذ

وانطلاقا مما ذكرناه عن قضية المعلم والنقابة فان اية محاولة لاصلاح بعيد في التعليم لا بد ان يقوم على اساس مقرطة الجهاز المنفذ سواء في اقسامه الفنية او المالية والادارية، بمعنى الارتكاز الى جماهير المعلمين كنقطة بدء واعتبار كلمتهم هي الاعلى في شئون التعليم والادارة ، وتنظيم الجهاز الفني والادارى بحيث يتيح اكبر فرصة لمشاركة المعلم من خلال المنظمات النقابية والسياسية في ابداء الراى والتنفيذ والرقابة .

الجهاز الفنى

وجهازنا التعليمى اصبح يملك رصيدا من الكوادر الفنية القيادية في مستوى علمى وعلى درجة من الخبرة والمران لا بأس بها ، ولكن هناك عيب اساسى في القيادات الفنية :

● منها العيب الذى يحد من فعالية هذه القيادات هو عزلتها في الغالب عن العمل السياسى وانحصارها داخل الاطار الفنى بمعناه الضيق مما يوقعها فريسة سهلة للفكر الرجعى ويعجزها عن ملاحقة التطورات الثورية في المجتمع .

ولاصلاح هذا الجهاز نقترح :

● اعادة النظر في مناهج كلية التربية وارسال بعثات في فلسفة التربية واصولها الى البلدان الاشتراكية لفتح نافذة على الفلسفة الاشتراكية في التربية وهى الفلسفة المجهولة عندنا تماما .

● اشراك المعلمين في جميع الاعمال الفنية من جميع المستويات ابتداء من المدرسة حتى الاجهزة الفنية العليا ، وذلك بانشاء مجلس للمدرسين في كل مدرسة له صلاحياته الى جانب الناظر ، وكذلك اشراك مندوبين عن المعلمين عن طريق النقابة والتنظيم السياسى في وضع المناهج والكتب والاشراف عليها .

● اصدار مجلة تربوية حديثة بقيادة واعية بدلا من مجلة الرائد وغيرها من مجلات التربية الرجعية .

في الجهاز الادارى والمالى :

وهو من اكثر الاجهزة تخلفا بوزارة التربية والتعليم وبالاخص في ديوان الوزارة ، هناك تراث عريق من الروتين والعقلية المادية للمعلمين والتى تستمد جذورها من السياسة الاستعمارية القديمة ، ولذلك فاى محاولة لتحسين الظروف المادية للمعلمين والفصل في شكاواهم تتطلب اولا وقبل كل شيء تغييرا شاملا في هذا الجهاز البناء من قياداته حتى الكتبة الصغار .

ولاصلاح هذا الجهاز نقترح :

● تغييرا كاملا للعاملين ببعض اقلام شئون العاملين خاصة بالديوان مثل قلم التسويات والترقيات على سبيل المثال .

● اشراك النقابة (بعد اصلاحها بالطبع) اشراكا مباشرا في الرقابة على اعمال الاجهزة الادارية وخاصة جهاز شئون العاملين .

● اشراك النقابة في الرقابة على اعمال التنسيق،

وبعد هذا العرض الطويل ، فاننا نحس بأن قضايا التعليم من الضخامة والتشعب بحيث تحتاج الى تضافر العديد من الثوريين للدراسة المستفيضه والشامله .. وما حاولناه هو مجرد طرح نقاط للتفكير ووضع الخطوط العريضة والمنهجية التى يمكن ان ينظر من خلالها الى الامور . ولا شك ان القضايا التفصيلية العديدة التى تفرض وجودها دائما يمكن ان تحل بكثير من اليسر اذا راعينا المبادىء العامة والاسس .

وسنقدم بعض المشكلات على سبيل المثال لا الحصر حتى تكمل الصورة من حيث المبادىء والتطبيق .

مشكلات .. نماذج .. وحلول

وعلى الرغم من ان الحيز المتاح ، والمنهج الذى التزمناه يفرض علينا الوقوف عند المبادىء والاسس دون الخوض فى التفاصيل .. الا ان هناك بين القضايا العملية والملحة ما يفرض نفسه فرضا ، ويبدو الكلام دون معالجتها ناقصا مبتورا .

فهناك سوء النتائج وضعف العائد من التعليم ، وهناك مشاكل الدروس الخصوصية ، وكتب الملخصات المدرسية التى تغرق الاسواق ، والشكوى من ضعف المستوى خاصة فى اللغات ، والشكوى الدائمة من ارتفاع نسبة الغياب وهبوط الانتاجية بين المدرسات .

وبالطبع قائمة المشكلات لا تنتهى ، ولعل اخطر هذه المشاكل هي مشكلة الدروس الخصوصية التى تمس مبدأ تكافؤ الفرص وتثبت التمييز الطبقى فى التعليم . والحقيقة ان نتائج الامتحانات عندنا وبالاخص الاساسية منها ، مثل مسابقة القبول للاعدادى والشهادة الاعدادية والثانوية العامة تتوقف فى المحل الاول لا على ذكاء الطالب او اجتهاده بل على قدرة الابوين المالية ، والقدرة على الانفاق على الدروس الخصوصية .

والمشكلة معقده ومتشابكة ، فهى اولا تعبير عن عجز المدرسة وقصورها وتدخل تحت هذا البند العديد من الاسباب ، وهى ثانيا وجه من اوجه الوضع المادى للمعلم ، وهى ثالثا تعبر عن اضطراب التوجيه المدرسى ، واندفاع اولياء الامور الى حشر ابنائهم حشرا فى انواع من التعليم قد لا تلائم استعدادهم وميولهم ... الخ هذه الاسباب .

وقد لجأت وزارة التربية الى سلاح الاجراءات ، فحرمت الدروس الخصوصية الا بتصريح خاص من المدرسة ، ولم تجد الاجراءات فتيلا واستشرت الدروس كما تستشرى السوق السوداء .

والواقع ان الحلول البعيدة لمثل هذه المشاكل يتوقف على تغيير اوضاع المعلم المادية ومستوى اعداده وتخفيف عبء الجداول ونصاب الدروس وغيرها . وكحل مباشر لا بد من التوسع الى اقصى حد فى تنظيم فصول المتخلفين وتوفير اقدر المدرسين لها ، وكذلك نظام المجموعات الصغيرة للضعاف وباجر زهيد تحت اشراف المدرسة .

وكذلك من المفيد دراسة نتائج التجربة التى تمت هذا العام وهى مساهمة الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى تخصيص حيز لمعونة الطالب وشرح الدروس . وتستطيع جمعيات الاباء والمدرسين ان تؤدى دورا كبيرا فى هذا الشأن بدلا من اعتبارها مجرد مورد للدخل للانفاق على المظاهر والحفلات .

ويرتبط بهذه المشكلة ارتباطا مباشرا قصة سوء النتائج وضعف العائد من التعليم . والاسباب بالطبع هي نفس الاسباب الدافعة الى انتشار الدروس الخصوصية . ويرجعها البعض الى اسباب فنية بحتة من ازدحام الفصول وضعف التجهيزات المدرسية والامكانيات وسوء اعداد المعلم وغيرها من الاسباب الفعلية وكلها ذات اثر ، ولها اهميتها الكبيرة ، ولكن نحب ان ننبه الى اهمية العامل السياسى وخطره .. فستظل مدارسنا وجامعاتنا مزدحمة وفقيرة التجهيز والاعداد ولن يتوفر بها العديد من اجهزة التعليم المتقدمة ... تلك ضريبة الفقر والتخلف لا حيلة لنا بها ، ولكن سيظل المعلم .. سيظل الانسان هو الذى يعوض النقص المادى ويصنع المعجزات ، ويخلق كل شيء من لا شيء ، لو وعى دوره وكسب للثورة واندفع فى تيارها . ان التنظيم السياسى

والنقابي المعبر حقيقة عن الناس له دوره الهام واثره البعيد في حل مثل هذه المشكلات .

والشكوى عادة من ضعف انتاجية المدرسات اكبر ، ونسبة الغياب بينهن مرتفعة . ونحب هنا ان ننبه الى مشكلة خطيرة تعني المراة العاملة عموما في بلادنا ، وتهدد الاجيال الناشئة باخطر الاثار .. وهي مشكلة الحضانة .. فعلى الرغم من القفزات الهائلة في تعليم المرأة وعدد العاملات، فلا زالت قضية حضانة اطفال المرأة العاملة لاتلقى الالتفات الواجب .. وتاثير هذا الاغفال لمشكلة بهذا الخطر مباشر وحاسم في اضعاف انتاجية المراة العاملة واقبالها على عملها . ولا نستطيع ان نطالب الام التي تترك بنيها الشيطان ان تضع عقلها وقلبها في عملها .. وقد استطاعت العديد من المدارس والمكاتب ايجاد حلول وباقل التكاليف، وتستطيع الهيئات الشعبية ومجالس المدن والقري أن توفر دورا للحضانة وعلي اسس تعاونية وباشراف صحي وتربوي .. وكذلك يمكن الاستفادة من تطوع السيدات الكبار .. وكل ما نحتاج اليه هو أن توضع المشكلة في مكانها وترتب لها الحلول .

وترتبط أيضا بقضية مستوى التعليم مشكلة الملخصات التي انتشرت برغم كل اجراءات التحريم ، كما تنتشر المخدرات . وعلي الرغم من كل اجراءات التحريم فلا زالت تزداد انتشارا .

وفي تقديرنا ان هذه الكتب في الاغلب تلحق ابلغ الضرر بالتعليم وبتكوين الاجيال الجديدة ، فهي لا تعدو في اكثر الاحيان مجرد مسخ للكتب الدراسية الرسمية « وبرشام » للنجاح ، تحول الاداب والفنون والعلوم الطبيعية والاجتماعية والسياسية .. وكل شيء الى سطور تحفظ عن ظهر قلب ولا تعني شيئا .. ان خطر هذه الكتب لا يقف عند حد والتصدى لهذا الخطر ضرورة عاجلة والحل من شقين :

اولهما الاهتمام باختيار الكتب المدرسية المناسبة ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى لا يجوز بالطبع اصدار قرار بالحرمان علي أي كتاب غير الكتاب المدرسي . بل ينبغي ان يتحقق اشراف فني وسياسي علي هذه الكتب ، ولا يجوز ان ينزل الى السوق كتاب يعالج منهجا دراسيا دون هذا الاشراف الدقيق ، ولاشك أن هناك كتبا تعين الطالب او توفر له التمارين المطلوبة او توسع افقه وهذه يجب ان يبذل لها العون ويشجع مؤلفها الى جانب المؤلفات المقررة .

وكذلك يحتاج الامر الي تغيير فى نظم الامتحانات والتصحيح وطرق وضع الاسئلة بحيث تحفز على الاطلاع وتكشف أساليب « البرشام » والحفظ عن ظهر قلب .

ويرتبط ايضا بمشكلات مستوى العائد من التعليم والدروس الخصوصية ، ضعف المستوى خاصة في اللغات . وفي تقديرنا ان موضوع اللغات الاجنبية ذو اهمية خاصة في البلدان المتخلفة .

والاسباب ايضا غير خافية ، من ازدحام الفصول وضخامة التصحيح واللغات بطبيعتها تحتاج الى عناية فردية بالتلميذ ، وهو ما يتعذر تحقيقه في ظروف العمل الراهنة بالمدارس .

ونعتقد ان من اولي وسائل الاصلاح الغاء نظام الرسوب في مادة أو اكثر والرجوع الى نظام تحديد حد ادنى للنجاح في كل مادة وبالاخص في اللغات ، وكذلك يمكن الاستفادة من نظام مجموعات المواد مثل مجموعات اللغات او الاداب او العلوم الخ ، ونظام التعويض بينها مما يضمن حدا أدنى لايجوز النزول عنه، وفي نفس الوقت يفسح مجالا للفروق الفردية والميول الخاصة .

وفي خلفية هذه المشاكل جميعا وغيرها تثور على الدوام المشكلة المزمنة في بلادنا ، مشكلة الكم والكيف في التعليم ، التي طالما تغنت بها المدرسة الرجعية في التعليم ، مدرسة اسماعيل القباني الامريكية ، فقد ارجعت كل مشاكل التعليم الى غلبة الكم على الكيف ، وكانت دعواها ستار المحولات الاستعمار والسراي والرجعية الحد من تدفق الشعب العارم نحو التعليم .. ولسنا في حاجة الى ان نؤكد ونعيد التأكيد ان التناقض بين الكم والكيف وهم ، ووضع المشكلة على هذا الوجه خداع .. فمن المستحيل تحقيق مستوى رفيع في التعليم دون الاستناد الي اوسع قاعدة واعرضها في صفوف الشعب .. واكتشاف اعظم العبقريات رهن بتوسيع القاعدة الي اوسع مدى . ومع ذلك فليس يعني هذا التقليل من أهمية كثافة الفصول وضعف التجهيز وضمور الإمكانيات أو اعداد المعلم وضرورة الاخذ بالاساليب السليمة في التربية .. فكل هذه عوامل لها وزنها بلا شك ولكن سيظل العامل البشري في بلادنا ، وفي كل البلاد الفقيرة هو العامل الحاسم ، ويظل كسب المعلم هو بداية الحل لكثير من نواحي القصور . هذا بالاضافة الي ضرورة التخطيط السليم للتعليم والتوجيه الواعي للاباء والابناء ، وتغيير النظرة الي الانفاق في التعليم ، فهو استثمار انتاجي بالدرجة الاولى والعلم في عصرنا صناعة استراتيجية وراء كل صناعة .

وبعد هذا كله .. وبعد كل المشاكل التي لا تنتهي ستظل نقطة البدء والمفتاح السحرى لكل مشاكل التعليم هو المعلم .. فقضيته ستظل أم القضايا .

جـــدول رقم (١)

الدرجة	عدد الدرجات لوزارات الدولة من واقع دفتر الميزانية ٦٣/٦٤	متوسط النسبة السائدة لكل درجة في وزارات الدولة ٪	عدد الدرجات في وزارة التربية سنة ١٩٦٤	النسبة لعدد الدرجات بوزارة التربية والتعليم ٪
وكيل وزارة	١٤٨	٠٫١٥٨	٦	٠٫٠٠٣٧
مدير عام	٤٣٥	٠٫٤٨٥	٥٨	٠٫٠٣٥٩
أولى	١٠٨٥	١٫١٥٥	٤٥٠	٠٫٢٧٨٥
ثانية	١٨٨٢	٢٫٠٠٥	٢٥٣٢	١٫٥٦٧٤
ثالثة	٤٠١٤	٤٫٢٧٦	٥٣٥٩	٣٫٣١٧٥
رابعة	٧٢٤٩	٧٫٧٢٢	٦٩٩٠	٤٫٣٢٥٩
خامسة	١٣٩٦٠	١٤٫٨٧٢	٢٣٤٩٧	١٤٫٥٤٥٨
سادسة	٢٧٦٤٥	٢٩٫٤٥٠	٤١٢٩١	٢٥٫٥٦١٢
سابعة	١٢٩٦٨	١٣٫٨١٥	٥١٥٧٩	٣١٫٩٣٠٠
ثامنة	٢٤٤٨٤	٢٦٫٠٨٣	٢٩٧٧٦	١٨٫٤٣٢٨
الجملة	٩٣٨٧٠	١٠٠٫٠٢١	١٦١٥٣٨	٩٩٫٩٩٨٧

جـــدول رقم (٢)

الدرجة	المدة المقررة بالقرار الجمهوري ٢٢٦٤ لعام ٦٤ بمعادلة الدرجات في القانون الجديد مع القانون ٢١٠ لعام ١٩٥١	المدة التي قضاها العاملون بالوزارات الأخرى ورقوا في ديسمبر عام ٦٧	المدة التي قضاها المعلمون بالتربية ولم يرقوا في ديسمبر عام ٦٧
الثانية	أربع سنوات	سنة واحدة	رقي البعض بالاختيار وتراكم التخلف بالنسبة للباقين
الثالثة	أربع سنوات	سنة واحدة	ثلاث أو أربع سنوات
الرابعة	أربع سنوات	سنتان	أربع سنوات وشهور
الخامسة	أربع سنوات	أربع سنوات	خمس سنوات وشهور
السادسة	ست سنوات	أربع سنوات	ست سنوات وشهور
السابعة	ست سنوات	أربع سنوات	ثمان سنوات ولم تحدث مطلقاً ترقيات .

ملاحظات مجلس البحوث

(١) تقييم عام

اجمع اعضاء مجلس البحوث على ان السادة الذين تقدموا الدراسة الخاصة « بقضايا التعليم والثورة » **قد قدموا فى الواقع عملا جادا ، وبذلوا جهدا مخلصا يستحق التنويه** . ولعل اهم ميزة تتصف بها الدراسة هى ان الذين قاموا بها فعلوا ذلك من مواقعهم داخل الحقل التعليمى . وانهم عندما طرحوا القضايا العاجلة والملحة فعلوا ذلك ايضا من موقع الانفتاح على المجتمع والقضايا الاجتماعية فتفادوا بذلك ان يعزلوا قضايا التعليم عن الوضع الاجتماعى ، الامر الذى مكنهم من أن يضعوا القضايا التى عرضوا لها فى الاطار السليم بوجه عام .

وتجدر الاشارة — قبل الدخول فى مناقشة الدراسة — الى ان الباحثين قد ركزوا منذ البداية **على معالجة قضايا التعليم العام** . ومن ثم فلم تكن مشكلات التعليم الجامعى والعالى واردة اصلا فى مشروع الدراسة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغى الا نتوقع من هذه الدراسة أكثر من أن ترسم **اتجاهات عامة** . اما ترجمة هذه الاتجاهات الى برنامج تفصيلى (يتناول السياسة التعليمية) فليس من اختصاص الباحثين . وخلو الدراسة من هذا البرنامج التفصيلى لا يعد عيبا فيها .

(٢) تاريخ التعليم

ان الدراسة المقدمة وان كانت قد اشارت الى ان مشكلات التعليم قد ارتبطت على الدوام بتاريخ الحركة الوطنية المعادية للاستعمار ، الا انها لم توف الجانب التاريخى حقه ، ولم تتبع تاريخيا تطور التعليم الحديث فى مصر منذ عهد محمد على حتى يمكننا ان نستخلص المعالم الرئيسية لكل مرحلة من مراحل التطور . وعلى سبيل المثال لابد ونحن ندرس تاريخ التعليم ان نسأل عن وضع التعليم ايام سيادة الاقطاع . ثم ماهى التطورات التى بدأت تدخل على التعليم — خصوصا — بعد ثورة ١٩١٩ . وسوف نرى — على سبيل المثال ايضا ان التعليم قد اكتسب خلال هذا التطور بعض القسمات الاساسية منها :

(٣) ثورة يوليو وتطوير التعليم

ا — بروز **فكرة المدرسة القومية** التى تعلم بلغة البلاد ، وتقدم التعليم لكل المواطنين ، بغض النظر عن الاختلاف فى العقيدة ، أو الطبقة مؤكدة بذلك وحدة الامة ، ولم يحسم الصراع نهائيا لصالح المدرسة القومية الا بعد ثورة ١٩٥٢ .

ب — نشأة التعليم الحديث موازيا للتعليم الازهرى ، وما نتج عن ذلك من **ثنائية فى التعليم** ، ومحاولة القضاء عليها بتطوير الازهر والمعاهد الدينية .

ويتعين بعد ذلك الوقوف عند تجربة الستة عشر عاما الماضية فى تطوير التعليم بكل ايجابياتها وبسلبياتها كذلك . ومن المسلم به انه قد تمت فى عهد الثورة منجزات هامة منها التوسع الكبير فى قاعدة التعليم الذى ينعكس ليس فقط فى زيادة نسبة الاستيعاب فى سن الالزام ، وانما كذلك فى زيادة عدد التلاميذ والطلبة فى كل مستويات التعليم . ومنها كذلك تصفية وضع المدارس الاجنبية تحقيقا للمنهج القومى فى التعليم . ومنها اقرار مبدأ المجانية فى كل مراحل التعليم . ومنها سياسة تطوير الازهر والمعاهد الدينية ... الخ .

وفى الجانب السلبى يمكن ان نسجل ظاهرتين : الاولى ، هى أنه وان كان الجانب الوطنى والقومى قد تأكد بصفة عامة ، فان حركة التعليم لم ترتبط بعد بحركة الثورة الاجتماعية الارتباط

الوثيق الذى يجعل من المدرسة معهدا لتخريج جيل جديد مسلح بمفاهيم جديدة هى مفاهيم الاشتراكية . والثانية هى ان مستوى التعليم من حيث القدر من المعارف والقدرات التى توفرها للشاب لم يتقدم بل تراجع فى احيان كثيرة . ولعل ابرز مثل على ذلك هو الضعف البالغ فى مستوى معرفة الطلبة باللغة القومية. ونحن هنا بصدد ظاهرة سياسية قبل ان تكون قضية تنحصر فى مناهج ومقررات، انها مشكلة مدى ارتباط الجهاز القائم على التعليم بفلسفة المجتمع وبعملية البناء الاشتراكى .

(٤) فلسفة التعليم وأهدافه

ان أى دراسة لقضايا التعليم الاساسية لابد وان تتعرض لمسألة جوهرية هى فلسفة التعليم واهدافه . لابد من ان توضح الدراسة ان التعليم فى مرحلة التحول الى الاشتراكية له ثلاثة اهداف رئيسية :

الهدف الاول : لابد وان يقوم التعليم حدا أدنى من الثقافة للمواطنين . وهذا يعنى رفع المستوى الفكرى — أى المعنوى — للشعب بما يساير رفع المستوى المادى . أى ان هدف التعليم — باختصار — هو ان يزود المواطن بهذه المجموعة اللازمة من المعارف التى تمكنه من أن يعيش عصره .

الهدف الثانى : التعليم يهدف الى تطوير الكفاية الانتاجية وهذا يعنى ان يضمن التعليم اعداد الكوادر الفنية بمستوياتها المختلفة اللازمة للتنمية الشاملة للاقتصاد والمجتمع. وهذا الهدف هو الذى دعا المجتمعات الرأسمالية التى قامت فيها صناعة قوية الى ان تهتم بنشر التعليم العام .

الهدف الثالث : زيادة قوى الانتاج عن طريق التقدم العلمى والتكنولوجى ، وتلك سمة يتصف بها عصرنا ، وعلينا ان نوفرها فى مجتمعنا اذا أردنا حقا تصفية التخلف ، ومعنى هذا ان التعليم يجب ان يستهدف تكوين أجيال متوالية من الباحثين العلميين ، والا يقتصر على تكوين المهنيين ولو كانوا متخصصين .

(٥) تخطيط التعليم

اذا كان التعليم يضطلع بتحقيق تلك الاهداف الحيوية التى اشرنا اليها ، فان البحث عن حلول لقضايا التعليم لايمكن تصوره الا فى نطاق هذا المبدأ : **وهو ضرورة ان يكون التعليم مخططا** . وبالطبع، يدخل التعليم فى الخطة القومية العامة . وهنا لابد من ان نوضح ان تخطيط التعليم لايمكن الا أن يكون جزءا من التخطيط الطويل الاجل. وهذا أمر حتمى اذا ادخلنا فى الاعتبار ان فى مقدمة الاهداف التى نريد ان نحققها، اعداد الكوادر الفنية وتطوير البحث العلمى بهدف زيادة الانتاج .. الخ. وكل هذا يدخل فى باب الاهداف التى يتطلب تحقيقها زمنا يتجاوز بكثير الخطة الخمسية الوحيدة ويكون عادة خمسة عشر عاما .

والتخطيط يطرح فورا قضية **الاولويات**. وهنا لابد من التأكيد على ان بعض **أهداف التعليم لابد ان يكون لها اولوية مطلقة** . وخير مثال لها هو هدف الاستيعاب الكامل فى مرحلة الالزام . فأى قصور عن بلوغ هذا الهدف معناه تفريخ الامية فى المجتمع . ومن المعروف ان محو الامية شرط جوهرى لكل تنمية اقتصادية، أو تقدم اجتماعى ، أو تطور ديموقراطى . ووجود **ظروف طارئة** « كحالة الحرب » تخل بالاولويات العادية لاينبغى ان ينسينا حقيقة الامور .

أما فيما يتعلق بتربية الكوادر الفنية ، فيجب ان ترتبط ارتباطا وثيقا بحركة نمو الاقتصاد الوطنى ، ولعل أهم نقد يوجه الى تقرير اللجنة الوزارية للقوى العاملة عن سياسة التعليم هو بالدقة النظرة الجامدة للاحتياجات على أساس ما هو قائم بالفعل عند اعداد التقرير واحتمال ماسيكون عليه الوضع بعد عشر سنوات او خمس عشرة سنة .

واخيرا فان البحث العلمى والتكنولوجى صناعة استراتيجية. ولا يتصور أن نشكو من زيادة العلماء ، فى حين ان اكثر دول العالم تقدما تتخاطف الباحثين العلميين . ولا يمكن ان تقاس اولويات الانفاق فى هذا المجال بأية نتائج مباشرة فى أمد قصير او متوسط .

(٦) علم التربية وأهمية اعداد المعلم

يؤخذ على الدراسة المقدمة انها وقفت — من الناحية العملية — موقفا سلبيا من علوم التربية (البيداجوجيا) ، وذلك تحت تأثير واقع معين هو ان بعض المتأثرين بالمدرسة الامريكية فى مجال التربية قد استغلوا (البيداجوجيا) لتضييق نطاق التعليم وتوجيهه وجهة غير شعبية ، وغير ديموقراطية .

ومع التسليم بأن هذا قد حدث فعلا — ولا يزال يحدث — الا انه ينبغى الا نقع فى التطرف المقابل، لان هناك بدون شك — علما للتربية . وهذا العلم بحكم وظيفته، يتجاوز وظيفة التعليم. فبينما يهدف التعليم الى تزويد الفرد بقدر معين من المعلومات يركز علم التربية على قضية اساسية هى تكوين وصياغة شخصية المواطن، اذ يتجه الى ان يغرس وينمى فى الطفل عددا من القيم الاساسية : الوطنية — روح الجماعة فى مقابل الروح الفردية (فى حين ان المدرسة الامريكية فى التربية تنمى فى الطفل النوازع الفردية) . ومن هذه القيم أيضا احترام وصيانة المال العام ، وفوق هذا فان تثقيف المواطن كوريث لحضارات عريقة وعظيمة

هو من اختصاص التربية .

واخيرا فان الحاجة بعد ذلك تصبح ماسة الى تصحيح الاساليب التربوية المطبقة تصحيحا جذريا اذا عرفنا ان النظم التربوية والتعليمية في بلادنا لاتحرر الانسان ، ولا تسلحه بالمنهج النقدي ، وانما تواصل فرض نفس الاسلوب الذي نشأ عليه الطفل في اسرته عندما كان يطلب اليه ان يتبنى بطريقة تحكمية تلغي ارادته وتفكيره وجهة نظر من هم اكبر سنا .

ويرتبط بموضوع التربية قضية على جانب كبير من الاهمية هي قضية **تكوين المعلم واعداده** لان القصور في اعداده هو احد الاسباب الرئيسية لتدهور التعليم .

وهذه القضية يجب ان تعالج من زاويتين :

احداهما : الهبوط الشديد في المستوى العلمي والثقافي العام للمعلمين ، الامر الذي بات يتطلب التفاتا خاصا .

والثانية : زاوية المؤسسات المختلفة والمتعددة التي يعهد لها — دون تخطيط — باعداد المعلم ويترتب عليها في النهاية الاخلال بمبدأ أساسي هو مبدأ وحدة التعليم .

(٧) اصلاح المناهج

نجحت الدراسة المقدمة في سرد كثير من الامثلة الدالة على تخلف المناهج المدرسية ، وبوجه خاص على تعارضها من حيث المضمون مع ايديولوجية الاشتراكية العلمية . وكل هذا مفيد بلا شك . غير ان المعالجة تظل مع ذلك ناقصة فلا يكفي ان نوضح تعارض البرامج المدرسية مع افكار الاشتراكية ومثلها ، وانما لابد — عند التعرض للبرامج — من ان تكون نقطة البدء هي تحديد الارضية القومية التي نقف عليها . ولا شك أن ثمة تراثا قوميا وطنيا وديموقراطيا في التربية والتعليم ، وقد عرفت بلادنا منذ عهد رفاعة الطهطاوي روادا لهم نظريات وآراء هامة لابد وان توضع موضع الاعتبار ، ونحن نعيد النظر في المناهج (علي مبارك — لطفي السيد — طه حسين — زكي مبارك .. الخ) . فاذا فعلنا ذلك أمكننا أن نتبين الخطر الحقيقي الذي تمثله المدرسة الامريكية على تعليمنا ، وسنرى ان خطر هذه المدرسة كامن بالدقة في ان هذه المدرسة تطمس تراثنا القومي ، الوطني والديموقراطي في التربية والتعليم

ويرتبط بقضية البرامج بالضرورة مشكلة الكتب المدرسية والقصور الشديد في مستوى تاليفها من حيث المحتوى العلمي واللغة والفكرية السائدة وطريقة العرض وأساليب الايضاح . كما ان مكتبات المدارس تحفل بعدد ضخم من الكتب المؤلفة او المترجمة التي لاتتفق مع الميثاق ومبادئه ، بل ان بعضها يعتبر دعاية سافرة للاستعمار الامريكي وأسلوب الحياة الامريكية . ويتصل بهذا كله قضية احتكار التاليف بين قلة من كبار رجال الوزارة

(٨) مبادىء أساسية يجب التاكيد عليها

تبقى بعد ذلك بعض مبادىء أساسية لابد وان تؤكد عليها أية دراسة تتعرض لقضية التعليم في بلادنا .

(ا) مبدأ مجانية التعليم في جميع مراحله : ان هذا المبدأ يمس غالبية الشعب من العمال والفلاحين .

ولا يقف الامر عند مجرد ترديد هذا المبدأ كشعار ، بل لابد ايضا من دراسة ما حققه نظام المجانية الحالي ، اي ماهي النجاحات التي احرزها وما هي العقبات التي يصادفها ، ومحاولات الحد من فاعليته .

(ب) مبدأ المدرسة الواحدة لكل أبناء الوطن الواحد . وهنا لابد من التاكيد على أن أي اخلال بمبدأ المدرسة الواحدة انما يهدد وحدة الامة . ان تذويب الفوارق بين الطبقات هدفا اساسيا من اهداف التعليم . ومن هنا يتحتم معارضة جميع الحجج التي تتصدى للدفاع عن التعليم الخاص . فليس لهذا التعليم حاليا من هدف الا تحقيق الربح الخاص . ولا يضير من هذه الحقيقة ان ثمة مدارس تديرها بعض الجمعيات الدينية او ان الاتحاد الاشتراكي العربي يساهم في مجال التعليم الخاص ويفتح بعض الفصول . واذا كان من المرغوب ان تساهم الجمعيات والنقابات والهيئات في نشر التعليم فان المدرسة يجب أن تتميز جذريا عن المتجر ، ولا يمكن ان يظل التعليم تجارة أو سبيلا لتمييز أبناء طبقة معينة .

(حـ) اعطاء الاولوية في مشروعات التعليم العام لمشروع استيعاب جميع الملزمين وذلك للاسباب التي سبق الاشارة اليها .

(د) فتح جميع القنوات التعليمية في جميع مراحل التعليم بدون استثناء بحيث يتمكن كل مواطن يضطر الى الوقوف عند رحلة معينة من ان يواصل ويكمل تعليمه في المراحل التالية . فهذا هو السبيل الجاد الى رفع المستوى العلمي والثقافي العام في البلاد ، واشاعة الديموقراطية الحقة في النظام التعليمي برمته ، على ان يقترن ذلك بالاقتلاع نهائيا عن سياسة تسعير الشهادات ، فالاجر يجب ان يرتبط بالانتاج وبالكفاية الانتاجية وليس بالشهادة الجامعية . بحيث يكون الحافز على استكمال الدراسة هو الرغبة في زيادة المعرفة وليس الرغبة في زيادة الاجر الا في الحدود التي تؤدي فيها الدراسة بالفعل الى زيادة انتاج العامل . ويكمل هذا الصراع الفكري من اجل رفع شأن العمل اليدوي وتمجيده حتى لاتهرب أفضل العناصر من مواقع الانتاج الفعلي الى المكاتب .



الفكر الاشتراكى المصرى فى مطلع القرن العشرين

رفعت السعيد

ما أسهل ان يخط الانسان عنوانا ضخما كهذا ، لكن ما أصعب ان يحققه ، ما اصعب ان يفتش الانسان بين اكوام الاوراق المطوية بحثا عن تراث الاشتراكيين الاول الذين اضاءوا ـ ولو بنور خافت متردد ـ ظلمة مصر الاحتلال الاول والذين صاغوا من عذابات المصريين والامهم وبطولاتهم فكرا نضاليا وطبقيا يستحق الاعجاب .

لكن الامر ضرورى ، بنفس قدر صعوبته وربما اكثر ، ومن هنا يتعين على الباحث ان يخوضه مدركا انه ليس مجرد بحث تاريخى هام ، لكنه مهمة سياسية محدودها الامل ان تستخلص بعض الدروس . لكننا قبل ان نبدأ يتعين علينا أن نتأمل صورة مصر واوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى ذلك الوقت .

حاول كرومر ان يصف مصر فى كلمات قليلة ، فقال **«ان مصر كانت تذوب شوقا الى الثورة »** وهى كلمات صادقة تماما وواقعية تماما وليست مجرد تعبير شاعرى جذاب .

وقد صاغه كرومر من عذاب الطريق الذى زرعه المصريون امامه بالشوك ، فالنصر السهل الذى احرزته قوات الاحتلال لم يكن مطلقا دليلا على ضعف مصر التى أثبتت أيام ما بعد الهزيمة انها اكثر قوة واكثر دهاء مما يظن الكثيرون .

وفى عام ١٨٨١ كتب **ادوارد ديسى** يستحث حكومته على احتلال مصر قائلا : « منذ امد طويل يخضع المصريون للاستعباد واعتادوا عليه ولم يحن الوقت بعد بل وربما لن يحين ابدا ذلك الوقت الذى يستطيع فيه المصريون ان يرفعوا صوتهم او ان يشاركوا فى تقرير مصيرهم ، وهكذا فان انجلترا ـ او اية دولة اوربية اخرى ـ تستطيع ان تستولى على هذا البلد وتخضعه لنفوذها دون ان تخشى منه اية مقاومة داخلية » (١)

ولابد ان كرومر قد قرأ هذه الكلمات وربما

---

(١) ادوارد ديسى . انجلترا ومصر . طبعة لندن ، شامبان ، هال ١٨٨١ ص ٨٩ .

صدقها ، ولابد ان النصر السهل قد خدعه ناسيا ان الشعب المصرى يتميز بسمة غريبة فهو يبدو هادئا مطيعا بل ومستسلما لكن ما ان يشتد الخطب حتى يظهر معدنه الحقيقى .

ان المصريين رجال كعبد الله النديم وهو يردد:

اذا ما الدهر صافانا مرضنا
وان عدنا الى خطب شفينا
صلينا يا هموم فقد عرفنا
باننا الصلب صلبا ام صلينا
لنا جلد على جلد يقينا
فان زادوا البلا زدنا يقينا

كبار الملاك

ولقد بنى كرومر خطته فى مصر على عدة اسس اهمها دعم طبقة كبار الملاك والاستعانة بها اتباعا مطيعين وسياطا تلهب ظهر الشعب المصرى ..

وهكذا بدأ كرومر فى دعم هذه الطبقة التى اسماها « طبقة اصحاب المصالح الحقيقية » ففى ديسمبر ١٨٨٣ صدر القانون المدنى الاهلى ليرسى دعائم حق الملكية فينص فى مادته الثامنة « تسمى ملكا العقارات التى يكون للناس فيها حق التملك التام وتعتبر فى حكم ذلك الاطيان الخراجية التى دفعت عنها المقابلة »

وفى عام ١٨٩١ يحذف من القانون المدنى الاهلى شرط دفع المقابلة واصبح المنتفع بالارض مالكا لها ملكية تامة دون قيد او شرط (٢)

ثم ان هذه الطبقة قد نالت على الفور ثمن خيانتها للثورة العرابية وتواطؤها مع الاحتلال وعلى سبيل المثال منح « سلطان باشا عشرة الاف جنيه هدية لما حصل له من الضرر والتعدى (من العصاة) على شخصه واقاربه واتلاف موجوداته ومقدار جسيم من مزروعاته » (٣) .

ولم يتوان كبار الملاك عن انتهاز هذه الفرصة فقد ازدادوا ثراء وكونوا بالفعل طبقة قوية متماسكة ذات ثروة طائلة .

ويروى محمد فريد فى مذكراته عن يوم ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٨٩٣ « وفى هذه الفشوق باع الدومين كثيرا من أطيانه ، باع تفتيش البدرشين لاخوان سوارس بثلاثة وثمانين الف جنيه وكانوا قد اشتروا منذ سنين تفتيش الشيخ فضل من الدائرة السنية بمبلغ كهذا تقريبا ، وباع ايضا تفتيش بنى رافع بالصعيد لاحد اقباط اسيوط الاغنياء بمبلغ ١٣٢ الف جنيه وغيره من الاراضى المتفرقة فاشترى رياض باشا نحو اربعمائة فدان بمديرية بنى سويف » (٤) .

ويروى كرومر قصصا اخرى فيقول « يجرى كنز المال فى مصر بدرجة لا يصدقها اوربى وانى مورد بضعة امثلة من ذلك .. لقد بلغنى منذ قليل من الزمن ان ثريا مصريا توفى عن تركة مقدارها — ٨٠٫٠٠٠ جنيه ذهب مخبأة فى أخبيته ، وبلغنى ايضا ان فلاحا ميسور الحال اشترى ضيعة بنحو ٢٥٫٠٠٠ جنيه وبعد نصف ساعة من توقيعه على عقد المبايعة اذا بقطار من الحمير قد اقبل يحمل المال المطلوب وكان قد خبأه فى حديقته » (٥) .

ورغم ذلك كله فان خطة كرومر تفشل ، فالذين اراد لهم ان يزدادوا ثراء كى يزدادوا تبعية وخضوعا للاحتلال ، كان ثراؤهم فى ذاته سبيلا الى تمردهم على الاحتلال وسياسته .

وهكذا بدأ الصراع مبكرا ، فكبار الملاك الذين اسكرتهم نشوة الخلاص من عرابى ومن ثورة الفلاحين بدأوا يفيقون ليجدوا مصر وهى تفلت من ايديهم لتتسرب بكل ثرواتها الى الاجانب ..

فالاستثمارات الاجنبية تزداد زيادة ضخمة يوضحها الجدول التالى (٦) .

السنة	الاستثمارات الاجنبية بالجنيه
١٨٩٢	٧ر٣٢٦ر٠٠٠
١٩٠٧	٨٧ر١٧٦ر٠٠٠
١٩١٢	١٠٠ر١٥٢ر٠٠٠

وبدأ كبار الملاك يتطلعون الى آفاق جديدة من الثراء ، الشركات المساهمة والسندات والاسهم والحصص والكوبونات . وبدأت الارباح الوفيرة تداعب خيالهم فتنسيهم ولاءهم للسيد المطاع وتدفعهم الى محاولة انشاء شركات مصرية .

ويروى محمد فريد فى مذكراته « وفى ٢٣ فبراير ١٨٩٣ أشيع ان جماعة من ذوات مصر وفى مقدمتهم

---

(٢) محمد صبيح : مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ص ٢٠٥ .
(٣) زكى فهمى .. صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر .. الجزء الاول .
(٤) صبرى ابو المجد .. مقال بالهلال عدد ديسمبر ١٩٦٤ .
(٥) روزنشتين .. دمار مصر حاشية ص ٤٤٩ .
(٦) صبحى وحيده فى اصول المسالة المصرية وهذه الاحصائية لاتشمل الدين ولا راس مال شركة قنال السويس .

البرنس حسين باشا عم الخديو وحيدر باشايكن وعمر باشا ومصطفى شرعوا فى انشاء شركةزراعية يكون راسمالها مائتين وخمسون الف جنيه لشراء أراض من الدومين، او الدائرةواستغلالها وجعلها شركة مساهمة قيمة كل سهم منها عشرة جنيهات مصرية .. وقد تكلمت الجرائد عن هذا المشروع وقالت ان كثيرا من الوطنيين اكتتبوا فيه وبلغت قيمة ما اكتتب فيه مائتى الف جنيه وينتظر الحصول على المبلغ المطلوب قريبا وعندها تشكل بصفة نهائية ويبتدىء فى العمل » (٧) .

وترتفع صيحات التصنيع ترددها مجلةالمؤيد ويرددها النديم على صفحات « الاستاذ » مؤكدا انه «مانجحت ثورة تجردت جماهيرها من المعارف وبعدت عن المصانع والتفنن فى الآلات (٨) .

وينزعج كرومر من هذا الاتجاه فيكتب فى عام ١٩٠١ محذرا « أما فيما يخص أصحاب الاسهم من المصريين فانى اغتنم هذه الفرصة لتكرار التحذير حيث قلت أن الذين يضيعون اموالهم فى الشركات يحسن بهم أن يتبصروا » (٩) .

وثمة مجالا آخر للربح أسال لعاب كبار الملاك المصريين هو مجال المقاولات فالحكومة المصرية نظرا لضعف جهازها الادارى كانت تطرح كل مشاريعها فى صورة مقاولات .

ــ وكانت هذه المقاولات مجالا لتحقيق أرباح سهلة ووفيرة ، لكنها كانت مقصورة على الاجانب ففى عام ١٩٠٠ طرحت الحكومة مقاولات قيمتها ٥٥١٫٠٠٠ جنيه وزعت على مقاولين من مختلف الجنسيات، كما يتضح من الجدول التالى : (١٠).

بريطانيا	٣٤٢٫٥٠٠	جنيه
بلجيكا	٥٦٫٠٠٠	جنيه
النمسا	٥٠٫٠٠٠	جنيه
المانيا	٤٩٫٠٠٠	جنيه
ايطاليا	١٠٫٠٠٠	جنيه
فرنسا	٨٫٥٠٠	جنيه
تركيا	٣٫٥٠٠	جنيه

أما مصر فقد كان نصيبها ٣٢٫٠٠٠ جنيه اقتنصها كلها الاجانب المتمصرون .

ــ ولقد كانت الارباح الطائلة التى تحققهاهذه المقاولات سببا فى معركة خاضها كبار الملاك بجراة منقطعة النظير ، مطالبين فيها بحصتهم من الغنيمة .

وكانت جلسات الجمعية العمومية ميدانا لهذه المعركة . « ففى ١٥ ديسمبر ١٨٨٩افتتحت جلسة الجمعية العمومية وشرف الجناب الخديوى الاعظم وحضر سعادة الرئيس وطلب الى الجمعية مناقشة مشروع امر عال يتعلق بالغاء العونة « السخرة » كلية من القطر المصرى واستبدالها هى وبدلية العونة بضريبة خصوصية تقرر على الاطيان » . وعندما يرفض كبار الملاك دفع الضريبة الجديدة التى تبلغ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه ويتشددون فى رفض أية ضريبة جديدة ، يقف رياض باشا مرتديا مسوح الاصلاح معرضا بجشع كبار الملاك قائلا « ان السخرة فيها مافيها من موجبات الظلم والاجحاف اللذين تاباهما سجاياكم الكريمة ، وكل ذوق سليم ، لان السواد الاعظم من الاهالى هوالقائم بهذه الاعمال الجسيمة والتكاليف المهنية اما الاغنياء والمتمولون اصحاب الاراضى الواسعة فهم حقيقة المتمتعون بنتائج مايعمله هؤلاء المساكين المنكودو الحظ » .

ويمضى رياض باشا فى لعبته الخطرة متسائلا « هل من العدل والانصاف أن أهالى البلادالذين لايملكون ولاقيراطا واحدا من الارض يكلفون بهذه الاعمال ، بينما أصحاب الثروة والاملاك الواسعة من مئات وآلاف من الفدادين يتمتعون فى رغد من العيش نتيجة هذه الاعمال وهم لايعانون ولايكلفون شيئا » .

لكن الاغنياء لايخضعون لهذا التهديد ويصممون على موقفهم ويقف الشيخ العباسى صائحا « الضريبة المقررة على الاطيان من قبل جسيمة لاتقبل اضافات » .

ويقف **ابراهيم حليم باشا** ليقول « الغرض من المشروع ابطال العونة وهذا الامر فى حد ذاته أصدق عليه ، وأما الضريبة اللازم وضعها على الفدان فلا أصدق عليها ، وعلى الحكومة أن تتبصر فى أى طريق تصل بها الى مايلزم من أموال » .

ثم يقلب المنضدة على الحكومة قائلا :

« من رأيى أبطال المقاولات الجارية فى مسألة العمليات واستبدالها بطريقة اخرى وعند تقرير العمليات بالمديريات يعرض بيانها على مجلس شورى القوانين ليبدى رأيه فيها .. » (١١).

(٧) مجلة الهلال .. المرجع السابق
(٨) مجلة الاستاذ عدد ١٩٥٢/٨/٣٠ .
(٩) رشدى صالح . كرومر فى مصر .
(١٠) المرجع السابق ص ٥٨ .
(١١) راجع نص محضر الجمعية العمومية فى منتخبات جريدة المؤيد عن عام ١٨٩٠ ص ٩٠ وما بعدها .

ولم تكن هذه هي نقطة الصدام الوحيدة بين السيد والاتباع . فهناك أيضا الوظائف الكبيرة في جهاز الدولة والتي منى الذوات انفسهم طويلا بالسيطرة عليها والاستحواذ عليها لابنائهم .

لكن كرومر كان يرى رأيا آخر ، فالرجل الانجليزي « سيلقى في الواقع أن المصريين الذين رغبه أن يستحيلوا الى شيء مفيدحقا رجاء أن يتمكنوا من حكم انفسهم بأنفسهم مادة من خام الخام وان الادوات التي يجب أن يعتمد عليها يجب ان تكون من البريطانيين أو الفرنسيين أو الإتراك أو الارمن أو من الكثير من الجنسيات الاخرى وقلما تكون من المصريين » . (١٢)

والنتيجة أن الاجانب استولوا على معظم الوظائف الكبيرة ففي مصلحة السكة الحديد مثلا كان هناك ٣٦ مراقبا يتقاضى الواحد منهم ٦٠٠ جنيه سنويا فاكثر ومن هؤلاء ٣٢ أوروبيا و٤ مصريين ، وكان هناك ٩٣ مفتشا منهم ٧٤ أوروبيا و١٩ مصريا » (١٣) وقدزاد عدد الموظفين الانجليز بالذات فقد كان عددهم عام ١٨٨٩ ، ٢٩٩ موظفا فقفز الى ٤٤٥ في عام ١٨٩٨ » (١٤) .

ويقدم **مصطفى كامل** صورة أكثر وضوحا في حديث له مع مراسل جريدة لاكوريري الايطالية في ١٥ مارس ١٨٩٨ فيقول « لقد بلغت مرتبات الرؤساء الانجليز ٩٢٣ ألف جنيه في العام بينما كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠ جنيها فقط » . (١٥)

ويشتد الصراع ايضا حول هذه النقطة ،وتمتد اطرافه حتى تشمل النظار انفسهم فعندما يحاول مستر سكوت أن يعين مفتشا انجليزيا على المحاكم يرفض رياض ذلك صراحة ويعلن فخري باشا ناظر الحقانية معارضته هو أيضا .

وأخيرا .. لنتأمل هذه الكلمات التي ارتفع بها صوت **اسماعيل باشا أباظة** في قاعة مجلس شورى القوانين « اننا لم نتقدم الا في مجال النفاق والثرثرة والديون ، ففي عام ١٨٨٤ استوردنا دقيقا قيمته ٣٤,١٠٠٠ جنيه فقط ، وفي عام ١٩٠٩ استوردنا دقيقا قيمته ١,٨٣٦٠٠٠ جنيه وفي عهد محمد على أرسلنا بعوثا الى اوربا بلغ عددافرادها ٩٠٥ طلاب وتحت حكم اسماعيل لم نرسل سوى ١٥٥ ، وتحت حكم عباس ارسلنا ٤٣ فقط .. ماهو علاج هذا التدهور ... ؟ العلاج هو الحكم الذاتي ، لكننا طوال الثلاثين عاما الماضية لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحكم الذاتي » (١٦)

لكننا يتحتم علينا ان نأخذ جانب الحذر عند تقييم هذه المعارضة من جانب الاغنياء فهم يبدون المعارضة من مواقع الولاء ، وهم ينتقدون السيد المطاع كرومر بينما لايزال يتجسد أمامهم في صورة المنقذ من ثورة عرابي . وبينما هم يدركون أن مزيدا من الولاء يعني مزيدا من الثراء والنفوذ وباختصار كانت معارضتهم سعيا وراء مزيد من الفتات . وكان موقفهم هو موقف التمرد الخاضع أو الخضوع المتمرد ، فهي طبقة تتمرد كلما لاح لها مكسبا من التمرد وتخضع كلما لاح لها مكسبا من الخضوع .

لكن حادثة فاشودة والنصر الهائل الذي حققه الانجليز ، وما أعقبه من تردد الخديو واعوانه قد وضع حدا لتمرد الاغنياء ، ووجدوا انه لامجال أمامهم سوى مزيد من الخضوع .

واذا كان **لطفي السيد** هو أحد ممثلي هذه الطبقة ، فان أفكاره يمكن أن تكون نموذجا يوضح ايديولوجيتها وموقفها ، ففي عام ١٩١٤ كتب لطفي السيد يرثى صديقه فتحي زغلول فقال « كان فتحي يؤمن بالتقدم عن طريق التطوروكان يكره الثورة .. حتى ولو كانت مجرد فكرة » .

وكثيرا ماكان يؤكد « انه مامن علاج سريع لما تعانيه مصر ، وكان يعلن دوما معارضته لهؤلاء السياسيين الذين يحرضون الجماهير على التحرك السريع فيقودونها بذلك الى الفشل ، فليس من الممكن مقاومة الاحتلال ولامقاومة الخديو . ولذا فانه ليس هناك سوى طريق واحد التقدم الحقيقي هو طريق التطوير التدريجي العادات الجديدة وللاخلاقيات الجديدة للمجتمع .. » (١٧)

وهكذا فان الاغنياء وكبار الملاك قد فشلوا تماما في أن يقدموا زعامة جادة لتلك الامة التي وصفها كرومر بأنها كانت تذوب شوقا الى الثورة .

لكن ماذا عن الطبقة الوسطى ؟ ..

ولابد الحديث عن هذه الطبقة أن يتشعب مستفيضا فهي ليست فئة واحدة متجانسة ، وهي

---

(١٢) كرومر . مصر الحديثة جـ ٢ ص ١٣٢ .
(١٣) روزنشتين ص ٤٨٥ .
(١٤) مورو بيرجر .. البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة ترجمة د. محمد توفيق رمزي ص ٥٠ .
(١٥) على فهمى كامل ـ سيرة مصطفى كامل الجزء الاول ـ الطبعة الثانية ص ٢٨٨
(١٦) جمال احمد ـ المصادر الثقافية للقومية المصرية طبعة جامعة اكسفورد .
(١٧) جمال احمد ـ المرجع السابق ص ٧٢ .

ايضا كانت تغير مواقعها سريعا وفى اكثر من اتجاه .

لكن اهم مايميز هـــذه الفئة هو :

أولا : عداؤها للاستعمار ، وتأكيدها بشـــكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة على أهمية الاستقلال .

ثانيا : انها خاضت معركة العداء هذه معتمدة على اللعب على الحبال وليس على تعبئة الجماهير وحشدها النضال ، فكانت تعتمد تارة على الخديو وتارة على السلطان وتارة على فرنسا ، لـكنها لم تلجأ الى الجماهير الا فى حالات نادرة .

وعلى اية حال فان أى حديث مجمل عن مواقف موحـــدة لهـــذه الطبقة معرض دوما للانتقـــاد ، فان فئاتها المختلفة قد اتخذت وعلى الدوام مواقف متناقضـــة .

وفى داخل هذه الطبقة كان هناك ثلاثة اجنحة : اليمين .. والوسط ، أما الجنـــاح الثالث فانا أخشى أن أسميه باليسار فيظن البعض أننى أعنى به جناحا يميل الى الاشتراكية .

لكنى أعنى باليسار — هنا — درجة قربه من الجمـــاهير وتفهمه لبعض قضاياها ، ووطنيتـــه الصحيحة والصادقة ، وعلى أية حـــال فلنسمه جناح الوطنية المتطرفة .

والشيخ **على يوسف** هو قـــائد يمين هـــذه الطبقة بلا منازع ، فهو زعيم فئة من مثقفى الازهر وكبار التجار التقليديين . والحقيقة أن على يوسف كان بالرغم من نفوذه الواسع فى ميدان الصحافة يعبر عن فئة ضعيفة التأثير فى المجال الاجتماعى والاقتصادى وهى فئة لاتستطيع أن تساير مجريات الحياة الجديدة ولا أن تحول تراكمات أموالها فى اتجاه الاستثمارات الجديدة .

وهى فئة لاتثق بالجماهير ولاتهتم بها لـــكنها تشعر بوطأة التحكم الاجنبى وتسعى لتخفيـــف هذه الوطأة . ولانها ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا ولانها لاترتبط بالجماهير ، فقد اعتمدت أساسا على اللعب على الحبال بين الخديو والاحتلال والسلطان وفرنســـا .

ويقدم **جمال أحمد** تحليلا غاية فى الدقة لهـــذه الفئة وتحزبها حزب الاصـــلاح على المبـــادىء الدستورية (١٨) « كان الحزب يبدو منظما لكنه لم يكن فى الواقع سوى اعلان لسياسة الشيخ على يوسف نفسه فهو الذى كتب البرنامج وكون التنظيم وجمع الاعضاء ، وكانت نقطة الضـــعف الاساسية فى الحزب هى التناقض والارتباك فى التفكير السياسى الشيخ على يوسف ، فقد طلب من الحكومة أن ترسل ممثلا لها فى الحزب لكنه فى نفس الوقت أعلن مساندته الخديو ، وتداحدث هذا الموقف المتناقض ارتباكا شديدا لدى الاعضاء وقد أشار العقاد الى ان طبيعة هذا الحزب تبدو واضحة من الاسم الذى اختاره، فكلمة «دستورى» موجهـــة الى الوطنيين ، بينما كلمة « اصلاح » تستهدف كسب الانجليز ، والنتيجة أن الحزب فشل فى كسب اى من هذه القوى لا الوطنيين ولا الخديو ولا الاحتلال وكانت النهاية الحتمية هى الفشل »

لقـــد حاول الشـــيخ على يوسف أن يحـــدد موقفه من الاحتلال فلم يجد سوى هذه الكلمـــات « أن الانجليز يستطيعون أن يستميلوا هذه الامة بالمعاملة الحسنة فيستولوا على القلوب بدلا من الاكتفاء بالاستيلاء على الطوب » (١٩)

المسالة اذن هى حسن معاملة الانجليز المصريين، وليست الاستقلال ولا الجلاء .

ومن الطبيعى ان يستنفذ هـــذا الموقف مشاعر الوطنيين .. وان يعرض الحزب العزلة والهجوم الشـــديد ..

وقد هاجمه أعضاء الحـــزب الوطنى هجوما شديدا قاسيا ، فتحدث عنه **الشيخ جاويش** قائلا : « مابلغت الرذيلة ولؤم الطبع من رجل مقدار ما بلغت صاحب المؤيد .. » (٢٠) وعنـــدما مات الشيخ على يوسف كتب محمد فريد فى مذكراته « توفى الشـــيخ على يوســـف فانهى بموته ركن النفاق والذبذبة » (٢١)

لكن الطبيعة المعقدة لمواقف الطبقة الوسطى تفرض نفسها على أى تحليل ، ولابد لنا أن نتذكر أن الشيخ على يوسف قد افسح صفحات مجلته المؤيد لاحاديث وطنية متطرفة، بل ولابد أن نتذكر انه قد افسحها لبعض الاشتراكيين ليعبروا عن بعض آرائهم .

---

(١٨) المرجع السابق ص ٨١
(١٩) مقالات قصر الدوبارة وهو كتيب يضم مانشرته جريدة المؤيد من مقتبسات من اللورد كرومر وسياسته ص ٤
(٢٠) جريدة العلم ٢٥ مارس ١٩٠٩
(٢١) منبيج ص ٢٧١ .

ولنتحدث الآن عن وسط هذه الطبقة ..

وهنا تزداد الصورة تعقيدا .. فهو ليس من فئة متجانسة ، فهناك متوسطو الموظفين والمثقفين ، الليبراليين المستنيرين الذين احسوا بثقل القهر الاستعمارى فتفجر سخطهم على الاحتلال مقالات وقصائد واضرابات طلابية ..

وهناك أيضا بعض الرأسماليين المستنيرين وهم جناح ضعيف كان يجاهد ليشق لنفسه طريقا يحلم فيه بالربح والتصنيع والشركات المساهمة ، كل ذلك متوجا بشعار « مصر المصريين » بمعنى أن خيرات مصر يجب أن تكون للرأسماليين المصريين ..

ولنلق نظرة سريعة على العوامل التى فجرت سخط هذه الطبقة ...

فالموظفون يرهقهم التحكم الانجليزى فى الوظائف الكبيرة ، ويرهقهم غلاء المعيشة فالاسعار ترتفع بصورة لم يسبق لها مثيل ، فبالمقارنة مع أسعار عام ١٩١٤ ارتفعت الاسعار بنسبة ٢١١٪ عام ١٩١٨ و ٣١٢٪ عام ١٩٢٠ ..

ونقصت نسبة الموظفين المصريين فى الوظائف الكبيرة من ٢٧ر٧٪ سنة ١٩٠٥ الى ٢٣ر١٪ سنة ١٩٢٠ فى حين ارتفع نصيب البريطانيين من ٤٢ر٢٪ الى ٥٩ر٣٪ فى نفس الفترة (٢٢)

واذا كان الموظفون يتذمرون فالنواة الرأسمالية تغلى هى الأخرى بالحقد فالاجانب يستولون على خيرات البلاد ويؤسسون فى الفترة من ١٩٠٠ ــ ١٩٠٧ أكثر من ١٦٠ شركة برأس مال ٤٣ مليون جنيه (٢٣) ..

والضرائب يلقى عبؤها على المصريين جميعا بينما البنك العقارى (المصرى) يحقق عام ١٩١٨ أرباحا تبلغ ٧٥٢ر٥٢٩ جنيها دفع منها ٢٧ر٠٠٠ جنيه ضرائب الحكومة الفرنسية .. ولم يدفع مليما واحدا الحكومة المصرية ..

وكبار تجار القطن الاجانب كانوا يحققون أرباحا خيالية « فمحل كارفر حقق فى عام ١٩١٧ أرباحا بلغت ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه ومحل خوريمى بلغت أرباحه ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه أيضا ، وارباح المحلين تعادل ريع ٢٠٠ر٠٠٠ فدان من أطيان الوجه البحرى يدفع أصحابها ضرائب قدرها ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه ، بينما أصحاب هذين المحلين لايدفعان مليما واحدا » (٢٤)

وقد حاولت هذه الفئة من المصريين أن تثبت وجودها فأسست فى عام ١٩١٧ « لجنة التجارة والصناعة » من بعض المصريين والاجانب المتمصرين، وكان أكثر المتحمسين لنشاط هذه اللجنة **طلعت حرب واسماعيل صدقى** وكان هدفها الوقوف على مدى تأثير الحرب فى صناعة البلاد والنظر فى التدابير التى تؤدى الى احلال بعض المصنوعات المصرية محل الاصناف التى انقطع واردها ..

لكن هذه الفئة كانت ضعيفة اقتصاديا كما قلنا ، وكانت أيضا لاتثق بالجماهير ولم يكن أمامها سوى أن تناور بحثا عن مخرج ، وسوى أن تتحالف مع الاجانب المتمصرين ضد سيل الاستثمارات الاجنبية القادم من الخارج ...

أما المثقفون الليبراليون فقد كان يسوؤهم كل ماسبق ويحرك مشاعرهم سخطا على الاحتلال .. لكنهم أيضا يتأثرون أكثر من غيرهم بالقيود التى فرضتها سلطات الاحتلال على حرية التعبير وحرية الصحافة ...

ويبدأ هجوم الاحتلال على الصحافة فى مارس ١٩٠٩ عندما صدر قرار باعادة العمل بقانون المطبوعات القديم ، وذلك « التمادى الجرائد فى التطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك الى شكوى الناس » .. ثم صدر قانون يجعل القضايا الصحفية من اختصاص محكمة الجنايات بدلا من محكمة الجنح ، ثم كانت الخطوة التالية وهى تعديل قانون العقوبات فبعد حادثة اغتيال بطرس غالى باشا ادعت سلطات الاحتلال أن ثمة نقصا فى القانون ، فمرتكب الجريمة « شاب ثبت انه ينتمى لجمعية سرية معينة ، وأن آخرين اشتركوا معه فى التفكير فى ارتكاب هذه الجريمة ولكنه انفرد دونهم بالتنفيذ ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا الى معاقبة أولئك الشركاء ... ومن ثم اضيفت المادة ٤٧ مكررة وجاء فى المذكرة الايضاحية التى وضعتها وزارة الحقانية ان الحكومة أرادت بهذه المادة « أن تضرب على يد الاجتماعات أو الاتفاقات التى يكون العبث بالنفس أو الاموال أو الهيئة الاجتماعية غرضا من أغراضها أو وسيلة من وسائل تحقيق الغرض المذكور » (٢٥)

---

(٢٢) فوزى جرجس ــ دراسات فى تاريخ مصر السياسى .
(٢٣) المرجع السابق ص ٩٤ .
(٢٤) عزيز خانكى ــ شئون مصرية ــ الطبعة الثانية ص ٣٢ .
(٢٥) محمد عبد الله عنان ــ تاريخ المؤامرات السياسية ص ٢٩ .

ولهذه المادة علاقة كبيرة بموضوع هذه الدراسة فقد ظلت ولأمد طويل سبيلا لارهاب أى تجمع القوى الاشتراكية ..

وسوف نرى فيما بعد كيف ان كل اشتراكيى هذه الفترة – وبلا أى استثناء – قد أعلنوا أن الاراء التى يرددونها لاتعنى الدعوة لتكوين حزب أو جماعة أو ماشابه ذلك ، ومع ذلك فقد حاولت هذه الفئة أن توجد بعض الاشكال التنظيمية لنشاطها ، وهكذا تظهر الى الوجود عدة لجان مثل « لجنة الدفاع عن الحريات السياسية» ولجنة اخرى اسمها « لجنة الدفاع عن حقوق المستأجرين » جعلت أهدافها تخفيض ايجارات المساكن ووضع حد لاستبداد المالكين ».

الشعر فى المعركة

لكن أبلغ مظاهر كفاح المثقفين هو استخدامهم الشعر والادب سلاحا فى المعركة ضد الاحتلال ويصيح خليل مطران بانشا بأبيات رائعة ، صلبة كالصخر ، قوية كالرعد ظلت تلهم الجماهير عشرات السنين ..

شردوا اخيارها بحرا وبرا
واقتلوا احرارها حرا فحرا
انما الصالح يبقى صالحا
آخر الدهر ويبقى الشر شرا
كسروا الاقلام هل تكسيرها
يمنع الايدى أن تنقش صخرا
اطفئوا الاعين هل اطفاؤها
يمنع الانفاس أن تصعد زفرا
اخمدوا الانفاس هذا جهدكم
وبه منجاتنا منكم فشكرا

».. وثمة قصيدة أخرى لمطران عنوانها العدل:

والعدل فى الارض يبكى الجن لو سمعوا
به ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت الجانين أن صغروا
والمجد والفخر والاثراء أن كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر

وحافظ ابراهيم يشن حملات شديدة القسوة على الاحتلال فى قصائد مشهورة ومعروفة ، لكن ثمة بيتين من شعره يستلفتان النظر ، فهما يحددان موقفا اجتماعيا واضحا .

ويا حزب اليمين اليك عنا
لقد طاشت نبالك والسهام
ويا حزب الشمال عليك منا
ومن ابناء نجدتك السلام

وثمة كتابات ادبية أخرى كانت تفيض بالاحاسيس الطبقية العميقة ، بل وتدعو صراحة لصراع طبقى عنيف ».

من الليبرالية .. الى الدفاع عن الكادحين

ولعل ولى الدين يكن هو اكثر هؤلاء المثقفين وضوحا وجراة . ويكن أديب ليبرالى عشق الحرية باحساس مرهف ، لكن عشقه لها مالبث أن قاده الى الدفاع عن العمال والكادحين منددا تنديدا قويا بمستغليهم . فمن دفاع عادى عن الحرية « الحرية عدوة الملوك وحبيبة الشعوب» و « مساكين انصار الاحرار يريدون أن يخلصوا العباد من الظلم فيقعون هم تحت الظلم» الى هجوم على الحكام قائلا :

بغال تسوس الاسد شر سياسة
ماساس اسدا قبل ذاك بغال

وهو يشن هجوما ساحقا على السلطان عبد الحميد ، ويمتدح هؤلاء الذين اطاحوا به لكنه لايلبث أن يزعجه هجومهم على الحرية التى عشقها اكثر من عشقه لاى شىء آخر ، فلا يلبث ان يهاجمهم هم أيضا :

أفلا يزال السوط حاكمكم .. وابو السياط بيلدز ذهبا
أفلا يزال الدهر يعجبكم .. ضرب ومضروب ومن ضربا
ونقول احرار فنمدحكم .. لا حر فيكم كلنا كذبا

وهو يعشق الحرية – حقيقة ويتغزل فيها غزله لمحبوبته ..

نشتاق حرية فيؤسينا
من دهرنا عن حبائها ضنن
أوهننا حبها وتيمنا
حتى ترانا وشفنا الوهن

ودفاعا عن الحرية يبدأ ولى الدين يكن دفاعه عن احرار العالم. وثمة مقالا هاما كتبه ولى الدين دفاعا عن مناضل اسبانى اسمه « فرر » أعدم رميا بالرصاص « ثلاث رصاصات رمتها حكومة متمدينة بمشهد من حكومات متمدينة فقتلت رجلا متمدينا ، حرا شفته حريته ، عارفا أجهدته معرفته ومنصفا أرداه انصافه ، أبى زعامة الفرد على الجمع ، وكره ان يرى أناسا يرفلون فى ثيابهم المخملة يجررون أسيافهم وتخفق على رءوسهم خرق فوق قضبان ، يسمونها اعلاما ، وان تكثر الحكومات من جمع هؤلاء فى ازيائهم المضحكة لتقتل أمثالهم ، أبى أن يرى اخوته أبناء آدم يتنازعون أكنافا من الارض ليست لهم ولا

لغيرهم ولكنها لكل الناس . فما يجزع على قرن سكان القصور العالية ولاالمدخرون الذهب والفضة ولاسراة القوم ولا الوزراء ولاكبار الموظفين وانما يجزع عليه المنفيون الى اقاصى سيبريا حين يعض الحديد على سواعدهم والمقيمون فى ظلمات السجون فى سائر اقطار الارض ، بل يبكى عليه كل من ذاقوا مرارة الظلم والاستبداد فى أسر المستبدين .. الارمنى الذى تتل ذووه فى مذابح الاناطول ، والتركى الذى — القى ذووه فى مذابح البوسفور والعامل فى اعماق الموانى محروما من نور الشمس ولطف الهواء والفقير الذى — يحس بالفاقة ولا يتجاسر على شكايتها كل ينـدب قرن وكان قرن يندبهم .» (٢٦) .

لكن ايمان المثقف الليبرالى كل هذا الايمان المخلص بفكره الحرية يقوده حتما الى ترديد افكار ذات مضمون اجتماعى ، يستدرجه الى موقف يدافع فيه عن الكادحين ضد مستغليهم ، بل ان الكادحين هم الذين يستدرجونه الى هـذا الموقف .

وتصل رسالة ولى الدين يكن من أحد العمال العثمانيين تسأله « تدافع عن الحرية، فلم لاتدافع عن حريتنا وحقوقنا » ، وتستيقظ فى أعماق المثقف الليبرالى أفكار جديدة ويكتب ، بل ويصرخ» (٢٧) « أيها الاخ العامل ، لبيك ألفا ، هذا يمين الاخاء أمده اليك ، فان كنت خاطبا ودا، الود لك ، وان كنت شاكى ظلم فيراعى لسانك وبيانى ترجمانك وانا وحياتى دريئة لك من المخاوف » .

ثم يمضى يكن مهاجما الاغنياء والحكام قائلا « ادخل حجرة الوزير تلق الاوانى الذهبية فى نقوشها وتصاويرها على الجوان البديع من شجر الجوز مطعما بالفضة ، وهو مضجع على سرير اقل مسمار فيه أغلى من مالكه ثمنا وانفس قدرا » .

هو يحسب ان العامل يدور كاللولب لايجهده تعب ، ولايضنيه كد ولو رآه فى معمله متصـددا جبينه عرقا ، مشمرا عن ساعدين مفتولين عزمامتهللا فرحا فى حزنه شاديا فى مناحه حظه ، لاخـذه الروع ولخارت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه .»
وبعد أن يقدم صورة بالغة القسوة عن حياة العمال وظروف معيشتهم ، يصرخ بأعلى صوته « من اراد أن يجور على العمال فليستغن عن العمال .. ليقل هؤلاء الكبراء والاوسمة تتبرق على صدورهم ، اننا فى غنى عن العمال، واذانزعنا هنا هذه الحال الباهرة ملنا الى المعامل وشمرنا عن سواعدنا فصنعنا لانفسنا وليصنع العمال لانفسهم هنالك يعلم كل عمله » .

مرة اخرى انها صيحة مثقف ليبرالى قاده ضميره الحى الى مواقع الدفاع عن العمال لا لانهم طبقة كادحة — بالمعنى العامى الكامة — ولكن لانهم مظلومون .

ولقد كان لولى الدين احلامه .. كان يحلم بمجتمع صاغ له صورة شاعرية مغرقة فى شاعريتها مجتمع أمواله كثيرة ولو أحسن انفاقها اصارت « أعمدة النور التى فى الطرقات من الفضة ولو بذلت فى تعليم الابناء لصاروا كالانبياء ، ولو بذرت فى الارض لنبتت السنابل ذهبا ولو انفقت على الفقراء لاصبح السائلون يشترون ملابسهم من « ريبو » ويقطرون على الشكولاته » .

ولست أريد أن اقول أن كلمات ولى الدين قد مضت بغير أثر، لكنها ظلت وباستمرار صيحة ارستقراطى ليبرالى النزعة تحدث عن العمال مشفقا عليهم ، وهاجم الطغاة دفاعا عن محبوبته الحرية .

لكن صيحة ولى الدين كانت واحدة من البذور الهامة التى القيت بشجاعة نادرة فى ارض خصبة أرض مصر التى كانت تذوب شوقا الى الثورة .

ماذا بعد الكلمات الساخنة ؟

ولم تمض سنوات قلائل حتى تحول الشعر والادب بالفعل الى سلاح فى أيدى جماهير الكادحين ، وترددت على افواه الجماهير قصائد عنيفة مثل تلك التى صاغها عبد الرحمن سالم مخاطبا الفقراء :

برح اليوم بالظهور الخفاء
فكلوا الاغنياء يا فقراء
امضغوهم وعلقوا الاثم فى
جيدى فهم بانتحارنا الاثماء
وابلعوهم وكلكم مستعد
لابتلاع الاحجار لولا الحياء

الى هذا الحد كان المثقفون يموجون بالسخط لكنهم على أية حال لم يقدموا للجماهير العواطف الطيبة والكلمات الحماسية .. امضغوهم وعلقوا الاثم فى جيدى ..

وكل هذا جيد ومفيد ولابد انه قد ترك آثارا

(٢٦) الصحائف السود — طبعة المقتطف سنة ١٩١٠ ص ٥٢ .
(٢٧) الصحائف السود ص ٥٧ .

عميقة في جموع الامة لكن هذا التأثير يقف عند حد الحماس دون ان يقدم فكرا ايجابيا يمكنه ان يحرك الجموع في طريق واضح المعالم .

وهناك ايضا بعض الشبان الذين كانت صدورهم تغلي حماسا بكراهية الانجليز بضرورة تطهير الوطن منهم والذين افتقدوا رغم حماسهم الشديد ووطنيتهم الدافقة النظرية الواعية والثقة بالجماهير ، ولم يكن امامهم سوى الارهاب الفردي متأثرين بطبيعة الحال بموجة الارهاب والحركات الفوضوية التي انتشرت في أوربا في ذلك الحين .

وتكاثرت الجمعيات السرية ، ويؤكد غورست « ان التحقيق في حادثة الورداني قد اظهر ان الجمعيات السرية تدنست نموا يوجب الاسف »(٢٨)

وتبدأ هذه الجمعيات عملها . ويذكر محمد فريد في مذكراته سلسلة من هذه الاعمال :

● ١١ سبتمبر ١٩١٢ اطلعت في جريدة لابورض على خبر من مصر يقول انه قد ضبط بعض الوطنيين في الفيوم بتهمة تشكيل جمعية سرية بقصد استعمال الارهاب ..

● ١٩ ابريل ١٩١٥ نشرت الجرائد تلغرافا من مصر بأن شابا مصريا أطلق الرصاص على البرنس حسين الخائن .. والضارب اسمه محمد خليل تاجر من المنصورة وقد حوكم أمام محكمة عسكرية وشنق رحمه الله .

● ٩ يوليو ١٩١٥ القيت قنبلة على البرنس حسين أثناء ذهابه الى الصلاة ولكنها لم تنفجر وملقيها لم يقبض عليه بل انه فر من الاسطح بعد ان القاها من شباك اودة كان استأجرها لهذا الغرض من شهرين وهذا العمل يدل على وجود جمعية منظمة للانتقام من الخونة ..

● ٤ سبتمبر ١٩١٥ قام شخص اسمه صالح افندي عبد اللطيف بضرب ابراهيم باشا فتحي بسكين في رقبته قاصدا قتله .

ويظهر من الصحف أن هناك اتفاقا على قتل جميع الوزراء .

ويمضي محمد فريد معلقا « هذا المعتدى عمره ٣٥ سنة وهو صراف في المالية ، والجناية سياسية محضة وتدل على ان الافكار الارهابية قد تسربت من الشبان المتهمين بالتهور الى من هم أكبر منهم سنا .. » (٢٩)

وارتعد الانجليز وعملاء الانجليز من هذه الموجة لدرجة ان **غورست** قال في تقريره « ان هذه الموجة ربما أدت بالبعض ممن استولى عليهم الرعب من رسائل التهديد التي يتلقونها يوميا الى التحول عن القيام بواجبات وظائفهم » .

ويبدو مدى خطر هذه الموجة في تقرير لجنة غرفة التجارة البريطانية في مصر الذي جاء فيه « ان اللجنة تنظر بانشغال وقلق الى عوامل عدم الاستقرار وعدم الامن التجاري في مصر لان ذلك يؤثر في مصالح البلاد كثيرا » (٣٠)

غير ان موجة الارهاب هذه بالرغم من استفحالها لم تحقق مكسبا حقيقيا للامة ، بل ان الاعمال الارهابية كانت على الدوام وسيلة لتعلل سلطات الاحتلال بفرض مزيد من القيود .

لكن ثمة جناح آخر من المثقفين كان يبحث تحت القيادة الخاصة لمصطفى كامل عن طريق الخلاص ، ولست اريد هنا ان استفيض في تحليل طبيعة الحزب الوطني ومكوناته الفكرية ، لكنني اريد وبسرعة ان اقول ان مصطفى كامل كان الزعيم الوطني الوحيد الذي استطاع ان يلف حوله قطاعات من جماهير الشعب وخاصة جماهير البرجوازية الصغيرة وما اسميناه جناح الوطنية المتطرفة ، وان يلهب حماسها بصورة لم يسبق لها مثيل .

وعندما زار مصطفى كامل الاسكندرية زاره في اليوم الاول لوصوله اكثر من ثلاثمائة شخص ، وعند مغادرته لها كان في وداعه في المحطة «نحو ثمانية آلاف نفس» وفي مقدمتهم زائدوا الوطنية وحماتها وفوق رءوسهم الاعلام ، وقدموا له نيشانا من الفضة رسم على احد وجهيه صورة النخيل ومسلة الثغر ، وكتب على الوجه الاخر هذه الجملة « برهان الاخلاص - من أهالي الاسكندرية - للوطني الغيور مصطفى كامل » (٣١)

ولقد كان مصطفى كامل يستحق كل هذا التأييد ، فلقد احب مصر حبا ملك عليه كل وجدانه ،

---

(٢٨) غورست - تقرير من المالية والادارة عام ١٩١٠ ص ٨١ .
(٢٩) صبيح - ص ٢٦٣ وما بعدها
(٣٠) غورست ص ٢ .
(٣١) على فهمي كامل - ص ٢٢٥ .

ولقد أثر أخلاصه المتفانى فى الجماهير التى تعلقت به وكان لابد لهذا التعلق ان يترك اثره ايضا على شخص الزعيم .

لكننا يتعين علينا الا نبالغ فى دور هذه الجماهير ، فقد كانت الحركة الجماهيرية عموما ضعيفة وغير منظمة وغير واثقة فى قدرتها . وكانت ايضا — وهذا هو المهم — ذات نوعية خاصة فقد تركزت اساسا فى جماهير الطبقة الوسطى ، وفئاتها الدنيا على الاخص وهى ذات طاقة ثورية محدودة وخاصة فى ظل ظروف يسودها بطش الاحتلال ، وفى ايام كانت ظلال فشل الثورة العرابية تلاحق كل من يفكر فى التمرد

وهكذا فان الجماهير التى التفت حول مصطفى مالبثت أن تفرقت هى الاخرى تحت وطأة الحادث الشهير ... واقعة فاشودة .

ويتلفت مصطفى كامل حوله فلا يجد احدا، سوى محمد فريد يبثه آلامه فيكتب اليه رسالة تقطر حزنا .. « أخى العزيز فريد .. وصلنى خطابك الكريم وانه لايسعنى الا أن اشكر ودك الصادق النادر المثال فى مصر ، فهو تعزيتى عن هموم بلادى وتسليتى عن قعود بنى وطنى عن اجابة ندائى ، والاجتماع حول راية الوطن لانقاذه واسعاده .

وانه ليحزننى حقا أن أرى الفرص مناسبة لخدمة الوطن ولاأجد غيرك فى المصريين نصيرا .

أخى سأسافر الى برلين بالرغم من شدة كدرى من عدم وجود ارادة مشتركة بين من يريدون أو من يدعون خدمة الوطن .. وماعلى الا الامتثال لارادة الخالق جل شأنه الذى كأنه اراد أن أكون **الوحيد فى خطتى ، الفرد المطالب بالاستقلال»(٣٢).**

وكان طبيعيا ان ينهج مصطفى فى ظل ظروف كهذه سياسة معتدلة . وعندما اتحدث عن الاعتدال فاننى أعنى أن مصطفى كامل قد تعمد — عن وعى — الابتعاد عن أساليب معينة فى الكفاح .

فهو يوجه كلامه الى جمهور الاسكندرية محذرا « فالغيرة التى تستعمل فى غير موضعها تكون دواما أضر من البلادة والخمول فلذا انا اديكم منادة محب لبلاده أن تنفوا باعتدالكم وسكونكم تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضراب ..» (٣٣).

وتنشر احدى الصحف النمساوية حديثا لمصطفى كامل يقول فيه « ولما كانت الامة المصرية متألمة ولها حقوق الخلاص من النير الانكليزى فترى الوصول الى غرضها سبيلين .. سبيل الثورة والسبيل السلمى ، فأما سبيل الثورة فنحن لانريده لاننا قوم مشهورون قبل كل شىء بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم ومن جهة اخرى فان لاوربا مصالح تضر بها الثورة .. لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذى نكرهه بفطرتنا واخترنا السبيل السلمى » (٣٤).

وثمة مواقف اخرى كثيرة ، لكن واحدا جذب انتباهى لانه يعبر عن موقف مصطفى كامل من قوة هامة فى المجتمع وهى ضباط الجيش ..

فقد وجه اليه ضباط الجيش المصرى فى سواكن رسالة ذاخرة بالشجاعة والجرأة .. « الى الشهم الغيور الوطنى مصطفى كامل افندى — أيده الله —

السلام عليكم .. أن الذين يخاطبونك يجدون انفسهم أمام وطنيتك النادرة ، وتفانيك فى حب مصر المقدسة صغارا لان قلمك الحق أمضى من سيوفنا ، وحججك القوية أفعل من رصاصنا، فان قصرنا فى شكرك فلنا من عملنا أكبر عذر ، وفى عفوك أعظم أمل ..

اننا نشكرك ايها السيد المبجل شكر المصرى الصميم لاخيه الحميم فاقبل شكرنا ، واعلم أن ارواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة » .. ثم ٣١ توقيعا .

فماذا كان رد مصطفى ..

« من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا وانى لاأود أن يدخل الضباط فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة المصرية ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال سوقا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لايخفى عليكم » (٣٥)

وبعد .. ربما كان مصطفى كامل محقا فى مواقفه هذه .. وربما كانت طبيعة المعركة تتطلب ذلك ..

لكن المؤكد ان مصطفى كامل لم ير أن ثمة قوة اخرى فى المجتمع كانت تموج بالثورة وتتمرد فى عنف — أحيانا — منادية بمطالب وطنية وطبقية معا.

---

(٣٢) الرافعى — مصطفى كامل — ص ١٢٤ .
(٣٣) احمد رشاد — مصطفى كامل — حياته وكفاحه ص ٥ .
(٣٤) على فهمى كامل — ص ٢٨٧ .
(٣٥) المرجع السابق ص ١٥٥ .

ارتفاع صوت العمال

لقد حاصرت البرجوازية الصغيرة فكر مصطفى ونشاطه وحزبه ولم تترك له متنفسا على قوة اخرى هامة كانت تتمرد بالفعل ، هى قوى الطبقة العاملة . ففى مايو ١٨٩٤ يبدأ عمال نقل القمح فى بورسعيد اضرابهم طلبا لزيادة الاجور ويستمر الاضراب ثلاثة ايام . وما تلبث موجة الاضرابات المنظمة ان تنفجر فى مطلع القرن مرتبطة بنمو التنظيم النقابى وتصاعد فعاليته .. (٣٦)

ففى ديسمبر ١٩٠٠ يضرب عمال خزان أسوان محتجين على خفض الاجور ، وفى نوفمبر ١٩٠١ يضرب عمال الترزية مطالبين بتنظيم اجور القطعة وخفض ساعات العمل واعتبار يوم الاحد اجازة اسبوعية بعد الظهر وتحديد وقت للراحة والغذاء . وفى يناير ١٩٠٢ يضرب عمال شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية مطالبين بزيادة الاجور وفى مارس ١٩٠٢ اضرب عمال مطبعة الكوريرى اجيسيانو بالقاهرة لزيادة اجورهم وفى نفس الشهر اضرب لفافو السجاير بالاسكندرية ..

ولعل اهم مايميز حركة الطبقة العاملة فى ذلك الحين هو صبغتها الطبقية الواضحة ، وانتشار روح التضامن العمالى . ففى ابريل ١٩٠٧ اضرب عمال الفحم فى ميناء بورسعيد مطالبين بالغاء نظام مشايخ الفحامين وبزيادة اجرة النقل وسرعان ماسرت روح الاعتصام الى عمال ورش قنال السويس ثم الى عمال تنظيف الطرق . بل أن النموذج النضالى الذى بدأ العمال فى تقديمه قد ألهم الجماهير روح المقاومة والتضامن معهم ، ففى اضراب عمال الترام الذى بدأ فى ٣٠ يوليو ١٩١١ انضمت جموع الشعب الى العمال الذين رابطوا فوق خطوط الترام أمام مخزن العباسية ليمنعوا عربات الترام من الخروج ، وعندما هاجمتهم قوات البوليس اشتركت جموع الشعب فى المعركة بالنبابيت والحجارة .. فاذا ما نجحت الشركة بمعاونة البوليس فى اخراج بعض العربات وسيرتها على خط العباسية — العتبة تدخلت جموع الشعب مرة أخرى لتوجه ضربة حاسمة فما ان وصلت عربة الترام الى حى الحسينية حتى خرج عليها الاهالى وضربوا ركابها واشعلوا فيها النار . ولم يلبث هذا الاسلوب ان انتشر فى جميع الاحياء الشعبية ..

وتسارع العمال فى تكوين منظماتهم النقابية بل ان الامر لم يقف عند هذا الحد فقد حاولوا تأسيس حزب عمالى .. ففى ١١ يوليو ١٩٠٨ نشرت اللواء والاهرام اعلانا عن دعوة عامة يوجهها « حزب المقاصد المشتركة العمال » الى أرباب المهن والصنائع والعمال تقول ان محمد أحمد الحسن احد مؤسسى الحزب قرر القاء خطبة عمومية فى حديقة الازبكية موضوعها وجوب انضمام اصحاب الحرف المصرية والاجنبية على اختلاف طبقاتها الى حزب واحد مشترك المنافع والاعمال الخيرية ليتكون منه جماعة قوية مسموعة الراى والصوت فى الاعمال النافعة واقامة جريدة يومية (الوضاح) لسان حال الحزب المذكور ..

وعندما صدر قانون المطبوعات عام ١٩٠٩ نشرت الاهرام بيانا صادرا عن هذا الحزب يقول « بالنيابة عن حوالى خمسين الفا من العمال نحتج على ظهور قانون المطبوعات القاتل للحرية ونطلب الغاءه فورا وان مجلس ادارة الحزب سيعقد اجتماعا لكافة العمال ثم يشكل مظاهرة كبرى سلمية تكون احتجاجا فعليا اذا لم تتدارك الحكومة الامر وتحترم صوت الشعب » ..

كذلك ادرك العمال اهمية الصحافة فأخذوا يرسلون بسيل من شكاواهم الى الصحف وخاصة الاهرام واللواء .. بل انهم حاولوا اصدار صحفهم الخاصة بهم . «فصدرت «الوضاح» .. ثم صدرت فى نفس السنة مجلة «عمال السكة الحديد » وهى مجلة شهرية ، وفى سنة ١٩١٢ صدرت فى طنطا مجلة « التعاون » واعلنت انها تبحث وراء منفعة العامل » (٣٧) .

ولقد كان طبيعيا ان يؤثر ذلك كله على الاتجاهات الفكرية للمثقفين .. فاذا كانت الطبقات والجماعات الاخرى تشهر افلاسها واحدة بعد الاخرى وتتهاوى تحت ضربات سلطات الاحتلال فان ثمة قوى تصمد وتقاوم وتصطدم وتلعق جراحها لتصطدم من جديد .. مقدمة للامة كلها صورة كفاحية نادرة المثال .

ولست اريد ان ابالغ فى الدور الذى لعبته الطبقة العاملة لكننى اود ان اؤكد انه خلال تلك الفترة المظلمة من عام ١٩٠٤ حتى عام ١٩١٩ عندما التهبت الثورة كان الكثيرون يفرون او يستسلمون او يتركون مصر جماعات اثر جماعات ، ولم يصمد سوى القليلين ، ومن بين القوى التى صمدت كانت الطبقة العاملة .

---

(٣٦) لمزيد من التفاصيل عن نضال الطبقة العاملة فى هذه الفترة راجع المؤلفين : امين عز الدين — تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ ، رءوف عباس — الحركة العمالية فى مصر .

(٣٧) قسطاكى الياس عطاره — تاريخ تكوين الصحف المصرية ص ٢١٢ .

وكان طبيعيـــا ان يؤثر ذلك كله على نشر الاتجاهات الاشتراكية وسط المثقفين ، وبعد ان كانت الافكار الاشتراكية تتردد مستترة فى مطلع القرن ، بدأت تزداد جراة ، وكلما اشتد نضـــال العمال قوة ، كلما ارتفعت صيحة المثقفين اكثر علوا بالفكر الجديد الذى اقتحم الميدان محاولا ان يقدم البديل لكل الاراء والمواقف والقـــوى التى اشهرت افلاسها .

مصادر أخرى للفكر الاشتراكى

والحقيقة ان ثمة ظروفا اخرى هامة قد ساعدت على بروز الفكر الاشتراكى فى هذه الفترة .

منها ان عددا من ابناء مصر قد عاد من اوربا وقد تلقن الى جانب ما درسه من علم دروســـا اخرى فى النظرية الاشتراكية والنضال الاشتراكى .

وثمة اسماء معروفة واسماء اخرى لم تعرف بعد . **فسلامه موسى** سافر الى انجلترا واتصل بالفابيين وعاد لينشر بآرائهم . **ونقولا حداد** اقام فترة من الزمن فى نيويورك واتصل بقادة الحزب الاشتراكى الامريكى .. ثم عاد .. **وعزيز ميرهم وعبده جوده وخليفه بوبلى** انضموا فى فرنسا الى الجناح اليسارى لحزب حقوق الانسان ، واقاموا علاقة وثيقة بالحزب الاشتراكى الفرنسى وزعيمه مارسيل كاشان ... (٣٨) .

ويكتب محمود ابو الفتح ليقول « كانت التجربة قد علمت اعضاء الجمعية المصرية ببـــاريس انه لا رجاء فى احزاب اليمين لانهـــــا قبل كل شىء استعمارية المبدأ ولانها لا تجـــد من مصلحتها استقلال مصر ، وعلمتهم التجربة ايضا ان العون الوحيد الذى ينتظر من فرنسا انما هو من احزاب اليسار ، لانها تتبـــع فى دفاعها عن مصر مبادئها القائلة بحق الامم فى ان تعيش حرة متعاضدة متعاونة » (٣٩) .

وتأكيـــدا لدور الطلبـــة المصريين فى باريس وعلاقاتهم بالجماعات الثورية نورد هذه العبارة التى كتبهـــا غورست فى تقـــريره عام ١٩١٠ « كان فى يناير الماضى من الرسالة المصرية ٥٢ طالبا فى انكلترا و ٣ فى فرنسا ووجد لواحد منهم اشتراك فى جمعية سرية ثورية فطرد » (٤٠) .

واذا كان بعض المصريين قد انتقلوا الى الخارج فتأثروا بالفكر الاشتراكى فان بعض الاجانب قد اتوا الى مصر وفى جعبتهم الكثير عن هذا الفكر .

والحقيقة ان دراسة الدور الذى لعبه الاجانب فى هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر وخاصة فى مجال نشر الفكر الاشتراكى موضوع هام يتطلب دراسة مستقلة ومستفيضة ، لكننى سأكتفى هنا بايراد امثلة سريعة .

فثمة جنديا انجليزيا وصل الى القاهرة ضمن قوات الاحتلال اسمه **فيكتور استور** ، وكان عضوا فى حزب العمال وكانت له ميول اشتراكية واضحة وقد اقام علاقات وثيقة مع جماعات من المثقفين المصريين ذوى الميول الاشتراكية . وثمة شخصا آخر اسمه **تيودور روزنشتين** وهو اشتراكى روسى فر من روسيا القيصرية الى لندن ، ومن هناك الى القاهرة ليعمل محررا فى جريدة « ذى اجيبشيان ستاندرد » . وقد اقام فى مصر فترة من الزمن جمع فيها مواد كتابه القيم « دمار مصر » . ولكى تكتمل معالم الصورة عن روزنشتين ينبغى ان نقول انه قد عاد سريعا الى وطنه بعد نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية .. ليعمل فى منصب هام جدا هـــو السكرتير الخاص لقائد الثورة لينين .. ثم بعد ذلك عين سفيرا لبلاده فى طهران (٤١) .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، فثمة دراسة ممتعة يقوم بها احد الصحفيين السوفيت (٤٢) حـــول جماعة من بحـــارة المدرعـــة بوتومكين — وهى السفينة التى اعلنت التمرد خلال ثورة ١٩٠٥ — ثم هرب كثيرون من بحارتها بعد فشل الثورة ، وقد وصل بعض هؤلاء البحارة الى الاسكندرية واقاموا فيها وكونوا فيما بينهم خلية للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى مارست نشاطها لفترة من الوقت واصدرت مجلة باللغة الروسية اسمها « الملاح » كانت توزع سرا على بحـــارة السفن الروسية التى ترسو بالاسكندرية .. وقد اشترك اعضاء هذه المجموعة فى المظاهرات الصاخبة التى قام بها العمال العاطلون بالاسكندرية ، وساروا فى المظاهرة يرفعون العلم الاحمر للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى .

ولابد ان هذه المجموعة قد اقامت علاقة ما بعدد من الاشتراكيين المصريين ، فعندما يتدخل القنصل

---

(٣٨) لمزيد من التفاصيل حول اتجاهات الجمعية المصرية بباريس وعلاقات الطلبة المصريين بالحـــزب الاشتراكى الفـــرنسى راجع — محمود ابو الفتح — المسألة المصرية والوفد ص ١١ وما بعدها .
(٣٩) المرجع السابق ص ٢٩ .
(٤٠) المرجع السابق ص ٩٧ .
(٤١) راجع مقدمة الترجمة العربيه لكتاب روزنشتين بقلم المترجم على احمـــد شكرى . طبعة عام ١٩٢٢ .
(٤٢) د. نيقولاى كوتساريف رئيس مكتب وكالة نوفستى للانباء بالقاهرة

الروسى طالبا القاء التبض على هؤلاء البحارة .. فان بعض المصريين يقومون بمحاولة جريئة لتهريبهم من سجن الحضرة ، ولابد ان هناك قصصا اخرى كثيرة يتعين التنقيب عنها وازاحة غبار النسيان والاهمال المتعمد عنها .

المهم .. ان عوامل كثيرة محلية وخارجية قد تشابكت لتمنح الفكر الاشتراكى فرصة يتنفس فيها ويقدم نفسه للجماهير . وان نضالية الطبقة العاملة وشجاعتها كانت الحافز الذى منح بعض المثقفين الجراة ليرفعوا صوتهم بالاشتراكية . لكنه ارتفع خافتا فى اول الامر ، تردد اصحابه فى ان يعلنوا اسماءهم ، واكتفوا بنشر رسائل فى الصحف بدون توقيع .

أحد الفضلاء القراء .. اشتراكى مجهول

وثمة رسالة هامة نشرتها جريدة «المؤيد» (٤٣) وقالت انها واردة من احد الفضلاء القراء .. ورغم ان عنوانها لا يوحى بشىء فهو «كيف تسعد البلاد وتثرى . . » فانها تتضمن فى اعتقادى واحدة من المحاولات الجادة لصياغة فكر اشتراكى مصرى ..

ولنتامل معا تلك الرسالة التى كتبها مصرى مجهول والتى نشرتها المؤيد قائلة انها وردت من احد الفضلاء القراء ... لنقرأ كلمات خضبية لرجل لا نعرف اسمه :

« اذا كانت الاموال كمية غير محدودة فليس من حاجة تلزمنا البحث عن كيفية اقتسامها اذا كنا نترك كل إنسان يأخذ منها ما يشاء ، نعم ان الاموال ليست كمية محدودة ولكنها تقترب من ذلك **فيجب حينئذ اقتسامها بالعدل على قدر الامكان** ، ولهذا تعددت المذاهب فى مسالة اقتسام الاموال ، ولكل مذهب قاعدة ، فمن قائل انه يجب ان يكون لكل انسان حصة مساوية لحصة الاخر .. ومن قائل انه ينبغى ان يكون لكل انسان على قدر احتياجه ، ومن قائل انه يجب ان يكون لكل انسان على قدر شغله وهذا القول يمكن توجيهه الى معنيين : الاول اعتبار التعب والمشقة ، والثانى اعتبار النتيجة فينقسم الى هاتين القاعدتين ، لكل انسان على قدر ما يتعب ، ولكل انسان على قدر ما ينتج .

وهناك مذهب آخر يقول : لا يلزم البحث عن قاعدة بها تقتسم الاموال بالعدل لان ذلك امر طبيعى فهى منقسمة نفسها كالماء يتبع الانحدارات ... فنجيب على المذهب الاخير قائلين انه اذا كان الماء يتبع الانحدار فهذا لا يمنع الجناينى او المهندس ان يفرقه كما يشاء بواسطة جداول صناعية وحسب نواميس علم اجراء الماء وارتفاعه . فواضع القانون يمكنه ان يعمل ذلك فيما يختص بتفريق الاموال لان الملكية الشخصية والمبادرة فى الاعمال هما العاملان اللذان يحكمان تفريق الاموال فى مجتمعات زمننا ، وهما قانونان صناعيان وعلى فرض كونهما طبيعيين فمن الممكن تعديل ماينتج عنهما ، ونحن نشاهد ذلك فى كل لحظة .. **ان تقسيم الاموال بين الافراد بالقسطاس المستقيم ينجم عنه بلا ريب فوائد جمة ، بينما نبصر ان تقسيمها فى الوقت الحاضر مخالف للعدل** » .

وبعد ان يهزم الكاتب المجهول الفكرة التى ترفض النظر فى تعديل اقتسام الاموال .. يعرض بوعى كامل كافة المدارس الفكرية التى اشار اليها وينتقدها انتقادا موضوعيا يدل على فهم اصيل ووعى تام باسس الفكرة الاشتراكية العلمية وكل ما يميزها عن الافكار الاشتراكية الاخرى . .

بعد ذلك يبدا فى عرض الفكرة التى يحبذها فيقول : « ان سبب القيمة هو العمل لا المنفعة ولا القلة ، ولا يخفى ان هذا يكون عدلا محضا » . « هلموا بنا نجعل القاعدة التى تحاولون العدل بها هكذا .. لكل انسان بمقدار ما ينتج لا بمقدار ما يعلم فنكون قد اخذنا بناصر الافراد على حين لا نجحف بقسطاس العدل .. بل ان هذا هو العدل الذى لا يمكن ان يتصور العقل اكمل منه » .

« ان الهيئة الاجتماعية ملزومة بتقسيم الاموال على نواميس العدل المطلق وهى مضطرة الى ان تكافىء كل انسان بمقدار ما ينيدها بعمله بدون التفات الى عقله او حظه او ردائه بخته » .

ويواجه الكاتب بمشكلة صعبة .. كيف يمكن قياس جهد العامل حتى تقسم وفقا له .. وهنا يضطر الى ان يلجأ الى كتابات ماركس وان يذكر اسمه صراحة .. ممتدحا افكاره .. فيقول :

« قد يمكننا بواسطة مقياس القوة ان نعرف قوة الانسان ولكن لا يمكننا ان نقدر تعبه ، وقد **اشار كارل ماركس** احد علماء الاقتصاد السياسى ان نقيس التعب بمقدار عدد ساعات الشغل لكن ذلك غير كاف اذ ان الاعمال تختلف باختلاف الرغبات والاميال والاحساسات فهى متعبة وغير

(٤٣) منتخبات المؤيد لعام ١٨٩٠ ص ٢٩١ .

متعبة وهى كريهة أو خطرة .. الخ .. وتزداد الصعوبة عند اختلاف انواع الاعمال فمن يمكنه ان يقيس عمل الحراث الذى يحرث الارض وعمل المصور بمجرد الزمن .. » .

ومرة اخرى يواصل صاحبنا حديثه موحيا انه قد اطلع على كتابات ماركس وربما على « رأس المال » بالتحديد فهو يستخدم كثيرا من الحجج والامثلة التى وردت فى هذا الكتاب .. فيقول :

« ولكن خوفا من ان الكسل يمد اطنابه من نسيج هذا المذهب ارتأى كارل ماركس **بان الزمن الضرورى لعمل شىء ما يحدد بمقدار النتيجة على ناموس الاحصاء** (اى كما نقول نحن الان بمقدار ساعات العمل الاجتماعى اللازمة لانتاج هذا الشىء) فمثلا لو عرفنا مقدار ارادب القمح التى اخذت من ارض فى سنة من السنين وعلمنا عدد العمال ومقدار الزمن الذى بذل فى زراعتها فبقسمة بسيطة يمكننا ان نقول مثلا ان الاردب عمل رجل واحد وبذلك نقدر عمل الفلاح فى اليوم بدينار ، الذى هو ثمن الاردب من القمح . هذا اذا كان الفلاح قد انتجه بعمله فى اليوم الواحد فترجع المسألة الى قاعدة .. **لكل انسان بقدر ما ينتج** .. » .

وبعد ان يستعرض الكاتب خلاصة للمذهب الذى اختاره يقول « ولنا على فضل هذا المذهب من الشواهد التى تجعل له محلا ساميا تقاطر الناس افواجا للتمسك بعروته الوثقى فانا لو نظرنا فى جميع المذاهب السابقة بعين التأمل لحمدنا هذا المذهب » .

كم اتمنى ان اعرف اسم هذا الرجل ...

سلامة موسى .. الفابية

لكن الطريق امام « الاشتراكية العلمية » لم يكن ميسرا ولا سهلا . فان بعضا من هؤلاء الذين تلقوا معرفتهم الاشتراكية بالخارج .. تلقوها من خلال مدارس اخرى .. والنموذج على ذلك هو سلامة موسى فلقد عاد من لندن ليبشر فى سنوات عودته بفكر « فابى » متأثرا الى حد كبير بافكار برناردشو ، لكن سلامة موسى اضفى على هذه الافكار صبغة داروينية وصبغة مسيحية بعض الشىء .

والجهد البارز الاول الذى قدمه سلامه موسى فى هذه الفترة هو كتابه « مقدمة السبرمان » وهو كتيب صغير يعرض سلامة موسى فيه نظرية داروين، ويعرض أيضا أفكاره وخيالاته عن تطوير الانسان المعاصر والوصول به الى مرتبة السبرمان .. وفى هذا الكتاب يتحدث سلامة موسى عن الاشتراكية فيقول : «فالعلمانية نزعة اوربية تشمل جميع الامم المتمدنة تقريبا ، وهذه النزعة هى علة نزعات اخرى : منها نزعة الاشتراكية التى انتهت فى اقصى اوربا بالشيوعية ، وليس فى العالم قطر متمدين الا وبه حركة اشتراكية قوية مصبوغة بصبغة الوسط الذى نشأت فيه .. » (٤٤) .

« يجب ان يتساوى الناس فى فرصة الاثراء، وذلك باصطناع نظام اشتراكى اوشبيه بالاشتراكى حتى لا يولد واحد غنى وآخر فقير » .

« ان الاشتراكية هى الغاية التى سينتهى اليها تفكير كل نزيه يرمى الى العدل والاقتصاد فى طرق استغلال ثروة البلاد » .

لكن سلامة موسى يقدم افكاره فى غلاف غريب .

« فالرقى الذى نجده فى كفايات الحيوان انما لانه يقوم بقتل الضعيف اولا باول .. والانسان حيوان ولكنه يختلف عنه من حيث ان نسله العاجز يعيش ، فالغزال الاعرج يموت والاسد البطىء يهلك جوعا ولكن الانسان الاعرج يعيش بالصدقة والانسان البطىء يعيش باى عمل هين ، وليس بامكاننا ان نعود بالانسان الى توحش الطبيعة فى الغابة ، وانما نعرف انه يمكن ان نقصر الزواج على الفئات السليمة فى الامة ونعرف ان اهم مخترعات القرن التاسع عشر هو كما قال برناردشو التعقيم الاختيارى » (٤٥) .

وثمة رايا غريبا آخر «فالاخلاق يجب ان تكون حرة لان حرية الاخلاق تدعو الى انقراض الفاسد منها وبقاء الصالح ، وليس من مصلحة الانسان ان يعيش فى قفص من الواجبات الاخلاقية لان من طبيعة الاخلاق الفاسدة انها تقتل صاحبها، فلنترك السكير يسكر كما يشاء لان سكره ينتهى بموته المبكر ولنترك النهم يشره الى كل طعام فان معدته تسوقه الى قبره باسرع ممايتصور» .

وهكذا تاهت افكار سلامة موسى التقدمية ودفاعه عن الاشتراكية وسط ضباب من افكار او مقترحات غريبة وغير معقولة ...

(٤٤) مقدمة السبرمان — الطبعة الثالثة ص ٦
(٤٥) المرجع السابق ص ٩

لكن لسلامة موسى كتيب قيم آخر أصدره عام ١٩١٣ بعنوان « الاشتراكية » وهو صغير يقع فى ثلاثين صفحة يبداه بقوله « يدعونى الى كتابة هـــذه الرسالة الوجيزة كثرة السخافات والغباوات التى تحكى عن الاشتراكية .. فغرضى الاول منها تنوير الرأى العـــام عن ماهيتها ، وعن بيـــان اغراض الاشتراكيين فى اوربا وامريكا وذكر مآثرهم فى التشريع وما وصلت اليـــه حال العمـــال من الرفاهية بمساعيهم » ..

وكالعادة ينفى ســـلامة موسى فكرة وجـــود حزب اشتراكى وان كان لا يستبعد وجوده فى المستقبل « ولست طامعا ان تعد هذه الرســـالة دعوة للجمهور الى الاشتراكية ، ولا ان تكون سببا فى تأليف حزب او جمعية ، ولكنى اطرحها امام الجمهور القارىء عسى ان تكون خميـــرة تختمر بها الافكار الى حين تســـتعد البـــلاد للاشتراكية » (٤٦) ..

لكن ما ان يحاول سلامة موسى ان يتحـــدث عن الاشتراكية حتى يتضح تأثره بالافكار الفابية ، فهو يعتبر تملك الحكومة المصرية فى ذلك الحين للسكك الحديدية عملا اشتراكيا « وعندنا الان من الاعمال التى تعملها حكومتنا ما هو اشتراكى النزعة مثل مصلحة السكك الحديدية الاميرية ... فان هذه المصلحة تدار الان لفائدة الامة ويجمـــع الفائض من ايراداتها ويصرف على مرافق الامة .. وعندنا ايضا بلديات كثيرة توزع المياه والضوء على سكان المدن وتنشىء المتنزهات العموميـــة وتؤلف الجوقات الموسيقية للذة الجمهور ... » واذا كان الامر كذلك ... « فان غاية ما يطلبه الاشتراكى ان تتدرج البلدية من امتلاك الميـــاه والضوء كما هو حاصل عندنا الى امتلاك الترامات والمخابز والتياترات والمساكن والمكاتب العمومية .. ويطلب ان تتدرج حكومتنا من امتلاك الســـكك الحديدية الى الاراضى والمعامل والمناجم وتديرها كما تدير هذه السكك الان » (٤٧) ..

وهكذا يعجز سلامة موسى تماما عن ان يفهم دور الدولة كجهاز طبقى للحكم ... ويعجز عن ان يميز بين حكومة العمال وحكومة البرجوازية ..

لكن النزعة الفابية تبدو واضحة غاية الوضوح عندما يحاول سلامة موسى ان يحدد اسلوبه فى العمل « فالاشتراكيون يطلبون ذلك من سبيل التدريج الوئيد لا الطفرة السريعة وكل خطـــوة نخطوها نحو الاصلاح الاشتراكى تكون مصحوبة دائما بل ومتوقفة على درجة التنوير السارية فى الامة » ..

ـــ لكن كيف نقيم الاشتراكية على ارض مصر ...

« يكون ذلك بتربية الجمهور على الحكم النيابى الديمقراطى اولا ثم نشر المبادىء الاشتراكيـــة وادخال بعضها بالتدريج فى جسم الحكومة حتى تتشرب بها الامة وتصبح عزيزة فيها فتتوجه فكرة الاصلاح الى وجهات اشتراكية ... فبدلا من ان يحكم القرية عمدة ليس لاهل القرية رأى فى تعيينه يحكمها مجلس منتخب ، وقاضيها من سكان القرية الراشـــدين ذكورا واناثا ... وتؤسس المدارس الزراعية العالية فلا يشتغل فى الارض الا من نال شهادة منها » (٤٨) ..

ولنتأمل هذه العبارة ... ولنتخيل وقع هـــذا البرنامج على فلاح عام ١٩١٣ ... لا يزرع الارض الا من يحصل على شهادة من مدرسة الزراعة العليا ... اعتقد انه ليس هناك ابعـــد من ذلك اغراقا فى الخيال ولا عزلة عن الواقع ...

وهو يحاول ـــ فوق كل ذلك ـــ ان ينفى عن الاشتراكية « تهمة » الثورية فيقـــول « ومن الاعتراضات ايضا القول بان الاشتراكيين ثوريون ينوون الاستيلاء على الحكومة عنوة ويعملون بعد ذلك على مصادرة الاملاك ومطاردة الاغنياء ، فان هذا الكلام اولى ان ينسب الى تخبط المتوهمين منه الى تفكير العقلاء ، وجهاد الاشتراكيين فى الانتخابات البرلمانية دليل على انهم يدخلون البيوت من ابوابها ويريدون الوصـــول الى اغـــراضهم بالوسائل الشرعية » (٤٩) ..

لكن سلامة موسى يشن فى كتيبه هذا حملة عنيفة ضد النظام الرأسمالى والاسس التى يقوم عليها تعتبر فى اعتقادى اول تحليل مصرى لطبيعة الرأسمالية واسلوبها فى الاستغلال وسعيها خلف الربح ...

مصطفى المنصورى .. أفكار من نوع جديد

واذا كانت الفابية قد استطاعت ان تصـــدر كتيبا يدافع عن فكرها ويحدد وجهات نظرها .. فى عام ١٩١٣ فان الماركسية سرعان ما وجدت

(٤٦) سلامة موسى ـــ الاشتراكية ـــ الطبعة الثانية ص ٥
(٤٧) المرجع السابق ص ٢٤
(٤٨) ص ٢٥
(٤٩) ص ٢٨

من يقدمها للقارىء المصرى فى صورة زاهية .
وكان ذلك عام ١٩١٥ عندما اصدر **مصطفى حسنين المنصورى** ناظر مدرسة طوخ الاعدادية « تاريخ المذاهب الاشتراكية » .

فالمنصورى يعلن فى صراحة «ان ماركس بلا شك هو اعظم دعاة الاشتراكية واكبر انصارها .

فهو الذى عضد الحزب الديمقراطى الذى اسسه لاسال وحافظ على كيانه رغم هجمات بسمارك العنيفة عليه ، وهو اول من وضع برنامجا لحزب اشتراكى ، وهو صاحب كتاب راس المال الذى يسميه الاشتراكيون انجيل الاشتراكية وهو الذى وضع قانون الجمعية الدولية .. والى القارىء خلاصة مذهبه » .

وبعد ان يلخص المنصورى آراء ماركس يقول: «هذا مجمل آراء ماركس ومن شاء ان يطلع عليها بحذافيرها فامامه كتاب الاشتراكية العلمية واليوتوبية بقلم فردريك انجلز اصدق اصدقاء ماركس واكبر انصاره ، مع العلم بان هذا الكتاب مترجم الى معظم اللغات الاجنبية .. »

ويحاول المنصورى ان يعرف الاشتراكية فيقول: « الاشتراكية هى مذهب القائلين بافتقار النظام الاجتماعى الى اصلاح اقتصادى وادارى واجتماعى وسياسى ودينى ، نظرا للخلل الذى اصابه من جراء اطلاق سبل المزاحمة سيما بعد اكتشاف قوة البخار واختراع الالات العديدة التى حلت محل الاشخاص فى انتاج المصنوعات ، واحرجت مركز الصناع لاشتداد التنافس بينهم ، وضاعفت مكاسب اصحاب الاموال حتى وصلوا الى ذروة الغنى ، وتحكموا فى الصناع وعاملوهم بالقسوة والشدة فانزلوا من اجورهم واطالوا ساعات عملهم طمعا فى انماء ثروتهم فساء امر العمال وفسدت اخلاقهم وانتشرت بينهم الاوبئة وفتك بهم السل فتكا ذريعا ، وطفقوا يستنجدون الاغنياء فلا يجدون الا اذنا صماء حتى قيض الله لهم اشخاصا من ذوى العقول الراجحة انتصروا لهم وساعدوهم بمؤلفاتهم وخطبهم بل وبمالهم . ولكن ذهبت صيحات هؤلاء القوم بادىء ذى بدء ادراج الرياح .. حتى ظهر اخيرا كارل ماركس فتمكن من اذاعة مبادئه وتكوين حزب قوى فى المانيا من العمال ، وعقد عدة مؤتمرات دولية من عمال الامم المختلفة . ومن ثم اخذت الاشتراكية شكلا علميا وعلا شأنها واعتنقها كثير من كبار المفكرين والصحفيين والكتاب ، فهذبوا مبادئها ونبذوا منها ما كان غير قابل للتنفيذ ووضعوا البرامج الواقية وسعوا فى سبيلها سعى الابطال .. » (٥٠) .

وهكذا يبدأ الفكر الاشتراكى على يدى المنصورى مرحلة جديدة .. ليس المهم فيها دفاعه عن الماركسية ، وانما الاهم ادراكه الواعى للمحتوى العلمى للاشتراكية ، مرحلة .. تنتقل فيها من مجال الامنيات والاحلام والتطلعات لمجتمع افضل .. الى الايمان العلمى بنظرية ذات بنيان محدد . « فالاشتراكية بالمعنى الصحيح مذهب ولد وتربى فى القرن التاسع عشر ولكنه لم يبلغ رشده بعد ، الا ان كثيرا من الاقدمين اشاروا فى كتبهم الى اصلاح المجتمع بعدما تبين لهم فساده فى ايامهم » .

والمنصورى يؤمن بالاشتراكية على اساس علمى ، ولهذا فهو يؤمن بتعدد مناهج الوصول اليها .. « وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التى هم فيها .. فتراهم فى البلاد الديمقراطية كانجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاة الامور ولا يتحرشون بالحكومات ولايناوئون موظفيها .. أما فى البلاد الاستبدادية كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشدة ، لانهم رأوا السلطة الادارية تطاردهم فى كل مكان ولا تذعن لارادتهم ولا تلتفت الى مطالبهم ، وعلى ذلك يكون من الخطأ أن نتصور أن للاشتراكية مبادىء ثابتة غير قابلة للتعديل أو التحوير ، وان دعاتها يظهرون بمظهر واحد ورأى واحد فى جميع الامم وان كانوا جميعا متفقين على الغرض الذى يريدون الوصول اليه ولكنهم يختلفون فى الطرق التى تؤدى الى ذلك الغرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعى فى بلادهم» (٥١)

وهذه فى اعتقادى واحدة من اللمحات العبقرية التى تؤكد أن المنصورى كان اشتراكيا واسع الاطلاع عميق التجربة ، ثم أن المنصورى يضطلع بمهمة جديدة .. لم يسبقه اليها احد .. هى تفنيد كل مايساق من حجج ضد الاشتراكية العلمية . وردا على اتهام الاشتراكيين بأن الاممية تبعدهم عن الوطنية يقول «واذا كان الاشتراكيون قد اصبحوا دوليين الا أن العاطفة الوطنية لم تمت فى نفوسهم كما يتوهم البعض وهى لا تلبث ان تتأجج اذا ما أغار غائر على بلادهم . فهم لا يمتنعون عن الدفاع عن الوطن لكنهم يأنفون أن يكون لهم يد فى حرب يراد بها سلب حرية أمة ضعيفة » (٥٢)

« أما رأى الاشتراكيين فى نظام العائلة فهو:

---

(٥٠) ص ٤
(٥١) ص ٩
(٥٢) ص ٨

لايختلف عن رأينا مطلقا ، وان كان قد صدر من بعض دعاة هذا المبدأ مايشير الى رغبتهم فى هدم هذا النظام واستبدال الزواج الحالى بزواج حر مبنى على الحب ، الا أن ذلك لايعتد به لانه رأى فردى . أما مجمع آراء الاشتراكيين فمتفقة على أن نظام الاسرة مقدس وأنه يجب أن يحفظ ، غير انهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل » (٥٣)

« بقى علينا ان ننظر فى رأى الاشتراكيين فى الدين ، لاشك أن معظم الاشتراكيين قدتأثروا قليلا او كثيرا من المبادىء المادية ، وهم لايعتقدون ان الدين يكفى لاصلاح هذا المجتمع . الا أنه رغم ذلك نرى الدين والاشتراكية ليسا متناقضين وأن كليهما يرمى الى نصرة الضعيف فان من يقف على حقائق الدين الاسلامى والمسيحى يجد كثيرا من المبادىء الاشتراكية الحديثة » (٥٤) .

وفى مكان آخر يقول المنصورى « ان الاشتراكيين لايحاربون الدين وانما يحاربون بعض رجاله الذين كانوا سببا فى كثير من المصائب ولايزالون ، انهم يريدون ابعادهم عن التدخل فى أمور السياسة والتعليم حتى لايشوهوا وجه العلوم العصرية بخزعبلاتهم ، لكنهم لاينكرون ضرورة الدين للانسان اذ لولاه لامتلأ العالم بالكذب والنفاق والسرقة والظلم » (٥٥)

وبعد هذا الدفاع المجيد عن الاشتراكية يبدأ الهجوم المضاد على الرأسمالية .. والحقيقة أن المنصورى قد استطاع أن يوقف النظام الرأسمالى عاريا مشوها تماما . ويكفى جدا أن نورد هذه العبارة وهى واحدة من مئات مثلها .. « يأتى المال بطرق شتى ولكنه من العجيب أن تكون الطرق السافلة غير المشروعة هى أقرب واسرع الطرق الوصول اليه . فالعامل والمزارع اللذان هما مبنى الثروة كلها يعيشان فى فقر مدقع ، والمعلم الذى يضنى جسمه فى تهذيب الناشئين وتكوين رجال المستقبل لاتصيب له مطلقا فى السعادة المادية ، بينما صاحب الماخور او القواد سرعان ماتمتلىء جيوبه من الذهب والنضار . ان المرأة التى تصون عفتها تعيش فقيرة ذليلة ، بينما المرأة الفاجرة سرعان ماتمتلىء خزائنها ببارق الحلى وساطع اليواقيت ؛ أليس فى هذا الخلط مايشجع على هجر الاعمال الشريفة والالتجاء الى سافل المهن وادنئها مادام المال هو كل مطلوب الانسان » (٥٦) .

ثم يتوج المنصورى هجومه بعبارة حاسمة .. تقول « فلاعجب بعد ذلك اذا تشبث الاشتراكيون بمذهبهم ، فهو البلسم الشافى لجميع أدوائنا الاجتماعية » .

برنامج لمصر

لكن أعظم ماقدمه المنصورى فى كتابة القيم هو البرنامج الذى يقترح تطبيقه فى مصر . .وهذا البرنامج يستحق وقفه نتأمله فيها فصاحبه يدرك طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه، فمصر المستعمرة التى تتخذ فيها البرجوازية وكبار الملاك موقفا وطنيا ـ متفاوت الحدة ـ معاديا للاستعمار ، لايمكن أن ينادى فيها ببرنامج اشتراكى كامل يطالب بنزع الملكية الخاصة لوسائل الانتاج مثلا .. وهنا تبدو اللمحة العبقرية للمنصورى فهو يستعرض الفكر الاشتراكى العلمى واسسه وأهدافه ثم هو يهزم كل الادعاءات والانتقادات التى تساق ضده ، ثم يمزق كل استار النظام الاجتماعى ويكشفه .. وبعد كل ذلك يقدم المنصورى برنامجا اصلاحيا يطالب ببعض الاصلاحات الاجتماعية والديمقراطية .

والبرنامج بالرغم من اصلاحيته الا انه حاسم وحازم وقادر بالفعل على توحيد كل القوى الديمقراطية والوطنية فى المجتمع .. ولنقرأ بعض نقاط هذا البرنامج ..

- جعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا .
- جعل الوزارة مسئولة أمامها .
- اصدار قوانين تكفل حرية الانتخاب .
- اصدار قانون يمنع تعدد الزوجات .
- جعل الطلاق على يد القاضى الشرعى ويتحتم ايجاد اسباب .

- تعيين حد أدنى لاجرة المزارعين والعمال بحيث لاتقل عن خمسة قروش فى اليوم ومعاقبة كل من يخالف ذلك من أرباب الاعمال بالحبس أو بغرامة مالية .

- يجب تقريب التفاوت الهائل بين موظفى الحكومة فى المرتبات ولايصح بأى حال من الاحوال أن يأخذ موظف أكثر من مائة جنيه أو أقل من خمسة جنيهات فى الشهر .

---

(٥٣) ص ١٢
(٥٤) ص ١٣
(٥٥) ص ٨٣
(٥٦) ص ٩٩

● على الحكومة توزيع موات الأرض على المزارعين الفقراء .

● على الحكومة فرض ضريبة متدرجة على الدخل اذا زاد عن ٢٠٠ جنيه سنويا . وكذا ضريبة على التركات .

● الغاء المحاكم المختلطة .

● الغاء امتيازات الاجانب .

● الغاء الرتب والنياشين وقصرها من الآن فصاعدا على أصحاب الكفاءات العالية ..

● اصدار قانون لتحديد الحد الاعلى للارباح بحيث لايصح أن يزيد على ٥٪ .

● على المجالس المحلية تعيين الحد الاعلى لقيمة العيادة الطبية كل فى دائرة اختصاصها بحيث لاتزيد عن ٢٠ قرشا ..

● على مجالس المديريات تعيين الحد الاعلى لايجار الفدان كل فى دائرة اختصاصها بحيث لاتزيد عن عشرة جنيهات ..

● الغاء جميع القوانين التى تقيد حرية الاجتماع والخطابة والصحافة ..

نقولا حداد .. الاشتراكية العلمية

واذا كان المنصورى خطى خطوة جادة فى الفهم الواعى للاشتراكية العلمية ، فثمة مفكرا آخر يبلغ القمة فى هذا الفهم ويقدم نموذجا فريدا من الادراك الواعى للطبيعة العلمية للاشتراكية ، هو نقولا حداد ..

وقد سافر نقولا حداد الى امريكا واستقر فى نيويورك ، واتصل بواحد من قادة الفكر الاشتراكى الامريكى هو **أوجين ديس** .. وفى عام ١٩١٠ اسس نقولا بالاشتراك مع **أمين الريحانى وانطون فرح** جمعية عربية اشتراكية فى نيويورك اصدرت لها مجلة اسمتها الجامعة (٥٧) .

أن أهمية كتابات نقولا حداد تكمن فى انها تنقلنا الى مرحلة الفهم العلمى الاصيل والقدرة على الشرح المنطقى ، والكفاءة العالية فى الجدل وفى افحام المعترضين أو المنتقدين .. انها قمة التطور والنضج للفكر الاشتراكى العربى ، وكان صدورها فى مصر ايذانا واعلانا بأن الاشتراكيين قد بلغوا من النضج مايمكنهم من مجابهة اعدائهم وجها لوجه ومن القدرة مايمكنهم من التقدم لمجتمعهم بصياغة نظرية متكاملة ومتماسكة وعلمية .

ولسنا نستطيع ان نستعرض كل كتابات نقولا حداد .. لكننا سنكتفى بمقال وكتاب .. والمقال كتبه فى عام ١٩١٨ ونشر فى مجلة الهلال ردا على بعض هؤلاء الذين تصدوا الهجوم على الاشتراكية ، وهو بعنوان « الاشتراكية ماتطلبه ومالاتطلبه »

وقد كتبه نقولا ردا على مقال نشر بالهلال حول « حل المشكلات الاجتماعية بمشاركة العمال لاصحاب الاعمال » .. وقد فند نقولا كل الدعاوى الاصلاحية التى حاولت ان تتسلل الى الفكر الاشتراكى المصرى محاولة صرفه نحو اتجاهات متهادنة واصلاحية .. ثم بعد ذلك يقول حداد « اما مذهب الاشتراكية فمنطقى معقول وهو مبنى على سنة اجتماعية اقتصادية منصفة ، وهو يقضى بقلب النظام الاقتصادى الحاضر ووضع نظام جديد .. يقضى بالغاء ماادعاه المال — نقدا كان أو عقارا أو مرفقا — من حق الانتاج اى أن المال وان يكن ثروة ، ويمثل قوة لا يجوز أن يكون منتجا لثروة أخرى . لان الوسيلة المشروعة الوحيدة لانتاج الثروة هى العمل فقط « بعرق جبينك تأكل خبزك » **فلا يجوز أن يكسب قرشا الا من عمل عملا يساوى قرشا** .

ولكن النظام الحالى يأذن لكل من يحوز مالا أن يشترى اسهما فى شركة أو عقار او يؤجره أو ان يسلف نقودا فيجنى ربحا من ذلك بنسبة ماله من غير أن يعمل عملا قط .. ووجه الاجحاف فى النظام الحالى الذى يشكو منه الاشتراكيون هو انه يفضى الى تجمع الثروة التى هى ثمرة تعب العمال وحدهم فى أيدى فئة من الناس وحرمان العمال من هذه الثمرة كما هو الواقع الان فى البلاد المتمدنة ولاسيما فى امريكا حيث استطاع افراد قلائل أن يجمعوا فى حياتهم من أموال مالاتتصوره مخيلة ، فى حين ان الوف من العمال يتسولون ليس الرزق بل العمل الذى يتعيشون منه فلا يجدونه . أما النظام الذى يبتغيه الاشتراكيون فيمكن اجماله فى كلمتين : وهما نقل الشركات وجميع المرافق التى يقوم بها مجموعة عمال وجميع العقارات من أيدى ذويها مساهمين ومالكين الى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة الثروة ملك الامة ، وبدلا

(٥٧) كامل ابو جابر — مقدمة لكتاب : جذور الاشتراكية . منشورات دار الطليعة ببيروت ص ١٣ .

من أن تكون ملكا لفئة من الناس يبتزون ارباحها وحدهم تصبح الامة كلها كمساهمة فيها وارباحها تعود للامة كلها . . فاذا تسنى ذلك لايبقى المال قوة الانتاج أو التعمير بنانا وانما يبقى المال ممثلا ثروة فقط يمكن جامعه أو مدخره ان يتمتع بانفاقه على ملذاته منحين لاخر ، ولكنه لايمكنه من أن يجنى منه ربحا . . »

وفى اعتقادى انها المرة الاولى التى يتمكن فيها الفكر الاشتراكى المصرى ان يطرح نفسه بمثل هذا الوضوح . . ولننتقل الان الى الكتاب الذى صدر عام ١٩٢٠ تحت عنوان مباشر من كلمة واحدة « الاشتراكية » وقد اصدرته دار الهلال بعد أن صدرته بكلمة تقول « قد اصبح للاشتراكية شأن عظيم فى حياة الشعوب الغربية ، ولاسيما بعد الحرب العظمى .فجدير بقراء العربية أن يطلعوا على حقيقة هذا المذهب وقضاياه ومراميه الى غير ذلك من المباحث الخطيرة الدائرة على اصلاح المجتمع العمرانى ، ولما كانت اللغة العربية مفتقرة الى كتاب فى هذا الموضوع طلبنا الى الكاتب الاجتماعى نقولا افندى حداد وضع مؤلف وجيز لسد هذا النقص . . وان غاية هذا الكتاب شرح تلك العقيدة وليست غايته نشر الدعوة الاشتراكية أو الحث على الانخراط فى سلك الاحزاب الاشتراكية . »

ويقع الكتاب فى حوالى مائة صفحة وهو مقسم الى ثلاثة اقسام :

- فى اجحاف النظام الافرادى (الراسمالى)
- فى النظام الاشتراكى .
- أوهام خصوم الاشتراكية . .

اما الخاتمة فعنوانها « مصير العالم الى الاشتراكية » .

وفى مقدمة الكتاب يقول المؤلف « ان برامج الاحزاب السياسية الاشتراكية فى الممالك الديمقراطية تختلف اختلافات متعددة ،وبعض هذه الاختلافات جوهرى ، على ان روح العقيدة التى تحيى ابدان هذه الاحزاب واحدة ،وليست الفروق التى بينها الا من الوجهات السياسية التى ترمى الى كيفية تنفيذ النظام الاشتراكى واحلاله محل النظام الافرادى الحاضر . .

ان الفكرة الاشتراكية بنت العقل المنطقى ، اى انها نظرية عقلية تقتضيها الاحوال الاجتماعية وما تضاربت الاراء والاحوال فيها فى ادوار نشوئها وتطورها الا لان النظام الافرادى الحاضر اصبح على التمادى اصيلا فى العقل الاجتماعى واحلال الدخيل مهما كان صوابا مكان الاصيل مهما كان خطأ لايتسنى بسهولة . »

وهو يقدم بعد ذلك تفسيرا لكلمة «افرادية» « فالمراد بها النظام الحاضر الذى يطلق العنان لسنة التنازع بين الافراد بحيث يؤذن القوى ان يعيش عالة على الضعيف ، وهى نقيض الاشتراكية التى تقتضى بأن يتمتع كل فرد بنتيجة تعبه كلها، على اعتبار ان الناس وهم مشتركون فى الاعمال يجب أن يتقاسموا ثمراتها كل على قدر قيمة عمله » (٥٨) .

ثم يبدا حداد فى ازاحة الستار عن حقيقة النظام الراسمالى . .مستخدما — لاول مرة — الارقام والاسماء والوقائع كأدلة مادية لاتدحض :

فخمسة آلاف امريكى اى ١ : ٢٠٠٠٠٠ من سكان امريكا يملكون ٢/١ ثروتها . .

وروكفلر يكسب من شركة واحدة هى ستندارد أويل ٢٧٨٣٨ دولارا فى اليوم (٥٩) .

وفى فصل بعنوان « **المال ثمرة العمل** » يشرح حداد فى بساطة شديدة فكرة نظرية القيمة عند الاشتراكيين العلميين « لايمكن أن يستخرج من الرزق مايساوى جنيها مثلا الا اذا بذل انسان قوة فى استخراجه تساوى جنيها ، فاذا كان فى حوزتك اردب قمح يساوى ٣ جنيهات مثلا وكانت اجرة العامل تساوى ريالا فذلك أن الاردب من القمح لم يعد فى حوزتك الا لان عاملا (انت أو غيرك) اشتغل فى الارض ١٥ يوما حتى استغل ذلك الاردب من القمح من الارض . وعلى هذه القاعدة التى لاغبار على صحتها يقال : انه اذا كان فى يدك مائة أو الف او مليون جنيه فاعلم انه ماحصلت على هذه الجنيهات الا لان عمالا بذلوا من القوة فى العمل مايساويها ، فكل جنيه يبذل لاجل تحصيله من التعب والعناء مايساوى جنيها. فاذا كان زيد من الناس قد جمع فى حياته مليون جنيه فهل يعقل انه بذل من العمل وعانى وقاسى مايساوى مليون جنيه . . واذا فرضنا أن أجرة العامل ريال فى اليوم

---

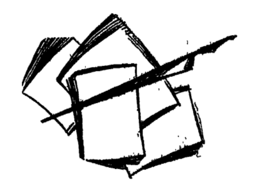
(٥٨) ص ٦
(٥٩) ص ٨

اقتضى أن يعيش هذا الرجل ٥ ملايين يوم أو نحو ٢٠ الف سنة .. .. هذا هو عمر صاحب المليون فما تولك بصاحب الملايين ، وما قولك بعمر روكفلر وقد يقول البعض أن أنواع الاعمال تتفاوت قيمة .. فلا بدع أن يكون زيد من الناس قد حصل على ثروة هائلة بما يبذل من العمل الثمين الغـالى القيمة »

وهنا يضرب حداد عددا من الامثلة .. «فرئيس الجمهورية الفرنساوية الذى يتقاضى ٢٤ الف جنيه فى العام يجب أن يترأس الجمهورية أكثر من ٤١ عاما متوالية ، وأن يوفر كل ماهيته ولاينفق منها دينارا حتى يجمع المليون .. وبناء على ذلك يجب أن يترأس روكفلر الجمهورية الامريكية ١٠ آلاف سنة حتى يمكنه أن يجمع من ماهيته ثروته التى بلغت ٢٠٠ مليون جنيه ، هذا اذا لم ينفق سنتا واحدا منها » (٦٠) .

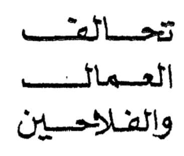
واشهد انى لم أقرأ فى حياتى هدما للنظام الرأسمالى بهذا العنف ، ولاشرحا لعيوبه وتناقضاته بهذه السلاسة والاتساق .. لكنه لايكتفى بذلك بل يواصل حملة غاية فى الامتاع يهدم بها اسس المجتمع الرأسمالى واحدا بعد الاخر ، ابتداء من فكرة الشركات المساهمة الى النظام المصرفى الى أسلوب تملك الارض ..

واست أستطيع أن الخص الكتاب .. فكل كلمة فيه ذات مغزى وموضوعة بحساب دقيـق .. واست استطيع أن اورده كله هنا — ولهذا أكتفى بأن أؤكد أن كتاب نقولا حداد هو بغير مبـالغة قمة من قمم هذا التراث الفكرى العظيم الذى سار شعبنا مسيرة مجيدة ليشق له طريقا وسط صخر صلد ، قمة من قمم الفهم الواعى والفكر المستنير والايمان العميق بالعلم والشعب والعدالة .. انه مرحلة هامة من مراحل تلك المسيرة الطويلة التى بدأها رفاعة الطهطاوى وخاض غمارها مئات بل الوف من المفكرين العباقرة والكادحين البسطاء من أجل أن ينبتوا فى أرض مصر أزهار الاشتراكية السعيدة



---

(٦٠) ص ٣٦



تحالف العمال والفلاحين



ضرورة وطنية واشتراكية

عطية الصيرفي

كانت المظاهر المتعددة للنضال الفلاحى فى القرن الماضى سببا فى اثارة جدل متواصل بين رواد الفكر الثورى الحديث عموما حول مدى ثورية الفلاحين ، حيث قد بهرت بعض التيارات الثورية بمظاهر نضال الفلاحين ضد الاقطاع ، فراحت تبالغ فى ثوريتهم ، ومن هذه التيارات انصار التيار الفوضوى بزعامة باكونين الذين كانوا يرون ان الفلاحين يتمتعون بثورية مطلقة ، وينكرون دور العمال فى المجتمع العالمى الحديث ، ونتيجة لذلك كانوا يحسبون ان الفلاحين على استعداد للقيام بالثورة فورا .. وعلى هذا الدرب تقريبا كان يمشى اعضاء جماعة ارادة الشعب ـ الارض والحرية ـ الروسية الذين كانوا ينظرون الى الفلاح والمشاعة الريفية كمثلهم الاعلى . مما يرجع الى ايمانهم العميق بان القوة الثورية الاساسية ليست الطبقة العاملة ، بل الفلاحين. وتدعيما لهذا الراى كتب المفكر والمناضل **هرزن** يقول : انه من الممكن القيام بثورة يلعب الفلاحون الدور الذى يخص العمال الصناعيين فى النظريات الاشتراكية الغربية ، وان ثورة الفلاحين هذه يمكن ان تأخذ طابعا اشتراكيا بسبب عناصر المعيشة المشتركة التى مازالت ، موجودة فى القطاع الريفى ولا زالت هذه الفكرية تجد صدى لها فى الثورات الحديثة ، ومن ابرز المناصرين لها ((**فانون**)) فى كتابه معذبو الارض، الذى اصدره اثناء نضاله فى قيادة الحركة الوطنية المسلحة بالجزائر .

وكان رأى هؤلاء لايتفق والحقيقة الموضوعية ، بدليل ان « ثورية الفلاحين المطلقة » على حسب رأيهم لم تحقق ثمرة يانعة الا بعد النجاحات الظافرة التى تحققت بفضل ثورية الطبقة العاملة التى هى اكثر الطبقات الاجتماعية ثورية ، وقد ساعد على ذلك انها فى النظام الراسمالى لاتملك ما تخشى على فقده، كما تتعرض ايضا طبقة الفلاحين الكادحين للاستغلال الشديد. ولكن الفلاح عادة يملك قطعة ارض صغيرة ـ ولذلك تصطرع فى وجدانه آراء الكادح وآراء المالك الصغير فالاولى تدفعه الى الامام نحو الاشتراكية والثانية تشده الى الخلف الى الراسمالية .. وقد وضحت مدى ثورية الفلاحين من خلال ما قدمه **ماركس وانجلز** من واقع معرفتهما العميقة بحركة التاريخ وعلم

الاجتماع ، حيث اوضحا مدى ثورية الفلاحين من حيث تواجدها ومن حيث تلاشيها – فوجود هذه الثورية لا يتأكد الا بتحالفهم مع العمال محليا وعالميا ، وتلاشيها لا يتم الا فى البعد عنهم. وذلك راجع الى دوام ثورية الطبقة العاملة التى يصفها ماركس وانجلز بقولهما : «ليس بين جميع الطبقات التى تقف الان امام البورجوازية وجها لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقا هى الطبقة العاملة ، فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى . اما العمال فهم على العكس من ذلك . اخص منتجات هذه الصناعة » وفى مناسبة مشروع مؤتمر جوتا يبين ماركس حدود ثورية الفلاحين قائلا : « البورجوازية الصغيرة المؤلفة من صغار التجار والصناع والفلاحين ليست ثورية الا على ضوء تحولها الوشيك الى صفوف العمال – الى الحد الذى تنضم فيه الى العمال مدفوعة بما يتهددها من خطر الفناء – هذا الخطر الذى كان يهدد العمال والفلاحين فى كل اوربا من قبل روسيا القيصرية وانجلترا البورجوازيةوبروسيا الرجعية التى شكلت فيما بينها حلفا رجعيا مقدسا ضد العمال والفلاحين فى اوربا والذين تحالف اغلبهم تلقائيا لمواجهة حلف الملوك والرجعيين – وخاصة فلاحى روسيا وعمال غرب أوربا – ولذلك اصبحت روسيا ذات النضال الفلاحى البارز بمثابة الطليعة الرائدة للحركة الثورية الاوربية. واصبح من المحتمل ان تصبح الثورة الروسية الفلاحية اشارة لثورة الطبقة العاملة فى الغرب ، بحيث تكمل الثورتان كل منهما الاخرى ..وذلك طبقا لرأى ماركس وانجلز . . .

ومن هذا نعلم علم اليقين ان ثورية الفلاحين تظل باقية ببقاء تحالفهم مع العمال وتزول بزوال هذا التحالف ، كما تعلمنا خبرة الاحداث الثورية فى فرنسا باعتبارها مدرسة صراع الطبقات . . حيث كان نجاح ثورة ١٨٤٨ التى سحقت جيش الملك لويس فيليب وارغمت الحكومة المؤقتة على اعلان الجمهورية ، نتيجة لتحالف العمال والفلاحين – وحيث كان نجاح الثورة المضادة التى جاءت بنابليون الصغير ، على حد تعبير فيكتور هوجونتيجة هروب الفلاحين من التحالف مع العمال حيث خدعتهم الرأسمالية الفرنسية التى قادت ونظمت الثورة المضادة ، هذه الثورة المعاكسة التى ذبحت ثلاثة آلاف عامل وقامت بنفى خمسة عشر الفا بغير محاكمة . وبسبب هذا الموقف الهروبى تخلى الفلاحون عن موقفهم الثورى الا انهم استعادوا ثوريتهم بعدما غدر بهم اصدقاؤهم الرأسماليون . فزاد فقرهم والامهم، وتوالت مصائبهم ، حيث اصبح ١٦ مليون فلاح فرنسى ومعهم زوجاتهم واطفالهم يعيشون فى الاخصاص ، وانخفضت اسعار قمحهم – بينما زاد ما عليهم من ضرائب وديون .

التحالف ركيزة الثورات

يمثل تحالف العمال والفلاحين الركيزة الاساسية لنجاح الثورات الوطنية والاشتراكية على السواء – كما يمثل الضرورةالملحة لاستمرار هذه الثورات وتطورها نحو آفاقها الاجتماعية وغاياتها التقدمية – كما ان اى ثورة لايكتب لها النجاح والاستمرار . فالسبب فى ذلك هو وجود خلل فى تحالف العمال والفلاحين.فالثورة العرابية لم تنجح لان التحالف كان مستحيلا توافره فى هذه الايام لان الطبقة العاملة المصرية كانت فى بدء نشأتها . وثورة ١٩١٩ تجمدت ولم تتطور ابدا لهدم التحالف الثورى بواسطة البورجوازية المصرية الخائنة – وكذلك فان ما يعانيه تحولنا الاشتراكى فى الريف من متاعب وصعوبات فى مجالى التعاون الزراعى والنقابات الزراعية يعود الى عدم وجود تحالف راسخ ومتين بين العمال والفلاحين ، وذلك باعتبار أن هذا التحالف هو قضية القضايا فى اى ثورة ، بحيث ان نجاحها وفشلها يرتبطان بهذه القضية الهامة – ففى عام ١٨٧١ هزمت ثورة كوميونة باريس العظيمة لتجاهل عمال باريس شرطالتحالف معالفلاحين. وثورة ١٩٠٥ الروسية لم تظفر بالسلطة لان تحالف العمال والفلاحين كان مفككا .

ولذلك فان قوى الثورة المضادة مهما بدت خائرة ضعيفة فانها ترصد التحالف وتتربص به ، فاذا ماواتاها الحظ بوجود اى خلل او تصدع فى التحالف فانها تنشط بسرعة هستيرية وتنقض لاستعادة سيطرتها بشتى الاساليب والطرق.يؤيد ذلك أحداث مذبحة شنغهاى الرهيبة عام ١٩٢٧، عندما اقدم الجنرال الخائن تشيانج كاى شيك على تدبير انقلابه المعادى للثورة الصينية ، وقام بمذابح راح ضحيتها آلاف العمال والفلاحين ، نتيجة انعزال الحزب الشيوعى الصينى وتشتت عن الفلاحين ، واهمال الارتباط بهم حفظا على العلاقات مع حزب الكومينتانج – ويؤيد ذلك أيضا احداث عام ١٩٣١ فى بلادنا عندما واجه الطاغية اسماعيل باشا صدقى هبة العمال المصريين واطلق النار عليهم بغير رحمة وبغير حساب ، حيث كان واثقا ان جريمته هذه لن تؤدى الى ثورة شعبية للافتقار الى وجود تحالف ثورى بين العمال والفلاحين .

وقد برز التحالف فكرا وواقعا من خلال الثورات الوطنية والديمقراطية التى وقعت فى اوربا فى القرن التاسع عشر وخاصة ثورات عام

١٨٤٨ الذى يصفه المؤرخون البورجوازيون بالعام المجنون . وكان هدف هذه الثورات التى خاضها العمال والفلاحون بدافع من الحس الطبقى المشترك بينهم لاول مرة فى التاريخ هو القضاء على السلطات المطلقة والملكية الاقطاعية . والتحرر الوطنى من نير الاحتلال الاجنبى . وانشاء دول وطنية ديمقراطية لحماية مصالح الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين ، ولذلك فان احداث هذه الثورات كانت بمثابة معين لا ينضب لخبرة صراع الطبقات التى اثرت الفكر الاشتراكى عموما وعلم تغيير المجتمع خصوصا ، يشهد على ذلك ظهور اعظم واروع الادبيات الاشتراكية التى كتبت بفضل عبقرية ماركس وانجلز ، مستندا الى الخبرة المستفادة من هذه الثورات وتعميمها فى قواعد وقوانين علمية .

نظرية التحالف

اصبح التحالف بين العمال والفلاحين نظرية سياسية هامة بفضل معايشة رواد الاشتراكية لاحداث الثورات العظيمة فى اوربا . حيث قد استخلصوا منها ابلغ الدروس واعظم المعانى التى اوضحت العلاقة الثورية بين العمال والفلاحين ، هذه العلاقة التى تنشأ على ارضية اجتماعية واقتصادية متجاورة ايضا بحيث كانت همومها واحدة ومشتركة . ولهذا يقول ماركس : « لا يتميز استثمار الفلاحين عن استثمار العمال الصناعيين الا من حيث الشكل . فالمستثمر هو هو اى الراسمالى . ان الراسماليين كلا بمفرده يستثمرون الفلاحين كلا بمفرده ــ بواسطة الرهن والربا . ان طبقة الراسماليين تستثمر طبقة الفلاحين بواسطة الضرائب ! ويقول : بل ان الفلاح يقدم عادة الى المجتمع الراسمالى أى الى طبقة الراسماليين قسما من اجرته .

ويواصل ماركس كشف النوعية المشتركة لاستغلال العامل والفلاح قائلا : « ان أرض الفلاح الصغير لم تعد سوى ذريعة تتيح للراسمالى أن يجنى من الارض ربحا ، وفائدة ، وريعا ، وان يترك لمالك الارض نفسه امر الاهتمام بالطريقة التى يراها ناجحة للحصول على أجرته » . ويؤكد نفس المعنى فى كتابه « راس المال » « ان جميع عيوب المجتمع الراسمالى وجميع قروحه . فوضى الانتاج . الازمات . البطالة . وافقار العمال النسبى والمطلق . وخراب البورجوازية الصغيرة فى المدن . وخراب الفلاحين . ان هذا كله ينبع من تناقض الراسمالية الاساسى ، الاوهو التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتاج وبين الطابع الخاص للتملك » .

وهذا التوصيف العلمى لظروف الفلاحين وحياتهم المتقاربة من حياة العمال هو بمثابة الارضية التى قد قام عليها الجوار الثورى للعمال والفلاحين باعتبارهم شهداء المنتجين وصناع الحياة فى الريف والمدينة ــ كما انه يمثل الوجود النظرى لفكرة التحالف التى تحدث عنها ماركس . أن مصالح الفلاحين المفهومة فهما صحيحا لابد ان تدفعهم الى التحالف مع عمال المدن . ان الفلاحين يجدون حليفهم وقائدهم الطبيعى فى عمال المدن الذى يتصدون لمهام الاطاحة بالنظام الراسمالى . وكان ماركس قد طور هذه الفكرة السياسية الهامة فى رسالته الى انجلز المؤرخة فى ١٦ ابريل عام ١٨٤٩ . اذ كتب يقول : « كل شىء فى المانيا سيتوقف على امكانية دعم الثورة العمالية بطبقة جديدة لحرب الفلاحين » . وكان هذا يعنى تعميقا لفكرة التحالف وتقديرا اكثر لثورية الفلاحين بعد مشاركتهم الفعالة فى ثورات « العام المجنون » . وخاصة فى المانيا حيث تحالفوا مع العمال تحالفا وثيقا وناضلوا معهم جنبا الى جنب . وحضروا باعلامهم الحمراء كل المؤتمرات السياسية التى دعت اليها الجريدة الرينانية واتحاد عمال كولونيا . وقد تناول لينين فيمابعد فكرة التحالف وطورها وجعلها نظرية جديدة للثورة الاشتراكية ، التى لاتتحقق بواسطة العمال المعزولين عن بقية الجماهير الكادحة ، بل بواسطة العمال القادة المتزعمين فكرا وعملا والذين لهم حلفاء فى شخص انصاف عمال المدن وفى شخص العناصر الكادحة ن الريف .

التحالف علم وفن

بعد وضع الاساس النظرى للتحالف ، اصبح علما وفنا له قواعده وله اصوله ، واساليب تحقيقه ونتائجه واصبحت ممارسته تحتاج الى مرونة ومقدرة وتمرس وصبر طويل ، وتحتاج ايضا الى ابداع وخلق بحيث اصبح وجوده على هذا النحو يتطلب توافر الامور التالية :

اولا : لا يتم التحالف بين العمال والفلاحين جملة واحدة أو على المشاع ، بل يتم فقط وفق التحديدات الفئوية للفلاحين بحيث يكون تحالفا على مستويات بمعنى ان يكون قويا ومتينا واشد الحاحا مع الفلاحين المعدمين والفقراء . اما فئات الفلاحين الاخرى فيتدرج التحالف معهم من حيث القوة والاستقرار لاختلافهم عن الفلاحين المعدمين والفقراء كما وكيفا . وذلك كما تعلمنا خبرة الثورة الروسية على لسان قائدها **لينين** : «وكلما تعاظمت الحرية التى يظفر بها الفلاحون ، اتحد

الفلاحون الفقراء فيما بينهم بعزيمة من السرعة . واسرع الفلاحون الاغنياء بالاتحاد مع البرجوازية كلها . لندعهم اذن يتحدون فاننا لا نخاف هـذا الاتحاد مع اننا نعلم تمام العلم ، ان هذا الاتحاد سيزيد من قوة الفلاحين الاغنياء . لاننا سنتجد بدورنا ، وسيكون تحالفنا : تحـالف الفـلاحين الفقراء مع عمال المدن اكثر عددا بما لاحد له . انه سيضم عشرات الملايين ضـد تحـالف مئات الالاف ، ونحن نعلم ان البورجـوازية ستسعى جهدها ــ وهي تسعى جهدها منـذ الان لـكي تجتذب الفلاحين المتوسـطين الى جانبهــا بل الفلاحين الصغار ايضا » .. ويقـول كذلك : « ينبغي لنا اذن ان نفتح عيون الفلاحين الفقراء دون تأخير ، وان نوطد سلفا تحالفهم الخاص مع عمال المدن ضد البورجوازية برمتها » .

كما تعلمنا خبرة الثورة الصينية باعتبارهـا مدرسة التحالف الثورى بين العمال والفلاحين . كيف يطبق التحـالف نسبيا وبين مسـتويات ، حيث يقول **ماوتسي تونج** : « من الضرورى ان نتحد مع الفلاحين المتوسطين ،فمن الخطأ الانفعل ذلك . ولكن على من تعتمد الطبقة العاملة والحزب الشيوعى فى الريف ، لاجل الاتحاد مع الفلاحين المتوسطين وتحقيق التحـول الاشـتراكى فى الريف . ؟ .. على الفلاحين الفقراء وحـدهم طبعا . هكذا فعلنا يوم خضنا النضال ضد ملاك الارض واجرينا الاصـلاح الزراعى ، وينبغي ان نفعل الان كذلك ونحن نناضـل ضـد الفلاحين الاغنياء وغيرهم من العناصر الراسمالية لاجـل اجراء التحول الاشتراكى فى الزراعة » .

ثانيا : ضرورة وجود الحزب السياسى الثورى لانجاز التحالف وضمان استمراره ، كما تم فى كل الثورات الوطنية والاشتراكية الناجحة ــ ولهذا يقول **ترونج تشن** احد قادة فيتنام الشـمالية : « لم تكن تعبئة الفلاحين تتم باستثارة الحماس ، ولكن بالتنظيم فى حزب » .

ثالثا : تتوقف حيـاة التحـالف على عمـل مشترك وهدف مشترك للعمال والفلاحين باعتبار التحالف وسيلة نضالية الى غاية اجتماعيــة . ويتحدث لينين عن العمل المشترك الـذى يجب أن يسود التحـالف فيقـول : « لا يمكن تأمين التحالف بين العمال والفلاحين الا بعمل مشترك يمتحن هذه التدابير على نار النشاط التعلمى » . وهذا العمل المشترك يتخذ اشكالا ومظاهر مختلفة ابرزها مشاركة العمال والفلاحين معا فى الحرب الثورية والجيش الثورى ، هذه المشاركة التى يقول عنها ماوتسي تونج : « ان تأسيس الجيش الاحمر وقوات الانصار والمناطق الحمراء وتطورها يمثلان الشكل الاعلى لنضال الفلاحين تحت قيادة العمال فى الصين المستعمرة » وابرزها ايضـــا مشاركة الفلاحين فى حل مشاكل الغذاء والتموين للعمال واسرهم كما حدث فى الاتحاد السوفيتى ايام حروب التدخل . حيـث اعطى الفلاحـون الفقراء الـدولة الاشتراكيـة الوليدة ٤٠ مليون بود (مكيال روسى) من الحبوب ، بينما الفلاح الغنى الى بيع حبوبه فى السوق السوداء بسـعر يزيد على السعر الرسمى عشر مرات ــ وهكذا اثبتت التجربة ان الفلاح الفقير هـو فلاح كادح وهو رفيق حقيقى للعـامل الاشتراكى ، وآمن واخلص حليف له تجمعهما اخوة النضـال ضد نير الراسمالية . اما الفلاح الغنى فهو مضارب ، وهو حليف الراسمالى العدو الطبقى للعامل » .

اما الهدف المشترك فلابد ان يكون واضحـا ومفهوما للعمال والفلاحين حتى ابسط النـاس فيهم لكي لا يكون التحالف من اجـل التحالف ، بل من اجل غاية اجتماعية تقدمية مثل التحول الاشتراكى فى الريف بواسطة اصـــلاح زراعى جذرى يحقق حلم الفلاح فى الحيـاة والارض . وخير شاهد على اهمية وضوح الهدف ما جاء فى بحث عن معركة ديان بيان فو الشـهيرة . حيث كتب بطلها الجنرال جياب يقول : « لقد سـاهم الاصلاح الزراعى بدور حاسم فى هـذا النصر التاريخى » . وشرح وجهة النظر هـذه قائلا : « كانت المقاومة تبلغ اوجها وتدخل فى مرحلتهـا الحاسمة . وكان جيش الشعب يوشك ان يشن الهجوم المضاد الحاسم . وقد فـاض الحماس الثورى بمئـات الالوف من الفـلاحين ، وكانوا يتدفقون على الجبهة بحثا عن اى مهمة يقومون بها سواء فى القتال او فى خدمة الجيش ، ثم جاءت الانباء بصدور قانون الاصلاح الزراعى وبتوزيع الارض على الفلاحـين . وحينما انتشر الخبر فى خطوط القتال سرت دفعة من الحماس ، لم يكن لها مثيل ، وكان الجنود كلهم تقريبا من الفلاحين » .

رابعا : لا بد من نمو شخصية الفلاح الـكادح والعامل الزراعى لكى تتخلص هذه الشخصية من غربتها الاجتماعية ومن عقدة الخوف الخرافى التى تستبد بها حتى تزداد وعيا وثورية ، وتستطيع بكل ثقة مواجهة تحديات التسـلط الادارى فى الريف وتحـديات اغنياء الفلاحـين والاقطاعيين وكذلك تحديات العدو الخـارجى ، ولا يجب أن نخشى ابدا من نمو الشخصية الفلاحية خوفا من التفوق الفلاحى تفوقا يتجاوز قوى الثـورة فى المدينة .

خامسا : اشاعة الوعى بـين عمال الزراعـة والتراحيل وشدهم الى العمل النقابى والسياسى بالكفاح المتواصل معهم للحصول على بعض حقوق وامتيازات زملائهم عمال الصناعة والتجـــارة

بالمدن — لان هؤلاء العمال هم همزة الوصل بين عمال المدينة والفلاحين فى تحالفهم . وذلك لانتسابهم الطبقى الى العمال ، وانتمائهم العائلى والاقليمى الى الفلاحين،هذه السمة التى تجعلهم وحدهم يقدمون المعرفة الحسية العميقة عن طبيعة الفلاحين وعاداتهم الى زملائهم عمال المدن، لكى تتطور على ايديهم وتصبح معرفة عقلية ونظرية تخدم قضية التحالف . ولهذا فالكوادر السياسية التى تتولد من صفوف عمال الزراعة والتراحيل هم اقدر الناس على فهم نفسية اهلهم الفلاحين فهمايفوقفهم العلماء والفلاسفة، واقدرهم ايضا على فرز التناقضات فى الريف على اساس التمايز بين الفلاح الفقير والكادح والفلاح الغنى والمتوسط ، ثم تقديم طريقة علاجها بما يتفق وظروف التحالف .

سادسا : دفع الجانب الايجابى فى ذاتيةالفلاح الكادح والفقير على حساب الجانب السلبى من خلال التحطيم الفكرى لتردده الذى يصاب به فى بعض الاحيان بسبب الصراع الذى يدور فى وجدانه بين كونه كادحا تراوده احلام الكادحين وبين كونه مالكا لقطعة من الارض تنتابه تطلعات المالكين — حيث تدفعه الاولى الى الامام الى الاشتراكية ، وتدفعه الثانية الى الخلف الى الراسمالية .

سابعا : ان أهم شيء ينمى روح التحالف هو قوة المثل الذى يقدمه مبشرو التحالف بالريف بالفهم العميق لنفسية الفلاحين ومصادقتهم باخلاص بواسطة الحياة معهم وعدمالتعالىعليهم، ومخامستهم العيش والملح . بحيث لا يتأفف مبشرو التحالف من حياة الريف — ولا يزدرى باساليبهم المعيشية التى فرضتها عليهم حياة الشظف والفقر ، ويجب أن يعيش معهم عذاب العمل فى الرى والعزيق والضم والتسبيخ وتطهيرات الترع والمصارف حتى يتنفس مثلهم تماما غبار الريف وترابه ويستحم فى طينه وفى أو حاله .

ثامنا : تقوية جسور التحالف فى الريف والمدينة — هذه الجسور التى تتمثل فى اتحادات الفلاحين وجمعياتهم التعاونية التى يجب ان تتقوى باستمرار بتخليصها من نفوذ الفلاحالغنى ونفوذ عائلته — ومن نفوذ الموظفين اللصوص والمتغطرسين — بحيث يكون للفلاحالفقير والكادح الكلمة العليا وفقا للديمقراطية السليمة — والتى تتمثل ايضا فى نقابات عمال الزراعة والصناعة التى يجب ان تزداد وحدة والتحاما — بحيث يكون واقع الريف ومشاكله نقطة دائمة فى جدول النقابات الصناعية — هذه النقابات التى يجب ان تقهر ظاهرة الارستقراطية العمالية التى تشبه الصدأ العازل بينها وبين جماهيرها وبينها وبين عمال الزراعة والفلاحين اخوتهم فى التحالف الثورى .

معجزات التحالف

كانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا اروع معجزة حققها تحالف العمال والفلاحين — حيث استطاع تحالف الكادحين والمظلومين بقيادة الحزب الشيوعى الروسى من تحقيق وجوده شامخا فوق سدس الكرة الارضية — ولذلك فثورة اكتوبر هى المعجزة الام للتحالف الثورى ، وهى أيضا واجهته المضيئة التى اضفت عليه اهمية بالغة امام الشعوب الكادحة وخاصة شعوب المستعمرات واشباه المستعمرات التى قامت مستندة الى حقيقة هذه الثورة الظافرة ، فانبرت لانجاز ثوراتها الوطنية الديمقراطية من خلال تحالف العمال والفلاحين وكل الفقراء — هذا التحالف الذى قد عمق الثورات العالمية ووسع مداها ليشمل كل الريف والمدن بحيث يصعب احتواء حجمها او امتصاص طاقاتها — وقد سبب ذلك تغيير فى مناخ الثورة العالمية وفى صالحها .. حيث قد تفجرت الثورة فى برارى منغوليا وفى سهوبها فور نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية بفضل الفلاحين والرعاة المتحالفين مع اخوتهم عمال الاتحاد السوفيتى . وكان نجاح ثورة الرعاة والفلاحين فى منغوليا القبلية والاقطاعية يمثل المعجزة الثانية للتحالف لما تضمنته الثورة المنغولية من اثراء جديد للادبيات الاشتراكية ، وعلم الثورات حيث قدمت الدليل القوى على امكانية قيام ثورة الريف الناجحة — وعلى اصالة ثورية كادحى الريف من فلاحين ورعاة وعمال زراعيين اذا ما امتزجت هذه الثورية بالفكر الاشتراكى — كما قدمت الدليل ايضا على امكانية انتزاع السلطة السياسية بواسطة الفلاحين الكادحين والعمال الزراعيين والرعاة لتغيير المجتمع القبلى والاقطاعى وجعله مجتمعا تقدميا يتجاوز بجدارة مرحلة الرأسمالية ويتخطاها الى مرحلة الاشتراكية . . .

وعلى ارض الصين تطورالتحالف نظريا وعمليا تطورا صنع المعجزات ، حيث انتقل مركز النشاط الثورى من المدينة الى الريف محققا على الفور القواعد الثورية والمناطق الحمراء فى الجبال والوديان تحت رايات التحالف وفى ظلالها — وكان ذلك يعنى تغييرا فى جغرافية الثورة ، كما يمكن ان تتغير مناطقالزلازل والاعاصير بسبب تفاعلات فى جوف الكرة الارضية — وبذلك انعكست ظاهرة تخلفالريف عنالمدينة سياسيا واجتماعيا فقط . فاصبح الريف قلعة للثورة ، ومع هذا

التغيير لجغرافية الثورة تحقق ارقى وجود سياسي واجتماعي الفلاح الكادح والعامل الزراعي حيث كان الفلاح الكادح والعامل الزراعي يشاركان في سلطة المناطق الحمراء . بينما عامل المدينة لا يشارك في سلطة المدينة بل يتجه الى اعماق الريف ليحاصر المدينة جنبا الى جنب مع الفلاح ثم يستولى على السلطة المركزية في المدينة حيث كانت عدالة توزيع الدخول والاجور حقا مقدسا في مناطق السلطة الحمراء في حين لا ينعم عمال المدن بمثل هذه العدالة . . .

وباتساع رقعة الدول الاشتراكية والبلاد النامية التي رفضت الطريق الراسمالي كاسلوب لها في الحياة ـ تصاعدت ثورات الريف بشكل ملحوظ في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ـ معتمدة في ذلك على تحالف العمال والفلاحين الذى قد اصبح في جوهره امتزاجا لثورية العمال والفلاحين بالفكر الاشتراكي حتى تصبح امضى اسلحة النصر . ويؤكد هوشي منه : « ان صمودنا منذ الهجوم الامريكي علينا في عام ١٩٦٥ انما يثبت رسوخ نظامنا الاشتراكي التعاوني في الريف . وان الوطنية التقليدية للفلاحين في فيتنام ممتزجة بالاشتراكية ، وحب الاشتراكية قد انغرس عميقا في ضمير الفلاح الفيتنامي . وهذا سلاح من امضى اسلحة النصر » .

ولذلك فان التحالف في تطوره قد حقق معجزة وجود المناضل الريفي ، فتى هذا العصر الذى مشى على قدميه المسيرة الكبرى التي بلغت مسافتها ١٢٥٠٠ كيلو وحقق النصر ، وهزم بجدارة جنرالات الحرب الفرنسيين وبخر غرورهم وغطرستهم بين اطلال قلعة ديان بيان فو الشهيرة ومازال يسحق المعتدين الامريكيين ويدك انوفهم بنعاله ليصنع انتصار الحياة في ربوع فيتنام » واطاح باحلام المظليين الفرنسيين الفاشست حتى عادت أرض الجزائر للجزائر ، وفي امريكا اللاتينية حقق النصر الحاسم للانسان الكوبي ، وفجر الحقد والغضب في غابات بوليفيا ومناجمها وفي كل بقعة فيها ضد الاستعماريين الامريكيين العتاه . . .

الثورة المصرية والتحالف

لا خلاف ابدا على اصالة ثورية الفلاحين في مصر قديما وحديثا ـ فهم اول من قاموا بثورة على العبودية في العصر القديم ـ وفي الثورة المصرية الحديثة كانوا دائما يمثلون قوتها الاساسية ـ علما بان الثورة العرابية قد شهدت ظهور شخصيات فلاحية قائدة وعظيمة . كان من الممكن ان تشد الثورة المصرية الى الريف وان تلعب دورا هاما في حياتنا السياسية ـ ومن هذه الشخصيات العارف بالله سيدى الشيخ جودة صاحب الضريح المشهور في مدينة منيا القمح ـ هذا الشيخ الفلاح الذى كان بمثابة وزير التموين والامدادات للثورة العرابية التي كان يقدم لجيشها يوميا قوافل الجمال المحملة بالقمح والعسل والسمن من التبرعات التي كانت تنهال عليه من اتباعه ومريديه الفلاحين .

ولقد كان من الممكن بقاء الثورة المصرية متحصنة في حضن الريف رغم هزيمة الجيش العرابي . حيث كان الريف المصرى في جملته مستعدا لاحتضان الثورة ، كما احتضن الشيخ عبد الله النديم كاتب الثورة وخطيبها لمدة سبع سنوات ولكن ذلك لم يتم لعدم وجود تحالف بين العمال والفلاحين في هذه الايام . . .

وفي بداية هذا القرن بدات الطبقة العاملة المصرية تشارك بشكل فعال في العمل الوطنى بواسطة نقاباتها العديدة التي نظمت نوعا من التحالف البسيط بين العمال ومثقفي الحزب الوطني ـ ولكن هذا التحالف لم يشمل الفلاحين ولم يبارح المدينة . مع العلم ان الزعيم الوطني محمد فريد قد نبه الى ضرورة الارتباط بالفلاحين لدفعهم الى العمل الوطني . ولكن هذا لم يتم ـ ولذلك فقد ظل هذا التحالف هشا ضعيفا حتى اطاحت به مقدمات الحرب العالمية الاولى .

وفي احداث ثورة ١٩١٩ لم يتحقق تحالف فعال بين العمال والفلاحين ـ علما بان ايام هذه الثورة كانت انسب مناخ لوجود التحالف على ارضية معارك المواجهة مع العساكر الانجليز وكانت ايضا الفرصة الذهبية لتحقيقه في بلادنا وثورتنا ـ ولكن هذه الفرصة الثورية ضاعت نتيجة لان جماهير العمال والفلاحين كانوا مجرد قاعدة للثورة وجمهورها الطيب الذى لا يمثل عقلها او قيادتها التي استحوذت عليها الراسمالية المصرية الشرهة في العمل على تحقيق مصالحها فقط ، وذلك خوفا من تعاظم الثورة وامتدادها بعمق الى الريف بواسطة تحالف تلقائي يتم بين العمال والفلاحين بدافع من الحس الاجتماعي المشترك والنضال المشترك بينهما وعندئذ تصبح الثورة المصرية كالمارد الذى لا يعود مرة ثانية الى قمقمه .

ولذلك عملت الراسمالية المصرية على تطويق قوى الثورة بواسطة القيادات المحلية من ابناء العمد والاعيان والذوات في الريف . ومن المثقفين والطلبة من ابناء راسمالية المدينة ، الذين كانوا جميعا يتمتعون بالجاه والسلطان ونفوذ المال

والعائلة . وهذه هي مؤهلاتهم التي مكنتهم من الاستحواذ على الثورة وقيادتها — حتى لا تبتعد ابدا عن الهدف الذى رسمته الراسمالية بذكاء وقامت بترسيخه فى عقلية الناس التى انطلقت تردده الف مرة ومرة « نموت ويحيا سعد » . . وعند هذا الحد وقفت الثورة بعد ان دعمت الوجود السياسي والاجتماعي للراسمالية المصرية التى كونت احزابها السياسية وانشأت قلاعها الاقتصادية كبنك مصر وشركاته — بينما اصبح الوجود السياسي للفلاحين بالذات مجرد سيارات نقل يشحنون فيها بالقوة ورغما عن انوفهم ليرددوا الهتافات للمرشحين من ابناء الطبقات الحاكمة المستغلة .

ولذلك فقد حرمت الثورة الوطنية من الطاقات النضالية الهائلة للفلاحين المصريين بحيث لم يشاركوا مشاركة حقيقية فى احداث الثورة فى عام ١٩٣١ و ١٩٤٦ و ١٩٥١ رغم العمل الكفاحى الجاد الذى قامت به اليسارية السرية لشد الفلاحين والاجراء الزراعيين من غربتهم نحو الحياة والمجتمع .. ليتم تحالفهم مع العمال حتى تستطيع الثورة مواجهة تحالف الاقطاع ورأس المال المعادى للثورة والشعب المصرى عماله وفلاحيه ومثقفيه . .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وصدور قانون الاصلاح الزراعي الاول ثم الثانى كان منتظرا ان تتفجر ثورية الفلاحين التى قد اصابها الخمول الشديد سنوات طويلة من جراء التسلط الاقطاعي والراسمالي ، ولكن هذه الثورية ظلت على حالها تقريبا لعدم الاهتمام بالفعل السياسي فى الريف بالاضافة الى تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعي بواسطة الاجهزة الادارية الموروثة كلية من العهد الملكي — هذه الاجهزة التى تصدت بعنف وبقسوة لثورية الفلاحين التى بدات تنمو فى مناخ ثورة يوليو من خلال مواقفها النضالية ضد محاولات التلاعب والتحايل فى تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي بالبيع الصورى والتنازلات الشكلية بين شخصيات الاقطاع واغنياء الريف وبين عملائهم واتباعهم . حتى وقع بسبب ذلك حوادث دامية ومشهورة فى سحبو مقام وكمشيش وغيرها من القرى ، وقد تعرضت الحياة الريفية لعدد من الاضرار كان اهمها :

● تزايد الوجود السياسي للاغنياء الذين قد شغلوا اغلب قيادات التنظيمات الشعبية والمحلية فى القرية — بينما ظل الوجود السياسي للفلاحين الكادحين والاجراء الزراعيين ضئيلا جدا لا يتناسب وحجمهم كما وكيفا — بدليل ان قيادات هذه التنظيمات قد خلت من عمال الزراعة والتراحيل الذين يقرب عددهم من اربعة ملايين عامل .

● الانحرافات السائدة فى بعض الجمعيات التعاونية الزراعية التى تمت لمصلحة بعض الموظفين المشبوهين والعائلات الغنية فى الريف .

— تلاشي النقابات الزراعية وعدم ثباتها على ارض الريف .

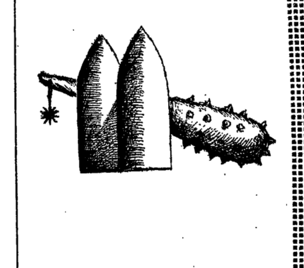
● صعوبة الحياة التى يعيشها عمال التراحيل وتزايد مشاكل استغلالهم من قبل مقاولى الانفار علما بان المناضل جمال عبدالناصر قد دعا مجلس الامة الحالى عند بدء افتتاحه الى ضرورة حل مشاكل هؤلاء العمال .



عن الحرب

مدارس الفكر العسكرى عبر التاريخ

ب من القرون الوسطى حتى الحرب العالمية الأولى



طارق شرف

اود فى بداية مقالتى الثالثة ((عن الحرب)) ان اعيد التنبيه لكون اعتمادى على التاريخ العسكرى لايعنى تمسكى بالتسلسل التاريخى للاحداث الا فى حدود ما نعود به الاحداث من جديد على التطبيق العسكرى . أى ان التاريخ هنا مصدر لاسس الحرب وليس هو العنصر الاساسى . ومالم يكن القارىء ملما بالتاريخ عن هواية او دراسة او مرتبطا بالجندية بنفس الطريقة فانه قد يجد شيئا من الصعوبة فى الاستيعاب حيث تشكل لى الكثيرون من المصطلحات الفنية العسكرية التى لم تمر عليهم من قبل وهنا اعد بانى ساحاول دواما شرح مثل هذه المصطلحات اثناء استطرادى .

وقد يقول البعض بان معارك العصر القديم غير مهمة ولا ذات نفع فى عصرنا هذا فما الداعى لبذل الجهد فى تتبعها ؟ دارت هذه المعارك فى ميادين محدودة الرقعة يمكن بنظرة واحدة ان نفهم توزيع القوات على الارض واسلوب استخدامها وهو اهم اركان فن ممارسة الحرب ، ويعود هذا التحديد للقيود التى فرضتها القدرة التدميرية المحدودة لاسلحة هذا الحين ، والقدرة الحركية المحدودة التى توفرها السيقان البشرية او الدواب . ومن هنا دارت المعارك فى ميادين صغيرة المساحة نسبيا وكانت تحسم فى ساعات او ايام قلائل : وبذا يمكن اعتبارها صورة مصغرة لما سندرسه من عمليات تشمل الكرة الارضية باسرها وتمتد فيها مسارح العمليات لالاف الاميال .

١ ــ العصور الوسطى والامراء الاقطاعيون

لقد تعمدت الا اطلق عليها اسم المدرسة لان الحرب فى هذا الحين كان عمادها القوة الصدمية الغاشمة وليس على القدرات العقلية التى تجعل القادة يستطيعون الاستعاضة عن قدر كبير من الدماء المراقة باستخدام المناورة وخفة الحركة وتحليل الارض واستخدامها بمهارة بحيث يضعوا جيوشهم فى موقف تفوق عند بداية المعركة ولا تكون نتيجتها الا محصلة للقوى المسخدمة قبلها .

وكان هذا الحال من الجمود العقلي نتيجة آلية للظروف التاريخية التي سبقته . فبعد الانتصارات الحاسمة التي احرزتها القبائل المتبربرة على اللجيونات الرومانية ، او بالاحرى التي احرزتها الخيالة ضد المشاة بدأت كل المجتمعات تتجه نحو الفارس كاداه عسكرية مطلقة في اثرها واكاد اشبهها اليوم باتجاه الدول الكبرى نحو الاسلحة النووية . وهنا تتدخل الظروف التي تكلمت عنها : فبالنسبة للعرب المسلمين او المغول كان من السهل ان يحشدوا جيوشا ضخمة بمقاييس هذا الحين ، وكلها من القوات الراكبة بحكم كونهم من الرعاة وسكان الصحراء ، او تجارا اغنياء من سكان مفارق طرق القوافل (مكة) . وبالطبع ادت انتصاراتهم لزيادة امكانياتهم المادية ، وبذا امكنهم زيادة تحميل وتسليح جيوشهم . اما بالنسبة لسكان اوروبا فلم تكن ثروتهم الحيوانية ولا امكانياتهم المادية في هذا الحين ، تسمح لهم بان يحشدوا مثل هذه الجيوش الضخمة التي يمكن لجميع افراد المجتمع الاشتراك فيها . ولذا اقتصر احتراف الجندية على من يستطيع تزويد نفسه بمطية وسلاح ، وعندما وجدوا انفسهم محدودي العدد حاولوا - تعويض هذا بزيادة وقاية انفسهم ، وذلك بزيادة نسبة وسمك التدريع حتى غطت الدروع اجسامهم بالكامل . وبذا اتخذت جيوش اوروبا في هذا الحين المظهر التالي : القوة الضاربة الاساسية من الفرسان المدرعين ومعها قوة من عبيد الارض الذين يتوارثهم النبلاء مع اقطاعياتهم مسلحة باسلحة خفيفة ، واخيرا ما يمكن تسميته بالمجموعة الادارية من خدم وحشم ولم يكونوا مسلحين . وبالطبع لم يتم هذا في يوم او سنة او حتى قرن ، وانما وصلت هذه الصورة الى منتهاها بعد احداث استمرت حوالي خمسمائة عام من سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي .

وهنا نقف قليلا لنلقي نظرة على قوم سيكون لهم شأن كبير في قصة الحرب . النورمنديون وباختصار فهم نسل قراصنة شمال اوروبا المعروفين باسم **الفايكنجز** الذين اراد ملوك فرنسا التخلص من ارهابهم فاقطعوهم المنطقة المعروفة اليوم باسم نورمنديا . وقد تركوا فرنسا وشأنها ، ولكنهم تحرشوا بجيرانهم نحو الشمال : السكسون الذين كانوا يحكمون انجلترا .

وفي ١٠٦٦ م . اغار **وليم الفاتح** دوق نورمنديا على انجلترا بدعوى أحقيته بالعرش الانجليزي . نتيجة لوعد كان قد انتزعه من هارولد ملك انجلترا السكسوني حينما كان هذا الاخير وليا للعهد . وكعادتنا سنتكلم عن الجانب العسكري للموضوع :

نزل وليم على الساحل الانجليزي ولم يحاول مهاجمة لندن او الاتجاه نحو خصمه ، وانما قام بتخريب المنطقة الجنوبية مما اضطر عدوه للزحف نحوه قبل ان ينهي حشد جيشه بالكامل ، لكي ينجي رعاياه في هذه المنطقة من الخطر . كما توقع وليم ان يفعل . والتقى الجيشان في معركة **هاستنجز** . وهنا خدع وليم النورمندي خصمه مرتين : الاولى حينما تظاهر جيشه بالفرار لكي يطارده عدوه وبذا تتفكك تشكيلاته لعدم توحيد سرعتها بالطبع واستفاد وليم من هذا في توجيه ضربة مضادة هزت الصفوف السكسونية بقوة : يسمى مثل هذا الاسلوب في التعبير العسكري « **بالياي - السوستة - المضغوط** » ، ويقضي ببساطة بالانسحاب مع المحافظة على التماسك بحيث تضغط صفوف قواتنا مما يجعلها كياي مضغوط حينما ينفرد يندفع بقوة كبيرة . وسنرى مثل هذا الاسلوب في جميع مراحل التاريخ حتى في عصر الدبابة والطائرة .

اما الخدعة الثانية : فقد تمت عندما أمر وليم رماته المحتشدين خلف صفوفه الامامية من الخيالة المدرعة والمشاة بأن يطلقوا سهامهم بحيث تتخذ مسارا عاليا ، ونسميه في لغتنا العسكرية : مقذوف ذي خط مرور عال - مثل نيران الهاونات والهاوتزرات في الوقت الحالي - وبذا طبق وليم مبدأي المناورات بالافراد والنيران في نفس المعركة باسلوب بديع ، ونتج عن هذا انتصاره ومصرع خصمه واستيلاءه على عرش انجلترا الذي أصبح في ايدي النورمنديين منذ هذا الحين .

وكان من نتيجة هذا ان اصبح الموقف بين انجلترا وفرنسا شائكا ، وادى لدخولهما في سلسلة من الحروب نجم عنها عداوة تقليدية استمرت حوالي ثمانمائة عام ، ولم تنته الا في اواخر القرن التاسع عشر حينما ظهرت الامبراطورية الالمانية وهددت الاثنين . اذ اصبح دوق نورمنديا ملكا على انجلترا ، وفي نفس الوقت يدين بالولاء لسيده ملك فرنسا بصفته اميرا لاقطاعية تابعة لهذا الاخير .

واستمر هذا الموقف المتفجر حوالي مائتين وخمسين عاما انشغل فيها ملوك انجلترا ونبلاؤها من النورمنديين بالقتال ضد سكان اسكتلندا الجبليين وضد الايرلنديين المتعصبين لحريتهم ، وضد بلاد الغال - **ويلز** - . كما شغلتهم حروب داخلية طاحنة دارت بينهم وبين ملوكهم وانشغل

كلٌ من الفرنسيين والانجليز سويا بالحروب الصليبية . ولكن بعد هذه الفترة بدأت سلسلة من الحروب يهمنا ان نلقى عليها نظرة عابرة لما يمكن استخراجه منها من أسس مهمة فى دراستنا للحرب .

سبق ان قلنا ان الركنين الاساسيين فى الحرب هما : **الصدمة والنيران** . ويقوم العنصران على **« الحركة »** : فلكى يصدم العدو يجب ان نتحرك ضده ولكى نكون الصدمة مؤثرة يجب ان تتم بقوة مركزة ومحشودة ومتماسكة . ولكى نوجه للعدو نيرانا مؤثرة، اى تحدث فيه خسائر كبيرة ، لابد ان نحرك مصادر النيران ونضعها بحيث نستطيع ضرب العدو بسهولة ، اما لقربها منه فى حالة التفوق مثلا او لوجودها فى ارض مرتفعة تشرف منها على العدو ، او بوضعها خلف سواتر تقيها من نيران العدو وهو مفتقر لمثلها .

ولايجب ان نفصل العنصرين ابدا عن بعضهما، لان هذا الفصل بلاهة لا تغتفر . ولكن اسلوب المزاوجة بينها يجب ان يحفظ لكل من العنصرين قدرته على القيام بواجبه الاساسى دون ان يخل بها وجود الطرف الاخر معه . بهذه القدرة . ولم يكن الامراء الاقطاعيون على دراية بالحرب ففى مثل هذه المجتمعات التى تتوارث فيها الوظائف لا يمكن ان يكون الوريث كفوًا على الدوام وبالطبع لم تكن الكفاءة هى المقياس .

وهنا نصل الى ما نريد الوصول اليه : بينما احتفظ الانجليز بالمشاة بصفة أساسية ، فان النظام الاقطاعى الفرنسى تجاهلها تماما . والان لندرس كلا من الخصمين على حدة لنفهم أسباب ماحدث بالضبط :

احتفظ الانجليز بمشاتهم وكانت تشمل نوعين : الخفيفة المسلحه بأقواس طويلة وهى من افضل الاسلحة التى استخدمت فى هذا الحين ، وتدعم وتكمل محور الارتكاز معها مشاة ثقيلة مسلحة بالرماح . وكان يعمل مع هذا المحور الفرسان وهم نخبة من النبلاء الذين كانوا يستطيعون العمل أما كخيالة ثقيلة او يقاتلون مترجلين وعددهم محدود .

أما الفرنسيون فقد كان جل جيشهم من الفرسان المدرعين ، ثقال الحركة . وكانوا وخيلهم اهدافا سهلة للرماة الانجليز الممتازين ، أماالمشاة فلم يعنوا بامرها ألبتة ووصل امرها الى حد جعل المراجع العسكرية تهمل ذكر اعدادهم فى هذا الحين أو خسائرهم فى المعارك .

استمرت الحرب بين الطرفين اكثر من مائة عام كما سبق القول ، وعموما فان عرض الاسلوبين الانجليزى والفرنسى فى مدارسنا فهما يمكن توضيحه ببساطة من وصف معركتين حاسمتين من الناحية التكتيكية : **كريسى** (١٣٤٦ م) **وآجنكورت** (١٤١٦ م) . وهنا اتوقف لتبيان ما اقصده « بالحسم التكتيكى » والتفريق بينه وبين النتائج الحاسمة من الناحية الاستراتيجية. فالمعركة الحاسمة تكتيكيا هى تلك التى يقهر فيها جيش اعداءه فى ميدان المعركة ويدمر قواتهم ولكن لا يكون لهذه النتيجة اى آثار سياسية على الموقف بين الخصمين سواء لتقصير المنتصر فى استغلال نجاحه التكتيكى او لاستعادة المهزوم قدرته على الصمود رغم هزيمته الساحقة . وبالطبع فالنتائج الاستراتيجية تتضح لنا بهذا تلقائيا : هى النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن النصر والهزيمة .

والان لنلق نظرة على المعركتين، وبالمناسبة فان اسلوبهما واحد : احتلال موقع ممتاز من جانب الرماة الانجليز المستندين الى المشاة الثقيلة ، والفرسان المترجلين العمل كمشاة ومن ورائهم نواة صغيرة من الفرسان المدرعة كاحتياطى . ويلى ذلك هجوم شجاع لدرجة الحمق من الخيالة المدرعة الفرنسية بالمواجهة على هذا الحائط المنيع الذى يمطرها بوابل من السهام لا يمكن ان يخطىء منه سهم واحد الا بصعوبة لكبر حجم الاهداف . وبالطبع انهزم الفرنسيون هزيمة كاسحة فى المرتين وتكبدوا خسائر مروعة . **وهذا يوضح لنا ان القوة او التفوق العددى لا تغنى عن استخدام العقل فى ميدان المعركة ومحاولة استدراج العدو لان يعطى لنا فرصة لاستخدام سلاحنا تحت افضل ظروف ، وتحقق احسن النتائج .**

وتعتبر هاتان المعركتان مثلا حيا لكل مدارس القتال الاوربية فى هذا الحين ماعدا المدرسة الانجليزية .

وقد نتج عن اختراع البارود واستخدامه فى اغراض حربية ان بدأ احتضار النظام الاقطاعى وطال الاحتضار على مدى ثلاثة قرون من اوائل القرن الرابع عشر الى حرب الثلاثين عاما (١٦١٨ — ١٦٤٨م) وسنلقى عليها نظرة فيما بعد فى نفس هذا المقال . ورغم ان القوس الطويل هزم الفرسان الفرنسيين الا انه لم يمكن المشاة من استرجاع مجدها السابق الا بعد أن استند الرماة الى تجمعات المشاة الثقيلة فى مواجهة هجمات الفرسان المدرعين .

وهنا يبدأ لقاؤنا بالمدفعية : منذ فجر التاريخ والانسان يستخدم آلات متفاوتة فى درجة تعقيدها

لرمى المقذوفات : مثل القلاع والمنجانيق . وكان اساس استخدامها فى عمليات الحصار ضد الاسوار السميكة للقلاع والمدن او لقصف الاهداف داخل المناطق المسورة . وقد ادخلت تحسينات وتعديلات كثيرة على مر العصور حتى اواخر القرون الوسطى . ثم ظهر البارود ورغم ان الكثيرين نسبوا لانفسهم فضل اكتشافه الا ان أول من استخدمه فى ادوات القتال هو الراهب الالمانى **شفارتز** فى اوائل القرن الرابع عشر الميلادى . وبعد استخدامه فى قطع المدفعية اصبحت القلاع والاسوار عديمة القيمة فكان البارود بذلك من اهم عوامل سقوط النظام الاقطاعى ، ولكن المدفعية والاسلحة النارية التى تستخدمها المشاة كانت ثقيلة ومعقدة فى استخدامها حتى بداية القرن السابع عشر ،حتى ان الافراد الذين كانوا يعملون على المدافع لم يكن لهم صفة الجنود النظاميين وانماكانوا من مهرة الصناع المدنيين ، وهنا نلتقى فى القرن الخامس عشر والسادس عشر بأول تشكيل ثابت تستخدمه الجيوش : **الفالانكس** الاسبانى .

ظهرت اهمية الرماة فى حرب المائة عام ثم ظهرت اهمية المشاة الثقيلة على ايدى المرتزقة السويسريين الذين اجتاحوا كل جيش من الفرسان قابلوه : وكان تسليحهم الاساسى قائما على نوع من الرماح الثقيلة ، وعندما تحررت اسبانيا واصبحت امبراطورية شاسعة كانت الاداة العسكرية التى استندت اليها فى النظام مع باقى ممالك وامارات اوروبا هى الفالانكس الاسبانى القائم على الجمع بين العنصرين سويا فى تشكيل واحد ثابت يقوم على مربع من المشاة الثقيلة تحتل اركانه مجموعات من الرماة اصبحت فيما بعد من حملة البنادق .

ونظرا لعلو كعب افراد هذه التشكيلات فى التدريب أصبحت أقوى اداة فى اوروبا وظلت مسيطرة على ميادين القتال حتى التقت بند لها فى شخص موريس **اميرناساو** الهولندى الذى واجه اول فالانكس فى عصر البارود باول لجيون حيث قام بتنظيم جيش نظامى فى هولندا الثائرة على الحكم الاسبانى فى القرن **السادس عشر** ، وقام هذا الجيش على اساس انه لاحظ ان التشكيلات الاسبانية رغم قوتها كانت بطيئة الحركة ولذا فقد نظم الهولنديون جيشهم على اساس «آلايا» من المشاة قوتها تتراوح بين ثمانمائة والفمقاتل وتضم عشر سرايا كل من مائة فرد وتضم كل من حملة الرماح وحملة البنادق فى تشكيل واحد حيث قام الافراد المسلحون بالسلاح الابيض حماية البنادق اثناء اعادةتعميرها حيثكانت عملية معقدة فى هذا الحين وتستغرق وقتا طويلا .

ولكن الاسبانيون التقوا باستاذهم فى القرن التالى اى السابع عشر فى شخص واحد من اعظم القاده الذين ظهروا عبر التاريخ كله : **جوستاف آدولف** السويدى الذى انهى العصور الوسطى فى مجال الحرب .

٢ ــ المدرسة السويدية : جوستاف آدولف

عندما تسبب **ريشليو** حاكم فرنسا الفعلى فى اوائل القرن السابع عشر فى اجتذاب السويد الى حلبة الصراع العنيف بين البروتستانتية والكاثوليكية الذى عرف فيما بعد باسم حرب الثلاثين عاما لم يكن يعرف انه يجتذب الى الميدان واحدا من اكبر القادة فى التاريخ العسكرى كله : ملك السويد جوستاف آدولف . ورغم افتقار السويد للرجال فان جوستاف عوض هذا بالتجهيز والاستخدام المتازين اى انه جمع دورى **فيليب والاسكندر** فى شخصه . وهنا يجب ان نقول ان هذه الحرب تعتبر نقطة تحول فى التاريخ العسكرى حيث ان الجيوش اصبحت تعتمد على تنظيمات ثابتة مثل الجيوش الاغريقية والرومانية وانتهى عهد سيادة الخيالة وعادت لدورها فى تدعيم المشاة ومعاونتها . واختفى التدريع الثقيل لعدم الاحتياج اليه حيث انه لم يكن مانعا نفاذ الطلقات ولكونه يثقل حركة مستخدمه وبذا بدأ الصراع الفعلى بين المقذوف والدرع او بين خفة الحركة والوقاية الثقيلة .

وقد قام جوستاف آدولف باعادة تنظيمجيشه بما يلائم غرضه الاساسى : قهر التشكيلات الاسبانية العتيدة فقد فكر ان هذه التشكيلات تعتبر أهدافا ممتازة للنيران ، لو امكن حشد كمية كبيرة منها ضدها ، وكان هذا هو محور تنظيمه كله .

ففى مجال المشاة حول ثلثى حملة الحراب الى حملة بنادق بعد ان استطاع اختراع بندقية اخف من الشائعة فى هذا الحين ، وحيث انه كلما كانت الوحدات تعتمد على النيران اكثر من الصدمة ، فانه من الانسب دفع اكبر عدد منها فى المواجهة وباختصار فالاساس هو ان انسب تشكيل للصدمة هو التشكيل العميق الضيق المواجهة الذى يدفع داخل قوات العدو مثل الاسفين . وانسب تشكيل للنيران هو التشكيل الذى يمكن اكبر عدد من افرادنا من الضرب على العدو : مواجهة واسعة على حساب

العمق وسنرى تطوير جوستاف التشكيل التكتيكى بما يلائم تسليح وتنظيم جيشه فيما بعد .

وفى مجال الخيالة كان الجارى فى هذا الحين ان يسلح الفرسان بطبنجات وكانوا يقتربون من العدو بسرعة غير كبيرة : « الغار » ثم يفرغون طبنجاتهم فى اتجاهه ثم ينسحبون للخلف لاعادة التعمير . وقد وجد جوستاف ان هذه الاجراءات سخيفة للغاية ولذا فانه سلح فرسانه بالسيوف واستخدمهم فى واجبهم الاصلى : الاقتحام باقصى سرعتهم لتدمير بقايا العدو فى هجوم **عاصف** بعد ان تكون النيران قد دمرت تماسك تشكيلاتهم . كما انه سلحها باسلحة نارية للعمل — كمشاة مترجلة .

ولكن كان التغيير الاكبر فى مجال المدفعية :فحتى هذا الحين كانت قطع المدفعية ثقيلة وثابتة ، وبذا كان اثرها يتوقف على اتجاه العدو نحوها من عدمه فى حالة استقرارها فى اى موقع . وكانت عملية اعادة تحميلها ونقلها عملية طويلة. لايمكن بحال انتتم اثناء المعركة . وقام قائد مدفعية جوستاف وهو **فون سيجروث** باختراع مدفع عيار أربعة ارطال (وهنا اوجه نظر القارىء الى ان معنى الاربعة ارطال هو وزن المقذوف وهناك طريقة اخرى وهى ذكر عيار المدفع — قطر الماسورة من الداخل — بالمليمتر او السنتيمتر او البوصة).

وكان يمكن جر هذا المدفع بحصان واحد . والحق جوستاف مدفعين من هذا الطراز بكل آلاى مشاة (حوالى الف جندى) . وكان هناك نوعان آخران من المدافع : تسعة ارطال واثنى عشر رطلا لتعمل ضمن التشكيلات الاكبر على مستوى الجيش ويقوم القائد بتوزيعها حسب الارض وحسب اهمية القطاع والواجب المخصص له .

واخيرا فمن الناحية الادارية انهى جوستاف فكرة اعاشة الجيوش بالسلب والنهب اى على الارض . والحق بها قطارات (عربات مجرورة) ادارية . كما انه الزم قواته بدفع ثمن اى سلعة يريدونها فى ظل عقوبات صارمة لمن يخالف هذا النظام وكانت هذه هى المرة الاولى التى يحدث فيها مثل هذا الاجراء .

والان لنلق نظرة على اسلوب الاستخدام او التطبيق بعد ان عرفنا طريقة تجهيز الاداة : استخدم جوستاف مجموعاته بطريقة تكاد تكون مثالية بالنسبة لامكانيات الاداة المتوفرة اذا احتفظ بنسبة من حملة الرماح لكى يقوموا بحماية حملة البنادق اثناء التعمير ولذا فانه وضعها فى وسط هذه الوحدات الاخيرة .

وفى معركة برايتنفلد وهى اول اختبار جدى للاداة (١٦٣١ م) بدأ جوستاف الاشتباك ، بأن حشد مائة مدفع لعمل « تمهيد » او « غلالة تحضيرية » على اقصى مرمى لها . ثم استطاعت وحداته بمالها من تكامل ذاتى فى الصدم والنيران ان تنقل نيرانها اينما كان ذلك مطلوبا .

وفى العام التالى انزل جوستاف هزيمة اخرى باعدائه فى معركة لوتزن ولكنه دفع حياته ثمنا لهذا النصر بعد ان قدم للحرب اكبر تطوير فى العصور الحديثة وفتح آفاقا جديدة يمكن للفكر الانسانى ان يسعى فيها للامتياز فى التدمير والقتل .

٣ — المدرسة المعتدلة : المحترفون او المناورة بدلا من الدماء

والآن ننتقل الى مدرسة جديدة سادت طوال الفترة من اواخر القرن السابع عشر الى الثورة الفرنسية . وكعادتنا فى تقسيم العرض نتكلم عن الاساس التنظيمى للجيوش . واذا ما اتخذنا أبرز جيشين فى هذه الفترة مقياسا فسنستطيع الى حد كبير ان نحصل على صورة عامة عما كان يجرى فى هذا الحين .

فبالنسبة للجيش الفرنسى فى اواخر القرن السابع عشر ايام حكم **لويس الرابع عشر** ظهر عدد من المنظمين الاكفاء الذين اشتهروا فى مجال الحرب . واولهم **لوفوا** وزير الحربية الذى اعاد تنظيم الجيش وجعل الاشراف عليه فى يد مجموعة مستقلة من المفتشين . واشهر هؤلاء **ماركينيت** الذى اصبح اسمه رمزا للقسوة فى تطبيق الضبط والربط . واصبحت الترقية مبنية على الكفاءة . وتحدد شكل وحدات الجيش على اساس تنظيمى ثابت لايتغير . واخيرا ادخل لوفوا اساس تنفيذ التعليمات بناء على النداء ، ولم يعد الحال يستدعى تخصيص ضابط او ضابط صف، ليضع كل جندى فى محله كما كان يحدث من قبل . ومن الناحية الادارية انشأ لوفوا قسما للامداد والتموين وقام بتدريب مجموعة من الضباط للاشراف على توفير ونقل الامدادات .

وبالاضافة للوفوا ظهر اسم آخر كان له شأن كبير فى زيادة كفاءة الجيش الفرنسى وهو **فوبان** ؛

الذى ابتكر أسلوبا ثابتا لمهاجمة الحصون لاقى نجاحا كبيرا لدرجة انه ظل مطبقا طوال المائة وخمسين عاما التالية : ويسمى اسلوبه « الاقتراب الموازى » . ويقضى ببساطة بحصار القلعة منجميع الاتجاهاتلقطعاتصالها بالخارج. ثم يقوم بتركيز مدفعيته فىناحية على مسافة ٦٠٠ ياردة من اسوارها . وخلف المدافع يقوم بحفر خنادق موازية لاسوار الحصن لحماية المشاة التى تقوم بالدفاعءن مواقعها لو حاولالمدافعون القيام بهجوم مضاد . واخيرا تحفر خنادق فى اتجاه القلعة تخرج من الخندق الموازى الى ان يمكن حفر خندق مواز اكثر قربا ، وهكذا حتى تصل المدافع الى سور القلعة وتستطيع احداث ثغرة فيها وكان هذا يكفى عادة لسقوطها ، وقد جعل اسلوب فوبان من المهندسين العسكريين عنصرا اساسيا فى الجيوش الجديدة .

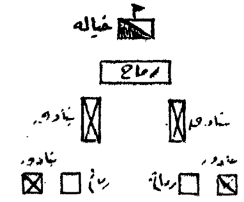
ورغم كل هذه التنظيمات والتحسينات التى ادخلها الفرنسيون على جيشهم فانه كان مفتقرا للضبط والربط وكانت المركبات ضئيلة وتعرض لهزائم نكراء اكثر من مرة . واخيرا انتهى الامر بانضمامه للثوار ضد الملكية فى فرنسا .

ومن ناحية اسلوب الاستخدام فان حرب الثلاثين عاما الدموية جعلت العالم ينفر من فكرة المعارك الصدامية باعتبارها مجرد مذابح ولذا فقد ظهر جيل جديد من القادة يفضل الوصول لغرضه بالمناورة بدلا من المعارك اى انه كانيعمد لتهديد خطوط مواصلات عدوه بالتحرك نحوها ، مع تفادى جيوشه ، او كان يعمد لتهديد قاعدة هامة يكون عدوه مجبرا للدفاع عنها وفى نفس الوقت يبعده عن غرضه الاصلى وهكذا . وهنا لعب لوفوا دوره ايضا اذ انه بتنظيمه للامدادات والتموين واقامته لمناطق الاعاشة الثابتة مع تحسين حالة الطرق جعل للجيوش الفرنسية قدرة كبيرة على التحرك فى جميع الاتجاهات .

وظهر تعديلان جديدان فى الاسلحة : اولهما السونكى والثانى بندقية جديدة تعبأ بسرعة اكبر من سابقتها مما انهى عهد استخدام حملة الرماح لوقاية البنادق اثناء تعميرها ، وجمعت الوظيفتان فىسلاح واحد مما جعلمن الممكن دفع اكبر عدد من الجنود للمواجهة ، وكان هذا هو ميلاد التكتيكات الخطية بالفعل .

وقد قام **مارتينيت** بتدريب قوات الجيش الفرنسى على الفتح ، اى التشكيل للقتال من القول الى الخط . وبالمناسبة فالقولهو عدد من العربات تسير خلف بعضها ويقال عن الافراد ايضا اذا كانت مواجهتهم اكثر من واحدة وكان الفتح يتم بحيث ينتظم الافراد فى ثلاثة خطوط متوازية تتقدم مع فتح نيران مجمعة عند صدور الامر .

وقد دخل لويس الرابع عشر فى سلسلة طويلة من الحروب . ومنذ اول الامر وضح ان عملية تلاقى الخطوط وتبادلها النيران على مسافات غير كبيرة ستؤدى الى خسائر فادحة. لذا فان كل الاطراف تفادت المعارك بقدر الامكان للهروب من هذه الخسائر ، حيث كان القائد يستطيع فىاى وقتان ينسحبببساطة الى ارض وعرة او مشجرة لا تتلاءم فى طبيعتها معالظروف المثالية التى تتطلبها التكتيكات «الخطية» الدقيقة من الارض . وهنا اصبح الحصار اهم من المعارك . وكما سبق القول ظهرت فى هذا المجال شخصية فوبان : وقد طلب هذا الاخير منلوفوا زيادة عدد الهاونات والجنود من رماة القنابل اليدوية : الجريناديرز . وبالمناسبة فان اطول الرجال كانوا يختارون لهذه المهمة الصعبة وبالتالى اصبح الجريناديرز بحكم امتيازهم الجسمانى وخطورة واجبهم خيرة وحدات الجيوش .



● مثال لتشكيلات جوستاف ادولف لمواجهةالفالانكىالاسبانى

والآن لنستعرض آخر مدارس القرن الثامن عشر وابرزها : **المدرسة البروسية** واستاذها العظيم **فريدريك الاكبر** : وهنا يجب ان اذكر ان عظمة هذا الرجل انحصرت فى عبقريته التكتيكية فى المعركة ، أما من الناحية الاستراتيجيةفانمركز بروسيا المتوسط هو الذى ساعده علىاستغلال خطوط مواصلاتهالداخليةالقصيرة القليلةالتعرض للخطر فى تحريك جيوشه ضد اعدائه فىاتجاهات متعددة باستمرار ، والركن الاخر لامتيازه كان فى عظمة التدريب للجيش الذى حكمته لوائح صارمة فرضت ضبطا وربطا حديديين .كما انه ادخل تحسينات كبيرة على تنظيم وتسليح جيشه . ومن تجارب سابقيه خرج بأن المشاة يمكن ان يعلو كعبها فى التدريب بحيث تستطيع اطلاق كمية اكبر من النيران اثناء الحركة .ويقول

البعض ان افكاره عن الضرب والحركة ظلت قائمة واستخدمت فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٤) .

وبالنسبة للمشاة فقد دربها على الفتح من التول الى الخط بحيث تشكل خطا رقيقا قليل العمق مع المحافظة على توحيد الخطوة بأن جعلها تدخل معاركها على انغام الموسيقى العسكرية . ثم تتقدم كما لوكانت فى استعراض نحو العدو وتضرب عليه ضربا مجمعا ثم تعيد التعمير اثناء تقدمها عدة خطوات . واخيرا يتم الاقتحام بالسونكى .

وكانت تعاون مشاته خيالة من ثلاثة انواع :

● الخيالة الثقيلة للصدم والاقتحام ، وتتحرك على اجناب تشكيلات المشاة .

● الخيالة الخفيفة لاغراض الاستطلاع .

● المشاة الراكبة ، وتستخدم خيولها لمجرد الانتقال من مكان لاخر .

اما بالنسبة للمدفعية فانه استخدمها على اجنحة خطوطه ، وبعد ان تعرض لخسائر فادحة فى صفوف مشاته فى الحملات المتعاقبة ، اصبح فريدريك يعتمد على مدفعيته بدرجة اكثر .

وقد اصبح اسلوب فريدريك اساس التنظيم لكل الجيوش خلال اكثر من قرن ونصف القرن . وانتشر تقليد التدريب البروسى عبر اوربا كلها .

اما عن اسلوب الاستخدام فقد استطاع فريدريك نتيجة لامتياز جيشه فى التدريب ان يغير مواجهة اى تشكيل بسرعة كبيرة وبذلك يغير اتجاه هجومه ويخل بتوازن عدوه .

كما انه اعتمد على الاقتراب او الهجوم المائل مرة اخرى : فقد كان ينوى احد اجنحته ثم يبعد الجناح الآخر ويهجم على عدوه فيحطم الجناح المواجه بسرعة ثم يلتف بخطه كله وهو اسلوب رأيناه من قبل على ايدى **ايامينونداس والاسكندر**. ورغم كل هذا الامتياز انتهى الامر بانهاك قواه بسلسلة من الحروب قضت على زهرة جيشه من الافراد المحنكين المدربين وبانتهاء هذه الفترة من التاريخ انتهى عصر الجيوش المحترفة على ايدى الثوار الامريكيين فى حرب الاستقلال ثم على ايدى « المواطنين » الجنود الفرنسيين الذين لاقوا جيوش اوروبا الملكية وصدوها اولا ثم اجتاحوها بعد ان ظهر الذئب الذى استطاع استغلال الطاقة التى فجرتها هذه الثورة .

٤ — الحرب المطلقة : الامة تحت السلاح

فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر وقع حدثان غيرا وجه التاريخ كله ، كما غيرا من الاسس التى تقوم عليها الحرب . والحدثان كانا ثورتان احداهما للتخلص من نير الاستعمار، والثانية للتخلص من الحكم الملكى الاقطاعى .

كانت الثورة الاولى فيما نعرفه اليوم بالولايات المتحدة الامريكية وفى مبدأ الامر لم يكن هناك اى احتمال لقدرة شعب يكاد يكون اعزلا وليس له جيش ولا تقاليد عسكرية فى مواجهة جيوش الاحتلال البريطانية المدربة التى تقوم بحملات تأديبية يشنها الجنود البريطانيون المدربون تدريبا عاليا على التكتيكات الخطية تؤيدهم مدفعيتهم وخيالتهم وتنتهى بسرعة « باعادة الصواب » لاذهان المتمردين . وكعادتنا التى اتبعناها فى دراسة كل المدارس لن احاول بحث التسلسل التاريخى للاحداث ولا حتى المعارك التى وقعت وانما نلقى نظرة على الاداة واسلوب الاستخدامات فيما يتعلق بالاداة : قام الجيش الامريكى على افراد ممتازين من القناصة ، هم ادلاء الحدود وصيادو الغابات ، وكلاهما يمتاز بالقدرة على السير مسافات طويلة واستخدام الارض واجادة استخدام السلاح والحياة تحت ظروف صعبة ، وكل هذه عوامل اساسية فى الجندى الممتاز، ولكن كانت الصعوبة فى استخدام هؤلاء الافراد فى تشكيلات مجمعة تتحرك وتقاتل تحت سيطرة قيادات، ويعتادون فيها العمل كمجموعة او فريق حيث ان كل واحد منهم اعتاد فى الغالب ان يمارس اعماله بنفسه ويكون سيدا لنفسه ، وهى صفات لو أمكن صقلها بحيث تلائم العمل داخل الجيوش لنتج عنها ما نسميه باللغة العسكرية : بالمبادأة ، وهى هامة للغاية اذ توفر قدرة الفرد على التصرف بنفسه ، دون احتياجه على الدوام لتوجيه ، وهنا جاءت النتيجة الهامة الاولى : استخدام المجموع كفريق بصفة عامة .

ولكن داخل هذا الاطار حاول القادة الامريكيون ان يتركوا اكبر قدر ممكن من الحرية الفردية لجنودهم فنتج عن هذا تشكيلات المناوشين المبعثرة، بدلا من التشكيلات الخطية المنتظمة التى تضم جنودا مارسوا التدريب لمدد طويلة واعتادوا على التحرك الى الميدان وداخله فى صفوف مع المحافظة

على الحذاء والخطوة الموحدة لدرجة الاستعانة بالموسيقى داخل ميدان القتال . اما التشكيلات الشعبية الامريكية فانها كانت تعتمد على مهارة كل فرد في حد ذاته في قتل واصابة اكبر عدد ممكن من الاعداء .

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى عمليات المناوشة او الاستطلاع بالنيران : فالاستطلاع في بعض المدارس يقوم على اساس مجرد ارسال افراد لمعرفة مايدور في جانب العدو مع تفادي الاشتباك معه بقدر الامكان . وبصفة عامة فاني اظن ان هذا اسلوب فاشل فيجب ان يغرس في المقاتل غريزة قتل العدو كلما سنحت له الفرصة ، وهنا تبرز قيمة المناوشين من كونهم مصدر معلومات ، وفي نفس الوقت مصدر خسارة للعدو باستمرار . ونظرا لعدم تكتلهم فان اصطيادهم ليس سهلا بعكس التشكيلات الخطية البريطانية التي تحتشد فيها الجنود بطريقة تجعلهم هدفا او بلغتنا العسكرية «تختة» سهلة . وبالمناسبة فاني اظن ان كل وحدات الجيش الاسرائيلي النظامية تعتمد اساسا على سرعة اتصال الافراد في الخطوط الامامية بالقيادات . ومن هنا يجيء سرعة التصرف مع ضمان كون التبليغ غير سلبي بمعنى انه يجب تحليل الاهداف التي نراها وليس وصفها فقط ومحاولة معرفة نية العدو وبعد ذلك يتم الاشتباك معها على الفور او اجتذابها قتالا نحو القوة الاساسية .

وفي كل المعارك التي التقى فيها الجيش البريطاني النظامي بالرماة الامريكيين المبعثرين الذين يستخدمون اسلحتهم بعد مزاوجتها بالارض بمهارة انتصر فيها القناص او المناوش او المواطن الجندي على الجيش النظامي المحترف ولو ان هناك عاملين يجب الا ننساهما .

● سوء اختيار القيادات من جانب الحكومة البريطانية .

● وجود عنصر صالح للتحويل الى جندي ناجح في المجتمع الامريكي : صياد الغابات ودليل الحدود ، ولوانهم كانوا مجرد نواة اجتمعت حولها خامات غير مقاتلة تحولت الى جنود بالمران واكتساب الخبرات من زملائهم والعدو .

اما الحدث الثاني فكان اثره اعظم بكثير ، سواء في مجال التطور التاريخي للمجتمعات الانسانية او في مجال الفكر والتطبيق العسكري ، واقصد به الثورة الفرنسية . وكما نعرف ففي ١٧٨٩ ثار الشعب الفرنسي بقيادة الطبقة المتوسطة ثورة ضارية على النظام الملكي ودمره ومعه كل قيمه واجهزته بما فيها الجيش الفرنسي بشكله التقليدي القديم . ولو ان المقصود بالتدمير لم يكن هجوم الشعب على هذه الاجهزة بقدر ما اقصد به تفكك بعضها بسقوط الرأس الحاكمة ، او انضمام البعض الاخر للجبهة الثورية . وهنا اتوقف لالقي نظرة على كل جيوش اوروبا منذ عهد **جوستاف ادولف** بالسويد حتى هذا الحين .

سبق ان قلنا ان الجيوش كانت كلها تقريبا محترفة وتتبع نظما تقليدية صارمة في تدريبها في ارض الطابور في الثكنات على حركات معينة لا تغيرها ابدا وتؤدى مجمعة بواسطة نداءات ابتداء من التقدم مارين بتعمير السلاح وانتهاء باطلاق النار كآلة موحدة دون ترك اى حرية تصرف للجندي . ونتج عن هذا ان كانت الجيوش محدودة في اعدادها وحيث انها كانت تعتبر اقطاعية خاصة بالحاكم اكثر منها حامية للدولة ، او بالاحرى كانت مصدرا لتحقيق المطامع والطموح الشخصي اكثر منها اداة للدفاع عن امة بكل ما تمثله .. اقول انه نتج عن كل هذا ان عاملها الملوك على انها جهاز خاص بهم واعتبرها النبلاء المجال الاساسي لنشاطهم وبذا كانت اغلب القيادات او كلها تقريبا منهم .

وتعاملت الجيوش فيما بينها كما لو كانت في حفل راقص تسود فيه الاداب والتقاليد المرعية بين الطبقات الارستقراطية في هذا الحين ، فعومل الاسرى باحترام كبير ولم تكن المعارك تعتبر صداما مع عدو مكروه وانما كادت ان تدخل في مجال المباريات الرياضية التي يهنيء فيها المغلوب خصمه المنتصر ويقتصر الامر بعد هذا على تحقيق غرض اقليمي او سياسي محدود ليس المقصود به تدمير الدولة المعادية او جيشها . ويخرج الطرفان في ذهن كل منهما ، ان هناك مباراة اخرى قريبة لا مانع اطلاقا لدى الحكام من ممارستها كهواية وشغل للفراغ . وكانت صفوف كل الجيوش الاوروبية مليئة بالمرتزقة والمغامرين من محترفي القتال .

جاءت الثورة الفرنسية فهدمت كل هذا الصرح التقليدي ، وحينما هاجمتها الجيوش الاوروبية التابعة للدول الملكية التي خافت انتشار العدوى بين شعوبها ، لم يكن لدى الفرنسيين جيشا نظاميا بالمعنى المفهوم في هذا الحين .

وهنا لجأت الثورة الى الاعتماد على عاملين :

● تجنيد حشود جرارة من المواطنين .

● ازكاء روح الوطنية لتعويض النقص في

القدرة القتالية ، ومن هنا بدأت العواطف الانسانية تحتل جانبا كبيرا فى القتال وبدأت روح الكراهية بين الشعوب واخذت الحرب طابعا من العنف انعكس على الشعوب كلها ، ولم يقتصر امره على المتحاربين وحدهم . وبذا بدأ ظهور اهمية عنصر الدعاية والحرب النفسية فى مجال الحرب. ونتج عن تجنيد الاعداد الكبيرة من المواطنين ان التحمت كل الطبقات داخل صفوف الجيش ولم يعد الامر مقصورا على النبلاء ومحترفى القتال من المرتزقة ولو انه يجب ان نذكر ان عددا كبيرا من ضباط الجيش الملكى عرضوا خدماتهم على الحكومة الثورية التى قبلتها ، الا ان كثيرا من القادة الذين نالوا شهرة مستطيرة فيما بعد جاءوا من الصفوف او كما قال نابليون : كل جندى يحمل عصا المارشالية فى جربندبته (اى حقيبته) .

وفى مجال المشاة فان هذه الاعداد الكبيرة لم يكن من الممكن ان تتبع التشكيلات الخطية التى تستدعى تدريبا طويلا وشباتا ، وغير ممكن ان تتم السيطرة بعد كل هذا عليها اذا كانت بهذا الحجم ، ولذا فان جيوش اوروبا التقليدية ذهلت عندما واجهت تشكيلات تبدو فى ظاهرها فوضى مطلقة بالنسبة لمعايير هذا الحين. اذ وجدوا أمامهم جمعا مبعثرا من « الغوغاء » الذين يطلقون نيرانهم بطريقة فردية وليست جماعية ، ولكن امتازت هذه النيران بأنها كانت مصوبة الى تختة كبيرة هى التشكيلات الخطية المنضمة للجيوش التقليدية ، ولذا فانها احدثت خسائر جسيمة فى صفوفها . أما النيران التى اطلقتها هذه الجيوش بالاسلوب المتبع من حيث تجميع طلقات التشكيلات سويا فانها لم تجد امامها هدفا واضحا وانما افرادا مراوغين لا يلتزمون بالثبات فى مكانهم ، ويحاولون اتباع اساليب « غير مهذبة » فى القتال : اذ بدأوا فى استخدام السواتر المتوفرة حولهم من اشجار واسيجة وخنادق وخرجوا بهذا عن الاصول المرعية من حيث اطلاق نيران مجمعة مع الاقتراب من العدو الى مسافة الاقتحام ثم استخدام السونكى فى الاقتحام نفسه .

وهنا ظهر عامل كان له تأثير كبير فى تكتيكات المشاة : كان من ضمن القادة الفرنسيين الذين اشتركوا فى اعادة تنظيم الجيش الفرنسى عدد من الذين خاضوا غمار حرب الاستقلال الامريكية فى صفوف الجيش الامريكى ، وهناك لمسوا نجاح تكتيكات « المناوشة » الامريكية : خط رقيق غير منتظم من الرماة المهرة الذين يجيدون استخدام الارض واستخدام اعينهم يزعج الجيش المعادى ويبلغ عن كل مايراه ، ويكبد العدو خسائر لا تتناسب اطلاقا مع حجم القوات المستخدمة فى هذا المجال . ثم يلى هذا الخط مجموعات من الرجال تتحرك على محاور منفصلة فى تشكيل قول : عمق كبير ومواجهة صغيرة تتجه بسرعة نحو اى نقطة يبين عندها ضعف صفوف العدو ، وتتجمع هذه المجموعات بسرعة وبمعاونة المدفعية تحاول اقتحام الخط المعادى عند هذه النقطة .

اما بالنسبة للمدفعية فقد ساعد الثورة عامل ان العائلات الارستقراطية كانت لا تحب الخدمة فيها باعتبارها سلاحا « فنيا » ولذا فان اغلب افرادها كانوا من صفوف الشعب ولذا فانها ظلت على مستواها دون تغيير يذكر .

وآخر ما نتكلم عنه فى هذا المجال هو التنظيم الشعبى للتجنيد ، او بالاحرى ظهور فكرة التجنيد الاجبارى ، فقد قام **كارنو** وزير حربية الثورة بتنظيم عملية التجنيد لجميع الرجال اللائقين للخدمة العسكرية على اساس الزامى مع فرض عقوبات قاسية على المتهربين ، فاذا ما اضفنا هذا لعملية الشحن المعنوى للروح القومية فهمنا لماذا استطاعت فرنسا فى هذه الفترة اى آخر عشر سنوات من القرن الثامن عشر ان تضع مليونا من الرجال تحت السلاح وهو عدد مهول بالفعل .

٥ — نابليون بونابرت وولنجتون وجذور المدرسة الالمانية الحديثة

فى ١٧٩٥ ظهر ضابط شاب هو نابليون بونابرت عندما اشترك فى قمع محاولة لقلب نظام الحكم فى باريس بواسطة عناصر مؤيدة للملكية وكان قد قدم للمحاكمة قبلها فى سلاح المدفعية ثم أحيل للاستيداع فترة ثم عاد للخدمة . وبعد ان كسب رضاء الحكم نال قيادة الجيش الفرنسى فى ايطاليا وبدأت فترة من التاريخ ارتكز فيها كل التطور والنشاط الفعلى فى مجال الحرب حول شخصه هو بالذات .

ودون الدخول فى تفاصيل تاريخية يعرفها الجميع فيكفى ان نعرف اساس الانتصارات التى احرزها نابليون والسبب الاساسى لهزيمته فى النهاية . يقول استاذنا **ليدل هارت** ان نابليون لم تكن عظمته فى مجال التكتيك وانما انحصرت فى المجال غير المحدد المعالم بين التكتيك والاستراتيجية الذى نسميه «التكتيكات الكبرى» ولنراجع سويا معلوماتنا فى هذا المجال :

سبق القول بان التكتيك هو اسلوب استخدام القوات داخل المعركة واثناء الاشتباك الفعلى مع العدو ، وان الاستراتيجية هى اسلوب تحريك القوات الى المعركة واثر هذه التحركات على الموقف العسكرى . اما التكتيكات الكبرى فهى تحريك وتجميع القوات فى ميدان المعركة نفسه تمهيدا لاستخدامها بطريقة حاسمة ضد العدو .

قامت انتصارات نابليون كلها فى فترة نشاطه الذهنى وتوقد قريحته قبل ان يصيبه شىء من الجمود بفعل الزمن وبفعل ضياع جزء كبير من جنوده المحنكين فى المعارك الضارية التى خاض غمارها على هيئة غلالات عوامل اساسية :

● غمر مواجهة العدو بنيران على هيئة غلالات من المناوشين .

● تحسس المواجهة لمعرفة اماكن الضعف .

● تجميع نيران المدفعية على مستوى لم يعرف من قبل عند نقط الضعف .

● تجميع القوات داخل الميدان بسرعة ومهاجمة هذه النقط .

وصحيح انه استخدم كل اساليب القتال المعروفة من اختراق والتفاف وتطويق وخداع ، الا ان كل اشتباكاته حسمت بالارتكاز على هذه المحاور الاربعة . وابرز مثال لها بالطبع هو نصره الكاسح فى معركة **اوسترليتز** على الجيوش الروسية والنمسوية .

وفى المراحل الاخيرة من حروبه قل اعتماده على قدرته الفنية فى الحرب وزاد اعتماده على اسهل الطرق لاحراز النصر : استخدام الكتلة البشرية او الحشود الضخمة فى دق جبهة العدو ونظامها حتى النصر بغض النظر عن ثمنه من دماء وارواح الجنود .

وفى النهاية انهزم نابليون لسببين : اولهما ان التاريخ يقول ان المهزوم العاقل يتعلم باستمرار اسلوب النصر من هازمه ، وهذا ما حدث بالفعل اذ تعلمت الجيوش الالمانية ، او بالاحرى البروسية والنمسوية اساليب تجميع القوات داخل ميدان المعركة بسرعة كبيرة لمفاجأة العدو باعادة تشكيل خط القتال بطريقة لا يتوقعها بعد ان يكون قد استعد لمواجهة عدوه المصطف امامه بطريقة معينة .

والسبب الثانى اهم واخطر بكثير ، اذ لم يستطع نابليون طوال فترة حكمه وقيادته لجيشه ان يوجد جيلا من القادة يمكن الاعتماد على حسن تقديرهم للامور وقيادتهم لمعارك جانبية منفصلة ، واعتيادهم على وجوده بجانبهم واتخاذه كل القرارات ، ويكفى ان نبرز مثلا لهذا ان فى معركة **واترلو** آخر معارك نابليون اشتبك فى اليوم السابق لها بالجيش البروسى تحت قيادة **بلوخر** عند قرية **لينى** فى بلجيكا وهزمه وطارده ثم ترك قوة من ثلاثين الفا من المقاتلة تحت قيادة **جروشى** للاستمرار فى مطاردة الجيش المنهزم وتحول هو لمقابلة **ولنجتون** عند واترلو . وفى مرحلة حرجة من المعركة لم تكن كفة اى من الطرفين راجحة ظهر جيش على الافق واصبح التاريخ متوقفا على تبعيته فلو كان جروشى اطاع رأى مرؤوسيه بالاتجاه صوب اصوات المعركة لمساعدة الامبراطور لانتصر نابليون ، اما اذا كان الجيش القادم هو بلوخر والبروسيين — وهو الذى حدث بالفعل — فينتج عن هذا هزيمة فرنسا وانهيار الحكم النابليونى بسبب ثورة القائد البروسى على خداع قائد فرنسى وتركه ستارة امامه من القوات الخفيفة ومراوغته وعودته بسرعة نحو المعركة ليكون عنصر الحسم فيها .

واهم ميراث لنابليون فى الحرب هو تجميعه للمشاة والمدفعية والفرسان فى تشكيل واحد تحت قيادة مستقلة وظهور ما يسمى بضباط الاركانحرب ، وهم مسئولون عن نقل اوامر القيادة الى الوحدات ومتابعة تنفيذها الى ان لعب التطور دوره واصبح ضابط الاركانحرب مسئول عن التخطيط للمعركة ثم ادارتها فى فرعيها : العمليات (القتال) والشئون الادارية اى امداد القوات واعاشتها اثناء هذه العمليات . كما ان تقسيم القوات يستدعى اعطاءها قيادات منفصلة ويجب ان تتصل ببعضها وبقيادتها وبالوحدات وهذه من وظيفة الاركانحرب .

اما بالنسبة للجيش البريطانى فالقصة لا تختلف كثيرا : كان العنصر الاساسى فى تدريبه هو خبرة **السير جون مور** الذى سبق له الخدمة فى القارة الامريكية ضد الامريكيين فى حرب الاستقلال وهناك التقط هو الاخر تكتيكات المناوشين . ورغم انه لقى مصرعه فى اوائل اشتباكات قواته بالجيوش الفرنسية فى البرتغال الا ان **ولنجتون** اكمل سلسلة الحملات فى شبه الجزيرة الايبيرية بنجاح باهر ، وتقوم على اساس احتلال المشاة للميول الخلفية للتلال بحيث لاتكون واضحة للعدو وذلك على اساس تكتيكات خطية مع وضعهم فى خطين . اما الميول الامامية الموجودة فى اتجاه العدو والظاهرة له فقد كان يحتلها غلالة من المناوشين وكلهم من الضاربين المهرة تساندهم المدفعية . وبذا كان العدو يتكبد فى اقترابه خسائر كبيرة من بنادق المناوشين ومن المدفعية ثم تتلقاه

المشاة بعاصفة من النيران المجمعة . وهنا يقوم الفرسان باستغلال نجاح ضربة النيران بهجوم عنيف على اى قطاع من جبهة العدو يظهر القائد انها بدأت فى الانهيار بعد هذه الضربات ، وقد دامت هذه التكتيكات طوال فترة الحروب النابليونية .

واخيرا نصل الى نقطة اساسية اذ اكاد اعتبرها محور دراسة الحرب واذا كان القارىء قد وجد انه لم يخرج بالكثير حتى الان فالواقع انه كان يمكن دراسة الحرب كلها بالارتكاز على ماتوفره لنا دراسة المدرسة الالمانية الحديثة التى تتلمذ عليها كل المحاربين فى القرنين الاخيرين :

٦ ـ المدرسة الالمانية الحديثة

تبدأ قصة هذه المدرسة فى اوائل القرن التاسع عشر عندما هزم نابليون الجيش البروسى هزيمة ساحقة فى معركة **بينا** مما اثار شعور عام بالسخط فى صفوف هذا الجيش ذى التقاليد العريقة فى مضمار العسكرية ودفع كثير من ابنائه للتفكير فى اعادة النظر فى نظم اعداد الجيش للقتال .

لنلق نظرة سريعة على المجتمع الذى نشأت فيه هذه المدرسة : فالمقاتلون ابناء المجتمع الذى يمثلونه ويمكن ان نتوقع الكثير من ردود فعلهم للضغوط العسكرية التى تفرضها ظروف الحرب القاسية من دراسة مجتمعهم الذى نشأوا فيه .

وعندما اتكلم عن بروسيا فأنا اقصد بها فى الواقع نواة الامبراطورية الالمانية ومن بعدها الرايخ الثالث الذى حكمه هتلر . واصدق وصف لبروسيا ما قاله عنها البعض من ان كل الامم دول لها جيوش ماعدا بروسيا فهى جيش له دولة ! والواقع ان هذا ناشىء عن التركيب الاجتماعى لهذه الدولة وللاتجاهات الثقافية التى اثرت فيها . فسكان هذه المنطقة من اصول جرمانية تيوتونية ، اى انهم محاربون بطبعهم وبطبيعة المنطقة التى عاشوا فيها وبطبيعة احاطة الاراضى التى يحتلونها بجيران اقوياء : الروس والبولنديون من الشرق والفرنسيون من الغرب والشعوب النوردية فى الشمال .

حكم هذا المجتمع طبقة من النبلاء المحاربين ونظرا للثمن الباهظ الذى تفرضه هوايتهم ومجال نشاطهم الاساسى فانهم لجأوا للحرب باعتبارها مصدرا للقوة والسيطرة وكرسوا ذريتهم على مدار التاريخ لممارسة نفس المهنة وتسمى هذه الطبقة **باليونكرز** والناظر للوحات والصور التى تمثل هؤلاء الناس لنظراتهم الجامدة المترفعة المليئة بالكبرياء يستطيع فهم لماذا لايمكن ان يمارسوا غير الحرب ولماذا حكموا مجتمعهم كما لو كان ثكنة عسكرية .

وبعد فترة المجد التى مرت بها بروسيا فى عهد فريدريك الاكبر مرت بفترة جمود ادى لاضمحلالها وانتهى الامر بهزيمة جيشها ذى التاريخ العريق هزيمة كاسحة على ايدى نابليون ، وهنا ظهرت مدرسة الفكر العسكرى الالمانى الحديث نتيجة للمرارة التى شعر بها هذا الشعب ذو الميول العسكرية ومع احتفاظنا للتاريخ والتطور بدوره فى الاحداث ودون التقليل من شأنه فان شخصيات هذه المدرسة فى مراحلها الثلاث واضحة كل الوضوح وان كان التسلسل التاريخى لوجودها غير طبيعى بعض الشىء :

فقد ظهر المنظمون ــ وهم اكثر من واحد ــ أول من ظهروا وهم : **جيرهارد شارنهورست وجنايزناو وماسنباخ** ، ودون الدخول فى تفاصيل نقول ان الثلاثة كانوا ضباطا محترفين فى الجيش البروسى وعاصروا كل معارك بلادهم فى الفترة من مطلع القرن التاسع عشر حتى سقوط نابليون بعد واترلو فى ١٨١٥ وكان لهم شأن كل الشأن فى تسبيب هذا السقوط .

وقد اشترك شارنهورست وجنايزناو سويا فى ايجاد ركنين اساسيين من اركان اقامة جيش قوى فى التاريخ الحديث : التجنيد الاجبارى المنظم مع جعل القيادات تختار من بين ذوى الكفاءات بغض النظر عن اصولهم وانتساباتهم الاجتماعية ثم ايجاد هيئة اركان حرب ذات واجبات واضحة فى تجهيز الجيش ثم استخدامه فى الحرب . وقضيا بذلك على فكرة ان الجيش اقطاعية يملكها صاحب الدولة ويديرها بواسطة المقربين من حاشيته من النبلاء ، وانما هو اداة حسنة التجهيز يقودها افراد **كرسوا** حياتهم لهذا النوع من النشاط : فالحرب عمل اخطر من ان يتقبل اى مستوى دون التكريس وهى ليست بالهواية التى تحتكرها طبقة معينة ولا بالوظيفة التى ينظر لها صاحبها على انها مصدر للرزق بل هى مبدأ واستعداد الفرد للموت فى سبيل الحفاظ على كيان وطنه واسلوبه فى الحياة ، جوهره الاطلاع الشره على كل ما يستجد فى مجال هذا النشاط من ابتكارات وتطورات واختراعات واجتهادات مع دراسة اسباب عظمة كل الجيوش التى امتازت فى هذا المضمار ، وبعد هذا كله ممارسة التطبيق لمحاولة الوصول لهذا المستوى .

وقبل هذا التاريخ كان الجيش يتحرك مجمعا

تحت القيادة المباشرة للملك الذى يقوم بتوزيعه بالطريقة التى يراها ملائمة ، وتتوقف نتيجة المعارك على مدى صحة تقديره للامور ومدى نجـــاحه الشخصى فى ادارة المعركة . وكان يعاونه فى وقت السلم مجلس اعلى للحرب من بعض القـــادة العجائز ذوى الخبرة الذين يمتازون بصـــفتين : القدرة على ضبط عواطفهم مع الحاكم حينما يرتكب او يقول الحماقات ، لعدم رغبتهم فى الدخـــول فى مهاترات يعلمون جيدا من واقع خبرتهم انها لن تؤدى لاكثر من خسارتهم لوظائفهم المريحة .

والصفة الثانية قدرتهم الخارقة على دفن ووأد المواهب الشابة التى قد تكون مندفعة ومتهورة فى كثير من الاحيان ولكن الافيد استخدامها بعـــد صقلها بدلا من قتلها .

ولهذا كله قـــام شـــــارنهورست وجنايزناو بمجهودات جبارة فى وجه مقاومة عنيفة من الملك وانصاره فى سبيل ايجاد هيئة اركان حرب تعمل طول الوقت وتقوم بتجهيز كل ما يلزم لخـــوض الحرب تحت اى ظروف بقدر ما تسمح به طاقة مجموع الخبرات التى تضمها هذه الهيئة .ونجحوا فى فرض آرائهما ووجدت بالفعل هيئة اركانحرب عامة للجيش البروسى تشرف على الافراد والمعدات واعدادهما للعمليات مع دراسة ميادين القتـــال التى قد تدور عليها هذه العمليات . ولذا فقـــد قام شارنهورست بوضع الاساس لتقسيم هيئة اركانحرب البروسية الى اقسام : كل قسم يدرس العمليات المحتملة مع دولة او مجموعة من الدول المجاورة ، كما تم اعداد الخطط اللازمة لدراسة الارض بانشاء قسم جغرافى لعمل خـــرائط لكل مناطق العمليات المحتملة .

ولكن انشاء هيئة الاركان حرب يمكن اعتبارها ناتج للتطور التاريخى لممارسة الحرب اكثر منها ابتكار ناتج عن اجتهاد شخصى ، لان كل القـــادة على مدار التاريخ كان يحيط بهم مجموعة من الضباط الذين ينقلون اوامرهم وتوجيهـــاتهم فى مـــراحل الاعداد والقتال الفعلى ، مما يمكن اعتباره هيئة اركانحرب ، ومن ثم فان تجميعها على اســـاس علمى مثل ذلك الذى تم فى بروسيا لا يزيد عن كونه كما قلنا تطويرا للأفضل ، ولكن الصراع فى سبيل انشاء نظام للتجنيد الاجبارى وبالتـــالى خلق نظام ثابت من افراد الاحتياط يسمح بزيادة الجيش عدة اضعاف فى حالة الحرب فى بلد مثل بروسيا ، كان عملا فذا ، حيث ان حكام هـــذا المجتمع كانوا يرفضون اى فكرة سوى الاحتراف الكامل لاغلب افراد الجيش ، مما يجعله فى حد ذاته مملكة داخل مملكة او مجتمع مغلق لان توسع الجيش العددى بهذا الشكل كان يؤمن عليهم زيادة عدد الضباط والقيادات بما هو لا يتناسب مـــع امكانيات الطبقة النبيلة فى توفير الاعداد المطلوبة وهنا يضطر الحكام للاستعانة بكل طبقات الشعب فى توفيرها وينهار بذلك الامتيـــاز الذى احتكره النبلاء . ولكن الاثنين نجحـــا فى فرض ارادتهما وانتزعا النجاح انتزاعا من ايدى نظام ملكى مطلق يرفض الفكرة المعروضة عليه .

اما ماسيتباخ فقد كان اثره محدودا حيث انه كان شرسا فى طباعه ويهتاج لاقل بادرة من المعارضة مما جعل علاقاته الانسانية ضعيفة وبالتالى لم يكن هذا مما يسهل امكانية مساهمته فى المجهـــود العظيم الذى بذله زملاؤه . ولكن هذا لا ينفى انه كان فى الواقع اكثر عبقرية واقوى شخصية من شارنهورست واعلم بكثير من جنـــايزناو ، ولكن نشاطه اقتصر على دائرة ضيقة من محتملى سوء طباعه ولكن هذه المدرسة الخاصة اخرجت الكثير ممن سيكون لهم شأن عظيم فى تاريخ بروســـيا والمانيا .

وكما قلت فان التسلسل التاريخى للمدرسة لم يكن طبيعيا ، فان المفـــكر وصـــــاحب اسلوب الاستخدام جاء بعد المنظمين : وهذا المفكر له شأن كبير للغاية فى الحرب بل هو نبى الحرب فى العصور الحديثة واسمه **كارل فون كلاوزفيتز** . وهو ضـــابط خدم فى الجيش البروسى اربعـــين عاما وعاصر كل معارك العصر من آخر عقد فى القرن الثامن عشر حتى بداية العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

ولا يزال كتابه «عن الحرب» يعتبر اكبر واهم ما كتب فى هذا المضمـــار . بل ان كل المعقبين والمفكرين الذين ظهروا منذ هذا الحين لا يعتبروا اكثر من مفسرين لكتابه ، او بالاحرى مجموع أفكاره عن الحرب ، لانه هو نفسه وصف المؤلف بانه غير كامل وليس بالكتاب على الاطلاق وانما هو مجموعة التأملات الشخصية عما عرفه ورآه عن كل مجالات الحرب تقريبا فى مستوييها التكتيكى والاستراتيجى . وقد أدى فهم بعض القـــادة والزعماء لجوهر كتاباته لنتائج حاسمة فى تاريخ العالم وادى عدم فهم البعض الاخر منهم لهـــذا الجوهر واساءة تفسيره لنتائج اكثر حسما !

ولد كلاوزفيتز فى بلدة بورج بالقـــــرب من **ماجدبورج** فى ١٧٨٠ وبدأ خدمتــــه فى الجيش البروسى فى سن الثانية عشرة ، وهو شىء معتاد فى هذا الحين . وفى ١٨٠١ دخل الكلية الحربية فى برلين التى كان يقودها فى هذا الحين شارنهورست . وفى عام ١٨٠٦ فى معركة يينا اصيب بجراح ووقع فى الاسر ، وكان يشـــــغل منصب ياور الامـــير اوغسطس البروسى ، وفى ١٨٠٩ ساعد شارنهورست فى اعادة تنظيم الجيش الالمانى ثم انضم للجيش الروسى وخدم فى صفوفه ضـــد نابليون فى حملة هذا الاخير فى روسيا فى ١٨١٢ . وفى عام ١٨١٥ خدم كرئيس لاركانحرب احـــد قادة التشكيلات

البروسية وحضر معركتي ليجني وواترلوا . وفي ١٨٣١ مات بالكوليرا في بريسلاو . ويظهر من هذا الوصف المختصر لحياته انه لم يمارس القياده ابدا واغلب الظن انه لم يكن لينجح كقائد كما يقول عنه استاذنا الكبير الجنرال فوللر الذى يصفه بانه دارس للحرب اكثر منه جنديا .

وهو صاحب الفكرة الاساسية في الحكم والحرب التي تقول : الحرب استمرار للسياسة بوسائل اخرى . وهو يقول عن الحرب في مستواها المادى انها « مبارزة على نطاق واسع » ويحللها على اساس انها صراع بين اثنين من المتصارعين ويخرج بهذا انها « عمل عنيف الغرض منه اجبار خصمنا على الخضوع لارادتنا » . ويقول ايضا عن الغرض منها انه : تدمير العدو او نزع سلاحه منه ، وهو يرفض فكرة الحرب بلا دماء على انها سخيفة « ان محاولة اضفاء عنصر الاعتدال على الحرب ما هى الا سخافة » .

واصراره على العنف والصدام كاساس ضرورى ضلل الكثيرين من مريديه الذين قبلوا كلامه على اساس مطلق حاسم لا جدال فيه . وهؤلاء يتجاهلون او ربما عجزوا عن فهم كلامه عندما يقول بالا محل لاى عنصر مطلق في الحرب لانها تقودنا الى مجالات معنوية لا يمكن تقديرها بحسابات جامدة حيث ان العنصر البشرى عامل اساسي من عوامل الحرب وبذا لا يمكن اعتبار اى تقدير او حكم او نتيجة على انها مطلقة لا تقبل التعديل والتصرف .

ويقول الدكتور **بيتر باريت** الاستاذ المساعد للتاريخ بجامعة كاليفورنيا في تحليله الممتاز « كلاوزفيتز والقرن التاسع عشر » ان شهرة الرجل غريبة لان كتاباته عن الحرب لم يقرأها بتمعن عدد كبير . كما ان المفسرين لم يتفقوا ابدا فيما بينهم في الاتجاهات التى ذهبوا اليها في توضيح نظرياته . ومع هذا فان اقواله انتشرت بسرعة في صفوف الجيش الالماني واصبحت اساسا لعقيدة اكبر قائد الماني في القرن التاسع عشر : **فون مولتكه** الذى سنتكلم عنه فيما بعد . ويستطرد المحلل قائلا ان الاراء لم تتفق على ان اهمية كلاوزفيتز ترجع لتأملاته عن الحرب كظاهرة سياسية واجتماعية ولا بالنسبة لتمييزه بين الحرب المطلقة والمحددة ، ولا حتى لاهم ما حققه في كتاباته وهو تعريض مسائل الحرب بين الامم للتحليل العقلى المنطقى من واقع الفلسفة الالمانية المثالية .

والواقع ان كلاوزفيتز لم يكن اول من فهم ان الثورة الفرنسية احدثت انقلابا في فنون القتال . فقد تكلم الكثيرون من زملائه العسكريين عن اسباب الانتصارات الشعبية في فرنسا . ورغم كل هذا فان كتابات كلاوزفيتز اكتسبت اهميتها من كونها كتبت بعد الاعصار النابليونى الذى اجتاح اوروبا الذى ساهم المفكر في مواجهته . ولم يبدأ في كتابة خلاصة افكاره وتأملاته الا بعد انتهاء العاصفة في فترة هدوء ساعدت على ان تكتسب كتاباته صفة النضوج التى تجتذب المفكرين والباحثين . ولكن رغم كل هذا فان الكثيرين من مريديه اخطأوا في فهم وتطبيق كثير من افكاره عن الحرب . وربما كان هذا يرجع لانتزاع هذه الافكار من المكان الذى نشأت فيه ، ومن البيئة التى خرجت منها ومحاولة كل قادة وحكام اوروبا تفريغها كحل لمشاكلهم دون حساب لمتغيرات البيئة المختلفة .

وبعد هذا العرض السريع للشخصية نحدد اهم اركان نظرياته :

تعلم كلاوزفيتز من الثورة الفرنسية ان اكبر مصدر للطاقة السياسية للدولة هو شعبها . وهذا المصدر اذا تعرض للاختناق ، عندما يقسم المجتمع الى اجزاء منفصلة واضحة التباين من حيث الدرجة والتخصص المهنى يمكن فك اساره ، اذا ما اعطينا لكل فرد المجال للتطور بان نوجد فيه روح الولاء للدولة ، والتجانس في المصالح مع قادتها بحيث يزيد من طاقته لحسابها . اى ان كلاوزفيتز ينادى بان الدولة يجب ان تنفخ من قوتها في الفرد البشرى . وهو على العموم يعتبر ان الحرب اداة للسياسة وليس العكس .

وهو يحدد بوضوح ولاول مرة لما يسمى « **بمركز الثقل الاستراتيجي للدولة** » وهو جزء في كيان الامة المعادية قد يكون عسكريا او سياسيا او اجتماعيا لو امكن تدميره او الاستيلاء عليه ينهار البنيان القومى للعدو ، وهى اهم نظريات كلاوزفيتز لانها تحدد الغرض الاستراتيجي الاعظم لاى حرب . ويقول : ان تحديد « مركز الثقل » في قوة العدو وبيان مدى تأثيره اهم اعمال التقدير الاستراتيجي السليم » . ثم يعطينا بعدها امثلة عما يقصده : « كان مركز الثقل لدى الاسكندر الاكبر مركزا في جيشه ومثله في ذلك جوستاف ادولف وفريدريك الاكبر . وكانت عظمة ايهم تنهار في لحظة تدمير قواته المسلحة . اما في الدول التى تمزقها الصراعات الداخلية فان المركز يكون عادة في العاصمة وفي الدول الصغيرة التى تعتمد على اخرى اكبر منها تتوقف على جيوش الحلفاء الاقوياء وفي الدول الاتحادية يكون مركز الثقل في وحدة المصالح . وفي ثورة قومية يتركز في شخص القائد والرأى العام . وبذا يجب توجيه ضربات حاسمة لهذه الاغراض حسب الموقف » .

وبعد تحديد الغرض الاستراتيجي الاعظم يحدد المبادىء التى تحكم وضع الخطط الحربية وكيفية تطبيقها .ويبدابتحديد مبدابن اساسيين من وجهة نظره :

الاول : حصر مصادر قوة العدو فى اقل عدد ممكن من مراكز الثقل بل فى مركز واحد لو امكن ثم قصر العمليات الهجومية عليه مع جعل العمليات الاخرى تحتل مركزا ثانويا بقدر الامكان . اى ان المبدأ الاول ينص باختصار على ضرورة التركيز لاقصى درجة ممكنة .

الثانى : العمل باقصى سرعة ممكنة دون سماح باى تعطيل او تعقيد .

واذا جمعنا هذين المبدأين فى نتيجة واحدة نصل الى ما يعبر عنه الجنرال فوللر بقوله « انه فى الحرب كما فى الميكانيكا يكون الوقت هو العنصر الحاسم بين الكتلة والقوة » .

وبجانب هذين المبدأين يحدد كلاوزفيتز عدة مبادىء يعتبرها من الاغراض الاساسية للحرب وهى ثلاثة من وجهة نظره :

- قهر وتدمير قوات العدو المسلحة .
- الاستيلاء على العناصر المادية للعدوان التى بحوزة الجيش المعادى .
- كسب الراى العام .

ولتحقيق هذه الاغراض يقول كلاوزفيتز ان المبادىء التى يجب اتباعها هى :

- استخدام كل القوى المتيسرة باقصى طاقتها.
- حشد قواتنا فى الاماكن التى نزمع توجيه الضربة الحاسمة اليها .
- استغلال النجاح باقصى طاقة ممكنة مع اعتبار ان المطاردة هى الوسيلة الوحيدة لجنى ثمار النصر .

ومن الناحية العسكرية البحتة يقول كلاوزفيتز ان الدفاع اقوى من الهجوم فى مجال الحرب ، رغم الطاقة المعنوية التى توفرها النوايا الهجومية للقائمين بها .

ولسنا فى مجال استعراض كل افكار هذا الرجل ولكن يكفى ان نذكر انه كان المفكر الذى اوجد الاساس الاستراتيجي والتكتيكى للاداة العسكرية الممتازة التى عرفها العالم من خلال تدميرها له فى الجيش الالمانى ، بل وتخطت تعاليمه الحدود لتنعكس آثارها على كل الجيوش الاوربية الكبرى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا . ومن وجهة نظرى ان افكار هذا الرجل لم تعد عتيقة ولا غير ذات موضوع، بل ان تنفيذها فى صورتها المثالية اصبح اكثر امكانا بسبب التقدم التكنولوجى فى القرن العشرين .

وآخر ما نتعرض له فى موضوع المدرسة الالمانية هو المستخدم للاداة الفيلد مارشال **فون مولتكه :**

كان **غليوم الاول** ملك بروسيا وامبراطور المانيا فيما بعد جنديا ممتازا وكان يعرف كيف يختار معاونيه ، واهمهم فون مولتكه الذى عينه رئيسا لهيئة اركان حربه فى ١٨٥٧ وبعدها عين **جراف فون رون** وزيرا للحربية **وهربرت فون بسمارك** رئيسا للوزراء (مستشار الرايخ) . وعلى اكتاف هؤلاء الرجال قامت قوة وباس الجيش البروسى وهو الاداة التى حققت وحدة المانيا وظهورها كاقوى دول اوروبا .

وقد اعتمد مولتكه فى التخطيط لعملياته الممتازة فى سلسلة الحروب التى خاضتها بروسيا من ١٨٦٤ الى ١٨٧٠ ضد الدانيمارك ثم النمسا واخيرا فرنسا بالترتيب على عدة اسس :

- نظرته للحرب على انها عملية تجارية اكثر منها علما او فنا ويمثل فيها الجيش راس المال .
- استخدامه لشبكة السكك الحديدية الممتازة التى تغطى بروسيا فى حشد وامداد جيوشه فى اى اتجاه بسرعة مع استفادته لاقصى درجة من مركز الدولة المتوسط بين جيرانها .
- فهمه ان الحرب اداة للسياسة، ومن ثم اهتم بالادارة العليا واجهزة الحكم وبمجال السياسة الخارجية مما ساعده على تقدير موقفه بدقة صارمة فى تخطيطه وتنفيذه لاى عمليات وتوقعه للاتجاهات الداخلية والخارجية التى تؤثر تأثيرا ضخما على الحرب ، الجبهة الداخلية وموقف الدول الاخرى .
- امتياز الجيش البروسى من حيث التسليح والتدريب والقيادة مع تطبيق نظام يؤدى لاصدار التعليمات فى شكل توجيهات عامة وليس اوامر دقيقة لا يجوز الخروج عنها ، فاذا لم يصح تقدير القيادات ترتبك التشكيلات، تترك بذلك وعلى الدوام حرية الحركة لكل وحدات الجيش البروسى بما يتمشى مع الغرض العام مع تطبيق مبدأ هام : ففى وجه كمية النيران المهولة التى نتجت عن التحسينات فى الاسلحة ، عمد الجيش البروسى لتفادى الهجوم بالمواجهة وطبق اسلوبا تكتيكيا لا يتغير ابدا : تثبت من الامام ثم هجوم من الجنب او الخلف او الاثنين .

وانتهى الامر بانتزاع مقاطعتى **شليزويج وهولشتاين** من الدانيمارك فى حرب قصيرة خاطفة اشتركت النمسا فيها مع بروسيا فى ١٨٦٤ .

ثم سيطرت بروسيا على باقى مقاطعات المانيا بعد حربها المنتصرة ضد النمسا على هذه السيادة فى ١٨٦٦ فى حملة سريعة لم تدم الا سبعة أسابيع.

واخيرا تكونت الامبراطورية الالمانية بعد اكتساح مقاومة فرنسا لهذا الاتجاه فى حرب ١٨٧٠ التى انتصر فيها الجيش البروسى نصرا حاسما ادى الى اهتمام كل الدول الكبرى بهذه المدرسة واتباعها لكثير من تعاليمها واساليبها .

حوار مفتوح حول شباب ١٩٦٨

تواصل الطليعة الحوار حول قضايا ومشكلات الشباب . وتنشر مايصل اليها من آراء وتعليقات

نحو نظرة موضوعية لمشكلات الشباب

أيوسيف يوسف

في الشهر الماضي فتحت الطليعة صفحاتها لمناقشة قضية هامة قدمها في عدد شهر اغسطس بعض الزملاء والاصدقاء من محرري الطليعة تحت عنوان « شباب ١٩٦٨ يهز العالم » (•)

وافتتح المناقشة زميلنا **داود عزيز** بمقاله الذي نشر في عدد سبتمبر تحت عنوان « اليسار الجديد » . وارى لزاما قبل ان اشارك في المناقشة المفتوحة ، الى ان اشير الى انني اتفق مع النقاط الرئيسية التي عرضها المقال ، والتي تناولت الدراسة من ناحية المضمون ، وما احتوت عليه من افكار . ولذلك سوف اركز بكيفية خاصة على بعض القضايا التي تتعلق بمنهج الدراسة التي قدمها الزملاء ، وعلى زاوية الرؤية التي انطلقوا منها ، ولن أهتم بتحليل الاتجاهات الفكرية التي سادت الدراسة الا بالقدر الذي يخدم الهدف الذي أرمي اليه ، وهو بيان النواقص والثغرات الشديدة في منهج الدراسة . غير ان هذا لا يمنعني بعد هذا كله من ان اشيد بفضل الدراسة ، وذلك في مبادرتها الجريئة الى طرح قضية خطيرة هي بحق احدى قضايا الساعة : قضية الشباب والطلاب : حركاتهم وآفاق تطور هذه الحركة .

وربما ساعدنا على الوضوح ان نأخذ أمثلة محددة لنحللها ونعلق عليها . ومن ثم سنختار المقال الذي كتبه الزميل خيري عزيز عن حركات الطلبة في فرنسا ، ثم انتقل بعد ذلك الى الدراسة العامة والرئيسية التي قدمها الزميل سعد زهران .

المنهج الذاتي والافكار المسبقة

والمقال الذي كتبه خيري عزيز عن « فرنسا » يقدم لنا نموذجا حيا للمنهج الذاتي الذي ساد

البحث ، وهو منهج اجتزاء الحقائق ، والنظر اليها من جانب واحد ، تحت تأثير افكار واحكام مسبقة ، اجتهد الكاتب في اثباتها والتدليل على صحتها .

ولناخذ مثلا على ذلك ، ما كتب عن حركة الطلاب في فرنسا . ان النقطة المحورية التي تحمس الكاتب للتدليل عليها ، هي ان انتفاضة الطلاب قد اظهرت قوة طليعية تتقدم على الطبقة العاملة الفرنسية ، وان هذه القوة بالتالي حكمت بالعقم او — على الاقل — بالتخلف على قيادات « اليسار التقليدى » ، خصوصا على الدور القيادى للحزب الشيوعى الفرنسى . وهذا يظهر من العبارات التاليه التي وردت في المقال (١) :

« ان اضراب العمال الفرنسيين بالملايين لم ينبع من مجرد رغبات التضامن مع الطلاب في حركتهم العادلة . ذلك ان العمال قد وجدوا الانتفاضة فرصة سانحة لتحسين اوضاعهم المعيشية . ومن هذه الزاوية ، فان الكفاح العمالى الفرنسى في الانتفاضة الاخيرة ، وتحت قيادة الحزب الشيوعى ، لم يتخذ في جوهره سوى مجرد طابع اقتصادى بحت » .

وفي موضع آخر يقول الكاتب : « وقد كان موقف الحزب الشيوعى منذ البداية هو رفض الاستجابة للتحرك الطلابى ، لكنه رغم ذلك قام بحملة كشف وادانة للنظام الديجولى » .

واول ملحوظة على هاتين الفقرتين ، هو التناقض الحاد بينهما عند الحكم على موقف الحزب الشيوعى الفرنسى . فبينما يتهم نضال العمال في فرنسا بأنه لم يتخذ تحت قيادة هذا الحزب سوى مجرد طابع اقتصادى بحت (الفقرة الاولى) ، تعود الفقرة الثانية لتنقض هذا الراى عندما تذكر ان الحزب قام بحملة كشف وادانة « للنظام الديجولى » ، الامر الذى يعنى ان نضال العمال كان له طابعه السياسى البارز في احداث مايو — يونيو .

على ان خطر الاراء المسبقة ، والمنهج الذاتى قد فرضت على الكاتب فرضا ، ان يهمل الوقائع الصلبة والصريحة التي تساعد على تكوين حكم موضوعى . وعلينا ان نرى كيف يمكن ان تختلف ملامح الصورة بمجرد ان نعرض الوقائع في تسلسلها :

١ — فليس صحيحا ان العمال الفرنسيين وجدوا في الانتفاضة الطلابية مجرد فرصة سانحة لتحسين احوالهم المعيشيه . فمن الثابت ان العمال طفقوا — طوال النصف الاول من عام ١٩٦٨ ، ومن خلال عشرات من المواقف — يعبرون عن سخطهم المتزايد ضد سياسة تجميد الاجور ، وانتشار البطالة ، والعدوان على الحريات النقابية ، وعلى المكاسب التي انتزعها العمال في عهود سابقة ، خصوصا تلك المكاسب المتعلقة بالتأمينات الاجتماعية . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، عندما حل عيد اول مايو دعا الاتحاد العام للعمال (س . ج . ت) الى مظاهرة ضمت ١٠٠ الف من العمال ، لاعلان الاحتجاج على عدم استجابة الحكومة لمطالب العمال . وفي نفس اليوم ، بدأ الطلاب يعبرون عن معارضتهم لسياسة التعليم .

٢ — وليس صحيحا ايضا ان الاضراب التاريخى العظيم ، الذى وقع في ١٣ مايو ، والذى دعت اليه المنظمات النقابية المختلفة : وفي مقدمتها « الاتحاد العام للعمال » ، لم ينبع من مجرد الرغبة في التضامن مع الطلاب . وبالتالى ليس صحيحا بالمثل ان تحركات الطبقة العاملة في شهر مايو — يونيو كانت « مجرد تحركات اقتصادية » . ان الوقائع ذاتها تغنى عن كل تعليق . ذلك اذا ما تتبعنا الاحداث في تسلسلها الزمنى :

— **اول مايو** : مظاهرة احتجاج للاتحاد العام للعمال .

— بدء تحرك الطلاب ضد سياسة التعليم .
— اغلاق جامعة نانتير .

— **٢ مايو** : حاولت عناصر فاشستية ويمينية ان تشعل النار في مقر اتحاد الطلاب بالسوربون . فنظم الطلاب مظاهرة احتجاج على هذا الاستفزاز . قوبلت المظاهرة باجراءات قمع بوليسية شديدة .

— **٣ مايو** : البوليس يحتل الحى اللاتينى .

— **٧ مايو** : دعا اتحاد الطلاب الى اضراب غير محدود ، وطالب بانسحاب البوليس من الحى اللاتينى وفتح جامعتى نانتير والسوربون .

في نفس اليوم صدر بيان سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى يؤيد حركة الطلاب .

(١) الطليعة — العدد ٨ — اغسطس ١٩٦٨ ص ٧٢

واصدر نواب الحزب عن منطقة باريس بيانا آخر بهذا المعنى .

— ٩ مايو : بيان آخر للحزب الشيوعى عن مطالب الطلاب .

— ١٠ مايو : استمرار حصار السوربون . معركة المتاريس التى دعا اليها سوفاجو وبندت كوهن وجيسمار ، وحرضوا فيها على اقامة ما اسموه « بالمتاريس » . حدث صدام مع البوليس . عدد كبير من الجرحى من الجانبين . وقبض على عدد كبير من الطلاب .

— ١١ مايو : اللقاء بين زعماء الحركة النقابية فى فرنسا . جمع اللقاء بين ممثلين للاتحاد العام للعمال ، والاتحاد المسيحى الديمقراطى للنقابات والاتحاد الوطنى للتعليم ، والاتحاد الوطنى لمدرسى الجامعات ، والاتحاد الوطنى للطلاب الفرنسيين . وفى ظهر اليوم ، صدر بيان مشترك من الاتحاد العام للعمال ، والاتحاد المسيحى للنقابات ، يدعو الى اضراب عام يوم ١٣ مايو ، وتنظيم مظاهرات احتجاج ، تضامنا مع حركة الطلاب وتأييدا لمطالبهم .

فى نفس اليوم ايضا ، انضم الحزب الاشتراكى الى الاحزاب المعارضة ، والمنظمات النقابية ، وصدر بيان مشترك عن الحزبين الشيوعى والاشتراكى . وطالب البيان بوقف اعمال القمع والافراج عن الطلاب ، وضمان الحريات النقابية والشبابية . واختتم البيان بدعوة القوى الديمقراطية الى الاتحاد ضد نظام الجنرال ديجول .

— ١٣ مايو : اعلان الاضراب الكبير ، تضامنا مع الطلاب ، اشترك فيه عشرة ملايين عامل ، مظاهرات هائلة فى كل انحاء فرنسا ، خاصة فى باريس .

— ١٤ مايو : بيان من المكتب السياسى للحزب الشيوعى يقيم فيه احداث اليوم السابق ، ويحيى النجاح الذى حققته وحدة العمال .

فى نفس اليوم انتشار الاضراب واحتلال المصانع .

— ١٦ مايو : بيان من الاتحاد العام للعمال ، يطالب الطبقة العاملة بتشديد النضال ويدين فى الوقت نفسه — استفزازات اليسار المتطرف واعماله المغامرة . بيان من الحزب الشيوعى فى نفس هذه المعانى .

— ١٧ مايو : تصاعد حركة الاضراب العام . الحزب الشيوعى يصدر بيانا يدعو فيه قوى اليسار الى ان تدعم وحدتها وتتضامن فيما بينها .

— ٢٠ مايو : دعا المكتب السياسى للحزب الشيوعى كل القوى الديمقراطية والعمالية الى ان تتحد حول سياسة مشتركة ، واصدر بيانا دعا فيه المضربين الى مضاعفة الجهد لتكوين « لجان العمل » تحت شعار حكومة شعبية تمثل وحدة القوى الديمقراطية .

وقد استمرت بيانات الحزب والاتحاد العام للعمال ونداءاته تصدر حتى اول يوليو ، ومن هذا كله يتبين :

— انه ليس صحيحا بالمرة ان حركة الطبقة العاملة الفرنسية كانت مجرد حركة اقتصادية تعلقت بذيل الحركة الطلابية .

— انه ليس صحيحا بالمرة ان قيادات اليسار التى اسمتها الدراسة « بالقيادات التقليدية » ، لم تشجب النظام السياسى القائم .

— انه ليس صحيحا بالمرة ان حركة الطلاب فى فرنسا تخطت حركة الطبقة العاملة ! وتقدمت عليها . فمن ناحية كان تأييد العمال لمطالب الطلاب هو العامل الحاسم الذى نقل المعركة من معركة فئوية الى معركة سياسية قومية تواجه النظام الرأسمالى بالاتهام . ومن ناحية اخرى نرى أن بعض قيادات اليسار المتطرف (الحزب الاشتراكى الموحد) — ونشير هنا الى **جاك** سوفاجو — يصرح بأن البعض يعتقد ان حركة الطلاب لها من الديناميكية ما يمكنها من احراز انتصارات حاسمة ، غير ان هذا الاعتقاد خاطىء . ويضيف سوفاجو : اننا مقتنعون بأنه لا يمكن ان نحصل على انتصار حاسم الا بفضل الطبقة العاملة ، لانها هى وحدها القوة التى تستطيع ان تحسم (٢) .

ولا شك ان اى باحث من حقه ان يستخلص ما يشاء من النتائج ، وان يصدر من الاحكام على مواقف الافراد والجماعات ما يرى انه يتفق ووجهة نظره . ولكن ليس من حقه ان يرفض

(٢) حديث مع ج. سوفاجو — مجلة تريبيون سوسياليست — ١٨ مايو ١٩٦٨ .

الوقائع الموضوعية ، لان هذا الرفض يتعارض مع متطلبات المنهج العلمى .

لكن المنهج السليم لا يعرض الوقائع كما حدثت وانما يتطلب النظر فى العلاقة الجدلية التى تربط الحاضر بوقائع الماضى ، وتوضح وقائع الماضى القريب . ان حركةالطلاب (وان بدا قيامها مفاجئا للاحزاب السياسية الفرنسية ، ونظام الجنرال ديجول نفسه) ، الا ان الاسباب المباشرة التى ادت الى هبة الطلاب (وهى تتلخص فى العيوب الخطيرة الكامنة فى نظام التعليم برمته) ، كانت قد اخذت تطرح بالفعل وتناقش فى المجتمع الفرنسى منذ سنوات . ففى عام ١٩٦٤ ، كان النظام التعليمى فى فرنسا موضع ادانة من عالمين مرموقين من علماء فرنسا هما ((**بول لانجفان**)) ، و ((**هنرى فالون**)) ، (وهما ينتسبان الى الحزب الشيوعى) ، فقد جاء فى بيان لهما : ((ان البورجوازية التى تستند الى حق الميراث فى السيطرة على المراكز الرئيسية فى الادارة ، لا تستطيع ان تتصدى بعد اليوم للمشكلة . ان احتياجات الاقتصاد الحديث تستلزم اعادة بناء النظام التعليمى ، هذا النظام الذى لم يعد بعد — فى شكلهالحالى متطابقا مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية)) (٣) .

وفى عام ١٩٦٤ ايضا ، دعت لجنة التعليم التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى الى اجتماع حضره مائتان من مدرسى الجامعة والمهندسين والمشتغلين بعلوم الطبيعة وبقضايا التربية والتعليم . وكان قد عهد الى المجتمعين بوضع مسودة مشروع يستهدفنوعا من الاصلاح الديمقراطى فى نظم التعليم . وقد اشار البيان الذى صدر عن الاجتماع الى ان القسمتين الرئيسيتين لنظام التعليم فى فرنسا هما :

- عدم تكافؤ الفرص ، وهذا راجع الى الاوضاع والامتيازات الطبقية .
- تخلف نظم التعليم .

واشار البيان الى ان الفوارق فى التعليم تبدو بوجه خاص صارخة فى مجال التعليم العالى ، كما ان التكوين الاجتماعى لهيئة الطلاب لا يعبر بحال من الاحوال من التكوين الاجتماعى للامة الفرنسية (٤) .

واخيرا لابد فى هذا المجال من الاشارة الى هذه الواقعة ، وهى ان الشعارات الاساسية التى رفعها الحركة الطلابية فى فرنسا ضد نظم التعليم التى تقوم على التمييز الطبقى ، وضد نظم الامتحانات ، وضد البرامج المتخلفة ، انما تتفق فى جوهرها مع الشعارات والبرامج التى صاغها الحزب الشيوعى الفرنسى ، وهو البرنامج الذى طرح على الطلاب قبل انتفاضة مايو بزمن طويل .

عند هذه النقطة يطرح هذا السؤال : اهذا دفاع عما يسمى ((باليسار التقليدى)) فى فرنسا ولماذا ؟

الواقع ان هذا ليس هو الهدف المباشر ، لان الذى يتولى الدفاع عن هذه الهيئة او تلك هى اعمالها وسياستها ومواقفها العملية . ولكننا نسوق كل هذه الوقائع لنصل الى هذه النتيجة : وهى ان احكامنا الاخيرة على هذا الموقف او ذاك من مواقف الاحزاب والافراد ، انما نستمده من مبادئنا ، ومن خطنا العام فى الدفاع عن الاشتراكية ، والسياسة المعلنة فى بلادنا تقف ضد التمييز الطبقى فى التعليم ، ومع ضمان مستقبل الخريجين فى العمل ، ومع كل ما من شأنه ان يجعل نظم التعليم متجاوبة مع متطلبات الثورة العلمية والتكنولوجية . من هنا نعطف بكيفية تلقائية على كل حركة او هيئة ترفع هذه الشعارات الديمقراطية ، ولا يمكن ان نتخذ منها موقف التجريح . فلا يبقى — بعد ذلك — الا ان نحاسبها بمنطق جماعات اليسار المتطرف ،وعلى اساس الشعارات التى رفعتها هذه الجماعات فى احداث مايو-يونيو.ولكن نقطة الخلاف الحقيقية بين اليسار المتطرف ، وبين الحزب الشيوعى الفرنسى هىانجماعات اليسارالمتطرفرات ان هبة الطلاب قد جعلت ((الاشتراكية فى متناول اليد)) ، اى ان هذه الهبة كانت فرصة لتغيير النظام الاجتماعى فى فرنسا . فى حين ان الحزب الشيوعى الفرنسى رفض هذه النظرة ، موضحا ان هذه الهبة لا تشكل عملية ثورية قادرة على اقتلاع النظام الراسمالى . واعتقد اننا — هنا فى بلادنا — لا نملك من الحقائق والوقائع — فضلا عن الصلاحيات — ما يمكننا من ان نحسم قضايا الثورة والتغيير الاجتماعى فى بلاد بعيدة ، وبالتالى لا نملك ان ندين هذا الحزب او ذاك لانه لم يتحرك للاستيلاء على السلطة . ذلك ان هذه الادانة هى من حق الشعب الذى ينتمى اليه هذا الحزب .

تبقى بعد ذلك قصة الاخطاء الصغيرة اوالكبيرة

---

(٣) ، (٤) مجلة مشكلات السلم والاشتراكية — راجع مقال بييرها نتيس ((فرنسا : هبة الطلاب تتحول الى معركة قومية واسعة)) ص ٣٧ .

التى وقعت من هــذا الحــزب او ذلك فى مواجهة لموقفمعين ، وهنا نستطيع ان نطمئن الى ان هذه الاخطاء تكشفها ايضا الشعوب ، كما تكشفها وتنقدها الاحزاب المعنية ذاتها . وهكذا نقرأ — على سبيل المثال — تحليلا لزعيم الحزب الشيوعى الايطالى « بويجى لونجو » لحركات الطلبة فى ايطاليا . وفى هذا التحليل ينقد المواقف الخاطئة التى اخذها الحزب الايطالى من هــذه الحركة . وفى مقدمة هذه الاخطاء الرئيسية ، ان سياسة الحزب من الجامعات كانت ابعد من ان تواجه الواقع الســياسى والتنظيمى الذى كان يختمر وينمو فى صفوف الطلاب ، خاصة فى صفوف الجماعات السياسية التى تكونت لقيادة الحركة الطلابية . وقد ترتب على هــذا الخطأ ان عجز اعضاء الحزب فى الجامعات عن التصدى للقضايا والافكار الجديدة التى طرحتها حركة الطلاب ، كما عجــزوا عن ادارة حوار بناء حول عدد من القضايا المثارة ».

ونخلص مما تقدم الى ان المنهج الذاتى والافكار المسبقة مضافا اليها الاعتماد الكلى على الصحافة الغربية فى عرض حركة الطلبــة قد فرض على خيرى عزيز ان يقدم الحركة فى تعارض حاد مع الوقائع الموضوعية ».

عود الى الدراسة الرئيسية

فاذا عدنا الى الدراسة الرئيسية ، التى اعدها الزميل سعد زهران ، وجدنا انها تقع فى نفس المنهــج الذاتى وتحلل الوقائع من وجهــة نظر مسبقة . غير ان المأخذ الرئيسى على الدراســة يتضح عندما يطبق الباحث هــذا المنهج ليحاول رسم الخط العام « لحركة عالميــة للشــباب والطلبة » .

لقد ســعى الباحث الى استقراء الســمات الرئيسية لحركة الشباب والطلبة واستطاع ان يحصر السمات التالية :

١ — العالمية ٢ — التقارب والتوافق الزمنى ٣ — العنف — ٤ — عنصر المفاجأة — ٥ — قيادات طلابية خالصة ٦ — الطابع الثــورى والديمقراطى الاصيل .

وسنحاول ان نناقش بعض هذه الســمات : فاذا اخذنا السمة الاولى وهى العالميــة فاننا لكى نفهمها على وجه صحيح لابد وان نحصرها فى حدود التقارب فى السن فحسب ، وعندئذ يمكننا ان نقول انه لما كان نصف سكان العالــم تقل اعمارهم عن ٣٠ سنة — وهذا واقــع — فان علينا ان نبحث — على نطاق العالم — عن الحركة العامة والمشتركة التى تربط بين الشباب فى جميع البلاد ، بغض النظر عن اختلاف الواقع القومى ، والجنسى ، والطبقة ، والعمل او المهنة ، والموقف السياسى والحزبى .

الا اننا لانستطيع — للاسف — ان نبحث عن حركة طلابية من هذا القبيل لها طابع العالمية . لان حركات الشباب والطلاب حتى فى حدود الامثلة والوقائع التى قدمها البحث انما تتفاوت من بلد الى بلد فى الكم والكيف ؟ وفى المنشــأ والهــدف وتختلف فى ذلك اختلافات حادة . فلا يمكن بحال ان القول بأن هناك قسمات مشتركة تربط بين حركات الشباب والطلاب فى اوربا الغربية وامريكا وبين تلك الحركات التى تحــدث فى بلدان شرق اوربا الاشتراكية او تلك التى تحدث فى الصــين الشعبية او فى بلدان العالم الثالث .

وكل ما يمكن ان يصل اليه التعميم الصحيح انما يخص مجموعة محددة من البلدان . وهكذا نستطيع — فعلا — ان نقول بشىء من الاطمئنان ان هناك سمات عامة مشتركة بين حــركات الطلبة فى بلدان غرب اوربا الصناعية وفى الولايات المتحدة الامريكيــة ، وذلك من حيث الاســاس الاجتماعى لنشوء حركات الشباب والطلبة ، ومن حيث المؤثرات العامة والمشــتركة التى تتعرض لها هذه الحركات : الامر الذى يحكم بعض ردود الافعال ، والمظاهر التى تطفو على السطح هنا وهناك ويجعلها متشابهة بشكل أو بآخر .

ولكن عندما تصدر مثل هذا الحكم فنحن نفعل ذلك تأسيســا على تحليل علمى للمجتمعــات الراسمالية فى البلدان المتقدمة صناعيا خصوصا فى تلك البلدان التى يسيطر على مقدراتها رأس المال الاحتكارى ، وتوصف الــدولة فيها بانها رأسمالية الدولة الاحتكارية . هنا نجد ان هذه البلدان تتعرض لعوامل متشابهة فى مقدمتها انها جميعا تجتاز المرحلة الثالثة من ازمتها العامة ، وهذه الازمة — كما نعلم — تعبر عن نفسها فى شكل انهيارات مستمرة فى نظام المستعمرات ، وانفصال بلدان جــديدة عن النظام الراسمــالى العالمى ، واشتداد التناقضات الاقتصــادية بين الدول الامبريالية . كما تعبر هذه الازمــة عن نفسها فى **بعث العسكرية واستشراء ظاهرة عدم الاستقرار الداخلى** من جراء عجز راس المــال الاحتكارى عن اســتخدام كل الطاقات المنتجة واتجاهه الى تخصيص مبالغ خيالية للانفاق على الجيوش او الحروب المحلية فهنا نرى انه بالرغم من فترات الازدهار والرخاء التى عرفتها هــذه البلدان (المانيا الغربية مثلا) الا ان ســياسة

الطبقة الحاكمة تؤدى بالضرورة الى حدوث ازمات حتمية ، والحلول المؤقتة للبطالة سرعان ما تتعثر وتعود البطالة المزمنة لتطور العمال . وكل هذا من شأنه ان تزيد من حدة التناقضات الاجتماعية بين العمل وبين رأس المال ».

امام مثل هذه التنظيمات ، وفى المواجهة الحتمية بين رأس المال الاحتكارى وبين الطبقة العاملة يحدث فى البلدان المتقدمة صناعيا مايلى :

١ — تشتد الاتجاهات الرجعية بصورة لم يسبق له مثيل ، ويكشف رأس المال الاحتكارى بكيفية متزايدة عن جوهره الرجعى المعادى للديموقراطية ويرفض ان يسلم بشعارات الحرية والديموقراطية التى طالما رفعتها البرجوازية من قبل . وفى هذا الجو تشجع الطبقة الحاكمة قيام انظمة عسكرية واستبدادية ، وتميل الى مواجهة الحركات الديموقراطية بالعنف ».

٢ — لما كان رأس المال الاحتكارى فى هذه البلدان قد مد اذرعه الى كل مجالات الحياة الاقتصادية فان سياسته لا تطغى على مصالح العمال فحسب ، بل تهدم ايضا مصالح صغار الفلاحين والمزارعين والحرفيين ».

لكن هذا ليس كل شىء ، فان هجوم راس المال الاحتكارى يمتد كذلك الى جبهة المثقفين من العلماء والمهندسين والتكنيكيين ويصيب الطلاب والشباب عامة ايضا بالضرورة . وكما وضحت الدراسة فان هذا الهجوم على مصالح هذه الفئات الاجتماعية من المثقفين هو نتيجة لموقف رأس المال الاحتكارى من الثورة العلمية والتكنولوجية . ان ثمرات هذه الثورة لا تذهب الى الشعب العامل فى البلدان الراسمالية المتقدمة ، بل تخصص فى النهاية لزيادة ارباح الراسماليين . ولما كان قطاع المثقفين فى هذه البلدان قد اتسع ولا يزال يتسع اتساعا هائلا بفضل انتشار التعليم ، ولما كان هذا القطاع قد تغيرت بنيته واصبح يتكون فى الاساس من ابناء الطبقات المتوسطة والصغيرة ، فان راس المال الاحتكارى يعجز عن شراء هذا القطاع العريض والمتزايد الاتساع من المثقفين ، ويعجز عن ان يوفر الامتيازات التى كانت تمنح فى الماضى لاقلية من المثقفين بهدف عزلهم عن الشعب الكادح . وهنا نأتى الى هذه النتيجة الحتمية لسياسة راس المال الاحتكارى : وهى ان فئات غير بروليتارية تتحول الى البروليتاريا وتقترب منها فى المجتمع . وهذا الوضع تبرهن عليه وتعبر عنه انتفاضات المثقفين والطلاب . ففى فرنسا يناضل مدرسو الجامعة والطلاب من اجل اصلاح ديموقراطى للتعليم يضمن للخريجين مستقبلهم فى مجتمع يواجه الثورة العلمية والتكنيكية . ويطالبون بالغاء الامتيازات الطبقية فى القبول ، ويطالبون بتأمين عمل لهم بعد تخرجهم ».

ولما كانت كتلة الطلاب — كما اشرنا — لم تعد اقلية متميزة وانما تنتمى فى غالبيتها الى الطبقات المتوسطة والصغيرة — والقليل منهم يعتمد على ثروات موروثة — فان الصعوبات الاقتصادية ترغم الطالب على ان يدخل حلبة النضال وان يتقدم بمطالب اقتصادية . وسرعان مايعى بهذه الحقيقة وهو انه لايمكن أن يفصل الكفاح ضد نظام التعليم عن الكفاح ضد النظام الراسمالى ».

وبعد التخرج ، يدخل المثقف فى تلك البلدان شأنه شأن العامل — سوق العمل ليتعاقد على بيع قوة عمله للراسماليين الذين يسيطرون فى النهاية على السوق . ولن يكون له خيار سوى ان يعمل كأى عامل أجير . هنا يصبح الطلاب والتكنيكيون المتخصصون واعين أكثر فأكثر بحقيقة وضعهم فى المجتمع . ومن هنا ، بدا المثقفون فى الانخراط فى الحركة الثورية العامة . واذا كانوا فى الماضى قد جاءوا الى الحركة الثورية فرادى فقد اصبحوا يأتون **اليها** اليوم بوزن جماهيرى ». وهذا هو الجديد فى الوضع الثورى داخل البلدان الراسمالية المتقدمة ». أن الجديد — بالدقة — هو **ان المثقفين** هناك قد اصبحوا يشكلون قوة ثورية جديدة لها ثقلها تتحدد اتجاهاتها وتتبلور مواقفها فى مجرى الصراع (٥). وبزوغ هذه القوة الجديدة جدير بأن يجذب انتباه القوى الثورية الاخرى فى المجتمع ، ويحتم عليها ان تفعل كل مافى وسعها لكسب هذه القوى الوليدة ، وذلك رغم مايصاحب نمو حركة المثقفين واتساعها من اخطار وانحرافات تلازم بالضرورة كل حركة فى مرحلة طفولتها ».

واذا كنا قد اكدنا على الظروف والعوامل المشتركة فى بعض بلدان الغرب الراسمالية المتقدمة ، واكدنا فى الوقت نفسه على اهمية التغييرات التى حدثت فى بعض البنيات الاجتماعية والتى نقلت المثقفين — بشكل عام — من احتياطى للبرجوازية فى تلك البلاد الى قوة من قوى الثورة

---

(٥) انظر مقال س. كاريللو « الطبقة العاملة .والشباب .والمثقفون » مجلة نيوتايمز عدد ٣٥ — ٤ سبتمبر ١٩٦٨ *

الاجتماعية — لقد تعلمنا ذلك لنستخلص هذه الحقيقة :

وهى اننا فى تلك البلدان امام ظواهر مشتركة خاصة بها تتعلق بحركة المثقفين كقطاع اجتماعى. والى هذا القطاع ينتمى الطلبة . لكن هذا القطاع يضم ايضا فيما يضم الشباب والطلاب وغير الشباب والطلاب . وعلى هذا فالكلام عن حركة عالمية للطلاب لها اهداف سياسية واجتماعية عالمية جديدة وتبشر بمجتمع جديد — هذا الامر لا وجود له على الاطلاق . فنحن لا نتصور ان هناك حركة اجتماعية وسياسية واحدة تجمع الطلاب فى البلدان الاشتراكية والطلاب فى البلدان الراسمالية المتقدمة والطلاب فى بلدان العالم الثالث . ولا نتصور — ولا يوجد فى الواقع — حركة واحدة للشباب تبشر بمجتمع جديد على نطاق العالم . فالشباب فى البلدان الاشتراكية له مجموعة من الحقوق السياسية والاجتماعيــة ومهــام ومشكلات تختلف اختلافات جذرية عن الحقوق السياسية والاجتماعية ومن مهام ومشكــلات الشباب فى البلدان الراسمالية. والقول بغير هذا يطرح مرة اخرى مشكلة المنهج الذى ندرس به مشكلات الشباب والطلاب . فاذا اخذنا بمنهج علماء الغرب البرجوازى ، فحينئذ سنقســم كل مجتمع على حدة والانسانية كلها الى قسمين اساسيين ، يدور بينهما الصراع وهم الجيــل القديم والاجيال الشابة ، وســوف نختزل بكل تعسف الفروق بين شباب العمال والفلاحين فى المجتمعات الطبقية وبين الشباب الــذى ينتمى الى البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . وستكون — وهذا ما يفعله المشتغلون بالمسائل الاجتماعية فى الغرب — اما شخصية نمطية (نمــوذج او عينة) لشاب او لطالب لا يوجد الا فى الكتب ، لا فى مجتمع معين ولا فى طبقة معينة . وهنــا تتركز كل الجهود على حل المشكلات المتعلقــة اساسا بالناحية السيكولوجية فى حياة الشباب والطلاب .

ولكن اذا اخذنا بمنهج التحليل الطبقى للمجتمع ودراسة علاقات الطبقات الاجتماعية فى حركتها وفى الاسس الاقتصادية والاجتماعية التى تقيمها والابنية الفكرية والسيكولوجية والقيم الاخلاقية التى تتولد فيها ، عندئذ لا نستطيع ان نتحــدث عن حركة للشباب والطلاب دون ان نضعها فى داخل نظام اجتماعى واقتصادى معين ، يحدد سماتها وخط سيرها واهدافها — اساسا بالنسبة لهذا المجتمع المعين ، لا بالنسبة للعالم ولجميع المجتمعات ككل . والقول بغير هــذا معنــاه اننا نبتلع الطعم الذى القت به الصحافة الغربية عندما اعتبرت ان حركة الطلاب الفرنســيين فى مايو — يونيه تبشر بقيــادة جديدة على النطاق العالمى ، بسلطة او امية طلابية تشق طريقهــا (او المفروض ان تفعل ذلك) بين نظام راسمالى لابد من تغييره ، وبين نظام اشتراكى قضت عليه « البيروقراطية » . الا اننا ندرك تماما اساليب واهداف الهجوم الفكرى الذى تشنه البرجوازية الحاكمة فى البلاد الراسمالية المتقدمة عن طريق اجهزة اعلامها ، ونعرف ان هذه الاجهزة اذا ما تظاهرت بتوجيه ضربة الى مســاوىء نظام ميئوس منه وهو النظام الراسمالى ، فما ذلك الا لتوجه ضربات اشد الى النظام الاشتراكى ، والايديولوجية الاشتراكية . ونحن نعتقد مخلصين ان الزميل الباحث ابعد من ان يسلم بالفكرة التى روجت لهــا صــحافة الغرب فكرة « الاميــة الطلابية » او السلطة العالمية الجديدة : سلطة الشباب والطلبة . ومن هنا يجب ان نكون حذرين عند الكلام عن « عالمية » حركة الشباب .

هنا يطرح بالضرورة سؤال هام : ولكن يعنى هذا الكلام ان الاجيال الشابة . ليس بينها شىء مشترك ، بغض النظر عن تعدد البلدان واختلاف النظم السياسية والاجتماعية ؟ والجواب بالايجاب خصوصا اذا نظرنا الى الحركة الثورية العامة فى العالم كله تجذب الاجيال الشــــابة بكيفيــة وتؤثر فى حركتها ، وتوسع مجالات العمل المشترك بينها . هنا يمكن الحديث عن سمات **نوعية** تجمع من الاجيال الشــابة . وهى وان اختلفت قــوة وضعفا من بلد الى آخر ، ومن نظام اجتماعى الى نظام اجتماعى آخر الا انها تمثل القدر المشترك بين الشباب . وهكذا يمكن القول :

اولا : انه فى فترة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، بكل ما يصاحب هــذه الفترة من انتصارات رائعة ونضالات مريرة وعاصــفة ، يصبح وعى الشباب واحساسه بالتغييرات التى تحدث فى عالم اليوم اكثر عمقا وحــدة من وعى واحساس الاجيال التى سبقته .

ثانيا : نمو الاجيــال الشابة فى هــذه الفترة من تاريخ الانسانية هو الذى يجعل شباب اليوم اكثر نضجا واكثر احساسا بالمســئولية . من هنا اهتمام الشباب المتزايد بحل القضايا الكبرى التى تشغل الجنس البشرى : قضايا الحــرب والسلام ، قضــايا الفقــر والتخلف والتفــرقة العنصرية ، المشاكل التى يطرحها التقدم العلمى والتكنولوجى ... الخ .

ثالثا : ان طموح الاجيال الشــابة التى تنمو فى ظل الثورة العلمية والتكنولوجية ، هــو من القوة بحيث لا يقارن بطموح الاجيال السابقة ، ذلك ان الثورة العلمية والتكنولوجية قد وضعت على جدول الاعمال قضية الســيطرة على الطبيعــة

وتسخيرها لاهداف تدخل فى باب المعجـــزات (السفر الى الكواكب .. الخ) .

(نخلص من هذا انه عندما ندرس المشكلات النوعية للشباب والطلبة من زاوية التطـورات التى تحدث فى الثورة العالمية ففى هذه الحـالة نستطيع ان نضع ايدينا على ما هو مشترك بين الشباب والطـــلاب فى العالم دون ان يعنى هذا ان حركاتهم ــ بالغة ما بلغت قوتها ــ مـؤهلة لان تكون قيادة اجتماعية بديلة او موازية لقيادة الطبقة العاملة والطبقات الثورية الاخـــرى . فسوف يظل الشباب والطلاب فى كل بلد جزءا من مجتمع ذلك البلد ، ومقيدين بحـركة واهـداف الطبقات الاجتماعية التى ينتمون اليها . وعلينا ان نحذر الوقوع هنا فى خطأين :

احدهمـا : الاقلال من اهمية تدفق المثقفين (ومنهم الشباب والطلاب) الى الحركة الثورية .

ثانيهما : تضخيم دورهم ــ واكثر من هـذا المبالغة الكبيرة فى تضخيم دور الشباب والطلاب فى الحركة الثورية . وهذا ما اخشى ان يكون قد وقعت فيه الدراسة . فقد ضرب الزميل الكاتب مثلا لما فعله الطلاب فى المانيا الغربية عندما قادوا حركة ثورية مناوئة للحكومـة فى اكثر من ١٠٠ مدينة المانية . ذلك ان المقطوع به ان الحـركة الديموقراطية المعارضة للفاشية فى المانيا تشمل قطاعات مختلفة من المجتمع الالمانى . واذا ضربنا مثلا على ذلك المظاهرة التى نظمها «اعداء قوانين الطوارىء » فى بون يوم ١١ مايو الماضى فسوف نرى ان هذه المظاهرة كانت « **المسيرة الاولى من نوعها اذ جمعت بين النقابيين والطلبة والجيل القديم** (٦)،وذلك على حد تعبير مجلة «المجلة»(٧). وتقول المجلة انه قد اشترك فى المظاهرة رجال كانوا يلبسون الثياب الكتانية المقلمة التى تدل على انهم كانوا سجناء فى معسكرات هتلر الرهيبة. وبعد ان تشرح المجلة اهمية هذه المظاهرة على اعتبار انها اقامت لاول مرة جسرا بين نضـــالات العمال الالمان والطلاب . تقول :

« ان النقابيين السائرين فى المظاهرة يدحضون تلك الخرافة القائلة ان اعداء الطوارىء يتشكلون من الطلبة فقط » .

عن التقارب والتوافق الزمنى

السمة الثانية لحركة الشباب والطلاب هى ــ كما ذكر سعد زهران ــ **التقـارب والتوافق الزمنى** . وهنـا يشير الى انه من المفـارقات التاريخية ان تأتى ارهاصات حركة الشباب والطلاب الحالية من اقصى الغرب عام ١٩٦٤ (جامعـة باركلى بكاليفورنيا) فى امريكا ، ومن اقصى الشرق عام ١٩٦٥ وهو عام انطلاق الثورة الثقافية فى الصين . وهو يرى انه « اذا لم يكن يخطر ببال احد ــ منذ ثلاث سنوات ــ ان يربط بين الانفجار الذى حدث فى جامعة باركلى الامريكية وبين احداث الثورة الثقافية الصينية ، التى بدأت بعد احداث باركلى ببضعة اشهر . ولكن اليوم وبعد ان اصبح من المألوف ان يربط المراقبون والبـاحثون بين حركات جامعة نانتير فى باريس وبين اسـاليب الحرس الاحمر فى الثورة الثقافية ... لنا الحق ان نستخلص هذه النتيجة الهامة وهى ان ارهاصات الحركة الطلابية الحالية التى تنتشر فى كل العالم شرقا وغربا تمتد جذورها الى كاليفورنيـا عام ١٩٦٤ والى بكين عام ١٩٦٥ » .

وكان الكاتب قـد استشهد فى سـياق كلامه بما كتبه « الجنرال بوفر » فى جريدة الفيجارو من ان « المثير فى الامر هو التماثل بين الوسائل التى اســتخدمت فى الحى اللاتينى وبين تلك التى استخدمتها الثورة الثقافية فى الصين » .

والحقيقة اننا نكون متعسفين تماما اذا ما جمعنا بعض التواريخ المتقاربة التى وقعت فيها احداث معينة ، ثم حاولنا ان نستخلص من التوافق الزمنى بين التواريخ روابط بين هذه الاحداث . والكاتب نفسه قد طرح هذه الفكرة ولكنه لم يقدم دليلا واحدا عليها . لانه : ما هى العلاقة التى تربط بين حركات الطلاب فى كاليفورنيا عام ١٩٦٤ وبين انطلاق الثورة الثقافية فى الصين عام ١٩٦٥ ؟ لا توجد فى الواقع اية رابطة اللهم الا ان تكون رابطة السن ، ففى كاليفورنيا تحرك الطلاب وفى الصين تحرك الطلاب والشباب . فعامل السن وحده ــ اذن ــ هو العامل المشترك بغض النظر عن اختلاف البواعث والعوامل الاجتماعيـــة والسياسية والاقتصادية التى حركت الطــلاب فى امريكا ، وحركت اقرانهم فى الصين الشعبية .

واستشهاد الكاتب بما يقوله الجنرال بوفر عن التماثل بين الوســائل التى استخدمت فى الحى اللاتينى ، وبين تلك التى استخدمتهــا الثــورة الثقافية فى الصين لا يعزز حجته ولا يمكن ان يسند رأيه الذى يرجع فيه جذور الحركة الطلابيـــة

---

(٦) ، (٧) مجلة « المجلة » ــ صحيفة من المانيا الديمقراطية ــ عدد اغسطس ص ٥ ، ٦ ، ٧

العالمية الى كاليفورنيا عام ١٩٦٤ ، والى الصين عام ١٩٦٥ ، فالواقع ان وجه التماثل الوحيد بين ما حدث فى الحى اللاتينى وفى الثورة الثقافية الصينية هو ان مجموعة صغيرة من المؤمنة بآراء ماو قد رفعت صور الزعيم الصينى ، كما رفعت هذه الصور — من قبل — فى مواكب الثورة الثقافية . لكن علينا ان نذكر ان هذه المجموعة الصينية التى اشتركت فى تحركات الطلاب الفرنسيين هى واحدة من حوالى ٣٦ حلقة صغيرة يسارية صينية،وانها وفقا لما ذكره **جاك سوفاجو** وكيل الاتحاد الوطنى للطلاب الفرنسيين سرعان ما تركت مسرح الاحداث تحت شعار « ان عمل الطبقة العاملة وحده هو الذى يمكن ان يكون له معنى » (٨) .

وفيما عدا ذلك فلا يوجد ادنى تماثل بين ماحدث فى جامعات فرنسا وما حدث فى الصين . فى فرنسا بدأت حركة جماهير الطلاب بمطالب اقتصادية خاصة باصلاح نظم التعليم وتحولت هذه المطالب بفعل عوامل القمع الى حركة سياسية هى احتجاج على النظام الرأسمالى . وفى الصين سمى ماحدث بالثورة الثقافية البروليتارية وكانت فى الواقع تعبيرا عن صراع رهيب داخل الحزب الشيوعى الصينى لم يتح للحزب بقياداته واجهزته القائمة ان يحسمه بسبب ان فريقا من القيادة نحى الحزب جانبا واتجه الى الاعتماد المباشر على تنظيم جديد هو الحرس الاحمر الذى يتكون من الشباب والطلاب .

اما ما يقوله الجنرال بوفر عن اوجه التماثل فانما يدخل فى باب التحريض الذى تمارسه قوى اليمين والرجعية لارهاب الشعب الفرنسى ، ولفتح الطريق — من بعد — للبطش بالحركة الطلابية وبالحركة الديموقراطية عامة . ولا يخفى علينا ان الجنرال بوفر من غلاة اليمين المتطرف .

ولكن اذا اردنا مع ذلك ان نتحدث عن وجود تقارب وتوافق زمنى بين بعض الحركات الطلابية . فلابد من ان نبحث عن اسباب مقنعة تجعل من هذا التقارب والتوافق سمة عامة لهذه الحركات . والمثل الواضح هنا نجده متحققا فى بعض التحركات الرجعية للمثقفين والطلاب فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا . ذلك ان « المحرك الاصلى » واحد فى البلدين وهو قوى الثورة المضادة التى تعمل لحساب الاستعمار والصهيونية ، ووفقا لتوقيت محدد . يخدم اهداف العدوان الصهيونى الاستعمارى .

على ان ما يشغلنا فى الواقع هو اصرار الباحث على ان يرد اصول الحركة الطلابية الى جذورها فيكشف هذه الجذور فى كاليفورنيا عام ٦٤ ، وفى الصين عام ٦٥ . وهنا نرى ان هذه التقدير هو تقدير ذاتى محض لا تسنده اسباب موضوعية

والا فيحق لنا ان نتساءل لماذا لا نعود به الى تاريخ ابعد ، الى الحركة الجماهيرية التى نظمها الشعب الفرنسى « ضد الحرب فى الهند الصينية » . والى التحركات التى نظمها المثقفون والشباب والطلاب فى فرنسا لوقف الحرب فى الجزائر . ولماذا نسقط مثل حركة السلام التى نظمها وقادها برتراند رسل وهى تعتمد اعتمادا اساسيا على الشباب، وقد خاضت معارك مجيدة حقا ؟ بالطبع لا اريد ان اقول اننا نعيش فى عالم تحكمه الصدفة العمياء ولكنى اعود الى قضية المنهج وزاوية الرؤية . والحقيقة انه اذا لم ننطلق فى تحليلاتنا من المعطيات الاساسية لحركة الثورة العالمية فان احكامنا ستظل ذاتية لا تساعد على اتخاذ موقف موحد من الظاهرة موضوع الدراسة .

عن القيادات الطلابية الخاصة

فى هذا الجزء من البحث نتفق مع الكاتب تماما على ان حركات الطلبة التى حدثت فى الغرب هى بشكل عام تلقائية ، وان لها اسبابها الموضوعية الكامنة فى النظام الاجتماعى . لكن ميل الكاتب الى التعميم السريع يضعف من حجته . فاذا صح هذا بالنسبة لبعض حركات الطلبة فى هذا البلد او ذلك فلا يصدق على غالبية البلدان . وعلى سبيل المثال :

- تحركات الطلبة فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا كانت جزءا من تحركات قطاع معين من المثقفين ، ولم تكن تلقائية ولم تكن قيادتها طلابية خالصة .

- تحركات الطلبة فى الصين (الثورة الثقافية البروليتارية) لم تكن تلقائية ، وكانت — على الاقل — تحت قيادة جناح من الحزب الشيوعى الصينى .

ولكن حتى اذا رجعنا الى تحركات الطلاب فى فرنسا فانه مع التسليم بان للحركة اسبابها الموضوعية وان الطلاب فى غالبيتهم العظمى لا يمكن اتهامهم بانهم عملاء لقوى اجنبية او وصفهم بانهم اعضاء فى احزاب سياسية محلية ، نقول مع التسليم بهذا كله ، فان القيادات الطلابية التى

---

(٨) انظر حديث ج. سوفاجو مع مجلة « تريبيون سوسيا ليست » — ١٦ مايو ١٩٦٨ ص ٢.

تصدت لقيادة الحركة — بحق او بغير حق — هذه القيادات كان ينتمي بعضها الى احزاب سياسية قائمة . والمثل الذى يحضرنا هو جاك سوفاجو ، وكيل اتحاد الطلاب الفرنسيين ، فهو نفسه عضو فى الحزب الاشتراكى الموحد (P.S.U) وهو من الاحزاب التى قامت بدور بارز فى دفع الطلاب الى اعمال استفزازية شديدة . وعلى الرغم من كل مزاعم سوفاجو بانه يريد ان يحفظ لحركة الطلاب استقلالها عن الاحزاب والجامعات . فقد تعاون — باعترافه — فى احداث مايو ويونيو مع الجماعات التالية :

- اتحاد الطلاب الثوريين .
- اتحاد الشباب الشيوعى الماركسى اللينينى .
- الجماعة المؤيدة للخط الصينى .
- الشباب الشيوعى الثورى .
- حركة ٢٢ مارس .

واذا صح ان بعض هذه الجماعات المتطرفة تنظيمات طلابية خالصة فان بعضها الاخر يضم غير الطلبة فى صفوفه . ومن هنا فان اهتمام الكاتب «بالبحث عن القيادات «الطلابية الخالصة» المدعوة لان تظهر على نطاق الطلبة فى كل بلاد العالم . نقول ان هذا الاهتمام يصل بنا مرة اخرى الى تلك الدعوة « الطوباوية » التى افرزتها تحركات الطلاب فى اوربا الغربية ، وهى الدعوة التى تبشر بقيام « الاممية الطلابية » .

ختام هذا المقال

ان ختام هذا المقال لا يشكل دعوة الى مواصلة الحوار حول قصة الشباب فى العالم فحسب ، بل هو دعوة الى الاتفاق على نقاط رئيسية فى منهج الدراسة .

النقطة الاولى : ان اشكال ومناهج على مشكلات الشباب تختلف من بلد الى بلد تبعا للاختلافات بين النظم الاجتماعية وفى الوضع العام لهذا البلد او ذاك ، ووفقا او مع مراعاة التقاليد السائدة .

النقطة الثانية : ان كل جيل جديد يأتى الى الاشتراكية سالكا دروبه الخاصة به . وعلينا ان ندرس فى ظل القسمات الرئيسية للوضع الثورى فى العالم الخصائص النوعية للجيل الصاعد . وهذه الدراسة لن تكون سهلة ولن تكون عمل فرد او افراد ، ولكنها ستحتاج الى جانب العلم السياسى الى جهود العلماء المتخصصين فى الفلسفة والاجتماع وعلم النفس الاجتماعى وعلم النفس الفردى .

النقطة الثالثة : هى ان نحدد موقفا من مناهج البحث فى مشكلات الشباب . هل نأخذ بمناهج البحث السائدة فى المجتمع الراسمالى ، ام اننا نبدأ من المبادىء الاساسية للاشتراكية العلمية .

النقطة الرابعة : الثورة العلمية والتكنولوجية تثير العديد من القضايا والمشكلات التى تمس حياة الشباب فى اعماقها ، ولابد من ان تكون هذه النقطة من النقاط الاساسية عند دراسة المشكلة .

النقطة الخامسة : اذا سلمنا بان القضية الجوهرية هى ان الشباب جزء من المجتمع فان هذا ليس معناه طمس الفروق بين الاجيال المختلفة فى المجتمع الواحد . وعلى العكس نجد للشباب ملامح نوعية خاصة به وسيكولوجية تميز سنه . وان هذه السيكولوجية وتلك الملامح جديرة بالدراسة الجادة .

النقطة السادسة : فى الدراسة التطبيقية وعندما نواجه حركات الشباب والطلاب المحتدمة الان فى بلدان الغرب الراسمالية سنواجه ظاهرة وجود انحرافات عديدة (فوضوية .. الخ) . لكن هذه الظواهر السلبية يجب الا تنسينا بحال من الاحوال ان حركات المثقفين والشباب والطلاب فى بلدان الغرب الراسمالى تعد من القوى الثورية الجديدة وانها مكسب تاريخى للاشتراكية (٩) ، وان ما هو ايجابى فيها اكثر مما هو سلبى ، وان سلبياتها عرض من اعراض كل حركة فى دور الطفولة . فى الوقت نفسه ينبغى ان نحلل هذه السلبيات ونكشفها آخذين بعين الاعتبار — ونحن نفعل ذلك — بين مطالب حركة الشباب والطلاب واتجاهاتها الحقيقية ، وبين اتجاهات وسياسات الجماعات والحلقات التى تطفو على سطحها والتى تعبر فى الغالب عن امراضها — وتعبر بالتالى — عن لحظة مؤقتة وعابرة فى حياتها .

---

(٩) وهذا يحملنى على القول بانه مع اتفاقى مع الافكار الرئيسية فى مقال داوود عزيز ، فان النقد الذى يوجه الى المقال : هو عدم احتفاله بالمضمون الايجابى لحركات الشباب والطلبة

الحركة العالمية للشباب

من أين تنبع .. وإلى أين تتجه ؟

درويش الحلوجي

لقد اثار اندلاع حركات الشباب الاخيرة الكثير من التعليقات والتحليلات في العالم وخاصة في الدول الاوربية حيث مازالت المجلات المختلفة تخصص اعدادا كاملة عن هذا الموضوع ، ومازالت تعليقات وتحليلات الصحف اليومية مستمرة وكثيرة في حين بدات الكتب الجديدة التي تعالج موضوع الشباب تظهر في المكتبات . اما هنا فلقد كانت هناك بعض الاجتهادات القليلة في هذا الموضوع نشرت على صفحات جرائدنا اليومية وفي بعض المجلات الشهرية . ولربما تكون اول دراسة جادة وموضوعية عن الشباب هي تلك التي قدمتها «الطليعة» ابتداء من عدد اغسطس الماضي .. ولكن هناك بعض الملاحظات :

اولا : أن هذه الدراسة قد جاءت متاخرة كثيرا عما يجب .

ثانيا : هناك ماخذ على هذه الدراسة وهو اعتمادها في كثير من اجزائها على زاى الصحف والكتابات الغربية وعدم تقديم راى كتاب الطليعة انفسهم .. (ان قراءتي لدراسة سعد زهران « الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة » لم اخرج منها بأن ماقدمه هو رايه وانما قدم آراء وتحليلات الصحف الغربية في عرض ممتاز .. وارى هنا ان رد داود عزيز « بصرف النظر عن محتواه » يجب ان يوجه الى اصحاب هذه الاراء لا الى سعد زهران ..)

ثالثا : ثمة ملاحظة عامة حول موضوع الشباب وهي أن معظم التحليلات والدراسات التي قدمت فيه كانت من وجهات نظر صحفية او رسمية اي انها لم تكن تعبر عن وجهات نظر الشباب نفسه .. وقد يكون هناك جوانب موضوعية كثيرة في معالجة هذا الموضوع ، الا ان هناك فارقا بين راى شبابي من قلب الاحداث ، وبين راى محلل او مشاهد لها من الخارج . واذا ما علمنا أن تحليل حركات الشباب يتدرج في اختلاف وجهات النظر الى حد التعارض وذلك لاسباب واهداف بعيدة عن حركات الشباب نفسها فان راى الشباب يصبح العامل الهام في هذا الموضوع .

الحركة العالمية للشباب

ظهر في الدراسات التي تعالج «حركات الشباب واتجاهاتها الفكرية » اتجاهان متعارضان ، فهناك راى يقول بأن هذه الحركات « ميلاد للأممية الطلابية » ويصفها آخرون من اصحاب هذا الاتجاه بـ «سلطة الطلبة» ، وعلى النقيض من هذا الراى هناك من يصف مايعرف باليسار الجديد بأنه فكر ممزق ويتهمه بعدم وضوح الرؤية وبالطفولة اليسارية ، فما هي حقيقة « حركات الشباب » ومامدى صحة الدراسات التي تعالجها ؟

أنه لمن التسرع ان نحكم على « حركات الشباب واتجاهاتها الفكرية » بأي من الرايين السابقين فمع التسليم بأن « غياب الاسس والمبادىء النظرية لاية حركة يؤدي بها الى الخفوت ثم الموت » الا اننا لانستطيع انكار ان «الحركات الثورية للشباب في العالم تسير بسرعة نحو تكوين فلسفة ثورية جديدة » من هنا نشأ التعارض السابق في تحليل « حركات الشباب واتجاهاتها الفكرية » ، فأصحاب الراى الاول (ميلاد الاممية الطلابية .. سلطة الطلبة الخ) متسرعون في حكمهم ، اذ ان هذه الحركات لم تستكمل اسسها الفكرية بعد . واصحاب الراى الاخر (فكر ممزق .. طفولة يسارية .. الخ) ايضا متسرعون لان عدم وجود اسس فكرية متكاملة لحركات الشباب حتى الان لايعني عدم استكمال هذه الاسس في المستقبل . ان استكمال « الاسس الفكرية » لحركات الشباب في العالم سيعطيها صفة الاصالة ويضمن لها الاستمرار . اذن كيف يمكن تحليل « حركات الشباب في العالم » ؟

علينا ان نبدا من ارضية مختلفة .. « ان الحاضر هو محصلة للماضي ، والمستقبل لايمكن ان يكون الا محصلة للحاضر ، وهذا قانون .. اذا ماتحللنا من هوس اجهزة الدعاية واصوات محترفي الشعارات وثرثرة السوفسطائيين ذوى العقول الفارغة من الانتهازيين والوصوليين الذين يهمهم ان يظل الواقع كما هو عليه ، فان نظرة عميقة « للواقع بكافة ابعاده ومجالاته » تنذر بالقلق ، فالمستقبل اسير للحاضر ، والحاضر مكبل

بأشباح الماضى ، ولابد من قهر الماضى والتغلب على الحاضر حتى نحرر المستقبل » .

من هذه النظرة تنطلق حركات الشباب فى العالم ، وبالرغم من التفسيرات الجزئية التى تحلل حركات الشباب المختلفة الا ان هناك قوى كثيرة تحاول ان تمنع اى تفسير يربط حركات الشباب فى العالم بعضها ببعض . وهناك تبريرات قوية وجاهزة تتمثل فى القول باختلاف النظم السياسية والاجتماعية .. الخ لكل حركة على حدة ، ولكن النظرة الموضوعية لحركات الشباب فى العالم تقدم شيئا آخر . ان كافة الحركات الشبابية الثورية فى مختلف انحاء العالم ذات اتصال وثيق من نوع مابعضها ببعض .. ولايمكن لاى حركة شبابية فى مجتمع ما ان تنفصل عن الحركة العامة للشباب فى العالم . وبالرغم من اختلاف الاسباب الشكلية لحركات الشباب فى المجتمعات المختلفة الا انه يمكننا القول بأن « جميع الحركات الشبابية فى العالم تنبع من اصل واحد ، وهى تسير فى نفس الوقت نحو اتجاه واحد » . واذا ماتفقنا بأن التفسيرات الرسمية والدعائية لحركات الشباب لا تمثل حقيقة هذه الحركات فانه يمكننا أن ننطلق فى تحليل « حركات الشباب واتجاهاتها الفكرية » بدءا من سؤالين رئيسيين :

● ما هو الاصل الواحد لحركات الشباب فى العالم ؟

● ماهو الاتجاه الواحد الذى يجمع حركات الشباب فى العالم من حوله ؟

بالنسبة للسؤال الاول فانه يمكن تركيز الاجابة عليه مع اعتبار الخريطة العالمية لحركات الشباب الثورية فى العالم فيما يلى : ان الاصل الواحد والمشترك لكافة الحركات الشبابية الثورية فى العالم هو « ذلك الانفصال الحاد بين ممثلى الماضى الذين يتقلدون أمور الحاضر ، وبين ممثلى المستقبل الذين يعيشون ضياع الحاضر » ان نظرة عميقة وشاملة لاية حركة شبابية ثورية فى اى مكان من العالم يمكن ان تقدم هذه الصورة .. « الجديد يمثله الشباب فى حالة صدام مع القديم تمثله أجهزة السلطة والمؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة » .

واذا ماانتقلنا الى محاولة الاجابة على السؤال الثانى فاننا نجد امامنا الجواب من نوع غريب ، فهو لايقدم اجابة محددة للسؤال وان كان يجيب عليه ! .. فالاتجاه الواحد الذى تتجمع حوله حركات الشباب فى العالم هو « ذلك الشىء الجديد الذى يختلف عن كل ماهو قائم .. ومحدد .. .. وشرعى .. ومنظم » .

ان ذلك الشىء الجديد لم يتضح بعد .. انه الهدف الذى يجذب نحوه كل صرخات وغضب بل وعبث الشباب .. انه مازال فى مرحلة جنينية وهى من اخطر مراحل النمو لاى شىء جديد . ففى هذه المرحلة يتعرض «الجنين» لشتى انواع الامراض الطبيعية ويواجه اعنف الضربات القاسية من حوله ، ولكن هذه طبيعة كل جديد ، بعضهم يسميه «اليسار الجديد» والبعض يطلق عليه « القوة السوداء » وآخرون يقولون « القوة الجديدة .. وسلطة الطلبة » .. الخ ، ولكن كل هذه الاسماء لاتمثل الشىء الجديد ذاته . ان الطفل الذى يأتى الى العالم يختار له ابواه اسما بعد حيرة وتردد من بين عدة اسماء ، ولكن حتى هذا الاسم ليس هو «الطفل الجديد» انه مجرد اسم له ، اما المولود نفسه فهو ذلك الانسان الذى تتكون شخصيته ويتحدد تكوينه على امتداد تجاربه ومواقفه وتطور وعيه وسيطرته على ظروفه خلال حياته .

واذا مامضينا فى محاولة تحليل «حركات الشباب واتجاهاتها الفكرية » فاننا نجد كل الدلائل تشير الى خصوبة الاحداث التى يحملها المستقبل بين احشاء الحاضر . ان نظرة شاملة للخصائص التى تميز عالم اليوم الذى يمثل المناخ العام الذى يتنفس فيه الشباب تبرز عدة ملاحظات :

● لقد بلغت سرعة حركة التطور فى عصرنا جدا اصبحت فيه ثورات لايزيد عمرها عن عشرات السنين فى اطار الكلاسيكيات . فالثورة والثورية ليست اشياء ثابتة ومطلقة . ان ماهو ثورى وتقدمى فى زمان ومكان معينين ليس من المحتم ان يكونا كذلك فى زمان ومكان آخرين . فثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا (وهى ثورة لايزيد عمرها عن ١٥ عاما) قد اصبحت نموذجا كلاسيكيا للثورات الاشتراكية فى حين تمثل مؤلفات ماركس وانجلز ولينين التراث الكلاسيكى للفكر الثورى العلمى ، ان الزمن وظروف العصر المتحركة تحتم ان تظهر نماذج جديدة دائما . ففى عصر يتميز اساسا « بالسرعات الخيالية » فى مختلف مجالاته ، يجب على الفكر الثورى والعمل الثورى ان يتحركا بسرعة تتناسب مع «سرعات العصر» ..

● فى ظروف تعقيدات عالمنا المعاصر وسرعة التقدم العلمى والتكنولوجى اصبحت عملية النضال من اجل التطور وقهر القوى الرجعية اكثر صعوبة ، فهذه القوى تسخر الامكانيات المادية والتكنولوجية (بحكم سيطرتها على التنظيمات والمؤسسات الرسمية) لقمع حركات النضال الثورى . وفى ظل هذه الظروف المعقدة تخلفت التنظيمات التقليدية (احزاب اليسار .. والاحزاب الشيوعية والنظم شبه الثورية .. الخ) عن تحمل اعباء النضال فى حين تطورت اساليب وامكانيات القوى الرجعية .

● كان من المحتم على الجيل صاحب الحق الشرعي الوحيد في المستقبل الشباب بكافة فئاته) ان يتمرد على تنظيمات واساليب النضال التقليدية في نفس الوقت الذي يثور فيه على تنظيمات القوى الرجعية. ان هذا الجيل يتحرك دفاعا عن مستقبله

.. واذا كان هناك تساؤلات (تحت تأثير مفاهيم ثابتة) هل هي حركات شباب أم حركات طلبة ؟ .. فهذه التساؤلات ليس لها اساس موضوعي .. فالمستقبل هو مستقبل الشباب بكافة فئاته وليس مستقبل الطلاب وحدهم .. و اذا كانت غالبية الحركات الشبابية الاخيرة «طلابية» فذلك يرجع الى أن ظروف ومناخ عالمنا المعاصر تختلف عن ظروف ومناخ فترات تاريخية سابقة .. فالطلاب في العالم لهم عقلية أكثر حساسية لمشاكل وقضايا عالمنا المعاصر بحكم ظروفهم العلمية والدراسية. وهم ليسوا الاطلائع « الشباب بكافة فئاته » .. ذلك بالاضافة الى أن الاحداث الاخيرة في العالم شهدت التجاوب السريع بين العمال والطلاب . ففي عالم اليوم كان على الثورة أن تتحرر من الاشكال الجامدة . وكان على المواقع المختلفة أن تقدم نماذج جديدة للثورة ، وكان عليها أن تكتشف قوانين جديدة لحركتها الخاصة وان تعي القوانين العامة لحركة التطور في ظل ظروف « عصرية معقدة » ...

ليس صحيحا أن « حركات الشباب » الاخيرة كانت فجائية وغير متوقعة تماما كما يقول بعض الكتاب .. ان « حركات الشباب » كانت النتيجة الحتمية لذلك القدر الهائل من التراكمات النفسية الناتجة من الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشباب ، وقد تكون « الفجائية » في عدم دقة التوقيت لحدوث هذه الحركات وليس في عدم توقعها على الاطلاق .. فالمتتبع للحركة العامة للشباب في العالم يجد أن هذا الشباب الذي يعيش مشاكل وقضايا «العصر» ويرى بنظرة شمولية تداخل وتشابك هذه المشاكل وتعقيداتها يعاني من حالة « طلاق حاد » بينه وبين كل ما هو قديم . وهو في حركته وصراعه مع القديم والمتخلف لم يتوقف ولكن حركته تتغير وتتخذ أشكالا مختلفة نظرا للظروف والضغوط التي يقابلها .. ونستطيع ملاحظة نوعين من الحركة بالنسبة لحركات الشباب .

١ ـ حركة النضال المباشر ضد القوى والتنظيمات التي تمثل القديم المتخلف والتي تسيطر على المواقع وتجمده على ما هو عليه وتسخره لمصلحة أوضاعها الاستغلالية وامتيازاتها الطبقية .. انها حركة « الالتحام المباشر بانسان الشارع» الذي يعاني من تراكمات الاستغلال الطبقي ومن الضغوط الاقتصادية العنيفة في حياته . انها حركة « نقل الصراع الى الميدان الذي يصبح للقوى المضطهدة والمستغلة فيه الامكانيات الاكبر وهو الشارع » .

٢ ـ حركة النضال غير المباشر . عندما يصبح في مقدور اجهزة القمع الرسمية «اجهاض» حركات الشباب الشرعية نظرا لما تملكه من امكانيات القمع المادية والدعائية الهائلة فان حركات الشباب تلجأ الى اكتشاف « اشكال جديدة لحركتها » .. فالتضحية بلا مقابل شيء سخيف ، ولا ينبغي لحركات الشباب الثورية ان تفرط في قواها وطاقاتها بأن تقدم الى معتقلات اجهزة القمع طلائعها .. ان هذه الحركات في حاجة الى المزيد من الطاقة لاحداث التغيير . من هنا فان اشكالا جديدة من النضال تظهر . ان السخط العام والرفض العام والتمرد العام ، بل والعبث العام اساليب نضال خطيرة فهي تحمل في شمولها معاني كثيرة وقدرة هائلة على اثبات زيف ولغو الاسس التي تبنى المؤسسات والتنظيمات القديمة شرعيتها عليها، وذلك كله يقرب من نقطة الثورة. ان مظاهر العبث والتمرد بين شباب العالم هي اسلوب « نضال لا واع » ضد القديم عندما يعجز هذا الشباب عن النضال المباشر، ويؤكد ذلك هذه الكميات الهائلة من الافكار والنظريات والفلسفات التي تناقش بين مجموعات هذا الشباب .

نخرج من هذه النظرة العامة « للحركة العالمية للشباب » بأن الاوضاع الحالية التي يعيشها هذا الشباب هي نتيجة « لنظرته أكثر من غيره » الى القيم والمؤسسات التي يسير عليها الواقع، نظرة لايستطيع أن يمارسها غيره لانه ابن هذا العصر، بل لانه ابن هذا الوقت من هذا العصر .

ان حالات اللامبالاة والعبث وموجات التمرد والتقاليع (البروقوس والبيتنكس والهيبيز الخ) التي ظهرت بين مجموعات الشباب في العالم كلها دليل قوة من نوع جديد . انها مظهر المعاناة القاسية والحادة لمشاكل عالمنا المعاصر وقضاياه . وهي ليست كما يحاول ان يفسرها بعض ضيقي الافق من الذين لايرون أبعد من أنوفهم على أنها دليل سطحية وتفاهة الشباب .

ان الشباب العابث المتمرد الرافض كان في طليعة « الحركات الثورية للشباب » التي شهدها العالم مبهورا هذا العام . لقد اكتشف هذا الشباب قوته وطاقاته الهائلة في حركاته الثورية الاخيرة .

تنظيم الشباب .. ومسئوليات المرحلة القادمة

جعفر حمدان

الحديث عن الشباب ، حديث متشعب ، وقد تختلف فيه الاراء ، ولقد كان عام ١٩٦٨ هو عام الشباب بحق — فلقد انفجرت ثورة الشباب فى العالم كله تقريبا سواء الدول الاشتراكية او الدول الراسمالية — وفى رأينا ان ثورة الشباب عام ١٩٦٨ ، تعنى ميلادا جديدا لقوة جديدة تهدف الى تغيير العالم ، لقد كانت العالمية سمة من سمات حركة الشباب . فلقد كانت حرب فيتنام ، والاسلحة النووية من بين الموضوعات التى حركت الشباب فى كثير من بلدان اوربا وامريكا .

على انه من المتفق عليه ، ان طاقة الشباب يجب ان تنظم ويفتح لها الباب . كما ان اعداد الشباب سياسيا امر حيوى ليتولى مسئولياته وقد اعد اعدادا سليما .

وانه لمن دواعى التفاؤل والثقة فى المستقبل ان تكون نسبة من اعضاء المؤتمر القومى العام من الشباب ومن القيادات التى مارست العمل السياسى على جميع مستوياته ، فى منظمة الشباب الاشتراكى ، الذى يمكن ان يلعب دورا هاما بفضل الخبرة التنظيمية والسياسية التى اكتسبتها هذه العناصر فى الفترة الماضية ، وبفضل التزامها بميثاق العمل الوطنى وبرنامج ٣٠ مارس .

ان هذا يعطينا مؤشرا على انه لو صدقت النية فى اعداد شبابنا اعدادا عقائديا جديا فانه سوف يثبت دوره وسوف يتقدم بثقة فى النفس كبيرة لحمل الامانة ومواصلة التقدم بها . ، ويجب ان تصدق النية فنحن « فى مرحلة لا تحتمل الا كل ماهو جد . ولا تحتمل الا كل ماهو حقيقى ، ولا تحتمل الا كل ما هو اصيل ، ولا تحتمل الا كل ما هو امين . ولا تحتمل الا كل ماهو صادق ، واول ما يكون الجد والحق والاصالة والامانة والصدق مع النفس » (١) فعلينا جميعا ان نفكر بصوت مسموع .. حول اعادة بناء تنظيم الشباب من جديد مستفيدين بسلبيات وايجابيات المرحلة الماضية من عمر المنظمة .

وعلى الشباب من اعضاء المؤتمر القومى العام مهمة تاريخية ، وهى تقييم المرحلة الماضية من عمر المنظمة . ثم وضع الاساس لمستقبل هذا التنظيم . ويخيل لى ان نقطة البدء الجوهرية ، هى العمل على اعادة تنظيم الشباب فى فكره وحركته واهدافه من جديد بما يتفق وظروف الواقع المصرى على ضوء التجربة الواقعية .

والطريق الى ذلك ان يكون مجال العمل مفتوحا على اوسع نطاقه امام الشباب ، ذلك لان امكانيات الشباب العربى فى مصر وقدرته وفاعليته لا حدود لها . تلك حقيقة يشهد بها التاريخ وتشهد بها الاحداث الوطنية والعامة ، وما على الجيل الذى يتولى مهام الحكم الان الا تنظيم هذه القوى الفعالة وتوجيهها لكى تساهم فى بناء حاضرها ولكى تتاهب وتتأهل بالعمل المستمر لقيادة مجتمعنا وضمان استمرار ثوريته » (٢) .

ان الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية متداخلتان . الآن ، ولا يمكن الفصل بينهما ، واية دعوة الى الفصل ما بين تحرير الارض المحتلة وبين تدعيم قيم المجتمع الاشتراكى ، دعوة مرفوضة من الاساس ، من قبل جماهير الشباب ، تحاول القوى المضادة للثورة الاجتماعية ان تجمد بها التحول الاشتراكى تمهيدا لضرب الثورة الاجتماعية عندما تجد الفرصة سانحة لذلك .

ان عملية تحرير الارض المحتلة تقع اولا واخيرا على عاتق اولئك الشباب من ابناء قوى الشعب العامل وبخاصة قوى العمال والفلاحين .

واذا كان برنامج ٣٠ مارس يؤذن ببداية مرحلة جديدة فى نضالنا ترمى الى تحقيق هدفين كما قال المناضل جمال عبد الناصر فى خطابه بالمنصورة فى

---

(١) خطاب الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر القومى العام .
(٢) تصريح للسيد على صبرى بالاهرام فى ١٩٦٥/١٠/٣٠ .

١٨ ابريل ١٩٦٨ **الاول** : هو تحرير الارض المحتلة من اوطاننا والبقاع المقدسة لامتنا بالنصر .
الثاني : تدعيم تحرير الانسان العربي بالتمكين لقيم الثورة لكي تسود الحرية السياسية والاجتماعية.
فهل الاتحاد الاشتراكي ببنائه الجديد ، قادر على تحقيق هذين الهدفين والسير بهما الى آفاقهما البعيدة ؟

والاتحاد الاشتراكي الحالى اذا كنا نريد ان نعرفه تعريفا علميا صحيحا، فانه يمكننا القول بأنه « تنظيم سياسي يشكل وحدة وطنية لتحقيق هدف واضح ومحدد هو تحرير الارض المحتلة » .
ان برنامج ٣٠ مارس يهدف الى جانب تحرير الارض المحتلة ، « تدعيم تحرير الانسان العربي بالتمكين لقيم الثورة لكي تسود الحرية السياسية والاجتماعية » .
ولتحقيق هذا الهدف « يجب ان يكون هناك وعي اشتراكي ، وحتى يكون هناك وعي اشتراكي ، يجب ان توجد قيادات اشتراكية تسلك سلوكا اشتراكيا وتناضل من اجل التوعية الاشتراكية ومن اجل تثبيت الاشتراكية » (٣)

ولتحقيق هذا الهدف « يتعين علينا في المرحلة القادمة ان نمكن لقيم المجتمع الاشتراكي من ان تستقر على الارض وترسخ وتصل بجذورها الى اعماق حياتنا حتى يستطيع ما نزرعه الان ان يصمد للرياح بغير انحراف او عوج، ومن واجبنا جميعا ان نقف في حسم لايعرف التردد وحزم يرفض انصاف الحلول وراء ما نتطلع اليه من القيم ونريده ان يستقر في حياتنا الجديدة وينمو» (٤) .

اذن فالحاجة ماسة الى تنظيم الشباب سياسيا مع تحديد واضح لعلاقة هذا التنظيم بالاتحاد الاشتراكي وفق خطة علمية مدروسة واضحة لا تنطلق من فراغ، ولكن انطلاقا من تقييم سلبيات وايجابيات المرحلة الماضية .

الشباب لايريد الا استمرار النضال من اجل الآمال البعيدة والقريبة لشعبنا . ولا يمكن ان يكون هناك ضمان للنضال سوى خلق الشباب المؤمن بالاشتراكية سبيلا وحلا لمشاكل مجتمعه .

اذن فامام القيادة الثورية عمل على مستويات ثلاثة :

الاول : الحشد الوطني لازالة آثار العدوان .

الثاني : بناء تنظيم سياسي ثوري للشباب ، مع تحديد علاقته بالاتحاد الاشتراكي .

الثالث : اختيار القيادات الصلبة والواعية من منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكي لتشكيل **الجهاز السياسي ، او الحزب الاشتراكي .**

ولكن هنا يثور سؤال : كيف نعيد بناء التنظيم السياسي للشباب ، هل نبدأ بالانتخابات في المنظمة أم نبدأ من جديد ؟ .

انني ارى ان قيادات المنظمة الموجودة حاليا ، قيادات بدون جنود ، فكيف نشرع في الانتخابات ؟

ان طبيعة المرحلة وما فيها من تحديات تعطينا التربة الخصبة لاعادة بناء هذا التنظيم . ان امام الشباب في هذه المرحلة تحديات ثلاثة : الاول : اعمال المقاومة الشعبية والدفاع المدني .
والثاني : محو الامية وخصوصا في الريف .
والثالث : زيادة الانتاج الزراعي والصناعي .

ان تجنيد الشباب يجب ان يتم على اساس مدى اسهام كل شاب في مواجهة هذه التحديات . وبعد التجنيد يأتي دور التثقيف . ويجب ان يكون علميا في خطته يهدف الى ارساء العقيدة في نفسية الشباب . فالثورة الى جانب انها عمل سياسي فهي ايضا عمل عقائدي . وهناك خطة للتثقيف وضعت في العام الماضي لمنظمة الشباب تعتمد اساسا على مدارس الكادر .ماذا لو درسنا هذه الخطة من جديد ثم استرشدنا بحصيلة الابيض والاسود في التجربة الماضية لنضع خطة جديدة . .

وبعد ذلك تأتي القضية الهامة والرئيسية في اعادة بناء منظمة الشباب، وهي قضية الديمقراطية ومعنى الالتزام . ان اسوأ ما يصاب به اى تنظيم سياسي هو افتقاد الديموقراطية وتحريف معنى الالتزام . وكم عانت منظمة الشباب الاشتراكي من افتقاد الديمقراطية والتحريف الواضح لمعنى الالتزام . والمرحلة التي يعيشها الشباب الان لا تحتمل افتقاد الديمقراطية في التنظيم ، اوتحريف معنى الالتزام . ان الفهم الواعي لمعنى الالتزام ، والحرص على تحقيق الديمقراطية السليمة في كافة مستويات التنظيم من اهم ضمانات نجاح هذا التنظيم .

وفي الختام نقول : ان منظمة الشباب الاشتراكي، برغم سلبيات بعض وسائل العمل بها ، الا انها استطاعت بحق وصدق ان تحقق نجاحا اكبر بكثير مما حققه الاتحاد الاشتراكي في مرحلته الماضية.

ونحن الان لو حاولنا ان نعيد بناء التنظيم الشبابي بجدية وصدق، فاننا بهذا نضمن استمرار الثورة وتدعيم قيمها والسير بها قدما الى الامام . وان التاريخ سوف يحكم على الجيل الذي يتولى المسئولية الان بالنجاح او بالفشل بمدى نجاحه او فشله في اعداد الجيل الجديد لتولي مسئولياته .

---

(٣) مناقشات الرئيس عبد الناصر مع اعضاء الامانة العامة عام ١٩٦٥ .
(٤) خطاب عبد الناصر في مجلس الامة في ٢٠ يناير ١٩٦٥ .



- عــــــلامة هــــــامــة فى المــتواجهــة مع العــــدو
- اختيـــــــار صعب لنيجـــيريا : أفريقيا .. أم الغرب ؟
- السياسات التحررية فى تشيكوسلوفاكيا لم يطرأ عليهـا تغيير
- مشـــــاكــل همفـــرى .. واستــعــــداد نيكســــون

■ الجمهورية العربية المتحدة

المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى

جذبت الدورة الاولى للمؤتمر القــومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى اهتمــام الــراى العام فى مصر والخــارج ــ وتابع المراقبــون السياسيون اعمال الــدورة ليستشــعروا منها اتجاهات القوى السياسية المختلفة ومواقعها من مختلف القضايا التى تواجهها البلاد .

لقد تم انعقاد المؤتمر القــومى بعد الحــوار المفتوح الذى دار على امتداد اكثر من خمســة عشر شهرا ــ منذ النــكسة ــ وجــاء انعقاده ايضا بعد الانتخابات التى اجريت لاعادة بنــاء الاتحاد الاشتراكى من القاعــدة للقمــة . ومن هنا فقد كانت النظرة للمؤتمر فى حد ذاته على انه محصلة للعمل السياسى خلال الفترة التى اعقبت العدوان .

ولقد انهى المؤتمر دورته الاولى التى امتدت ثمانية ايام من ١٤ ــ ٢١ سبتمبر ، بانتخــاب اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، كما اصــدر المؤتمر بيانا سياسيا يؤكد على المبــادىء التى استوحاها فى اصدار مجموعـــة القــرارات والتوصيات والتى تشكل فى مجموعها الاطار العام لخط العمل السياسى فى المرحلة المقبلة ــ فى جميع المجالات السياسية والعسكــرية والاقتصــادية والتعبئة الداخلية والتنظيمية .

ولم يكن عمل المؤتمر واللجنة التحضيرية التى شكلها فى الدورة الافتتاحية واللجان المتفرعة منها بمعزل عن القاعدة الجماهيرية العريضة ، بل كان هناك حرص على ان تستكمل لجان المؤتمر عملها بحوار مفتوح يجرى على مستوى مؤتمرات ولجان المحافظات والاقسام حول التقارير التى اعدتها اللجان الفــرعية ثم حــول تقــرير اللجنــة التحضيرية قبل الصياغة النهائية وتقديمه للمؤتمر .

وعلى ضوء الاتجاه العام الذى استخلصتــه اللجنة التحضيرية من خلال عملها واتصــالاتها الواسعة ــ والذى اوضح بجلاء ــ « ان هناك اتفاقا كاملا على انه ليس هناك الان ولا ينبغى ان يكون الان صوت اعلى من صوت المعركة » .

« وان للمعركة الاولوية على ما عداها » وان جماهير شعبنا قد باتت تشــعر بانه مهمــا يكن السبيل الذى نسلكه لتحــرير الارض وتحقيــق النصر فانه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة ! ! ــ على ضوء هذا الاتجاه اقترحت اللجنة التحضيرية على المؤتمر ان يركز اعماله فى دورته الاولى على الجوانب التى تتصــل

مباشرة بالحشد الشامل والتعبئة الكاملة من اجل تحرير الارض، اما ما شملته التقارير من اقتراحات ومؤشرات تتعلق بقضايا ومشاكل اخرى ــ فقد اقترحت اللجنة ان تحال الى اللجنة المركزية بعد تشكيلها لتتولى اعدادها للعرض على المؤتمر فى دوراته المقبلة .

والنظرة الشاملة لحصيلة المناقشات التى دارت فى المؤتمر والقرارات والتوصيات التى صدرت عنه ــ تظهر ان المؤتمر قد استجاب بشكل عام لراى اللجنة الذى ضمنته « تقريرها القيم » والتزم المؤتمر بشكل عام بما اقترحته اللجنة كشكل للمناقشة واسلوبها .

ومن استعراض حصيلة المناقشات يمكن لنا تحديد عدد من القضايا كان اكثر من غيره موضع اهتمام اعضاء المؤتمر وتناوله من جوانب مختلفة عدد غير قليل من المتحدثين وابرز هذه القضايا :

- طبيعة المعركة مع اسرائيل وابعادها .
- القوات المسلحة .
- التمسك بالاشتراكية والقطاع العام .
- قضايا الحريات .
- الشباب .
- بعض قضايا التنظيم .

أبرزت اللجنة التحضيرية فى تقريرها للمؤتمر ان اهداف اسرائيل من العدوان « هى التوسع الجغرافى فى الارض العربية وطرد سكانها واحتلالها بمهاجرين يستجلبون اليها ــ تمكينا للحركة الصهيونية من بلوغ غايتها ــ وهى السيطرة على الشرق العربى لاستغلال خاماته وخبراته واسواقه والقوى العاملة فيه لصالحها ولصالح القوى التى تعينها وتسندها » .

واكدت اللجنة فى تقريرها للمؤتمر ان هدف عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ القضاء على مكاسبنا الاشتراكية وعلى بنائنا الاشتراكى وسيظل هذا هو الهدف الاصيل لاسرائيل والصهيونية العالمية» .

وفى بداية اعمال المؤتمر ظهر اتجاه كان ابرز ممثليه السيد **محمد انور عبد اللطيف** وكيل وزارة الخزانة ــ والذى حاول تصوير الصراع العربى الاسرائيلى على انه صراع دينى وان « العدو الصهيونى المغتصب الظالم يعتبرها معركة دينية، وهو يعتبر معركة يونيو ٦٧ انتقاما لمعركة خيبر التى كان يقودها الرسول صلى الله عليه وسلم ضد اليهود » ، ولم يجد هذا الاتجاه تأييدا فى صفوف المؤتمر ــ واكد ثلاثة من المتحدثين ــ **رأفت عبد العال سيف وحكيم بنى طوبيا ومصطفى الجناينى** ــ اننا نواجه « صهيونية كجزء من الاستعمار العالمى ــ « وان اسرائيل دولة قامت اساسا على ايديولوجية استعمارية تحركها الاحتكارات الامريكية بقصد منع اى مقاومة للاستثمارات الامريكية » وان اسرائيل ماهى الا جسر للاستعمار الامريكى وطريق لضرب الاشتراكية والاشتراكيين فى الشرق الاوسط » وان الخلاف بيننا وبين اسرائيل ليس « امتدادا لمعارك خيبر » ــ وانما هو « صورة من صور الصراع المسلح بين مذهبين وعقيدتين » .

وقد اكد البيان الذى اصدره المؤتمر القومى فى ختام دورته الاولى « ان التحدى الذى يواجهنا اليوم والذى تمثل اسرائيل واجهته واداته هو فى حقيقته وجوهره تآمر استعمارى متعدد الاطراف والمطامع تشترك فيه الصهيونية والاستعمار العالمى والقوى المعادية للشعوب وهو تآمر لايستهدف اغتصاب الارض فحسب بل والسيطرة ايضا على اقدار المنطقة والقضاء على كل التطلعات المشروعة للانسان العربى ورد الشعوب العربية الى مواقع الضعف والتخلف والتبعية !

ومن هنا فقد أكد المؤتمر فى بيانه « ان الدفاع عن نظامنا الاشتراكى ومنجزاتنا ومكاسبنا الاشتراكية جزء لا يتجزأ من المعركة المصيرية التى نواجهها بل هو جوهر المعركة » .

وكان من الطبيعى وجو المعركة يفرض نفسه على المؤتمر ان تحتل القوات المسلحة جانبا بارزا فى مناقشات المؤتمر .

ولقد عبر المؤتمر عن تحيته وثقته بالقوات المسلحة بعاصفة من التصفيق تاكيدا لما اعلنه المناضل جمال عبد الناصر فى الجلسة الاولى للمؤتمر من « ان القوات المسلحة هى املنا ــ وهى سبيلنا ووسيلتنا من اجل تحرير الارض المحتلة والقوات المسلحة هى درعنا ضد العدوان وضد التحدى » .

وقد اكد المؤتمر فى قراره بشأن القوات المسلحة على ضرورة « الاستمرار فى تزويد القوات المسلحة بكافة متطلباتها وتوفير كل امكانيات الارتفاع بكفاءتها وقدرتها القتالية لتؤدى مهمتها المقدسة وهى تحرير الارض وحماية الوطن » .

وقد بلورت المناقشة حول اساليب استكمال القوات المسلحة لقدرتها القتالية الكاملة اربعة نقاط اساسية :

● طالب **رأفت عبد العال سيف وحسن جاد الحق** بضرورة تحقيق التلاحم الداخلى بين الجيش وبعضه ــ وذلك بتحقيق الترابط الحقيقى بين الضباط والقيادة . وبين الجنود والضباط وان تكون هناك معايشة كاملة بين الضباط والجنود

حتى تتحقق العلاقة الوطيدة بين المقاتلين من ابناء القوات المسلحة .

● اشترك كل من **مصطفى الجنايني وعبد المنعم عثمان والدكتور ابراهيم محفوظ ومحمد احمد عبد الهادى ومحمد مهدى شومان** فى التركيز على ضرورة « ان تختار القيادات العسكرية ذات الكفاءة العالية من الناحية الفنية ، وفى نفس الوقت ذات الكفاءة العالية من الناحية العقائدية الاشتراكية» — وضرورة «الاهتمام بالاعداد السياسى والعقائدى للجنود والضباط بجوار التدريب الحديث على السلاح حتى يكون الجندى مقتنعا ومؤمنا لماذا حمل السلاح » وطالبوا باعداد كوادر على درجة كبيرة من الوضوح الفكرى والعقائدى لتوجيه عمليات التوجيه المعنوى والفكرى داخل القوات المسلحة تلك العمليات التى « تؤدى بطريقة قل ان تصل الى الغاية التى تتطلبها معركة مصيرية طويلة الابد » .

● ومن اجل التلاحم بين القوات المسلحة والتنظيم السياسى طالب **محمد مهدى شومان وعبد المنعم عثمان** بضرورة تنسيق كامل بين التنظيم والقوات المسلحة ،ووضع استراتيجية واضحة المعالم تتم مناقشتها على مستوى قيادات القوات المسلحة ويتم الاتفاق عليها — وان تكون قيادة التنظيم السياسى على صلة وثيقة بقيادة القوات المسلحة وتقر معها استراتيجية الجيش وان تكون هناك توعية سياسية من المسئولين والقادة فى التنظيم السياسى داخل القوات المسلحة .

● كان هناك اتجاه بارز فى المؤتمر يدعو لانشاء الجيش الشعبى وعرض المتحدثون .

احمد مجاهد — عبد الحميد جادو — الدكتور ابراهيم محفوظ — السيد عبد الهادى على ناصف — عبد المنعم عثمان — احمد محمود ابراهيم جادو — رأفت عبد العال سيف — السيد على عبد العزيز) القضية على اساس ان « المطلب النهائى لجماهير شعبنا هى تسليح الشعب باسره ليخوض المعركة جنبا الى جنب مع القوات المسلحة .» وضرورة « اعداد الشعب للدفاع بالسلاح عن ارض الوطن ضد اى غزو يقوم به العدو مهما بدى احتماله ضئيلا » .

وقد اكد البيان الصادر عن المؤتمر على حقيقة « ان معركتنا مع العدو ليست معركة الجيش وحده ولكنها معركة الشعب كله — ويجب ان يكون الشعب كله امتدادا لقواته المسلحة المتقدمة على خط القتال لمواجهة العدو — واذا كان الشعب يتطلع الى قيام الجيش الشعبى الذى ينظم كل قادر على حمل السلاح من ابناء هذا الشعب — الامر الذى يجب ان يكون فى تفكيرنا وتخطيطنا المقبل الا ان الامر العاجل الذى ينتظر المؤتمر ان تضع له اللجنة المركزية تفصيلات تنفيذية هو قيام منظمات للدفاع الشعبى — تحمل مسئولية حماية الخطوط الخلفية لقواتنا المتقدمة وتهتم بالاعمال ذات الطبيعة العسكرية وشبه العسكرية المتصلة بأى عمليات قد يلجأ اليها العدو وراء خطوطنا الامامية — وعلى اساس ان مسرح العمليات فى اى معركة مرتقبة مع العدو يشمل كل شبر من ارض الجمهورية » .

وبعد — احتلت تضية الاشتراكية القوات المسلحة وما يتصل بها والنظام الاشتراكى والقطاع العام مكانا بارزا فى تقارير ومناقشات وقرارات المؤتمر — ويرى المراقبون ان الصياغات المحددة والحاسمة التى استخدمت — قد حطمت الهجمات التى شنت ضد الاشتراكية وضد القطاع العام قبل المؤتمر وخلال مناقشاته .

لقد اكدت اللجنة التحضيرية فى تقريرها للمؤتمر على ان « الحفاظ على المكاسب الاشتراكية هو جزء من معركتنا مع اسرائيل والانتصار فى هذه المعركة هو جزء من انتصارنا فى المعركة الكبرى — والحفاظ على المكاسب الاشتراكية لا يكون الا بالحفاظ على المجتمع الاشتراكى نفسه» ومن ثم فان اهم الوسائل فى حماية هذه المكاسب ان يبقى النظام الاشتراكى نفسه ويتدعم » .

ودفاعا عن الاشتراكية اكد **الدكتور محيى الدين الخرادلى ومصطفى ابو زيد** على بضع حقائق :

● ضرورة التفرقة بين حتمية الحل الاشتراكى لاشباع احتياجات مجتمعنا — وبين ما قد يكون قد شاب التخطيط من ثغرات او التطبيق من اخطاء او عثرات .

● العمل وحده هو مظهر القيمة فى المجتمع الاشتراكى — انه وحده معيار تقييم الاشخاص واساس التقدم فى الحياة وفى المجتمع الاشتراكى — وافضل مصدر للحوافز فى المجتمع الاشتراكى ان يكون العمل وحده هو اساس التقدم فى جميع المجالات .

● حتى الان لم تستقر القيم الاشتراكية فى السلوك والاخلاق .

● الدعوة الى القيم الاشتراكية وتربية الشباب وسائر افراد الامة تربية عقائدية لايكفى فيها مجرد الخطب والكلمات والكتب والنشرات — وانما ضرورة ان يكون الفعل مطابقا للقول — وبذلك يصبح التطبيق الاشتراكى خير دعاية للاشتراكية » .

وقد اكد البيان الصادر عن المؤتمر على ان « الانتصار على العدو لا يتأتى الا بالحفاظ على

النظام الاشتراكي والتصدي للشوائب والنقائص التي شابت التطبيق الاشتراكي ــ وان الدفاع عن نظامنا الاشتراكي ومنجزاتنا ومكاسبنا الاشتراكية هو جزء لا يتجزأ من المعركة المصرية التي نواجهها ــ بل هو جوهر هذه المعركة » .

ومن الطبيعي ان الحديث عن الاشتراكية لابد وان يتناول القطاع العام ودوره في التنمية ومشكلاته ــ فالاشتراكية تقوم اساسا على الملكية العامة لوسائل الانتاج ــ والقطاع العام هو اداتها الفعالة ــ ومن هنا فان الطريق للهجوم على الاشتراكية يمر دائما بالقطاع العام .

وتعرض القطاع العام في مناقشات المؤتمر **حسين عبد الجليل ودكتور فاروق جبرانه** للنقد المباشر وغير المباشر على اساس عدم تقدم مستوى الانتاج في القطاع العام ،بل وانخفاضه في بعض الحالات بدرجات متفاوتة ، وكذلك ما وصف : « بخروج القطاع العام عن الحدود المرسومة له وشموله مراكز انتاجية لا داع اطلاقا لان يشملها» والدعوة «لاعادة النظر في صحة تطبيق نظام القطاع العام وعودة المراكز الانتاجية الخارجة عن حدوده الى القطاع الخاص ــ على ان يفرض عليها الضريبة التصاعدية» ــ وكذلك نقد تفضيل الناحية الاجتماعية في المشروعات والدعوة لاستثمار رأس المال الاجنبي في اقامة الصناعات الكبرى (غير البترول) والمطالبة بالسماح لرأس المال الوطني ان يستثمر في تلك المشروعات اسوة بالراسمال الاجنبي .

لقد دافع عدد غير قليل من اعضاء المؤتمر عن القطاع العام واكدوا على اهميته في بناء الاقتصاد الاشتراكي ورفضوا بشدة اى تفكير في انكماش القطاع العام والارتداد للقطاع الخاص باعتبار ذلك عمل مضاد للخط الاشتراكي .

واكدوا في دفاعهم ان مشاكل القطاع العام ومعوقاته يجب ان تبحث في ضوء هذا الفهم ــ واكدوا على اهمية التصدى للانحرافات في القطاع العام والقضاء عليها وهو امر يختلف عن الدعوة للارتداد عن القطاع العام والعودة للقطاع الخاص ــ الذى « يعانى اكثر واكثر من الانحرافات والاستغلال البشع مهما كانت الرقابة المفروضة عليه » . كما ان « فئة من الرأسمالية الوطنية قد اثرت ثراء كبيرا وتكاد تصل الى حد الاقطاع » .

وقد اكد الرئيس جمال عبد الناصر اهمية دور القطاع العام بقوله « القطاع العام السنة اللى فاتت عندما حقق ارباح اكثر من ٥٪ ، يمكن السنة اللى فاتت ماكنش عندنا زيادة في الدخل نتيجة الظروف اللي احنا كنا فيها ــ لكن الخطة الخمسية الاولى زادت الدخل سنويا بما يوازى ٦٪ ، كما اكد سيادته انه لم يحدث اطلاقا ان اعيد اى مصنع سبق تأميمه لاصحابه ــ وان ما اعيد بعض المصانع الصغيرة التى كانت تحت الحراسة .

وأكد **عبد العزيز حجازى** وزير الخزانة ان القطاع العام ساهم في ضرائب الدخل بما يقرب من ٤٠ مليون جنيه .

وفي المناقشة طرح **حسين طلبه مرزوق ــ عوض شبلي عاشور ــ عبد الصبور عبد المنعم وحسين على السيد حسين** اقتراحات هامة لتطوير العمل في القطاع العام ولانجاح التعبئة الاقتصادية ومن ابرزها :

● ان تنمو وتتأكد المشاركة الايجابية بين الادارة والقيادات العمالية في الوحدة الانتاجية ثم على مستوى المؤسسة ثم على مستوى الوزارة وان يشترك العمال في وضع مشروع الخطة التى سوف يكونون مسئولين عن تنفيذها ، وطرح كثير من المقترحات التفصيلية .

ويرى المراقبون الذين تابعوا اعمال المؤتمر ان المبادىء التى اوردتها اللجنة التحضيرية في تقريرها للمؤتمر بشأن الحريات ــ كانت من اكثر اجزاء التقرير قوة ووضوحا ، لقد اكدت اللجنة في تقريرها « ان كفالة الحرية للمواطنين جميعا هى من الزم الامور لسلامة التطبيق الاشتراكي ، وهى العاصم من الخطأ » . ودعت اللجنة لضرورة سيادة القانون والمشروعية لكل عمل من اعمال الدولة ازاء المواطنين « فقرار التعيين والترقية ــ كقرار الفصل والاعتقال يجب ان يكون متفقا مع النصوص القانونية التى تنظم حياة المواطنين في هذه الشئون ــ وقدمت اللجنة مجموعة من الاقتراحات لتوفير الضمانات للمواطنين والغاء القوانين المانعة لحق التقاضي وحماية الضمانات الاساسية للمتهم والتوفيق بين حرية المواطن وامن الدولة في الظروف الاستثنائية التى نمر بها . وتنظم حق من تشمله اجراءات الاعتقال أو الحراسة بالتظلم ــ وقصر تشكيل المحاكم الاستثنائية على اضيق الحدود ، وان تشكل تلك المحاكم بكل مستوياتها من رجال القضاء وحدهم وان تخضع احكامها لطرق الطعن في الحدود التى تسمح بها القواعد العامة في قانون الاجراءات الجنائية .

وفي مستهل المناقشة تقدم **حافظ على بدوى** باقتراحات مفصلة لتعديل القوانين الاستثنائية واعلن جمال عبد الناصر موافقته على التعديلات المقترحة .

ودعا السيد **عبد الحميد حسين** رئيس الاتحاد العام للطلاب الى تأكيد حق الشعب في الاطلاع

على حقائق وتفصيلات الوضع السياسي والاقتصادي للوطن ، وكذلك ضرورة الوصول الى صيغة ملائمة يضمن بها ان يشرف الجهاز الشعبي على اجهزة الامن دون اخلال بكفاءة هذه الاجهزة ، ودون اتاحة الفرص لانحرافها .

وفي اطار الحديث عن الحريات اثير موضوع الصحافة واشترك في المناقشة كل من **عبدالرازق توفيق ابراهيم ، وعبد الحميد حسن ومصطفى ابو زيد .**

وقد تضمن النقد الموجه للصحافة « انها فشلت في اداء دورها » — و « انها سلحت نفسها للسكوت اما رغبة في الانقياد واختصارا للجهد ولعدم اغضاب الغير ، واما لعدم القدرة على التصدي لمتطلعات الجماهير والتعبير عنها » . وقيل ايضا ان الصحافة لم تستطع ان تقدم للشعب مئات بل الوف من القيادات الجادة الواعية المخلصة في الحقل والمصنع والجامعة والذين جاهدوا وكتبوا وانتجوا في سبيل الثورة « وان حق الكتابة في الصحف مقصور على افراد بذاتهم يحتكرون وحدهم حق توجيه الامة » .

وطرحت في المناقشة اقتراحات لتنظيم الصحافة تنظيما شاملا على الاسس التالية :

- ان تكون الصحافة ملكا للشعب فعلا وان يتحقق اشراف الاتحاد الاشتراكي عليها طبقا لقانون عام ٦٠ .

- تشكيل لجنة من اعضاء المؤتمر تعمل على تنظيم العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي كمالك للصحافة وبين المؤسسات الصحفية .

وتقوم هذه اللجنة بوضع تفسيرات محددة عن ابعاد الامن القومي — الذي تتحلى به كل مبررات عدم النشر والرقابة — والا تكون هناك رقابة على الصحف الا فيما يتعلق بالناحية العسكرية ولا تترك عملية الرقابة تحت رحمة اجتهادات فردية لبعض الاشخاص .

يجب ان يكون تعيين رؤساء تحرير الصحف من حق اللجنة المركزية .

ويجب ان يتضمن تنظيم الصحافة ضمان عدم تسلط القائمين على التحرير ورغبتهم في فرض آرائهم على الجميع دون السماح بقدر من الفرص المتكافئة لكل مواطن ، وكذلك عدم السماح بتسلط راس المال والاجهزة الادارية في الدولة على الصحافة .

وقد اكد قرار المؤتمر القومي على ضرورة «دراسة اوضاع الصحافة ووضع تنظيم جديد لها يؤكد ملكية الشعب لها ، وبصفتها في خدمة الراى الحر والنقد البناء لتحقيق اهداف المجتمع الاشتراكي مع اعطاء اهتمام خاص لكل وسائل الاعلام والثقافة والفن نظرا لدورها المؤثر والفعال في التعبئة الوطنية وفي التشكيل الفكري للشعب باكمله » .

ووصفت اللجنة التحضيرية في تقريرها للمؤتمر — الشباب بانه الاحتياطي الطبيعي لقواتنا المسلحة وهو المصدر الدائم الذي يمكن ان يمدها بامكانيات التجدد والتقدم والنمو . ودعت الى تطوير برامج التدريب الرياضي والعسكري في مختلف مراكز تجمعات الشباب وتهيئته لاستيعاب متطلبات معدات القتال الحديثة حتى يكون حق الانخراط في سلك الجندية في اية لحظة . واكدت اللجنة على اهمية التركيز على الشباب المتعلم في الظروف الحالية نظرا لان اللياقة الذهنية الناشئة من ثقافة واعية اصبحت من اهم ضرورات الجندي الحديث .

وتناول اعضاء المؤتمر **فاروق السيد متولي — حلمي محمد تهنوش — السيد عبدالوهاب شبانة — عبد الحميد حسن — الدكتور مفيد شهاب** قضية الشباب من الناحية السياسية والتنظيمية :

وابرزت الكلمات انه قبل النكسة « كانت الحقائق بعيدة عن بصر الشباب والاشراف على شئونه من قبل الدولة متعدد ومتضارب » بسبب تعدد جهات الاشراف على شئون الشباب وتنازعها ويصل ذلك الى الوحدات القاعدية .

وبعد النكسة وجد الشباب نفسه في القاهرة بعيدا عن المعركة غارقا في افلام الجنس الاجنبية والامريكية واجهزة الاعلام تبتعد به تماما عن المعركة » .

واكد قادة الطلبة ان الوف الطلاب يرددون « انهم لا يرضون ان يظلوا بلا دور وحبة واحدة من رمال بلدهم الغالية يدنسها العدو » . وان شباب هذه الامة يريد ان يحس بأن الدور يعطى له للاستفادة من طاقاته وليس لامتصاص انفعالاته » ، « وان سياسة الاعداد العسكري والمدني للشباب لن تتم بمجرد اعلان قرارات ولكن يجب ان تتم بالرغبة الحقيقية في الاستفادة من طاقات الشباب لا ان تظل حبرا على ورق »

وفي المناقشة ايضا كان هناك تأكيد على اهمية « فتح المجال امام شباب العمال لاخذ دورهم داخل النقابات العمالية لاعدادهم كقيادات نقابية للمستقبل » .

« وكذلك زيادة الاهتمام بشباب الفلاحين في القرية والذين كان حظهم من الاهتمام حتى الآن قاصرا والعناية بهم فكريا وسياسيا ودينيا وعسكريا قاصرة ايضا » . وزيادة الربط بين الشباب وذلك بعمل معسكرات عمل وتدريب مشترك لشباب العمال والفلاحين والطلاب وذلك

لخلق رابطة التعاون بين شباب منشآت قوى الشعب العاملة وتبادل الخبرات بينهم ، ولغرس معنى احترام العمل اليدوى .

وكان هناك اتجاه قوى يؤكد على « ان التنظيم السياسى للشباب هو ضمان استمرار الثورة الاشتراكية وهو الذى يصل بالشباب الى مستوى المسئولية التى سيواجهونها فى المستقبل ، وهو الوسيلة العلمية والعملية لتدعيم الجبهة الداخلية الشبابية » .

وهذا التنظيم السياسى للشباب هو الذى يتولى اعداد الشباب فكريا وسياسيا وفنيا ويتحمل مسئوليته بفهم للممارسة الايجابية فى خدمة المجتمع ويتولى تربيتهم بروح الولاء لتحالف قوى الشعب العامل .

وفى الحديث عن الشباب ودوره وكيفية اعداده احتل الحديث عن منظمة الشباب ركنا اساسيا فى النقاش وكان هناك تأكيد على الجوانب الايجابية التى حققتها المنظمة فى فترة عملها .

وفى المناقشة حول قضية تنظيم الشباب طرح اقتراحان أولهما يدعو الى اعادة بناء منظمة الشباب الاشتراكى على اساس ديمقراطى وبالانتخاب على جميع المستويات، واتاحة فرصة الانضمام لعضويتها امام جماهير الشباب بما يوفر القدرة على توجيه حركتهم لخدمة اهداف المرحلة الحالية ، على ان تكلف القيادة السياسية الشباب بمهمة قومية محددة يشعر من خلالها الشباب باهمية دوره فى المجتمع كما يشعر الشعب العامل بقيمة جهود الشباب وتضحياتهم على ان تكون هذه المهمة فى اطار خدمة المعركة وازالة آثار العدوان وتدعيم البناء الاشتراكى .

وفى قرار المؤتمر اكد على ضرورة « ان تعطى اهمية خاصة للشباب تكوينا وتنظيما وتوجيها مع العمل على توحيد الاشراف على انشطته المختلفة بما يحقق تكاملها وانسجامها فى ظل التنظيم السياسى . »

وبالرغم من ان معظم مناقشات المؤتمر حول قضايا التنظيم قد تركزت حول قضية تشكيل اللجنة المركزية التى استغرقت مناقشتها معظم الوقت الا ان عددا مهما من قضايا التنظيم قد طرحت وان الافكار التى قدمت فيها كانت بناءة .

وقد اشترك **خالد محيى الدين ومحمد فتح الله الخطيب وصالح الحسينى سالم وربيع صديق والدكتور عبد العزيز عبد الحافظ** فى معالجة مجموعة من القضايا التنظيمية الهامة ــ منها تحديد مفهوم الاتحاد الاشتراكى العربى والعلاقة بين المستويات التنظيمية ومعنى الالتزام وعلاقة التنظيمات الشعبية بالاجهزة التنفيذية والجهاز الطليعى .

عرف الاتحاد الاشتراكى بانه تحالف لكل قوى الشعب العاملة ، تحالف لكل الطبقات الوطنية التى توافق على الميثاق ــ ومعنى ذلك انه يجب ان يضم بالفعل قوى هذا التحالف بكل آرائها واتجاهاتها وان يحتضن هذه الاراء جميعا ويحاول ان يبلور منها فى النهاية رأيا موحدا ــ وهو قيادة لكل العمل السياسى بالجمهورية .

وأشار البعض الى ان المركزية التى كانت تسود العمل السياسى فى المرحلة الماضية وعدم اشتراك المستويات الادنى فى وضع التوصيات قبل تحويلها الى قرارات ، ادت الى ان التأصيل العقائدى كان بطيئا وربما كان متعثرا فى بعض الاحيان . والى ان القيادات المحلية كثيرا ما كانت تفاجأ بالقرارات عن طريق الصحف والاذاعة .

ان اسلوب العمل السياسى الصحيح بين مختلف المستويات يتطلب منح هذه المستويات قدرا كبيرا من حرية الحركة وانشاء خطوط اتصالات سريعة وكفء تسمح باعطاء للبيانات الكافية الدقيقة من المستويات العليا الى ما دونها ــ وبالعكس ، الامر الذى يجعل قرارات القيادة تصدر بعد اطلاع القيادة السياسية على اراء القاعدة بحيث تأتى القرارات متفقة مع اتجاه الراى الغالب فى التنظيم ، وبذلك يصبح الالتزام بهذه القرارات واجبا ، والاعضاء جميعا ملتزمون بالميثاق وملتزمون بجميع قرارات الهيئات القيادية فى اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا مادامت تصدر بقرار من تلك الهيئات ــ ومن الممكن عمل اجتهادات مادامت لا تمس الميثاق ولا قرارات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا .

وطالب عدد من اعضاء المؤتمر بانه يجب يكون لقوى الشعب العامل تنظيماتها الخاصة التى تعمل من اجل مصالحها الخاصة وفق ظروفها الخاصة .كاتحاد النقابات ومنظمة الشباب واتحاد الطلاب والاتحاد النسائى .

ولكى يمكن للاتحاد الاشتراكى الاشراف على هذه التنظيمات الشعبية المعاونة والتى تعمل فى مجالات عمل خاصة فيجب ان تعطى هذه التنظيمات حرية العمل بوسائلها وقياداتها واسلوبها . وعلى اعضاء الاتحاد الاشتراكى داخل هذه المنظمات ان يبذلوا جهودهم ووقتهم وتضحياتهم ليصبحوا قيادات طليعية لهذه المنظمات نتيجة للانتخابات وليس لهم سلاح للعمل فى هذه المنظمات سوى قوة الحجة والقدرة على الاقناع

وكسب ثقة واحترام الجماهير لتنفيذ قرارات اللجنة المركزية .

وهناك ضرورة ان يشترك الجهاز السياسى فى كل وحدة مع الجهاز الادارى التنفيذى فى وضع الخطة العامة للعمل بهذه الوحدة على ان تشتمل الخطة الخطوط العريضة فقط دون ما دخول فى التفصيلات .وان يقوم الجهاز السياسى بالمتابعة والرقابة فى اسلوب سياسى ، واذا اثمرت فكرة الاجتماع بين هيئات الاتحاد الاشتراكى والهيئات التنفيذية فيجب ان نؤكد فى نفس الوقت ان القرارات التى تخرج من هذا الاجتماع تكون قرارات ملزمة للجانبين .

ولقد اكد **خالد محيى الدين** على حقيقة انه اذا كانت اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية هى المخ الموجه ـ « فان الجسم يحتاج الى عمود فقرى يصلبه ـ والعمود الفقرى هو الطلائع الاشتراكية » .

واكد **محمد احمد عبد الهادى** ان الاتحاد الاشتراكى لن يأخذ دوره الفعال فى حشد قوانا على المستوى الشعبى الا اذا انطلق التنظيم الطليعى للاتحاد الاشتراكى العربى واخذ دوره فى كشف واختيار العناصر الممتازة فكريا وعقائديا ، وان يتحمل هذا التنظيم الطليعى مسئولية بناء الجيش الشعبى بكوادره السياسية .

كما اكد ان بناء التنظيم الطليعى هو الوسيلة للاطمئنان على مستقبل الحركة الاشتراكية واستمرار تقدم الثورة من خلال الاطمئنان على الكوادر المخلصة التى تشكل الصف الثانى والثالث .

وقد عرف السيد خالد محيى الدين الطلائع الاشتراكية بانها «اولئك الذين يظهرون فى حياتهم العادية استعدادا للتضحية بغير مقابل وتفانيا فى العمل دون النظر لمصلحة خاصة » .

ومن ابرز القضايا التى حسمتها اللجنة التحضيرية واخذ بها المؤتمر القومى هو اعتبار اللجنة المركزية مستوى تنظيميا قياديا وكانت هذه النقطة مثار مناقشات طويلة قبل المؤتمر ،وكانت هناك اراء عديدة تنادى بان تكون اللجنة المركزية هيئة تجمع المتخصصين واهل المعرفة فى مختلف الفروع وقد ترتب على اخذ المؤتمر باعتبار اللجنة المركزية مستوى تنظيميا ضرورة توافر شرط ٥٠٪ على الاقل من العمال والفلاحين بين اعضائها .

هذا وقد قامت مؤتمرات المحافظات باختيار ضعف العدد المخصص لها ، وقامت القيادة السياسية بتنسيق الترشيحات وقدمت للمؤتمر القائمة الكاملة من مائة وخمسين عضوا فاقرها المؤتمر بالاجماع وكذلك تم انتخاب خمسين عضوا احتياطيا .

وتضم اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ٢٣ وزيرا و ١٧ من اعضاء مجلس الامة و٣ رؤساء النقابات المهنية و٣رؤساء للنقابات العمالية،ومدير جامعة اسيوط و٨ من اعضاء هيئة التدريس بالجامعة والمعاهد و ٢١ من امناء المحافظات بالاتحاد الاشتراكى و ٨ محامين و ٧ من رؤساء مجالس ادارة الشركات والمؤسسات .

لقد اجمع المراقبون على ان البرنامج والقرارات الصادرة عن المؤتمر تمتاز بالوضوح والبساطة كما تمتاز بالشمول والتركيز « وان الاضافة الحقيقية الكبيرة للمؤتمر هى : ان يفتح السبيل لوحدة العمل الايجابى الفعال والمتابعة الواعية والرقابة الشعبية فى المجتمع كله » وان « المؤتمر كان خطوة فى سبيل القيادة الجماعية وانه بداية طيبة لروح البحث والتعمق ودراسة الامور دراسة علمية وافية » .

وبعد اعلان القرارات التى انتهى اليها المؤتمر، تصبح الحلقة الرئيسية فى الموقف الراهن هى « صياغة خطة التنفيذ والرقابة والمتابعة على جميع المستويات لانجاز الاهداف المعلنة والقضاء على حلقات الاختناق التى كانت تفصل دائما مابين القرار الثورى والتطبيق الثورى » .

لقد نبهت اللجنة التحضيرية فى تقريرها للمؤتمر الى ان « **شعبنا العامل يتوقع منا ان نضع ما نقول موضع التنفيذ وان نفعل ما نقرره حتى تتفق اقوالنا مع اعمالنا** » .

ومن فوق منصة المؤتمر وفى نهاية الدورة اعلن **الرئيس جمال عبد الناصر** « اننى فى مكانى ساضع كل قراراتكم موضع التنفيذ » .

وقد اكد احد المراقبين فى تعقيبه على ضمانات النجاح فى تنفيذ قرارات المؤتمر فاكد انها «تتوقف اساسا على تنشيط القاعدة الجماهيرية العريضة لقوى الشعب العاملة وتدعيم اساليب العمل الجماعى والمسئولية المشتركة للتخلص من آثار السلبية التى ترتبت على منهج العمل البيروقراطى بالقرارات العلوية » .

■

علامة هامة فى المواجهة مع العدو

مع بداية الدورة الجديدة للامم المتحدة ، اصدر الاتحاد السوفيتى بيانا اعاد فيه تحديد وتأكيد موقفه من ازمة الشرق الاوسط ومسئولية اسرائيل فى تفجير الموقف رفضهـا

بتأييد من امريكا ان تنفذ قرارات الأمم المتحدة ، وقدم يوثانت تقريرا الى الدورة الثالثة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة اعلن فيه عن خيبة أمله لانه لم يحدث اى تقدم على الاطلاق فى الجهود التى بذلها جونار يارنج لتطبيق قرار مجلس الامن .

ويكاديكون هناك اجماع بين المراقبين السياسيين على خطورة الموقف على الجبهة المصرية ، وان العدوان الاسرائيلى متوقع فى اى لحظة . وكانت اسرائيل قد اعلنت من قبل ، ان الخط الساخن بدأ ينتقل من الجبهة الاردنية الى الجبهة المصرية .

وترجع بداية هذه الازمة الى يوم ٢٦ اغسطس الماضى ، عندما تقدمت اسرائيل بشكوى الى الجنرال اودبول كبير مراقبى الامم المتحدة ، تتهم فيها الجنود المصريين او رجال المقاومة بنصب كمين لسيارة جيب عسكرية اسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وقد ادى الحادث الى مقتل جنديين اسرائيليين وفقد ثالث ادعت بانه خطف الى الضفة الغربية للقناة .

وفى الاجتماع الذى عقده مجلس الامن فى ٩/٤ لبحث شكوى اسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة قدم يوثانت تقريرا جديدا عن الحادث جاء فيه : ان المراقبين عندما طلبوا مشاهدة جثث القتلى من افراد الدورية الاسرائيلية ، قيل لهم ان الجثتين نقلتا من المنطقة لدفنهما فى نفس اليوم ، ولذلك لم يستطع المراقبون التأكد من مقتل الجنديين ، الا ان اثار دماء وثلاث خوذات فولاذية شوهدت مكان الحادث .

وهاجم محمد عوض القونى مندوب الجمهورية العربية المتحدة مزاعم واتهامات اسرائيل ، التى لم يؤكدها او يساندها المراقبون التابعون للامم المتحدة فى المنطقة ، ودعا المجلس الى ضرورة البحث عن الدوافع التى ادت باسرائيل الى اثارة هذه الشكوى التى لا اساس لها ، وان اسرائيل نادرا ما لجأت الى المجلس وقد فضلت دائما الالتجاء الى القوة السافرة لتحقيق اغراضها ، واذا قررت اسرائيل اليوم الرد بطريقة مغايرة فان مصر يساورها الشك لانه ليس مستغربا على اسرائيل ان تستخدم لغة السلام بينما هى تعتزم الالتجاء الى الحرب » .

وقد اظهرت نتائج مناقشات مجلس الامن فشل اسرائيل والولايات المتحدة وبقية الدول الغربية لحمل المجلس على قبول مشروع قرار يستنكر ماسمى بعدوان الجمهورية العربية المتحدة على اسرائيل ، لعدم اقتناع اغلبية اعضاء المجلس بجدية شكواها .

وهدد الاتحاد السوفيتى باستخدام « الفيتو » ضد أى مشروع قرار يؤيد شكوى اسرائيل الملفقة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، واعلن جاكوب ماليك مندوب الاتحاد السوفيتى : « انه يرفض صدق الشكوى الاسرائيلية بعد ما اذيع ان مراقبى الامم المتحدة لم يستطيعوا فحص الجثتين ، مما يوضح ان الشكوى تستهدف تضليل الرأى العام العالمى ، وان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر مسئولة عن الاحداث التى تقع فى ارض تحتلها اسرائيل » .

وفى ذلك الوقت وقبل ان ينتهى المجلس من بحث شكوى اسرائيل ، فوجىء العالم فى يوم ٩/٨ بالعدوان الاسرائيلى المدبر على منطقة السويس .

ويجمع المراقبون على ان معركة يوم ٩/٨ تعتبر علامة هامة فى المواجهة العربية مع العدو . وجاء فى بيان القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية « وقد طلبت هيئة الرقابة الدولية وقف اطلاق النيران ، بناء على طلب الجانب الاسرائيلى واوقف اطلاق النيران فى الساعة السابعة واربعين دقيقة . واشترطت القيادة العامة للقوات المسلحة عدم تدعيم العدو لقواته الامامية على الضفة الشرقية كشرط لايقاف اطلاق النيران . وتعلن القيادة العامة للقوات المسلحة ازاء هذا التركيز المدبر بالنيران على المدن المصرية ، انها سوف تباشر اعمال الدفاع الوقائية ضد القوات الاسرائيلية المعتدية التى توجه نيرانها على المدن المصرية الآهلة بالسكان المدنيين من اليوم » . واعلن المتحدث العسكرى ان خسائرنا من العسكريين خمسة شهداء و ١٢ اصابة طفيفة ، اما بالنسبة للمدنيين فقد امكن حصر ٦ شهداء وعشرين جريحا ، بالاضافة الى اصابة عدد من المبانى والمنشآت المدنية فى بور توفيق والسويس .

وقد حاولت اسرائيل ان تخفى جريمتها ، وخرق قرار وقف اطلاق النار ، وفى وقت لاتزال شكواها مطروحة امام المجلس ، فزعم المتحدث العسكرى ان القوات المصرية هى التى بدأت باطلاق النار عندما كانت فصيلة من الجيش الاسرائيلى تنسف مجموعة من الالغام على الضفة الشرقية ، كما بعثت اسرائيل الى مندوبها فى الامم المتحدة ليطلب اجتماع عاجل لمجلس الامن فى نفس الليلة .

وعقد مجلس الامن جلسته الطارئة فى ٩/٩ بناء على طلب كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة بشأن الاشتباك الاخير ، حيث استمع المجلس الى تقرير الجنرال اودبول كبير مراقبى الامم المتحدة كما تحدث فى هذه الجلسة مندوب اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وجاء فى تقرير كبير المراقبين « ان سبعة من ثمانية مراكز للمراقبة الدولية على طول القناة

اشارت الى ان الجانب المصرى هو الذى بدا باطلاق النيران، وان المركز الثامن ابلغ بان القوات الاسرائيلية هى التى بدأت باطلاق النيران ، وذكر التقرير ان الجانب الاسرائيلى ابلغه بان خسائره بلغت ٨ قتلى من الجنود و ١٧ جريحا . وقال التقرير ، ان القوات الاسرائيلية استخدمت قذائف الصواريخ التى تطلق من الارض الى الارض ».

وقد اصدر المجلس فى نهاية الجلسة قرارا لا يختلف فى جوهره عن كثير من قراراته السابقة ، حيث عبر عن « اسفه العميق للخسائر التى لحقت بالارواح ، ويطالب الطرفين بمراعاة وقف اطلاق النار الذى نصت عليه قرارات مجلس الامن مراعاة كاملة » .

كذلك ، اكد المجلس القرار السابق الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بشأن حل ازمة الشرق الاوسط، ودعا جميع الاطراف الى التعاون الى اقصى حد مع جونار يارنج الى الشرق الاوسط لانجاح مهمته. وقد وافق المجلس بالاجماع على مشروع القرار ، باستثناء الجزائر التى امتنعت عن التصويت حيث تعتبر ان المجلس بهذا القرار لم يقترب خطوة فى سبيل انهاء العدوان القائم فعلا باستمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية .

وفى نفس الوقت تشير كل الانباء الواردة من داخل اسرائيل ، الى ان هناك عملا خطيرا يتم اعداده ، بهدف اعادة الثقة الى اسرائيل بعد معركة المدافع الاخيرة ، واشتداد المقاومة فى الاراضى العربية المحتلة .

■

تدعيم الجبهة الاردنية واستمرار التنسيق العسكرى

أثار اجتماع وزراء الخارجية العرب فى القاهرة ، اهتمام المراقبين والرأى العام فى العالم العربى ، وذلك لعدة اسباب :

فمن ناحية ، فانه ينعقد بعد مرور عام على مؤتمر القمة العربى الخامس بالخرطوم ، فى اواخر اغسطس ١٩٦٧ ، وانقضاء حوالى عشرة شهور على قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر الماضى ، والذى يتضمن بين مواده مطالبة اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية ، واضطلاع المبعوث الدولى جونار يارنج بمهمته ، وفى وقت لا يبدو هناك اى امل فى الحل السلمى ، طبقا لقرار المنظمة الدولية ، فضلا عن استمرار الاعتداءات الاسرائيلية على البلدان العربية ، وطرد الاهالى العرب من اراضيهم ، ومحاولات تهويد المناطق المحتلة . . كما يرجع من ناحية اخرى الى اهمية الموضوعات التى تناولها المؤتمر والمتصلة بالازمة مباشرة ، وهى :

- مهمة جونار يارنج مبعوث الامم المتحدة الى الشرق الاوسط .
- الوضع على الجبهة الاردنية .
- دور المقاومة الفلسطينية .
- تقييم الموقف العربى .

وقد عرض **محمود رياض** لتطور الاحداث منذ صدور قرار مجلس الامن فى نوفمبر الماضى ، ومهمة مبعوث الامم المتحدة دكتور جونار يارنج ، وما اصابها من جمود ، حتى انها اصبحت تدور فى حلقة مفرغة لا تنتهى الا الى طريق مسدود ، بسبب موقف اسرائيل استخفافا بالقرارات الدولية ، كما تطرق الى الموقف العسكرى وصمود الجبهة المصرية والاردنية ، واكد ردا على حملات التشكيك والدعاية الاستعمارية ، بانه لن تكون هناك تنازلات ، بل اصرار على الصمود والمقاومة وطالب فى ختام كلمته ، ان ينظر العرب فيما يجب عمله فى حالة فشل مهمة جونار يارنج ، وقال : ان الخطوات الايجابية الخاصة بالدفاع عن الجمهورية العربية المتحدة قد استكملت ، وانه يجب الاهتمام كل الاهتمام بالجبهة الاردنية .

وتحدث الدكتور **عبد المنعم الرفاعى** عن الموقف الخطير فى الجبهة الاردنية ، والضغط الشديد الواقع عليها ، والصعوبات التى يمر بها الاردن فى هذه الظروف ، واصراره على الصمود والمقاومة . واشار وزير خارجية الاردن فى نهاية كلمته : الى اهمية الجبهة الاردنية بالنسبة لكل العرب ، وان مسئوليتهم الا تنهار هذه الجبهة .

كما اشار الشيخ **على عبد الرحمن** وزير خارجية السودان ، الى المسئولية التى تقع على عاتق العرب جميعا ، وحاجتهم الى وضع خطط للتنسيق السياسى والعسكرى فيما بينهم ، وضرورة تقديم كل ما يساهم فى تقوية الجبهات العربية ، والتصدى للمخططات الصهيونية التوسعية ، وتحرير الاراضى العربية المحتلة مهما كانت التضحيات .

وطالب وزير خارجية الكويت الشيخ **صباح الاحمد** فى كلمته بتعزيز صمود الجبهة الاردنية ، وقال : اننا متفقون على ان تكون هناك خطوة ايجابية نابعة من موقف ايجابى .. كما عرض **يحيى حمودة** رئيس منظمة تحرير فلسطين لوجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية فى الموقف .

ومن الملاحظ ان الجدية والاحساس بخطورة الموقف كانت الطابع العام للمؤتمر ، وان المجلس لم يضيع وقتا فى هذه الظروف ، واكتفى بالتقارير

المقدمة من محمود رياض والدكتور عبد المنعم الرفاعى ، وايضا كلمة رئيس وفد السودان ، وراى رئيس وفد الكويت . ثم انتقل بعد ذلك الى مناقشة احتمالات المرحلة القادمة ، وخاصة فى حالة فشل محاولات الحل السياسى للازمة ، وتعرض بالتفصيل لمسالة دعم وتقوية الاردن ، ودعم وتعزيز المقاومة الفلسطينية فى الارض المحتلة . وقد اظهرت المناقشات اتفاق المجلس على خطورة الموقف فى الجبهة الاردنية ، وايضا بالنسبة لاهمية دور المقاومة فى الارض المحتلة .

والملاحظ ان اقتراح محمود رياض بضرورة الاهتمام بدعم وتقوية الجبهة الاردنية ، واقتراحه الاخر باستمرار التنسيق العسكرى بين الدول العربية الواقعة على خطوط القتال فى المرحلة الحالية التى تتطلب مزيدا من الصمود ، بدلا من تبديد الوقت فى الاعداد لمجلس الدفاع العربى المشترك ، لقيا استحسانا وتأييدا شديدا من كل من **عمر السقاف** رئيس وفد المملكة السعودية والدكتور **ابراهيم ماخوس** رئيس وفد سوريا .

وقد انتهى اجتماع وزراء الخارجية العرب بالموافقة على القرارات التالية :

١ ــ دعم الجبهة الاردنية وتقوية دفاعها ، بحيث يقدم هذا الدعم فى اقرب وقت ممكن ، على ان تتولى كل دولة مساعدة الاردن وفقا لمقدرتها من امكانيات مالية وعسكرية وبشرية .

٢ ــ دعم المقاومة الفلسطينية ، والاشادة بالكفاح البطولى الذى يخوضه الشعب العربى الفلسطينى لمواجهة العدوان الاسرائيلى .

٣ ــ بذل الجهود لدى الامم المتحدة والمنظمات والهيئات الدولية لمنع اسرائيل من تغيير الوضع فى مدينة القدس ، وطمس معالمها العربية ، والمحافظة على المقدسات الاسلامية والمسيحية فيها .

٤ ــ استمرار بقاء **عبد الخالق حسونة** فى منصب الامين العام لجامعة الدول العربية لمدة سنة اخرى ، ابتداء من ١٥ سبتمبر الحالى .

ولم يتخلف عن هذا الاجماع العربى ، غير وفد تونس ، وكان رئيس وفد تونس ــ وهو فى نفس الوقت سفير تونس فى ليبيا ــ قد اصر فى بداية اجتماعات المجلس على قراءة بيانه المتصل بأزمة الشرق الاوسط ، وتهجم فيه على الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول العربية الاخرى ، وتعرض فيه بالنقد لمبدأ مؤتمر القمة بالخرطوم ، والخاص « برفض الصلح او المهادنة او المفاوضة مع اسرائيل » . وقد فشلت كافة المساعى والجهود لكى يعدل رئيس وفد تونس عن موقفه أو يقوم بحذف العبارات التى يتهجم فيها على بعض الدول الاعضاء ، فضلا عن مخالفته للائحة المجلس الداخلية ، والخروج على جدول اعمال المجلس . وذلك حرصا على وحدة التضامن العربى فى هذه المرحلة الدقيقة الصعبة التى تجتازها القضية العربية .

وقد اتصل الدكتور عبد المنعم الرفاعى رئيس وفد الاردن ورئيس المجلس تليفونيا بوزير خارجية تونس ، ونجل الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة ، وشرح له اهمية الاجتماع وخطورة الوضع ، وطلب منه ان يصدر تعليماته الى رئيس وفد تونس بسحب بعض الفقرات التى وردت فى بيانه ، ولكنه رفض ذلك واصر على ان يتبع رئيس الوفد تعليمات الحكومة التونسية ، الامر الذى اثار استنكار جميع الوفود ، التى اصرت على تطبيق اللائحة الداخلية للمجلس ، ومنع رئيس وفد تونس من القاء بيانه ، وممارسة عمله التخريبى ، وان تتحمل تونس وحدها ما حدث ، على ان يحكم الرأى العام العربى على موقف تونس فى هذه الظروف الدقيقة الصعبة التى تجتازها القضية العربية .

■

المؤتمر السابع لاتحاد طلاب الجمهورية

بالرغم من ان المؤتمر قد عقد خلال الاجازة الصيفية ــ وفى فترة ازدحمت بمشكلات القبول وتغيير المناهج ــ فقد نجح المؤتمر فى جذب الانتباه ، ويرجع ذلك لسبب « أن الدور التاريخى الذى تحمله شباب الجامعات دائما فى تاريخ التطور فى بلدنا ، وفى كل بلد لم يكن فى يوم من الايام بمثل هذه الاهمية التى تأكدت له فى ظروف التحدى الخطير الذى يواجهنا على طريق المستقبل » . كما ان « شباب الجامعات والمعاهد لا يشكل طبقة منعزلة ، بل هو جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع يتحركون مع آماله وامانيه » .

ومن هذه الزاوية ايضا ، تطلع المهتمون بالعمل الطلابى ، لان يقوم الاتحاد بتوحيد « العناصر الطلابية المختلفة فى الريف والمدينة ، بتعدد اهتماماتها ، واختلاف بيئاتها ، وظروفها الاجتماعية ــ حتى يكون اتحاد الطلاب وسيلة للطالب ليعرف نفسه ويفهمها من خلال معرفة الحياة وظروفها فى مجتمعنا كله » .

ويرى المراقبون ان عمل المؤتمر يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام اساسية :

١ ــ مناقشة نشاط الاتحاد خلال السنتين

السابقتين للمؤتمر ، ومتطلبات العمل في المرحلة القادمة .

٢ ـ اقرار اللائحة الجديدة للاتحاد .

٣ ـ تنظيم صلة الاتحاد وخطة عمله بالنسبة للهيئات الطلابية العالمية والعربية والافريقية ، بما في ذلك حل بعض المشكلات المطروحة في هذه العلاقات .

اولا : نشاط الاتحاد ومتطلبات العمل :

ابرز التقرير الذى قدمه رئيس الاتحاد ، ان نشاط الاتحاد في الفترة السابقة ، الممتدة من ابريل ١٩٦٦ ، الى اغسطس ١٩٦٨ ، قد تميز بعملين اساسيين :

١ ـ اقامة معسكر لاعداد قيادات الاتحادات الطلابية في شهرى يوليو واغسطس عام ١٩٦٦ ، استفاد منها الف طالب وطالبة .

٢ ـ الجهود التى بذلتها الهيئة التنفيذية للاتحاد في اتصالها بالمسئولين عن التدريبات العسكرية ، وذلك للاهتمام الكامل بالتدريب في الجامعات وتحديد دور اتحادات الطلاب ، واتمام تدريب عدد من طلاب جامعة القاهرة عسكريا على مستوى عال من الكفاءة ..

واكد التقرير ان الاتحاد العام للطلاب يجب ان يكون تنظيما طلابيا يعمل في الاطار التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى ، ويعبر الاتحاد عن وجهة نظر الطلاب ، ويرعى مصالحهم ويناقشها مع المسئولين ويوجد الحلول اللازمة لها .

كما طالب التقرير بأن يكون للاتحاد ميزانية مستقلة ومبنى خاص به ، يستطيع ان يباشر عمله ، وان تكون للاتحاد صحيفة خاصة به ، وان يخصص للاتحاد جهاز مالى وادارى متفرغ يشرف عليه الاتحاد ويخضع لتوجيهه .

اللائحة الجديدة :

وقدم الدكتور **صفى الدين ابو العز** وزير الشباب مشروع اللائحة الجديدة التى اعدتها اللجنة الاستشارية بوزارة الشباب ودعا المؤتمر لمناقشتها بوصفها مشروع غير ملزم .

وقد اكد سيادته للمؤتمر ان مشروع اللائحة الجديدة من صنع الطلاب انفسهم ، وانها تمثل تطورا في الحركة الطلابية ـ وانه قد ازيلت كافة صور الوصاية التى فرضت على الحركة الطلابية .

هذا ويرى المراقبون ان من اهم ما جاء في مشروع اللائحة الجديدة هو المحافظة على وحدة الحركة الطلابية داخل الجمهورية العربية المتحدة حتى لاتكون هناك اتحادات طلابية منعزلة ، بل اتحاد واحد يربط القاعدة الطلابية بتنظيم واحد ينظم حركتها ويدفعها للترابط .

كما ان اللائحة الجديدة قد نصت على الغاء رواد الشباب بالكليات والمعاهد والجامعات .

صلة الاتحاد بالهيئات الاخرى :

دعا المؤتمر الى اعاده تكوين منظمة الشباب ، على اساس ديمقراطى ـ ومن اجل تنسيق العمل وحل المشكلات المشتركة ، ودعا المؤتمر الى تشكيل مكتب طلابى في الاتحاد الاشتراكى يتكون من المقرر ، والمقرر المساعد لمنظمة الشباب والامناء ، والامناء المساعدين للاتحادات الطلابية في الكليات .

وقرر المؤتمر تحويل تجمعات المبعوثين في الخارج الى فروع للاتحاد العام ، وتحديد اسلوب عملهم وعلاقتهم بالطلاب في الداخل ، والعمل على تحقيق مزيد من الانفتاح على العالم الخارجى ، لتوثيق العلاقات مع الطليعة المثقفة من شباب العالم من خلال التنظيمات الطلابية المختلفة ، وفي هذا الاتجاه قرر المؤتمر الانضمام لاتحاد الطلاب العالمى ببراج ، الذى يضم ٨٦ اتحادا طلابيا .

كما وافق المؤتمر على الاتفاق الذى تم مع اتحاد الطلاب العالمى ، لاقامة معسكر عمل دولى لانشاء مساكن للطلاب الذين اضيروا في العدوان.

وقرر المؤتمر اقامة ندوة عالمية للاتحادات الطلابية لمناقشة دور هذه الاتحادات في دعم البناء الاشتراكى والتحول الاجتماعى في البلدان النامية .

وقرر المؤتمر ضرورة العمل على احياء منظمة الوحدة الطلابية الافريقية ، ومواجهة الانشقاق الذى تعرضت له الاتحادات الافريقية الوطنية ، ومنظمة الطلاب الافريقيين ، على اعتبار ان هذه الوحدة اساسية في مواجهة التسلل الصهيونى في القارة الافريقية .

■

الاجتماع التحضيرى العالمى للمؤتمر الدولى الثانى لنصرة الشعوب العربية

في اكتوبر من العام الماضى عقد في نيودلهى المؤتمر العالمى لنصرة الشعوب العربية.. وكان انعقاده تتويجا لنشاط متزايد في كل أنحاء الهند ، قادته ونظمته حركة السلام الهندية ولجنة التضامن الاسيوى الافريقى واتحاد عمال الهند.. وعدد كبير من الشخصيات الاجتماعية البارزة منهم مائة من أعضاء مجلس النواب .. ومن هؤلاء جميعا تكونت لجنة هندية لتنظيم عملية التأييد

والمناصرة للشعوب العربية ضد العدوان الصهيوني الامبريالي وانتخب السيد/كريشنا مينون رئيسا لهذه اللجنة .

وقد نجح مؤتمر نيودلهي واتخذ سلسلة من القرارات الاجماعية أدان فيها العدوان الاسرائيلي وطالب بسحب القوات المعتدية على الفور.. كما قرر اعتبار يوم ٢٥ يناير يوما عالميا للتضامن مع الشعوب العربية وتشكيل لجنة دولية لتنظيم ومتابعة حشد الجهود العالمية تأييدا للحق العربي .

وبناء على طلب من رئيس هذه اللجنة العالمية السيد/ كريشنا مينون اتفق على أن يعقد في القاهرة في أواخر شهر يناير القادم « المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية » .

.. وتكمن أهمية هذا المؤتمر في أنه سيعقد في فترة يتصاعد فيها النضال الفلسطيني على الارض المحتلة بحيث يجذب انتباه كثير من قوى الرأي العام العالمي .. وتتزايد فيه أيضا حدة القمع الوحشي الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية المحتلة ضد السكان العرب، ويتزايد فيه افتضاح السياسة الاسرائيلية كسياسة قائمة على العدوان وانتهاك حقوق الغير وتجاهل ميثاق الامم المتحدة وقرارات منظماتها .. وباختصار فان هذا المؤتمر يعقد في ظل حدوث تطور هام في موقف الراى العام العالمي لصالح الحق العربي .

وانطلاقا من هذه الزاوية تبدأ عملية الاستعداد للمؤتمر العالمي الكبير . وهكذا نبتت فكرة الدعوة لعقد اجتماع تحضيري عالمي ليناقش مع ممثلي الراى العام العالمي أفضل الوسائل والاساليب لانجاح المؤتمر .

وقد وجهت هذه الدعوة باسم السيدين / كريشنا مينون وخالد محيى الدين .

وفي ١٠ سبتمبر احتشد في قاعة الشعب ٦٩ مندوبا يمثلون ٤٧ منظمة عالمية وقومية ليناقشوا الخطوات التنظيمية لعقد المؤتمر العالمي .. وقد رأس الاجتماع خالد محيى الدين وجلس معه على منصة الرئاسة روميش شاندرا السكرتير العام لمجلس السلام العالمي .. ويوسف السباعى السكرتير العام لمنظمة التضامن الاسيوى الافريقي .

.. واتخذ الاجتماع التحضيرى سلسلة من القرارات :

اسم المؤتمر : المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية .

موعد انعقاده : ٢٥ ــ ٢٨ يناير ١٩٦٩ .

مكان الانعقاد : القاهرة .

التمويل : عن طريق حملة تبرعات تنظمها المنظمات العالمية ولجان تحضيرية قومية تشكل في مختلف البلدان .

كذلك قرر المؤتمر تشكيل **لجنة تنظيمية** تشرف على الاعداد للمؤتمر وتدعو لتكوين لجنة تحضيرية عالمية توجه الدعوة للمؤتمر باسمها .

وتضم اللجنة التنظيمية كل من خالد محيى الدين سكرتيرا عاما وكريشنامنون رئيس اللجنة الدولية المنبثقة عن مؤتمر نيودلهى . وروميش شاندرا السكرتير العام لمجلس السلام العالمى.. ويوسف السباعى السكرتير العام لمنظمة التضامن الاسيوى الافريقي .. ومندوبى اتحاد النساء الديمقراطى العالمى .. واتحاد الشباب الديمقراطى العالمي . واتحاد الطلاب العالمى . واتحاد عمال افريقيا . واتحاد العمال العرب . واتحاد المحامين العرب ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقرر الاجتماع التحضيرى أن هذه اللجنة تملك الحق في ضم عدد آخر من الشخصيات والهيئات والمنظمات القومية والعالمية لضمان حسن سير عمليات الاعداد .

وقد اصدر الاجتماع ورقة توصيات وافق عليها بالاجماع .. وتقول هذه الورقة .. انه « نظرا لخطورة الموقف في الشرق الاوسط نتيجة لرفض اسرائيل الجلاء عن المناطق التى تحتلها منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وعدم انصياعها المتكرر لقرارات الامم المتحدة واستمرارها في انتهاج سياستها المدبره لضم الاراضى التى قامت بغزوها وقيامها بالتنكيل بالسكان العرب في المناطق المحتلة والهجمات المسلحة المستمرة التى تشنها على الاردن و ج.ع.م وسوريا . يعلن الاجتماع التمهيدي ضرورة عقد مؤتمر ثان لتأييد الشعوب وأن يعقد في ٢٥ ــ ٢٨ يناير ١٩٦٩ .

.. ونظرا لطبيعة المؤتمر يرى الاجتماع التمهيدى انه يجب التوسع في اشتراك المنظمات والحركات والشخصيات الى اوسع مدى وعليه ان يعمل بصفة خاصة عن طريق لجان عمل تقوم ببحث مختلف أوجه أزمة الشرق الاوسط بحثا واسع المدى .. ويمكن تشكيل اللجان الاتية :

ــ اسباب ازمة الشرق الاوسط وطبيعة هذه الازمة .

ــ ازمة الشرق الاوسط في نظر القانون الدولي .

ــ موقف اللاجئين الفلسطينيين العرب .
ــ الموقف داخل المناطق المحتلة .
ــ موقف الاقلية العربية في اسرائيل .
ــ حقوق الشعب الفلسطيني .
ــ ازمة الشرق الاوسط والسلام العالمى .
ــ المساعدة المادية .

وسوف تتيح وثائق المؤتمر والتقارير المختلفة ونتائج البحوث التى ستقوم بها اللجان بتجميع

مجموعة وافرة من الوثائق ستسهم بطريقة فعالة فى حملة الاعلام الموجهة الى الرأى العـام .
ويكلف المشتركون فى هـذا الاجتماع اللجنة التنظيمية بعمل الاتى :
ـ القيام بتكوين لجنـة كبيرة للتأييـد تضم شخصـيات على اعلى مسـتوى عالمى وممثلين لمنظمات قومية ودولية .
ـ توجيه نداء يدعو الى عقد هـذا المؤتمر .
ـ تكليف متخصصين لكتابة التقارير اللازمة للمؤتمر ولجانه المختلفة .
ـ الاتصال باكبر عدد ممكن من الشخصيات والمنظمات القومية والدولية .
ـ القيام بحملة اعلامية عـن طريق الكتيبات واصدار نشرة خاصة .
ـ تتعهد المنظمات المشـتركة فى الاجـتماع بتقديم كل مسـاعدة عملية ومادية وسياسية للجنة التنظيمية .
ـ يوجه المشتركون فى الاجتماع شكرهم الحار الى سلطات ج.ع.م منظماتها للمساعدة الثمينة التى تقدمها من أجل تنظيم هذا المؤتمر .
ويرى الاجتماع ايضـا انه يتعين على كـل المنظمات الدولية والقومية فى تغطية نفقات اعداد وعقد هـذا المؤتمر . وعلى اللجنـة التنظيمية تخصيص صندوق خاص وتوجيه نداء الى الرأى العام لجمع التبرعات » .
والحقيقة ان هذه التوصيات تكفل ـ لو نفذت ـ تحقيق نجاح كبير للمؤتمر .. ومن هنا فاننا نود ان تؤكد ان تنفيذ هذه التوصـيات ليس مهمة اللجنـة التنظيمية وحـدهـا ولا مهمة اللجنة التحضيرية القومية فى ج.ع.م، التى يجرى تشكيلها الان وانما هى مهمة كـل انسـان عربى يؤمن بضرورة خوض المعركة على كافة المستويات ضد العدوان ويؤمن بأهمية كسب الرأى العام العالمى لصف الحق العربى .

■■■

■ **الجزائر**

أقصى طـاقة للمنظمة فى الظروف الحـالية

فيما عدا ثلاثة قرارات ايجابية ، ينظر المراقبون الافريقيون الى بقيـة القرارات ، التى اصـدرها مؤتمر القمة الافريقى الذى عقد **بالجزائر** فى منتصف الشهر المـاضى ، على انهـا قرارات « تنظيمية » اكثر منها « سياسية أو « تقليدية» تصدر كل عام .
واول القرارات الايجابية ، قرار المؤتمر الخاص بأزمة الشرق الاوسط التى اثارها كل من الرئيس الجزائرى **هوارى بومدين** ، والملك **الحسـن** ملك **المغرب**، ووفد **السودان** برئاسة **اسماعيل الازهرى** رئيس مجلس السـيادة . وكان **محمود رياض** وزير خـارجية **الجمهورية العربية المتحدة** قـد القى بيـانا امام المؤتمر شرح فيه تطورات أزمة الشرق الاوسط ووجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة .
ونتيجة لهذه الجهود ، وبناء على اقتراح وفد السودان ، اقر مؤتمر القمة الافريقى ـ باغلبية ٣٦ دولة وامتناع **ليسـوتو وبتسـوانا** عـن التصويت ـ نص القرار التالى : « بعد ان استمع مؤتمر رؤساء الدول والحـكومات الافريقية الى بيان وزير خارجية الجمهورية العربية المتحـدة عن ازمة الشرق الاوسط وعن موقف الجمهورية العربية المتحدة خاصة :
١ ـ يعلن انه اخذ علما ببيان وزير خـارجية الجمهورية العربيـة المتحـدة عـن أزمة الشرق الاوسط .
٢ ـ يؤكد فى هذه المناسبة تأييده للجمهورية العربية المتحدة .
٣ ـ يـدعو الى انسحـاب القوات الاجنبية من الاراضى العربية المحتلة منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ وفقا للقرار الذى اتخـذه مجلس الامن يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . ويدعو جميع الدول الاعضـاء فى منظمة الوحـدة الافريقية الى ان تعمل على التطبيق الحازم لهذا القرار » .
وقد وصف محمود رياض هذا القرار بانـه « مظاهرة افريقية على مستوى الرؤساء لتأكيد تضـامنهم مع الجمهورية العربية المتحدة » .
وجدير بالذكر ان الرئيس **جمال عبد الناصر** ، الذى لم يتمكن من حضور المؤتمر بسبب انعقاد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى من جهة ولاسباب صحية من جهة اخرى ، كان قد وجه التحية الى مؤتمر القمة قـائلا :« احنا فى مصر نتمنى لمؤتمر القمة الافريقى المنعقد فى الجزائر كل نجاح . وان الدول العربية الموجودة فى المؤتمر تستطيع ان تبرز القضية العربية ابرازا كاملا » .
اما القرار الايجـابى الثـانى للمؤتمر ، فهو القرار المتعلق بمشكلة الحرب الاهلية فى نيجيريا ، فقد استنكر القرار « انفصال **بيافرا** » ودعا الى « انهاء القتـال » واوصى بان تصـدر السلطات النيجيرية عفوا عاما اذا وافقت بيافرا على التعاون مع حـكومة لاجوس . كما اوصت دول القـارة « بالامتناع عن اية اعمال يمكن ان تصيب التكامل الاقليمى لنيجيريا » . وقد وافقت ٣٣ دولة على القرار وصوتت ضده ٤ دول هى :**ساحل العاج وزامبيا وتنزانيا وجابون** وهى الدول التى اعترفت فى الشهور القليلة الماضية « باستقلال بيافرا » .

ومن المعروف ان المؤتمر قد اتخذ هذا القرار بناء على توصية التقرير الذي قدمته « لجنة الوساطة » . المشكلة من ست دول افريقية ويرأسها الامبراطور هيلاسلاسي . ويرى المراقبون ان الدول الافريقية قد راعت في قرارها هذا التأكيد على مبدأ صون الوحدة القومية لاراضي كل دولة افريقية ، ومن الملاحظ ان الغالبية العظمى للدول الافريقية حريصة كل الحرص على عدم اقرار « سابقة » للانفصال حتى لا يترتب على ذلك تشجيع اعمال مماثلة خاصة وان معظم الدول الافريقية تعاني من الخلافات والحزازات القبلية ، واستنادا الى هذه الاسباب ، يبدى المراقبون الافريقيون تحفظاتهم حول اعتراف ٤ دول افريقية ببيافرا .

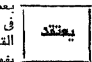
والقرار الثالث الايجابي للمؤتمر ، هو القرار الخاص بسحب الثقة من حكومة انجولا من المنفى التي يراسها روبرتو هولدن ، واقرت المنظمة في قرار المؤتمر ،الحركة الشعبية لتحرير انجولا التي يراسها د. اوجستو نيتو ، كممثلة شرعية لشعب انجولا في كفاحه الوطني المسلح من اجل استقلاله . ومن المعروف ان كثيرا من الشكوك كانت تحوم حول حكومة انجولا في المنفى ، وتدور جميعها حول القول بان ثمة علاقة بينها وبين امريكا عن طريق السفير الامريكي في الكونجو كينشاسا . ومعروف كذلك ان الحركة الشعبية لتحرير انجولا كانت تتهم حكومة هولدن باغتيال عدد من اعضائها . ويرى المراقبون الافريقيون ، ان قرار المؤتمر هذا جاء بمثابة اعتراف لواقع موضوعي فرضه نضال الحركة الشعبية نفسها والتي تسيطر على جبهة الكفاح المسلح ضد البرتغاليين .

ومن الملاحظ ان المراقبين السياسيين ـ على مختلف اتجاهاتهم ـ كانوا يقدرون حتى منذ قبيل انعقاد المؤتمر ، الصعوبات التي تواجهه كنتيجة للظروف الراهنة التي تجتازها قارة افريقيا في صراع شعوبها ضد الاستعمار القديم والجديد .

■■■

■ **نيجيريا :**

اختيار صعب : أفريقيا .. أم الغرب ؟



بعض المراقبين أن الحرب الاهلية في نيجيريا ، قد تسفر في الاسابيع القادمة عن تطورات هامة ، ربما يفوق حجم تأثيرها لا على حدود نيجيريا فحسب ، وانما على حركة الاحداث في افريقيا ككل .

ويستند هؤلاء المراقبون في اعتقادهم هذا، الى شواهد توحي بها ـ او تنبىء بهما على وجه ادق ـ احاديث وكتابات بعض الصحف البريطانية والفرنسية واسعة الاطلاع ، بل وبعض الصحف الالمانية ايضا .

تقول **الايكونوميست** البريطانية « ويمكن أن تضطلع قوة تابعة للكومنولث ، بمهمة وقف اطلاق النار وضمان عدم تجدد المعارك بين القبائل في نيجيريا ، والواقع ان الكومنولث ، وليس منظمة الوحدة الافريقية ، هو الذي يملك القدرة الاكبر على تقديم افراد القوة العسكرية اللازمة » . ثم تستطرد الايكونوميست « .. وعلى اية حال ، فانه لابد من وجود قوة سلام دولية في نيجيريا اطول وقت ممكن . فالسلام في نيجيريا لا يمكن ان يتحقق بدون وجود مثل هذه القوة الدولية » .

وبشكل اكثر وضوحا ، تقول **الصنداى تليجراف البريطانية** « .. الى متى سيظل العالم المتحضر يعامل رجالا كالجنرال جوون ، كرؤساء عاديين للدولة ؟ أما اذا تصرفوا كرؤساء القبائل المتوحشين ، فان معاملتهم ستتغير . وهكذا بدأ الاستعمار ، وهكذا يمكن ان يبدأ من جديد » .

أما **الفيجارو الفرنسية** ، فتقول « والامر العاجل لا يتمثل في مجرد عقد الاجتماعات . ولا حتى في اظهار حركات الكرم ـ رغم فائدتها ـ ولكن في حدوث تدخل منسق من جانب الدول التي تشعر بمسئوليتها عن مصير العالم ، ونحن نأمل ان تقوم فرنسا بمبادرة فعالة في هذا الصدد » .

ثم تقول صحيفة **دى فليت الالمانية الغربية** ، بعد أن تبدى رأيها في ان منظمة الوحدة الافريقية سوف تفشل في ايجاد حل للمشكلة ، ثم تتنبأ بعرض المشكلة على الامم المتحدة ، وهنا تقول « فاذا فشلت الامم المتحدة ايضا ، فعلى الدول الغربية ان تتدخل وتجبر حكومة نيجيريا على رفع حصار الجوع الذى فرضته على بيافرا ، ان الوقت ضيق امام الدول الغربية . والوضع خطير في بيافرا ، لا يحتمل طول المناقشات للوصول الى قرارات حاسمة » .

واذا كان من الصعب استنتاج تنبؤات قاطعة من هذه الكتابات ، الا انها تلقى الضوء على اية حال ، على اتجاهات بعض الدوائر السياسية الغربية حول تصوراتها بشأن الازمة في نيجيريا .

لقد كادت الحرب الاهلية في نيجيريا ، ان تهدد بتمزق مؤتمر القمة الافريقي لمنظمة الوحدة ، الذى عقد في الشهر الماضى **بالجزائر** ، عندما انسحب **كينيث كواندا** رئيس جمهورية **زامبيا** ، الذى كان قد اعترف ببيافرا مع ثلاث دول افريقية اخرى **(تانزانيا ـ جابون ـ ساحل العاج)** ، في مايو

الماضى ، وذلك احتجاجا على ادانة الرئيس الجزائرى **هوارى بومدين** لانفصال بيافرا ووصفه له بأنه « مؤامرة امبريالية » .

وبرغم تأكيد وفد حكومة نيجيريا فى المؤتمر ، على انه يعتبر الحرب الاهلية « مسالة داخلية بحتة » ، ولن يسمح بمناقشتها ، الا ان منظمة الوحدة تبذل جهودا كبيرة لم تثمر بعد ـــ حتى كتابة هذا التقرير ـــ الا ان المراقبين لا يتوقعون ان تسفر هذه الجهود عن نتائج هامة ، مما يدفع بطعم المرارة الى حلوق الافريقيين الوطنيين . ويرد هؤلاء المراقبون توقعاتهم هذه ، الى فشل المحاولات التى بذلت لايجاد حل منذ اجتماع **ابورى (غانا)** فى ١٩٦٧ ، الى اجتماع **كمبالا (اوغندا)** فى مايو ١٩٦٨ ، ثم اجتماع **لندن** ، فاجتماع **نيامى** ، فاجتماع **اديس ابابا اخيرا** .

ان جوهر المشكلة التى تدور حولها الحرب الاهلية فى نيجيريا هى : هل لقبيلة **الايبو** (١٢ مليون نسمة) ، حق اقامة دولة مستقلة عن نيجيريا الاتحادية ، بسبب اعمال الاضطهاد التى تعرضت لها ؟ أم انه من الممكن حل مثل هذه المشكلة فى اطار وحدة اراضى نيجيريا ؟ والواقع ان كل الاجتماعات التى ضمت طرفى الحرب : حكومة جوون الاتحادية ، وحكومة اوجوكوو الانفصالية ، لم تحقق اى حل لهذه المشكلة حتى الان .

فهناك شعور عام فى بيافرا بأن « الاستسلام امام قوات حكومة جوون » ، يعنى « ذبحهم » ، ما لم يتم التوصل الى « حل عادل يعترف بحقوق الايبو القومية » ، ولذلك تصر حكومة اوجوكوو على « وقف اطلاق النار كشرط للوصول الى تسوية » . وامام الهزائم العسكرية المتتالية لقوات اوجوكوو امام قوات جوون الذى اقام كذلك حصارا اقتصاديا محكما حول بيافرا جعلها تعانى الجوع ، يلجأ اوجوكوو الى شن حملة سياسية ـــ ساعدته فيها بعض الصحف الغربية ـــ لكسب الرأى العام العالمى من خلال اثارة « مسألة الجوع » ، والمبالغة فى الحديث عن « الطابع الوحشى اللاانسانى لقوات حكومة جوون » . وتعد المدن البيافرية التى سقطت فى ايدى قوات جوون ، اهم مدن بيافرا على الاطلاق حيث تقوم بها المراكز الاقتصادية الاساسية للاقليم . ويثير ذلك ، التساؤل حول مدى قدرة حكومة بيافرا على الصمود امام التفوق العسكرى لحكومة جوون والحصار الاقتصادى المفروض على بيافرا . ولكن الغريب ان الدكتور **أوكيجو** الاقتصادى النيجيرى المشهور (يعمل مع حكومة بيافرا) ، يقلل من خطورة هذه الازمة الاقتصادية بقوله « ان موقف بيافرا الحالى لا يهم من الناحية الاقتصادية ، وانما الذى يهم هو العوامل البشرية » . والملفت للنظر هنا ايضا ، انه برغم ان بيافرا لا تصدر شيئا تحصل به على العملة الاجنبية اللازمة لشراء الاسلحة ، الا ان حكومة اوجوكوو تواصل عمليات الشراء هذه . وهنا يشير المراقبون السياسيون الى موقف **فرنسا** من مشكلة نيجيريا .

ففى الشهر الماضى ، حددت فرنسا موقفها بصورة اكثر علانية ، حينما اصدرت الحكومة الفرنسية بيانا رسميا تقول فيه « لقد برهن البيافريون بشجاعتهم ، انهم خليقون بالحصول على الاستقلال الذى يطالبون به » . وينظر بعض المراقبين الى هذا البيان ، على انه « اعتراف ضمنى » ببيافرا كدولة مستقلة . ومن المعروف ان فرنسا تقف منذ بداية ازمة نيجيريا الى جانب حكومة اوجوكوو ، الذى منح فرنسا بعض امتيازات انتاج بترول الاقليم الشرقى ، وجدير بالذكر ان البيان الفرنسى قد ارتبط من حيث التوقيت باعلان **الحكومة الامريكية** ـــ رسميا ـــ عن تأييدها لحكومة جوون ، ومن ثم يمكن القول بأن بيان فرنسا ، يعنى ان اوجوكوو يمكن ان يعتمد على حكومة ديجول فى الحصول على الاسلحة اللازمة والمساعدات الاخرى .

وردا على حملة اوجوكوو السياسية ، وافق يعقوب جوون على تيسير عمليات انتقال المؤن الى بيافرا عن طريق الصليب الاحمر الدولى ، ويشترط جوون لوقف اطلاق النار ، ان تعلن حكومة اوجوكوو عن تراجعها عن الانفصال ، وبأن الاقليم الشرقى « جزء من نيجيريا » . على ان يعقب ذلك اجراء مفاوضات فى اطار اقرار تقسيم ادارى جديد للبلاد يعالج مشكلة الحزازات القبلية ويسلم بحقوقها جميعا فى المساواة . ويستند جوون فى موقفه هذا الى عنصرين :

اولا : تفوق قواته بشكل كامل على قوات اوجوكوو ، وانزالها اكثر من هزيمة عسكرية بها ، وهذا ما يفسر لنا لماذا يحرص جوون على كسب مزيد من الوقت قبل اجراء المفاوضات ، بهدف احراز اكبر انتصار عسكرى ممكن ، من شأنه ان يضعف من مركز اوجوكوو اكثر مما هو عليه من ضعف .

ثانيا : تلويح جوون بشكل دائم ، الى انه ما زال يكبح جماح قادته العسكريين الذين يضغطون من اجل شن حرب شاملة و «كاسحة» لاستعادة بيافرا من « ايدى الانفصاليين » . ثم يعود فيهدد بأنه لا يستطيع الاستمرار فى كبح جماح هذه العناصر . والمعروف ان هناك عناصر متطرفة بالفعل فى قيادة جيش جوون ، تدعو الى مثل هذا العمل . ومن المعروف ان **بريطانيا**

تؤيد حكومة جوون ، وتقدم لها الاسلحة ووسائل الدعم العسكري ، وبينما تقدم للاجوس السلاح ، فانها تقدم الاغذية لبيافرا . ويصف بعض المراقبين هذا الموقف بقولهم « ان بريطانيا تسمن البيافريين قبل ذبحهم ».

ومن الملاحظ ان منظمة الوحدة الافريقية حددت موقفا من ازمة نيجيريا ، يمكن استشفافه من خلال بيانها حول محادثات نيامي السابق الاشارة اليها ، حين تقول انها « تهدف الى صون استقلال نيجيريا ووحدة اراضيها ، وضمان الامن لكل السكان ». وقد كلفت المنظمة « لجنة للوساطة » من ست دول برئاسة الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا ، لبذل الجهود من اجل حل الازمة . ويمكن القول بأنه من الصعب على لجنة الوساطة ان تقف بجانب « الانفصال » ، لان اقرار سابقة كهذه قد تؤدي الى قيام « حكومات قبلية انفصالية عديدة » في افريقيا ، بل وفي دول « لجنة الوساطة » الست ، التي تعاني كلها بلا استثناء من مشاكل « قبلية » مماثلة ، وان لم تصل درجة حدتها الى المستوى الخطير الذي وصلته في نيجيريا . واذا كان الوطنيون الافريقيون يأملون في ان تنجح منظمة الوحدة في ايجاد حل للمشكلة ، فانهم يخشون تماما ان تسارع دول الغرب — او بعض منها الى التدخل في صورة تعيد الى الاذهان مأساة الكونجو من جديد .

■■■

■ فيتنام

توقيت أسقاط سايجون

الحقيقة التي تبدو واضحة لاغلب المراقبين السياسيين في العالم ، هي ان « العمل الحقيقي » لم يبدأ بعد في مفاوضات باريس . وان « المندوب الامريكي » افريل هاريمان » « يكرر نفسه » حسبما اوضحت «الايمانيتيه» الفرنسية في ٥/٩ الماضي ، ذلك انه بعد انقضاء مايزيد على العشرين جلسة من جلسات المفاوضات، لم يتم التوصل الى اتفاق بشأن وقف الغارات الجوية نهائيا على فيتنام الشمالية ، بدون قيد او شرط ، وهو المطلب الذي تصر فيتنام الشمالية على التمسك به ، كالطريق الاوحد لبدء « مفاوضات سياسية » لحل المشكلة .

فلاتزال الولايات المتحدة الامريكية تتذرع بحجة ان الوقف التام للغارات ، سيعرض سلامة قواتها للخطر ، مع انه قد ظهر في مرات كثيرة ، حسبما أوضحت « الايمانيتيه » الفرنسية ايضا « ان هذه الحجة داحضة وتتسم بالنفاق ، فلو كانت حكومة الولايات المتحدة تهتم حقيقة بانقاذ قواتها ، لفعلت كل ما هو ضروري من اجل التفاوض » ذلك ان « وقف الغارات سينقذ مزيدا من الارواح الامريكية ، أكثر مما سيعرضها للخطر » حسبما أكد « ادوارد كيندي » نفسه.

والحقيقة الواضحة كذلك، هي ان اصرار الولايات المتحدة — الذي يتسم بالحماقة في نظر عديد من المراقبين السياسيين — على تجميد مفاوضات باريس لن يكون له من نتيجة سوى اتاحة الفرصة للثوار الفيتناميين ليحرزوا نصر « كلاسيكيا » بارزا على الجيش الامريكي في فيتنام . ذلك ان هانوي وجبهة التحرير ، لا يمكن قط ان تعولا على مفاوضات لم تحرز ادنى درجة من التقدم منذ شهور عديدة ، ولا تنبيء باحتمال حدوث ذلك في القريب العاجل .

والواضح ان هانوي وجبهة التحرير ، تتجهان لتحديد ختام الحرب الفيتنامية عبر ميادين القتال. ومن هذه الناحية فأن مئات الهجمات التي شنتها جبهة التحرير الوطنية في الاسابيع الاخيرة على القواعد الامريكية ، تؤكد أن زمام المبادرة في العمليات العسكرية أصبح في يد الجبهة، ذلك مايؤكده اغلب المراقبين العسكريين . ويشير عديد من المعلقين السياسيين والعسكريين كذلك الى حقيقة ان الثوار انما يستهدفون بهجماتهم الاخيرة ، التمهيد لهجوم كبير جديد على سايجون يتم الاستيلاء عليها فيه . ولكن المسألة المثارة لديهم وعلى جانب واضح من الاهتمام هي ، هل يمكن لقوات التحرير ، احراز انتصار كلاسيكي على القوات الامريكية ، على غرار « ديان بيان فو » .

ان مايؤكده رجال جبهة التحرير وقادتها انه يمكن الاستيلاء على مدينة كبيرة مثل العاصمة سايجون وان كان ذلك يمثل مشكلة معقدة من الناحية العسكرية ، مثلما كان الاستيلاء على هانوي من قبل ، ولكن رجال جبهة التحرير مصممون على حل مشكلة سايجون مثلما حلوا مشكلة هانوي.

■■■

■ تشيكوسلوفاكيا

السياسات التحررية لم يطرأ عليها تغيير

علقت صحيفة برافدا على تطورات الموقف في تشيكوسلوفاكيا بقولها « ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي والحكومة تتخذان الاجراءات لتنفيذ اتفاقيات موسكو التي اسفرت عنها المحادثات بين الزعماء السوفيت

والتشيكوسلوفاك » الا ان الصحيفة تتحفظ في توقعاتها ولا تبالغ في تقديراتها فتؤكد « ان الموقف في هذا البلد مازال معقدا . ولا يزال هناك كثير ينبغي عمله لتقوية الحكومة الاشتراكية ولتقوية الدور القيادي للطبقة العاملة والحزب الشيوعي، ولكشف وعزل العناصر المناهضة للاشتراكية».

وقد اكد **دوبشيك** السكرتير الاول للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ان « قوى الثورة المضادة كانت قد بدأت تباشر نشاطها اثناء عملية التطور الديمقراطي التي بدأها الحزب منذ يناير الماضي » وان « بقايا هذه العناصر يمكنها ان تسيء الى اتفاقية موسكو وان تجد التأييد من القوى

تعليق

متى نتحمل مسئولية دراسة موسيقانا الشعبية ؟

كلفت وزارة الثقافة الباحث الموسيقى تيربو الكساندرو المتخصص بمعهد الفنون الانثولوجية والفلكلورية في رومانيا بجمع وبحث نماذج من الاغاني والموسيقى الشعبية المصرية . وقام الباحث بمهمته، وتم طبع بعض ماسجله على اسطوانتين. اما النسخ المطبوعة فقد قامت وزارة الثقافة بتوزيعها مجانا على كبار العاملين بالوزارة ، وعدد من المثقفين من بينهم بعض الادباء والفنانين .

ومهمة الباحث الكساندرو في بلدنا لست المهمة الموسيقية الاولى من نوعها ، اذ ان مركز الفنون الشعبية قد انشأته وزارة الثقافة منذ عام ١٩٥٩ لتسجيل الموسيقى الشعبية المصرية والفنون الاخرى ، ولكنه لم يطبع أعماله التي جمعها على اسطوانات، رغم أنه قد وضع مشروعا قديما لتحقيق ذلك ، وهو حتى الآن في انتظار التشجيع للتنفيذ . انما مهمة الباحث الكساندرو امتازت بأنها بدأت من مكتب السيد وزير الثقافة بهدف محدد مطلوب تنفيذه فورا وهو تسجيل مختارات من موسيقانا الشعبية على اسطوانات . وفعلا تمت المهمة العلمية الكبيرة في فترة قصيرة ، اذ بدأت كما قال الباحث في الكتيب المرفق بالتسجيلات الموسيقية من ٦ فبراير سنة ١٩٦٧ وانتهت في ٤ سبتمبر من العام نفسه .

وفي خلال ٨ شهور تم جمع وبحث وتسجيل ٢٦٦ مقطوعة من الموسيقى الشعبية المصرية يستغرق أداؤها حوالى احدى وعشرين ساعة ، أما الاماكن التي سافر اليها الباحث لجمع المقطوعات وتسجيلها على الطبيعة فهي ٣٤ مكانا في مختلف محافظات الجمهورية .

ان جمع وتسجيل وبحث هذا الكم الكبير من المقطوعات الموسيقية ، وفي أماكن متفرقة في انحاء الجمهورية يحتاج الى وقت طويل للسفر إليها ، فكيف يمكن ان يتم ذلك بدون نقص في الدراسة او اخلال بأسس المنهج العلمي الخاص بجمع وبحث الموسيقى الشعبية ؟

الحقيقة انه يكفينا أن نستمع الى بعض النماذج الغنائية او المقطوعات الموسيقية التي سجلها الباحث « الكساندرو » لنتبين انه اخطأ تقدير المعايير الموسيقية التي يسترشد بها للتمييز بين ماهو من الموسيقى الشعبية المصرية وما هو خارج عن نطاق خصائص هذه الموسيقى .

ومثال ذلك اغنية جمع القطن التي سجلها في قرية « ميت كنانة » (طوخ ـ قليوبية) . انها ليست اغنية لانها لاتشتمل على لحن ، وانما هي حصيلة أصوات تصرخ لمجموعة من الفتيات يقول الباحث أن أعمارهن تتفاوت بين ١٠ ــ ١٥ سنة . ان اختيار الباحث لهذه الاصوات التي تؤدي نوعا من الصراخ يشتمل على كلمات عن جمع القطن ، انما يدل على أن الباحث كان يسجل أى أصوات يسمعها صادرة من مجموعة من الفلاحين ، وهذا يؤكد انه لاوقت اذن للبحث العلمي للحصول على تسجيل واقعي أمين لالحان جمع القطن الجميلة الصادقة المنتشرة في القرية المصرية .

والامثلة كثيرة لايتسع المكان لذكرها، ويهمنا أن الباحث نفسه كتب يقول « وقد عنينا بتسجيل أهم مايصادفنا من المقطوعات ذات الطابع المميز سواء في الجماعات الغنائية او الالية وكذلك أهم الالات ذات الطابع المميز في الموسيقى الشعبية » ونفهم من هذا الكلام أن الباحث كان يعتمد في تسجيلاته على مايصادفه ، بدلا من اعتماده على الاستقرار مدة كافية في القرية المختارة لاجراء الدراسة واستكمال أبعاد البحث الموسيقى . وهكذا لم يوضح لنا ولو في اضيق الحدود ماهي المعايير العلمية التي يقيس على اساسها المقطوعات التي كانت تصادفه ، ويتبين انها ذات طابع مميز في الموسيقى الشعبية المصرية.

هذا ولاننكر ان المصادفة قد سجلت بعض المقطوعات الاصيلة .

ان الباحث الموسيقى الكساندرو متخصص في فرع الالات الشعبية ومن علاقتي القريبة به اثناء عملي مسئولا عن فرقة الالات الشعبية بوزارة الثقافة تبين ان الباحث الروماني يتعثر سمعيا في التمييز بين خصائص ابعاد النغم في الموسيقى الشعبية المصرية ، ولاتسعفه دراسته النظرية عن الموسيقى العربية لسد هذا النقص . وان المهمة الاساسية التي جاء الباحث من أجلها الى مصر، هي القيام بدراسة موضحة بالرسومات عن الالات الشعبية المصرية ، لاستكمال موضوعات الموسوعة الموسيقية العالمية، التي ستصدرها رومانيا عن الالات الشعبية في مختلف بلاد العالم ، وبجانب هذه المهمة الاساسية للباحث الكساندرو فقد كلفته وزارة الثقافة (ادارة التبادل الثقافي) وبعيدا عن استشارة مركز الفنون الشعبية ، بجمع وبحث الموسيقى التي تم طبع بعضها أخيرا على اسطوانتين ، وهكذا جاءت هذه المهمة بالنسبة للباحث جانبية وليست داخلة في اختصاصه ونطاق قدراته ، بل جاءت قريبة الى مهمة موسيقى سائح ، وبعيدة عن ان تكون مهمة باحث موسيقى متخصص .

وحتى نحقق دراسة موسيقية شعبية جادة يجب تجميع طاقات الموسيقيين المصريين المهتمين بالبحث النظري والميداني في مجال الموسيقى الشعبية ، لوضع خطة دراسة وعمل ، تضم في اطارها طاقات الموسيقيين العاملين بمركز الفنون الشعبية ، والعاملين خارج هذا المركز ، وبغير هذا الحل والعمل على تحقيقه سنظل غير قادرين على معرفة مانريده من اى باحث او خبير موسيقى وافد الينا من أى بلد ، وبالتالى سنظل معرضين لاستغلاله .

سليمان جميل

الامبريالية التى لم ترغب ابدا فى تدعيم الاشتراكية فى بلادنا » كما هاجم دوبتشيك « العناصر القديمة المحافظة فى الحزب » وقال انها تحاول ان تدير عجلة التاريخ الى الوراء الى ما قبل يناير الماضى » .

وتحدث دوبتشيك عن المخاوف التى اجتاحت بعض افراد الشعب من احتمال اتخاذ اجراءات انتقامية ضدهم بسبب موقفهم من الاحداث الاخيرة . فقال ان امن المواطنين التشيكوسلوفاكيين عنصر ضرورى فى اعادة الامور الى نصابها . كما اكد **تشيرنيك** رئيس الوزراء بوجود كافة ضمانات « عدم تدخل السوفييت فى الشئون الداخلية » وصرح **جوستاف هوساك** السكرتير الاول للحزب الشيوعى السلوفاكى فى اجتماع اللجنة المركزية انه « لا توجد فى بلادنا عناصر اجنبية تلقى القبض على الاهالى ، او تتدخل فى شئون الامن « وان السوفييت لم يعتقلوا احدا من رعايانا ولا يعتزمون ان يفعلوا ذلك » و « ان السياسات التحررية التى اخذنا بها فى تشيكوسلوفاكيا منذ شهر يناير الماضى لم يطرأ عليها اى تبدل ، وحزبنا مستمر فى العمل بها » .

ومن هنا يؤكد المراقبون والمعلقون السياسيون الاشتراكيون حقيقة ان دخول قوات حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا كان ومازال موجها ضد اخطار قوى الثورة المضادة التى تستعين دوما بالقوى الامبريالية ، دون ان تتدخل فى حركة الصراع الداخلى بين صفوف الشعب التشيكوسلوفاكى فى تحديد الخط الذى تراه مناسبا بحكم ظروفها الخاصة للاستمرار فى عملية البناء الاشتراكى .

وقد اجريت انتخابات فى اللجنة المركزية ترتب عليها اختيار مجلس رياسة جديد للجنة ، ثم توسيعه بحيث تشمل ٢١ عضوا وذلك بضم اعضاء جدد بعد اعفاء آخرين على رأسهم **دراهوسمير كولدير** الذى كان مرشحا لرياسة الحكومة بعد دخول قوات حلف وارسو ، **وتشستمار شيزار** زعيم الاتجاه المناصر لاسرائيل والسكرتير السابق للجنة المركزية ، **واولدريتش سفيتسكا** رئيس تحرير **(رودى برافو)** الذى عهد اليه بتحرير مجلة جديدة تصدر عن الحزب باسم ((**تريبيسونا**)) . وما رددته وكالات الانباء الغربية هو ان التكوين الجديد يضم تسعة اعضاء يؤيدون دوبتشيك ، وعضوين يعارضونه ، والباقى محايدين او لم تعرف اتجاهاتهم بعد . وخط الزعامة التشيكوسلوفاكية الحالية يتضح جانب اساسى منه ، من تصريح لدوبتشيك فى اجتماع اللجنة المركزية اخيرا جاء فيه « ان تشيكوسلوفاكيا يجب ان تراعى الاتفاق الذى تم توقيعه اخيرا فى موسكو ، والا تفعل ما من شأنه اثارة شكوك حلفاء وارسو . وان هذا هو الضمان الوحيد لعدم تدهور الموقف » .

وقد تقرر تنحية ((**جوزيف بافل**)) وزير الداخلية التشيكوسلوفاكى ، والذى انتعشت نشاط العناصر المضادة للثورة فى عهده ، كما قدم ((**اوتاسيك**)) نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية استقالته ، وكذلك **جيرى هاييك** وزير الخارجية .

هذا فى الوقت الذى قام فيه ((**فاسيلى كوزنتسوف**)) نائب وزير الخارجية السوفيتية بالتباحث مع الرئيس التشيكوسلوفاكى ((**سفوبودا**)) حول العلاقات بين البلدين ، التى وصفتها وكالات الانباء بانها تستهدف تهيئة الجو لاجتماع جديد بين الزعماء السوفيت والتشيكوسلوفاك . هذا وتتم بهدوء عملية انسحاب القوات من المدن ، وتولى السلطات المدنية للحكومة التشيكوسلوفاكية مقاليد الامور فى مختلف المرافق التى جلت عنها هذه القوات . وقد اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى تعليماتها لمجلس رياسة اللجنة المركزية ، بعمل كل ما من شأنه ضمان انسحاب قوات حلف وارسو ، والاعداد لعقد المؤتمر الرابع عشر للحزب ، الذى كان مقررا عقده من قبل فى ٩ سبتمبر ، والذى كانت الانباء قد ترددت من قبل بانه تأجل لعدة شهور . هذا وقد تردد بين المصادر المطلعة فى براج ، ان السوفيت قد يقدمون قرضا من العملات الصعبة لتشيكوسلوفاكيا ، يتراوح بين ٣٠٠ ، ٥٠٠ مليون دولار ، والذى كانت تشيكوسلوفاكيا قد حاولت الحصول عليه منذ يناير الماضى .

اما فيما يتعلق بدول حلف الاطلنطى ، فقد شرع المخططون العسكريون الغربيون فى اعادة النظر فى خطط الغرب العسكرية . ذلك ان استراتيجية دول حلف الاطلنطى كانت تقدر منذ بضعة اشهر ، انه فى حالة وقوع صدام عسكرى يلزم لجيوش دول حلف وارسو **سبعة ايام** يتم خلالها نقل قوات بولندا والمجر وبلغاريا ورومانيا والاتحاد السوفيتى الى منطقة الحدود مع الغرب ، وبالتالى فان خطط الحلف اعدت على اساس .. ان هناك « فترة انذار » تقدر بمثل هذا العدد من الايام ، بيد ان هذا الوضع لم يعد حقيقيا اليوم ، فلم تعد توجد « فترة انذار » واصبح بوسع الوحدات السوفيتية فى تشيكوسلوفاكيا المزودة بالعدة والعتاد ، ان تدخل المعركة فى اية لحظة وفى اية وقت .

كذلك فان الخطط الدفاعية الغربية ، كانت تتوقع ان يأتى ما تسميه « بالتهديد الخطير » من محور ((**هانوفر ـ الروهر**)) بشمال المانيا ، والذى كان يبدو المدخل الطبيعى المنطقى للقوات السوفيتية . ولكن ظهر حاليا ان هناك طريقا آخر ، لان القوات الموجودة فى تشيكوسلوفاكيا ، تستطيع ان تتجه من جبال بوهيميا مباشرة الى بافاريا ،

متبعة سهل الدانوب الذى يعتبر ذا قيمة كبيرة فى نظر خبراء الاستراتيجية العسكرية .

ويلخص العسكريون الغربيون النتائج الاستراتيجية لكفاءة تحركات قوات حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا فى ثلاث نقاط :

● ما يسمى بزيادة « التهديد على الغرب » ، اذ تجمعت على حدود المعسكر الاشتراكى الغربية ، ما بين ٥٥ الى ٦٠ فرقة ، فى مواجهة ٢٢ او ٢٣ فرقة تابعة لحلف الاطلنطى .

● اتساع امكانيات المناورة للجيوش الشيوعية ، بسبب تضاعفها ، الامر الذى يفرض على القيادة العليا لحلف الاطلنطى — اوتوماتيكيا — مبعثرة القوات الموجودة تحت تصرفها من جديد .

● ان الخطط الدفاعية للحلف ، التى كانت تعتمد على « فترات الانذار » ، لم تعد بذات قيمة ، اذ لم يعد لتلك الفترات وجود .

ولا يمكن لكل تلك النتائج التى توصل اليها الاستراتيجيون الغربيون ، ان تكون بمعزل عن « المهمة الخاصة » التى يقوم بها فى واشنطن **« كورت بيرينياج »** ، و **« هلمون شميدت »** زعيما الشعبة البرلمانية للحزبين الحاكمين فى المانيا الغربية ، والتى اوضحت « البرافدا » السوفيتية فى ٩ سبتمبر الماضى انها « ترتبط بالنشاط المتزايد فى سياسة بون العسكرية ، وتستهدف زيادة الوجود الامريكى فى المانيا الغربية ، وارسال مزيد من القوات الامريكية لترابط فى مناطق الحدود مع تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية ، وازدياد نفوذ قواد الجيش الالمانى الغربى فى السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة » . وفى حين ارتفعت اصوات الدول الغربية الاوربية باعادة النظر فى استراتيجية حلف الاطلنطى ، فقد استمرت فرنسا على رفضها لسياسة الاحلاف .

ومن ناحية اخرى ، استنتجت مجلة **« كرستيان ساينس مونيتور »** الامريكية ، هى والعديد من الخبراء العسكريين الغربيين ، نتائج اخرى تخص الاستراتيجية السوفيتية . فقد استخلصوا من الاسلوب الذى اتبع فى تشيكوسلوفاكيا ، ومن تصريحات المارشال **« كونستانتين فيرشينين »** القائد العام للقوات الجوية السوفيتية ، ان السوفيت قد تخلوا عن استراتيجية الاعتماد على الصواريخ البعيدة المدى فى المقام الاول ، وهى الاستراتيجية التى كانت سائدة ايام **نيكيتا خروشوف** رئيس الوزراء السوفيتى السابق ، واستحدثوا بدلا من ذلك ، حاملات للصواريخ بعيدة المدى ، واسرع من الصوت يمكن اعادة تزويدها بالوقود فى الجو ، وهى سلاح قال عنه المارشال فيرشينين « انه باستطاعة واحدة او اثنين منها ان تبيد الاهداف الاستراتيجية المتحركة ، بصواريخ من الجو الى الارض ، عبر مسافة تصل الى مئات الاميال ، دون ان ندخل منطقة العمليات ، لاجهزة العدو الدفاعية المضادة للطائرات » . وحسبما ترى **« الديلى تلجراف » البريطانية** ، فقد ازدادت نسبة تفوق السوفيت فى القدرات التقليدية للحركة العسكرية فى اوربا بالمقارنة مع الغرب ، الى نسبة ٣ الى واحد ، بعد ان كانت ٢ الى واحد قبل ٢١ اغسطس الماضى . كذلك اوضحت المجلة « ان القوات السوفيتية تتجاوز تقديرات الغرب لها فى سرعة التعبئة والحشد ، وفى القدرة على الحركة فى الجو والبر ، وفى قدرة هيئة الاركان على العمل ، وجاء تعاون جيوش حلف وارسو ، كتحذير من الاستهانة بمدى فائدة هذه الجيوش ، فى ظل الظروف التى سيحاول السوفيت ان يوفروها لها فى اى صراع مع حلف الاطلنطى » .

■■■

■ الولايات المتحدة الامريكية

مشاكل همفرى .. واستعداد نيكسون

الامر الذى يزداد وضوحا ، خاصة بعد مؤتمر الحزب الديمقراطى فى شيكاغو الذى تم فيه اختيار **هيوبرت همفرى** نائب جونسون مرشحا للرياسة عن الحزب ، والذى تبين فيه بجلاء مدى الانقسام والتفكك فى صفوف الديمقراطيين ، هو ان الحالة الداخلية فى كل من الحزبين الامريكيين الكبيرين تنعكس على الوضعية التى اصبح يتمتع بها كل من مرشحيهما فى الانتخابات .

ولقد تاثر الحزب الديمقراطى سياسيا نتيجة لما صحب مؤتمره فى شيكاغو من اصطدامات منيفة بين البوليس والجماهير ، بحيث ظهر واضحا لعشرات الملايين من الامريكيين على شاشات التليفزيون الامريكى ، كيف انعقد مؤتمر هذا الحزب وسط اعمال العسف البوليسية ، والاسلاك الشائكة ، والشرطة ، والمخبرين السريين ، ورجال الحرس الوطنى . وبذا يكون

مؤتمر هذا الحزب ، قد قدم للرأى العام الامريكى، صورة قبيحة للفرقة ، وتعسف السلطات ، والصدام بين الشيوخ والشباب ، والعجز عن السيطرة على الاحداث وحسبما اوضح **جيمس ريستون** فى « الهيرالد تريبيون الدولية » قدم «صورة حزب لايستطيع ان يحكم نفسه اويحافظ على النظام » يزيد من تفاقم ازمة ذلك الحزب ، ان هجمات خصومه السياسيين وعلى رأسهم **ريتشارد نيكسون** كانت منصبة اساسا على تضاؤل نفوذ القانون فى عهد حكومة جونسون وتدهور النظام ، واعمال العنف التى اجتاحت المدن الامريكية ، بالاضافة الى المعارضة الشديدة سواء فى المدن او الارياف لسياسة تلك الحكومة فى فيتنام ».

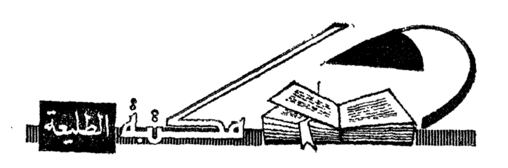
ونظرا لهذا كله ، يرى جيمس ريستون كذلك، « ان أمل الحزب الوحيد فى الفوز ، ينحصر فى وقف اطلاق النار فى فيتنام » قبل اجراء الانتخابات فى نوفمبر ، أو « فى حدوث تطور كبير آخر يغير الجو السائد حاليا » الا انه لم يوضح حدود ومصادر ذلك التطور الكفيل بتغيير المناخ السياسى الحالى لحكم الحزب الديمقراطى . والمشكلة المتعلقة بهمفرى من هذه الناحية ، هى انه لم يتحرر بالقدر المناسب من نفوذ **ليندون جونسون** ، وحتى اذا افترضنا ان همفرى عدل عن آرائه السابقة ، وبدأ يدعو الى وقف الغارات على فيتنام الشمالية ، فان جونسون سيظل هو المسئول عن مفاوضات باريس طيلة الحملة الانتخابية ، وبالتالى فان خط جونسون سيكون هو التعبير الرسمى عن خط الحزب الديمقراطى الذى يمثله همفرى فى الانتخابات .

وقد أكد عديد من المراقبين السياسيين ، حقيقة انبعض مستشارى همفرى يحثونه بشدة على الانشقاق على جونسون فيما يتعلق بالحرب الفيتنامية ، باعتباره الوسيلة الوحيدة التى تكفل لهمفرى ، تجنب ضغط الناخبين المعادين لجونسون وللحرب الفيتنامية . الا ان ذلك قد لا يسفر فى نظر عديد من المعلقين السياسيين ، الا عن استبدال طائفة كبيرة من الديمقراطيين الساخطين ، بطائفة اخرى من المحافظين الساخطين ، ومما هو جدير بالذكر ان **جورج ماكجوفرن** الذى كان قد تقدم للترشيح للرئاسة عن الحزب الديمقراطى ، قد أعلن انه لا يقبل — رغم تأييده لهمفرى — أن يدخل معه معركة الانتخابات على اساس البرنامج الذى قدمه فيما يتعلق بالحرب الفيتنامية ، ومن ناحية اخرى ، اعلن **يوجين مكارثى** المرشح الديمقراطى الاخر للرئاسة ؛ انه لن يؤيد مرشح حزب يتبع السياسة الحالية فى فيتنام . واحد مظاهر ازمة همفرى اليوم ، هى ان اصدقاءه القدامى يدينونه باعتباره داعية حرب ، وهوالذى كان طيلة عضويته بمجلس الشيوخ من اشد انصار خفض التسلح والرقابة عليه ، كذلك فهو يجد نفسه مرشحا عن الحزب الديمقراطى بفضل جهود الديمقراطيين المحافظين الذين كان يشن عليهم حربا لا هوادة فيهما طيلة الاربعينات والخمسينات . وعلى اية حال ، فمهمة همفرى لن تكون سهلة بأى حال من الاحوال ، وعليه قبل ان يدخل المعركة المباشرة حول الرئاسة ،ان يعمل على تنظيم وتوحيد الحزب الذى يمثله ، فى حين ان الوقت — واقعيا — جسد قصير على مهمة من هذا النوع .

ومن ناحية أخرى، اذا كان هناك تشابه كبير بين كل من **نيكسون ، وهمفرى** اللذين عملا نائبين للرئيس ،واللذين يحظيان بتأييد أجهزة حزبيهما، واللذين اختارا نائبيهما لا لمدى تأثيرهما فى سياسة حزبيهما ، وانما لانهما من طراز الرجال الذين ينفذون فى طاعة عمياء اى سياسة تفرض عليهما ، الا ان نيكسون يتمتع بميزتين على همفرى . الاولى هى انه لا يحظى برضاء الحكومة الحالية المعرضة للسخط ، والتى يرتبط بها همفرى ارتباطات وثيقا ، والثانية : هى انه يملك حسبما أوضحت السكوتسمان البريطانية فى ٩/٢ الماضى افضل تنظيم سياسى فى تاريخ السياسة الامريكية ، لدرجة ان التنظيم المشهود له بالكفاءة . والذى نظم معركة الرئيس السابق **جون كينيدى** فى ١٩٦١ ، يعد بدائيا بالنسبة للتنظيم الذى كان موجودا فى مؤتمر الحزب الجمهورى فى ميامى بيتش هذا العام .

ومن شأن كل ذلك التأثير على خط سير المعركة فى اوج احتدامها . وفى رأى **بيتر والكر** العضو المحافظ فى البرلمان البريطانى ، الذى شهد مؤتمرى الحزبين الجمهورى والديمقراطى هذا العام ، انه « يغلب على الظن ان نيكسون ،سيكون هو الفائز بمنصب الرئاسة فى شهر نوفمبر ، فمزاج الامة يتطلب ، فترة من رد الفعل » .

اما فيما يتعلق بالمشكلة العالمية رقم (٢) ، ونعنى بها مشكلة الشرق الاوسط فان كلا المرشحين الامريكيين يزايد الاخر حول مدى مساندته لاسرائيل ، وحول تزويدها باحدث الاسلحة التكنولوجية ، بما فيها طائرات الفانتوم وغيرها ، الى الحد الذى يسمح لها بالتفوق على الدول العربية جميعا .



• ماركسية القرن العشرين
• واقعية بلا ضفاف

• تأليف : روجيه جارودى

• عرض وتحليل : غالى شكرى

اذا كانت اعمال المؤتمر العشرين فى خطوطها العامة هى الوثيقة السياسية الاولى لمرحلة التحول عن الستالينية ، فان اعمال المفكر الفرنسى **روجيه جارودى** هى المبادرة الاولى لتحقيق هذا التطور فى مجالى الفلسفة وعلم الجمال ... ولاينكر جارودى للحظة واحدة انه كان واحدا ممن واكبوا الستالينية — بالموافقة الضمنية — مواكبة ادت الى تعويق الفكر الماركسى عن الانطلاق من اسار التبسيطات المذهبية الجامدة ، واللحاق بروح العصر فيما وصلت اليه من تحديات جديدة لم تجد جوابا لدى القوالب المغلقة والعقول المحافظة . ومن هنا برز التناقض الصارخ بين مستوى العصر الذى نعيش فيه — بكل ما يمثله من تساؤلات جديدة كل الجدة — ومستوى التفكير الماركسى فى ظل الستالينية . وقد بدت المشكلة حينذاك عند البعض وكأنها تناقض اصيل بين الماركسية نفسها والحياة ، فانزلقوا الى هاوية رد الفعل وتركوا الماركسية او انهم تركوا جوهرها على اقل تقدير ، وكان ذلك ايسر الحلول عند الذين صدمتهم سياسيا الحقائق التى اسفرت عنها اعمال المؤتمر العشرين ، فأذهلتهم عن الاصول ولم يروا سوى الفروع . ولكن المشكلة بدت عند البعض الاخر — ومنهم جارودى — ان الستالينية — بكل ماتمثله من اجابات نهائية قاطعة يقينية — هى التى كانت انحرافا عن الماركسية الاصيلة ، عن جوهرها الحى بمعنى ادق . ولذلك كانت « **العودة الى الينبوع** » هى الاطار المنهجى لكتابات جارودى الجديدة ، فماركس ولينين يشكلان العمود الفقرى لهذه الكتابات . ولكن ثمة فرقا كبيرا بين اتخاذ ماركس ولينين كاجابات مقدسة على كل زمان ومكان وبين اعتبارهما طرحا عبقريا لتساؤلات عصريهما وجوابا علميا دقيقا عنها . هو الفرق بين ابتذال الماركسية بتحويلها الى « **دوجما** » وبين احيائها وتطويرها وتعميقها باعتبارها « منهجا » . أن اكتشاف ماركس لفائض القيمة فى المجتمع الراسمالى تنبع اهميته القصوى من كونه منهجا فى التحليل التاريخى لا لكونه قانونا اقتصاديا فحسب . وكذلك كان « **جدل الطبيعة** » عند انجلز ، منهجا فى التحليل العلمى لا مجرد صياغة فلسفية لمجموعة من القوانين . وحين تجاوز العصر عتبات القرن التاسع عشر كان فى جعبته أسئلة جديدة ، وولدت

عبقرية لينين فى طرحها الشجاع لهذه الاسئلة واقبلت كشوفه الاقتصادية والسياسية فى « الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية » وكشوفه الفلسفية فى « المادية والنقد التجريبى » جوابا علميا دقيقا على تحديات عصره . ولربما يعمد سيئوا النية المعادين للفكر الاشتراكي جملة وتفصيلا الى القيام بمقارنات بين النتائج التي انتهى اليها لينين، ومقولات ماركس ليؤكدوا تناقضا بين الاثنين . وهو فى واقع الامر ليس تناقضا بل **((اضافة))** حية تستلهم من ماركس منهجه فحسب، وتستجيب فى نفس الوقت لروح العصر الجديد ومقتضيات التاريخ . فالماركسية التى لا ترى نفسها مطلقا خارج التاريخ لابد وانها ترى فى **((قوانين))** ماركس وانجلز اكتشافات تتصل اوثق الاتصال بعصرها وعلوم ذلك العصر ، وليست نصوصا غيبية خارج الزمان تحمل فى ذاتها وبصورة سحرية القدرة على تجاوز العصر والتاريخ . وتلك هى خطيئة الستالينية انها تغاضت عن « المنهج » الحى للماركسية، والتفتت الى القوانين التفصيلية بمعزل عن ظروفها التاريخية وحولتها الى نصوص مبتسرة اقرب الى التعاليم الدينية المقدسة . ولقد أسهم جارودى نفسه فى تدعيم الطريق الستالينى الى الماركسية بكتابين رئيسيين هما « الحرية » و « النظرية المادية فى المعرفة » . وهو فى كتابه الجديد **((ماركسية القرن العشرين (١)))** يقدم نقدا ذاتيا مطولا لتلك المرحلة السابقة من مراحل تطوره الفلسفى ، ولكنه نقد من نوع جديد ، رفيع المستوى ، اذ يعود بالماركسية الى نبعها الاصيل والحى ، عودة **((منهجية))** تستلهم ماركس ولينين حقا ، ولكنها تستجيب فى نفس الوقت لتحديات العصر الذى نعيش فيه ومنجزاته المذهلة .

النموذج بين الانعكاس واللحظة الفاعلة

ينطلق جارودى فى مساهمته الجديدة من ان الماركسية ــ كفلسفة ــ لا تتخذ مكانها « كأم للعلوم » وهو المكان الذى تتخذه الفلسفات المطلقة المثالية والمادية على السواء ، من هيجل الى فيورباخ على سبيل المثال . وانما تتخذ الماركسية مكانها الحق **((كفلسفة نقدية))** اذ هى تطمح الى التوحد مع حركة الاشياء وفعل الانسان الذى يغير هذه الاشياء ، ومن هنا اتصفت بأنها مادية ، وانها جدلية . فهى لا تتوق الى بناء **((مذهب))** مكتمل الاركان ، كلى وشامل حتى أنه يصطدم بما يطرأ على الوجود من تغير، ومن ثم يصبح هو وبناته فى موقف حرج : اما ان يتخلى عن موقعه التفسيرى والتخطيطى للاشياء والانسان ، واما ان يفرض اصحابه فرضا يتمزق معه كل شىء وكل انسان ، ويؤول المذهب فى خاتمة المطاف الى الضياع **((لان أى مذهب هو دائما صورة للماضى ، الذى يتصف وجده بالكمال)) ، و ((الفلسفة الماركسية انما هي الجهد لجعل العمل شفافا امام الفكر ، ولحفزه بتجاوزه))** . والحقيقة عند الماركسى لذلك لها وجهان : أحدهما نسبى والاخر مطلق. ذلك ان الحقيقة فى مجرى التاريخ العام والمتدفق هى حقيقة نسبية ، ولكنها فى اللحظة الزمنية التى تصدر عنها وفى مزاملة قانونها العلمى هى حقيقة مطلقة. غير ان العلاقة بين الوجهين ــ المطلق والنسبى ــ للحقيقة الواحدة ، ولمجموع الحقائق ، هى علاقة جدلية ديناميـة وليست ثابتة ستاتيكيـة . وهى العلاقة التى تفسر لنا صلة الفكر بالواقع : فبالرغم من اولوية الوجود على **((النماذج))** الفكرية التى **((تعكسه))** ، فان الصلة بين العاكس والمعكوس ليست آلية او ميكانيكية فى جوهرها . ان لحظة **الانعكاس** تقابلها على الناحية الاخرى ، وفى نفس الوقت ، **اللحظة الفاعلة** التى اكد عليها ماركس مرارا حين قال ان البشر يصنعون تاريخهم . والى هذه اللحظة تنتمى كافة المبادرات التاريخية للانسان ، افرادا ومجتمعات . واذن يظل صحيحا ان المعرفة **بطبيعتها** « انعكاس » بمعنى انها معرفة واقع ليس من صنعنا ، ولكنها أيضا **بطريقتها** « بناء » . وفكرة **((النموذج))** هى بالدقة عملية الاحتفاظ باللحظتين المتقابلتين والمتفاعلتين معا وفى آن واحد ، لحظة الانعكاس ، اى اللحظة المادية ، واللحظة الفاعلة ، اى لحظة البناء الفكرى . ويتواجد اللحظتين فى حركة جدلية لا تنتهى تتخلص الماركسية من الوهم المثالى القائل بأولوية الفكر على المادة ــ من عالم المثل الافلاطونى الى الروح المطلقة الهيجلية ــ كما تتخلص من الجمود العقائدى الذى يفترض أبدية «نموذج» مؤقت بطبيعة العصر الذى اوجده، كما يغفل الوجه النسبى للحقيقة ــ وهو وجهها الرئيسى ــ ويبرز وجهها المطلق، وهو وجهها الثانوى. فبالرغم من ان هناك دائما **((نواة))** من حقيقة مطلقة اكتسبها العلم ولا يمكن ان تعود لتصبح موضع تساؤل من جديد، ولكن نواة الحقيقة المطلقة هذه ليست ابدا مكتملة ، ويضمها تيار من المفاهيم والنظريات والنماذج الخاضعة للمراجعة دائما اى تيار من النسبية . على ان النسبية فى مجال المعرفة وان عنت تعدد الفروض بل وضرورة هذا التعدد، فان فرقا هائلا يقوم بين النسبية بمعناها الجدلي ومعناها السفسطائى : فهذا المعنى الاخير

(١) نقله الى العربية فى ترجمة رديئة نزيه الحكيم ونشرته دار الاداب ــ ويراجع فى هذا الصدد مقال حسين مروة فى مجلة « الطريق » ــ العدد الثانى ١٩٦٨ ــ فى الرد على المقدمة المعادية للاشتراكية التى كتبها المترجم .

يكتفي بنظرة مجردة ، بجانب واحد من حركة الفكر حين يؤكد ان في كل خطأ قسطا من الحقيقة دون ان يميز اهمية هذا القسط ، بينما يتضمن المعنى الجدلي ضرورة التمثل النقدي ، ضرورة استيعاب كل الحقائق الجزئية المكتشفة في الفرضيات المتعددة، ولكن الجدل الماركسي يدعو في نفس الوقت الى تجاوز هذا التعدد « **اذ ان الفرضية الاكثر صوابا هي تلك التي تثبت اخيرا قدرتها على استيعاب كل الاخريات** » . وانه لوهم يصل الى مستوى الضلال ان نتجاهل من المبادىء الجوهرية لدى ماركس هذا المبدأ القائل بأن اية ايديولوجية — ككل نظرية — قد ولدت في بوتقة الممارسة الحية والتطبيق الواقعي ، وانه لامتحان عسير ولكنه موضوعي ، امتحان التاريخ « **وليس هناك معرفة مطلقة تتساوى مع الشيء الذي تعرفه وتصبح معه شيئا واحدا ، اذ المعرفة تصور ، او اعادة بناء ، تهدف الى ايضاح الواقع** » . ولعل التركيز على الوجه المطلق للحقائق هو الذي حول الماركسية على ايدى ستالين وشراحه من كونها فلسفة نقدية الى ايديولوجية تبريرية لسياسة معينة « **والميتافيزيقا المادية ليست افضل من الميتافيزيقا المثالية** » .

وقد تورطت كل نظريات المعرفة المادية غير الماركسية في هذا المزلق الخطير ، انها توهمت انعكاسات الوجود انعكاسا يحدد بداية المعرفة ومنتهاها وكأنها ليست الا تلقيا سلبيا لمعطيات الوجود الطبيعية .. وبذلك انتفى عند اصحاب هذه النظريات دور البشر في صنع تاريخهم ، بل اصبح هذا التاريخ قدرا مكتوبا لا في لوح سماوي ، وانما في لوح الطبيعة : غيبية جديدة باسم المادية والعلم ! بل وامتهان لدور الانسان المبدع في الحياة ، والحكم مقدما بلا جدوى صراعه مادامت « عجلة التاريخ » تدور ، ضربتها يد الطبيعة فدارت .

ولنا ان نتصور النتائج العملية لهذا التصور المادي المبتذل والساذج ، وهو التصور الذي كاد ان يلتصق بأذهان المعاصرين للستالينية عن الماركسية . وذلك بالرغم من ان المعرفة الماركسية هي حقا **انعكاس** بوصفها معرفة مادية وبوصفها علما تم تحققه ، وهي أيضا مشروع بوصفها معرفة جدلية وبوصفها علما في طريق التحقق . هي انعكاس دائم ومشروع دائم، ولكنه انعكاس تتفاوت درجة صحته لما يجري فعلا في الطبيعة، وهو ليس نقطة بداية مطلقا وانما هو ثمرة عمل طويل، ثمرة «**مشاريع**» متتالية ونماذج وفرضيات «**بواسطتها — وبصورة فاعلة — نسأل الاشياء عن حقيقتها ، فنقبل التكذيبات التي توجهها الينا ، ونعود اذ ذاك فنغير فرضية المنطلق، ونعيد تنظيم معارفنا بصورة شاملة** » . وذلك لان معرفتنا في حقيقتها هي معرفة تاريخية ، فمن خلال الممارسة ، والممارسة وحدها ، يتضح لنا مدى تناقض النموذج — الذي كوناه فرضا ومن تراكم مشاريع سابقة — مع الواقع الذي عكسنا عنه هذا النموذج .

فاذا تم التناقض سواء لفشل النموذج او لجدة الواقع واتساعه على الثياب الفكرية التي فصلت عليه فيما سبق وضاقت عليه الان ، في كلا الحالين يتعين علينا : اما ترقية النموذج بتعقيده وفق تعقد الواقع الجديد، او الاستعاضة عنه بنموذج جديد، اي باعادة تنظيم شاملة لمعارفنا « **فالتناقض والتركيب هما هنا لحظتان متلازمتان من جدل المعرفة هذا ، الذي هو في الوقت نفسه جدل عمل ، بل حالة خاصة من جدل العمل. وبالتالي فان شأن العقل الجدلي هو ان ينتقل من تركيب الى تركيب آخر ، من تركيب موقت الى آخر مؤقت، يدفعه الى هذا الانتقال ان التركيب الاول واجه مقاومة لدى الواقع ، واخفق امامه ، وتناقض معه** » . على هذا النحو لا نرى في الاقتصاد مثلا ، ظاهرة طبيعية لا قبل للانسان بمقاومتها فهي التي تقوده مستسلما كاداة غير عاقلة نحو اقداره السياسية والثقافية والتاريخية بصورة عامة . وانما نرى الاقتصاد — كما رآه ماركس — نتاجا انسانيا وليس حقائق نهائية ، ليست السلعة مثلا من معطيات الطبيعة بل هي نتاج ثقافة واضافة « **انسانية** » . فالوقائع الاقتصادية ليست وقائع طبيعية لا حضور فيها للانسان، موجودة منذ الازل خارجا عنه وبدونه. وانما الاقتصاد هو وجه « **رئيسي** » من وجوه صلات البشر مع الطبيعة ، وهو يشترك اشتراكا عضويا في جملة هذه الصلات التي يتولد عنها العلم والفلسفة والدين والفنون، وهو يلعب دورا حاسما في التاريخ دون ان يكون هو المحرك الوحيد وما عداه ظواهر طارئة او عارضة . ومن هنا كان لابد من طرح قضية البناء الفوقي والبناء التحتي طرحا جديدا واصيلا .. فما دامت مادية ماركس التاريخية بعيدة كل البعد عن ان تكون انعكاسا فحسب، ولا تصورا قبليا فحسب، فانه لا سبيل الى **استنباط** الابنية الفوقية من قاعدتها ، ولا **ارجاعها** الى قاعدتها ، وانما كل ما نستطيع الوصول اليه هو ان البناء الفوقي والبناء التحتي معا هما لحظتان في جملة عضوية واحدة تلعب فيها العلاقات الاجتماعية **والبيئة** الطبيعية دورا رئيسيا .

عقلان .. ومنطقان

ويميز روجيه جارودي تمييزا واضحا بين المنطق الجدلي ومنطق العقلانية التقليدية ، فيذهب الى ان المنطق الجدلي هو **اولا** العقل في حالة التكون

فى مقابل العقلانية التامة التكوين بقوانينها الثابتة كقوانين المنطق الصورى . وهو **ثانيا** فن طرح الاسئلة بقدر ما هو طريقة لاعطاء الجواب عليها. فاذا كان الواقع ليس معطى ثابتا بل عالما فى ولادة مستمرة فان المنطق الذى يحاول خلق نماذج على صورته مدعو الى ان يجعل مبادئه نفسها موضع تساؤل ؛ ليستطيع فى كل لحظة ان يطرح المسائل فى الحدود المطابقة للوضع الجديد. **اى ان المنطق له تاريخ ، وهذا التاريخ ليس تاريخ الاجابات المتتابعة التى اعطيت لسؤال بعينه ، بل هو تاريخ التقلبات التى طرأت على طرح السؤال نفسه** . ومن خصائص المنطق الجدلى **ثالثا** ان يربط بين عقل يرشد العمل دون ان يحتمه وبين عزيمة مسئولة ، عقلانية وحرة معا . وهو **رابعا** لحظة من البناء العقلانى للواقع ، اى انه ليس تأملا فى نظام بل هو بناء لنظام ، ولحظة السلبية فيه ، اى لحظة رفض النظام السابق هى لحظة جوهرية لانها تؤكد التوحد المتنامى بين تاريخ الطبيعة وتاريخ الانسان،بين ماهو عقلانى وما هو عملى ، فأنسنة الطبيعة توازى طبيعية الانسان ((**وبالتالى فان توافق فكره مع الطبيعة التى منها انبثق ، والتى ولد منها فكره ذاته ، ليس سرا ولا معجزة . والانسان ، بالحركة الواحدة ذاتها ، يفكر فى الواقع ويحيل فكرته واقعا**)). فالجدلية ليست بالمخطط الخيالى القبلى ، وقوانين الجدل ليست منظومة من قواعد للفكر مغلقة . بل ان مبادىء الماركسية ذاتها تقتضى ان تدرس قوانين الجدل لا بوصفها تعريفا للبنية السرمدية لعقل مطلق ،وانما — يقول جارودى — بوصفها ((**كشف حساب ، مؤقتا باستمرار ، لانتصارات العقلانية فى كل مرحلة تاريخية كبرى**)). او هى ، فى عبارة اخرى ((نماذج)) يبنيها ذهننا، تقريبية دائما ومؤقتة تتيح لنا اكتساب السلطات على واقع لم نخلقه نحن ، واقع تضمن لنا الممارسة وحدها ، اى الاختبار المنهجى ، ان تكون نماذجنا تلك على قدر من التطابق مع بنيته .

وربما كان الفن هو اكثر اشكال علاقة الانسان بالطبيعة تأكيدا على هذه الفكرة المحورية ، وهى ان الثورة التى يشهدها الفن المعاصر انما تقوم على اساس تكافل العالم والانسان فى بناء بعضهما البعض ، على النقيض من الفكرة التقليدية القائمة على اساس محاكاة الفن للطبيعة، فالمكان نفسه لم يعد طبيعيا وثابتا ، والزمن كذلك لم يعد وحيد الاتجاه،وانما اضحت المبادرة الانسانية هى الصياغة الاكثر تقدما ((لخلق)) طبيعة ثانية كما كان **جوته** يصف الثقافة . واذا استطاعت مجموعة من الفرضيات المختلفة او المتعارضة ، واذا استطعنا ببناء ((نماذج)) مختلفة او متعارضة، الوصول الى جوانب جزئية من الواقع فان تعدد المدارس العلمية والفنية يعد كما يقول جارودى ((**شرطا أول**)) لتطور العلوم والفنون فى الطريق الصحيح .وهكذا يصبح دور الواقعية الاشتراكية ان تتحول عن المفهوم الفوتوغرافى الجامد الذى يصل فى مرحلته المبتذلة الى ما نسميه بالدعاية لشىء كائن بالفعل نحاول تجميله ،فنشوه الطبيعة والانسان معا الى المفهوم النقدى للحياة باحلال اللحظة الفاعلة والايمان بالمبادرة التاريخية التى تتيح للفنان طاقة حقيقية للابداع .وكذلك الامر فى الاخلاق حيث يحل الحوار بدلا من التسامح، لان هذا الاخير يقوم على قناعة تامة بصحة المسلمات او النماذج المتخيلة عن الواقع والمطابقة له فى كل الظروف ، بينما الحوار هو الاقتناع بنسبية النماذج المعطاة ، وانها قابلة للاكتمال دائما .

ولذلك تستقبل الماركسية الحية منجزات السبرانية والفلسفة البنائية ، وتطبيقات **بيير فرانكاستل** على اجتماعيات الفن حيث تمرد على الزعم القائل بان كل مجتمع انما تتحدد بنيته كلها باقتصاده وسياسته وحياته الاجتماعية فلا يبقى للفن من مهمة الا ترجمة هذه البنية او التعبير عنها، وبرهن على ان دور الفن لا يقف عند حدود الانصاح عن القيم بل هو يتعدى ذلك الى الاسهام فى خلق القيم ، فهو يرى فى الفن احدى لحظات خلق الانسان لنفسه خلقا مستمرا ((خلقا لواقع جديد ولقيم جديدة)) ولذلك يرفض ان يعامل الفن كما لو كان مجرد بناء فوقى أو كما لو كانت وظيفة الفن نسخا لواقع سابق الوجود وتكريسا له بل كلحظة جدلية ضرورية فى بنية المجتمع البشرى وهو يصوغ صفحة وجهه .

و ((**خلق الانسان لنفسه خلقا متصلا**))
هو القانون الاخلاقى الجديد الذى يقدمه روجيه جارودى تطبيقا لهذا التصور الحى للماركسية . وهو القانون الذى يستبعد الاخلاق الافلاطونية التقليدية فى الغرب حيث ان النموذج المعد سلفا والقاعدة السابقة الوجود والمثل الاعلى هى الحد الفاصل بين ما هو خير — اذا امتثل الكائن لها — وما هو شر اذا تمرد عليها. وخلق الانسان لنفسه خلقا متصلا يعطى لمسئولية الانسان معنى واقعيا، اذ يصبح الكائن مسئولا لا عما هو كائن بل عما هو ممكن ان يكون ، لا عما هو معروف ومتعارف عليه بل عما هو مجهول ولم يكتشف بعد .. بشرط ان يتم هذا الخلق المتصل للذات فى اطار الوعى بالظروف التاريخية التى ابدعتها خلائق الانسان السابقة والتى تخضع لقوانين ضرورية ((يؤدى جهلها او تجاهلها الى المغامرة او العجز)) . وبذلك تضع الماركسية الاساس النظرى لاخلاق لا تضحى ((**بالحتمية الموضوعية**))

على مذبح « **المسئولية الشخصية** » ، ولا بلحظة «**الذاتية**» طلبا لوعى «**قوانين**» التطور الصارمة. ذلك ان دراسة قوانين التطور الاجتماعى التى تسمح احيانا برسم جوهر المسار التاريخى نحو مستقبل قريب او بعيد لا تعفينا **كذوات فاعلة**، خالقين لتاريخنا ذاته من المسئولية الشخصية ، لاننا لسنا **موضوعات** فى تاريخ نتصوره على شكل يهبط بنا « الى حيث لا نكون اكثر من محصلة او مجموعة لظروف وجودنا » . وتلك هى المعادلة العسيرة التى حاولت الماركسية أولا طرحها وثانيا الاجابة عليها بعيدا عن القول بقاعدة سلوكية نعطاها من الخارج كاملة الصنع ، او القول باننا احرار مطلق الحرية فى ان نضع بنفسنا ووحدنا قيمنا واهدافنا . ان انسانية الانسان يبدأ تحققها بتخطيه لمجموع الظروف التى أوجدته، وماركسية الفيلسوف هى الاخذ بفلسفة نقدية دون ان ينزلق الى التوهم المثالى بأن فعلنا هو مصدر الواقع الذى نمارس عليه هذا الفعل .

والانتقال من القاعدة السلوكية الجاهزة مقدما — سواء كانت وحيا اسطوريا او تبريرا ايديولوجيا — الى مرحلة التساؤل والمسئولية هو اشق مراحل الانتقال « **الاخلاقية** » واكثرها مأساوية ، هذه التى يسميها جارودى بتجربة التناقض : بين واقع وواقع أو بين اخلاق واخلاق، او بين بشر وبشر « **حينئذ تمتزج الأزمة التاريخية والمعضلة الشخصية امتزاجا وثيقا** » . والاخلاق الماركسية الاصيلة هى فلسفة للفعل، فلسفة تجعل من الوعى ، ومن الممارسة الانسانية التى تولده وتغذيه باستمرار ، واقعا حقيقيا ، يمد جذوره فى الفاعلية الماضية والواقع (الراهن) ويعكسهما، ولكنه باستمرار يتخطى المعطى وباستمرار يضيف الى الواقع بفعل خلاق ، فعل ليس بعد معطى على مستوى الطبيعة دون الانسانية ولا شىء يضمن نجاحه مسبقا .

ويعترف جارودى — هنا — ان القضية على هذا النحو قد طرحتها وجودية سارتر ولكن بصورة مختلفة ثم وصلت ايضا الى نتائج مختلفة. اى ان القضية فى ذاتها صحيحة غير ان تناولها فى المقدمات يجعلها خاطئة، وعلاجها فى النتائج يجعلها خاطئة كذلك . فالحرية الوجودية خارج حدود الزمان، فهى حرية تأملية وليست حرية فاعلة ، والاخلاق الوجودية شكلية فى جوهرها لان حريتها غاية فى ذاتها تساوى بين ان يختار الانسان لنفسه ان يكون مجرما او مناضلا ثوريا كما يقول سارتر نفسه . وهى اخيرا حرية مجردة ميتافيزيقية تتصور الفرد جزيرة منعزلة لا علاقة لها بالعالم المحيط بها . أما ماركس وهو يركز على اللحظة الفاعلة للانسان فانه يرى فى الفرد جماع علاقاته الاجتماعية ، فأنا — يقول جارودى — « **منذ تفكيرى الاول ، منذ مشروعى الاول ، تسكننى الانسانية الماضية والحاضرة** » وعالم الفيزياء لايطرح السؤال فحسب ، بل هو بفضل تلك الثقافة يمثل كل بشرية الماضى ، فـ « **نحن** » سابقة على « **الانا** » . واذا كان ماركس يقول انه بالعمل يولد الانسان، فان العمل بصفته تخطيا للوجود هو المقولة الاولى فى الاخلاق ، واستباق الفعل بمشروع ما ، أو ممكن ماهو ما يميز العمل الانسانى عن التحرك الحيوانى ، وهو ايضا مايتيح للانسان ان يسلك الى المستقبل طريقا اصيلا ، طريقا يفترض الحرية والاختيار «**فالانسان لايختار من بين معطيات بل من بين ممكنات ، من بين مشاريع ، ومع هذه القدرة على اشراع عدة افعال ممكنة تولد الحرية** » وهكذا تولد القيمة من الأتحاد بين ممكن تعبر به حريتنا عن نفسها ومشروع تتجلى فيه معرفتنا وحاجة هى محرك عملنا « **بصيغة اخرى نقول ان الانسان يخلق قيمه فى الوقت نفسه الذى يخلق فيه حاجاته ، ويخلق حاجاته فى الوقت نفسه الذى يخلق فيه ممكناته (بتغيير الطبيعة) فالمعرفة هى تطور فاعلية العمل** » . والحاجة اذن ليست فردية وانما اجتماعية ، وهى تأخذ شكل الضرورة التاريخية ، شكل التمرد ، وبها يتم الانتقال من الاغتراب الى الثورة « **فالثورة هى ولادة امكان ومشروع وحاجة ، اى ولادة قيمة** » .

هذه النظرة تسمح لنا — كما يقول جارودى — بتحريرنا من الفردية وتمسكنا العميق باستقلال الوجدان ، اى انها تساهم فى خلق الانسان لنفسه خلقا متصلا يحول بيننا وبين الاغتراب ، اى انه — مرة اخرى — يلغى الازدواج بين الجانب الاجتماعى والجانب الشخصى فى الاخلاق، ويخلق الشروط التى ستتيح لكل انسان ان يصبح انسانا حقا ، اى ان يصبح خالقا « **وبهذا المعنى عرف مكسيم جوركى نظرتنا اروع تعريف بقوله ان علم الجمال عند الاشتراكيين هو علم اخلاق المستقبل** » . ولايعنى ذلك بالطبع ان قيام الاشتراكية يلغى ظاهرة الاغتراب مادام اساسها الموضوعى قائما باستمرار اقتصاد السوق وسلطة السلعة ، ولان جذورها الاجتماعية مرتبطة بوجود الدولة . ولو انكرنا بقاء ظاهرة الاغتراب فى ظل الاشتراكية لوقفنا من البناء الاشتراكى موقفا تبريريا يؤذيه فى الصميم « اذ لكان معناه اننا ندعو الى (لا واقعية اشتراكية) فى الفن كما فى الاخلاق ، والى حرمان بناء الاشتراكية من خميرة الفكر النقدى التى هو اليها فى أشد حاجة » . او كما قال جارودى فى صدر تساؤلاته من كيفية طرح المشكلات فى هذا الثلث الاخير من القرن العشرين « **ان الواقعية**

الاشتراكية اذا تنازلت عن دورها النقدى لابد ان تغرق فى الحماسة اللا واقعية)) وهكذا يمكن فى ظل النظام الاشتراكى ان تستمر اشكال العاطفة والحب المختلفة التى عرفها الانسان فى ظل الاقطاع والراسمالية سواء منها الانماط المشوهة او الاثار الرائعة .

ويظل من الثابت بالتجربة ـ فى راى جارودى ـ ان عيون الاثار الفنية الاكثر نجاحا فى الشعر او على المسرح، ولدى شولوخوف ،او فى ((انشودة جندى)) لا تقدم لاسمى العواطف الانسانية صورة تميزها عن تلك التى كانت تقدمها فى الماضى وفى ظل النظم القديمة عيون الاثار الغرامية والبطولية . والحب بالذات ـ هذه العاطفة الانسانية العظيمة ـ يصلنا من باب الحضارة لا من باب الطبيعة ، ذلك لان اية قيمة لا تمنح من الخارج ، وبالتالى فان المبادرة الانسانية وحدها هى القادرة على ان تعطى معنى لما هو سابق للمعنى ، اى للطبيعة ((ولذلك كان الحب حتى الجسدى منه واقعة ثقافية حضارية لدى الانسان لا واقعة طبيعية ، والانتصار فى الحب، شأنه شأن اى انتصار آخر ، ليس مكتوبا من قبل فى اللوح المحفوظ ، فليس هنا ما يعفينا من الكفاح من اجل النصر)) . ولا يخفى جارودى اعجابه الكبير باجتهاد اراجون فى هذا الصدد ومحاكاته لماركس الذى وضع جدلية هيجل المثالية على قدميها فحاول هو ان يصنع الشىء نفسه مع الصوفية .وهو ليس قلبا آليا ميكانيكيا للوضع، كما ان قلب ماركس لهيجل لم يكن كذلك، وانما كان قلبا منهجيا . اى ان الحب فى **((مجنون الزا))** ليس مكتوبا معناه سلفا فى الطبيعة بل نجده خلقا انسانيا محضا .وفى حياة كل عاشقين **((ينعكس ويتلخص وينعقد قدر عصرنا كله))** وفى نفس الوقت يكشف الحب عن البعد الانسانى الخاص فى التاريخ **((فالشعر والحب يكشفان عن مفارقة الانسان بالقياس الى كل انجازاته المؤقتة .. فحب الزا هو الوعد بمستقبل كامل للانسانية، وضمانة تحقق هذا المستقبل))** .ويستكمل جارودى فكرته قائلا **((ان الحب هو المعاناة الممتازة لهذه الحقيقة العميقة ، حقيقة ان ولادة الفكر تتم من خلال المادة لا خارجا عنها ،وان الفكر ليس نقيض الطبيعة بل هو توكيد الطبيعة))** .

الفن بين النظرية والتطبيق

بهذه الرؤية الجديدة الحية للماركسية ، فى منهجها العام ، وفى تطبيقاتها النقدية لوجهى مشكلة القيم : الاخلاق والجمال ، يتناول روجيه جارودى قضية الفن . وهو يفرق منذ البداية بين الرمز فى الاحلام كترجمة **((الرغبة))** وتصعيد لها كما يذهب فرويد ، وبين الرمز فى الفنون كلحظة **((عمل))** مفارقة للطبيعة، بينما الرغبة وتصعيدها امتداد للطبيعه . وهو ايضا لا يخص بالاسطورة تلك الاشكال البدائية وحدها ، وانما هو يقصد بها كل عمل خيالى ابدعه الوجدان البشرى فى حركة تنبؤية تشير الى المستقبل اكثر من استكانتها بين احضان الماضى . والاسطورة على هذا النحو **((كل حكاية رمزية تذكر الانسان بحقيقته ككائن خلاق))** . ولقد كانت فى بكارتها الاولى بمثابة الرفض الاول من جانب الانسان لاحتمال ان يكون النظام القائم للطبيعة والمجتمع هو الاحتمال الوحيد ((ففى كل اسطورة عظيمة يستعيد الانسان مفارقته الذاتية تجاه كل نظام معطى)) . وبالتالى فقد ولد الفن نقدا للحياة لا تبريرا لها .

وليس صحيحا ما يتوهمه البعض من ان الاسطورة فى ذاتها خروج على الزمان ، والاصح ان يقال انها **((تحكم))** فى الزمان واجتهاد ـ مهما كان نصيبه من النجاح ـ فى السيطرة على زمام الواقع . ذلك انها تمنح الانسان لذة الشعور الحقيقى بالقدرة على الخلق، وانه ليس سجينا فى قوقعة من القوانين الصامتة ، بل هو يدرك خلال مفارقته للطبيعة ـ عبر الاسطورة ـ انه يستطيع القيام بدوره المبدع . بمعنى آخر هى تحقق من زاوية ما ((انسانية الانسان)) فلا يعود وجوده حبيسا لنسيجه الاول **((الطبيعة))** وانما هو يفلت من اسر قيودها بخلقه **((الطبيعة الثانية))** التى حدثنا عنها **جوته** قاصدا الثقافة والحضارة. هذه الطبيعة الثانية هى التى تميز بين الرمز الاسطورى عند البشر كلحظة عمل مفارقة للطبيعة الاولى اى كلحظة من لحظات خلق الانسان لنفسه خلقا متصلا ، وبين رمز احلام الرغبة الذى لا يتجاوز كونه امتدادا تلقائيا للطبيعة الاولى وليست لديه القدرة بأية صورة من الصور على خلق طبيعة جديدة . اما العمل الانسانى الخالق فهو مبدع الاسطورة ،كمشروع ونموذج.

ان الاساطير اليونانية على سبيل المثال ليست تساؤلا من جانب الانسان عما هو كائنه بل عما هو ممكن ان يكونه.وذلك بالرغم من ان ما تقوله الاسطورة بالرمز لا سبيل الى تجريده فى مفاهيم نظرية او معادلات . وهكذا لا يستقبل الماركسى معنى الاسطورة فى علاقتها الخام بالوجود المعطى، بل معناها **((كنداء عمل))** او **((لغة مطالبة))** حيث تكشف لنا عن كل غياب ونقص وفراغ يجب ملؤه ، اى انها **((لغة تمرد))** بطبيعتها .. فالفن منذ ولادته الاولى ليس **((تكريسا لحضور))**

ولا حتى تسجيلا لثمرة عناصر اخرى مفارقة للطبيعة كالعلم والفلسفة ، وانما هو فى ذاته لغة ثورة لها خصائصها الذاتية المستقلة ، مهما تفاعلت مع ثورات كافة اشكال المفارقة الانسانية للطبيعة ، هي تشارك فحسب ، ومن موقعها الخاص ، فى خلق ما يدعوه جوته بالطبيعة الثانية، وندعوه نحن بالثقافة او الحضارة. ولاشك ان التوقيت الزمنى والتزامل المكانى بين مختلف اشكال المفارقة سوف يضفى عليها الكثير من السمات المشتركة التى تؤرخ لحضارة عصر من العصور وتميز ثقافته عن غيرها . ولكن هذا الاطار التاريخى لا يتجاوز مهمته ابدا الى الخلط بين الصور المتعددة والاشكال المتباينة . هذه النقطة التى لم يتح لجارودى فى كلمات قليلة الا ان يشير اليها اشارة عاجلة تتطلب تأملا طويلا . ذلك ان الانطلاق من مقدمات خاطئة يقود بالضرورة الى نتائج خاطئة . والخلط بين ثورة نوعية لها تكوينها الذاتي المستقل كثورة الفن وبين ثورات اخرى فى السياسة والفلسفة والعلوم، يؤدى اولا الىامتهان دور الفن لانه ليس انعكاسا فحسب كما يتوهم الماديون الميكانيكيون، وليس لحظةفاعلة فحسبكمايتوهم المثاليون،وانما هو يجمع بين اللحظتين فى «نموذج» و «مشروع» له استقلاله النسبى وكيانه الخاص الذى لا يقل استقلالا ولا خصوصية عن اية نماذج اخرى او مشاريع . وهنا يجدر بنا انتذكر **بالعام والخاص** فى الماركسية ، فالصورة الاسطورية للواقع التى يقدمها الفن — والاجدر ان نقول بخلقها — تتآزر مع بقية الصور — اى النماذج — العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية — لتكون فيما بينها على نحو غاية فى التعقيد ((**لوحة العصر**)) ولكن هذه اللوحة لم تتكون الا من خطوط والوان لكل منها صوته الخاص . بذلك نحمى الفن من ان يكون مندوبا للدعاية ، فالواقع لدى الفنان ليس معطى جاهزا وانما مهمة تنجز ، ونحميه ايضا وبقدر المستطاع من اقتصاد السوق ووساطة السلعة اى من عشوائية الخلق وتلقائية الابداع التى يتصور البعض خروجها عن الزمان والمكان. ومعنى ذلك ان المزاوجة بين العام والخاص فى العمل الفنى مزاوجة حية فاعلة هى الضمان الأكيد للفنان الا يتورط فى وهاد البروباجندا حيث يقتصر دوره على الاستجابة السلبية للواقعفيتخلى بذلك عن الفن كخلق وابداع وتجاوز للواقع . وكذلك فان هذه المزاوجة بين العام والخاص فى العمل الفنى هى الضمان الاكيد للفنان الا ينزلق فى هاوية الاغتراب حيث يتخلى بدوره عن جوهر الفنكتصور تنبؤى للمستقبلوليس استكانةواهية فى الحاضر . وما يسمى اذن بتشويه الواقع لانفلاته من حرفيته — انماهو فى حقيقتهالصورة الاسطورية للواقع . وانما يصح التنبيه الى تشويه الاسطورة عند الذين يأخذونها بحرفيتها لا بروحها اوهميستكشفون عناصر الرمزلادلالته.

هذه النقطة هى الاخرى على جانب كبير من الاهمية وان عالجها جارودى فى بضعة اسطر ، لانها تحذير للنقد الادبى من السقوط فى براثن ((**الحرفية**)) هذه سواء من جانب النقاد الذين تعنيهم « حرفية الواقع » باسم الواقعية، فاذا جابهتهم لوحة او رواية او قصيدة تبعد قليلا او كثيرا عن الواقع المرئى والمألوف والمباشر بادروا الى اتهام صاحبها ((**بتشويه الواقع**)) .. او من جانب النقاد الذين تعنيهم ((**حرفية الاسطورة**)) كعلماء الميثولوجيا اذ لايعنيهم من ((**انتيجونا**)) الا اصرارها على اتمام مراسم جنازة اخيها ، ولاتعنيهممن **قيامة المسيح** الا المشكلةالفسيولوجية او قضية اعادة الموتى الى الحياة .. بينما لو تحررت نظرتنا الى انتيجونا والمسيح من الرؤية الميثولوجية للامورلاكتشفنا «الفعل الخلاق»الذى يجعل الاسطورة اليونانية تؤثر فينا الى اليوم ، او ان قيامة المسيحتهزحياة البشر منذ الفى عام. فالاسطورة ليست انعكاسا لكائنبلتطلع الىخلق، وهى لذلك لا تعبر عن نفسها بالمفاهيم المجردة بل بالرموز الحسية . انها — كما يقول جارودى — ((**الفعل الخلاق اذ ندركه من الداخل، بالقصد الذى يمنحه الحياة . وهذه المعرفة على هذا الصعيد ليس (الكلى) موضوعا لها بلالشخصي والمعيش . انها تعطى معنى للخلق وتطلق الفعل الخالق . فهى نداء ، وهى فعل ، وهى شخص: شخص لاننا لن نستطيع تحديدانتيجونا اوهملت او فاوست بمفاهيم ، ولانهم يعبرون عن ذواتهم فى اسلوب سلوك شخصى باعادة تحريك المبادرة التاريخية للبطل**)) .

وليس من شك فى ان المهمة صعبة وجليلة ، ان نحاولصياغة فلسفة جماليةفىضوء الماركسية كما يقول جارودى . ولكنها مرة اخرى مهمة عسيرة لانه لا توجد اصلا ((**نظرية**)) ماركسية فى علم الجمال لا يحتاج الامر بشأنها الا الى تعديلات هنا وهناك ، وانما توجد شذرات غير منهجية لماركس وانجلز هى خواطر مبعثرة وانطباعات متفرقة حول هذا العمل او ذاك من اعمال الادب والفن ((**وهذه عناصر ثمينة ، ولكن وضعها الواحد الى جانب الاخر لايكفى لتأليف فلسفة ماركسية للجمال**)) والطريقة الاكاديمية الضيقة التى تبذل جهدا مضنيا فى جمع الاستشهادات واستنطاقها بما لم تقله صراحة ، ومحاولة ربطها ربطا منطقيا « صوريا » انما هى طريقة عقيمة ((**لن تتيح لنا ان نحدد وجهتنا فى المرحلة الراهنة من تطور الفنون**)) وما قالهانجلز عن بلزاك وماركس عنشكسبير كان يمكن انيقال

من ادباء عظماء آخرين لو ان ماركس وانجلز كان لديهما الوقت لقراءة كل شيء . فالاقتصار على رأى انجلز فى بلزاك مثلا ، وتعميمه على الادب بل واحيانا استنباط نظرية جمالية من هذا الرأى هو شطط وغلو يظلم انجلز والادب معا . غاية مايمكن ان نصل اليه من وجهة نظر المعرفة المادية — فى اطارها الجدلى التاريخى — هو أن الفن عموما وان كان مفارقا للطبيعة الا انه تأكيد لها وليس خروجا على التاريخ ، ليس شرارة علوية كامنة فى المطلق الخارجى « **السماء** » او المطلق الداخلى « **الذات البشرية** » وانما هو يخضع ككل فعل انسانى لنسبية الحركة المتبادلة بين الانسان والطبيعة ، ولكنه لايعبر عن واقع مصنوع بل عن واقع فى حالة الصنع ، واقع غير مكتمل ، ويحمل فى ذاته بذرة مستقبل لا يستطاع التنبؤ به بعد . وهذا ما نسميه « الفعل الخلاق » للفن . والخلق الفنى ليس انتاجا فكريا فحسب بل هو « **تحقيق للانسان بكليته** » . ومن ثم لا يصبح العمل الفنى مجرد « **مرآه ينعكس فيها عالم خارجى لا يتغير** » . ولا « **شاشة بيضاء ينعكس فيها عالم داخلى سرمدى** » وانما هو **نموذج** — بالمعنى الذى تعطيه السبرانية لهذه الكلمة — نموذج تشكيلى للعلاقات المتبادلة بين هذين العالمين ، اى بين الانسان والعالم ، نموذج متغير فى كل حقبة من حقب التاريخ تبعا للسلطات التى يكتسبها الانسان على الطبيعة وعلى المجتمع وعلى ذاته ، نموذج يتيح الاحتفاظ بلحظة الانعكاس واللحظة الفاعلة احتفاظا جدليا لاينتهى ولا تضيره أولوية لحظة على اخرى . ومن هنا لايصبح الفن كعنصر من عناصر البناء الفوقى للمجتمع مجرد « **عاكس** » له صفة الدوام والسكونية والثبات ، والا لما كان للاثار اليونانية القديمة عظمتها المتجددة . . فثراء الفن يتحدد هنا بالذات ، فى كونه ليس انعكاسا آليا وانما انعكاسا خالقا . والانعكاس الخالق وحده — وهو لا ينطبق على المفاهيم النظرية المجردة بل على الاثار الفنية وحدها — هو الذى يتحرك فى اطار التاريخ بحرية الفعل الخلاق الذى أسهم فى صنعه « **والفن ، بسمته التنبؤية ، يعبر عما هو جوهرى فى الانسانية . والعمل الفنى هو الواقع الانسانى فى طريق الصنع** » . والواقعية الحقيقية ليست تلك التى تعرض **قدر الانسان** بل تلك التى تركز على اختياراته . أى انه اذا افترضنا وجود زمانين : احدهما للاشياء والاخر للانسان من اختراع الذات يقاس بالقرارات المسئولة ، جاز لنا ان نكمل مع جارودى : « **ونسيج حياتنا محبوك من هذا الزمان المزدوج ، ومعضلتهما وروعتها معا هما فى ان تراهن على انتصار زمان الانسان** » . حينئذ لا تصدر أقيسة الجمال من واقع خارجى محدد بصورة نهائية مغلقة ، وانما من واقع تشترك فى صنعه فاعلية الانسان . ومن هنا لا تعود معايير النقد الفنى معايير مطلقة ، ولكنها مزيج مركب من وجهى الحقيقة : المطلق والنسبى ، المطلق فى تعبيره عما هو جوهرى فى الحياة الانسانية ، والنسبى فى تعبيره عما هو عرضى وطارىء فى اللحظة التاريخية التي عاشها الفنان . او هما بمعنى ادق ، اللقاء الحى العميق بين موضوعية العالم الخارجى وذاتية الخالق المبدع .

واقعية بلا حدود

وكانت المساهمة الهامة الثانية لجارودى فى مرحلة التحول عن الستالينية كتابه « واقعية بلا حدود » (٢) وهو التطبيق التفصيلى لوجهة نظره الجديدة فى الفن . ونحن نستطيع الان ان نتصور جارودى يوجه نقده العنيف — من خلال نظرته الجديدة — الى ثلاثة انماط رئيسية : اولها الماركسيون الدوجماطيقيون ذوو العقائدية الجامدة ، وثانيها الماركسيون المنحرفون عن النبع الاصلى نحو اليمين ، او بصيغة ادق الى الخلف ، الى جذورهم البرجوازية ، وثالثها المفكرون البرجوازيون الذين شحذوا ذكاءهم فى تقديم الماركسية فى ثياب الستالينية وقالوا هذه هى الماركسية .

ونحن نستطيع الان ايضا ان تحدد نقطتين رئيسيتين ينطلق منهما بشكل عام تفكير جارودى الجديد :

● الاولى هى ان الانسان ليس مجرد حصيلة لظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وانما هو تجاوز لها وتحد .

● والثانية هى ان القيم بوجهيها — الاخلاق والجمال — ليست مجرد تصورات قبلية مسبقة على الواقع — من الارض او من السماء — وانما هى جهاز معقد مزدوج الاستقبال والارسال .

اذا كان الانسان هو الموضوع الابدى للفن ، والفن هو الاخ روجها ملازما للاخلاق فى دائرة القيم ، استطعنا ان نضع ايدينا على معنى « الفعل الخلاق » الذى قصد اليه جارودى . . وهو الفعل الذى يقوم به الفنان مرتين : مرة كانسان ومرة كخالق للجمال . وقد تناول جارودى ثلاثة فنانين كبار اختار كل منهم طريقه الخاص الى الفعل الخلاق — **بيكاسو وسان جون بيرس وكافكا** — ولكن الثلاثة بتباينهم يمدون جارودى بدليل قوى على صدق منهجه واقترابه من الصواب . ويبدو لى انه عمد

---

(٢) نقله الى العربية حليم طوسون فى ترجمة جيدة عنوانها « واقعية بلا ضفاف » وهى تسمية حرفية ، وان كان المؤلف يعنى ماهو ابعد من لفظة الشواطىء أو الضفاف ، يعنى « اية حدود » يمكن تصورها .

الى هذا الاختيار المعقد — وغير المفهـــوم لاول وهلة — ليختبر منهجه النظرى فى مجال التطبيق . لقد اختار فنانا تشكيليا وشاعرا وروائيا . ولم يكن الفنان التشكيلى — بيكاسو — صيدا سهلا ، فشباك معظم النقاد المتخصصين تخيب طموحها فى اصطياد « **جوهر** » بيكاسو وروحه ، هذا الفنان المنتمى الى الحزب الشيوعى ويصعب فى نفس الوقت ادراجه فى خانة الواقعية الاشتراكية ، بل ان انتاجه يبلغ من التنوع والغزارة كما وكيفا درجة يستحيل معها تصنيفه علميا فى اطار مدرســة واحدة . اما ســان جون بيرس ، هذا الاســم المستعار لالكسيس سان ليجيه الذى شغل فى وقت ما منصبا خطيرا فى وزارة الخارجية الفرنسية ، ثم كتب هذا الشعر النافر من الوزن والقافية نفورا اوقع نقاده المخلصين فى ورطة اكاديمية انقذتهــم منها تســمية مؤقتة وان تكن خاطئــة — هى « **قصيدة النثر** » . وهناك اخـــيرا فرانز كافكا الروائى الذى ود يوما لو لم تر اعماله النور ، وهى الاعمال التى صدمت الوجــدان الاوروبى فأحكم عليه رتاج العزلة شرقا وغربا فظل فنـــانا غير مقروء فى الشرق الى وقت قريب وفنـــانا صعبا على القراءة فى الغرب الى يومنا هذا ، وهو الفنان الذى شارك مع عمـــلاقين آخرين همـــا جويس وبروست فى افتتاح صفحة جديدة تماما فى تاريخ الرواية كفن ادبى .

هكذا اختار جارودى **ابطـــاله** — ولا اقـــول موضوعات بحثه — من بين الذين تشـــير اليهم الاصابع مهما تلونت اظافرها اوارتدت من قفازات بالاتهام . وهو يتوقف طويلا عند بيكاسو لا بصفته زميلا له فى حزب واحد، وانما بصفته فنانا معاصرا بلغ انتاجه من التنوع والتفرد والتطور مســـتوى لم يصل اليه فنان آخر فى القرن العشرين ، سواء فى القضايا التى يطرحها او الاجابات التى تسنى له ان يقدمها . ويقرر جارودى منذ البداية ان بيكاسو كمصور لم تصنعه حياته الجنسية او آراؤه السياسية، وانما احتواؤه لتـــاريخ البشرية كلها، وتيارات عصره كلها التى جرت فى عروقه مجرى الدم هى التى اكتسبت معنى كونيـــا او دلالة تاريخية بقدرته على اضفاء « ارقى اشكال الوجود الانسانى » عليها ، وهى الاشكال المتمثلة فى كل عمل فنى عظيم يقيم عالما جديدا هو امتـــداد للعالم القديم وانعكاس للعالم الراهن ، ولكنه ايضـــا « **نبوءة** » بعالم المستقبل . هكذا يتجاوز كـــونه شاهدا على هذا العصر الى ان يصبح تحدياله . . بعبارة اخرى هو يستوعب القانون الموضـــوعى للحياة ثم يضيف اليها قانونه الخاص، ويتم التفاعل بين القانون « **الطبيعى** » والقانون « **الفنى** » حتى يتم الانتصار للرؤيا الجديدة ، لميـــلادها بمعنى ادق ، مهما عانى الفنان من آلام المخاض المروعة التى تحول بينه وبين « الاندماج » فى العالم ، وانما تتيح له الاحتفاظ « ببعد » له قيمته فى ابداع الفن وابداع الحياة على السواء . لذلك يعد جارودى لوحة « آنسات آفينيون » ١٩٠٧ بمثابة « نقطة تحول » فى انتاج بيكاسو اذ طور محاولات سيزان بجراة شديدة . كان التصوير قد بلغ فى ذلك الوقت نهاية الطريق المســـدود الـــذى اقبلت الكامـــيرا الفوتوغرافية لتعلن خداعه . ولم تعد المحاكاة هى « الغرض » ولا الموضوع هو « المبرر » . ولكن التكعيبية — بلوحة بيكاسو — لم تكن بداية انقلاب فى التصوير كما شاء البعض ان يصف ما اقدمت عليه «آنسات آفينيون» بأنها ابدلت دور التصوير من خادم المادة الى سيد لها . . ذلك ان الثورة الاصيلة تشتمل على كافة المنجزات التى حققتها الثورات السابقة « ان الحاجة الى تخليص التصوير من الاوهام والمحاكاة لا تعنى ابدا التخلى عن كل اكتشافات الكلاسيكيين ، بل تعنى على العكس : الوعى التام بكل ما يتجاوز عندهم حرفية النقـــل ويخلق الابداع التشكيلى الحقيقى » . . ولقد علق بيكاسو فيما بعد (١٩٢٣) على هذه النقطـــة تعليقا واضحا اذ قال انه لا يوجد فى واقع الامر مايسمى عند البعض بالفن الطبيعى لان الطبيعة والفن شيئان مختلفان « ونحن نعبر بواسطة الفن عن مفهومنا لما نفتقده فى الطبيعة » او كما قال فى مناسبة اخرى «يجب ان تفقأ عيون المصورين تماما كما تفقأ عيون البلابل لكى يكون غنـــاؤها اجمل » . وهذا لا يعنى بالطبع ان بيكاسو يشير الى حقيقة داخلية باطنة على الفنان ان يتمـــلاها ويعكسها فى فنه ،وانما هو يشير الى ان الطبيعة او العالم الخارجى فى ذاته ليس فنا، ولكنه بكل تأكيد « خامة الفن» و « مادته الاولية »التى تتفاعل مع الحقيقة الداخلية الباطنة على نحو غاية فى التعقيد لا يعود بعدها الفن انعكاسا لخارج او لداخل ، وانما فعلا خلاقا يحقق انسانية الانســـان ، اى لحظته الفاعلة والمفارقة للطبيعة . ولكن هـــذا الفعل الخلاق ليس عشوائيا ، وانما هو يتم من خلال « نموذج » صهره التاريخ والعصر والتجربة اى خلقته الازمنة الثـــلاثة ، الماضى والحـــاضر والمستقبل .

ولقد ولدت الرؤية الجديدة عند بيكاسو من هذه الزاوية ، زاوية الزمن ، فهى رؤية زمنيـــة . ويشبه جارودى ما حدث — لتقريب المسألة من الاذهان — بالزمن السينمائى الذى قضى على فكرة الخط المتواصل فى اتجاه واحد اذ تيسر لنا السينما بوسائلها التكنيكية الخاصة كالفلاش باك والحلم وغير ذلك ان نعاصر ازمنة مختلفة . وقد فعل بيكاسو **بالمكان** الذى فهمه عصر النهضة على نحو سكونى ثابت ، نفس ما فعله بالزمن الكلاسيـــكى ، فقد لا تسمح قوانين البصريات برؤية العالم من مكان واحد محدد، ولكن الذاكرة والحلم يسمحان بذلك، برؤية العالم الداخلى والخارجى معا . على ان

هذا التصور الجديد للزمان والمكان يقتضى شيئا آخر هو رفض التسجيل الالى لكل مانراه ، والا ظهر تناقض حاسم لا سبيل الى حله بين الشكل والمضمون .. فاذاكان الزمن السينمائى هو رفض للزمن الكلاسيكى فان رؤية الاشياء من زاوية الزمن الجديد تستلزم اسلوبا جديدا فى « **بناء** » التجربة الفنية . هذا الاسلوب هو « **الاختيار** » من بين عناصر اللقطة الواحدة اكثرها دلالة على قيمة اللقطة ، ومن بين اللقطات المتتالية اكثرها دلالة على المشهد الشامل . فالاختيار لا يتم بصورة تلقائية وانما وفقا لرؤية عامة هى « النموذج » المشار اليه .

الفن ليس تجريدا نظريا

وفى مختلف مراحل تطور بيكاسو ، وبخاصة منذ بداية المرحلة التكعيبية ، لا يجعل من هذا النموذج « **معطى** » ثابتا لا يجوز المساس به حتى لا يتحول به الامر الى « **مفهوم** » يتخفى وراء اللوحة او يرمز اليه — كما يقول جارودى — بالتجريد ، كائن مهجن له راس فيلسوف ويد مصور تطلق باقة من الخطوط والالوان للاشارة الى فكرة « فالمعنى المقصود ينتشر على مسطح اللوحة عند بيكاسو ، والفكرة لا تسبق المعنى ولا ترتفع عليه لانها جزء لا يتجزأ من الخط او اللمسة » ، وهو تحذير لمن يعنيهم فى الكثير ان يفسروا اعماله التالية لكارثة وطنه الاصلى اسبانيا مع الحرية فى بداية الثلاثينات تفسيرا اجتماعيا ضيقا ، فليست لوحة « **مصارعة المينو طور** » (١٩٣٥) رمزا فحسب الى المعركة بين الحرية والفاشية ، فالمينوطور ليس مجرد اشارة الى القلق وانما هو القلق بعينه الذى ينتشر على سطح اللوحة ، وليست قوى النور التى يدوسها بقدميه ، والتى تتجسد فى الطفل والزهور والضوء مجرد شفرة تلغرافية مفادها « الامل فى النصر » .. وانما ينتشر النور مع الظلام فى ضفيرة واحدة على سطح اللوحة ولا سبيل الى فصل احدهما فصلا ميكانيكيا عن الاخر . وهو لذلك لا يقدم للمشاهد تكوينا مألوفا لديه بالرغم من ان المواد الاولية للشعور الذى دفع الفنان الى « فعله الخلاق » هى نفس المواد التى يملكها وجدان المشاهد العادى .. لو ان الفنان توقف عند هذه اللحظة لحدث احد امرين : اما ان نعرض عن هذا العمل ونهز اكتافنا قائلين بحق « وما الجديد ، اننا نعلم هذا جيدا » وكان العمل الفنى « خبر » سبقت اليه الجريدة اليومية والاذاعة . واما ان نندمج فى العمل الفنى اندماجا لا سبيل الى فصلنا عنه ولسان حالنا يقول بصدق « هذه صومعة جيدة فى قلب الصحراء تكفيناسكناها شر الجيران » . وليس هذا ولا ذاك غاية الفن العظيم . انه يستدرجك — كما فعل بيكاسو الى العمل بما لديكما من « ارض مشتركة » هى المواد الاولية ، ثم يفجأك ويدهشك بشىء جديد لايخطر على بالك ، ويدفعك الى التفكير من جديد ، وتحس يقينا انك طيلة هذه الايام كنت نائما فايقظك هو بجرعة مركزة من قطرات « الوعى » . ولا تتأتى هذه المقدرة الا باصطناع ماندعوه بالمسافة الموضوعية بين لحظتى الخلق والتذوق ، وهما اللحظتان الرئيسيتان فى علم الجمال .

ولعلها لوحة « **جرنيكا** » ١٩٣٧ كانت بداية الطريق او نقطة التحول عن مجرد « المشاركة » الى « الوعى » فى حياة بيكاسو الفنية .. فلسنا هنا مع الايدى الممدودة التى تستجلب الحنان فيما بين عامى ١٩٠١و١٩٠٥ حيث مرحلته الزرقاء الموجهة ضد عالم المتعة المزيفة « وهذه المرحلة بمثابة قصيدة ملحمية للوحدة والعزلة يتخذ التعبير عنها اشكالا منطوية على نفسها امام خلفية باهتة » . ولسنا هنا مع « الموضوع » البسيط الذى تعالجه « آنسات آفينيون » ١٩٠٧ وهو عبارة عن واجهة محل يدار للدعارة ، بالرغم من افتتاح هذه اللوحة لمرحلة عظيمة فى انتاج بيكاسو هى المرحلة التى تسمى عن خطأ بالتكعيبية . بل ولسنا هنا مع المرحلة التى بلغت ذروتها النهائية عام ١٩٣٥ فى « مصارعة المينوطور » حيث اكب بيكاسو على نسخ اعمال الاساتذة الكبار ، او راح بالأحرى يتأمل اعمالهم وفرشاته فى يده ، وان افصح اختياره لموضوعات بعينها عن مدى الاضطراب الذى يعانيه . ان **جرنيكا** كانت بداية التحول الجوهرى والعميق فى حياة بيكاسو بوجهيها : الفنى والواقعى . ولم يعد التضامن مع البشر فى بؤسهم وتعاستهم هو كل مايعنيه ويؤرقه فنيا ، بل كان الكفاح من أجل القضاء هذا البؤس وهذه التعاسة عن الوجود الانسانى هو ما يعنيه ويؤرقه فنيا وواقعيا . ولم يعد التجديد هو شق طريق ما فى دنيا التصوير ، وانما هو ايضا شق طريق مماثل فى دنيا الواقع « أن المصور الثورى الحقيقى لايكون ثوريا لان تصويره موجه ضد نوع آخر من التصوير ، بل لانه موجه ضد الاوضاع وضد العالم الناتج منها » ولا تنبع ثورية بيكاسو من اختياره لموضوعات جرنيكا والحرب والسلام وما اليها ، وانما من اسلوبه فى تنظيم هذه المواد الاولية وفق معايير خاصة به وقوانين خاصة بالفن .. وليس ذلك تعريفا ذاتيا للامور وانما هو على وجه ادق تفاعلا حيا مركبا بين الذات والموضوع . فجرنيكا مدينة صغيرة فى اقليم بسكاى هاجمها طيران هتلر وفرانكو يوم ٢٨ ابريل ١٩٣٧ واتخذها بيكاسو موضوعا للوحته دون ان يحكى الاحداث « بل انه

استبعد من لوحته كل رواية ولم يستخلص سوى الاهانة التى توجهها الفاشية للانسان ، وقدم ما يشبه الصورة الاسطورية لعصرنا فى لوحة ارتفاعهـــا ٣ر٥٠ من المتر وعرضـــــها ٧ر٨٠ من المتر » . ومرة اخرى يكرر جارودى اننا لسنا بصدد عمل رمزى بل بصدد اسطورة ، فالمغزى لا يرد من خارج اللوحة ولا يمكن تلخيصه فى خطاب، ولكنه يؤلف مع الشكل كلا واحدا لا يتجزأ . هكذا تصبح الالوان آلاما والخطوط اهوالا وغضبا « لسـنا بصدد تصوير لقصة، والاشلاء الممزقة والمشوهة، تخلط ببشاعة الأشكال الانسانيـــة بالاشكـال الحيوانية » واللوحة مشهد لمذبحة يسمو على الحكاية المروية، فلا الضوء هو ضوء نهار او ليل، ولا المكان هو داخل منزل او خارجه، ولا يمكن الحسم فى خطوط الضوء الباهتة التى تبرز تفاصيل المذبحة وما اذا كانت اشعة الشمس او انعكاسات لحريق او لمخروط ضوئى يرسله مصباح ، او الوضوح المخيف الذى تسكبه النظرة الثابتة على الاشياء .

وهكذا الامر فى لوحة « **الحرب** » حيث لا نرى سوى عربة الموتى فى سباق متهالك ومتفسخ ، وكتب مشتعلة وايد مقطعة . . وفى مواجهة سرطان الأسلحة البكتريولوجية والنووية والعجز الفاضح للجلد والسيوف والحراب تقف الانسانية العارية متمثلة فى المقاومة باسلحة النور ميزان العدالة وسنابل الخصوبة وبوجه **بالوما** — ابنة بيكاسو — الملائكى المنقوش على ترس المحارب ولوحة « **السلام** » هى الاخرى شجرة تطرح ثمارا من ذهب ، وحينا تحدث الشمس وبومة تهاجر قبل ان يزحف الظلام ، ورقصة لنساء تعرت صدورهن وعصافير سابحة واسماك طائرة « التقطتها يد انسان فى توازن يتحدى الزمن » وجواد مجنح يحرث الارض . لم يتحول بيكاسو اذن بانضمامه الى الحزب الشيوعى الى بوق ابكم بذاته متكلم بغيره ، وانما ظل امينا لفنه ككل نبى صاحب رسالة ، ولم يكن انضمامه للحزب الا تاكيدا لهذا النوع العظيم من الصدق : مع النفس ، والفن والتاريخ، وتؤكد اعمال بيكاسو بعدئذ ان الماركسية لا تفرض على الفنان نمطا جماليا محددا من قبل، بل هى تسهم مع قواه الابداعية الخالقة فى خلق « النموذج » الذى يحتفظ باللحظتين الرئيسيتين فى كيان كل انسان ، لحظتى الانعكاس واللحظة الفاعلة . لهذا لا ينفصل بيكاسو عن العصر الذى نعيش فيه ، ولكنه ايضا ينفرد بسماته المستقلة. وتلك عظمته انه كان ولا يزال ثورة لها كيانها الخاص الذى قد يتوازى بناؤه مع الثورة السياسية والاجتماعية ، ولكنه بالقطع ليس بوقا لها ، او هو كما قال عنه جارودى فى ختام دراسته له « **لم تنشا الحياة الحقيقية بعد ، وهى لا توجد فى الاشياء ولكن فى الانسان وحده . ذلك هو القانون الاعظم الذى استخلصه بيكاسو من اجل التصوير . لقد خلق بيكاسو اساطير ككل فنان اصيل ، وواصل تحدى بيجماليون، اى منح المادة نبضات انسانية حية** » .

ولا تطول وقفة جــارودى — بعد وقفته الطويلة مع بيكاسو — مع الشـاعر سـان جون بيرس . وانما هو يكتفى بالاعتراف بأعماله « التى هى من اعظم ما كتب فى العصر الراهن » وان مادة عالمه الشعرى مستقاة بكل تفاصيلها البسيطة ومصادفاتها الغريبة من حياته نفسها ، حياة وتجارب الكسيس ليجيه « فالصورة التى اختارها والكلمات التى حكى بها هذه الصـورة ومسلك صاحب هذه الاختيارات والمعبر عنها وكل كنز الاحاسيس والذكريات والالتزامات التى تدخل فى بناء شعره . . كل ذلك مستقى من اعمـاق حياته » . ويعتمد جارودى فى دراسته القصيرة على كلمات بيرس التى يقول فيها « لقد واظبت دائما على ممارسة الازدواج التام فى شخصيتى » كشاعر له اهتماماته الخاصة ، وموظف دبلوماسى كبير عليه واجبات عامة . هذا الازدواج هو الذى نرى اطيافه فى ثورة بيرس على الجهاز الضخم للدولة بينما هو احد تروسها . ولعله سر الاسرار فى أزمة الاغتراب العميقة التى عاشها هذا الشاعر بكل كيانه حتى انه وضع كل شىء فى الدنيا موضع التساؤل : من لغة الشعر التى رفض لها الانسياق والتقولب فى اشكال معدة سلفا ، الى لغة الحياة التى رفض لها نفس الوضع . والفكرة اللامعة التى استلهمها جارودى من قراءة بيرس — ودراسته عنه ليست الا قراءة ثانية لاعماله — هى التشابه بينه وبين هيراقليطس فى فكرة « الصيرورة » اى فكرة الهدم والبناء اللامتناهى للكائنات . ولعل هذا المحور الذى ينتظم اشعاره كلها هو « الحل » الفنى الذى ارتآه لتناقضات حياته كلها ، وكأنه يردد مع احدى شخصيات كلوديل هذه الابيات :

« يا بنى ! عندما كنت شاعرا بين البشر ،
ابتكرت بيتا لا وزن له ولا قافية ،
واستوعبت فى طيات قلبى وظيفــة مزدوجة متبادلة ،
استنشق بها الحياة لاردها
كلمة مسموعة
فى زفير اسمى »

كافكا : ذلك المجهول

وكانت الوقفـــة الطويلة الثـانية والاخـيرة لجارودى ، مع كافكا . اى مع الفنان الذى ظل الى وقت قـريب من « المحرمات » على النقـ

الاشتراكى ؟ حتى نبه سارتر فى مؤتمر الـكتاب الاوروبيين بلنجراد الى انكافكا منضحايا الجمود العقائدى الذى تحررت منه الماركسية ، وقد آن الاوان لان نسـتـرده من نقـاد البرجوازية التى استحوذت عليه أمدا طويلا من الزمن . ولقـد انطلقت صـيـحة سـارتر فى منـاخ التحول عن الستالينية فلقيت اسـتجابة سريعـة من الافراد والمؤسسات على السواء . وتم تقديم كافـكا فى ترجمـات متتابعة فى العالم الاشتراكى ، ولاحقته الدراسات النقدية التى تتراوح بين حشر اعماله فى اطار نظام عقائدى محددمن قبل وهى الدراسات التى رات فيه بورجوازيا صغيرا مترددافى تشاؤمية ناخره كالسوس ، وبين حشر اعمـاله فى اطـار ردود الفعل المبالغ فيها والتى رات فيه رجلثورة ان لم يكنرجل الاشتراكية . ثم أتت هذهالدراسة الجديدة من جارودى فلم تضل فى متاهات هـذه التفسيرات التىلاتعتبرالاعمال الفنية الا « اخراجا رومانتيكيا لفكرة » والحق ان كافكا لميكن فحسب ضحية الجمود العقائدى فى الشرق الاشتراكى ، وانما كان ايضـا ضحية التفسـيرات اللاهوتية والوجودية فى الغرب الراسمالى .. مما اعطـاه دائما عند قرائه صورة أحادية الجانب والنظرة . وربما كانت دراسة جارودى فى طليعـة النظرة الشاملة الى أعمال هذا الفنان الرائد . ولا يشك جارودى فى أن هذه الاعمال تتضمن وقفاتدينية، وكذلك فان وضعه الطبقى اسهم فىصياغة نظرته الى الحياة « على ان اعماله لايمكن ان تكون مجرد تعبير مصور لهـذا الراى او ذاك . فالرواية أو الملحمة ليستفكرة مجردةمغلفة ومزينة بالكنايات. انها أسطورة موحية أى صورةالحياة تضم السماء والارض فى وحدة واحدة» . وبهذه الرؤيةالرحبة الفن والحياة تنطلق مع كافكا برفقة جارودى .

يلتقط جارودى من يوميات كافكا الخاصة بضع كلمات هى فى اعتقادى مفتاح أعماله كلها ، يقول « **لقد تحملت بكل قوة سلبية العصر الذى اعيش فيه ، وهواقرب العصور الى ، وكان الاجدر بى أناضطلع بمهمةتمثيله لابمهمة محاربته. أنالمأورث منه لا الايجابية الهزيلة ولا السلبية المتطرفة التى تتحول الى ايجابية .. فأنا لست سوى بداية أو النهاية** » . هذه الكلمات وحدها تحمل بصمات « **النفى** » التى تركها كافكا على العصر ، وهى بصياغة أخرى بصمات الحاجة الى الحصولعلى « تصريح اقامة » فى هذا الوجود . فلقـد ولد يهوديا يتكلم الالمانية بالعاصمة التشيكية فى ظل الامبراطورية النمسـاوية المجرية ، قبل ان يلفظ القرن التاسع عشر أنفاسه بستة عشر عاما . أى أنه كان بالفعل نهاية عصر وبداية آخر . وبين البداية والنهاية ولد فرانز وضاع ، ولد وهويحمل علىكتفيه الواهنتين « **تناقضات لانهائية** »وضاع لانه لم يستطع حلّ هذهالتناقضات ، بلّ انه عاش ليرى الحرب الاولى عام ١٩١٤ وثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فاختلطت عليهالامور ،كما لو انهفىكابوس يعى فقط انه كابوس ، هو يقينا كابوس الغربة . وتعكس لنا علاقته بأبيه، والمؤسسة التىعمل بها والفتاة التى احبها والطائفة اليهودية التى ينتمى اليها ، تعكس لنا علاقته بهذه الاطراف جميعهـا مدى تعقد الحياة التى عاشها وحدة التناقضات التىواجهها . كانت نظرته الى أبيه نفس النظرة التى حملها المؤسسة البيرقراطية التى عمل بها، فليس الامر كما ظن النقاد السيكولوجيون عقـدة اوديب ، والا لما راى فى محل التجارة الذى يملكه ابوه نفس الالة الجهنمية التى يراها كل يوم فى محل وظيفته وهى تسحق جماهير العمال البؤساء وتمحو انسانيتهم . وكانت نظرته الى الطائفـة اليهوديةنفس النظرة التىحملها لخطيبته : الحنين الجارف اليها والانفصامالواقعى عنها . لم يشعر قط بارتباط ما يشده الى الـكهنوت اليهودى أو المجتمع اليهودى لان كليهما عنده فقد المضمون ولم يتبق سوى الشكل ، وكذلك الامر مع حبيبته فقد احس انها عبء عليه وهو بالمثل عبء عليها . ومع ذلك فما أشد حاجته الى المراة وحنينه الى الدين . فالدين اليهـودى بالنسـبة اليـه يمثل « **الماضى** » الوحيد الذى يمكن أن يمنحه جذورا فى هذا الوجود ، والفتـاة التى أحبهـا تمثل له « **الحاضر** » الوحيد الذى يمكن أن يقترن به ، أما المستقبل فالادب كفيل به . ولكنه عاش حياته منقطعا عن جذوره منفصلا عن ماضيه ، ولميتبق له سوى المستقبل ، اى الفن . ولكنه من داخل الغربة تناول الغربة ، وبمنطق المغترب تنـاول الاغتراب ، فمـاذا يستطيع الغريب ان يعطى ؟ يجيب جارودى بأن « **هـذا الوضع يحول دون كفاح كافـكا ضـد الغربة بتركيز الهجوم على اسبابها .على أن أوضاعهنفسها لاتسمح لكفاحه بانيزيد عناشاحة النائم بيده ليطرد رؤيا . ولكن القوة التى يتعرض بهـا لـكابوس عالم الغربة والوضوح الذى يميز تصديه لاثقال ذلك العـالم الخانق ، يسمح لنا بان نلمحمنخلال ذلك امكانية قيام عالم جديد ، ويوحى لنا بحاجة عارمة الى مثل هذا العالم . وهو يقدم لنا اشياء لها مغزى دون ان يدعى الايحاء لنا بنظام ميتافيزيقى يحكم (وضع الانسان) ولكنه يتجاوز الفرد والطبقـة ويمثل وعيا بالقانون العميق لعصرنا ولو فى شكل مغترب** » . لذلك تتمثل ملحمة كافـكا ـــ حياته وأعماله فى وحدة واحدة ـــ فى محاولة الـكشف عن المغزى المفتقد والمنزوى فى غياهب النسيان ، من خلال تجاوز النظام الاجتماعى والدينى الزائف الذى يحاول ان يبدو كنظـام انسانى .. فليس المجتمع الراسمالى بأرض الميعاد المرتقبة ، وليس اليهود كما يراهم بشعب الله المختار حقا . ويدقق

جارودى النظر فى قصة قصيرة عنوانها « سور الصين» لانها تومىء برؤيا الغربة الكافكاوية ايماء عميقا . ذلك ان كتل البناء غير المكتملة فى هـذا السور تشبه الحياة التى تتخللها شـقوق النفى والشك السوداء ، فيبحث الانسـان عن معنى لوجوده بالمشاركة فى بحث أسطورى ولا نهـائى هو بناء السور الذى يضرب به نطاقا حول حياته لتنغلق على نفسها . وسـيدرك داخل السـور شمول القضية المشتركة التى تضفى معنى على اعمال كل فرد وتوجد لها مبررا ، غير أن بلوغ هذا الهدف محال « فهناك غاية ولكن لايوجد طريق اليها » كما يقول كافكا فى موضع آخر . وهذا هو الفرق الهائل بين « سور الصين » وفكرة بناء برج بابل كما يشرحها هو بنفسه قائلا أن جوهر المشروع هو بناء برج يلمس السماء ، وما عدا ذلك فثانوى « وبمجرد ما نشأت هذه الفكرة العظيمة لم تختف أبدا : فطالما وجد الانسان على الارض فستكون هناك أيضا تلك الرغبة المتأججة ، الرغبة فى بناء البرج » وما اشبه تشييد برج بابل كمـا يستكمل جارودى الفكرة بالطموح البروميثيوسى عند الانسان الذى يريد ان يبلغ عنان السماء اعتمادا على قواه الذاتية . ولكن سور الصين الذى يركز كافكا على رؤية الانسان وهو يبنيه انما يدل على حرص الانسان المفرط فى اعداد مسكن خاص يحميه من غوائل الزمن ، مسكن نظرى يستريح عقـله اليه ، وهو فى نفس الوقت مسكن اجتماعى يستريح قلبه اليه، ولكن تعاسة الانسان الحقيقية هى أنه يخلط بالنظام الذى اقامه (المسكن الاجتماعى) والنظريات التى يجهزها لكى يسد الشقوق التى تفتحها الحياة فى افكاره (المسكن النظرى) وهكذا تكون الغربة ـ حقا ـ شاملة ! وهذا ماعناه كافكا فى يومياته الخاصة حين قال : **« ان الاشارة الاولى لبـداية المعرفة هى الرغبة فى الموت . فهـذه الحياة لا تحتمل ، والحياة الاخرى ليست فى متناول يدنا ، ولذا فاننا لانخجل من رغبتنا فى الموت »** . ولقد كان هذا الحل ـ أو اللاحل ـ هو النتيجة النهائية لتناقضات عصر بأكمله تبلورت فى نفس شفافة « لشاعر » مثل كافكا . ومن آثار هذه النتيجة المأساوية ان تقوم ثورة اكتوبر فيصف احداثهـا فى عبـارة موجزة هى ان « الناس فى روسيـا يحاولون بناء عالم عادل تماما » ولكنه مايلبث أن يكمل بأنها « مسألة دينية » وينزل العمال فى شوارع براغ متظـاهرين فيتعـاطف معهم فورا ويقول « هؤلاء القوم واعون تماما بأنفسهم .. انهم سادة الشارع ويعتقدون أنهم سادة العالم » ثم يكمل « ولكنهم واهمون » ! أن ايمانه العظيم يرتدى الشك العظيم فى ضفيرة واحدة لاسـبيل الى فصم أحدهما عن الآخر . ولذلك لم يكن كافكا ـ بالقطع ـ كاتبا ثوريا ، ولـكنه ـ على وجه اليقين ـ لم يقف فى صف الثورة المضادة . وانما بلغت به أزمة التناقض مداهـا حين صرح ذات يوم من جراء الظلم الفادح الذى يقع على العمال من زبائن شركة التأمين التى يعمل بها حيث يتحول الى ترس فى جهاز لسحلهم أحياء ، يصرخ قائلا « لمـاذا لايأتون ويحطمون هـذه المؤسسة على رءوسنا ؟ » .

ويرى جارودى ان موضوعات ثلاثة رئيسيـة تدور من حولها أعمـال كافكا هى « الحيوان » و « البحث » و « عدم الاكتمال » . والاقرب الى الصواب انه محور واحد يتخذ أشكالا متعددة، محور واحد يسميه جارودى « البحث » واسميه **« اليهودى التائه »** . وليس الحيوان الا دلالة على غياب انسانية الانسان ، وليس عدم الاكتمال الا ركيزة الباحث عن الكمال ودافعه الاول . فالنقص الذى يعانى منه الوجود ، والانسان بالتـالى ، هو الذى نتلمس بشاعته فى تحول الابن الموظف « المحترم برجوازيا » الى صرصار (فى قصـة التحول) يتنفس والداه الصـعداء حين يموت .

وهو الذى نستيقظ على خطورته الماثلة حين يستيقظ جوزيف ك من نومه ليجد نفسه متهما فى قضية وجوده ومدى الشرعية التى يتمتع بها هذا الوجود (فى رواية المحاكمة) وهو الذى نعانى من أهواله حين يصر المساح على قياس القرية دون احتياج القرية الى ذلك ودون أن يستطيع هو الوصـول الى البداية او النهاية (فى رواية القلعـة) . تلك شخصيات جميعها يقترب من « اليهودى التائه » فاقد الجذور ، الحالم بأرض الميعاد والمنتمى الى شعب مختار ولكنه منبوذ . واليهودى التائه فى أعمال كافكا ليس يهوديا بالمعنى الدينى لهـذه الكلمة ، وانما بالمعنى الاستعمارى المحض المقابل « لليهودى المرابى » الذى عرفناه عند شكسبير ولم يكن يغمز به اليهود كجنس أو كدين وانمـا كرمز له دلالة أرحب ، دلالة تشتمل على العصر كله . واذا كان « اليهودى المرابى » فى (تاجر البندقية) يحمل فى تضاعيفه ادانة البناء الاقتصادى لعصر النهضة ، فان « اليهودى التائه » عنـد كافكا يرتدى ثيـابا مختلفة باختلاف الانسـجة الروائية ، ولكن جوهره فى جميع الاحوال هو أنه انسان مطارد من قوى مجهولة وانه أيضا يبحث عن شىء مجهول ، ولكنه دائمـا فى حـالة بحث لايتوقف . وهى ليست رحلة البحث عن « المجهول العظيم » التى نتصفحها فى كثير من صـفحات الادب ، ولكنها رحلة «المنبوذ» الذى لايجد لنفسه مكانا يمنحـه دفء الامان أو « تصريح اقامة فى الوجود » على حد تعبير جارودى . هذا **« المطارد المنبوذ »** هو البطل التراجيدى لعصر كافـكا ، وكان كافكا نفسه نموذجا بشريا وطبيعيا له ، ولكن الفعل الخلاق الفنـان يضـفى على هذا « اليهودى التائه » سمة انسانية واضحة « فلا

يوجد أي توافق حرفي معقول بين التطور الملموس للرمز وبين معناه المجرد . اننا بصدد شخصيات نابضة ومنفردة ، تتحرك في اطار عام للرمز، ولا تتنافى واقعية التفاصيل مع الرمزية بل تضفي عليها حياة » . وهكذا لايواجه كافكا غربته التي تفرضها الحياة الالية الا بعالم ناقص تزدحمه الاحداث التي تتركنا معلقين . انه على حد قول جارودي ، لايفسر العالم ولا يحاول تغييره ولكنه يبنيه في شمول ليبرز لنا اوجه النقص فيه ويوحي لنا بضرورة تجاوزه وضرورة البحث عن الوطن المفقود . هذا الوطن — وليس المجهول العظيم او الله في التعبير المباشر — هو مايبغيه كافكا من رحلته : اى القانون الانساني والنظام الانساني اللذان يحققان انسانية الانسان فوق هذه الارض، وليس بمعونة « الكهنوت » الذي فرغ من مضمونه ولم يبق سوى شكله المرهق لكل ذى نظر . ولكن أبدا ، لا يصل كافكا من عناء الرحلة الى شيء ، وانما يموت كأبطال روايته وقد ارتسمت في عينيه علامة استفهام منيرة في ظلمة شاملة .

الفن بلا حدود

يختتم جارودي دراسته الفنانين الثلاثة بأن كل عمل فني أصيل يعبر عن شكل الوجود الانساني في العالم ، ويرتب على هذا التعريف نتيجتين : الاولى انه لايوجد فن غير واقعي ، بمعنى انه لايوجد فن لايستند على واقع متميز ومستقل عنه . والنتيجة الثانية ان الواقعية ليست تجريدا لاعمال سابقة وانما تمثلا لكل عمل موضع النقد ، ثم يتساءل ما اذا كان من الممكن اقصاء اسماء عظيمة مثل ستاندال وتولستوي ومارتان دي جار ودستويفسكي وكافكا وبيرس وبيكاسو عن الواقعية ، أم يفضل اتساع الواقعية لتشمل كافة الجهود التي استندت على الواقع بغير شك . وذلك حتي يغتني تراث الواقعية بهذه الاسهامات الجديدة ؟؟ ويختار بالطبع الطريق الثاني لان الطريق الاول جمود عقائدي وعجز ، ولان الواقعية لاتطالب العمل الفني بأن يعكس الواقع في شموله وان يرسم خط السير التاريخي لمرحلة معينة او لشعب معين وان يعبر عن الحركة الاساسية المجتمع وعن ابعاد المستقبل « **فكل ذلك مطلوب من الفيلسوف لا من الفنان** » . ومن الممكن ان يكون العمل الخلاق عبارة عن شهادة جزئية للغاية بل وذاتية الى أبعد الحدود عن علاقة الانسان بالعالم في فترة معينة « **ومع ذلك فمن الممكن ان تكون هذه الشهادة أصيلة وعظيمة** » فقد يحس الكاتب مثلا ويعبر بقوة عن هذا المظهر او ذاك من مظاهر الغربة دون ان تتكشف له اسبابها او امكانيات تجاوزها فيظل اسيرها « **على ان ذلك لن يحول دون ان يكون كاتبا عظيما** » ولا يمكن لجارودي — فيما يقول — ان يستكشف عند بودلير او رامبو القانون الكامل لعصرهما، ولكنه يتساءل « **هل يعني ذلك انهما ليسا من اكبر مستكشفي البقاع المجهولة ؟** » ولا شك انه من الافضل — يستطرد جارودي — ان يرتفع منسوب الوعي الفلسفي والسياسي الكاتب الى مستوى موهبته الفنية ، غير أن التمسك بهذا المعيار وحده لن يتيح فرصة الحكم على الفنان من خلال فنه بل من خلال مايتمثل في شخصه كمؤرخ أو سياسي أو فيلسوف . ولا تفترض الماركسية علاقة آلية بين الوعي والحياة ولكنها تفترض أولوية الحياة على الوعي . ولذلك كان من السخف ان نستنتج تصور اى انسان للعالم من خلال وضعه الطبقي . ويشير الى تحذير ماركس من كل مفهوم آلي وغير جدلي للعلاقة بين البناء التحتي والهيكل العلوي ، فهو يفتح لنا الطريق لكي ندرك ان العمل الخلاق الذي يتم في ظروف التدهور التاريخي لطبقة معينة لايكون بالضرورة عملا متدهورا . ولقد اشار ماركس الى الاسطورة بوصفها « وسيطا » بين البناء التحتي والهيكل العلوي ، فاكد بذلك دور الوجود الانساني كعنصر أساسي في تعريف الواقعية بمفهومها الرحب لان الواقع نفسه ارحب من أن يشتمل « الراهن » و « المحدود » وانما هو يشتمل على الغد ايضا « فأحلام الانسان واساطير الشعوب هي خميرة المستقبل » .

والحق ان هذه المساهمة الجليلة والخطيرة معا من جانب روجيه جارودي هي نقطة تحول عميقة في الفكر الادبي الماركسي ، ذلك ان مجرد اختياره لهؤلاء الفنانين الثلاثة بالذات هو اختيار لمنهج جديد في علم الجمال يستلزم التطوير والمتابعة . فما اكثر المشكلات التي لم يتعرض لها جارودي بحكم اقتصاره على هذه الاسماء دون غيرها ، وما أكثر المشكلات التي لم تأخذ حجمها الطبيعي في عرضه لهذه الاعمال دون سواها لبروز مشكلات أخرى أكثر الحاحا من جانب « القضية » التي تصدى لها ، قضية الجمود العقائدي في موازين النقد الفني .

ولعل النقطة الاولى التي يتوقف عندها المرء طويلا هي تعبير « **الواقعية** » الذي يصر عليه جارودي اصرارا غريبا بعد ان شمل به كافة مراحل الفن التاريخية التي اثمرت اعمالا عظيمة . فلا تزال الكلمة الواقعية رنينها وصداها عند اراجون وجارودي بالرغم من كل ماتعانيه من تعسف في استخدامهما لها ، فهي تتسع عندهما حتى لتشمل الفن كله ، في مختلف عصوره ورواده وبيئاته . وهذا من شأنه ان يضع قضية « المصطلح » في

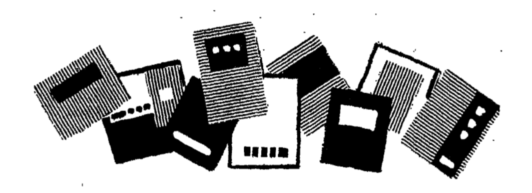
حرج شديد ، ويضع كلمة « الواقعية » بالذات في تناقض أشد لانه يمكن حذفها نهائيا لنقول بعدئذ ان « **الفن بلا حدود** » .. فهذه هي النتيجة المنطقية التي يمكن استخلاصها من مقدمات جارودي الصحيحة ، أما الاحتفاظ بالتسمية احتفاظا شكليا مفرغا من كل معنى ، فانه فضلا عن بعده الكامل عن الاتساق الاكاديمي لتطور المصطلحات العلمية يوقعنا في مآزق لانهاية لها في التفرقة بين الخطوط العريضة لتطور الاداب والفنون . فليس المصطلح الا علامة طريق تلخص الشوط الذي قطعه هذا الفن أو ذاك . ولا ريب أنه سيبقى دائما في تاريخ الجمال مرحلة كلاسيكية واخرى رومانتيكية وهكذا، الى أن نصل عند ضفاف الواقعية بوجهيها البرجوازي والاشتراكي ، ثم تجاوز الفن والواقع لهما فيما نشهده من موجات جديدة في الشرق والغرب لاتخضع للمسلمات التقليدية في الواقعية النقدية او الواقعية الاشتراكية ، وانما يبقى الفن بعدئذ وبالرغم من كل شيء ، بلا حدود تحول دون انطلاقه الى آفاق لايملك أحد سوى الفنان وحده التنبؤ بها. واذا كان قد أصبح مثلا شائعا وتقليديا واحيانا « مبتذلا » ماقاله انجلز عن بلزاك ــ الذي كان ملكيا في السياسة كاثوليكيا في العقيدة وقدم في فنه نبوءة لايشوبها الشك بانهيار طبقته الاجتماعية ــ فانه يلزمنا ان نكرر هذا المثل امدا طويلا مع اسماء أخرى كثيرة في تاريخ الادب العالمي لاتقل « محافظة » سياسية عن بلزاك ولا « تقدما » فنيا عن أعماله . وقد نجح جارودي في التقاط بعض هذه الاسماء ، ولكن القائمة طويلة وتحتاج الى جهود ترتفع الى مستوى مسئوليتنا في قولنا « الفن بلا حدود » . وقيمة الفن الحقيقية انه أبعد من ظل اقدامنا بكثير ، فلا شك ان تولستوي ودستويفسكي ومورياك والبوت بالرغم من مسيحيتهم التي يتفاوت حجمها ومضمونها من واحد الى آخر ، قد اسهموا في فتح عيون البشرية على جوانب « **في صميم الواقع** » لم يتكشفها آخرون ، احيانا يدينون بالاشتراكية . بل ان اعمالا سياسية مباشرة كرواية « **١٩٨٤** » لجورج اورويل ، ورواية « **ظلام في الظهر** » لارثر كوستلر انما هي في جانب منها تعبير أصيل وصادق من نواقص حقيقية في التجربة الاشتراكية . ولقد كانت أعمال المؤتمر العشرين الحزب الشيوعي السوفيتي وثيقة دامغة في اثبات هذه النواقص وبرهان على وجودها . ومن هنا كانت هذه الرواية أو تلك « نبوءة » فنية صدمتنا عند ظهورها ، ولا شك انه مايزال فيها مايصدم ، ولكن المهم هو أن نفيق من صدمتنا لنغير .

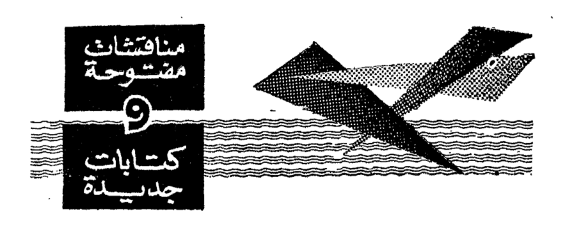
وذلك هو المعنى العميق لقولنا إن الفن ــ لا الواقعية وحدها ــ بلا حدود ، فصلة أي فن بالواقع لاتمنحه « لقب » الواقعية لان المصطلح له تاريخ وليس مولودا ميتافيزيقيا يمكن نسبة شرعيته الى أي زمان ومكان وفنان . فالفن الكلاسيكي له صلته بالواقع حقا ، ولكنها صلة كلاسيكية ان جاز التعبير ، والفن الرومانسي ايضا له علاقته بالواقع ، ولكنها بالمثل علاقة رومانسية . فالمقصود بالمصطلح بالضبط هو تعيين شكل الصلة بين فن ما وواقعه للتفرقة بينه وبين فن آخر وواقع آخر . اما قولنا أن الفن بلا حدود فيعني هذا الشكل من اشكال النشاط الانساني والذي ندعوه بالخلق الفني ــ بكافة مذاهبه واتجاهاته ــ لاتحده مقولات سابقة على عملية الخلق ، سواء كانت تعميما لاحكام نقدية سابقة أو تجريدا لمزايا تراثية من ماضي الأعمال الفنية او تجسيدا لتعاليم مذهبية أيا كان نوعها ولونها . ان الخلق الفني ليس ممارسة ميتافيزيقية تتم في فضاء خرافي أو بالهام الشياطين وربات الشعر ، وانما هو ممارسة «انسانية» لعلاقة خاصة بين الفنان والوجود ، لاتغفل الواقع الموضوعي ولكنها تضيف اليه من وحي الذات المبدعة اضافة خلاقة تعني التجاوز والتحدي وكشف النقص . وذلك لان الفن العظيم ، أي الفن الحقيقي أو الفن فحسب، هو كالعلم سواء بسواء، هو في ذاته انجاز للتقدم ولا يمكن ان يكون خطوة الى الخلف .. لانه بطبيعته عمل ايجابي من جانب خالقه ، ابدعه ضد السلب الكامن في الوجود ، والا لما خلق اصلا ، وانما هو يخلق لاحساسه حتى النخاع بهذا « الفقدان » أو هذا « الغياب » أو هذا « النقص » . والخلق الفني اما ان يكون اشارة الى هذا النقص ، أو تشخيصا له أو تعويضه ، وهذه الخطوات جميعها « تجاوز » الواقع ، ولكنها تختلف في درجة التقدم ، فالاشارة غير التشخيص غير التعويض ، تختلف باختلاف الزاوية التي وضع فيها التاريخ مبدع الفن عند تخومها. ولكن نقطة الانطلاق الاولى أو جوهر العملية الابداعية هو « التقدم » مهما اختلفت الرسوم البيانية في تحديد درجة التقدم التي بلغها هذا الفنان أو ذاك . واذا كان التقدم هو الاصل في كل فن أصيل ، فان صفة الرجعية لا مكان لها في التقييم الفني، لان البداية ــ وهي الفن كمرادف جمالي للتقدم ــ لاتؤدي الى مثل هذه النهاية . وربما كان ذلك هو مادعا الناقد السوفيتي المعاصر ماديم كوزينوف الى القول بأنه « ليس هناك عمل ادبي جيد في الغرب لايدين بصورة أو بأخرى المجتمع الرأسمالي » . وهو نفسه مادعا جارودي الى قول آخر « لايمكن فصل القصة عن المعنى لان العمل الادبي ليس رداء روائيا لافكار مجردة ولان المواقف ليست شعارات ولان الشخصيات ليست مجرد شطائر بشرية تحشى بالشعارات أو بالنصائح الاخلاقية » . وهذا يعني أن التقدم كلحظة خلق فني لايعني مطلقا تبني شعارات

تقدمية في مجال آخر كالسياسة ، لان التقدم الذي نقصده بالخلق الفني ليس تقدميا جزئيا — بالرغم من أن المادة الاولية الفن قد تكون واقعا جزئيا — وانما هو تقدم يحتوى على السياسة والاخلاق والفلسفة والمجتمع والنفس البشرية والحضارة، يحتوى هذه كلها وغيرها في نسيج واحدمعقد اكثر تركيبا من كل منها على انفراد وأكثر تركيبا من كونها حاصل جمع . وربما كان ذلك بعض ماعناه ماوتسي تونج حين عارض « النزعةالتي تدعو الى أعمال فنية من طراز الاعلانات والشعارات تحمل وجهات نظر سياسية صحيحة دون أن يكون لها أثر فني » .

ونحن نستطيع ان نتصور « الانجـاز التقدمي الفن » على ضوء ماقال بهجارودي من أن « **الرمز لاينفصل أبدا عما يرمز اليه في كل عمل خلاق : في الادب والتصوير والشعر ، وأهم ماتتميز به الاسطورة هو قدرتها على الايحـاء لا بالتفسير ولكن بالرؤية والتجربة المعاشة**» وايضا «**..لان بناء النموذج ابتداء من وصـف مجموع علاقات انسانية هو اشارة ، أو رمز للواقع يتجـاوز كل التأويلات ، فالمستقبل ينعكس في العالم الصغير الذي تخلقه الاسطورة** » . ومعنى ذلك أن هناك مايمكن أن نسميه « **الكون الفني** » المستقل بقوانينه النوعية الخاصة عن الكون الذي نعرفه ، وان لم يكن استقلاله انفصالا عن أرض البشر . ولكن هذا الكون الفني يفترض منا الالمام بقوانينه الخاصة لانها وسيلتنا الوحيـدة لان نلج عالم الفن ، أما اقتحامه بمفاتيح مصطنعه لاتمت اليه بصلة فقد تحطم لنا الابواب ، وان نخطو بعد ذلك خطوة واحدة لان « **التيه** » في انتظارنا . أما اذا توسلنا الى الابواب بمفاتيح شرعية من نفس المعدن الذي شيد به الكون الفني العظيم ، فاننا حينذاك سوف نطلع على سر الاسرار او الـكنز المسحـور في اغنى الرؤى وأروع الاحلام . والمفتاح السياسي او النفسي ، أو اللاهوتي هو مفتاح مصطنع لاشرعية في استخدامه ،وبالتالي فهو قاصر بطبيعتـه عن توصيلنا الى تخوم هذه الرؤيا الباهرة . والمفتاح الفني وحده الذي يدرى جيدا أن السكون الفني ليس مجرد انعكاس العالم الواقعي ، وانمـا هو مجموع الانفعال الخلاقة للفنانين جميعا ، هو الذي يتيح لنـا الحصول على « النموذج» الهادى لنا ونحن نجوس في هذه الاعماق العزيزة على التناول السريع والسطحي . وقد تحتاج هذه الاعمـاق الى أعمار كاملة من مشقة البحث لتعى الانسانية قيمة الثمار الحقيقية لهذه الزاوية أو تلك من زوايا الكون الفني الكبير . فلربما لاتتضـح لعصر من العصور هذه القيمة ، فتكون من نصيب عصـور أخرى تمكنت عبقرية الفنان وشـفافيته أن تمد نبوءته الاسطورية الى حـدودها . ولذلك كان « **الحسم والعنف والعجلة** » في تقييم العمل الفني بمثابة استخدام أحد المفاتيح المصطنعة استخداما جاهلا ومتخلفا يكسر الباب ولا يفتحه . ولذلك ايضا كان « **الحكم** » على العمل الفني تعاليـا مرفوضا واقتناصا غير مشروع لحقوق أجيـال عديدة قادمة ، وفهما مغلوطا لمعنى النقد الفني . ذلك أن الاضافة التي اضافها هذا العمل أو ذاك ربما تتم من زاوية لا أقف فيها حتى أراها ،وربما تتم بصورة لم أعهدها من قبل ، وربما تتم على غير موعد . . فهل اكتفى بالاشـاحة عن العمل واتهمه بالبطلان ، ام أعترف بتواضع بأن هنـاك احتمالا بأنني لم أتمكن لسبب أو لاخر من الرؤية، ذلك أن الفن ، بلا حدود ، بلا حدود .

والفن — أخيرا — هو ربيب التناقض وتوأم التمرد ، فاذا نما وكبر أصبح ثورة ، واذا لم يتح له التاريخ منـاخ النمو لايتحول أبدا الى ثورة مضادة .





القيمة النضالية لارنستو تشي جيفارا

د. أحمد حجي

في ٨ اكتوبر الحالي ، يمضي عام على استشهاد المناضل ارنستو تشي جيفارا . وفي هذا المقال، يعرض شاب من بلادنا هو الدكتور احمد حجي من سندوب — دقهلية ، لحياة المناضل جيفارا وللقيم التي ارساها للمناضلين في كل مكان .

مات جيفارا وانقضى عام كامل على وفاته حتى الان .

ففي ٨ اكتوبر سنة ١٩٦٧ حاصر اكثر من ١٨٠٠ جندي في هضاب وجبال وغابات بوليفيا الثائر الارجنتيني الاصل **ارنستو تشي جيفارا** . ضيقوا عليه الحصار . اصابوا فخذه برصاصة . بصق على وجوههم قتلوه بوحشية . لكنه ظل يبتسم . نكلوا بجثته وقطعوا اصابع يديه . وطار النبأ في انحاء العالم . لقد سقطت ورقة جيفارا من شجرة الحياة .

اطلق عليه الكثيرون انه اسطورة العصر ، ربما لانهم لم يعيشوا حياتهم بصدق مثلما عاش جيفارا حياته ، ولانهم لم يكونوا شجعانا في خطوات نضالهم مثله ، فقد كان صورة نابضة بالبطولة والثورية الاصيلة في عصرنا والتي اجمع عليها من يقف معه ومن يقف ضده ، فالثوري يجب ان يتحلى بالصفات الثورية عملا لاقولا ، في كل وقت

وفى كل حين ، لا يتراجع فى وقت الشدة ، فالمواقف البطولية فى حياة المناضل هى تلك التى يتخـذها بشجاعة فى اقسى الظـروف والازمات . وقد كان جيفارا ذلك المناضل الثورى والذى قال عنه الفيلسوف الفرنسى جسان بول سارتر « انه اكمل بشرى عرفه عصرنا » .

لقد كانت الثورة من اجـل الانسان هى الشمس الذهبيـة التى تضىء الافـق امـام عينيه الذكيتين فعرف كيف يكره بشدة ذلك الاستعمار الامريكى البغيض ، وصوره المتعددة ، وكيف يتألم لان عالمنا مازال يضم على ارضـه انسانا يستغل اخيـه الانسان ويمتهن حريته .

ومن ابرز صفات المناضل فى جيفارا ، ذلك الحب العميـق والجارف ، فقد احب ارض الوطن حتى اصبحت قطعة من قلبه وفى تلك الارض استنبت جيفارا افكاره ومزجها بالماركسية اللينينية ، واحب الانسـان الذى يستثمر حريته وانسانيته . وارتبطت تلك بحركة التحرر الوطنية وبعملية البناء الاشـتراكى العالمى ، واصبح المناضل كما قال عنـه « ان الثورى الحقيقى هو ذلك الذى يهتدى بمشاعر قوية من الحب » وقد كان الحب الـذى بسطه جيفارا على حياته الثورية هو الرابطة القوية بين مايفعله وما يفكر فيه . وكلما زاد الحب فى قلبه ، كلما توهجت امامـه معالم الثورة ، وصورة الانسان الاشتراكى الذى يتسـم بتلك الصفات ، « اول من يعمل وآخر من يستريح واول من يصـحو وآخر من ينام واول من يشبع وآخر من يأكل »

لقاء :

فى سنة ١٩٥٦ وفى المكسيك ، ثمة شيئا جديدا يغير من حياة الطبيب ارنستو جيفارا فقد التقى مع قائد ثورة كوبا **فيديل كاسترو** .. سـهروا ليلة حتى الصـباح يتناقشون بحدة حـول تكتيك الثورة ، ثم التقيا وتصـادقا صداقة قوية ، واعدا العدة لغزو كوبا من المكسـيك ، قالت له زوجته « اما ان تختارنى واما أن تختار طريق الثورة » . لم يفكر كثيرا ، فقد كان يعرف انه لاطريق امامه غير الثورة من اجل الانسان ، وترك زوجته ، ليبحر ذات ليلة من ليالى نوفمبر ١٩٥٦ على ظهر اليخت برفقة كاسـترو و ٨٠ مقاتلا ثوريا لتحـرير كـوبا . ولاسباب منها قدم اليخت والمخاطر العديدة التى تحيط بالرحلة تخلف الركب عن الميعاد المحدد لوصوله فتمكنت قوات **باتستا** من شن هجوم عنيف على الثوار . .

فر البعض بين المستنقعات والغابات وحقول القصب ، بينما طائرات العدو تلاحقهم بوابل من النيران المسعورة .. ولنـا ان نتصور عمق المأساة وقسوتها ، فرغم ان الموت كان يطل بعيون شرسة باحثا عن الثوار الا ان هول المفاجأة كان يجعل جيفارا يضحك فى اسى لرؤيته احد الرفاق ضخم الجثـة وهو يحـاول ان يختبىء خلف احد اعواد القصب حتى لا تصيبه احدى قـذائف العدو ، او لان رفيقا يطلب من الرفاق الصمت بينما هو يزعق بصوت عال .

لقد اسفرت المعركة الدامية من مقتل ٧٠ رجلا من الثوار ولم يبق على قيد الحياة الا ١٢ رجلا جرحى ومنهكى القوى من بينهم كاسترو وجيفـارا يضمـدون جراحهم ويتعـذبون الما على الهزيمة ، ورغم ذلك صـاح كاسترو للرفاق قائلا « ان ايام الديكتاتورية قد حان مغيبها »

تعجب الثـوار ، فمـازالوا يعانون آثار الهزيمة ، وكان عليهم ان يعيشوا حياتهم بين الادغال الـكثيفة ومرتفـعات جبـال السييرامايسترا يعانون من آلام الجوع والبرد ، حتى المياه كانوا يقتسمونها بغطاء عدسة منظار ميكروسكوبى .

ورغم ذلك كانت البـداية من جديد لغزو كوبا وتطويقها زحفا من الاحراش والريف الى العاصمة هافانا ، وكانت بداية جديدة فى نضال جيفارا فكان عليه ان يعد الاعضاء الجدد ويمرسـهم على النضال ويعلمهم مبادىء القراءة والكتابة واصـول السـياسة ويوضح لهم مبادىء الثـورة واهدافها ، ولذلك فقد بدأ يقيم المدارس والمستشفيات والمصانع الصغيرة لصنع الاحذية والملابس فى الغابات ، وبجانب هذا العمل النضالى لم ينس انه طبيب وان عليه ان يقوم بعـلاج النسـاء والاطفال والفلاحين .. ويضع البلسم الشافى لكل جرح .

فيلسوف الحرب الشعبية

ـ انطلاقا من ان الشعب المستعبد هو القادر وحده على تدمير جـلاديه ، وانـطلاقا من مشاكل الجماهير وضع جيفـارا فلسفته فى الحرب الشـعبية ، باعتبار ان حرب الشعب لايمكن ان تقهرها احدث الاسلحة ، حيث ان لكل فرد موقعا من النضـال المشترك وحيث ان الهدف واحد وهو حرية الانسان والارض !

وقد ربط جيفارا حرب الشعب ونضاله ضد الديكتاتوريات تيـسـتا

واسياده الامريكان بقضية الاصلاح الزراعى . فمن اجل تحرير الارض من سيطرة كبار الملاك ، فعلى الفلاحين الفقراء ان يقاوموا الاستعمار الامريكى بكل صلابة . حقيقة اخرى هى ان الشعب المستعبد هو شعب فقير . ولذلك فعلى الثوار ان يسلحوا انفسهم من اسلحة العدو . ومن اجل ان تحقق حرب الشعب انتصاراتها يجب ان تكون هناك طاعة ونظام غاية فى الدقة حتىولو ادى ذلك الى الموت . وبصدد ذلك يحكى جيفارا انه أنب احد الجنود الثوريين حينما وجده نائما وبلا سلاح قائلا له « عليك ان تجد بندقية بالذهاب اعزلا الى خط النار اذا كنت اهلا لذلك » وفى مستشفى سانت كلارا كان جيفارا يتفقدالجرحىفوجد جريحا فى حالة خطره يشير اليه بيده . التفت جيفارا .. قال الجريح « هل تذكر ايها الرائد لقد ارسلتنى للبحث عن سلاح وها انذا قد حصلت عليه » .

ويقول جيفارا ايضا انالحرب الشعبية ليست التخريب بلهى بث الرعب فى قلبعدواكثر عددا واكثر عدة . كما ان الحرب الشعبية لاتعتمدعلى الفضاءعلى الجيوش المعادية،بل على تحطيم اهدافها العسكرية حتى تنهار الحكومة المعادية ويسقط المغامرون الاستعماريون .وعلى الجانب الاخر فان رجل الحرب الشعبية انسان للغاية فقد كان جيفارا يقوم بنفسه لعلاج الجرحى منالاعداء ويعلمهم كيف ان حكامهم يعادون الشعب ويتعاونون مع الاستعمار ، حتى عرف الاعداء ذلك عن جيفارا . فاذا وقع جندىمن جنود الاعداء اسيرا كان يقول لجندى الثوار الذى يقتاده « لا تقتلنى لقد قال شى انه يجب عدم قتل الاسرى»

الثورة تنتصر .. مرحبا ايها النضال

ازداد الغليان .جيفارا ورجاله يصدرون جريدة «الكوبى الحر» ويعلقونها على اشجار الغابات حتى يقراها كل مواطن كوبى . بدأ كاسترو يذيع على الشعب الكوبىمناذاعة الثورة فىالادغال عن مجىء الثورة «استعد ايها الشعب البطل » . زحف جيفارا بقواته نحو سانتاماريا فسقطت امامه . ثم هافانا وتمكن من محاصرة قطار مدرع مكدس بالاسلحة كانمعدا لسحقالثوار . التقت القواتسانتاماريا هافانا لتعم انحاء كوبا كلها ، ولتعلن للعالم كله« لقداستولىالثوارعلى السلطةسقط الديكتاتور باتيستا واحترقت احلام امريكا » .

اصبح جيفارا وزيرا للصناعة لكنه كان يخشى الابتعادعن حياة الجماهير اليوميةوكفاحها الدائب فقرر ان يقضى بينهم يوم عطلته الاسبوعية عاملا فى مصانع السكر . لكن اصواتا عالية وفى اماكن متفرقة من المستعمرات والبلدان الاخرى كانت تصلالى اذنيه المرهفتين بين حين وآخر. اصوات فنية تتغنى بها شعوب امريكا اللاتينية التى تقاوم الاستعمار الامريكى والتىتناضل من اجل الاشتراكية العلمية .

ارنستو جيفارا قادم
من الجبال الى المدينة
والشعب ينادى اسمه
وعندهم بنادقهم وشجاعتهم
الان للثوار قائد
وهو الذى يتبعونه
سوف يرونه عند كل نقطة حدود
يلم شمل الشعوب
فى نضالها من اجل الحرية
ويمكن ان تراه حتى فى الغابات
لان ارنستو جيفارا
يعيش ليخوض هذه المعركة
فى كل مكان

وكعادته دائما ولثقته فى خطواته النضالية ، قرر جيفارا التخلى عنمنصبه كوزير للصناعة وعن دوره فى قيادة الحزب الشيوعى الكوبى وعن رتبته كميجور وعن جنسيته الكوبية ليعود مناضلا ثوريا يجوب الادغال والسهول وينظم الثوار فى قتال مسلح ضد الاستعمار الامريكى فى كل مناطق امريكا اللاتينية . ولتكن هناك اكثر من فيتنام اخرى . ولتكن هناك اكثر من نار حارقة للعدو . الدماء الساخنة تغلى . نبض الحياة يرتفع فى العالم كله . الاستعمار المجنونيعلنعنمقتله مراتعديدة ليوهن من عزيمة الثوار . لكن الضوء الساطع الذى اضاءه جيفارا فى قلوب الثوار فى انحاء العالم كان يجعلهم يقولون فىثقة — لم يمت بل ان امريكا تريد ان تحطم اعصابنا — لكن اكتوبر الحزين اعلن للثوار فىالعالم كله لقد قتل الاوغاد اعظم المناضلين فى عصرنا .

وبعد ، ان الخطأ الذى يقع فيه بعض المناضلين عندنا هو انهم يعيشون بفكر لاتشتم منه رائحةالارض والفلاحين المصريين ، ورغم ان الكثيرين منهم قد قراوا كثيرا عنجيفارا،ومناضلينآخرين الا انه يعتبر هذا ترفا ثقافيا . ان المناضل الصادق الذىنحتاجه هو ذلك الذى يتنازل عن بعض ما يحلم به من ترف ذهنىليعمل مع الفلاحين،وفى القرى، ويرضى بالحياة البسيطة التى يحياها الناس فى بلادنا بدلا من الغربة الفكرية التى تبعد المناضل عن ارض النضال الحقيقية . وفى يوم الفدائى العالمى ، فلنسال انفسنا هل نحن حقيقة صورة للمناضل المصرى الاصيل الذى يجب ان يطور هذا المجتمع فكريا وسياسيا واقتصاديا .

تحية لجيفارا فقد كانتكلماته ثورية صادقة يدفئها الحب ، وليعلم هؤلاء الذين قتلوه انهم واهمون . فان جبال

السيرا مايسترا ومرتفعات بوليفيا وشعوب امريكا اللاتينيــة وكل الشعوب المحبة للســلام ، وفى كل يوم تردد اغنيـــات جيفارا حــول الثـــورة والانســـان والاشتراكية . كما ان كل نجاح لاحدى الثورات التحــررية هو جزء من القضاء على الاستعمار وانتصار الاشــتراكية هو تطور للانسان . وحيث تحــدث هذه الانتصارات فى اى مكان وفى اى وقت فانها تجد نفسها دون اى تردد تقول « من هنا مر اعظم رجال العصر .. من هنا مر ارنستو شى جيفارا ! »



حـــوار مع مقـــال « المقاومة الفلسطينية »

كتب **محمد فتحى صفا** ــ من دمشق ــ خطابا للطليعة يناقش فيــه افتتــاحية العــدد الماضى **« المقاومة الفلسطينية المسلحة .. بين الارهاب الثورى وحركة التحرير الوطنية »** ، **للطفى الخولى** فيقول :

اطلعت على افتتاحية العدد التاسع ، والمتعلقة بحركة المقاومة الفلسطينية المسلحة . وفى رايى فان هناك جوانب ايجـابية واخرى ســلبية فى المقال . واعتقد ان المقال بجملته محاولة لتبرير موقف البعض من الثورة الفلسطينية التى بدأتها « فتــح » قبل حزيران ٦٧ ، ودفاعا عن راى البعض حول دور الجيوش العربية النظامية ، والذى يرفض ــ او يحــاول ان يقلل من دور الثورة الفلسطينية ، وحرب التحرير الشــعبية عموما ، الهام والحاسم فى عملية تحريرفلسطين .

وبدلا من الاعتراف بالخطأ فى فهم دور « فتح » ودور الثورة الفلسطينية وسلبية بعض القوى ، بل ومحاربة بعضــها الاخر « لفتح » تحــاولون تبرير مواقف تلك القوى بالادعاء بأن « لفتح » ارتباطات ببعض القوى الرجعية والمغامرة ، مما اثار بعض الشكوك .

وترون ايضا ان تذرع العدو بعمليات « فتح » امر شكلى لتبرير العــدوان ، وان العدوان قائم حتى لو لم تكن هنـــاك « فتـــح » ، وان عمليات « فتح » كانت سئيلة لا تكفى لدفع العدو للقيـــام بعدوانه . وفى اعتقادى ان هـــذا الراى غـــير مقبول منطقيا ، لا احد منا ينكر النوايا التوسعية للعدو ، ولكن هذا لا ينفى دور « فتح » ، وان ثورتها كانت من اسباب حرب حزيران الاساسية .. ان قادة اسرائيل يدركون ما معنى ان يستلم الشعب العربى الفلســـطينى زمام المبادرة ، وما معنى رفضه لوصاية الدول العربية على القضية الفلسطينية ، والتى لم تفعل شيئا خلال عشرين عاما بعد النكبة .. ان قادة اسرائيل يدركون تماما ما معنى اخطار حرب التحرير الشعبية التى يقوم بها العرب الفلســـطينيون ، واثر تلك الثورة المسلحة على الراى العام العالمى والعربى ، وهم يدركون تماما ان اى حركة تحرير شعبية لا يمكن القضاء عليها اذا نمت وترعرعت . وان افضـــل الاوقات لضرب اى حركة كهذه هو فى بدء حياتها حيث تكون كوادرها العســـكرية والســـياسية ومصادر تمويلها وحجم عملياتها وقدرتها الاعلامية محدودة ، وبالتالى لا يمكن التحجج بضآلة حجم عمليـــات « فتح » قبل حزيران ٦٧ ، لنفى اثر « فتح » فى حرب حزيران ، لانه من البديهى الا ينتظر العدو حتى تتســـع الثورة الفلســـطينية لتشمل الشـــعب العربى الفلســـطينى كله ، ثم يحاول ضرب هذه الثورة ، لابد للعدو ان يضرب « فتح » بشـــدة وبعنف للقضـــاء عليها قبل ان تنمو .

اضــــافة الى ان نمو عمليــات « فتح » كان سيؤدى الى ان تتجه انظار العالم الى شـــعب

فلسطين ، ان اغلب الذين كانوا يتحدثون باسم فلسطين كانوا يواجهون بالسؤال التالى : اين شعب فلسطين ، ان ثورة « فتح » كانت تعنى الجواب ، ان شعب فلسطين موجود يقاوم ويناضل ، لقد كان الرأى السائد قبل حزيران ١٩٦٧ ، ان قضية العرب مع اسرائيل هى عبارة عن نزاع على الحدود ، وخلافات اقليمية ، وكان جل هم العدو ان يحافظ على هذه الفكرة ، وان يثبتها فى الاذهان ، ان انطلاقة « فتح » تعنى عكس ذلك ، لقد كان العدو يزعم دائما ان عمليات فتح ليست سوى عمليات لصوص ومخربين تدفعهم وتحرضهم سوريا ، وما زال العدو يدعى ذلك الى الان ، والسؤال الان لماذا ؟؟ ان العدو يحاول ان يخفى دور شعب فلسطين العربى ، يحاول ان ينفى وجود شعب فلسطين ، لقد ظن العدو ان فى خلال عدوان حزيران ، بالاضافة الى اهدافه الاخرى ــ يمكن ان ينفى شعب فلسطين ، وان يظهر القضية بالمظهر الذى يريده ، وهو الخلافات مع الحكومات العربية .

ان القول بأن العدو كان يخطط للعدوان امر مفروغ منه لانه امر ثابت . ولكن القول بأننا لم نكن نملك قدرة حاسمة لرد العدوان ، تدفعنا للتساؤل ماذا كانت تفعل الحكومات العربية الموقرة خلال عشرين عاما ، ان هذا يثبت صحة منطق « فتح » ورفضها لوصاية الدول العربية على القضية الفلسطينية .

وانى معكم فى ان المواجهة ليست فقط على ارض فلسطين ، ولكننا لا نستطيع بالجيوش النظامية الا الدفاع عن حدودنا فقط لا غير ، بمعنى ان قدرتنا على الحركة محدودة لاسباب عديدة ضمن حدودنا ، انما قدرة شعب فلسطين غير محدودة ، لربما يمكن القول فى حالة دخول جيش عربى نظامى الى فلسطين بأن هذا احتلال دولة لاراضى دولة اخرى ، ولكن لا يمكن لاحد ان يقول بأن انتصار الثورة الفلسطينية هو احتلال دولة لاراضى دولة اخرى ، ولكن لانهم يحررون اراضيهم لا يمكن اعتبارهم محتلين .

اما عن الاهداف فان المنظمات جميعها او اغلبها قد حددت اهدافها فى تحرير فلسطين ، وان « فتح » اكدت انتماءها لحركة التحرير العالمية، واكدت بأنها ليست حركة عنصرية ، واكدت بأن اليهود يمنحهم العيش فى فلسطين الحرة كمواطنين .

الطليعة : اسمح لى ان اضع ملاحظة مبدئية حول خطابك ، تنقسم الى : اولا : قولك ان المقال بجملته محاولة لتبرير موقف البعض من الثورة الفلسطينية التى بدأتها (فتح) ، قول غير منصف لما جاء بالمقال ولا يمكن ان يفهم منه . فعرض المقال لتاريخ «فتح» ونشاطها ، كان عرضا تاريخيا وموضوعيا يقدم ما لفتح وما يأخذه البعض عليها . وعلى عكس ما خرجت انت به فان المقال سجل لفتح مبادرتها فى العمل النضالى المسلح المعاصر وناقش اوجه النقد الموجه اليها من الغير .

ثانيا . انك تتحدث عن قضايا لم يثرها المقال ــ من قريب او بعيد ــ كحديثك عن « ان المقال دفاع عن رأى البعض حول دور الجيوش العربية النظامية» ، ومثل ذلك يقلل من موضوعية الحوار فى رأيى .

ثالثا . حديثك عن ان المقال يقلل من دور الثورة الفلسطينية وما نعنيه بها من حركة المقاومة . وهذا قول يتنافى مع ماجاء بالمقال حين تحدث عن « الثمار الايجابية » للمقاومة وعدد منها ست نتائج هامة . ولكن المقال يسجل حقيقة ان النضال المسلح الفلسطينى مازال يمر بمرحلة الارهاب الثورى الذى يجب ان يفضى ــ مع الاصرار والوعى ــ الى مرحلة التحرير الوطنية ، وتلك حقيقة لابد من الاعتراف بها حتى تكون حساباتنا دقيقة وواقعية .

اما قولك عما جاء بالمقال حين تحدث عن اسباب العدوان فى ٥ يونيو ، فما زلنا نعتقد بان السبب الحقيقى للعدوان « كامن فى طبيعة الصراع العربى ــ الاسرائيلى الامبريالى وطبيعة اسرائيل فى المنطقة كقاعدة عسكرية ضاربة للمصالح الامبريالية ولصالح التوسع العنصرى الصهيونى ، ضد الثورة العربية التحررية والاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية والوحدوية » . والا فما قولك عن اسباب عدوان ١٩٥٦ مثلا حيث لم تكن « فتح » قد وجدت بعد . والواقع ان تلك قضية واضحة . المشكلة انك تطرحها بشكل يثير جدلا لا مبرر له .

اما آخر فقرة فى خطابك التى تشير ــ بشكل غير مباشر ــ الى ما جاء بالمقال حول ضرورة التزام حركات المقاومة « ببرنامج سياسى اجتماعى محدد الاهداف ... » فلا اظن ان احدا يمكن ان يختلف حول ذلك .

على اى حال ، نشكر لك اهتمامك .

●

•• ورأى من منظمة فتح

كتب مواطن فلسطينى ــ وقع خطابه باسم « **فلسطينى ــ عضو منظمة فتح** » ــ يعقب على الافتتاحية التى كتبها **لطفى الخولى** فى عدد سبتمبر تحت عنوان « **المقاومة الفلسطينية المسلحة .. بين الارهاب الثورى وحركة التحرير الوطنية** » ــ يقول عضو منظمة فتح :

اعلنت حركة التحرير الفلسطينى منذ قيامها ، عن كونها حركة تحرير للارض تعتمد الجماهير الفلسطينية والعربية اداة للتحرير وقاعدة عريضة للاستمرار والتصاعد حتى النهاية . وعانت « فتح » منذ بدء قيامها كثيرا من المصاعب من بعض الدول العربية . ووضعت حول ماهية عملها شكوك

كثيرة كموضوع « التوريط »وموضوع « ارتباطها بالحركات الرجعية » .. الخ . وقد اوردتم فى مقالكم ان عقيدة الاستشهاد الدينى هى الحافز للنضال حتى الموت عند « فتح » . وانا اقول لكم ان « فتح » لم تقل ولم تشر من بعيد او قريب الى ذلك . بل عقيدة تحرير ارض فلسطين ورجوع اللاجئين الى ارضهم واقامة دولة عربية ديمقراطية، هى حافز النضال حتى الموت لدى كل عضو فى حركتنا .

وحركتنا لا ترتبط باى من الحركات الرجعية العربية . بل هى — من طبيعة عملها — حركة تقدمية فى مسار الانسانية الصاعد . وهى على استعداد لتلقى العون من كافة المصادر التى تساند حركات التحرير الوطنية التقدمية فى هذا العالم .

وبالنسبة لما حدث بعد ٥ يونيو ، فليس هذا تنافرا من منظمة شابتها روح النرجسية كما تقول ، وانما هو تجسيد عملى ورائع للصمود العربى ، ولبروز روح الشعب الفلسطينى ممثلا فى ثورته الملتهبة بقيادة « فتح » . بعد ان عانت من اسوار الشك والعزلة التى فرضتها بعض الدول العربية على فتح بحسن او بسوء نية عن علم او عن جهالة .

وقد حذرت فتح وتحذر الاعلام العربى فى خنقها بالتضخيم والتفخيم الذى تصطنعه ادوات الاعلام العربى كما حذرت ايضا قبل ٥ يونيو من خنقها بالعزل والتشكيك .

وحركتنا لها مخطط استراتيجى واضح، يبدأ منذ الطلقة الاولى وينتهى بتصفية آخر مؤسسات الكيان العنصرى الصهيونى فى فلسطين ، ويعتمد الخطط المرحلية حسب ذلك المخطط ونحن الان لم نزل فى مرحلة تفجير الثورة المسلحة وتعبئة الطاقات البشرية لجماهير الشعب الفلسطينى داخل تنظيم قوى لتصب بجهودها من خلال الخط الثورى السليم ، وعندما نصل الى نهاية هذه المرحلة نكون عندئذ عند مشارف الثورة الشعبية الفلسطينية المسلحة والتى ستتسم بروح التحول الكلى التى تتحدثون عنها كفعل استراتيجى . فنحن نعلم ان المرحلة الحالية هى مرحلة الارهاب الثورى العربى فى مواجهة الارهاب الاسرائيلى، ولكن تلاحظون ان هذا الارهاب يتخذ طابع الابادة لمؤسسات العدو وليس الارهاب فقط ، وفى هذا يمكن اعتباره الخطوات السليمة الاولى لحركة التحرير التى تتصاعد لتصبح ثورة شعبية مسلحة وشاملة .

وهناك شىء آخر أحب ان اوضحه . وهو كفر الشعب الفلسطينى بالحلول السلمية والاعمال السياسية التى ظلت عشرين عاما بدون فائدة . لذلك كان رد الفعل هو سيادة النزعة العسكرية البحتة والتى تعتبرونها ذات افق ضيق . والذى أريد قوله أن هناك برنامج عمل سياسيا عند فتح يعتبر العمل العسكرى هو الاول والاخير فى موضوع التحرير وليس معنى ذلك هو عزل العمل السياسى عن العمل العسكرى او اعتبار الاول رافدا للثانى، انما هى عملية تكامل عضوى عندكل عضو فى فتح ولا يبرر هذا اننا فعلا بحاجة لعمل سياسى قوى فى الفترة المقبلة ....

وشىء آخر اريد ان اقوله بشأن اقتراحاتكم السبعة الاخيرة التى جاءت فى معرض الحديث عن تحول المقاومة الفلسطينية من الارهاب الثورى لحركة تحرير .. وسأورده فى النقاط التالية :

١ — حركتنا حركة شعبية جماهيرية تعبر عن اوسع آمال جماهير الشعب وتقع بكليتها داخل نطاق الشعور الجماهيرى العربى كتحقيق حى وفعال لآماله فى التحرر والوحدة .

٢ — حركتنا قدمت الاجابة عن مصير اليهود الصهيونيين بعد التحرير بتهجيرهم الى بلادهم التى اتوا منها ومن يتخلى منهم عن عنصريته الصهيونية فهو يهودى عربى فلسطينى واخ لنا فى الوطن كأى فرد آخر .

٣ — وفتح ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركات التقدمية ذات الطابع الثورى فى العالم . ولعلكم تعلمون كيف اصبح وزن وتأثير فتح العالمى من خلال مهرجان الشباب الاخير فى صوفيا عاصمة بلغاريا .

٤ — فتح طرحت شعار الجبهة العربية المساندة للعمل على استمرار وتصاعد الثورة الفلسطينية ولضمان ظهرها من الخلف ضد مايحاك لها من قبل بعض الهيئات والجهات المناوئة . وطرح هذا الشعار ايضا هو تجسيد عملى لوحدة النضال العربى والارتباط المصيرى بقضية العرب الكبرى .

بقيت نقطة اخيرة هى موضوع الوحدة الوطنية وطبيعة تركيب التنظيم الثورى الفلسطينى .

فتح تدعو كل فلسطينى وعربى لان يتخلى مرحليا عن عقيدته السياسية حتى توجه جهودنا جميعا من خلال تنظيم ثورى وشعبى للكفاح المسلح ليتم التحرير، وبعد ذلك نجتمع سويا لنقرر النظام السياسى والاجتماعى لدولة فلسطين . والذى اتوقعه انا — شخصيا — ان يكون نظاما ديموقراطيا اشتراكيا معتدلا كتعبير متكامل عن آمال جماهير الشعب الفلسطينى .. فى الحياة الحرة الكريمة .

وانتم تعلمون بوجود عديد من التنظيمات الفلسطينية الاخرى ذات العقائد السياسية المعروفة، ولذا فقد طرحت « فتح » شعار اللقاء فى ارض المعركة لتفرز من الساحة الفلسطينية المنظمات التى لها قدرة على العمل من تلك التى خلقت فى اجواء سياسية مشبوهة ليس لها من هدف سوى المناورات والمتاجرة بقضية شعبنا .

ولكن الجهود المخلصة التى بذلناها « الخ »
كانت تضيع فى الهواء، ولن نيأس فنحن متأكدون من ضرورة الوحدة الوطنية بين مختلف التنظيمات الفلسطينية ولكن على أسس لن نحيد عنها ويعرفها الجميع ».

هذا ما اردت ان اقوله كتعقيب وتوضيح لما ورد فى مقالكم الكريم بشأن المقاومة الفلسطينية .. وارجو ان يجد لديكم صدى نراه على صفحات الطليعة فى عدد اكتوبر المقبل تمشيا مع مبادىء مجلتنا ووصولا الى الحقيقة .

●

تحرير الارض .. مسئولية كل الشعب

تحت هذا العنوان ، كتب المواطن **هاشم عبد الصادق عبد الحكيم** — محاسب بالهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية .. مراقبة اسوان — يقول فى رسالته :

ان حتمية خوض المعركة يعطى للعمل العسكرى أولوية مطلقة .. لكن هل يقع عبء التحرير على عاتق قواتنا المسلحة وحدها ؟

اننى اعتقد ان شعبنا بأسره يقع عليه هذا العبء . كيف يكون ذلك ؟

نحن الشباب يجب أن ندرب تدريبا عسكريا ، لان معركتنا ضارية مع الامبريالية العالمية واسرائيل . والشباب هم « المخزون البشرى » — ان جاز هذا التعبير — الذى يغذى كافة القطاعات ، ومنها القوات المسلحة . وعليه يجب استثمار هذا « المخزون البشرى » استثمارا امثل . يجب ان يعد الشباب اعدادا عسكريا حتى يسهموا فى معركتنا القادمة بكفاية وفعالية . اننا يجب ان نضع فى حسابنا كافة الاحتمالات العسكرية ، لان الحرب سجال ولكن قطعا وبالحتم ، يجب ان نضع نهاية واحدة للمعركة ، وهى النصر .

وعليه فان الشباب المدرب سيخوض المعركة من منزل الى منزل ، ان ادى الامر لذلك . والشباب المدرب يمد القوات المسلحة بما تحتاج اليه من القوة البشرية الصالحة المدربة ، بدلا من ان ننتظر حتى ساعة الحاجة ونبدأ فى التدريب .

اما كيفية التدريب ، فيجب ان تتلاءم مع ضروريات المعركة وضراوتها من حيث اساليب التدريب ومستوياته وطرقه . قد يقال ان ذلك سيعرقل عملية الانتاج لانه يقتطع من الوقت اللازم للعمل . ونجيب على ذلك بأن وقت التدريب يجب ان يكون بعد ساعات العمل . ورب قائل ان هذا اجهاد للعاملين واستنفاد لطاقتهم . ولكن معركتنا لا تحتمل مثل هذا القول . علينا ان نعطى مزيدا من العمل ومزيدا من العرق . يد تبنى ويد تحمل المدفع . وعليه يجب ان يعمم التدريب العسكرى ، وان يكون التدريب على مستوى المعركة .

وجنبا الى جنب مع هذا العمل ، اعتقد بالاهمية القصوى لتقنين الثورة . وذلك :

أ — باعادة النظر فى جميع القوانين المعمول بها واعادة صياغتها بما يتلاءم وروح المجتمع الاشتراكى . ووضع الضوابط التى تحافظ على النظام الاشتراكى من اى انتكاسة من قوى الثورة المضادة .

ب — تأكيد حرية الفرد الاجتماعية وحريته السياسية ، لانه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

جـ — ان تعمل كافة الاجهزة فى الدولة فى نطاق سيادة القانون .

أما فيما يتعلق بعدالة توزيع الخدمات ، فلابد من الاهتمام بالريف الذى حرم ولسنين طويلة من هذه الخدمات ، والبعد عن مظاهر الترف التى نراها فى المدن وتكديس الخدمات بها . يجب ان يكون التغيير الذى ننشده تغييرا جوهريا يصيب واقع الحياة لا مظهرها . يجب ان يكون كل مسئول امينا مع نفسه ، ملتزما أمام وطنه ، محافظا على طهره الثورى ونقائه بمزيد من العمل وقليل من الامتيازات . وعلينا ان نزيد من فاعلية النقابات العمالية ، والجمعيات التعاونية وتدعيمها بكفايات لازمة .

●

اقتراحات .. لمحو الامية

حول المناقشات التى تدور عن محو الامية .. كقضية وطنية ، كتب المواطن **زكريا عيسى** — عامل من الاسكندرية — يبدى بعض الاقتراحات فى هذا المجال ، فيقول :

.. على الاتحاد الاشتراكى ان يجعل من القضاء على الامية ، منطلقا لنضال واع . ذلك لان محو الامية « التعليمية » طريق الى محو الامية « السياسية » . ويتطلب ذلك ان يقوم الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء — بالتعاون مع الاتحاد الاشتراكى — بحصر دقيق للاميين . على ان يعقب ذلك وضع خطة محددة مدروسة ، يتم فيها وضع كل الخطوط العريضة للمشكلة .

ويجب ان تعتمد حملة محو الامية ، على المتطوعين الملتزمين داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ومن منظمة الشباب الاشتراكى والدارسين

النسيابسيين . على ان يقيم المشروع كل فترة زمنية محددة (كل عام دراسى مثلا) .

ولابد من التأكيد على اهمية متابعة الدارسين فى محو الامية ، بعد تخرجهم . واعتقد بضرورة ان تبدأ الحملة بمحو امية العاملين فى الوحدات الإنتاجية ، لما فى ذلك من اهمية خاصة فى قطاع الانتاج . وهنا لابد من مشاركة المؤسسة الثقافية العماليةبجهودها فىمحو الاميةفى اطار الخطة التى يحددها الاتحاد الاشتراكى .

واقترح ، وضع حوافز ايجابية « ادبية سياسية » للدارسين الناجحين ولمعلمى محو الامية المتطوعين . كمنحهم مثلا وسام « الخدمة العامة » . واعتقد بضرورة ايجاد تشريع ملزم يقضى بعدم تشغيل اى عامل الا بعد تقديمه شهادة محو الامية كضرورة على مستوى كل وحدات الانتاج .

وتستطيع - بل يجب - ان تساهم النقابات العامة والاتحادات المحلية للعمال واللجان النقابية فى حل مشكلة محو الامية ، كواجب اساسى من واجبات النقابات فى المجتمع الاشتراكى .. بأن تصبح قلعة لرفع المستوى الثقافى للعمال .

واؤكد اخيرا انه يجب ان يكون الاساس فى هذه الحملة الوطنية العامة ، هو التطوع . فما تطوع المثقف والمتعلم لمحو امية اخيه المواطن ، الا ضريبة عليه ان يدفعها للذين حرمتهم ظروفهم نعمة العلم والثقافة . والذين هم آخر الامر ، المساهمين فى نفقات تعليمه من خلال الضرائب التى يدفعونها ، والتى يذهب جزء كبير منها الى مجال التعليم .

●

الخطة الجديدة لمعهد الدراسات النقابية

وجاءنا من مدير معهد الدراسات النقابية **نور الدين حسن** ، خطة عمل جديدة للتدريب والدراسات النقابية فى المرحلة القادمة ، والتى بدأت من اول يوليو ١٩٦٨ .

وقد حددت الخطة الجديدة الهدف من الدراسات التى تقوم بها **مؤسسة الثقافة العمالية** بأنه :

« نشر مبادىء الاشتراكية ، وتدعيم وتثبيت مفاهيمها ، وتكوين المواطن الصالح ، والاسهام فى بناء المجتمع الاشتراكى العربى . الاسهام فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى للبلاد ، وفى خطط التنمية المختلفة ، والحث على رفع الكفاية الانتاجية للعاملين . تكوين قيادة نقابية وطنية مدربة ، وتوجيه الحركة العمالية فى الجمهورية العربية المتحدة توجيها صحيحا لتحقيق الكفاية والعدل » .

وقد اشار التقرير الى امكانية المعهد الحالية ، ووضح ان متوسط عدد الدارسين ٣٣ فى كل دورة ، ومتوسط عدد الدورات ١٠ فى السنة ، وبذلك يكون اجمالى عدد الدورات ٣٣٠ دارسا تقريبا فى السنة ، هذا بينما تم تدريب ٨٣١ دارسا فى ٣٣ دورة منذ انشاء المعهد فى عام ١٩٦٣ .

واورد التقرير احصائية بعددالقيادات المطلوب تدريبها ، ثم تقدم التقرير بخطة كاملة على اساس دراسة الوضع الحالى ، لتغطية تكوين اكبر عدد ممكن من القيادات النقابية .

وبالمقارنة بين امكانيات معهد الدراسات النقابية والاعداد القيادية المطلوب تدريبها ، يتضح ان تغطية تدريب هذه القيادات وهى ٥٧٧٨٠ عضوا ، بالاتفاقيات الحالية ، تتطلب سنوات طويلة ، على اساس احصائية خريجى المعهد لعام ١٩٦٦ . اما اذا اقتصر التدريب بالمعهد على قيادات الاتحاد العام والاتحادات المحلية والنقابات العامة ، ويقدر عددهم بحوالى ٦٦٣ عضوا ، فان الامر يتطلب مدة سنتان تقريبا بالامكانيات الحالية (٣٠٠ دارس فى السنة) .

ولما كانت رسالة الثقافة العمالية فى العمل النقابى يجب ان تصل الى جميع القيادات النقابية فى اسرع وقت ممكن ، وبشكل مؤثر وحاسم ، الامر الذى يؤدى بدوره الى ايجاد علاقات ثقافيةقوية ، والىتعاون بناء مشترك بين النقابات واتحاداتها ، والثقافة العمالية بحيث يكون تنفيذ برامج الثقافة العمالية مستقبلا فى اماكن النقابات المنتشرة فى انحاء الجمهورية ، بالقدر الذى يتسع برسالة الثقافة العمالية للتغلب على صعوبة ايجاد الاماكن ، كما ان الاهتمام بالثقافة العمالية حال تمركزها بالنقابات ، سوف تجد القوة الدافعة من جانب النقابيين والمثقفين المخلصين .

وعلى ذلك فان المقترحات الاتية يمكن بدء العمل بها لتنفيذ خطة التدريب والدراسات النقابية :

١ - العمل على توسيع قاعدة التدريب النقابى بحيث يكون نشاطها شاملا كل مراكز الثقافة العمالية على مستوى الجمهورية ، وبعضا من اماكن النقابات العامة المختارة .

٢ — ان يكون برنامج التدريب والدراسات النقابية متدرجا على ثلاثة مستويات ، بحيث يكون كل مستوى مكملا للاخر ، وبشكل البرنامج ككل اساسا ثقافيا صالحا لمواجهة احتياجات الحركة النقابية من الثقافة العمالية .

٣ — ان يتم تدريب ٢٠ ٪ من قيادات اللجان النقابية خلال الدورة النقابية « سنتان » ، ويقدر عددهم بحوالى ١١٫٥٠٠ عضو فى الاماكن المختارة .

٤ — ان يتم تدريب ١٠ ٪ من قيادات الاتحاد العام والنقابات العامة والاتحادات المحلية فى الدورة النقابية فى معهد الدراسات النقابية .

٥ — ان يشمل برنامج التدريب النقابى والدراسات النقابية الفرص الكافية لتغطية احتياجات اللجان النقابية ، ونقاباتها العامة واتحاداتها من المعلومات الاساسية والمتخصصة عن التأمينات الاجتماعية والامن الصناعى واقتصاديات العمل ، والعلاقة الدولية ، وذلك باتاحة الدورات فى المجالات السابقة عن طريق المعاهد المتخصصة ، حتى يمكن اعداد قيادات نقابية متخصصة لهذه الشئون ، لذلك فانه من المرغوب فيه اعداد كوادر مثقفين عماليين من النقابيين الذين مروا بالدراسات النقابية ، وذلك بالحاقهم بمعهد التربية العمالية لتكوين نواة المندوبين النقابيين بالنقابات ، وبالقدر الذى يمكن التوسع فيه باعداد المندوبين الثقافيين ، بالقدر الذى تتسع به حركة الثقافة العمالية فى النقابات ولا سيما فى مرحلتيها الاولى والثانية ، وعلى ان يتم توجيه بعض القيادات للدراسة فى المجالات السابقة بعد المرحلة الثانية والثالثة من الدراسات النقابية ، ويرتبط اعداد هذه الكوادر باحتياجات اللجان النقابية ونقاباتها واتحاداتها بالمتخصصين كذلك بالقدرات الشخصية للقيادات للتصدى للتخصص فى اى مجال .

ولتنفيذ المقترحات السابقة ، فانه تتخذ الاجراءات الاتية لتنفيذ خطة التدريب :

١ — بالنسبة لتوسيع قاعدة التدريب النقابى فانه يتطلب اعداد عدد ١٢ مركزا ثقافيا عماليا على مستوى الجمهورية فى اماكن المجتمع النقابى ، يستوعب كل مركز ٤٠ دارسا فى الدورة الواحدة وذلك لعقد دورات المرحلة الثانية ، ويقدر عدد الخريجين فى الدورة النقابية سنتان ، بحوالى ١٠٫٥٠٠ دارس ، ويمكن تغطية الباقى وقدره ١٠٠٠ دارس ، وذلك بالاتفاق مع الاتحاد العام بتخصيص مقران بالنقابات العامة أو الاتحادات المحلية ، ويستوعب كل منها عدد ٤٠ دارسا لعقد دورات المرحلة الثانية .

اما المرحلة الاولى ، فان البرنامج العام يغطى هذه المرحلة ، ولن يتطلب الامر لاعدادها تخصيصا للنقابات ، فانه يمكن الاتفاق مع الاتحاد العام على تخصيص عدد ٨ اماكن اخرى بالنقابات العامة ، او الاتحادات المحلية لعقد هذه الدورات وان الثمانية اماكن التى تستوعب كل منها ٤٠ دارسا فى الدورة الواحدة ، كافية لتغطية خطة التدريب فى المرحلة الاولى ، حيث يعلن تخريج ١٢٫٨٠٠ دارس فى الدورة النقابية والتى هى اساس للمراحل المتقدمة .

اما المرحلة الثالثة ، فانه يمكن برفع امكانية معدل الدراسات النقابية ، بحيث يكون العدد ٤٠ دارسا لكل دورة ، بدلا من ٣٣ ، على اساس عقد ١٠ دورات فى السنة ، فانه يمكن تغطية عدد القيادات للاتحاد العام والنقابات والاتحادات المحلية فى سنة ونصف .

ولما كانت مراكز الثقافة العمالية واماكن الدراسة بالنقابات فى حاجة الى مثقفين عماليين بدرجة من الكفاءة ، فانه يقترح :

أ — الاستفادة بالخريجين من معهد التربية العمالية الحاليين .

ب — الاستفادة بالخريجين فى الدورة العربية التى عقدتها امانة العمال فى المدربين السياسيين .

كذلك فان استمرار تخريج كوادر المثقفين العماليين من خريجى الدورات النقابية فى المراحل السابقة كافية فى المستقبل لتغطية متطلبات حركة الثقافة العمالية .

ولتحديد الاعداد المطلوبة من المثقفين العماليين لادارة هذه العملية ، فان المطلوب ٤٠ مثقفا عماليا يتم توزيعهم على المراكز واماكن الدراسة .

٢ — بالنسبة للبرامج : ان يكون برنامج التدريب النقابى والدراسات النقابية مقسمة الى ثلاثة مستويات ، بحيث يكمل كل مستوى الاخر ، فانه يقترح النظام التالى :

المرحلة الاولى : تدريب سياسى — ثقافة سياسية — معتمد على الاساس النظرى للمجتمع — الميثاق .

المرحلة الثانية : تدريب نقابى — ثقافة نقابية — سياسية — انتاجية — قانونية — ومجالات عمل النقابات ومجالات اعمال المرحلة السابقة .

المرحلة الاولى والثانية ، يجب أن يمر بهما جميع القيادات النقابية ، وتكون فى مراكز الثقافة العمالية او اماكن النقابات العامة المختارة بمعرفة الاتحاد العام ، وفى المرحلة الثانية يمكن توجيه بعض القيادات الى دراسات الامن الصناعى والتأمينات الاجتماعية واقتصاديات العمل فى المعاهد المتخصصة ، بالاضافة الى المرحلة الثالثة

ويقتضي هذا تخصيص نسبة مئوية معينة من دارسي هذه المعاهد المتخصصة لخريجي المرحلة الثانية ، حسب احتياجات النقابات ، وحسب الامكانيات الشخصية للدارسين ».

المرحلة الثالثة : تكون بمعهد الدراسات النقابية ، ويلحق بها الممتازون من المرحلة الثانية والقيادات من اعضاء النقابات العامة والاتحادات وفى المرحلة الثالثة وعند نهايتها يمكن توجيه بعض القيادات النقابية حسب امكانياتها واحتياجات الحركة النقابية الى معهد العلاقات الدولية للتخصص فى العمل العمالى الدولى ، كذلك توجيه بعض منهم الى معهد التربية العمالية باعدادهم كمثقفين عماليين للعمل فى الحقل الثقافى العمالى فى النقابات كما هو مبين فى الآتى :

مدة المرحلة الاولى : ١٥ يوما للدورة الواحدة ويمكن عقد ٢٠ دورة فى السنة . نصف اقامة .

مدة المرحلة الثانية : ٢١ يوما للدورة الواحدة ويمكن عقد ١٠ دورات فى السنة . نصف اقامة .

مدة المرحلة الثالثة : ٢٨ يوما للدورة الواحدة ويمكن عقد ١٠ دورات فى السنة . اقامة كاملة .

وبهذا يمكن اعداد القيادات النقابية الواعية بالحركة النقابية ».

●

بيان من نقابة عمال الصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية

جاءنا من **نقابة عمال الصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية** فى الجمهورية العربية المتحدة ، البيان التالى ، الذى صدر فى اعقاب المحادثات التى اقامتها النقابة مع نقابة **عمال صناعات الحديد والمعادن والطاقة الكهربائية بجمهورية المجر الشعبية** ، وذلك فى الفترة ما بين ١٣ الى ١٩ اغسطس ١٩٦٨ :

اتفق الجانبان ، بصورة كاملة ، على الامور الرئيسية التالية :

— ان النقابات تلعب دائما دورا حيويا فى حماية المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة ، وفى سبيل خلق الوحدة العمالية العالمية ، وكذلك فى الكفاح الدائر فى سبيل السلام والتقدم . وان قضية الوحدة العمالية العالمية ، وكذلك تعاون النقابات التقدمية يحتل اهمية كبيرة فى الوقت الراهن ، حيث تزيد القوى الامبريالية من حدة نشاطها .

— ويرى الجانبان ضرورة تعزيز علاقاتهما عن طريق الاعلام المتبادل والمستمر ، على شكل تبادل منتظم للمنشورات والبيانات والوفود ، لان ذلك من شأنه توطيد العلاقات بين نقابتيهما .

— وقد اتفق الجانبان على دراسة اساليب العمل النقابى التى تساعد على التقدم الفنى ، وعلى زيادة التدريب المهنى للعمالة . ويعرب الجانب المجرى عن رغبته فى مد يد العون لعمال وطلاب الجمهورية العربية المتحدة ، فى ميدان تدريبهم المهنى والفنى .

— تعمل النقابتان بنشاط وتبذلان جهودهما فى سبيل الحفاظ على السلام العالمى وتدينان مختلف انواع الاعتداءات الامبريالية ، وتطالبان بتسوية عادلة لمسألة الشرق الاوسط ، وبسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى جرى احتلالها نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، وذلك دون قيد او شرط . كما يطالب الجانبان بالاعتراف بالحق المشروع للشعب الفلسطينى فى العودة الى وطنه وفقا لمقررات هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن الدولى لعام ١٩٤٩ . ويعرب الجانبان عن يقينهما بأن الامبريالية العالمية تستخدم اسرائيل كقاعدة عدوانية لتقف فى وجه جهود الشعوب العربية التى تبنى اشتراكية تقدمية ، وليكون ذلك بمثابة سد فى مواجهة جهود كل القوى التقدمية ، بحيث تتمكن الامبريالية من متابعة اغتصاب ثروات الشعوب ».

— ويرى وفدا النقابتين ان احد أهم واجباتهما ان تعبئا ، بالتعاون مع قوى التقدم فى العالم ، كل قواهما فى سبيل حفظ السلام العالمى وفى سبيل الحيلولة دون تنفيذ الجهود الحربية للامبريالية ، وفى سبيل قيام سلام عادل ، وكذلك فى سبيل دعم الكفاحات التحررية للشعوب المغلوبة على امرها .

— يدعم الجانبان بكل قواهما الكفاح البطولى للشعب الفيتنامى فى مواجهة الاعتداءات البربرية للولايات المتحدة الامريكية ، ويطالبان بالوقف الغير المشروط للاعمال الحربية العدوانية . وباحترام حق الشعب الفيتنامى فى تقرير مصيره ، كما يجب فورا تنفيذ قرارات اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٤ ، التى تعترف بحق الشعب الفيتنامى فى ان يقرر مصيره دون اى تدخل خارجى . كما يرى الجانبان ان سلوك الولايات المتحدة فى مباحثات باريس يعوق إعادة السلام الى فيتنام ، كما ان المعتدين الامريكيين بارسالهم لقوات عسكرية جديدة الى فيتنام ، إنما يزيدون من خطورة الوضع — كما يزيدون من آلام الشعب الفيتنامى . ويعرب الجانبان ، مع جميع القوى التقدمية

والمحبة للسلام فى العالم عن احتجاجهما ضد التدمير البربرى الامريكى ، ويطالبان بالوقف الفورى للحرب العدوانية .

— ان القوى الحربية الامبريالية تهدد سلام اوروبا كذلك . وتمثل جهود المانيا الغربية فى حقل السياسة الخارجية المدعمة من قبل الولايات المتحدة ، الخطر الاكبر فى هذا المجال . ومما يزيد من حدة هذا الخطر ، ازدياد نفوذ الفاشستية الجديدة ، وكذلك اقرار قانون الطوارىء منذ امد وجيز ، وسعى المانيا الغربية الحثيث للحصول على اسلحة نووية ، بالاضافة الى دعمها للقوات الاسرائيلية المعتدية التى تحارب الحركات الغربية التقدمية المعادية للامبريالية . حيث ان جميع الامور المذكورة تمثل تهديدات جدية . ان الوفدين يكافحان بكل قواهما ضد ظهور الفاشية من جديد ومن اجل خلق وضع يضمن السلم والامن فى اوروبا .

— يرى الوفدان ان القنبلة الذرية هى بمثابة قوة مدمرة مهددة لوجود الانسانية — لذا فان الكفاح فى سبيل اعاقة انتشار الاسلحة النووية ، هو بمثابة امر متعلق بوجود جميع شعوب العالم . ويطالب الجانبان بأن يجرى استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض التى تخدم التقدم العلمى والاجتماعى للانسانية فقط ، وان يجرى استغلالها فى خلق الرفاهية المادية والثقافية.كما يتوجب استبدال التسابق على التسلح بنزع السلاح ، وباستبدال الانتاج الحربى بتلبية المتطلبات المدنية . وكذلك يجب مد العون للمساعدة على النهوض العلمى والفنى والاقتصادى والثقافى فى الدول النامية . وفى غمرة هذا الكفاح ، فان هناك حاجة لوحدة منظمة والى وقفة كفاحية لدى كل القوى المحبة للسلام، ولدى قوى الطبقة العاملة ، بما فيها عمال صناعات الحديد والمعادن والطاقة الكهربائية فى مختلف بلدان العالم. وان نقابتينا بصفتهما جزءمن تلك القوة الجبارة،تكافحان بصورة هادفة ومتهادفة فى سبيل قضية السلام والتقدم الانسانى .

واننا على ثقة من ان مباحثاتنا ستسهم فى متابعة تعزيز صداقة شعبينا ، وفى تحسين العمل النقابى ، وفى تقوية التعاون الذى يخدم قضية التقدم الانسانى .

بودابست ١٨ اغسطس ١٩٦٨ ..

سعيد جمعة على

عن نقابة عمال الصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية فى الجمهورية العربية المتحدة

تيفادر نمشلكى

عن نقابة عمال صناعات الحديد والمعادن والطاقة الكهربائية فى المجر

اليسار الفرنسى والثورة اليمنية

وجاءنا من « **لجنة التضامن مع الثورة اليمنية والحركات التحررية فى الجزيرة العربية** » **بفرنسا** ، البيان التالى نصه :

ان المنظمات ادناه ، ادراكا منها لما لقيام الجمهورية العربية اليمنية من اهمية حاسمة فى نضال شعوب الجزيرة العربية ضد قوى الامبريالية والاقطاع .

— تطلب من الحكومة الفرنسية الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية ، ووقف بيع الاسلحة للنظام الاتوقراطى السعودى الذى يعتبر بتحالفه مع الامبريالية الانكلو — امريكية العدو الرئيسى للثورة اليمنية .

— تشجب بشدة وجود مرتزقة فرنسيين فى صفوف العصابات الملكية فى اليمن .

— تعبر عن تضامنها مع نضال شعب ساحل الصومال المحتل من اجل تحرره من نير الاستعمار الفرنسى وانضمامه الى الجمهورية الصومالية .

— تستنكر الادعاءات التسلطية الباطلة لحكم شاه ايران على جزيرة البحرين ، وذلك كجزء من سياسة شاملة مناهضة لحركة التحرر العربى فى هذه المنطقة من العالم .

— تؤكد من جديد مساندتها لنضال شعوب الجزيرة العربية ومنها الشعب العربى فى البحرين من اجل التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية والوحدة العربية .

— تحث جميع القوى الفرنسية المخلصة فى مناهضتها للامبريالية على مساندة المقاومة العربية المسلحة الباسلة فى فلسطين المحتلة مساندة سياسية ومادية .

— تعتبر دولة اسرائيل بمجرد وجودها عدوانا مستمرا على الشعوب العربية ومتنافيا مع اعادة الحقوق القومية الكاملة للشعب العربى الفلسطينى .

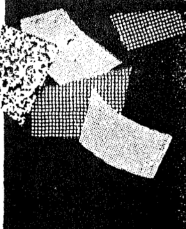
(التوقيعات) :

لجنة التضامن مع الثورة اليمنية والحركات التحررية فى الجزيرة العربية (جان بيرفينيو) .

لجنة مساندة نضال الشعوب العربية من اجل التحرر الوطنى « جيلبير ميرى » .

لجنة مساندة نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية (دانيال غيرين) .





وثائق

وثيقة سياسية

كراسة "تيموانياج كريتيان" (شهادات مسيحية)

٥

جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

نواصل فى هذا العـدد نشر كراسـة ((تيموانياج كريتيان)) ، (شهادات مسيحية) عن قضية فلسطين والتى شارك فى كتابتها عـدد من المفكـرين والـكتاب الفرنسيين ، بعد ان شكلوا فيما بينهم ((جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية)) ، فى محاولة منهم للالتزام بالموضوعية والحيـدة والتخلص من تاثيرات الدعايات الصهيونية ومغالطاتها الفكرية ، بحثا عن الحقيقة ، بهدف تقديم اقتراحات وافكار قد تسهم بدور فى تسوية الازمة .

١٤

ومن الطبيعي ان ينجح بعض هؤلاء المفكرين في نفض رواسب الدعايات المغرضة بدرجات متفاوتة . ولذلك جاءت آراؤهم تعكس اتجاهات ومواقف مختلفة . وقدلا نتفق مع هذه الاراء ، الا انه من الاهمية بمكان التعرف على المحاولات الجادة والمخلصة للتوصل الى الحقيقة .وهكذا فنحن ننشر هذه الشهادات بدون حذف او اختصار، رغم ما قد يقوم من اختلاف في وجهات النظر مع هؤلاء الكتاب .

■■■

رد على دانيال ماير (١)، (٢)

فنساي مونتاي

من المعروف ان اسرائيل كانت المعتدية في عام ١٩٥٦ ، وان فرنسا وانجلترا تواطأتا معها . وقد اهينت مصر ولكنها لم تقبل ابدا الامر الواقع ، ولم توقع على اتفاقية مارس ١٩٥٧ الخاصة بحرية الملاحة في مضايق تيران ، على مسافة تقل عن ميل واحد من الشواطىء المصرية . وقد أوضحت على اي حال ان ٥٪ فقط من التجارة الخارجية الاسرائيلية تمر من ميناء ايلات وانه ليس هناك ما يحول دون حصول الصهاينة على ما يلزمهم من بترول عن طريق ميناء حيفا

ومن جهة اخرى فان الادعاء بان الصهاينة اكتفوا بالعودة الى ارض الميعاد ، وطنهم منذ اقدم العصور ، امر يجافي الحقيقة .

فلا اقل من ان نقول ان فلسطين كانت عربية منذ ثلاثة عشر قرنا ، وانها كانت مسيحية واسلامية في آن واحد . ولو سرى هذا المبدأ لاصبح من حق اى شخص ان يطالب باي شيء .

والواقع انه لم يكن في فلسطين سوى ٦٦ الف يهودي عند صدور وعد بلفور . وبعد ثلاثين سنة من الوصاية البريطانية ، لم يتمكن اليهود من امتلاك اكثر من ٦٪ من مجموع اراضي فلسطين ، بالرغم من محاباة لندن لهم . ولم يحل هذا دون صدور قرار من الجمعية العمومية للامم المتحدة يمنحهم ٥٤٪ من مساحة البلاد . بل ان اسرائيل احتلت قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ ، اي قبل انسحاب القوات البريطانية ، ٨٠٪ من اراضي فلسطين ، وهي لا تزال تحتلها حتى الان .

وقد وصلت الى القدس في ١٥ يونيو عام ١٩٤٨ مع الدفعة الاولى من مراقبي الامم المتحدة التي طلبها برنادوت . كان العرب يعانون بقسوة من مجزرة دير ياسين التي قال عنها جون كيمشيل ، وهو يهودي صهيوني انجليزي ، في كتابه « الاعمدة السبعة المنهارة » : « لا يوجد ولن يوجد ابدا اى مبرر لقتل ٢٥٠ عربي بريء من بينهم اكثر من مائة امرأة وطفل » . كانت مجزرة دير ياسين اشد النقاط سوادا في تاريخ المعارك اليهودية وقد برروها بضرورة اثارة الفزع بين العرب ، لكي يهجروا المنطقة اليهودية .

وعلى هذا الاساس فان الهجمات « الارهابية » على الحدود الاسرائيلية ليست الا رد فعل عنيف من جانب الفلسطينيين الذين طردوا من اراضيهم .

ويجب الا ننسى اخيرا ان اسرائيل ، واسرائيل وحدها ، هي التي ادينت احدى عشرة مرة من جانب الامم المتحدة لتجاهل اتفاقيات الهدنة . ومن هنا فان ما يسمى بالامر الواقع ليس سوى تثبيت للظلم والقوة . ومن المفهوم ان مصر والبلدان العربية لن تستسلم لهذا الامر الواقع الى مالانهاية .

واخيرا هناك نقطتان : ان

---

(١) فنسان مونتاي : صحفي فرنسي ، وضابط سابق بالجيش ، متخصص في شئون شمال افريقيا ، ومن محرري جريدة « لوموند » .

(٢) دانيال ماير : رئيس رابطة حقوق الانسان ، من الاشتراكيين الديمقراطيين الفرنسيين .

اسرائيل « قلعة الديمقراطية » ليست الا بطلة التفرقة العنصرية بين اليهود انفسهم ، اذا كانوا افريقيين أو شرقيين (فالفلاشا الاثيوبيون « يهود الحبشة » ممنوعون من دخول اسرائيل) ، وهى تمارس التفرقة على وجه النصوص ضد ٢٥٠ الف عربى ، مسلم ومسيحى ، لا يزالون مقيمين فى اسرائيل ، ولا يسمح لهم الا بتصريح مرور صادر من السلطات العسكرية اوالشرطة.

اما الخلط المستمر بين اسرائيل ، رأس جسر الامبريالية والاستعمار وبين اضطهاد هتلر للايين اليهود فى اوروبا ، فانه لا يبرر للصهاينة تقمصهم هيئة الملائكة المنزلة لاهلاك قوم لاشأن لهم بمعتقلات او سفيتش وتربلينكا .

■■■

انطباعات رحلة فى اسرائيل

ف . س . باريس

اما العرب الذين ظلوا فى اماكنهم فى الاراضى المحتلة ، فان خطأهم الاكبر يتمثل بالذات فى انهم ظلوا فى مكانهم . فالهجرة تجعل الامور ابسط : اذ يمكن تسوية قراهم بالارض ، والاستيلاء على اراضيهم بلاادنى تردد . وكما قال لى احد رواد مقهى فى بير شيفا : « يجب ان نلقى القبض على كل قادتهم . ماذا فعلوا طوال الفى عام ، اما نحن فعندما حضرنا الى هنا ، كان كل شىء صحراء والان تستطيع ان ترى بنفسك .. »

على ان تحويل الصحارى الى حدائق يستلزم ابعاد العرب لان الهدف من اقامة اسرائيل هو التقاء اليهود بعضهم . اما اذا سألت العرب بالفرنسية او الانجليزية ، وهذا ممكن سواء فى القدس أو الجليل ، فانهم يعلنون لك رفضهم زعم اليهود بان من حقهم العودة الى «ارض الميعاد» . وهم لايعرفون سوى شىء واحد : كانوا يملكون اراضى ، واحيانا فنادق ومحلات .. اما الان فلم تعد لديهم اى ملكية ، كما ان محلاتهم نهبت .

وقد اعلن الجنرال حاييم هيزوج فى صحيفة «معاريف» بأنه فخور لانتمائه الى جيش « حارب رجاله كالاسود ، ثم تصرفوا بعد ذلك كملائكة الرحمة » ومن الواضح ان المحلات المنهوبة التى رأيتها فى القدس ، لم تحظ بزيارة ملائكة الرحمة ... وهل من المتصور ان يخوض اى شخص حربا الى منتصف الطريق ، وهو مؤمن بان قضيته عادلة ، وان رغبته الوحيدة هى القضاء على من يقف فى وجهه ؟

من الواضح ان تجريد العرب من املاكهم على اثر دخول اليهود قد هز نفوس العرب ، وجعلهم لا يفهمون اى شىء غير ذلك ، وان الاحقاد قد اوغرت الصدور . ولكن ـ كما قال لى احد تجار العاديات العرب ـ فى القدس القديمة : « لا سلام بدون عدل .. » .

وقد قابلت فى الناصرة المطران حكيم الذى عبر لنا عن قلقه من هجرة صفوة الجالية العربية الى الولايات المتحدة أو الى اى مكان آخر . وقد قال له طبيب كان قد قرر الهجرة : « لا اريد ان يصبح ابنائى خدما » .

على ان السلطات تنظر بعين الرضا الى هجرة العرب . وهذا مفهوم . فما دام الوضع الطبيعى يتمثل فى تواجد اليهود معا ، فان العرب لن يكونوا سوى مواطنين من الدرجة الثانية ، يمكن نزع املاكهم تبعا لاحتياجات أمن او اقتصاد دولة اسرائيل . وقد رايت ذلك بنفسى فى شمال الجليل فى عام ١٩٤٨ . فقد طلبوا من سكان قرية اخلاءها خلال خمسة عشر يوما ، لان القرية على مسافة صغيرة من الحدود اللبنانية : انهم لاجئون يعيشون فى مكانهم منذ عشرين عاما ، يرون باعينهم اراضيهم يزرعها كيبوتز يهودى ، بينما يؤجرون هم انفسهم كعمال .

ان انتشار الاحساس بين الجماهير اليهودية بان العربى دخيل لايحول دون وجود بعض الذين يريدون ان يقدموا شيئا لهم . وهناك دراسات جادة لهذه القضية فى الجامعة ، وفى اجهزة اخرى . ولكن البحث

يقتصر في احسن الاحوال على حلول ، تتمثل في التعاون الاقتصادي ورفع مستوى معيشه العرب ، دون الخوض ابدا في اسباب الوجود اليهودي في فلسطين . وعلى اى حال ، فان مد اليد للعرب لم يعد امرا مستساغا الان . وهو يكاد يكون على الصورة التالية : « لقد سئمتك ، فانهلت عليك ضربا ، حتى كدت ان ازهق روحك . اما وقد استعدت هدوءك ، فمن الممكن أن اتعامل معك » . ويعاني المسيحيون المنتمون الى اصل يهودي او غربي هذا الوضع ، وهو أمر شاق على نفس المسيحي . اما هم فيعتمدون على قول مارنان(٣) الذى يؤكد ان الله لم يعد اى شعب بارض سوى بني اسرائيل . وقد يكون ذلك حقيقيا ، ولكن يبدو لي ان الله يحرص على الا يفي بوعوده بهذه الطريقة الظالمة» لقد نشروا في مجلة يصدرونها خطابا لعربية مسيحية تعرض فيه بلا ادنى حق ، مآخذ العرب على اليهود . وجاء في بداية ردهم على الرسالة : « من الواضح ان هذه الفتاة تجهل كل شيء عما جاء في التوراة » .

ولا داعي لان نقول ان الـ ٥٠ الف عربي مسيحي الذين يعيشون في اسرائيل يميلون الى الاعتقاد بان وعود الله تتعلق بوطن روحي لليهود لا بدولة لاسرائيل .»

■■■

لكي نفهم العرب

هـ . لاميزيه « فرماجنه »

اذا كان بعض الاسرائيليين لا يعتبرون دولتهم ميراثا لهم ، فهم يرون على الاقل انهم جديرون بها . وانا اعتقد انه من واجب الدول العربية ان تعترف بهذه الدولة التى لم ترسم حدودها بعد ، ولم ادخر وسعا في تونس لاقناع من كلموني عن فلسطين بذلك . واعتقد ان ذلك اصعب واجدى من ان يعلن الانسان مثل السيد مزراحي انه لا يوجد « يسار عربي » ، وان يقرر باستهانة ان قضية اللاجئين ليست سوى « قضية تجريبية صغيرة » . لابد من مزيد من الصبر — يبدو لي أن السيد مزراحي يفتقر اليه — لكي نشرح للعرب أنه اذا كان من العدل ان نصر على خروج الفرنسيين من الجزائر ، فانه لا يمكن من الناحية الانسانية ، ان نطلب نفس الشيء من الذين انتقلوا الى فلسطين ليجدوا وطنا لهم افتقدوه في اوروبا . ولا جريرة للعرب فيما حدث . كيف لا يمكن ان يعتبر العرب دولة اسرائيل ، المؤسسة منذ عهد قريب على اراضيهم بقوة المال والسلاح ، وراس جسر المعسكر الغربي في بلاد الاسلام ، وقلعة المجتمع الصناعي المقحم على بلادهم ، كيف لا يمكنهم ان يعتبروها شوكة في جنبهم او وربما سرطانيا استعماريا مادام الغازي يريد ان يخضع مزيدا من المساحات الى «أرض الميعاد»؟

لاشك ان اسرائيل لا تستغل العرب ، بل لعل فلسطين تمثل فرصة فريدة من نوعها في العالم لقيام تعاون اقتصادي يخلو من الاستعمارية ، بين دولة صناعية ودول متخلفة . على ان هذه الفرصة لا تتضح امام اعينهم بقدر ما تتضح المعونة التى تحصل عليها اسرائيل بكل اشكالها من اوروبا ومن الولايات المتحدة .. لقد وقف الفرنسيون عامة بلا ادنى تحفظ مع اسرائيل ، اللهم الا بعد الاصوات النشاز ، مثل صوت ديجول داخل الحكومة ، وصوت رجل مثل منديس فرانس — فضلا عن الشيوعيين — في صفوف المعارضة بموقفه الانعزالي المألوف ، وعدد من الرجال المستنيرين في عالم الصحافة : لقد بدت فرنسا في نظر العرب بنفس الوجه الذى ظهرت لهم به اثناء حرب الجزائر ، الوجه الذى يمثله رجال من عينة جي موليه وفرانسوا ميتران (الحرب هي المفاوضة الوحيدة) وروبير لا كوست وماكس ليجيه . لقد تأكد لهم بذلك ان ما أقيم في فلسطين

---

(٣) ماريتان (جاك) فيلسوف كاثوليكي فرنسي ، ولد في عام ١٨٨٢ — من انصار التوماسية الجديدة (الدعوة الى التوفيق بين تعاليم القديس توما الاكويني والمناهج الفلسفية الحديثة) ومن مؤلفاته الاساسية « الفن والمدرسية » و «القديس توماس » ، مقالات في الفلسفة الخ .. كان سفيرا لفرنسا في الفاتيكان في الفترة ما بين ١٩٤٥ — ١٩٤٨ .

ليس سوى مستعمرة للغرب . والواقع ان فلسطين ليست مستعمرة فقط ، وهي ليست مستعمرة بالذات وان كانت تعني ذلك ايضا .

وعلى اليسار الفرنسي ان يدرك هذا وان يواجه حقائق اخرى لا يستسيغها . فهناك دعوات الى الحرب المقدسة تنطلق من المساجد وصلوات تقام فى المعابد ترجو من رب الجيوش معونة القوات السماوية : انها حرب دينية . وعلى اليسار الفرنسي ان يعترف بان على هذه الارض تصطدم عقيدتان قويتان ، وروحان عسكريتان ، ونزعتان عنصريتان ، وان كانت الشرور من الطرفين لم تبلغ ما وصلت اليه على يد النازية . على أن هذه الشرور ستتفاقم طالما ظل العرب واسرائيل محاصرين (بكسر الصاد) ومحاصرين (بفتح الصاد) ، وطالما ظلت اسرائيل تشن هجماتها وتخرج للغزو من آن لاخر . فهذه الشرور ليست الا الوجه الاخر لصحوة اليهود والعرب . فقد استعاد كل من الطرفين عزته ، ويجدر بنا الا ننسى هنا الاذلال الطويل الذى ذاقه كل منهما على يد اوروبا . لا شك اننا نستطيع ان نجد دوافع اخرى للنزاع المستتر وراء الدين والشرف ، ولكن يجب الا نتغاضى عن حقيقة ما يعتمل فى نفوس الشعوب ، سواء شئنا او ابينا .

فكل من الطرفين على حق بشكل مختلف ، يقول اندريه شوراكى فى كتاب صغير يدافع فيه عن قيام دولة اسرائيل وهو ينقل كلمة قيلت فى عام ١٩٤٧ ، اى قبل اندلاع الحرب : « ان حجج العرب سليمة ، ولكن خطأهم الوحيد هو ان حجج اليهود افضل منها » . ومن الممكن ان نعكس الاية ، ولكن لن يغير ذلك من الامر كثيرا : فاسرائيل لا تدافع عن وجهة نظر ، بل تدافع عن وجودها . ويحارب العرب من اجل التحدى الذى فرضته عليهم اسرائيل دون ان تسعى اليه ، بكيانها وبفتحها اراضى المسلمين ، وبعملها من اجل محو المظالم التى ارتكبت ضد اليهود . واذا كنا نعتقد ان شرفهم لا يفرض عليهم النزال من جديد ، فيجب ان نقر بان شرفهم ، وشرف اسرائيل والعالم باسره ، يقتضى ان نعترف بهذه المظالم.

ولا بد من رفع هذه المظالم بقدر ما . يجب ان تعيش اسرائيل . ولكن يجب ايضا ان يترك الذين نجوا من التهلكة مكانا بجوارهم للاجئين سواء فى مناطق تضم الى الدول المجاورة او فى جزء محدود من البلاد يسمح باقامة دولة جديدة للعرب تستطيع ان تقف على قدميها ، وفقا للقرار الذى اصدرته الامم المتحدة الذى كان بمثابة شهادة ميلاد دولة اسرائيل : يجب ان تدفع تعويضات فى مقابل اراضى اللاجئين الذين نزعت ملكياتهم بعد تثبيت الحدود .

ومن حقنا ان نطالب الذين ظلوا مهزومين ومنهوبين ومستذلين طوال قرون عديدة بان يكونوا كراما مع الذين يعانون اليوم من نفس الشيء . على ان هذا الكرم اهانة للشعب المغلوب الذى يعاد اليه جزء مما اخذ منه . يجب ان نحصل من العرب على اعترافهم باسرائيل ، وان يتخلوا نهائيا عن الجزء الاكبر من احد اقاليمهم التى تبدو فى نظرهم مثل الالزاس بالنسبة للفرنسيين بعد عام ١٨٧٠ . فليتنازلوا عن هذا الحق وليقبلوا الى حد ما الاساءة التى ارتكبت ضدهم . واذا كانت المسألة فى نظرهم مسألة شرف ، فلماذا لانخاطب كرمهم ؟ أليس هذا افضل من التهديد والازدراء ؟

■■■

من أجل استعادة الصفاء الذهنى فى بلادنا

اندريه فيليب "بياربيس"

تؤكد الرسائل التى وصلتنى بخصوص مقالى الاخير ، الى أى حد اثارت حرب الشرق الأوسط مواقف عاطفية عند عدد كبير من الفرنسيين : فبالرغم من ان شعب فيتنام يباد منذ اكثر من ثلاث سنوات دون ان تترتب على ذلك موجة من السخط العام ، فان معركة

اسرائيل اثارت ، على الاقل في الصحافه الباريسية والاذاعات الخاصة ، انفعالا نستطيع ان نقارنه باندفاع فرنسا في حرب ١٩١٤ (ولا ينطبق ذلك على عام ١٩٤٠ اذ ظل الراى العام هادئا آنذاك). لا شك ان مشكلة الشرق الاوسط خطيرة ، ومن الضرورى ان يحدد كل انسان موقفه بوعي بعد ان تجمعت كل المعلومات . وهذا مالم يفعله المسئولون عن الاعلام عندنا . كانت اسرائيل في نظرهم على حق منذ البدء ، واهملت بعناية المعلومات الصادرة من الطرف الاخر او شوهت . ولا يسمح لى المجال هنا بالخوض في هذا الموضوع ، ولكن يكفى أن أشير الى انى درست في مناسبتين الجهود الملحوظة التي يبذلها ناصر في مصر من اجل التنمية. وقد ناقشته طويلا على انفراد في مشاكل الشرق الاوسط ، فتبين لى الى اى حد استطاع هذا الرجل ان يكبح بصلابة فورة الشعوب العربية الاخرى خلال السنوات الاخيرة ، وان يحافظ على السلام . ولما كان لى صهر يعمل مراسلا لوكالة « تانيوج » في القاهرة . فقد حصلت خلال الازمة على معلومات مباشرة اعطتنى عناصر تقدير للامور تسمح لى بان اتبين الاكاذيب المنظمة والافتراءات التي يروج لها ما يسمى عندنا بأجهزة الاعلام . ومرة اخرى أقول ان كل انسان حر في تحديد رأيه الاساسى ، على ان يكون شريفا وموضوعيا . وهذا مالم يحدث هنا .

من اين ينبع هذا الانحياز المبدئى الى جانب اسرائيل ؟ هناك تعليلات مختلفة ومتناقضة :

١ - يرى البعض ان اسرائيل على حق لانها تحارب العرب . فافراد منظمة الجيش السرى السابقة والمظليون يعتبرون هذه الحرب فرصة للانتقام ولتأديب « الاوغاد » . فنحن بصدد نزعة عنصرية غريزية حلت فيها مؤقتا معاداة العرب محل معاداة السامية .

٢ - يرى البعض الاخر انها فرصة لتدارك الامور ، ولمحو آثار الالام التي فرضناها نحن الاوروبيين على اليهود الذين عذبوا بالقاء التبعة على العرب الذين لم يقيموا ابدا اى معسكرات ابادة ولم يشعلوا قط افران حرق البشر . ولا شك اننا نتحمل دينا نحو مواطنينا اليهود لما لاقوه من تعذيب بسبب اخطائنا . ولكن يجب **ان ندفع نحن هذا الدين ،** بتفهمنا لهم وبتعاطفنا معهم **كأفراد .** واذا كنا لانستطيع ان نفرض الى ما لانهاية على الشباب الالمانى وزر الجرائم التي ارتكبها آباؤهم ، فانه لايحق لنا ان ننقل الى دولة اقامتها اقلية من اليهود، كل رأس مال الديون المعنوية وان نحمل غيرنا الفوائد.

٣ - وقد انفعل البعض الاخر بالصراع القائم بين دولة صغيرة يتراوح عدد سكانها بين مليونين وثلاثة ملايين نسمة ، وبين كتلة عربية تزيد عن العشرين مليونا ، حتى تصوروا انها لا محالة هالكة . والواقع اننا ننسى هنا ان العرب كتلة بروليتارية متخلفة في حين ان اسرائيل تمثل قوة غربية مقامة في آسيا ، بكل تفوقها وثروتها وتكنيكها وطاقتها الذهنية . والذين راقبوا الجيوش واركان حروبها كانوا يعلمون ان اسرائيل ستحقق نصرا خاطفا .

وهناك آخرون ، وقد يكونون نفس الاشخاص السابقين ، ينظرون باعجاب لاعمال الاستصلاح والتقدم الصناعى الذى حققته اسرائيل ، ويقارنونه بتواكل او بتخلف جيرانهم. وهذا يعنى تناسى جهودا التقدم المبذولة في مصر والجهود الحديثة في سوريا ، وهو تجاهل ايضا للنفوذ الذى تمارسه شركات البترول التي تعمل من خلال الامراء والسلاطين الصغار لتبقى السكان في حالة من الجهل والفقر .

ومن واجب الامم الصناعية ان تساعد ماليا وتكنيكيا الامم المتخلفة لتكتشف طريقها ؛ لا ان تقيم في اراضيهم لتحقق التقدم التكنيكى الذى لايفيد منه الا الاوروبيون المتطورون . ان الاحتقار المتعالى من جانب السيد ايلول نحو العرب يذكرنا بموقفه الاستعمارى اثناء حرب الجزائر: اننا بصدد نزعة عنصرية استعمارية لايؤدى تأييدها الا الى تشكك العالم الثالث بأسره في نوايا اسرائيل . وعلى اى حال فانه من واجب فرنسا ان تحافظ قبل كل شيء على علاقاتها مع الدول النامية : ولذا فانى اؤيد تماما الموقف الواقعى والانسانى الذى اتخذته حكومتنا .

٤ - ولا يقل عن ذلك الموقف خطورة ، موقف مواطنينا اليهود (وان كانوا اقلية) الذين يتخطون حدود تعاطفهم الطبيعى مع اخوتهم في الدين المقيمين في فلسطين ، ويعتبرون أنفسهم ابناء هذا الوطن الجديد . وهذا ما لايمكن قبوله بأى حال من الاحوال ، تماما كما لايمكن استساغة وقوف الكاثوليك مع اسبانيا فرانكو أو وقوف البروتستانت مع انجلترا أو وقوف الشيوعيين مع روسيا (وكان جى موليه هو الذى يأخذ على الشيوعيين وقوفهم مع المعسكر الشرقى لا مع اليسار). ويرى احد الذين كتبوا الى ان هذا التضامن طبيعى حتى أنه اشار الى موقف الكاثوليك الذين حاربوا في ايطاليا في القرن التاسع عشر ليدافعوا عن السلطة الدنيوية للباباوات ضد دعاة الوحدة الايطالية الذين وقفت بجانبهم حكومة فرنسا . وهذا ما لايمكن قبوله . فلا يجوز ان تسلم فرنسا نفسها لاحزاب اجنبية ، ويجب أن يحتكم كل

الانســان على القضــايا الدولية وفقا لمثل أعلى عالمى يأخــذ فى اعتباره المصلحة الوطنية دون أن يخضع نفسه مبدئيا لاى شعب أجنبى ، أيان كان هذا الشعب .

٥ ــ على أن هنــاك موقفا مؤسفا حقا وشائعا بين عدد كبير من البروتستانت . وقد عبر عنه بكل سفور ج . ايلول عندما كتب يقول : شعب اسرائيل هو الشعب الوحيد المختار ، أى الشعب الذى يتعين علينا ان نحبه وأن نحميه قبل أى شعب آخر ، أيا كانت أخطاؤه ومساوئه . وهكذا يصبح للطابع المقدس لاسرائيل عقيدة لاتقبل المناقشة ، فمن المفترض انها على حق دائما . أما الشعوب الاخــرى فليست سوى أدوات يستخدمها الله لتكون عبرة لغيرها أو لانزال العقوبة بواسطتها ، ولكنها لا قيمة لها فى حد ذاتها . وقد رفضت دائما اضفاء مثل هذا الطابع المقدس على وطنى : وقد حاربت هتلر عندما نسب الى الشعب الالمانى طابعا الهيــا . ولم أحارب هــذا الادعاء لــكى أسبغه على أى شعب آخر ، أى اننى لا اعترف بان هنــاك شعبا مختارا الا اذا كان الشعب الذى يعانى فى فترة معينة من التاريخ ، من البؤس والاذلال والاضطهاد ، ويجسد بذلك مأساة الانسان : كان ذلك شأن اليهود لفترة طويلة وهو اليــوم شــأن الشــعب الفيتنامى .

وقد الحقوا بأسطورة شعب الله المختار أسطورة أخرى حول الاماكن المقدســة : فالصحافة معجبــة للغاية برقة الجيــش الاسرائيلى الذى استولى على القدس القديمة بتلاحم الاجساد بالاجساد وبالمدى والخناجر حتى لاتدمر الاماكن المقدسة : وهكذا ذبح مزيد من الرجال للحفاظ على مبان وعلى صور منحوته ، بينما الانسان نفسه هو الكيان الوحيد الذى ينبض فيه روح القدس . وسواء قامت هذه الحرب باسم الله أو باسم رب الجيوش ، وأملت على المؤمن أن يذبح الاعداء ، فانها لن تكون الا ضربا من الوثنية التى لايتقبلها ضمير المسيحى .

ويبدو لى ان التمسك بالطابع المقــدس للقــدس القديمــة سيستخدم الآن ضــد أسطورة الشعب المختار . وان اسرائيل ستجد نفسها فى مواجهة أعداء لها يمنعونها من ضم القدس الى أراضيها : بيد اننا بصدد قضية سياسية يجب أن تعالج فى اطار التوازن الجديد المطلوب تحقيقه بمفاوضة عامة : ومن الاجرام أن تتأجج العــواطف هنــا بمــزج السياسة بديانة دنيوية وثنية .

٦ ــ فما هى النتيجــة التى نستخلصها من هذا التحليل حتى نعيد التوازن الذهنى فى بلادنا ؟

تدل ملاحظات بعض من كتبوا الى على مدى مايوغر الصدور . فواحد منهم يأخذ على ازدرائى للشعب الفــرنسى لقــولى ان وســائل الاعلام كيفت تفكيره : ولكن هناك استفتاء أجرى أخيرا يثبت لنــا أن شعبيــة الرئيس ديجول ارتفعت من ٥٨ الى ٦٥٪ منذ قيام حرب الشرق الاوسط ، وهذا دليل على أن الرأى العام قاوم محاولات تشكيل تفكيره وأيد موقف حكومته .

وشبهنى آخــر ، عن طيب خاطر ، بدرومون(٤) واقترح على أرنستوتشى جيفارا . فنسيتوا من باب السخرية على الارجح ، أن أطلب تمييز اليهود بتحديدهم بأرقام : وهذا لايتنافى مع الاخلاق فقط ، بل انه ضرب من الحمــق ايضا . فقد تبين لنا ان اغلبية مواطنينــا اليهــود ليســـوا صهيــونيين ، بينمــا يســاند الصهيونية الآن عدد كبير من غير اليهود بل ومن المعادين للسامية .

على أن هنــاك قضية أخرى وهى قضية اجهزة الاعلام : فقد احتج بعضنا منــذ سنوات على توجيــه الاذاعــة والتليفزيون الرسميين من جانب السلطــات السياسية . وقــد وافقنا على فكرة قيام جهاز اعلامى عام مستقل يشرف عليه مجلس أعلى مستقل . ولكن الاحداث الاخيرة اوضحت لنا أن الصحف الكبيرة والاذاعات الخاصة هى أخطر على الرأى العام ــ وانه يتعين علينــا أن نكافح لا من أجــل « حــرية الصحافة » فقط ، ولكن من أجل « تحررنا من الصحافة » أيضا . وهــذا يعنى أننا فى حاجة الى تشريع خاص بحــرية الاعلام : يجب أن تلزم كل وسائل الاعلام بنشر أسماء ومهن كبار المساهمين فيها ، ومصالحهم فى الشركات الدولية وعلاقاتهم المباشرة أو غير المبــاشرة بالمصــالح والهيئات الاجنبية : فلا خوف من أن تكون الاومانيتيــه مواليــة للــروس و « الاورور » موالية للامريكيين و « فرانس ســوار » موالية لاسرائيــل ما دمنــا نعرف ذلك مقدما . ويجب من ناحية أخرى أن يفرض المجلس الاعلى على كل الصحف الاسلوب الذى تنتهجه جــريدة « الموند » عند مناقشة القضايا الدولية الكبرى . فهذه الجريدة تخصص حــدا أدنى من

---

(٤) درومون (ادوار) كاتب وسياسى فرنسى (١٨٤٤ ــ ١٩١٧) ــ أحد قادة حركة معاداة السامية ، مؤلف كتاب « فرنســا اليهود » ، ومؤسس جــريدة « لاليبر بارول » (الكلمة الحرة) .

اعمدتها للمعلومات والآراء التي لا تتفق مع موقف المسئولين عن الجريدة : ولعلنا نتمكن من انشاء جهاز على النطاق الاوروبي يتمتع بحق نشر المعلومات التي تتجاهلها الصحف والاذاعات المختلفة .

والامر يحتاج الى دراسة المسألة بعمق ، ولكن لابد ان نحمي انفسنا في المستقبل من تلك التهيئة الذهنية من جانب واحد التي وقعنا ضحية لها في الاسابيع الاخيرة .»

■■■

إلغاء قانون العودة

فاني شابيرا

اريد ان اتكلم بالاخص عن التغيير المطلوب فى دولة اسرائيل ، لانى اعتبر هذه المسألة اساسية بشكل مطلق . فلسنا بصدد «مقدمات» مشكلة ، بل بصدد عقدتها . لن اتعرض هنا للقوانين « الالهية » لانها ثانوية على أى حال . ولكن اعتقد اننا يجب ان نطالب بما يمكن ان نسميه «نزع الطابع الصهيونى » لدولة اسرائيل ، وبالغاء « قانون العودة » اساسا . واود ان اذكر هنا ، ان « قانون العودة » هذا ينص على انه يحق لاى يهودى ، ايا كان موطنه الاصلى ، ان يصبح مواطنا اسرائيليا ، بمجرد عزمه على الاقامة فى اسرائيل . وعلى العكس من ذلك ، فان العربى المولود فى اسرائيل مواطن من الدرجة الثانية وهو معرض لان يفقد جنسيته اذا تغيب بشكل مؤقت عن بلده ، وانا ارى ان هذا القانون شاذ وخطير ، واظن انه يستحيل تحقيق اى تقدم حقيقى دون الغائه .

فهذا القانون يتنافى منطقيا مع العلم . واذكر هنا ان عددا كبيرا من اليهود حاربوا عن حق ضد فكرة « الجنس اليهودى » ، بل انه لا توجد حتى « جماعة اتنوجرافية يهودية » ، فكل الدراسات المتقدمة فى علم الانثروبولوجيا ، وبالاخص فى علم الاحياء ، تؤكد ما تشهد عليه مجرد الملاحظة البسيطة ، وهو ان ما يسمى «الشعب اليهودى» يتميز بافتقاره الشديد للتجانس . فأغلب «السفارديم» (١) اقرب الى شعوب حوض البحر الابيض والى العرب ، فى حين ان الاشكناز (٢) يتميزون بنفس خصائص شعوب شرق اوروبا التى عاشوا بينها . واعتقد ان اليهود المنتمين اصلا الى الفلسطينيين القدامى قليلون جدا .

وانى اعتبر ان هذا القانون خطير ، فطالما لم يتم الغاؤه فان العرب سيقدرون ان هناك عشرة او خمسة عشر مليونا من اليهود موزعين فى انحاء العالم يستطيعون ان يعودوا ، — فعليا كان ذلك او افتراضا — الى اسرائيل ليصبحوا من مواطنيها . ولما كان المجال لايتسع لاستيعاب عشرة او خمسة عشر مليونا فى اطار الدولة الصغيرة الحالية ، فانها لابد وان تحاول توسيع رقعتها . وهذا ما يعلنه صراحة عدد كبير من اعضاء حكومة اسرائيل الحاليين ، ولا سبيل لان تثبت اسرائيل انها لاتضمر أى نيات توسعية الا بالغاء هذا القانون .

ومن جهة اخرى يجب ان اقول ان « قانون العودة » يخلق نوعا من الازدواج المضر باليهود المقيمين فى مختلف دول العالم ، اذ يتعين على كل شخص ان يعلن بصراحة اختياره الحقيقى . وانا شخصيا من انصار الدولية ، وان كنت انتمي الى وطن معين ولا ارغب فى ان يكون لى اى وطن ثان . وفى نظرى ان انتمائى لليهودية كان يعنى انى كنت مرشحة للموت فى معسكرات اوشفيتزان . ولذا فانا متضامنة مع كل المضطهدين واذا لاقيت اضطهادا لكونى يهودية ، فسأتضامن مع كل اليهود المضطهدين . ولكنى لن اقف ابدا مع اليهود ، عندما يكونون فى وضع المضطهدين (بكسر الهاء) . وهناك بالطبع يهود طغاة ودعاة تفرقة عنصرية تماما كما يوجد فى كل مكان .

ومن هنا يكون من صالح اليهود المندمجين فى اوطان لهم ، ان يزول هذا الازدواج ، وان يكف الخلط بين معاداة السامية ، ومعاداة الصهيونية . وانى اعتقد ان الصهيونية ومعاداة

(١) السفارديم : اليهود الشرقيون .
(٢) الاشكناز : يهود اوربا الشرقية

السامية على وفاق تام . فاعداء السامية يهمهم ان يهاجر اليهود الفرنسيون الى اسرائيل . ولابد من تحديد تاريخ معين يحــد بعد من الهجرة الى اسرائيل ، ولا يخضعها لاى اعتبارات دينية او عنصرية .

واود ان اقول اخــيرا انى لا استسيغ الزعم بان اليهودى لايشعر باى طمأنينة اذا لم تتوفر له امكانية اللجوء الى فلسطين، فكل انسان معرض للمخاطر ، واذكر هنــا رجــال المقاومــة الفرنسيين اثناء الاحتــلال ، والجمهوريين اليونانيين حاليا . هل هناك ملاذ يلجأون اليه؟ . وانى لارحب بان تكون اسرائيل ملاذا لكل المضطهدين ، بلا تفرقة على اساس الجنس .

وفى الختام اقول مرة اخرى ان اسرائيل لن يكتب لها البقاء فى المدى الطويل الا بالتخلص من صهيونيتها حتى تتمكن حقا من الاندماج فى الشرق الاوسط .

(كلمة القيت فى المائدة المستديرة التى نظمها الـ M.R.A.P. الحركة المضادة للعنصرية ، ومعاداة السامية ، والمدافعة عن السلام فى ٢٤ يونيــو ١٩٦٧) .

■■■

حول نداء ادمون دى روتشيلد من أجل التضامن اليهودى

جاكلين هــــادامــــار

... انا من سلالة العائلات اليهــودية التى تركت مقاطعــة اللورين بالاجماع فى عام ١٨٧٠ لكى تحافظ على قوميتها الفرنسية، وحفيدة مدير المعهــد الــدينى الاسرائيلى فى باريس ، وابنة جاك هادامار ، احد مــؤسسى رابطة الدفاع عن حقوق الانسان، وتدنشات فى جو معركة دريفوس، اى فى جو الكفاح ضد الظلم وضد التعصــب العنــصرى . وكان شغل ابى الشاغل العمــل من اجل انقاذ المضطهدين ، فكافح طوال حيــاته لينقــذ اليهــود المضطهدين ، فكافح طوال حياته لينقذ اليهود المضطهدين مع غيرهم من المضطهدين بلا ادنى تفرقة .

وانا ارفع صوتى اليوم ، لانى مازلت متشبعة بهذه الروح .

لا شك انى احيى منجــزات الشعب من اجل استصـــلاح اراضي البلد الذى وطنته فيــه منظمة الامم المتحدة، واحيى ايضا منجزاته المتفانية ، تمــاما كما احييها بالنسبة لاى شعب آخر يكافح من اجل ازدهاره . ولكن السيد دى روتشيلد يدعونا الى الشعور « بفخر عظيم » من اجل شيء مختلف تماما ، الا وهــو الانتصار العسكرى الذى لايدل الا على قهر القوى ، ولا يقوم باعترافه هو، اى حل للمشكلة . فلا مجال اذن للتفاخر .

وانى لأعلن ايضا بطلان عدد من دعــاويه . انه يتــكلم عن « الشعب اليهودى » الــذى لا وجود له . فهناك افراد يدينون باليهودية فى عدد كبير من بــلاد العالم . وهذا هــو العنــصر الوحيد المشترك بينهم ، كما ان هناك افرادا قد تكون اصــولهم التاريخية واحدة، ولكن افكارهم وفلسفاتهم مختــلفة تمــاما عن بعضها ، لانهم مندمجــون فى شعوب اخرى تأصلت جذورهم فيها . وتلك هى حالتى .

لا .. انا لا انتمى الى « الشعب اليهودى » . فانا كاغلب يهود فرنسا احد افراد الامة الفرنسية التى قدمت للعالم اعلان حقوق الانسان، وحررت العبيد ومنحت اليهود فى عــام ١٧٩١ حقــوق المواطن ، واخرجت كتاب « انى اتهم » لاميــل زولا . **وهذا هو الداعى لفخرى واعتزازى .**

لا ... انا غــير مدينــة باى

«ضريبة» ادفعها ثمنا لتضامني. فتضامني يتجه نحو المضطهدين والمعذبين والضحايا اليهود ، والضحايا العرب الذين لا حصر لهم ، كما يتجه نحو ضحايا التعصب العنصري في جنوب افريقيا ، وفي الولايات المتحدة ، وبصفة عامة نحو كل ضحايا التعصب العنصري ».

على ان رسالة السيد دي روتشيلد تدعو الى تعليق آخر : الم يتبادر الى ذهنه ابدا ان محاباة السامية التي تعتبر نفسها منتمية الى « الشعب المختار » ، لا تقل في تعصبها العنصري عن معاداة السامية ؟

واضيف ايضا انموقفه لايخدم لا شعب اسرائيل ، ولا يهود العالم أجمع ؛ بل يقدم سلاحا لاعداء السامية ، وهو يتحمل في ذلك مسئولية خطيرة .

واني لاتوجه الى المواطنين اليهود ، معلنة احتجاجي وادعوهم الى رفض الاستجابة الى هذا النداء ، والى اعلان تمسكهم بأنهم فرنسيون ، وليسوا يهودا « من فرنسا » على حد قوله ».

■■■

بيان من اليهود غير الصهيونيين

مكسيم رودنسون

مشروع بيان كتبه « مكسيم رودنسون » . الرجا الاهتمام بارسال كل الاراء واوجه الانتقاد ، والاقتراحات بالتعديل والتوقيعات الى السيد رودنسون ، ٢٧ شارع فانو ، باريس الدائرة السابعة .

نحن الفرنسيين ، من أصل يهودي ، الذين تطلق عليهم التعبيرات العنصرية كلمة يهود ، على اختلاف اصولنا وتكويننا وآرائنا ، لا تجمعنا سوى رابطة الاضطهاد المشترك الذي عانينا منه نحن وذوونا واصدقاؤنا .

نعلن استياءنا من استمرار استخدام جماعات ومنظمات ، ودولة معينة ، لاشخاصنا وآلامنا ، او آلام ذوينا ، مع اننا لم نمنحها اي تفويض من جانبنا لهذا الغرض .

لقد رفضنا لامد طويل ان ننظم صفوفنا كيهود ، لاننا لانعترف بالسمة الاساسية لهذا التعريف لاصلنا ، وتركنا القوميين ورجال الدين يعبرون باسمنا عن تعاليم وبرامج ، ويخوضون معارك باعتبار ان سكوتنا علامة رضاء ، بل وتسلموا تعويضات عن القتلى الذين لم يمنحوهم مثل هذا الحق . ولما كان العالم بأسره يعتبرنا متضامنين مع افكار واعمال تختلف نظرتنا اليها ، فاننا نرى انه قد آن الاوان لان نعلن اننا لا نعتبر انفسنا مسئولين الا عن كل ما نساهم في تقريره بكامل حريتنا .

اننا لا نعتبر انفسنا طائفة من البشر تتميز دون غيرها بفضائل اختصتها بها القدرة السماوية ، او اضفتها علينا الآلام التي عانيناها . ونحن لا نطالب بأي امتيازات خاصة ، ولا بأي وطن احتياطي نلجأ اليه ان نستبدل به أوطاننا ، ولا نتوخى في انفسنا استعدادا خاصا لتكوين مجموعة متميزة . نحن لا نستجدي اي تقدير او عطف خاص ، لاننا غالبا ما نتشكك في الغرض المقصود منهما . لسنا كائنات شريرة ولا ملائكة ، بل بكل بساطة رجالا ونساء عقدنا العزم على القيام بواجباتنا كبشر ، وكمواطنين يتحملون مسئولياتهم .

ونحن نرفض ان نراهن على مائدتين . ونتضامن مع كل اليهود المضطهدين فى اى مكان ، بوصفنا يهودا . ونحن مصممون على الدفاع عن انفسنا ، وعلى الكفاح ضد معاداة السامية . ولكننا لا نقبل الاحساس بارتباطنا الآلى بما تقرره بالفكر او العمل ، اى جماعة من اليهود فى اى مكان فى العالم . نحن لسنا اعضاء فى جماعة دولية خفية ، قررت ان تدافع دائما وفى كل مكان ، عن مصالح جماعات من اليهود سواء كانت هذه المصالح شرعية ام غير شرعية . نحن نعلن ان التضامن من واجبنا ولكننا نرفض الالتزام بالتواطىء .

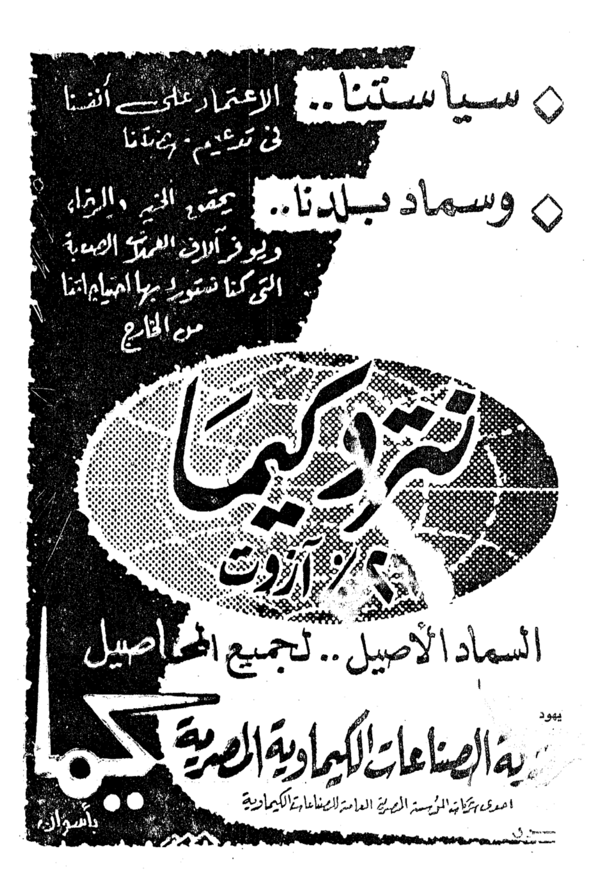
وهناك جماعات يهودية متمسكة بالديانة القديمة لاسلافنا ، ونحن نحترم ايمانها ، حتى ولو كنا نشاركها فيه . ونحن نريد ان يكون من حقهم الدعوة الى عقيدتهم ، والى ممارستها فى كل انحاء العالم . ولكننا لا نعترف لهم بحق التحدث باسمنا ، ولا يسعنا الا ان ننعى على بعض رجال الدين اليهود فى بعض البلاد ، خلطهم غير الشرعى — والخطير على العقيدة نفسها — بين الايمان والقومية الاثنولوجية . ولا نعتبر ان التقريب او التفريق بين اليهودية وغيرها من الديانات أمر يعنينا بشكل مباشر .

هناك جماعات يهودية تريد ان تعيش معا كيهود . وبوسعنا ان نتفهم هذا الرأى دون ان نشاركها فيه . ولكننا لن نسمح مرة اخرى لهذه الجماعات ان تتكلم باسمنا او تعلن على الملأ اننا متضامنون مع تعاليمها واعمالها . ودولة اسرائيل بالذات ليست دولتنا ولا هى وطننا . لقد اقامتها جماعة من اليهود القوميين ، وانتقدت اغلبية اليهود عملها هذا منذ البداية . وقد اتخذت هذه الحركة الصهيونية ، ومن بعدها الدولة الناشئة التى اقامتها ، مواقفها دون استشارتنا ، بل وفى تعارض تام فى اغلب الاحوال مع آراء المنظمات اليهودية غير الصهيونية . ولذا فليس هناك اى التزام من جانبنا نحو هذه الدولة .

فلدولة اسرائيل سياستها يقررها مواطنوها وسلطاتها وفى استطاعتنا ان نتبنى افكار متباينة حول مختلف جوانب هذه السياسة . ولكننا نرفض الالتزام بتأييدها فى كل المواقف . وانتصارات اسرائيل ليست انتصاراتنا ، تماما كما ان هزائمها ليست هزائم لنا . والصراع الدائر بين اسرائيل ، والدول العربية صراع بين دول ذات نظم حكومية وعسكرية ، وبوسعها ان تتجادل حول المظالم التى تأخذها بعضها على البعض . ولا يمكننا تشبيه هذه الحالة بعمليات الابادة التى نظمتها الدولة النازية ، ضد جماعة من الناس مجردة من وسائل الدفاع ، ومن التنظيم ، ولا تجمعها سياسة واحدة . ولا يمكن ان يؤخذ عليها بشكل جماعى الا ما روجت له الخرافات والاساطير . ان الواجب ليحتم علينا ان نكافح بكل ما اوتينا من قوة ضد اى اعمال ابادة من هذا النوع . ولا نعترف بأى التزام من جانبنا بأن نشارك فى هذا الصراع القائم بين دول قد نتعاطف معها ، او ننفر منها ، لا لشىء الا لمجرد انتمائنا الى اصل دينى واثنولوجى معين .

ولما كان سكوتنا قد ترتب عليه آثار مؤسفة ، ادت الى توريطنا فى تعاليم واعمال لا نوافق عليها ، فقد آلينا على انفسنا ان نعمل جاهدين من الان ، على ان نرفع صوتنا ولا نساق الى الالتزام بغير ارادتنا .

تواصل نشر دراسة جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم


سياستنا ..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم
وسماد بلدنا ..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نترو كيما
٢٠٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهـرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

١١

نوفمبر ١٩٦٨

السنة الرابعة

رؤيـة العمـال لمشكلات الحركة النقابية

" شهادات وتقارير واقعية "

ملف خاص

ابن رشد والفلسفة العقلية فى الإسلام

- تحرير المرأة فى المجتمع العربى الحديث
- حوار مفتوح حول شباب ١٩٦٨
- التنظيم السياسى "المثلث القوى" فى بلغاريا
- وثائق حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية

ماذا بعد أحداث تشيكوسلوفاكيا ؟



طـريق المنـاضلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

عنوان المراسلات :

((الطليعة)) :
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

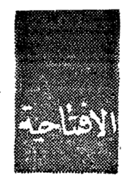
لسنة بالبريد العادى ٥٠ج.ع.م ودول
اتحاد البريد العربى ودول السودان
[illegible]

الفهرس

العدد الحادى عشر — السنة الرابعة — نوفمبر ١٩٦٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ؟ وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحـــده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معـــك فى الرأى ولـــكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



ماذا بعد أحداث تشيكوسلوفاكيا

ماذا

بعد احداث تشيكوسلوفاكيا التي هزت العالم .. كل العالم ، بما فيه العالم الاشتراكى نفسه ؟

هذا هو السؤال الذي حملته معي من القاهرة — قبل وبعد حركة حلف وارسو ودخول قواته الى تشيكوسلوفاكيا فى ٢١ اغسطس الماضى — ورحت أطرق به أبواب المناقشات الواسعة والضيقة ، الهادئة والعنيفة خلال زيارتى لكل من بلغاريا ويوغوسلافيا على التتابع .

وبلغاريا ، هي أحد بلاد حلف وارسو الخمس التى اشتركت قواتهما فى دخول تشيكوسلوفاكيا .

اما يوغوسلافيا ، فهى اكثر الاصوات الاشتراكية حدة (وتلاقت فى ذلك، وان كان من أرضية مختلفة مع كل من خصميها ، الصين وألبانيا) التى ارتفعت تندد بحركة حلف وارسو وتتهمها « بالعدوان والاحتلال والعودة الى السياسية الستالينية » .

وفى **بلغاريا** دارت المناقشات ، فضلا عن **البلغار** ، مع عديد من اعضاء الاحزاب الشيوعية فى العالم ، بما فى ذلك الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى .

وفى **يوغوسلافيا** ، انعقدت المناقشات مع عديد من المسئولين عن رابطة الشيوعيين اليوغسلاف والتحالف الإشتراكى والدولة والصحافة ، فضلا عن رجال الفكر والاعلام — بمختلف الاتجاهات — من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وايطاليا وأمريكا وألمانيا الغربية والسويد والنرويج والهند وباكستان ، ممن شاركوا فى الندوة العالمية التى نظمت بمدينة لوبليانا حول وسائل الاتصال بالجماهير .

ويمكن القول أنه قبل حركة حلف وارسو العسكرية فـى ٢١ أغسطس ، كانت « بلغاريا » من بين الدول الاشتراكية التى عبرت عن قلقها بسبب النمو المطرد ــ فى الوزن والحركة ــ للقوى المعادية للاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، تساعدها القوى الامبريالية عن طريق المانيا الغربية .. مسـتغلة فى ذلك ظروف التغيير بالقيادة التشيكوسلوفاكية . وهو تغيير لم يكن فى ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجوهرية موضع اعتراض من احد.بل على العكس كان هناك اقرار جماعى بضرورته.

اما يوغوسلافيا،التيعبرت عن حماسهاالشديد للتغيير في تشيكوسلوفاكياواعتبرته من بعض الزوايا«امتدادا لتجربتها»، فقد كانت لا ترى خطرا يذكر فى محاولات القوى المعادية للاشتراكية . وانما كانت ترى الخطر كله ــ مشاركة فى ذلك خط القيادة الجديدة للحزب التشيكوسلوفاكى بزعامة « **دوبتشك** » ــ مركزا فى القوى البيروقراطية وقيادتها واطاراتها المعزولة فى الحزب والدولة والتى كان يتزعمها « **نوفتنى** » ، ومقاومتها للتغييرات الجديدة .

وفى الوقت الذى كانت فيه بلغاريا ــ مع كل دول حلف وارسو الاخرى ــ (الاتحاد السوفيتى وبولندا والمجر والمانيا الشرقية) ترى الوضع يزداد خطورة نتيجـة تسرب القوى المعادية الى أجهزة الحزب والدولة ، وسيطرتها شبه الكاملة على الصحافة والاذاعة والتليفزيون وعدد من مراكز الفكر ، وأنه بالتالى لا بد من اتخاذ « اجـراءات حاسمة » لحسر هذه الحركة التى تهدد تشيكوسلوفاكيا وتهدد معها بالتبعية « الاسرة الاشتراكية كلها » .. فى هذا الوقت كانت كل من **يوغسلافيا ورومانيا** ــ على النقيض ــ تعارضان بشدة اتخاذ أى اجراء من خارج تشيكوسلوفاكيا ، وتطالبان بترك المشاكل المعقدة عقب التغيير ، لتحلها القيادة الجديدة بطريقتها ، حتى ولو استلزم ذلك وقتا اطول ، ودرجة ما من احتمالات الخطر . وذلك حفاظا ــ فى مفهومهما ــ على مبـدأ **« حرية كل بلد وكل حزب فى العالم الاشتراكى فى اختيار طريقه الخـاص فى بنـاء الاشتراكية »** .

ولكن دول حلف وارسو الخمس لم تر القضيـة متعلقة بهـذا المبدأ ، الذى أكدت احترامها له بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا . ذلك أن المسألة لاتتصل بطريق تشيكوسلوفاكيا الخاص فى تطبيق الاشتراكية وانما هى تتصل بأمن المعسكر الاشتراكى كله نتيجة خطر تحول تشيكوسلوفاكيا عن الاشتراكية وعودة الرأسمالية اليها . وشرعت هذه الدول تفسر موقفها فى اطار اجراء اتصالات تنظيمية جماعية مع القيادة الجديدة للوصول الى اتفاق على خطة موحدة لمواجهة « تحرك القوى الامبريالية عن طريق القوى المعـادية للاشتراكية داخل تشيكوسلوفاكيا » .

واقتنعت يوغسلافيا بذلك . وقال لى احد المسئولين فى رابطة الشيـوعيين اليوغوسلاف ، أن ((**تيتو**)) خلال محادثاته مع ((**بريجينيف**)) أقر بفائدة وضرورة هذه الاتصالات السياسية ، ولكنه حذر دائما من استخدام القوة المسلحة .

وبقية تفاصيل القصة معروفة . ولكن مايهمنا هنا هو تحديد الاطار الموضوعى للموقف الذى أدى الى حركة حلف وارسو ، ليمكن لنا بعـد ذلك تحليل الانعـكاسات والنتائج الدولية لهذه الحركة .

حرصت الرسالة الجماعية التى وجهتها دول حلف وارسو الى القيـادة التشيكوسلوفاكية الجديدة فى ١٦ يوليو ١٩٦٨ أن توضح فهمهـا للموقف من خلال ٣ نقاط رئيسية :

اولها : حق تشيكوسلوفاكيا فى شق طريقها الخاص للاشتراكية وعدم حق أى من دول حلف وارسو فى التدخل فى شئونها الداخلة ٠

ثانيها : التركيز على خطر الثورة المضادة وتغذيتها من جانب القوى الامبـــريالية وخاصة الالمانية الغربية ٠

ثالثها : خطر ضرب الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، لا يهدد هذا البلد وحده ، وانما هو يهدد فى نفس الوقت وبنفس الدرجة المعسكر الاشتراكى كله،وبالتالى فأمر معالجة هذا الخطر يهم الدول الاشتراكية كلها لا تشيكوسلوفاكيا وحدها ٠

وفى ذلك تقول الرسالة :

● « نحن لا نريد أن تسيئوا فهم وتفسير غرضنا،لم يكن لدينا ومازال ليس لدينا النية فى التدخل فى شئون تعد من كامل اختصاص حزبكم وحكومتكم ، ولا فى خرق مبدأ الاستقلال والمساواة الذى قامت عليه العلاقات بين الدول الاشتراكية ٠٠٠ ونحن لانتدخل فى الوسائل المتبعة فى التخطيط والادارة فى الاقتصاد التشيكوسلوفاكى ٠ أو فى نشاطكم الموجه لاحداث اصلاحات فى الاسس التى يقوم عليها الاقتصاد وتنمية وتوسيع الديمقراطية الاشتراكية » .

● « خلال الفترة الاخيرة تمركزت قوات الرجعية فى النوادى والتنظيمات السياسية التى تكونت خارج الجبهة الوطنية . ويحاول الاشتراكيون الديمقراطيون باصرار تكوين حزب لهم.وهم ينظمون لجانا سرية ويعملون للاستيلاء على الحكم فى بلادكم ، ولاعادة احياء نظام برجوازى.وقد استولت القوى المعادية للاشتراكية بتحالف مع القوى المنحرفة على الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى بلادكم.وهم يستغلون هذه الاسلحة الاعلامية للاطاحة بالعلاقات الطيبة التى اقامتها تشيكوسلوفاكيا مع باقى البلاد الاشتراكية ٠٠٠ وهكذا تولدت حالة لا يمكن لاى دولة اشتراكية أن تسكت عليها ، وفى مثل هذا الجو توالى أيضا الهجوم على السياسة الخارجية التشيكوسلوفاكية وخاصة تلك التى تمخضت عن تحالف مجموع الدول الاشتراكية ٠ وتعالت أيضا أصوات تطالب باعادة النظر فى سياستنا المشتركة تجاه المانيا الفيدرالية [الغربية] وذلك رغما عما أبدته حكومة ألمانيا الغربية من اصرار على مواصلة سياستها العدائية ضد مصالح الامن المشترك لدول الاشتراكية ٠ »

● « لايمكننا أن نقبل أن تقود قوى اجنبية بلادكم خارج طريق الاشتراكية ، وتعرض بذلك تشيكوسلوفاكيا لخطر انفصالها عن الجماعة الاشتراكية ٠ مثل هذا الامر ليس من اختصاصكم وحدكم . بل ان المشكلة من صميم اختصاص جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية فى جميع الدول التى تربط بينها علاقات التعاون والصداقة ٠ ان المشكلة تخص جميع الدول التى تجمع بينها معاهدة حلف وارسو ، التى تعمـــل جاهدة للحفاظ على استقلال هـــذه الدول ، وعلى السلام والامن فى أوربا ، وعلى اقامة ســـد منيع أمام المناورات العدوانية والانتقامية التى تقوم بها الامبريالية » .

وقد ووجهت هذه الرسالة بنقد شديد من اجهزة الاعلام التشيكوسلوفاكية ٠ واعتبرتها « تدخلا غير مقبول فى الشئون الداخلية » وطالبت برفضها ٠ وسكبت الصحف والاذاعات وأجهزة التليفزيون الغربية « **بترولا على النار** » ــ كما قال لى أحد أعضاء الحزب التشيكوسلوفاكى ــ عندما ــ راحت تقول أن هذه الرسالة قد « أشعلت الحرب بين الشيوعية البيروقراطية الجامدة التى تمثلها موسكو وبقية دول حلف وارسو وبين الشيوعية الانسانية الجديدة التى تبشر بها تشيكوسلوفاكيا وتلقى ترحيبا وتجاوبا من الرأى العام الغربى ٠٠ فمن المنتصر فى هذه الحرب ٠٠ هل تذهب براغ الجديدة

صاغرة الى موسكو لتجتمع وتبصم ، أم ترفض وتظل صامدة على موقفها ومحتفظة بكرامتها القومية والعالم الحر من ورائها يساندها ؟ »

وكان غريبا وشاذا أن تتحمس « الدول الرأسمالية » كل هذا التحمس « للشيوعية الانسانية » • وتردد أن خلافا وقع بالفعل داخل القيادة التشيكية الجديدة حول الموقف من هذه الرسالة • فريق طالب برفضها ، وذكرت بعض المصادر ــ وهى غريبة ــ أن « اوتاشيك » نائب رئيس الوزراء ومخطط الاصلاح الاقتصادى كان من متزعمى هذا الفريق . ولكن فريقا آخر بزعامة « سفوبودا » رئيس الجمهورية و « بليك » سكرتير الحزب السلوفاكي وعضو رئاسة اللجنة المركزية الجديدة استطاعا أن يحوزا على الاغلبية فى اللجنة المركزية بقبول هذه الرسالة والرد بمذكرة توضح النقاط الاربع التالية :

أولا : هناك ثمة عناصر معادية للاشتراكية تحاول استغلال الموقف فعلا ولكنها لا تمثل خطرا على الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، ولابد من وقت لتصفيتها بطريق سياسى لا عن طريق القمع •

ثانيا : ان ظهور مثل هذه العناصر نتيجة طبيعية لماكان عليه الحزب والدولة قبل التغيير من بيروقراطية واهدار للديمقراطية واتخاذ حلول غير موضوعية للتناقضات القائمة •

ثالثا : حق كل الدول الاشتراكية فى حماية الاسرة الاشتراكية وأمنها الجماعى والفردى وذلك فى اطار التوفيق بين مبدأى المسئولية الجماعية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية •

رابعا : الدعوة لعقد اجتماعات ثنائية وجماعية لبحث الموقف بهدف الوصول الى فهم متبادل وخطة مشتركة •

تقول مذكرة الرد التشيكوسلوفاكية فى ١٦ اكتوبر ١٩٦٨ :

● « ان عددا كبيرا من التخوفات التى أفصحت عنها الرسالة كانت قد أوردها قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الذى صدر عقب اجتماع انعقد فى مايو ١٩٦٨ . ولكن رغما عن ذلك نرى أن الاسباب التى ادت الى الوضع الحالى ترجع قبل كل شىء الى تراكم فى التناقضات دام لمدة سنوات حتى انعقدت الدورة العامة للجنة المركزية للحزب فى شهر يناير ١٩٦٨ • وعلى أى حال فان مثل هذه التناقضات لا يمكن أن تحل بطريقة مرضية فى فترة قصيرة • لهذا كان لابد أن تظهر اتجاهات متطرفة تلازم التيار الجماهيرى الواسع النطاق ، وهو يقوم بنشاط اجتماعى سليم تحقيقا للخط السياسى المتبع من جانب حزبنا ، وأن تجد بعض رواسب القوى المعادية للاشتراكية فى مجتمعنا ما يمكنها من استغلاله فى هذه الاتجاهات • وأن ينمو فى نفس الوقت نشاط القوى العقائدية الجامدة والطائفية التى ربطت نفسها بخط سياسى خاطىء ••• ويرجع السبب أساسا الى أن ادارة الحزب القديمة كانت خلال سنوات عديدة تطبق « المركزية البيروقراطية » فى حين كانت تصادر « الديمقراطية الداخلية » .

● « وقد اعلن حزبنا أيضا بالاجماع أنه سيستعين بكافة الوسائل الممكنة ليدافع عن النظام الاشتراكى فى حالة نشوب حالة تهدد الاشتراكية فى بلادنا • نحن اذن نقدر بأنفسنا احتمال وقوع مثل هذا الخطر كما ندرك أن أحزاب الدول الاشتراكية الشقيقة لا يمكنهم أن يتطلعوا الى مثل هذا الوضع بعدم مبالاة •

ولكننا لا نجد أسبابا حقيقية تسمح بوصف الحالة الحاضرة فى بلادنا بأنها مضادة للثورة ، أو بالتأكيد على أن قواعد النظام الاشتراكى مهددة ، وبأنه يوجد شروع فى

احداث تغيير فى اتجاه سياستنا الخارجية وأن حزبنا مهدد بطريقة ملموسة بالانفصال عن بقية الجماعة الاشتراكية » .

ومن خلال تحليل رسالة دول حلف وارسو ومذكرة الرد التشيكية عليها،نجد ان ثمة **اتفاقا** حول القلق من تحرك القوى المعادية للاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وخطورته ليس فقط عليها وانما على أمن الجماعة الاشتراكية كلها ، وبالتالى فمسئولية مواجهة هذا الخطر ذات طبيعة جماعية .

ولكن ثمة **خلافا** حول مدى ما يمثله هذا التحرك من خطر وأسبابه وكيفية معالجته .

ففى الوقت الذى ترى دول حلف وارسو أن الخطر حال وضخم ويبلغ درجة الثورة المضادة ، تغذيها القوى الامبريالية من الخارج وأن من الضرورى مواجهتها بالقوة الحاسمة دون ابطاء · فأن القيادة التشيكية الجديدة لا ترى الخطر بهذه الضخامة وترده الى استغلال مؤقت من جانب رواسب القوى المعادية نتيجة سياسة القيادة القديمة البيروقراطية ، وأن الامر يستلزم معالجته بالاساليب السياسية وحدها وعلى مدى طويل نسبيا ·

وعلى هذا الاساس المزدوج من عناصر الاتفاق والاختلاف انعقد الاجتماع الثنائى فى « سيرنا » على الحدود التشيكوسلوفاكية بين رئاستى اللجنتين المركزيتين لكل من الحزبين السوفيتى والتشيكوسلوفاكى ·

وتردد أن المحادثات فى هذا الاجتماع كانت ساخنة وحادة الى درجة الغليان .وكادت ان تفشل لولا تدخل مشترك من كل من ((**سفوبودا**)) رئيس الجمهورية التشيكية و ((**كوسيجين**)) رئيس الوزراء السوفيتى . وانتهى الاجتماع بالاتفاق على ثلاثة خطوط اساسية :

● حق تشيكوسلوفاكيا ، حزبا ودولة ، فى اتخاذ اجراءات التغيير التى تراها ضرورية لتدعيم التطبيق الاشتراكى وتعميق الديمقراطية الاشتراكية مع المحافظة على قوة وكيان الحزب من ناحية والمصالح المشتركة للاسرة الاشتراكية وأمنها من ناحية أخرى ·

● اعتبار أن ظروف التغيير قد ولدت نوعان من الخطر على نفس الدرجة من الاهمية، وهما خطر البيروقراطية الجامدة من ناحية ، وخطر الحركة المعادية للاشتراكية التى تعتمد على قوى داخلية من رواسب الطبقات الرأسمالية ومثقفيها ومساعدات مادية ومعنوية من الخارج ، وخاصة عن طريق المانيا الغربية من ناحية أخرى . وقدم كل من الاتحاد السوفيتى والمانيا الديمقراطية وقائع وادلة محددة على ذلك .وأن الموقف الحالى يتطلب اتخاذ اجراءات معينة ، فى مقدمتها تطهير الحزب وأجهزة الاعلام من العناصر المعادية التى تسللت اليها بأسرع وقت ممكن وتشديد اليقظة على الحدود المشتركة مع كل من المانيا الغربية والنمسا لمنع اى تسلل تخريبى ·

● عقد مؤتمر جماعى تشترك فيه كل دول حلف وارسو لتأكيد الالتزام الجماعى المشترك بهذه الخطوط ·

وانعقد هذا المؤتمر الجماعى فى « **براتيسلافا** » بتشيكوسلوفاكيا ، حيث أمكن التوصل الى « خطة جماعية ومسئوليات محددة على كل دولة بالنسبة لامن الاسرة الاشتراكية » فى ٣ أغسطس ١٩٦٨ · وبات كأن كل شىء قد أمكن تسويته . ولكن انطلقت اجهزة

الاعلام التشيكية التابعة للحزب ـ وعلى الرغم من موقف القيادة ومناشدتها بضرورة احترام الاتفاق ـ تهاجم اجتماع براتيسلافا بشدة ، وما توصل اليه من قرارات • وتحرض الشعب التشيكوسلافاكى على مقاومتها لانها « اعتداء على سيادته وعلى طريقه لبناء الاشتراكية الليبرالية الجديدة » • ووصفت احدى الصحف بيانات اجتماعى سيرنا وبراتيسلافا على انهما« **مجرد قصاصتى ورق صيغتا بلغة البيروقراطيين البيزنطية** » •.

وطالبت دول حلف وارسو من ناحيتها بضرورة السرعة فى تنفيذ الاتفاق لان « الوقت فى صالح أعداء الاشتراكية والعالم الاشتراكى » •. ونبهت السلطات التشيكية الى وقائع دخول عدد كبير نسبيا من المخربين المدربين التابعين للمخابرات الامريكية ومخابرات المانيا الغربية والمخابرات الاسرائيلية الى البلاد فى هيئة سياح،والى تسرب كميات متزايدة من السلاح ومحطات اذاعة ومطابع ، مما يقطع بأن ثمة مؤامرة مدبرة واسعة النطاق تنفذ تدريجيا وبطريقة سلمية فى البداية على الاقل •.

وتردد أن « **دوبتشك** » طالب بمهلة لتنفيذ اتفاقيات « **براتيسلافا** » ، لانه لا يستطيع مواجهة « موجة رد الفعل الشعبى التى حدثت نتيجة لاسقاط القيادة القديمة الا بعد أن تستنفد كل طاقات البخار المكتومة فيها منذ زمن طويل » • وأن الافضل هو « المواجهة بالطرق السلمية لا بطرق القمع • وذلك صيانة لخط الديمقراطية الاشتراكية الذى التزمت به القيادة الجديدة » •.

وأخذت تتراكم الاحداث فى اتجاه حدة الازمة ••

● كتبت مجلة ((**لترتورنى ليستى**)) لسان حال اتحاد الكتاب تقول بصراحة : « اننا نتوجه لجبهة الوطن وللحكومة وللصحافة والراديو والتليفزيون لتمكين اللجان التحضيرية العاملة من أجل احياء حزب الاشتراكية الديمقراطية (وهو الحزب الذى سبق أن قاد الحركة المضادة للاشتراكية عام ١٩٤٨ وحل) لكى يعمل بين الجماهير ويشارك فى حياة البلاد » •

● التوسع الغير طبيعى فى قوة وحركة النادى الذى نبت فجأة ليضم ويجمع القوى المعادية للاشتراكية تحت اسم « ك ٢٣١. » و « ك ٢٣١. » ، هى المادة من القانون التشيكوسلوفاكى التى استخدمتها الحكومة عام ١٩٤٨ لضرب العناصر المضادة للثورة •.

● قيام كل من رومانيا ويوغوسلافيا بتأييد تشيكوسلوفاكيا فى موقفها ضد دول حلف وارسو ، من خلال زيارات المسئولين،وبعد اتفاق براتيسلافا ، والعودة الى القول بانه لا خطر على الاشتراكية وأمن تشيكوسلوفاكيا والاسرة الاشتراكية من القوى المعادية للاشتراكية ، وان الخطر الحقيقى هو فى البيروقراطية الحزبية المخلوعة •.

● اتصال بعض أعضاء القيادة الجديدة التشيكوسلوفاكية بقيادات دول حلف وارسو، لتأكيد خطورة الحالة وتفاقمها ـ وعلى حد تعبير أحد أعضاء الحزب فى حديثه معى ـ وذلك بسبب « افتقاد الحزم الحزبى لمواجهة الموقف وشجوب قوة السلطة » •

وفى ضوء هذه الاحداث أقدمت دول حلف وارسو على الدخول بقواتها الى تشيكوسلوفاكيا فى ٢١ أغسطس ، وذلك استنادا الى الرسالة الجماعية ومذكرة الرد التشيكية ، والى اتفاق براتيسلافا الذى لم ينفذ •

وتفجر الموقف العالمى •• وتباينت الاتجاهات والاراء •

ويمكن القول منذ البداية ، أنه ـــ على الرغم من الاختلاف والتباين حول حركة حلف وارسو ـــ فان هناك ثمة اتفاقا على أن هذه الحركة قد كانت ميلادا لمرحلة جديدة من تاريخ العالم ، تؤذن فيه بتغييرات في موازين القوى الدولية،وأسلوب ممارسة سياسة التعايش السلمي .

ولكن ما هي طبيعة هذه المرحلة الجديدة ؟ والى أي مدى يكون تغيير علاقات القوى؟ وكيف ؟ ولصالح من ؟ هنا تتشعب الاراء والاتجاهات .

ولعله من باب تسهيل النظر الى هذه الاتجاهات والاراء فانه يحسن أن نقسم البحث الى ثلاثة مجالات :

العالم الغربي ، العالم الاشتراكي ، العالم الثالث عامة والشرق الاوسط خاصة .

وبالنسبة للعالم الغربي ، **فهو** لا يخفى انزعاجه الشديد المصحوب بالضيق نتيجة عجزه عن الحركة المضادة لحلف وارسو .

ونقطة الانزعاج الاولى تتبلور في أن حركة حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي ، تعتبر أول تحرك عسكري مادي للقوى الاشتراكية بعد التحرك الذي تم عام ١٩٥٦ ضد الثورة المضادة في المجر وانتهاج سياسة التعايش السلمي ، التي تتضمن فيما تتضمنه ، عدم اللجوء الى القوة في حل المشكلات الدولية . **ومن هنا يثور التساؤل : هل تعني حركة حلف وارسو نبذ الاتحاد السوفيتي وحلفائه لسياسة التعايش السلمي ، والعودة الى سياسة الحرب الباردة ؟** وما تأثير ذلك على اتفاقيات الحد من انتاج الاسلحة النووية ، وتوسيع نطاق المبادلات التجارية والاقتصادية مع العالم الاشتراكي والذي أصبح الاقتصاد الغربي المعاصر يعتمد عليها ؟

ومن الواضح أن هناك اتجاهين في الغرب ازاء هذا التساؤل :

اتجاه تتزعمه المانيا الغربية بالذات وهي تلقى في ذلك بعض التأييد الخفي من الولايات المتحدة . ويرى هذا الاتجاه أن حركة حلف وارسو تعني العودة فعلا الى سياسة الحرب الباردة . وأن هذا يستلزم بالتالي تقوية وتدعيم حلف الاطلنطي عامة ، ومنح المانيا الغربية بالذات دورا أكبر وأهم داخله ، والسماح لها بالتسلح التقليدي والنووي دون حدود ، على أساس الارتكاز الى قوة نووية رادعة أوربية مستقلة .

ولكن رغم ذلك فمازال هناك اتجاه في أمريكا ، يرى انه على الرغم من خطورة الحركة وتهديدها ـ في مفهومه ـ للتعايش السلمي وانجازاته ، فانه يجب بذل الجهد للحيلولة دون عودة سياسة الحرب الباردة ، وخاصة في هذه الظروف التي تعاني فيها أمريكا انهاكا عسكريا واقتصاديا في حرب فيتنام ، كما يعاني فيه العالم الغربي كله انقساما وافتقادا لوحدة العمل . ومن أجل هذا فما زال « جونسون » يسعى الى الاجتماع بكوسيجين « لتوضيح الموقف » .

وهناك **اتجاه** آخر تتزعمه فرنسا . وهو اذ يحمل كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي،باعتبارهما في مفهومه أكبر قوتين في العالم،مسئولية الموقف المعاصر المتأزم، نتيجة استخدام الاولى للقوة في فيتنام واستخدام الثانية للقوة في تشيكوسلوفاكيا ، الا أنه يرى أن **(حادثة تصادم على الطريق لا يجب أن تعطل حركة المرور)** .والطريق عنده

هو الوفاق الاوربى المتخلص على حد قوله من كل من السيطرة الامريكية والسيطرة السوفيتية .

ونقطة الانزعاج الثانية تتلخص فى مدى ما كشفت عنه حركة دول حلف وارسو من قدرة فائقة على استخدام القوة بسرعة ومرونة لتنفيذ عملية عسكرية كبيرة بنجاح مذهل فى زمن قياسى. فقد تحركت قوة ضخمة تفوق ربع مليون جندى من مواقعها فى بلادها ، مستخدمة الطرق الجوية والبرية ، لتسيطر على براغ وبقية المدن الاستراتيجية وكل خطوط حدود تشيكوسلوفاكيا مع الغرب[ألمانيا الغربية والنمسا]فى خلال ساعتين فقط، وتستكمل السيطرة الكاملة على كل الارض التشيكوسلوفاكية فى مدى **أقصاه ست ساعات** .

واكثر من ذلك تتم العملية كلها تحت أنف كل أجهزة الرصد والرادار الحديثة لحلف الاطلنطى وألمانيا الغربية ، دون أن تستطيع أن تلحظ شيئا غير عادى ، وذلك بفضل استخدام حيل الكترونية « غير معروفة للغرب بعد » · ولا تستيقظ عيون الغرب الا بعد **ثلاث ساعات كاملة** من دخول القوات الى تشيكوسلوفاكيا ·

وقد فجر هذا اكثر من ملاحظة :

● تفوق القوى العسكرية التقليدية ، استعدادا وحركة ، لحلف وارسو على قوات حلف الاطلنطى ، رغم أن كل التقديرات الغربية كانت على يقين من العكس .

● تاكيد النقد الذى وجه الى عدم كفاية تنظيمات حلف الاطلنطى العسكرية بدليل عدم قدرتها على رصد التحرك الا بعد اتمامه ·

● اختلال موازين القوى العسكرية بين الشرق والغرب فى أوربا وذلك لصالح الشرق فى ظرف ٣ ساعات فحسب نتيجة تواجد اكثر من ربع مليون جندى على درجة عالية من الاستعداد على حدود ألمانيا الغربية · وذلك فى الوقت الذى كان الغرب يعمل جاهدا منذ عدة أشهر على تغيير هذه الموازين لصالحه بامل انسحاب تشيكوسلوفاكيا من حلف وارسو وتحييدها ·

وكان أهم رد فعل لهذه الملاحظات التى لطمت الغرب بشدة ، هى الدعوة — وخاصة من جانب ألمانيا الغربية — الى ضرورة اعادة تنظيم حلف الاطلنطى الذى تنتهى مدة اتفاقيته فى العام القادم [١٩٦٩] . ومناشدة فرنسا بالعودة الى العضوية الكاملة للحلف . بيد أن الواضح حتى الآن أن فرنسا لا تزال على موقفها من الحلف ، وبالتالى فان مشاكله ستظل على ما هى عليه دون حل سريع على الاقل .

ونقطة الانزعاج الثالثة أن حركة حلف وارسو التى حشدت فجاة على الحدود التشيكية ــ الالمانية الغربية ، عند منطقة بافاريا ، قوات ضخمة فى حالة الاستعداد القصوى ، قد فاجأت استراتيجية حلف الاطلنطى من ناحية أمن ألمانيا الغربية والتى هى بؤرة أى صدام مرتقب فى أوربا · ذلك أن تلك الاستراتيجية كانت قائمة على أساس أن قوة الصدام قائمة من ناحية الحدود مع ألمانيا الشرقية لاتشيكوسلوفاكيا · وعلى هذا الاساس تم تسكين قوى حلف الاطلنطى وألمانيا الغربية . أما اليوم فان ثمة ثغرة هامة مفتوحة فى جدار ألمانيا الغربية من ناحية بافاريا . وهذا يستدعى تغييرا فى الاستراتيجية ، وهذا التغيير وان كان يجب أن يضع فى الاعتبار الحشود عند بافاريا فانه أيضا لا يستطيع تغافل الحدود مع ألمانيا الشرقية · وبالتالى فهو يستلزم نفقات جديدة باهظة تثقل كاهل الاقتصاد الالمانى،وكاهل الاقتصاد الامريكى اذا ما حاولت أمريكا

المعاونة ، فضلا عن «الوقت » ، الذى أصبح الان من ذهب ، اللازم لاعداد قوات جديدة».

ونقطة الانزعاج الرابعة هو انه بعد موجات التاييد الواسعة النطاق من أمريكا وألمانيا الغربية والغرب عموما للحركة المعادية فى تشيكوسلوفاكيا ، وبذل الوعود المتتالية المصحوبة باستعراض القوى لحمايتها ، فقد وجدت القوى الغربية نفسها فى حال عجز وشلل كاملين عن الحركة. وذلك بعد دخول قوات حلف وارسو الى تشبكوسلوفاكيا ».

وراح البعض يقارن بين حالة المعسكر الاشتراكى وحالة المعسكر الرأسمالى . فبينما لم تستطع دول حلف الاطلنطى أن تفعل شيئا عند انسحاب فرنسا منه ، استطاعت دول حلف وارسو أن تفعل الكثير من أجل الحيلولة دون خروج تشيكوسلوفاكيا عن الحلف عند ظهور أول بادرة للخطر .

اما الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو فهى تنظر للوضع نظرة أخرى مغايرة تماما . وتنطلق فى ذلك مما تسميه « أخلاقيات ومسئوليات الاممية الاشتراكية » ، بمعنى أن تصرفها هو « **نجدة** » لتشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ضد القوى الامبريالية والقوى المعادية المحلية المرتبطة بها . وأنها فى ذلك تسير مع حركة التاريخ الانسانى ضد من يحاولون النكسة بها الى الوراء . فالتاريخ فى حركته يقبل - طبيعيا وحتميا - تحول بلد من الراسمالية الى الاشتراكية ، ولكنه يرفض العكس ، اى التحول من الاشتراكية الى الرأسمالية . وفى نفس الوقت فدول حلف وارسو تمارس مسئولية حماية الامن لكل الاسرة الاشتراكية . ذلك أن الاخلال بامن أى منها ، وهو تهديد الاشتراكية فيها ، اخلال بامن كل المجموعة . فالامن الاشتراكى لا يتجزأ . ومعنى ذلك أنها عمدت الى المحافظة على وضع قائم يشكل بذاته أساسا لسياسة التعايش السلمى ، وبفقدانه تتحطم هذه السياسة .

وترى مجموعة دول حلف وارسو أن تدخلها على العكس قد صان سياسة التعايش السلمى من محاولات التخريب الامبريالية ، بل ومن خطر قيام حرب عالمية ثالثة بالفعل ».
كيف ؟

الواقع أنه اذا لم تبادر دول حلف وارسو بالتدخل فى الوقت المناسب والمبكر ، فان تطورات الامور كانت تحتمل بالفعل أن تؤدى الى نجاح قوى الثورة المضادة فى القفز الى السلطة ، وتكوين حكومة معادية للاشتراكية ذات شكل شرعى ، تطلب حماية أمريكا ودول حلف الاطلنطى . وكانت بالطبع ستستجيب. فماذا يكون موقف الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو وقتئذ ؟ لا مفر من أن تتحرك فى مواجهة عسكرية مباشرة مع قوات حلف الاطلنطى .. وتكون الحرب العالمية الثالثة . ومرة أخرى كما قال لى سياسى سوفيتى « **تنقذ العالم من خطر حرب عالمية محققة عام ١٩٦٨ كما سبق وفعلنا خلال ازمة البحر الكاريبى عام ١٩٦٢** » .

والحق أنه اذا كان الاتحاد السوفيتى ومجموعة الدول الاشتراكية لا تزال تتمسك بسياسة التعايش السلمى، الا أن المراقب يرى أنها قد عزمت - بحركة حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا - على تصحيح خط التعايش السلمى وموازينه التى انتهكت من جانب القوى الامبريالية فى المرحلة الاخيرة. وكان الاتحاد السوفيتى بالذات قد واجه منذ ازمات وحروب البحر الكاريبى وفيتنام والشرق الاوسط انتقادات متزايدة فى السنوات الاخيرة على اساس « أن القوى الامبريالية تستغل سياسة التعايش السلمى، والابتزاز بالحرب العالمية فى شن موجات عدوانية وتحقيق مكاسب جزئية متتالية، وذلك بمبادرات عدوانية من جانبها دون مبادرات ردع مضادة وفعالة من جانبه » .

وكانت وجهة نظر الاتحاد السوفيتى أن العدوان الامبريالى فى أى منطقة ، يعرى أمام الرأى العام القوى العدوانية اكثر فاكثر · فضلا عن أنه يسارع الى مد المعتدى عليهم بالمساعدات المادية والتأييد السياسى بحيث تمكنهم من مقاومة العدوان ودحره والحكم عليه بالفشل كما حدث فى كوبا وكماهو واقع فى فيتنام والشرق الاوسط على التوالى. وأنه بذلك ــ اى الاتحاد السوفيتى ــ قد كسب تأييد الرأى العام العالمى والثقة فيه كقوة تعمل من اجل السلام ، وفى نفس الوقت تنفجر التناقضات داخل قوى العدوان نفسها وتثقل حركتها وتفكك وحدتهــا ، وذلك على الرغم من المــكاسب العــدوانية الجزئية للامبريالية .

ولكن هل كان من الممكن أن يستمر هذا الوضع ؟ ان المرء يستطيع أن يخرج من تحليل الاحداث أن حرب ٥ **يونيو** الامبريالية الصهيونية ضد البلاد العربية ·· كانت آخر خطوة عدوانية امبريالية تبدأ بعدها محاولات مد الخطوات الى قلب المعسكر الاشتراكى نفسه · ووقع الاختيار بالفعل على تشيكوسلوفاكيا بسبب ظروفها المعقدة · وكانت هذه المغامرة من قبل القوى الامبريالية هى **نقطة الطفرة»أو على حد التعبير الشعبى فى بلادنا«القشة التى قصمت ظهر البعير** ، فى تغيير «كيفى» لاسلوب ممارسة الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو لسياسة التعايش السلمى . وذلك من احتواء العدوان والعمــل على فشله بطرق غير مباشرة الى التصدى له بطرق مباشرة وحاسمة،لان القضية بالنسبة للمعسكر الاشتراكى أصبحت«**نكون أو لا نكون**»·**وبالتالى فالتعايش السلمى بعد حركة حلف وارسو ، من ناحية الاتحاد السوفيتى هو المواجهة المباشرة بالقوة لاى تحــرك عدوانى جديد** ·

وفى اعتقادى ــ بناء على ملاحظاتى الشخصية والمناقشات التى أتيحت لى ــ ان الاتحادالسوفيتى قد قرر انتهاج هذا الاسلوب فى ممارسة سياسة التعايش السلمى ، بعد أن استكمل استعداداته الاستراتيجية والتكتيكية بعــد حــرب ٥ يونيو ، لمواجهة استراتيجية الامبريالية القائمة على الحروب المحدودة ذات الاسلحة التقليدية .

والمعروف أن الاستراتيجية السوفيتية كانت قائمة على التركيز على الاسلحة النووية وقدرتها على ردع الامبريالية عن شن حرب نووية عالمية ·

ولكن منذ عام١٩٦٧بدأ الاتحادالسوفيتى رسم استراتيجية جديدة تقوم علىاستخدام الاسلحة التقليدية بكفاية وسرعة لمواجهة استراتيجية الحروب المحدودة الامبريالية .

وتجسد ذلك فيما سمى باستراتيجية « **البحار الدافئة** » القائمة على أسطول من السفن الحربية ذات الكفاية التكنولوجية العالية التى تجوب البحار ، وفى مقدمتهــا البحــر الابيض المتوسط · وذلك فى مواجهة الاساطيل الامريكية · وكذلك القيام كخطوة أولى ببناء اثنتين من حاملات الطائرات الضخمة لاول مرة فى تاريخه،لتسهيل سرعةالحركة فى استخدام الطيران السريع والقصير المدى ·

وفى نفس الوقت قام بزيادة ميزانية الدفاع لمواجهة تكوين قوات جديدة مؤهلة للعمل السريع بالاسلحة التقليدية · فضلا عن تجنيد خبراته فى ميدان تصنيع وتطوير وابتكار أسلحة تقليدية تفوق الاسلحة الغربية ·

وعمد فى شهر سبتمبر عام١٩٦٧ الىالقيام بأضخم مناورات فى تاريخه«بأوكرانيا» على استخدام الاسلحة التقليدية وتجربة الجديد منها فى أجواء ثلاثة مشابهة لادغال فيتنام وجغرافية أوربا وصحراء سيناء · ولم يعد سرا أن حصيلة هذه المناورات قد وضعت ــ بعد ذلك ــ فى خدمة الفيتناميين ضد القوات الامريكية وحققت انتصارات

كبيرة عبر عنها القادة العسكريون الامريكيون فى فيتنام بانها « نتيجة لاستخدام انواع جديدة ومتفوقة من السلاح » .

ما اريد أن أخلص اليه هو أن « حركة حلف وارسو » هى فى تقديرى ، بداية مرحلة تتلاشى فيها امكانية انفراد القوى الامبريالية باستخدام استراتيجية الحروب المحدودة ذات الاسلحة التقليدية دون رادع مضاد سريع وقوى · كما تنعدم فيها امكانية الابتزاز الامريكى بالحرب العالمية من أجل الحفاظ على التعايش السلمى .

ومعنى هذا ان ثمة تغييرا فى علاقات قوى التعايش السلمى قد بدأ ، فى غير صالح القوى الامبريالية .

وفى **العالم الاشتراكى** كان صدى حركة حلف وارسو متباينا .

فهناك اتجاه عبرت عنه **الصين والبانيا** — من واقع خلافهما الايدلوجى والسياسى — مع كل من الاتحــــاد السوفيتى ودول حلف وارســـو بمـــا فى ذلك تشيكوسلوفاكيا نفسها.وهو يدين التدخل ويدين تشيكوسلوفاكيا نفسها .ويرد الامر كله الى ظاهرة المراجعة والانحراف عن الماركسية اللينينية . وسارعت البانيـــا الى اتخاذ اجراء — هو فى حقيقته شكلى لانهـــا تقاطع منذ زمن طويل حلف وارسو — بالانسلاخ من عضـــوية الحلف والاعتمـــاد فى الدفاع عن نفسها على « الاصـــدقاء الصينيين » .

وثمة اتجاها ثانيا،عبرت عنه كل من **رومانيا ويوغوسلافيا** فى ادانتهما لحركة حلف وارسو ووصمها بالعدوان والاحتلال · وزادت يوغوسلافيا على ذلك باتهام الحركة بانها عودة الى السياسة الستالينية التى تعادى مبادىء المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، وحق كل بلد اشتراكى وكل حزب اشتراكى فى الاستقلال وانتهاج الاسلوب الخاص به فى تطبيق الاشتراكية ·

وتحت الشعور الذى لا يزال دفينا فى يوغوسلافيا ضد الستالينية وأزمتها الحادة معها عام ١٩٤٨ . نما احساس متزايد بالخطر على استقـــلال يوغوســـلافيا وخطها الاشتراكى . جعلها تعبىء جيشها فى حالة استعداد قصوى وتنقله من الحدود مع ايطاليا والنمسا الى الحدود مع بلغاريا والمجر عضوى حلف وارسو.وتستدعى ٥٠٠ ألف من الاحتياطى وتكون فرق الانصار لحرب العصابات ·

وان كان من الواضح أن هناك اقلية معارضة لخط الحزب والدولة فى الهجوم على حركة حلف وارسو ، حيث ترى أنها كانت ضرورية فعلا لمنع تحول تشيكوسلوفاكيا الى الرأسمالية . وتوصف هذه الاقلية من جانب الاغلبية بأنهـــا « بقـــايا الستالينية فى يوغوسلافيا » ·

أما **رومانيا** .. فبعد ان كانت على نفس درجة يوغوسلافيا فى ادانة حـــركة حلف وارسو ، راحت تخفف من لهجتها وتنفى قيامها بأى عملية تعبئة لقواتها وتنادى بضرورة الوحدة بين الدول الاشتراكية ·

ولوحظ **اتجاه ثالث** جمع كل الاحزاب الشيوعية الحاكمة فى البلاد الاشتراكية الصغيرة التى تواجه بشكل حاد ومباشر قوى العدوان الامبريالى وهى **فيتنام الديمقراطية وكوريا الديمقراطية وكوبا** ، على الرغم من خلاف الاخيرة مع الاتحاد السوفيتى · وجميعها سارعت الى تأييد حركة حلف وارسو دون تحفظ ، واعتبرتها اجراء ضروريا لحماية الاشتراكية .

اما الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة فى العالم فقد انقسمت الى تيارين : **تيار** يضم غالبية الاحزاب الشيوعية وخاصة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الامريكية · وكلها فى صف حركة حلف وارسو باعتبارها « اجراء لامفر منه لحماية الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا والمعسكر الاشتراكى » ·

وثمة **تيارا آخر** ، وان كان اقلية ويتمركز أساسا فى أوربا الغربية،الا أنه يضم حزبين من اكبر الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة فى العالم · وهما الحزب الشيوعى الايطالى والحزب الشيوعى الفرنسى · الاول « أدان » الاجراء واعتبره ضارا بوحدة الحركة الاشتراكية ، والثانى اعتبره اجراء غير مفهوم ولايمكن تبريره · ولكنهما ــ معا ــ حرصا على أن يفرقا بين موقفهما من الاجراء وبين ادانتهما للحملة المعاديه للاتحاد السوفيتى التى شنتها القوى الرجعية فى الغرب مستغلة ظروف التدخل ·

ولكن الملاحظ أن حدة المعارضة فى العالم الاشتراكى لحركة حلف وارسو قد أخذت تخف · ويرجع المراقبون ذلك لاسباب متعددة :

● قيام عدد كبير من القواعد فى الاحزاب المعارضة للحركة ، خاصة فى الحزب الايطالى ، بانتقاد خط قيادتها وتأييد الحركة .

● ان القيادة التشيكوسلوفاكية نفسها قد توصلت من خلال المفاوضات التى جرت عقب التدخل من الاتحاد السوفيتى ، الى اتفاق فى ٢٦ **أغسطس** ، أطلق عليه اسم « اتفاق موسكو » وتبعته اتفاقات ومحادثات أخرى ، اعتبر فيها الموضوع « مسألة داخلية بين أعضاء الاسرة الاشتراكية » وأن وجود قوات حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا ليس له أى طابع احتلالى أو عدوانى على السلطة الشرعية للحزب والحكومة ، وأنه موقوت بتمكن هذه السلطة من اتخاذ الاجراءات لتصفية القوى المعادية للثورة الاشتراكية · وتأمين المسيرة الاشتراكية لتشيكوسلوفاكيا ، كعضو مسئول فى الاسرة الاشتراكية ، وبالطريق الجديد الذى اختطه الحزب وقيادته الجديدة فى برنامجى يناير وابريل ١٩٦٨ ·

● أن قوات حلف وارسو لم تتدخل فى الشئون الداخلية لتشيكوسلوفاكيا سواء على مستوى الحزب أو الدولة · ولم تفرض أوضاعا أو أشخاصا او حكومة على غير رغبة الشعب التشيكوسلوفاكى وقواعد الحزب ، وذلك تنفيذا لمبدأ حرية واستقلال كل بلد وحزب اشتراكى فى تسيير شئونهما الداخلية وفقا لظروفهما ·

● انه فى الوقت الذى لم تلق فيه قوات حلف وارسو مقاومة معادية من جماهير الشعب وخاصة العمال والفلاحين وكذلك من الجيش ، نشطت العناصر المعادية فى الحركة والكشف عن امكانياتها المخبوءة والمختزنة والتى تجسدت فى اقامة اكثر من عشرين محطة اذاعة سرية وتشغيل اكثر من خمس مطابع تحت الارض فى أقل من ٤٨ ساعة مما يدل على توافر استعدادات خاصة للثورة المضادة معدة من قبل : ويؤكد الخطر الذى عبرت عنه دول حلف وارسو ، وأيدته من بعد القيادة الجديدة للحزب التشيكوسلوفاكى ، حتى ان ((**تشيرنك**)) رئيس الوزراء صرح أمام البرلمان بأن «الحكومة بالفعل لم تواجه العناصر المضادة للثورة بالحزم والسرعة الواجبين » .

وأمام هذا الوضع سرت نغمة داخل الاحزاب المعارضة للتدخل تقول : « **لماذا والحال هكذا ، نكون تشيكوسلوفاكيين أكثر من التشيكوسلوفاك أنفسهم**)) .

واليوغوسلاف أيضا حرصوا على أن يوضحوا أن موقفهم المعادى للاجراء لا ينسحب

الى الاتحاد السوفيتى أو أى من دول حلف وارسو . وان نقدهم ينصب على اجراء معين محدود ، وأنهم يبرئون انفسهم من كل حملة معادية لاى بلد اشتراكى .

والسوفيت من ناحيتهم يؤكدون ان حركة حلف وارسو التى شاركوا فيها ذات طابع استثنائى بحت ، كانوا مجبرين عليه ، لانه لم يكن أمامهم اختيار آخر ، وذلك بعد أن اصبحت القوى المعادية للثورة فى تشيكوسلوفاكيا قادرة على منع تنفيذ « اتفاق براتيسلافا . وأن هذا الاسلوب العسكرى للتدخل يتوازى مع الاهمية والحساسية اللتين تتمتع بهما تشيكوسلوفاكيا كنقطة صدام مباشرة ومركز دفاع اساسى لحلف وارسو ضد حلف الاطلنطى والمانيا الغربية مثلها مثل المانيا الشرقية .

على ان دول حلف وارسو تركز الضوء الان على ظاهرة جديدة فى أسلوب الحركة الامبريالية المعادية للاشتراكية • وهو أسلوب ينأى عن استخدام العنف ويتخذ الطابع السلمى ، وأصبح يعرف بخطة **« التحول السلمى من الاشتراكية الى الراسمالية »** . وهى خطة أذكى وبديلة لخطة « دالاس » السابقة والتى كانت تستهدف العنف كما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ ، وتحاصر الدول الاشتراكية بحزام من القواعد العسكرية •

وهناك أبوان شرعيان لهذه الخطة السلمية الجديدة لتحويل البلاد الاشتراكية الى الراسمالية دون استخدام العنف وذلك عن طريق تنمية وتقوية وتحريك القوى المحلية المضادة للاشتراكية . وهما «زفنيجييف بجرنفسكى » رئيس قسم الشئون الشيوعية بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة . و « جوزيف ستراوس » وزير الحربية السابق فى المانيا الغربية ووزير ماليتها الحالى (١) .

وقد شرع بجرنفسكى بشرح خطته فى كتابه الذى أصدره بعنوان **« بديل الانقسام »** حيث يقول أن على الغرب أن ينتهز فرصة قيام تغييرات نحو مزيد من الديمقراطية الاشتراكية فى بلد اشتراكى فيعمد الى تغذية حركات ليبرالية داخلها ، مع التحرك سريعا الى اقامة علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية بأوسع قدر ممكن بين هذا البلد والغرب ، وهذا من شأنه ان يوقظ القوى المضادة للاشتراكية ويتيح لها قواعد وحرية نسبية سرعان ماتزداد ، مستغلة مايكون هناك من أخطاء وجمود سابقين ، خلفا ردود فعل سلبية لدى الجماهير . ويتنبأ « بجرنفسكى » بأن هذا الامر ينطبق بالدرجة الاولى على تشيكوسلوفاكيا وبدرجة أقل على بولندا والمجر •

اما « **ستراوس** » فانه يعمد الى تحديد واجبات الغرب نحو تنفيذ الخطة السلمية ، فيقول فى كتابه « **مشروع لاوربا** » : « علينا أن نذكر أن بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وغيرها تنتسب الى أوربا بقدر ما تنتسب اليها سويسرا وهولندا وبلجيكا ، والواجب اذن عن طريق التأثير على هذه البلاد ، وعن طريق المفاوضات — حتى مع موسكو — أن نعمل حتى تعود هذه البلاد فى المدى البعيد الى أوربا .

ودرجت صحيفة « **أوسبوليتيك** » الالمانية الغربية منذ عام ١٩٦٢ على معالجة كيفية تنفيذ هذه الخطة بكافة الوسائل فكتبت تقول :

« ان علينا أن نعمل على تسريب أفكارنا الى حياة الجماهير فى الدول الشيوعية . وذلك بجميع وسائل الاعلام العصرية وبالطريقة النفسية الافضل ، بحيث يصبح الناس فى هذه الدول — بوعى أو بغير وعى — حملة للافكار الغربية . وبذلك تشيع البلبلة فى صفوفهم وتتفجر انقلابات داخلية دون استعمال العنف . وبجهود لا كلل فيها ، تتعب العدو ، يمكن زيادة معدل التطورات الطبيعية ، خاصة وأن الظروف الموضوعية الان فى

أوربا صالحة لشن هذا النوع من الحرب النفسية » •

وتؤكد دول حلف وارسو أن حركتها فى ٢١ اغسطس قد كشفت وضربت فى نفس الوقت أول محاولة لتنفيذ هذه الخطة فى تشيكوسلوفاكيا •

والسؤال الان الذى يدور فى العالم الاشتراكى: **ماذا عن المستقبل فى علاقات دول هذا العالم بعضها مع بعض ؟**

هناك اتجاه متشائم أصبحت يوغوسلافيا تمثله وحدها بعد ابتعاد رومانيا عنها، وهو يرى أن حركة وارسو فى تشيكوسلوفاكيا قد خلفت جرحا داميا سيظل ينزف لمدة طويلة ويبذر عدم الثقة بين البلاد الاشتراكية بعضها وبعض • وانه مما يساعد على التئام الجرح سرعة انسحاب قوات حلف وارسو من الاراضى التشيكوسلوفاكية • والعودة — بالقول والعقل — من جديد الى اقرار مبدأ حرية واستقلال كل دولة وحزب ، الكبير والصغير على قدم المساواة دون تمييز •

وهناك **اتجاه آخر** يرى أن انكشاف مدى ما يخططه الغرب الامبريالى ضد البلدان الاشتراكية واصطيادها واحدة بعد الاخرى بأساليب مختلفة ، من شأنه أن يساعد على تخطى الخلافات التى تفجرت داخل المعسكر الاشتراكى منذ انعقاد المؤتمر العشرين للاتحاد السوفيتى واعتبارها ثانوية أمام صراع الحياة أو الموت مع الامبريالية • وأن الوقت قد حان للتوصل الى صياغة جديدة ملائمة لظروف العصر وعلى ضوء خبرة الازمة التشيكوسلوفاكية توفق بين مبدأ حرية واستقلال كل حزب ودولة وبين مبدأ التضامن الدولى للمجموعة الاشتراكية فى مواجهتها للامبريالية • وان خير فرصة للوصول الى هذه الصياغة هو مؤتمر الاحزاب الشيوعية الذى يجب أن تتوفر له فرصة أرحب لاستيعاب دروس أحداث تشيكوسلوفاكيا • وأصبح محتملا أن يشارك فى هذا المؤتمر عدد من الاحزاب الشيوعية التى كانت قد قاطعته مثل الحزب الرومانى والحزب الكوبى •

ويعتمد هذا الاتجاه على عدد من المظاهر الايجابية :

- الوصول الى « اتفاق موسكو » بين القيادة السوفيتية والقيادة التشيكية •
- تحول رومانيا من التنديد بحركة حلف وارسو الى المطالبة بدعم وحدة الدول الاشتراكية •
- قيام يوغوسلافيا — رغم موقفها من حركة وارسو — بالاشتراك بصفة مراقب فى اجتماعات الكوميكون (السوق الاشتراكية) التى انعقدت فى موسكو فى أواخر سبتمبر الماضى •

بل ولا يستبعد ، أمام حدة المواجهة للدول الاشتراكية مع الامبريالية ومبادرة حلف وارسو الى الحركة — ورغم كل الظواهر المضادة — أن تقع اتصالات بناءة جديدة بين الاتحاد السوفيتى والصين ولكن فى مدى بعيد نسبيا وبصورة غير علنية فى البداية • وذلك لمواجهة التحرك العدوانى الامبريالى بقوة حاسمة •

والان ماذا عن العالم الثالث وعن الشرق الاوسط ؟

هنا أيضا نواجه اختلافا فى الرأى :

فيرى البعض ــ وخاصة اليوغسلاف ــ أن حركة حلف وارسو قد ألقت أعباء جديدة على دول الحلف وخاصة الاتحاد السوفيتى ـ عسكريا واقتصاديا وسياسيا ـ تحد من مساهمتهم فى عون العالم الثالث بالدرجة المطلوبة •

فى حين يرى البعض الاخر أنه على العكس فقد فتحت حركة حلف وارسو أمام الامبريالية جبهة جديدة وذات وزن خطير تخفف الضغط عن العالم الثالث • فضلا عن أن حركة حلف وارسو ليست مجرد حادث عابر فى السياسة الاشتراكية الدولية عامة وسياسة الاتحاد السوفيتى خاصة ، وانما هى جزء من استراتيجية جديدة تشمل العالم كله بما فى ذلك العالم الثالث. الامر الذى من شأنه ان يزيد من المساعدات والعون المادى والمعنوى لبلاد العالم الثالث •

ويلاحظ المراقبون بصفة خاصة أن الازمتين اللتين تفجرتا مع الامبريالية وقوى الثورة المضادة فى العالم الاشتراكى وهما المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨، واكبتا عدوانين من أخطر عمليات العدوان الامبريالية على العالم الثالث ، وهما حرب السويس وحرب يونيو ضد مصر والبلاد العربية • حيث استخدمت اسرائيل كأداة •

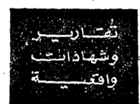
والهدف من هذا الربط هو الوصول الى النتيجة الموضوعية التى تفرزها التجربة، وهى أن الامبريالية تستهدف فيما تستهدفه ـ منذ الخمسينيات وبداية طريق التعاون والصداقة بين الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث ومن بينها البلاد العربية التقدمية ـ أن تضرب فى وقت واحد بدرجات متفاوتة واشكال متعددة فى البلاد الاشتراكية المرتبطة فى تحالف مع الاتحاد السوفيتى وفى منطقة الشرق الاوسط الملاصقة « لبطن الاتحاد السوفيتى » معا • وانه فى كل مرة تستخدم الحركة الصهيونية وكيانها الاسرائيلى فى هذا الضرب المزدوج • وقد اتضح هذا بصورة صارخة فى تفاعل القوى الصهيونية مع القوى المعادية للاشتراكية فى كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا بعد حرب يونيو بالذات •

وهذا يؤدى بدوره الى نتيجة أخرى وهو أن مواجهة الامبريالية بالحركة الاستراتيجية الجديدة للدول الاشتراكية هو مواجهة فى نفس الوقت للصهيونية أداة الامبريالية التخريبية ضد البلدان العربية التقدمية من الخارج وضد البلدان الاشتراكية من الداخل •

ومن هنا فان تصفية العناصر المعادية للاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وفى غيرها من البلاد الاشتراكية ، أصبح يعنى بالتبعية تصفية العناصر الصهيونية المتدثرة برداء الاشتراكية • وفى هذا اضعاف لجبهة العدو العالمية ضد الشعوب العربية وحريتها واستقلالها وتقدمها ويزيد من عزلة وحصار اسرائيل •

لطفى الخولى

الحركة النقابية في الواقع المصري



تتأهب الحركة النقابية لدخول مرحلة جديدة في تاريخها . وذلك من خلال عملية الانتخابات الواسعة النطاق والتى تشمل كل النقابات العامة ولجانها والاتحاد العام .

والانتخابات النقابية التى سوف تجرى قبل نهاية هذا العام ، تقع فى ظروف بالغة الاهمية ، يتفاعل فيها النضال ضد العدو الصهيونى الامبريالى المحتل مع النضال لتعميق مجرى التحول الاشتراكى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وفى نفس الوقت فان هذه الانتخابات تقع بعد انعقاد المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى تنفيذا لبيان ٣٠ مارس الذى أقره تحالف قوى الشعب العاملة ، ويستهدف أحداث التغييرات الجذرية فى الواقع المصرى العربى ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وبالتالى نقابيا .

ومن الطبيعى أن تشغل هذه الانتخابات الاهتمام العميق من جانب الشعب عامة والطبقة العاملةخاصة ، حيث أنها ستفرز القيادة الجديدة للحركة النقابية على ضوء التجارب السابقة بايجابياتها وسلبياتها معا .

وفى هذا الاطار تقوم « الطليعة » بالقاء الضوء على الحركة النقابية فى الواقع المصرى ، وذلك بأسلوب الشهادات الواقعية النابعة من أبناء الطبقة العاملة حيث توجهت الى أكثر من ٥٠ عاملا نقابيا يمثلون قطاعات واعمار ومسئوليات مختلفة . وقد استجاب منهم ٢١ عاملا .

وقد قام بمناقشة الشهادات والتعليق عليها فى تقارير دراسية كل من :
السيد محمود فهمى النقراشى عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومكتب تنفيذى القاهرة ، وعضو اللجنة النقابية بشركة سيماف .
أبو سيف يوسف : وعبد المنعم الغزالى من « الطليعة » .

١ — من المعروف أن النقابات اداة من ادوات الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالى، والنقابات فى مصر منذ نشأتها فى أواخر القرن الماضى كانت وسيلة لتنظيم وحشد جماهير العمال فى معاركهم من اجل اجور أفضل ،وشروط عمل احسن ،هذا فضلا عن دورها المشهود فى الحركة الوطنية ·

وفى مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية لا يبدو دور النقابات بمثل هذا الوضوح ، الى درجة أن مناقشات تدور حول جـدوى وجـودها ودورها فى المرحلة الحالية ·

فما رأيكم فى هذا ؟

٢ — الاستقلالية الذاتية للحركة النقابية مشكلة قديمة،وجهها الاول هو علاقة التنظيم النقابى بالتنظيم السياسى ، وتطبيق فكرة القيادة السياسية للتنظيم النقابى على مختلف المستويات · والوجه الاخر هو علاقة الاجهزة الادارية [مثل وزارة العمل] ، وأجهزة الامن بالتنظيم النقابى ·

فما رأيكم فى علاقة التنظيم النقابى بكل من : الاتحاد الاشتراكى ، وزارة العمل ، أجهزة الامن — على ضوء رأيكم الخاص فى موضوع استقلالية الحركة النقابية وعلى ضوء مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ·

٣ — ما هى الشروط التى ترون توفرها علاوة على استقلالية الحركة النقابية لتحقيق ديمقراطية الحركة النقابية ، سواء فى موضوع أسلوب ادارة التنظيم النقابى وقيـادة وحداته ، أو فى موضوع اختيارية العضوية وحقوقها وواجباتها ؟

٤ — ما هى الضمانات الديموقراطية والتنظيمية التى ترى ضرورة كفالتها لتحقيق الانتخابات والهدف منها ؟

■■■

شهادات واقعية

— ١ —

الاسم : جلال محمد سليمان
السن : ٣٩ سنة ·
مكان العمل : نادى الاسكندرية الرياضى (سبورتنج) ·
نوع العمل : قسم الماكينات ·
عضوية النقابة ومستواها : النقابة العامة للاعلام والترفية ووكيلها الاول ·
مدة العضوية : ٢٢ سنة ·
الاجر الشهرى : (لم يذكر) ·

■ السؤال الاول ■

بالنسـبة لدور النقابات فى مرحلة التحول من الراسـمالية الى الاشـتراكية ، فان النقابات تقع عليها مسئولية كبيرة بالنسبة لتوعية العاملين بدور الحـركة النقابية فى ظل الراسـمالية والاشتراكية ، والتى اصـبحت فيها جميع ادوات الانتـاج ملكا للعاملين — وحـيث انه ما زال لدينا قطاع خاص تعانى منـه الطبقة العاملة ، ومازال هناك صراع بين النقابات والراسمالية الوطنية فانه يجب الابقاء على الحركة النقابية كى تتحمل دورها الطليعى فى المرحلة الحالية ·

■ السؤال الثانى ■

بالنسبة لاستقلاليـة الحركة النقابية يجـب ان يكون للتنظيم النقابى تشريع خـاص يتناول المبادىء الاساسـية فقط ، وان تصدر القرارات التنفيـذية من الاتحاد العام للعمال ·

واما بالنسبة لعلاقة التنظيم النقـابى بالاتحاد الاشـتراكى العربى فهناك الاتفاقية الدولية — الاتفاقية رقم ٨٧ — الخـاصة بالحريات النقابية والتى اوجبت ان تـكون الانتخابات من عموم العاملين بالمنشـأة وهذه ناحية دوليـة يجب احترامها ، ونظرا لان جميع العـاملين اعضـاء فلا يجـوز حـرمانهم من حق الترشيح ·

■ السؤال الثالث ■

اما بشأن ديمقراطية الحركة النقـــابية . فانه اذا توفرت الشروط فى البند الاول والبنـد الثـانى فان مبدأ ديمقراطيــة الحركة النقابية يتوفر ●

■ السؤال الرابع ■

بالنسبة لديمقراطية الانتخابات ــ فانه يوجد فى المنشآت بعض النواحى التى تؤثر على الانتخابات مثل العصبيات ورؤساء الوحدات الانتــاجية الذين يمكنهم توقيع الجزاء على العاملين ، اويمكنون من الاضطهاد باى صــورة من صوره ــ وهذه الاشياء هى التى توجد قيادات لاتؤمن بها القاعدة العمالية ، وذلك ان تولت هذه القيادات القيادة عن طريق هذه القوى ، الامر الــذى يوجــب تخليص الانتخابات من العصبيات ومن نفوذ رؤسـاء الوحدات ●

■ ■ ■

٢

الاسم : شحاته عبد العليم محمود
السـن : ٤٢ سنة .
مكان العمل : الهيئة العامة لنقل الركاب بمحافظة الاسكندرية .
نوع العمل : عمل كتابى بادارة الشئون القانونية .
عضوية النقابة ومستواها : عضو مشترك
مدة العضوية : ٤ سنوات ــ وقبلهـا سنوات متقطعة .
الاجر الشهرى : ٢٢ جنيها

■ السؤال الاول ■

أن دور النقابات فى المجتمع الرأسمالى يقوم على اســاس حماية الطبقة العـاملة مــن الاستغلال الرأسمالى والعمـل على تحسين ظروف الحيـاة والحصول على شروط أفضـل بالنسبة للاجر والعمل ، وهى فى نفس الوقت تنظيم يتيح أكبـر الفرص لتنظيم وحشد أعــرض وأضخم جماهير الطبقة العاملة فــى نضـــالها الاقتصـــادى والديمقراطى . معنى هــذا أن دور النقـــابات فــى النظـــام الرأسمالى ليس له علاقة عضوية بهذا النظام لانهما متعارضان فى المصالح الطبقية تعارضا جذريا وجوهريا .

أما فى مرحلة التحول مــن الرأسمالية الى الاشتراكية ، فان دورها يختلف اختلافا كاملا عن سابقه . وفى رأيى ان الــذى يحــدد دور وفعـــالية الحركة النقابية ويجعله واضحا وبارزا فى مرحلة التحول هو طبيعــة القيادة المهيمنة والقائدة للحركة النقابية .

ان الذى لا يجعل دور النقابات واضحـــا وبارزا على طريـــق النضال الاشتراكى ان بعض القادة النقـــابيين المخلصين فى اللجان النقابية أصبحوا يعتمـدون على نشاطهم وارتباطهم بجمـــاهير العمال فى مراكز عملهم والعدل بكل جهدهم للتصدى لاى عمل ضار موجه ضد العمـــال أو الاشتراكية مــن قبــل بعض الاداريين . دون أن يجدوا أى سند لهم من قبل قادة نقاباتهم العـــامة أو الاتحــاد العــام لانشغالهم بتحقيق مصـــالحهم الخاصة .

ان الطبقة العـــاملة مازالت وستظل تترقب وتعمل على ان تقدم لمراكز القيادة العنـــاصر المناضلة الشريفة التى تستطيع أن تبرز الدور الهام والفعـــال للحركة النقابية فـــى مـرحلة التحول الاشتراكى .

■ السؤال الثانى ■

استقلالية الحركة النقـــابية مسألة هامة فى هذه المرحلة بالذات ، واذا كان يجب ان تكون هناك علاقة بين التنظيم النقابى والتنظيم الســياسى فلا بد ان يكون هذا التنظيم ممثلا حقيقيا للطبقة العاملة ، وهذا لا ينطبق على الاتحاد الاشـــتراكى الذى يمثل تجميعا لعدد من الطبقـــات فى المجتمع متعارضة مع المصالح الطبقية .

والتنظيم السياسى الوحيـد القادر على ايجاد علاقة سليمة وقائدة للحركة النقابية هـو التنظيم الطليعى العقائدى الذى يجـــمع خـيرة المناضـــــلين الاشتراكيين الذين لهم تاريخ فى الحركة الاشتراكية ، والــذين برزوا من خلال العمل السياسى والنضال الثورى فى المجتمع . وهذا لا ينفى وجود علاقة تعاون بين الاتحاد الاشتراكى والحركة النقـــابية دون التدخل المخل باستقلالية الحركة النقابية . ويكون هذا التعـــاون على كافة المستويات مــن أول اللجنــة الاساسية واللجنة النقابية حتى المستوى الاعلى فى التنظيمين . وبتطـور العمـل والنضـال والتعاون المشترك سيتحدد اكثر طبيعة هذه العلاقة . أما من ناحية علاقـــة وزارة العمل بالتنظيم النقابى فلابد أن تكون قائمة على معاونة الحركة النقابية فـــى الاضطلاع بدورها فى مجـال

■ ■ ■

٣

الاسم : احمد محمد عبد الرسول
السن : ٣٨ سنة
مكان العمل : الشركة الشرقية للكتان والقطن — الراس السوداء —اسكندرية
نوع العمل : مراقب
عضوية النقابة ومستواها : عضو لجنة نقابية
مدة العضوية : ٨ سنوات
الاجر الشهرى : ٢٠ ج شهريا .

■ السؤال الاول ■

من المعروف ان النقابات تشترك بصفة جدية فى دراسة وتطوير كافة القوانين واللوائح الخاصة بالعمل والعمال حتى يتسنى لها مناقشة كل ما يتصل بمصالح القواعد العريضة لها ، وبهذا يمكن تحديد وضع النقابات فى المجتمع الاشتراكى . ومن هنا يمكن للحركة النقابية ان تقوم بدورها وذلك فى حدود استقلالها عن التنظيمات السياسية وعدم الوصاية على لوائحها والقوانين الخاصة بها وجميع تشكيلاتها .

■ السؤال الثانى ■

يمكن القول بان النقطة الاولى مرتبطة تماما بالنقطة الثانية وهى عدم اشراك الحركة النقابية فى مصر فى وضع القوانين واللوائح ، وهى مقدراتها التشريع النقابى والتنظيم النقابى وحماية دور الحركة النقابية من بطش الادارات . وهذا الدور لوزارة العمل مؤقت حتى تستطيع الحركة النقابية ان تضطلع بدورها كاملا فى الاشراف وتسيير امورها فى جميع المجالات ، بحيث يصبح الاتحاد العام هو المسئول الاول والاخير عن شئون العمال فى الحركة النقابية .

ولكن بالنسبة لاجهزة الادارة فلا بد من وقف تدخلها نهائيا فى شئون الحركة النقابية ، لان هذا كان على مدار تاريخ الحركة النقابية من العوامل المخربة لدور التنظيم النقابى .

■ السؤال الثالث ■

بجانب استقلالية الحركة النقابية وتوفير أعلى قدر من الديمقراطية لها . أرى أنه من الضرورى اعطاء الحق للجان النقابية فى القيام بدور أقدر وأكبر مما هى عليه الآن ، بمعنى أن تكون هى الاساس بالنسبة لجميع شئون العاملين فى مجالاتها ، ويكون دور النقابة العامة هو الاشراف على الشئون العامة لعمال المهنة الواحدة على أساس أن يكون هناك لقاء دورى على شكل مؤتمرات لمناقشة مشاكل العمل والعمال ونفس الشىء بالنسبة لعلاقة النقابة العامة بالاتحاد العام .

وعلى أن تكون العلاقة من الناحية المادية هى اشتراك اللجنة النقابية باشتراك شهرى وفقا لعدد اعضائها واشتراكاتهم ، وليس سيطرة النقابة العامة على اشتراكات العمال واعطاء نسبة للجنة النقابية .

أما بخصوص اختيار الاعضاء المتقدمين للترشيح للعضوية فتكفى اجادتهم للقراءة والكتابة فى هذه المرحلة الى أن توجد قيادة نقابية شريفة ، يمكنها بعد ذلك وضع بعض الشروط التى تفيد تقدم الحركة النقابية .

كما أنه من اللازم اعطاء الحق لاعضاء اللجنة النقابية فى اتخاذ كافة الوسائل المشروعة للدفاع عن حقوق ومصالح جماهير العمال فى مجالات عملهم بالنسبة للعمل والاجر والفصل والجزاءات المتعسفة ورفع الدعاوى القضائية .

وواجبات التنظيم النقابى فى مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية هى فى حماية مكتسبات العمال والشعب من اعداء الشعب انصار الثورة المضادة . كذلك التعاون مع الادارة واللجنة الاساسية للاتحاد الاشتراكى من أجل تطوير وتنمية العمل البناء والخلاق للانتاج ورفع المستوى التصنيعى .

ومن الادوار الهامة المطلوبة من الحركة النقابية هو الاشتراك الفعال فى جميع الاعمال المتعلقة بالتشريعات العمالية وبخطة الانتاج وتطوير علاقات الانتاج بين العمال والادارة ، بحيث يصبح التنظيم النقابى فى مستوى المسئولية فى هذه المرحلة التاريخية . بجانب تطوير الخدمات الاجتماعية والثقافية لحياة العمال .

■ السؤال الرابع ■

ان الضمانات الاساسية لتوفير الديمقراطية لاقامة التنظيم النقابى السليم هى :

● اتاحة الفرصة لكل عامل مشترك فى النقابة من العناصر الواعية أن تتقدم بالترشيح بصرف النظر عن عضويتها فى الاتحاد الاشتراكى .

الطبيعية التي تتحرك فيها :
ونضرب مثالا بالقرار الجمهوري ٣٣٠٩ لسنة ٦٦ ونتناول منه المادة ٥٩ بفقراتها الثماني . .
حيث منحت رؤساء مجالس الادارات سلطات اصدار القرار الاخير والنهائي وذلك من الفئة الثانية عشرة الى الفئة السابعة وهي تمثل حوالي ٨٥٪ من عدد العاملين المشتركين في النقابة .
وهذا الحق المطلق للتصرف بالنسبة لهذه الفئة يجعل النقابة مكفوفة الايدي بالنسبة لـ ٨٥٪ من قاعدتها . وقد اعطت هذه المادة حق التظلم بالنسبة للفئة السادسة وما يعلوها امام المحاكم التأديبية ، وذلك حتى الفئة الرابعة ، وهذه الفئة تمثل ١٠٪ من العاملين أصحاب الوظائف الاشرافية الكبرى ولا تقع عليهم جزاءات تأديبية الا بواقع ١ ٪ منهم . وغالبا يلجا الى المحكمة التاديبية مباشرة دون التنظيم النقابي . أما الـ ٥ في المائة الباقية فهم من الفئة الثالثة وما يعلوها فيكون الجزاء التاديبي معتمد من الوزير المختص حيث لادخل للنقابة فيه . فاذا كانت النقابة تشترك في وضع وتطوير وتغيير القرارات والقوانين يمكن ان يكون هذا في الحسبان وكسب ديمقراطية القوانين لصالح الطبقة التي تمثلها وهنا يكون دور النقابة .

■ السؤال الثالث ■

في كل المحافظات تشترط وزارة العمل لاختيار المرشح للحركة النقابية معرفة القراءة والكتابة فقط وهذا لا يكفي لتطوير الحركة النقابية بل يجب ان يضاف اليه اختبار المرشح في كافة القوانين واللوائح التي سيتعامل بها على كافة المستويات لكي نضمن جيلا واعيا يحمل المقدرة على اشراكه في العمل وعلى عدم ضياع حقوق القاعدة من ناحية ، ونضمن ايضا اشراكه في لجان المناقشة والاشتراك في التصنيع . ونضمن بذلك عدم اخذ الاصوات بالفهلوة ونضمن كذلك استقلالية وذاتية الحركة النقابية .

■ السؤال الرابع ■

تقوم بعض النقابات العامة ومراكز الثقافة العمالية بتقديم دراسات نقابية يحشر فيها بعض الدراسات الاخرى التي لا علاقة لها بالحركة النقابية ، ويخيل الى انه لابد لملء فراغ الدارس الغاء هذه المهاترات ، ونرى اذا كان هناك مرشحون وناخبون تلقوا محاضرات وتوعية سليمة مدروسة عن طريق اللجان التنفيذية للاتحادات العامة والنقابات العامة بعد تدعيم اتصالاتها بلجانها النقابية ان يكون هناك وعي لتحديد خط سير المعركة الانتخابية ونزاهتها .

واعتقد ان كل هذه الاسئلة يمكن ان تلخص في سؤال واحد هو :

ماقيمة التنظيم النقابي مالم يشترك في مناقشة وتشريع وتطوير القوانين الملتزم بها التنظيم تطبيقيا في مجال العمل؟ وهذا يتوقف على العمل الدائب من ناحية التشكيل حيث ان الحق يؤخذ ولا يعطى .

■ ■ ■

٤

الاسم : ابراهيم البدراوي يونس البدراوي
السن : ٢٨ سنة .
مكان العمل : بنك بور سعيد فرع محمد فريد بالقاهرة .
نوع العمل : مصرفي ب
عضوية النقابة ومستواها : عضو بنقابة بنك بور سعيد .
مدة العضوية : ٩ سنوات .
الاجر الشهري : ٢١٫٢٣٠ جنيه .

■ السؤال الاول ■

ان المناقشات التي تدور حول جدوى وجود ودور النقابات في المرحلة الحالية تنبع من ظروف موضوعية يجب ازالة مسبباتها اذا ما أردنا للحركة النقابية ان تأخذ دورها القيادي في حركة جماهير العمال ..

● ان القيادات النقابية الملوية لا تعي اختلاف دورها في مرحلة التحول الاشتراكي عن دورها في عهود السيطرة الرأسمالية ، وهذا يضع الحركة العمالية كلها فريسة في يد العناصر المتسلقة التي لا تملك شيئا من أساسيات العمل غير الفهلوة والاجتهاد الشخصي .

● أن التثقيف العمالي لا يقدم للطبقة العاملة ما تحتاجه من ثقافة اشتراكية ، بل لقد هان الامر لدرجة أن بعض المجلات التي تصدر للطبقة العاملة تتخذ لنفسها خطا يمينيا واضحا ، بل تاخذ على عاتقها معارضة كل فكر تقدمي .

● أن هذه الظروف قد جعلت جماهير العمال تحس أن مصيرها أصبح في أيدي لجان شئون العاملين وأن النقابات لم تعد سوى واجهات شكلية لا جدوى منها ■

وعلاجا لهذا فانه ينبغي تنمية الوعي الطبقي لدى جماهير العمال عن طريق صحافة عمالية تقدمية ، وحركة دائبة والتحام مستمر بجماهير العمال ، ولا شك ان ذلك سيكشف القيادات المنعزلة . كذلك فانه ينبغي توضيح دور الحركة النقابية بشكل قاطع ، بحيث يمكن قطع خط الرجعة على الفهلوه والاجتهاد الشخصي ، وعقد الصفقات مع الادارات على حساب العمال .

بمعنى أنه يجب العمل على وضع قيادة الحركة العمالية بين أيدي مناضلين ينتمون الى الطبقة الكادحة ويعانون معاناتها ، حتى تكون للحركة النقابية مبررات وجودها ، فان الحركة النقابية يفترض فيها - علاوة على كونها الحارسة لمكاسب العمال - أن تكون صوتهم لمزيد من المكاسب ، والذين يظنون أن دور النقابات قد انتهى بحصول العمال على المكاسب التي كفلها الميثاق يقعون في خطا فادح ، فلا زالت هناك عناصر تحاول سلب هذه المكاسب وتخريب التطبيق الاشتراكي ، والثورة لم تدخل كل المواقع بقوة الاندفاع المطلوبة .. ذلك علاوة على أن الحركة النقابية من مهامها الاساسية في المجتمع الاشتراكي التثقيف ورفع الكفاية الانتاجية .

■ السؤال الثاني ■

ان تحديد الموقف من مسالة الاستقلالية الذاتية للحركة النقابية ينبع أساسا من درجة نضوج قيادات الحركة .. وطبيعة القوى الاجتماعية المسيطرة عليها ، على أنني استبعد مقدما استمرار سيطرة نفس القوي الحالية على قيادة الحركة النقابية وهي التي أوضحت انها تنتمي بحكم وضعيتها الاجتماعية لقوى اجتماعية أبعد ما تكون عن الكادحين .. وانطلاقا من هذا الاساس ، وعلى اعتبار امكان نهوض حركة نقابية بقيادات نضالية حقيقية فلا محل لاستقلال الحركة النقابية عن التنظيم السياسي ، بل ستكون هذه القيادات برغم احتواء التنظيم السياسي لها ، ستكون محركا له دافعا لحيويته متفاعلا معه .

اما عن علاقة التنظيم النقابي بوزارة العمل .. فالمفروض ان الوزارة بما تملك من امكانيات وخبرة يجب أن تكرس جهودها لخدمة التنظيم النقابي

■ السؤال الثالث ■

لتحقيق ديمقراطية الحركة النقابية علاوة على استقلالها ، أرى تحقيق الاتي :

● محو أمية الطبقة العاملة باسلوب ثوري وبامكانياتها الذاتية مأامكن على أن يصحب ذلك عملية محو أمية سياسية ، وذلك سوف يكشف قيادات حجبها ضباب الامية .

● اعداد كادر من العمال الكادحين نظريا وتنظيميا يصلح لتولي قيادة العمل النقابي .

● وضع خط استراتيجي عام للحركة النقابية ودورها في تحقيق الاشتراكية والحفاظ عليها .

● ضمان نسبة لا تقل عن ٧٥٪ من المقاعد للعمال اليدويين في التشكيلات العلوية للحركة .

● ضمان تثقيف اشتراكي حقيقي وتنمية الوعي الطبقي .

● اجراء انتخابات بعد عملية نقد وتعرية لكل العناصر التي قادت الحركة على مختلف المستويات لكشف المنحرفين فيها .

● عقد مؤتمرات كل ٣ شهور على مستوى أعضاء النقابة لمحاسبة مجلس ادارة النقابة . واعطاء العمال الحق في سحب الثقة من أحد أو كل أعضاء مجلس الادارة وانتخاب غيره واتباع هذه الطريقة بالنسبة لكل المستويات .

● ان مشاركة الطبقة العاملة في قيادة العمل الوطني والسياسي في مختلف مجالاته أمر مطلوب ، ولكن الطبقة العاملة ليست هي وحدها القيادات النقابية ، لذلك ينبغي ألا يتولى الشخص الواحد موقعا قياديا بالحركة النقابية والتنظيم السياسي ومجلس الامة مثلا في وقت واحد ، بل يقتصر الشخص على شغل موقع قيادي واحد بواحدة من هذه المؤسسات .

● ضمانا للتطور وتجدد الدم يجب تحديد فترة زمنية معينة لشغل المواقع القيادية والعلوية بوجه خاص في الحركة النقابية .

● اشتراط فهم جميع القيادات وايمانها بالميثاق وبالاشتراكية العلمية فكريا وسلوكيا ، والالتزام بالخط الاشتراكي لقفل المجال أمام العناصر اليمينية من السيطرة على الحركة .

■ السؤال الرابع ■

لتحقيق الانتخابات والهدف منها ارى اتباع الاتي :

● حل جميع التنظيمات النقابية بمختلف مستوياتها ، وتشكيل لجنة من عناصر نضالية للاشراف على الانتخابات يراعي في تشكيلها معايير موضوعية تقوم في الاساس على الخط الفكري ومدى الالتزام وفهم الاشتراكية العلمية ، والتاريخ النضالي لكل عضو فيها .

● ان تتم عملية نقد منظمة لكل قيادات الحركة العمالية على مختلف مستوياتها يتم فيها

تعريتها وكشفها ومواجهتها بأوجه قصورها وفشلها ، على أن يكون النقد موضوعيا لا شخصيا ٠

● ان تتم محاسبة من يثبت انحرافه من خلال عملية النقد الموضوعي عن طريق اللجنة وأن يبعد عن العمل النقابي ٠

● أن تعطى عملية الانتخابات اطول فترة ممكنة ليمكن بناء التنظيم على أساس سليم ، وحتى لا يستغل محترفي الانتخابات قصر الفترة للتسلل عن طريق عقد الصفقات الانتخابية ، فان طول المدة سيمكن من كشف التحركات المريبة ٠

■ ■ ■

الاسم : عطية سويلم السيد
السن : ٣٨
مكان العمل : شركة اتوبيس شرق الدلتا فرع الزقازيق ٠
نوع العمل : مفتش اتوبيس ٠
عضوية النقابة ومستواها : عضو بنقابة النقل البرى ٠
مدة العضوية : ١٥ سنة ٠
الاجر الشهري : ١٢ جنيها ٠

■ السؤال الاول ■

لا خلاف ابدا على أن النقابات العمالية فى مصر كانت فى أيام الاقطاع والرأسمالية هى أداة العمال المصريين فى الصراع الطبقي ضد المستعمرين والمستغلين ٠ ويشهد التاريخ الوطني على مواقف العمال المصريين ضد الانجليز والرجعية المحلية وخاصة فى ثورة ١٩١٩ ٠ وفى هبة ١٩٢١ ضد الطاغية اسماعيل صدقى ، وفى أيام ١٩٤٦ أيام لجنة العمال والطلبة التى قادت كفاح الشعب المصرى فى هذه الايام ٠

وفى خلال فترة التحول الاشتراكي فان مجتمعنا المصرى مازال مليئا بالتناقضات التى تولد الصراع الطبقي ٠ وهذا يفرض أهمية اعتبار النقابات أداة للصراع الطبقي لكى توجه هذا الصراع الطبقي وتقوده بالمشاركة مع السلطة الثورية بقيادة المناضل جمال عبد الناصر لخدمة التحول الاشتراكي ٠ كما أن مرحلة التحديد الحالية تستوجب صراعا طبقيا عاليا ومستمرا ضد العدو الاستعمارى والصهيوني ،ومن هنا تبدو أهمية النقابات التى هى أداة العمال فى هذا الصراع الطبقي ٠

وفى الشركة التى أعمل بها يوجد العديد من التناقضات التى تحتاج الى النقابة لشن صراع ضد مسببى هذه التناقضات من الادمغة والعقليات الرأسمالية التى نمت وترعرعت فى الحياة الرأسمالية أيام الشركات الرأسمالية القديمة ٠ وهذا شاهد قوى على أن النقابات يجب أن تكون أداتنا فى الصراع الطبقي لحل مشاكلنا وتحقيق مطالبنا وتحطيم الشلل ومراكز القوى التى تعوق الانتاج ، وتسىء الى التحول الاشتراكي٠

■ السؤال الثانى ■

ان استقلالية النقابات مهمة وضرورية فى هذه المرحلة بالذات ، وهذا يستوجب ان لا تقيد حالة دخول انتخابات النقابات بشرط عضوية الاتحاد الاشتراكي ، وذلك لان عضوية الاتحاد الاشتراكي اختيارية ومن هنا يجب الا تكون شرطا في الوصول الى المراكز القيادية فى الحركة النقابية ٠

أما حق مباشرة الرقابة على نشاط وأعمال النقابة فيجب أن تمتلكها الجماهير والتنظيم السياسى الممثل فى الاتحاد الاشتراكي ٠

■ السؤال الثالث ■

أرى أن أفضل شيء يمكن للديمقراطية فى كل النقابات هو سيادة مبدأ الاختيار بالنسبة لعضوية اللجان النقابية بالنقابة العامة ، وبالنسبة لعضوية النقابات بالاتحاد العام ٠ ان هذا الاختيار سوف ينشط الديمقراطية ويجعل القيادات النقابية ترتبط بقواعدها ولا تهجرها أبدا ، لان أجبارية اشتراك اللجان النقابية بالنقابات العامة والنقابات العامة بالاتحاد العام بسبب فقدان ثورية العناصر النقابية الشريفة تحت روتين الاتحاد العام والنقابات العامة ، بحيث يتكاسلون ويهملون معتمدين على ارتباطهم اجباريا وقانونيا باللجان النقابية وبالتالى فان العمال من أمثالي يفوضون أمرهم الى الله فى دفع الاشتراك الذى يدفع كأتاوة أو صرفه اجباريا دون القيام بتبنى مشاكل العمال

■ السؤال الرابع ■

والضمانات التى أطالب بتوافرها هى ، ابعاد وعزل

المديرين عن عضوية النقابات العمالية ، وكذلك حملة المؤهلات العاليةولو كانوا قد بدأوا حياتهم عمالا . وكذلك رؤساء العمل الذين يملكون سلطات ادارية ،

كما يجب أن يعطى الحق للجمعيات العمومية للعمال فى ابعاد كبار الموظفين والمنحرفين الذين اساءوا لسمعة الحركة النقابية .

واحسن ضمان لاجراء الانتخابات ؛ هو ان تتم بعيدا عن مكان العمل وان يكون للعمال المرشحين ممثلين عنهم فى داخل لجان الانتخاب ■

■ ■ ■

الاسم : محروس احمد شحاته
السن : ٥٠ سنة .
مكان العمل : شركة مصر للبترول .
نوع العمل : رئيس تشحيم .
عضوية النقابة ومستواها : عضــو
مدة العضوية : ١٥ سنة .
الاجر الشهرى : ٢١ جنيها .

■ السؤال الاول ■

يتركز دور النقابات فى مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية فى تعبئة الجماهير فى النضال من أجل تنفيذ وتجاوز الاهداف المحددة للانتاج ، ومن أجل التقدم الفنى بانشاء مراكز تدريب بأحدث الوسائل متنوعة وتحت اشرافها ، ومن أجل انماء انتاجية العمل بلا انقطاع ، ومن أجل التوفير فى جميع فروع الانتاج لاستخدام هذا العائد فى مشروعات أخرى جديدة .

وعلى قدم المساواة مع قادة الاقتصاد ، تهتم النقابات بتطوير الاقتصاد الوطنى بشكل مستمر بتحسين نشاط كل شركة وأهدافها الانتاجية .

والواجب على التنظيم النقابى أن يتخذ من تلقاء نفسه المبادرة فى كل ما يجابه المجتمع من قضايا ومشاكل . لان الميثاق يقول «ان نقابات عمال الصناعة والتجارة والخدمات قد توصلت بقوانين يوليو العظيمة الى **مركز طليعى** فى قيادة النضال الوطنى » .

وهذا لا يعنى أن التنظيمات النقابية قد تخلت عن مهماتها الاساسية فى حماية حقوق العمال ومصالحهم من الاساليب البيروقراطية الموجودة فى الجهاز الادارى ، بمعنى حماية مصالح العمال المادية والروحية وتحسين وتنظيم الخدمة الطبية بالطرق والوسائل التى لا يبلغها هذا الجهاز .

ان منح اللجان النقابية فى المصانع والشركات حق حل نزاعات العمل لم يلغ من صلاحية المحاكم ، ولكنه يخفض بصورة ملحوظة عدد نزاعات العمل التى تنظرها المحاكم بحيث أن أغلبها لقى حلا نهائيا .

انه يجب بصورة الزامية وجود « نص قانونى » يسمح للتنظيم النقابى أن يبحث البرامج الانتاجية والعمل والاجور وكل القضايا المتعلقة بمصالح المنتجين مع الوزارات واللجان المتخصصة .

كما أنه من الضرورى أن يتم اجتماع العاملين فى كل شركة ومؤسسة على حدة لبحث البرنامج الانتاجى دوريا كل اربعة شهور أو ستة شهور حتى يعرف كل عامل دوره فى البرنامج

الانتاجى ، ليس هذا فحسب بل أن اشتراك الرأى العام فى بحث البرامج الانتاجية يتيح حسبان افضل للامكانيات والاحتياطات الانتاجية فى كل وحدة عمل . والاجتماعات الانتاجية هذه تبحث القضايا التى لها علاقة بدراسة وتنفيذ البرامج الانتاجية وعمل مباريات انتاجية ونشر تجربة مجددى الانتاج ، ودراسة التدابير الرامية الى مكافحة سوء الصنعة ، والوقت الميت والعمل غير المنظم وذلك بحس وروح جماعية ، مع تحديد مدة لتنفيذ التدابير المذكورة وتعيين الاشخاص المسئولين عنها .

ان ميزة اشتراك النقابات واللجان النقابية والعاملين فى كل وحدة انتاجية فى كل قرارات الوزارات والمؤسسات والشركات يساعد على حل كثير من القضايا ويسهل تطبيق هذه القرارات بنجاح .

أن وظائف النقابات وحقوقها واسعة ومتنوعة فى مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية .

كما يجب أن تتخذ الاجراءات الحاسمة ضد المماطلات المكتبية . ان الخلافات التى قد تنشأ بين ادارة المؤسسات واللجان النقابية حول قضايا شروط العمل ، انما تفضها الهيئات النقابية والاقتصادية العليا .

وكذلك يجب على التنظيم النقابى أن ينسق برامج وقنوات مؤسسات التوعية والتثقيف لتعميق المفاهيم السياسية حول الاحداث الجارية كما يسعى الى اجتذاب النساء على نطاق واسع

الى الحياة السياسية والانتاجية والاجتماعية .

وكذلك انماء الخبرات الفنية ومواجهة حاجة البلاد الصناعية من الايدى العاملة الفنية جنبا الى جنب ، لان الخبرة الفنية العالية والمتطورة تساعد الاشتراكية فى منافستها للرأسمالية .

كما لابد من تحريم فصل العامل دون موافقة اللجان النقابية تحريما قاطعا ، ضمانة قانونية لحماية حقوق العمال ، وحتى اذا اعتبر العامل المفصول أن موافقة اللجنة النقابية على فصله غير قانونية يصبح له الحق فى عرض قضيته على القضاء خلال شهر من تبليغه قرار الفصل .

وكما يجب على النقابات أن تشترك فى اجراء وبحث قضايا معاشات التقاعد .

■ السؤال الثانى ■

الحركة النقابية هى اقوى تنظيم يساعد الدولة فى أهدافها السياسية . وقد قال الرئيس المناضل جمال عبد الناصر فى مشكلة الباخرة كليوباترة « ان العمال استطاعوا أن يعملوا ما لم يعمله الساسة » . وسنضطر الى ضرب أمثلة بسيطة جدا عندما يكون أهل قرية من القرى جمعية خيرية لابناء بلدهم المقيمين مثلا فى القاهرة . هذه الجمعية تحل مشاكل هؤلاء الجماعة .. مثال آخر لجنة من اللجان النقابية كونت صندوق زمالة للصرف منه فى حالات الطوارىء .

ألا يخفف كل هذا من الاعباء على الدولة ؟ .

من هنا يأتى اهمية وارتباط الحركة النقابية بدورها السياسى فى المجتمع . ووزارة العمل يجب أن تقتصر على كونها جهاز مساعد للتنظيم النقابى .

أما علاقة الحركة النقابية بادارة الامن ، فيجب الا يكون هناك أدنى رقابة من الدولة على النقابات .

■ السؤال الثالث ■

ان جميع أعضاء اللجان النقابية ينظر اليهم كقادة ، فيجب أن يؤدوا واجباتهم النقابية دون الانقطاع عن العمل الانتاجى . ولا يمكن نقلهم الى عمل آخر . كما لا يمكن انزال عقوبات تأديبية بهم دون موافقة اللجنة النقابية .

أما التفرغ النقابى فيجب الا يتم الا باختيار النقابات العامة . والمتفرغ بصفة عامة يعود الى عمله اذا استغل هذا التفرغ لمنفعة شخصية .. مثلا استغلال آخرين أعنى يدير مشروعات تجارية (تاكسى) ورشة مقاولات . انتساب لكلية ..

وعلى النقابات أن تسأل دائما المتفرغ النقابى عما يقوم به من أعمال وتكليفات .

■ السؤال الرابع ■

أما ضمانات سلامة الاجراءات الانتخابية فتكون لجنة عن طريق اختيار المرشحين من ٥ أعضاء لتتولى الاشراف على الانتخابات . وانعقاد الجمعية العمومية كل سنة لطرح الثقة باللجنة أو بأحد اعضائها وعرض أعمالها طول السنة .

■ ■ ■

٧

الاسم : عائشة عبد الهادى عبد الغنى
السن : ٢٥ سنة
مكان العمل : شركة تنمية الصناعات الكيماوية (سيد) .
نوع العمل : عاملة .
عضوية النقابة ومستواها : سكرتير عام مساعد النقابة العامة للكيماويات .
مدة العضوية : ٨ سنوات .
الاجر الشهرى : ١٦ جنيها .

■ السؤال الاول ■

فى اعتقادى أن الذين يطالبون بالغاء النقابات ، أو يزعمون عدم جدواها يخطئون كثيرا ، حيث انه لا بد من التفرقة بين ما يجب أن يكون وما هو واقع فعلا ، ونحاول دائما ان نضع الامور فى نصابها ونؤكد معنى اذا كانت بعض التنظيمات الجماهيرية وخصوصا التنظيم النقابى لم يقم بدور مؤثر وفعال فى الفترة السابقةفان هذا لايلغى وجوده، وانما يتطلب منا المزيد من الدراسة والتوجيه لهذا التنظيم لكى يقوم بدوره .

واذا تعرضنا بايجاز لواقع التجربة المصرية فى التنظيم النقابى على ضوء الواقع الذى نعيشه فاننا نرى الاتى :

١ ـ غياب التنظيم السياسى القوى من بداية الثورة حتى الان ، ونعكس اثره على التنظيمات النقابية والتى كان يجب على العكس أن تكون هى القوى المؤثرة والمنظمة لما تمثله من قوة فى مجتمع اشتراكى .

٢ ـ تعودت القيادات النقابية

على مبدأ الصراع والمساومات مع اصحاب الاعمال .

٣ — نالت الطبقة العاملة فى مصر كل امتيازاتها وقوانينها الاشتراكية من السلطة مباشرة ونتيجة قرارات تنفيذية وليس قيمة مطالب عمالية تقدم بها التنظيم النقابى ونوقشت ثم ووفق عليها ومن هنا يصبح للتنظيم قوة مؤثرة .

٤ — القانون الدولى للنقابات ينص على ان تكون عملية الانضمام للنقابات اختيارية ، بمعنى اختيار العامل حتى يكون هناك انتماء وولاء للتنظيم ولكن ما يحدث فى مصر ان عملية الاشتراكات فى النقابات تتم بشكل روتينى مكتبى ومن هنا صار الولاء النقابى وللطبقة غير موجود وغير ذات فاعلية .

٥ — القيم والتقاليد القديمة التى كانت تحكم التنظيم النقابى فى المجتمع الرأسمالى ما زالت هى المسيطرة فى بعض الاوقات مثل الاوضاع السياسية فى البلد وضرورة مناقشتها وابداء وجهة نظر واضحة فى هذا الشان .

٦ — التعريف السابق للعامل ادى الى وجود نسبة العمال فى مجلس الامة من افراد لا يمتون بصلة للحركة العمالية سواء نضاليا أو طبقيا ، وقد ادى هذا الى عدم التعاون الذى يجب ان يكون بين التنظيم النيابى والتنظيم النقابى ، من ناحية اصدار القوانين والتشريعات العمالية والتى ابتعدت فى معظم الاحيان عن الفكر العمالى الاشتراكى .

الدور السياسى

١ — ان تكون هى القوة الدافعة لاكمال مرحلة التحول والوصول بها الى تحقيق نتائجها المرجوة وذلك عن طريق :

ا — تعبئة القوى العاملة وراء النظام الاشتراكى وارساء مفاهيمه ومعانيه العقائدية لديهم وتعميق هذا المفهوم لديهم .

ب — اعداد وتعبئة القوى العاملة لحماية النظام من اية انحرافات من السلطة أو من اى مركز قوى يظهر .

ج — سرعة التخلص من رواسب المجتمع القديم (القيم الرأسمالية)

د — المشاركة الايجابية والمساهمة الفعالة فى مناقشة وتنفيذ خطة التنمية .

هـ — وضوح الفكر العمالى الاشتراكى فى اصدار القوانين والتشريعات العمالية والاعداد الدائم لنشر هذه القوانين والتشريعات على كل مستويات التنظيم النقابى لدراسة وابداء الرأى فيه حتى يكون هناك فكر موحد لجميع اعضاء التنظيم وايضا يكون هناك التزام بشرح هذا القانون والدفاع عنه .

و — الاعداد الجدى لكوادر عمالية نضالية لها القدرة والاستعداد لبذل مزيد من التضحية والجهد حتى يكتمل المجتمع الجديد وذلك فى جميع الميادين [اقتصادية — اجتماعية — عسكرية] .

ز — المطالبة بمشاركة التنظيمات النقابية فى شكل اتحاداتها المحلية فى الحكم المحلى حتى يتحقق الربط الفعلى والتعاون بين التنظيمات الشعبية والاجهزة التنفيذية .

الدور الاجتماعى

١ — الموازنة بين مستوى الدخل للفرد ومستوى الخدمات المقدمة اليه من الدولة بمعنى اعادة توزيع الدخل القومى بما يضمن عدالة التوزيع .

٢ — شغل أوقات الفراغ للعمال عن طريق النوادى الاجتماعية والرياضية والعمل على اعداد فرق رياضية وفنية باسم العمال .

٣ — المشروعات التعاونية والاستهلاكية فى التجمعات العمالية الكبيرة .

٤ — اعداد المسابقات والرحلات الطويلة والقصيرة للعمال وعائلاتهم ليضمن التقارب والالتقاء بين أفراد التنظيم النقابى

الدور التكتيكى (الفنى)

رفع الوعى الفنى وتنمية الخبرات الفنية بين حقوق العمال وبذلك يتحقق :

ا — سرعة التحول الاشتراكى المبنى على اساس تقدم علمى فى الصناعة الامر الذى يتطلب تطوير القوى البشرية تتلاءم هذا التطور .

ب — رفع مستوى دخل العامل اجتماعيا وماديا عن طريق تطويره وتحويله من عامل عادى الى عامل فنى ماهر .

■ السؤال الثانى ■

بالنسبة للاستقلالية الذاتية للحركة النقابية فانى أرى المشكلة على الوجه التالى :

١ — الاستقلال الفكرى

وهو ما يجب ان لا تفكر فيه الحركة النقابية باعتبار أن ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس قد أوضحا الخط الفكرى للدولة وبذلك اصبح الاستقلال الفكرى غير ذى موضوع وليس معروضا للمناقشة .

٢ — الاستقلال التنظيمى

وهو مايجب ان نفكر فيه على

اساس ان التنظيم النقابى تنظيم يمثل طبقة فى المجتمع يجب ان يكون هيكلـه التنظيمى ومسئولياته واضحة ومستقلة على ضوء الخط السياسى العام للدولة وفى تصورى بالنسبة للاستقلالية الذاتية للحركة النقابية تكون على الاساس التالى :

١ ـ الحرية المطلقة فى اجراء الانتخابات النقابية فى موعدها الثابت والمحدد ، والذى تنص عليه اللوائح الاساسية للاتحاد العام للعمال والنقابات العامة.

٢ ـ الاشراف الكامل من جانب التنظيم النقابى على عمليات الانتخابات •

٣ ـ الرقابة الكاملة والاشراف على التفتيش المالى والادارى على النقابات وذلك يتطلب الاتى :

١ ـ اعداد الاجهزة الفنية المتخصصة فى الاتحاد العام للعمال لتولى مهام الاشراف والمتابعة على أن تكون هذه الاجهزة غير خاضعة لعمليات الانتخابات وان تسرى عليها القوانين والتشريعات لعادية كعاملين فى الاتحاد العام للعمال •

٤ ـ اعداد الاجهزة الفنية لتولى مسئوليات الثقافة العمالية باعتبار أن هذا العمل جزء لا يتجزأ من الحركة العمالية •

وباختصار فانه يجب ان ينقل الى الاتحاد العام للعمال تدريجيا اختصاصات وزارة العمل ، وان لا تكون هناك أية وصاية على الحركة النقابية من أى جهة حكومية وفى تصورى أن الدولة ليس لديها مانع من هذا طالما هناك القرارات والامكانيات القوية لتولى الاتحاد العام للعمال هذه المهام ،فالغرض ليس هو نقل سلطات على الورق وانما العبرة بالقدرة على التنفيذ •

■ السؤال الثالث ■

اعتقد ان التنظيم النقابى باعتباره تنظيما قائما على اساس ديمقراطى مباشر اى عن طريق الانتخاب الحر المباشر لا يجب ان يكون هناك حجر على أى عامل من الانضمام لهذا التنظيم الا فى الحالات المتعارف عليها •

علاوة على ذلك فانى اقترح بعض المسائل التنظيمية التى يجب ان يتبادلها التنظيم مثل :

عدم اتاحة الفرصة للعناصر التى تلفظها القاعدة نتيجة انتخابات اللجان النقابية للترشيح فى المستويات الاعلى (مثل النقابات العامة، الاتحادات المحلية ، الاتحاد العام)

اما بالنسبة للضمانات الديمقراطية والتنظيمية لكفالة تحقيق الانتخابات فانى ارى الاتى :

ـ عدم التدخل من جانب اى جهاز فى الاعتراض على اى مرشح للتنظيم النقابى الا فى الحالات المعروفة (الجرائم والسرقة) وتترك للقواعد العمالية حرية الاختيار بعد ذلك •

■ ■ ■

٢٧
الاسم : محمد معروف على
السن : ٣٥ سنة .
مكان العمل : الشركة المالية والصناعية بكفر الزيات .
نوع العمل : كاتب .
عضوية النقابة ومستواها : عضو مجلس ادارة اللجنة النقابية بالشركة المالية وعضو المجلس التنفيذى للنقابة العامة لعمال الصناعات الكيماوية .
مدة العضوية : ١٦ سنة .
الاجر الشهرى : ١٢٫٩٩٠ جنيه .

■ السؤال الاول ■

فى رأيى أن دور النقابات فى مرحلة التحول التى نمر بها لم يكن واضحا الوضوح الكافى برغم ما جاء بالميثاق وبرغم ما جاء ببيان ٣٠ مارس ، ولقد ارتفعت اصوات تطالب بعدم وجوده متذرعة بأن مهمة التنظيم النقابى قد انتهت نظرا لان الحقوق العمالية قد كفلتها القوانين ، ونسى هؤلاء أن مهمة التنظيم النقابى فى المجتمع الاشتراكى اكبر بكثير عنها فى المجتمع الرأسمالى ، فهو مسئول عن المشاركة فى زيادة الانتاج والمحافظة على مكاسب العمال •

ولكن بكل أسف تحاول قيادات الانتاج ضرب التنظيم النقابى وتحطيمه حتى لا تجد من يتصدى لأى انحراف ويكشفه ، ولذلك ففى رأيى ان

الجمود الذى أصاب التنظيم النقابى يرجع الى العوامل الاتية :

● عدم تجاوب ادارات القطاع العام فى حل مشاكل العمال مما يجعل مهمة التنظيم النقابى صعبة ويصرف عنه جماهير العمال .

● عدم تمكين التنظيم النقابى من المساهمة الفعالة فى عملية الانتاج واعتبار الادارة أن أى تدخل من جهة التنظيم تدخلا فى شئونها .

● عدم اشراك التنظيم النقابى فى عملية التخطيط .

● اعطاء رؤساء مجالس الادارات سلطات واسعة فى الفصل والوقف مما جعلهم يسيئون استخدامها .

● تدخل الجهات الادارية فى اعمال التنظيم النقابى مما يجعله تحت وصاية ادارية تحد من انطلاقه .

● تسلل العناصر المحترفة الذى لا تؤمن الا بمصالحها الشخصية واعتبارها التنظيم النقابى سلما للوصول الى اغراضها معتمدة على اتقان الكلام والاساليب الناعمة والخادعة . وقد ساعدهم على ذلك عدم وجود وعى نقابى كاف هم سبب فى وجوده ومحاولتهم تحطيم العناصر الشابة المؤمنة حتى لا يخرج من بينها قيادات تحل محلهم وتكشف اعمالهم .

الاسئلة الاخرى

وفى تصورى أنه اذا بحثت هذه العوامل وتلاشت فأن ذلك سيمكن التنظيم النقابى من ممارسة دوره بايجابية . واعتقد أن فى هذا اجابة كافية على بقية الاسئلة الاخرى .

■■■

٩

الاسم : خليل على الشاعر
السن : ٤١ سنة .
مكان العمل : شركة اتوبيس وسط الدلتا ــ فرع شبين الكوم .
نوع العمل : مفتش .
عضوية النقابة ومستواها : عضو بنقابة النقل البرى .
مدة العضوية : ٢١ عاما .
الاجر الشهرى : ١٣ جنيها .

■ **السؤال الاول** ■

أيام ما كانت مهمة الحركة النقابية واضحة أمام عيوننا باعتبارها سلاحنا فى الصراع الطبقى ضد الرأسمالية كانت تقوم بدورها وفى هذه الايام أيام تحول الاشتراكى لم يفهم كثير من العمال وعلى رأسهم قادتهم النقابيين اصحاب الكروش الواسعة دور النقابة فى الصراع الطبقى الذى هو سنة من سنن الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولهذا يعترف الميثاق الوطنى بالصراع الطبقى وأهميته .

■ **السؤال الثانى** ■

كنا أيام زمان نرفض وجود أى علاقة بين نقاباتنا وحزب عباس حليم رغم الحاج عباس حليم على وعلى زملائى ، وأغرائه لنا بوجود علاقة تربطنا بحزبه الذى كان يسميه حزب العمال . ورفضنا أيضا أى علاقة تربطنا بحزب الوفد أو الحزب الاشتراكى الذى كان يراسه أحمد حسين لان هذه الاحزاب بتاعة الرأسمالية وليست هى أحزاب اشتراكية وبتاعة العمال بحق وحقيق . أما علاقة النقابات بالاتحاد الاشتراكى فنرحب بها، وأن كانت هذه العلاقة محيرة وغير مفهومة لان النقابة تنظيم بتاع العمال مائة فى المائة ٪ والاتحاد الاشتراكى تواجدتفيه ناس بعيدين عن العمال وبعضهم ضد العمال .

■ **السؤال الثالث** ■

هل نعود الى الماضى ، مع ان الماضى والله أعلم ، كلمة سخيفة لاننا جميعا ننظر الى المستقبل، ولكن الماضى الذى أتكلم عنه هو الذى سوف يبعث الديمقراطية فى النقابات بحيث يرى ان النقابيين الكبار لا يمكنهم أن يعيشوا الا اذا ارتبطوا بالعمال فى مواقع عملهم ، سواء كانت هذه المواقع فى برارى الدلتا أو

فى اقصى الضعيف • وهذا الماضى هو ضرورة اعطاء الرجال النقابيين حرية الاختيار فى الاشتراك بالنقابة العامة ، او الانفصال عنها • وربما يقول البعض ان هذا عمل ضار بوحدة العمال. والحقيقة أن الوحدة الموجودة حاليا هى وحدة أسماء موجودة فى دفاتر النقابات لا يعرف بعضهما بعضا ، فانا وزملائى الجالسون حولى لا يعرفون أسماء اعضاء النقابة العامة الخاصة بنا . وهذا برهان ساطع على عدم وجود اى وحدة بيننا نحن عمال النقل. اما الاشتراك الاختيارى فانه سوف يكون دافعا على بعث نشاط اعضاء النقابات العامة لكسب جماهير اللجان النقابية وهذا عين الديمقراطية السليمة.

■ السؤال الرابع ■

يبدو لى ان اهم ضمان لوجود الديمقراطية فى النقابات هو عدم السماح لعضوية النقابة للمديرين واصحاب المؤهلات العالية ، وان تجرى الانتخابات كلما رأت الجمعية العمومية ذلك •

■■■

٢٠

الاسم : سلام سعد داو د الشهير بحبشى
السن : ٣٩ سنة .
مكان العمل : ميكانيكى بشركة مصر للزيوت ببلقاس .
عضويةالنقابة ومستواها : عضو اللجنة النقابية بشركة مصر للزيوت بميت غمر.
مدة العضوية : ١٢ سنة .
الاجر الشهرى : ١٥ جنيها .

■ السؤال الاول ■

اننى أرى أن وظيفة النقابة فى هذه المرحلة ، اى مرحلة التحول الاشتراكى ، هى توجيه الصراع الطبقى • بمعنى الدفاع عن مصالح العمال والحفاظ على حقوقهم • والمشكلة الكبرى الموجودة فى نقاباتنا أن قادتها لم يعرفوا ما هى النقابة وما دورها ، وكل مايعرفونه عنها انها مجرد يافطة أو مطية يركبونها للوصول الى اغراضهم الشخصية كما حدث فى المكان الذى اعمل به .

■ السؤال الثانى ■

بالنسبة لاستقلالية النقابات ارى أن التنظيم السياسى والجماهير يجب أن توجهها لمصلحة العمال والانتاج .

■ السؤال الثالث ■

الافضل للحياة النقابية أن تدفع الاشتراكات أساسا للجنة النقابية ولاتأخذ النقابة الا حصة لا تزيد عن عشرة فى المائة من الاشتراكات •

واهم شىء لتحقيق الديمقراطية فى النقابات هو اجراء تغييرات فى النقابات .

■ السؤال الرابع ■

أولى الضمانات أن يكون كل عضو باللجنة النقابية متمتعا بحظ من الثقافة العامة واستمرار التوعية الاشتراكية وتبصير العامل بمعرفة حقوقه وواجباته •.

١١

الاسم : زكى زكى عزب
السن : ٤٦ سنة .
مكان العمل : سائق سيارة نقل بزفتى ـ غربية .
عضوية النقابة ومستواها : رئيس اللجنة النقابية لعمال النقل البرى بزفتى .
مدة عضوية النقابة : ١٨ سنة .
الاجر الشهرى : ٢٠ جنيها

■ السؤال الاول ■

صحيح أن النقابات فى أيام الرأسمالية هى اداتنا نحن العمال فى الصراع الطبقى ضد الرأسماليين . أما فى أيام التحول الاشتراكى والموجود حاليا فى بلادنا فهى فى الحقيقة الاداة التى تساعدنا فى حل مشكالنا وفى صراعنا الطبقى ضد بقايا الرأسمالية اشخاصا وعقولا وافكارا .

■ السؤال الثانى ■

الصراحة مطلوبة عند الكلام على استقلالية النقابات عن أى تنظيم سياسى فى هذه الايام بالذات ، لان الاتحاد الاشتراكى كما ارى يوجد فى قيادته مثلا فى مدينة زفتى عناصر بعيدة وغريبة عنا نحن العمال ، ولا يصح ان يقودونا ويتدخلوا فى مشاكلنا التى لا يحسوها ولا يعرفوها، وعلى هذا لازم تكون النقابات مستقلة ذاتيا عن التنظيم السياسى هذه الايام ، ولا يشرف عليها غير العمال من اعضائها.

■ السؤال الثالث ■

ان أحسن طريقة لوجود حريه وديمقراطية فى النقابات هى العودة الى النظام القديم ، بحيث تصبح اللجنة النقابية نقابة والنقابة العامة اتحاد مهنى للنقابات ، ومن حق النقابة ان تنضم الى الاتحاد أولا ، أى تكون الوحدة اختيارية . هذه الطريقة هى التى تجعل القادة الكبار فى النقابات يعملون للارتباط بالقاعدة العمالية فى النقابات وبالتالى تسود الديمقراطية فى حياتنا العمالية .

■ السؤال الرابع ■

بالنسبة للجان النقابية المهنية لا تحتاج الى ضمانات مثل اللجان النقابية فى المؤسسات والشركات التى تحتاج الى كثير من الضمانات مثل ابعاد كبار الموظفين ومراكز القوى فى هذه النقابات .

■■■

١٢

الاسم : مصطفى كمال محمد عبد المجيد
السن : ٣٠ سنة .
مكان العمل : شركة مصر للزيوت والصابون بالزقازيق .
نوع العمل : كاتب اجور وتأمينات .
عضوية النقابة ومستواها : عضو مشترك باللجنة النقابية لشركة معاصر الزيوت .
مدة العضوية : ٨ سنوات
الاجر الشهرى : ١٤ جنيها .

■ السؤال الاول ■

أرى ان النقابات فى هذه الايام التى نخوض فيها حربا ثورية ضد الاستعمار والصهيونية ونعانى المتاعب من تصرفات فلول الرأسمالية المستغلة ، هى اداة العمل فى حل مشاكل العمال ورفع كفايتهم الانتاجية والفنية والعلمية ، والمحافظة على حقوقهم المكتسبة وعمل الندوات لشرح الاعمال التى أنجزت والتى لم يتم انجازها وهذا يعنى أنها هى القائدة فى صراعنا ضد التخلف والاستقلال .

■ السؤال الثانى ■

وبالنسبة لاستقلالية النقابات فاقول يجب على عضو النقابة أن يعى السياسة ، ويكون مدربا بالمعاهد الاشتراكية على الاقل حتى يمكنه أن ينظر الى كل

مشكلة نظرة سياسية واعية ، وهذا يعنى أن يكون واعيا وفاهما مشاكل بلده من جميع الجوانب ـ ويجب ألا يشرف على النقابات غير التنظيم السياسى ، والجماهير ولا داعى أبدا لقيود وزارة العمل وأجهزة الامن المختلفة .

■ السؤال الثالث ■

اننا نطالب بوجود اللامركزية فى الحركة النقابية بحيث تتصرف اللجنة النقابية بحرية وانطلاق فى خدمة مصالح العمال والانتاج .. ولذلك يجب أن تقوم كل لجنة نقابية بوضع لائحتها الداخلية بحيث تتمشى مع مصالح أعضائها من زاوية خدمة الانتاج . واعطاء الجمعية العمومية للجنة النقابية الحق فى الاشتراك أو عدم الاشتراك فى النقابة العامة ، لاننا لسنا فى حاجة الى وحدة عمالية شكلية ، ولكننا نبغى وحدة حقيقية يحس بها أبسط العمال حتى تتواجد بذلك الديمقراطية النقابية .

■ السؤال الرابع ■

بما أن النقابات تنظيمات خاصة بالعمال الحقيقيين فيجب أن تقتصر عضويتها على العمال الفعليين دون تدخل المديرين ورؤساء الاقسام وخاصة الحاصلين على مؤهلات جامعية لبعدهم الطبقى وفى المصلحة عن العمال . وهذا ضمان مناسب . وبالنسبة للانتخابات فيجب أن يوجد ضمان هام هو وجود ممثل عن المرشحين من العمال المحايدين فى داخل اللجان التى يجب ان تكون بعيدة عن مقر العمل لمنع التدخل والتلاعب والتأثير الادارى . وكذلك يجب أن يكون رؤساء اللجان من خارج المحافظة .

■ ■ ■

١٣

الاسم : محمود عبد المطلب سيد

السن : ٣٨ سنة .

مكان العمل : شركة بوليتكس شبرا الخيمة .

نوع العمل : نساج .

عضوية النقابة ومستواها : عضو وسكرتير النقابة العامة لعمال نسيج شبرا الخيمة سابقا .

مدة العضوية : ١٥ سنة .

الاجر الشهرى : ٢٧ جنيها .

■ السؤال الاول ■

اذا كان دور النقابة فى المجتمع الرأسمالى هو تنظيم وحشد جماهير العمال للمطالبة بزيادة الاجور وشروط عمل افضل ، فان دورها فى المجتمع الاشتراكى يختلف وخاصة فى مرحلة التحول التى تمر بها بلادنا هذه الايام ، وهى من أعقد المراحل التى تصادف بلادا متخلفة ـ مثل بلادنا ـ حيث ان المواد الخام ليست متوفرة لدينا بكثرة لكى تساعدنا على اجتياز مرحلة التحول دون صعوبة . وكذلك بسبب الحصار المضروب حولنا والمؤامرات التى تدبر ضدنا والذى انتهى باعتداء اسرائيل عميلة الصهيونية العالمية علينا فى ٥ يونيو ١٩٦٧ . ولقد كان القصد من هذا الاعتداء وقف مشروعاتنا وتسهيل القضاء علينا لتصبح بلادنا العربية التقدمية، والتى اتخذت النظام الاشتراكى سبيلا للتقدم ضمن مناطق النفوذ الاستعمارية . لذلك أرى أن الدور الذى يجب أن تقوم به النقابة فى المرحلة القادمة هو حماية الملكية العامة للشعب وتطويرها لصالح المجتمع .

كما يجب وان تعمل النقابة على مناقشة الخطة العامة، وتقوم بتحديد ندوات دورية لجماهير العمال لربط العمال بالخطة ، وشرح اهميتها للمجتمع . وبذلك يشعر العمال بأن هذه الخطة جزء من حياتهم حتى تنطلق القوة الكامنة عندهم لتنفيذ الخطة فى موعدها .

وللنقابة كذلك دور هام فى رفع الكفاية الانتاجية والثقافية والمادية للعمال ، وكذلك فى فتح مراكز تدريب للعمال وهى من الوسائل المساعدة لزيادة الانتاج وتحسينه وتقليل تكاليفه ، ان تطبيق العلم فى المصانع يساعد على حسن استخدام الالات ويطيل من عمرها ،كما وان ذلك يوفر العملات الصعبة اللازمة لاستيراد آلات أو قطع غيار جديدة من الممكن انفاقها فى مشروعات أخرى . وبذلك تكون النقابات قد قامت بدور جديد يخدم مصالح المجتمع الاشتراكى ويدعمه .

كما وأنه على النقابات أن تقوم برفع المستوى الادبى والمادى للعمال حتى تتاح لهم فرص تولى اعمال احسن من التى يزاولونها ، وهى بذلك تكون قدمت لهم خدمات كبيرة . ان المجتمع الاشتراكى هو الذى يكفل لابنائه كل خير وسعادة ، وبذلك فهم يحرصون على تقديم كل ما

يملكون لحماية النظام الاشتراكى الذى يقدم لهم كل ما يرغبـون فيه ويحلمون به .

■ السؤال الثانى ■

أما عن استقلال الحـركة النقابية فانى أعتقد أن التنظيم النقابى هو جزء من التنظيـم السياسى فى المجتمع الاشتراكى واعضاء النقابة هم منتخبـون أساسا من القاعدة العمـالية ولذلك أرى أن يكون أعضاؤها ملتزمون بـالخط الاشـتراكى وتدعيمه وحمايته ، ومن ثم يجب وأن تلتحم بالتنظيم السياسى وان ذلك يحمى الطبقة العـاملة من الانحرافات الرجعية والتى تبعد النقابة عن الخط الاشتراكى.

■ السؤال الثالث ■

أما عن الشروط التى يجب توافرها لاستقلال الحركةالنقابية فارى ان يحدد خـلال الدورة النقابية مؤتمرات كل ستة اشهر او كل سنة لعرض اعمال النقابة عليها خلال تلك الفترة . ويسجل بمحضر الجمعيـة العمـومية موافقة أعضاء الجمعية علـى الحساب المالىوالادارى ، ويكون من حق ثلثى أعضاء الجمعية على الاقل الحق فى اسـقاط عضوية أى عضو يثبت ضـده أخـطاء جسـيمة تـؤدى الى انحـراف النقـابة عـن الخط الاشتراكى ، وهذا فى اعتقادى ضمان لتحقيق الديمقراطيـة فى ادارة التنظيم النقابى .

■ السؤال الرابع ■

وعن الضمانات التى يجـب توافرها لسلامة الانتخـابات ، فانى أرى عدم تـدخل ادارات الشركات فى الانتخابات . وكذلك كل من ثبت انحرافه وعدم أمانته ماديا ، على أن يكون ذلك ثابتا فى محاضر جلسات النقـابة وكذلك القرارات التى صـدرت ضده ، والتى يجب وان تعرض على أعضاء الجمعية العمومية ـ حتى لا يكون هناك تأثير على النـاخبين ولا يعـود هؤلاء المحترفون فعـودتهم تسىء أبلغ الاساءة الى النقابة . انه يجب ابعاد كل من ثبت اهماله المتعمد لقضايا العمال مقابل أى رشوة أو مقابل ترقيه الى درجة أعلى دون استحقاق .

■ ■ ■

١٤

الاسم : نور الدين حسن
السـن : ٤٣ سنة .
مكان العمل : شركة مصر للحرير الصناعى كفر الدوار .
نوع العمل : رئيس قسم .
عضوية النقابة ومستواها : عضـو باللجنة النقـابية بشركة مصر للحـرير الصناعى ــ عميد معهد الدراسات النقابيه النقابة العامة للصناعات الكيماوية .
مدة العضوية : منذ عـام ١٩٥٣ تاريخ اول نقابة عمالية بالحرير الصناعى .
الاجر الشهرى : (لم يذكر) .

■ السؤال الاول ■

أن اية مناقشة تدور حـول موضوع جدوى وجود النقابات العمالية فى المرحلة الحالية أو المستقبلة لابد وانتنبع اساسا من الارضـية التاريخـية والفكرية والنضـالية للحركة النقابية فى مصر . ودراسة الحركة النقابية فى مصرمنذ نشأتها توضح كيف استطاعت هذه الحركة ان تشق طريقها رغم الصعوبة البـالغة التى كانت تواجهها سواء من اصحاب رءوس الاموال ، أو من الحـكومة أو مـن الاحتـلال الاجنبى . ويشهد التاريخ للحركة النقابية ثباتها واستمرارها،وهو فى شهادته هذهانما يقر بنضاليه قادتها الذين لم يسجل التاريخ نفسه اسماءهم .

وفى هذا المنطلق التاريخى فان للنقابات المصرية دورها سـواء قبـل الاعتـراف القـانونى بها او بعده ، وفى ظل المجـتمع السابق قبل الثورة ، حيث كانت العلاقـات الاقطاعية الراسماليه هى المسيرة للمجتمع،وكانت حقا اداة من ادوات الصراع الطبقى الذى استخدمه العمـال فـى حركتهم تجاه المستغلين . كذلك تميزت الحركة النقـابية فى تلك الفترة بجمعها بين النضال من أجل مستوى أفضل للعمال تجاه القوى المستغلة داخليا ونضالها ضد الاستعمار ــ وكانتالحركة النقابية قائدة العمال فى حركتهم ضد الاستعمار الانجليزى ، حيث شعر العمال بأن الاستعمار هو اساس البلاء . وحيث تتجـمع قوتهم ضد الاسـتعمار أنمـا يجمعون قوتهم فى نفس الوقت ضد العناصر المتحـالفة مـع الاستعمار ، والتى كانت تسيطر على النـواحى الاقتصـادية والسـياسية فى مصر فى ذلـك الوقت .

ومنذ قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بقيادة البطل الـرئيس جمال عبد الناصر شهدت بلادنا تحولات اجتمـاعية وسيـاسية واقتصادية عميقة الاثر ، وقـد ادت هذه التحولات الى خلـق ظروف جديدة تماما ومخالفة عما كانت عليه قبل الثورة ــ هذه

الظروف الجديدة اتاحت للمصريين حياة حرة كريمة ، فقد استطاعت ثورة الشعب المصرى فى الثالث والعشرين من يوليو ان تحقق :

● القضاء على الاستعمار البريطانى فى مصر

● القضاء على الاقطاع

● القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم

وأستطاعت كذلك أن تحقق خطوات كثيرة وعميقة فى مسارها نحو عدالة اجتماعيه وديمقراطية سليمة ، وكانت قوانين يوليو ٦١ اكثر هذه الخطوات تساعا نحو هذا الهدف

ولا شك أن المسار الثورى الاشتراكى سوف يحقق باذن الله آمال الجماهير فى حياة افضل واكرم ، حيث الفرص المتكافئة، وحيث الامان الاجتماعى ، وحيث تحرر الفرد من الخوف والقلق .

كذلك استطاعت الثورة ان تواجه المؤامرات الاستعمارية فى مراحلها المختلفة سواء كان اعتداء مباشرا بجيش وطنى قوى أو غير مباشر فى صورة احلاف أو حروب أقتصادية ، ونفسية وحملات التجويع . ولقد كان أمرا طبيعيا أن يأخذ الاستعمار منا هذا الموقف محاولا اخماد ثورة الشعب وهى ثورة رائدة وهو فى صراعه معنا صراع الحياة أو الموت اتخذ ومازال يتخذ كل الوسائل لتحقيق أهدافه ــ ولقد شهد التاريخ أن النصر دائما للشعوب وتاريخنا وحاضرنا يثبت أن انتصارنا مؤكد ضد كل هذه القوى الاستعمارية لان الشعب ماض فى ثورته ويريد الحياة الحرة ويرفض المهادنة على الاستعمار وبرفضه هذا انما يؤكد عزمه الاكيد على الانتصار .

ولقد كان للنقابات فى مصر دورها الايجابى فى العمل الثورى فى كل مراحله وكان طبيعيا ان تأخذ النقابات هذا الموقف ، حيث ان ثورة ٢٣ يوليو حررت حركتها من قيود التسجيل والحل المكتبى . وكان للعمال مع باقى قوى الشعب العاملة الاثر الفعال فى مساندة الثورة وتدعيمها والالتفاف حولها ، والتمسك باهدافها التى بلورها ميثاقنا الوطنى .

ولقد حدد الميثاق الوطنى دور النقابات فى المجتمع الاشتراكى بالوضوح الاتى :

« أن النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفايه الانتاجية للعمال ، كذلك تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ، ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ونفسيا وفكريا فى اوقات الفراغ والانجازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة » .

وذلك لان «التنظيمات الشعبيه وخصوصا التنظيمات التعاونيه والنقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة ، وان هذه التنظيمات لابد وان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وان نمد الحركة التعاونية والنقابية بمعين لا ينضب للقيادات الواعية التى تمس باصابعها مباشرة اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها » .

« وان العمال لم يصبحوا سلعه فى عملية الانتاج ، وانما اصبحت قوى العمل مالكة لعملية الانتاج ذاتها ، شريكة فى ادارتها شريكة فى ارباحها تحت وفى الاجور واحسن الشروط من اسبة تحديد ساعات العمل »

كذلك نبه الميثاق بان تقييد ظروف التى كانت سائدة فى مجتمعنا قبل الثورة الى ظروف خلقت مناخا جديدا لا يعنى النار أو انهار دور النقابات انما كان واضحا حين واجه هذه المسألة حيث ذكر . أن ذلك الوضع الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية، انما هو يزيد من اهمية دورها ، وانه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرف مقابل لطرف الادارة فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طلبعية فى عملية التطوير » .

ومن هنا يتضح أن النقابات كمنظمات جماهيرية تجمع العمال ضرورية ولازمة لمجتمعنا فى هذه المرحلة وللمرحلة القادمة وحيث ان الحركة النقابية اساسا قائدة للعمال ، والذين هم أحد قوى الشعب المتحالفة فى اتحادنا الاشتراكى العربى ، تنظيمنا السياسى الذى اقمناه ليحقق الديمقراطية السليمه والاشتراكية .

ولتحديد دور النقابات فى هذه المرحلة ــ وهى مرحلة التحول الاشتراكى ــ فانه يقتضى تحديد ملامح هذه المرحلة والتى يمكن أيجازها فيما يلى :

١ ــ يتم فيها احلال القيم والمفاهيم القديمة ، ويلاحظ ان عملية الاحلال ليست عملية سهلة انما تقتضى ظروف هذه المرحلة ان يكون هناك صراع بين الجديد والقديم .

٢ ــ يتم نقل وسائل الانتاج وادواته لتكون تحت سيطرة الشعب سواء فى القطاع العام او فى مجال الملكية الخاصة بدلا من وجودها السابق تحت الملكية الفردية المستغلة .

٣ ــ يتم نقل سلطة العمل السياسى والاجتماعى والاقتصادى الى الشعب ممثلا فى قواه العاملة الخمس ، بدلا من القوى المستغلة الاقطاعية والرأسمالية ، والتى كان بيدها الامر نتيجة لملكيتها المستغلة

٤ ــ يتم تأكيد وتدعيم تحالف قوى الشعب ديمقراطيا فى تنظيمه السياسى ، الاتحاد الاشتراكى العربى ، واعلاء كلمته وتمكين طليعته من العمال والفلاحين اصحاب الاغلبية من انتكون مقصورة فعلا على العمل الوطنى فى مختلف مجالاته حسب ما جاء بالميثاق الوطنى .

٥ ــ يتم تعبئة كل الموارد والامكانيات المادية والبشرية فى

مجتمعنا ، وتشغيلها بأعلى كفاية ممكنة ، وبدون استغلال كقوى العمل وذلك وفق خطط متتالية مكملة لتحقيق اهداف المجتمع والتى هى اهداف تحالف قوى الشعب العاملة .

٦ ـ تتم كذلك فى هذه المرحلة المواجهة الحاسمة الواعية لكل القوى المضادة والقوى الاستعمارية التى لا تبغى لمجتمعنا الخير .

٧ ـ حصر وتحديد التناقضات الموروثة فى مجتمعنا السابق للثورة الاجتماعية ، والمحاولة الجدية لاجراء حلها سلميا بين قوى الشعب المتحالفة .

٨ ـ اعادة توزيع عائد المجتمع مع قاعدة العمل والحيلولة دون تميز طبقة من الطبقات ، وكذلك الحيلولة دون سيطرة طبقة جديدة على مقدرات هذا المجتمع .

ولهذا فان دور النقابات يكون اكثر توضيحا بعد هذه النقاط السابقة فيما يلى :

١ ـ ان ترتبط الحركة النقابية بحركة المجتمع وافكاره وقيمه وأن تعى ظروف المرحلة .

٢ ـ أن تعمل وتساعد على تحرير طاقات قوى العمل الخلاقة لمزيد من العمل والانتاج . وأن يكون منطلق تحرير الطاقات بالعلم والمزيد من المعرفة الواعية لشئون الانتاج والصناعة وقوى العمل .

٣ ـ ان تعمل وتساعد على تدعيم الجبهة الداخلية وتدعيم تحالف قوى الشعب فى الاتحاد الاشتراكى

٤ ـ ان يكون اسهامها فى عمليات الانتاج اسهاما قائما على خطط علمية يتفق عنيها على نطاق المجتمع وليست منفردة .

٥ ـ أن تزيد من حركتها فى المجالات العربية والعالمية ، وان تسعى وتعمل وان تكون سندا لحركات التحرر ، وتقف بصلابة ضد الاستعمار

٦ ـ ان يكون لديها من البرامج للعمل الذاتى فى مجالات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى ويكون ذلك وفق خطة شاملة داخلة ضمن خطة المجتمع .

٧ ـ أن تنظم فعلا الحوافز الايجابية للعاملين المجدين فى مجالات الانتاج أو الخدمات بان تتيح لهم مثلا :

١ ـ دراسات اعلى

٢ ـ رحلات خارجية

٨ ـ أن تنظم عملية الاستفادة من الاجازات تنظيما يعود على العمال بالفائدة وتكون فى نفس الوقت حافزا لمزيد من العمل .

٩ ـ ان تقوم برسالتها الثقافية فى مجال العمال حتى يكون العلم والثقافة اداة نضال للعمال فى حركتهم المنسقة مع حركة المجتمع ، ومن خلال تحالف قوى الشعب وان تكون الثقافة العمالية أساسها منبثق من فكر المجتمع الذى ارتضاه فى ميثاق العمل الوطنى

ولا شك فى ان المزيد من العمل فى هذه المجالات سوف يؤدى حتما الى مجالات أخرى اكثر اتساعا ، بما تكون حركة العمل والجماهير كلها فى اتجاه يؤكد انتصارها فى تحقيق مجتمعنا الاشتراكى الذى هو امل الجماهير العاملة .

■ ■ ■

ـ ١٥ ـ

الاسم : بكر الصديق عبد الوهاب
السن : ٤١ سنة .
مكان العمل : شركة المحلات الصناعية ـ اسكو .
نوع العمل : رئيس قسم الخدمات الاجتماعية .
عضوية النقابة ومستواها : سكرتير اللجنة النقابية اسكو ـ ١٧ الف عامل .
مدة العضوية : النشاط النقابي ابتداء من عام ١٩٦٠ .
الاجر الشهرى : ٥٠ جنيها .
ملحوظة : بدأت حياتى عاملا ثم درست ابتداء من الابتدائية اثناء العمل من اول عام ١٩٥٢ حتى ليسانس الاداب فى العلوم النفسية والاجتماعية سنة ١٩٦٠ . وحولت نشاطى الى الحركة النقابية .

■ السؤال الاول ■

على ضوء ما ذكر من أن النقابات فى النظام الرأسمالى تعتبر اداة من أدوات الصراع الطبقى ، فانها أيضا فى مصر كانت أداة من أدوات الصراع من أجل الحصول على شروط عمل أفضل ، ولكن تطور كل مجتمع فى ظروف معينة يعطى دائما طابعا مميزا لشكل حركة نقابية . بمعنى أن النقابات فى أي بلد من بلاد العالم تخضع للظروف الموضوعية التى تسير فيها من حيث التخلف أو التقدم ، او الصفة الغالبة فى المجتمع من حيث الطابع الزراعى او الصناعى ، بالاضافة الى ان المجتمع المصرى كان يعانى من الاستعمار ، فكان طابع الصراع يأخذ الجانب الوطنى ، وبعض المطالب المشروعة بحكم تكوين رأس المال الاجنبي فى مصر .

الا ان مرحلة التحول الى الاشتراكية أعطت الحركة النقابية نوعا من الاستقرار بحيث تحول اهتمام النقابات الى تدعيم وتأكيد مرحلة التحول الاشتراكى ، لما فى ذلك من مصلحة أكيدة للطبقة العاملة .

فكان دور النقابات فى مرحلة

التحول هو حماية المكاسب الاشتراكية والعمل على زيادتها ، مدركين أن زيادة مكاسب العمال ورفع مستواهم المادى والفكرى لا يتأتى الا بزيادة امكانية المجتمع فى زيادة الدخل القومى .

لذلك فان فترات التحول دائما تكون مصحوبة بمشاكل هى التى شغلت النقابات مثل مشاكل التطبيق ومشاكل الادارة الاشتراكية ، وسلبية بعض القائمين على التطبيق ، كل هذا جعل دور النقابات يتحول من مرحلة الصراع النسبى الى نضال آخر لحل مشاكل التطبيق وعدم فهم طبيعة التغيير المتلاحقة . وكل منافسة تثار حول التقليل من اهمية النقابات فهى دعوى غير واعية لا تقوم على فهم حقيقى لدور النقابات . فاذا كان وجودها فى النظام الرأسمالى يقوم على الصراع الطبقى ، فهى فى النظام الاشتراكى تقوم لتدعيم هذا النظام حيث أنه هدف من أهداف الطبقة العاملة وأى تطور فى هذا النظام هو تطور فى زيادة رفاهية الفئات العاملة .

لذلك فان حدة الصراع لاتكون موجودة فى مرحلة التحول الاشتراكى مما أوحى للبعض أن دور النقابات لا جدوى منه .

بالاضافة الى ان النقابات فى النظام الاشتراكى تعتبر من مدارس الفكر التى تخلق الجيل النقابى الواعى بحقوقه وواجباته وهى أيضا التى تخلق الكوادر السياسية المدربة والتى تعى دورها فى ظل الصراع القائم فى العالم اليوم وعلى ضوء الظروف المتغيرة فى كل بلد من بلدان العالم . اذن اذا كانت النقابات واجبة وضرورية فى مجتمع رأسمالى فهى أوجب فى ظل النظام الاشتراكى وخاصة فى مراحل التحول فهى التى تقوم على حماية وتدعيم النظام والتصدى لكل من هو معوق أو معرقل لهذا التحول . وهذا يعطيها مسئولية أكبر يجب أن تأخذها النقابات فعلا وتدعم نفسها وتطور نفسها لخلق جيل جديد من النقابيين القادرين على الحركة السريعة لمواجهة الظروف المتغيرة ، وخاصة ان مرحلة الصراع أصبحت مع الاستعمار العالمى الذى يريد أن يقف ضد حركات التحرر الوطنى فى العالم وضد التقدم الاجتماعى .

■ السؤال الثانى ■

لاشك أن استقلالية الحركة النقابية مشكلة تتعلق بطبيعة كل مجتمع وظروفه وتطوره ودرجة نموه الاقتصادى والاجتماعى ، وكذلك مدى تأثير النظام السياسى على كل حركة نقابية تقوم فى بلدان العالم .

فمثلا فى مصر نجد ان حركه الاحزاب السياسية ، وطلب الاستقلال ، وجذب الاحزاب السياسية للعناصر النقابية من أجل الحرية والاستقلال السياسى يعطى طابعا لاستقلالية الحركة النقابية يختلف بالطبع عن حركة نقابية قوية واعية تقوم وتتطور فى ظل نظام رأسمالى صناعى متطور . فان طابع الاستقلالية هنا يختلف عن مجتمع آخر يغلب عليه طابع التخلف الصناعى وهكذا . الا أن الحركة النقابية فى العالم لها طابع مميز نسبيا يختلف باختلاف النظم الاجتماعية والسياسية القائمة فى كل نظام.فمثلا علاقة التنظيم النقابى بالتنظيم السياسى تكون قوية وتساهم فيها النقابات بجدية اذا كان النظام يخدم فى الاساس الطبقة العاملة ومن ذلك النظام الاشتراكى . ولذلك نجد أن النقابات فى المجتمع الاشتراكى تساهم مساهمة فعالة فى التنظيم السياسى لكى تضمن أن يؤدى هذا النظام دوره لرفع مستوى العمال ، بل وجميع فئات المجتمع المؤمنة بهذا النظام .

اذن فان علاقة التنظيم النقابى بالاتحاد الاشتراكى هى علاقة يجب أن تكون مدعمة ، وخاصة أن الاتحاد الاشتراكى يقوم أساسا كتنظيم سياسى لتدعيم الحركة النقابية والنهوض بها حيث لا تضارب فى الاساس ، لان الهدف مشترك وهو تدعيم النظام الاشتراكى الذى يؤدى مصلحة أكبر عدد من أبناء المجتمع . وكذلك طالما ان النظام السياسى هو لخدمة المجموع فانه يجب أن يكون هذا المفهوم واضحا أمام أجهزة وزارة العمل التى يجب أن تتطور لخدمة الطبقة العاملة . وحيث يجب أن تكون أجهزة الامن أداة من أدوات الحفاظ على تدعيم التنظيم النقابى طالما أنه هو الحريص على تطور الحركة السياسية وتأكيدا لبناء الاشتراكية . بل يجب أن تعطى فرصة أوسع لممارسة ديمقراطية أوسع داخل التنظيم النقابى باعتباره أداة من أدوات تدريب الكوادر العمالية الجديدة لتقبل الفكر الاشتراكى وتدعيم العلاقة بين التنظيم السياسى والتنظيم النقابى .

■ السؤال الثالث ■

مما لا شك فيه أن الحركة النقابية يجب ان تدعم وتعمل بحرية مطلقة طالما أنها متفهمة طبيعة مرحلة التحول،وكلماكانت لها الاستقلالية الذاتية ، طالما أنها قادرة على تطوير نفسها بما يتلاءم مع حركة التحول ويمكنها أن تؤدى دوره .

ولكن يجب الا يشغل القائد النقابى فى أى مستوى من مستويات التنظيم النقابى اى عمل آخر مثل اشتراكية فى اكثر من مستوى من المستويات النقابية والسياسية . ففى الظروف التى يجب أن تتم فيها حركة أوسع للتنظيم النقابى يجب أن يركز التنظيم النقابى على تدعيم نفسه بعدم المشاركة فى مناصب متعددة ، حتى يمكن أن يؤدى التنظيم دوره النقابى والسياسى . فتعدد المناصب

ب من القيادة النقابية ويؤدى الى عدم الالتحام الكامل بمشاكل التطبيق ، وكذلك لا يعطى فرصة أكبر لخلق كوادر نقابية مدربة فى كافة مستويات التنظيم · بالاضافة الى ان أسلوب ادارة التنظيم النقابى مازالت ضعيفة لعدم ايجاد الاجهزة الفنية المتخصصة فى مجالات التنظيم النقابى فى كافة مستوياته · وأنه يجب الاهتمام بهذه الناحية حتى يمكن ايجاد الصبغة الملائمة لوضع الخدمة النقابية فى موضع يشعر فيه الجميع انها هى التى تؤدى له خدماته القانونية والسياسية والترفيهية وغير ذلك ، وهذا فيه ضمان لتدعيم العضوية ومتابعة حقوقها وواجباتها .

■ السؤال الرابع ■

يجب ان تمارس النقابات حقوقها فى ادارة الانتخابات بطريقة ديمقراطية بعيدة عن الاجهزة التنفيذية ، حيث أنها هى القادرة على تحمل المسئولية فى ادارة الانتخابات ادارة ديمقراطية · مع الاستعانة بأجهزة معاونة استشارية لها الخبرة الكافية كاجهزة الاتحاد العام والثقافة العمالية مع وضع أسس موضوعية تبين دور التنظيم النقابى فى مرحلة التحول ودور القائد النقابى فى كافة مستويات التنظيم ، حتى يمكن أن تجنب العمال الدعايات التى لا تستند الى اسس موضوعية ، ويمكن لجماهير العمال الحكم على القيادة من واقع نشرات التنظيم النقابى · حيث أن الهدف من الانتخابات هو توسيع قاعدة الديمقراطية . ولكن يجب ان يضع التنظيم النقابى نفسه نشرة بين دور القيادة النقابية ، وهذا يؤدى الى خلق جيل نقابى واع يستطيع أن يأخذ مسئولياته دون مزايدات غير موضوعية .

ومع الاسف لم يقم التنظيم النقابى فى مرحلة التحول بما يجب أن يقوم به · فلم يتدعم التنظيم بأجهزة فنية معاونة مدربة على ادارة النقابات حتى الان · وليس هناك ربط قوى بين قيادة التنظيم النقابى فى مستوياته العليا وبين قاعدته الجماهيرية · والضمان الاخر هو وجوب تغيير القيادات كل سنتين فى كافة مستويات التنظيم النقابى حتى يمكن خلق جيل جديد من النقابيين باستمرار · أى أن التنظيم يجب أن يأخذ دوره دون ابطاء . فقاعدة الانتخابات كل سنتين تعطى فرصة للعمل أوسع وتخلق قيادات نشطة متجددة تدفع العمل النقابى باستمرار ·

هذا مع وجوب اتاحة الفرصة امام القيادات الجديدة من النقابيين بالاحتكاك العالمى بالنقابات فى الدول الاشتراكية والرأسمالية على السواء لاكتساب الخبرات التنظيمية واسلوب العمل الديمقراطى فى ادارة النقابات ومشروعاتها · يجب أن تتاح الفرصة باستمرار للعناصر النقابية الجديدة وهذا ضمان أكيد لاسلوب العمل الديمقراطى النقابى لان ذلك يعطى دفعة اكبر لممارسة الخبرات التنظيمية على اوسع مجال عالمى .

■ ■ ■

— ١٦٠ —

الاسم : احمد دسوقى خليل
السن : ٣٩ عاما .
مكان العمل : شركة البلاستيك الاهلية (مصنع شبرا الخيمة) .
نوع العمل : رئيس حركة .
عضوية النقابة ومستواها : عضو النقابة العامة للصناعات الكيماوية ، ورئيس اللجنة النقابية بشركة البلاستيك
مدة العضوية : ٨ سنوات .
الاجر الشهرى : (لم يذكر) .

■ السؤال الاول ■

اذا كانت النقابات فى المجتمع الرأسمالى أداة من أدوات الصراع الطبقى ووسيلة لتنظيم وحشد جماهير العمال فى معاركهم من أجل حياة أفضل ، وكان لها دورها المؤثر فى الحركة الوطنية ، فلم يصبح دورها كذلك فى مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية - بل ازدادت أهميتها وتأثيرها فى المجتمع الجديد عنه فى الماضى ، وقد أصبح للنقابات فى مرحلة التحول الاشتراكى واجبات أعظم وأعمق من مجرد تنظيم وحشد لجماهير العمال - أصبح عليها مسئولية العمل من أجل تدعيم هذا التحول وابراز ما منحه من مكاسب واستقرار مادى واجتماعى لجماهير العمال والعمل الدائب من أجل تدعيم الانتاج ورفع كفايته من اجل المحافظة على هذه المكاسب - فضلا عن أهمية وجودها ودورها لتدعيم العمل السياسى - وان أى مناقشات تدور حول جدوى وجودها أو التقليل من أهميتها هى دعوى تنكر لدورها الحيوى فى مرحلة التحول الاشتراكى بلا شك ·

■ السؤال الثانى ■

يجب أن تكون للحركة النقابية فى بلادنا شخصيتها الاعتبارية واستقلالها الذاتى حتى تستطيع أن تؤدى دورها فى المجتمع الاشتراكى ، وان تمنح الحرية الكاملة بعيدة عن الاجهزة الادارية أو أجهزة الامن — وألا يكون هناك أى قيود أمام الحركة النقابية — بل على التنظيم السياسى أن يعمل من أجل تدعيمها ٠

وانه فضلا عن ضرورة استقلالية الحركة النقابية واعطائها دورها على ضوء المفاهيم الدولية للحركة النقابية — فانه يعطى دفعة هائلة بلا شك للعمل السياسى — حيث تعتبر النقابات مدارس فكرية لتدريب القيادات الفكرية الجديدة فى المجتمع وخاصة اذا كانت النقابات تقوم بدورها فى تدعيم التحول الاشتراكى وهى بذلك تكون القادرة على خلق أجيال من الكوادر العمالية التى تتفهم طبيعة هذه المرحلة لا سيما وأن النقابات تعد من أقدم التنظيمات الجماهيرية ٠

■ السؤال الثالث ■

بالاضافة الى ضرورة استقلالية الحركة النقابية ، فانه يجب لتحقيق ديمقراطية أكثر ان تتاح للحركة النقابية ممارسة دورها بعيدة عن أى تأثيرات من الاجهزة الادارية أو السياسية سواء — بالطريق المباشر أو الغير مباشر — بل هى تعمل على تأدية دورها السياسى داخل التنظيمات السياسية ٠

■ السؤال الرابع ■

يجب ألا يكون هناك أى تدخل من خارج التنظيمات النقابية — وأن تتولى شئون انتخاباتها لجان من الاتحاد العام للعمال وتنظيماته تشرف على هذه الانتخابات ، وأن تتولى الحركة النقابية بنفسها تنظيم انتخابات النقابات دون أى اشراف من اجهزة أخرى — كذلك يجب ألا تزيد الدورة النقابية عن سنتين بأى حال ٠

■■■

١٧

الاسم : محمد السيد
السن : ٣٦ سنة
مكان العمل : شركة المنسوجات الحريرية بشبرا الخيمة قليوبية .
نوع العمل : نسيج .
رئيس النقابة العامة بشبرا الخيمة سابقا
الاجر الشهرى : ١٦ر٣٠٠ جنيه .

■ السؤال الاول ■

اذا وجدت مناقشات حول جدوى وجود التنظيم النقابى فى المرحلة الحالية فيرجع ذلك الى عدم وضوح دور النقابات كتنظيم عمالى له وظائف نضالية فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أمام مثيرى هذه المناقشات ٠ ليس فقط فى مرحلة التحول وانما نعدام هذا الوضوح أيضا فى الفترة الماضية ٠ وفى اعتقادى سوف يلازمهم ذلك بعد انتهاء عملية التحول أيضا ٠ فاذا نحينا جانبا سوء القصد فى دعوى عدم جدوى وجود النقابات فى المرحلة الحالية ، فمنشأ الانحراف يرجع الى الخطأ الذى انزلق اليه عدد من قادة الحركة النقابية فى مصر ٠ وهو اعتبار هدف التنظيم النقابى مقتصر على تحسين شروط العمل والانغماس فى العمل القانونى نهائيا خلال الحركة اليومية للتنظيم النقابى وذلك فى ظل نظام يحكمه الاقطاع ورأس المال ٠ ومفروض فيه على التنظيم النقابى باعتباره الاطار الذى يحوى جموع الطبقة العاملة وقيادتها المباشرة أن يوجه العمال فى اتجاه العمل السياسى لالغاء الاستغلال نهائيا وذلك عن طريق ازالة حكم المستغلين ونقل الملكية الفردية لادوات الانتاج الى ملكية جماعية وتغيير المجتمع من مجتمع رأسمالى الى مجتمع اشتراكى ٠

والى أن يتم ذلك وتسهيلا للوصول اليه يقوم التنظيم النقابى بالعمل على تحسين شروط العمل ٠ ومن هنا ينقسم قادة الحركة النقابية الى اتجاهين : اتجاه العمل القانونى للتنظيم النقابى دون اللجوء لتغيير المجتمع الرأسمالى ٠ وبالطبع هذا الاتجاه هو مصدر دعوى « عدم الجدوى من وجود التنظيم النقابى » لانه يرى فى اجراءات يوليو ٦١ أكثر مما كان يتصور أن يحققه التنظيم النقابى وذلك لعدم استيعابه الابعاد الحقيقية لحركة نضال الطبقة العاملة ٠ ويؤله أن يرى الحركة النقابية قائمة مستمرة فى نضالها ، بينما انتهت أهداف نضاله ولذلك يفضل هذا الاتجاه أن ينهى الحركة النقابية بنهايته التى وصل اليها منذ سنوات ٠ والاتجاه الثانى وهو الذى ينظر الى التنظيم النقابى وعمل على تحريكه فى اتجاه تغيير المجتمع

من مجتمع رأسمالى الى مجتمع اشتراكى تعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة فى التخلص نهائيا من الاستغلال • وتبعا لذلك يرى هذا الاتجاه زيادة المسئوليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يتحملها التنظيم النقابى • فاذا كان من المقرر على هذا التنظيم ان يتحرك فى اتجاه القضاء على النظام الرأسمالى فتزداد أعباؤه فى فترة التحول وتتعاظم اهميته للقيام بدوره فى انجاز عملية التحول ذاتها وذلك ضمانا لاستمرار الثورة. وتزداد الاهمية بعد التحول أيضا لدعيم النظام الاشتراكى وتقديم الخدمات الاجتماعية لابناء الطبقة العاملة. ومن هنا يصبح من الواضح ان اصحاب دعوى انهاء التنظيم النقابى كانوا دائما خطرا على الحركة النقابية . وتزداد خطورتهم اليوم بمحاولة حرمان الطبقة العاملة والمجتمع من تنظيم أساسى يدفع عملية التحول •

■ السؤال الثانى ■

استقلالية الحركة النقابية مفهوم اثار الجدل من قبل وهو شعار رفعته الطبقة العاملة داخل المجتمع الرأسمالى لمواجهة تكالب الاحزاب الرجعية التى تمثل الاقطاع ورأس المال الساعية لاحتوائها وجرها بعيد عن طريق النضال الثورى وجعلها فريسة سهلة للاستغلال • وذلك بجانب الاجراءات الادارية الرامية الى تقييدها عن الحركة . وليس مفهوما بالاستقلال للحركة النقابية ابعادها عن التنظيمات السياسية . ففى الوقت الذى رفضت وقاومت وصاية وتدخل الاحزاب الرجعية خلقت اتجاهها السياسى وارتبطت بدرجات متفاوتة بالتنظيمات الممثلة لصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية • وتعبيرا عن استقلاليتها رفضت تاريخيا العناصر المعبرة عن الاتجاهات الغريبة مثل عملاء الرأسمالية والمرتبطين بالاتجاهات الادارية. ويمكن الانتهاء من هذا الجانب لانه أكثر النقاط حسما بابعاد الجهات الادارية عن الحركة النقابية .

والجانب الاخر وهو علاقة التنظيم النقابى بالاتحاد الاشتراكى العربى ففى تقديرى أن هذه العلاقة من الناحية المبدئية يجب أن تكون موجودة ، وذلك لتوافق الاهداف الاساسية بين كل من وثائق الاتحاد الاشتراكى والتنظيم النقابى • ومن الناحية العملية فهذه العلاقة قائمة فعلا • فقانوننا لا يصح لاحد دخول مجلس ادارة نقابة الا اذا كان عضوا بالاتحاد الاشتراكى • وقد سمعنا كثيرا الشكوى من الجمع بين عضوية مجلس ادارة النقابة ومجلس ادارة الشركة ولجنة الاتحاد الاشتراكى • وسوف تتوقف قوة الروابط بين كل من الطرفين على مدى التفاعل والتأثير المتبادل بينهما ، فبالقدر الذى يدافع به الاتحاد الاشتراكى عن مصالح التنظيم النقابى سيرتبط به وبالقدر الذى تدفع به الطبقة العاملة من عناصر وأفكار ينحرك فى تجاوب مع الاتحاد الاشتراكى • والامر متوقف على ما تفرزه الانتخابات من عناصر تتولى ادارة هذه العلاقة •

■ السؤال الثالث ■

والشروط الواجب توافرها لتحقيق ديمقراطية الحركة النقابية هى ادارة التنظيم النقابى عن طريق التنظيم النقابى نفسه ، بعيدا عن سلطة الاجهزة الادارية • ان ترك العضوية اختيارية يحقق التطور للتنظيم النقابى عن طريق مجهوداته وما يقدمه من خدمات ، وكذلك الانتخابات الدورية لضمان الحساب وتجديد شباب القيادة باستمرار • والعمل الجماعى داخل المستويات القيادية والمساواة فى الحقوق والواجبات كل هذه العناصر تمثل فى مجموعها تحقيق الديمقراطية وعلى العموم وغالبا ديمقراطية الحركة النقابية جزء من الديمقراطية التى يتمتع بها المجتمع اذا توفرت له توفرت للمجتمع •

■ السؤال الرابع ■

واجراء الانتخابات يتم بواسطة لجان محايدة متغيرة من التنظيم النقابى وتكون من المستويات الادنى لتفادى عدم وجود معرفة سابقة مع المرشح قدر الامكان وعدم وجود العلاقة مع قيادة التنظيم لتفادى توجيهات القيادة السابقة فى مساعدة محددة ، وتتم الانتخابات فى غير مكان العمل وبعيدا عن نفوذ ادارة الشركة •

١٨

الاسم : حامد رمضان
السن : ٤٠ سنة .
مكان العمل : شركة مصر حلوان للغزل والنسيج .
نوع العمل : نساج .
عضوية النقابة ومستواها : عضو هيئة مكتب اللجنة النقابية .
مدة العضوية : ٥ سنوات .
الاجر الشهرى : ٣٥ جنيها .

■ السؤال الاول ■

اذا اعترفنا أن النقابات كانت بالمجتمع الرأسمالى أداة من ادوات الصراع الطبقى ،فيجبأن نكون صرحاء ونعترف أيضا أن بعض النقابات العمالية ولجانها النقابية بالقطاعين العام والخاص تعيش هذه الايام فى ظروف قاسية ، ولا يخفى علينا ان بعض شركات ومصانع القطاع الخاص « قطاع الرأسمالية الوطنية» حليفةوى الشعب العاملة .

والمهيمنين عليه من المسئولين عن ادارته يعيشون بأفكار وأساليب « مملكة الاسياد والعبيد بمصر » ما قبل الثورة . انهم يمثلون البرجوازية المتوسطة القابلة للنمو حسب نظرية الاجور التى تقول «ان نمو النظام الرأسمالى يقوم على وجود طبقة عمال مجردة من أسباب العيش الا ببيع قوةعملهاء وأن جوهر العمل هو القيمة الحقيقية والمعيار الطبيعى ».

فالصراع موجود ، وتحدث بعض المعارك اليومية من أجل أجور أفضل وظروف عمل أحسن وكفاح ونضال من المناضلين المجهولين من أجل البقاء ليستقروا فى عملهم من أجل مطالب أسرهم وصعوبة الحياة .

ولقد قامت النقابات العمالية بالعمل الايجابى لايمانها بظروف الوطن مع باقى التنظيمات الاخرى . لعدم تنمية الصراع لكى تتقارب هذه الطبقات .

الا ان السادة المديرين والاساليب البيروقراطية والمكتبية خاصة من المثقفين المعقدين الغير ثوريين والطبقات المهنية الاخرى الجديدة والمرتبطة بهم مصلحيا ، والذين يعملون فى الوظائف العامة بالدولة ولا يؤمنون الا بالطبقة . فالذى يعمل بالشئون القانونية لا يبحث مع الناس عن الحق والعدل من خلال مواد القانون . بل يتعامل على أسس طبقية ووظيفية .

والذين يعملون بالشئون الطبية . هم اخطر الناس على صحة الناس . يتعاملون مع العمال بصور غير انسانية يتنافسون لفتح عيادات خاصة اما العمل الوظيفى فما هو الا وسيلة لتيسير مصالحهم الخاصة بداخل الشركات والمصانع والمصانع .

وهذه الصور الشائنة ربما تخدم تنمية الصراع وتحرض عليه .

ولقد تتدخل النقابات العمالية فى شكل تدخل مباشر لحل جميع المشاكل ،والحلول هنا عبارة عن مسكنات فقط لان بعض هؤلاء لهم طبيعة خاصة هى احتقار الناس البسطاء .

والحق يوجد بينهم من هو جدير بحب الشعب وتقديره لانه يتصرف تصرف المؤمنين بحق الوطن على الشعب وحق الشعب على الوطن « انه الانسان الاشتراكى » ولولا أن النقابات العمالية بتقوم بكشف العناصر الغير مؤمنة لتمادوا فى تعميق هوة الصراع الطبقى ، اذن فوجود النقابات العمالية مرهون بواقع ظروف العمال انفسهم كطبقة . ولحمايتهم من الطبقات الاخرى .

ولقد أثبتت التجارب من خلال المرحلة الانتقالية الحالية ان القيادات النقابية العمالية كانوا من أخلص فئات الشعب لقضايا الوطن ومصالح الشعب .

وربما قد يكون بعضهم يساريا وأكثر ثورية لكنهم شرفاء ... شرفاء .. لانهم بالرغم من وجود ثغرات فانهم لم ينفسوا قضية « الصراع الطبقى » بالوطن . وهم ملتزمون بالمبادىء العامة والاوضاع والظروف التى يمر بها وطننا خاصة فى هذه المرحلة الصعبة . ان وجود النقابات العمالية له جدوى وفاعلية ، ويجب ان تتوافر للقيادات العمالية كل الامكانيات المتوفرة لاى حركة نقابية عمالية فى العالم ... ان موضوع النقابات العمالية . والمناقشات التى تدور حول جدوى وجودها ودورها فى المرحلة القادمة موضوع حساس يهم طبقة العمال .

ان العدو الاسرائيلى يحتل جزءا من أرضنا ويقوم باستفزازنا .

لكل هذه الظروف . قد يكون من الضرورى العمل على أن تقدم كل الطبقات بالمجتمع المصرى تضحيات وتنازلات ».

■ السؤال الثانى ■

على القيادات النقابية على أعلى المستويات العمل على تطبيق فكرة القيادة السياسية للتنظيم النقابى والاندماج الايجابى مع تنظيمات الاتحاد الاشتراكى وقياداته المنتخبة ، وتطبيق فكرة ادماج مؤسسات وادارات وزارة العمل بالاتحاد العام للعمال ليقوم بادارتها بالاشتراك مع النقابات العامة . ويكون هذا أول دعامات الاستقلال الذاتى .

أما علاقات النقابات العماليه باجهزة الامن فان هذا الموضوع لى رأى خاص فيه . وهو حيث أن القيادات النقابية العمالية قد اطلق عليهم أخيرا اسم « الدبلوماسيون الشعبيون » لذلك يجب أن تكون علاقتهم بأجهزة الامن المختلفة كأجهزة ادارية تحمى الامن القومى . علاقة طبيعية لصالح أمن الوطن وحماية الشعب . مع عدم المساس بحرية المواطن . هذا بصفة مرحلية فقط . اما فى الظروف العادية ، فيجب تأكيد الاستقلالية عن أى جهاز كشرط من شروط تحقيق ديمقراطية الحركة النقابية ».

■ السؤال الثالث ■

وفى موضوع أسلوب ادارة التنظيم النقابى وقيادة وحداته يجب أن أعترف هنا أن التنظيم النقابى امكانياته المادية محدودة . وظروفنا الاجتماعية صعبة .فمثلا ان كنقابى فى شركة بها ١٤٠٠٠ ألف عامل ، لا تضحكوا اذا قلت أن عملى النقابى هو الان ومنذ سنوات ثلاث ، دفن الموتى وتشييع جنائزهم ومنح العاملين اعانات والذهاب للجنة الثلاثية . السلفيات والقروض خلاص نسيت النقابية لان دوامة المشاكل الفردية أخذت معها فنون العمل النقابى البناء .

والحقيقة أن العمل النقابى كاسلوب قيادة لا يحتاج مطلقا الا لانسان مؤمن بالانسانية يملك قيما أخلاقية ، شخصيته قوية ، أقوى من سالبى الحقوق ، له مبادىء اهمها حقوق الوطن كواجب أولا . ثم قوته على اقناع زملائه وحثهم على القيام بواجباتهم بالعمل . وتجديد ثقتهم بأن يقوموا بالعمل على حل جميع المشاكل الخاصة بالعمل وظروفه . وكشف العناصر المعوقة ومجابهتها مهما كانت قوتها .

■ السؤال الرابع ■

أما الضمانات الديمقراطية لتحقيق انتخابات سليمة فان هذا الموضوع هام جدا . ولى راى خاص فيه ، فانه فى مواسم الانتخابات ـ يستيقظ المارد القاعدة العريضة ، ويكون من القوة بحيث يكون قادرا على سحب القيادات كل القيادات من فوق لتحت .

والذى يرغب فى النجاح يجب ان يؤمن بأفكار القاعدة ، وينزل لها ، ويتبنى أفكارها .وكثيرا ما تكون القاعدة ومطالبها وآمالها بعيدة عن الواقع والظروف . وفى هذه الحالة مطلوب أصوات . أصوات فقط . فبعضهم يترك المبادىء ويشترى اصواتا ، أو يساوم عليها ».

لذلك أرى مرحليا بالنسبة للانتخابات النقابية ولصالح الوطن والمواطن يجب أن تقوم النقابات العامة بايجاد كادر فنى متفرغ ليساعد الاعضاء الذين يدخلون النقابات لاول مرة .على أن يتفرغ مثلا عضو المحلة بالاسكندرية ، وعضو الاسكندرية بالقاهرة ، وعضو القاهرة بالاسكندرية .والشرط الاساسى لحرية الانتخابات هو عدم تدخل الاجهزة الادارية بوزارة العمل وادارات الشركات والمؤسسات تدخلا مباشرا لصالح أى مرشح مهما كان ».

والضمانات الحقيقية لاى نقابى هى ينابيع الثقة والحب الصادرة عن قلوب زملائه المؤمنين به كقائد يحب الوطن قبل ان يحبهم وهو مؤمن بهم ويحترمهم ، ويفنى من أجلهم لانه يعلم ، أنه مهما صعد فهو منهم ، وانهم قد اختاروه ليس لمصالح خاصة ولكن على أسس من القيم والمثل والمبادىء التى تكفل حياة انسانية مستقرة لكل انسان يعمل بالوطن لصالح الوطن .

ان ثورة ٢٣ يوليو جاءت لتحرر الانسان المصرى وحررته وعلى الانسان المصرى أن يحرر وطنه ليعيش حياة أفضل .

١٩

الاسم : محمد العقيلى
السن : ٥٣ سنة .
مكان العمل : نقابى متفرغ .
نوع العمل : سائق .
عضوية النقابة ومستواها : رئيس اللجنة النقابية المهنية لعمال النقل البرى بمحافظة القاهرة والسكرتير العام السابق لاتحاد عمال مصر .
مدة العضوية : ٢٩ سنة .
الاجر الشهرى : ٤٠ جنيها .

■ السؤال الاول ■

ان وجود النقابات فى المرحلة الحالية أمر ضرورى وهام خصوصا فى عملية تحويل المجتمع المصرى الى مجتمع اشتراكى .. فهى ما زال أمامها دور هام فى رفع مستوى الكفاية الانتاجية والمساهمة فى ارساء أسس البناء الصناعى وفى الدفاع عن حقوق العاملين والعمل على رفعمستواهم المادى والادبى والاجتماعى - ان النقابات يجب أن تتحول الى مدارس حقيقية للطبقة العاملة فيها يتعلم العمال كل شىء ، وان يكون لها دور رئيسى فى تدريب العمال مهنيا . والنقابات فى مجتمعنا الحالى لم تفقد مضمونها كأجهزة لتوجيه صراع الطبقة العاملة ، وقيادته قيادة واعية وسليمة - انه مازال أمام العمال طريق طويل حتى يصلوا الى مجتمع الرفاهية وهو طريق مملوء بالصعاب ، والنقابات اجهزة ديمقراطية بها يسلك العمال هذا الطريق . وأى قول بعدم جدوى النقابات هو قول لا يعبر عن الفكر العمالى ولا عن الفكر الثورى الذى دعا اليه ميثاق العمل الوطنى عندما نص على استمرار الدور الطليعى للنقابات فى المجتمع .

■ السؤال الثانى ■

فى رأيى أن التنظيم النقابى يجب أن يكون معاونا ومساعدا للتنظيم السياسى - وباعتبار التنظيم النقابى - هو تنظيم ديمقراطى واسعوعريض ويعيش حياة العمال يوما بيوم وساعة بساعة ، فانه يجب وأن تكون استقلاليته الذاتية التى مصدرها ارادة العمال التى شكلته.ولكن ذلك لا ينفى أنه على التنظيم السياسى أن يسعى الى قيادة التنظيم النقابى بواسطة أعضائه الذين يجب أن يحصلوا على ثقة الجماهير فى القاعدة بحسن تصرفهم والالتحام بهم وعدم التعالى عليهم وأن يكون قدوة حسنة ومثالا للعمل والانتاج والنضال . ان علاقة النقابات بالاتحاد الاشتراكى ليست علاقة تبعية ولكنها علاقة عمل وتعاون .

وفى رأيى أن وزارة العمل مازال لها دور هام فى الاشراف والتوجيه ومتابعة أعمال النقابات دون تدخل فى حياتها الديمقراطية أو فرض أى نظم عليها . وان سلطات وزارة العمل ستنتقل تدريجيا الى التنظيم النقابى وليست دفعة واحدة حتى يتمكن التنظيم النقابى من تكوين نفسه واعداد الكوادر القادرة على تحمل المسئوليات .

■ السؤال الثالث ■

ان الشروط التى أرى ضرورة توفرها فى ادارة التنظيم النقابى وقيادة وحداته - هو أنه يجب على القيادات النقابية ان تعتمد فى نشاطها على تعبئة جماهير العمال واشراكهم فى كل عمل ونشاط ، وابتكار الاساليب والاشكال التنظيمية التى تحقق ذلك - وابتداء يجب وأن تشجع القيادات النقابية العناصر النشطة والقيادات الشابة المتطلعة الى حياة افضل للطبقة العاملة . ان ادارة النقابة يجب وان تتم باسلوب ديمقراطى حقيقى . فالاجتماعات الدورية مع العمال يجب وان تكون اسلوبا دائما للعمل النقابى،وعقد الجمعيات العمومية فى مواعيدها والخضوع الكامل للقاعدة وارادتها والرضاء بأسلوب النقد والنقد الذاتى واستبعاد أساليب القيادة الفردية والمكتبية حتى تصبح النقابات وحدات عمل حية لا مكاتب تعمل بروح وأسلوب عمل « الباشكاتب »

وهنا أحب أن أوضح أن العضوية فى النقابات يجب وأن تكون اختيارية • فالعضو الذى يرتبط بالنقابة بارادته هو العضو المفيد • كما أن ذلك سيجبر القيادات المكتبية والتى لا تقدم شيئا لجماهيرها على بذل الكثير لتحقيق رغبات وآمال الجماهير حتى تتمكن فعلا من تنظيم أغلب العمال داخل النقابات التى تقودها .

■ السؤال الرابع ■

أرى تكوين لجان محايده بشرط أن لا تكون مرشحة للانتخابات ـ ومن الممكن أن يشرف على الانتخابات فى كل نقابة فى المرحلة الحالية بصفة خاصة لجنة من نقابة اخرى بالتبادل ، وان أى عنصر يثبت عليه بالدليل المادى أنه يستخدم النفوذ أو المال أو السلطة لفرضه نفسه أو عناصر معينة يجب أن يستبعد فورا من العملية الانتخابية •

■ ■ ■

— ٢٠ —

الاسم : محمد خيرى هاشم
نوع العمل : صانع دقيق بالتليفونات ـ سنترال الزقازيق .
عضوية النقابة : سكرتير النقابة العامه للبريد والبرق والتليفون ـ عضو اللجنة المركزية .
مدة العضوية : ٤ سنوات .
السن : ٣٦ سنة .
الاجر الشهرى : ١٦ جنيها .

■ السؤال الاول ■

فى تقديرى أنه فى مراحل التحول تعيش القيم الرأسمالية جنبا الى جنب مع القيم الاشتراكية • أى القيم الجديدة مع القيم القديمة • ومن هنا نجد أن العقلية الرأسمالية مازالت موجودة فى المجتمع ، وأيضا القوانين المنظمة لعلاقات العمل لا زالت تحتاج الى الجهد الكثير • وبالتالى أصبح وجود التنظيم النقابى حتمى فى هذه المرحلة ، وقد ورد فى الميثاق أن التنظيم النقابى هو قاعدة طليعية لتطوير المجتمع بمعنى أنها تنظيمات مساعدة فى داخل التحالف تستطيع بجهدها وابحاثها وماتقدمه منمشروعات فى تقصير مدة التحول • وتعمل التنظيمات النقابية على تثبيت القيم الاشتراكية لحراسة المكاسب الثورية ـ وهى ركائز أساسية لمحاربة البيروقراطية ؛ والفكر الرجعى والقوى المضادة التى تريد أن تثبت فى أى لحظه على ثورتنا الاشتراكية كما وأنه لازال أمام النقابات شوط كبير فى تحسين ظروف العمل والاجر وتأدية الخدمات المساعدة خاصة فى مجالات التنمية والنواحى الاجتماعية ، والدفاع عن حقوق الاعضاء •

أما دور النقابات بالنسبة للكفاح الوطنى ضد الاستعمار والامبريالية العالمية فهو دور رئيسى وهام جدا ومستمر ، خاصة وهى وثيقة الالتحام بالعمال ، وقادرة على تنظيمهم وحشدهم من أجل التصدى فى جميع المعارك التى يواجهها الوطن • وبالتالى يتضح حتمية وجودها فى مرحلة التحول بصلاتها التى يجب أن تكون وثيقة بالمنظمات الشعبية المقابلة فى الوطن العربى وأيضا مع الشعوب المناهضة للاستعمار فى العالم •

وان الادعاء بأن التنظيمات النقابية فقدت مقومات وجودها ومرفوضة شكلا وموضوعا لسببين : أحدهما داخلى وهو يتعلق بالوحدة الوطنية واستمرار الثورة الاشتراكية . والاخر خارجى وهى انها نافذة مفتوحة تجعل شعوب العالم تطل منها على تجربتنا الثورية فى مصر ويتحقق من خلالها التضامن العالمى بين الشعوب المناهضة للاستعمار من أجل رفاهية الانسان العامل .

■ السؤال الثانى ■

الاستقلالية الذاتية للحركة

النقابية مشكلة من قديم ، وفى تقديرى انها ليست مشكلة طالما أننا نؤمن بما سبق أن ذكرناه بالنسبة لحتمية وجود التنظيم النقابى ، والدور الذى يؤديه .
أما عن موضوع العلاقة بين التنظيم النقابى والتنظيم السياسى فيمكننا أن نحدد ان التنظيم النقابى هو قاعدة جماهيرية أصيله للتنظيم السياسى ، ويعمل ديمقراطيا فى داخل الطبقة العاملة ، ويعتبر مدرسة تفرز قيادات للتنظيم السياسى ، وهى قيادات مدربة واعية علاوة على انه يسهم مساهمة جدية فى حل مشاكل الطبقة العاملة .والواقع انه توجد قيادات عمالية ناجحه فى مجتمعنا تقود العمل فى التنظيم السياسى ، ايضا فان الطبقة العاملة هى احد عناصر التحالف الرئيسية التى يقوم عليها بناء الاتحاد الاشتراكى — فمعنى تمييع قضية التنظيم النقابى أن يفقد التنظيم السياسى احدى مدارس الديمقراطية التى يرتكز عليها فى عمله اليومى وقيادته للعمل الوطنى — ومن هنا فالاستقلالية واجبة حتى تتاح الفرصة ويوجد المناخ الصالح لاكتشاف القيادات وحل مشاكل العمال . ولتحقيق التحام حقيقى بين التنظيم النقابى والتنظيم السياسى ليس عن افتعال او تنظيم لائحى ، ولكن عن اقتناع ومشاركة فى القيادة الجماعية .

أما تطبيق فكرة القيادة السياسية للتنظيم النقابى على مختلف المستويات فانى أرى أن الواقع هو خير حكم ، اذ يوجد تعاون وثيق بين جميع اللجان النقابية والتنظيم السياسى ونرى ان قيادات نقابية كثيرة موجودة على جميع المستويات فى التنظيم السياسى — وليست القضية قضية من الذى يقود ؟ ولكن القضية هى قضية القدوة والمثل الصالح الذى يجعل الجماهير تلتف حوله .

ومن الممكن ان امارس النقد الذاتى هنا باعتبارى اتحمل مسئولية نقابية مع زملائى النقابيين ، فعلينا جميعا وبقيادة الاتحاد العام للعمال أن نعد انفسنا ونعد للاجيال القادمة لتحمل المسئولية ، بأن ننشىء المكاتب الفنية المتخصصة التى تحقق الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن الوصاية بأى شكل من اشكالها وأن نحقق دائما الطهارة الثورية والنقاء الثورى فى داخل التنظيم النقابى وحتى لاتكون هناك اى ثغرة ترى الادارة الدخول منها .

واما عن موضوع « الامن » فهناك امن سياسى وأمن عادى. وبالنسبة للأمن السياسى فارى ان هذا الدور يجب أن يتولاه الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى — أما بالنسبة للامن العادى فى عامل نقابى لايعدو أن يكون مواطنا تنطبق عليه كافة القوانين بما فيها من حقوق وواجبات ، ويجب على التنظيم النقابى يراقب نفسه بنفسه ، ويطرد كل عنصر منحرف أو مستغل فى داخله ولا ينتظر حتى تأتى جهة ادارية ما لتخلصه من شرور نفسه .

■ السؤال الثالث ■

أرى أن نحترم ما نقوله — فحينما نقول أن دورة التنظيم النقابى سنتين يجب أن تكون سنتين مهما كانت الظروف ، لابد وان تجرى الانتخابات حتى تتيح فرصة للقاعدة أن تسقط العناصر الرديئة وتعيد الثقة بالعناصر الجيدة ، علاوة على ضمان تجدد الدماء فى الحركة النقابية مما يعطيها القدرة على الاندفاع نحو تحقيق الاهداف المرجوة منها ، لانه توجد أضرار من عدم اجراء الانتخابات فى مواعيدها،واحترام اللوائح المنظمة لهذا العمل الديمقراطى ، فطول المدة تجعل القيادة النقابية قيادة بيروقراطيه وظيفية،لا هم لها سوى التشبث بمقاعدها — وهذه مشكلة المشاكل . أيضا على الاتحاد ان يلعب دورا هاما فى تنشيط الحركة النقابية فى الداخل بتدريبها وتثقيفها وابداء النصح لها وبالمتابعة للنقابات العامة — وكذلك بالنسبة للنقابات العامة ولجانها النقابية مما يحقق شبكة اتصال جيدة فى داخل التنظيم النقابى ، وضرورة تحقيق القيادة الجماعية وأيضا تثبيت مبدأ ممارسة النقد الذاتى وسعة الصدر بقبول النقد حيث أن عدم قبول النقد من المستويات الاعلى يسبب سلبية شديدة تنتاب المستويات الدنيا ، مما ينعكس أثره على الحركة النقابيه كلها فى الداخل ، ويتردد بين الناس بان الحركة النقابية ضعيفة،وغير قادرة على تحمل مسئولياتها ايضا بالنسبة للاشتراكات،وهى عصب العمل النقابى أرى ان يوضع حد أدنى لقيمة الاشتراك وليكن مائة مليم . وعن طريق فاعلية التنظيم النقابى يأتى مدى اقتناع العضو بشرف عضوية هذا التنظيم . وبذلك يتحقق مبدأ أن العضوية اختيارية وليست الزامية بمقدار ما يحسه العضو ويراه من فوائد تعود عليه بانتمائه الى هذا التنظيم .

وبالنسبة لحقوق العضوية وواجباتها فهناك حقوق للعضو قبل النقابة تنقسم الى قسمين :

الدفاع عن مصالحه وهذه بدون مقابل ، وتقديم الخدمات وهـذه تتأتى عـن جماعية العمـل والمشاركة بالاشتراك المـادى وواجباته قبل النقابة هو الالتفاف حول نقابته وتشجيم قيـادتها ودفعهـا وحثهـا على العمـل واعطائها المناخ الصالح للنشاط ومحاربة والتصدى لكل من يحاول التشكيك فى كفاءة ونزاهة هـذه القيادات طالما أنها نزيهة فعلا .

■ السؤال الرابع ■

وفيما يتعلـق بـالضمانات الديمقراطية التى يجب توفرها فى الانتخابات النقابية فهى :

● حـرية الصـوت مرتبطه حرية رغيف العيش ـ اذا حاولنا تطبيق ذلك فى مجـالات العمـل لضمان حرية الانتخاب ترفع كل الضغوط من على لقمة العيش وبذلك يتمـكن العـامل من أداء صوته بحرية .

● كما أنصح زميلى العامل بأن يتخلى عن الخجل والمجاملة والعصبيات والشلل .

● على القيادات النقابية ان تتيح فرصة لعناصر جديدة تثرى بهـا التنظيم النقابى وضمـانا لاستمراره اذا كانت حـريصة على هذا التنظيم العظيم

● عملية التصـعيد مـن القاعدة الى القمة يشـترط ان تأتى بالانتخاب من مسـتوى اللجنة النقابية الى النقابة العامة الى الاتحاد العام حتى لايتسلل محترفو الانتخابات مستفيدين من ثغرات القانون .

● أن تقدم الى الجمعيـات العمومية للجان النقابية والنقابات العامة والاتحاد العام صـورة حقيقية وموضوعية عن الميزانية فى الفترة السابقة ولامانع من المواجهة بالحقيقة حتى ولـو كانت مرة وفى ذلك خير الف مرة من مداراة الحقيقة حتى يتولى التنظيم المقبل العمل على أسس سليمة وقيمة جديدة ترسيهـا فى مجتمعنا للطبقة العاملة خاصة .

■ ■ ■

٢١

الاسم : حنفى محمد هريدى

السـن : ٣٢ سنة .

مكان العمل : جريدة الاهرام .

نوع العمل : عامل فنى .

عضوية النقابة ومستواها : عضو

مدة العضوية : ١٠ سنوات .

الاجر الشهرى : ٣٠ جنيها .

■ السؤال الاول ■

رأيى أن النقابات فى مصر قد انعدمت فاعليتها منذ صـدور القرارات الاشتراكية التى اعطت للعامل حقوقه من اشراكه فـى عضوية مجلس الادارة ، وكذلك الارباح وتخفيض ساعات العمل وعدم الفصل التعسفى والتأمين الصحى .. الى آخر هذه القرارات بعد أن كان محروما منها وبالتالى كان دائم الصراع داخل النقـابة مع الرأسمالية من أجلها .

لذلك فان القيادات النقـابيه عنـدنا ظنت ـ وهى فى ظنهـا خاطئـة ـ انه بتحقيـق هـذه القرارات وتنفيـذها قد حصلوا على كل شىء كان يطمع فيـه العامل ، ولا يمـكن أن تكون له مطالب أكثر من ذلك ، وبالتالى فان مهمتهم قد انتهت ، ولـم ينظروا الى العمل النقابى الا أنه مجرد مركز لهم وارتفاع فـى مسـتوى معيشـتهم بـارتفاع مـرتباتهم ، فـاندمجوا مـع الادارة ، وانعزلوا انعزالا تاما عن العمال ، وأصبح عملهم عملا روتينيا بحتا ـ وهذا هو الخطأ الفادح الذى وقعوا فيه .

أن دور النقـابة لايمكن أن يكون بهذه الصورة والا فـلا جدوى من وجودها فعلا .

فأنا أعتقد أن النقابة عنـدنا ونحن فـى مـرحلة التحـول الاشتراكى يجب أن يكون عملها الاساسى هو .

أولا : متابعة تنفيذ القرارات الاشتراكية التى صدرت لصالح العمال ، وتعمل على حمايتها من عبث العابثين من رؤساء مجالس ادارات ومديرين رجعيين ما زال يوجد منهم الكثير فى مـواقع العمل .

ثانيا : أن ينزل أعضاء النقابة الى مواقع العمل ، وتجمعـات

العمال وتبحث معهم مشاكلهم وتعمل على حلها حلا عادلا - بدون انحياز يحقق الهدف المطلوب من الارتفاع بمستوى الانتاج .

ثالثا : وضع خطة لتثقيف العمال وتفهيمهم دورهم كاملا فى هذه المرحلة التى تحتاج الى زيادة الانتاج باكبر قدر ممكن - وكيف أن العامل الذى أعطته الدولة كل هذه المكاسب يستطيع أن يحافظ عليها وبالتالى يعطيها انتاجا اكثر .

رابعا : عقد ندوات ثقافية والقيام برحلات جماعية لبث روح التعاون بين العمال .

خامسا : الحد من نفوذ الرؤساء الذين ما زالوا يفكرون بعقلية رجعية ، ويجدون - للاسف الشديد - كل التشجيع من النقابيين - فهم بسلوكهم هذا يسيئون الى النظم الاشتراكية وقوانين الثورة .

سادسا : عمل معدل انتاج للوحدة من خلال دراسة فنية ، ودراسة المعدلات العالمية وظروفها وكيفية اللحاق بها فى حالة التقصير ، وخطة للمتابعة وازالة العقبات

سابعا : أن تشارك النقابة الجهاز التنفيذى فى وضع خطة العمل فى موقع العمل .

■ السؤال الثانى ■

انا احبذ فكرة « الاستقلالية الذاتية للحركه النقابية » ولكنى ادعو الى الاستقلالية الذاتية من الناحية الادراية فقط ، بمعنى أن تستقل النقابة استقلالا تاما عن الجهات الادارية الاخرى .. وتتعاون تعاونا كاملا مع الاتحاد الاشتراكى .. لاننا نرى الان ان النقابيين بحكم احتكاكهم الدائم مع الادارات ، وخوفا على مصالحهم الشخصية .. قد أصبحوا أداة طيعة فى أيديهم توجهها ضد مصالح العمال كيفما شاءت ..

أما اذا وجد الاتحاد الاشتراكى - كقيادة سياسية - مع النقابة فى مواقع العمل وتجمعات العمال ، وتحالفت القوتان ضد العناصر الرجعية المتخلفة والرؤساء الرجعيين ، انى أعتقد أن ديمقراطية الحركه النقابية لا تكون محل نقاش بعد الان ، خصوصا ونحن فى مرحله الانتقال الى الاشتراكية التى تحتاج الى تضافر جميع القوى للارتفاع بمستوى الانتاج والوقوف فى وجه تحديات العدو ، وضد الحرب الاقتصادية التى يشنها علينا .

أما كيفية القضاء على التناقض بين النقابة وبين الاتحاد الاشتراكى فهو كالاتى :

● بعد وضع خطة النقابة تعرض على المستوى التنظيمى .

● لاتتخذ النقابة اى قرار الا بعد عرضه على المستوى التنظيمى .

● أن يحضر المسئول السياسى من الموقع اجتماعات النقابة .

■ السؤال الثالث ■

الشروط التى اراها ضرورية لتحقيق ديمقراطية الحركه النقابية أن تعطى النقابة حرية اكثر للتحرك والمواجهة والنقد لرؤساء مجالس الادارات اذا هم أخطأوا .. وتعطى لهم ضمانات ضد ما يتعرضون له من سوء الرؤساء من اضطهاد .. كذلك يجب أن يكون عضو النقابة نقابيا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .. فلا يجوز ان يدخل شخص فى النقابة وهو لايفقه شيئا عن واجباته كنقابى فى مجتمع اشتراكى ..

■ السؤال الرابع ■

لتحقيق الضمانات الديمقراطية والتنظيمية يجب أن نراعى :

أولا : لابد أن يستبعد كل شخص اتخذ من العمل النقابى حرفة له للوصول الى مركز ، أو استغلال هذا المنصب لتحقيق اغراضه الشخصية بما يعود عليه من كسب مادى .

ثانيا : ان نختار العناصر الصالحة ، والتى تتمتع بقدر كبير من احترام العمال ، والذين يثقوا فيهم ثقة كاملة حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل حتى ولو كان فى ذلك مايستوجب بعض التضحيات من العمال .

ثالثا : أن يستبعد من الانتخابات الاشخاص الذين مارسوا العمل النقابى سنوات طويلة ولم يثبتوا أى جدارة لهذا العمل حتى يهيئوا الفرصة لدم جديد يدخل النقابة .

رابعا : أن تكون لجنة الانتخاب مكونة من اشخاص بعيدة كل البعد عن موقع العمل الذى تجرى فيه الانتخابات ، حتى لايساء الظن بها ، وحتى لا تكون موضع شك فى نزاهتها .

خامسا : أن تجرى الانتخابات فى مناخ صالح وجو لا يكون فيه تاثير من الرؤساء والمديرين الذين يختارون اشخاصا معينه يفرضونهم على العمال بما لهم من نفوذ وسلطة ، وحتى لايكون هناك عوامل مؤثرة على العمال فى انتخابات الشخص الذى يرونه أصلح لهم واكثر فهما لقضاياهم .. وربما يكون هذا الشخص غير مرغوب فيه من الرؤساء ..

فاذا استطعنا تحقيق هذه النقاط الخمس كان لنا ان نضمن ديمقراطية معركة الانتخابات وحققنا اهداف النقابة التى ينظر اليها العمال كملاذ لهم وقت الشدائد .

تقارير

النقابية الضيقة
والنقابة فى مرحلة التحول الاشتراكى

محمود فهمى النقراشى
عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى
ومكتب تنفيذى القاهرة

انه من الاهمية بمكان ، وفى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد — بعد نكسة عسكرية اظهرت جميع التناقضات والسلبيات ، والاخطاء التى اعترضت تجربتنا الاشتراكية الثورية الرائدة — وبعد مرحلة من نقد النفس مريرة ، تعرض لها مجتمعنا ، واشتركت فيها كل جماهيرنا ، وفى مقدمتها الطبقة العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحول للاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكى الناضج — وبعد ان بادرت القيادة التاريخية للمناضل جمال عبد الناصر ، ببلورة حوار الجماهير ونقاشها فى بيان ٣٠ مارس التاريخى ، الذى ابرز بشكل قاطع يؤكد ثورية شعبنا واصالته — ضرورة الارتفاع فوق مستوى النكسة ، واعادة بناء مجتمعنا ، دعما لنظامنا الاشتراكى ، الذى كان العدوان يستهدف اسقاطه فى الاساس — بوسيطة الديمقراطية وعلى اساسها . وبعد ان تم اعادة بناء تنظيمنا السياسى ديمقراطيا بوسيلة الانتخاب من القاعدة الى القمة باصرار عنيد ، وثقة بالنفس والوطن — يجدر بنا اليوم ان نطرح قضية التنظيم النقابى لطبقتنا العاملة ، بعد ان حرص الميثاق وبيان ٣٠ مارس على ان يؤكد ان التحول الاشتراكى لا ينهى دور التنظيمات العمالية ، وانما هو يزيد من اهمية دورها ، هذا بالاضافة الى التاكيد ان العمال والفلاحين داخل تحالف قوى الشعب العاملة ، هم اكثر اطراف هذا التحالف ثورية ، لارتباط مصلحتهما الاكيدة بالثورة الاشتراكية،فضلا عن انهما اكثر القوى التى عانت من الاستغلال والاضطهاد والحرمان والقهر،وهم بذلك الاكثر حرصا على الاشتراكية،العاملون على دعمها المناضلون من أجل استمرارها ونضوجها.

وان كان ذلك يقطع بأهمية وضرورة وجود التنظيمات النقابية واضطلاعها بمسئولياتها الطليعية ، ردا على اولئك الذين يشككون فى جدواها — الا ان ذلك يبين ايضا ان دور النقابات فى المجتمع الذى يتحول للاشتراكية ، يختلف اختلافا متميزا عنه فى المجتمع الراسمالى — وقد ابرزت معظم الشهادات الواقعية بشكل واضح ان القيادات النقابية لم تع تماما هذا الدور، الامر الذى أدى الى جمودها ، وحد من حركتها وفاعليتها،وجعل التنظيم النقابى فى موقف العاجز عن ملاحقة ما يجرى فى المجتمع من تطور وتحول حتى يكاد يقف موقف المتفرج منها .

فاذا كانت القيادة فى المجتمع الراسمالى اداة من ادوات الصراع الطبقى ووسيلة لحشد جماهير العمال فى معاركهم من اجل اجور افضل وشروط عمل أحسن ، فى مواجهة قوى رأسمالية مستغلة جشعة ، تمتص دماءهم وتسرق عرقهم —

الا انها فى مرحلة التحول للاشتراكية تمثل مجموع القوى المنتجة التى تحولت من قوى مستغلة الى قوى مالكة ملكية عامة لوسائل الانتاج فى المجتمع — عليها ان تسعى جاهدة لتأكيد هذه الملكية والاحساس بها ، وعليها ان تحميها وتنطلق بها لدعم الانتاج وزيادته ، سعيا وراء مزيد من الخدمات ، ومزيد من الرفاهية للمجتمع كله . الذى تتقدم الطبقة العاملة قيادته كقوة طليعية صاحبة مصلحة مباشرة فيه — هذا الى جانب العمل المستمر من اجل تغيير العلاقات والقيم الرأسمالية الى علاقات وقيم وتقاليد اشتراكية تدعم العملية الانتاجية ، وتساهم فى تنميتها .

فدور النقابة فى المجتمع الاشتراكى اكثر فعالية ونشاطا — ومجالات عملها اوسع وارحب — فبرامج التثقيف والتدريس ورفع الكفاية الانتاجية للعمال تفتح مجال الترقى وتحسين المركز المادى لهم ، واحتلالهم مواقع متقدمة فى خطوط العمل والانتاج ، ثم المحافظة على المستوى المادى والصحى للعمال ، وخوض ميدان التعاون ، من تعاون اسكان الى تعاون استهلاك ، وتنظيم استغلال وقت فراغ العمال لما يعود عليهم بالنفع كلها ميادين ما زالت تحتاج الى جهود القيادات النقابية الواعية والامينة .

هذا فى مجال حماية المصالح المباشرة للطبقة العاملة ، أما الجانب الثانى — وهو ما أشارت اليه أغلب الشهادات — والاساسى والذى لايجب ان يغيب عن تنظيمنا النقابى ، فهو ضرورة ان تكون النقابات مدارس للنضال والفكر الثورى ، حتى تكون منبعا خصبا وحيا لمد التنظيم السياسى [الاتحاد الاشتراكى] ، الذى يحتل العمال والفلاحون موقع القيادة فيه ، ومده بقيادات ثورية واعية تؤمن بالتحول الاشتراكى ، وتعمل وتكدح من اجله — هذا بجانب العمل الدائم من اجل صيانة المكاسب الاشتراكية ضد البيروقراطية والقوى المضادة التى قد تحاول الالتفاف حولها وسلب مضمونها ، والعمل على دعمها وتطويرها علميا — ففى ذلك دعم للنظام وحماية للثورة الاشتراكية وتعميق لمضمونها .

هذا ، ولما كنا لا نؤمن فى مجتمعنا الاشتراكى بالنقابية العتيقة التى تباركها الرأسمالية ، والتى تبعد الطبقة العاملة عن العمل الوطنى والسياسى ، وتعزلها فى الحدود الضيقة للمطالب الاقتصادية المباشرة الخاصة بها . لذلك فاننا نؤكد الاسلوب الواعى للنقابية ذات المفهوم الواسع ، التى تربط بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح المجتمع كله ، وبالتالى تربط بين كفاح العمال من اجل تحقيق مطالبهم ، بكفاح الشعب كله من اجل تخليصه من الاستغلال والعلاقات الرأسمالية ، الى مجتمع تتحقق فيه الكفاية والعدل ، ويكون لكل فرد فيه نصيب عادل فى عائد وطنه .

لهذا يمكن للتنظيم النقابى الجديد ان يضطلع بمسئولياته . وتؤكد الحركة النقابية انها قادرة على ان تقوم بدورها الاصيل ، مسايرة لتطورات الاحداث ، محققة لحشد الجماهير العاملة ، ملتحمة بقضاياهم ومشاكلهم ، مساهمة معهم وبهم فى حلها فى اطار قضايا المجتمع الاساسية التى تواجهه فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية .

ضمانات الانتخابات

أما فيما يتعلق بالضمانات الديمقراطية والتنظيمية التى نرى ضرورة كفالتها لتحقيق الانتخابات والهدف منها — فقد اشارت التقارير والشهادات الواقعية الى كثير من هذه الضمانات ومن الامور الملفتة للنظر ، ما اجمعت عليه من ضرورة تقييم هذه المرحلة من العمل النقابى وصولا لتعرية العناصر النفعية والانتهازية ، التى استغلت مواقعها لتحقيق مكاسب شخصية ، وانحرفت باموال وامكانيات النقابات ، وعندئذ ستتاح الفرصة لاسقاط هذه العناصر ، وابراز العناصر النقابية النزيهة والمؤمنة برسالة العمل النقابى وقدسيته ، وتأخذ مواقعها الطبيعية فى طليعة التنظيم النقابى بمستوياته المختلفة .

كما تلتقى جميع التقارير حول ضرورة عدم تدخل اجهزة الامن او الجهاز التنفيذى والادارى فى عملية الانتخابات لصالح بعض الافراد الذين يدينون له بالولاء على حساب مصلحة العمال .

وفى رأيى ان الذى يعنينا فى الانتخابات القادمة للتنظيم النقابى ، هو ان تتحول المعركة الانتخابية الى معركة جماهيرية واسعة ، يسهم فيها العمال بأفكارهم واقتراحاتهم لتتحول نتيجة المعركة الى حوار فكرى ومحصلة غنية ، يمكن من خلالها ان تسقط العناصر الانتهازية والنفعية والمنحرفة ، كما يمكن من خلالها ايضا ان يتبلور لدى التنظيم النقابى دليل عملى ثورى تلتزم به القيادات النقابية فى جميع المستويات ، بدلا من العمل الارتجالى غير الواعى وغير المسئول .

أما فيما يتعلق بدور التنظيم السياسى فى الانتخابات المقبلة للحركة النقابية ، فيجب ان يقتصر على دفع افضل القيادات العمالية واكثرها وعيا الى دخول هذه الانتخابات ، واحتواء المواقع القيادية فيها — هذا بجانب اسقاط العضوية العاملة عن العناصر النقابية التى يثبت انحرافها بعد ان تقوم القواعد الجماهيرية بكشفها وتعريتها .

اما الضمان الهام والاخير فهو في يد جماهير القاعدة العمالية نفسها ، فيجب ان تعمل القاعدة على ان تخلص الانتخابات القديمة من عيوب الماضي البغيض ، الذي ما زالت جذوره باقية حتى الان . فمن اخطر الامراض التي تهدم اي تنظيم ، الانتماء الشللي والاقليمي ، ووجود العصبيات والبلديات ، هذه الامراض التي كثيرا ما تكون السبيل للعناصر الانتهازية والمتخلفة للوصول الى مواقع القيادة في هذه التنظيمات . واعتقد انه قد آن الاوان لجماهيرنا العاملة الواعية ان تقتلع هذه التقاليد من جذورها ، وان تضع معايير موضوعية تقيس بها صلاحية الافراد لتولي مواقع القيادة في التنظيم النقابي ، حتى تثبت بحق وبصدق ، ان الطبقة العاملة مثل باقي الطبقات الاخرى ، قادرة على ان تدفع بابنائها الاكثر وعيا بمصلحتها ومصلحة البناء الاشتراكي ، الى قيادة تنظيمها النقابي .

الاستقلالية الذاتية للحركة النقابية

تعرضت الشهادات الواقعية ، بخصوص موضوع استقلال الحركة النقابية ، سواء عن التنظيم السياسي ، او الاجهزة الادارية الاخرى — بدرجات متفاوتة — فمنها من يقطع بضرورة تحقيق الاستقلال الكامل ، بعيدا عن اي لون من الوان العلاقة بين التنظيم النقابي والتنظيم السياسي — ومنها ما يدعو الى التعاون بين التنظيمين ، لصالح جماهير العمال — وبخصوص اجهزة الامن ، فجميع التقارير والشهادات الواقعية ترفض تماما اي اسلوب لتدخل اجهزة الامن في العمل النقابي — وهذا مؤشر واضح تماما — اما فيما يتعلق بدور وزارة العمل ، فالتقارير تجمع على ضرورة الحد من تدخلها في الحركة النقابية ، وان تفاوتت هذه الدرجة من شهادة لاخرى .

وهنا اود ان اشير الى ان قضية استقلالية الحركة النقابية ، هي قضية قديمة ، ترجع بنا الى ظروف ما قبل الثورة ، وفي ظل النظام الراسمالي — حيث كانت النقابات تدعو دائما الى استقلال الحركة النقابية عن الحركة السياسية للاحزاب الرجعية ، التي كانت تحمي الاقطاع وراس المال المستغل — حتى تتمكن النقابات من ممارسة نضالها اليومي العادل والشريف من اجل احداث التغيير السياسي والاجتماعي لصالح طبقة العمال في مواجهة هذه القوى المستغلة — وعندئذ ، فهذا الشعار كان يعد شعارا ثوريا عندما يرفع في تلك الظروف لانه يبرز التناقض بين قوة العمل ، وبين قوى الاستغلال التي تملك راس المال ، سعيا وراء تحقيق شروط عمل احسن واجور افضل .

اما هذا الشعار اليوم [استقلالية الحركة النقابية عن التنظيم السياسي] ، فهو شعار غير ثوري ، لانه يبعد حركة التنظيم النقابي عن حركة التنظيم السياسي الذي يقود عملية التحول والتغيير ويحدد مسارها ، هذا جانب ، اما الجانب الثاني ، فهو ما تأكد تاريخيا ، وابرزه ميثاق العمل الوطني من وجود العمال والفلاحين كطليعة في تحالف قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي العربي — الامر الذي يؤكد الوجود العضوي للعمال كطبقة ، ثم للتنظيم النقابي كاطار حيوي ينظم هذه الطبقة داخل التنظيم السياسي القائد .

لذلك فاني ارى ضرورة ان يمارس التنظيم السياسي دوره القائد للتنظيم النقابي ، بشكل لا يلغي ديمقراطية الحركة داخله — وذلك بالطرق والوسائل الديمقراطية ، من خلال التحام قيادات التنظيم السياسي الواعية والملتزمة بجماهير العمال ، وكسب ثقتها ثم دفع افضل عناصرها لانتخابات التنظيم النقابي واحتلال المواقع القيادية في مستوياته المختلفة — ولهذا يمكن تحقيق الربط العضوي بين التنظيم القائد في مرحلة التحول الاشتراكي ، والتنظيم النقابي باعتباره تنظيما مساعدا ، يحشد وينظم طبقة ثورية يتوقف التحول الاشتراكي على نشاطها وحركتها الواعية المنظمة . لذلك فالدعوة الى استقلالية الحركة النقابية عن التنظيم السياسي هي دعوى مدسوسة ترفعها القوى المتخلفة غير المؤمنة بالاشتراكية ، التي تريد ان تستقل بالعمل في التنظيم النقابي ، حماية لمصلحتها الذاتية ، ضاربة بالمصلحة العامة في الاشتراكية عرض الحائط ، وهي بهذا تعد قوى مضادة لحركة الجماهير العاملة في سعيها نحو بناء مجتمعها الاشتراكي .

اما فيما يتعلق **بالوصاية الادارية من قبل الاجهزة الادارية والتنفيذية على الحركة النقابية** ، فانني التقي تماما مع اصحاب التقارير والشهادات الواقعية المشار اليها في ضرورة التحلل من تدخل اجهزة الامن في الحركة النقابية تماما ، لانه تبين بالفعل ان هذا التدخل في كثير من الاحيان ما يكون لصالح العناصر النقابية التقليدية التي جثمت على صدر العمال — وجمدت الحركة النقابية بالمفهوم النقابي الضيق ، بل واكثر من هذا فهي كثيرا ما تستغل حماية جهاز الامن لها في حماية مصلحتها الذاتية ، سواء لدعم مركزها الوظيفي داخل مواقع عملها ، او العبث بأموال النقابات ، بشكل اصبح يسيء تماما لسمو العمل النقابي وكريم مقصده .

اما فيما يتعلق **بدور وزارة العمل تجاه الحركة النقابية** — فأعتقد ان هذا الدور الحكومي لم

بجذور تاريخية تعود بنا الى ماقبل خروج المستعمر من بلدنا — حيث دأب الاستعمار فيما مضى الى تثبيت التجمعات العمالية والحيلولة دون وجود تجمع واع لهم ، يتمتع بحرية حركته ، وتمكنه من التأثير فى خريطة المجتمع سياسيا ، وبالتالى تقضى مضجعه ، وتعرض مصالحه للخطر — ولذلك لجأ الى وضع القيود حول حرية العمل النقابى ، او حتى الاعتراف بها اصلا — ثم حصر نشاطها فى دائرة ضيقة لا تخرج عن حل بعض المشاكل الفردية للعمال — ثم وضعها دائما ابدا تحت سيطرة التفتيش والرقابة .

وبالرغم من هذا ، فقد كان للحركة النقابية قبل الثورة مفهومها السياسى ، ولم تنفصل بفكرها عن قضايا الوطن — قضايا التحرير والاستقلال ، بجانب الدفاع عن قضايا العمال فى مواجهة قوى راس المال المستغل . واذا كنا اليوم نطالب باصرار ، على ضرورة اطلاق العنان للحركة النقابية ، حتى تأخذ دورها الطليعى فى حشد قوى العمال وتنظيمهم واطلاق حوافزهم ، فى مرحلة دقيقة وهامة فى مسار التحول الاشتراكى — فان ذلك يدعونا الى ضرورة التأكد على نقل اختصاصات وزارة العمل المتعلقة بادارة التنظيم النقابى للتنظيم النقابى نفسه ، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالاشراف على الانتخابات النقابية — والتفتيش العمالى والتأمينات الاجتماعية ، والامن الصناعى ، وعلاقات العمل ، والثقافة العمالية — وهذا يستلزم تعديل التشريعات التى تعمل فى ظلها الحركة النقابية — بتعديل قانون العمل والقرارات الوزارية المكملة له .

على ان نقل هذه الاختصاصات من وزارة العمل الى التنظيم النقابى ، لابد وان تمر خلال فترة مرحلية ، يتم فيها اعداد التنظيم النقابى لتحمل هذه المسئوليات ، واعداد القيادات والاجهزة المتخصصة التى يمكنها ان تقوم بهذا العمل بكفاءة واتقان — هذا على ان حجة تخلف العمال والتنظيمات العمالية ، يجب الا تقف امام عملية نقل الاختصاصات هذه — ذلك ان التخلف الحالى مصدره الاوضاع السابقة التى عاشت خلالها التنظيمات النقابية ، والتى فرضت عليها الوصاية دائما — اما الخبرة ، فهى وليدة الممارسة — واذا كانت الثورة قد وثقت فى ثورية العمال ، وفى مقدرتهم فى التنظيمات المختلفة ، سياسية وادارية وشعبية ، فلاشك انهم اقدر على ان يديروا انفسهم وبمستوى ادارة التنظيم الذى يضمهم .

ولتحقيق **ديمقراطية الحركة النقابية** — فقد اشارت الشهادات والتقارير ايضا الى كثير من الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا المبدأ الهام — على انه يعنينى هنا ان أؤكد عدة نقاط اساسية هامة تعتبر مفاتيح العمل الديمقراطى النقابى او الجماهيرى ، وهى :

أولا : ان يتم البناء النقابى جميعه من القاعدة الى القمة بالديمقراطية ، وعلى اساسها ، اى بالانتخاب الحر المباشر ، وبعيدا عن اسلوب الشلل والتكتلات والاساليب التقليدية التى يستخدمها محترفو الانتخابات ومزيفو ارادة الجماهير .

ثانيا : ان يتأكد للجماهير داخل كل مستوى حق سحب الثقة فى قيادة هذا المستوى ، اذا ما ثبت ان هذه القيادة استغلت صلاحياتها لمصلحتها الذاتية ، انحرافا عن الخط المحقق لمصلحة الجماهير او المصلحة العامة .

ثالثا : التزام القيادات بتقديم تقارير وكشف حساب عن حركتها للجماهير التى تمثلها ، حتى يمكن للجماهير ان تمارس النقد الهادف البناء ، ويمكن لهذه القيادة ان توضح نفسها ، وان تمارس النقد الذاتى ، وهو خير ضمان لحسن سير العمل والولاء للقاعدة .

رابعا : وفى النهاية ، يجب ان تكون القيادة داخل التنظيم النقابى ، قيادة جماعية ، حتى تتاح للمستويات المختلفة المشاركة فى العمل ، خدمة لقضية بناء المجتمع ككل — دون انفراد فرد معين او مستوى معين بأخذ الامور فى غيبة باقى المستويات — وقد اكد الميثاق ان اسلوب القيادة الجماعية الذى لا يخل بمسئولية الفرد القائد ، هو الضمان الاكيد لاتخاذ القرارات الصحيحة ، بعيدا عن سلطة الفرد .

عن الاستقلال الذاتى للحركة النقابية وبعض شروط الديمقراطية

أسيوسيف سيوسف

الشهادات الواقعية التى تنشرها الطليعة فى هذا العدد تعرض لنا الاتجاهات الرئيسية فى تفكير قطاع هام من القادة النقابيين الذين عاصر كثير منهم اهم التطورات التى عرضت للحركة النقابية فى البلاد .

وحول « الاستقلال الذاتى » للحركة النقابية تتفق مواقف وآراء البعض ، وتختلف مواقف وآراء البعض الآخر . غير انه قبل ان نعرض لنقاط الاتفاق والخلاف ونعلق عليها ، نستطيع ان نسجل الملحوظة العامة التالية :

وهى انه من الناحية العامة لانكاد نجد شهادة واحدة — وذلك على كثرة الشهادات — تقدم لنا تصورا متكاملا، او تعريفا للمقصود « باستقلال الحركة النقابية » . وذلك باستثناء محمد السيد الذى عرف الاستقلال الذاتى للحركة النقابية « بأنه شعار رفعته الطبقة العاملة داخل المجتمع الراسمالى لتواجه به محاولات الرجعية احتواء الطبقة العاملة ، ومواصلة استغلالها » .

على ان هذا التعريف سيظل قاصرا من وجوه عدة . فمن ناحية ، انصب كلام محمدالسيد ، على حركة الطبقة العاملة ككل ، هذه الحركة التى يعتبر النضال النقابى جانبا واحدا فقط من جوانبها . ومن ناحية اخرى ربط شعار « الاستقلال الذاتى » للحركة النقابية بمجتمع معين هو المجتمع الراسمالى . ولم يبين لنا ما اذا كان « شعار استقلال النقابات لا يزال مطروحا ام لا » فى المجتمعات الاشتراكية ذاتها ، او فى هذه المجتمعات التى تحدد لنفسها اهدافا اشتراكية .

لكن نستطيع — مع ذلك — ان نقطع بأنه لا يرى لاستقلال الحركة النقابية وجودا او وجوبا فى الوقت الراهن . بدليل انه عند الكلام عن العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين التنظيمات النقابية نراه يحدد اساسين لهذه العلاقة : احدهما خاص « بتوافق الاهداف الاساسية بين كل من وثائق الاتحاد الاشتراكى والتنظيم النقابى » ، والاساس الثانى وجود علاقة **يفرضها حكم الواقع** ، تمنع غير الاعضاء فى الاتحاد الاشتراكى من دخول مجالس ادارات النقابات . وكلا الاساسين فى رأينا ليسا من قبيل المسلمات البديهية ، ويحتاجان الى مناقشة .

وفيما عدا هذه المحاولة لوضع تعريف او رسم تصورى لاستقلال الحركة النقابية ، نجد انفسنا امام محاولة لوضع تعريف جزئى ، وذلك فى شهادة حنفى محمد هريدى : « الاستقلالية معناها ان تستقل النقابة استقلالا تاما عن الجهات الادارية» . ثم محاولة اخرى من زاوية ضيقة هى الزاوية القانونية ،وذلك فى شهادة احمد دسوقى خليل : « يجب ان تكون للنقابات شخصيتها الاعتبارية ، وان تعطى الحركة النقابيةالاستقلالية على ضوء المفاهيم الدولية للحركة النقابية » .

ولابد وان نشير الى ان بكر الصديق عبد الوهاب كان قد بدأ بداية مبشرة عندما اشار الى الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

التى تؤثر فى الحركة النقابية ؟ وتحدد من وجهة نظره ـ بالتالى ـ مفهوم الاستقلال الذاتى لهذه الحركة . لكنه لم يقدم مع ذلك تصورا محددا .

والسؤال الذى نطرحه فعلا لماذا خلت الشهادات الواقعية من تحديد لمفهوم الاستقلال الذاتى للتنظيم النقابى ، وذلك على الرغم من ان شهادات كثيرة قد طرحت بالفعل مطالب وقضايا عملية تضمن تحقيق هذا الاستقلال الذاتى ؟ [وهذا ما نجده على وجه الخصوص فى شهادتى **عائشة عبد الهادى ومحمد العقيلى**] .

الاجابة هى ان هذا راجع ـ فى اعتقادنا ـ الى عوامل ثلاثة :

هناك **أولا** : فجوة بين ماضى الحركة النقابية فى بلادنا ، وبين حاضرها . وبوجه عام هناك انقطاع فى حلقات تاريخ الطبقة العاملة والحركة النقابية ، حتى ان النضالات العظيمة والقضايا الكبرى التى تشكل هذا التاريخ بعيدة ، او غير واضحة فى اذهان الكثير من النقابيين ، ولم يقدر لها ان تعرض على الطبقة العاملة بكيفية علمية ومنظمة .

وهناك **ثانيا** : غلبة النزعة الاقتصادية على تفكير الغالبية العظمى من ابناء الطبقة العاملة . ولهذه النزعة الاقتصادية فى بلادنا صورتان : احداهما ان يحصر العمال جل اهتمامهم فى حدود المطالب [الاقتصادية] الجزئية واليومية التى تطرح فى محيط عملهم ، وما يترتب على هذا من عزلة حقيقية بين النشاط النقابى ، وبين حركة المجتمع بوجه عام ، والبعد بها عن النشاط السياسى للطبقة العاملة بوجه خاص .

والصورة الاخرى للنزعة الاقتصادية ـ وكانت قد طرحت على العمال بعد اجراءات يوليو ٦١ ـ تتمثل فى الدعوة الى التصفية العملية لدور النقابات، اكتفاء بالمكاسب الاقتصادية والاجتماعية التى تحققت للعمال ، وبالدور الذى يتحتم على الاتحاد الاشتراكى ان يقوم به . الا ان هذه الصورة الثانية سرعان ما تلتقى مع الصورة الاولى فى انها تطمس فى الواقع الحدود المميزة بين مهام النقابة واهدافها ، وبين مهام التنظيم السياسى واهدافه . وتهدد فى التطبيق بتحويل الاتحاد الاشتراكى الى تنظيم نقابى ، او الى تنظيم سياسى اصلاحى على احسن الفروض ـ وذلك من حيث المهام والاهداف العملية التى تفرض عليه وتطلب منه .

وهناك **ثالثا** : الوضع الراهن والعام للتنظيمات النقابية . وابرز فيه قصور القيادات النقابية ، خصوصا على مستوى الاتحاد العام والنقابات العامة عن تحديد الشكل الجديد ، والمحتوى الجديد للنشاط النقابى ، خصوصا بعد اجراءات يوليو ٦١ ، وقيام القطاع العام . ولقد يقال هنا ان هدف النقابات يظل واحدا على الدوام فى جميع البلاد ، وهو العمل على تحسين مستوى المعيشة المادى والثقافى للطبقة العاملة بصفة مستمرة . وهذا صحيح .. لكن بينما يظل الهدف واحدا فى المجتمع الاشتراكى ، فان التغييرات التى طرات على هيكل الاقتصاد المصرى ـ خصوصا منذ ١٩٦١ ـ كانت تتطلب ـ بل وتفرض ـ ان تتطور بالمقابل الحركة النقابية لتكون فى مستوى التطورات الجديدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

هذه العوامل تفسر ـ فى راينا ـ لماذا تعثر بعض الزملاء الذين ادلوا بشهادتهم فى تحديد معنى « الاستقلال الذاتى » للحركة النقابية . ليس هذا فحسب ، بل لقد ترتب على هذا ان بعض الزملاء عند الحديث عن العلاقة بين التنظيم النقابى ، وبين الاتحاد الاشتراكى قدموا التصورات التالية :

● لا محل لاستقلال الحركة النقابية عن التنظيم السياسى ، يجب ان يحتوى التنظيم السياسى الحركة النقابية [ابراهيم يونس البدراوى] .

● التنظيم النقابى جزء من التنظيم السياسى فى المجتمع الاشتراكى [محمود عبد المطلب سيد] .

● ويبلغ هذا التصور الخاطىء قمته عندما يرسم [**حنفى محمود هريدى**] صورة للعلاقة التى يجب ان تقوم بين التنظيم النقابى ، وبين التنظيم السياسى على الوجه التالى :

ـ تعرض خطة النقابة مع المستوى التنظيمى .

ـ لا تتخذ النقابات قرارا الا بعد عرضه على المستوى التنظيمى .

ـ يحضر المستوى التنظيمى اجتماعات النقابة .

واذا كان لنا ان نعلق على مثل هذه التصورات

التى وردت فى بعض الشهادات ؟ لقلنا باختصار انها خاطئة .

وربمـــا لا نكون منصـــفين بالفعل اذا ما القينا بالتبعة كلها على العمال النقابيين . فالواقع ان الحركة النقابية ــ بحكم نشأتها الاولى فى المجتمع الرأسمالى ــ كحركة تلقائية هدفها مســاعدة العمال فى نضالهم الاقتصادى ضـد اصـحاب العمل والحكومات التى تمثل مصالحهم ــ لابد وأن تولد أفكارا ومواقف خاطئة عن العلاقة بين النضال النقابى والنضال السياسى للعمـــال . وتبرهن تجارب جميع المجتمعـــات الرأســمالية على أن الرأسماليين حاولوا فى مبدأ الامر دفن التنظيمات النقابية فى اشـــكالها الاولى والجنينية ، فلما لم يتمكنوا ، اهتموا بالعمل على السيطرة عليها ، وابعادها عن الحياة السياسية بأساليب شتى ، غارسين فيها ــ باستمرار ــ كل بذور الفكريات التى تعكس مصالحهم كطبقة مستغلة . ولم تبدأ الحركة النقابية فى الخلاص من سيطرة الفكريات الرأسمالية الا عندما ظهرت الاشتراكية العلمية كنظرية للطبقة العاملة ، واخذت تصحح وتوضح العلاقة بين التنظيم النقابى ، وبين الحـــزب او التنظيم السياسى . ومن هنا فان عدم وضـــوح مفهوم اســتقلال الحركة النقـــابية راجـــع ــ فى الاساس ــ الى قصـــور الجهود فى نشر الفكر الاشتراكى العلمى، ومايرتبط بهذا من غياب التنظيم الاشتراكى الطليعى ، الذى يستطيع وحـــده ان يقوم بالمهمة الاولى فى تنوير الطبقـــة العـــاملة وتثقيفها بالمبادىء الاساسية للاشتراكية العلمية .

فاذا جئنا لنرى كيف تطور شعار اســـتقلال الحركة النقابية فى بلادنا ، فسوف نجـــد أن هذا الشعار ــ كما ذكرت بعض الشهادات الواقعية ــ شعار قديم فى صفوف الطبقة العاملة المصرية . ولما كانت الطبقة العاملة المصرية قـــد ولدت فى غمرة النضال الوطنى والسياسى ضد الاستعمار والاحتلال ، فان شعار استقلال العمال بقيـــادة نقابـــاتهم قـــد ظهر ــ لاول مـــرة ــ فى اوائل العشرينات ، فى كتابات الاشـــتراكيين المصريين الاوائل ، وبالذات فى الظـــروف الســـياسية والاجتماعية التى تكشفت عقب ثورة ١٩١٩ ، وبعد ان بدا للعيان ان قيادة الوفد لهذه الثورة لم تحقق مصالح الفلاحين والعمال . فى ذلك الوقت ظهر شعار « استقلال الحركة النقابية » كدعوة من الاشتراكيين ، لتتخلص الحركة النقـــابية من القيادات غير العمالية التى فرضت وصـــايتها وقيادتها على النقابات ؟ « وليتمكنوا من أن يديروا أنفســهم بأنفسهم ، ويكون زعماؤهم منهم لا أغراب عنهم » (١) .

بيد ان الطبقة العاملة المصرية لم تنجح فى ذلك الوقت فى وضع هذا الشعار موضع التنفيذ ، الا ان الحركة العمالية قد عبرت باستمرار عن كفاحها من اجـــل تحقيقه ، حتى بعـــد ان نجح الوفد فى تكوين اتحاد نقابات العمال تحت قيادته .

واذا كان هذا الشعار قد اختفى زمنا ليس بالقصير ، فقد عاد للظهور مرة اخرى فى اواخر الثلاثينات وكمحـــاولة من القـــادة النقـــابيين الابتعاد بالتنظيمات النقابية عن سيطرة احزاب الوفد وعباس حليم ، وتدخل الانجليز والسراى وغيـــرهم من احـــزاب الطبقـــة البورجـــوازية الاقطاعية . هذه الاحزاب التى كانت تتقاتل من اجل ان يفوز كل منها بفرض سيطرته السياسية على النقابات ، وتحويلها الى اجهزة تخدم المصالح الحزبية الضيقة . فى ذلك الوقت ظهرت قيـــادة من العمال النقابيين «يبشرون العمال ونقاباتهم، بوجوب اســـتقلالية الطبقة العـــاملة عن هـــذه القيادات الحزبية ، لكى تتركز الطبقة العـــاملة فى نقاباتها، وتحافظ على كيانها الاستقلالى» (٢).

غير ان شعار استقلال النقابات عن احزاب الطبقة الرأسمالية الاقطاعية لم يطرح بقـــوة وللتنفيذ الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . وقد سمحت بذلك ظروف موضوعية مواتية فى مقدمتها انتشار الوعى الاشـــتراكى فى صفوف المثقفين والعمال ،ونمو الطبقة العاملة نموا كبيرا فى سنوات الحرب . وجاءت الطلقة الاولى فى معركة فصل الحركة النقابية عن القيادات الحزبية البرجوازية والاقطاعية من جانب عدد من القادة النقابيين المخلصين الذين تمردوا على قيـــادة حزب العمال المصرى » . وهو الحـــزب الذى تزعمه عباس حليم عام ١٩ وكون لجنته المركزية من « الاعيان والرأسماليين » .

ومنذ ذلك التاريخ اصبح استقلال النقـــابة اتجاها رئيسيا فى حركة الطبقة العاملة فى مصر. لكن ينبغى الاشارة الى ان هـــذا الاتجـــاه اقترن على الدوام بنمو وتفتح الوعى الاشتراكى فى اوســـاط مختلفة من العمـــال والمثقفين . واستنادا الى تجارب الطبقة العاملة فى البلاد الاشتراكية والرأسمالية وانطلاقا من مبـــادىء

---

(١) مجلة الحساب : كيف يجب ان تكون نقاباتنا ؟ ص ١٠٨ من تاريخ الحركة النقابية المصرية ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ تاليف عبد المنعم الغزالى ــ القاهرة ١٩٦٨ .

(٢) مجلة الضمير ــ العدد (٢٧١) ١٩٤٥/٩/٢٦ ص ٥ .

الاشتراكية العلمية امكن ان يتحدد مفهوم الاستقلال الذاتى للنقابات على الوجه التالى :

١ — النقابات تنظيمات اقتصادية تدافع عن المصالح اليومية والمباشرة للعمال ، وهى بحكم طبيعتها تعد اوسع المنظمات الجماهيرية وتضم كل العمال على اختلاف اديانهم وعقائدهم السياسية والاجتماعية .

٢ — ان النقابات وفقا لهذا التصور ليست تنظيمات حزبية ولا يمكن ان تخضع لاى حزب كائنا ما كان اتجاهه ، ولا يمكن ان توضع تحت وصايته ورقابته المباشرة .

٣ — وكما ان النقابات ليست منظمات حزبية، فهى ايضا ليست تنظيمات حكومية او شبه حكومية .

ولما كان الفكر الاشتراكى العلمى ينطلق من ان الطبقة العاملة مرشحة للقيام بدورها القيادى فى المجتمع ، خصوصا فيما يتعلق ببناء الاشتراكية، فهى تستطيع دائما ان تتسلم زمام تنظيماتها الخاصة وان تديرها بنفسها . . ومن هنا ضرورة ان تصبح النقابات مستقلة عن الدولة وعن اداراتها ،لاتتدخل فى شئونها وليست وصية او حارسة عليها . وان يسير العمل داخلها وفقا للقواعد والنظم الخاصة بها ، وفقا للتشريعات الديموقراطية التى يجب ان توضع لتصون حرية العمل النقابى ، وتحمى النقابات من اى تدخل غير مشروع فى حركتها واوجه نشاطها المختلفة.

والحقيقة ان قصة استقلال النقابات عن الاحزاب السياسية وعن الدولة واداراتها هو احد مكاسب الطبقة العاملة فى البلاد الاشتراكية وفى كثير من البلدان الرأسمالية . وفى حدود التصور الذى قدمناه لمضمون هذا الاستقلال فان اى تصور مناقض لا يضر بالحركة النقابية وحدها ويضعفها ، بل يضر بالتنظيم السياسى الذى يجب ان يضم الطلائع المخلصة لقضية الاشتراكية. بل ان الضرر يمتد حتما الى قضية الانتاج ذاتها. لان البناء الاشتراكى هو — اولا وقبل كل شىء — ثمرة الجهد الواعى الذى تبذله الملايين المنظمة فى نقاباتها واتحاداتها . وهذه الملايين العريضة لا يمكن ان يستوعبها التنظيم او الحزب الاشتراكى وان كان من الممكن ان تعبأ على خير وجه داخل التنظيمات النقابية . ووفقا لما تقدم نختلف مع الشهادات التى تجعل من التنظيمات النقابية جزءا من التنظيم السياسى تخضعها لوصاية ، كما نتفق — فى ذات الوقت — تماما — مع الشهادات [التى وان كانت لم تقدم تصورا محددا لمعنى استقلال النقابات] الا انها قدمت نقاطا محددة تمثل الشروط التى تدعم وتضمن استقلال الحركة النقابية الامر الذى يتضح خصوصا فى شهادات [عائشة عبد الهادى — محمد العقيلى — شحاته عبد الحليم — جلال محمد سليمان — محمد عبد الرسول] . كما يتضح ايضا فى هذه الواقعة وهى ان الشهادات كلها — تقريبا — اجمعت على رفض تدخل اجهزة الامن فى الحياة الداخلية للنقابات . وان معظم الشهادات طالبت بان ترفع وصاية وزارة العمل عن النقابات ، كما طالب عدد ليس بالقليل بان تنقل الى الاتحاد العام للنقابات تدريجيا اختصاصات وزارة العمل .

يبقى فى موضوع استقلال النقابات نقطة خاصة — وهامة فى الوقت ذاته — وهى علاقة التنظيم النقابى بالتنظيم السياسى والاتحاد الاشتراكى .

لقد تضمنت الشهادات آراء سليمة وقيمة فى موضوع هذه العلاقة . نذكر على سبيل المثال :

● ان علاقة التنظيم النقابى تكون قوية بالتنظيم السياسى « اذا كان التنظيم يخدم فى الاساس الطبقة العاملة ، ومن ذلك النظام الاشتراكى ». [بكر الصديق عبد الوهاب] .

● التنظيمات النقابية هى مدارس فكرية تمد الاتحاد الاشتراكى بقيادات جديدة [احمد دسوقى خليل — محمد خيرى هاشم] .

● يجب الا تقيد حالة دخول انتخابات النقابات بشرط عضوية الاتحاد الاشتراكى [جلال محمد سليمان — عطيه سويلم السيد] .

● التنظيم السياسى يسعى الى قيادة التنظيم النقابى بواسطة اعضائه الحاصلين على ثقة الجماهير . ولكن العلاقة بينهما ليست علاقة تبعية بل علاقة عمل وتعاون [**العقيلى**] .

● تمييع التنظيم النقابى معناه ان يفقد التنظيم السياسى ركيزة يرتكز عليها فى عمله اليومى [خيرى محمد هاشم] .

● استقلال التنظيم النقابى شرط الالتحام الواعى بالتنظيم السياسى [خيرى محمد هاشم] وكل هذه آراء بناءة وسليمة وهى تمثل الشروط التى تكفل حماية استقلال التنظيم النقابى .ولكن يبقى ان تتضح بعض القضايا التى لم تتعرض لها الشهادات .

١ — العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين التنظيم النقابى ، فى اعتقادنا ان التنظيم الاشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب

العامل وقيادته المباشرة هي تنظيم الطلائع الاشتراكية . وعلى هذا فان من راى كاتب هذه السطور ان يمثل التنظيم النقابي [الاتحاد العام مثلا] كمنظمة شعبية داخل الاتحاد الاشتراكى وفى اعلى مستوياته .

٢ — **العلاقة بين التنظيم السياسى [الطلائع الاشتراكية] وبين التنظيم النقابى** ، هذه العلاقة هى فى جوهرها تعبر عن المجهود الواعى الذى يبذله الاشتراكيون داخل النقابات كاعضاء فيها ليقودوا النقابات قيادة اختيارية ، تقوم على اقناع جماهير النقابات بصحة خطهم السياسى. ولا يمكن ان تتحقق هذه القيادة بالتدخل المباشر، وبالقرارات العلوية .

يضاف الى ذلك انه لما كان المجتمع يحدد لنفسه اهدافا اشتراكيــة ، فان العـلاقة بين التنظيمين السياسي والنقابى هى فى جوهرها ايضا علاقة ثورية متسعة ومنسـقة ومتزايدة القوة . فالى جانب المهام اليومية للنقابات ،نجد التنظيم النقابى مطالبا بان يحدد مهام واهداف قومية تتعلق بانجاز الخطة وزيادة الانتـاج. وعلى اساس هذه الارضية الثورية يتم لقــاء وتفاعل خلاق بين التنظيم السياسى وبين التنظيم النقابى ويضطلع التنظيم النقابى بمهام المشاركة فى وضع الخطة وفى تنفيذها .

الشروط الاضافية لتحقيق الديمقراطية فى داخـل التنظيمـات النقـــابية

اذا كنا قد ركزنا الـكلام فى هذا التعليق على الاستقلال الذاتى للحركة النقابية ، فمرجع ذلك هو ان لهذه القضية جوانبها التاريخية ،والفكرية، وانهـا تحتــاج الى مزيد من الوضــــوح يبدد التصــورات السياسية الخـاطئة التى تريد ان تفرض وصايتها على التنظيم النقابى ، كمـــا يبدد التصورات النقابية الضيقة التى تؤدى فى التطبيق الى عزل الحركة النقابية عن حــركة المجتمع وتؤدى — فى التطبيق ايضا — الى ضياع هذه الاستقلالية .

ولا يبقى لنا بعد ذلك غير تعليق سريع على السؤال الثالث المتعلق بالشروط الاضافية لتحقيق الديموقراطية فى داخل التنظيمات النقابية .

وبشكل عام فان مجموع الاجابات التى قدمها الزملاء فى شهاداتهم ، قيمة ومحددة ، وتستحق ان تحيى . والواقع أن قيمة هذه الاراء ووضوحها لا يرجــع الى ازدياد وعى الطبقــة العــاملة بمصالحها ، وانما يرجع بالمثــل الى ان هؤلاء الزملاء يتحدثون من مواقع القيادة داخل الحركة النقابية ، ومن خبرتهم الذاتية قبل كل شىء .وقد طرحوا بالفعل شــعارات وحلولا تضمن — اذا ما وضعت موضع التطبيق ان تدعم ديموقراطية الحركة النقابية خصوصا فيما يتعلق باسلوب ادارة التنظيم النقابى وقيادة وحــداته . وعلى سبيل المثال قدم الزملاء :

— ان تكون انتخابات اللجان النقابية من عموم العاملين بالمنشاة نظرا لان جميع العاملين اعضاء فلا يجوز حرمانهم من حق الترشيح [جلال محمد سليمان] .

— اشتراك الحركة النقابية فى وضع القوانين واللوائح [محمد عبد الرسول] .

— اعداد الكوادر العمالية اعدادا نظـريا وتثقيفها تثقيفا اشتراكيا حقيقيا [ابراهيم البدراوى يونس] .

— التفرغ يتم باختيار النقابة العامة والمتفرغ يمحى اذا استغل وضعه لتحقيق منافع شخصية [محروس محمد شحاته] .

— تدفع الاشتراكات اساسا للجنة النقابية ولا تاخذ النقابة العامة الا حصة لا تزيد عــن ١٠ فى المائه من الاشتراكات [سلام سعد] واذا كانت هذه النقاط قد ترددت فى شهادات بعض الزملاء الاخرين فان المحــاور الرئيسـية لتحقيق الديموقراطية للتنظيم النقابى قد وضحها الزملاء واكدوا عليها . وهذه المحاور فى راينا هى :

١ — العضوية فى التنظيم النقابى يجب ان تكون اختيارية .

٢ — تأسيسا على هذا فان اللجنة النقابية تكون عضويتها اختيارية ايضا فى النقابة العامة.

٣ — ان تتم انتخابات التنظيمات النقابية فى مواعيدها المحددة .

ولكن لماذا نؤكد على هذه المحاور الرئيســية الثلاثة ؟

اولا : لان الاشتراك الاجبــارى فى النقابات يضعف التنظيم النقــابى ويحــد من جماهيريته واتساعه ويحول وحدته الى وحدة شــكلية كما ذكرت بعض الشهادات .

ثانيا : لان انضمام اللجان النقابية الاختيارى الى النقابات العامة ،يهدم البيروقراطية النقابية، ويضع النقابة العامة امام مسئولية النزول الى القاعدة والاستماع الى رأيها .

ثالثا : لان اجراء الانتخابات فى مواعيدها المحددة يدفع بالقيادات الشابة والجديدة الى مواقع المسئولية داخل الحركة النقابية وهو الامر الذى طال حرمان الحركة النقابية منه ».

النقابات بين العمل المكتبى والنشاط الجماهيرى

عبد المنعم الغزالى

التساؤل حول ضرورة وجود التنظيم النقابى .. تساؤل طرحته بعض العناصر الموجودة داخل التنظيم النقابى وخارجه منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ . طرحته العناصر النقابية التى كانت تحصر كل عملها السابق فى اطار العمل النقابى القانونى . وهو الاتجاه الذى يصفه « **محمد السيد** » فى شهادته بأنه « **اتجاه** العمل القانونى للتنظيم النقابى دون اللجوء لتغيير المجتمع الرأسمالى . وبالطبع هذا الاتجاه هو مصدر دعوى عدم الجدوى من وجود التنظيم النقابى لانه يرى فى اجراءات يوليو ١٩٦١ اكثر مما كان يتصور للتنظيم النقابى أن يحققه . وذلك لعدم استيعابه الابعاد الحقيقية لحركة نضال الطبقة العاملة . ويؤلمه أن يرى الحركة النقابية قائمة ومستمرة فى نضالها ، بينما انتهت أهداف نضاله . ولذلك يفضل هذا الاتجاه أن ينهى الحركة النقابية بنهايته التى وصل اليها منذ سنوات » . وهذا الاتجاه فى الحركة النقابية لا يمثل فقط العناصر النقابية القانونية القديمة أو تلك التى سبق لها التعاون مع رأس المال وشركاته فحسب ، بل وأيضا العناصر الادارية والبيروقراطية والمهنية التى تزاحمت على مراكز القيادة فى التنظيم النقابى .

ومن خارج الحركة النقابية عبر عن هذا الاتجاه المعادى لاستمرار التنظيم النقابى كثرة من القيادات الادارية ، والتى ما زالت تعيش بعقلية المعاداة للتنظيم النقابى ، والتى كانت فى الماضى فى صدام مباشر مع النقابات فى حركتها النضالية دفاعا عن الطبقة العاملة وحقوقها ، ونضالا من أجل تغيير حياتها . ولقد ساعد هذا الاتجاه موقف القيادات الحالية للتنظيم النقابى والتى أحالت التنظيم النقابى الى تنظيم دفترى . وهذا هو ما يراه معظم الذين قدموا شهاداتهم ، يرى ذلك **محمد السيد وشحاتة عبد الحليم وعائشة عبد الهادى وخليل على الشاعر ، وكما يقول ابراهيم البدراوى يونس** فى شهادته أن النقابات لم تعد سوى واجهات شكلية لا جدوى منها . أو كما يقول **سلام سعد داوود** : « والمصيبة الكبرى فى نقاباتنا ان قادتها لم يعرفوا ما هى النقابة؟ وما دورها واللى يعرفوه عنها انها : مجرد يافطة أو مطية يركبونها للوصول الى أغراضهم الشخصية كما حدث فى المكان الذى أعمل فيه » .

ان القضية الرئيسية التى يثيرها هذا الجدل تتفرع عن موقفين :

أولهما : الدعوى بانتهاء الصراع بين الطبقات لانه لم تعد هناك طبقات مختلفة المصالح متميزة عن بعضها اقتصاديا واجتماعيا . وانه لم يعد هناك ثمة عدوا اقتصاديا طبقيا ، تكافح النقابات ضده لاستخلاص حقوق العمال.ثم الموقف المتفرع عن النظرية الراسمالية عن «وفاق الطبقات» وعن «التعاون بين العمل ورأس المال» ، وهى النظرية التى تزعم أن الديمقراطية « البورجوازية » هى ديمقراطية الشعب » « كل الشعب » ، وهى نفس الفلسفةالبورجوازيةالغربية لما سمى بالرأسمالية الشعبية ... وهى فى النهاية تنكر دور الطبقة العاملة وحركتها ، ودورها الطليعى فى عملية

الانتقال بالمجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي ٠

ان الصراع بين الطبقات في مرحلة التحول لا تخف حدته ـــ ولكنه يشتد ويزداد حدة ، لان عملية التحول اما أن تتم وتنجز فتبدأ بذلك عملية بناء الاشتراكية ، عملية بناء المجتمع الذي يلغي فيه استغلال الانسان لاخيه الانسان ـــ واما ان تتوقف أو تعرقل عملية التحول اوتعرقل فتستمر الطبقات الرأسمالية في الوجود اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ٠ وقضية اشتداد الصراع الطبقي في مرحلة التحول لا تعني أن وسيلة حسم الصراع في هذه المرحلة هي الوسيلة غير السلمية ، فحسم الصراع بطريقة سلميه أو غير سلمية انما هو قضية الوسيلة والشكل الذي يأخذه الصراع الطبقي ، طبقا للظروف وتوازن القوى وموقف الطبقات القديمة المخلوعة نفسها ٠ وعملية بناء المجتمع الجديد في بلادنا مازالت هي عملية صراع طبقي ضد معسكر القوى القديمة والتي خلعت اقتصاديا من مراكز رئيسية ، كمالكة لوسائل الانتاج في مجالات الاقتصاد الوطني الاساسية في الصناعة والتجارة والزراعة ٠ وهي قوى مازالت تملك الكثير من القدرات والامكانيات والتقاليد والعادات والاوضاع الاجتماعية المتخلفة، والوجود في مراكز السلطة والادارة ، وهذه القوى بحكم مصالحها التاريخية وتطلعها لاستعادة مصالحها تلك تقف ضد عملية التحول فكريا واجتماعيا واقتصاديا ٠ ويدخل في هذا المعسكر كل العناصر والقوى الاجتماعية التي ترى الثورة بعين مصلحتها وآفاق تطلعاتها الخاصة ، والتي ترى أن الثورة يجب الا تتعدى الحدود الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تقف بها عند حد الاستقلال السياسي ـ وهي تعتبر كل نضال من أجل تطوير المجتمع الى مجتمع متحرر تماما من استغلال الانسان للانسان ـــ عملا هادما لكل التقاليد الموروثة عن الملكية الفردية، وعن انقسام المجتمع الى غني وفقير ، والى عامل وصاحب عمل ٠ وموقف هذه القوى الاجتماعية والطبقية المعادي للتحول الاشتراكي يلتقي مع موقف الاستعماريين المضاد للثورة المصرية وهي تريد تحويل المجتمع المصري من مجتمع رأسمالي تابع للرأسمالية العالمية الى مجتمع اشتراكي متحرر تحررا حقيقيا ـــ هذا الموقف المضاد الذي وصل ويصل الى حد شن الحروب العدوانية ضد النظام الثوري في الجمهورية العربية المتحدة ، والى فرض الحصار الاقتصادي لتعطيل عملية بناء المجتمع الصناعي المتقدم، والى التآمر على النظام بشتى الوسائل والطرق ٠

ومن هنا فان عملية الصراع من أجل بناء المجتمع الجديد هي عملية صراع طبقي واجتماعي وسياسي ، وجماهير الشعب العامل مدعوة لان تخوضه بكل قوة ووعي ، وبكل قدراتها التنظيمية والنضالية ـ والنقابات العمالية المصرية وهي صاحبة تاريخ طويل منذ بداية القرن العشرين في الصراع ضد رأس المال، وضد سيطرة الاستعمار ، وباعتبار المنظمات الديمقراطية العريضة لجماهير الطبقة العاملة والشعب العامل ـــ هي أسلحة هامة وضرورية في تنظيم وتعبئة العمال ليمارسوا دورهم الطليعي في هذه العملية الثورية عملية الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وذلك بالتمكين لحكم تحالف قوى الشعب العامل .»

وعملية بناء المجتمع الجديد ـــ هي مهمة جماهير تحالف قوى الشعب العامل ـ وهذه المهمة لا يمكن للجماهير أن تمارس فيها دورها الحقيقي الا من خلال عملها داخل منظماتها الديمقراطية الخاصة بها والتي أسستها عبر تاريخ نضالي طويل لتغيير حياة المجتمع القائم على سيطرة الطبقات المالكة لوسائل الانتاج ومقدرات المجتمع الاقتصادية والسياسية والفكرية ٠ وفي مقدمة هذه المنظمات الديمقراطية ـ النقابات العمالية ـ والتي مازالت وستظل الشكل الافضل الذي من خلاله وبه يمكن لجماهير الشعب أن تتحمل مسئولية الحشد والتعبئة والتنظيم في عملية بناء المجتمع الجديد ، وباعتبارها كذلك مدارس لتعليم الديمقراطية والادارة والحكم ٠

ونقابات العمال اذ تعتبر دعامة رئيسية في بناء العمل الجماهيري ـ في مجالات البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري ـ فانها مدعوة للقيام بواجبات رئيسية في عملية البناء تلك ٠ وغالبية الشهادات المقدمة قدمت عرضا لهذه الواجبات ٠ فنور الدين حسن يرى أن دور النقابات هي :

● أن ترتبط الحركة النقابية بحركة المجتمع وأفكاره وقيمه ، وأن تعي ظروف المرحلة .»

● أن تعمل وتساعد على تحرير طاقات قوى العمل الخلاقة لمزيد من العمل والانتاج ٠

● أن يكون منطق تحرير الطاقات بالعلم، والمزيد من المعرفة الواعية لشئون الانتاج والصناعة وقوى العمل ٠

● أن تعمل وتساعد على تدعيم الجبهة الداخلية وتحالف قوى الشعب في الاتحاد الاشتراكي .»

● أن يكون اسهامها في عمليات الانتاج اسهاما قائما على خطط علمية يتفق عليها على نطاق المجتمع وليست منفردة .»

● أن تزيد من حركتها في المجالات العربية والعالمية وأن تسعى وتعمل دائما لتكون سندا لحركات التحرر وتقف بصلابة ضد الاستعمار .»

● أن يكون لديها البرامج للعمل الذاتى فى مجالات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى ويكون ذلك وفق خطة شاملة داخلة ضمن خطة المجتمع .

● أن تنظم الحوافز الايجابية للعاملين المجدين فى مجالات الانتاج أو الخدمات بأن تتيح لهم مثلا : ١ — دراسات أعلى ٢ — رحلات خارجية .

وعائشة عبد الهادى ومحمود عبد المطلب وبكر صديق عبد الوهاب وشحاتة عبد الحليم وأحمد دسوقى يرون ضرورة قيام النقابات بهذه الواجبات فى مرحلة التحول . الامر الذى يبرز أهمية استمرار النقابات كاسلحة فعالة فى بناء المجتمع الجديد ، الامر الذى يوجب الارتفاع بمستوى العمل النقابى فى مجالات الاقتصاد والتعليم وفى النضال ضد التشويه والفساد البيروقراطى فى عمل الاجهزة الادارية . وعن ذلك يقول **محمود عبد المطلب سيد فى شهادته** : « يجب أن تعمل النقابة على مناقشة الخطة العامة،وتقوم بتحديد ندوات دورية لجماهير العمال لربط العمال بالخطة وشرح أهمية الخطة للمجتمع . وبذلك يشعر العمال بان هذه الخطة جزء من حياتهم حتى تنطلق القوة الكامنة عندهم لتنفيذ الخطة فى موعدها . وللنقابة كذلك دور هام فى رفع الكفاية الانتاجية والثقافية والمادية للعمال وكذلك فى فتح مراكز تدريب للعمال وهى من الوسائل المساعدة لزيادة الانتاج وتحسينه وتقليل تكاليفه » .

●

ثم يأتى الشق الاخر من السؤال — هل مازال أمام النقابات دور للدفاع عن الحقوق العمالية والحفاظ عليها والنضال من أجل المزيد ؟ .

يرى **صديق عبد الوهاب** فى شهادته ان هذا الدور « فى مرحلة التحول هو حماية المكاسب الاشتراكية . والعمل على زيادتها » ويرى أحمد دسوقى أنها «أصبح عليها مسئولية العمل من أجل تدعيم هذا التحول وابراز مامنحه من مكاسب واستقرار مادى واجتماعى لجماهير العمال .. » وهو الرأى الذى ذهبت اليه أغلب الشهادات التى حصلنا عليها .

لقد حصلت الطبقة العاملة المصرية على كثير من الحقوق بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبصفة خاصة بعد اجراءات يوليو ١٩٦١ فى مجالات ظروف العمل وشروطه وفى الاجور وساعات العمل وفى التشريع ... الخ ولكن مازال أمام الطبقة العاملة المصرية بكل قطاعاتها طريق طويل وشاق يجب أن تجتازه لتأخذ الكثير مما تصبوا اليه وما تناضل من أجله — لتحسين ظروف حياتها وعملها . انه مازال على النقابات وهى تؤدى دورها الطليعى فى بناء المجتمع أن تناضل من أجل الحفاظ على حقوق العمال المكتسبة،وتدعيم هذه الحقوق وتوسيعها. ومازالت ظروف حياة بعض العمال وشروط عملهم. رغم كل التقدم متخلفة عن المستوى المطلوب لتحقيق الحياة الانسانية اللائقة والمعقولة . فعمال الزراعة مازالوا يعانون من البطالة الموسمية والفاقة ، وسوء المسكن والملبس والمأكل ، ومازالت أجورهم دون المستوى ، وعمال التراحيل مازالوا يعانون من وطأة الاشكال الاستغلالية العديدة التى كانوا يعانون منها فى الماضى على أيدى مقاولى الانفار بأشكال ووسائل جديدة ، مازالوا محرومين من مظلة التامينات الاجتماعية والصحية ، والحماية التشريعية » مازال العمال الحرفيون واشباه العمال يعانون الكثير من مشاكلهم وهم يستنزفون قوى استغلالية عديدة فى الورش الصغيرة والمتوسطة والمحال التجارية ، ومازالت أعداد كبيرة منهم لا تحصل على الحد الادنى القانونى للاجر .

ونقابات العمال فى نضالها فى هذا المجال انما هى تناضل فى جبهتين : جبهة القطاع العام المملوك للدولة — وهى فى هذه الجبهة تشن نضالا اقتصاديا واجتماعيا وطبقيا لحماية مصالح الجماهير الكادحة من عدوان اللوائح والقوانين المتخلفة ، ومن عدوان العقليات التنفيذية والتى مازالت تفكر وتنفذ بفكرية البورجوازية — والجبهة الاخرى وهى جبهة القطاع الخاص والذى مازال يمثل قطاعا هاما فى اقتصادنا الوطنى ويستخدم القطاع الاكبر من القوى العاملة — والذى لم تتطور فيه شروط العمل وظروفه وتطبيق القوانين بعد الى المستوى الانسانى اللائق بحياة البشر .

والدراسات التى قامت بها بعض الاجهزة المسئولة عن شروط العمل وظروفه والاجور وعلاقات العمل وحل المنازعات العمالية وتنفيذ أحكام قانون العمل — تؤكد لنا ازدياد قدر المشاكل التى تواجه العمل النقابى ، والذى يجب ان يبذل مزيد من الجهد لحلها — وتبين كذلك قدر العدوان على الحقوق المكتسبة — هذا العدوان الذى يفرض على التنظيم النقابى مواجهته بروح نضالية ، وبتعبئة ديمقراطية لجماهير الكادحين . وباستعراضنا لهذه الاحصائيات ، نجد الصور التالية امامنا سواء فى القطاع العام او الخاص :

فاولا : فى مجال شروط العمل وظروفه يبين لنا الجدولان التاليان : أ ــ ازدياد عدد الحالات التى لا تراعى تطبيق شروط العمل الصحية فى اماكن عمل تؤدى بها عمليات صناعية والتى قامت وزارة العمل بالتفتيش عليها ٠ب ــ ازدياد عددالمخالفات للشروط المفروض توافرها لوقاية العاملين من اصابات العمل ٠

أ ــ الصحة العمالية

السنة	عدد الزيارات لاماكن العمل بالمنشآت		عدد الانذارات		عدد المحاضر	
	العــدد	النسبة	العــدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٦٢/٦١	٣٧٠٣	٪١٠٠	٢٢٤٩	٪١٠٠	١٤١	٪١٠٠
١٩٦٣/٦٢	٨١٥١	٪٢٢٠	٥٢٢١	٪٣٣٢	٣٤١	٪٢٤١
١٩٦٤/٦٣	١٣٣٣٦	٪٣٦٠	٣٥٤٣	٪١٥٧	١٧٢	٪١٢٢
١٩٦٥/٦٤	٢٣٢٥٨	٪٦٢٨	٢٩٦٢	٪١٣١	٢١٤	٪١٦٠
١٩٦٦/٦٥	٢٩٢٦٣		٣٤٠٩	٪١٥١	٣٦٥	٪٢٥٨

ب ــ الوقاية من اصابات العمل

السنة	عدد الزيارات لاماكن العمل بالمنشآت		عدد الانذارات		عدد المحاضر	
	العدد	النسبة	العــدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٦٢/٦١	٤٩١	٪ ١٠٠	٣٣٧	٪١٠٠		
١٩٦٣/٦٢	١٧١٧	٪ ٣٥٠	١٠٣٣	٪٣٠٦	٨١	٪١٠٠
١٩٦٤/٦٣	٣٥٧٤	٪ ٧٢٨	٤٧٠	٪١٣٩	١٢٩	٪١٥٩
١٩٦٥/٦٤	٥٤٢٩	٪١١٠٦	٤٣٩	٪١٣٠	٤١	٪ ٥٠
١٩٦٦/٦٥	٧٣٧٦	٪١٥٠٠	٤٣٢	٪٢١٧	٩١	٪١١٢

وتوضح مجموعة الجداول التالية ازدياد حالات النزاع فى **مجال الاجور وعلاقات العمــل وحل المنازعات العمالية ٠**

أ ــ بيان بعدد الشـــكاوى الفــردية الخاصة بالاجور والتى تقدم بها الافراد خلال الاعوام من ٦١ـ١٩٦٢ الى ٦٥ـ١٩٦٦

السنة	عدد الشــكاوى المقدمة	
١٩٦٢/٦١	٧٨ر١٢٩	٪١٠٠
١٩٦٣/٦٢	٩٦ر٩٤٦	٪١٢٤
١٩٦٤/٦٣	١١٥ر٠٨٤	٪١٤٧
١٩٦٥/٦٤	١٣٥ر٦٤٤	٪١٧٤
١٩٦٦/٦٥	١١٩ر٧٣٦	٪١٥٣

وترجع أسباب اطراد الزيادة تلك الى :

- زيادة العمالة
- كثرة الخلافات الناشئة بين العمال وأصحاب الاعمال وادارات القطاع العام نتيجــة تطبيــق القــوانين العمالية بعــد قرارات يوليو ١٩٦١، وصدور اللوائح الخـاصة بالعــاملين بالشركات ابتداء من اللائحة رقم ٣٥٤٦ لسنة ١٩٦٢
- عدم تطبيق القواعد الخاصة بالحد الادنى للاجور فى القطاع الخاص ٠

ويبين الجدول التالى عدد الشكاوى الفردية التى سويت وديا ، أو حفظت ، وعدد ما أحيل منها الى القضاء او الى مكاتب التفتيش ـ ويلاحـظ ازدياد عدد الحالات المحالة الى القضــاء او الى التفتيش ٠

السنة	تســوية ودية وحفظ		احالة للقضاء		احالة للتفتيش		المجمـــوع	
	العــدد	النسبة	العــدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٩٦٢/٦١	٤٥ر٨١٦	٪١٠٠	١٨ر٥٥٥	٪١٠٠	٢٥٦٣	٪١٠٠	٦٦٩٣٤	٪١٠٠
٩٦٣/٦٢	٦٣ر٢١٠	٪١٣٨	١٩ر٤٢٢	٪١٠٥	٣٨٠٤	٪١٠٩	٨٦٤٣٦	٪١٢٩
٩٦٤/٦٣	٨٨ر١٤٦	٪١٩٠	١٩ر٩٣١	٪١٠٧	٥٢٤١	٪٢٠٤	١١٢٣١٨	٪١٦٨
٩٦٥/٦٤	١٠٩ر١١٣	٪٢٣٨	٢٢ر٣٦٠	٪١٢٠	٦٨١٥	٪٢٦٦	١٣٨٣٨٨	٪٢٠٧
٩٦٦/٦٥	٩٠ر٧١٧	٪١٩٨	٢٣ر٠٦٦	٪١٢٤	٧٠٤٢	٪٢٧٥	١٢٠٨٢٥	٪١٨٠

ب ـ حالات الفصل وموقف اللجان الثلاثية .

بعد صدور القرار الوزارى رقم ٩٦ لسنة ١٩٦٢ والذى عدل بالقرار رقم ٨٠ لسنة ١٩٦٥ ، وقضى بضرورة عرض حالات الفصل على اللجان الثلاثية قبل البت فيها ، والا اعتبر الفصل باطلا . بلغ عدد طلبات الفصل التى قدمت للجان الثلاثية خلال عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ، ١١٥ر٢٨ طلبا استبعد منها ٤٥٤ر٦ طلبا لعدم حضور ممثل صاحب العمل .

والجدول التالى يبين عدد حالات الفصل التى عرضت على اللجان الثلاثية ونتائج التصرف فيها فى خلال أربع سنوات :

السنة	عدد الحالات التى بحثت		موافقة على الفصل		عدم الموافقة على الفصل	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٦٢/١٩٦٣	٣٤٢ر٢	١٠٠٪	١٦٣٦	٧٠٪	٧٠٦	٣٠٪
٦٣/١٩٦٤	٧١٤١	٣٠٥٪	٤٧٧٢	٦٧٪	٢٣٦٩	٣٣٪
٦٤/١٩٦٥	١٤٢٧٦	٦٠٩٪	٩٩٣٦	٧٠٪	٤٣٤٠	٣٠٪
٦٥/١٩٦٦	١٢٥٤٥	٩٢٠٪	١٦٧٢٣	٧٨٪	٤٨٢٢	٢٢٪

مدى استجابة المنشآت لقرارات اللجان الثلاثية :

السنة	عدد حالات عدم الموافقة على الفصل	استجابة المنشآت	
		العدد	النسبة
٦٣ / ١٩٦٤	٢٣٦٦	١٨٤٨	٧٨٪
٦٤ / ١٩٦٥	٤٣٤٠	٣١٥٧	٧٣٪
٦٥ / ١٩٦٦	٤٨٢٢	٣٣١٢	٦٩٪

المنازعات الجماعية

يوضح الجدول التالى عدد المنازعات الجماعيةالمقدمة خلال أربعة اعوام :

السنة	عدد المنازعات		تسوية		نتيجة البحث: احيلت للتوفيق		احيلت للتحكيم	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٦٢/١٩٦٣	٢٥٨	١٠٠٪	٣٧	١٤٪	٢٠١	٧٨٪	٢٠	٨٪
٦٣/١٩٦٤	٨٤	٣٣٪	٢٠	٢٤٪	٦١	٧٣٪	٣	٣٪
٦٤/١٩٦٥	٩٨	٣٨٪	٣٠	٣١٪	٦٣	٦٤٪	٥	٥٪
٦٥/١٩٦٦	٧٨	٣٠٪	٢٦	٣٣٪	٤٧	٦٠٪	٥	٧٪

تنفيذ أحكام قانون العمل

وفيمايتعلق بتطبيق أحكام قانون العمل بما فى ذلك مراقبة ساعات العمل ليلا ونهارا،وتشغيل الاحداث والنساء ، يوضح الجدول التالى عدد الانذارات الموجهة الى أصحاب الاعمال لمخالفتهم احكام القانون وعدد المحاضر المحررة ضدهم ، وذلك خلال خمس سنوات تبدأ من ٦١/١٩٦٢ :

السنة	عدد الزيارات التفتيشية		عــدد الانذارات		عدد المحاضر	
	العــدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٦٢/٦١	٨٤٤٦٤	١٠٠٪	١٨ر٩٣٣	١٠٠٪	١٠ر٠٥٨	٣٠٠٪
١٩٦٣/٦٢	١٧٧ر٨٤٦	٢١٠٪	٣١ر٥٤٧	١٦٦٪	١٦ر٦٠٢	١٦٥٪
١٩٦٤/٦٣	٣٠١ر١٢٦	٣٥٦٪	٣٦ر٧٠٠	١٩٣٪	٢٣ر٢٩١	٢٣١٪
١٩٦٥/٦٤	٤٥٩ر٧٧٤	٥٤٤٪	٤٢ر٥٦٢	٢٢٥٪	٢١ر٦٨٧	٢١٦٪
١٩٦٦/٦٥	١٧٦ر٤٠٦	٢٠٩٪	٣٤ر٦١٥	١٨٣٪	١٤ر٦٠٦	١٤٥٪

وبتحليل الارقام السابقة يتضح لنا ان النقابات مازال أمامها دور كبير وأساسى فى عملية الصراع من اجل حل كافة المشاكل العمالية ، مشاكل الاجور والدخول والمكافات والمنح والعلاوات وساعات العمل الاضافية ، مشاكل الاستخدام ، والعناية الصحية واجراءات الامن الصناعى الخ ..

ان مواجهة كل هذه المشاكل والعمل على حلها أصبح يوجب ضرورة العمل بجدية وحسم للارتفاع بمستوى كفاءة العمل النقابى فى كافة المجالات .

والارتفاع بمستوى كفاءة العمل النقابى لا يمكن ان يتحقق بانتهـــاج الطرق الادارية وزيادة قدر العمل المكتبى النقابى كما هو حادث اليوم ، انما يتطلب ذلك تحقيق ديمقراطية واسعة داخل التنظيم النقابى وفى كافة مستوياته واشراك أوسع عدد من العناصر النشيطة القيادية فى كافة المستــويات القيادية فى التنظيم النقابى ، والوصول الى اشراك أوسع الجماهير فى النشاط والعمل اليومى .

ان تدعيم النقابات لتتمــكن من القيام بدورها الطليعى فى انجاز المهام الثورية التى تواجه مرحلة التحول أصبح يوجب ضرورة العمل من أجل :

١ ـ احداث تغيير شامل وبوسيلة الديمقراطية للقيادات النقابية التقليدية ، والتى لم تعد فى مستوى المرحلة فكريا وسياسيا وعمليا وكذلك من القيادات الغير عمالية والتى استفادت من تعريف العامل الفضفاض الذى أقر عقب اجراءات يوليو ١٩٦١ .

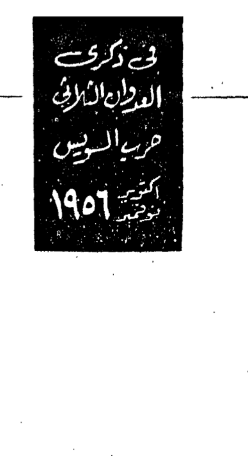
٢ ـ تدعيم الديمقراطية وتوسيعها داخل التنظيم النقابى بحيث يمكن اشراك جماهير العمال والكادحين فى كافة نواحى النشاط والعمل ـ ولحشد هذه الجماهير حشدا حقيقيا وبارادتها الواعية فى عملية البناء وفى معارك زيادة الانتاج ومحاربة البيروقراطية والفساد والانتهازية فان « الطبقة العاملة كما يقول ميثاق العمل الوطنى : « لا يمكن ان تســـاعد بالسخرة الى تحقيق أهداف الانتاج » .

وتدعيم الديمقراطية داخل التنظيم النقابى اصبح يوجب ضرورة العمل لوصول العناصر الممثلة بحق لقوى العمل الحقيقيــة . العمال المأجورون ليقودوا تنظيمهم بأنفسهم ، وليتعلموا فى هذا التنظيم فن الادارة وممارسة الديمقراطية .

٣ ـ تنفيذ خطة تثقيف وتوعية اشتراكية ـ يكون أساسها نشر الفكر الاشتراكى العلمى بين صفوف جماهير العمال . وذلك لتسليح هذه الطبقة بنظرية ثورية تكون دليلها فى العمل ، ومرشدا لها وهى تتصـدى بوعى لحمـاية خط استمرار الثورة نحو آفاقها الحقيقية لبنـاء الاشتراكية فى البلاد .

ويوجب ذلك ضرورة الاهتمام ببرامج الثقافة العمالية وتنقيتها من كل الفكريات البورجوازية والرجعية ـ والاهتمام بالصحافة العمالية حتى تكون هنـــاك منابر اعــلامية عمالية جادة قادرة على تعبئة الجماهير واستيعابها فى العمل الثورى والتعبير بحق عن آمالها وحياتها ومشاكلها ـ وكذلك التعبير عن آمال الثورة وآفاقها البعيدة المدى ـــ الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان .

٤ ـــ ضرورة تحقيق علاقة وثيقة بين النقابات والتنظيم السياسى ، يكون أساسهـــا لا التبعيـــة الادارية للتنظيـــم ، ولـــكن تحقيـــق الدور القيادى الواعى للتنظيم السياسى داخل التنظيم النقابى ـ الدور القيادى الذى يحتـرم ارادة الجمـــاهير وينبثق منهـا ، والذى بتحقيقـــه يمكن أن تكون النقابات قاعدة هامة للتنظيم السياسى الطليعى ومصــدرا أساسيا لا ينضب لتقديم الكوادر القيادية فى كافة المجالات .





بين عدوانين
١٩٥٦ - ١٩٦٧

سعد زهران

ماهي الفروق الاساسية بين العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (او ما اصطلح على تسميته بحرب السويس)، وبين العدوان الإسرائيلي الامبريالي عام ١٩٦٧ (او ما اصطلح على تسميته بحرب الشرق الاوسط)؟

من الناحية الدولية : كانت حرب السويس أجراء يائسا متعجلا ، لجأت اليه الامبراطوريتان الاستعماريتان العتيقتان حينذاك (البريطانية والفرنسية) ، لانقاذ مابقى من نفوذهما الاستعماري المتداعي باطراد منذ الحرب العالمية الثانية . كما كانت تلك الحرب ، من وجهة النظر الاستراتيجية ، هجوما مضادا شنته قوى الاستعمار القديم فى مواجهة الهجوم الكبير الذى قامت به حركات التحرير المتعاظمة القوة فى ارجاء امبراطوريتيهما ، والذى كان يتجمع منذ اعقاب الحرب العالمية الأولى ، وبلغ أوجه بعد الثانية . وهو هجوم مضاد انتهى الى الهزيمة ، وكان علامة تاريخية على انتهاء عصر الاستعمار القديم .

أما حرب يونيو ١٩٦٧ فى الشرق الاوسط فهى فى جوهرها عملية تمت بسبق الاصرار والتدبير ، أقدم عليها الاستعمار العالمى الجديد (يتزعمه ويمثل الثقل الغالب فيه الاستعمار الامريكى) ، بهدف اعادة النفوذ الاستعمارى فى اشكاله الجديدة الى مناطق اقتلع منها الاستعمار القديم . ومع ذلك فنحن نعتقد أنها أيضا لاتعدو أن تكون ، من وجهة النظر الإستراتيجية ، هجوما مضادا يشنه الاستعمار الجديد ضد هجوم حركة التحرير المتعاظمة القوة فى قلب قلاعه التقليدية ، والتى اخذت ابعادا عالمية قوية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وأعقابها ، وذلك بانتصار الثورة الصينية فى ١٩٤٩ وخرج الصين نهائيا عن دائرة النفوذ الامريكى ، وصمود جمهورية كوريا الديمقراطية فى وجه العدوان الامريكى (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) ،

وحدوث المفاجأة الكوبية برفع الاعلام الحمراء على ثورتها التحريرية (١٩٦١) وامتداد اشعاعات الثورة الكوبية بعد ذلك الى جميع أرجاء أمريكا اللاتينية ، واخيرا وليس آخرا ، بذلك المثل التاريخى الرائع الذى يضربه الشعب الفيتنامى ، والذى بات يهدد بزوال النفوذ الامريكي ـ ليس فقط فيما بقى من شبه جزيرة الهند الصينية ، ولكن فيما بقى من معظم القارة الاسيوية العتيدة • ذلك المثل الذى يمتد أثره الى قلب الولايات المتحدة نفسها ، ليصيب السياسة الداخلية الامريكية بالتمزق ، ويكشف عما فيها من سوءات وقروح • وهذا الهجوم المضاد الذى شنه الاستعمار الجديد فى الشرق الاوسط عام ١٩٦٧ ، وان كان قد أحرز نصرا ، الا أن كل القرائن التاريخية تؤكد أنه نصر مؤقت ، لن يدوم طويلاً •

ومن الناحية العربية : كانت حرب السويس محاولة لضرب ثورة مصر التحريرية ، وعزل اثرها عن العالم العربى قبل أن تتبلور الفكرة القومية فى منجزات ايجابية . حينذاك كان حلف بغداد يمد ظلاله على المشرق العربى مستندا الى الحراب البريطانية ، وكان الاحتلال الفرنسى يجثم على انفاس المغرب العربى وتسيل دماء شهداء النضال الوطنى فى الجزائر أنهارا • وكان حلم الامبراطوريتين الغاربتين أن ضرب الثورة والحكومة الوطنية فى القاهرة ، سيؤكد ويبسط نفوذ حلف بغداد على كل الشرق الاوسط ، وسيدعم الاحتلال الفرنسى على المغرب العربى الكبير •

ولايمكن أن ننسى ، مهما حدث ، أن هزيمة العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ كانت من العناصر الحاسمة التى انتهت الى انهيار حلف بغداد فى ١٩٥٨ ، وانتصار ثورة الجزائر وخروج المغرب العربى عن دائرة نفوذ الاستعمار الفرنسى فى اوائل الستينات .

بمعنى آخر ، كانت حرب السويس اجراء وقائيا لمنع الحركة القومية من تحقيق منجزات كانت تبدو احتمالاتها فى الافق العربى ، ومن ثم كانت هزيمة المستعمرين القدامى فى حرب السويس بشيرا بما حققته الحركة القومية العربية فيما بعد من نجاح •

أما حرب الشرق الاوسط وبخاصة اذا تدبرنا المخططات الاستعمارية التى سبقتها وأعقبتها على النطاق العربى ، فانها فى جوهرها محاولة لضرب حركة التوحيد العربى بعد أن أصبحت حقيقة ، وأثبتت وجودها بمنجزات ما يزيد على عشر سنوات ، وهى منجزات لا شك فى ايجابيتها على الرغم من الطريق المعقد الذى اختطته ، والاخطاء والتعثرات الجزئية التى أحاطت به •

ومن الناحية الداخلية ، كانت حرب السويس فى ١٩٥٦ محاولة لخنق سلطة طلائع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واعادة سلطة التحالف القديم (راس المال الكبير ، وكبار الملاك ، او ما اصطلح على تسميته بالاحتكار والاقطاع) ، ليكون ركيزة داخلية للاستعمار القديم . وطبيعى ان انتهت هزيمة العدوان الى ان دخلت قوى الاقطاع والاحتكار المحلى الى متحف التاريخ ، وفتح الطريق واسعا امام ظاهرة من اهم ظواهر حركات التحرير فى عصرنا ، الا وهى تلاحم الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية ، او الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية • واجهاض هذه العملية الضرورية للثورة المصرية وللثورة العربية عامة ، هو هدف عدوان ١٩٦٧ على وجه التحديد • ان حرب الشرق الاوسط ، بصفتها أنسى جريمة لقوى الثورة المضادة فى الشرق الاوسط ، كان من أهم أهدافها عرقلة انتقال الثورة العربية من مواقعها الوطنية التقدمية الى مواقعها الاشتراكية •

ان قوى الاستعمار الجديد تدرك تماما ــ عن تجربة ويقين ــ أن انهاء استغلال الانسان للانسان فى أى بلد يعنى قطع كل سبيل للتسلل اليه مرة أخرى ، وانه طالما بقى فى أى بلد نفوذ لفئات اجتماعية مستغلة ، فان الامكانية قائمة لكى تكون هذه الفئات جسرا يعبر عليه راس المال العالمى لاستعادة مواقعه فى هذا البلد ، ويظل أمل الامبريالية العالمية حيا وساعيا للسيطرة عليه من جديد • ومن ثم فان مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية تعد مرحلة بالغة الحساسية والخطر على طريق نضال الشعوب نحو مجتمع يزول فيه استغلال الانسان للانسان • انها المرحلة التى يدرك فيها رأس المال العالمى أنها فرصته الاخيرة ، ولذا فان هجماته أثناءها تتميز بدرجة عالية من الخبث والضراوة • وتستغل قوى الرجعية العالمية بعض الظروف غير المواتية لتسدد ضرباتها وتحرز بعض الانتصارات الجزئية ، ومن أهم هذه الظروف تفكك الوحدة المفترضة فى قوى الثورة على الصعيدين الداخلى والعالمى ، وظروف التغير السريع من المجتمعات التقليدية القديمة التى سبقت تحقيق الاستقلال السياسى الى نوع من الحياة الحديثة التى تغلب فيها المدينة الريف وتسود فيها الصناعة على الزراعة ، ويبحث فيها المجتمع عن مؤسساته السياسية التى تيسر هذا التحول الحضارى الخطير •

بقى ــ من **وجهة النظر الدولية ــ** تفصيل ثانوى فى تلك المقارنة التى نعقدها بين عدوانى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وهو تفصيل ــ وان يكن ثانويا من زاوية الاستراتيجية الدولية العامة ، الا انه شديد الاهمية من الزاوية الاقليمية والتكتيكية ــ نعنى به دور اسرائيل فى كل من الحربين •

غني عن الذكر أن اسرائيل تحركت في كل من الحربين كأداة في يد القوى العدوانية الدولية الاصيلة في المنطقة ـ قوى الاستعمار القديم في ١٩٥٦ وقوى الاستعمار الجديد في ١٩٦٧ . غير أن اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية ، منشأة استعمارية من نوع خاص . انها ليست ملكا خالصا لقوة استعمارية واحدة ، ولكنها منشأة تساهم فيها قوى العدوان والاستعمار الدولي بانصبة تتناسب مع قوتها ، وان كان للمؤسسة العسكرية في اسرائيل من دور مميز ، فهو المضاربة على المغامرات العسكرية للقوى الاستعمارية الاشد عدوانية في هذه الملابسات الدولية أو تلك ، هذا ـ دون أن تفرط في علاقاتها مع الاطراف الاخرى في معسكر الاستعمار والحرب .

هكذا ضارب «بن جوريون» «وموشي ديان» على الموقف العدواني اليائس الذي اتخذه **محور ايدن ـ موليه** في حرب السويس ، ولكن دون ان تفقد الدولة الصهيونية روابطها وتبعيتها الاصيلة للولايات المتحدة ، ودون أن يفوتها الاستفادة من موقف امريكا الخاص في ازمة السويس . ومن ثم امتزجت هزيمة العدوان الصهيوني عام ١٩٥٦ ، والتي كانت جزءا من الهزيمة العامة لمغامرة ايدن ـ موليه ، امتزجت بنوع من الكسب المحقق الجزئي (المتمثل في فتح طريق الملاحة عبر مضيق تيران عند مدخل العقبة أمام ميناء ايلات) . ويعود ذلك الكسب الى ذلك الارتباط الاصيل بموقف أمريكا وحرص أمريكا على الا يترتب على هزيمة العدوان الثلاثي هزيمة كاملة للدولة الصهيونية التي تسهم الاحتكارات الامريكية في تأسيسها وتثبيت كيانها بالنصيب الاوفى .

ومرة أخرى ضارب « موشي ديان » والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية على الموقف العدواني المندفع الذي تنتهجه حكومة جونسون في ١٩٦٧ ، واستفادت ـ ومازال تستفيد ـ من الموقف الهمجي البليد الذي تتخذه الولايات المتحدة تجاه كل المشكلات الدولية المتفجرة التي تهدد سلام العالم وأمن الشعوب وحريتها في ظل رئاسة جونسون ، وهو موقف يماثل ، ان لم يتفوق ، على سياسة حافة الهاوية التي كان يتبعها جون فوستردالاس في المجال الدولي . كل هذا أيضا دون أن تفقد الدولة الصهيونية العدوانية علاقتها الوثيقة بالدوائر الاشد عدوانية في الغرب الاوروبي الرأسمالي ، وفي مقدمتها قوى الاستعمار الالماني الغربي الجديد ، والدوائر الاحتكارية في كل من بريطانيا وفرنسا ، والرأى العام العنصري في الغرب عموما ، والذي أحيت فيه الدعاية الصهيونية الدعوبة المضللة نوعا من الروح الصليبية الجديدة . وأجادت الدولة الصهيونية الاستفادة من كل هذه القوى العدوانية ، بطريق مباشر وغير مباشر ، في كافة المجالات السياسية والدعائية والمالية والعسكرية .

واذا كانت هزيمة عدوان ١٩٥٦ جعلت اسرائيل وجهازها العسكري تبدو في أقل من حجمها الحقيقي ، فان النصر المؤقت الذي حققه عدوان ١٩٦٧ جعل اسرائيل تبدو في أكبر من حجمها الحقيقي . وكانت لتلك الرؤيا المبالغ فيها ، في الحالين ، أثرهما السياسي والنفسي على كل من قوى الصهيونية العدوانية والقوى التحررية في المنطقة العربية . فمنذ حرب السويس ، لم يغفل الجهاز العسكري الاسرائيلي لحظة عن دعم قوته اعدادا للجولة التالية ، كما لم تكف قوى الاستعمار العالمي عن امداده بالسلاح والاموال والتدريب لتطوير قدراته العدوانية . ومنذ حرب الايام الستة المشئومة ، تصور الصهيونيون وسادتهم أنه قد آن الاوان لتنفيذ مشروع اسرائيل الكبرى (من النيل الى الفرات) ، وأنه يمكن اجبار العرب على قبول نتائج العدوان ، اى ان يصبح نهر الاردن هو حدود اسرائيل الكبرى شرقا ،وقناةالسويس هو حدودها غربا ـ كلذلك مؤقتا ، الى أن تحين فرصة أخرى لتوسيع رقعة العدوان . وباختصار ، تصور الصهيونيون والامبرياليون انه قد آن الاوان لخنق حركةالتحرر العربي ، وفرض الدولة الصهيونية سيدة على منطقة الشرق الاوسط ، « وشرطي » ساهر على حماية مصالح احتكارات البترول الغربية والمصالح الاستراتيجية لجهاز الحرب الامريكي . ولا جدال ، مهما كانت قسوة الهزيمة التي حلت بالعرب وابعادها ، ان ذلك وهم سيكلف المستعمرين وكلب حراستهم الصهيوني غاليا ، ليس على المدى البعيد فحسب ، ولكن في المستقبل القريب أيضا .

ومن الجانب العربي العام ، فان النصر ـ السهل نسبيا والسياسي أساسا ـ الذي حققناه على العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ لم يكن خيرا كله ،، ولعل أهم آثاره السلبية ،ان صح هذا التعبير ـ هو ان العرب اصيبوا بنوع من الثقة المبالغ فيها في قوتهم ، ومن ثم فاتهم أن يتابعوا الاخذ باسباب تطوير قوتهم بالقدر الكافي لملاحقة جهود العدو في تطوير قوته ، وتبدد كثير من ثمار النصر العظيم في غير حصافة أو تبصر . كذلك لم تكن الهزيمة القاسية في ١٩٦٧ شرا كلها . ذلك أنها ـ على الرغم من أزمة الثقة الحادة التي نجرتها ـ الا انها فتحت كل الاعين على كل الاخطاء ، وخلقت ـ الى جانب المرارة والالم ـ طموحا شعبيا جارفا للاخذ بأسباب البقاء والقوة ، وأشعرت كل ذى ضمير ومسئولية بعظم التحدى الاسرائيلي الاستعماري وما يترتب عليه من مسئوليات جسام .

ومن الجانب الفلسطيني الخاص ، كان للنصر السهل فى ١٩٥٦ جانبه السلبى أيضا . ذلك ان قضية الوطن الفلسطينى ظلت – فى مجموعها – بأيد غير فلسطينية . ولا نبالغ اذا قلنا ان حرب الشرق الاوسط فى صيف ١٩٦٧ كانت علامة هامة فى تاريخ القضية الفلسطينية ، حيث انتقلت قضية استرداد الوطن السليب – أساسا – الى أيدى أصحاب القضية الاصليين ، الى أيدى منظمات المقاومة الفلسطينية ، ومن ورائها نسبة متزايدة من ابناء الشعب الفلسطينى ، وانتزع ابناء فلسطين هذه المهمة من أيديهم بالاسلوب الوحيد الممكن – بالدم .

وربما يكون حجم حركة المقاومة الفلسطينية – بالقياس الى الحجم الاجمالى للصراع العربى الاسرائيلى – ربما يكون حجم هذه المقاومة محدودا ، غير أن نتائج واشعاعات هذه الحركة قد لا تكون محدودة . واذا أمعن الصهيونيون والامريكيون فى سياسة العدوان الى غير حدود على حقوق الامة العربية ومقدساتها وأراضيها ، وهذا ما تشير اليه جميع الدلائل ، فان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة لن تكون سوى الفتيل الذى سيشعل براميل المتفجرات الثورية الموزعة فى أرجاء الوطن العربى كله ، مشرقا ومغربا . فالقواعد العسكرية الامريكية والبريطانية موزعة على ليبيا والسعودية وامارات الخليج ، والاسطول السادس فى البحر الابيض يتسلل الى القواعد التى جلا عنها الفرنسيون منذ قليل فى كل من تونس والمغرب ، هذا فضلا عن قوات الاحتلال الصهيونية على ارضى كل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ، وعدوانها فى حرب يونيو وما بعدها على لبنان ، وتحطيمها للقوة الاساسية لسلاح الطيران العراقى . ان هذه الخريطة الدامية للعدوان الاستعمارى على الوطن العربى لا يمكن أن يكتب لها البقاء . ان المقاومة المسلحة هى صيحة اليوم فى العالم العربى . وهى ان لم تكن قد بدأت بشكل جدى الا على ارض فلسطين المغتصبة الا أنها ستتحول غدا او بعد غد الى اعصار شامل يقتلع نفوذ احتكارات البترول من أرض العرب ويطهرها من قواعد العدوان . وفى غمره هذا النضال المرتقب ، ستكتسب حركة الوحدة العربية دفعة جديدة ، ربما تكون هى الحاسمة فى الطريق الى وطن عربى موحد . يسترد حريته وثرواته من أيدى غاصبيها ، ويتعم بنيه يصونها ويستثمرها .

وبعد ...

فتلك اوجه محدودة لبعض الفروق بين عدوانين ، مما يجدر تاملها بمناسبة ذكرى عدوان ١٩٥٦ . وان كانت الدراسة التاريخية لتلك الفروق تستاهل أن يتوفر عليها الباحثون ويصدرون فيها الكتب ويستخلصوا منها الدروس والخبرات . ولا يفوتنا قبل ان نختتم تلك اللمحات السريعة ان نشير الى السياسة الثابتة التى انتهجها الاتحاد السوفيتى وسائر البلاد الاشتراكية الاخرى ، والتى تتسم دائما بطابع العداء للامبريالية والاستعمار ، ومن ثم نلتقى لقاء مبدئيا منزها عن الغرض مع الاهداف الاصيلة لحركة التحرير العربى ، الوطنى والاجتماعى . وقد كانت المساعدات والتاييد غير المشروط الذى قدمه الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكيه عنصرا حاسما فى كل من الازمتين التاريخيتين . فى احراز النصر عام ١٩٥٦ ، وفى الصمود امام العدوان فى يونيو ١٩٦٧ واعقابه . ولا يجادل احد فى ان التمسك بهذا التعاون وتطويره يعد عاملا ثابتا فى الصمود العربى ، وفى دعم الجهد العربى لازالة آثار العدوان ومواصلة النضال لاستكمال حقوق العرب السليبة كلها .





مسألة تحرير المرأة في المجتمع العربى الحديث

بسام طيبى

١ ــ تمهيد

كتب الاقتصادى الاشتراكى الامريكى الشهير **بول م • سويزى** مقالا عن عدوان يونيو، نشره فى المجلة الماركسية الامريكية « مانثلى ريفيو » [١] والتى يقوم باصدارها بنفسه ، فى هذا المقال يعلن سويزى تأييدهالكامل للثوار العربفى موقفهم ضد « اسرائيل » وفى نهاية المقال يستشهد سويزى بقول الصحفى اليسارى **ادجار سنو** ، بأن ماوتسى تونج قد كرر خلال احاديثه معه « الشكر للغزاة الاجانب الذين ساهموا فى اذكاء شعلة

---

(١) ترجم هذا المقال الى العربية . انظر : بول م . سويزى : اسرائيل والاستعمار فى : دراسات عربية ــ السنة الرابعة ــ عدد ١١ سبتمبر ١٩٦٨ ــ من صفحة ٧٧ ــ ٨٤ ــ ترجمة الدكتور هشام متولى .

الثورة الصينية والذين يمنحون هذه الميزات لبلدان جنوب شرقى آسيا » (٢) ويتساءل سويزى عما اذا كان الثوار العرب يتفهمون الوضع الشامل الذى تخلقه الاعتداءات الاسرائيلية ، اذ ان اسرائيل تقوم – بطريق غير مباشر – بتاجيج نار الثورة وبتعميقها فى المنطقة العربية عن طريق اعتداءاتها ، وهى بذلك تخلق نهايتها بيدها ، فمثلا لم يؤد عدوان يونيو الى خنق الثورة العربية ، وانما حدث العكس تماما · فقد ادى الى تعميق الثورة العربية وجعلها تتجه نحو التفكير الجذرى فى جميع المجالات ·

ويعتقد سويزى ان الفعالية الثورية (٣) التى يخلقها وجود « اسرائيل » فى قلب الوطن العربى ، لن تاخذ مكانها الحقيقى الا اذا وجدت « لدى الزعماء العرب النظرة التاريخية الشاملة والخالية لادراك ذلك ، والمزاج الفلسفى للتصريح به » (٤) ·

ومما يثير التفاؤل حقا ان تطور الاحداث فى العالم العربى يسير فى هذا الاتجاه · فلقد اعترف معظم الثوار العرب المخلصين ان الخط الثورى العربى قبل عدوان يونيو لم يكن جذريا وانما سطحيا فى معظم الاحيان · ولم تمتلك الثورة العربية قبل عدوان يونيو النظرية الثورية الشاملة ذات الابعاد الفلسفية العميقة ، بينما يتلخص الاتجاه السائد بعد عدوان يونيو فى اعادة النظر الشاملة فى كل شىء وفى النقد الذاتى الصارم وقد كان المناضل **جمال عبد الناصر** قدوة فى هذا المجال فقال فى وضوح تام « احنا هنا فى مصر نراجع انفسنا مراجعة كاملة فى جميع النواحى السياسية والنواحى العسكرية والنواحى الاقتصادية ، ونحن نراجع انفسنا ، نفتح هذه المراجعة للشعب ليشارك حتى يعرف كل شىء ، وحتى يعلم اننا ننقى الثورة من كل الشوائب التى ظهرت » (٥) ·

وهذه المراجعة ، فى نطاق التحليل والنقد والنقد الذاتى ، تكون مراجعة جذرية بقدر ماتكون شاملة فتشمل جميع مجالات الحياة فى المجتمع العربى المعاصر ·

وفى نطاق هذا البحث سنتطرق الى احدى النواحى فى الثورة العربية التى تستحق أكثر من غيرها نوعا خاصا من التفكير الجذرى ، خاصة وان هذه الناحية لم تكن قط مجالا للنقاش الثورى على مستوى شامل فكانت تعامل من قبل معظم الثوار العرب « كتابو Taboo » وكان التهرب من معالجتها وسيلة لحلها · هذه الناحية التى اعنيها هى مسالة تحرر المراة ، والتى يعتقد البعض انها ليست بذات اهمية ، بينما اعتقد – ومعى كثيرون – انها ذات اهمية بالغة جدا ·

وتظهر هذه الاهمية بجلاء خلال مفهوم « **التعبئة العامة** » · كل ثورة تريد حقا ان تكون ثورة بمعنى الكلمة ، تبحث عن جميع السبل الممكنة لتعبئة كل القوى ، فتكون الثورة هكذا قائمة على اسس متينة تضمن بقاءها واستمرارها · فالثورات الناجحة فى التاريخ عبأت كل طاقة موجوده وحولتها الى قوة تحمى الثورة وتساندها · ومن هنا تاتى اهمية مفهوم « التعبئة العامة » · لقد بين الدكتور سعد الدين ابراهيم بكل وضوح أن هذه « التعبئة العامة » لم تكن موجودة فى اى بلد عربى قبل عدوان يونيو ، لذلك – يقول الدكتور ابراهيم – فاننا « **حينما نقول ان ثلاثة ملايين صهيونى اسرائيلى انتصروا على مائة مليون عربى فاننا فى الواقع نبسط الحقيقة تبسيطا غير علمى · فالعرب بملايينهم المائة من البشر ·· لم يعبأوا تعبئة عامة فى أى من المعارك الثلاث التى خاضتها اسرائيل ضدنا بنجاح** » (٦) ·

وعندما نتحدث بجدية عن مفهوم « التعبئة العامة » فمن غير المعقول ترك مسالة تحرر المراة فى المجتمع العربى دون معالجة ، فالنساء يشكلون مالايقل عن نصف المجتمع العربى عدديا · وترك هذه الطاقة الهائلة دون تعبئة ، لن يعنى سوى افراغ مفهوم « التعبئة العامة » من محتواه الشامل ·

يخبرنا الدكتور صادق جلال العظم أن المناضل العربى قد قام « قبل بدء المعركة بقليل وأثناءها بدعوة المراة العربية لتقف بجانبه وتناضل معه · وبعد أن انتهت المعركة على الوجه الذى انتهت

---

(٢) ادجار سنو · نقلا عن سويزى المصدر السابق الذكر – صفحة ٨٣ – ٨٤ ·
(٣) لقد قام مفكر عربى واع قبل عدوان يونيو بصياغة نظرية جديدة لمفهوم الفعالية الثورية · وبين الفعالية الثورية فى نكبة ١٩٤٨ · انظر: الدكتور نديم البيطار: الفعالية الثورية فى النكبة – بيروت ١٩٦٥ – دار الاتحاد – ولكن لا بد لى من أن اذكر انه لدى بعض التحفظات نحو الاسلوب العلمى الذى يتبعه الدكتور البيطار فى تحليله ·
(٤) سويزى : المصدر السابق – صفحة ٨٤ ·
(٥) جمال عبدالناصر: كلمته فى أعضاء وفود مؤتمر الصحفيين العرب – ١٥ فبراير ١٩٦٨ – كراس من منشورات الهيئة العامة للاستعلامات – القاهرة – صفحة ٨ ·
(٦) الدكتور سعد الدين ابراهيم : الحرب الشعبية والتعبئة العامة – فى · دراسات عربية – السنة الرابعة – عدد ١٠ – اغسطس ١٩٦٨ – صفحة ٣–١٩ الاستشهاد من صفحة ٥

عليه يحق للمرأة أن تسأل الرجل العربى : ماذا فعلت فى السابق لتساعدنى على تبديل وضعى المتردى فى المجتمع العربى لاكون أهلا للمشاركة معك فى النضال ؟ لو نظرت الى نفسك بشىء من العمق أيها الرجل العربى لوجدت أنك لا تزال تنظر الى نظرة تقليــدية عادية . تعتبرنى مواطنة من الدرجة الثانية ، ان لم نقل الثالثة . بينما نساء العدو خاضت المعركة الحامية الى جانب الرجال بدون تمييز أو تفرقة باعتبار أن نصف الطاقات البشرية والعقلية فى أى شعب من الشعوب تكمن فى نسائه . **هل تساعدنا النكبة الجديدة على العمل للتخلص من العقلية القديمة التى لا تزال تهدر نصف طاقات شعبنا ؟** » (٧) .

٢ ــ مسألة تحرر المرأة فى الفكر الليبرالى العربى

قبل البدء فى تحليل مواقف القوى الثورية العربية من مسألة تحرر المرأة ، لابد من بعض التحليلات الخاطفة حول هذه المسألة فى الفكر الليبرالى العربى الحديث .

كانت الفترة النضالية الاولى ضد الامبريالية فى التاريخ العربى الحديث قد حملت على اكتاف الجناح التقدمى للبرجوازية الوطنية المعــادى للامبريالية (٨) ، وقد كانت معاداة الامبريالية هذه محدودة بالطبع بنفس القدر من الحدود التى تفرضها الطبيعة الطبقية للبرجوازية المنــاهضة للامبريالية (٩) ، ولكن لم تكن فى الفترة الاولى من التاريخ العربى الحديث ، لم تكن هناك أية حركات نضالية جماهيرية تقدمية ، فكانت البــرجوازية الوطنية التقدمية القائدة الوحيدة الممكنة فى تلك الفترة .

فى هذا النطاق حاول المثقفون العــرب الليبراليون اصلاح أوضاع المجتمع العربى لجعله عصريا يقوم علــى أسس العلــم الحــديث والتكنولوجيا ، بحيث يصبح المجتمع العربى ، عن هذا الطريق ، قادرا على تحمل أعباء النضال ضد الامبريالية . لكن البرجوازية الوطنية ، بطبيعتها الطبقية ، لم تكن قادرة على النظرة الشــاملة الثورية الى قضايا المجتمع العربى ، فلم تكن هكذا قادرة على احداث تغيير يذكر فى الاوضاع العربية المتخلفة ، ففشلت فى بناء المجتمــع العصرى التقدمى (١٠) .

ومعالجة مسألة تحرر المرأة فى المجتمع العربى بشكل جزئى ، أى عن طريق اثبات كفاءات المرأة العقلية والنفسية والجسدية . والمطــالبة بشكل مجرد باعطائها الحرية ، انمعالجة كهذه لن تؤدى الى تحــرر المرأة ، وهكذا فشــلت البــرجوازية الوطنية العربية ومفكروها الليبراليون ، فى ايجاد أى تقدم ملموس فى هذه الناحية . اذ أن عرض مسألة تحرر المرأة للبحث يتطلب منهجا ثوريا يعنى احداث ثورة شاملة فى المجتمع العربى التقليدى وايديولوجيته الغيبية .

أولى المعالجات الليبرالية لمسألة تحرر المرأة قام بها المعلم **بطرس البستانى** ، المفكر العــربى المعروف ، ففى ١٤ ديسمبر ١٨٤٩ ، أى قبــل مــا يزيد على قرن من الزمن ، القى بطرس البستانى خطابا حول مسألة تحرر المرأة ، اصبح اليوم جزءا من التراث الادبى العربى . يقول «**البستانى**» فى سياق خطابه ان المرأة « لم تخلق لكي تكون فى العالم بمنزلة صنم يعبد ، او اداة زينة تحفظ فى البيت لاجل الفرجة ، ولا لان تصرف اوقاتها بالبطالة وكثرة الكلام والهذيان ، او تقتصر فى الاعمال على كناسة البيت مثلا .. » (١١) . ويؤكد البستانى

---

(٧) الدكتور صادق جلال العظم : العلم الحديث والنــكسة الخطيرة ــ خواطر سريعة حول النكبة الجديدة ــ فى : دراسات عربية ــ السنة الثالثة ــ عدد ١٠ اغسطس ١٩٦٧ ــ صفحة ٣٤ ــ ٥٣ الاستشهاد من صفحة ٤٠ .

(٨) توجد دراسة جديدة حول النضال البرجــوازى العربى ضد الامبريالية وحول محاولات التحرر فى هذا النطاق . أنظر : محمد عمارة ، العروبة فى العصر الحديث ــ دراسات فى القومية والامة ــ القاهرة ١٩٦٧ ــ منشورات دار الكاتب العربى .

(٩) لقد بينت فى احدى دراساتى حدود النضال البرجوازى ضد الامبريالية ــ أنظر : بسام طيبى : تروتســكى والعالم الثالث ــ فى : دراسات عربية عدد ١٠ ــ سنة ٤ ــ اغسطس ١٩٦٨ ــ صفحة ٨٠ ــ ١١١ خاصة فصل ٣ فقرة ١ .

(١٠) لقد أكد بيان ٣٠ مارس على أن تحقيق المجتمع العصرى العربى لن يتم الا عن طريق ربط قضية العلم بقضيــة الثورة والاشتراكية . أنظر بهذا الصدد : عادل أحمد ثابت : العلم وبيان ٣٠ مارس ــ فى مجلة « المجلة » ــ عدد ١٣٧ ــ مايو ١٩٦٨ ــ صفحة ٥ ــ ٩ ولقــد أكد كاتب آخــر على نفس الحقيقة : انظر : نزيه نصيف ، حول العلم والدولة العصرية ــ فى مجلة « المجلة » ــ عدد ١٣٩ ــ يوليو ١٩٦٨ ــ صفحة ٢٥ ــ ٢٩ .

أنظر أيضا العدد الخاص من مجلة : الفكر المعاصر ــ عدد ٤١ ــ يوليو ١٩٦٨ ــ عن العلم والدولة العصرية الذى اشترك فيه عدد كبير من الكتاب العرب . أنظر ايضا مناقشة سامى خشبة لابحاث العدد الخاص المذكور من مجلة الفكر المعاصر ، وقد نشرت فى الاداب تحت عنوان : الدولة العصرية بين اليمين واليسار ــ الاداب ــ عدد ٩ ــ سنة ١٦ ــ سبتمبر ١٩٦٨ ــ صفحة ٧٢ ــ ٧٥ .

(١١) بطرس البستانى : نقلا عن عمر الفاخــورى : تاريخ الادب العربى ــ المطبعة البولسية ــ الطبعة الثالثة ١٩٦٠ صفحة ١٠٣٧ .

على ضرورة تعليم المرأة ؟ اذ ان العلم « ترياق فى فم عليل مدنف ، او صب زيت وخمر على جرح بليغ » (١٢) . وتعليم المرأة أمر ضرورى للغاية اذ « أنه لايمكن وجود العلم فى عامة الرجال دون وجوده فى عامة النساء ، كما أنه لا يوجد نساء عالمات فى عالم من الرجال جاهل » (١٣) . وقد ناضل بطرس البستانى كاول ليبرالى عربى فى سبيل تحرير المرأة ، فكان كما يقول **جورجى نقولا** « أول من ناصر المرأة فى سورية على منبر . بل اول رسول نسائى سورى دعا الى تعليمها وتهذيبها ... وكان بوده انشاء مدرسة نسائية ، كالمدرسة الوطنية ما ساعدته عليها الايام » (١٤) .

وبعد احد عشر عاما من محاولة بطرس البستانى لمعالجة قضية تحرر المرأة ، قام مفكر عربى ليبرالى آخر بمعالجة قضية المرأة ، ولكن على المستوى السابق ، أى مستوى الفكر التبشيرى، فكتب هذا المفكر وهو **رفاعة الطهطاوى** قائلا : « ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الزواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة ونحو ذلك ، فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ، ويجعلن بالمعارف اهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى .. وليمكن للمراة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال ، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة . فان فراغ ايديهن عن العمل يشغل قلوبهن بالاهواء والاباطيل » (١٥)

كتب « **رفاعة الطهطاوى** » هذه الكلمات عام ١٨٦٠ ، وتبع خط الطهطاوى ، « **قاسم أمين** » فطالب بتحرر المرأة عن طريق ترك الحجاب والاخذ بالسفور ، ولم يدرك « **قاسم أمين** » ان هذه هى القشور فقط ، وان المسألة ليست مسألة سفور أو حجاب ، وانما مسألة اجتماعية لها جذورها فى التكوين الاقتصادى ـ الاجتماعى للمجتمعات العربية المتخلفة . وكانت كتبه « **تحرير المرأة** » و « **المرأة الجديدة** » رغم جرأتها الكبيرة وشجاعة صاحبها الادبية (١٦) ... كانت كتبه هذه من فئة الكتابات ذات الصبغة التبشيرية ، وليس من فئة الكتابات الثورية ذات النظرة الفلسفية والسوسيولوجية الشاملة . وقد اشار الاستاذ **غالى شكرى** الى نفس الظاهرة ، اى ابى ان فشل « **الطهطاوى** » و « **قاسم أمين** » وغيرهما من الليبراليين ، يرجع الى ان هؤلاء لم ينقبوا عن **الجذور البعيدة لهذا المجتمع المغلق** » (١٧) .

ورغم نقدنا لمعالجات رجال الفكر الليبرالى العربى لمسالة تحرير المرأة ، وذلك لعدم جذرية هذه المعالجات ، بسبب الطبيعة الطبقية لاصحابها ، اقول رغم نقدنا لهذه المعالجات ، فان علينا ان ندافع عن اصحابها تجاه رجال الفكر المحافظ التقليدى . فقد قام المفكرون العرب المحافظون بالتهجم الشديد على كل من تجرأ على وضع مسالة تحرر المرأة للنقاش ، واتهموه بتقليد الغرب، وخيانة الامة والدين بل احيانا بالزندقة بدعوى انه طريق خطر يعادى التقاليد الدينية والقومية والاتجاه الى تقاليد الغرب !

عند هذه النقطة احب ان اذكر هؤلاء المحافظين بان رجال الفكر الليبرالى العربى ، عندما بدأوا بالمناداة لتحرير المرأة العربية من غلالها ، لم يبدأوا بشىء جديد فى التاريخ العربى . فلقد طرحت مسالة تحرير المرأة مرات عديدة فى تاريخنا ، ووجدت انصارا من فحول فلاسفتنا ومفكرينا القدماء .

فى القرن الثانى عشر الميلادى ، اى فى عصر كانت اوربا تغط خلاله فى الظلام الدامس ، فى هذه الفترة تحدث فيلسوفنا العظيم « **ابن رشد** » عن ضرورة تحرر المرأة ، اى فى فترة كانت فيها اوربا بعيدة اشد البعد عن افكار كهذه . يقول البروفسور « **ت.ج.دى بور** » ، أن ابن رشد كان يرى انه « **يجب على النساء ان يقمن بخدمة المجتمع والدولة قيام الرجال** .وفيلسوفنا فى هذا يتابع افلاطون (وهو لم يعرف سياسة ارسطو) . ويلاحظ بمنتهى سداد الرأى ان الكثير من فقر عصره وبؤسه يرجع الى ان الرجل يمسك المراة لنفسه ، كانها نبات او حيوان اليف لمجرد متاع فان ... بدلا من أن يمكنها من المشاركة فى انتاج الثروة المادية والعقلية وفى حفظها » (١٨) .

وفى اعتقادى ان الاشارة الى مناداة

---

(١٢) نفس المصدر ـ صفحة ١٠٣٦ .
(١٣) نفس المصدر ـ صفحة ١٠٣٧ .
(١٤) جورجى نقولا : نقلا عن عمر الفاخورى ـ المصدر السابق ـ صفحة ١٠٣٦ .
(١٥) رفاعة الطهطاوى . المرشد الامين للبنات والبنين ـ عام ١٨٦٠ ـ نقلا عن غالى شكرى : سلامة موسى وازمة الضمير العربى ـ بيروت ١٩٦٥ ـ طبعة ثانية ـ المكتبة العصرية ـ صفحة ٢٠٠ .
(١٦) انظر : عمر الفاخورى : المصدر السابق صفحة ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤ .
(١٧) غالى شكرى : سلامة موسى وازمة الضمير العربى ـ المصدر السابق ـ صفحة ٢٠٠ .
(١٨) ت . ج . دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ تعريب وتعليق الدكتور م . ع . ابو زيدة ـ الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٧ ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ صفحة ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

فيلســوفنا « ابن رشد » بضرورة تحرير المــرأة ومساواتها بالرجل ، وذلك فى القرن الثانى عشر، قبل ان تظهر أفكار مماثلة فى اوربا لدليل ساطع على زيف الاقوال المحافظة المناهضة لفكرة تحرر المرأة بحجة ان هذا تقليد اعمى للغرب ، فنحن قد عرفنا مسألة تحرر المرأه قبل ان يعرفها الغرب .

يقول أحد مناهضى فكرة تحرر المرأة ومساواتها بالرجل وهو « **الدكتور محمد البهى** » يقــول فى معرض حديثه عن آرائه المحافظة « وتحرير المرأة على معنى تمكينها من أداء وظيفتها فى الاسرة كأم ، وفى المجتمع كعضو يقع عليه عبء تمليه طبيعته كأنثى من مقتضيــات العصر » . ولــكن الدعوة الى تحرير المرأة ، على معنى أن تكون رجلا آخر فى صــــورة امرأة ، فذلك ليس من مقتضيات العصر ، لانه ضد طبيعة المرأة نفسها ، وضد التطور الاجتماعى ذاته » (١٩) ويحــاول « **الدكتور البهى** » ان يبرر آراءه هــذه بقــوله ان الالتقاء والالتحام ، لا يتم الا بين نقيضين ، فاذا تساوى الرجل بالمرأة افتقد هذا الالتحام . اذ ان تساوى الرجل والمرأة فى الارادة ، أو عدم الارادة مدعاة الى الفرقة بينهما ، وليس الى اللقــاء والانسجام ، رغم أن هناك مفارقة أخرى بينهما هى الذكورة والانوثة . (٢٠) . نرى هنا أن الدكتور البهى يفهم تحت « تحرر المرأة » القيام بالامومة أى بالاحرى يفهم تحرر المرأة كتحرر من التحرر أى تحرر من المساواة ، ولا أدرى أى منطق هذا ؟ !

وأنا لا ارغب هنا الدخول فى اية مناقشة لهذه الافكار فهى صعبة القبول حتى لاصحاب العقول البسيطة · كل ما أريده هنا هو فقط أن أشير الى أن مكافحة المساواة بين الرجل والمرأة تحت اسم الدين ليس لها أى أساس · **فالرسول العربى الكريم محمد كان من أول مناصرى تحرر المرأة بل من المناضلين فى التاريخ البشرى ضد عبودية المرأة . وفى الحديث الشريف قوله « انما النساء شقائق الرجال لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » . وقول الرسول العربى الكريم هذا دليل قاطع على تاييد الدين الحنيف لقضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ومحاربة تحرر المرأة باسم الدين تزييف للدين ·**

اننى أقول مع **خالد محمد خالد** : « ولقد آن للمصفدات فى الاغلال عندنا أن ينطلقن ، وآن للرئة المعطلة ان تؤدى دورها ليتنشق المجتمع بها أنفاس الحياة »(٢١) ·

لقد خلق عدوان يونيو المجرم ، أوضاعا مذلة تحتم على المجتمع العربى تعبئة عامة شاملة تعمل خلالها رئتا المجتمــع الــعربى ، المنــاضلات والمناضلون ·

٣ ـ الطرح الثورى لمسألة تحرر المرأة

قبل أن نتحدث عن الطرح الثورى لمسألة تحرر المرأة ، يجب أن نحدد معنى الثورية بدقة · حيث أن مفهوم الثورية ، خاصة فى بلادنا العربية ، مفهوم مائع جدا ، يسمح لكل انسان الادعاء بالثورية ، لدرجة أن بعض الاوساط الـرجعية تتحدث عن الثورة وتصف نفسها بالثورية · يجب أن نؤكد هنا بكل وضوح ، أن الانسان لا يصبح ثوريا عندما ينعت نفسه بالثورية ، وانما يصبح الانسان ثوريا فقط عندما تنعكس الثورية على تصرفاته اليومية بكاملها ، فلا تكون الثورية نوعا من الاستهلاك اللفظى ، كما هو الحال عليه فى الثورية لدى أفراد هذه الفصائل ـ كما يشير **محمد كشلى** ـ « الى نوع من الترف الفكرى يمارسونه بعــد الانتــهاء من العمل المرهق فى احــاديثهم وسهراتهم وجلساتهم فى المقاهى » (٢٢) .

ولقد تطرق **الدكتور نديم البيطار** الى ظواهر الانحراف الذاتى لدى الثوار العرب ، وبين خلال تحليله أن « مراقبة السلوك الثورى الفردى اليومى تكشف بوضوح أن الثوريين العرب اعترفوا أو اعتنقوا بأكثريتهم العظمى ، القيم الثورية الجديدة بشكل فكرى جانبى ، أى أنهم لا يعانون هذه القيم والمبادىء ذاتيا ووجدانيا ، ولذلك فان سلوكهم الفردى اليومى بعيد عن تحقيقها وتطبيقها تلقائيا فى مشاغلهم وقضاياهم اليومية ، حيث كان يجب أن تؤكد ذاتها لو أن جذورها أو أشكال الالتزام بها كانت صحيحة . فالقيم والمفاهيم والمبادىء الثورية يجب أن تعتمد التزاما يوميا بها · ودون هذا الالتزام تكون مزورة ، وتصبح لاغية أو دون فعالية »(٢٣) بالطبع فان كلمات الدكتور البيطار قاسية جدا ، ولكن هذه المقاييس القاسية الدقيقة ضرورية جدا فى المرحلة التى تمرها الثـورة العربية ، وهى تواجه التحدى المصيرى من قبل الامبريالية العالمية وعميلتها اسرائيل · ولقد أشرت الى ذلك قبل أشهر عديدة حين كتبت أنه علينا أن لاننسى « اننا نعيش أخطر الاوقات التى مرت على الثورة العربية ، وهذا لايدع أى مجال للميوعة

---

(١٩) الدكتور محمد البهى : الدين والحضارة الانسانية ـ كتاب الهلال عدد ١٥٧ ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ صفحة ٣٤ـ٣٥
(٢٠) د . محمد البهى ـ المصدر السابق ـ صفحة ٣٥ .
(٢١) خالد محمد خالد : من هنا نبدأ ـ الطبعة العاشرة ـ القاهرة ١٩٦٣ ـ مؤسسة الخانجى ـ صفحة ١٩٩ .
(٢٢) محمد كشلى : حول النظام الراسمالى واليسار فى لبنان ـ بيروت ١٩٦٧ ـ دار الطليعة ـ صفحة ٩٠ .
(٢٣) الدكتور نديم البيطار : من النكسة الى الثورة ـ بيروت ١٩٦٨ ـ دار الطليعة ـ صفحة ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

الفكرية والتراخي • ان القسوة ضرورية الان أكثر من أي وقت مضى، من أجل القضية الثورية »(٢٤) •

ان نتائج هذه القسوة وهذه الدقة الشديدة في مفهوم الثورية ، قد تكون مريرة للبعض • فأول وظيفة خلقها عدوان يونيو هي أن يراجع كل ثوري عربي مواقفه وممارساته السابقة ليرى نواحي الخلل للقضاء عليها عن طريق تعميق الثورية ، ومن لا يستطيع عمل ذلك فالافضل له مغادرة الركب والتوقف عن الحديث عن الثورة والثورية •

هذا الموضوع بالذات يمس القضية التي نحن هنا بصدد تحليلها ، أي الطرح الثوري لمسألة تحرر المرأة • فالكثيرون يتحدثون عن مواقفهم التقدمية ، فهم ضد الامبريالية ، وضد الصهيونية ، وضد استغلال الانسان للانسان ، ومن أجل التحويل الاشتراكي للمجتمع ••• الخ ولكن ـ وللاسف الشديد ـ نرى فكرا رجعيا يسيطر على التصرفات اليومية الصغيرة العادية مثل التصرفات تجاه المرأة والنظر اليها كمخلوق من الدرجة الثانية أو الثالثة ، كما أشار الدكتور العظم ، وهذه التصرفات لا يمكن الامساك بها علميا عن طريق التحليل الا في نطاق ما سوف اسميه هنا : الازدواج بين التقدمية السياسية والرجعية الاجتماعية لدى الفرد العربي الثوري العادي ، الذي يرغب من جهة في السير في الركب التقدمي عن طريق مناصرة الثورة والاشتراكية وعن طريق معاداة الامبريالية والقوى الضاغطة الغاشمة ، ولكنه من جهة أخرى لا يعكس هذا التفكير الثوري على التصرفات اليومية •

فلنحلل هذه الثنائية •

٤ ـ ثنائية التقدمية السياسية والرجعية الاجتماعية

لدى معالجة مسألة تحرر المرأة ، عن طريق مساواتها بالرجل ، واعطائها حقوقها الانسانية ، لدى هذه المعالجة يظهر الازدواج بأوضح الصور ، أي ثنائية التفكير السياسي التقدمي ، والتصرف الاجتماعي الرجعي • لقد صدمت كثيرا لدى احاديثي مع الشباب العربي التقدمي ، ولدى مطالعة الانتاج السياسي العربي الثوري • صدمت عندما رأيت كيف يتعايش احتقار المرأة ، الناتج عن فكر رجعي ، مع معاداة الامبريالية واستغلال الانسان للانسان ، فكنت أرى الاشتراكي الذي يريد تحقيق المجتمع العادل الحر ، والذي يصر في نفس الوقت على أن وظيفة المرأة هي الطهي وخدمة الرجل والامومة ، أما العمل السياسي فهو ليس للمرأة وانما للرجل وللرجل فقط •

وهذه الرجعية تجاه المرأة من قبل الثوار العرب ـ عامة ـ لا تأخذ شكلا معينا وانما أشكالا متعددة منها المتطرفة ، حيث نجد الرفض التام لانسانية المرأة ، ومنها المعتدلة ، ومنها الخفيفة الخافتة ، حيث نجد اعترافا لفظيا بحقوق المرأة بكونها «ذاتسياسية» كالرجل،وليست موضوعا أو شيئا يمكن للرجل التصرف به كما يشاء ، ولكن هذا لا يتعدى الحدود اللفظية ، أي الفرازيولوجيا • اذ أنه عندما يحين وقت التصرف ، أي الممارسة ، وحيث تنتهي المواقف الفكرية البحتة ، نرى عودة تلك الرجعية التي سبق أن ذكرتها •

وهذا الموضوع عولج دائما كتابو Taboo ، أي كشيء لا يجوز التطرق اليه . فكان اسلوب الهرب من المشكلة ، بدلا من حلها ، هو الاسلوب الذي يسيطر علىالكثيرين من الثوار العرب ليس فقط بما يختص بقضايا المرأة وانما بمعظم القضايا الاخرى •

وسبب وجود هذه الثنائية هو عدم وجود التفكير الجذري الثوري • فالجذرية الثورية يمكن الوصول اليها فقط عن طريق وحدة النظرية والممارسة ، فقط عندما تصبح المواقف التقدمية ممارسة وليست مواقف فكرية بحتة • والا فلا فرق بين الليبرالي والاشتراكي • فالليبرالي هو أيضا من أنصار الحرية ، ولكن فقط في النطاق اللفظي ، بينما الاشتراكي يناضل من أجل الحرية ، ويرفض الثرثرات اللفظية ، فالنظرية لدى الاشتراكي جزء من الممارسة ، وعندما تفقد النظرية الممارسة تفقد حيويتها بل تفقد مقومات وجودها ، أي كنظرية ثورية •

ولابد لي هنا من أن أذكر مثالا على الازدواج بين التفكير التقدمي السياسي والتصرف الرجعي الاجتماعي ، والتي نحن هنا بصددها • ومما يؤلمني حقا أن آتي بالشاعر العربي الكبير عبدالوهاب البياتي كمثل على هذا ، نعم عبد الوهاب البياتي هذا الشاعر العظيم الذي اعده وبدون مواربة ، اعظم شاعر أتى به الادب العربي الحديث ، فهو من الشعراء العرب القلائل الذين يحتوي شعرهم على العمق الفلسفي ، ولا يتصف

---

(٢٤) بسام طيبي : ماذا تعلمنا من النكسة ؟ ـ محاولة تقييم لمناقشة القضية القومية العربية ـ في : دراسات عربية ، ـ عدد ٦ ـ سنة ٤ ـ ابريل ١٩٦٨ ـ صفحة ٢٨ ـ ٥٠ الاستشهاد من صفحة ٢٨ •

بالرومانسية السطحية التى طغت ومازالت طاغية على الادب العربى ، ولكن هذا الشاعر الكبير يمثل فى احدى قصائده مواقف رجعية من المرأة. يقول « البياتى » متأثرا من سوء تصرف احدى صديقاته :

« ان امرأة قد خدعتنى
لقد تذكرت الان الشاعر الفارسى عمر الخيام
الذى غنى حياته بين الخمر والنساء
وترحمت عليه
لانه عرف كيف يسوس المرأة
ولكن مالى وعمر الخيام
فالارض ملاى بالنساء
كما ان السماء ملاى بالنجوم
ان ولدى « على » سينتقم لى منهن
عندما يكبر » (٢٥) ٠

هنا نرى الشاعر التقدمى يتحدث عن المرأة وكأنها حيوان ٠ فحسب البياتى ، فان عمر الخيام عرف كيف « يسوس » النساء ٠ ولكن البياتى لايلبث من أن يتحدث عن النساء كالحشرات « فالارض ملاى بالنساء » ــ على حد قوله ٠ وهذه الرجعية تجاه المرأة تتضاعف حين يتحدث الشاعر التقدمى بلهجة قبلية ، وكأنها من القرون الوسطى : نعم أن « على » ابن البياتى سوف ينتقم لابيه من النساء ، عندما يكبر ، وعندما يتلاعب بهن كالدمى ٠

وفى امكانى الاتيان بالمزيد من النصوص لكتاب عرب تقدميين لاظهار الثنائية التى تسيطر على عدد من الثوار العرب ، ثنائية التقدمية السياسية والرجعية الاجتماعية ٠ ولكننى أخترت واكتفى هنا ، فى هذا المجال الضيق ، بالمقطع المستشهد به من قصيدة البياتى ، ولسبب بسيط ، وهو أن البياتى ، كما ذكرت أكثر الشعراء والادباء العرب تقدمية وانسانية وعمقا فلسفيا ، ولكننا نجد الثنائية المذكورة حتى لدى هذا الشاعر التقدمى ، وللاسف الشديد ٠ هذا لايعنى أن البياتى ضد تحرر المرأة ، بالطبع لا ، ولكن رواسب المجتمع المتخلف تظهر بكل وضوح فى المقطع المذكور من قصيدته ، رغم ثورية البياتى العميقة ٠

٥ ــ معالجات ثورية جذرية لمسألة تحرر المرأة فى المجتمعات العربية المعاصرة

تتميز الثورية الجذرية عن الثورية المزيفة ، او السطحية ، بانها تشمل جميع نواحى الحياة الاجتماعية ٠ الثورى الجذرى يجعل ثوريته تتحد مع ذاته فتظهر بجلاء فى جميع تصرفاته اليومية ، فلا تبقى اذن كموقف فكرى فحسب ٠ فالتقدمية والثورية هما ، كما ذكرت مرارا فى هذا البحث ، ممارسة قبل كل شىء وليس مواقف فكرية ٠ وهذا مايميز الانسان الاشتراكى عن الانسان البرجوازى ، الاول يتحدث عن الانسانية كنضال وممارسة ، والثانى يتحدث عن الانسانية كموقف فكرى مجرد ، أى كثرثرة وسفسطة ٠

لدى الثوار العرب اصحاب التفكير الجذرى فى الثورة لن نجد اذن تلك الثنائية التى حللناها ، اذ ان تفكيرهم ينطبق دائما على ممارستهم والا لما كانوا ثوارا جذريين ٠

المحاولة الثورية الجذرية الكبيرة ، والتى تكاد تكون يتيمة ، من أجل معالجة مسألة تحرر المرأة فى المجتمعات العربية ، هى تلك التى قام بها المفكر العربى الكبير سلامة موسى ، فكتاب سلامه موسى العظيم « المرأة ليست لعبة الرجل » (٢٦) يعد جزءا لا يتجزأ من الادب العلمى النضالى فى التاريخ العربى الحديث ٠ وليس هذا هو مؤلف سلامه موسى الوحيد حول قضية المرأة ، فلقد وجه سلامه موسى جزءا كبيرا من اهتمامه لقضية تحرر المرأة فى عدد كبير من المؤلفات لم تحصل ، وحتى يومنا هذا ، على الاهتمام الذى تستحقه ٠ ان دراستى لاعمال سلامه موسى جعلتنى اعتقد اعتقادا جازما أن سلامه موسى من المفكرين العرب الثوار القلائل ، الذين كانوا يأخذون قضية الثورية

(٢٥) عبد الوهاب البياتى : كلمات لا تموت ــ بيروت ١٩٦٠ ــ دار العلم للملايين ــ صفحة ١٩٣ ــ ١٩٤ ــ ومما يجدر الاشارة اليه فى هذا المجال الظواهر الجماعية للتصرف الرجعى تجاه المرأة ، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر سيمون دى بوفوار لدى زيارتها عام ١٩٦٧ لمصر ، فقالت : « لقد لاحظت وانا فى اسوان اهتماما عميقا بتحرير المرأة ، ولاحظت وانا اتكلم عن اهمية تحرير المرأة ان الذى تحمس لاجاباتى وصفق لها هن النساء وليس الرجال » نقلا عن : الطليعة ــ عدد ٤ ــ السنة الثالثة ــ ابريل ١٩٦٧ ــ صفحة ١٤٧ ٠ وهذا يعنى بصراحة ان الرجال عندنا ــ وحتى التقدميون منهم لا يهتمون بقضية تحرر المرأة ، فتبقى مسألة تحرر المرأة هكذا ، مسألة المرأة لوحدها ، رغم ان هذه المسألة مسألة المجتمع باكمله ، ويجب أن يتبنى كل التقدميون قضية المرأة وتحررها ، فان التقدمى الذى لا يهتم بتحرر المرأة ، لا يستحق ان ننظر اليه كتقدمى ٠

(٢٦) أنظر ٠ سلامة موسى : المرأة ليست لعبة الرجل ــ بيروت والقاهرة ١٩٥٦ ــ الشركة العربية ــ ولن احلل هذا الكتاب فى بحثى هذا حيث أن الاستاذ غالى شكرى قد حلله بمافيه الكفاية ٠ انظر كتاب غالى شكرى : سلامة موسى وازمة الضمير العربى ــ صفحة ١٩٦ ــ ٢١٨ ــ وسوف أركز اهتمامى حول مؤلفات سلامة موسى الاخرى التى لم يتطرق اليها غالى شكرى ٠

بجدية بالغة ، وليس كمجرد شعار . فكان فكر سلامة موسى الثورى جذريا شاملا . فسلامه يعتقد كثورى اصيل ان الثورة ليست سياسية بحتة وانما تشمل جميع مجارى الحياة . ولم تكن قضية تحرر المرأة ، بالنسبة لسلامة موسى اذن ، شيئا يحتاج للجدال ، بل هى أمر يجب تحقيقه والعمل من أجله ، اذ أنها شىء طبيعى عادى للثورى الجذرى .

كان سلامه يتألم كثيرا ، لاننا نحن العرب « نعيش فى مجتمع انفصالى ، الرجال ينفصلون من النساء » (٢٧) . فكان يشير دائما الى العواقب الاجتماعية لهذا الانفصال ، وكان يؤكد أن هذه الطبيعة الانفصالية لمجتمعنا لهى من احدى ظواهر التخلف العميق ، لذلك فانه « عندما ينتقل مجتمعنا من حال الانفصال الى حال الاختلاط سوف نحس اننا أمة متمدنة ، وسوف يربينا الاختلاط ، ويحدث بيننا زمالة واحتراما » (٢٨)

ولقد قمت بنفسى قبل فترة بتحليل احدى هذه العواقب الناشئة عن مجتمعنا الانفصالى ، ففى دراستى لاحوال الطلبة العرب فى المانيا الغربية تبين لى أن مشاكل الطالب العربى الجنسية ، التى يسببها الانفصال فى مجتمعنا ، تبين لى ان هذه المشاكل تسبب فشل عدد كبير من الطلبة العرب فى دراستهم ، حيث أن الصدمة التى تنشأ لديهم من جراء الانتقال من مجتمع محافظ انفصالى الى مجتمع ليبرالى — نوعا ما — لا انفصالى ، تجعلهم غير قادرين على ضبط أنفسهم وعلى متابعة الدراسة بشكل جدى (٢٩) .

ولقد عاش سلامة موسى معظم المآسى التى يسببها التكوين الانفصالى لمجتمعنا . فكان يذكر أبناء مجتمعه دائما بأننا « **نحن البشر نتألف من رجال ونساء وهذه طبيعتنا التى لا نستطيع ان ننكرها . فلا بد من أن نعيش حياتنا فى مجتمع سوى مختلطين ، يعرف كل منا الآخر منذ ميلاده الى يوم وفاته . نتعلم معا فى المدرسة ثم فى الجامعة ونعمل معا فى المصنع** » (٣٠) .

ويؤكد سلامة موسى على أن « أعظم أو أسوأ مانجد من الاثار المسيئة للمجتمعات البشرية فى عصرنا الحاضر أن المرأة لاتساوى بالرجل » (٣١) . وعندما يتحدث سلامه موسى عن المساواة ، فهو بكونه مفكر ثورى ، بعيد كل البعد عن الفكر التبشيرى ، فان قضية المرأة هى بالنسبة له قضية انسانية ، ومن يعادى استغلال الانسان للانسان ، يجب أن يعادى أيضا استغلال الرجل للمرأة . والمساواة ليست امرا يتحقق بوضع قانون رسمى يضمن المساواة ، كما يعتقد الليبراليون ، وانما للمساواة شروط موضوعية ، لا تتحقق الا خلالها ، « فالمساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة تعنى ، أهم ماتعنى ، المساواة فى الكسب ، والمساواة فى الكسب لن تكون الا اذا جعلنا المرأة منتجة ، تعمل فى المصنع والمتجر والمكتب » (٣٢) .

هنا نرى التفكير العلمى العميق الذى يرفض التبشير ، فعندما يقول سلامه موسى : « وخلاصة منطقنا هنا أن المساواة لاتزيد على أن تكون كلمة افلاطونية لاقيمة لها ، مالم يرافقها معنى الانتاج » (٣٣) .. عندما يقول سلامه موسى هذه الكلمات فانه يبرهن بكل وضوح على مدى عمق تفهمه للظواهر الاجتماعية ، وعلى مدى بعد بصيرته فى رؤية الحلول الحقيقية لحل الامور الاجتماعية ، ذات الطبيعة الباثالوجية فى مجتمعنا المتخلف . كل ذلك يجعل دراسة أعمال سلامه موسى فرضا على كل ثورى عربى لنتعلم منه تلك الرؤية الاجتماعية العميقة ، التى كم نحن بحاجة اليها فى المرحلة الحالية للثورة العربية .

من الثوار العرب ذوى الرؤية الاجتماعية العميقة أيضا ، المناضل العربى الشهيد **المهدى بن بركة** ، ولم تتح الفرصة للمهدى بن بركة للكتابة الغزيرة ، مثل سلامه موسى ، فلم يترك لنا المهدى بن بركة من الاعمال النظرية الثورية الا القليل ، ولكن ماتركه رغم قلته عميق جدا ، يحتوى فى طياته على أقيم الدروس الثورية التى انتجتها الثورة العربية . ولقد أظهرت ذلك بوضوح فى

---

(٢٧) سلامة موسى : فن الحب والحياة — بيروت ١٩٦٢ — الطبعة الثالثة — (الطبعة الاولى صدرت عام ١٩٤٧) مع مكتبة المعارف — صفحة ١٣٢ .

(٢٨) نفس المصدر — صفحة ١٣٥ .

(٢٩) انظر : بسام طيبى : مشكلات الطلبة العرب فى ألمانيا الغربية . فى مجلة : الاداب — السنة السادسة عشرة — العدد الثامن — اغسطس ١٩٦٨ — صفحة ٧٤ — ٧٧ — وهذه الصدمة النفسية المذكورة عاناها أيضا سلامة موسى بنفسه ، انظر بهذا الصدد : غالى شكرى — المصدر الانف الذكر صفحة ١٩٦ — ١٩٧ — وقد قام اديب عربى درس فى فرنسا ، وهو الدكتور سهيل ادريس ، بتصوير المشاكل الجنسية للطلبة العرب فى أوربا فى عمل روائى قيم هو الحى اللاتينى — منشورات دار الاداب .

(٣٠) سلامة موسى : مشاكل الطريق للشباب — بيروت ١٩٦٤ — الطبعة الثالثة (الطبعة الاولى ١٩٥٩) دار العلم للملايين . صفحة ١٥٢ .

(٣١) نفس المصدر — صفحة ١٥٤ .

(٣٢) نفس المصدر — صفحة ١٥٥ .

(٣٣) نفس المصدر — صفحة ١٥٦ .

بحث نشرته قبل مايزيد على العام من الزمن ، حول ما خلفه بن بركة لنا من العبر الثورية الجذرية (٣٤) ٠

وتمسكا بموضوع البحث المطروح هنا ، فانه علينا هنا الاقتصار على مواقف بن بركة ومعالجاته لمسألة تحرر المرأة ٠

لقد أكد المهدى بن بركة دائما على انسانية المرأة ، وعلى ضرورة اشراكها بالعمل السياسى الثورى والنضال الجماهيرى ٠ يقول بن بركه مشيرا الى ذلك : « **وعملنا ٠٠٠ فى الميدان النسوى يجب أن يتقوى بتأسيس منظمة جماهيريه تساعدنا على اكتشاف الكوادر النسوية ،وعلى تعميق الوعى الثورى لدى الفتيات والنساء اللواتى يشكلن احدى الدعامتين لبناء المجتمع الجديد** » (٣٥) ٠

هنا نرى ان بن بركة يفوق حتى سلامه موسى ، نعم لقد كان سلامه موسى جذريا وثوريا ، ولكن الممارسة المباشرة ، أى العمل الثورى المباشر ، الذى قام به سلامه موسى لايمكن مقارنته بعمل المهدى بن بركة ، نعم لقد اسس سلامه موسى عام ١٩٢٠ حزبا اشتراكيا منع عام ١٩٢٤ ، ولكن سلامه موسى كان بعد ذلك يميل الى العمل الفكرى ، بعيدا ــ نسبيا ــ عن الممارسة المباشرة ، لكن مجالات عمل المهدى بن بركة كانت دائما الممارسة الثورية المباشرة ، اى أنه لم يكتف ــ مثل سلامه موسى ــ برسم طريق ثورى جذرى من أجل تحرير المرأة ، وانما تجاوز حدود رسم الطريق الى مرحلة تحقيق خط السير على هذا الطريق ٠

والثورة العربية ، بفقدانها للمهدى بن بركه ، قد خسرت أحد قادتها الواعين ، من الذين يصعب تعويضهم بسرعة ٠ ولكن اسم ابن بركة سيبقى مكتوبا بالدم فى سجل نضال الثوار العرب ٠

٦ ــ جيفارا ومسألة تحرر المرأة

نحن هنا بصدد تحليل المسائل التى تطرحها قضية تحرير المرأة فى المجتمعات العربية ،فلماذا نتطرق هنا اذن الى جيفارا ؟

الثورة تحمل دائما طابعا وطنيا ، ولكن الثورة رغم ذلك لا تعرف الحدود ، فالمناضل يحمل شعور الاخوة لكل مناضل ، ويعلم تماما معه انهما يعملان من أجل نفس القضية ٠ قضية تحرير الانسان من القوى الغاشمة ٠ فلاعجب اذن أن تحتضن الثورة العربية « **جيفارا** » بكل وجوهه : جيفارا الانسان ، جيفارا الثائر ، جيفارا المفكر ٠ ولكن احتضان جيفارا هذا يجب ان لا يبقى فى نطاق الشعارات وفى نطاق اللفظية ، فاحتضان جيفارا جذريا يعنى التفاعل مع تجربته الثورية والتعمق فى دراسة فكره ٠ والاخلاص لجيفارا يعنى تعميق ثورتنا العربية وجعلها شوكة حادة فى وجه كل القوى الامبريالية والقوى المضطهدة للانسان ٠

ومن هنا تبرز أهمية معالجتنا لمواقف ولممارسات جيفارا تجاه قضية تحرر المرأة ٠ فلم يدع المثقفون الثوار المجتمعون فى هافانا فى يناير ١٩٦٨ ، جيفارا «قدوة المثقف الثورى» عبثا ،لقد اعطوه هذه الصفة لانه استطاع ان يربط افكاره النظرية بالممارسة فقد كان ثوريا حقيقيا وقدوة ثورية عالمية ٠

لقد خصص جيفارا فى مؤلفه العظيم المقتضب « حرب العصابات » فصلا كاملا لقضية المرأة ، مما يدل على مدى الاهتمام البالغ الذى كانت تحتله هذه القضية فى فكر جيفارا ، وكذلك على مدى اهمية هذه القضية بشكل عام فى النضال الثورى ، وفى التعبئة العامة ٠

ان تجارب جيفارا فى الثورة الكوبية قد أثبتت له أنه « **يمكن للمرأة أن تلعب دورا فائق الاهمية فى تطور العمل الثورى ٠٠٠ ويحسن بنا أن نؤكد على ذلك طالما ان فى جميع اقطارنا ــ بما لها من عقلية استعمارية ــ تبخيسا معينا لقدر المرأة فيغدو فارقا حقيقيا ضدها**(٣٦)

ويندد جيفارا بانصار الاسطورة الرجعية القائلة ان المرأة أقل قيمة من الرجل ، ولا تصلح للعمل الثورى ،فيرد على هؤلاء قائلا : « **ان المرأة**

(٣٤) لقد كتبت بحثى عن بن بركة بعد اختطافه ومصرعه ،وكتبته أولا باللغة الالمانية ونشرته فى احدى المجلات العلمية الالمانية لتعريف القارىء الالمانى باحد اقطاب ثورتنا ونشر البحث كما يلى ٠

Bassam Tibi : Marokko und Ben Barkas« Revolutionaere Alternative im Magreb in : Blaetter fuer Deutsche und Internationale Politk, VOI.XII, Feb. 1967, No. 2, P.P. 181-188.

ولقد نقلت البحث الى العربية بعد نشره بالالمانية ونشر كمايلى : المهدى بن بركة والاختيار الثورى فى المغرب ــ فى : دراسات عربية ــ السنة الثالثة ــ عدد ــ ٧ ــ مايو ١٩٦٧ ــ صفحة ٩٩ ــ ١٠٥ ٠

(٣٥) المهدى بن بركة : الاختيار الثورى فى المغرب ــ بيروت ١٩٦٦ ــ دار الطليعة ــ صفحة ٧٦ ٠

(٣٦) ارنستوتشى جيفارا : حرب العصابات ــ بيروت ــ بدون تاريخ ــ دار الاداب ــ صفحة ٨١ ــ ترجمة ناهض منير الريس ٠

لقديرة على العمل باشق الاعمال ، والنضال [مع الرجل جنبا الى جنب . كما أنها ــ خلافا للاعتقاد الشائع ــ لا تتسبب فى مصادمات ذات طابع جنسى بين المحاربين » [٣٧]

ويتابع جيفارا قائلا : « والمرأة تبث فى حياة المناضل العصبية نفحات من خصائص جنسها ، الا أنها رفيقة تستطيع أن تفعل ما يفعله الرجل وأن تحارب كما يحارب ٠ وصحيح أنها اضعف من الرجل ، ولكنها لا تقل عنه اصرارا ، وفى مقدورها ان تؤدى اى ضرب من ضروب القتال التى يستطيعها الرجل فى لحظة معينة ، بل أنها قامت فى بعض المناسبات ، أثناء النضال الكوبى ، بدور منقذ » [٣٨] .

وقد ذكر جيفارا فى مذكراته عن حرب التحرير الكوبية العديد من الامثلة الواقعية عن الدور العظيم الذى لعبته المرأة فى الثورة الكوبية(٣٩)

كل هذا يبرهن واقعيا ، عن طريق الحقائق الملموسة ، وليس نظريا فحسب ، على ضرورة اعطاء المرأة دورها المساوى للرجل فى العمل الثورى ، ولابد من القول بأن شعار « المرأة اقل قيمة من الرجل فى الثورة ، ولذلك فالافضل لها الطهى ووظائف الامومة » ليس سوى اسطورة رجعية بالية ٠ ان جيفارا يعدد فى مؤلفه عن «حرب العصابات» الوظائف التى تقدر المرأة عليها والمجالات الكثيرة التى تستطيع المرأة العمل بها اثناء الثورة ، وأحيانا حتى أفضل من الرجال ،مثل المواصلات بين القوى المقاتلة ،ونقل الاخبار والذخيرة السهلة الحمل ، كالرصاص ، وهناك عمل مهم جدا تستطيع المرأة القيام به وهو ـ كما يقول جيفارا « تعليم مبادىء القراءة وتلقين النظرية الثورية فى البداية للفلاحين ، بل والجنود الثوريين »(٤٠) ٠ ويضيف جيفارا قائلا « وبالاختصار نقول أن المرأة تقوم بدور فى جميع أبواب التنظيم المدنى ويمكنها أن تسد محل الرجل تماما ، بل من واجبها أن تسد محله حتى اذا تطلب الامر حمل السلاح »(٤١)

ومایاتی به جیفارا هنا لیس نوعا من المطالبة الاخلاقية باعطاء المرأة حقوقها ـ كما يفعل الليبراليون ــ وانما ما يأتى به جيفارا هنا هو تلخيص لتجاربه فى الثورة الكوبية ، حيث برهنت المرأة ، بشكل لا يدع مجالا للشك ، على جدارتها ، وعلى امكانياتها العديدة للقيام بالعمل الثورى ، بجميع أشكاله ، تماما كالرجل ٠ ومن هنا تظهر الحقيقة الساطعة وهى أن قضية تحرر المرأة ، بالنسبة للثورى ، مسالة لا تحتاج للنقاش فهى بديهية ، بل فرض على كل ثورى

٧ ــ ملاحظات ختامية حول آفاق المستقبل

لقد بقيت مسالة تحرر المرأة فى المجتمع العربى قضية شكلية جدا ، لدى علاجها ، فليس اعطاء المرأة حق الانتخاب كافيا لتحررها ٠ ولقد أشار الى ذلك قبل سنين طويلة سلامة موسى حين قال: **« وصحيح أن القوانين تساوى بين الجنسين فى الحقوق والواجبات ، أو تكاد ،ولكن المجتمعات لا تزال ترفض هذه المساواة »** [٤٢] . يجب اذن ان توجد مقاييس موضوعية للتأكد من مدى تحرر المرأة ٠ ولقد ذكرت فى سياق هذا البحث مقياسين رئيسيين يمكن التبين من خلالهما لمدى تحرر المرأة أو عدم تحررها :

الاول وهو الذى ذكره سلامه موسى ، وهو الانتاج

والثانى وهو الذى ذكره جيفارا وهو النضال الثورى ٠

والاثنان يتممان بعضهما الاخر ، فنحن نعيش اليوم فى عالمنا « الثالث » فى مجتمعات تقوم بالنضال الثورى من ناحية ، وتعمل لبناء المجتمع العصرى من ناحية اخرى . ونحن بحاجة للمرأة فى ميادين النضال وفى ميادين الانتاج ٠ والحديث ضد تحرر المرأة ومن أجل بقائها فى المنزل للطهى والامومة ، يجب أن يعتبر حديثا ضد الثورة ، وضد التقدم ، لانه يعيق جهودنا من أجل التحرر ، ويضع العقبات فى طريقنا من أجل الرقى والكرامة الانسانية . فعدم تحرر المرأة فى مجتمعنا العربى ، يعنى بصراحة ان نتخلى عن طاقة تقدر بما لايقل عن ٥٠٪ من طاقات مجتمعنا ، والتى هى فى حاجة للتعبئة لتسريع عملية التحرر والرقى ٠

---

(٣٧) جيفارا : المصدر السابق ــ صفحة ٨١ .

(٣٨) نفس المصدر ــ نفس الصفحة .

(٣٩) ارنستو تشى جيفارا : مذكرات عن الحرب الثورية ــ ترجمة على الطود والدكتور أيوب ــ بيروت ودمشق ١٩٦٧ ــ دار الطليعة ودار دمشق .

(٤٠) جيفارا : حرب العصابات ــ المصدر السابق ــ صفحة ٨٢ .

(٤١) نفس المصدر ــ نفس الصفحة .

وفى هذا المجال تجدر الاشارة الى مواقف لينين الثورية حول مسالة المرأة : يقول لينين فى خطاب له فى المؤتمر الدولى للمرأة » ولا تكتفى الحركة النسائية البروليتارية بالنضال من أجل المساواة الشكلية ، وانما تضع لنفسها الوظيفة الرئيسية للنضال من اجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية. ان الوظيفة الرئيسية هى ادخال المرأة فى نطاق الانتاج الاجتماعى ، وتخليصها من عبودية المنزل ، وتحريرها من جو المطبخ ، وغرفة الاطفال ، المذل والدائم ، والذى يحجر العقل . وهذا كله يستلزم كفاحا طويلا يستوجب تغييرا اساسيا فى التكنيك الاجتماعى والاخلاق ! انظر المرجع التالى ؛
W.I. Lenin, Ueber Kultur und Kunst. Berlin (ost) - 1960 - Dietz - Verlag. P.35 of.

[٤٢] سلامة موسى : مشاعل الطريق للشباب ــ المصدر الانف الذكر ــ صفحة ١٥٤ .

لقد وقفت المؤسسات والاحزاب الرجعية العربية علنا وضمنا ، نظريا وعمليا ، ضد عملية تحرر المرأة . أما الفئات التقدمية ، فقد أعلنت دائما أنها تناصر قضية المرأة ولكن هذه المناصرة لم تكن لتتجاوز ، فى أغلب الاحيان ، حدود الالفاظ البراقة الرنانة .

هكذا لم تتمكن الحركة النسائية العربية ، منذ ظهور هدى شعراوى وحتى يومنا هذا ، من تحقيق التحرر الفعلى للمرأة . وكل ما جلبته لم يتجاوز الحقوق الشكلية البحتة ، ولقد اكدت السيدة جاكلين سمعان الزعيم على أن الحركة النسائية قد بقيت « معزولة عن الحركة النقابية وعن الحركات السياسية اليسارية ولم تقم معها صلات تستحق الذكر »(٤٣) .

وتحاول جاكلين الزعيم تفسير هذه الظاهرة ، ولكنها لا تستطيع اعطاء تفسير مقنع . فقولها أن « الطبيعة الطبقية لهذه الحركة النسائية أو ... ما أصاب اليسار من نكسات »(٤٤) هو سبب هذه العزلة . ان قولها هذا يكاد يكون خاطئا تماما .

ان سبب عزلة الحركة النسائية عن اليسار العربى هو اليسار العربى ذاته ، الذى لم يكن يهتم فعليا بقضية تحرر المرأة ، فاكتفى باعطاء التأييد اللفظى ، الذى لا يفيد شيئا .

ان رفع شعار تحرر المرأه لن يقود الى تحرر المرأة الفعلى ، ان لم يكن هذا الشعار مرتبطا بالممارسة التى تضمن له الانتقال الى مجال التحقيق .

لقد كانت ثنائية التفكير السياسى التقدمى والتصرف الاجتماعى الرجعى ، تسيطر على جزء غير قليل من قطاعات اليسار العربى المختلفة . ولقد اشار الدكتور صادق جلال العظم — وبحق — الى أن معظمنا — نحن الثوار العرب — « لا نزال ننظر الى المرأة خلال مفاهيم رومانسية للامومة والشرف وتربية الاجيال ، ومن خلال قيم قبلية أو رعوية حول الشرف والعرض واطاعة الزوج والسهر على راحته ... الخ » (٤٥) . ويطلب منا الدكتور العظم ان نفهم بأن هذه النظرة الى المرأة « لا تتفق أبدا مع نوع المجتمع الجديد الذى ننشده »(٤٦)

والميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة هو أحدى الوثائق السياسية النادرة فى تاريخنا العربى الحديث ، والتى تعترف بحقوق المرأة كاملة وتطالب فى النضال من أجلها . يقول الميثاق الوطنى بكل وضوح : « أن المرأة لابد لها أن تتساوى بالرجل : ولابد أن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .(٤٧)

ولكن ماطالب به الميثاق لم يجد طريقه للتطبيق ، لعدة أسباب ، أهمها سيطرة الرجعية على الكثير من المؤسسات الاجتماعية ، مما مكنها من الحيلولة دون ان يوضع ما طالب به الميثاق موضع التطبيق العملى .

وبعد عدوان يونيو بدأت الثوره بتنقية نفسها فبدأت بتصفية العناصر الرجعية ، لتأخذ خطا سليما ، وكانت التغييرات الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ، اكثر التغييرات فى العالم العربى جذرية منذ عدوان يونيو وحتى الان .
وقامت اسرة مجلة الطليعة بتقديم دوسيه الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ، فاحتوى هذا الدوسيه حلولا جذرية للخط التقدمى الجديد فى ج . ع . م . تضمن للثورة طريقا سليما يحميها من الانحراف . وما يهمنا فى هذا الدوسيه فى نطاق هذا البحث هو موضوع المرأة .

يذكر الدوسيه بعقلية الميثاق الثورية العلمية فيشير ضمن ذلك الى أنه « من الواضح أنه لا يمكن أن نتحدث عن عمل ثورى ، أو عن تحولات ثورية فى المجتمع ، اذا استبعدنا من اطار هذه التحولات المجهود الواعى الذى يجب أن يبذله نصف المجتمع : المرأة . ولا يمكن أن نتحدث عن معارك البناء ، ونحن لا نضع فى الاعتبار الضرورة الملحة والحيوية لحشد وتعبئة عشرات ومئات الالاف من النساء العاملات فى الصناعة والزراعة ، وفى كافة مجالات النشاط . وأخيرا لا يمكن أن نتحدث عن الديمقراطية فى المجتمع اذا أكتفينا فقط بالاشارة الى وجود قوانين وتشريعات تقدمية تؤكد على المساواة بين الجنسين » (٤٨) . وكتاب الدوسيه يظهرون وعيهم الاجتماعى عندما يشيرون الى أن مسألة تحرر المرأة ليست مسألة وضع قوانين — أى كما فعل سلامة موسى — « ذلك أن القانون الذى لا يعبر عن تحولات اجتماعية وثورية

---

[٤٣] جاكلين سمعان الزعيم : حول الحركة النسائية فى سورية — فى : دراسات عربية — السنة الثانية — العدد العاشر — أغسطس ١٩٦٦ — صفحة ٣٩ — ٤٦ . الاستشهاد من صفحة ٤٤ .
[٤٤] جاكلين سمعان الزعيم — المصدر السابق — صفحة ٤٤ .
[٤٥] الدكتور صادق جلال العظم : العلم الحديث والنكبة الاخيرة — المصدر السابق — صفحة ٤١ .
[٤٦] نفس المصدر — نفس الصفحة .
[٤٧] النص الكامل للميثاق — نقلا عن : لطفى الخولى :دراسات فى الواقع المصرى المعاصر — بيروت ١٩٦٤ — دار الطليعة — قسم الوثائق : صفحة ١٥٧ — ٢٥٢ — الاستشهاد من صفحة ٢٢٥ .
[٤٨] دوسيه للمؤتمر القومى — تقديم أسرة الطليعة — فى :مجلة «الطليعة» — السنة الرابعة — العدد السابع — يوليو ١٩٦٨ — صفحة ١٠ — ٣٩ الاستشهاد من صفحة ٣٥ — ٣٦ .

حقيقية ، انما يظلّ حبراً على ورق • ومن هنا فان اقامة المجتمع على أسس الديمقراطية يعنى أن تحرير المرأة واطلاق الطاقات الخلاقة لنصف المجتمع هو عمل طويل وشاق : اجتماعى واقتصادى وسياسى ، قبل أن يكون عملاً من أعمال التشريع • ولا بد اذن من عمل يضع المرأة فى مكانها السليم فى مجتمع يواجه معركة تحرير ، ومعركة تحولات اجتماعية واسعة المدى » (٤٩) •

وهذا العمل ـ كما يراه كتاب الدوسيه ـ هو نفس ما ذكرناه فى سياق هذه الدراسة : أى مساواة المرأة بالرجل فى نطاق الانتاج ، وكذلك مساواتها بالرجل فى نطاق العمل السياسى النضالى الثورى • فالدوسيه يحتوى على شعار « **المرأة العاملة** » وعلى شعار « **ايجاد التنظيم السياسى النسائى** » • ويشير الدوسيه الى منجزات ثورة يوليو نظريا وعمليا ، فى ميدان تحرير المرأة ولكن رغم ذلك فانه يمكن القول « **أن الطاقات الجبارة للمرأة العربية فى مصر لم يستخدم منها الا النزر اليسير ، ويحول دون ذلك عقبات عديدة ومتشابكة ، فكرية ، واقتصادية ، واجتماعية ، ونفسية** » [٥٠] . فعدد النساء العاملات لا يزيد على ٣ر٦ فى المائة من عدد النساء القادرات على العمل فى ج • ع • م • وكذلك عدد الطالبات الجامعيات يقل بكثير جدا عن عدد الطلبة الذكور ، والمرأة غير ممثلة فعليا فى التنظيم السياسى الثورى [٥١] ولكن الان بعد عدوان يونيو وتعميق خط الثورة فان التحقيق الفعلى لتحرر المرأة يجب أن يحدث قريبا ، ويقدم كتاب الدوسيه عددا من الاقتراحات الثورية البناءة ، نأمل الاخذ بها •

وقبيل اختتام هذا البحث لابد من التطرق الى نقطة هامة : للثورة العربية تجارب عديدة فى ميدان الشعارات • لقد كانت الثورة العربية ترفع شعاراتها التقدمية لترى بعد ذلك اليمين العربى يرفع نفس الشعارات ذاتها ليقوم بعد ذلك بالقضاء عليها • وهذا الامر ينطبق أيضا على قضية تحرر المرأة فهناك من يرفع هذا الشعار نظريا ليذبحه عمليا • والمفكر الليبرالى الجزائرى **مالك بن نبى** هو أحد هؤلاء ، فهو يتظاهر بالعداء لمعارضى تحرر المرأة من المحافظين والرجعيين ، فيقوم بنقدهم • ثم يؤكد على انسانية المرأة فيقول « فالمرأة كانسان تشترك فى كلّ نتاج انسانى ، أو هكذا يجب أن تكون » [٥٢] . ولكن عندما يوضح « مالك بن نبى »مفهومه لتحرر المرأة الفعلى ، فيعتقد أن أنه من أعداء تحرر المرأة الفعلى ، فيعتقد أن التحدث عن المرأة العاملة ليس الا تقليدا على حد قوله ـ يقول مالك بن نبى : « وتحديدنا لعمل المرأة فى المجتمع جدير بالاعتبار . فمن المعلوم أن المرأة الاوربية كانت ضحية هذا الاعتبار . لان المجتمع الذى حررها قذف بها الى أتون المصنع . والى المكتب وقال لها « عليك أن تأكلى من عرق جبينك » فى بيئة مليئة بالاخطار على اخلاقها » [٥٣] . وهذا بالذات ما يريد « مالك بن نبى » محاربته • وهكذا فانه رغم ادعاءاته بكونه من أنصار تحرير المرأة فانه فى الحقيقة من الاعداء الالداء لكل ما يتعلق بالتحقيق الفعلى لمسألة تحرر المرأة •

لذلك ، وحتى لاتسرق شعاراتنا التقدمية ، يجب علينا أن نحدد هذه الشعارات بدقة • فمفهوم تحرر المرأة مثلا يعنى بالضبط مساواة المرأة بالرجل فى نطاق الانتاج ونطاق العمل السياسى النضالى الثورى ، واذا لم يشمل مفهوم تحرر المرأة هاتين الناحيتين فهو اذن بالتأكيد مفهوم مزور لا يقود الى تحرير المرأة •

اعتقد أن الاوان قد آن لنجعل ثورتنا تصبح جذرية فتكون لنا النظرة الشاملة الفلسفية لجميع نواحى المجتمع ، هذه النظرة التى جعلها سويزى ـ كما ذكرنا فى مطلع هذه الدراسة ـ شرطا لان تصبح الثورة العربية ثورة تجلب الانتصارات ، كما هو الحال عليه فى التاريخ البشرى بأكمله ، حيث ضاعت الثورات القصيرة النظر فى طياته ، وحيث سطرت الثورات البعيدة الافق تاريخها بحروف من الذهب على صفحاته •

لقد أعلن **المناضل جمال عبد الناصر** أمام الملا اننا نراجع انفسنا ، بعد عدوان يونيو ، بشكل جذرى وبكل شىء ، وطالب الشعب بالمشاركة فى عملية المراجعة هذه • لماذا لا نأخذ بالقدوة ونبدأ بالنقد الذاتى فنعيد النظر فى كل شىء ، بما فى ذلك فى مواقفنا السابقة من قضية المرأة ؟ ان الثورة العربية بحاجة ماسة لاشتراك المرأة بها(٥٤) •

---

(٤٩) دوسيه للمؤتمر القومى ـ المصدر السابق صفحة ٣٦

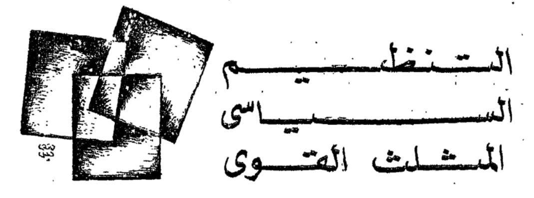
[٥٠] المصدر السابق ـ صفحة ٢٩ .

[٥١] نفس المصدر ـ صفحة ٣٦ ـ ٣٧ .

(٥٢) مالك بن نبى :شروط النهضة ـ القاهرة ١٩٦١ ـ طبعة ثانية ـ مكتبة العروبة ـ صفحة ١٦٣ .

[٥٣] نفس المصدر ـ صفحة ١٦٤ .

[٥٤] من المراجع العربية حول مسالة المراة والتى لم تعالج فى بحثنا ما يلى : جورج حنا : أحاديث مع المراة العربية دار بيروت ـ بيروت . ايضا : خالد محمد خالد ـ من هنا نبدأ ـ المصدر السابق ـ صفحة ١٨٦ ـ ٢٠٧ ايضا : منير الشريف : مستقبل المراة العربية ـ دمشق ـ دار اليقظة وأخيرا : اليانور فلكستر : نضال المراة لنيل حقوقها وحريتها ـ دمشق ـ منشورات دار اليقظة .



التنظيم السياسى المثلث القوى

قام « لطفى الخولى » اخيرا برحلة الى كل من « بلغاريا » و « يوغوسلافيا » . وقد ركز اهتمامه فى كل منهما على دراسة التنظيم السياسى ، حيث يدور فى واقع كل من البلدين حول تجمع وطنى عريض ، يعرف فى بلغاريا باسم « جبهة الارض الام » ويعرف فى يوغوسلافيا باسم « التحالف الاشتراكى » .

وفى مقال هذا العدد يعرض الكاتب لتجربة بلغاريا : وفى العدد القادم يتناول التجربة اليوغوسلافية .

لطفى الخولى

بلغاريا

رغم طبيعتها الجميلة الوادعة ، بلد مثير فى كل شىء .. الانطلاق — خلال اقل من ربع قرن — من دائرة التخلف الزراعى الى رحاب المجتمع الصناعى والتكنولوجيا المتقدمة ، نظافة الشوارع وكأنها مرايا مصقولة ، جدية العمل والتآخى الاجتماعى ، المرح وبسمة السعادة على الوجوه . بل وحتى السياحة التى راحت تجذب نحو هذا الركن البلقانى الصغير الذى يضم ٨ ملايين نسمة ، اكثر من مليونى سائح من كل انحاء العالم سنويا .

وكان السؤال الذى ظللت أديره مع نفسى وأبحث له عن جواب هو : **كيف تحولت بلغاريا القديمة الى بلغاريا ١٩٦٨ الجديدة هذه ، والتى تثير الاعجاب ؟**

وبالطبع كانت هناك اجابة سهلة ومريحة على هذا السؤال يمكن تحديدها فى كلمة واحدة هى « الاشتراكية » . بيد ان هذه الكلمة غدت اليوم مبسطة ومجهلة للغاية . ولعلها لا تقول اكثر من شعار عام ، ولا تفسر « الماء » الا « بالماء » .. فى حين ان ما كنت أسعى اليه هو « **اجابة عملية** » تمسك « **بالمفاتيح الرئيسية للتجربة البلغارية** » .

وخلال عديد من المناقشات والملاحظات والزيارات ، امكننى التعرف على « مفتاح جوهرى » بل لعله أهم المفاتيح جميعا .. وأعنى به « **التنظيم السياسى** » . ولكن يبقى هذا الاصطلاح أيضا ، يعيبه التعميم والتبسيط ما لم نقف على طبيعة هذا التنظيم وابعاده وأسلوب عمله .

والتنظيم السياسى فى بلغاريا اليوم ، ليس — كما يتبادر للذهن — مقتصرا على الحزب الشيوعى وحده . وانما الحزب الشيوعى « جزء يتميز من كل » ، هو تنظيم « **مثلث القوى** » .

فبجانب **الحزب الشيوعى** ، يوجد حزب آخر

هو «حزب اتحاد المزارعين» • ومعهما ـ علاوة على ذلك ـ الجبهة الوطنية • أو على حد التعبير البلغارى الحرفى «جبهة الارض الام» • ولكل من الشعب الثلاث للتنظيم السياسى كيانها الذاتى، ودورها ونشاطها • وذلك فى اطار علاقة صحية مرنة وفريدة فى نوعها، هى ـ بالدقة ـ جوهر فاعلية العمل السياسى والتعبئة الجماهيرية الواسعة والمتجددة، وقيادة التطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى بلغاريا •

٩ سبتمبر ١٩٤٤

ولعل ما اصابه التنظيم السياسى «مثلث القوى» فى بلغاريا من نجاح، يرجع اساسا الى انه كان ـ ولا يزال ـ خلال مراحل تطوره المختلفة، ترجمة تنظيمية ديمقراطية، امينة وديناميكية، لقوى الثورة وحلفائها فى الواقع البلغارى من ناحية • ولقوانين الاشتراكية من ناحية اخرى • وذلك فى غير ما تجمد أو اصطناع أو نقل •

كيف كان ذلك ؟

هناك تاريخ هام فى حياة بلغاريا يفصل بين مرحلتين رئيسيتين، او بتعبير آخر بين بلغاريا القديمة (الملكية الفاشية الرأسمالية الطابع) وبين بلغاريا الجديدة التى تبنت الاشتراكية طريقا وهدفا . هذا التاريخ هو ٩ سبتمبر عام ١٩٤٤، حيث تم بنجاح، بقيادة الحزب الشيوعى البلغارى من خلال جبهة وطنية واسعة تفجير الثورة واسقاط السلطة القديمة، واحلال سلطة جديدة تمثلت فيما سمى «بحكومة الجبهة الوطنية» •

وبالتالى فهناك دائما فى بلغاريا، تاريخ **ما قبل** ٩ سبتمبر ١٩٤٤، وتاريخ **ما بعد** ٩ سبتمبر ١٩٤٤ . ولكن ليس معنى ذلك الفصل الحاد بين التاريخين ومراحلهما المختلفة، وانما هناك تمييز بين طبيعة ما قبل سبتمبر وتتركز فى التحضير للثورة وتفجيرها، وبين طبيعة ما بعد ٩ سبتمبر وتتركز فى اقامة سلطة الثورة وتدعيمها والعمل على اجراء عملية التحول الاشتراكى لبلغاريا •

و«التنظيم السياسى البلغارى» المعاصر ليس ابنا فى تكوينه وطبيعته ودوره، لمرحلة ما بعد ٩ سبتمبر فحسب • وانما هو يمتد بجذوره الى ما قبل ٩ سبتمبر خلال التعبئة الشعبية والسياسية من أجل الثورة • ولكنه مع كل خطوة ومرحلة، كان ينمو ويتشكل فى صياغات متعددة ومختلفة تتلاءم والظروف والاوضاع المتغيرة •

واذن فمن المهم تتبع خط ومسار التنظيم السياسى قبل وبعد ٩ سبتمبر ١٩٤٤ •

فى يونيو ١٩٢٣ تم فى بلغاريا انقلاب فاشى النزعة، وذلك بالاتفاق بين القصر الملكى وبين قيادة حزبين : حزب يمينى برجوازى كان يعرف باسم حزب «**الحلف الديمقراطى**» وحزب آخر صغير كان يعتمد أساسا على ضباط الاحتياط وقسم من المثقفين البرجوازيين، وعرف باسم حزب «**الحلقة**» واستهدف هذا الانقلاب اسقاط حكومة حزب اتحاد المزارعين الديمقراطيين التى كان يترأسها زعيم الحزب «**الكسندر ستامبولسكى**» • الذى أعدمه القصر الملكى بعد ذلك فى آخر انقلاب قام به خلال الحرب العالمية الثانية •

ومنذ انقلاب ١٩٢٣ بدأ اللقاء بين الحزب الشيوعى بزعامة «**ديمترف**» وحزب اتحاد المزارعين بزعامة «**ستامبولسكى**» الذى أدى الى تحالف بينهما وتفجير أول انتفاضة شعبية معادية للفاشية للعالم فى نفس عام ١٩٢٣ .

ويعد هذا التحالف التاريخى ضد الفاشية بين الحزبين، الشيوعى واتحاد المزارعين، **الجنين الاول** للتنظيم السياسى المتعدد الاطراف والموحد القوى والاتجاه فى بلغاريا •

واستمرت حكومة انقلاب ١٩٢٣، حيث كانت السيطرة فيها لحزب الحلف الديمقراطى، «وحزب الحلقة» مجرد شريك بيد أن هذا الحزب الاخير أخذ يقوى ـ نسبيا ـ من تنظيماته وقواعده ويضم اليه مجموعات من الضباط المغامرين العاملين بالجيش، ويكون بالتالى قوة بيرقراطية عسكرية فاشية تمكنت فى ١٩ مايو سنة ١٩٣٤ بالاتفاق مع القصر الملكى من القيام بانقلاب فاشى جديد وبناء سلطة دكتاتورية فاشية، عمدت الى الغاء كل المؤسسات الديمقراطية، وشن حملة قوية ضد الاحزاب على اختلاف اتجاهاتها، والاخذ بفكرة واسلوب «النخبة السياسية الممتازة» فى ادارة شئون البلاد وتوجيهها، وتعيين عدد من الضباط التابعين «للحلقة» فى المراكز الحساسة فى الدولة •

اول تحالف

ولكن لم يعمر تحالف الملك مع «الحلقة» اكثر من سنتين، اذ سرعان ما بدأت الصراعات تدب بينهما، وخاصة بعد بروز اتجاه يسارى داخل الحلقة نجح فى الضغط على الحكومة لاقامة

علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي . وفى نفس الوقت كان ثمة اتجاه يتزايد داخل أعضاء الحلقة من الضباط الوطنيين والمثقفين البرجوازيين الوطنيين ضد ربط بلغاريا بالمانيا النازية وادى هذا ضمه الى قيام الملك بانقلابه الدموى ضد حكومه الحلقة .

وفتح هذا بالضرورة الباب لتعاون الحلقة مع الحزب الشيوعى . وقد استطاع الحزب الشيوعى ان يتغلب على معارضة حزب اتحاد المزارعين على مثل هذا التعاون ويقنعه بضرورة توحيد كل القوى المعادية للفاشية ، والحكم الملكى فى جبهة وطنية تكون قاعدة واسعة للثورة .

وفى عام ١٩٤٢ تمكن **الحزب الشيوعى** من تأسيس الجبهة الوطنية ، وكان هو ، بوزنه النضالى والتنظيمى ، أقوى الاحزاب المشتركة . يليه حليفه التقليدى وهو **حزب اتحاد المزارعين** الذى كان يتسم دائما بالطابع الوطنى الديمقراطى ويمثل اساسا مصالح المزارعين الصغار والمتوسطين ، وأن كان قد ضم ايضا فى فترات مختلفة ممثلين للمزارعين الكبار من ذوى الاتجاهات الوطنية ، وشارك فى الجبهة علاوه على ذلك **حزب الحلقة** ، **والحزب الاشتراكى الديمقراطى** الذى كان يتركز نفوذه اساسا بين موظفى الدولة والاجهزة التنفيذية ، **والحزب الراديكالى** الذى كان يمثل مصالح ما يمكن أن يسمى بالبرجوازية الوطنية الليبرالية من أصحاب المهن الحرة كالمحامين والاطباء والمعلمين .

وخلال هذه الجبهة ، التى كانت عبارة عن ائتلاف بين خمسة احزاب ، احتفظ كل منهما باستقلاله . ولكنها جميعا أقرت البرنامج السياسى للجبهة الذى وضعه الحزب الشيوعى للنضال المسلح لاسقاط الفاشية والنظام الرأسمالى واقامة دولة عصرية ديمقراطية تقدمية الطابع .واستطاع الحزب الشيوعى ، بمرونة سياسية ممتازه ، أن يقود الجبهة ويوحد نشاطها على طريق الثورة ، ويكون حركة أنصار مسلحة قوية من كوادره والعاطفين عليه من الجبهة ، ويفجر بها الثورة الشعبية الديمقراطية والاشتراكية فى ٩ سبتمبر ١٩٤٤ .

وهكذا كان التنظيم السياسى لبلغاريا ــ وهى تشق طريقها الثورى ــ يرتكز على جبهة وطنية عريضة ، تتكون من ائتلاف بين خمسة احزاب ، كان الحزب الشيوعى يقوم بينها بدور القائد الفعلى .

وهذا التنظيم السياسى المجسد فى « الجبهة الوطنية » هو الذى تولى زمام السلطة بعد نجاح الثورة . وكان عليه بالتالى أن يواجه ــ من موقعه الجديد ــ ظروفا واوضاعا ومشاكل وصراعات جديدة ، لا مفر من أن تنعكس على الجبهة وتكوينها ودورها وعلاقة الاحزاب المتآلفة بعضها ببعض .

ورغم ان الحزب الشيوعى ، كان فعليا قائد الجبهة ، والمحرك الاساسى للنضال المسلح ، فقد عمد الى تخطى « اغراء الانفراد بالسلطة » وأصر على اقامة حكومة وطنية تمثل الجبهة كلها بقواها الخمسة . وبلغت به المرونة السياسية حد عدم التمسك برئاسة الحكومة . وذلك حتى يسد الباب فى وجه أية صراعات تهدد الثورة الوليدة فى لحظاتها الاولى . واتفق على أن يرأس الحكومة « كيمون جورجييف » رئيس حزب الحلقة ، وكان يمثل اكثر اتجاهات الحلقة نزوعا نحو اليسار .

بيد انه ، حول مستقبل الوطن ونوعيه المجتمع الجديد المطلوب بناؤه ، سرعان ما تفجرت الصراعات داخل الاحزاب ــ كل على حدة ــ وداخل الجبهة ككل معا . وكما يحدث دائما ، فى كل مجتمع يخطو نحو مرحلة جديدة فى تاريخه ، تبقى هناك بعض القوى التى ترحب بالتغيير شكليا فحسب دون ما تغيير فى المضمون . وذلك حفاظا على مستقبلها ، مثل كبار المزارعين فى الريف « الكولاك » . وتظهر هناك قوى أخرى توافق ــ بحكم مصالحها ــ على التغيير حتى فى المضمون ولكن الى حد محدود لا يتعداه مثل البرجوازية عامة وخاصة المتوسطة منها

وهذه القوى جميعا تعادى القوى الاخرى الراغبة فى السير على طريق التغيير حتى أخر مداه .. الاشتراكية .

هذا هو ــ باختصار ــ واقع علاقات القوى فى بلغاريا عشية نجاح الثورة وقيام حكومة الجبهة الوطنية .

فمن ناحية ، كانت الجبهة الوطنية تبين الثورة قد جذبت الى صفوفها عناصر شتى يمينية فى فكرها ومصالحها الاجتماعية والاقتصادية . ولكنها كانت تتفق مع الجبهة فى اسقاط النظام الملكى الفاشى وعوده الحياة الديمقراطية وبناء دولة عصرية ،وليس لاكثر من ذلك .

ومن ناحية اخرى ، فان جميع الاحزاب الديمقراطية والبرجوازية فى الجبهة قد شرعت تحيا حياة حزبية كاملة وحرة بعد الثورة وعمدت كل منها الى زيادة حجمها فى داخل الجبهة ، وذلك بفتح باب عضويتها لاعداد كبيرة جديدة ، وخلال عملية فتح الابواب الحزبية ، دخلت الى هذه الاحزاب عناصر متعددة الاتجاهات ، ومن

بينها عناصر رجعية فاشستية قديمة ؟ وذلك بعد تغيير جلودهـا . وقد ولد هـذا الحشد الغير منسجم ــ فكرا ومصـالح ــ داخل الاحزاب . انشقاقات وتصدعات داخلها .

الصراعات والمعارضات والانقلابات

وقد دارت هـذه الصراعات والانشـقاقات حول قصيتين اساسيتين بعد الثورة ، راح الحزب الشيوعى يطرحهما داخل الجبهة ويعبىء مـن حولهما غالبية القوى .

اولهما : تصفية النظام الراسمالى تصـفية جذرية والتحول نحو الاشتراكية .

وثانيهما : تطهير الجيش من العناصر الفاشية والملكية والمعادية للثورة والاسـتقلال الوطنى. وبالذات ممن كانت لهم جرائم محددة ضد القوى الشعبية وارتباطات واضحة مع الهتلرية من ناحية والاستعمار من ناحية اخرى .

وكانت هاتان القضيتان ، هما العمود الفقرى لبرنامج الجبهة بعد الثورة . وحينما شرع فى اتخاذ اجراءات تنفيذية لهذا البرنامج . شرعت القوى المعادية للبرنامج الجديد تنشق اولا عن احزابها ، وان ظلت تحتفظ بعضويتها فى الجبهة لفترة معينة على أمل تحويل الاتجاه داخلها . فلما فشلت سارعت بالخروج من الجبهة نفسها ، جاذبة معها كل عناصر الثورة المضادة وقتذاك ، وهى المعادية للوطن والاشتراكية معا .

ووقع أول انشقاق فى حزب **اتحاد المزارعين** من جانب ممثلى مصالح كبار المـزارعين فـى الريف « الكولاك » وتحـالف معهـم ممثلـو البرجوازية الصغيرة الغنية نوعا ما فى المدن . وتشكل من هذه العناصر حزب مستقل قائم بذاته ، وتبعه تشكيل حزبين آخرين انشقا كل من الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، وحزب آخر صغير كان قد انضم للجبهة باسم الحزب الديمقراطى .

واستفادت هذه الاحزاب اليمينية المنشقة من المناخ الديمقراطى الذى ساد البلاد بعد الثورة وحرية تكوين الاحزاب ، فكانت لها صـحفها ونوابهـا فى البرلـمان وكياناتهـا التنظيميـة واستخدمت هذا كله فى حركة ناقدة لبرنامج الجبهة الجديد والتحول نحو الاشتراكية والدور القيادى للحزب الشيوعى فى الجبهة ، وانتهى الامر بهذه الاحزاب الى الانفصال عن الجبهة وتكوين قوة معارضة صريحة ضدها من الخـارج . واستمرت على هذا الوضع مدة عامين كاملين بعد الثورة . وواجهت الجبهة نتيجة لذلك معـارضة ملحوظة لخطها وبرنامجها . ولكن الجبهـة والحزب الشيوعى استطاعا الصمود وعزل هذه الاحزاب المعارضة عن التأثير فى جماهير الشعب. الامر الذى دفعها الى التآمر وتدبير الانقلابات بواسطة العناصر العاطفة عليها فى الجيش . ولكن الجبهة والحزب الشيوعى استفادا من هذه الانقلابات ، لانها كشفت لهما باستمرار عـن العناصر الواجب تطهيرها وفصلها عن القوات المسلحة . وخاصة بقايا العناصر المغامرة التى كانت تـابعة « لحزب الحلقـة » ذى الطـابع العسكرى . بل اكتشف ان « **دميان فلتشيف** » وزير الدفاع فى حـكومة الجبهة وممثل حـزب الحلقة حاول اكثر من مرة القيام بـانقلاب عسكرى ، وعندما ضبط فى المرة الاخيرة عزل من منصبه الوزارى وعين وزيرا مفوضا لبلغاريا فى سويسرا ، ولكنه ما ان وضع قدميه خارج بلغاريا حتى هرب الى امريكا .

وبدأت منذ ذلك الحين تتكشف ، يوما بعد يوم ، صلات أحزاب المعـارضة الثـلاثة بـالقوى الاستعمارية فى الخارج ، الامر الذى فضحها شعبيا وحسر عنها كل تأييد شعبى . وحينما اقدمت حكومة الجبهة على حلها باعتبار اعضائها اعداء للوطن والاشتراكية ، كانت فى ذلك تترجم عمليا ارادة شعبية عارمة .

ولم يكن الوصول الى هذه النتيجة سهلا ، بل جاء نتيجة نضال شاق وصبور استغرق حوالى اربعة أعوام ، زاد خلاله تلاحم الاحزاب التى ظلت داخل الجبهة الوطنيـة ، وعلى ولاء للبرنـامج الجديد ، وضاقت المسافات الفكرية بينها حتى تلاشت تماما بالنسبة لبعضها .

فاذا **بالحزب الاشتراكى الديمقراطى** يتخذ قرارا فى مؤتمر عام بـالانضمام للحـزب الشيوعى .

واذا بكل من **الحزب الراديكالى وحزب الحلقة** يعلنان ان وجودهما المستقل لم يعد يعنى ، بعد التحويلات الجذرية ، مدلولا اجتماعيـا خاصا، فيقدمان على حل نفسيهما ويتقدم اعضاؤهما بطلب الانضمام للجبهة الوطنية كافراد لا كاحزاب .

وكان ثمة انقساما قد وقع فى **الحزب الشيوعى البلغـارى** عـام ١٩١٣ بيـن مـا يسمى بالماركسيين «الضيقين» (المتزمتين) والواسعيين، خرج منه الاول من الحـزب مكتفين بعضـوية الجبهة . ولـكن ما ان وقعت الثورة ومرحلـة تصفية المعارضة اليمينية ، حتى عاد «الضيقون» الى عضوية الحزب من جديد عام ١٩٤٨ .

الاحزاب والافراد

وهكذا ما ان وافى عام ١٩٤٨ على بلغاريا الجديدة حتى كان هناك حزبان فقط قدسان بذواتيهما ، الحزب الشيوعي وحزب اتحاد المزارعين . الاول يبلغ عدد اعضائه ٦٠٠ الف ، في حين يصل عدد اعضاءالحزب الثاني ١٢٠ الفا.

وخلق هذا التغيير في علاقات القوى والاحزاب وضعية سياسية جديدة لابد لها من صياغة تنظيمية جديدة وملائمة .

فمن ناحية لم يعد هناك غير حزبين فقط . فهل يقوم بينهما تحالف يحل محل الجبهة الوطنية .. جبهة الارض الام ؟ ولكن الحزبين معا لا يمكن أن يضما في عضويتهما كل الطاقات السياسية في البلد . وبالتالي لابد من تنظيم آخر يمكنه أن يستوعب الطاقات الشعبية المهتمة بالعمل السياسي ، التي لا ترغب في نفس الوقت الارتباط بالعضوية الحزبية والتزاماتها وخاصة الاعضاء السابقين في حزبي الحلقة والراديكالي بعد الحل . والجبهة الوطنية ، بوضعها القائم وقتذاك ، جبهة أحزاب ، لا تقبل الا الاحزاب ؟

وكان الحل التنظيمي الذى أمكن التوصل اليه هو تحويل الجبهة الوطنية من ائتلاف بين أحزاب الى منظمة جماهيرية عضويتها مفتوحة للافراد فحسب سواء أكانوا حزبيين أو لا حزبيين . وتم هذا التحويل بالفعل عام ١٩٤٨ . وهي تضم الان ٠٠٠ر٢٠٠ر١ عضو .

وبهذا أصبح التنظيم السياسي في بلغاريا مثلث القوى : الحزب الشيوعي ، وحزب اتحاد المزارعين ، والجبهة الوطنية كمنظمة جماهيرية .

سؤالان

وهنا يبرز أمام المراقب للتجربة البلغارية سؤالان :

اولهما : لماذا بقي حزب اتحاد المزارعين قائما بذاته دون بقية الاحزاب الاخرى التي اشتركت في الجبهة الوطنية ؟

وثانيهما : ماهي طبيعة العلاقات بين كل من الحزب الشيوعي وحزب اتحاد المزارعين والجبهة ، ودور كل منهما في العمل السياسي ؟

والاجابة عن السؤال الاول ترجع الى اسباب تاريخية وموضوعية مميزة للواقع البلغاري يمكن أن نلخصها في النقاط الاربع الاتية :

● يتمتع حزب اتحاد المزارعين بجذور عميقة في تاريخ بلغاريا وتقاليد حزبية قوية نسبيا ، بالمقارنة مع بقية الاحزاب البرجوازية الاخرى التي كانت مشاركة في الجبهة وذلك منذ تأسيسه في عام ١٨٩٩ .

● اتسم الحزب دائما بالطابع الديمقراطي ، وذلك بسبب تمثيله أساسا لمصالح المزارعين الصغار والمتوسطين التي كانت دائما في تناقض مع السلطة الملكية والفاشية . وان كان الحزب في بعض الفترات قد ضم ممثلين للمزارعين الكبار ، ولكنهم سرعان ما انفصلوا عنه عندما تعارضت مصالحهم مع مصالح قاعدته العريضة . وقد بلور هذا الوضع خط نضاله دائما في اتجاه معاداة النظام الملكي والفاشي والرأسمالية الكبيرة ، ودفع زعيمه « الكسندر ستامبولسكي » ـ الذى يعد بطلا قوميا في بلغاريا ـ رأسه ثمنا لاصراره على هذا النضال . فضلا عن أنه مع بعض مؤسسي الحزب كانت لهم افكار ونزعات حول العدالة الاجتماعية والاشتراكية ، وان لم تكن بصورة واضحة . وقد اكسب هذا كله الحزب شعبية واضحة مازال يحتفظ بها .

● لم يتجمد الحزب مع تطور الاحداث والعصر ، بل عمد الى التفاعل معها . فتخلى عن افكاره القديمة التي كانت ترى أن كل حزب يجب أن يرتكز على فئة اجتماعية محددة فقط فلا يضم أعضاء من خارجها والا شتت ولاءه . وبالتالي فهو كحزب مزارعين لا يقبل غير المزارعين والفلاحين في عضويته ويعتبرهم القوة الرئيسية للنضال وتحرير الوطن وتطويره . وقد أصبح الحزب يؤمن الان ، بتحالف الفلاحين والعمال والمثقفين مع الاعتراف بقيادة الطبقة العاملة للنضال الوطني والاجتماعي .

● تبنى مؤتمر الحزب عام ١٩٤٨ الخط الاشتراكي للتطور .

والواقع أن العلاقات النضالية بين حزب اتحاد المزارعين والحزب الشيوعي قد توثقت الى درجة عميقة ، منذ تحالفهما التاريخي ضد الفاشية والرأسمالية عام ١٩٢٣ ، وقد وصلت هذه العلاقات الى درجة ارساء تقليد تنظيمي خاص وهو حضور ممثلين لحزب الاتحاد الزراعي في اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، والعكس .

والان ماذا عن السؤال الثاني .. العلاقة بين

الحزبين وجبهة المنظمة الجماهيرية وأساليب العمل السياسى .. الخ ؟

تحكم هذه العلاقة عدة مبادىء جوهرية مستقرة :

● ان الحزب الشيوعى هو القائد للعمل السياسى ، وبالتالى فان برنامجه هو البرنامج العام والاساسى لتطوير البلاد . ولكن القيادة والبرنامج لا يفرضان باساليب ادارية وانما عن خلال الحوار الديمقراطى وما يتمتع الحزب نفسه من وزن شعبى داخل الجبهة

● ان حزب اتحاد المزارعين هو شريك للحزب الشيوعى فى السلطة وحكم البلاد . ورئيسه الحالى هو رئيس هيئة رئاسة الجمعية الوطنية (رئيس الجمهورية) واحد قادته هو نائب رئيس الوزراء ، وله عدة ممثلين يحتلون مناصب وزارية بجانب وزراء آخرين ينتمون للحزب الشيوعى الذى يتولى سكرتيره العام « جيفكوف » رئاسة الوزارة .

● ولكن هذا لا ينفى وجود عناصر من أعضاء الجبهة (المنظمة الجماهيرية) فى مناصب الحكم مثل « كيمون » الزعيم السابق لحزب الحلقة الذى ظل نائبا لرئيس الوزراء ، « وجورجى كولشيف » الراديكالى السابق الذى لايزال يشغل منصب نائب رئيس هيئة رئاسة الجمعية الوطنية .

● لكل حزب بنيته التنظيمية الخاصة والمستقلة ونظامه الداخلى وأجهزته الحزبية ونشاطها .

وللجبهة كمنظمة جماهيرية بنيتها التنظيمية الخاصة المستقلة ايضا ، ونظامها الداخلى واجهزتها ونشاطها . وبالتالى فهى قريبة من ناحية من بنية الحزب ، ولكنها من ناحية أخرى تتميز بعدم الالتزام الحزبى المتشدد بالنسبة لاعضائها ، وباختلاف نوعية نشاط الجبهة عن نوعية النشاط الحزبى . فالنشاط الحزبى نشاط **سياسى** بالدرجة الاولى فى حين أن نشاط الجبهة هو **نشاط اجتماعى سياسى** . بمعنى أنه يترجم الخطوط السياسية الى اعمال اجتماعية يعبأ فى خدمتها الطاقات الشعبية . مثل تنظيم الجماهير لانجاز مهمات اقتصادية مختلفة كزيادة الانتاج وتحسينه ، او تحسين الأوضاع المعيشية فى الاماكن المتخلفة ، أو القيام بحملات من اجل الادخار او محاربة الاسراف الخ .

والهدف الاساسى من الجبهة هو جذب الطاقات الغير حزبية والتى قد تضيق بالالتزام الحزبى الى حلبة العمل السياسى الجماعى ، ونسجها مع العناصر الحزبية من الشيوعيين والمزارعين فى قوة عمل اجتماعية لتنفيذ وتدعيم الخط السياسى العام . فضلا عن التوعية العامة للجماهير .

ولهذا فانه لايشترط فى عضوية الجبهة اية شروط خاصة كما فى عضوية الحزب الشيوعى ، او حزب اتحاد المزارعين ، كما ان الجبهة ليس لها وحدات تنظيمية الا فى المناطق والتجمعات السكنية فحسب . وذلك بخلاف كل من الحزبين حيث تتبعهما وحدات تنظيمية على اساس المسكن والعمل معا .

وحسب الواقع الراهن فان للحزب الشيوعى وحدات تنظيمية على اساس جغرافى ، فى الريف والمدينة ، وعلى اساس العمل فى المصانع والجامعات والادارات والمزارع الخ ...

أما حزب اتحاد المزارعين ، فبحكم تقاليده وخبرته ، تنتشر وحداته جغرافيا حضرا وريفا وفى اماكن العمل وخاصة فى القرى . وليس له وحدات فى المصانع .

ويتحدد وزن كل من الحزبين فى الجبهة بحجم وفاعلية الاعضاء المنتمين منهما الى عضوية الجبهة كأفراد .

● المنظمات الجماهيرية مثل النقابات ومنظمة الشباب ، ليست فروعا فى اى من الحزبين او الجبهة . وانما تتمتع كل منها باستقلال ذاتى فى اطار الخط العام للبرنامج السياسى والاجتماعى والاقتصادى للتطوير .

● لكل من الحزبين والمنظمات الجماهيرية صحفها ومجلاتها ودور نشر للكتب والدراسات .

● المستويات القيادية لكل من الحزبين والجبهة والمنظمات الجماهيرية يتم ملء مناصبها بالانتخابات الداخلية .

● لايحق لاى من الحزبين ان يرشح أعضاءه مباشرة لانتخابات الجمعية الوطنية . وانما يتم الترشيح منهما الى الجبهة . والجبهة فى النهاية هى التى تقدم قائمة موحدة بالمرشحين الحزبيين واللاحزبيين للانتخابات العامة . وتعد الجبهة هذه القائمة الموحدة بعد عمليات استفتاءات شعبية اقليمية للمرشحين تتم من خلال اجتماعات سياسية بين الناخبين والمرشحين . وعلى ضوء ماتسفر عنه هذه الاستفتاءات من نتائج تقدم القائمة .

بمثل هذه الكيانات التنظيمية المتاخية ، والمنسوجة مع بعضها البعض ، بشريا وفكريا وحركة ، تعبىء بلغاريا اعظم قدر متاح من طاقات شعبها للبناء والتطوير الاشتراكيين ، بكفاية ومعدل قياسى للسرعة وفى مناخ ديمقراطى .



- خبراء البترول العرب يواجهون خط البترول الاسرائيلى
- نوفمبر ١٩٦٧ ـ نوفمبر ١٩٦٨ ـ «محلك سر» فى الامم المتحدة
- السياسة الجديدة .. و «الكوكوو» الامريكى فى افريقيا
- ماذا بعد مظاهرات الطلبة فى المكسيك ؟

■ الجمهورية العربية المتحدة

من البناء التنظيمى الى العمل السياسى

اهتمت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، بعد انتخابها ، بوضع اطار عام لاسلوب العمل فيها وفى الهيئات المنبثقة عنها .

وقد شكلت اللجنة المركزية فى اول اجتماع لها ، لجنتين مؤقتتين من بين اعضائها :

- لجنة لشئون التنظيم ، وكلفت بوضع لائحة داخلية للعمل داخل اللجنة المركزية واقتراح ماتراه مناسبا لاسلوب العمل وعلاقة اللجنة المركزية بمختلف الاجهزة الاخرى وخاصة الاجهزة التنفيذية .
- لجنة لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر القومى العام .

وعلى ضوء المناقشات التى دارت فى اللجنة المركزية حول تقريرى اللجنتين قررت اللجنة المركزية تشكيل خمس لجان دائمة .

- ـ لجنة الشئون السياسية .
- ـ لجنة التنمية الاقتصادية .
- ـ لجنة الشئون الداخلية .
- ـ لجنة شئون التنظيم .
- ـ لجنة الثقافة والفكر والاعلام .

وبالنسبة لتشكيل اللجنة التنفيذية العليا ـ ففى بادىء الامر قررت اللجنة المركزية بالاجماع ـ انه فى هذه المرحلة بالذات وبسبب طبيعة الظروف الحاضرة يتم تشكيل اللجنة التنفيذية العليا لاول مرة ـ بتفويض القيادة السياسية باعداد قائمة تتضمن اسماء عدد مساو للعدد المطلوب انتخابه لعضوية اللجنة التنفيذية [١٠ اعضاء اصليين و ٤ احتياطيين] وتطرح هذه القائمة للتصويت عليها من اللجنة المركزية ـ فاذا لم تحز هذه القائمة الاغلبية اللازمة قدمت قائمة أخرى وهكذا .

وفى اطار دراسة تشكيل اللجنة التنفيذية العليا ـ طبقا لقرار اللجنة المركزية ـ اجرى الرئيس عبدالناصر عددا كبيرا من اللقاءات وعقد اجتماعات مع كل أمين من امناء الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات ـ كل على حدة ، كما تابع اتجاهات الراى العام عن قرب . وخلص الرئيس من كل ما سمع ـ كما عبر عن ذلك امام اللجنة المركزية ـ الى « أن هناك اعتبارين يتحتم توافرهما فى تشكيل اللجنة التنفيذية العليا :

الاول ـ معنى الاستمرار **والثانى** كفالة التجديد .

وعلى هذا الاساس تقدم الرئيس عبد الناصر للجنة المركزية باقتراحين :

الاقتراح الاول : يدعو الى تأجيل عملية الانتخاب على الا يؤدى ذلك الى تعطيل كل اجهزة

الاتحاد وقياداته تحت مستوى اللجنة التنفيذية العليا — وذلك لكى تتاح الفرصة واسعة للعناصر الجديدة .

والاقتراح الثانى : أن تمارس اللجنة المركزية مسئوليتها الديمقراطية ، وتقوم بانتخاب اللجنة التنفيذية العليا انتخابا مباشرا ، مادامت ترى ضرورة الاسراع فى تشكيل اللجنة التنفيذية العليا .

وطلب الرئيس جمال عبد الناصر من اللجنة المركزية ان تحله من التفويض الذى منحته له حرصا على القيم والمعانى التى تضمنها بيان ٣٠ مارس .

ومن بين المرشحين العشرين الذين تقدموا للانتخاب فاز ثمانية فقط بالاغلبية المطلقة للاصوات — وباشرت اللجنة التنفيذية العليا المنتخبة مسئوليتها فعلا . وقررت اللجنة المركزية تأجيل الانتخاب بالنسبة للمقعدين الخاليين والاربعة مقاعد الاحتياطى .

وفى مناقشات اللجنة المركزية حول التقريرين تأكدت بعض المبادىء الاساسية :

١ — ان اللجنة المركزية هى السلطة القيادية العليا فى الفترات ما بين انعقاد المؤتمر — وان لها حق المتابعة والرقابة على اساس انها هى التى تحكم باسم تحالف قوى الشعب العامل عن طريق الوزراء .

٢ — ان التنظيم يجب ان يأخذ مركزه وقوته وفاعليته ، ويجب ان تأخذ اللجنة المركزية وضعها واختصاصاتها وفقا لبيان ٣٠ مارس وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى .

٣ — ان اعضاء اللجنة التنفيذية العليا سوف يتفرغون لعملهم تفرغا كاملا والوزراء الذين يفوزون بعضوية اللجنة يجب ان يتركوا مناصبهم الوزارية — على ان ينظر بعد هذه المرحلة — فيما اذا كانت هناك مصلحة فى اسناد بعض المناصب الوزارية الى بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العليا .

٤ — ان عمل اللجنة المركزية شىء وعمل السلطة التنفيذية شىء آخر وانه لا ينبغى الخلط بين المسئوليتين .

٥ — اننا يجب ان نبحث عن صيغة تدعم العلاقة والتعاون بين اللجنة المركزية والحكومة ومجلس الامة ، لان واجبنا جميعا ان نؤكد التأييد الشعبى لنظامنا ، ولن يتم الوصول الى هذا الا اذا تعاونا جميعا فى التعرف على مشكلات الجماهير وحل هذه المشاكل .

وقد اكد الرئيس عبد الناصر على انه من الضرورى من يوم اجتماع المؤتمر القومى فى دورة انعقاده القادمة ان نكون جميعا فى وضع يسمح لنا ان نقف امام المؤتمر ونقول فى كل قرار اصدره او توصية اوصى بها — اننا نفذنا او اننا لم ننفذ لاسباب نضعها تحت تصرفه .

وخلال الاسابيع التى استغرقتها اللجنة المركزية فى تشكيل هيئاتها القيادية — أجريت مناقشات حول قرارات المؤتمر القومى فى التنظيم السياسى — وفى الاجهزة التنفيذية .

وكمثال : وضعت لجنة الاتحاد الاشتراكى لمحافظة القاهرة اسلوبا للتحرك السياسى بشأن متابعة وتنفيذ قرارات المؤتمر القومى العام بهدف تعبئة الجماهير وربطها بقرارات المؤتمر عن طريق لقاءات تبدأ فى شكل مؤتمرات للاقسام ، ومؤتمرات للجان الوحدات الاساسية على ان يترك لكل مؤتمر من مؤتمرات الاقسام فرصة اختيار وتحديد الموضوع الذى يمكن تناوله بالدراسة والتفصيل ، ووضع الاسلوب الامثل للتنفيذ ، والاستعانة بالكفاءات من داخله ، او من نطاق المحافظة . وكذلك اختيار وحدة من كل قسم كنموذج لكيفية تصور تطبيق وترجمة قرارات المؤتمر على مستوى الوحدة بحيث تمثل هذه النماذج تكاملا من حيث الدراسة .

وقد تبلورت هذه الجهود كلها فى تقرير شامل اعده مؤتمر محافظة القاهرة لكى يضع امام اللجنة المركزية — تصور التنظيم السياسى بمحافظة القاهرة لاسلوب تنفيذ قرارات المؤتمر القومى . وعلى سبيل المثال :

لقد كان هناك تركيز واضح على اسلوب تحقيق التآخى والمعايشة بين الضباط والجنود ، والمساواة بين فئات المجندين ، وتنظيم عملية التطوع الفدائى الفلسطينى للشباب العربى ، وحول المنهج السليم لمعالجة قضية الحل السياسى والحل العسكرى ، وقضية التنظيم السياسى للشباب . وقدم اكثر من اقتراح يمكن ان يساهم فى حل المشكلات التى تعانى منها الجماهير .

كما حظيت قضية الانتاج ودعمه وجودته وخفض تكاليفه وبناء العلاقات السليمة داخل الوحدات الانتاجية باهتمام واسع . وفرضت العلاقات بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية نفسها فى كافة المستويات . وكان هناك الحاح من الجماهير فى مؤتمرات الوحدات الاساسية ، وفى مؤتمرات الاقسام « بان تجىء القرارات التفصيلية واشكال التطبيق العملى لتوصيات المؤتمر القومى بشأن التناقضات بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية مؤكدة على الحقيقة التى اوردها بيان المؤتمر القومى » بانه

من الضرورى خلال هذه المرحلة المصيرية ان تتأكد باستمرار وباصرار سلطة قوى الشعب العامل وان تتدعم رقابتها الفعالة على مقدراتها وعلى جميع اجهزة الحكم ومختلف انشطة الدولة .

واكدت المناقشات على ان نجاح العمل السياسى يتطلب وجود ادارة تتمتع — الى جانب الخبرة الفنية المطلوبة — بالقدرة على القيادة السياسية — اى القدرة على الربط بين الاهداف العامة للمجتمع وبين اهداف الوحدة الانتاجية واهداف العاملين بها ، وتنمية شعور العاملين بان القيادة الادارية تتوحد فعلا لا قولا مع أهداف المجتمع الجديد ، وتتمثل قيمتها فى سلوكها العملى ، وانها لذلك تصبح القدوة التى يحتذى بها والتى تلتف حولها كافة العناصر السليمة فى الوحدة الانتاجية وتقبل بحماس تنفيذ توصياتها.

وأبرزت المناقشات ضرورة أن تقترن عملية التغيير الثورى للاجهزة التنفيذية بعملية تثقيف واسعة النطاق تستهدف توعية الكادر الفنى والادارى والاقتصادى والخدمات ، بثقافة علمية عن الثقة بالشعب وقدراته واعتباره مصدر كافة الانتصارات التى احرزها ويحرزها النظام الثورى فى بلادنا .

وعلى مستوى الاجهزة التنفيذية بادر مجلس الوزراء الى تشكيل لجنة وزارية برياسة السيد **حسين الشافعى** لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر القومى وبيان ٣٠ مارس .

وكان موضوع التنظيمات النقابية محل بحث فى مجلس الوزراء وعلى ضوء ما دعا اليه المؤتمر القومى من ضرورة تدعيمها وتجديد قياداتها فى مواعيدها المحددة وان تتاح لها حرية الحركة لتكون اداة فعالة فى زيادة الانتاج والارتفاع بمستواه . — استقر الراى على ان تجرى الانتخابات فى شهر ديسمبر القادم وتقرر تكليف لجنة تضم السيدين امين هويدى وشعراوى جمعة لدراسة مواعيد هذه الانتخابات .

واقترحت وزارة العمل ان تجرى انتخابات التشكيلات النقابية على اساس ديمقراطى سليم وفى الحدود المرسومة بالقانون مع ابعاد عمليات الترشيح والانتخاب عن سيطرة التنظيم السياسى مع الاكتفاء بتوافر شرط العضوية العاملة بالاتحاد الاشتراكى حتى لا يكون للقادة النقابيين القدامى الموجودين فيه اثر على حرية الانتخابات ، وبذلك يمكن ظهور قيادات نقابية جديدة .

واقترحت الوزارة الغاء ما تم من اجراءات فى العدد القليل من التشكيلات التى تمت على خلاف هذه القواعد .

كما اقترحت الوزارة الاخذ بنظام المندوبين النقابيين بهدف تدعيم الصلة بين القيادة النقابية والقاعدة العمالية العريضة .

وجاء اتجاه وزارة العمل متفقا مع الاتجاه العام للقاعدة العمالية التى ترى ان « اعضاء النقابة العامة للغزل والنسج مثلا لم يتغيروا منذ بداية تشكيل النقابة العامة عام ١٩٦٠ — وانه لو حدثت انتخابات وتقدم للترشيح اعضاء جدد فانهم سيجدون الطريق مغلقا للوصول الى عضوية النقابة العامة — وذلك لان قانون انتخاب اعضاء النقابات العامة قاصر ، ولايمكن ان يؤدى الى خلق قيادات جديدة . فالانتخابات تتم عن طريق ممثلين عن المناطق على مستوى الجمهورية ، والقيادات المهيمنة تمثل مراكز ثقل داخل الجمعيات العمومية ، ولذلك يجب ان تقوم كل منطقة بانتخاب العدد المحدد لها ليمثلها فى النقابة العامة لان عمال كل منطقة ادرى بمن يمثلهم » .

وتشكلت فى وزارة العدل لجنة من ٣٠ عضوا برياسة رئيس محكمة النقض — لوضع بيان ٣٠ مارس وقرارات المؤتمر القومى موضع التنفيذ على ان تتفرع منها ثلاث لجان للاصلاح القضائى والتشريعى والادارى ولتطوير القوانين بحيث تصبح معبرة عن المجتمع الاشتراكى على ان تنجز اللجنة مهمتها خلال ثلاثة شهور بدات من اول اكتوبر .

وقد حدد السيد محمد ابو نصير وزير العدل الاسس التى يجب ان يقوم عليها عمل اللجنة « بانه اعادة صياغة القوانين لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة » ويجب ان تتغير اللوائح الحكومية تغييرا جذريا وان تتطور لتكون قادرة على خدمة الشعب . **وعلى اساس ان حرية الكلمة هى المقدمة الاولى للديمقراطية ، وسيادة القانون هى الضمان الاخير لها** — وان كل قرار أو تصرف من الهيئة التنفيذية يجب ان يستند الى قانون وفى حدوده — وهذا القانون لابد وان يستند الى اصل دستورى ، وان سيادة القانون يجب ان تسيطر على المجتمع الاشتراكى لحماية ثورته وتدعيم الجبهة الداخلية .

وتلقت اللجنة الوزارية المشكلة لمتابعة قرارات المؤتمر القومى طائفة من الاقتراحات من الوزارات المختلفة من ابرزها :

● اقتراح لوزارة الانتاج الحربى بالاقلال من عدد الفئات فى جدول مرتبات العاملين بحيث تصبح ستة مستويات فقط والغاء مبدأ تسعير

الشهادات وتعديل لائحة نظام العاملين بالقطاع العام .

● وطلبت وزارة التربية والتعليم اصدار قانون جديد لنقابة المهن التعليمية واعادة الانتخابات وتطوير المناهج والكتب الدراسية .

● واقترحت وزارة البحث العلمي تكوين لجنة خاصة لكل مشكلة من مشاكلنا الرئيسية تضم كل المتخصصين على مستوى الدولة وتخرج منها خطة شاملة لتنفيذ البحوث اللازمة — مع تخليص اللجان وادارات البحث العلمي من الرئاسات والمسئوليات الادارية لكي يمكن انطلاقها في مجالات البحث .

■

خبراء البترول العرب يواجهون خط الانابيب الاسرائيلي

أكدت التوصيات والمناقشات التي انتهت اليها اجتماعات خبراء البترول العرب التي عقدت في مقر الجامعة العربية في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر واستمرت خمسة ايام ، **الاخطار التي تهدد المصالح العربية عسكريا واقتصاديا وسياسيا من جراء تشغيل اسرائيل مشروعها الذي تعمل فيه** الان بسرعة والذي يقضي بمد خط لانابيب البترول قطر ٤٢ بوصة من ايلات على خليج العقبة الى عسقلان على البحر الابيض [٣٠ كيلومترا جنوب تل ابيب] وفي مواجهة الخط الاسرائيلي اوصى خبراء البترول العرب بما يلي :

١ — احالة المشروع المقدم من منظمة التحرير الفلسطينية الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية لدراسته . ويقترح هذا المشروع مد خط انابيب عبر الاراضي العربية من الخليج العربي الى البحر الابيض .

٢ — ان مشروع الجمهورية العربية المتحدة بمد خط للانابيب بين السويس والاسكندرية مشروع اقتصادي سواء بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة او بالنسبة لعملية النقل في صناعة الزيت ، وكذلك بالنسبة لبعض الدول المصدرة للبترول . ويعتبر المشروع ردا على المشروع الاسرائيلي ، ولتدعيم فاعلية الخط المصري وتأكيد تأثيره يجب :

● ترك المجال للدول والبلاد العربية للتقدم بمشروعات اخرى في هذا المجال يتم بحثها في لجنة مماثلة على ان يراعى عامل الزمن في ذلك .

● ان تبذل الحكومات العربية المساعي الدبلوماسية لدى الدول غير العربية المنتجة شرقي السويس [**ايران واندونيسيا**] لمنع تزويد الخط الاسرائيلي بالبترول وتفضيل الخط العربي .

● ان تقوم الحكومات العربية بالضغط على الشركات العاملة في بلادها والتي لها مصالح مشتركة مع الشركات العاملة في ايران للحصول على نفس النتيجة .

● تطبيق احكام المقاطعة العربية على الشركات العاملة في بلادها والتي لها مصالح مشتركة مع الشركات العاملة في ايران للحصول على نفس النتيجة .

● تطبيق احكام المقاطعة العربية على الشركات التي تستعمل هذا الخط وتلك التي تزوده بالتجهيزات اللازمة .

وهذه التوصيات ستعرض في اجتماع المجلس الاقتصادي العربي في دورته القادمة التي تبدأ في ١٠ ديسمبر القادم ، لتحويلها الى قرارات تلتزم بها الدول العربية . وكان المجلس الاقتصادي قد بادر عندما تنبه الى خطورة المشروع الاسرائيلي بدعوة الدول العربية الى التفكير في مشروعات مناهضة لهذا المشروع يتم بحثها في لجنة لخبراء البترول على اعلى المستويات ، ومن ثم كان الاجتماع الذي شهدته القاهرة في الفترة من ٥ الى ٩ اكتوبر الماضي .

والخط الاسرائيلي الذي دعيت الدول العربية لمواجهة اخطاره يهدف الى استغلال توقف المرور في قناة السويس واغراء الشركات البترولية بنقل بترولها بالناقلات الضخمة الكبيرة حيث يتم تفريغه في ايلات ، ثم يدفع في خط الانابيب الذي ينتظر ان يبدأ عمله في نهاية العام القادم لتتسلمه في الناحية الاخرى عند عسقلان ناقلات اصغر تتولى نقله الى موانيء الاستهلاك الاوربية .

وفي نظرة الى الاهداف التي تسعى اليها اسرائيل لانشاء هذا الخط تتضح النقط البارزة التالية :

١ — ان الانتاج السنوي من البترول في اسرائيل لا يجاوز ١٠٪ من احتياجاتها . وقد وصل هذا الانتاج في العام الماضي الى ١٣٥ الف طن متري بينما بلغت قيمة وارداتها ماقيمته ٦٠ مليون دولار .

٢ — ان اسرائيل تكرر انتاجها . ووارداتها من الزيت الخام في معمل حيفا الذي رفعت طاقته الى ٥ر٥ مليون طن في العام الماضي . وتقوم اسرائيل بعد استيفاء احتياجاتها بتصدير ما يفيض من منتجات ، وقد بلغت قيمة هذه الصادرات في عام ١٩٦٦ : ١٦ مليون دولار .

٣ ــ تأمل اسرائيل فى تنفيذ عدد من المشروعات الجديدة منها اقامة معمل تكرير فى اسدود وآخر فى ايلات بالاضافة الى توسيع معمل تكرير حيفا .لكن اهم المشروعات واوضحها هو اقامة خط انابيب ايلات/عسقلان .

ورغم الصعوبات الفنية والاقتصادية التى تعترض تنفيذ الخط الا ان **اسرائيل تستعجل اليوم تنفيذه بقصد تحقيق عدد من الاهداف العسكرية والسياسية والاقتصادية :**

فمن الناحية العسكرية فان مد هذا الخط عبر صحراء النقب سيمكن من زيادة اقامة المنشآت العسكرية هناك بقصد حراسته والمحافظة عليه . يضاف الى ذلك التأييد الذى تريد اسرائيل الحصول عليه فى حقها فى المرور فى خليج العقبة فضلا عن حرمان الدول العربية من العائد الذى كانت تحصل عليه نتيجة تمرير ذلك البترول عبر اراضيها .

ومن الناحية السياسية فان اسرائيل سوف تعمد الى استغلال هذا الخط فى تقوية ارتباطها بالدول والمصالح الغربية فضلا عما يشكله الخط من خطر على قناة السويس كشريان عالمى لتجارة البترول العالمية .

اما من الناحية الاقتصادية فان اسرائيل تهدف الى تحقيق قدر كبير من الاهداف منها :

- العائد الذى سوف يعود عليها ثمنا لاستخدامها الخط .
- حرمان قناة السويس من الكميات التى ستستخدم الخط وبالتالى التأثير اقتصاديا فى الجمهورية العربية .
- تشغيل مزيد من الايدى العاملة .
- اجتذاب الاستثمارات الاجنبية المحلية .
- افساح المجال لتحقيق التوسعات التى تسعى اليها طاقة التكرير .
- تعمير المناطق التى يمر بها هذا الخط كجزء من حمايته .
- يضاف الى كل ذلك تحويل اسرائيل من بلد مستورد للبترول لسد احتياجاته الى بلد مصدر للبترول المكرر والخام على حد سواء .

ولا شك ان كل هذه الاعتبارات قد دفعت الجمهورية العربية المتحدة الى الشروع فورا فى تنفيذ اقامة خطها بين السويس والاسكندرية مواجهة للمخطط الاسرائيلى وسعيا للحد من تأثيره ومحاولة القضاء عليه .

ومع ان مد خطوط الانابيب يستغرق فترة طويلة لا تقل عن ثلاث سنوات ما بين الدراسة والاتصالات مع الشركات والاستعدادات التى تقوم بها هذه الشركات لبحث المشروع وتنفيذه ، **الا ان الجمهورية العربية فى مواجهة الخط الاسرائيلى قررت أن تسبق الزمن المقدر وحددت سبتمبر ١٩٧٠ موعدا لتشغيل الخط المصرى بكامل طاقته .**

واذا كان الخط المصرى يتفوق على الخط الاسرائيلى فى قرب محطة الشحن [الاسكندرية] من موانى الاستهلاك فى حوض البحر الابيض فلا شك ان وضع التوصيات التى اتخذها خبراء البترول العرب موضع التنفيذ من خلال قرارات المجلس الاقتصادى ، سوف يمنح الخط المصرى قوة فعالة تمكنه من تحقيق هدفه الاكبر فى مجابهة الخط الاسرائيلى .

وبامكان الخط المصرى ان يحقق هذا الهدف وذلك بفضل المزايا والفوائد التى تجنيها منه الشركات الناقلة والدول المنتجة والدول المستهلكة :

- فهو بالنسبة للشركات الناقلة سيمكنها من تشغيل الناقلات الضخمة سعة ٢٠٠ الف طن فأكثر الذى سيكثر استعمالها عند عام ١٩٧٠ والتى تواجه صعوبات فى حوض البحر الابيض بسبب عدم وجود موانىء جاهزة لاستقبالها . ومن ثم كان تخطيط تشغيل هذه الناقلات يجرى على اساس ان يتم رسوها فى منتصف البحر ثم تتولى نقل حمولتها الى ناقلات صغيرة تصل بها الى موانى التسليم .
- ايضا بالنسبة للشركات الناقلة فان استخدام خط الانابيب سيسمح بوفر غير قليل فى عملية النقل .

وبالنسبة للدول المنتجة شرقى السويس فان انخفاض تكلفة النقل سوف يسمح بوصول بترولها الى اسواق الاستهلاك فى اوربا باسعار تمكنها من مواجهة المنافسة الكبيرة التى تلقاها من البترول الافريقى الذى تقل كثيرا تكلفة نقله الى الاسواق المستهلكة بسبب قرب المسافة بينه وبين هذه الاسواق وعدم وجود اية عوائق فى المرور .

- وللدول المستهلكة فان استخدام خط الانابيب سوف يسمح بوصول بترول الخليج العربى الى اوربا فى وقت اقل كما ان انخفاض التكلفة فى النقل سوف ينعكس على السعر الذى يدفعه المستهلك .

وكل هذه الفوائد تؤكد اقتصاديات المشروع، وهو الامر الذى اطلق السباق الكبير بين الشركات العالمية المتنافسة فى محاولة للحصول على امتياز تنفيذه .

■ فلسطين

ارتفاع أرقام الخسائر الاسرائيلية

على اثر تصاعد نشاط الفدائيين ، وبروز مدى فاعلية العمل المسلح في النضال من أجل تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني ، برزت الى الوجود الحاجة الى توحيد العمل الفلسطيني المسلح ، كضرورة لابد منها لخلق قيادة موحدة لهذا الكفاح ، وفي سبيل تدعيمه ودفعه الى الامام . وخلال الشهر الماضي ، نشطت الحركة من اجل وحدة المنظمات التي تقود العمل المسلح ، فجرت اتصالات واسعة بين ممثلي المنظمات الفدائية، تمهيدا للدعوة الى مؤتمرجديد للفدائيين، وتتركز الاتصالات على أمرين :

أولهما : اعداد جدول عمل محدد يكون من أبرز بنوده ، وضع المجلس العسكري للمنظمات الفلسطينية ، الذي اقره مؤتمر المائة في القاهرة موضع التنفيذ ، ثم الانتقال الى بحث الخطوات التوحيدية في مختلف المجالات .

وثانيهما : ان يكون مكان المؤتمر قريبا من مقر القيادات الفعلية للمنظمات ، كي يجري اتخاذ قرارات حاسمة ، ودون المماطلة في البت في القرارات .

وقد صرح السيد يحيى حمودة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، أنه بحث اثناء زيارته للكويت ، تشكيل قيادة موحدة للعمل الفدائي المسلح . كما وجهت وزارة الخارجية الكويتية الدعوة الى منظمةالتحرير ، ومنظمةفتح ، ومنظمة الجبهة الشعبية ، للاجتماع في الكويت للتباحث معهم في شأنتوحيد العملالفدائي الفلسطيني . . وقد تقدمت منظمة فتح بمشروع خاص للوحدة الى المنظمات الاخرى . وفي ١٠/٢٠ ، تم تشكيل مجلس قيادة موحدة للعمل الفدائي ، يضم المنظمات الثلاث الرئيسية .

على ان اعداء العمل الفدائي ، لم يستسلموا امام هذه الجهود الدائبة لتوحيد نشاط منظمات الفدائيين . وسرعان ماانفجرتالازمة بين حكومة الاردن وبين رجال المقاومة الفلسطينية . واحس الفدائيون أن بعض اجهزة الامن في الاردن تعمل على الحد من تحركاتهم . على ان الازمة لم تحقق اهدافها . وكان للتصريحات التي ادلى بها رئيس وزراء الاردن الى احسان بكر مراسل الاهرام وقع حسن في صفوف الرأي العام العربي — حيث أكد رئيس الوزراء ان الاردن ينطلق من مبدأ **((قضية استقلال وشرعية المقاومة الفلسطينية))** ، وأن حكومته حريصة على الا يحدث تناقضات بين رجال المقاومة وبين افراد القوات المسلحة واخيرا نفى السيد التلهوني ما اشيع اخيرا عن « مفاوضات تدور في الخفاء بين الاردن وبين اسرائيل » .

ويرى المراقبون ان نفي خبر المفاوضات بين اسرائيل وبين الاردن قد جاء في وقته . فمن ناحية يساعد على تبديد جو التوتر الذي اوشك ان يعم الاردن . ومن ناحية اخرى جاء ردا على الاخبار التي دأبت على نشرها الصحافة الغربية خصوصا في النصف الاخير من اكتوبر الماضي . وكانت « الهيرالد تريبيون » قد اشارت بتاريخ ٦٨/١٠/١٧ الى انه « كانت هناك اتصالات — على نطاق ضيق — تدور بينالاردن وبين اسرائيل وان دوائر الغرب الدبلوماسية تتوقع ان تبدأ المفاوضات بين الحكومتين الاردنية والاسرائيلية من خلال الوسيط الدولي يارنج » .

على ان كل ما ينشر في صحف الغرب عن « المفاوضات » بين العرب وبين اسرائيل ، وكل ماتعلنه اسرائيل عن تمسكها بمبدأ المفاوضات ، لا يلبث ان تفضحه نوايا اسرائيل الحقيقية ، التي يعبر عنها موشي ديان . فقد اعلن في خطاب اخير له أمام اتحادالطلابالاسرائيليين، أن على العرب ان يقبلوا شروط « السلام » الاسرائيلية ، والا فان اسرائيل ستضم اليها الاراضي المحتلة . وتقترن بهذه التصريحات اعمال مباشرة ويومية ، دموية وعنيفة ضد سكان المناطق المحتلة .

الا ان المراقبين يرون ان كل تصعيد للعدوان من جانب اسرائيليواجه بمقاومة متسعةومتزايدة من الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وفئاته . حتى ان المظاهرات العاصفة التي اندلعت اخيرا في اراضي الضفة الغربية وفي قطاع غزة والتي اشترك فيها الفتيات والطلاب والشباب والعمال، انما تعبر عن هذه الحقيقة وهي ان حركةالشعب الفلسطيني ومقاومته قد بدأت تمثل الدرع والينبوع الذي لا يجف للعمل الفدائي ذاته، وان اتساع المقاومة في صفوف سكان الضفة الغربية وقطاع غزة من شأنه ان ينقل معركة المصير مع العدو الصهيوني الى مرحلة جديدة من مراحل المواجهة . وهذا ما يحدثالان على جميعالجبهات العربية — ان كل عدوان اسرائيلي يقابل بالردع الفوري من جانب قوات الجمهوريةالعربيةالمتحدة، وهذا ماأثبتته معركة الطيران ومعركةالصواريخ . — ان كل عدوان على المساكن والمقدسات في الضفة الغربية يواجه بضربات عاجلة منالفدائيين وبتحد وانتفاضات قوية تستوعب كل قطاعات شعب فلسطين المناضل .

وازاء تصاعد واتساع نطاق حركة المقاومة المسلحة داخل الاراضي المحتلة ، بل وداخل اسرائيل نفسها ، والذى اعترف موشي ديان نفسه بان تلك الاعمال وحدها كبدت اسرائيل خلال الشهر الاخير ٢٣١ قتيلا وجريحا ، تقوم اسرائيل بشن حملات انتقامية ضد القوات الاردنية وقرى الضفة الشرقية ، بحجة مطاردة الفدائيين . كما تقوم ببث الالغام فى حقول العرب فى الضفة الغربية ، حتى تبث الكراهية ضد الفدائيين . وبالاضافة يؤدى تصاعد الاعمال الفدائية فى نفس الوقت الى زيادة القلق وانعدام الشعور بالطمأنينة بين المواطنين الاسرائيليين ، مما يؤثر بالتالى على حركة السياحة ، وعلى اتجاه حركة الهجرة الاسرائيلية . وقد اضطرت السلطات الاسرائيلية ان تفرض اخيرا قيودا متعددة على سفر السكان اليهود الى خارج اسرائيل ، وذلك للحد من الهجرة التى ازدادت خلال الفترة الاخيرة نتيجة تضاعف العمل الفدائى والمقاومة العربية .

وازاء الارهاب الواسع الذى تشنه السلطات الاسرائيلية ضد المواطنين العرب ، والتعذيب الوحشى الذى يلقاه المعتقلون ، ارسلت نقابات العمال فى غزة الى السكرتير العام للامم المتحدة ، تطالب بايفاد مبعوثين دوليين الى الاراضى المحتلة للوقوف على الجرائم الوحشية التي ترتكبها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ضد السكان المدنيين والعمل على وقف هذه الجرائم التي تتنافى مع ميثاق الامم المتحدة . كما بعث الدكتور فوزى السيد الامين العام لاتحاد العمال العرب ببرقيات مماثلة الى اوثانت ، ومكتب العمل الدولي ، والاتحاد العالمى للنقابات ، والاتحاد الحر ، واتحاد عمال افريقيا .

ولكن ما ان اتخذ مجلس الامن قرارا بايفاد مندوب دولى للتحقيق فى احوال العرب في الاراضى التى تحتلها اسرائيل ، حتى سارعت اسرائيل برفض قبول استقبال المندوب الدولى ،



دفاع عن عروبة قطاع غزة

كان واضحا — منذ اليوم الاول للاحتلال — ان السلطات الإسرائيلية قد اعتمدت استراتيجية ترمي الي تفريغ قطاع غزة من سكانه تمهيدا لابتلاعه وضمه الى اسرائيل .

وقد وعت الحركة الوطنية فى القطاع استراتيجية المحتل تلك . فاعتمدت — فى مواجهتها — استراتيجية الصمود والبقاء على ارض الوطن .

وقد اتبعت السلطات الاسرائيلية ، للوصول الى غايتها ، تاكتيكا مزدوجا .. فهي من ناحية عمدت الي تازيم الوضع الاقتصادى فى القطاع ، ومن ناحية اخرى مارست ولاتزال تمارس اقسى انواع الارهاب والتنكيل بالسكان .

فمن جراء تعطل اكثر من اربعة آلاف موظف .. وتوقف تجارة القطاع الرائجة مع الجمهورية العربية المتحدة ، وانقطاع سبل النقد الاجنبى المتمثل فى تحويلات العملة من قبل ابناء القطاع العاملين فى الخارج الى اسرهم من سكان القطاع . والى بوار تجارة الحمضيات .. كل ذلك ادى الى تردى الحالة الاقتصادية . وبادر الاحتلال الى دفعها لمزيد من التازيم ، برفع اسعار الحاجيات من جهة ، وبتغيير العملة المصرية بالاسرائيلية وبسعر منخفض من جهة اخرى ، فى محاولة منه لتقليص مدخرات الاهالى وتضييق الخناق عليهم ، وحملهم بالتالى على هجر القطاع

ولما لم تعط الازمة الاقتصادية نتائج سريعة فى تهجير السكان ، عمد الاحتلال الى ممارسة الارهاب فى ابشع صوره .. فمن تطويق لمعسكرات اللاجئين والاحياء السكنية ، الى ابقاء الرجال فى العراء دون طعام او شراب لايام طويلة ، الى ضرب النساء والاطفال والشيوخ بانابيب المياه المعدنية ، الى محاولة الاعتداء علي الاعراض ، الى الاعتقالات بالجملة وبدون مبرر .

وهكذا وضعت جماهير القطاع بين فكى كماشة : الازمة الاقتصادية الخانقة من جهة ، والارهاب من جهة اخرى . ومع ازدياد ضغط فكى الكماشة ، كان معدل الهجرة الى شرقى الاردن ، عبر جسر الملك حسين ، يرتفع !

ومع مرور الزمن اعتادت الجماهير علي الارهاب ! ونجحت فى شله ، الى حد بعيد ، بالمظاهرات النسائية .

الا ان الحركة الوطنية تعانى معاناة شديدة من الازمة الاقتصادية ، التي لاتجدى معها الحلول الذاتية . وان كانت الحركة الوطنية فى القطاع ، والتى تعبر عنها « الجبهة الوطنية المتحدة » ، قد خاضت نضالا فكريا نشطا لتعبئة الجماهير فى خط الصمود ... ففضحت جريدتها « المقاومة » اساليب الاحتلال الرامية الى تهويد مظاهر الحياة العامة في القطاع وخاصة فى مجال التعليم والاقتصاد ، ورفعت الجبهة شعارات « التقشف » و « مقاطعة البضائع الاسرائيلية » و « الوطن او الموت » و « البقاء على ارض الوطن تحت كل الظروف » و « الهجرة خيانة وطنية » و « لن نتحول الى مهاجرين من جديد » .

ومع ذلك يظل العمل السياسي قاصرا ، ولابد من خطوات تنفيذية ، والا « يغيب العقل حيث يغيب الدقيق » !

وتتضح خطورة تلك المشكلة من كون سلطات اسرائيل كانت قد اتخذت قرارا سريا في يوليو ١٩٦٧ يقضى بضم قطاع غزة اليها . وقد منعتها الضجة التى احدثها قرار ضم القدس من اعلان ضم القطاع ، وان كان ديان قد نوه فى الشهر الماضي الى احتمال اعلان ضم كل الاراضى المحتلة رسميا الي اسرائيل !

ان عروبة غزة قضية تطرح نفسها بالحاح ، ولابد ان نضعها علي راس سلم الاولويات في جدول عملنا النضالي .

عبد القادر ياسين — غزة

وعلقت رفضها على حجة واهية ؟ وهى ان مهمة المندوب الدولى يجب ان تشمل التحرى عن احوال اليهود فى البلدان العربية .

وخلال الاتصالات الواسعة التى جرت على كافة المستويات فى الامم المتحدة ، طوال الشهر الماضى ،لمحاولة الوصول الى تسوية مرضية لمشكلة الشرق الاوسط ، خرج الرئيس الامركى على العالم بمفاجآته عن بدء المفاوضات مع اسرائيل لاعطائها طائرات الفانتوم . وقد اجمعت كل الوفود فى الامم المتحدة ، على ان قرار الرئيس الامريكى جاء ضربة خطيرة ، تشل كل المحاولات السياسية فى الازمة ، بما فيها مهمة يارنج . **وعقبت المصادر العربية على هذا الاتجاه الامريكي الجديد ، بانه الاتجاه نحو سياسة اكثر عدوانية ضد العرب .**

الا ان مجلة المصور علقت على ذلك ، فقالت بتاريخ ١٨ / ١٠ : « ليست الطائرات الامريكية الفانتوم ، او « الشبح » ، التى قرر جونسون تزويد اسرائيل بها أخيرا ، ليست هى الوحش الذى لا يقهر . لقد حاولت امريكا بث الرعب فى نفوس العالم ببرنامج دعاية ضخم حول هذه الطائرة ... وعلى الرغم من حملة الدعاية الضخمة التى تكلفت عشرات الملايين من الدولارات ، استطاعت بطاريات المدفعية الفيتنامية ان تسقط ، فى الاسابيع الاولى لعمل هذه الطائرة فوق سماء فيتنام ثلاث طائرات ، فقضت بذلك على الاسطورة التى خلقتها اجهزة الدعاية الامريكية » .

■

■ **الامم المتحدة**

نوفمبر ٦٧ ـ نوفمبر ٦٨ : محلك سر

بالرغم من مرور حوالى شهر تقريبا على مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة لازمة الشرق الاوسط فانه لم يظهر حتى الان ما يشير الى ان الجهود المبذولة يمكن ان تتوصل الى ايجاد نقطة تصلح لان تكون اساسا للبدء فى تنفيذ قرار مجلس الامن ، وذلك لان اسرائيل ببساطة هى التى ترفض جوهر هذا القرار وهو : الانسحاب من الاراضى المحتلة . وجاء قرار الرئيس الامريكى **جونسون** ببيع طائرات الفانتوم الى اسرائيل ، ليضاعف من تعقيد المشكلة وذلك نظرا لما ينطوى عليه هذا القرار من اثار خطيرة بعيدة المدى على مستقبل الحل السلمى اللازمة فى الشرق الاوسط .

وكانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد اعطت ازمة الشرق الاوسط اولوية المناقشة فى دورتها الجديدة الحالية التى اشترك فيها اكثر من خمسين رئيس حكومة ووزير للخارجية . وكما نعرف فقد نشبت عند افتتاح الدورة ازمة بين **جورج بول** رئيس الوفد الامريكى ويوثانت السكرتير العام للامم المتحدة ، بسبب تصريحات **يوثانت** فى مؤتمره الصحفى ، والتى قال فيها « انه لو عرض مشروع قرار بوقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية فسوف يحصل على غالبية الاصوات فى الجمعية العامة » . وعلى اثر ذلك احتج رئيس الوفد الامريكى الذى اعتبر ما جاء فى تصريحات يوثانت تحريضا لاى وفد على طلب ادراج مشكلة فيتنام فى جدول اعمال الجمعية العامة .

وقد اهتمت جميع الوفود فى الامم المتحدة بالانتقادات التى وردت فى تقرير يوثانت الذى القاه امام الجمعية العامة فى ٢٦/٩ لاسرائيل ، والتى يحمل فيها اسرائيل مسئولية فشل مهمة يارنج باصرارها على المفاوضات المباشرة مع العرب ، وايضا لتأكيده على ان اعمال الفدائيين امر طبيعى فى الاراضى الواقعة تحت سيطرة الاحتلال العسكرى الاسرائيلى ــ ولم تستطع الحكومة الاسرائيلية اخفاء قلقها الشديد ازاء هذه المفاجآت المتتالية ، الامر الذى وضح فى بيانات وزارة الخارجية فى تل ابيب وفى جميع الصحف الاسرائيلية ، التى راحت تهاجم كل من الاتحاد السوفيتى والسكرتير العام للامم المتحدة .

ولما كانت الحكومة السوفيتية قد أصدرت فى ١٩٦٨/٩/٢٥ ــ قبل بدء المناقشات فى الجمعية العامة ــ بيانها الرسمى الذى يندد بسياسة اسرائيل القائمة على العدوان المستمر ، واغتصاب الاراضى ونهب ثروات الارض العربية ، فقد توقع المراقبون أن يتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا متشددا فى الجمعية العامة . وجاء بيان جروميكو تأكيدا لهذه التوقعات . فقد حث وزير الخارجية السوفيتى الجمعية العامة على قبول الاقتراح الواقعى المقدم من الجمهورية العربية المتحدة ، وهو الاقتراح الذى يقضى بوضع برنامج للاجراءات المتعلقة بتسوية مشكلات الشرق الاوسط ، وذلك على اعتبار ان هذا هو الاجراء الوحيد لاعادة الوضع فى المنطقة الى ما كان عليه قبل ٥ يونيو . واوضح جروميكو ان الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يغض النظر عما يحدث فى منطقة تقع على حدوده وتؤثر

تأثيرا مباشرا على أمنه . وحذر من ان اسرائيل سوف تقدم حسابا عسيرا اذا واصلت سياستها فى الاحتفاظ بالارض العربية المحتلة .

كما أن بعض الدول الغربية لم ترحب بمسلك الولايات المتحدة ، ونخص بالذكر هنا موقف كل من فرنسا وبريطانيا فىالجمعية العامة . اما فرنسا فقد اعلنت على لسان وزير خارجيتها **ميشيل دبريه** انها « تسبق اجراء المفاوضات المباشرةبين العرب واسرائيل » كشرط لحل الازمة .واضاف « انه لا يمكن بحث اى موضوع آخر الا بعد انسحاب القوات الاسرائيلية » . وبهذا الموقف تدلل فرنسا على انها لا تزال ملتزمة بموقفها الايجابى من النزاع العربى الاسرائيلى . كما ان بريطانيا التى كانت قد قدمت القرار الذى يتبناه مجلس الامن فى الدورة الماضية اشارت فى خطاب ممثلها الى « السلام القائم على العدل » . وهو تطور ايجابى ايضا — وانه كان محدودا — فى موقف بريطانيا من الازمة .

وفيما يتعلق بموقف اسرائيل فى الجمعية العامة فمن الملاحظ ان اجهزة الدعاية والصحف الامريكية قد اظهرتنشاطا وحماسا غير عادى، وذلك خلال الايام التى سبقت القاء اباايبانبيانه امام الجمعية العامة فى ٦٨/١٠/٨ . ومن ثم راحت تبشر بقرب الوصول الى الحل السياسى والترويج لما اسمته بالمشروع الاسرائيلى . ولكن سرعان ما تكشفت حقيقة المشروع الاسرائيلى الذى جاء تكرارا لما سبق ان رددته اسرائيل فى بيانات ساستها من قبل ، حول اجراء مفاوضات مباشرة مع الدو لالعربية ، واقامة حدود آمنة ومعترف بها ، والمرور فى قناة السويس ، والاعتراف بالسيادة القومية ، وان يتم بحث مشكلة اللاجئين فى مؤتمر يضع برنامجا مدته خمس سنوات لحل هذه المشكلة .

وقد اعربتوفود الكتلة الاشتراكية ودولعدم الانحياز عن استيائها من المشروع الاسرائيلي الذى لم يأت بجديد ، ووصفته مصادر الخارجية البريطانية ، بانه قد صيغ بشكل متعمد يجعله غير مقبول لدى العرب ، فضلا عن انه يتجاهل تماما قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ،والخاص بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

اما الوفود العربية فقد التزمت الصمتالتام تجاه المشروع الاسرائيلى المشوب بالرفض. وان العرب ملتزمون بقرارات مؤتمر القمة فى الخرطوم والتى تنص على انه لا صلح ، ولا مفاوضات ، ولا اعتراف باسرائيل .

وقد اثار انتباه المراقبين التوقيت الدقيق والعلاقة بين المشروع الاسرائيلى والقرار الامريكى الخاص ببيع الفانتوم . ذلك انه لم يعد سرا ان اقدام امريكا على الاعلان عن صفقة الطائرات قد جاء عقب الاجتماع الذى دام ثلاث ساعات بين جروميكو ودين راسك .ومن المعلوم ان الولايات المتحدة عجزت فى هذا الاجتماع عن عقد اتفاق بين واشنطون وموسكو على حساب الدول العربية . وكان فى مقدمة مطالب امريكا أن يمتنع الاتحاد السوفيتى عن ارسال الاسلحة الى البلاد العربية ، الامر الذىرفضه وزير الخارجية السوفياتى .

وقد لفت نظر المراقبين الخطاب الذى القاه محمود رياض فى الجمعية العامة وعبر به عن المواقف الاساسية للجمهورية للعربية المتحدة . ونقطة البدء فىهذه المواقفهو رفضالاستسلام لارادة العدوان .

اما النقطة الثانية التىاكد عليها محمودرياض فهى مسئولية هيئة الامم نحو شعب فلسطينلانه « يقع على عاتق المنظمة الدولية — تاريخيا وقانونيا واخلاقيا — مسئولية اساسية نحو شعب فلسطين ، وهو مسئولية من شأنها ان نجعل الامم المتحدة طرفا اساسيا فى قضية فلسطين » .

واذا كان يارنج قد وافق على أن يمد مهمته حتى آخر نوفمبر الحالى ،فان هذه المحاولة تدخل فى باب المحاولات العديدة لانقاذ السلام فى الشرق الاوسط .

ذلك ان الاعتقاد السائد الان بين جميع الوفود، هو ان الازمة اذا خرجت من الامم المتحدة فقد يتعذر تماما ان تعود اليها مرة اخرى .

■

■ **افريقيا**

السياسة الجديدة ..
و « الكوكوو » الامريكى فى افريقيا

لفت نظر المراقبين الافريقيين ، فقرة هامة وردت فى تقرير **روبرت ماكنمارا** ، رئيس مجلس ادارة **البنك الدولى للانشاء والتعمير** ، الذى قدمه الى المؤتمر السنوى لمحافظى البنك وصندوق النقد الدوليين ، فى اوائل الشهر الماضى . فقد طالب ماكنمارا [وزير الدفاع الامريكى السابق فى تقريره « بان يضاعف البنك قروضه للدول النامية خلال السنوات الخمس القادمة ، وبتحويل اهتمام البنك من جنوبشرقى آسيا والهند وباكستان ، الى افريقيا وامريكا اللاتينية » . ثم يستطرد التقرير « انه مع زيادة التعاون الفعال مع دول افريقيا ، يتعين على البنك الدولى انيزيد معدل استثماراته فىالقارة الى ثلاثة امثال المعدل الحالى » .

وينظر المراقبون الافريقيون الى هذه الفترة ٪ على اعتبار انها تجسيد واضح « للسياسة الجديدة » التي بشر بها جونسون ونائبه همفرى، تجاه افريقيا . والمراقبون لا يرون في هذه الفترة، مجرد دليل فقط على ان امريكا تزمع نقل اهتمام سياستها الاستعمارية من المنطقة التي يتوقع ان يأفل فيها نفوذ الولايات المتحدة [حيث لا يخفى على احد النتائج التي تنبىء بها تطورات حرب فيتنام ، الى افريقيا] . ولكنهم يربطون كذلك بين ماجاء في هذا التقرير وبين ما جاء في التصريحات التي ادلى بها **روبرت همفرى** اثناء زيارته ذات الدلالة الهامة الى ٩ دول افريقية في يناير الماضي. هذه التصريحات التي يعدها المراقبون تتمة طبيعية للمخطط الاستعماري الامريكي البعيد المدى الذى شهدت بدايته التطبيقية ، سلسلة الانقلابات العسكرية الموالية معظمها لامريكا

فالنظر الى افريقيا ،كاحتياطي اخير للاستعمار الامريكي ، حجر زاوية اساسي في سياسة امريكا الخارجية تجاه افريقيا ، الامر الذى لا يخفيه المسئولون الامريكيون . ففى زيارة همفرى **لاثيوبيا** [يناير ١٩٦٨] تحدث فى صراحة عن « ان افريقيا هى الاحتياطى الهائل للانتاج الزراعى »

ففضلا عن الاغراض الدعائية لرحلة همفرى هذه ، حين تحدث عما اسماه « بتعاطف » الولايات المتحدة مع العالم الثالث ..وتصريحاته ضد التفرقة العنصرية سعيا وراء كسب اصوات الزنوج فى الانتخابات ، يرى المراقبون ان الهدف الاساسي للرحلة كان يدور فى اطار فهم « **ان المنفذ الاساسى لمزيد من تسلل امريكا الى افريقيا هو الاقتصاد** » .

وعلى عكس سياسة الاستعمار القديم القائمة على مبدأ « فرق تسد » ، راحت الولايات المتحدة — كما أوضح همفرى — تشجع «اقامة اتحادات سياسية واقتصادية اقليمية على اسس جغرافية بين مجموعات متشابهة « من الدول المهادنة لها طبعا .. فقد أشار همفرى بوضوح خلال رحلته وتصريحاته والى « ان الولايات المتحدة لن تقدم مساعداتها الاقتصادية الا من خلال منظمات اقليمية » من امثلة **الاتحاد الاقتصادى لدول افريقيا وملاجاش** [اوكام] .

ويعود اهتمام امريكا بافريقيا ، الى نهاية الحرب العالمية الثانية ،حيث تدفقت استثماراتها على جنوب افريقيا — مثلا — من ١٠٠٠ مليون دولار فى ذلك الوقت الى ٢٠٠٠ مليون دولار حاليا . ومن خلال ارتباط الشركات الامريكية مع شركات غربية اخرى ، نفذت الى بقية جنوب القارة والى وسطها ثم والى انحاء اخرى واسعة منها . وتفيد مجلة **الشئون الدولية السوفيتية** [عدد اكتوبر ١٩٦٥ — ص ٦٢] **بان استثمارات رءوس الاموال الخاصة الامريكية فى افريقيا قد زادت بنسبة ١٫٧٠٠٪ فى عام ١٩٦٤ عن معدلها فى فترة الحرب الثانية . كما زادت صادراتها الى افريقيا بنسبة ١٫١٠٠٪ . وزادت وارداتها من المواد الخام الافريقية والمنتجات شبه المصنعة منها : بنسبة ٨٠٠٪ [٨٦١ مليون دولار]** » . وجدير بالذكر ان الرأسمالية العالمية — والامريكية بصفة خاصة — تتحكم فى ٨٠ — ٩٠٪ من التجارة الخارجية لدول افريقيا فى المواد المعدنية وفى الانتاج الزراعى .

وبالاضافة الى نفوذ امريكا فى البنك الدولى٪ فان شركاتها التعدينية تشارك البنك فى تمويل بعض المشروعات الصناعية والانتاجية فى كثير من دول القارة . مثال على محطة توليد القوى على نهر الفولتا لسد احتياجات انتاج الالمونيوم [١٠٠ — ١٥٠ الف طن فى السنة . وقد تكلفت اقامته ٢٠٠ مليون دولار تحملت حكومة غانا نصف تكاليفه وشاركت امريكا والبنك الدولى فى نصف تكاليفه الاخر . كذلك سد كاريبا [٥ر١ مليون كيلووات] فى روديسيا الجنوبية لتغذية احتياجات انتاج النحاس وصناعات الكروم فى زامبيا وروديسيا . وقد قام البنك بتمويل بناء السد بالاشتراك مع مجموعة بنوك وشركات تعدين امريكية .وجدير بالذكر ان شركات البترول الامريكية تسيطر على نسبة كبيرة من انتاج البترول فى تونس ونيجيريا وليبيا وبعض الدول الافريقية الاخرى.كما تسيطر الشركات الامريكية على معظم انتاج اليورانيوم فى افريقيا . وذلك أحد الاسباب الرئيسية وراء العدوان الامريكى على الكونجو عام ١٩٦٤ .

وفضلا عن هذا النفوذ الامريكى والمصالح الضخمة فى افريقيا ، تمارس امريكا اساليب اخرى للتسلل الى القارة تمكينا لنفوذها وللابقاء على مصالحها الاقتصادية . **وتعطى الولايات المتحدة اهتماما خاصا لنظام ومناهج التعليم فى افريقيا : سواء منه التعليم المدنى او العسكرى.** فتعمل على جذب اكبر عدد من الطلبة الافريقيين الى الجامعات الامريكية عن طريق المنح الدراسية. وتقوم من خلال ذلك باجراء **عمليات « غسيل المخ » للمثقفين والطلبة** الافريقيين نظرا للدور الهام الذي يلعبونه فى الحياة السياسية الافريقية كما تقوم امريكا بتدريب اكثر من ٣٠٠٠ ضابط افريقى حيث يخصص البنتاجون ١٤ مليون دولار سنويا لتدريب قوات من جيوش ١٢ دولة افريقية. وذلك ايضا نظرا للدور الخاص الذى تلعبه القيادات العسكرية فى الحياة السياسية الافريقية . هذا بالاضافة الى دور الالاف من

خبرائها العسكريين والفنيين الذين اثبتت الاحداث انهم يلعبون دورا تخريبيا فى افريقيا سواء باعمال التجسس او بتدبير الانقلابات العسكرية . ويتم ذلك كله فى اطار شعار العمل على استثمار الثروة البشرية فى افريقيا لصالح الولايات المتحدة والتبشير بنموذج الحياة الامريكية .

ويتعدى الوجود الامريكى فى افريقيا هــذه الحدود ، الى حدود القواعد العسكرية الهامة فى بعض اراضى القارة . كمحطة مراقبة الاقمار الصناعية [**وخاصة اقمار التجسس**] فى منطقة كانجو بالقرب من اسمرا فى اثيوبيا . وقــاعدة هويلس الجوية فى ليبيا وفى المغرب والكونجو كينشاسا الخ .

فى ضوء كل هذه الحقائق ، ينظر المراقبون الافريقيون الى تصريحات ماكنمارا فى تقــريره الى البنك الدولى ، كاشــارة الى بدء خطــوة اخرى هامة ـــ فى المجال الاقتصادى ـــ على طريق تطبيق « السياسة الجديدة » الامريكيــة تجاه افريقيا .. سياسة اعادة دول القــارة المستقلة الى مناطق التبعية للاستعمار الجديد . يؤيد ذلك حرص جونسون على حضور احــد اجتماعات مؤتمر البنك الدولى ، واشارة ماكنمارا الى اهمية تقديم القروض الى الجمهورية العربية المتحدة ، ظنا منه ان ذلك يمكن ان يؤثر على سياستها الاستقلالية والتحررية . ويرى المراقبون ان اهتمام امريكا هذا يعود الى ماتمثله الجمهورية العربية المتحدة من مركز استراتيجى هام كمدخل اساسى الى افريقيا .

ويشبه المراقبون التقدميون اسلوب هــــذه السياسة ، باسلوب طــائر « الكوكوو » الذى يضع بيضه فى عش طائر آخر من نوع مختلف ، ليرقد هذا الاخير عليه على ظن انه بيضه . فاذا ما فقس البيض وخرج « الكوكوو » الجديد سارع بالعمل على اخراج الطائر صاحب العش الذى احتضنه وبذل جهدا من اجل خروجه الى الحياة . وبنفس هذا الاسلوب ، تســتثمر الاحتكارات الامريكية اموالها ، فى اقتصاد الافــريقيين ، لتسيطر عليه ثم لتتحكم فيهم وفى ثروات بلادهم آخر الامر .

■

■ **فيتنــــام**

عمليــة « فينكس » والائتــلاف الموهوم

نفى

راديو هــانوى نفيــا قاطعــا تقديم اى تنازلات من جانب فيتنام الشمالية للامريكيين ، فى مقابل وقف الغارات الامريكية عليهــا تماما ، واوضــح انه ليس من حــق المعتــدين الامريكيين ان يطالبوا باى مقابل لهذه الخطوة فى وقف العدوان .

وتجمع المصادر الفيتنامية الشمالية الرسمية ، والعالمية بعــامة ، على ان محــادثات باريس لا تحــرز اى تقــدم . ذلك ان الشىء الوحيــد الذى اتفق عليه الطرفان الفيتنامى الشمالى ، والامريكى ، بعد ٢٥٠ اسبوعا من المحــادثات المتوالية ، هو ضرورة عقد اجتماعات بينهما كل يوم اربعاء . ذلك ان الولايات المتحدة لم تستجب ـــ حتى كتابة هذا التقرير ـــ للمطلب الفيتنامى الشمالى العادل ، بوقف ضرب فيتنام الشمالية كلية ، **بلا قيــد او شرط** .



● **هوشى منه** ●

ولقد ازداد الفشل الامــريكى فى تحقيــق الاستقرار السياسى لحكومة سايجون وضوحا ، بعد ما تردد عن محاولة جــديدة للانقلاب فى سايجون . فقد صرحت مصادر حكومة الفيتنامية الجنوبية بصورة غير رسمية ، ان حالة « التأهب القصوى » التى اعلنت بين قوات فيتنام الجنوبية ، وتم تخفيضها اخيرا ، اتخذت كرد فعل لجو عدم الاستقرار السياسى الذى يسود فيتنام الجنوبية بعد عودة الجنرال **دننج فان مين** الذى دبر الانقلاب ضد حكومة **نجو دييم** من قبل . كمــا اوضحت مصادر سايجون المطلعة ، ان الرئيس الفيتنامى الجنوبى الحالى **ثيو** قد اتخذ ذلك القرار ، بسبب خشيته من قيام الجماعات المعارضة لعودة الجنرال **فان مين** باثارة الاضطرابات . ووفق ما رآه عدد من المراقبين السياسيين ، فقد حاول **نجوين فان فاى** وزير دفاع فيتنام الجنوبيــة ، ستر مركز حكومته المهتز ، بالتصريح بان حالة التاهب القصوى اعلنت لا لاحباط محاولة انقلاب ،

وانما لمنع قوات الثوار من محاولة شن هجوم شامل جديد على العاصمة .

وعلى اية حال تردد الصحف الغربية عامة في الاونة الاخيرة ، انباء متباينة عن السعى والتفكير الامريكي في انشاء حكومة ائتلافية في فيتنام الجنوبية في المدى غير القريب بالطبع وهكذا اوضحت « **الفيناننشيال تايمز** » البريطانية في النصف الاول من اكتوبر الماضي ، « ان ثمة تدرجا حقيقيا من وجهة نظر الامريكيين - يبدأ السماح لواحد او اثنين من الشخصيات المحايدة بالاشتراك في حكومة سايجون ، الى السماح لاعضاء من جبهة التحرير الوطنية سواء فرادى او جماعات بالانضمام اليها » . ولكن هذه الاوساط الغربية لا تزال تفترض ان مفتاح الموقف في فيتنام الجنوبية بيد الامريكيين وحدهم ، وهو الامر الذي يغاير الحقيقة تماما . وعلى العكس من ذلك صرح بعض قادة جبهة التحرير الوطنية للصحفي الاسترالي **بيرشت** ، بان «اقامة حكومة ائتلافية ، كان دوما ضمن برنامجنا . ولكن على ان يكون الائتلاف مع العناصر الوطنية ، لا مع العدو ، او خدم الامريكيين الشماليين » . ووفق ما يراه بيرشت « فان حركات ومجموعات اخرى مثل تنظيم « تحالف القوى الوطنية والديموقراطية والمحبة للسلام » والذى نشأ منذ عدة شهور في المدن الفيتنامية ، يمكنها ان تأتلف مع جبهة التحرير الوطنية ، وفي هذه الحالة يمكن ايجاد العناصر القادرة على تكوين حكومة ائتلاف وطنية » .

اما بخصوص المزاعم الامريكية المتوالية عن رغبة الولايات المتحدة في تحقيق السلام في فيتنام ، فيرى عديد من المراقبين السياسيين والعسكريين ان لا شيء يمكن ان يوضح حقيقة النوايا الامريكية ، اكثر من السلوك العسكري الامريكي نفسه في فيتنام ، منذ اتخاذ القرار بالوقف الجزئي لقصف فيتنام الشمالية . والواضح بجلاء من ذلك السلوك **هو انه كلما زاد الحديث الامريكي عن السلام في محادثات باريس** ، كلما ضاعفت الولايات المتحدة من غاراتها الجوية وقصفها البحري للاهداف الفيتنامية الشمالية . فبعد ان كانت الطائرات الامريكية قبل قرار جونسون ، تصل الى متوسط ٧٥ « طلعة » يوميا ، اصبحت تصل في سبتمبر الماضي وفي اضطراد متوالى الى ٢١٦ طلعة يوميا . وبعد ان كانت تستخدم ٥١ قاذفة قنابل من طراز ب - ٥٢ في عام ١٩٦٧ ، اصبحت تستخدم ١٠٦ قاذفات من نفس الطراز في عام ١٩٦٨ الخ . كذلك فهي تعمل على ايصال عدد جيش حكومة سايجون البالغ حاليا ٧٧٥ر٠٠٠ جندي الى مليون جندي ، عدا القوات الامريكية البالغ عددها ٥٤٠ر٠٠٠ .

فمن الناحية الاستراتيجية العامة ، اوضح **ويلفريد بيرشت** خط التدهور الاستراتيجي العام للقوات الامريكية في فيتنام . ذلك ان الانسحاب من **خي سانه** يعتبر من وجهة نظره « لحظة فاصلة في الحرب ، لانه كان يعني هزيمة استراتيجية وتكتيكية ذات اهمية ساحقة بالنسبة للقيادة الامريكية الشمالية ، فاستراتيجية «ابحث ودمر» التي اقيمت على اساسها كل خطط الولايات المتحدة العسكرية ، «لقيت مصرعها» في خي سانه» .

ومما هو جدير بالذكر ، ان لجنة فرعية تابعة للجنة الاسلحة المشتركة في الكونجرس الامريكي ، قد اعدت خلال عام كامل تقريبا ، تقريرا عن وضع القوات الامريكية في العالم ، فأوضحت ان متطلبات الحرب الفيتنامية ، والقرارات الفخمة التي اتخذها خبراء البنتاجون الامريكي ادت الى « انخفاض مزعج في قوة امريكا العسكرية في الخارج ولا سيما في اوربا» . وهذا الانخفاض المزعج يتعلق بالطبع من وجهة نظر اللجنة بما ينبغي ان تكون عليه القوة العدوانية للولايات المتحدة في العالم . وقد وجدت اللجنة « ان هناك في اوربا نقصا في انواع العتاد الرئيسية التي تشتمل على جميع انواع المعدات من طائرات الهليكوبتر ، الى طائرات النقل الخ ، كما شكك التقرير في واقعية خطط الولايات المتحدة لنقل اي قوات امريكية الى اوربا على وجه السرعة ، تعتمد على توفير خدمات النقل الجوي او البحري ، بعد « فترة انذار قصيرة » . كما اشار التقرير الى المصاعب الجمة التي يلاقيها السلاح البحري الامريكي نتيجة استخدام ٥ من حاملات طائراته في فيتنام ، ولنقص الطائرات الاحتياطية ، وانخفاض مكانة الاسطول الامريكي في الاطلنطي بسبب سحب بعض قطعه لتدعيم الاسطول السابع [احد طراديه الثقيلين ، ٩ من مدمراته ، ومجموعة من دورياته الجوية ، احدى سفن الذخيرة التابعة له] ، ومعاناة سلاح الطيران الامريكي في اوربا من « نقص خطير جدا في الاطقم المدربة » . وقد اوضح التقرير « انه ليس هناك اى امل في تحسين وضع القوات الامريكية العالمي ، قبل ان تنتهي الحرب في فيتنام » هذا في حين اشارت « النيوزويك » الامريكية اخيرا « ان الاراء تجمع في هذه الايام ، على ان امريكا في سبيلها الى ان تخسر الحرب في فيتنام » ويرجع ذلك الى انها تخسر الحرب في ارضها نفسها « بسبب نفاذ صبر الجبهة الداخلية » ، التي تدعو لوقف تلك الحرب فورا ، مثلما حدث عندما خسرت فرنسا معركتها من قبل بسبب الهزائم العسكرية ، وضغط الرأي العام الفرنسي .

■ تشيكوسلوفاكيا

معاهدة ١٦ أكتوبر

في يوم ١٦ اكتوبر ، وقع الاتحاد السوفيتي مع تشيكوسلوفاكيا معاهدة حول البقاء المؤقت لبعض القوات السوفيتية ، يبلغ عددها نحو ٧٥ الف جندي، بالاراضي التشيكوسلوفاكية ، وبشأن سحب اغلبية قوات حلف وارسو التي دخلت تشيكوسلوفاكيا في ٢١ اغسطس الماضي . وستتم عملية الانسحاب على مراحل خلال الشهرين القادمين .

وبتوقيع هذه المعاهدة ، ينتهي كل التباس أرادت الدوائر الاستعمارية والرجعية في العالم استغلاله حول شرعية دخول هذه القوات ، ومرابطتها بالاراضي التشيكية . وقد صرح **جوستاف هوساك** ، السكرتير الاول للحزب الشيوعي في سلوفاكيا ، ان المعاهدة خلقت موقفا يمكن من اعادة العلاقات بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي ، وباقي الدول الاشتراكية الى حالتها الطبيعية .

وقد تم الاتفاق على بقاء جزء من القوات السوفيتية بالاراضي التشيكية في ضوء تقدير أجمع عليه الطرفان السوفيتي والتشيكوسلوفاكي، بأن هناك خطرا ما زال ماثلا من جانب الدوائر الانتقامية في المانيا الغربية . وان هذه الدوائر حاولت الاستفادة من التطورات التي جرت في تشيكوسلوفاكيا ، بعد يناير ، لمحاولة دفعها بعيدا عن المجموعة الاشتراكية ، وتهيئة الظروف لاستعادة مراكزها ، بل وبعض ممتلكاتها السابقة التي امتلكتها الاحتكارات الالمانية قبل الحرب ، او استولت عليها بعد دخول قوات هتلر الاراضي التشيكية . ومن العوامل التي عظمت من هذا الخطر مؤخرا :

● زيادة نشاط المنظمات التي تضم الالمان من منطقة السوديت سابقا ، وهؤلاء الالمان يبلغ عددهم مليونين . وهم مشتتون في مختلف ارجاء المانيا الغربية، ولكنهم يشكلون قوة انتقامية مكثفة تختزن طاقات ضارية خطيرة . وذلك لان منطقة السوديت القائمة على الحدود بين المانيا الغربية وبوهيميا التشيكية ، كانت تقطنها قبل الحرب أغلبية من السكان الالمان . وكان وجود هؤلاء الالمان هو المبرر الذي تذرع به هتلر لاحتلال هذه المنطقة في عام ١٩٣٨ ، تمهيدا لغزو تشيكوسلوفاكيا كلها . وبعد الحرب ، اجلت تشيكوسلوفاكيا المان منطقة السوديت ، انهاء للتهديد الذي كانوا يمثلونه على حدودها الغربية . ولكن المانيا الغربية لم تعترف في يوم من الايام بأن اتفاقية ميونيخ ، التي اطلقت يد هتلر ثمرتا قبل الحرب ، باطلة منذ ان وقعت، وأصبحت بون تحرك الالمان السوديت لاسترداد مواقعهم السابقة . واخذت الجمعيات المنظمة للالمان السوديت تطالب بمباشرة اعمالها داخل تشيكوسلوفاكيا ، مثل منظمتي « **فولسجروب** » ، و « **وتيكوبوند** » . وهي منظمات على صلة وثيقة بالحزب النازي الالماني الجديد . ورأت في ظروف ما قبل دخول قوات حلف وارسو فرصة سانحة للانطلاق في نشاطها ، واخذت توفد « السياح » في مجموعات متتالية ، وتعيد اتصالاتها بالالمان المقيمين أصلا في تشيكوسلوفاكيا .

● اذاعت تقارير يصدرها مكتب اعلامي في ميونيخ ، يتبع احتكارات المانية غربيه ضخمه ، مثل احتكار **فليك وديجوسا** وغيرهما ، مما تعمل في مجال الانتاج الذري الالماني ، ان منطقة السوديت ، التابعه لشمال بوهيميا ، تملك اهم مصادر اليورانيوم في وسط أوربا . ويعتبر هذا الاكتشاف مبررا اضافيا لمحاوله الاستفاده من التطورات التي كانت جارية في تشيكوسلوفاكيا بهدف محاولة استعادة حق الامتياز في هذه الاراضي .

● وتبرز هذه التطلعات ذات خطورة خاصة الان ، لا لمجرد تعاظم دور القوى المعادية للاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا ، خلال الفترة التي اعقبت تغييرات يناير ، ولكن ايضا في ضوء « **السياسة الشرقية الجديدة** » لالمانيا الغربية ، والمشروعات الجديدة التي يمهد لها حلف الاطلنطي لما بعد عام ١٩٦٩ ، وهو العام الذي ينتهي فيه حلف الاطلنطي ، بمقتضى نظام تأسيسه ، ويعد من الان ، استمرار وجوده في صورة جديدة مكيفة لمتطلبات العصر .

وهذه السياسة الشرقية لالمانيا الغربية تنهض على التخلي عن الدعايات المفضوحة في عدائها للشيوعية ، والاستعاضة عنها بسياسة جديدة ، ترمي الى تشجيع بعض « التطورات الناشئة » في بعض دول اوربا الشرقية و « توصيلها الى نقطة اللاعودة » . وقد عبر الوزير الالماني الغربي **شتراوس** بصراحة ، عن هذه المخططات في مؤلف حديث له تحت عنوان : «**مشروع من اجل اوربا**» . وقد اضاف احد مستشاري الرياسة الامريكية ، ومن كبار مفكري البنتاجون **البروفيسور برزميزنسكي** لمسته الاخيرة لهذا التفكير بقوله : « ان أنسب طرق التحول ، يجب ان تبدأ باطلاق تطورات داخلية نحو الليبرالية في دول اوربا الشرقية .. والجو ممهد لهذه التطورات داخل تشيكوسلوفاكيا بالذات ، والى حد أقل في المجر وبولندا . » .

تلك هي الاخطار التي اصبحت تواجه مجموعة الدول الاشتراكية الناجمة عن الموقف الذي نشأ

داخل تشيكوسلوفاكيا ، واستدعى اتخاذ اجراء سريع لتأمين حدودها ضد المخططات الغربية الجديدة لانجاز عملية « **انتقال سلمى من الاشتراكية الى الرأسمالية** » وبالاستناد الى اساليب مبتكرة ، تعتمد على اجهزة الدعايه والاعلام ، والحرب النفسية ، وخلق جو يهدد مقومات المجتمع الاشتراكى واسسه المجربة . ويطلق تطورا يهيىء ـ باسم الديمقراطية ـ للانتقال تدريجيا نحو مواقع حيادية تمهد لتغييرات اخطر مستقبلا .

■

■ **بريطانيا**

المؤتمر الـ ٦٧ . . ومشاكل ١٩٦٨

انعقد فى مدينة **بلاكبول** اوائل الشهر الماضى المؤتمر رقم ٦٧ لحزب العمال البريطانى وسط جو مشحون بالمعارضة القوية والنقد من جانب نقابات العمال ضد حكومة هارولد ويلسون وسياستها الاقتصادية والاجتماعية .

لقد كان اجماع المراقبين السياسيين على ان جو التناقضات والانقسامات التى تمزق صفوف حزب العمال سوف تنعكس على مناقشات المؤتمر وعلى قراراته . وبالفعل فقد حدث فى اليوم الاول لافتتاح المؤتمر ان تجمع عدد ضخم من عمال المناجم امام قاعة الاجتماعات وقاموا بمظاهرة احتجاجا على المشروعات الخاصة باغلاق بعض مناجم الفحم ، واقتحم العمال القاعة بالقوة ليعبروا عن معارضتهم لهذه الاجراءات ، وصرح لورنس ديلى مندوب اتحاد عمال المناجم بان « **عمال المناجم قد تظاهروا فى داخل المؤتمر لشعورهم بعدم استجابة المسئولين لمطالبهم : وقد عبروا عن سخطهم باقتحام قاعة المؤتمر كى تشعر الامة باسرها بما يعانيه عمال المناجم** » .

وبعد ساعات على افتتاح جلسات المؤتمر عبر العمال البريطانيون عن معارضتهم لسياسة هذه المعارضة فى الموافقة باغلبية ٥ ملايين و ٩٨ الف عضو ضد مليون و ١٢٤ الف عضو على اقتراح يطالب بالغاء التشريع الذى يحد من زيادة اجور الشعب العامل ويضع قيودا على الحقوق الاساسية للنقابات ، ويطالب بالتخلى عن البرنامج الاقتصادى الذى انتهجته الحكومة منذ عام ١٩٥٦ اى بالتخلى عن سياسة التقشف وتجميد الاجور والاسعار .

وقبل مؤتمر الحزب بأسبوعين كان قد انعقد مؤتمر نقابات عمال بريطانيا رقم ١٠٠ والذى يمثل ٩ ملايين عامل ، وفى هذا المؤتمر تأكد عداء غالبية النقابات للتشريعات الحكومية الخاصة بالاسعار والاجور . ولقد انعقد مؤتمر النقابات دون ان يحضره اى عضو من اعضاء الحكومة وذلك خوفا من الانتقادات العنيفة الموجهة الى سياستها ، وتأكيدا من جانبها على انها غير مرتبطة « من الناحية الشكلية » بقرارات المؤتمر ، هذا على الرغم من انه من على منصة هذا المؤتمر بدأ هارولد ويلسون حملته الانتخابية عام ١٩٦٤ .

وفى مواجهة هذا الجو المعادى حاولت الحكومة البريطانية ان تبرىء نفسها من نتائج هذه السياسة بالقاء التبعة على كاهل حزب المحافظين . وظهرت تلك المحاولة بوضوح فى بيان الحزب . والذى صدر عشية المؤتمر تحت عنوان « بريطانيا على طريق التقدم والتغيير » . لقد اشار البيان الى اهم الازمات التى تعرضت لها الحكومة وهى اعلان تخفيض قيمة الاسترلينى الذى تم فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، ويرجع البيان ذلك الى انه حينما جاءت حكومة العمال الى الحكم عام ١٩٦٤ كانت التجارة الخارجية فى وضع سىء الى جانب العجز الخطير فى ميزان المدفوعات . ولقد كان بامكان الحكومة حينئذ اى فى عام ١٩٦٤ ان تعلن تخفيض قيمة الاسترلينى وبذلك تقع التبعة على حكومة المحافظين . لكن حكومة العمال تباطأت ولم تفعل ذلك فور توليها السلطة توقعا منها ان تتمكن البلاد من تطوير بنائها الصناعى وزيادة صادراتها وبالتالى لا تلجأ الى تخفيض عملتها .

لقد علق ايان ميكاردو عضو اللجنة التنفيذية للحزب وعضو البرلمان على بيان الحزب بقوله « انه يعنى مزيدا من الافتقار المتزايد للجماهير ووثيقة ادانة تثبت اكثر من اى شىء آخر خيانة حكومة هارولد ويلسون للاشتراكية ومصالح الطبقة العاملة » .

وعلى اية حال فقد استطاع هارولد ويلسون عن طريق المناورات السياسية تخويف انصاره من حزب المحافظين ، وتمكن من كسب الطبقة المتوسطة وذوى الياقات البيضاء وحصل على اغلبية المؤتمر المؤيدة لسياسته ، فأكد وزير الخزانة على تصميم الحكومة على التمسك بسياستها الخاصة بالاجور واستمرار اجراءات التقشف ورفض المطالب الخاصة بزيادة الاجور .

كما اتخذ المؤتمر عدة قرارات خاصة بالسياسة الخارجية لبريطانيا منها :

● قرار يطالب الحكومة باعداد دستور جديد لروديسيا لا يكون محلا للتفاوض مع المتمردين وان تسحب الحكومة قرارها الخاص بعدم اللجوء

الى استخدام القـوة ضد حكومـة سميث وان تستخدم كل ما في وسعها لاخضاع هذا النظام .

● قرار يقضي بوقف بيع الاسلحة لحكومة نيجيريا الاتحادية مع تحفظ بان يرتبط ذلك بانتهاء حالة الحرب الاهلية .

● ورفض المؤتمر اقتراحا يقضي بالانسحاب من حلف الاطلنطى واعتمدت اللجنة التنفيذية للحـزب فى رفـض الاقتراح على احـداث تشيكوسلوفاكيا وما يقال عن « الاخطار » التى تواجه الامن الاوروبى بسبب ما تسميه حكومة العمال « بالهجوم السوفيتى » .

● ورفض المؤتمر اقتراحا بتحريم الابحاث فى الاسلحة الكيماوية والبكتريولوجية .

وهكذا يتضح ان الاحداث العنيفة التى صاحبت انعقاد مؤتمر حزب العمال لم تكن مثار دهشة للمراقبين السياسيين ، فهى تعبير واضح عن حقيقة المرحلة التاريخية التى تمر بها بريطانيا هذه الايام . ذلك ان بريطانيا وهى تواجه التصفية النهائية لامبراطوريتها العظمى تجد نفسهـا مواجهة بمشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية متزايدة الحـدة كان لابد وان تبرز على مسرح الواقع البريطانى . ويرى المراقبون ان فرنسا قد واجهت هذا الامر من قبل وحاولت حكومات الجمهورية الرابعة فى فرنسا ان تحل هذه المشاكل بالطرق التقليدية ففشلت ، واضطرت الراسمالية الفرنسية ان تستنجد بالجنرال ديجول بحثا عن طرق جديدة وغير تقليدية تمكنها من المحافظة على اوضاعها .. وايا ما كان الحكم على مدى نجاح او فشل نظام الجنرال ديجول فى ضمان الاستقرار للراسمالية الفرنسية فلقد جاء هذا النظام بلاشك بمنهج واساليب جديدة فى الحـكم والاقتصـاد والسياسة لم يكن هناك بديل عنها وذلك من وجهة نظر الراسمالية .

واليوم تواجه بريطانيا نفس الامر ، وتحاول حكومة هارولد ويلسون اتباع الطرق التقليدية فى ظل تعمق ازمة الراسمالية البريطانية من تجميد للاجور وبرامج للتقشف .... الخ وبالطبع لم يكن هناك بد من أن تواجه الجماهير هذه الاجراءات بمقاومة متزايدة ، تضع هذه السياسة نفسها فى مهب الريح ثم يبقى بعد ذلك هذا السؤال .

هل تستطيع الجماهير الكادحة ان تفرض منهجا جديدا يتفق مع مصالحها ويضع بريطانيا على طريق التقدم والتغيير حقا . ام ان بريطانيا ستواجه محاولة « شبه ديجولية ؟ »

ان المراقبين يرون ان هذا هو السؤال الذى بات مطروحا على مسرح السياسة والحكم فى بريطانيا خصوصا بعد أن فشل كلا الحـزبين الرئيسيين العمال والمحافظين فى مواجهـة التطورات الجديدة فى ازمة بريطانيا .

■ **المانيا الغربية**

اللغة المختلفة التى يتكلمها كـل من كيسنجر وديجول

أجمعت المصادر المطلعة فى بون على ان المحـادثات الاخيرة بين الرئيس الفرنسى **شـارل ديجـول** ، والمستشـار الالمانى الغربى **كورت كيسنجر** فى بون ، قد انتهت ، دون ان تبدو منها اية بادرة على حدوث تقارب بينهما حـول الموضوعات الرئيسية التى كانت — ولا تزال — موضع خلاف بينهما .

ولقـد استمر ذلك الخـلاف فى الرأى قائما ، بالرغم من الجهود الضـخمة التى بذلتها بون ، ليتقبل شارل ديجول مفهومها حول « اوربا غربية موحدة » ، و « ليضم صوت فرنسـا الى حمـلة الافتراءات والتهديدات التى تقوم بها ، بعد فشل مخططات الثورة المضادة فى تشيكوسلوفاكيا » .

والحقيقـة التى اكدها كثيـر من المراقبيـن السياسيين هى ان الجنرال ديجـول قـد التزم الصمت ازاء الكثير من مطـالب بون ونداءاتها . ولم يتلق **كيسنجر** ، الذى كان يناضل عبثا من اجل « جهود مشتركة لاوربا الغربية » ، الرد الذى كان يتوقعـه من الرئيس الفرنسى . ذلك ان ديجول ما زال يرى ان خط التعاون الالمانى — الامريكى ، يقف عقبة فى سبيل مشروعه الخاص « باوربا من الاطلنطى الى الاورال » ، ويرى ان المانيا الغربية بهذا التعاون ستكون حصـان « طروادة » الذى يسرب النفوذ الامريكى الى القارة الاوربية ، التى ينبغى من وجهة النظر الديجولية ، ان تتحرر من النفوذ والسيطرة الامريكية تماما .

كذلك ، فانه ردا على مطالب بون « بدعم الكيان العسكرى لحلف شمال الاطلنطى » ، أكد الجنرال ديجول بوضوح ، ضرورة تخفيف التوتر فى اوربا . واوضح استعداد فرنسا للمسـاهمة فى هـذه العملية على قدر استطاعتها . واوضح ايضا ان ذلك كان موقف فرنسا فى الماضى ، ولا يزال كما هو ، «ولاتوجد اسباب لتغييره» . وقد اشار المعلق السوفيتى «**فولودين**» الى حقيقة انه لم تكن مجرد صدفة ان الرئيس الفرنسى لم يصحب معه هـذه المرة **بيير ميسمير** وزير الدفاع الفرنسى . كذلك اجمعت الدوائر الفرنسية المطلعة على تفسـير ذلك ، بأن ديجول اراد ان يؤكد به حقيقة انه لن يناقش المسائل العسـكرية والاسـتراتيجية فى بون ، خاصة بعد تحرك قوات حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا ، كما انه لن يراجع موقف فرنسا من حلف شمال الاطلنطى . وقد اذيع فى باريس



● كورت كيسنجر ●

ان فرنسا لم ترغب لا « فى تعاون عسكرى اقوى مع جمهورية المانيا الغربية ، ولا فى احياء سياسة حلف شمال الاطلنطى العسكرية » .

على انه اذا كانت صحيفة «فاسيون» الفرنسيه شبه الرسمية ، قد اوضحت منذ عام ونصف ، وعندما قام **كورت كيسنجر** بزيارته الاولى لباريس ، حقيقة ان المعاهدة الفرنسية الالمانية الغربية « فيما عدا عدد من الاتفاقات التكنيكية ، ومظاهر التبادل الثقافى بين الشباب : مجردة من اى مضمون » . فان عديدا من المعلقين السياسيين المتخصصين فى الشئون الاوربية ، يرون ان الشواهد تكاد تجمع على ان هذه الملاحظة لا تزال صحيحة حاليا . ذلك ان الاجتماع الاخير فى بون لم يضف جديدا الى البنود المتجمدة فى المعاهدة الفرنسية الالمانية ، وان الشركاء على جانبى الراين « يتكلمون بلغات مختلفة عندما يتعلق الامر بقضايا هامة مثل الامن الاوربى » ، حسبما اوضحت النشرة السوفيتية .

ولقد اقرت جريدة « الايمانيتيه » الفرنسية ، بحقيقة ان ديجول ، رفض بالفعل التفكير فى تغيير اتجاه سياسته الخارجية . الا انها ترى انه احاط هذا الرفض بسلسلة من التصريحات ، من شأنها ان تشجع ، اكثر العناصر العسكرية تطرفا فى بون . فلقد طالب بتحقيق تضامن « مميز » ، وفريد من جميع الوجوه بين باريس وبون . وذهب الى حد القول بانه فى حالة تدهور الموقف ، فان البلدين سيقفان جنبا الى جنب . وترى الايمانيتيه « **ان مثل هذا التعهد يضع امن فرنسا تحت رحمة اى استفزاز من جانب المانيا الغربية** » . خاصة ويمكن لسياسة بون ان تدبر مثل هذه الاستفزازات ضد دول شرق اوربا ، بتأثير الدوائر العسكرية الانتقامية المتطرفة التى يدعمها الامريكيون فى المانيا الغربية . كذلك اوضحت « الايمانيتيه » ، « ان التضامن المميز » مع مثل هذه الدوله ، ليس فى الواقع ، الا شكلا من اشكال سياسة التكتل الدولية . وطالبت « **بالعمل على ابدال اتفاقية التحالف الفرنسية — الالمانية ، ومعاهدة حلف الاطلنطى ، بنظام اوربى جماعى للامن والدفاع** » .

هذا اذا كانت فرنسا الديجولية تريد ان تعطى لنفسها الحق فى القول ، كما فعل ديجول اخيرا فى بون ، بأن « سياسة التهدئة والوئام فى اوربا ، هى سياستنا » .

■

■ **الولايات المتحدة الامريكية**

هل يفوز نيكسون دون مفاجآت ؟

تدل عمليات قياس الراى العام لدى الناخبين الامريكيين ، والملاحظات التى ابداها المراقبون السياسيون الذين طافوا بجميع انحاء الولايات المتحدة ، على ان فرص **ريتشارد نيكسون** افضل فى جميع المناطق ، باستثناء بعض الولايات الجنوبية التى يصطدم فيها بالنفوذ «الديمقراطى» ، وبالتطرف العنصرى اليمينى الذى يمثله **جورج والاس** ، حاكم الاباما السابق .

وأكدت ذلك الاتجاه ايضا كبريات الصحف الغربية والامريكية ، وبيوت الاحصاء الدولية ، فاوضحت « النيويورك تايمز » اخيرا ، ان نيكسون قد دعم مركزه المتقدم على باقى مرشحى الرئاسة ، وانه يتقدم على باقى المرشحين فى ٣٤ ولاية ، حاصلا على ٣٨٠ صوتا انتخابيا ، بينما يلزم لكى يفوز المرشح بالرئاسة ، ان يحصل على ٢٧٠ صوتا من مجموع الاصوات وعددها ٥٣٨ صوتا . وحصل نيكسون ايضا فى استطلاع الراى العام الذى قام به معهد **لويس هاريس** على ٤٠ ٪ من اصوات الناخبين ، فى حين حصل **همفرى** على ٢٨ ٪ ، وجورج والاس على ١٤ ٪ ؛ ولكن **جورج جالوب** ، مدير معهد جالوب للاحصاء ، اوضح انه ما زال من الممكن لهمفرى ان يفوز ، وذلك اذا استطاع كسب اصوات المنشقين عليه من اعضاء الحزب الديمقراطى ، هؤلاء الذين يعارضون سياسة جونسون فى فيتنام .

والحقيقة ان الحزب الديمقراطى الامريكى ، لم يستطع طوال فترة الاعداد للمعركة الانتخابية ، ان يرأب الصدع فى صفوفه بسبب سياسة جونسون فى فيتنام . وخيم على مؤتمره العام فى شيكاغو ، جو واضح من الانشقاق والخلاف . فمن الواضح — حتى كتابة هذا التقرير — ان هناك انشقاقا ملموسا داخل الحزب ، حول الخطر الذى يتعين على **هيوبرت همفرى** اتباعه للفوز بالرئاسة . فمن ناحية يرى البعض ان همفرى

يتعين عليه ان يتخذ خطا مستقلا تماما عن سياسة جونسون المعرضة للسخط ، والبعض الاخر يرون الا سبيل لفوزه ، الا بتأييد جونسون وموافقته ، فى حين يريد بعض مساعدى همفرى اتباع خط ثالث ، وهو استخدام مهارة جونسون « الفائقة » فى المجالات الانتخابية ، مع انفصال همفرى عنه فيما يتعلق بحرب فيتنام .

وعلى اية حال فان ما تردد اخيرا عن نية مكارثى فى تأييد همفرى ، انما سترفع من أسهم المرشح الديموقراطى وتقلل الانقسامات داخل الحزب ، ويرى عديد من المراقبين السياسيين أن قرار مكارثى سوف يقلل من الفارق بينه وبين نيكسون ، ان لم يلغه تماما . كذلك فان عددا من المراقبين السياسيين يرون ، ان وقف الغارات كلية على فيتنام الشمالية ، كفيل بأن يعطى حملة همفرى الانتخابية دفعة هى فى حاجة اليها ، لكنهم يرون أن احتمالات تحقيق مثل هذا الهدف معدومة تماما على الاقل،حتى كتابة هذا التقرير.

على أنه اذا كان نيكسون وهمفرى يتنافسان — حتى كتابة تقريرنا — لكسب تأييد « الوسط » السياسى ، واذا كان كل منهما محاطا — بدرجات متفاوتة بالطبع — بالمنشقين سواء من ناحية اليمين أو اليسار ، فان موقف همفرى يعد أسوأ من نيكسون ، لانه لا يستطيع ان يتجنب نفور الناخبين الشديد من سياسة الرئيس جونسون ، ولان معظم المنشقين عليه ، ينتمون الى جماعات كانت تشكل جزءا حيويا من نشاط الحزب الديمقراطى .

كذلك ، فان تصدر مشكلة الحرب الفيتنامية لقائمة المشاكل المثارة فى المعركة الانتخابية ، بما فيها مشكلات امريكا الداخلية ، قد أتى لصالح نيكسون اولا وأخيرا ، وضد همفرى ووالاس بشكل عام . لان معظم التأييد الذى يتمتع به نيكسون ، يأتى من المعارضين لسياسة جونسون فى فيتنام ، والطامحين لاحداث تغيير جديد ينهى هذه المشكلة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان ثقل المشكلة الفيتنامية ، ينزع من جورج والاس الارضية التى حددها للمعركة ، وهى مشاكل النظام والامن الداخلى فى امريكا . « خاصة وانه لم يستطع ان يحفظ الامن والنظام داخل ولاية واحدة عندما كان حاكما لالاباما » ، حسبما اعلن هيوبرت همفرى فى احدى خطبه الانتخابية .

هذا وقد أيد « **والتر ليبمان** » كبير المعلقين السياسيين فى العالم ، والذى يعد من أكثر الصحفيين الامريكيين نفوذا ، انتخاب **ريتشارد نيكسون** ، موضحا ان الحزب الديمقراطى يحتاج الى فترة راحة واستعادة حيوية ، بعد ان تشبع بالسلطة اكثر مما ينبغى ، وانه يعتقد ان هناك حقا « نيكسون جديد » . كذلك فان تأكيدات نيكسون فى احاديثه الخاصة — حسبما اوضحت «الصنداى تايمز» البريطانية فى ٦ / ١٠ الماضى — على ان « أمن الولايات المتحدة فى المحيط الهادى ينبغى ان يعتمد اساسا على سلسلة من الجزر » ، يمكن ان يلقى الضوء على نظرة مغايرة من جانبه لمشاكل جنوب شرقى آسيا الحالية ، ولطريق جونسون — همفرى لحلها . الامر الذى حدا بالصنداى تايمز ، الى القول « بأن نيكسون ربما يكون مصيبا فى افتراضه بأن الناخب سيسعده ان يعطيه فرصة لمحاولة تقديم حل للمشكلة ، لانه لا يبدو ان كلا من الرئيس جونسون او همفرى يستطيع ان يقدم اية حلول مقنعة » .

اما **جورج والاس** ، فقد تركزت دعايته الانتخابية على الهجوم على الحزبين الامريكيين الرئيسيين ، باعتبارهما مسئولين عن انهيار القانون والنظام فى امريكا . ودعا فى برنامجه الى منع المساعدات تماما عن الدول التى تعارض سياسة واشنطن فى فيتنام ، وضرورة « تحقيق نصر » عسكرى فى الحرب الفيتنامية،وتحاشى فى برنامجه ،التعرض لمسألة حقوق الزنوج المدنية،فى الوقت الذى دعا فيه الولايات المتحدة الى ضمان بقاء اسرائيل على مستوى « مناسب » من القوة . والحقيقة أن رفع والاس لشعارات « القانون والنظام » ، وبتأييد من اليمين المتطرف ، قد حوله من مجرد معبر عن اتجاه يمينى متطرف محدود الاثر ،الى قوة قومية، جعلت نظام الحزبين يبدو فجأة لكثير من المراقبين كشىء يمكن النيل منه .

والحقيقة ان التصاعد السريع والملموس لقوة **جورج والاس** ، يعد من ابرز مظاهر معركة هذا العام . اذ حصل والاس على تأييد قوى من اليمين المتطرف ، والقوى العنصرية ، ورجال البوليس وبخاصة المرتفعو الدخل وذوو الملكيات،ومناصرو الاتجاهات العسكرية المتطرفة .

على أن خطورة والاس تكمن من زاوية ما ، فى انه لا يشن هجومه صراحة على الزنوج وانما يشن حملته ضد المسئولين عما يحدث فى الولايات المتحدة من خرق للقانون والنظام ، وهم « الحكومة الفيديرالية ، والبيروقراطيين ، واشباه المثقفين ، والصحافة ، والشيوعيين » ، الامر الذى يوسع القاعدة الاجتماعية التى يوجه لها والاس هجومه ، والتى تشمل عديدا من القوى الليبرالية فى المجتمع الامريكى ، وهو اتجاه يحذر عديد من المراقبين السياسيين من أنه قد يؤدى الى ظهور خطر فاشية جديدة فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتقوم الدعاية المضادة لوالاس بين الناخبين الامريكيين على ايضاح الحقيقة التالية : وهى أنه « لو انتخبتم والاس ، فستحرمون من انتخاب

الرئيس الجديد بأنفسكم ، لان الكونجرس سيتولى انتخابه بدلا منكم » . ولذا فان امكانية دعوة الكونجرس لانتخاب رئيس الجمهورية ، هى التى تفسر لعدد من المراقبين السياسيين ، ضراوة الصراع بين الحزبين الرئيسيين ، للحصول على اكبر عدد من الاصوات فى الكونجرس .

■

■ **المكسيك**

ماذا بعد مظاهرات الطلبة ؟

افتتحت الدورة الاوليمبية فى المكسيك فى ١٢ من الشهر الماضى ، وسط جو مشحون بأعمال القمع الوحشية من جانب حكومة المكسيك ، ضد مظاهرات الطلبة التى اتخذت ابعادا لم يسبق أن شهدت لها البلاد مثيلا منذ ثورة ١٩١٠ .

واذا كانت اعمال القمع التى قام بها الجيش المكسيكى من قتل واعتقال آلاف الطلاب والاساتذة قد ادى الى وقف المظاهرات مؤقتا ، واذا كان افتتاح الدورة الاوليمبية قد غطى على اخبار هذه الحركة الواسعة التى تعم المكسيك ، فان جميع المراقبين يتوقعون تجدد المظاهرات ، وعلى نطاق أوسع فى اعقاب انتهاء الدورة الاوليمبية .

وكانت مظاهرات الطلبة قد بدات فى مدينة المكسيك يوم ٢٦ يوليو الماضى ، وتدخلت قوات البوليس والفرق الخاصة ، لتفريق المظاهرات ، واحتلت ابنية احد المدارس .

وعلى اثر ذلك اجتمعت لجنة الطلبة الخاصة بتنظيم الاضراب ، وتقدمت الى الحكومة بمطالب أربعة :

١ ـ حل الفرق الخاصة بتفريق المظاهرات .

٢ ـ طرد مدير بوليس مدينة المكسيك .

٣ ـ اطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين .

٤ ـ الغاء احد مواد قانون العقوبات الخاصة بجرائم التخريب والامن .

الا ان الحكومة قررت أن تستخدم القوة لمواجهة حركة الطلاب ، حتى تتجنب وجود اضطرابات خلال الالعاب الاوليمبية

وصرح ديار اورداز رئيس الجمهورية « انه سيستخدم كل القوى التى تحت تصرفه حتى يسير كل شيء فى ظل احترام القانون والنظام اثناء الدورة الاوليمبية ، لان الغاء تلك الدورة سيكون له نتائج خطيرة لا يمكن تقديرها على المكسيك

وعلى الرغم من تصريحه الرسمى باحترام استقلال الجامعة ، فقد رفض رئيس الجمهورية فى اول سبتمبر ، مطالب لجنة الطلبة الخاصة بتنظيم الاضراب

وعلى اثر ذلك دعت لجنة الطلبة لتنظيم الاضراب الى اجتماع فى حرم الجامعة ، فأعطت حكومة دياز اورداز اوامرها الى القوات المسلحة باحتلال حرم الجامعة ، وتم القبض على عدد من الطلبة والاساتذة ، من بينهم عميدة كلية الاقتصاد دى نافاريت . وبلغ عدد المقبوض عليهم فى ذلك اليوم ٦٠٠ شخص ، منهم ٢٦ استاذا ، و١٥ عاملا وموظفا ، وعدد كبير من زوجات وآباء الطلبة . وعلى اثر احتلال الجامعة لجأ الطلبة الى المعهد البوليتكنيكى ، حيث اتخذوا قرارا « بمواصلة النضال والعمل السياسى من أجل توضيح الاوضاع للشعب ، والاستعداد للانتقال الى العمل السرى » .

واحتج الاساتذة على احتلال حرم الجامعة بواسطة قوات الجيش ، باعتباره عملا دكتاتوريا وقدم مدير الجامعة المسيو باروس سيرا استقالته احتجاجا ، وهدد الاساتذة بالاستقالة اذا ما قبلت استقالة المدير .

وفى ٤ اكتوبر حذر الجنرال لويس كيتو مدير البوليس من أنه لايجب توقع اى رحمة اذا ما انفجرت اعمال العنف مرة اخرى . ولكن الاحداث تطورت بسرعة ـ فتجددت المظاهرات فى الشوارع فى الايام التالية ، واتخذت الصدامات بين الطلبة والعمال وجماهير الشعب من جانب ، وبين قوات الجيش شكلا دمويا ، وسقط عشرات القتلى ، ووصل عدد المعتقلين الى اكثر من ٢٠٠٠ من المتظاهرين .

ـ اتجهت مظاهرة من اكثر من ٥٠٠٠ طالب الى السجن ، حيث افرجت عن الزعيمين النقابيين فاليجو وكامبا ، اللذين كانا محتجزين هناك منذ عام ١٩٥٩ ، تعبيرا عن وحدة النضال مع الحركة العمالية .

ـ تفاقمت موجة السخط والاحتجاج فى البلاد ، صدر بيان وقع عليه الف شخص ، على رأسهم المؤرخ المكسيكى المعروف جيسس سلفا هيرزوج ، يحتج على عمليات القمع ، ويطالب كل الجامعيين بالاتحاد ضد العدوان على حرم الجامعة .

ـ قرر ٣٠٠ الف مواطن فى حى نونو الكوتلاتلكو ، حيث جرت اعنف صدامات الطلبة مع الجيش والبوليس ، عدم دفع ايجار مساكنهم حتى توقف عمليات القمع ضد الطلبة .

ـ عمت الاضرابات جميع انحاء المكسيك لمساندة الطلبة .

ـــ خرجت مظـــاهرات التأييد والاحتجاج فى باريس واستكهولم .

ـــ اصدر راسل وسارتر بيانا ندد فيه بالقمع الوحشى الذى قامت به حكومة المكسيك ضـد الطلبة ، ودعوا الى قلب الحكومة المكسـيكية ، واتهما الولايات المتحدة بالتواطؤ مع الحكومـة لمواجهة مقاومة الشـعب دفاعا عن حقوقه .

ـــ قامت قوات الجيش باحتلال مدينة بوبيلا ، رابع مدن المكسيك ، لمنع الطلبة من الزحف على العاصمة ، حيث يناقش مجلس النواب الموقف .

ـــ اعلنت منظمة « جيش التحرير الدستورى » وهى احدى المنظمات السرية ، انها ستشن موجة عنيفة من حرب العصابات ضد الحكومة . وقالت ان جيشها يضم الطلبة والفلاحين والعمال ، وانه سيشن حرب العصابات فى الريف والمدن ضـد الحكومة الدكتاتورية الرعوية .

وعلى الرغم من ان دوائر معنية فى داخـل المكسـيك حاولت ان تلقى بتبعة الاضطـرابات الاخيرة على ما يسمى « بحركة الشـيوعية فى الداخل والخارج » ، الا ان غالبية المراقبين ، بما فيهم المعلقون فى المجلات الامريكية « نيوز ويك » و « كريستيان سـاينس مونيتور » و « تـايم » ، ينظرون الى اسباب الاضطرابات نظرة اخرى . وفى هذا تقول مجلة تايم :

« ان المظاهرات لا تعكس نفوذا شيوعيا كما تدعى الحكومة ، ولكنها تعكس نفوذ يسار جديد حى » .

وبالاضافة الى ذلك ، فان المراقبين الاوربيين الذين يحاولون ان ينظروا الى احداث المكسيك نظرة جـادة ، يهتمون بالبحث عن الاسـباب السياسية والاجتمـاعية الكامنة وراءها ، وفى هذا الصدد ، يصح ان نختم هذا التقرير بما جاء فى صحيفة لوموند الفرنسية . فقد كتبت تعلق على احداث المكسيك تقول :

« من المستحيل ان نحصر تفسير مظاهرة ثورة الطلاب على انها دفاع عن استقلال الجـامعات فحسب ، ان نضال الطلبة فى المكسيك ، وفى مختلف بلدان امريـكا اللاتينية ، هو نضـال سياسى يزداد وضوحا وقوة ... » .

« ... ان مشكلة الاصلاح الزراعى الذى عطل او حرف عن اهدافه الحقيقية ، خاصة فى الولايات الشمالية ، وكذلك مقرطة المؤسـسات المختلفة تضغط بثقلها على حكومة دياز اورداز » .

على أية حال ، فان ما يلفت نظر المراقب ، هو ان تعليقات الصـحافة الغربيـة ـــ كما اشرنا اليها ـــ على احداث المكسيك ، تعتبر فى تناقض صارخ مع كل التقديرات التى ذهب اليها مؤتمـر رؤساء اركان حرب بلدان منظمة الدول الامريكية ، وهـو المؤتمـر الذى انعقـد تحت رياسـة « وسـتمورلاند » ، ليواجه احـداث قارة حبلى بالثورات الاجتماعية : امريكا اللاتينية .

■

■ **ثقـــافة**

عواصف بداية الموسم

اذا كان الموسم الفنى الماضى قد اختتم بالازمة التى اثارتها مسـرحية «العرضحالجى» **لميخائيل رومان** ، فان الموسـم الفنى الجديد لم يكد يبدأ الاعـداد له حتى اثيرت ازمة جديدة حـول مسرحية « بلدى يا بلدى » **لرشاد رشدى** .

ولكن الزوبعة المثارة حول المسرحية الاخيرة تختلف عن الاولى فى ان مسرحية ميخائيل رومان كانت على خشبة العرض أمام الجمهور والنقاد ، أما مسرحية رشاد رشدى ، فان ازمتها قد بدأت من قبل أن تعرض حين اعتذرت **محسنة توفيق** عن تأدية دور البطولة فيها ، ونقلت على اثر ذلك الى المسرح القومى بدلا من مسرح الحكيم ، الذى كانت تعمل فيه .

وقد ترتب على هذا النقل ان نشرت محسـنة توفيق مقالا بررت فيه موقفها بأنها لا توافق على مضمون المسرحية المعادى ـــ من وجهة نظرها ـــ للشعب والثورة ، وانها تحتج بالتالى على نقلها الى مسرح آخر ، حيث يبدو « الاجراء » وكأنه عقاب لها على رايها . وهو الراى المعارض لراى مخرج المسرحية **جلال الشرقاوى** ، الذى يشغل فى الوقت نفسه منصب مدير مسرح الحكيم .

وكان مقـال محسـنة توفيق وتصريحـاتها الصحفية ، نقطة الانطلاق فى الازمة التى اثيرت حول المسرحية ، فقد تناولها بعض الكتاب بالنقد والتحليل مؤيدين احيانا موقف الممثلة ومعترضين احيانا اخرى ... غير انه بين التاييد والمعارضة ظلت بعض النقاط بحاجة الى الرصـد . واولها مدى حرية الممثل فى الرفض او الموافقة على تأدية احد الادوار ، وبالتالى مدى حرية الجهات الادارية على عقابه او مكافأته . والنقطة الثانية تتعـلق بحرية النص المسرحى ، وحقه فى العرض اذا كان قد اجيز رقابيا وفنيا ، وبالتالى ما هى الحـدود المرسومة للنـاقد فى التعرض لعمل مسرحى لم يعرض بعـد على خشـبة المسرح ، والحـدود المرسومة للجهات الادارية فى مراجعة موقفها بالرفض او الموافقة .

.. ان هذه التساؤلات جميعها التي تدخل في اعتبارها ان « الجمهور » هو الحكم الاول والاخير على العمل الفني ، لابد وان تجد مكانها وسط الضجيج العاصف الذي تثيره الاطراف المعنية وغير المعنية ، الاهواء الذاتية والضوابط الموضوعية على السواء . ولن تصل هذه التساؤلات الى جواب صريح وصادق ، الا بالاحتكام الى مزيد من حرية الراى والتعبير ، فالصراع الفكرى الحر هو الذى يولد الاتجاه الاكثر تقدما ، ويدعمه .

تعليق

فنانون من فلسطين

انا اضرب فرشاتي وسكيني باللون.
لكني لا ابحث عن اللون .
ولا ابحث عن الشكل .
انا لا اقدم لكم متعة .
انا لا اقدم لكم فلسفة جديدة .
انا من اللد .. من فلسطين .

من هذه الكلمات الباترة ينطلق حماس المصور اسماعيل شموط . وتنطلق عنده شرارة الالهام . ذلك ان فلسطين وشعبها ومعاناة اطفالها ونسائها وشيوخها تجسد عنده المأساة ويتشكل كل ذلك في الوان وبقع وخطوط .. وعلى الرغم من انه لايبحث عن اللون والشكل فانه كان لابد له ان يعاني من ضرورات اللون والشكل. ومن هذه المعاناة انبثق هذا المعرض الذى اقامه في المركز الثقافي التشيكي تشاركه فيه زوجته تمام شموط .

ومهما كان الرأى في اعمال الفنان اسماعيل شموط فانك ستجد نفسك رغم كل شيء ازاء فنان فلسطيني نجح بعد ان منح فنه لقضية الوطن والارض في تأكيد هذه الحقيقة في كل لوحة وكل عمل واذا كانت لوحات الفنان تنتقل من تأمل جو المأساة الى تسجيل للنوازل والكوارث التى جاءت بشعب مشرد فانها تصل في آخر الامر الى تأكيد عنصر المقاومة التى اصبحت جزءا من حياة هذا الشعب المناضل . (ففي لقطة ذكية يصور الفنان جو التنبه والتحفز الذى يأخذ على الفلسطيني حياته حتى النساء وهن في خيامهن يستمعن الى اذاعات واخبار المقاومة).

والمتتبع لانتاج الفنان وتطور اعماله يلحظ انه قد انتقل بالموضوع من الاسلوب الوصفي الطبيعي الى الاهتمام بالجانب الباطني والحسي . وقد صاحب هذا التطور في نفس الوقت تطور في الصياغة التشكيلية فبينما نجد الجو المدرسي الاكاديمي مسيطرا على الاعمال الاولى عند الفنان (كما في لوحات : الى اين ؟ : جرعة ماء : سنعود] نراه في لوحات [طفلان من حزيران] [وجليد حزيران] قد بدأ ينزع نحو الجو الرومانسي الثورى .

واذا عقدنا مقارنة بين لوحتين فيهما تشابه كبير في الموضوع وفي العناصر المصورة وهما لوحتى (انسا فلسطيني [١٩٦٥] ، العيون الحمراء [١٩٦٨]) فاننا نضع ايدينا على ذلك التطور الملحوظ في اسلوب الفنان وفي رؤيته للاشكال والالوان وتطور قدرته التشكيلية حيث حقق في الصورة الاحدث سيطرة حقيقية على العلاقات اللونية وتمكن من ايجاد الترابط المطلوب للعمل الفني وعناية بالتوافق في اتجاهات الخطوط وانتقالات الالوان .

وفي لوحة « الشمس الخضراء » ينجح الفنان في الاتجاه الى التلخيص دون الخوض في تفاصيل كثيرة وفي الاعتماد على وسائل التعبير الموحية حيث تلعب الالوان الخضراء دورها في اضفاء جو الامل . والشمس نراها وقد تحولت الى خضرة مضيئة . اما وجه الفتاة الفلسطينية ونظرتها اللانهائية فانها تمتد نحو افق مجهول غامض .

ان شموط قد عذبته آلام الانسان الفلسطيني ولذلك وضع ريشته وخلجات نفسه بصدق مع هذا الانسان . وقد يحتاج الامر من الفنان الى مزيد من المعاناة التشكيلية حتى يتوافق حماسه الوطني مع رؤياه الفنية في انشودة واحدة للخلاص .

وفي قاعة اخناتون عرض في نفس الوقت خمسة من الفنانين الفلسطينيين تحت اسم اتحاد الفنانين الفلسطينيين اعمالا لهم في التصوير والحفر والنحت .

وبرز من بين العارضين **مصطفى الحلاج** باعماله في الحفر والنحت كما برزت في التصوير اعمال **صبحي مراد.**

اعمال **الحلاج** في الحفر تبشر بطاقة فنية متفتحة . والفنان يعتمد على تأثير مساحات اللون الاسود في تبادلها مع المساحات البيضاء . وهو يميل في بعض لوحاته الى التأثر بتهويمات « شاجال » الباطنة . ومن هنا فهو يصور الاحلام والكوابيس ولكنه يحاول ان يمنح هذه الكوابيس فرصة التعبير عن الواقع العنيف .

ففي لوحته « كابوس الاهرام » يتخذ صفحة العدد الاسبوعي قبيل العدوان خلفية لتكوين مطبوع .. امراة لها رقبة ورأس حصان في وسط مجموعات من أجساد النساء وقد اخذتها حالة من ذهول او فزع . انها فاجعة بعثرت الجميع في كل اتجاه .

وقد سبق للفنان ان استخدم هذا الاسلوب فطبع صورة له لاسرة حط بها الافتقار والتشرد [اسرة مطرودة] على ارضية من صفحة جديدة . واختار لها بالذات صفحة المرأة ويبرز التناقض صارخا عند مطالعة عناوين الموضوعات التى تحتويها الجريدة «جمالك في حاجة الى خمسة عناصر » « لا تمتنعي عن تناول النشويات والدهنيات حتى لو كنت سمينة » « ماذا تأكل هذا الاسبوع»!!

وفي لوحة «المهاجرين» ادخل الفنان درجة شفافة من [اللون الاخضر الرمادى] على متباينات الابيض والاسود فأعطى بذلك تأثيرا تكميبيا ، والفنان في اعمال الحفر يجيد التعبير برسمه المجموعات في تكوينات متراصة ويلعب التسطيح فيها دورا اساسيا . كما ان مساهمته في اعمال النحت مساهمة مفيدة وتلخيصه للكتل وعلاقتها بالسطوح يعتبر تلخيصا جيدا .

اما اعمال **حسن مراد** في التصوير فانها يغلب عليها الدراسة المتأنية التى تهدف الى حل مشاكل التشكيل وقد نجح في ابراز دور الكتلة في بناء الجو الفني . والفنان يقتصد في استخدام الالوان اعتمادا على تفاعلات لون واحد او لونين ولكن اختياره للدرجات اللونية ينم عن ذوق مرهف .

وموضوعات الفنان هي موضوعات كل الفنانين الفلسطينيين . الناس الفلسطينيون وقد دهمتهم الفواجع المريرة واخذتهم في نفس الوقت عناصر الامل.

ان الفنانين الفلسطينيين يجمعهم امر واحد وهو تصوير مأساة شعب مهما تباينت اتجاهاتهم الفنية .

داود عزيز

■ رسالة من طشقند

دور الفنـــان فى العـــالم الحـديث

من اربعيـن دولة اقبـل الادباء الى طشقند ، فى ٢٠ سبتمبر الماضى ، يحتفلون بالذكرى العاشرة لتكوين حـركة الـكتاب الافريقييـن الاسيـويين . ولقد كانت طشـقند مهدا للمؤتمر الاول ، الذى تم انعقاده فى اكتوبر عام ١٩٥٨ . وقد تقدم تاريخ الاحتفال شهرا على وجه التقريب، حتى يقـع فى نفس الوقت الذى تحتفـل فيـه ازبكستان بالذكرى ٥٢٥ لشـاعرها وفيلسوفها على شير نقادى [الاسم العربى] .

وقد القى **يوسف السباعى** السكرتير العـام كلمة الافتتاح التى كانت تقريرا عن حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، جاء فيها « ان الحرية هى اساس النشاط الخلاق ، وهى مضمون النشـاط الخلاق فى جميع انحاء العالم . ان الحرية هى مشكلتنا جميعا ، انها مشكلة العصر الحاضر ، الحرية من الاستعمار والامبريالية » .

الادب والعالم الحديث

كان هذا هو الموضوع العام للندوة ، وقد اختار بعض الـكتاب الحديث عنه بصـفة عامة . ومن احسن المتحدثين كان الكس لاجوما ، القصصى المعروف من جنوب افريقيا ، الذى يعيش الان فى لندن . وقد بدأ لاجوما يذكر حقيقة هامة ، وهى ان فى هذا العام تقع الذكرى المئوية لمكسيم جوركى ، الذى كتب الكثير عن الادب . ولعل من اهـم ما كتبه : ان الادب هو قلب العـالم ، ان جميـع المسرات والاحزان ، الاحلام والامال ، الغضـب واليأس ، جميع عواطف الانسان ، وهو يواجه جمال الطبيعة ، جميع مخاوفه ، وهو يواجه اسرار الطبيعة ، تعطى الادب جناحيه ، ان قلب العـالم هذا ينبض دائما بالرغبة فى المعرفة الذاتية وكانما فى داخله نجد المادة كلها ، وقوى الطبيعة كلها ، وقد خلقت فى انسـان أعظم تعبير لعقلانيتهـا وتفاصيلها ، تحاول ان تكتشف اسـاس وغرض وجودها . فى استطاعتنا ان نسمى الادب عين العالم ، التى ترى كل شىء ، عين تسبر نظرتهـا اعمق اسرار الروح الانسانية .

وحتى الان لا يوجد ادب عالمى موحد ، لانه حتى الان لا توجد لغة موحدة ليستعملها الجميع ، ولكن جميع الخلق الادبى فى النثر او الشعر يشترك فى وحـدة العواطف والافـكار والاراء التى توحـد الجميع ، وحدة طموح الانسان المقـدس نحـو السعادة ونحو حرية الروح والكراهية لمصـائب الحياة ، والامل الاجماعى للوصول الى اشكال احسن للحياة .

ان الكتاب الذين لهم اية قيمة فيما نطلق عليه اليوم : « العالم الثـالث » يركزون جهودهم فى قضية « طموح الانسان المقدس نحوالسعادة ونحو حرية الروح ، ونحو الكراهية الجماعية لمصـائب الحياة ، والامل الاجماعى للوصول الى اشـكال احسن للحياة . وفى مؤتمر أخير عقد فى اسكندناوه قام أحد المتحدثين يعالج بتطويل مشكلة : هل يجب على الكتاب ان يكتبوا فقط او يسـاعدوا على الهجوم على محطات الاذاعة ، ويستعملوا البنادق من اجل التحرر القومى ، ويكفى للاجابة عليه ان نقول ان فى فيتنـام يقوم الـكتاب والشـعراء والفنانون بكلا العملين .

وحين اكتب انه فى مكان ما كجنوب افريقيـا يشترى الناس المياه بالجردل من أحـد المتنفعين المحليين ، فانى اعبر عن أمل سرى ان احد قراء الكتاب قد يقوم بعمل شىء حيال هؤلاء اللصوص الذين حـولوا بلادى الى أرض خـاوية ثقافيـا واقتصاديا . ولكن هذا هو ما يحدث فعلا الان فى جنوب افريقيا ، وانه ليسرنى لو عرفت ان كتاباتى كان لها دور فى هذا .

ان كتاب فيتنـام يقفون على الخط الاول فى النضال ضد هؤلاء الذين يحطمون حياتهم الثقافية فى بلادهم ـــ الجيش الامريكى وعمـلائه . ان الكتاب الفيتناميين والشعب الذى يقف بفهم وايحاء سينتصرون . ان كل الكتاب الذين يستحقون هذا اللقب ، يجب ان يكونوا فى مقدمة المناضـلين من اجل السعادة الانسانية والتقدم فى جميع انحـاء العالم .

ولا يمكن الفصل بين الادب والحياة والتجارب الانسانية والامال البشرية . وقد لا نسـتطيع ان نشرح بدقة كيف جاء الانسان الى الحياة على هذه الارض ، ولكن العلماء متفقون على نقطة اساسية وهى أن الانسان يفضـله عن الحيوانات الالات والحديث . ان القردة فى استطاعتها اسـتعمال العصى والحجر ، ولكن الايدى الانسانية وحـدها هى التى فى استطاعتها ان تحول هذه الى آلات وقد استطاع الانسان الاول عن طريق الالات ان ينتج الوسـائل التى تبقيه حيـا ، بدلا من مجرد امتلاكها . لقد عملت أياد عديدة معا ، وبهـذه الطريقة ظهرت وسيلة اخرى للاتصـال ، وهى الحديث .

ان الحديث فى تطوره بدأ من مصاحبته المباشرة لاستعمال الالة حتى وصل الى وسيلة للاتصـال بين الافراد ، اى الى لغة . وبالاضافة اذا نحن درسنا فولكلور الانسان الاول واساطيره لعرفنا ان جميع خرافاته واسـاطيره الدينيـة واغانيه

السحرية كلها مرتبطة بالحياة المحيطة به : الولادة والموت والصيد والقتال وغيرها . من الادب الشفاهي والفولكلور ملىء بأمثلة لهذه العلاقة . ان الالهة كانت تأخذ اشكالا انسانية وكانت تقوم بنواحي نشاط انسانية ، وكانت حياتهم الخيالية مرتبطة ارتباطا قويا بواقع الحياة التى يحياها عبادهم .

وفى احدى اساطير كانو من غينيا ، نجد ان سا وهو اسم الموت ، يخلق لنفسه بحرا من الطمي حتي يعيش فيه . وفي يوم ما يظهر الاله الاتاجاني ويزور سا فى معسكره الطينى ، وحين يجد هذا الوضع السيء يوجه اللوم الى سا ويقول له انه لم يخلق مكانا يصلح للسكن ، لانه مكان بلا نبات ولا اشياء حية ، وبلا ضوء . ولكى يصلح الامور يقوم الاتاجانية بتصليب الطمي ، ثم يخلق النباتات والحيوانات . وفى اسطورة من زامبيا نجد ان الخالق نيامبيه يحفر الاشياء فى الخشب ، ويصنع الحديد ويصيد الفيل ، ونجد اساطير مشابهة فى الادب الافريقي والاسيوى ، كما ان غناء الانسان امام الالهة ، كان فيه بدء الشعر ، كلغة عادية ، مما ادى بدوره الى ظهور تأثيرات وصور . وحتى الان نجد ان عامل السكة الحديدية الافريقى فى جنوب افريقيا لا ينظر الى القطار على انه مجرد آلة بخارية على عجل ، ولكنه صار له رمز للدمار ، لان هذا القطار يأخذ ابنه الى المناجم او بتناءه الى المواجيز ، ولذلك فحين يشاهد الافريقي القطار يبدأ فى الغناء :

انه الذى يزمجر من بعيد
انه الذى يدهش الشباب ويقضى عليهم
هو الذى يجلب العار على الزوجات

وهناك نماذج مشابهة فى جميع البلاد ، وبين كافة الشعوب ، ومن اهم قيم الادب انه عن طريق تعميق وعينا ، وتوسيع احاسيسنا بالحياة ، فهو يذكرنا بأن جميع الافكار وجميع الاعمال مستمدة من الواقع والتجربة فى داخل الاطار الاجتماعى . واساسا نجد ان الانسان فى التاريخ ، وفى جميع اللغات تشغله نفس الاحتياجات الاساسية ، وتشغله نفسه ومصيره .

ان الجرائم التى يروجها الاستعمار مشينة فى فيتنام ، كما هى مشينة فى جنوب افريقيا ، وهؤلاء الذين يحبون الحرية والانسانية والتقدم ينالون التأييد من الجميع ، ومن كل انحاء العالم .

وجميعنا وفدنا من بلاد مختلفة ، ونتحدث لغات متعددة ، ويسير كل منا فى طريق ، ولكن هدفنا كلنا واحد .

ان الادب والفن والثقافة والحضارة ليست مجرد مفاهيم للشعب ، كما يتخيلها البعض . انها تحدد اتجاه واساس اعمالنا فى وقت معين . ومن ثم يجب ان يتم فهمها وشرحها على اساس تقدمها الثورى تماما ، مثل الدافع الخلقى ethus الذى يدفع الانسان او يؤخر تقدمه ، تبعا لديناميكية حضارته .

ان الاستعمار والامبريالية فى كل صورهما ، ما هما الا رفضا للثقافات والحضارات ، ولذلك اذا كنا نعنى بالثقافة والحضارة ، وحدة جميع القيم المادية والروحية ، التى حققها الناس على مر الاجيال ووضعها فى خدمة الانسان ، وفى الارتفاع بحياته ، وفى تقدم جميع الامم والشعوب .

ان كل ثقافة حقيقية تساعد على تحقيق الاستقلال . والاستعمار يعرف هذا جيدا . ولما كان الاستعمار هو عدو الشعب ، ايضا عدو الثقافة . ولا زلنا نذكر كلمات جوبلز « حين اسمع كلمة ثقافة ، فانى اسحب مسدسى » .

ونجد ان الاستعمار والامبريالية فى محاولتهما للقضاء على الثقافات القومية ، يتعمدان سوء شرح تاريخ شعوب آسيا وافريقيا ، ويقضيان على لغتها القومية ، سواء كلغات رسمية ، او كوسائل للثقافة ، ويضحيان بطريقة منتظمة بالتطلعات الثقافية والفنية لضحاياهما .

ان شعب فيتنام وشعوب المستعمرات البرتغالية وزامبيا وزمبابوى وجنوب افريقيا ، التى تشن اليوم نضالا مسلحا من اجل التحرر الوطنى والاستقلال ، انما تناضل فى نفس الوقت من اجل اعادة ولادة ثقافاتها القومية .

وفى هذه المناطق من العالم ، التى يسيطر عليها الاستعمار ، نجد ان النضال المسلح يساعد على حل المتناقضات بين الاستعمار وتطلعات شعوبنا الى النشوة القومية . ان شعوبنا ، وقد حرمت من حق الحياة تبعا لقيمها ، يناضلون نضالا سيؤدى بهم فى النهاية الى التعبير الكامل بلغة تاريخهم وثقافتهم .

وليس بالمصادفة ان احسن الكتاب والفنانين ربطوا انفسهم بالحركات الشعبية ، ووجد فنهم وكتاباتهم مضمونا جديدا ، وديناميكيا حين ربطوا انفسهم بنضال شعوبهم من اجل حياة جديدة .

وقد عبر الشاعر الدو دو اسبريتو من ساو تومى عن ذلك حين قال :

انه شعلة الانسانية
وهى تغنى عن الامل
فى عالم بلا قيود
حيث الحرية
هى مهد الانسان .

ان القوة الجديدة التى تصعد فى ادب الشعوب المظلومة ستستمر وستصل الى . فة جديدة ، وذلك حين نحقق النصر وستزدهر ازدهار فاكهة بلادنا مرة اخرى من خلال ركام الاستعمار .

وفى الختام اسمحوا لى حيث اننا نجتمع فى ازبكستان ، ان اقرأ سطورا من قصيدة « الجنايني » للشاعر الازبكى مقصود شيخ زاده

: تطلع الى الشمس ، وافرد جذورك واسعا وقد لا استطيع أن اتذوق فاكهتك الحلوة الا ان احفادى سيلتقطون هذه الفاكهة من شجيراتك فى يوم ما ، ويذكرون جدودهم الذين تعبوا اليوم . » .

مشكلة ازدواج اللغة :

ومن المشاكل الهامة التى اثيرت فى الندوة مشكلة اللغة الكبيرة ، واللغة الصغيرة ، كما اسماها الكاتب السوفيتى الجنكيزى « جنكيز ايتماتوف » . وقد تحدث فى هذا الموضوع عدد كبير من الكتاب ، وخاصة من جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية ، ومن نيجيريا والسنغال . وقد اتفق الجميع على انه ليس من حق اى انسان ان يهمل اية لغة ، مهمـا كانت الدولة ، ومهما كانت مرحلة نموها . ان موت او اختفاء لغة ما ليس لها ابجدية يعد فقدانا لثقافة الانسان . وفى الاتحاد السوفيتى المتعدد الجنسيات ، كما قال اتجاتوف « نبدأ من هذه الاحتمالات ، ونسير حسب مبدأ هام ، وهو انه فى اطار حدود اللغة الاثنية والادارية ، فان كل اللغات متساوية » . وحاول اتجاتوف ان يجيب على سؤال هام وهو : « كيف تم حل المشـاكل اللغـوية فى الادب السوفيتى الشاب ؟ » . فقبل ثورة اكتوبر كانت شعوب عديدة فى الاتحاد السوفيتى لا تملك لغة مكتوبة ، وما ان بدأت اللغات الادبية الصغيرة تظهر ، حتى بدأت هذه الشعوب تتصل بالادب الروسى ، الذى يعد من اقوى آداب العالم . وكان هذا الادب الجديد يواجه فى كل موقف جديد مشكلة اختيار طريق جديد . فالطريق الاول مثلا هو ان يعتمد اعتمادا تاما على اللغة الكاملة النمو ويتركها تقوم بكل الاعمال . اما الاختيار الثانى فهو التعايش السلمى بين اللغتين .

ومن الصعب ان يشرح شخص ما الى صديق من جنسية اخرى ، جمال اللغة القومية وهارمونيتها ، وهما العاملان اللذان يشيعان الحب العميق بين من يتحدثون هذه اللغة . ان العمل الفنى الحقيقى ، الذى يتفاعل فى قلوب مواطنيه ، ويعطيهم سرورا جماليا ، لا يتأتى قبل كل شيء الا فى اللغة التى يتحدثها الشعب . ولكن لا يوجد شيء غير متطور فى الحياة ، ونحن نعرف ان النمو التاريخى والثقافى فى العصر الحديث جعل الشعوب فى تقارب مع بعضها ، بحيث ان كثيرا من شعوب الدول النامية تتمتع بلغتين ، اللغة القومية ، ولغة اوربية اخرى . ان عملية ازدواج اللغة فى ازدياد مستمر .

والسؤال الهام هو : ماذا يفعل الكاتب اذا كان يتقن اللغتين اتقانا متساويا ؟ وهذا السؤال ليس تجريديا ، بل انه يواجه كتابا عديدين فى افريقيا وآسيا والاتحاد السوفيتى بالذات . وفى هذه البلاد توجد تجارب عديدة فى نطاق الكتابة الخلاقة . وكان هناك شبه اجماع على ان التجربة اظهرت ان إنجح الوسائل هى الجمع بين معرفة اللغتين . فهناك كتاب يكتبون بنفس المهارة بلغتين . واتجاتوف نفسه يكتب بالكريمزية ، ثم يترجم ما كتب الى الروسية والعكس . والكتابة باللغتين تعد مصدرا لسرور لا يقدر ، وهو عمل هام لروح الكاتب ، يساعده على تحسين اسلوبه واثراء خياله فى لغته القومية ، وهناك بعض النقاد الذين يرون ان الكاتب لا يجب ان يكتب الا بلغة واحدة ، بلغته القوميـة . ولـكن كثيرين عارضوا هذا الرأى العام على اساس ان اتقان لغة اخرى ليس عاملا معوقا ، بل عاملا مساعدا ومصـدرا اضـافيا للتعبير من صـور الكاتب وخيالاته ، وعلى هذا الاساس فان الكاتب ليس مجبرا على الاكتفاء بلغة واحدة ، وان كان هـذا يتوقف على موهبته ، وعلى الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها . وبمرور الوقت سـيصبح ازدواج اللغة من العوامل الهامة لشـعوب آسيا وافريقيا ، اذ من الواضح ان هـذا هو اتجاه التاريخ .

وعلى الرغـم من شبه الاجمـاع هذا ، فان الجميع اتفق على حرية الكاتب فى اختيار اللغة . ان لا شك ان كل كاتب سيسـتعمل اللغة التى يتقنها اكثر من غيرها . فليس لانسان الحق فى اجبار شخص آخر على استعمال لغة ما ، ولكن لا شك ايضا ان امام الكاتب المزدوج اللغة واجبا بوصفه مفكرا قوميا ، واجبا تجاه شعبه وامته والاجيال القادمة . اذ يجب ان يكون متيقظا ، فان اسهل شيء هو التحول الى اللغة المتقدمة بما لها من تقاليد ادبية غنية وليستعملها وحدها دون ان يرعى اللغة القومية ، او الادب القومى ، ودون ان يحاول العثور على الكلمات والصور الصالحة فى هذه اللغة . ان هذا الاختيار المطلق قد يكون مغريا لبعض الكتاب . ولكن هـذا من شأنه ان يؤدى الى تحجر اللغة القومية والاداب القومية ، ويقف فى سبيل نمو الثقافة القومية ، كل هذه افكار يجب تداولها ومراجعتها وايجـاد موازنة بين ما لها وما عليها . والاختيار الاخير للغة ما لا يجب ان يكون اساسه فقط احتمالات التعبير الحر بهـذه اللغة ، بل ايضـا الواجب القومى تجاه شعوبنا التى اعطت كتابها أهم ما لديها ، وهو اللغة القومية .

ان لغة الكاتب القومية ، هى بمثابة الام التى تتطلب من ابنائها واجبات معينة . ولكن فى نفس الوقت من الصعب تنمية الثقافة الروحية ، لانه ما دون الاستعانة بمنجزات الثقـافات الاخرى الاكثر تقدما . هذا هو اصل المشكلة ، وهذه هى طريقة حلها .»

التقاليد والتجديد في الادب المعاصر

وكانت مشكلة التقاليد والتجديد من اهم المشاكل التى طرحت للبحث ، وكان لى شرف بدء المناقشة ، وقلت بأنه من الواضح انه حين تناقش مشكلة التقاليد والتجديد فى الادب المعاصر ، فان مدلول هذين التعبيرين هو المدلول الغربى ،بمعنى ان المقصود بالتقاليد التقاليد الادبيه وبالتجديد ، ما يقوم به كتاب الغرب ، وهذه التقاليد هى خليط ما بين العناصر الاوربية والعناصر الانجلو ساكسونية ، ولعل السبب هو وجود نوع من الفلسفة الموحدة بين هذه الاداب لها اسبابها . ونحن نعرف ان التقاليد الادبية فى اوربا ، وفى الغرب مبنية على عدة اسس ، منها الدين المسيحى والحضارة الرومانية واللاتينية ، بالاضافة الى روح الاستكشاف التى ادت الى الاستعمار والتوسع . كل هذه اسس تكون التقاليد الادبية التى تشترك فيها اوروبا وامريكا . وقد قامت محاولات من جانب بعض الكتاب فى الشرق ، وفى آسيا وافريقيا ، لاتباع مدرسة فكرية او اخرى ، ولكن كان نصيب تلك المحاولات — فى غالب الاحيان — هو الفشل . وسبب ذلك الفشل هو ان هذه المحاولات لم تتعد مرحلة التقليد السطحى الذى لا يرتكز على ركائز حضارية او فلسفية .

وقد اعطيت جزءا من بحثى الى مشكلة الشعر العربى قديمه وحديثه ، وقلت : دعونا ندرس هذه المشكلة [التقاليد والتجديد]، فى نطاق الشعر . ان الشاعر انسان يعيش فى العالم مع غيره من بنى الانسان . ولما كان العالم فى تغير مستمر ، فكذلك كان الشاعر ، او هكذا يجب ان يكون . ولكن على الرغم من ذلك التغير المستمر ، فان هناك بعض مشاكل الانسان التى تبقى بلا تغير : الحب والكراهية ، والحياة والموت . وقد تتغير اسباب الموت ، ولكن مفهومه سيبقى كما هو . وقد تطول حياة الانسان بنهجه للخدمات الصحية ، ولكن دقات القلب لن تتغير .

ثم هناك مشكلة التوصيل . ان الكاتب يكتب لكى يقرأ ، وهو لا يستطيع ان يكتب فى عزلة . وهذه حقيقة واضحة وطبيعية الى درجة تبدو معها مناقشتها ضياعا للوقت ، ولكن اذا نحن قرأنا بعض الشعر الحديث ، لوجدنا قصائد من الصعب فهمها . انها تتركنا دون أدنى تأثير . ان كثيرا من الشعر التجريبى يكتب دون ادنى مراعاة للقارىء . ثم نقول « ان الشعر يموت » . اذا كان الشعر يموت ، فالسبب ببساطة هو ان الشاعر قد فقد قدرته على التوصيل . لقد عبر أودن عن موقف الشعر حين قال : « ان القصيدة لا تدب فيها الحياة حتى يتجاوب القارىء الى الكلمات التى يكتبها الشاعر » .

والشعر العربى يواجه مشكلة التقاليد والتجديد ، بينما نجد ان الرواية والمسرحية لا تواجه هذه المشكلة . والسبب هو ان هذين الشكلين الادبيين جديدان على الادب العربى ، بينما الشعر اقدم شكل فى حياة العرب . ويستمر البحث ، فيعطى انواع الشعر العربى ويحدد مفهوم الشعر لدى الشعراء المحدثين .

انهم يعتقدون فى وظيفة الشعر . ومفهومهم للشعر هو انه جزء من الحياة ، ومن ثم فلابد ان تكون له وظيفة . ان الشعر يكتبه عضو عامل فى المجتمع الى اعضاء عاملين فى نفس المجتمع . وغرض الشعر ليس مجرد المتعة وهم يرون انه اذا لم يكن للقصيدة مضمون اجتماعى ، فهى ليست جيدة . وهم يرون ايضا ان حياتنا الجديدة هى التى تحدد الشكل والاسلوب ونبض القصيدة . ومن ثم فهم يتركون الاشكال القديمة ويقاومون الانماط التقليدية ، ويعتقدون ان المضمون هو الذى يملى الشكل . وبمعنى آخر فهم لا يعتقدون فى المثل القائل : « صب النبيذ الجديد فى القوارير القديمة » . وهم يهاجمون الاعتقاد بأن الشعر يعتمد فقط على الموسيقى اللغوية . ان عظمة الشعر لا تستمد من الوزن فقط ، بل توافق الاوزان والمضمون ، وهم يميلون الى استعمال شكل مرتفع من الحديث العادى بكل استعمالات الحديث .

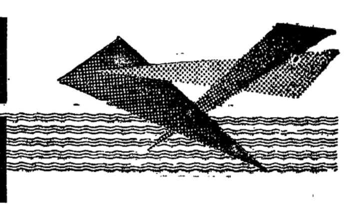
نشاطات مختلفة

وقد صاحبت الندوة نشاطات مختلفة ، فبالاضافة الى تعريف الكتاب بأنواع النشاط الفنى فى ازبكستان ، فى صورة ومضات وغناء او افلام ومسرحيات ، فقد افتتح معرض خاص بالكتب الافريقية الاسيوية المترجمة الى الروسية واللغات السوفيتية الاخرى . كانت هناك كتب مترجمة لنجيب محفوظ ، ويوسف ادريس ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، ويوسف السباعى وصلاح عبد الصبور وغيرهم ، ثم من بورما وسيلان والصين وايران واليابان وكوريا ، من حوالى اربعين دولة من آسيا وافريقيا .

واتيحت اجتماعات بين الكتاب وقرائهم ، فاجتمع الشرقاوى وصلاح عبد الصبور ويوسف السباعى بقراء قرأوا ترجمات كتبهم وناقشوهم مناقشات ممتازة . كما عقدت ندوة شعرية فى اكبر مسارح طشقند ، كان للشعر العربى فيها نصيب الاسد ، فقرأ صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوى ومعين بسيسو ومحمد درويش وخليل وغيرهم ، وقدمت ترجمة شعرية لهذه الاشعار .

وفى النهاية عقدت اللجنة التنفيذية لحركة كتاب آسيا وافريقيا اجتماعها ، واتخذت قرارات هامة ، وأصدرت بيانا ادبيا سياسيا .

مرسى سعد الدين





النضال الفلسطيني المسلح أداته.. واستراتيجيته

طرحت المقاومة الفلسطينية ، قضية الكفاح المسلح واقعا ومحورا لنقاش جاد على المستويين القومي والعالمي . وقد أكد بذلك الجوهر الحقيقي لقضية فلسطين كقضية تحرر وطني .

ومن الطبيعي ، في ظروف كهذه ، ان تكون المقاومة المسلحة نفسها ، موضع جدل ومناقشة حول اساليبها واستراتيجيتها .

وفي هذا المقال ، يكتب علي السعدى [فلسطيني] ـ من وجهة نظره ـ ليعرض رايه في هذه القضية الهامة .

علي السعدى

مازالت القوى الفدائية الفلسطينية تمارس كفاحها المسلح من خارج الارض المحتلة ، حيث سيظل بامكانها تعميق عملياتها المسلحة ، ولكنها لن تستطيع تفجير ثورة حقيقية تستند الى قاعدة جماهيرية واسعة .

واذا كان مبررا للقوى الفدائية قبل ٥ يونيو ممارسة هذا الشكل من الكفاح فهو غير مبرر بعده وبعد وجود حوالى مليون فلسطيني في الاراضي المحتلة . ولا يمكن للثورة الفلسطينية ان تبدأ من حيث انتهى ثوار فيتنام ، بمعنى أن قيام ثورة شعبية ليس أمرا مستحيلا . فالشكل الحالى للعمل المسلح لا يستطيع ان يفجر ثورة داخلية ، كل ما يستطيعه أن يقدم مزيدا من العمليات قد تكون أكثر اقلاقا وايذاء للعدو من ضربات الفترة السابقة . ان تكديس المقاتلين على ضفة النهر بشكل عددى كبير يفوق الامكانيات المطلوبة في المرحلة الراهنة انما يكرس حقيقة اهمال الجماهير في الداخل . كما ان العمل عبر اختراق النهر وذهاب الكثير من الضحايا في مياه النهر المقدس صرعى رصاص العدو انما هو قتل للروح الشابة المتقدمة للعمل الثورى الحقيقي ، وعملية امتصاص لقدرات الشباب المفروض فيها أن تكدس للعمل في

الداخل . المطلوب اذن وهذه هي مسئولية المنظمات الفدائية تفجير ثورة في الداخل . ولن يتأتى هذا الا من خلال قيام حركة شعبية تعمل على الصعيدين السياسي والعسكري في داخل الارض المحتلة .

ان الشكل الحالي للعمل المسلح لا يشكل اكثر من عملية اقلاق للعدو ، من الممكن أن تؤثر معنويا في اوساطه . وتبقى على شعلة الثورة في فترة يحرص فيها البعض على صيانة الحدود التي قامت بعد ٥ يونيو ، ان العمل الفدائي الحالي اكد حقيقة أساسية في ذهن الجماهير العربية والفلسطينية تقول : انه بالممارسة المسلحة والشعبية بالتحديد يمكن ممارسة نضال يتوج بالنصر مستقبلا ، اى أن هذا العمل أعاد للشعب الفلسطيني والعربي بعضا من ثقته بنفسه ،تلك الثقة التي افتقدته اياها العسكرية العربية في ٥ يونيو ، ان العمل بشكله الحالي يكاد يكون قد جمع الشعب الفلسطيني حول تصور محدد لطبيعة المواجهة ضد سرائيل . واكد حقيقة أن العمل الوطني الفلسطيني لا يمكن ممارسته بشكل مؤثر وفعال الا من خلال الكفاح المسلح ، ولكنه بنفس الوقت يكاد يثبت تصورا يقول بامكانية الشعب الفلسطيني مستقلا عن الجماهير العربية في ممارسة دوره الكفاحي والتحريري ، فبدلا من ان يشكل العمل المسلح عملية استنهاض للحركة الجماهيرية العربية والفلسطينية نراه في أغلب مواقفه قد الغى دور الحركة الجماهيرية العربية عندما حصر الكفاح المسلح في اطاره الفلسطيني فحسب .

المطلوب اذن لتجاوز هذه الصورة استنهاض وتحريك حركة جماهيرية في داخل الارض المحتلة تكون بديلا ثوريا عن الممارسة الكفاحية الحالية ، وهذا لن يتأتى الا بقيام تنظيم شعبي يعمل بخطين متوازيين سياسي وعسكري . خط سياسي يجند من خلاله جماهيرنا الفلسطينية في الارض المحتلة باشكال نضالية مختلفة ، وخط عسكري يكون نواة لعمل عسكري شامل في داخل المنطقة المحتلة تبدأ بمقاومة سرية في المدن والريف بمجموعات بسيطة تاخذ على عاتقها توجيه ضربات ذات مغزى سياسي في المرحلة الاولى مثل عمليات اغتيالات للقادة العسكريين أو الحكام الاداريين ، عمليات تدمير مؤسسات أساسية بالنسبة للعدو . عمليات تأديب للعناصر المتعاونة مع العدو ، وعمليات اخرى تعطى اثرا سياسيا اكثر تؤدى الى افقاد العدو بعضا من وسائله المادية ، او الحاق أضرار بممتلكات مادية أو عسكرية ، وهذا يؤدى بالطبع الى هتك الستار الذي اوجدته السلطات المحتلة وصورت من خلاله للرأى العام قدرتها على المحافظة على الامن ، وصورت ان العمليات العسكرية لا تأتى الا بتحريض من الدول العربية .

ويؤدى التنظيم الشعبي أيضا الى استنهاض الحركة الجماهيرية القادرة على قيادة هذا العمل وصولا الى تحقيق صورة اكثر شمولا وقدرة عسكرية تستطيع توجيه ضربات أساسية للعدو . هذا الاسلوب الثوري الوحيد في العمل يتطلب قاعدة انطلاق هي بالدرجة الاولى الجماهير في داخل الارض المحتلة .

اضافة الى هذا هناك شق آخر لياخذ العمل الفلسطيني بعده التحريري ، وذلك بوجود صفوف خلفية مسلحة عربية تكون احتياطيا طبيعيا للكفاح الفلسطيني المسلح .

ان ما يريده الكفاح الفلسطيني المسلح من الجماهير العربية ليس السلاح والمال وانما يريد « هانوى » عربية تكون الارض الصلبة التي يستند اليها . ليس المطلوب من الجماهير العربية كذلك ، الدعم والمساندة فحسب انما يريد الكفاح الفلسطيني المسلح صفوفا خلفية عربية جماهيرية تضرب خطوط العدو وتشكل عناصر أساسية في تفجير الثورة الفلسطينية بل والثورة العربية . صفوف عربية مسلحة تفجر المعركة الحقيقية مع العدو المركزي للامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة .

ان العمل الفلسطيني المسلح على الصعيد الجماهيري قد شهد خلال الفترة الماضية ولا يزال ظاهرة تشكل استمرارا لنمط العمل السياسي الاعلامي لما قبل ٥ يونيو . هذه الظاهرة لها طابعها الاساسي « المزايدة » الاعلامية ، وقامت الحركات الفلسطينية المسلحة بنسخ صورة جديدة عن هذا الاعلام .

ان الاعلام ليس ظاهرة مقطوعة الجذور عن الواقع الاجتماعي والطبقي في اي مجتمع . بل هو أحد مظاهر الافراز الفكري للطبقة السائدة في المجتمع ، هذه الطبقة التي قادت النضال العربي خلال الفترة الماضية وقامت بعملية الشحن العاطفي للجماهير العربية قبل وخلال المعركة ، كانت تمارس نوعا من التثقيف للجماهير بطريقة لا يمكن ان تجد لها هذه الطبقة بديلا لها ، نظرا لتكوينها الفكري ولفهمها القاصر لدور الجماهير الشعبية في المعركة . انها لا تستطيع أن تمارس تثقيفا ايديولوجيا واضح المعالم ينطلق من واقع الجماهير وايديولوجيتها الثورية . لم يكن بمقدورها سوى ممارسة التثقيف الاعلامي المستنتج من اجل شحن الجماهير وتعبئتها عاطفيا دون أي توضيح لمعالم المعركة وأبعادها ودور الجماهير الحقيقي فيها ، وطبيعة العدو الذي نواجهه .

ولقد سار العمل الفلسطيني خلال الفترة الماضية ولا يزال ، على نفس الطريق دون أن يستطيع تقديم البديل ، لقد تميز الاعلام الفلسطيني بشكل رئيسي باصدار البلاغات العسكرية التي كانت ولا تزال لا تختلف عن البلاغات التي سمعناها منذ ٥ يونيو حتى العاشر منه .

لقد كنا نشهد وما نزال نركيزا واضحا من قبل كل القوى الفلسطينية المقاتلة على التسابق في اصدار البلاغات العسكرية دون ان تقدر هذه القوى الخطر الناجم من مثل هذا الاسلوب في التثقيف الجماهيري الذي يصور المعركة مع العدو وكان قوى الفدائيين الموجودة قادرة على تفجير المجتمع الاسرائيلي دون حاجة الى قيام أوسع القواعد الجماهيرية الشعبية بدورها في معركة الكفاح المسلح ، واذا كان النضال الفلسطيني قبل الخامس من يونيو قد مارس تضليلا على أوسع نطاق للجماهير الشعبية ممثلا بقيادة منظمة التحرير السابقة من خلال الامال والوعود الموهومة التي جعلت الجماهير تبنيها على الهيكل الذي لم يكن ليصمد أمام أية هزة بسيطة ، فان النضال الفلسطيني المسلح في هذه الاونة لا بد وأن يغير هذا الاسلوب .

ان الثورة المسلحة تفهم الدعاية المسلحة على أنهـا تثقيف واسع النطاق للجماهير الشعبية من خلال واقعها الملموس ، ومن خلال الخط السياسي وبرنامج العمل الذي يتبناه التنظيم المقاتل ، اذ أنه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ٠ ان الجماهير لا تهرب من طرح البرامج العملية والخطوط السياسية المنطلقة من ايديولوجيتها الثورية ٠ ولكنها قد تخضع احيانا للديماجوجية الفكرية التي لا يمكن ان يبرع فيها الى ابعد الحدود سوى الرجعية . ان الدعاية المسلحة من خلال الندوات والنشرات الدورية والكتيبات وكافة أساليب التثقيف الشعبي المعتمد على التحريض ضد أعداء الجماهير المباشرين ٠ والمعتمدة أيضا على التشهير بالرموز البشرية الواضحة والمحددة لهؤلاء الاعداء ، هو جزء من التثقيف اليومي لابد أن يمارسه التنظيم الشعبي المسلح مع الربط باستمرار بين هذه القضايا اليومية ورموزها البشرية وبين الخط العام للنضال المسلح ٠

ان ترك الجماهير فريسة لمثل ذلك الاعلام القديم ، مسئولية تتحملها كافة التنظيمات المقاتلة حتى الان .

ان الواقع يحتاج الى طاقات جماهيرية هائلة للقذف بها في ساحة المعركة ، طاقات لا تعرف سوى الجهد اليومي المتواصل الصامد والوعي الكامل بالمعركة وأبعادها ٠

كلمة أخيرة .. فلتوقف اجهزة اعلام المنظمات الفدائية نشاطها الواسع النطاق ، ولتبدأ العمل بشكل سري لتعد لتفجير الثورة المطلوبة ٠ ان الصرف المادي الطائل على الاعلام والدعاية انما أحق به القتال الفلسطيني في الداخل ٠



حول دراسة « قضية التعليم والثورة »

كتب المواطن **السيد شعراوي** — من الاسكندرية — يعقب على دراسة **قضية التعليم والثورة** التي نشرت في العدد الماضي ، يقول :

انني اقر بالمجهود الطيب الذي قام به اصحاب التقرير وهذه النظرة التقدمية لمشاكل التعليم، ولكن لي بعض الملاحظات التي اساهم بها بشكل تواضع في توضيح الرؤية ووصولا لحلول ثورية لمشاكلنا العامة ومنها التعليم . وتنحصر هذه الملاحظات في الاتي :

١ — التعليم الابتدائي ٢ — القطاع الخاص في التعليم ٣ — ما يسمى بالجامعة الاهلية ٠٠

١ ــ التعليم الابتدائي

فبالنسبة للتعليم الابتدائي لم يأخذ حقه من اصحاب الدراسة . فهذه المرحلة يجب التركيز عليها والاهتمام بهـا . فلدينـا جيش كبير من الاطفال من جيل المستقبل والذي يجب ان نرعاه رعاية تامة حتى نحسن اســتقباله بعد ذلك في حتى حولتهم الى احتياطي لجيش الامية في بلادنا. التعليم الاعدادي والثـانوي . والمرحلة خطيرة ودقيقة فيحياة اطفالنا والذين جنت عليهم الطريقة « الامريكانية » من شرشر الى « النقل الالي » حتى حولتهم الى احتياطي لجيش الامية في بلادنا.

وليسمح لي ان اكتب بالتفصيل بعض الشيء. فماذا هناك في التعليم الابتدائي ؟ . ماذا عن «بروز فكرة المدرسة القومية التي تعلم بلغة البلاد » . « ولم يحسم الصراع نهائيا لصالح المدرســة القومية الا بعد ثورة ١٩٥٢ » (١) .

فان اللهجة العامية وليست اللغة العربية هي السائدة في التعليم الابتدائي خاصة في مجـال الاناشيد والحكايات ، واذا ضربنا مثلا على ذلك: ففي مجال الرياضة البدنية « دخل ايدك جوه .. طلع ايدك بره .. هز ايدك شوية .. نط ثلاث نطات » .

وهكذا ظللنا نلقن اطفالنا الكثير باللهجة العامية، ويجوز ان لا يكون هذا خطرا كبيرا .ولكن اذا قرنا فجأة جعل الدين مـادة اساسية ، فمـاذا اقول وأنا اري اطفالنا وهم يحاولون بكل صـعوبة ان يقرأوا كتاب الله الكريم ؟ ان الاهتمام باللغــة القومية للبلاد شيء اساسي بل وضروري ونحـن نذكر انه كان من اهداف الاستعمار في بلادنا محو اللغة القومية ، وكان يرسم لذلك كله ويخطط له دانلوب الانجليزي .

واذا تحدثنا عن « الحشو » في المنـاهج فلن يتسع المجال،واذا كنا ارتضينا ان نقدم لاطفالنا كل هذا (جغرافيا ــ تاريخ ــ علوم ــ تربية وطنية ــ صحة ــ علاوة طبعا على اللغة العربية والدين والحساب .. الخ] . فكان من الطبيعي ان نقدمها له في اسلوب وطريقة يســتطيع بها الطفل ان يعيها ويهضمها حتى تنمي فيه قيما ومثلا جديدة. فهل استطعنا ذلك ؟ أقول لا .

والحديث هنا عن المناهج ومضمونهـا ينطبق عليه تماما كلام التقرير بالنسبة لمضامين المدرسة الثانوية .

كلمة اخيرة بالنسبة للمرحلة الابتدائيــة هي دور المعلم . في هذه المرحلة بلا شك للمعلم دور خطير وكبير وهام يقع على عاتقه . ولنقولهـــا بصراحة ان مستوى «التدريس» ليس في المستوى المطلوب اي ان مستوى المعلم نفسه واخشى ان يقال وكما ســمعت « ان هذا لايهم » او « انهم اطفال » .

٢ ــ التعليم الخاص

هناك قطاع خاص في التعليم اردنا او لم نرد، فلا عجب اذن ان نجد وبعد ستة عشر عاما من الثورة من يقول بالتعليم الخاص واتســـاعه .

ونظرة واحدة فاحصة لهذه المظاهر ، توضح كيف يتحول التعليم وخدماته الى سلعة :

اولا ــ هذه المدارس الخاصة الجـديدة التي انشيء منها المزيد وفي المدينة دون الريف .

ثانيا ــ هذه المعاهد الليلية المنتشرة في كـل شارع وحي تستغل ابشع استغلال رغبة الناس في المزيد من التعليم ــ خاصـــة العمال وهؤلاء الذين لم يواصلوا التحصيل لظروف مختلفة .

ثالثا ــ هذه الشقق المفروشة والمنازل والفيلات التي فتحت ابوابها للمغتربين والمغتربات باسـعار خيالية يتحملها رب الأسرة محدود الدخل .

رابعا ــ هـذا السيـل من الكتب التي تقوم بتلخيص كتب الوزارة ،والاعلان من المجموعات لاعطاء دروس نافعة ورخيصة . حتى ان الطالب تسلمه الوزارة الكتاب من هنا فيركنه على الرف. واختار الطلبة فعلا لقد اصبح المعلم لا يشرح الا القليل حتى شاعت مثل هذه الكتب التي ساهم المعلم في تأليفها .

ولن اتحدث هنا عن هذه « المراسـم » التي اعلنت عن نفسها لتدريس « المقررات الفنيــة » للذين يودون الالتحاق بالكليات الفنية . هذا مجال جديد للقطاع الخاص . اعني التعليم الخـاص.

يجوز ان سبب كل هذا نظم التعليم . ولطالما اننا نتحدث عن التعليم والثورة فيجب المطالبــة بالتغيير والتجديد . واذ يقال ان التعليم الخاص يحل مشاكل التعليم ، فانه في الحقيقة يحلها حلا ظاهريا مؤقتا ولظروف معينة،اما على المدى الطويل فانه يزيدها تعقيدا بل وتخريبا فليس من المعقول ولا المقبول ان نترك هذا النوع من التعليم ينتشر ويتوسع بل كان من الواجب الثوري ان نحصره

---

(١) ملاحظات مجلس البحوث على الدراسة .

ولا نمنحه الفرص الجديدة وذلك تمهيدا لتصفيته وضمه نهائيا للوزارة .

وللتعليم الخاص منظروه الذين يقولون بضرورة المدارس الخاصة وفى هذه المرحلة بالذات حيث يجب ان يتعاون الشعب كله مع الحكومة فى هذه المرحلة الخطيرة والذى يحتل فيها العدو جزءا من ارض الوطن !

ويقولون ايضا هناك القادرون والذين يريدون لابنائهم تعليما خاصا رفيعا ! وهذه هى النظرة الطبقية فى التعليم . وهى نظرة معادية للشعب ومستقبله وهنا يأتى الحديث عن مايسمى بالجامعة الاهلية .

الجامعة الاهلية .. لماذا

هناك من يلح منذ سنوات طويلة مطالبا بانشاء جامعة اهلية . وبما اننا نقول بالتخطيط العلمي لحياتنا العلمية وغير العلمية من تعليمية وصحية واجتماعية واقتصادية .. الخ ، يصبح هنا شعار الجامعة الاهلية شعارا متخلفا لا يخدم المرحلة التى نعيشها . وهناك جامعات اهلية فى بعض الدول ، ولكنها دول تأخذ بالنظام الراسمالى حيث كل شىء يتحول الى سلعة للبيع والشراء حتى العلم . ففى امريكا الجامعات تتبع الشركات الاحتكارية (فورد ، روكفلر ، كاريجى ..) تنشئها وتمولها وتجعل معاملها وابحاثها بل اساتذتها وطلبتها فى خدمة هذه الاحتكارات وتطورها حتى يسمح لها بمزيد من الاستغلال الراسمالى للشعب الامريكى ولشعوب العالم التى لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار .

ولقد وقفت حكومة الثورة على مر السنوات موقفا صريحا من مثل هذه الدعوة . كان آخرها تصريح للسيد وزير التعليم العالى ، والذى شجب مثل هذه الدعوة . وانصار الجامعةالاهلية يقولون ان وجود مثل هذه الجامعة سيحل مشكلة نسبة الـ ٥٠٪ فاكثر للذين لا يجدون مكانا فى جامعاتنا فيلجأ اصحابها الى بيروت والخرطوم . وليس خافيا على احد ان هذا يتكلف مصاريف باهظة لا يقدر عليها الا اصحاب الدخول الكبيرة . ونحن نسأل بدورنا هنا : والذين يحصلون على ٥٠٪ فاكثر وليسوا من اصحاب الدخول الكبيرة اين يذهبون ؟وما هو الحل الذى قدمته الجامعة الاهلية لهم ؟

لقد كان ابلغ رد على ذلك ، هو القرار الذى صدر باستيعاب جميع الحاصلين على ٥٠٪ فاكثر . ويقدر عددهم بـ ٤٦ الف طالب فى الجامعات والمعاهد الفنية ــ هذا القرار الثورى الذى جاء بناء على توجيهات المناضل جمال عبد الناصر .

وبقى سؤال : من الممول للجامعة الاهلية ؟ والجواب بدون شك رؤوس الاموال الخاصة والتبرعات . أى فى نهاية الامر تكوين شركة ذات اسهم وسندات من اجل جامعة العلم . ولنستمع الى المناضل جمال عبد الناصر فى خطابه الذى القاه فى جمع المثقفين بجامعةالقاهرة فى ٢٥ ابريل ١٩٦٨ ، اذ يقول :

« فى المجتمع الراسمالى ، اللى بيمول الابحاث هو اللى بيوجه الابحاث . اللى بيشترى الاعمال الفنية والادبية ، هو اللى يؤثر فىاتجاهات الاعمال الادبية والفكرية . الممول عندنا فى المجتمع الاشتراكى هو الشعب ، وله حقوق الممول .اكرم مافى هذه الحقوق انها مبرأة من الاستغلال ».

هكذا وضحت القضية ، ولذلك نقول اننا نريد جامعة يمولها الشعب . جامعة يرعاها الشعب. وليست جامعة لاصحاب الدخول الكبيرة . وهنا يكمن خطر التوجيه والتأثير...نريد جامعة يكون التوجيه والتأثير فيها للشعب .. للدولة .

■

حوار مع صاحب ملاحظات على الطليعة

وكتب المواطن **عبد الشكور حسين العجمى ــ مدرس بمدرسة زين العابدين الثانويةالميكانيكية ــ** رسالة الى الطليعة هذا نصها :

تصدر الطليعة وفى بدايتها كلمتين احداهما انها طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر » والثانية كلمة فولتير . ولما كان الطريق الذى نادت به من اشق الطرق واعظمها سموا ، لذلك يجب ان تكون الطليعة فى صورة نقية ــ نقاء الكلمة وشرفها ــ من هنا يصبح كل قارىء ــ ذو عقل ــ ان يقدم رايه فيما هو زائف او مبهم بالنسبة للدراسات التى تقدم اليه تحت الشعار المكتوب . وفىهذه الكلمةاقدم ملاحظاتى الاولية على شكل الدراسات التى نشرت :

اولا : قامت الطليعة بتقديم شهادات واقعية عن رؤية الفلاحين للوضع الراهن ،ولكنها لمتبين ماهى الطرق التى تم بها اختيار هؤلاء الاشخاص كما انها لم تبين كيف قامت كل عينة بتقديم رأيها وما هى الصورة الاصلية لكل رأى . لماذا نطالب بذلك ؟

١ ــ لاننا نرسى دعائم الفكر الثورى المعاصر فى امتنا العربية بالمنطق العلمى ، وباعتبار أن هذه الدراسة رائدة فى نوعها لذلك يجب ان تكون هناك

معرفة بالطرق التى تم بها اختيار العينات .وكيف كانت طرق جمع ارائهم ؟ بذلك تصبح هذه الدراسة مثلا يتطلع اليه القراء ويصغون اليه .

٢ ــ لكى يتبين للقارىء مدى مافى هذه الشهادات من صدق وحتى يمكنه ان يقوم بعمل مراجعة لهذه الشهادات ــ اذا تيسر له ــ كما انها تبين الخلفية التى تمت فى ظلها الشهادات حتى ظهرت بصورتها المنشورة .

ثانيا : اعتبرت الطليعة ان مافى الشهادات تعبيراً عن رؤى الفلاحين مع العلم بان هناك العدد الكبير صاحب المصلحة فى التغيير ،بل اذا كان هناك تغيير لصالح التقدم فهو اول من ينظر اليه واول من يتقدم الا وهى قوى عمال التراحيل والعمال الزراعيين،ولم نجد ضمن الشهادات شهادة لواحد منهم وبذلك تصبح الشهادات رؤيا الزراع وليس رؤيا الفلاحين ، وفرق شاسع بين الفرع والاصل، لذلك جاءت رؤياهم فى شهاداتهم مسطحة رغم مافى بعض جوانبها من صدق ، الا انها لم تمس الجوهر ولكنها ظلت محصورة فى مطالب ضيقة وصغيرة ، وكانت رؤيا العمال تنطبق عليها اغلب هذه الملاحظات .

ثالثا : حوار القوى التقدمية والوطنية الذى نشر فى عدد يونية سنة ١٩٦٨ كان بصورة غريبة ومشوشة لماذا ؟

١ ــ لان الطليعة لم تقدم لنا معايير موضوعية لمن هو التقدمى او الوطنى وما صفات كل منهم؟ وما هى صفات الرجعى ومعاييرها ؟

٢ ــ لانه لا يوجد عمل ثورى خلاق بمعنى هذه الكلمة ــ أى ان لم يكن هناك كفاحا مسلحا مثل الجزائر أو كوبا ، ولم يكن هناك بناء ثوريا متكاملا كتجربة الصين ــ يقيم من خلاله وبه الافراد لذلك يصبح وصف أى شخص بالتقدمية أو العلمية نوعا من انواع السفسطة لا يحتمله المنطق العلمى ولا المنطق الواقعى ، وتصبح هذه الصفات هبات من اشخاص لا يقدرون العلمية بمنهجها الصحيح .

٣ ــ أنه فى أثناء نشر الندوة كانت الجمهورية تستعد لاتمام عملية انتخابات وكان هذا العمل من جهة الطليعة دعاية او تقديم لبعض الافراد لا تجوز مثلها على المواطنين الواعين بمسئولية الكلمة .

رابعا : جدول التوزيع الفئوى والوظيفى للمؤتمر القومى جاء ناقصا وان كان هناك مبرر بان بعض الاعضاء لم يرسل بياناته ، الا ان :

١ ــ ان ما جاء فى الجدول من بيانات مضلل، فيجب ان نقول كم عضو بمجلس الامة دخل الانتخابات ولم يتم انتخابه ؟ وكم عضو نجح .كم وزير دخل الانتخابات على مستوى المؤتمر وكم رئيس مجلس ادارة انتخب وكم عضو منهم لم يتم انتخابه وكم محافظ ؟ وهكذا تكون النسبة واضحة امام القارىء ورؤيا موضوعية لجوانب الموضوع .

٢ ــ انه اندرج تحت اسم موظفين فى القطاع العام ٦٩ عضوا فلماذا لم يبين مؤهلاتهم ومراكزهم فى القطاع العام . كما ان ذلك ينطبق على ٥٢ عضوا من موظفين هيئات الادارة المحلية ،كما انه فى فئات العمال ١١٧ تحت كلمة موظفين ، كما ان هناك ٧٩ امين مكتب تنفيذى واعضاء وامناء شباب لم يبين كم دخل الانتخابات وكم شخص لم ترض عنه القواعد الشعبية .

٣ ــ هناك بيانات حقيقية احترت فيها ، ففى ممثلى العمال مدير جامعة والاخر وكيل جامعة ولم اعرف كيف مثلوا العمال .

خامسا : فى عدد اغسطس سنة ١٩٦٨ وجدت ان هناك اعداد لدراسة عن حركة الشباب فى الوطن العربى ثم الحركة فى مصر وجاء شهر سبتمبر ووجدت ان المكتوب فى البداية دراسة عن الوطن العربى وبحثت فى المجلة فلم اجد مثل هذا البحث وحتى التبرير المنطقى لغياب الموضوعين بخلت به الطليعة على قرائها ، فبالله عليك كيف تكون طريق للمناضلين والمناضل يجب ان يكون صادقا وشجاعا ونقيا بالدرجة التى تجعله دائما قدوة ومثلا .

هذه الملاحظات على شكل الدراسات،أما مافى هذه الدراسات من خلط فهذا موضوع آخر اقدمه ان شاء الله فى الاعداد القادمة اذا كان عندكم المقدرة على نشر البقية .

الطليعة : اسمح لنا ــ منذ البداية ــ أن نرصد ملاحظة اساسية نضع فيها النقط فوق الحروف كما يقولون . فالواضح الذى لا يخفى على اى قارىء: أنك حريص ــ عن عمد ــ على التهجم على الطليعة على غير اساس موضوعى .والامثلة على ذلك يمتلىء بها خطابك ومنها ــ مثلا ــ قولك فى آخر الخطاب « ... اذا كان عندكم القدرة على نشر البقية » . ولا ندرى هل مازلت مقتنعا ــ أو مصرا ــ على ذلك بعد ان نشرنا لك خطابك كله ــ بمافيه من تهجم غير موضوعى » على إى حال ابعث ما تريد . ولاننا نابى ان ننزلق الى هذا المستوى من التهجم ، فسوف نغضى النظر تماما عن اخطائك اللغوية ــ مثلا ــ التى امتلا بها خطابك رغم انه من المفروض ان تكون ــ كمدرس ثانوى ــ بعيدا عن مثل هذه الاخطاء حيث نشرنا خطابك كما هو بالنص . وبدون تصحيح .
نناقش الان ملاحظاتك : فالاولى منها تطرح أسئلة غريبة تفترض ــ فى غير ذكاء ــ ان على كل مجلة اوصحيفة ان تقدم للقارىء كيف قامت بتحرير او عمل موضوع

ما . وذلك غير ممكن عمليا وفنيا . كما ان اسئلتك فى ملاحظتك الاولى تفترض ان لنا اسسا مختلفة فى اختيار العينات . وعلى اى حال يمكنك الرجوع — اذا رغبت فى المعرفة — الى كتب الاحصاء ومراجعها لمعرفة كيف تختار — وكيف اخترنا — العينة . واذا رغبت فى القاء نظرة على هذه الشهادات وكيفيـة اختيارنا للعينة : فيمكنك ان تحضر الى الطليعة لهذا الغرض .

اما حديثك عـن ندوة « حـوار القوى الوطنيـة والتقدمية » : فانه يعود بنا الى مناقشات جرت منذ الاربعينات وحسمت فى الفكر الثورى المصرى عمن هو التقدمى ومن هو الرجعى . كما يمكنك الرجـوع الى الندوة نفسها لتعرف تعريفها للثورى والرجعى . كما ان قولك الخاص بمسـالة الانتخـابات والدعـايـة للمشتركين فى الندوة : فتلك مزية تفندها حقيقة ان ٩٥٪ على الاقل من المشتركين فى الندوة لم يدخلوا المعركة الانتخابية فى اى من المستويات كمرشحين .

ونأتى اخيرا لملاحظتك الرابعة والتى تضـمنت فى راينا عددا من المغالطات الكثيرة . وقبل ان نوضحها، نود ان نتفق معا على ان استخدام كلمة « مضللة » او « مضلل » .. يجب ان يتم فى حذر تام وبمسئولية واعية . فالكلمة كبيرة وخطيرة ومن ثم فان استخدامها عملية تتطلب احساس راق بالمسئولية وتقديرها . ومن اهم الاخطاء الشائعة فى كثير من الكتابات : استخدام بعض الالفاظ والتعبيرات الكبيرة فى استخفاف ظاهر لا يليق .

أما اسئلتك بشان هذا الجدول فردنا عليهـا انه استند استنادا كاملا على ما نشرته الصحف اليومية من معلومات وجداول دقيقة فى هذا الشان . ويمكنك — لكى تطمئن — ان ترجع الى هذه الصحف ايـام الانتخابات . اما النقطة (٢) فى ملاحظتك الرابعة فانت تخالط حين تخلط بين موظفى القطاع العام وموظفى الجهاز الحكومى . ولمعلوماتك فان موظفى الادارة المحلية ليسوا ضمن موظفى القطاع العام . اما قولك عن نشر مؤهلاتهم ، فتلك ايضا مغالطة لانك تعترف فى اول ملاحظتك الرابعة — وبالنص «..ان هنالك مبرر بان بعض الاعضاء لم يرسل بياناته .. » امـا قولك ان « من فئات العمال والفلاحين ١١٧ تحت كلمة موظفين » . فللعلم ان تعريف العامل يتيح الفرصة لبعض الموظفين بدخول الانتخابات عن العمال . وقولك انك لم تعرف كيف ان مدير جامعة ووكيل جامعة مثلوا العمال — متهما الجدول بشكل غير مباشر — فللعلم كذلك ان الجامعات — كمؤسسات لها طبيعتها الخاصة — حيث لا يوجد بها عمال بالمعنى العلمى : تتيح الفرصة بنص لائحة الانتخابات : لمثل هـؤلاء بالترشيح عـن « العاملين » .

نأمل ان تبتعد عن التهجم على غير اسس موضوعية فى المرات القادمة . وهات ما عندك .

■

حول محاكمة التقدميين التونسيين

جاءنا من السكرتارية الدائمة **لمنظمة تضـامن الشعوب الافريقية الاسيوية** ، البيان التالى بشأن محاكمة التقدميين التونسيين التى جرت اخيرا . وفيما يلى نص البيان :

منذ مدة طويلة والسكرتارية الدائمـة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ترقب بحذر شديد المحاكمات العديدة والاعتقالات الواسـعة النطاق فى محيط القوى التقدمية فى الجمهوريـة التونسية .

وفى ٩ سبتمبر الماضى ، مثل امام محكمة امن الدولة فى تونس العاصـمة ، واحد وثمانون من المثقفين بتهم مختلفة ، ومعظم هؤلاء المتهمين من الاساتذة والمدرسين والطلاب فى الجامعة والمدارس العليا والمعاهد الثانوية التونسية .

وقد كانت التهم الموجهـة اليهم تنحصر فى :

- تكوين تنظيمات تقدمية .
- تحريض الجيش على الثورة .
- عقد اجتماعات وتنظيم مظاهرات غيـر مسموح بها .
- طبع وتوزيع منشورات تندد بنظام الحكم وتدعو الى الفوضى والعنف .
- التحامل على رئيس الدولة واعضاء الحكومة
- الطعن فى المحاكم والامن الوطنى .
- الاعتداء على كرامة الولايات المتحدة الامريكية
- الاعتداء على كرامة نائب رئيس الولايات المتحدة الامريكية اثناء زيارته الاخيرة لتونس .
- الاعتداء على كرامة وزير خـارجية فيتنام الجنوبية .

ان السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، بعد ان تتبعت بتدقيق واهتمام شديدين ظروف المحاكمات وملابساتها ، وبعد ان درست بامعان الاحوال العامة والخاصة للشعب التونسى والمترتبة على موقف الحكومة التونسية من قضية الشرق الاوسط بصفة خاصة وقضايا التحرر والاشتراكية بصفة عامة ، تستنكر وتحتج وتشجب كل التصرفات المتعسفة التى عومل بها هؤلاء المتهمون التقدميون . لقد تم التحقيق كمـا ذكر فى المحكمة نفسها على لسان المتهمين فى ظروف غير قانونية وبدون حضور المحـامين ، ومنـع المحامون الاجانب من الدفاع عن المتهمين .

والسكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشـعوب الافريقية الاسيوية تعتبر القاء القبض على التقدميين التونسيين ومحاكمتهم ، وممارسة مختلف انواع الضغط والتعسف والاضطهاد ضد الفكر التقدمى التونسى ، ليس سوى الوجه الاخر للسياسـة التى تنتهجها الحكومة التونسية الموالية للامبريالية

الامريكية والمؤيدة لها فى مختلف القضايا العالمية الملتهبة فى فيتنام والشرق الاوسط .

وتوجه السكرتارية الدائمة انظار جميع القوى المحبة للعدالة والحرية والتفكير الحر السليم ، وانظار الرأى العام فى افريقيا وآسيا وفى جميع انحاء العالم الى هذه المأساة . وتهيب بهم جميعا للتضامن والوقوف ضد التصفية الامبريالية للفكر التقدمى التونسى ، وللقوى التقدمية فى تونس.

■

لجان دعوة للقضية الفلسطينية

كتب المواطن **محمود عوضين** — قصر الثقافة بالمنصورة — يؤكد فى رسالته أن « العنف الثورى المنظم طريق الخلاص » ثم يقول :

لقد تقدمت مع الكثيرين من الشباب العربى المؤمن بالكفاح المسلح كطريق منفرد لتحرير فلسطين المغتصبة ، وتخليص الاراضى العربية المحتلة ، متطوعا فى منظمة « **فتح** » ، لاتشرف بالمساهمة فى العمل الفدائى ضد الاحتلال الصهيونى . غير انى ووجهت — كما ووجه غيرى — بان على ان انتظر حتى استدعى من قبل المنظمة .. واكتفى المسئول الذى قابلنى بأخذ بعض البيانات المطلوبة .

وانا اعرض اليوم فى رسالتى ، اقتراحا ارجو ان يتحقق . ويتلخص اقتراحى فى تشكيل « **لجان دعوة للقضية الفلسطينية** » لدعم العمل الفدائى فكريا وسياسيا ، من هؤلاء الذين تقدموا متطوعين للعمل تحت امرة المنظمة الى ان يحين دورهم — المنتظر — لحمل السلاح ضد العدوان الصهيونى.

ولا تفوتنى الفرصة ، لاحيى المبادرة الثورية التى اقدمت عليها جبهةالتحرير الوطنىالفلسطينى « ج — ت — ف » باندماجها بجميع كوادرها فى منظمة « **فتح** » ، فان هذا تجسيد حى للوحدة الحتمية بين المقاتلين فى ساحة المعركة.واسمحوا لى ان احيى مقالة « **المقاومة الفلسطينية .. بين الارهاب الثورى وحركة التحرير الوطنية المسلحة» للطفى الخولى** ، فقد انصفت — فى نقاء وطهارة ثورية — المقاومة الفلسطينية .

■

بعد عام .. جيفارا لم يمت

تحت هذا العنوان اصدرت **اللجنة الثقافية لاتحاد طلاب كلية العلوم بجامعة القاهرة** ، نشرة صدرت صفحتها الاولى بصورة للمناضل الثورى **ارنستو تشى جيفارا** . وقد جاءنا من اللجنة الثقافية نسخة من هذه النشرة نعرضها فيما يلى:

على طول ١٢ صفحة فى حجم الفولسكاب، خصصت النشرة كل صفحاتها لذكرى المناضل جيفارا (٨ اكتوبر) . وبدات بكلمة وجهها **اتحاد طلاب كلية الهندسة بجامعة القاهرة** الى زملائهم وزميلاتهم من الطلبة والطالبات يقول فيها « ان هذا العام لن يكون جديدا لان اوراق النتيجة تخبرنا بذلك . لكنه سيكون جديدا لاننا اردنا هكذا فى عزمنا . عاما سيختلف فعلا عن الاعوام السابقة التى شهدتها . والعمل فيه يبدأ بمراجعة ما هو قديم .. الصالح منه يبقى والفاسد يبتر ». وتحدد كلمة الاتحاد معنى « الثقافة » فتقول انها « لابد وان ترتبط بالمجتمع تعكس اوضاعه وتنقله الى الامام خطوات وخطوات ليصبح اكثر تقدمية. ان كل مظاهر النشاط الثقافى المختلفة من ندوة او مجلة او غيرها لا يجب ان نظل جوفاء كما كانت من قبل » .

بعد ذلك ،يتناول الطلبة والطالبات ذكرى جيفارا . فيكتب **درويش الحلوجى** تحت عنوان « بعد عام .. جيفارا لم يمت » فيقول ، « واليوم اذ نحتفل بذكرى العام الاول على استشهاد المناضل الثورى جيفارا ، فاننا نتذكر جيفارا المناضل الاسطورة والانسان . الذى يعيش بيننا بفكره وكلماته ، ويعيش بيننا بعلامات جديدة وضعها على طريق النضال الثورى . ويعيش بيننا بمواقفه الشجاعة فى ادانة المنهجية الغبية للامبريالية الامريكية فى فيتنام. وللعنصرية داخل امريكا .. وللاستغلال الذى تمارسه الدول الكبرى على الدول الصغرى .. وللوجود العنصرى فى فلسطين . لم يكن ذلك مجرد ادانة بالبيانات او الكلمات وانما من مواقع نضال فعلى داخل الغابات ، وفى قلب قمة الرجعية العالمية.

بعد ذلك تعرض النشرة لحياة جيفارا ونضاله وقصة بطولته الثورية النادرة . ثم تنشر قصيدة للشاعرالعراقى **عبدالوهاب البياتى** «الى جيفارا». وبعد ذلك تقدم مقتطفات من كلمات جيفارا فتنشر له قوله « **فليفاجئنا الموت على أى بقعة من الارض . ومرحبا به طالما ان آذانا صاغية تسمع صرخة الحرب . وطالما تمتد يد اخرى لتقبض على اسلحتنا . وطالما يقف رجال آخرون ينشدون الاناشيد الجنائزية على انغام الرشاشات** » . وقوله « **ان تضحيتنا هى تضحية واعية . انها فى مقابل الحرية التى نبنيها . والطريق طويل. بل ومجهول فى بعض جوانبه** » . وتختم هذه المقتطفات بقوله « **اذا حدث وجاء الوقت الذى نلفظ فيه انفاسنا الاخيرة على اى مكان من اية ارض .. فليعلم الجميع اننا كنا نعرف ما نريد** ».

وتقدم النشرة بعد ذلك قصيدة الشاعر احمد فؤاد نجم الذى يقول فيها :

ماريكم دام عزكم يا انتيكات ..
يافارقانين فى الماكولات والملبوسات ..
يادفيانين وموليعن الدفايات ..
يا محفلطين.. يا ملمعين .. يا جونسونات..
يابتوع نضال آخر زمن فى العوامات . .
ماريكم جيفارا مات ..

لاطنطنة ولا شنشنة ولا اعلانات واستعلامات

ثم يضيف :

ياشغالين ومحرومين ومسلسلين رجلين وراس
خلاص .. خلاص .. مالكوش خلاص غير بالقنابل والرصاص ..

دا منطق العصر السعيد .. عصر الزنـــوج والامريكان ..

والكلمة للنـــار والحديد .. والعدل اخـــرس او جبان ..

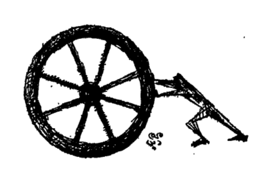
صرخة جيفارا يا عبيد..فى اى موطن او مكان
مافيش بديل .. مافيش مناص ..
ياتجهزوا جيش الخلاص ..
ياتقولوا على العالم خلاص ..
خلاص .. خلاص .

وبعد ان يعرض بهي الدين محمد حسن لافكار جيفارا حول « حرب العصابات » ومراحلهـــا، يقدم احمد عز الدين قصيدة « يحكي ان بسيطا » فيقول :

* * *

يحكي ان بسيطا كان يعيش هناك ..
فى امريكا اللاتينية ..
ابصر مفتاح القصر الضائع فى اعماق الطين..
كره الطرق الاسفلتيه ..
عشق عيون الفلاحين ..
فى الاحراش المخنوقة عالج باب القصر ..
اهتزت اسلاك البرق ..
احد البسطاء الجوعى ابصر مفتاح القصر ..
عالج باب القصر . .
اهتزت اسلاك البرق ..
ردوه عن الابواب ..
دفنوا فى عينيه الطيبتين الليل ..
اكلوا ساعده حتي لا يصبح وشما في زند قروى
فارتج بصدر الافق الشاحب وجه القمر الشمعى

وفى آخر صفحة للنشرة كتبت صفاء نصر مقالا بعنوان « من هو المناضل الثورى» تقول «لاتتحقق العدالة فى المجتمع الا بايدى مجموعة من المناضلين الثوريين . ولكن من هو المناضل الثوري ؟ انه طراز من البشر اكتشف نفسه . وعرف اعماقها الرهيبة وقدرتها اللامحدودة على العمل والحركة الى الهدف الذى يتخذ التغيير الجذري وسيلة له. المناضل الثوري يدرك الفساد ويتخذ من ادراكه نقطة للبدء . يخرج من دائرة الخوف من الفشل الى دائرة المبادرة الثورية وتحمل تبعاتها من اجل حق الشعب فى حياة كريمة بعيدة عن مصـــاص الدماء وصيانته من عدوان المستعمر وهجمـــات الغدر . المناضل الثورى يضع حياته وآماله فى خدمة القضية التى يدافع عنها. لا يحلم بالرفاهية ولا تداعب نفسه آمال الاستقرار الى أن تنتصر قضيته او يموت دونها » .



حوار مفتوح حول شباب ١٩٦٨

تواصل الطليعة ، نشر الآراء والمقالات والتعليقات التى تتعلق بدراسة «شباب ١٩٦٨ يهز العالم» ، أو تلك التى تدور حول قضية الشباب بشكل عام . وفى هذا العدد ، ننشر بعض المقالات والآراء التى وصلتنا ، والتى تعبر عن وجهة نظر كتابها.

■■■

قضية الشباب .. قضية استمرار الثورة

رجب أحمد عبد الباقى

المدرس بمدرسة ابوان الابتدائية
وعضو مؤتمر مركز مطاى ــ محافظة المنيا

واصلت الطليعة فى عددها الصادر فى اول اكتوبر ١٩٦٨ الحوار الذى بدأته حول قضايا ومشكلات الشباب . وبهذا الحوار المفيد تتبنى الطليعة قضية تعتبر من اهم قضايا الامة ، ألا وهى قضية الشباب . ولقد تتبعت الحوار لان الحوار هـام بالنسبة للشباب والمهتمين بقضـايا الشـباب ومشاكله . وفى العدد الصادر فى اول سـبتمبر ١٩٦٨ وتحت عنوان « **اليسار الجديد فكر ضائع . عنف مجدد . طفولة يسارية** » كتب **داود عـزيز** مقالا للرد على الدراسة التى قدمها **سعد زهران**. وفى الحقيقة كان الرد مقنعا فمن غير المعقول ان تكون ثورة الطلاب ثورة اجتماعية تهدف الى التغيير الثورى الاجتماعى لبلد من البلاد نظرا لما جاء فى مقالة داود عزيز من ان الطلبة ليس لهم وضـع معين ثابت فى الانتاج ومن ثم فان صفتهم الطبقية تحددها الاصول الاجتماعية التى ينحدرون منها .

وهناك فى المقال رد على الخلط بين حـركة الطلاب والشباب . وعلى اية حال فان مقال داود عزيز شامل ومفيد مما اضفى للحوار قيمة كبيرة من الناحية العلمية للبحث فى قضايا الشباب . وهناك فقرة جاءت بالمقال هى :

« ان الشباب ارضية صـالحة للفكر التقدمى الثورى ، كما هو أرضية صالحة ايضـا للفـكر الفاشى والرجعى . ولقد نجحت الفاشية العالمية فى تجنيد أعداد هائلة من الشباب أصحاب القمصان الملونة وجعلته يناصب الرأسمالية العداء بالكلام فقط ودفعته للقتال ضد الاشتراكية والديمقراطية بالفعل . اننا لا يمكن ان نهمـل هذه الخبرة التاريخية الثمينـة فى النظـر الى حركات الشباب فلا يمكن ان تولد حركات الشباب حركات ثورية بدون فكر ثورى واضح » .

وعلى هذا فاننى أريد التحدث من وجهة نظرى كشاب وقضية الشباب تهمنى ، وحديثى عن شبابنا نحن ، شباب الجمهورية العربية المتحدة .

ان الشباب فى بلادنا بخير وسلام ولم يكن يحظى بأى أهتمام قبل الثورة . ورغم ذلك فقد

كانت له انتفاضاته الرائعة . والتاريخ يذكر انتفاضة شباب العمال وغيرهـا من الحـركات الرائعة التى شارك فيها شبابنا ودفع من أجلها الكثير فساهم فى قضية تحرير الوطن من الاحتلال الاجنبى ، ولقد سقط الكثير فى سبيل ذلك . الا ان عدم تنظيم الشباب واحتوائه داخل تنظيم سياسى كان له أثره فى ضياع الكثير من جهود هذا الشباب وكفاحه • وقامت ثورة يوليو المجيـدة واهتمت قيادة الثورة بالشباب فاقامت المعسكرات وخلافه ، ولم يكن هذا الاهتمام الا اقتناعا بدور الشباب وأهميته فى بناء الامة وتحريرها • وبدأ الشباب يأخذ اهتماما اكبر بعد التحول الاشتراكى العظيم بصدور قرارات يوليو الاشتراكية ، وبدأ الاعداد لتكوين تنظيم يحتوى الشباب داخله واعلن قيام **منظمة الشباب الاشتراكى** احتواء لشبابنا حتى يسهم اسهاما فعليا فى أعباء النضال الكبيرة وكان للتنظيم أهدافه الاربعة المعروفة وأهمها بناء جيل جديد قادر على تحمل المسئولية وقادر على قيادة نضال الامة فى طريقها الثورى الاشتراكى وضمان لاستمرار الثورة بذلك • ولقد شـارك شباب المنظمة مشاركة فعالة فى مواقع عملـه واقامته ، ففى المصانع شارك فى زيادة الانتاج، وفى الريف شارك فى التوعية ومحاربة الجهل ومقاومة الافات ، واسهم بالكثير من المشروعات كشـق المصارف وتطهيرها ونظافة القرى وشارك مشاركة ايجابية فى مختلف النواحى • وكان شباب المنظمة اول من طالب بالسلاح للدفاع عن الوطن وفعلا تطوع شباب المنظمة فى المقاومة وهاهو يؤدى دوره فى ساحة الشرف وهو مؤمن بقضيتـه العادلة •

ورغم ذلك كانت هناك بعض الجوانب السلبية. وأى تنظيم مهما بلغ لن يخلوا من السلبية ، ولو نظرنا لهذه السلبية فى المنظمة لوجدناها ضئيلة جدا وليس المسئول عنها شباب المنظمة بل بعض قادتها التى لم تكن على وعى كاف وشامل بقضايا الشباب ، وأيضا الأسلوب الذى اتبع فى تكوين القيادات وخاصة على مستوى القاعدة •

المهم أنه لابد من بناء التنظيم الشبابى المتمثل فى منظمة الشباب الاشتراكى من القاعدة الى القمة • والبناء ضرورة هامة وملحة بالنسبة لهدف هام وهو استمرار الثورة والتجديد فى القيادة • وأين الضمان لكل هذا • هل تسـتطيع وزارة الشباب بمراكز شبابها ومديرياتها ان تقوم بتنظيم الشباب واحتوائه وتدريبه تدريبا سياسيا ؟ اظن بل واؤكد ــ ان هذا غير مستطاع . والدليل ان هناك فى أغلب القرى مراكز للشباب • فماذا أعطت لجماهير هذه القرى رغم أن لها ميزانيتها ومواردها المالية • لايمكن تنظيم الشباب الا ببناء منظمة الشباب وليس هذا حماسا لاننى عضو بالمنظمة ، بل انه يهمنى ان ارى شبابنا يشارك ويناضل نضالا حقيقيا فى بناء البلد ويحفظ الثورة وهو مؤمن بها ويدافع عن الاشتراكية ويعمل من أجلها هذا هو أملى • ان اعداد الشباب سياسيا أمر مهـم ولا يمـكن ذلك الا داخل اطار التنظيم الشبابى ،ولقد طالب بعض أعضاء المؤتمر القومى العام بضرورة بناء التنظيم الشبابى والاهتمام بالشباب وتدريبه حتى يؤدى دوره الفعلى والمرجو منه فى بناء الامة وقيادتها القيادة الثـورية السليمة •

ان المرحلة التى نعيشها الان وهى مـرحلة الكفاح والنضال والتعبئة الشاملة من أجل تحرير الارض المحتلة تعتبر مرحلة اختبار قوية للشباب وشباب المنظمة المناضل يسهم اسهاما كبيرا فى هذه المرحلة الهامة • ان شعارنا الحالى « لا صوت يعلو صوت المعركة » شعار مهم والجميع يعملون من أجل تحقيقه حتى يتم لنا النصر •

ولكن هل بناء التنظيم الشبابى يعوق عمليـة الحشد ،وهل يطغى على صوت المعركة. لايمكن ان يكون البناء عائقا للمعركة والا فلماذا سيتم بناء الجمعيات التعاونية والنقابات وغير ذلك • أننى أرى أن بناء التنظيم الشبابى ضرورى لعملية الحشد من أجل معركة التحرير . ففى البلد ثورة مضادة موجودة لم تمت ولن تموت بسهولة ، بل تنتظر الفرصة من أجل القضاء على المكاسب الثورية التى حققتها الثورة الاشتراكية . اننا فى معركتنا نواجه عدوين : العدو الاول وهو اسرائيل والثانى وهو قوى الثورة المضادة • وكما قلت فهى تنتظر الفرصة للقضاء على الثورة •

لهذا فمن الضرورى ان يكون هناك جيش شـعبى منظم ومدرب تدريبا سياسيا وعسكريا .وشباب المنظمة فيه الكفاءة لهذا العمل لانه مؤمن ايمانا عميقا بالثورة والاشتراكية ومن ثم فهو سيضحى من أجل استمرار الثورة • ان على القيادة الثورية ان تنظر الى هذا العمل على أنه ضرورة من ضرورات الحشد من أجل معركة التحرير • ولقد قامت منظمة الشباب بدور كبير فى عملية البناء فاقت ماقام به الاتحاد الاشتراكى العربى قبل عملية البناء الاخيرة .

واننى اتفق مع ماجـاء بمقـال **جعفر حمدان** حول تنظيم الشباب ومسئوليات المرحلة القادمة حيث يقول فى ختام المقال (ان التاريخ سوف يحكم على الجيل الذى يتولى المسئولية الان بالنجاح أو بالفشل بمدى نجاحه أو فشله فى اعداد الجيل الجديد لتولى مسئولياته)

لقد تكونت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى وأمامها مسئوليات عظيمة وهاهى احدى

هذه المسئوليات نضعها أمام اللجنة المركزية راجين الاهتمام بها ، الا وهى اعادة بناء منظمة الشباب الاشتراكى . اننا نريد تدريب شباب العمال والفلاحين تدريبا سياسيا وعقائديا وعسكريا . فلماذا لاتقوم المنظمة وخاصة قيادتها التى مارست العمل السياسى مدة طويلة بالتدريب السياسى والعقائدى مع الاهتمام بالدين لماله من تاثير قوى على أخلاق الشباب وصيانته واننى أقدم هذا البرنامج حول اعادة البناء السياسى للشباب .

وهناك ضرورة لوضع سن معينة لعضوية المنظمة وأنا أقترح أن يكون كالاتى : من ١٠ : ١٥ سنة للطلائع الثورية داخل المنظمة ومهمة اعداد الطلائع هذه تقع على اعضاء المنظمة فى القواعد الاساسية لها المنتشرة فى كل مكان ومجال لتربية جيل جديد يمد المنظمة بالاعضاء المدربين سياسيا وعقائديا ثم من ١٥ : ٣٠ سنة لعضوية المنظمة العاملة مع استثناء بعض القيادات التى ترى قيادة التنظيم الحاجة اليها بشرط ان يكون ايمانها بمبادىء التنظيم ايمانا حقيقيا ، وتكون قد قامت بدور طليعى اثبتت فيه وجودها كقيادة مؤمنة بالشباب ودوره فى بناء الامة والحفاظ على الثورة . ولن يكون التنظيم الشبابى عائقا للتنظيم السياسى القائد ، بل سيكون حارسا له ومساعدا على كشف عناصر الثورة المضادة .

ان المعركة لايمكن أن تنسينا قوى الثورة المضادة . لان النسيان لمثل هذه القوى هو اكبر خطأ جسيم نرتكبه فى حق الثورة وضرورة استمرارها . فلنحشد كل قوانا وراء المعركة ، ولنعمل للقوى المضادة حسابها ولنبنى القوة الرادعة لها نبنيها بالشباب المؤمن الواعى المدرب سياسيا وعقائديا وعسكريا ليحمى ثورته واشتراكيته .

لقد فتحت وزارة الشباب معسكرات التدريب المسلحة وهذا رائع ويخدم عملية الحشد ولكن بعد التدريب اين يذهب الشباب ؟ لابد من احتوائه داخل التنظيم الشبابى حتى لايجد نفسه فى فراغ بعد عملية التدريب . . واننى اطالب المسئولين بذلك راجيا الاهتمام ببناء المنظمة حفاظا للثورة وحفاظا للجهود الضائعة للشباب العربى فى مصر . على أن يكون هناك اهتمام بمعسكرات العمل للشباب بحيث تنتشر فى جميع اجزاء الجمهورية لكسب جهود الشباب فى أعمال نافعة وهامة وأيضا لبناء الشباب بناء سليما .

اننى اقدم رايى هذا للمناضل الذى اعطى للشباب كل اهتمامه ، للرئيس جمال عبد الناصر لعله يحقق لنا هذا الامل وهو بناء المنظمة وبعث روح الحركة فيها بعد فترة الخمول التى لازمتها أثناء عملية بناء الاتحاد الاشتراكى العربى لتكون المنظمة قادرة على تحقيق أهدافها ببناء جيل جديد قادر على تحمل المسئولية وحفاظا لاستمرار الثورة .

■■■

تنظيم الشباب .. ضرورة ثورية

ابراهيم الحلوانى
بالشركة العامة للبترول
وعضو منظمة الشباب

احتل الحديث عن منظمة الشباب الاشتراكى ركنا اساسيا فى المحاورات والمناقشات المفتوحة التى دارت فى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى وحددت توصياته معالم اعداد وتربية الشباب عقائديا وايديولوجيا وسياسيا وعسكريا . ورغم ان المناقشات حاولت ان تمس الناحية التنظيمية والسياسية للمنظمة ، كافتقادها للديمقراطية وتحريف معنى الالتزام ، الا اننى اود أن اناقش حركة الشباب خلال احتكاكه المباشر سواء بالقوى المحافظة أو الادارة البيروقراطية أو الطبقة الفنية (الطبقة التنوقراطية) . ومن خلال طرح هذه القضية يمكننا ان نستخلص صورة واضحة عن المعوقات التى

حالت دون اعادة بناء التنظيم الشبابى بالصورة المثالية التى كنا نأملها (*)

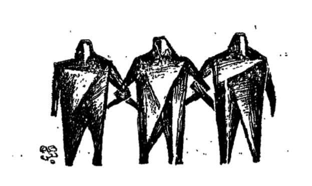
ومن البديهى ان حركة الشباب خلال فترة زمنية وجيزة من بنائها استطاعت ان تتحرك بصورة ايجابية بين جماهيرنا الواسعة ،وتكشف لها بعض مواطن السلبية والايجابية بتوضيح الصورة ، ولكن وقفت القوى المحافظة موقفا معاديا • وكان طبيعيا وبحكم تجربة الشباب ان يستخلص ـ من واقع حركته ـ ان عملية النضال ضد القوى القديمة والمحافظة اكثر صعوبة •

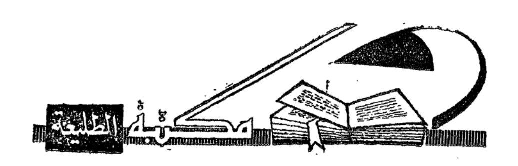
وحيث اننا بصدد الحديث عن واقع حركة الشباب ، فان هذا يجرنا بالطبع الى موقف الادارة البيروقراطية من الشباب وموقف الشباب منها • ولقد كان طبيعيا ان تصطدم حركة الشباب بالبيروقراطية وتعقيداتها الادارية وعقليتها التقليدية واعتبرت حركة الشباب انها العدو اللدود لتطلعاتها نحو تحقيق الاشتراكية ، وبالطبع كان رد هذه القوى هو استخدام اساليب الردع العنيفة التى تؤثر فى حياة الشباب ماديا ومعنويا وذلك عن طريق العلاوات ، أو فصله اذا حانت الفرصة ، أو تجميده فى الدرجة • وفى ذكاء راحت هذه القوى تزعم الربط بين اساليب الردع العنيف هذه وبين قضايا زيادة معدلات الانتاج •

ولم يقتصر الامر على هذا النحو لقد كان هناك اتجاه آخر لتجميد طلائع الشباب الثورى، واقصد كوادر الشباب التى كان املها ان تكرس جهودها فى حقل التجارب العلمية ، وتتمنى لو استفادت بخبرة الصف القيادى من الذين يملكون الخبرات الفنية والتكنولوجية والعلمية ،غير ان هذه الطبقة الفنية حرصت كل الحرص أن تسد تجاربها وتحجب خبرتها الذاتية عن الشباب ، وبذلك استطاعت ان تحقق اهدافها واغراضها فى تجميد قدرات الشباب وامكانياته الخلاقة وخنق روح الحماس لديه • هذه صور قليلة من امثلة عديدة لمواقف بعض المؤسسات الاقتصادية من طلائع شبابنا

وطالما نحن بصدد عرض قضية الشباب ،أود ان اشير الى قطاع هام وهو قطاع شباب الفلاحين • فاننا لايمكن ان ننكر ان هذا القطاع عانى من اساليب تحديات العصبيات العائلية واغنياء الفلاحين والاقطاع وانحراف الجمعيات التعاونية والمؤسسات التعليمية ، ونتيجة لتحكم كثير من اغنياء الريف فى قيادات التنظيمات الشعبية وسعيهم لتشويه حركة الشباب • والحق يقال ان شباب العمال والفلاحين استطاع رغم كل الضغوط المباشرة وغير المباشرة ان يصمد •

نخلص من هذا ان حركة الشباب بوجه عام وقدراتها الفائقة التنظيمية والفكرية ومخزون حماسها وحركتها لايمكن ان نتركها بدون تنظيم • والواقع ان احساس جماهيرنا ومعايشتها الواقعية والفعلية لهذا التنظيم منذ تجربته المبكرة يدفعنا ـ عدولا ـ ان نقول ان تنظيم الشباب ضرورة تاريخية وسياسية وثورية تفرض نفسها واقعا وفلسفة ـ على اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى • ووجود التنظيم الشبابى يعنى توفير المناخ الملائم لتربية عقائدية وايديولوجية للشباب ، وتوجيه حركته لخدمة اهداف مرحلة التحدى •

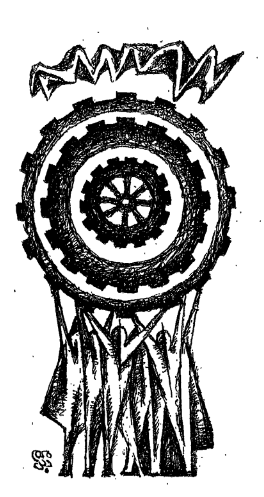




تاريخ الحركة النقابية المصرية [١٨٩٩ - ١٩٥٢]

تأليف : عبد المنعم الغزالي

عرض وتعليق : خيري عزيز



أن الاهمية التي يحظى بهـا كتاب «تاريخ الحركة النقابية المصرية» ، هي أنه يشكل مساهمة ثمينة لا شك في جدواها ، في العملية الضخمة المتنوعة المتفرقة – التي تجري حاليا دون ما تخطيط عام سابق – لاعادة كتابة تاريخ بلادنا الحديث ، ولكن من مواقع النضال الشعبي القاعدية هذه المرة ، لا من مواقع صراع القمة واطماعها ومؤامراتها ، بين رجالات الاحزاب السياسية ، والطبقات الرجعية القديمة التي حكمت بلادنا في الفترة السابقة على ثورة يوليو ١٩٥٢ .»

ويتسم هذا الكتاب في الحقيقة ، بأهمية خاصة بالنسبة للجيل الجديد من شباب مصر المثقف ، والشباب العمالي بوجه عام ، لانه يطلعهم على صفحات مطوية من تاريخ بلادهم النضالي ، لم تكن جهود البحث العلمي الاكاديمي او حتى الثوري ، قد استطاعت ان تلقي عليها اضواء كاشفة كافية بعد ، ربما بسبب سيادة المفاهيم البورجوازية في البحث والتحليل التاريخي العامد من ناحية ، وربما بسبب عدم اقدام عديد من المناضلين العمال والسياسيين الثوريين الذين شاركوا في صنع هذا التاريخ وعركوه ، على القيام بتلك المهمة الصعبة ،

وذلك بسبب الاضطهاد المتواصل الذى تعرضوا ، وتعرضت له العناصر التى اضطلعت بأدوار نضالية مشهودة فى تاريخ الحركة العمالية والنقابية المصرية من ناحية أخرى .

ومن هنا ، تكمن أهمية هذا الكتاب الذى يكشف لنا عنصرا هاما من عناصر القوة الايجابية فى شعبنا ، ويطلعنا على جانب مشرق ، ولكنه كان خفيا مبهما من جوانب قوتنا واعتزازنا النضالى ، خاصة وهو يخرج الى النور فى فترة صعبة مظلمة من تاريخ شعبنا ، يعمد فيها كثير من المرجفين والمعادين له ، على تحطيم قواه المعنوية الصامدة ، وافقاده الثقة الهامة فى النفس ، وفى قواه النضالية الكامنة ، وفى ماضيه النضالى الذى خط الشعب المصرى بنفسه ، صفحاته .

واذا كان الجيل الجديد من شباب مصر المثقف ، والشباب العمالى الذى نما فى ظل مناخ « السلام الاجتماعى » ، الذى وفرته ثورة يوليو ١٩٥٢ ، متجنبة طريق الصراع الدموى ، اذا كان هذا الشباب يتابع اليوم أنباء القمع الدموى ، واضطهاد وارهاب الحركات العمالية والثورية خاصة فى بلاد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الخاضعة للسيطرة الاستعمارية ، فان اشكال القمع الدموى والجماعى من جانب قوى الرأسمال الاجنبى والمحلى المستغل فى بلادنا ، ليست ببعيدة زمنيا عنا ، بالقدر الذى يتصوره البعض ، فلم يكن التاريخ الذى كانت تطلق فيه الرشاشات على مئات وآلاف العمال المصريين المعتصمين فى المصانع ، وتلقى فيه بجثث طلائع عمال مصر فى الترع والرياحات ، وتختفى فيه العناصر العمالية النضالية ، اختفاء غامضا ، دون ما رجعة الى الابد ، وتطلق فيه رصاصات البوليس السياسى الغادرة ، من الظهر ، على المخ واجزأ شخصيات النضال النقابى المصرى ، وفى ظلام شوارع القاهرة والاسكندرية ، وكفر الدوار ، والمحلة الكبرى وغيرها من مناطق النضال النقابى. ان كل ذلك التاريخ ، لم يكن قط ببعيد زمنيا عن ذلك الموعد الذى اندلعت فيه الثورة المصرية فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وانه لتاريخ قمين حقا بالتدبر ، والتمعن ، والتفحص ، من جانب شباب بلادنا المثقف ، وبخاصة من جانب القيادات النقابية والعمالية الشابة ، التى ربما اسعدها حظها التاريخى بعدم معاصرته ، وذلك حتى لا تنقطع صلة حاضرها بماضيها النضالى المليء بالعبر والدروس ، وحتى تعى جيدا وبعمق ، معنى استغلال وعسف وقهر الرأسمال الاستعمارى الاجنبى ، والرأسمال المحلى .

وقد تعرض الاستاذ المؤلف فى كتابه ، بالدراسة ، لنشأة الطبقة العاملة المصرية ، ونشأة الحركة العمالية منذ سنة ١٨٩٩ ، ثم تتبع نضال هذه الحركة واشتداد ساعدها ، ونمو الحركة الاضرابية فى صفوفها حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ثم قام بدراستها فى اعقاب هذه الحرب ، وخلال ثورة سنة ١٩١٩ ، ثم تعرض بالدراسة لانتصارات النضال العمالى فى مواجهة للارهاب من عام ١٩٢٥ ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، وفى الفصل الاخير قام بدراسة الحركة النقابية ، والنضال ضد الاستعمار والرأسمالية ، من الاربعينيات حتى سنة ١٩٥٢ ، وبداية الخمسينيات .

نشأة الطبقة العاملة المصرية

وفى الفصل الذى كرسه المؤلف لدراسة نشأة الطبقة العاملة المصرية ، اوضح انه من الممكن اعتبار النهضة الصناعية التى قام بها **محمد على** ، بداية لنشأة وظهور لطبقة عاملة مصرية بالمعنى الحديث . فقد كان العمال يتقاضون أجرا على عملهم ، اى ان العلاقة بينهم وبين حكومة محمد على ، كانت علاقة عمل مأجور ، رغم ان محمد على كان يسيطر على هذه القوة العاملة سيطرة كاملة ، بسلطاته المطلقة ، والتى كانت تصل الى حد جمع العمال بالقوة فى مصانعه .

على انه اذا كان استخدام القوة الجبرية لاجبار العاملين على العمل فى مصانع الباشا ، ينفى تلك السمة الهامة من سمات العمل المأجور ، وهى التعاقد الحر مع صاحب العمل ، الا انه لا ينفى الحقيقة العامة القائلة بظهور الطبقة العاملة المصرية بالمعنى الحديث فى مصانع محمد على ، وذلك **ان هذا الظهور فى مصر ، لم يتم وفق الاشكال التقليدية التى عرفها المجتمع الرأسمالى الاوربى ، وانما تم وتطور بشكل خاص يتفق وطبيعة الاقطاع الشرقى القائم على المركزية ، والذى يختلف من هذه الناحية عن الاقطاع الغربى القائم على اللامركزية.**

طبقة العمال الصناعيين

وقد وجهت النهضة الصناعية التى جاء بها **محمد على** ضربة مؤثرة لنظام الطوائف والنظام الحرفى الذى كان سائدا قبله ، وان لم تقض عليه نهائيا . فلما وجهت الدول الاستعمارية الاوربية ضرباتها المحطمة لنظام محمد على الطموح ، توقف العديد من المصانع التى انشأها ، مما سمح لنظام الطوائف بمحاولة استعادة كيانه ، فعادت طوائف الحرفيين والصناع الى الظهور من جديد ، محاولة احياء تنظيماتها الخاصة .

الا ان حركة انشاء المصانع ؟ نشطت مرة اخرى فى عهدى **سعيد واسماعيل** ، وادىتغلغل راس المال الاجنبى ، والزحف الاقتصادى للغرب الراسمالى ، الى انشاء عدد من مشروعات النقل والخدمات ، ارتبطت بمشروع حفر قناة السويس ، كما اقام اسماعيل باشا عدة مصانع للسكر وصلعددها الى ٦٢ مصنعا سنة ١٨٧٢. وابتداء من ١٨٥٣ . مدت الخطوط الحديدية ورصفت الطرق البرية ، وفى سنة ١٨٥٨ ، كان طول الخطوط الاولى ٩١٠ أميال،وخطوط البرق والتليفونات ٢٥٠٠ ميل .

بداية النضال والتنظيم (١٨٩٩ — ١٩٠٧)

ويرى المؤلف ان عام ١٨٩٩ ، قد سجل بداية تحركات عمالية عديدة ، ففى مارس ١٨٩٩ ، اضرب العمال الايطاليون الذين كانوا يعملون فى بناء خزان اسوان ، وفى اكتوبر من نفس العام اضرب عمال الشركة الخديوية للملاحة ، وشهدت البلاد فى هذه الفترة ايضا ، اضخم حركة اضرابية قام بها عمال لف السجاير ، وهو الاضراب الذى يؤرخ به بداية تاريخ الحركة النقابية المصرية ، والذى استمر من ديسمبر عام ١٨٩٩ ، الى ٢١ فبراير بسنة ١٩٠٠ ، وشمل كل صناعة الدخان ، وقد نجح هذا الاضراب فى تحقيق مطالب العمال الخاصة برفع الاجور ، وانتهى كذلك الى نتيجة هامة ، هى ايجاد تنظيم خاص بعمال الدخان ، فتكونت جمعية لفانى السجاير بالقاهرة ، وراسها دكتور يونانى ، هو الدكتور « **كريازى** » .

ولكن اضرابات عام ١٨٩٩ ، كانت بداية لحركات عمالية واسعة على نطاق الصناعات الاخرى ، ففى سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، اضرب عمال الفحم بجمرك الاسكندرية ، كما عاد عمال الشركة الايطالية الى الاضراب فى ديسمبر من نفس العام ، احتجاجا على قرار الشركة بتخفيض الاجور ، وفى عام ١٩٠١ ، اضرب عمال ترام الاسكندرية عن العمل ، وكان اضرابهم موجها ضد الرؤساء الاجانب ، وضد معاملتهم المهنية للمصريين ، وضد الجزاءات والعقوبات المالية ، ولتخفيض ساعات العمل . وفى نفس العام اضرب العمال الترزية الاجانب والمصريون . وشهد عام ١٩٠٢ ، سلسلة اخرى من الاضرابات ، فأضرب عمال شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية ، وعمال مطبعة الكوريدى بالقاهرة، وعمال لف السجاير بأحد معامل الاسكندرية . وفى عام ١٩٠٣ ، عاد عمال السجائر الى الاضراب . وفى فبراير سنة ١٩٠٦ ، اضرب عمال توزيع التلغراف من اجل تحسين المعاملة ، ووضع نظام أجزى خاص بهم . وفى رأى المؤلف فان هذه الحركات الاضرابية الواسعة قد عبرت عن الميلاد الحقيقى للطبقة العاملة ، كطبقة تتصدى للنضال من أجل تغيير ظروف عملها وحياتها .

والملاحظ **بالنسبة لهذه الاضرابات عامة ، انها كانت اضرابات اقتصادية فى الاساس ، تهدف** الى تحقيق مطالب عاجلة للتخفيف من حدة الاستغلال . مثل زيادة الاجور ، وتخفيض ساعات العمل الى ١٠ ساعات ، وتحسين المعاملة والحد من الغرامات والجزاءات التى كانت تستهلك جزءا كبيرا من الاجر . كذلك كانت هذه الاضرابات موجهة ايضا ضد التفرقة بين العامل المصرى والعامل الاجنبى فى المعاملة . ويشير المؤلف كذلك الىحقيقة لها اهميتها ، وهى **أن هذه الاضرابات ، رغم انها كانت تهدف الى تحقيق مطالب اقتصادية ، الا انها كانت ذات طابع وطنى ، ومحتوى معادى للاستغلال الاستعمارى ، اذ انها كلها كانت تحدث ضد مصالح أجنبية بريطانية او فرنسية او بلجيكية ... الخ** . كذلك ثمة ملاحظة اخرى تسترعى الانتباه ، وهى ان بعض هذه الحركات الاضرابية تمت باشتراك العمال المصريين الى جانب العمال الاجانب .

والحقيقة ان اشتراك العمال الاجانب فى هذه الاضرابات ، بل وقيادة بعضهم لاهمها ، انما يمكن ارجاعه اساسا الى انه فى المراحل الاولى لنشأة الاستثمارات الاجنبية ، كان العمال الاجانب يعانون من نقص فى الاجور ، الامر الذى جعلهم يشكلون فى هذه المرحلة عمودا فقريا لمجموعة من الاضرابات ، مثل اضراب العمال الايطاليين فى خزان اسوان ، واضراب عمال الدخان ، وهى ظاهرة ، يشير المؤلف الى انها ستنتهى سريعا عندما تنبهت السلطات الاجنبية لها ، فقدمت لهم مزايا أكثر ، حتى تعزلهم عن العمل الجماعى للطبقة الاجتماعية الثورية الجديدة ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فان اعدادا من العمال الاجانب ، ومعظمهم من عمال حوض البحر الابيض ، كانوا متأثرين بالافكار الاشتراكية والثورية فى بلادهم ، ولقد كان من بينهم فوضويون وسندكاليون وماكسيون .

الا ان **اخطر الحقائق المتعلقة بهذه الاضرابات الاولى هى ، انه من خلالها نشأت التنظيمات النقابية الاولى ، وتحولت معظم اللجان التى قادت هذه الاضرابات الى نقابات** ، وان كان يطلق عليها اسم « جمعيات » . ووفق الحصر الذى قدمه الاستاذ **أمين عز الدين** ، تجد انها بلغت ثمانى جمعيات ، وذلك فى الفترة من عام ١٨٩٩ ، حتى عام ١٩٠٧ ، وهى : جمعية

لعمال السجاير بالقاهرة [١٨٩٩] ، وجمعية اتحاد عمال الخياطين بالقاهرة [١٩٠١] ، وجمعية الحلاقين بالقاهرة [١٩٠٢] ، وجمعية عمال المطابع [١٩٠٣] ، وجمعية عمال الادوات المعدنية [١٩٠٢] ، وجمعية عمال السجاير بالاسكندرية [١٩٠٢] ، وجمعية كتبة المحامين بالقاهرة [١٩٠٢] ، وجمعية عمال الدخان المختلطة [١٩٠٣] ».

ويقرر المؤلف هنا ، حقيقة **ان قيادة معظم هذه الجمعيات ، كانت لعناصر اجنبية — يونانية ، وايطالية** ، الا انه يوضح ان ذلك ليس مبررا للقول بأنه لم توجد او تنشأ فى تلك الفترة قيادات عمالية مصرية ، اذ وجدت بالفعل [مثل القيادات التى قادت اضراب عمال الشركة الخديوية ، وعمال توزيع التلغراف وحوذية عربات الركوب] . كذلك يرى المؤلف ان **وجود قيادات عمالية من العمال الاجانب ، لا يمكن ان يكون مصدرا لبعض التفسيرات التى تذهب الى القول بان الحركة العمالية المصرية مرت بمرحلتين مرحلة « اجنبية » ، ومرحلة « مصرية » ، فالامر من وجهة نظر مؤلف الكتاب ، يرجع الى جماهير الحركة والمطالب التى تسعى اليها هذه الجماهير** ، اى حركة الطبقة كطبقة ، وليس حركة القيادة . ذلك انه عندما منحت امتيازات لقطاعات من العمال الاجانب ، هجروا الحركة . وان كانت عناصر من اصول اجنبية قد استمرت بعد ذلك فى قيادة الحركة الى جانب القيادات العمالية المصرية ».

الحزب الوطنى والحركة العمالية

يرجع اهتمام الحزب الوطنى بالحركة العمالية وتنظيمها النقابى الى مجموعة من الاسباب : **اولا** : ان احتدام الصراع الطبقى بين العمال وبين رأس المال ، والذى اكدته الاضرابات العديدة التى بلغت حد العنف فى بعضها — كما حدث فى اضرابات سنة ١٩١١ ، قد اوضح ان للطبقات العاملة دورا كبيرا فى مقاومة الاستعمار الاجنبى وسلطاته ، والطبقات المتعاونة معه ، اذ ان الطبقات العاملة كانت اولى الطبقات التى نزلت الى الشارع مصطدمة مباشرة « بمصالح الاستعمار الاقتصادية ، وتحول الصدام الاقتصادى شيئا فشيئا الى صدام مع قوات الاحتلال . ولذا وجد الحزب الوطنى فى الطبقة العاملة والحركة العمالية حينذاك قاعدة للعمل الشعبى الجاد ، الذى يجب الاعتماد عليه فى الكفاح المباشر ضد الاستعمار الاجنبى والاستبداد الاقطاعى . **ثانيا** : كذلك يرجع اهتمام الحزب ايضا بالحركة العمالية الى تأثر القيادة الجديدة للحزب فى ظل زعامة **محمد فريد** بالحركة الاشتراكية العالمية ، والاعتماد عليها فى العمل فى المجال الدولى فى الكفاح ضد الاستعمار ، خاصة وقد اتصل محمد فريد بعدد من القادة الاشتراكيين فى اوربا ، وتأثر بهم ، وبخاصة **بكير هاردى** ، احد زعماء الحركة العمالية الانجليزية ».

الموجة الاضرابيــة تعلو من جديد

والحقيقة ان الموجة الاضرابية لم تتوقف عند ذلك الحد ، بل اخذت تعلو من جديد . فحركة عمال السكة الحديد التى بدات فى اغسطس سنة ١٩٠٨ ، قدمت فى سنة ١٩١٠ ، مثالا على استمرارها وعدم توقفها . ففى ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٠ ، اعلن عمال عنابر السكة الحديد ببولاق ، الاضراب — الذى وصفته اللواء بأنه « اعتصاب هايل فى عنابر السكة الحديد فى العاصمة » . واشتبك العمال مع البوليس فى صدام ، اضطر فيه البوليس للاستعانة بالجيش ، بعد ان انضمت جماهير الشعب خارج العنابر الى العمال ، واخرج العمال من العنابر ، وعاد اغلبهم الى العمل فى اليوم الثانى ، وقبض على عدد كبير منهم وقدم للمحاكمة ، ولكن العمال كسبوا مطلبين ، فأبطلت الاعمال بنظام المقاولة ، وتقرر تشغيل العمال باليومية وبالماهية ، وعزل المستر بيكن الذى كان يعطيهم الاعمال بالمقاولة ، بعد أن كانوا يشتغلون باليومية .

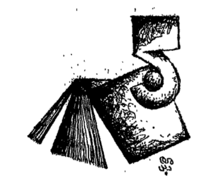
الا ان الموجة الاضرابية تبلغ ذروتها فى عام ١٩١١ ، بأضخم اضراب شهدته البلاد منذ بداية العمل الجماعى للطبقة العاملة المصرية ، وهو **اضراب عمال ترام القاهرة** ، الذى بدا فى ٣٠ يوليو سنة ١٩١١ . وقد ضغط العمال مطالبهم فى ثلاثة مطالب رئيسية : احتساب ايام المرض مدفوعة على حساب الشركة — جعل ساعات العمل ٩ ساعات يوميا — منح العامل الذى يرفت ، شهرا عن كل سنة قضاها فى الخدمة . ونظم العمال عددا من المظاهرات فى باب الحديد ، وبولاق ، والجيزة ، والعباسية ، كانوا يحملون فيها صناديق لجمع التبرعات من الاهالى لمساعدة العمال المضربين ، وقد ساعد الجمهور العمال المعتصبين بكافة انواع المساندة ، وكان للحزب الوطنى دور اساسى فى كسب عطف الجمهور وتضامنه مع العمال . وفى اليوم الخامس للاضراب عندما ارادت الشركة تسيير قاطراتها ، اصطدمت قوات البوليس بقيادة الضباط والكونستبلات الانجليز اصطداما عنيفا بالعمال لم تشهده الاعتصابات السابقة ، وانضمت جماهير الشعب

الى العمال واستمرت المعركة التى اسمتهـا الصحافة «مذبحة العباسية» لمدة ساعات سقط فيها عدد كبير من الجرحى ».

وقد تضامن مع العمال المضربين فى القاهرة ، عمال ترام الاسكندرية ، الذين اعلنوا الاضراب العام يوم ٦ اغسطس

الاسباب الموضوعية لتصاعد الموجة الاضرابية

يرى المؤلف ان هذه الاضرابات ، قد حركتها الظروف البالغة السوء التى كان يعمل فيهـا العمال ، وزيادة حدةاستغلالهم من قبل الشركات الاجنبيـة ، وعنف قهر الحكومة لحركاتهم . والظروف الاقتصادية السيئة التى تمثلت فى ارتفاع الاسعار بشكل عام [ارتفع ثمن نصـف كيلو اللحم الضأن من قرشين الى ٤ قروش ، واللحم البقرى من قرشـين الى ٣ قروش فى



الفترة من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٩٠٩ ، وارتفع سـعر اردب القمح من ١٤٥ قرشـا الى ١٨٠ قرشـا بالاسـكندرية ، وبلغ ٢٤٠ قرشـا فى الارياف ، وارتفع سعر الفول من ١٢٥ الى ١٤٠ قرشا ، وارتفعت اجور المنازل بنسبة ١ : ٩ ، وارتفعت اسعار الاطيان ارتفاعا فاحشـا ، فى نفس الوقت الذى هبطت فيـه اجور العمـال وضعفت قدرتها الشرائية . وكانت ظروف عمل العمـال قاسـية ، وسـاعات العمل طويلة . ولذا فقد تركزت معظم مطالب اضرابات هـذه الفترة حول المطـالبة بزيادة الاجور ، وانقاص ساعات العمل ، وظهر الى جانب مطلب الى ١٠ ساعات عمل ، مطلب الـ ٩ ، والـ ٨ ساعات عمل ــ منح العمال اجازات ــ راحات اسبوعية مدفوعة الاجر ــ احتساب ايام المرض اجازات مرضـية مدفوعة الاجر ــ مكافأة نهاية الخدمة ... الخ ».

والسبب الثانى فى تصاعد موجة الاضرابات ، ان التنظيم النقابى فى هذه الفترة ، قد اشـتد ساعده اكثر من الفترة السابقة ، وتكونت نقابات كثيرة ، وازداد ارتبـاط العمل النقـابى بالحركة الوطنيـة ، وبرز دور الحزب الوطنى فى هـذا العمل ، كما ظهر اثر العنصر والفـكر الاشتراكى فى النضال العمالى . واوضح المؤلف ان البراعم الاولى للفكر الاشتراكى فى مصر ، قد تفتحت فى اضرابات العمال فى هـذه الفترة . كذلك لوحظ ايضا استمرار دور العمال الاجانب فى الحركة العمالية فى هذه الفترة ».

اما فيما يتعلق بالنتـائج العـامة ، فلم تتمكن الحركة العمالية ، ولا الحركة الديمقراطية العامة من ان تحقق مكاسب تذكر فى مجـال التشريع العمالى فى هذه الفترة ، غير انه فى عام ١٩٠٩ ، صدر قانون بلائحة **تشغيل الاحداث فى معامل حليج القطن** . ولقد جاء صدور هـذا القانون ، والذى يعتبر اول قانون عمـالى فى مجـال التشريع العمـالى ، وفى مجال التنظيم القانونى بشروط الاستخدام ، نتيجة للنمو المتزايد للحركة العمالية ، والى بروز احتجاج الرأى العام للحركة الوطنية على الظروف القاسية التى كانت تستغل فى ظلها قوة العمل المأجور ، وخاصة بالنسبة لظروف عمل الاحداث فى معامل حليج القطن . فمنعت اللائحة استخدام الاحداث الذين لم يتموا التاسـعة من عمرهم فى معامل حليج القطن ، ومنعت تشغيلهم اكثر من ٨ سـاعات فى اليـوم ، كما حرمت تشغيلهم اثناء الليل . الخ .

ولقد بدأت السلطات الاستعمارية فى تلك الفترة ، ونتيجة لازدياد حدة الصراع الطبقى ، فى مواجهة الحركة العمالية المنظمة ، بكافة وسائل الكبت والارهاب ، مستخدمة القوة البوليسـية والعسـكرية فى ضرب الحركة ، باصـدار التشريعات المقيدة للحريات . ففى مارس سـنة ١٩٠٩ ، بعث قانون المطبوعات القـديم وعطل وأوقف بمقتضاه عدد كبير من الصحف الوطنية ، وسجن محرروها . وفى يوليو سـنة ١٩٠٩ ، صـدر قانون « النفى الادارى » ، والذى ينفى بمقتضاه كل من يطلقون عليه « سيىء السمعة » ، وهو قانون كان بمثابة جزء من سـياسة المعتمد البريطانى « السير الدون جورست » لتصـفية الحركة الوطنية ، وحركة الجماهير الشعبية ، من اجل حقوقها ، وتحسين ظروف حياتها ، وخاصة الحركة العمالية التى كان سـاعدها قد أخذ فى الاشتداد . وبوجه عام ، فقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الحركة العمالية ، عن الفترة السابقة ، بازدياد التشريعات الرجعية والارهابية ، وباتجاه الحكومة الى البطش بعنف ، بالعمال وحركاتهم ».

الحركة العمالية أثناء ثورة ١٩١٩

والحقيقة ان عودة الحركة العمالية بعد الحرب مباشرة للنشاط ، ولاعلان الاضرابات ، ولتنظيم صنوفها ، كان بداية من البدايات الهـامة لثورة سنة ١٩١٩ ، لذلك ما ان تحركت الأمة فى ثورة مارس سنة ١٩١٩ ، حتى كانت الطبقة العاملة هى محور من محـاور الثورة الهامة . ففى ١٣ مارس سنة ١٩١٩ ، بدأ عمال الترام ، وعمـال المترو ، وترام هليوبوليس اضرابهم الكبير الذى استمر حتى يوم ٢ مايو سنة ١٩١٩ ، واهم نتائج هذا الاضراب ، هو تكوين نقابة لعمال الترام فى القاهرة ، وفى ١٥ مارس سـنة ١٩١٩ ، اعلن عمال عنابر السكك الحديدية الاضراب ، وفى ١٨ مارس ، اعلن عمـال المطبعـة الاميرية ببولاق الاضراب وساروا مثل عمال العنابر ، فى مظاهرة شعبية كبيرة ، واستمر اضرابهم حتى شهر مايو سنة ١٩١٩ ، وفى ٦ ابريل سنة ١٩١٩ ، تقدم عمال شركة الغاز بالقاهرة بمطالبهم ٨ ساعات ، بدلا من ١٢ ، مكافأة شهر عن كل سنة فى الخدمة ، وصرف الرواتب فى آخر كل شهر .. الخ . وفى ١٣ ابريل ، اعلن عمال الكنس والرش استمرار اضرابهم حتى تتحقق مطـالبهم ، وهى مرتبـات شهرية قدرها ٣ جنيهات لكل عامل ، والعـلاج مجانا فى المستشفيات الاميرية ، واجازة سنوية مدتها نصف شهر ... الخ ، و ٨ ساعات عمل .

ومنذ منتصف مارس ، اعلن عمال السـكك الحـديدية اضرابهم الذى اسـتمر لمدة طويلة ، وتصاعدت الحركة الاضرابية خلال احداث الثورة ، فأضرب عمـال ورشـة البوسـتة الخديوية عن العمل . بمطلب ٨ ساعات بدلا من ١٠ ، وزيادة مرتباتهم بنسبة ٢٠ ٪ لغلاء المعيشة ، واضرب ايضا عمال ورش جبل الزيتون ، التابعة لمصلحة السكك الحديدية ، احتجاجا على معاملة الرؤساء الانجليز لهم .

والملاحظ بالنسبة لتطور الحركة النقابية عامة ، انه فى خضم احداث الثورة ، نشطت حركة تكوين النقابات ، واتضح من خلالها تياران فى العمل ، من اجل تكوين النقابات العمالية ، الاول هو بقايا الجناح اليسارى فى الحزب الوطنى ، والذى كان يقوده الزعيم محمد فريد ، والذى ركز نشاطه منذ عام ١٩٠٩ ، لتكوين نقابات للعمال ، وتعاونيات ومدارس شعبية ، والثانى هو التيار الاشتـراكى الذى ظهـر بذوره الاولى فى اضرابات سـنة ١٩١٠ ، وسنة ١٩١١ . وقد ظهر نشاط التيـار الاول فى اسـتمرار نشـاط الحزب الوطنى فى محاولة لاحياء اهم نقابة انشأها الحزب فى عام ١٩٠٩ ، وهى نقابة عمال الصنائع اليدوية ، وان كان المركز الرئيسى لهذا النشاط هذه المرة هو مدينة الاسكندرية ، وبالفعل بدأت نقابة عمال الصنائع اليدوية تعلن عن وجودها بعد الحرب ، فى بداية عام ١٩١٩ . وقد استمرت نقابة الصنائع اليدوية على نفس النهج القديم ، وهى انها تضم العمال اليها من مختلف المهن والحرف فى تنظيم واحد ، والا يكون عمال كل مهنة او صناعة نقابة خاصة بهم ، وان كانت النقابة قد بدأت تضم فى صفوفها هذه المرة عمال الورش الكبيرة والمتوسطة ، مثل عمال ورش جبل الزيتون فى الاسكندرية وعمـال السكك الحديدية .

تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى وقيـام اتحـاد نقـابات العمال .

ويرى المؤلف انه من خلال ارتباط العمل النقابى بالكفاح السياسى والوطنى ضد الاسـتعمار فى هذه الفترة ، بدأت الطبقة العاملة تنظم نفسـها فى تنظيمات سياسية خاصة بها ، ومستقلة عن التنظيمات السياسية الوطنية ، التى كانت تقودها الراسمالية الوطنية ، فبدأت الخلايا الاشـتراكية تتكون منذ عام ١٩١٨ فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والزقازيق . وفى سنة ١٩٢٠ ، تأسس الحزب الاشتراكى ، وكان برنامجه يتضمن اهدافا وطنية وديمقراطية واجتماعية .

وقد ازداد النشاط الاشـتراكى بين صـفوف العمال قوة ، وخاصة فى الاسكندرية ، بقيـادة محامسورى هو **انطون مارون ، وفى عام ١٩٢١ عقد الحزب الاشتراكى اجتماعا ، شهده مندوبون من ٢٠ نقابة ، واعلن تكوين اول اتحـاد لنقابات العمال « الاتحاد المصرى للعمال »** ، وكان مركزه الرئيسى عند تأسيسه هو مدينة القـاهرة ، وقد انضم اليه بعد ذلك عدد آخر من النقابات ، حتى وصل عدد النقابات المشتركة فيه الى حوالى ٣٢ نقابة ، وانتقل الاتحاد بعد ذلك الى الاسكندرية .

وازاء ازدياد الكفاح فى هذه الفترة ، والذى اصبح يهدد المصالح الاقتصادية الاجنبية تهـديدا مباشـرا فى نشاطها الاقتصادى ، بدات السـلطات البريطانيـة والرجعيـة المصرية تواجه الحركة النقابية والعمالية باجراءات عنيفة ، ذلك انه فى الفترة من آخر عام ١٩١٩ ، حتى عام ١٩٢١ ، بلغ عدد الاضرابات ٨١ اضرابا ، منها ٦٧ اضرابا عاما ، و ١٤ اضرابا جزئيـا ، واظهر العمال فى معظم الاضرابات تضـامنا تامـا ، وفى بعض الاضرابات اشترك عدد من العمال الاوربيين ، ولم تقتصر هذه الاضرابات العمـالية على المطـالب الاقتصادية فقط ، بل تعدتها الى المطالب القومية العامة . وبدات الحكومة المصرية ، وبناء على

طلب مباشر من السلطات البريطانية ، تتخذ الاجراءات للبطش بالحركة العمالية وتنظيمها النقابى . فأصدر مجلس الوزراء فى اواخر يناير سنة ١٩٢١ ، القانون رقم ٢ لسنة ١٩٢١ ، بشأن تحريم التنازل عن الاجور الى نقابة او شركة او اية جمعية صناعية ، بقصد الاشتراك فيها . وقد تضمن القانون تطبيقه على الاجانب ايضا ، وذلك بهدف ابعاد عناصر العمال الاوربيين عن المساهمة فى الحركة العمالية . ولكن العمال ابدوا مقاومة لهذا القانون ، وكانت اول نقابة عمالية اعلنت عدم التزامها به هى نقابة عمال ترام القاهرة ، وتلتها باقى النقابات ، كما اعلن الاتحاد المصرى للعمال عدم الرضوخ له . وامام نمو الحركة العمالية ، اصدرت الحكومة قانونا جديدا وضع قيودا على نشاط الطبقة العاملة وحظر الاضراب على العمال قبل اخطار السلطات بـ ١٥ يوما على الاقل ، واعتبر الاضراب المفاجىء جريمة .

انقسام الحركة الاشتراكية

وانتكاس الحركة النقابية

حدث فى عام ١٩٢٢ ، صراع داخل الحزب الاشتراكى المصرى بين اتجاهين ، الاتجاه المعتدل الممثل لفكر اشتراكى الطبقة المتوسطة ، والمتاثر بفلسفة النقابيين الانجليز ، والذى كان يريد حزبا اشتراكيا يتكون اساسا من ابناء الطبقة المتوسطة والمتعلمين ، والاتجاه الثانى ، اتجاه يسارى ، طالب بأن تكون عضوية الحزب اساسا من العمال والفلاحين . وتم الانقسام بالفعل بين الاتجاهين ، واعلن الاتجاه الثانى استقلاله بقيادة الحزب ، واتخذ مقرا للحزب الاشتراكى مدينة الاسكندرية ، وانعزل تماما عن الجماهير الثورية الاخرى غير العمال ، وقاطع النشاط فى اى وسط جماهيرى متقدم ، ما دام غير عمالى ، ولقد ساعده على التمادى فى هذا الاتجاه ،بداية الطبقة المتوسطة الى التهاون . وقد تقدم هذا الحزب بطلب انضمام الى المؤتمر الرابع للدولية ، وبالفعل غير اسمه الى الحزب الشيوعى المصرى .

وقاد الحزب الشيوعى المصرى فى سنة ١٩٢٤ ، سلسلة من الحركات الاضرابية ، ورفعوا عليها الرايات الحمراء ، ولكن الذى بدأ كاضراب اقتصادى ، سريعا ما تحول الى حركة سياسية ضد حكومة الوفد الاولى . وجردت الحكومة الوفدية حملة من الجيش للقضاء على الاضراب ، وقبض على زعماء الحزب واتحاد النقابات ، وصدر قرار بحل الاتحاد ، وتوفى سكرتيره العام **انطون مارون** فى السجن بعد اضراب عن الطعام استمر لستة اسابيع .

القيادة البورجوازية للحركة النقابية

وبعد حل اتحاد النقابات فى فبراير سنة ١٩٢٤ ، اتخذ حزب الوفد قرارا بتكوين اتحاد للعمال برئاسة **عبد الرحمن فهمى بك** ، وقد تأسس بالفعل فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ ، باسم النقابة العامة للعمال ، وفى ١٩ يوليو سنة ١٩٢٤، تحولت النقابة العامة للعمال لتصبح الاتحاد العام لنقابات العمال بالقطر المصرى ، واعترف الاتحاد الجديد باستخدام سلاح الاضراب عن العمل . وقد عبر هذا الاتحاد عن فلسفته فى كثير من خطب زعيمه **عبد الرحمن بك فهمى** ، وكان محور هذه الفلسفة الوفاق بين العمال والشركات . وقد تمكن هذا الاتحاد خلال فترة من الزمن ، من ان يضم الى صفوفه اكثر من مائة نقابة فى كل القطر ، وان ينشىء له فروعا فىكثير من المدن والمحافظات .

ونشطت حركة تكوين النقابات بقيادات « وفدية » ، ولكن الاتحاد الوفدى واجه ازمتين ، الازمة الاولى هى عندما قبض على **عبد الرحمن بك فهمى** فى قضية السردار **لى ستاك** ، ذلك ان غيابه افقد الاتحاد ، الشخصية الاولى فيه ، والثانية هى الصراع الخلفى بين الاتحاد والوفد ، على زعامة العمال . وعلى اية حال فقد اختفى هذا الاتحاد تدريجيا من مسرح العمل فى عام ١٩٢٥ ، فى ظل اول وزارة رجعية جاءت بعد وزارة الوفد الاولى ، وهى وزارة زيور .

النضال العمالى يواجه

الارهاب ويحقق انتصارات

من ١٩٢٥ ـــ ١٩٤٥

(الفترة من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٠)

واجهت الحركة النقابية فى ظل حكم « احمد زيور » ، رجل الانجليز والسراى ، والذى شكل اول وزارة انقلابية على الحياة الدستورية ، عقب سقوط وزارة سعد زغلول ، بعد حادث مقتل السردار لى ستاك ، فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، واجهت الحركة النقابية والعمالية بطشا متزايدا فى ظل هذه الوزارة ، بعد ان حل زيور مجلس النواب ، وعطل دستور سنة ١٩٢٣، وفرض حكما ارهابيا على البلاد بحماية الحراب الانجليزية . وقد وجه زيور ضربة لنشاط الوفد النقابى وداخل الحركة العمالية ، وذلك باقدامه على اعتقال زعيم « اتحاد العمال » الوفدى **عبد الرحمن فهمى** ، تحت دعوى اشتراكه فى اغتيال السردار . ورغم ذلك فقد تحدى الشعب زيور وحزبه ـــ حزب الاتحاد ـــ وجاءت نتيجة الانتخابات صدمة للرجعية ، اذ حصل الوفد على اغلبية ساحقة ، مما اضطر

زيور الى حل البرلمان الجديد من اول يوم ، واستقبلت السجون المئات من الوفديين ، ومن الشباب الثوري ، ومن قادة الحركة النقابية والعمالية ، وفي اول اغسطس سنة ١٩٢٥ ، لقى حتفه في سجون « زيور » انطون مارون سكرتير اول اتحاد نقابات تأسس في مصر ، والذي حله سعد زغلول .

وكبت زيور بمساعدة البوليس والقوات العسكرية كل الحركات الاضرابية العمالية ، من اجل زيادة الاجور ، مثل اضراب عمال الفحم بالاسكندرية ، واضراب صيادى السمك فى دمياط . وفى ظل حكومته ، دبرت حركات استفزازية ضد كثير من العناصر النقابية القيادية تحت شعار مكافحة الشيوعية ، واغتيل كثير من المناضلين فى الظلام بواسطة رجال المخابرات البريطانية ، والبوليس السرى ، ونفى من البلاد عدد كبير من قادة الحركة العمالية . وتفككت نقابات كثيرة وتبعثرت ، وعانت الحركة النقابية الامرين فى ظل ديكتاتورية زيور . ومع ذلك شهدت البلاد فى تلك الفترة عددا من الاضرابات قامت بها مجموعات صغيرة من العمال فى عدد من الصناعات ، اشهرها اضراب عمال المطابع سنة ١٩٢٦ . كذلك اشار الكاتب فيما يتعلق بتلك الفترة ، الى الجهود التى بذلها الدكتور **محجوب ثابت** ، وهو من قدامى المكافحين فى الحزب الوطنى ، وكان يتزعم اتحادا نقابيا فى القاهرة . فقد فاز **محجوب ثابت** فى الانتخابات التكميلية بمنطقة ميناء البصل بالاسكندرية على مرشح الوفد الذى زكاه **سعد زغلول** ، ذلك ان جماهير العمال ، واغلبهم من اتباع الوفد حينئذ ، لم يعطوا أصواتهم لمرشح الوفد ، وانما انتخبوا محجوب ثابت ، الذى اعلن بعد فوزه انه سيعمل من أجل تكوين حركة عمالية عامة فى البلاد ، وسينظم لها فروعا فى كل الاقاليم ، وسيصدر جريدة تنطق باسمها ، واعلن ان حركته ستعمل فى نطاق القانون ، وانه سيدعو الى عقد مؤتمر عمالى لتأسيس التنظيم العمالى الخاص بهذه الحركة . ولقد ايده فى دعوته تلك اعداد كبيرة من العمال ، وكان من بينهم عناصر عمالية من الجناح اليسارى ، الذى كان يطالب بالتشدد مع الانجليز والرجعية المصرية . ويرى المؤلف أن هذا الحادث قد اكد ان كل نضال اقتصادى يخوضه العمال ، انما يتطور ويتقدم ليتحول الى عمل سياسى ولتغذية الكفاح الوطنى ضد الاستعمار .

ومما هو جدير بالذكر ان الكاتبة **الينور بيرنز** قد اشارت فى كتابها « الاستعمار البريطانى فى مصر » ، الى حقيقة ان حكومة زيور قد قضت فى خريف عام ١٩٢٧ ، على محاولة عقد مؤتمر عام للنقابات ، الا انها اوضحت انه تكون اتحاد جديد فى مارس عام ١٩٢٨ ، وعدد اعضائه ٦٠٠٠ شخص ، وكان سكرتير هذا الاتحاد هو الاستاذ **احمد اسماعيل** ، وقد كان هذا الاتحاد على صلة بمؤتمر النقابات البريطانية ، وانضم الى الاتحاد الدولى للنقابات بامستردام ، وهو اتحاد كانت تقوده قيادة يمينية من الاشتراكيين الديمقراطيين فى اوربا ، وقد اشترك هذا الاتحاد فى المؤتمر الدولى الخامس للنقابات ، الذى عقد فى استوكهولم بالسويد ، ولم يعش هذا الاتحاد طويلا .

التنظيم النقابى وحركة انشاء النقابات وعلاقتها بالاحزاب السياسية من ١٩٣٠ حتى ١٩٤٥

فى الفترة التى امتدت من اوائل الثلاثينيات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، نما التنظيم النقابى ، وفرض وجوده بنضال جماهير العمال ، ثم حصل على الوجود التشريعى ، ولكنه ايضا تنازعته واقتسمته الاحزاب السياسية والجماعات المتصارعة الوطنية والرجعية ، ولكن داخل التنظيم النقابى كانت دائما توجد مجموعة مناضلة مستقلة عن الاحزاب المتصارعة ، هى التى تمكنت ان تقود اغلب الحركات الاضرابية ، من اجل المطالب العمالية . ولم تكن هذه المجموعة كبيرة العدد ، ولم يكن لها مركز رسمى او قانونى تمارس منه قيادتها لعمل موحد . وكانت تفرض وجودها التنظيمى بنضاليتها باللجوء الى القضاء ، او بالاعتماد على الارتباط بشخصيات من الاحزاب السياسية الكبيرة ، او بهذه الاحزاب نفسها .

وفى هذه الفترة ، كانت النقابات تعانى ضعفا فى عضويتها وماليتها ، وطريقة ادارتها . وسعت الاحزاب الاقطاعية والراسمالية ، وبذلت جهودا متواصلة لتحويل الطبقة العاملة وحركتها النقابية الى ذيل لها ، واحتياطى لحركتها السياسية . ومن هنا فقد ظهرت فى الحركة النقابية قيادات من المرتزقة والعناصر الخائنة التى اعطت ولائها للاستعمار والسراى والاحزاب . وهكذا تكونت الانتهازية فى الحركة النقابية المصرية ، ممثلة مباشرة للثالوث المعادى للشعب الكادح [الاستعمار ـ الاقطاع ـ رأس المال] .

وفى نفس الوقت ، وجد جناح انتهازى آخر فى الحركة النقابية المصرية ، سيطر عليها لفترة طويلة ، وهو اتجاه من ممثلى الطبقة المتوسطة والمعبرين عن طموحها الطبقى والسياسى . وقد وجدت مجموعة من مثقفى هذه الطبقة ومتعلميها ، عاشت وكسبت من مجاورتها للحركة النقابية وسيطرتها عليها تحت اسم المستشارين القانونيين والخبراء ، وبالتتبع التاريخى للقوى الانتهازية فى

الحركة النقابية ؟ نجد انها كانت دائما معادية للاشتراكية وللثورة الاجتماعية ، وانها لم تكن مجرد قوة اصلاحية ، بل كانت قوة معادية طبقيا للكادحين ومصالحهم ، ومن ثم كانت هذه القوة تعارض دائما اشراك الحركة النقابية فى الكفاح ضد الاستعمار وعملائه ، تحت شعار عدم الاشتغال بالسياسة ، كما تمكنت هذه القوة لفترة طويلة من تحويل الكثير من النقابات الى نوع من جمعيات الاحسان ودفن الموتى .

أثر الحرب العالمية الثانية فى التشريع العمالى

أصبحت مصر خلال الحرب العالمية الثانية ترسانة كبيرة ، ومعسكرا للجيوش المتحالفة ، واذ انقطعت المواصلات بينها وبين الدول المصدرة للبضائع المصنوعة ، لذا اضطرت الى انشاء مصانع لتمد الجيوش واهلها بما يحتاجونه من موارد ، وتكتل العمال فى ورش المعسكرات ، كما تكتلوا فى مناطق صناعية [شبرا الخيمة — كرموز الخ] . وخلال هذه الفترة ، تحركوا من جديد مطالبين بتشريع يعترف بنقاباتهم ، واضطرت الحكومة الى ان تعرض مشروعا بقانون نقابات العمال عام ١٩٤٠ ، ولكنه ظل مشروعا ، واندثر بين ادراج المكاتب .

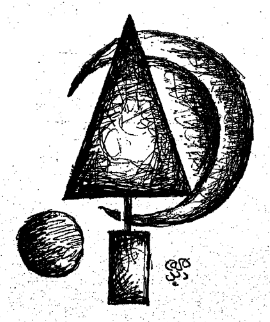
فلما تولت وزارة الوفد الحكم فى سنة ١٩٤٢ ، فى ظروف شاذة ، كادت ان تؤدى نهائيا بنفوذ الوفد الجماهيرى — حادث ٤ فبراير — والتهاون فى معاهدة ١٩٣٦ ، كل ذلك اضطرها الى كسب الرأى العام وبوجه خاص الجماهير العاملة ، فأصدرت الحكومة **القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢** بشأن نقابات العمال . وسمحت الحكومة بموجبه للعمال بتكوين نقاباتهم واعترفت بحقهم فى ذلك . وقد أوضح المؤلف ان صدور هذا القانون كان مكسبا كبيرا للحركة العمالية ، رغم انه حرم على العمال تكوين اتحاد عام يوحد صفوفهم فى مركز قائد واحد ، كما انه استبعد العمال الزراعيين من التنظيم النقابى ، كما استبعد القانون فئة هامة جدا من العمال والمستخدمين ، وهم عمال الحكومة ومستخدموها بالاضافة الى فئات اخرى .

نضال الحركة النقابية من الاربعينيات حتى بداية الخمسينيات

بعد الحرب العالمية الثانية ، حدثت تطورات هامة فى الاقتصاد المصرى وفى الكفاح الوطنى والسياسى ، اثرت بدورها على الحركة العمالية ، فأولا اخذت الصناعة فى مصر تتجه الى التركيز ، وظهرت المصانع الكبيرة ، والمناطق الصناعية ، وتركز ٥٨٪ من العمال الصناعيين فى حوالى ٥٨٠ مصنعا . ولقد انعكس ذلك على تركيب الطبقة العاملة من الناحية العددية ، ومن ناحية العمل الجماعى وازدياد وعيها بقوتها ، وقد كان لذلك اثره على الدور الطليعى الذى كان للعمال فى الحركة الوطنية ، واتجاه حركته للاستقلال عن الاحزاب البورجوازية والرجعية ، وظهور قيادات عمالية جديدة ، وازدياد حركة النضال من أجل وحدة الحركة النقابية .

وبعد الحرب ازدادت حدة استغلال الطبقات الاقطاعية والرأسمالية للكادحين بشكل عام ، ومن ثم ازداد الثراء بينما ازداد الفقراء فقرا ، واصبح ٢١٪ من الدخل القومى يذهب الى كبار الملاك وكبار الرأسماليين ، وانخفضت الاجور الحقيقية للعمال انخفاضا شديدا ، وكانت الاغلبية الكبرى للطبقة العاملة تعيش فى ضيق وضنك شديدين وقد أدى ذلك الى زيادة صراع الطبقة العاملة من أجل رفع مستوى معيشتها ، وازدياد عدد النقابات المناضلة والتى حوربت من قبل الحكومات الرجعية بشدة وقسوة .

وفى هذه الفترة قامت حركة عمالية نضالية من أجل تكوين اتحاد عام للعمال ، ففى عام ١٩٤٥ تكونت اللجنة التحضيرية لعمال القطر المصرى ، ومؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ، وظهرت صحافة عمالية علنية وسرية . واذ وجدت هذه القيادات النقابية الجديدة المستقلة عن الاحزاب البورجوازية التقليدية ، فقد اتجهت الى الوحدة والتضامن مع عمال العالم ، وكان ان شاركت الهيئتان السابقتان بارسال



وفدين شاركا في المؤتمر التأسيسي للاتحاد العالمي لنقابات والذى عقد فيباريس فياكتوبر ١٩٤٥ ، ولم يقتصر كفاح العمال بعد الحرب على المطالب الاقتصادية ، وانما امتد الى المشاركة بدور رئيسى وطليعى فى حركةالكفاح ضد الاستعمار وضد حكمالاقطاعوراس المال، فكانت مشاركة النقابات المصرية واللجان الوطنية العمالية فى تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التى قادت الكفاح الوطنى فى عام ١٩٤٦ ، والذى تمكن من منع الرجعية المصرية من توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع بريطانيا — وفشل مفاوضات النقراشى ، ومشروع صدقى — بيفن ، ومفاوضات خشبة — كليل ... الخ .

وفي هذه الفترة ظهرت قيادات عديدة داخل الحركة العمالية ، قيادات استقلالية ،وقيادات اشتراكية ، وتنظيمات شيوعية ، الا انه برغم دور هذه القيادات واثرها فى ازدياد الوعى والعمل الجماعي ، فان انقسامها كان له اثر كبير على ضعف الحركة العمالية وزيادة انقسامها .

وفى هذه الفترة التى تقع فيما بين آخر سنة ١٩٤٤ ، ١٩٥٢ ازداد الصراع الطبقى حدة ، وقادت الاضرابات العمالية قيادات جديدة وشابة الى جانب بعض القيادات القديمة وخاصة تلك التي كانت قد بدأت تستقل فى سنة ١٩٣٨ ، وكانت اغلب القيادات الجديدة الشابة ، هي عناصر عمالية اشتراكية انجذبت الى الفكر الاشتراكي بعيد الحرب العالمية الثانية ، وارتبط عدد كبير منها بالتنظيمات الشيوعية التى نشأت خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مثل منظمة « الفجر الجديد » — [طليعة العمال] بعد ذلك — ومنظمة «الشرارة — اسكرا » ، ومنظمة الحركة المصرية للتحرر الوطني ، وقد كونت الاخيرتان في سنة ١٩٤٧ منظمة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى .

ومن أهم الاضرابات العمالية الاقتصادية فى تلك الفترة ، اضراب عمال مصنع تكرير السكر بالحوامدية في فبراير ١٩٤٥ .واضرابات عمال النسيج فى منطقة شبرا الخيمة فى يناير سنة ١٩٤٦ . وهي المنطقة التي ظهر منها اول قيادات عمالية اشتراكية بين العمال الصناعين، وتركز فيها نفوذ المنظمات الشيوعية الثلاث الموجودة حينئذ ، حتى انه اطلق عليها حينذاك « المنطقة الحمراء » . وفي هذه الفترة ايضا، اضرب عمال المحلة الكبري اضرابين كبيرين فى يونيو ١٩٤٦ وكانت قيادة الاضرابين الكبيرين للجان عمالية سرية وشبه سرية قادتها عناصر منظمة فى التنظيمات الشيوعية الموجودة حينئذ وعناصر نقابية مستقلة . ولقد كانتاضرابات المحلة الكبرى تعتبر الانتفاضة الكبيرة التيتلت انتفاضة شبرا الخيمة ، وقد قامت هذه الاضرابات لمواجهة ارهاب الراسمالية المصرية واستغلالها البشع للقوى العاملة في هذه المنطقة . وفي اشهر اضرابات عمال النسيج كذلك فى هذه الفترة ، اضرابات عمال شركة الغزل الاهلية بكرموز بالإسكندرية فى يونيو سنة ١٩٤٦ ، ويوليو سنة ١٩٤٦ ، ومارس سنة ١٩٤٨ ، واضراب عمال مصنع شوشة عمال مصانع سباهي بالاسكندرية فى مارس سنة ١٩٤٨ ، واغسطس سنة ١٩٥٠ وهو الإضراب الذي حدثت فيه مذبحة كبيرة بين العمال والبوليس ، قتل فيها ثمانية عمال القيت جثثهم في ترعة المحمودية ،كما استخدمفىهذه الفترة ايضا ، سلاح الاضراب الجماعي عن الطعام فى شبرا الخيمة والاسكندرية ، وقد قاد هذه الاضرابات عناصر نقابية يسارية وعناصر منظمة فى منظمات شيوعية . كذلك شهدت تلك الفترة اضرابات عمال النقل بالقطر المصري في يوليو ١٩٤٦ ، وفى ديسمبر سنة ١٩٥٠ اضرب ٢٠،٠٠٠ عامل من عمال السكة الحديد بمصر مطالبين بزيادة اجورهم .

ويري المؤلف ان اضرابات العمال في الاربعينيات ، كانت تعبيرا عن ازدياد حدة الصراع الطبقي واحتدامه ، وان اضراباتعمال النسيج كانت هياقوىهذه الحركاتالاضرابية. وقد امتد تأثيرها الى فئات عاملة اخري سواء فى العمل المدنى الحكومي ، او بين القوات العسكرية في البوليس والجيش ،ففى ديسمبر ١٩٤٧ تقدم صولات ، وضباط صف ، وجنود الجيش بعريضة بمطالبهم ، وقرروا القيام بمظاهرة لتقديمها الى الملك ، وكان محورها مشكلة الترقيات وضعف المرتبات . كما قام الميكانيكيون العسكريون فى سلاح الطيران بحركة اضرابية من اجل مطالبهم ،ولكنها انتهت بابعاد عدد كبير من قادتهم الي الوحدات ثم فصلوا من الخدمة واعتقلوا فى الطور ، وكان بعض قادة هذه الحركة من اعضاء الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى . وفي اوائل ١٩٤٨ ، قرر مهندسو الفنيون والصناعات الاضراب عن العملبسببتقييم المؤهلات ،وعدم نقل المعينين باليومية او على اعتماد ، الى بند الدرجات وفي ١٥ ابريل سنة ١٩٤٨ شهدت البلاد اول اضراب من نوعه لضباط وجنود البوليس ، فاضربوا فى جميع انحاء القطر ، وسارت مظاهراتهم فى القاهرة والإسكندرية تهتف بسقوط الظلم ، وكان الضباط قد تقدموا بمطالبهم الخاصة ، وقد سارت مظاهرات من الشعب اكثر اتساعا ، فخرج عمال كرموز في مظاهرة كبيرة اشترك فيها اكثر من ١٠٠،٠٠٠

ورفعت لافتات تطالب «بالجمهورية» وقاد هذه المظاهرة الشعبية العمالية ، لجان الوفد فى الاسكندرية ، واعضاء منظمة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، وقد استخدم الجيش لتفريق هذه المظاهرات ،واطلقت النيران على المتظاهرين ، وقبض على المئات .

المشاركة فى النضال الوطنى

يرى المؤلف فيما يتعلق بهذه المشاركة ،ان الحركة الاضرابية الاقتصادية للطبقة العاملة قد تطورتلتصبح منذ بدايتها اساسا للمشاركة **الطليعية والمستقلة** فى الكفاح الوطنى والديموقراطى ضد الاستعمار والرجعية ، وان الطبقة العاملة نزلت فى المدن الكبرىالىميدان العمل الوطنى كقوة لها كيانها وثقلها وبقيادات جديدة اغلبها قيادات اشتراكية او من الجناح اليسارى بالوفد [العناصر المرتبطة بالطليعة الوفدية.] ،او عناصر وفديةاشتركت فىالكفاح النقابى والسياسىمنذ ثلاثينيات القرن ،وعناصر نقابية مستقلة عن كافة الاتجاهات السياسية فى منظمات واحزاب .

وكان اول واهم اشتراك للحركة النقابية فى الكفاح الوطنى والديمقراطى بمحتواه التقدمى والثورى بعد الحرب العالمية الثانية، هو اشتراك منظمات العمال النقابية اشتراكا فعالا وقياديا فى **اللجنة الوطنية للعمال والطلبة:** وهى اللجنة التى تكونت فىفبراير ١٩٤٦ ،بعد القيام باتصال بين اللجنة الوطنية العامة التى كان الطلبة قد كونوها فى الجامعات والمدارس والمعاهد ،وبين التجمعات والنقابات العمالية ،وقد اتفق مندوبو العمالوالطلبة على ان قوة الحركة الوطنية وصلابتها ، انما تستمد من الابتعاد عن الاحزاب وانانيتها وتهاونها مع المستعمر والسراى ، وتحقيق وحدة فئات الشعب تحت قيادة جديدة وبالفعل اعلن تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى ١٨ ، و١٩ فبراير ، واعلن بذلك عن ميلاد قيادة جديدة للحركة الوطنية . وقامت هذه اللجنة باعتبار وتحديد يوم ٢١ فبراير ، يوم اضراب عام من اجل « جلاء قوات المستعمر » وفى يوم ٢١ فبراير حدث الاضراب العام ،وكان يوماتاريخيا مشهودا ، وهاجمت المظاهرات ثكنات المستعمرين ، وسقط الشهداء من العمال والطلبة واهتز حكم الطاغية اسماعيل صدقى وعرش فاروق ،وفىيوم ٤مارس ١٩٤٦ اعلنت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة اضرابا عاما حدادا علىالشهداء ،ونفذ القرار فى ٤ مارس فى القاهرة والاسكندرية ، ولكن ٤ مارس فى الاسكندرية كان يوما خالدا آخر قادته اللجنة الوطنيةللعمالوالطلبة ،فكانيوم الشهداء الثانى» وقد حاول اسماعيل صدقى بعد ذلك تحطيم وحدة الطلبة مع العمال لكنه فشل ، ولم يتمكن صدقى باشا من تحطيم الوحدة الثورية الجديدة ، ولكن الرجعية عملت على الاستفادة من ثغرة فى تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، فرغم ان المحور الاساسى الذى قامت عليه اللجنة هو تنظيمات الطلاب والنقابات ، فان بعض القوى وجدت داخل اللجنة ، على اساس تكتلها الحزبى ، وكانت اساسا فى شباب جماعة الاخوان المسلمين واعتمدت السراى وصدقى والسفارة البريطانية على هذه القوة متعاونة مع شباب احزاب الاقلية الذين ظلوا خارج اللجنة ، ومع النبيل **عباس حليم** ، والذى اصبح لافتة عمالية زائفة ، وخرجت جماعة الاخوان المسلمين من اللجنة ، وكونت مع هذه القوى لجنة موازية باسم «اللجنة القومية» وقد اصدر مؤتمر نقابات العمال والشركاتالاهلية بيانا فضح فيهالنشاط الانقسامى فى اللجنة القومية « الرجعية » .



واستمرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى نشاطها ،ولكن حكومة صدقى اخذت توجه اليها ضربات متتالية ، ففى يونيو سنة ١٩٤٦ ، حل مؤتمر النقابات اداريا ، والقى القبض على زعماء العمال ، بعد ان كان المؤتمر قد قرر الاضراب العام من اجل مطالب العمال الاقتصادية . وفى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ اعلن صدقى الحرب على الحركة الوطنية ، بالحملة الرجعية التى شنها عليها تحت لافتة « مكافحة الشيوعية » فحل الدور الديمقراطية الشعبية والتى كانت تمارس دورا قياديا داخل اللجنة مثل دار الابحاث العلمية ، ولجنة نشر الثقافة الحديثة ودار القرن العشرين ، والغىالصحافة الثورية والوطنية والعمالية — الوفد المصرى، والبعث ، والجبهة ، والفجر الجديد ،والطليعة، وام درمان ، واليراع ، والضمير ، واعتقل قادة الفكر الوطنى والثورى وقادة الشباب والطلبة ، وقادة النقابات .

وطيلة الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٥ حتى سنة ١٩٥٢ ، لم يقصر العمال نشاطهم النقابي على النضال الاقتصادي والبحث ، فبعد اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، اشترك العمال في كافة النضالات السياسية ، واقاموا اشكالا تنظيمية «مستقلة» خاصة ،دخلت حومة المعركة الوطنية والديموقراطية ، مثل اللجان الوطنية التي تكونت في عام ١٩٥١ بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وقد تكونت هذه اللجان الوطنية بين الطلبة ، وفي الاحياء الشعبية وفي المناطق الصناعية . وبعد الغاء المعاهدة ،شهدت البلاد الاضراب العمالي الكبير الذي قام به عمال المعسكرات ،كما اضرب عمال الشحن والتفريغ في الاسكندرية والسويس وبورسعيد عن شحن السفن البريطانية . وشهدت مدن القطر مظاهرات عمالية كبيرة ضد الاستعمار ، وعقد العمال مؤتمرات مشتركة مع طلبة الجامعات واعلن العمال تأييدهم لموقف حكومة الوفد من الغاء المعاهدة ، وتقدموا بمطالب سياسية عامة بعدم الارتباط بأي حلف مع المستعمر الغربي ، والعمل على طرد قوات الاحتلال فورا بتنظيم اللجان الوطنية في كل حي وقرية ومدينة . والغاء البوليس السياسي ذيل الاستعمار ،وعدو الوطنيين ، ووجوب عقد معاهدة صداقة وتحالف مع الاتحاد السوفيتي ، واطلاق حرية الصحافة والاجتماع ،والافراج عن المسجونين السياسيين الذين سجنوا من أجل كفاحهم ضد الاستعمار وأذنابه . وقد عبرت اللجنة التحضيرية للاتحاد العام للعمال عن هذه المطالب ، وفي المظاهرة الصامتة الكبرى ، ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥١ اشترك كل عمال مدينة القاهرة في المظاهرة ، واعلنوا الاضراب العام .

وفي هذه الفترة التي تصدر فيها العمال ونقاباتهم ، العمل الوطني ، واجهوا الحلف المباشر بين اصحاب الاعمال وبين المستعمر ، وقد تمثل هذا الحلف في قيام عدد كبير من اصحاب المصانع ومن الشركات الاجنبية بفصل وتشريد العمال وقادتهم النقابيين بهدف الضغط وقد واجه العمال هذه المؤامرة بان رفعوا شعارات لتأميم بعض المصالح الاجنبية والرأسمالية — مطالب عمال النقل بتأميم مرفق النقل ، كما طالب العمال بتأميم قناة السويس، وعلى هذا النحو ففي الفترة من سنة ١٩٤٥ حتى سنة ١٩٥٢ تكون اضرابات العمال الاقتصادية قد تطورت لتصبح جزءا لا يتجزأ من حركة المجتمع العامة الثورية ،جزءا لا يتجزأ من النضال العام من أجل مجتمع مستقل ، حر ، وديموقراطي .

وبعد

فان هذا الكتاب يجمع الى جانب قيمته السياسية والتاريخية العامة ؟ عنصر الامتاع ايضا ، ويطلعنا بشكل غير مباشر ، وعن طريق النصوص التي قدمها ، على طابع التفكير السياسي المصري في تلك المراحل ،وفي جوانب هامة من جوانبه . الا انه كان من الافضل للكاتب ، لو اتجه الى القصد في نشر بعض النصوص المطولة ، والاكتفاء منها بما يخص بحثه مباشرة ، وعلى نحو أكثر تركيزا وعلى اية حال ،فقد احاط المؤلف بموضوعه احاطة شاملة مخلصة بحيث سيتعين على من يجيء بعده ، ان يتناول احدى جزئيات الموضوع فحسب . وعلى هذا النحو ، ويتخذ — عن حق — سمة الاساس ، في التأريخ للحركة النقابية المصرية، والذي سيبنى عليه كل من سيبحث في الموضوع من بعده .

واذا كان الاستاذ **أمين عز الدين** قد أشار في تقديمه للكتاب ، الى تركيز المؤلف على الاضرابات العمالية اكثر من اي جانب آخر من حركة النقابات [المفاوضة واساليبها مثلا] ، فذلك حقيقي ، وله كل الاهمية ، لان الاضرابات التي قدمها الغزالي في كتابه ، لا تغطي مجرد مرحلة محدودة من مراحل كفاح قطاع معين من قطاعات الطبقة العاملة ، وانما هي تقدم تقريبا مجمل كفاح الطبقة العاملة بأسرها ضد الاستغلال والرأسمالية ، أنها تاريخ وتراث كفاح الطبقة العاملة المصرية ضد الاستغلال والرأسمالية في جانب من أكثر جوانبه جراة واشراقا .

كذلك فان التركيز على الاضرابات ،قد يرجع في اعتقادي ، الى ان عامل الصدام والصراع كان هو الغالب في هذه المرحلة من المواجهة بين الطبقة العاملة والرأسماليين الاجانب والمحليين اكثر من اي اسلوب آخر من اساليب العمل النقابي ، وبذا يكون جهد الغزالي هنا تصويرا لحقيقة تاريخية أكثر منه انحيازا لاسلوب معين من أساليب العمل النقابي دون غيره . الا اننا لا نستطيع مع ذلك ان ننكر بعض الانحياز من جانب الكاتب لهذا الاسلوب ،الزاخر بكل ما هو بطولي ، ونضالي ومشرق من تاريخ طبقتنا العاملة وشعبنا ، فالكاتب ، ليس بأي حال ، من الاكاديميين المحترفين ، الذين قد لا تعني تلك الاساليب النضالية التاريخية لديهم، سوى عنصرا من عناصر المادة الباردة للبحث الاكاديمي ،ولو انه قدم بكتابه وبكل تأكيد ،خدمة اكاديمية ، وانما هو احد اولئك الذين شاركوا شعبهم وطبقتهم العاملة خضم هذا النضال العظيم ضد الاستغلال والاستعمار والراسمالية بكل ما تنطوي عليه هذه المشاركة من آلام وامجاد وتضحيات كبيرة ■

ملف الطليعة



ابن رشد
والفلسفة العقلية فى الاسلام

اعداد : محمد عمارة

فى ذكرى مرور سبعة قرون وسبعين عاما على وفاة الفيلسوف العربى ابن رشد . تقدم « الطليعة » هذا الملف احتفالا منها بالتراث الاسلامى عامة ، وانطلاقا من رؤيا جديدة فى تقييم هذا التراث تتبنى مايشتمل عليه من قيم ايجابية اسهمت ولا تزال تسهم فى خلق بناء منهج عقلى حديث . وكذلك تقدم «الطليعة» هذا الملف مشاركة منها فى احتفال الفكر العالمى بابن رشد كواحد من أبرز الممثلين للعقل الاسلامى التقدمى

.. فقد كان طرفا رئيسيا فى اعمق حوار فلسفى عرفته الفلسفة الاسلامية ، على مدى تاريخها ، وهو الحوار الذى بدأه الغزالى بكتابه « تهافت الفلاسفة » وتلاه ابن رشد بكتابه العظيم « تهافت التهافت ».. ومنذ ذلك التاريخ اصبحت نتائج هذا الحوار علامة طريق فى تاريخ العقل الانسانى حيث كانت اوروبا لا تزال فى ذروة عصرها الوسيط .

■ ■ ■

١ ــ عصر السلبيات والايجابيات

فى كل الفترات التاريخية التى عاشتها الحضارة العربية الاسلامية ، كانت هناك دائما تناقضات وصراعات بين التيارات الفكرية والمدارس ووجهات النظر التى ينتصر كل منها لموقف من المواقف أو نظرية من النظريات. وليس فى سيادة احدى هذه المدارس مايعنى غياب سواها عن الوجود ، وان كان يعنى تراجعها عن مكان الصدارة فوق مسرح الفكر والاحداث .

فعندما اجتمع امر السياسة « لمعاوية بن ابى سفيان » سنة ٦٦١ م ، وتأسست الدولة الاموية ذات الفكرية المحافظة ، ظل المجتمع العربى الاسلامى يزخر ، بل ويغلى ، بحركات فكرية وثورية أخرى عديدة ، شيعية تارة ، وخارجية تارة ، حتى تبلورت حركة المعتزلة أهل « العدل والتوحيد » ، واستطاعت أن تساهم مع غيرها من الحركات فى تقويض ملك بنى أمية ، ونقل السلطة للعباسيين سنة ٧٥٠ م .

وعندما بلغت حركة المعتزلة قمة سلطانها ، بل تسلطها فى عهد **الخليفة المأمون** [سنة ٨١٣ م] **والمعتصم** [سنة ٨٣٣ م] والواثق [سنة ٨٤٢م] وحتى بداية عهد **المتوكل** (سنة ٨٤٧ م) ، كانت أحشاء المجتمع تشهد مقاومة عنيفة لفكر المعتزلة ومحاولاتهم الانفراد بالحكم والهيمنة على مقدرات الناس ، وكانت حركات المقاومة هذه صادرة من أوساط الفقهاء ورواة الحديث والجبهات المحافظة فى أوساط المفكرين ، تلك الاوساط التى نجحت فى عهد « **المتوكل** » فى شن حملة ارهابية ضد المعتزلة وتراثهم العقلى ، وهى الحملة التى أودت بالاغلبية الساحقة من كنوز هذا التراث .

ولقد كان الجو الفكرى المحافظ الذى ساد الحياة الثقافية للمجتمع العربى الاسلامى منذ عهد « المتوكل » ، والذى ساعد عليه ودعم من أركانه تلك السيادة السياسية والادارية والعسكرية التى أصبحت للعنصر التركى الذى سيطر على قصور الخلفاء ، وهو العنصر الذى امتاز بضيق فى الافق ، وغربة عن الحياة العقلية والفكرية . لقد كان هذا الجو من الثقل والكآبة بحيث أثقل العقلية العربية الاسلامية بالكثير من القيود والاغلال . وحتى عندما استطاع « **الفارابى** » (٨٣٢ ــ ٩٥٠ م) و « **ابن سينا** » (٩٨٠ ــ ١٠٣٧ م) أن يبددا الكثير من غيوم هذا الفكر المحافظ ويفتحا من جديد نوافذ الحياة العقلية على مختلف الحضارات والثقافات ، فان التأثير الارهابى للفكر المحافظ قد استطاع أن يحملهما على التخلى عن الالتزام الكامل والجيد بالمنهج العقلى الذى تمثل فى فكر « أرسطو » وجعلهما يستعيران من الافلاطونية المحدثة حينا ، ومن فلسفة المتصوفة الاشراقية أحيانا ، وهما بصدد تفسيرهما للكون والانسان والطبيعة ، وعلاقة الانسان بما بعد الطبيعة ، ومحاولة التوفيق ما بين نواميس الحكمة وتعاليم الدين ، يستعيران منهما الكثير مما لايقره المنهج العقلى فى البحث والتفكير .

على ان الصحوة النسبية التى أحدثها « **الفارابى** » و « **ابن سينا** » فى ميدان الحياة العقلية للفكر العربى الاسلامى ، لم تلبث أن أصيبت بضربات شديدة وموجعة، وذلك بفعل الاثر الفكرى الذى خلفه **الحلاج** (٨٥٧ ــ ٩٢٢ م) ، وخصوصا بعد استشهاده الذى جعل منه أسطورة طاغية ، وخدم فكره الصوفى المتنكر لمعايير العقل ، والمعتمد على « الذوق » و « الشهود » .

حتى اذا جاء **الامام الغزالى** (١٠٥٩ــ١١١١م) فظلل بجناحيه على الحياة الفكرية الاسلامية من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وأثمرت حياته الخصبة وعقله الفذ العديد من الاثار الفكرية التى تنحو نحوا من التصوف الشرعى ، وتلتزم مذهب الاشاعرة العقائدى ، وتهاجم الفلسفة والفلاسفة ، وتنكر ارتباط المسببات بالاسباب ، ولا تدع لاصحاب الفكر الفلسفى ، وخاصة **الفارابى و ابن سينا** ، بابا الا أغلقته ، ولا نافذة الا أوصدتها ، حتى حسب الناس أنه لن تقوم للفلسفة والفلاسفة فى بلاد العرب المسلمين ، دولة ولا قائمة بعد الان .

ولقد كان الاثر الفكرى الذى أودعه **الغزالى**

ـلحبة هجومه على الفلسفة والفلاسفة هو كتابه الشهير (تهافت الفلاسفة) ٠

واذا كانت سيادة هذه الفكرية التى مثله الغزالى فى المشرق العربي الاسلامي ، هي مسألة ليست محل جدل أو نزاع ، فان طبيعة المجتمع المغربي والاندلسي المحافظة فقهيا ، بحكم سيادة المذهب المالكي ، واتساع سلطان الفقهاء واستبدادهم بمقاليد الحياة الفكرية على عهد دولة المرابطين (١٠٩٠ ـ ١١٤٧ م) ، واغراقهم فى التفريعات والتفصيلات التى جرهت الى الناس حياة الفكر والبحث والابداع ، كل ذلك قد سار بالحياة الفكرية فى المغرب العربى الاسلامي فى طريق شديد المحافظة ، بل والرجعية ، حتى أن آثار الغزالي المعادية للفلسفة والفلاسفة كانت فى نظر هؤلاء الفقهاء ، وفى أعين سلاطين المرابطين ، آثارا تقدمية استحقت التمزيق والتحريق ؟ !

فاذا ما تأسست دولة الموحدين ، فكريا ، على يد داعيتها « المهدى » محمد بن تومرت (١٠٧٨ ـ ١١٣٠ م) ، واداريا وسياسيا على يد خليفته « عبد المؤمن » ، لتخلف دولة المرابطين في المغرب ، وقفت هذه الدولة ، على وجه الاجمال ، على أرضية محافظة ، وكان فكرها الرسمي أقرب الى فكر الامام الغزالي منه الى فكر المعتزلة مثلا ، أو فكر الفارابى وابن سينا وأمثالهما من الفلاسفة المسلمين

ولقد جعل كل ذلك من العالم العربى الاسلامي منطقة نفوذ شبه مغلقة لحساب فكرية الامام الغزالي ، وبالذات كتابه الشهير (تهافت الفلاسفة) وعلى مدى ثلاثة أرباع القرن . تنفس العرب المسلمون فى مختلف الدول والدويلات والامارات هذا الهواء الفكري المعادى بشدة وضراوة للفلسفة والمتفلسفين ٠

غير ان هذا الذى كان يبدو للعيان على سطح الحياة الفكرية للعرب المسلمين ، لم يكن ليعكس كل ما في أحشاء هذا المجتمع من تيارات وتناقضات وصراعات ، ذلك لان مكانة العقل وسلطانه في الفكر العربى الاسلامى هى مكانة بارزة . وقسمة الفكر العقلي في الحضارة العربية الاسلامية انما تستعصي على الطمس ، فضلا عن الاقتلاع والزوال ٠ وذلك لان تمجيد العقل واعتماده سبيلا فى البحث من أجل استخراج المجهول من المعلوم ، انما هو أمر يعود الى منابع الاسلام الاولى ،الى القرآن الكريم ، وهو لو كان موقفا عارضا، وأثرا من آثار التفاعلات التى اكتسبتها الحضارة العربية بمزاملة غيرها من الحضارات ، لكان من الممكن طمس هذه القسمة ، أو زحزحتها نهائيا من الميدان . ولكن ارتباطها العضوى بالمصدر الاول المقدس للفكر الاسلامي ،بالقرآن، ثم تزكية الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، للعقل فى كثير من الاحاديث ، وانتصار الفكرية العربية البسيطة له ولثمراته ، كل ذلك قد جعل من الفكر العقلى ، ومن ثم الفلسفي ، قسمة أصيلة فى الحياة الفكرية ، يمكن أن تتراجع حينا من الدهر ، أو تتخلف حقبة من الزمن ، أو يصيبها الجزر فترة من الفترات ، ولكنها تستحيل على الاقتلاع والزوال ٠

واذا كان سلطان الامام الغزالى ، والتأثيرات القاهرة لكتابه (تهافت الفلاسفة) قد نجحت في اقصاء الفلسفة والفلاسفة ردحا من الزمن عن صدارة مسرح الاحداث ، فان جذور الفكر العقلى وأصالته فى الحياة الفكرية العربية الاسلاميه ، مستفيدة من التفاعل الثقافي والحضاري الذي تجسد فى بلاد الاندلس وجامعاتها الفكرية العملاقة ، قد أخذت تجاهد لصد الهجوم ، وتعمل لتحويل التيار العاصف ، ولقد أثمرت هذه المحاولات ، وذلك الجهاد نصرا حاسما رد للفلسفة اعتبارها ، وأعاد للفكر العربى الاسلامي قسمته العقلية كأبرز ماتكون وكأنصع ماتكون . بل لا نغالى اذا ما قلنا ان حياة أبى الوليد ابن رشد ، قد كانت أجود برهان على أن أصالة الفكر العقلى فى حضارتنا ، ومكانته فى تراثنا ، انما هما امران لا يخضعان للجدل ، فضلا عن التشكيك أو الانكار .

وهذه الموجة العقلية الفلسفية الجديده ، قد مرت فى طريقها الى ابن رشد ، وهو قمتها وشهابها اللامع ،بالفيلسوف الطبيب والعالم الموسيقى أبو بكر محمد بن باجه (١١٣٨ م) ، كما مرت كذلك بالطبيب الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل (١١٨٥ م) ، وهو الذى مهد في سنة ١١٦٩ م لابن رشد الطريق فى بلاط السلطان المستنير أبو يعقوب يوسف ، والذى كان « يتشكى من قلق عبارة أرسطو طاليس ـ أو عبارة المترجمين عنه ـ ويذكر غموض اغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها ، بعد أن يفهمها فهما جيدا ، لقرب مأخذها على الناس » . وعند ذلك اتفقت كلمة السلطان وابن طفيل على أن تعهد الدوله الى ابن رشد بانجاز هذا المشروع الكبير ، وقال له ابن طفيل : « انى لارجو أن تفى به ، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك ، وقوة نزوعك الى الصناعة (الفلسفة) ٠٠ » (١)

---

(١) عبد الواحد المراكشي (المعجب فى تلخيص أخبار المغرب) تحقيق سعيد العريان ـ ص ٣١٥ ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

وهكذا شرع ابن رشد ، وبتكليف من السلطان ، في دراسة أرسطو ، وقدم أعماله العملاقة في ثلاثة أثواب :

١ ـ جوامع صغار ، للذين يرومون الاختصار والاقتصار ٠

٢ ـ تلخيصات تلي الجوامع في الحجم ، ويتجاوز بعضها أحيانا حجم عمل أرسطو نفسه ، مثل تلخيص الخطابة ، لما فيه من اضافات رشدية ، وتطبيقات لقواعد أرسطو على المجتمع الذي عاش فيه أبو الوليد ٠

٣ ـ الشروح والتفسيرات ، وهي مسهبة في تناول أعمال حكيم اليونان ٠

وبذلك انتصر الفكر الفلسفي ، وأعاد ابن رشد للحضارة العربية الاسلامية وضوح قسماتها العقلية ولمعانها من جديد ، بل وبشكل فذ وخلاق وفريد ٠

٣ ــ علاقة الحكمة بالشريعة ٠٠

الرغم من أن الميدان الكبير الذي عمل فيه ابن رشد بالبحث والدرس كان هو ميدان **الفلسفة الارسطية** ، وعلى الرغم من اعجابه بحكيم اليونان اعجابا منقطع النظير ، جعله يرى في أصول مذهبه «**منتهى ماوقفت عليه العقول الانسانية**» [٢]، وعلى الرغم من ان الفلسفة كانت دائما متهمة من قبل الفقهاء وجمهور الناس البسطاء ، مما سبب الكثير من الامتحانات ، بل والمتاعب والمحن لكثير من الفلاسفة والحكماء ، وعلى الرغم من الطابع المحافظ للمجتمع الاندلسي والمغربي في قاعدته العريضة ، ونفور هذه القاعدة من الفكر الفلسفي بوجه عام ٠٠٠ على الرغم من كل ذلك ، فان ابن رشد قد تقدم لحمل الراية ورفع اللواء في هذا الميدان ، لا على أساس دراسة أرسطو وشرحه فقط ، ولا كفيلسوف ينتج للخاصة من المتفلسفين ودارسي **الحكمة فحسب** ، بل متصديا لاخطر قضية اعترضت رواد هذا الميدان ، وهي محاولة التوفيق ما بين نواميس الحكمة وأصول العقائد التي جاءت بها الاديان ٠

ونحن نستطيع أن نقول ، دون ما مبالغة او تزيد ، أن ابن رشد كان صاحب أنضج محاولة قدمت في هذا السبيل من بين فلاسفة العرب المسلمين ، وأن فكره الخلاق الذي خلفه لنا حول هذه المعضلة غير الهينة ، هو أحد الانماط الفكرية ، الخاصة بهذا الموضوع ، باحترام الفلاسفة الالهيين ، واحترام المستنيرين من علماء الدين ، على حد سواء ٠

ولقد كان ابن رشد مدركا لوعورة الطريق الذي سلكه ، ومقدرا تقديرا جيدا لاستعصاء الكثير من قضايا هذا الميدان على مدارك أوساط المفكرين ، فضلا عن عامة الناس وجمهورهم ، ولذلك نجده يحدد منذ البداية أن كثيرا من مباحث العلوم الالهية ، اذا شئنا أن نقدمها في ثوب مقنع لعقول الحكماء فلابد من تأويل ظواهر نصوصها تأويلا يتفق مع المعايير التي تقيس بها العقول الامور والاشياء ، وأن وحدة الحقيقة لا تعني أن يكون تصور الحكماء لها هو نفس تصور العامة والجمهور ، لان الرمز ، والعبارة ، والاية ، توحي لكل مستوى فكري ايحاء مختلفا ، وتعطي لكل عقل من الابعاد ، والمفاهيم والمعطيات بحسب ما يناسب مرتبة هذا العقل وقدراته على البحث والتخيل والتحصيل ، وذلك لان « **طباع الناس متفاضلة في التصديق ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالاقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان، اذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدق بالاقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالاقاويل البرهانية** » [٣] ٠

أي أن هناك ثلاثة مستويات من الناس في البحث والدرس والتفكير ٠

● **الفلاسفة الحكماء ، واداتهم في البحث هي البرهان ، وهو سبيلهم الى اليقين** ٠

● **العامة والجمهور ، وسبيلهم للاقتناع الادلة الوعظية والخطابية ، وهي سبيلهم الى اليقين** ٠

● **المتكلمون (الجدليون) وهم في مرتبة وسطى بين العامة وبين الحكماء** ٠

واذا كان ابن رشد قد قدم لنا هذه المراتب الثلاث لمستويات التفكير والبحث المختلفة ، فاننا نجده منحازا الى صف الفلاسفة الحكماء ، لانه واحد من ابرزهم في حضارتنا العربية الاسلامية، كما نجده متعاطفا مع الجمهور ، بشرط الا يتعدوا

---

(٢) ابن رشد (تهافت التهافت) ص ٥٠ ط القاهرة سنة ١٩٠٣ م

(٣) ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٧ ط محمود علي صبيح)

حدود امكانياتهم العقلية والفكرية ، بل هو يحمد لهم التقليد فى الاسس والاصول الدينية التى يستعصى تفسيرها وتعليلها بمحـــــاييس العقل والبرهان ، ويرى انه « **يجب على كل انسان ان يسلم بمبادىء الشريعة ، وأن يقلد فيها ... ان مباديها هي أمور الهية تفوق العقول الانســــانية، فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها** » (٤) .

وهــو يحمــل على المتــكلمين (وخاصــة الاشــاعرة) لانهم لم يبلغوا مرتبة اصحــاب البرهان ، ومع ذلك تناولوا العديد من القضايا الالهية التى لا تدرك الا بالبرهان ، وياليت الامر وقف بهم عند هذا ، بل أذاعوا ذلك بين العامة والجمهور ، « **فأوقعوا الناس من قبل ذلك في شنآن وتباغض وحروب ، ومزقوا الشرع ، وفرقوا بين الناس كل التفريق** » [٥] .

وهو يرى أن سلوك الجمهور الى الحقيقة طريق الادلة الخطابية والوعظية ، وسلوك الخاصة الى نفس الحقيقة طريق البرهان انما هو السبيل الامثل الذى يجعل « **الحكمة هى صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة .. وهمــا المصطحبتــان بــالطبع ، المتحابتان بالجوهر والغريزة** » [٦] .

وابن رشد لا يسلك هذا السبيل فى التمييز ما بين الجمهور ، والمتكلمين ، والحكماء ، بدافع من التعالى الفكرى ، والانفصام عن جمهور الناس ، واحتقار ما عدا الفلاسفة ، كما قد يظن البعض ، وانما هو ينطلق الى هذا الموقف من على أرض المسئولية التى يستشعرها المفكر المؤمن بالتخصص ، والذى ينزه حرمات العلوم والثقافات عن أن تبتذل فى ميادين غير ميادينها . فهو **لا يقول بأن الحكمة وقف على طبقة خاصة أو سلالة بعينها ، وانما يقول ان لها أدوات يجب أن يحصلها الباحث فيها ، ولها مهر يجب أن يدفعه الذين يرومون ادراك الحقيقــة بوسائلها .. ان ميدانها مفتوح للجميع ، بشرط أن يتسلح الذاهبون الى هذا الميدان بالاسلحة التى تكفل لهم النصر فى معركة البحث عن اليقين بواسطة البرهان وذلك** لان الفلاسفة ، كما يقول ، هم الذين « **طلبوا معرفة الموجودات بعقولهم .. لا مستندين الى قول من يدعوهم الى قبول قوله من غير برهان** » [٧]،كما أنه « **ليس يوجد فى هذا النوع من المعارف مقدمات محمودة يتأتى من قبلها الاقناع فيها للعقل الذى فى بادىء الرأى ، أعنى عقل الجمهور ... لان كثيرا من هذه ليس تلقى لها مقدمات من نوع المقدمات التى هى معقولة عند الجمهور ، يعشقون بها فى أمثال هذه المعانى ، بل لا سبيل الى أن يقع بهــا لاحد أتباع ، وانما سبيلها أن يحصل بها اليقين لمن يسلك فى معرفتها سبيل اليقين** » [٨] .

واذا كان **ابن رشد** يسوق هذه العبارات وأمثالها ليقنع الذين قصرت بهم ادواتهم عن أن تؤهلهم لخوض غمار الفلسفة ، ومن ثم بحث العلوم الالهية بأداة الفلاسفة ، أى بالبرهان ، فانه يرسم للذين يتصدون لامثال هذه المهام الطريق الامثل عندما تعترضهم بعض المقولات والاحكام التى تستنكرها عقولهم وتنكرها مداركهم ، ويحذرهم من الجموح والرفض والانكار ، ويرسم لهم كيف يصلون الى فهم ما لايفهمون . وذلك عندما يقول انه « **ينبغى لمن آثر طلب الحق اذا وجد قولا شنيعا ، ولم يجد مقدمات محمودة تزيل عنه تلك الشنعة ، أن لا يعتقد أن ذلك القول باطل ، وأن يطلبه من الطريق الذى يزعم المدعى له أنه توقف منها عليه** »(٩) .

وابن رشد بعد أن ساق فى العديد من كتبه ورسائله وآثاره الفكرية ، الكثير من القــواعد والمقدمات التى رسم بها الاطار الذى يستطيــع « **الحكيم المتأله** » ان يضع بداخله اصول العقائد الدينية على ضوء من البرهان العقلى ، قدم لنا العديد من النماذج للعديد من القضايا التى وفق ما بين موقف الحكمة والشريعة **بصدد** دراستها ، بل وأصاب فى ذلك من النجاح والتوفيق ما لم يسبقه اليه أحد من حكماء الاسلام . ونحن ستختار هنا ، ونحن نعرض لتوفيق **ابن رشد** بين الحكمــة والشريعــة ، من بين ما عرض له ، قضيتين من القضايا ، لعلهما أخطر ما فى هذا الميدان ، ومن أشهر ما دار حوله الجدل والصراع ، وأكثـر القضايا الحاحا على عقول الذين يريدون التوفيق ما بين معطيات الفلسفة وعقائد الاديان ... وهما المتعلقتان بتصور كل من :

ا ـ الذات الالهية . ب ـ والعالم بين القدم والحدوث .

---

(٤) تهافت التهافت ص ١٢٤ .
(٥) فصل المقال . ص ٢٣ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) تهافت التهافت . ص ٥٥ .
(٨) المصدر السابق . ص ٥٤ .
(٩) المصدر السابق . ص ٥٤ .

أ ـ الذات الالهية

و « ابن رشد » لا يشعر بحرج عندما يتقدم ليقدم لنا تصوره الخاص والفلسفي للذات الالهية ، وعلة الوجود ، والمؤثر فى هذا الكون ، لانه على الرغم من أن روح التعاليم الاسلامية لا تحبذ التفكر فى ذات الخالق ، بل وتنهى عن ذلك ، الا أن طريق التأويل قد سوغ للمفكرين المسلمين أن يجعلوا هذا النهى موجها للعامة الذين لا يملكون أدوات البحث فى هذا الميدان ، وذلك بالاضافة الى أن « ابن رشد » كان صاحب موقف منحاز الى معسكر الذين لا يرون أن هناك مناطق محرمة أمام رحلات العقل الانسانى ، ولا حواجز يستحيل على هذا العقل تخطيها ، كما أن التراث العربى الاسلامى قد حفل بالعديد من وجهات النظر حول تصورات عديدة ومتعددة لذات الله • ولقد تراوحت وجهات النظر هذه ما بين موقف« **المجسمة المشبهة** » الذين اخذوا بظاهر آيات القرآن الكريم ، فقرروا أن لله جسما وأعضاء ، وبلغوا فى هذا التصور الساذج حدا يدعو الى الاغراب والاستغراب ، وما بين موقف « **المعتزلة** » الذين نزهوا الذات الفاعلة عن مشابهة أى شىء محدث يتصوره الانسان ، وجعلوها « **فكرة مجردة** » عكست قدرتهم على التنزيه والتجريد ، الى موقف « **الاشاعرة** » الذين وقفوا موقفا وسطا ، وان كانوا ، موضوعيا ، أقرب الى التشبيه •

كل ذلك قد جعل ابن رشد فى حل من أن يقدم لنا تصوره هو عن الذات الالهية ، دون أن يستشعر الحرج أو التجافى مع روح البحث والولاء لهذا التراث . وهو عندما طرق هذا الباب ، فانه قد قدم لنا تصورا مختلفا تماما عن تصور « المجسمة المشبهة » ، وعن تصور العامة ، وكذلك عن تصور المتكلمين بفرقهم المختلفة ، وان كان قد جاء تصوره متفقا مع تصور الفلاسفة القدماء الى حد كبير ••

١ ـ **فهو** يقدم لنا الذات الالهية على أنها « **عقل محض** » و « **علم** » **خالص** ، فيتحدث عن أن الفلاسفة « لما رأوا أن النظام الموجود هاهنا فى العالم واجزائه هو صادر عن علم متقدم عليه ، **قضوا أن هذا العقل والعلم هو مبدأ العالم الذى** أفاده أن يكون موجودا وأن يكون معقولا • **وهذا بعيد عن المعارف الانسانية الاولى ، والامور المشهورة ، بحيث لا يجوز أن يفصح للجمهور عنه . بل للكثير من الناس** » [١٠] •

وما دام هناك اتفاق على وجود علة لهذا الوجود ، وان هذه العلة ليست بجسم ، وان وجودها فى غير مادة ، فان ابن رشد يصل بهذه المقدمات الى نتائجها الطبيعية ويقول : انه « اذا وجدت موجودات ليست فى مادة وجب أن يكون **جوهرها علما أو عقلا** » [١١] ، والفلاسفة قد اجمعوا على أن الموجودات المفارقة لغيرها انما هى عقول محضة ، فاذا كانت علة هذا الكون هى ذات مفارقة لغيرها ، لا مفارقة نسبية فقط ، بل مفارقة للكل وبشكل مطلق ، فان « ما هو مفارق باطلاق أحرى أن يكون عقلا »(١٢) ، ومن ثم فان ابن رشد ينتقد الامام الغزالى الذى يرى أن فى تسمية الذات الالهية ، أو المبدأ الاول ، عقلا معنى سلبى ، فيقول ابن رشد ، بعد حديث عن أشياء يوافق فيها الغزالى « ••• لا كلام معه فى هذا ، الا ماذكر من **تسميته عقلا** ، أنه يدل على معنى سلبى ، **وليس كذلك ، بل هو الاسم الاخص بذاته عند الفلاسفة المشائين : بخلاف** ما يراه أفلاطون من أن العقل غير المبدأ الاول ، وانه لا يوصف بأنه عقل »(١٣)

كما يرى ابن رشد « أن ذاته (أى ذات الفاعل) التى يسمى بها صانعا ليست شيئا اكثر من علمه بالمصنوعات ••• وأن القوم (الفلاسفة) يضعون **أن الموجود الذى ليس بجسم هو فى ذاته علم فقط ،** وذلك أنهم يرون أن الصور انما كانت غير عاقلة لانها فى مواد ، فاذا وجد شىء ليس قائما فى مادة ، علم **أنه عالم وعلم** ، ذلك بدليل انهم وجدوا أن الصور المادية اذا تجردت فى نفس من مادتها صارت علما وعقلا ، وأن العقل ليس شيئا أكثر من الصورة المتجردة من المادة ، واذا كان ذلك كذلك فيما كان ليس متجردا فى أصل طبيعته ، فالتى هى فى العقل مجردة فى أصل طبيعتها أحرى أن تكون علما وعقلا »(١٤)

كما يتحدث عن الفلاسفة فيرى أنهم « **وقفوا على أن هاهنا موجودا هو عقل محض ، ولما رأوا** أيضا ان النظام ، هاهنا فى الطبيعة ، وفى أفعالها ، يجرى على النظام العقلى الشبيه بالنظام الصناعى ، علموا **أن هاهنا عقلا هو الذى** أفاد

(١٠) د.محمود قاسم (نظرية المعرفة عند ابن رشد) ص ٢١ . ط القاهرة.نقلا عن : تهافت التهافت . ط بيروت ص ٣٢٦

(١١) تهافت التهافت . ص ٤٩ .

(١٢) المصدر السابق . ص ٥٦ .

(١٣) تهافت التهافت . ص ٧٩ .

(١٤) المصدر السابق . ص ٨٤ .

هذه القوى الطبيعية أن يجرى فعلها على نحو فعل العقل ، فقطعوا من هذين الامرين على أن ذلك الموجود الذى هو **عقل محض** هو الذى أفاد الموجودات الترتيب والنظام الموجود فى أفعالها »(١٥)

وجميع هذه النصوص ومثيلاتها حاسمة فى دلالتها على أن ابن رشد قد تصور علة هذا الكون عقلا محضا ، وعلما خالصا ٠

٢ـ وبعد هذا التصور للذات الالهيةالتى رآها أبو الوليد متحققة فى « العقل المحض » ، نجده **يرى هذا الوجود لهذه الذات قائما ومتحققا فى تركيب أجزاء الوجود ٠ وهو هنا** يفكر تفكيرا جدليا يجتذب أعمق مشاعر التقدير والاعجاب ، فيرى ان «العلة » الموجودة فى السكون ، ليس فعلها الخلق ، بمعنى الايجاد من العدم ولا الاعدام للموجود ، وانما هى « علة تركب أجزاء العالم » ٠ وهو بذلك يعطى مصطلحات «الفعل» و «الايجاد» معنى جديدا يقرب من معنى « النظام » ، وذلك عندما يقول : «**فان كان الاول ، سبحانه ـ علة تركب اجزاء العالم ، التى وجودها فى التركيب، فهو علة وجودها ولا بد ، وكل من هو علة وجود شىء ما فهو فاعل له** » [١٦] ٠

ثم هو يزيد هذا التصور ايضاحا عندما يقول : « ان الارتباط الذى بينها (أى المبادىء المفارقة) هو الذى يوجب كونها معلولة بعضها عن بعض ، وجميعها من المبدأ الاول ، **وأنه ليس يفهم من الفاعل والمفعول والخالق والمخلوق فى ذلك الوجود الا هذا المعنى فقط ٠٠٠ وهذا المعنى هو الذى يرى الفلاسفة أنه عبرت عنه الشرائع بالخلق والاختراع والتكليف** ، فهذا هو أقرب تعليم يمكن أن يفهم به مذهب هؤلاء القوم ٠٠٠ وليس يفهم من مذهب أرسطو غير هذا ، ولا من مذهب أفلاطون ، وهو منتهى ماوقفت عليه العقول الانسانية »(١٧)

وهكذا نجد **أبا الوليد بن رشد يتصور** الذات الالهية « نظاما » افاد الموجودات النظام التى هى عليه ، و « علة تركب أجزائها وارتباطها بعضها بالبعض الاخر » ، و « قانونا » يحكم الاجزاء التى يتكون منها الوجود ، كما سبق وتصورها « عقلا محضا وعلما خالصا » ٠

٣ ـ **أما العنصر الثالث الذى به يكتمل لنا** تصور ابن رشد للذات الالهية ؛ فهو تصوره اياها محركا اول للموجودات ، وذلك عندما يقول: « واذا كانت الاجرام السماوية لا يتم وجودها الا بالحركة ، فمعطى الحركة هو فاعل الاجرام السماوية» [١٨] ٠ وذلك لان «الفلاسفة لما كانوا يعتقدون أن الحركة فعل الفاعل ، وأن العالم لا يتم وجوده الا بالحركة قالوا : **ان الفاعل للحركة هو الفاعل للعالم** ، وانه لو كف فعله طرفة عين عن التحريك لبطل العالم » [١٩]٠

واذا كان هذا « العقل »و« العلم »و« النظام » و « المحرك » هو علة تركب الكائنات والوجود كله ، وعلة نظامه وعقله ، ومن هذه الزاوية ، وبهذا المعنى علة وجوده ، فان وجوده وفعله محكوم أيضا بفعل وتقبل هذه الاجزاء المكونة للوجود ، وعلاقاتها بعضها بالبعض الاخر ٠ ومن ثم فان تصور ابن رشد لحرية «العلة » ليسمن نوع « الحرية المطلقة » ، بل الحرية المحكومة بالقانون والنظام والعلاقات القائمة بين اجزاء الوجود ، ولذلك فانه « لا يتعلق فعل الفاعل بالعدم المطلق ، ولا بعدم شىء ما ، لانه **ليس يقدر القادر أن يصير الموجود معدوما أولا** وبالذات ، أى يقلب عين الوجود الى عين العدم »(٢٠) ٠ وذلك بسبب من أن « **ترتيب الاسباب ونظامها هو الذى يقتضى وجود الشىء فى وقت ما أو عدمه فى ذلك الوقت** »(٢١) ، وليست الحرية المطلقة للمبدأ الاول هى التى تصنع ذلك ٠

واذا كان هذا هو التصور الذى ارتآه ابن رشد للذات الالهية ،فلقد كان طبيعيا جدا انيدرك هو، كما ندرك نحن ، تميز هذا التصور عن التصورات الاخرى التى ارتآها المتكلمون ، وخاصة الاشاعرة منهم ، وبالاخص المشبهة ، لذات البارىء سبحانه وتعالى ، ومن هنا كان طبيعيا أن يهاجم ابن رشد تصور المتكلمين لهذه الذات ، عندما يقول : « ان المتكلمين ، اذا حقق قولهم ، وكشف أمرهم مع من ينبغى أن يكشف ، ظهر **أنهم انما جعلوا الاله انسانا أزليا** ، وذلك أنهم شبهوا العالم بالمصنوعات التى تكون عن ارادة الانسان وعلمه وقدرته ، فلما قيل لهم : انه يلزم أن يكون جسما ، قالوا : انه ازلى ، وان كل جسم محدث ؛ فلزمهم ان يضعوا انسانا فى غير مادة فعسالا لجميع

---

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠
(١٦) المصدر السابق ، ص ٤٢ ٠
(١٧) المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ م
(١٨) المصدر السابق ، ص ٤٦ ٠
(١٩) المصدر السابق ، ص ٦٩ ٠
(٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٠ ٠
(٢١) ابن رشد ، مناهج الادلة فى عقائد الملة ، ص ٢٢٧تحقيق د ، محمود قاسم ، ط القاهرة سنة ١٩٥٥ م ٠

الموجودات ، فصار هذا القول قولا مثاليا شعريا ، والاقوال المثالية مقنعة جدا ، الا انها اذا تعقبت ظهر اختلالها » [٢٢] .

فهو هنا لا يشير الى وجود تصورات متعددة للذات الالهية فى نطاق الفكر العربى الاسلامى ، فقط ، بل ويرفض تصور المتكلمين • وذلك لانه صاحب تصور خاص ، رأى من خلاله الذات الالهيــة « عقلا محضــا » و « علما خالصــا » و « نظاما » و « محركــا » أفاد الوجود الحــركة والنظام •

على انه ينبغى لنا أن نشير الى أن ابن رشد عندما كان يجادل المتكلمين ويفند الكثير مــن وجهات نظرهم ، فانما كان يعنى مدارس المشبهة والاشاعرة فى أغلب الاحيان ، ولقد كان الامام الغزالى أبرز فرسان الاشاعرة الذى أولى ابن رشد آراءه العناية الكبرى فى البحث والمناقشة والتفنيد . ومن هنـــا فان نظـــرة أبى الوليد الى المعتزلة » انما كانت فى جملتها ، نظرة مشبعة بالود والاحترام ، ويكفى أن نعلم هنا انه قد رأى أن « مذهب الفلاسفة فى المبدأ الاول هو قريب من مذهب المعتزلة »(٢٣) وأنه قد تبنى العديد من وجهات نظرهم فى العديد من الموضوعات •

ب ـ العالم بين القدم والحدوث

واذا أردنا أن نشير الى واحدة من أهــم الاضافات الخلاقة التى قدمها ابن رشد للفكر العربى الاسلامى ، بل للفكر الانسانى عــامة ، والتى جسد فيها بعبقرية فذة محاولته الجريئة للتوفيق ما بين الحكمة والشريعة ، فاننا يجب أن نشير الى مفهومه عن العالم ، وموقفه من الخلاف القديم المتجدد الذى دار ويدور حول ما اذا كان هذا العالم قديما أم محدثا ؟

ذلك أن الفكر الانسانى فيما قبل أبى الوليد ابن رشد ، قد كان يتوزعه ، أســاسا ، معسكران فكريان ، أحدهما معسكر الفلاسفة القدماء ، ومن ارتضى مقدماتهم ونتائجهم ، وهم يرون أن العالم قديم لانه من مادة قديمة ، واذا كانت المادة قديمة لا تستحدث ، أى أنه لا أول لها ، فانه لم يسبق وجود هذا العالم موجود أوجده . لانه لا أول لوجوده . ومن العسير ، أن لم يكن من المستحيل على فرسان هذا المعسكر أن يوفقوا بين فكرتهم هذه وبين فكرة الاعتراف بوجود « خالق » لهذا العالم ، مهما حفلت كتبهم وآثارهم ببعض العبارات والصيغ التى نعتقد أن مدلولاتها أقرب الى المجازات ـ المقصود بها التخلص والمداراة ـ منها الى الحقائق فى هذا الباب

وثانيهما معسكر المفكرين المؤمنين بــالاديان السماوية ، وفى مقدمتهم المتكلمون من علماء هذه الاديان ، وكانوا ، فيما قبل أبى الوليد ، تجمعهم فكرة أساسية تؤكد أن هذا العالم لم يكن ثم كان ، وأن الذات الالهية كانت زمنا ولا شىء معها ، ثم أوجدت هذا العالم وخلقته من العدم •

وكانت صورة هذا الصراع الفكرى ، تبدو بغير أمل فى اللقاء بين مختلف الاطراف ، وظلت الحال كذلك حتى قدم ابن رشد فكرته العبقرية فى هذا الموضوع •• **فماذا قال ؟**

لقد قال ابن رشد : ان العــالم قــديم ومحدث (بفتح الدال) فى ذات الوقت ؟ ! وأنه لا أول لوجوده ، ولم يخلق من العدم ، ولكن له محدثا [بكسر الدال] وخالقا وموجدا ؟ ! ، أما تفسير هذه المقولة التى تبدو وكأنها دعاء اشتمل على مجموعة من الاضداد المتناقرات ، فان أبا الوليد يبسطه بسطا يجذب اليه العقول والقلوب والافهام •

فهو يتحدث الى المتكلمين ، بمنطقهم ، ليقنعهم ، ويقول لهم : انكم تقرون بأن الخالق قديم ، لا أول لوجوده ، ولم يسبق وجوده زمان ، وأن العالم فعله ، فلابد أن يكون مثله قديما ، لا أول لوجوده ، ولم يسبق وجوده زمان ، وذلك لان « **من لا يساوق وجــوده الزمان ولا يحيــط به من طرفيه : يلزم ضرورة أن يــكون فعله لا يحيط به الزمان ، ولا يساوقه زمان محدود • وذلك ان كل موجود فلا يتراخى فعله عن وجوده الا أن يكون ينقصه من وجوده شىء ، اعنى أن لايكون على وجوده الكامل، أو يــكون من ذوى الاختيــار** » [٢٤] ، وانــه لا تراخى بين وجود الفاعل ووجود فعله ، فى حالة ما اذا كان الفاعل قديما ، لان « **الفاعل الواحد ، ان كان أزليا ، ففعله ••• هو فعل دائم أزلى ، لا فى وقت دون وقت . فان الفاعل الذى يتعلق فعله بالمفعول فى حين خروجه من القوة الى الفعل هو فاعل محدث [بفتح الدال] ضرورة ، ومفعولــه محدث (بفتح الدال) ضرورة ، واما الفاعل الاول ففيه تعلق بالمفعول على الدوام** » [٢٥] •

(٢٢) تهافت التهافت . ص ١٠٥ .
(٢٣) المصدر السابق . ص ٥٩ .
(٢٤) المصدر السابق . ص ٣٠ .
(٢٥) المصدر السابق . ص ٨٣ .

وهو ينفى نفيا قاطعا أن يكون العالم قد خلق من لا شىء ، أو انه كان عدما ثم وجد ، لان عنده أن الوجود لا يتعلق بالعدم مطلقا ، وأن الشكوك التى ترد فى هذا المقام انما هى « **امر يلزم ضرورة من قال ان الفاعل انما يتعلق فعله بايجاد مطلق، اعنى بايجاد شىء لم يكن قبل ، لا بالقوة ولا كان ممكنا فأخرجه الفاعل من القوة الى الفعل ، بل اخترعه اختراعا** » (٢٦) • بل ويهاجم الامام الغزالى ، ومن ورائه الاشـــاعرة الذين يقولون بالخلق من العدم ، ويقول لهم : ان مفهومكم هذا غريب عن الاسلام ، وذلك عندما يقول : « **وأما ما تزعم الاشعرية من أن طبيعة الممكن مختــرعة وحادثة من غير شىء ، فهو الذى يخــالفهم فيه الفلاسفة ، من قال منهم بحدوث العالم أو لم يقل، فما قالوه اذا تأملته بالحقيقة ليس هو من شريعة المسلمين ولا يقوم عليه برهان** » [٢٧] •

ولكن ••• اذا كان الامر كذلك ، فما هــو كنه « الخلق » و « الفعل » ، كما يتصوره ابــن رشد ؟ وما هو « دور » « الفاعل » و «العلــة» و« الخالق » فى عالم لا أول لوجوده ، ولم يخلق من العدم ؟

أن ابن رشد يقدم لنا مفهوما جديدا ومبتكرا عن معنى « الخلق » و « الفعل » عندما يقسم الوجود الى « وجود بالقوة » • وهو الممكن ، و « وجود بالفعل » ، وهو مرتبة فى الوجود أرقى مــن مرتبة « الوجود بالقوة » ، وعندما يرى أن « الفعل والخلق» ليس شيئا آخر غيرالانتقال بالموجود من مرحلةالوجود بالقوة»الى مرحلة«الوجود بالفعل». هذا فى الايجاد ، أما فى الاعدام فان الذى يحدث هو الانتقال بالموجود من مرحلة « الوجود بالفعل » الى مرحلة « الوجود بالقوة » ، وعندئذ يعرض للوجود الاعدام « وذلك أن فعل الفاعل عنــد الفلاسفة ليس شيئا غير اخراج ما هو بالقوة الى أن يصيره بالفعل ، فهو يتعلق عندهم بموجود فى الطرفين . أما فى الايجاد فينقله من الوجود بالقوه الى الوجود بالفعل ، فيرتفع عدمه ، واما فى الاعدام فينقله من الوجود بالفعل الى الوجود بالقوة ، فيعرض ان يحدث عدمه » [٢٨] •

واذا كانت هــذه العمليـــة هى « الخــلق ، و « الفعل » و « الاحداث » عند ابن رشد ، واذا كانت كما هو الواقع ، عمليـــة دائمـــة ولا تنتهى فى العالم . فاننا نكون بازاء عملية خلق مستمر واحداث لا ينقطع أبدا • أى أن هناك دائما وأبدا وباستمرار أشياء توجد وأشياء تعدم أو تتحول ، ومن ثم فان « الفاعل والمحدث » هنا هو « فاعل ومحدث » باستمرار ، لا كما يتصور الاشاعرة انه قد خلق العالم من العدم مرة واحدة ودفعة واحدة ثم فرغ من ذلك . ومن ثم فان المحـــدث [بكسر الدال] عند ابن رشد أحق باسم المحدث (بكسر الدال) منه عند الاشعريين ، وكأنه بذلك يسحب من تحتهم الارض وينتزع اللواء .

وبهذه المفاهيم ينكر ابن رشد ذلك التقسيم الجامد الذى توزع جبهات الفكر والصراع حول هذا الموضوع ، ويقدم لنا مفهوما جديدا لا أعتقد أنه قد سبق اليه • وهو يعلل سر ذلك الصراع الذى ظل زمنا طويلا دون لقاء أو توفيق بأن العالم « قد اخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقى . ومن الوجود القديم ، فمن غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديما ، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثا ، وهو فى الحقيقة ليس محدثا حقيقيا ولا قديما حقيقيا ، فان المحدث الحقيقى فاسد ضرورة والقديم الحقيقى ليس له علة » • (٢٩)

ولا نعتقد بعد تقديم هذين النموذجين ــ « تصور ابن رشد للذات الالهية ، وحديثه عن العالم بين القدم والحدوث » ــ الا أن فيلسوفنا الكبير قد نجح حيث أخفق الكثيرون ممن طرقوا قبله باب التوفيق بين نواميس الحكمة وعقائد الاديان •

٣ ــ ابن رشد والمجتمع ••

هناك عيب يصيب الدراسات التى تقدم عن بعض فلاسفتنا أحيانا . وهو خاص باغفال متعمد أو غير متعمد لعلاقة هؤلاء الفلاسفة بمجتمعهم ،وتفاعلهم مع هذه المجتمعات، ودورهم فى دفع عجلة التقدم السياسى والاجتماعى والحضارى لهذه المجتمعات ، والاقتصار من صور حياتهم واحداثها على ماهو متعلق مباشرة أوبصورة غير مباشرة ، بالفكر الفلسفى ، او الطب أو الفلك أو الرياضيات أو غيرها من العلوم والفنون التى اسهموا فيها وتركوا فيها الاثار •

(٢٦) المصدر السابق . ص ٣٧ •
(٢٧) المصدر السابق . ص ٩٨ •
(٢٨) المصدر السابق . ص ٣٨ •
(٢٩) فصل المقال . ص ١٣ •

وهذا العيب قد أصاب بعض الدراسات التى قدمت عن أبى الوليد ، حتى لقد كادت قضاياه الفلسفية أن تحجب عن قارئه قسماته الاخرى ، فلا يبصره العملاق المتعدد الجوانب والكفاءات والنشاطات وبالذات رجل المجتمع ، المدلى بدلوه فيما حفلت به حياة مجتمعه من قضايا واحداث .

والامر الذى يجعل هذا العيب اكثر شذوذا فى فكرنا العربى الاسلامى ، ان هذا الفكر وعمالقته لم يعرفوا ذلك الانفصام الذى عرفته بعض المجتمعات ما بين « الفكر » و « العمل » ، وانما جسدت حياة هؤلاء المفكرين ، ونواحى هذه النشاطات العقلية اروع تجسيد تلك الوحدة ما بين اهتمامات المفكر وسلوكه ، ما بين مشاغله العقلية وآماله فى تطبيق نظرياته فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وذلك لانهم قد اشترطوا ذلك الربط المتين بين هاتين الناحيتين فى كل الحالات ، وقالوا انه « انما تكون الاقاويل التى يحث بها على السنن مقنعة ، اذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحسن فعل ، حتى تكون هذه الاشياء المذكورة هاهنا **معلومة لنا وموجودة** فينا ، فانه **اذا وجد فينا الخلق الذى نحث عليه ، كان قولنا فى الحث عليه اشد اقناعا** » [٣٠] .

وابن رشد نموذج من النماذج الجيدة على صدق هذا القول الذى نقول . ونحن نستطيع أن نقدم العديد من الادلة على ذلك ، وخاصة اذا ما تناولنا موقفه من بعض القضايا التى شغلت حيزا كبيرا من اهتماماته ، والتى ربطت فكره وربطته بحياة المجتمع والناس ، وذلك مثل :

أ ـ نظريته فى المعرفة ب ـ موقفه من السياسة
ج ـ نظريته فى الحرية د ـ موقفه من المرأة

أ ـ نظريته فى المعرفة

وابن رشد وان لم يفرد مبحثا من مباحثه تحت عنوان (نظرية المعرفة) ، الا انه قد اعطانا مفهوما فى المعرفة لا اعتقد الا اننا فخورون به ايما فخر ومعتزون به ايما اعتزاز . وخاصة بعد أن وجدناه سابقا لاحدث النظريات العلميـة التى تبلورت حديثا فى هذا الباب ، وتراثا لها فى كثير من الجوانب والعناصر الخاصة بهذا الموضوع .

فهو فى خلال مناقشاته لقضية « العلم الالهى » و « علـم الانسـان » ، والفـرق بيـن « العلم القديم » و « العلم المحدث » (بفتح الدال) ـ وهى مناقشات عرضت اصلا خلال الحديث عن « العلم الالهى » ، وهل يعلم الله الجزئيات ، اذا كان علمه « كليا » ؟ ـ نجده يفرق تفرقة حاسـمة بين « العلم الالهى القديم » و « العلم الانسـانى المحدث » .

واذا كنا قد سبق وأشرنا الى أن ابن رشد قد تصور الذات الالهية « علما خالصا » ، فاننا نزيد هنا فنقول انه رأى أن علاقة هذا العلم القديم بالموجودات هى علاقة الايجاد « اى كان علة لها لا معلولا عنها » (٣١) .

اما علمنا نحن ومعرفتنا فلقد أبصر ابن رشد منذ قرون انها معلولة للوجود ، ونابعة مما يحيط بالانسان من أشياء وحقائق موضوعية مستقلة عن ذهنه وفكره . فلنستمع اليه وهو يتحدث عن تفرقة الفلاسفة المشائين بين العلميـن : القـديم ، والمحدث (بفتح الدال) ، فيقول : انهم « ليس يرون انه (أى الله) لا يعلم الجزئيات فقط على النحو الذى نعلمه نحن ، بل ولا الكليات ، **فان الكليات المعلومة عندنا معلولة أيضا عن طبيعة الوجود** ، والامر فى ذلك (أى فى العلم القديم) بالعكس » (٣٢) وهو موقف جدير بالاهتمام والابراز ، وذلك لانه اذا كان علم الانسـان ومعرفته ، سواء منها ما هو كلى أو جزئى ، انما ينشأ عن الوجود والموجود ، وهى معلولة لـه وصادرة عنه ، فمعنى ذلك أن الوجود الموضوعى للاشياء انما هو أمر سابق لوجودها فى الاذهان ، وأن ابن رشد قد حدد هنا موقفا واضحا وحاسما من قضية العلاقة بين « الفكر » و « المادة » يعطى السبق والاولية فى الوجود والتأثير للـوجود الموضوعى للموجودات .

وهو يزيد هذه المقالة حسما ، ويدعمها بدليل جديد عندما يتحدث عن أن علمنا ومعارفنا انما تتطور وتتغير بتغير الموجودات الموضوعية « وذلك أن علمنا معلول للمعلوم به ، فهو محدث بحدوثه ، ومتغير بتغيره » (٣٣) وذلك لان « وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا » (٣٤) وأن تغير علمنا انما هو حتمى عندما تتغير الموجودات الموضوعية « لان حدوث التغير فى العلم عند تغير الموجود انما هو

---

(٣٠) ابن رشد (تلخيص الخطابة) . ص ١٤٠ ، ١٤١ . تحقيق د . محمد سليم سالم . ط القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
(٣١) ابن رشد . (ضميمة فى العلم الالهى) ص ٢٩ . ط صبيح « ضمن مجموعة » .
(٣٢) فصل المقال . ص ١١ .
(٣٣) المصدر السابق . ص ١١ .
(٣٤) ضميمة فى العلم الالهى . ص ٢٨ .

شرط في العلم المعلول عن الموجود ، وهو العلم المحدث » [٣٥] .

بل اننا لنجد لابن رشد صياغات نظرية جيدة في امتيازها ووضوحها يتحدث فيها عن العلاقة علاقة التفاعل ، ما بين « الفكر » و « العمل » وذلك عندما يتحدث عن الغايات التي من اجلها يقدم أهل « المشورة » مشورتهم ، وكيف أن هذه الغايات انما هي نتائج الأفكار وثمرة العمل ، وكيف أن « الاشياء » النافعة انما هي مقدمات للأفكار فيقول : «ومن أجل ان المشير انما عرضه المقدم في فكره هو أن يشير بالشيء النافع الذي تلزم عنه واحدة واحدة من هذه الغايات . وذلك أن هذه **الغايات هي أول الفكرة وآخر العمل ، والأشياء النافعة هي آخر الفكرة وأول العمل** ، واعني بأول الفكر النتيجة ، وبآخر الفكر المقدمات » (٣٦) .

وهذه النصوص التي أشرنا اليها ، والتي أوردنا بعضها ، وان تكن قليلة ، الا أن وضوحها وخصبها ، انما يجعلنا نؤكد ، ونحن على ثقة مما نقول : ان ابن رشد قد وضع لنا اساسا متينا لنظرية متقدمة في المعرفة ، وهي مازالت تنتظر منا البلورة والتطوير والاستكمال .

ب ــ موقفه من السياسة

والحديث عن موقف ابن رشد من السياسة ونشاطاته في هذا الميدان ، واهتماماته بهذا اللون ، وان تكن قد أهملت دراستها من قبل عديد من دارسيه ، الا ان هذا الاهمال لا يمكن ان يعكس ضيقا في حيز النشاط الذي بذله ابن رشد في نطاقها ، ولا قلة في الافكار السياسيه التي خلقها لنا وحفظتها آثاره التي بين أيدينا ، على الرغم من انها لا تمثل كل ما خلف لنا من آثار .

واذا كانت الدراسة المتخصصة في هذه الجزئية من جزئيات افكار ابن رشد ونشاطاته ، تستطيع ان تقدم الكثير من الصفحات ، بل والفصول عن فكره السياسي ومواقفه السياسية ، فان هذا الحيز الذي نقدم فيه هذا الحديث يسمح لنا أن نسوق ، فقط ، بعض الاشارات في عدد من النقاط :

● فابن رشد قد ألف في السياسة ، وترك لنا آثارا أوقف الحديث فيها ، أساسا ، على الفكر السياسي ، وذلك مثل شرحه لجمهورية افلاطون وجوامع سياسة افلاطون . وسواء أكان هذا النص الذي استخدمه هو لافلاطون ام لارسطو أم خليط من نصوصهما ، الا انه حديث في السياسة يعكس اضافة ابن رشد وآراءه . كما انه قد شرح عقيدة الامام المهدي محمد بن تومرت ، امام دولة الموحدين ، وهي عقيدة ، بسبب من ان صاحبها « مهدى » ومؤسس دولة ذات جانب سياسي ملفت للانظار ، كما انه قد كتب حول الامامة ، وفي مخطوطه بمكتبة « الاسكوريال» باسبانيا ، حديث عن بعض مؤلفات ابن رشد ، نجد فيها ذكر احدى مقالاته التي يوحي اسمها ، رغم عدم وضوحه بالكامل ، انها في هذا الموضوع ، موضوع السياسة ، وهي : « مقالة في كيفية دخوله في الامر ... جل من علوم الامام » .

● كما ان ابن رشد قد أفاض في كثير من ثنايا شروحه على أرسطو وتلخيصاته لآثاره في الحديث عن الامور السياسية . ونحن نجده ، مثلا يتحدث عن أنواع السياسات ، ويقول أنها « بالجملة اربع : السياسة الجماعية ، وسياسة الخسة ، وسياسة جودة التسلط ، وسياسة الوحدانية ، وهي الكرامية » . ثم هو يرى أن الهدف من السياسة دائما انما هو تنظيم شئون المجموع لا الفرد « **وهذه السياسات كلها المقصود بالسنن الموضوعة فيها ، انما هو المدينة والكل لا الشخص** » ، وبعد ان يتحدث عن كل نوع من انواع هذه السياسات ، ويقول أن « الجماعية هي التي تكون الرياسة فيها بالاتفاق والبخت (الانتخاب) ... اذ كان ليس في هذه المدينة لاحد على احد فضل» وان سياسة «خسة الرياسة هي التي يتسلط فيها المتسلطون على المدنيين بأداء الاتاوة والتغريم ... على جهة أن تحصل الثروة للرئيس الاول » وان سياسة « جودة التسلط هي التسلط الذي يكون عن طريق الادب والاقتداء بما توجبه السنة » اي التي تكون القوة فيها للقانون ، وان « وحدانية التسلط هي الرياسة التي يجب الملك ان يتوحد فيها بالكرامة الرياسية ، ولا ينقصه منها شيء بان يشاركه فيها غيره » .

ان ابن رشد الى جانب حديثه هذا عن انواع السياسات ، يزكي بعضها ويشير به ، ويذم بعضها وينفر منه ، فهو يرى في « جودة التسلط » التي يكون « التسلطان فيها للقانون واحكامه النوع » الذي يحصل به صلاح حال أهل المدينة ، والسعادة الانسانية ، ولذلك كان هؤلاء أهل فضائل واقتدار على الافعال التي تصلح المدينة ، وأهل حزم وتحرز مما شأنه ان يفسر المدينة من

---

(٣٥) المصدر السابق . ص ٢٩ .
(٣٦) تلخيص الخطابة . ص ٩٠ .

خارج أو من داخل » وأنه اذا كانت الرياسة فيها للأخيار ذوى الافعال الفاضلة عرفت « بالامامية» وعلى الضد منها تماما « وحدانية التسلط » والانفراد بالسلطان .

ثم نجده يحكم على كل سياسة ، اولها ، بناء على الهدف منها والغاية المبتغاة من ورائهما ، لانه « ليس ينبغى أن يخفى علينا من هذا الذى رسمنا به هذه السياسات غاية كل واحدة منها ، لانا اذا عرفنا الغاية علمنا الاشياء المختارة من أجل الغاية ، **فغاية السياسة الجماعية : الحرية ، وغاية خسة الرياسة ، الثروة ، وغاية جودة التسلط : الفضيلة والتمسك بالسنة ، وغاية الوحدانية ، الكرامة ، أى كرامة الحاكم الفرد**» .

واذا كان قد مدح لنا « جودة التسلط » القائمة على سيادة « السنن والقوانين » وسلطانها ، فانه لاينسى ان يحدد أى نوع من « السنن والقوانين » يحبذ ويريد ، وذلك عندما يقول ان « السنن النفيسة الخطيرة هى السنن العادلة ، اعنى الموضوعة فى العدل » . بل انه يذهب الى ماهو أبعد فى العمق والعبقرية عندما يقول ان مفهوم العدل يختلف من سياسة الى اخرى باختلاف الهدف من هذه السياسة ، لان « هذه السنن النفيسة ، اعنى السنن العادلة ، تختلف فى السياسات بحسب اختلاف غايتها .. مثال ذلك أن العدل فى سياسة التغلب ، انه لاشىء على الرئيس اذا لطم المرؤوس ، وفى سياسة الحرية ، العدل فى ذلك ان يلطم الرئيس اللطمة التى لطمها» اى أن العبرة بالمضمون ، مضمون القانون وكيف يطبق لابالنصوص والشعارات والصياغات .

ثم لاينسى ابن رشد ان يشير ، بمنطقه الجدلى ، الى أنه من الخطأ ان يحسب الانسان أن هذه الانواع من السياسات التى عددها وأشار اليها ، هى منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ، وان الحدود بينها وبين بعضها الاخر واضحة المعالم والتمايز والتمييز ، وذلك **لان « هذه السياسات ... ليس تلفى بسيطة ، وانما تلفى اكثر ذلك مركبة** ، كالحال فى السياسة الموجودة الان ، فانها اذا تؤملت توجد مركبة من فضيلة وكرامة وحرية وتغلب » (٣٧) وهو بذلك يوجه الباحث الى التنقيب عن المضمون والعناصر التى تتكون منها أنظمة الحكم والقواعد التى تقوم عليها السياسات ، ويحذره من الاكتفاء بمجرد معرفة العنوان .

● ولم يكن حديث ابن رشد فى السياسة مقصورا فقط على تعليقاته واضافاته الذكية والمتعددة على شروحه وتلخيصاته ومجاميعه على آثار حكيم اليونان ، بل لقد تعدى الامر الى نطاق التطبيق على ظروف عصره ، وتراث السياسة والحكم عند العرب والمسلمين . ولقد سبق وأشرنا الى ملاحظته الذكية على تقسيمات أرسطو لانواع السياسات ، وكيف أبصر ابن رشد أن التفاعل والعلاقات الجدلية والتداخل بين الانظمة والانواع المختلفة هو سمة السياسة فى عصره وطبائع الانظمة التى ابصرها وتمثلها فى ذلك الحين .

واذا كان ابو الوليد قد عاش فى مجتمع تميز بنفوذ للفقهاء المحافظين غير قليل ، وباستبداد القادة الجند ، مهدت لـه ودعمت من اركـانه الصراعات المسلحة الدائمة التى كانت قائمة بين العرب فى الاندلس وبين أعدائهم فى شمال البلاد ، فانه قد تحدث عن الاضرار السياسية لهذين العنصرين ، « طغيان الكهنة » و « طغيان الجند» واستبدادهم وتعديهم الحدود التى فى اطارها يؤدون للوطن ماعليهم من واجبات ، فهو يتحدث عن أن « طغيان الكهنة هو أسوأ طغيان » وعن أن للجيش اختصاصات محددة يجب أن لا ينحرف عنها أو يتعداها ، اذ « ليس على الجيش واجب غير السهر على حرس الامة » فاذا ماتعدى ذلك ، وتنكر لمسئولياته المقدسة ، واستبد باقتصاديات البلاد ، وأقطعه السلاطين الارض والقرى ، قال ابن رشد « وتعد اقطاعات الجيش آفة الدول» ثم لخص هذه الحالة من الخلل فى المجتمع بكلمته القاسية عندما قال : « وما يحدث لو أكلت كلاب الراعى غنمه ؟ ! » .

أما النموذج الجيد من أنظمة الحكم والسياسة التى يحبذها ابن رشد ويمنحها اعجابه ، فهو النظام الشورى الذى أقامه العرب المسلمون فى شبه الجزيرة العربية قبل أن تسيطر قوانين الاقطاع الاموية على معالم التجربة الاسلامية الثورية البكر . فهو يقول : « وتعد جمهورية العرب القديمة نسخة تامة المطابقة لجمهورية أفلاطون » ثم يدين الحكم المطلق والانقلابات التى جاء بها الاقطاع الاموى بقوله : « وقد أفسد معاوية هذا المثل الاعلى الرائع باقامته حكم بنى أمية المطلق ، وفتح تاريخ الانقلابات التى لم تخرج جزيرتنا من نطاقها » (٣٨) .

● بل أن المحنة الفكرية والاجتماعية والشخصية التى تعرض لها ابن رشد من قبل السلطان فى سنة ١١٩٥ م ، والتى نفى فيها من

---

(٣٧) تلخيص الخطابة . ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(٣٨) ارنست رينان (ابن رشد والرشدية) ص ١٧١،١٧٠ ترجمة عادل زعيتر . ط القاهرة سنة ١٩٥٧ م .

العاصمة ، وأحرقت كتبه ، وحرم على الناس اثناءها دراسة الفلسفة . لتعد هى الاخرى دليلا جيد البرهنة على مكانته فى عالم السياسة ، لا كمفكر فقط ، بل وكقطب من أقطاب النشاط العملى لهذا اللون من ألوان اهتمامات الناس ونشاطاتهم ·

فهو قد كان يومئذ المفكر الكبير صاحب النفوذ فى بلاط السلطان ، والذى عهدت اليه الدولة منذ سنة ١١٦٩ م بانجاز اكبر مشروع فكرى عرفه عصره ، وهو التفسير والتلخيص والتقديم لاثار ارسطو ، ووضعها بين يدى حضارة العرب المسلمين ·

وهو الذى قيل « ان من اسباب نكبته هذه اختصاصه « بأبى يحيى » اخى المنصور ، والى قرطبة » [٣٩] أى انه كان صاحب وجهة نظر . وجزءا من تيار سياسى يعمل على نقل السلطة من المنصور الى اخيه ابى يحيى ، ومن ثم علما من اعلام أحد الاحزاب السياسية المتصارعة على السلطة والسلطان ·

وهو الذى كان يتحدث الى السلطان بثقة وكبرياء مستمدان من مكانته الفكرية ، وعندما يناديه يقول له يا أخى . ويسميه احيانا : «ملك البربر» مما احقد عليه السلطان ، لاغفاله « مايتعاطاه خدمة الملوك ومتحيلو الكتاب من الاطراء والتقريظ وما جانس هذه الطرق » ولانه لم يكن ممن « عرف زمانه فمانه ، وميز مكانه فكانه » (٤٠) كما يقولون ·

بل أن توقيت وقوع هذه المحنة ليعد كذلك دليلا على اشتغال أبى الوليد بأمر السياسة العملية فى مجتمعه ، فهى قد حدثت من جانب سلطان لايعادى علوم القدماء وصناعة الحكمة ، ولكنه كان ذاهبا لقتال الاعداء فى شمال البلاد ، ومن ثم كان فى حاجة الى استرضاء حزب « الفقهاء النصوصيين » وهو حزب كانت له مواقع فكرية ذات صلة وثيقة بمواقف السياسة والادارة والمصالح والصراعات التى تحفل بها البلاد فى ذلك الحين · أما رفع هذه المحنة ورد الاعتبار لابن رشد ، فلقد حدث بعد عودة « المنصور » الى مراكش من رحلة القتال هذه ، وعند ذلك الغيت مراسيم المحنة ، وعادت لابن رشد حظوته ومكانته فى البلاط من جديد (٤١) ·

واذا كان فى ذلك الدليلَ ، كلّ الدليلَ على أن ابن رشد قد كان صاحب موقف سياسى ، سواء فى مجال النظرية أو التطبيق ، فى الصراع الداخلى بمجتمعه فى بلاد المغرب والاندلس ، فان مجموع آراء هذا الفيلسوف الكبير ، ومذهبه المتبلور فى مختلف الفروع الفكرية التى انتج فيها ، لتمثل موقفا سياسيا متعلقا بصراع الحضارات الذى شهده عصره · وعلى أرض الاندلس بالذات ، فالحضارة العربية الاسلامية ، بافقها المستنير وطابعها العقلانى وروحها العلمانية ، كانت تخوض صراعا بلغ حد امتشاق الحسام ضد بقايا التخلف والرجعية وضيق الافق التى كانت تمثلها الرجعية الكنسية فى اوربا ، صاحبة محاكم التفتيش وحرق العلماء وتحريم الطب ، ومنع النوافذ الفكرية من الانفتاح على مختلف تيارات الحياة ، ولقد كان ابن رشد صاحب موقف محدد وواضح من هذا الصراع ، فلقد وقف الى جانب الحضارة العربية الاسلامية العقلانية العلمانية ، ضد الكهنوت والتخلف ، وزود ترسانة الفكر العربى الاسلامى بالعديد من الاسلحة فى هذا الصراع ·

وان مقارنة بسيطة بين موقفه هذا ، وموقف فيلسوف متصوف كبير ، ومعاصر له كمحيى الدين بن عربى [١١٦٥ — ١٢٤٠ م] الذى وقف من الاديان والحضارات والصراعات موقفا ، لا احسبه فى النهاية ، الا مميعا لمعالم هذه الصراعات بينما هو متقدم وما هو رجعى ، والذى يلخص مذهبه فى ذلك بقوله :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبى
اذا لم يكن دينى الى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف
والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالدين دينى وايمانى

كما يقول :

عقد الخلائق فى الاله عقائدا
وانا اعتقدت جميع ماعتقدوه [٤٢]

ولا نحسب الباحث ، رغم اعجابه واعجابنا بشعر ابن عربى ، الا واجدا فى موقفه هذا ، الذى يقبل كل شىء وكل عقيدة وكل موقف ، موقفا يطمس

(٣٩) المرجع السابق . ص ٤٣٨ (نقلا عن سيرة ابن رشد التى كتبها الانصارى) .
(٤٠) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . ص ٣٨٤ .
(٤١) ابن رشد والرشدية . ص ٣٨ .
(٤٢) ابن عربى (فصوص الحكم) . ص ٢٨٩ . تحقيق ودراسة : د . أبو العلا عفيفى . ط القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

معالم التيارات والمعسكرات التى كانت تتصارع فى شبه الجزيرة الايبيرية « الاندلس » فى ذلك الحين ٠٠ وهو موقف متخلف ، ساق ابن عربى اليه أرضية « الذوق » و « الشهود » التى وقف عليها كمتصوف عملاق ، بينما قاد العقل ، اداة الفيلسوف الأولى ، ابن رشد الى موقف محـــدد وواضح المعالم ، الى جانب كل ما هو متقدم وخير فى هذه الصراعات ٠٠ وهو موقف حضارى وثيق الصلة بالسياسة الى حد كبير ٠

جـ ــ موقفه من الحرية

وقبل ابن رشد كان هناك فى الفكر العربى الاسلامى تياران أساسيان اصيلان ، فيما يتعلق بمشكلة الحرية الانسانية : تيار « الاختيار » الذى يقر للانسان بحريته ، ويراه صانع أعماله وحياته وتاريخه ، والمسئول الاول والاخير عن تبعات كل ذلك ، ويمثله فى المدارس الفـكرية المعتـزلة ، أصـحاب العـدل والتـوحيد ، والثـانى : تيار « الجبر » ، الذى يجرد الانسان من قدرته على الاختيار والفعل وينسب افعاله الى الله ، ولقد كان هـذا التيـار « الجبرى » تتـوزعه مدرستان ، تغالى احداهما فى الجبر ، فتـرى الانسان كالريشة المعلقة فى مهب الريح ، لا حيلة لها فى الميل فى أى إتجاه من الاتجاهات ، وتخفف المدرسة الجبرية الثانية من صياغاتها للقضية ، فتنسب للانسان فعلا على سبيل المجاز ، وتنسب حقيقة هذا الفعل الى الله ، وتسمى تضييب الانسان فى ذلك « بالكسب » . ولكن تتبع المعتزلة لحجج هذه المدرسة « الجبرية المتوسطة » ، واثبـاتهم ان « الكســب » هو لفظ لا معنى له ولا حـقيقة لوجوده فى هذا المقام ، قد اكد أن أرض الجبرية واحدة ، وموقفهم فى النهاية واحـد ، وأن الاشاعرة ، وهم جبرية متوسطة ، وكذلك غلاة الجبرية ، يجمعهم جميعا موقف معاد لحـرية الانسان ، ونابع من افكارهم فعالية الاسباب ، وعلاقة المسببات بالاسباب ٠

واذا كان ابن رشد قد هاجم المجبرة عموما ، وأفرد لتفنيد حجج الامام الغزالى كتابا مستقلا ، وهو من ائمة الاشاعرة ، فان موقفه من قضـية الحرية لم يكن فى اطار مدرسة الاعتزال ، كمـــا حددته هذه المدرسة خلال عدة قرون ، فلقد اختلف معهم ابن رشد ، جزئيا ، فى هذا الموضوع ٠

فنحن نجده يفرق ما بين « الارادة » المنبعثة عن داخل الانسان ، والصادرة عن شوق للفعل أو الترك ، نابع من تخيل أمر ما أو تصديقه ، وبين تحقيق هذه « الارادة » فى الواقع والتطبيـق ، فالانسان حر مختار فى الارادة ، أما تطبيـق الارادة وفعل المراد فهو محكوم بما يحيط بالانسان من ظروف موضوعية وحقائق مـادية فـى الحياة(٤٣)

بل ان هذه الارادة المنبعثة من الداخل قد رآها ابن رشد ثمرة لعاملين : احدهمـــا داخلي مرتبط بالتكوين الذاتى للانسان ، والثـانى انعكاس للظروف الخارجية المحيطة بالانسان المريد(٤٤)

واذا كانت هذه « القيود » و « الالزامات » التى رآها ابن رشد مثقلة لارادة الانسان الحر المختار ، انما ترجع أساسا للوزن الذى أعطاه للظروف الموضوعية المحيطة بالانسان المريد ، والتى أيمان ابن رشد المطلق بالعلاقة القائمة بين الاسباب والمسببات ، فانه لا يمكن أن نتوهم أن موقفه هذا « يقترب من حل الاشاعرة » لهذه القضية ، وأن نظرته هذه « تقترب من نظرة الاشعرى والغزالى »(٤٥) كما تصور ذلك بعض الدارسين ، لان « القيود » التى أبصرها ابن رشد على حرية الانسان انما تنبع من ابصاره لفعاليات الظروف الموضوعية على تصرفاته ، وعلاقة الاسباب بالمسببات ، بينما « الغاء » الاشاعرة ، عمليا ، لحرية الانســـان ، نابعة من افكارهم ، فعاليات الاسباب وعلاقاتها بالمسببات ، فهما على طرفى نقيض ٠

ولعل الذى زحزح ابن رشد جزئيا ، عن أرض المعتزلة ، بصدد هذه القضية الهامة ، انما هو الوزن الكبير ، نسبيا ، الذى أعطاه للظـروف المحيطة بالانسان ، على حساب حرية هذا الانسان وقدرته على الفعل والاختيار ، وهو الذى قربه كثيرا من أصحاب « الحتمية فى الطبيعة »(٤٦)

فهو لم يكن معتزليا تماما ، وأن كنت أعتقد ان شقة الخلاف بينهم وبينه فى هذا الباب من الممكن أن تضيق جدا بعد دراسة مقارنة ما بين « الاسباب الموضوعية » المؤثرة على حرية الانسان ، عند ابن

---

(٤٣) مناهج الادلة فى عقائد الملة . ص ٢٢٢ ــ ٢٣٢ .
(٤٤) المصدر السابق . ص ٢٢٦ .
(٤٥) عبده الحلو (ابن رشد فيلسوف المغرب) ص ٨١ ، ٨٢ . ط بيروت سنة ١٩٦٠ م .
(٤٦) مناهج الادلة فى عقائد الملة . ص ٢٢٦ .

رشد ، وما بين « الالطاف » الالهية عند مدرسة الاعتزال(٤٧) · كما أن ابن رشد قد رفض الموقف الاشعرى بكل اصرار ، عندما رأى ان « الانسان ليس مختارا مطلقا ، ولامقدرا عليه مطلقا ، اى ان الاختيار تام غير مقيد فى النفس ، وانما هو محدد بقدر الاحوال الخارجية ، وتكون العلة الفاعلة لاعمالنا فى أنفسنا ، ولكن العلة الموجبة خارجة عنا »(٤٨) · وهو موقف متميز ، واضافة من اضافات ابن رشد الى فكرنا السياسى الذى اغناه بكثير من الاجتهادات ·

د ـ موقفه من المرأة

أما عن موقفه من المرأة ، ومن رأى المجتمع فيها ، ونظرة الرجل اليها ، وقضية تحررها من القيود التى تراكمت على فعاليتها وضميرها بمرور القرون والحضارات ، فانه موقف بالغ درجة قصوى من العمق والنضوج ·

فهو يفرق ما بين الاختلافات « الطبيعية » وما بين الاختلاف فى « الدرجة » بين من يتفقون فى « الطبيعة الواحدة » ، ويرى أن للانسان ، رجلا كان أو امرأة ، « طبيعة واحدة » ، وأن الاختلاف بينهما انما هو فى « الدرجة » فقط ، وأنه اذا كانت هذه الاختلافات فى « الدرجة » قد جعلت للرجل امتيازا فى بعض المجالات فانها قد جعلت للمرأة ميزات تفوقت بها عليه فى أنحاء أخرى ، وذلك عندما يقول : « وتختلف النساء عن الرجال **درجة لا طبيعة** ، وهن اهل لكل ما يفعل الرجال من حرب وفلسفة ·· الخ ·· الخ ·· ولكن على درجة دون درجتهم ، وهن يفقنهم احيانا كما فى الموسيقى »(٤٩)

أما عن الاوضاع المزرية التى هبطت اليها المرأة فى عصره الاقطاعى ، فانه يرى أن سببها ميراث حالة من العبودية دامت قرونا طويلة ، وهى حالة **اجتماعية** ومن ثم فان تغييرها هو أمر ممكن بل ان ابن رشد يدعونا الى هذا التعبير عندما ينبه على أن وضع المرأة هذا انما هو سبب فى « البؤس الذى يلتهم مدننا » لسبب كثرة النساء العاجزات عن الاسهام فى الحضارة بما يمكن أن يكون لديهن من قدرات وامكانيات ، وليس هذا فحسب ، بل لقد تحولن الى عبء على كد الرجال وكسبهم ، وهو فى هذا الباب يقول : « لا تدعنا حالنا الاجتماعية نبصر كل ما يوجد فى امكانيات المرأة ، ويظهر انهن لم يخلقن لغير الولادة وارضاع الاولاد · وقد قضت هذه الحال من العبودية فيهن على قدرة القيام بجلائل الاعمال ، ولذا فاننا لا نرى بيننا امرأة مزينة بفضائل خلقية ، وتمر حياتهن كما تمر حياة النباتات ، وهن فى كفالة أزواجهن أنفسهم ، ومن هنا أيضا أتى البؤس الذى يلتهم مدننا ، وذلك أن عدد النساء فيها ضعف عدد الرجال ، ولا يستطعن كسب الحاجى بعملهن »(٥٠)

وهذا موقف من أعمق المواقف الفكرية التى تناولت قضية المرأة وتحريرها منذ عدة قرون ، وربطتها بالانتاج والاقتصاد ، وهو دليل على شمول الموقف الرشدى لانحاء كثيرة من المجتمع ، واسهامه اسهامات هامة فى محاولات التغيير والتقويم والاصلاح لحياة الناس ومجتمعهم فى ذلك الحين ·

٤ ـ ابن رشد بين الشرق والغرب ··

فى الصراع الفكرى المرير الذى شهدته العصور الوسطى بين الرجعية الكنسية فى أوربا وبين الاتجاه العقلانى العلمانى فى البحث والتفكير ، كانت حملات الرجعية لا تفتا تصب وتوجه ضد ابن رشد وآرائه ، باعتباره الروح التى بعث من خلالها ارسطو ، وصاحب الاضافات الخلاقة التى تمجد العقل وتستنكر الخرافة وتعلى من قدر الانسان ·

وعندما سادت العالم العربى والاسلامى روح التعصب التركى وضيق الافق العثمانى ، اخذت الدوائر الفكرية الرسمية من ابن رشد نفس الموقف ، وامتدت على طول الجبهة الفكرية العائية خطوط المواجهة ما بين فلسفة أبى الوليد العقلية وبين الرجعيين ورجال الكهنوت ·

وليس غريبا أن يكون كتاب (خنجر الايمان) الذى الفه « ريمون المرتينى » ضد الاسلام ونظراته العقلية ، وضد العروبة وحضارتها ، ولا سيما

---

(٤٧) القاضى عبد الجبار بن احمد الهمذانى (المغنى فى أبواب التوحيد والعدل) ج ١٣ · تحقيق د · أبو العلا عفيفى ، القاهرة ·
(٤٨) ابن رشد والرشدية · ص ١٦٩ ·
(٤٩) المرجع السابق · ص ١٧٠ ·
(٥٠) المرجع السابق · ص ١٧١ (والنص منقول عن « طبيعيات » ابن رشد · ص ٥٠١) ·

نظريات ابن رشد ، تكاد براهينه كلها أن تكون « مقتبسة من الغزالى ، وذلك نقوله : انه يحسن تفنيد الفلاسفة بفيلسوف » (٥١)

وليس غريبا أن تقف « باريس » و « الاستانة » لعدة قرون نفس الموقف من مؤلفات ابن رشد وآرائه ونظرياته . فتقف الاولى متزعمة الحملة ضد أبى الوليد :

● فيحرم مجلس أساتذة دراسات اللاهوت المسيحى فى سنة ١٢٦٩ م برئاسة «اتيان تانبيه» على الناس ثلاثعشرة قضية ،جميعها منقضايا فلسفة ابن رشد(٥٢) .

● ويشهد نفس القرن احراق كتبه وتحريم تدريس آثاره العقلية فى جامعة باريس (٥٣) .

● وتتزعم حملة من الهجوم على ابن رشد وفلسفته بواسطة اللوحات « الفنية » التى أخذت تشهدها الكنائس ، و « يبدعها الفنانون » مثل لوحة « اندره اركانيا » سنة ١٣٣٥ م ، ولوحة « بوفلماكو » ، ولوحة « فرنسسكو ترينى » سنة ١٣٤٠ م ، وغيرهم من الرسامين (٥٤) .

● ويمر قرن منالزمان (١٤٨٠ ـ ١٥٨٠ م) فلا تطبع فيه باريس لابن رشد سوى كتاب واحد، بينما تطبع « ليون » وحدها اعماله الكاملة خمس طبعـات خـلال ثمانية عشر عاما [١٥٢٤ ــ ١٥٤٢ م] » .

فاذا جاء دور «الاستانة» ، عاصمة آل عثمان، وجدناها لا تعرف ابن رشد ولا تحفل به ، ولاترى فيه محافلها الفكرية مايستحق الدرس أو الذكر أو التنويه :

● فهى تصنع معه ما صنعه « ابن خلكان » و « الصفدى » و عبد اللطيف البغدادى » عندما أغفلوه وتحاشوا ذكره فى تآليفهم عن عظماء رجال الاسلام .

● وهى لا تطبع له كتابا واحدا خلال قرون عدة تربعت فيها على قلب الزعامة للعـرب والمسلمين .

● فاذا ما أرخ مؤرخها الفذ « حاجى خليفة » للفكر العربى الاسلامى فى « ببيليو جـرافيته » القيمة (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) لم نجد ذكر ابن رشد الا بطريق العرض فى موضعين :

ا ـ عندما جاء ذكر أرجوزة « ابن سينا » فى الطب ، قال ان ابن رشد شرحها .

ب ـ وعندما عرض لكتاب الغـزالى (تهافت الفلاسفة) تحدث عنه فى ١٣٢ سطرا ، وأشار الى رد ابن رشد عليه فى (تهافت التهافت) فى ستة أسطر فقط لا غير ؟ ! [٥٥] .

وليس ذلك بالغريب على « باريس » مهد النشاط الكنسى المعادى للحضارة العربية والمؤجج لنار الحروب الصليبية ــ ولاهو بالغريب على عاصمة التخلف والرجعية التى حكم منها العثمانيون .

وكما رأينا الحملات الشـديدة القسـوة والاتهامات الباطلة التى وجهتها الاوسـاط الرجعية الكنسية فىأوربا ضد فلسفة ابن رشد ، فاننا نجد نفس النغمات ترددها أوساط شرقيـة ، بصرف النظر عن اختلاف المذاهب والحضارات ، فيرى البعض فيه منكرا لعالم ما بعد الموت وما فيه من ثواب وعقاب ، كما يرى فيهالبعض « آبعد فلاسفة العرب عنالاسلام بعد أبى العلاء » . (٥٦) ومنهم من رأى فيه فيلسوفا ماديا ملحدا منكرا لكل الاديان (٥٧) .

ولكن ابن رشد قد وقفت الى جواره ، ودافعت عنه وعن فلسفته قوى كثيرة آمنت بالعقل وناضلت من أجل سيادة معاييره ومعطياته . سواء فى آوربا أو فى بلاد العرب المسلمين ..

ففى كثير من المدن الاوربية طبعت أعمال ابن رشد ، وخاصة شروحه على أرسطو ، طبعـات كثيرة ومتعددة ، لم تشهد العربية ما يقاربها أو يدانيها بالنسبة لهذه المؤلفات .

وفى قلب المجتمعات الاوربية قامت ونمت تلك الحركة الفكرية التى بذرت بذور عصر النهضة، والتى صارعت فكريات العصور الوسطى . وهى الحركة التى اتخذت من آبى الوليد قائدا لها ،

---

(٥١) المرجع السابق . ص ٢٥٨ .
(٥٢) المرجع السابق . ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٥٣) ابن رشد فيلسوف المغرب . ص ٨٧ .
(٥٤) ابن رشد والرشدية . ص ٣١١ ــ ٣١٦ .
(٥٥) كشف الظنون . جـ ١ ص ٦٣ ، ٥٠٩ ــ ٥١٣ .
(٥٦) الاب يوحنا قمر (ابن رشد) جـ ٢ ص ٢٢ ، ٣١ ط .بيروت .
(٥٧) فرح أنطون (ابن رشد وفلسفته) ط الاسـكندريةسنة ١٩٠٢ م .

والتى عرفت باسم « الرشديين اللاتين » ، والتى نسبت حتى آراءها الخاصة ، فى بعض الاحيان ، لمذهب أبى الوليد .

بل اننا نجد الحركة الدينية التى مثلتها « المدرسة الفرنسسكانية » ، والتى وقفت فى الطرف الاخر من « الحركة الدمينيكانية » ،نجدها تتبنى الفلسفة العربية وتحتضن الكثير من قضايا ابن رشد ، وتنازل فى سبيل ذلك « غليوم الافرنى » و « البـرت الـكبير » [١٢٠٦ — ١٢٨٠ م] والقديس « توما الاكوينى » (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤ م) وغيرهم من متكلمى اللاهوت المسيحى فى القرن الثالثعشر الميلادى . وهى ـ وذلك هوالاهم ـ قد عكست فى نشاطها العملى روح الحضارة العربية ، فارتبطت باصول شعبية ، ونمت فى صفوفها الافكار الديمقراطية ، وعلاقات « الاخاء والمســاواة » ، واهتمت بجمـاهير الفقـراء والمستضعفين ، مما يعطى الصراع بين أنصار ابن رشد وخصومه أبعادا اجتماعية تحتاج الى مزيد من الدراسة والاستيعاب .

وعلى الجبهة العربية الاسلامية ، نجد سنوات عصر البعث والاحياء فى القرن التاسع عشر ، تشهد عودة اسم أبى الوليد ابن رشد وبعض كتبه الى مجرى الفكر العربى الاسلامى .

كما نجـد تعـاطف جمـال الديـن الافغـانى [١٨٣٩ — ١٨٩٧ م] مع فلسـفته وملاحظاته الذكية عن دوره فى الفكر العربى الاسـلامى [٥٨] ومعـه ومن بعده يقف نفس الموقف ، وبجلاء أوضـح ، الشيـخ محمـد عبده (١٨٤٣ ـ ١٩٠٥ م) فى دفاعه عن أبى الوليد (٥٩) .

الا أن الانصاف والموضوعية ، وتبعتهما التى يحملها ضمير المثقف العربى ، لا يمكن أن تجعلنا نستشعر الرضى عن أنفسنا قبل أن نرى الاعمال الكاملة لابن رشد فى المكتبة العربية وبين يدى مفكرينا ومثقفينا ، تذكى فيهم الروح العقلى ، وتنمى فيهم التيار العلمى ، وتستحث خطاهم الى ارتياد المجهول واقتحام المناطق الفكرية البكر واستخراج المجهول من المعلوم ، ذلك لان الدور الذى مثلته أفكار ابن رشد ، والعبء الذى نهضت به فى عصر الاحياء الاوربى لا زلنا فى انتظار اتاحة الفرصة لابن رشد كى يقوم به فى حضارتنا المعاصرة حتى الان .

وقديما ، وعندما أخذت أوربا تتحسس خطاها نحو عصر النهضة ، اتخذت من ابن رشد قائدا واماما ، حتى اذا ما أخذت فى النضج وأحست بالاستقلال الفكرى والحضارى ، تخطت ابن رشد وشروحه على أرسطو ، وعادت تغترف من المنابع الاصيلة لليونان والاغريق ،وبشكل مباشر دون ما واسطة من العرب أو الهلينيين ، ووجدنا من يكتب فى القرن السادس عشر ، فى تقديمه لاعمال ابن رشد ، قائلا : « كان أجدادنا لا يجدون أمرا بارعا فى الفلسفة أو الطب الا والعرب مصدره ، أما جيلنا فيدوس على علم العرب ، ولا يعجب بغير ما يستخرج من كنوز اليونان ، ولا يعبد غيـر اليونان ، وهو لا يريد غير اليونان أساتذة فى الطب والفلسفة والبرهنة » [٦٠] .

وعلى الرغم من أن كاتب هذه الكلمات انما كان ينقذ ذلك الغلو فى التعلق المباشر باليونان ،الا انه قد عكس لنا صنيع ذلك الجيل من الاوربيين .

ونحن اليوم لا نريد أن ندوس علم أوربا ، ولا أن نرفض ما فى حضارتها من جوانب ايجابية متقدمة وعملاقة ، ولا أن نتعصب لتراثنا تعصبا اعمى،يلهينا عن نقده وفرزه ،والتمييز مابين الطيب وغير الطيب من صفحاته وكنوزه ،وانما الذى نريده هو أن **نصـل عصر بعثنا واحيائنا الراهن بعصر حضارتنا الذهبى** ، والذى كان ابن رشد كوكبا من ألمع كواكبه ،وعلما من اكثر اعلامه وضوحا وجلاء وتأثيرا فى عقل الانسانية جمعاء ، لان ذلك هو الضمان لثبات خطانا على الدرب ، ولصنع «النكهة الخاصة » بحضارتنا ، ولجعل الجماهير العربية تواكب فكرنا العلمى والفلسفى الذى لابد لمثقفينا ومفكرينا من اشاعته فى صفوف الجماهير .

٥ ـ حيـاة ابن رشد فى سـطور . . .

● هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن احمد بن رشد .

● ولد سـنة ١١٢٦ م [٥٢٠ هـ] فى مدينة « قرطبة » بالاندلس ، وكانت اسرتــه ذات نفوذ سياسى وعلمى وادارى كبير ، وكان جده قاضيا لقرطبة ، ومن كبـار فقهــاء المذهب المـالكى ، وصــاحب محاولات فى التوفيق ما بين الحكمة والشريعة .

● درس الطب على أبى جعفر هارون ، وأبى

(٥٨) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . ص ١٠٥ دراسة وتقديم محمد عمارة . ط القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
(٥٩) مجلة (المنار)سنة ١٩٠٣ م . سلسلة مقالات الشيخمحمد عبده التى رد بها على فرح أنطون حول فلسفة ابن رشد
(٦٠) ابن رشد والرشدية . ص ٣٩١(والكلمات لتوما جيونتا)سنة ١٥٥٢ م .

مروان بن جربول البلنسى ، واستفاد فى الفلسفة من ابن باجة وابن طفيل .

● وبرع كذلك فى علم الكلام ، وتعد آثاره الكلامية الثلاثة ، (تهافت التهافت) و (مناهج الادلة) و (فصل المقال) أبرز آثار عصره فى هذا الباب .

● بدأ التأليف والكتابة عندما بلغ السادسة والثلاثين من عمره .

● تولى قضاء « أشبيلية » سنة ١١٦٩ م ، ثم تولى منصب قاضى القضاة — وهو يعادل منصب وزير العدل — بقرطبة سنة ١١٧١ م .

● حل محل ابن طفيل عندما تقدمت به السن فى بلاط مراكش كطبيب خاص للسلطان سنة ١١٨٢ م .

● استمرت علاقته بالسلطان المنصور أبو يوسف يعقوب بعد وفاة أبيه السلطان أبو يعقوب سنة ١١٨٤ م .

● حدثت محنته سنة ١١٩٥ م ، فنفى الى مدينة « اليسانة » على مقربة من قرطبة مع عدد من المشتغلين بالحكمة والعلوم ، واحرقت كتبه ، وحرمت على الناس دراسة الفلسفة ، ولكن هذه المحنة لم تستمر طويلا ، فعاد ثانية الى بلاط السلطان ، كما عادت للفلسفة مكانتها الاولى .

● توفى فى أول دولة « الناصر » ، فى ١١ ديسمبر سنة ١١٩٨ م ، وحمل جثمانه من مراكش الى بلاد الاندلس ، على ظهر جمل ، الجثمان فى ناحية ، وفى الاخرى آثاره وكتبه ومؤلفاته .

٦ — مؤلفاته وشروحه على ارسطو . . .

أن نظرة على قائمة مؤلفات ابن رشد ، وشروحه الكبيرة والمتوسطة ، وتلخيصاته لاعمال ارسطو ، لتبرز لنا ذلك الوصف الذى شاع عنه فى الغرب ، وصف « الشارح الاكبر » للمعلم الاول ، ذلك لان الاغلبية الساحقة من اعماله ، انما هى حول اعمال حكيم اليونان ، وان تكن هذه الاثار قد امتلأت باضافات ابن رشد ، وحملت طابعه ، وتجلى فيها بمزاجه المتميز ، وغدت تجسيدا لعصره وحضارته فى كثير من الصفحات .

ولعل هذه القائمة التى نقدمها الان ، هى أولى المحاولات الحديثة التى اهتمت بتجميع هذه الاعمال وتصنيفها ، كما انها أولى المحاولات جميعا ، القديم منها والحديث ، التى حصرت ، بقدر الامكان ، كل أعمال أبى الوليد .. وهى :

اولا : فى الفلسفة والعلوم الالهية :

١ — تفسير ما بعد الطبيعة .
٢ — تعليق على برهان الحكيم .
٣ — تعليق المقالة السابعة والثامنة من السماع الطبيعى .
٤ — تعليق ناقص على اول برهان أبى نصر .
٥ — تلخيص الاثار العلوية .
٦ — تلخيص الحس والمحسوس
٧ — تلخيص الخطابة .
٨ — تلخيص السماع الطبيعى .
٩ — تلخيص شرح أبى نصر .
١٠ — تلخيص كتاب السماء والعالم لارسطو طاليس .
١١ — تلخيص كتاب المقولات .
١٢ — تلخيص كتاب الاخلاق لارسطو طاليس .
١٣ — تلخيص كتاب أرسطو فى المنطق .
١٤ — تلخيص كتاب البرهان لارسطو طاليس .
١٥ — تلخيص كتاب نيقولا لاوس
١٦ — تلخيص كتاب النفس .
١٧ — تلخيص الكون والفساد .
١٨ — تلخيص ما بعد الطبيعة .
١٩ — تلخيص مدخل فورفريوس
٢٠ — تهافت التهافت .
٢١ — جوامع الخطابة والشعر
٢٢ — جوامع الحس والمحسوس والذكر والتذكر والنوم واليقظة والاحلام وتعبير الرؤيا لارسطو .
٢٣ — جوامع السماع الطبيعى
٢٤ — جوامع فى الفلسفة .
٢٥ — جوامع كتب أرسطو طاليس فى الطبيعيات والالهيات
٢٦ — جوامع ما بعد الطبيعة .
٢٧ — الخطابة لارسطو .
٢٨ — رسالة الاتصال .
٢٩ — رسالة التوحيد والفلسفة
٣٠ — السماء والعالم
٣١ — شرح جمهورية أفلاطون .
٣٢ — شرح رسالة إتصال العقل بالانسان لابن الصايغ .
٣٣ — شرح السماء والعالم .
٣٤ — شرح السماع الطبيعى .
٣٥ — شرح عقيدة الامام المهدى [ابن تومرت] .
٣٦ — شرح كتاب البرهان .
٣٧ — شرح كتاب القياس لارسطو طاليس .
٣٨ — شرح كتاب النفس .
٣٩ — شرح ما بعد الطبيعة .
٤٠ — شرح مقالة الاسكندر فى العقل .
٤١ — حتميمة فى العلم الالهى .
٤٢ — فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .
٤٣ — فى الجرم السماوى .
٤٤ — كتاب التحصيل .
٤٥ — كتاب جوامع سياسة أفلاطون .
٤٦ — كتاب الحيوان .
٤٧ — كتاب الضرورى فى المنطق .
٤٨ — كتاب على مقولة اول كتاب أبى نصر .

٤٩ ـ كتاب فى الفحص هل يمكن للعقل الذى فينا ، وهو المسمى بالهيولانى ، أن يعقل الصور المفارقة او لا يمكن ذلك ؟ .
٥٠ ـ كتاب فى الفحص عن مسائل وقعت فى العلم الالهى فى كتاب الشفاء لابن سينا .
٥١ ـ كتاب فيما خالف أبو نصر لارسطو طاليس فى كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البرهان والحدود .
٥٢ ـ كتاب المقدمات .
٥٣ ـ كتاب النفس .
٥٤ ـ كلام على قول ابى نصر فى المدخل ، والجنس والفصل يشتركان .
٥٥ ـ كلام على مسألة من السماء والعالم .
٥٦ ـ كلام له على الحيوان .
٥٧ ـ كلام له على المحرك الاول
٥٨ ـ كلام له على حركة الجرم السماوى .
٥٩ ـ كلام آخر عليه [الجرم السماوى] أيضا .
٦٠ ـ كلام له على رؤية الجرم الثابت بأدوار .
٦١ ـ الكون والفساد .
٦٢ ـ كيفية وجود العالم فى القدم والحدوث .
٦٣ ـ ما بعد الطبيعة .
٦٤ ـ ما يحتاج اليه من كتاب اقليدنو [كذا] فى المجسطى .
٦٥ ـ مختصر كتاب المستصفى للغزالى .
٦٦ ـ مختصر المجسطى .
٦٧ ـ مسألة فى أن الله تبارك وتعالى يعلم الجزئيات .
٦٨ ـ مسألة فى علم النفس سئل عنها فأجاب فيها .
٦٩ ـ مسألة فى الزمان .
٧٠ ـ مسائل فى الحكمة .
٧١ ـ مسائل فى المنطق .
٧٢ ـ المسائل الطبولية .
٧٣ ـ المسائل على كتاب النفس
٧٤ ـ المسائل المهمة على كتاب البرهان لارسطو طاليس
٧٥ ـ مقالة فى العقل .
٧٦ ـ مقالة فى البذور والزرع .
٧٧ ـ مقالة فى علم النفس .
٧٨ ـ مقالة أخرى فى علم النفس .
٧٩ ـ مقالة فى القياس .
٨٠ ـ مقالة فى المزاج المعتدل .
٨١ ـ مقالة فى اتصال العقل المفارق بالانسان .
٨٢ ـ مقالة ثانية فى اتصال العقل المفارق بالانسان .
٨٣ ـ مقالة فى التعريف بجهة نظر أبى نصر فى كتبه الموضوعة فى صناعة المنطق التى بأيدى الناس ، وبجهة نظر أرسطو طاليس فيها .
٨٤ ـ مقالة فى جوهر الفلك .
٨٥ ـ مقالة فى نسخ شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه فى وجود المادة الاولى ، وتبيين ان برهان أرسطو هو الحق المبين .
٨٦ ـ مقالة فى الرد على ابن سينا فى تقسيمه الموجودات الى ممكن على الاطلاق ، وممكن بذاته وواجب بغيره ، والى واجب بذاته .
٨٧ ـ مقالة فى حركة الفلك .
٨٨ ـ مقالة فى القياس الشرطى
٨٩ ـ مقالة فى الجرم السماوى
٩٠ ـ مقالة أخرى فى الجرم السماوى .
٩١ ـ مقالة أخرى فى الجرم السماوى أيضا .
٩٢ ـ مقالة فى المقول على الكل .
٩٣ ـ مقالة فى المقدمة المطلقة .
٩٤ ـ مقالة فى أن ما يعتقده المشاؤون ، وما يعتقده المتكلمون من اهل ملتنا فى كيفية وجود العالم متقارب فى المغنى .
٩٥ ـ مقالة فى وجود المادة الاولى .
٩٦ ـ مقالة فى الوجود السرمدى والوجود الزمانى .
٩٧ ـ مقالة فى كيفية دخوله فى الامر .... جل من علوم الامام [١] .
٩٨ ـ مناهج الادلة فى عقائد الملة

ثانيا : فى الفقه :

٩٩ ـ كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

ثالثا : فى الطب :

١٠٠ ـ تلخيص الاعضاء الآلة .
١٠١ ـ تلخيص اول كتاب الادوية المفردة لجالينوس
١٠٢ ـ تلخيص الاسطقسات لجالينوس .
١٠٣ ـ تلخيص العلل والاعراض لجالينوس .
١٠٤ ـ تلخيص القوى الطبيعية لجالينوس .
١٠٥ ـ تلخيص كتاب الحميات لجالينوس .
١٠٦ ـ تلخيص كتاب المزاج لجالينوس .
١٠٧ ـ تلخيص النصف الثانى من كتاب حيلة البرء لجالينوس .
١٠٨ ـ شرح الارجوزة المنسوبة لابن سينا فى الطب .
١٠٩ ـ شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس .
١١٠ ـ العـ ... فى الطب [٢]
١١١ ـ كتاب الاسطقسات لجالينوس .
١١٢ ـ كتاب التعرف لجالينوس
١١٣ ـ كتاب الحميات .
١١٤ ـ كتاب العلل والاعراض لجالينوس .
١١٥ ـ كتاب القوى الطبيعية لجالينوس .
١١٦ ـ كتاب الكليات .
١١٧ ـ كلام على مسألة من العلل والاعراض .
١١٨ ـ مراجعات ومباحث بين ابى بكر بن طفيل وابن رشد فى رسمه للدواء فى كتابه الموسوم بالكليات .
١١٩ ـ مسألة فى نوائب الحمى
١٢٠ ـ مقالة فى المزاج .
١٢١ ـ مقالة فى حميات العفن
١٢٢ ـ مقالة فى الترياق .

رابعا : فى الادب واللغة :

١٢٣ ـ بحث فى الموشحات .
١٢٤ ـ الضرورى فى النحو .
١٢٥ ـ كلام على الكلمة والاسم المشتق .

---

(١) ، (٢) هكذا فى المخطوط الذى نقله رينان بسبب تخرم الصفحة .

وثائق



جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

نواصل فى هذا العدد نشر كراسة « تيموانياج كريتيان ! [شهادات مسيحية] » التى أعدتها « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » . وقد تألفت هذه الجماعة من عدد من المفكرين والكتاب ، الذين يحاولون طرح المشكلة الفلسطينية على بساط البحث الموضوعى .

وتتضمن هذه الشهادات وجهات نظر متباينة، قد نوافق على الكثير منها ، الموضوعي والانساني ، وقد نختلف مع بعضها ، الا أن هذا لا ينفي بحال السمة الجادة لكاتبيها في محاولة البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية »

■ ■ ■

بيان يتسم بالذكاء والأمانة

م . يدرجوفسكا " باريس "

قرات النشرة الاخيرة بتأثر شديد . يجب ان ينشر بيان السيد رودنسون على العالم قاطبة انه خير رد على الصهيونيين وعلى اعداء السامية ايضا . ولن يحظى

هذا البيان بالقبول الا بصعوبة ، لانه يتسم بالذكاء ويفحم بقوته وامانته » .

ومن جهة اخرى يجب ان تضع

رسالة السيد اندريه فيليب نهاية للبس » . ولو كان اللبس غير متعمد لغدت المهمة سهلة ، ولا شك ان اثارة قضية **نظام الاعلام** كانت في صميم الموضوع »

■ ■ ■

لا داعي للتعميمات المتعسفة

ت . بوستزن " باريس "

انتهزت فرصة الدعوة التي جاءت في النشرة رقم ٥ لجماعة البحث والعمل من أجل تسوية النزاع الفلسطيني لكي أحدد موقفي ازاء قضية أساسية ، رغم أنها قد تبدو غير أساسية في نهاية الامر .

انا أنتمي بالطبع الى « فئة اليهود » (اذا كانت ثمة هناك فئة) يطلقون عليها « اليهود غير الصهيونيين » ، كان أهلي يهودا (حتى ارتدادهم لاسباب روحية) وقد واظبت على تعليمي الديني في بلدي الاصلي (النمسا) طالما كانت قوانين التدريس تملي على ذلك ، وفقدت ايماني تدريجيا ،

ولذا فأنا لا انتمي الى طائفة دينية . واخيرا فقد ظللت عدة سنوات بلا وطن حتى اكتسبت الجنسية الفرنسية في عام ١٩٤٦ دون أن اوافق ابدا على الفكر الصهيوني .

ومنذ عام ١٩٤٣ وانا ارى ان هناك ثلاثة أنواع من الناس تطلق عليهم صفة « اليهودية » . وقد شرحت آرائي آنذاك في خطاب موجه الى الحاخام الاكبر بمدينة الجزائر ، فرد على رسالتي بألفاظ « جامحة » . فهناك في رأيي : المؤمنون (وقد يكونون فرنسيين او بلا جنسية) ، او اي شيء آخر من الناحية المدنية) والقوميون (ومنهم الصهيونيون) ، وأخيرا

« اليهود المشمولون بفضل هتلر » (الذين أدت معاداة السامية الى عرقلة عملية انصهارهم الواعية او غير الواعية) »

وهكذا يتضح لكم انني لا انضوي بالتمام تحت التعريف الوارد في الفقرة الاولى لبيانكم ، ولا تحت التعريف الوارد في البند الثاني من الفقرة التالية ، ولا أعتقد انه « لا تجمعنا سوى رابطة الاضطهاد المشترك الذي عانينا منه » فأنا اكثر من ذلك واقل منه في نفس الوقت »

يبدو لي اننا نعاني من رد فعل ظاهرة نفسية — اجتماعية

معاصرة ، تتمثل في الميل الى اصدار تعميمات تعسفية : فما اكثر الكلام عن « الملحدين » و « اليهود » و « الشيوعيين » دون ان تبذل محاولة لادراك ان هذه المصطلحات العامة متعسفة. ولا تخيط بكل المجال الذى تحاول أن تحدده . وهذا ما يبدو بشكل اوضح عندما نلجأ الى القواعد القديمة لمنطق ارسطو (ولا يزال يؤكدها ويفسرها المنطق الحديث) ، والتى تقول أن « لا — أ » لاتساوى « ب » بل ربما ب ا ، ب ٢ . . . ب ن ، ج ا ج ٢، ج ن . ويبدولى ان تعبير « يهود غير صهيونيين » اقرب الى «ب» حتى انى اميل الى عدم قبوله .

ومن جهة اخرى فقد صدمتنى صيغة الجمع «نحن» التى تتردد طوال مشروع بيانكم : فأنا على استعداد ان اوقع على بيان شخصى لا يلتزم به الا كيانى الخاص، وان جاءت كلماته اقرب الى ما ورد فى مشروعكم . وسأكون سعيدا لو ان الاخرين فكروا بهذه الطريقة واقدموا على ذلك بنفس العبارات،اوبعبارات مقاربة تتفق مع شخصية كل واحد . ولكنى لا اريد ان القى بنفسى فيما يشبه الجماعة « بفضل من يريدون ذلك » سواء كانوا يحملون اسم هتلر ، او جوبينو، او مورا ، او كانوا من الكوكلوكس كلان ، ولا بفضل تصرف ارادى من جانب كل « اللا — أ » الذين يصادفون ظروفا متقاربة وان لم تكن متشابهة .

■■■

سبع نقاط حول الشرق الأوسط

م . ل « باريس »

أدت «فطنة» الدبلوماسية الى الاحداث الجارية فى الشرق الاوسط . فقد تفادى وعد بلفور كلمة «دولة» وتكلم عن « وطن قومى » حتى يبدو المشروع غير ضار بالعرب ، وعامرا بالوعود لليهود . ومنذ خمسين عاما والآلاف القتلى والجرحى واللاجئين يجنون ثمار هذا العمل «الرائع» .

ومن العبث أن نتصور أن دبلوماسيى عام ١٩٦٧ ، سواء كانوا من رجال الامم المتحدة او السفارات ، قادرين على أن يفعلوا شيئا أحسن مما تم فى عام ١٩١٧ . فأقصى مايمكن التوصل اليه هو اكتشاف صيغة جديدة ، لاتقل «فطنة» عن الاولى، فيقبلها الجميع لانها لاتعنى شيئا .

ويبدو لى انه لاطائل من التعرض لقضايا فنية وعملية (مثل حرية الملاحة ، حالة الحرب ، تخطيط الحدود) دون أن يكون هناك وعى واضح وجذرى عند كل من الطرفين .

وانى لاسمح لنفسى بأن اطرح للمناقشة العامة مايبدو لى انه اساس سليم لمثل هذا الوعى الواضح . أنا يهودى ، من اللاادريين ، لااتكلم باسم اى طائفة دينية ، ولاباسم أى حزب سياسى اى انى ، باختصار ، لااتكلم باسم أى شخص او باسم اى شىء ، وكل مارجوه هو أن يكون رائدى حسن الادراك .

١ — يجب أن يبدأ كل تفكير فى الموضوع ، بالامر الواقع ، متخليا عمدا من كل اتهامات وتبريرات تاريخية ، أو اخلاقية، أو دينية ، او غيبية أو قانونية ، او عاطفية. ويعلن الطرفان انهما كانا ضحايا مداهنة بريطانيا التى وعدت شعبين فى آن واحد بارض ليست ملكا لها . وقدنشأ عن ذلك نزاع تبادل خلاله الطرفان ضربات اليمة لاطائل من وضع كشف حساب بها .

٢ — يعترف العرب بان دولة اسرائيل قائمة بحكم الواقع ، وهم يدركون أيضا انها ليست دولة ، كغيرها من الدول ، فهى لاتتحمل اى هزيمة عسكرية بسبب ضيق رقعتها ، وأى هزيمة تلحق بها مرادفة لابادتها ، حتى ولو لم يعلن المنتصرون أن هذا غرضهم . ولما كانت الابادة غير مقبولة ،فان هزيمة اسرائيل ستبرر فورا تدخل دولة كبرى أو مجموعة دول كبرى

٣ — يعترف الاسرائيليون بواقع القومية العربية ، وهو حدث جديد جاء على اثر استقرار المهاجرين الاوائل . وهم يدركون أن وجود دولة مرتبطة عسكريا وسياسيا بالغرب ، فى ظل أوضاعهم الجغرافية ، ليس سوى عبث لايمكن أن يدوم . وهم يعلمون أن بقاءهم يعتمد على تفوق عسكرى ، ليس مقطوعا باستمراره ، وعلى دبلوماسية تفقد قوتها شيئا فشيئا . وهم يدركون أن التيار المؤيد لهم لم يصل الى المستوى الحكومى فى الغرب ، بالرغم من موجة التأييد التى تسببها الكلمات الجوفاء التى يتشدق بها بعض القادة العرب، وأن حصة العرب ، كشركاء فى

السياسة والاقتصاد ، ستزداد حتما . وهم يدركون اذن أن سياستهم الراهنة لايمكن أن تقودهم ، على أحسن الفروض ، الا الى وجود غير طبيعي بوصفهم مجتمعا مصطنعا فى مهب اقل تغيير للتوازن الدولى ، على غرار برلين الغربية .

٤ — وبناء عليه : يعترف الطرفان أن أمنهما الوحيد يكمن فى التعايش المؤقت الذى يؤدى فيما بعد الى تحالف من اجل الخلاص من تاثير كل الدول الكبرى فى الشرق الاوسط . يجب أن تتحد شعوب الشرق الاوسط ، وان تكون كتلة محايدة ، تقدمية ومنحازة سياسيا للعالم الثالث ، بعد ان سئمت من تحويلها الى مجرد قطع شطرنج تحركها بلا حياء الدول الكبرى التى تخون قضاياها على التوالى .

٥ — يركز الشعبان اليهودى والعربى ، فى علاقاتهما على ان التفاهم من صالحهما ، لا لانهما بالذات من «أبناء ابراهيم» ولكن لكونهما ضحايا الاستعباد لالاف السنوات ، ويجب أن يدركا أن حفاظ كل منهما على كرامته يبدأ بصون كرامة الاخرين . ويعترف الاسرائيليون انه اذا كان هناك ثمة «دين» لليهود ، فان العرب ليسوا ملزمين بدفع هذا الدين .

٦ — تدرك اسرائيل بشكل خاص ان العناصر الشرقية من سكانها هى أقوى ضمان لبقائها . فبدلا من عملية الاستيعاب الساخط التى تتم حاليا ، تخطط الدولة لهذه العناصر برنامجا للتربية السريعة بهدف تحويلها الى قادة المستقبل .

٧ — يعترف يهود المهجر بانهم يسيئون الى اسرائيل بتاييدهم غير المشروط والساذج لكل ما يحدث فى هذه الدولة ، بل يجب أن يبذلوا من اجل هذه الدولة جهود التفكير الجدى والعميق ، خاصة وان مثل هذه الجهود يمكن توفرها فى جو من الهدوء والطمأنينة ، وهو مايفتقر اليه الاسرائيليون فى بلدهم . وهم يدركون بالاخص أن «الانتصار» الاخير الذى احرزته اليهودية بفضل التأييدات المشكوك فى نواياها ، يثير القلق الشديد ، ويرسم صورة للكارثة القادمة التى قد تشمل يهود العالم أجمع .

■■■

الضفة الغربية لنهر الاردن

اميلى مارى جواشون

يقترح أحيانا اقامة دولة عربية فلسطينية جديدة كحل لازمة الشرق الاوسط . وقد تردد الكلام كثيرا حول منظمة التحرير الفلسطينية وفدائييها العاملين فى اسرائيل المكلفين بتحقيق هذا التحرير . والواقع أنهم قاموا ، على العكس من ذلك ، بدور أكيد فى نشوب صدام يونيو الماضى الذى أدى الى تدفق موجة جديدة من اللاجئين والى افلات أراض جديدة من أيدى العرب . لم تستعد منظمة التحرير الفلسطينية أى أرض من اسرائيل ولايمكن أن ينطبق هذا الحل المقترح الا على فلسطين التابعة للاردن . ولنتدارس الحقيقة التى تواجه هذه الرغبة .

«فلسطين» والتقسيم

لم يكن اسم «فلسطين» مستخدما فى الادارة العثمانية وقد جاء فى التوراة وعرفه الاغريق فالرومان فالبيزانطيون فالفرنجة وتوارى فى بعض المراحل العربية المتقدمة ، ثم اختفى من الشرق وظهر من جديد كتعريف سياسى أوجده الغرب من خلال الاتفاقيات السرية مع روسيا فى عام ١٩١٦ ، ومن بعد فى عملية تخطيط الحدود للوصاية البريطانية والفرنسية .

وظهر اقتراح تقسيم فلسطين التابعة لحكم الوصاية بين اليهود والعرب فى عام ١٩٢٥ ، ثم عام ١٩٣٦ ، وبدأت دراسته فى سنة ١٩٣٧ (١) . وقام الاساس العملى لهذا التقسيم على الوضع الجغرافى للمستعمرات اليهودية وعلى الرغبات الملحة للوكالة اليهودية ، وقوامها اعطاء السهول الخصبة لليهود والتلال القاحلة للعرب .

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين .

وبناء عليه لم يكن في الامكان قيام الدولة العربية المرتقبة بالاعتماد على نفسها . واقترحت لجنة سنة ١٩٣٧ اقامة دولة يهودية واخرى عربية تضم كلا من شرق الاردن وجزئي فلسطين المخصصين للعرب . وبعد حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٤ ، تقدمت الشخصيات اليهودية الكبيرة للجنة التحقيق الانجليزية الامريكية المكونة سنة ١٩٤٦ باقتراح ضم المناطق الجبلية المتروكة للعرب الي شرق الاردن .

أما الاقتراحات العربية التى قدمت للندن وللامم المتحدة من اجل قيام دولة فلسطين المستقلة التى تضم كلا من العرب واليهود في حكومة واحدة ، فلم تكن في حاجة الى وضع اعتبار لقيام حياة منفصلة في المناطق القاحلة .وقد رفضت الامم المتحدة هذا المشروع واتخذت بتسرع قرار التقسيم عام ١٩٤٧ الشهير ، الذى نص على قيام وحدة اقتصادية من خلال مشاركة بين دولة يهودية واخرى عربية ، مقسمة كل منهما الى ثلاثة قطاعات .. وكان يتعين على الدولة المفضلة ، اى دولة اليهود ، أن تعين الدولة المهضومة الحق التى اصبح بقاؤها في الوجود «امرا مشكوكا فيه». وادى هذا القرار الى نشوب الحرب كما توقع الكثيرون.

ولما اتضح انه لايمكن تطبيق القرار ، كلف برنادوت بالبحث عن حل آخر فأوصى بتقسيم البلاد الي دولتين كل منهما يتكون من جزء واحد متكامل . وكانت الدولة العربية اكبر مما جاء في قرار تقسيم عام ١٩٤٧ ، وكانت تضم النقب . على أن برنادوت قال انه بالرغم من ذلك «فان الروابط التاريخية ووحدة المصالح التي تربط شرق الاردن بفلسطين ، مبرر هام لاندماج الاراضي العربية الفلسطينية مع اراضي شرق الاردن».

ولم يطبق هذا المشروع ايضا، واحتلت اسرائيل النقب أثناء وقف اطلاق النار للمرة الثانية . وتم تحديد الخطوط الفاصلة بمقتضى اتفاقيات الهدنة . وهكذا أصبح الجزء العربى من فلسطين اصغر مما كان في كل الترتيبات السابقة . ومن هنا فهو لايصلح اكثر من اى وقت مضى لتكوين دولة مستقلة سواء من الناحية الجغرافية او الاقتصادية .

فلسطين المنضمة للاردن

ماذا حدث من وجهة النظر السياسية ؟

يقال عادة ان الاردن اكتفت بضم الجزء العربى اليها ، ولكن يبدو أن هذا الحل كان مرضيا للفلسطينيين الذين يأسفون الان على عدم اتمامه .

قبل حرب عام ١٩٤٨ كانت فلسطين مقسمة الى اتجاهين متعارضين ، يعبران عن صراع بين اكبر اسرتين يعكس في اعماقه اتجاهين سياسيين بل ونفسيين مختلفين ، شق كل منهما طريقا متباينا على اثر الحرب .

على اثر الزحف الاسرائيلى لجأت احدى الجماعتين القائدتين الى غزة منذ سبتمبر ١٩٤٨ ، واستقرت في القاهرة ، حيث لاقت احسن استقبال من مصر الملكية التى لم يكن لها من هم الا منع اى تدعيم لحكومة عبد الله ، ملك الاردن (٢). ولم يكن لدى هذه الجماعة اي اراض أو ميزانية أو جيش او موظفين او برنامج .. كانت تكتفي بالكفاح الشفوى والتآمر .

أما الجماعة ذات الموقف الايجابي فقد تبعها السكان وكانت تستند الى تأييد عدد كبير من الشخصيات الراسخة والمرموقة، وتضم العديد من الاحزاب . وقد تغلبت هذه الجماعة بتعدادها ورغبتها في القيام بعمل فعال لتستخلص من الحاضر اقصى قدر من فرص البقاء في الوجود .وقد وضعت آمالها في الملك عبد الله الحكيم والقوى العزيمة الذى تمكنت جيوشه من انقاذ ماتبقى من الارض العربية .

وقد صوت هذا الفريق في مؤتمرين الي جانب ضم ماتبقى من فلسطين العربية الى الاردن (باستثناء غزة) ، أولهما مؤتمر ضيق والاخر مؤتمر موسع عقد في اريحا ، على أن تكون تحت حكم عبد الله. وتبنيت نفس القرارات، اجتماعات ومؤتمرات تالية .

وقد اراد البعض تصوير هؤلاء القادة بأنهم مجرد دمى ، ولكنهم كانوا قد عقدوا العزم في الواقع على النهوض ببلادهم . كما أن الفلسطينيين كانوا في حاجة الى حماية وكان مؤتمر اريحا « أقصى تعبير عن البحث عن الامن» [٣] وظلت الاقلية مع ذلك على اتصال بالحزب المقيم في القاهرة الذي يواصل سياسته السلبية تحت وصاية ناصر ويرفض ايواء اللاجئين .

الادارة الجديدة

وقد وافق البرلمان الاردني على قرارات المؤتمر ، ومن هنا فقد ادخل تعديلا على دستور عام ١٩٤٦ لكى يزداد عدد النواب الذين أصبح يتعين انتخاب نصفهم من المنطقة الفلسطينية التي سميت منذ ذلك الوقت ، الضفة الغربية للاردن ، وقد اعيد تنظيم الحكومة والادارة ، لتضم نسبة كبيرة من الفلسطينيين في كلتا الضفتين . ومن الخطأ اذن أن

(٢) على عكس ما يقال فى اغلب الاحوال فان اسم « الاردن » كان مستخدما في الادارة العربية القديمة ،وقدتم اختياره في عام ١٩٤٦ عند استقلال البلاد ، بعد حرب فلسطين .

(٣) ع . عبيدى فى دراسته التى نشرها في نيودلهى عام ١٩٤٥ وعنوانها : دراسة سياسية عن الاردن ١٩٤٨ — ١٩٥٧ ، ص ٥٤

تتصور أن هذا الاقليم مستعمر «بفتح الميم» او مستعمر « بكسر الميم » .

ورفعت الحكومة فى تكوينها الجديد ، الانقاض وبدأت عملية التنمية التى لم تتوقف الا فى يونيو الماضى.وظهرت آثار هذه التنمية بعد عشر سنوات عندما بدأت تؤتى ثمارها . وتحاول الدراسة المعنونة «الاردن الحقيقيه» [٤]أن تشرح هذا التطور الذى بدأ عام ١٩٥٢ ، وكانت الاردن فى أوج انطلاقها عام ١٩٦٦—١٩٦٧ [٥] وهى مزودة بادارة حديثة ممتازه لااثر فيها للاقطاعية . وهىتعمل بكل طاقاتها ، والذين يريدون أن يفصلوا عنها فلسطين يتجاهلون الجهود الهائلة التى استفادت منها فلسطين وبالاخص فى مسألتين ملحتين . .تحويلات المياه، وتنظيم الزراعة . وتتحمل ايضا على جزء كبير من امتيازات المياه والكهرباء الضرورية للصناعة عندما يتم بناء محطات توليد الكهرباء الجديدة فى الضفة الغربية . واول ماسيترتب على الانقسام هو حرماننا من هذه المزايا .

الاختيار فى عام ١٩٦٧

وهذا مايفسر لنا تماما اجابة اهالى نابلس الفلسطينيين ردا على سؤال السيد سيماما [٦] الذى طلب منهم أن يدلوا برأيهم فى احتمالات اقامةدولة فلسطينية مستقلة ، فقد أجابوا قائلين .. «انه جنون صرف . نحن جزء لايتجزأ من الاردن» .

ويعلم العرب الفلسطينيون تماما أن تبعية دولتهم لاسرائيل بأى شكل من الاشكال لن تضمن لهم الحرية والحقوق الكاملة والمركز الحقيقى الذى يتمتعون به بوصفهم اردنيين .

والحركة التلقائية لشعب بأسره يفر من أراضيه ليبحث عن ملجأ ، بليغة فى حد ذاتها . ففى عام ١٩٤٨اختارتجموع الشعب الاردن وطنا لها . وفى عام١٩٦٧ تجاهل الشعب كل الاذاعات المناوئة ، واكد اختياره ولم يلجأ الا لحام واحد ، الا وهو الملك حسين .

هل هناك تجسيد أوضح لحق هذا الشعب فى تقرير مصيره ؟ ان الامر يتعلق بحق هذا الشعب فى وضع اراضيه فى يد السلطة التى اعترف بها بهذه الطريقة الحاسمة ■

■■■

الشرق الأوسط والأمن الجماعى

روبير بورون - ج.ب. بريفو

اذا كان اختيارفلسطين لاقامة دولة يهودية تبرره اعتبارات دينية لها وجاهتها ، الا أن هذا الاختيار كان فى حد ذاته تحديا حقيقيا لحسن ادراك الامور . وقد اعترض عدد كبير من اليهود على هذا الاختيار ، واذا كانت الدول الكبرى قد رضخت فىنهاية الامر ، فقد أقدمت على ذلك على مضض فى الاغلب .

وبالاضافة الى ذلك فان المنافسة حول البترول كانت كافية فى حد ذاتها لجعل هذه المنطقة من العالم فى حالة اضطراب . الم يؤد نشاط الشركات العالمية المؤيدة من جانب الدول الغربية الكبرى الى استبعاد الجماهير الشعبية لصالح استغلالات البترول ؟ وكان لابد أن تثيرهذه السياسة القصيرة النظر المتمثلة فى الاكتفاء بالامراء المجردين من السلطة والحكومات العميلة كأطراف للتفاهم معها ، كان لابد ان تثير الاحساس بالغبن بشكل خاص عندالمصريين والسوريين. وماكان بوسع اسرائيل ، وهى فى مثل وضعها، أن تظل غير مكترثة بهذا الصراع . كان من المحتم أن تؤدى اصولها ، وعلاقاتها الاقتصادية ، ورؤوس الاموال

---

(٤) الناشر — ويكنين دى بروبر —ويضم المجلد الاول جزءا كبيرا عن الناحية التاريخية .
(٥) انظر بشكل خاص مقال« الايكونومست » فى ٩ ابريل ١٩٦١ ، والذى ترجمته الوثائق الفرنسية « مقالات ووثائق » فى عددها الصادر يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٦١ ، « الاردن تريد ان تحرز النجاح »
(٦) انظر الموند — عدد ٢٠ يوليو ١٩٦٧.

الكبيرة المستثمرة ، الى التقارب بينها وبين شركات البترول بدلا من التقارب مع الشعوب المجردة من الامكانيات .

ومما زاد من تعقيد الوضع فى الشرق الاوسط ، نهوض العالم العربى سياسيا وتضامنه مع المعسكر الاشتراكى ، وقيام علاقات وثيقة بين اسرائيل والولايات المتحدة . ولم يساعد الزمن على تصحيح الاوضاع . ويؤكد ذلك للاسف ، تفاقم مشكلة اللاجئين ضحايا العناد العربى ولاشك ، ولامبالاة اسرائيل الى حد ما .

ولا يزال الشرق الاوسط منذ ثلاثين عاما مسرحا لحرب ذات اشكال متباينة لايمكن تحديد نهايتها ، حتى أن الانتصار العسكرى الاسرائيلى المدهش لم يؤد الى أساس أفضل لتسوية نهائية بالرغم من انه استطاع أن يغير من معطيات القضية .

لقد تغير وجه العالم وظهر تفكك كبير فى الكتلتين ، ولم يعد التفوق الذرى الامريكى والروسى ضمانا لانقسام العالم الى جزءين ، ولم تعد الدولتان الكبيرتان تنعمان بحريتهما السابقة فى حالة نشوب ازمة دولية . لم يعد هناك مكان الان «ليالتا» .

والواقع أن الازمة الراهنة تتطلب منا أن نتساءل حول نظام الامن الجماعى المقترح غداة الحرب العالمية الثانية . فالامن الجماعى مفهوم جديد لم يكن فى عام ١٩١٩ ، سوى « ائتلاف أوروبى » يتفق مع مثالية ويلسن . لقد تغلبت «واقعية» مجلس الشيوخ الامريكى ، والنظم الشمولية على عصبة الامم ، فوضع مؤسسو منظمة الامم المتحدة فى اعتبارهم هذا الدرس الى حد ما .

غير ان الماضى تغلب مرة أخرى ، وتم تدعيم السلام باتفاق الطرفين المنتصرين فى النزاع ، دون أن يؤخذ فى الاعتبار ما سيحدث للعالم الثالث (...)

لقد تحطم نظام الامن الجماعى الذى وضع غداة الحرب العالمية الثانية . ومن الممكن تجاهل هذا النظام واتخاذ مواقف تؤدى الى كارثة تحل بالعالم . ولكن من الممكن ايضا البحث عن حل للازمة الراهنة على أساس نظام أمن جماعى يتمشى مع ظروفنا ، وهذا هو موقفنا .

■■■

شرط التعايش السلمى

فرانسوا شاتليه

لاشك أن تطورات الوضع الراهن فى الشرق الاوسط قد بددت أوهاما كثيرة ، وهى تسمح لنا بأن نحكم على معنى الخطب التى القاها كلا الطرفين اثناء احتدام النزاع . ومن المعروف تماما كيف تم استقبال هذه الخطب فى اوربا الغربية بصفة عامة ، وفى فرنسا على الاخص . كانت خطب الاسرائيليين ذكية وسياسية تتفق مع عاداتنا الذهنية ، وتستخدم مفاهيم ، درج التفكير الحر على تداولها .. كانت هذه الخطب تثير ذكريات اليمة ، بل وشعورا بوخز الضمير . أما خطب العرب ، ونقصد خطب المسئولين فى نصوصها الاصلية (لا مانقلته الى الرأى العام ، الصحافة المحاصرة ، فى اطار محدد لها) فهى تحمل ايديولوجية غير مألوفة لدينا .. أنها تتحدث عن الماضى الذى تراكمت فيه الخسائر ، والمظالم ، وضروب الاذلال وكلها مسائل حرص الغرب بكل حياء ، على مصادرتها لكى يؤمن لنفسه راحة البال . كانت الكلمة الاسرائيلية صادرة من داخل الغرب **أصلا** . وكانت الكلمة العربية وافدة من الخارج . وقد وقعت فى هذا الشرك ارجح العقول عندنا لان المعلومات التى توفرت لها مرت من خلال المصفاة . ولم تلاحظ هذه العقول ان معلوماتها عن اسرائيل كانت وفيرة ، بينما ظلت معلوماتها عن العرب قاصرة بشكل ملحوظ .

أما اليوم فقد عادت المظاهر الى اماكنها .. فسياسة اسرائيل لاتزال كما هى .. سياسة السيطرة . وهى تستطيع أن تغيرها ولابد أن تغيرها اذا كانت تريد أن تبقى بالشكل المناسب . لقد اتضحت ضروراتها فأصبحت من الان دولة **احتلال** يتأكد طابعها هذا نتيجة «لمزاياها» العسكرية . ولابد لها من أن تؤدى وظيفتها وأن تتشكل حكومتها بحيث تتمشى

مع وظيفتها كجهاز قمع؟ ولتتحول هي نفسها الى حكم عسكري . ولايمكن انكار هذه الحقيقة .. لقد جلبت دولة اسرائيل في طياتها هذه المآسي ، وتأكدما ارادة المستعمرون دون أن يقووا عليه. فالعنف الصريح هو التجربة المقررة . اما الفلسطينيون فما زالوا الضحايا . ولاتتوقف احتمالات قيام سلام عن طريق التفاوض لضمان التعايش السياسي للشعوب المستقرة الان في الشرق الاوسط، على الامنيات الطيبة التي يحملها المثقفون ذوو الاغراض الشريفة ، ولا على النظريات القانونية ، ولا على مساومات الاروقة ، ولكنهاتتوقف على اضعاف الاستعمار الامريكي

ولاشك ان دعوة الراى العام الغربى الى اقرار السلام فى الشرق الاوسط ، بعد أن تخلى عن عواطفه المتأججة، شيء مفيد، ولكن يجب ادراك أن هذه الدعوة لن يكون لها وزن كبير اذا لم تؤيدها فعلا قوى العالم الثالث التي تعارض السياسة الامريكية عمليا ، ومنها الاسرائيليون الذين لايؤيدون موشى ديان ؟ والعرب الذين عرفوا الان مساوىء الغنائية القديمة ، وكوبا التى تناوىء اكبر قوة عالمية ، وشعب فيتنام الذى يثبت يوما بعد يوم ضعف أقوى آلة حرب عرفها العالم فى تاريخه . تلك هي حقيقة الامر الذى لا يقرره التكنيك الدبلوماسي ولا الاماني الطيبة . فاسقاط طائرة فى فيتنام ، امل في الا تتردى اسرائيل نهائيا في النظام العسكري ، وامل فى الا يدب اليأس في نفوس الشعوب العربية ..

■■■

فلسطين وطن لأمتين

م . هـ . «نتل أبليب»

يتضمن مقال السيد آتجر [٧] اربع نقاط ونفس القدر ايضا من الاخطاء ..

١ — هناك علاقة مباشرة بين الاضطهادات النازية ومعاداة العرب للسامية ذلك ان (١) جزء من الذين يريد السيد الشقيرى ان يلقى بهم الى البحر من الذين نجوا من المعسكرات او من ابنائهم (وانا احد افراد الفئة الاولى) ب) ان مفتى القدس (الذى أورد السيد ناصر ذكره فى كتابه، كان استاذ الشقيرى ولم يتنصل منه احد (بل اشترك فى مؤتمر باندونج) وهو الممثل الحي والمجسد للعلاقة بين الاتجاهين . ج) هلك مئات الالاف من اليهود لان القادة العرب «ساعدوا» الحكومة الوصية على نشر الكتاب الابيض الصادر فى عام ١٩٣٩ والذى منع الهجرة، والواقع اننا بصدد تعاون بين الانجليز والقوميين العرب المتطرفين ضد اليهود ، ضحايا «الحل النهائى» . وقد هلك جميع افراد عائلتى بهذه الطريقة ، فى محاولتهم اليائسة من اجل انقاذ انفسهم بالرحيل الى فلسطين الموصدة الابواب فى وجههم . فلنكف اذن عن الكلام عن « الحلقة المفقودة » بين هتلر والشقيرى، فهى حلقة ثقيلة ودامية .

٢ — لايسع المرء الا ان يتفق مع السيد آتجر عندما يقول ان سب العرب بسبب «البؤس المقيم» فى بلادهم نوع من العنصرية، ولكن من الواضح أن معاداة السامية عند المتطرفين لاتساعد على التصنيع ، او على تطوير الزراعة . ومن الواضح اكثر فأكثر ان معاداة السامية عند الكولونيلات (المتسترة تحت قناع «معاداة الصهيونية») تقوم بنفس الدور فى صرف الانظار ، وتغطية عجز هؤلاء الكولونيلات عن حل المشاكل العسيرة يواجهها تطوير المجتمعات الاسلامية . فالفقر ناتج عن استيراد ٥٠٠ دبابة بدلا من ٥ آلاف جرار . لماذا لانعترف بذلك ؟

٣ — اسرائيل ليست «مشحونة» . فنصف اخوتى فى الوطن بل ومايزيد عن نصفهم ، من أصل افرو-آسيوى، كما ان السابرا [٨] اسيويون بالطبع. واغلب مشاكلنا تشبه مشاكل

---

(٧) جاء هذا المقال فى النشرة الدورية التى تم توزيعها على اعضاء جماعية البحث والعمل من اجل حل النزاع الفلسطينى فى يوليو ١٩٦٧ .

(٨) الصابرا اليهود المولودون فى اسرائيل .

جيراننا . لماذا يصورونا « كغربيين » ؟

٤ ــ اما الفكرة الاخيرة التى تقول ان اسرائيل تهدد التطوير الاقتصادى للعرب فهى من خيالات الف ليلة وليلة. ان الحرب الاجرامية البلهاء بين الاخوة هى التى تهدد هذا التطور الذى لن يزدهر الا فى ظل السلام. اليس هذا الكلام منطقيا ؟ ومن الممكن فى كل الاحوال سن تشريعات وانتهاج سياسة جمركية تحول دون معاناة الصناعات العربية من استقرار السلام . اما الادعاء بأن مجرد وجودنا فى حد ذاته يهدد الاقتصاد القومى العربى فهو من الدعاوى النازية الصرفة .

اقترح . . ان تسعى جماعة البحث والعمل الى ايجاد حوار بين العرب والاسرائيليين ذوى النية والارادة الحسنة واقصد الاسرائيليين ، لا اليهود الذين يستحون من اصلهم ، أو الذين يستعذبون الاضطهاد . . . الخ ، لاننا اذا كنا بصدد بحث وعمل فلا بد ان نوطد عزمنا على محادثة « الشخص القائم فى مواجهتنا » بدلا من ان نكتفى بالرضا عن انفسنا بتبادل باقات الزهور النقية الشائعة للعرب. وكل من يقف ضد التعايش يدعو الى ابادة الاجناس .

وبناء عليه ، أقترح بكل بساطة فكرية وعميقة ، كما نقول بالعبرية ، أن يتم الالتقاء بين العرب والاسرائيليين والاصدقاء الفرنسيين ذوى النوايا الطيبة على أساس الصيغة التالية القصيرة والمتواضعة :

فلسطين وطن لامتين لكل منهما الحق فى الاستقلال

لم يعد هناك مجال للبحث عن اى الامتين استقر قبل الاخر: هل هم التشيك أو السلوفاك ، الارلنديين أو الانستريين ، الوالون او الفلامنك ؟ فكل من الأمتين قائم وهذا امر واقع . وتجاهل هذه الحقيقة لن يخبىء سوى المفاجات الاليمة للكولونيالات والجنرالات فى كلا المعسكرين .

فكل تحليل يعتمد على التسلسل الزمنى للاحداث سيؤدى حتما الى ان يقول المتطرفون عندنا ان الملك داوود والملك سليمان كانا بالقدس قبل الملك حسين . . .

والسلام مهادنة . ومن لم يبلغ بعد النضوج الكافى لكى يدرك ذلك ، لايحق له ان يقوم بدور سياسى ، لانه يتجاهل اتجاه التاريخ ويتجاهل رغبات البشر. لن يكون هذا السلام ، سلاما بين اسياد وعبيد ، أو بين مستعمرين ومواطنين أصليين ، بل سلاما بين امتين ، متقاربتين مع بعضهما فى حقيقة الامر، ولهما ماض تاريخى طويل معا ، وامامهما سلام أسهل بكثير مما قد يتصور الكثيرون .

نواصل نشر دراسة جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم



سياستنا .. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا .. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
كيما
بأسوان
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام



ديسمبر ١٩٦٨
السنة الرابعة

١٢

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى

[نظرات من الداخل والخارج]

تحقيق سياسى من موقع الأزمة

تشيكوسلوفاكيا من داخل تشيكوسلوفاكيا

- اليمن الجنوبية بعد الاستقلال
- شباب ٦٨
- الفرنك الفرنسى بعد الاسترلينى والدولار
- ثقافة ١٩٦٨

"المقاومة" أولاً .. و"المقاومة" أخيراً



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د.اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتارية التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

((الطليعة)) :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

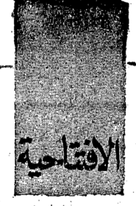
لسنة بالبريد العادى ١٫٤٠٠ج.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهرس

العدد الثانى عشر ــ السنة الرابعة ــ ديسمبر ١٩٦٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذي يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطاقه فولتير في القرن الثامن عشر « قد اختلف معـــك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



"المقـــــاومـــــة" أولا "والمقـــــاومـــــة" أخيرا

أكـــدت احداث الاردن ، خلال الايام الاربعة الدامية من نوفمبر الماضى [٤–٧ نوفمبر] ، ان المقاومة الفلسطينية المسلحة قد اصبحت « العمود الفقرى » لحركة الشعوب العربية المعاصرة – بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ – فى نضالها ضد الامبريالية والصهيونية وجيوب المساومة والمغامرة المحلية . واستطاعت المقاومة بقواها الذاتية ، وبالتحامها مع كل العناصر الوطنية والتقدمية فى الاردن وفى الوطن العربى ، ان تصمد للعاصفة المضادة .

كذلك اثبتت احداث هذه الايام الاربعة الدامية ، انه قد يكون هناك اختلافات فى بعض وجهات النظر حول طرق واساليب المقاومة ، الا ان هذه الاختلافات تتلاشى موضوعيا اذا اصبح الامر يتعلق بمصير المقاومة واستمرارها وتأمين ظهرها . ومعنى هذا ان المقاومة الفلسطينية المسلحة قد غدت « قضية مطلقة » فى الوطن العربى .

ولم يكن ممكنا ان تكسب المقاومة هذه القيمة الشعبية النضالية ، مالم تكن ممتدة الجذور فى اعماق شعبها والشعوب العربية كلها ، وامتلكت القدرة الذاتية على الوجود الفعال المستقل .

والحق ان المقاومة المعاصرة ، والتى نمت منذ ارست «فتح» نواتها فى عام ١٩٦٥ حتى جذبت الى كيانها آلاف الشباب الفلسطيني من المثقفين والعمال والفلاحين بعد حرب يونيو ، ليست بالظاهرة الطارئة فى تاريخ نضال الشعب الفلسطينى ضد الاستعمار والصهيونية . وإنما هى امتداد تاريخى ، اكثر قدرة وفاعلية وتجاوبا مع قيم وظروف العصر النضالية ، لتراث عميق فى ارض فلسطين . وهو تراث اشرقت فيه باستمرار حركات مقاومة شعبية مسلحة لعل اخطرها ما انفجر على التوالى فى العشرينيات والثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن . وتوالت بعد ذلك دون انقطاع حركات المقاومة حتى بلغت مرحلتها المتقدمة المعاصرة .

والواقع ان الشعب الفلسطينى فى ذلك لا يشذ عن **«قانون حركة التقدم الانسانى»** ،

ونعنى به حتمية مقاومة الشعب — اى شعب — للعدو الغازى المستعمر — اى عدو — حتى يحقق انتصاره .

ومن هنا فالمقاومة الفلسطينية المسلحة المعاصرة ، ليست نبتاشيطانيا يمكن اقتلاعه بسهولة لافتقاده للجذور ، او عملا انفصاليامؤقتا يمكن افراغ طاقاته ، او زرع اليأس فيه فيسلب منه الأنفاس . وانما المقاومةاليوم ابنة طبيعية وشرعية للشعب الذى انزلت به قوى الاستعمار والصهيونية ،عمليات الابادة والتنكيل والتشريد دون هوادة ، ولكنه ظل دائما — حتى فى فترات الجذر — يحتفظ فى اعماقه بجذوة الامل والنضال من اجل الحرية واستردادالوطن المغتصب ، حية ومشتعلة . ولعل هذا هو ما يفسر النمو المتصاعد دوما فى حركةالمقاومة الفلسطينية المعاصرة واجتذابها لالاف المناضلين منمختلف الاعماروالمهارات.. منهم من ضحى بمهجره الرغد ، ومنهم من قطع دراساته فى الجامعات الاوربيةوالامريكية والعربية ، ومنهم من ترك اعماله المستقرة الوفيرة الدخل . وذلك عندماعثروا علىطريق الخلاص القومى الانسانى فسارعوا اليه ، يحملون حياتهم وكل مايملكون ، ليشاركوا فى معركة المصيربعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وحركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة ،وان كانت امتدادا لتراث تاريخى ، الا انها تتميز اليوم بعدة ميزات هامة تنبع منظروفها المحلية والعربية والعالمية الراهنة، وعن طبيعة كيانها الجديد، واسلوب نضالهاواهدافها .

فحركة المقاومة الفلسطينية المعاصرةاليوم تفوق من ناحية « **الحجم** » اضعاف اضعاف حركات المقاومة بالامس . وهى فى نفس الوقت ذات «**نوعية**» اجتماعية متقدمة ذلك انها لمتعد متصورةعلى مجموعةمحدودة من المثقفين الوطنيين ، وانماهى تصهر اليوم فى بوتقتها العمال والفلاحين الفلسطينيين جنبا الى جنب مع المثقفين.

وحركة المقاومة المعاصرة تختلف ايضافى ظروفها عن الحركات السابقة فى انها لم تعد حبيسة الجدران الفلسطينية ،معزولة فعليا عن بقية الوطن العربى وامكانياته، نتيجة انه كان يقع بالكامل تحت السيطرة الاستعمارية . وانما هى اليوم، وبعد ان قامت اسرائيل ووجهت عدوانها المادى للبلاد العربية ، قد انطلقت من حدود كونها **مجرد قضية فلسطينية الى قضيةقومية عربية شاملة فى نفس الوقت** .وهذا يعنى انها تستند اليوم ، لا الى الجدار الفلسطينى الاساسى فحسب ، وانما الى الجدار العربى الشعبى الشامل . وخاصةبعد ان استطاعت حركة الثورة العربية ان تطهر مناطق عديدة بالوطن العربى من الوجود والتأثير الاستعماريين ، وذلك منذ الخمسينيات .

بل ان حركة المقاومة الفلسطينية اليوم،نتيجة عالمية الحركة المعادية للاستعمار والعنصرية ، قد غدت **قضية جوهرية منقضايا العالم الثالث وحركة التحررالوطنى العالمية** . وليس من باب الصدف ان تلقى المقاومة الفلسطينية المعاصرة تجاوبا حارا وعميقا من كل من المقاومة الفيتنامية فىآسيا ، والمقاومة الافريقية فى انجولا وموزامبيق وروديسيا وجنوب افريقيا ،والمقاومة فى امريكا اللاتينية ، ومقاومة الزنوج فى امريكا الشمالية .

والحركة المعاصرة فضلا عن ذلك تتميزعن الحركات السابقة فى ان ماتتسلح به من امكانيات مادية وعسكرية وتدريبحديثوشبكات اتصال واسعة لم تكن متوافرة بالامس . وهى اليوم تحارب معركة « **انتكون فلسطين او لاتكون** » . وهذايشحنها بطاقات روحية نضالية اكثر عمقامنحركات الامس التى كانت تقاوم الصهيونية ، وهى لاتزال تحاول — تحت حماية الاستعمار البريطانى — ان تحتل موقعا من فلسطين. اما اليوم فالوطن كله فى قبضة الاحتلال الصهيونى الاستيطانى .

ماذا يعنى هذا كله ؟

انه يعنى ان المقاومة الفلسطينية المسلحة ، هى حركة طبيعية ذات جذور شعبية نضالية ، قادرة على الصمود لاى مغامرة مضادة تستهدف تصفيتها . وقد تثار فى وجهها بعض العقبات، ولكن المقاومة حتما ستنتصر عليها بحكم علاقات القوى وحركة التاريخ معا .

وهو يعنى ايضا ان المقاومة حركة مشروعة لشعب احتلت ارضه وشرد اهله . ومن هنا راحت تكسب باستمرار — فى ضوء هذا المفهوم — مزيدا من الراى العام العالمى ، حتى فى اوساط اولئك الذين كانوا يتجاوبون من قبل مع الاتهام الاسرائيلى بأنها «مجرد عصابات تخريب سرعان ماسيقضى عليها» . غير ان الاحداث منذ يونيو ١٩٦٧ قد اكدت الوجود الموضوعى للمقاومة كمنطلق واقعى لحركة تحرير وطنية . وقد اخذ الخط البيانى لنشاطها يتصاعد ، كما ونوعا . فيمتد الى مواقع استراتيجية للعدو ويتخطى كل نقاط الحراسة والموانع الالكترونية ليصل الى قلب تل ابيب والقدس والخليل وايلات والنقب . وفى نفس الوقت راحت المقاومة تعبىء من حولها جماهير الشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة ، خلال حركات سياسية واضرابات عامة شملت الرجال والنساء والاطفال ، وذلك فى تحد بطولى لقوات الاحتلال .

وقد طرح هذا كله ، فى حقل العمل العربى ضد الاستعمار والصهيونية ، ثمارا ايجابية هامة ، لعل اهمها :

● بلورة الكيان القومى النضالى للشعب الفلسطينى واطلاق طاقاته الكفاحية ، دون وصاية من احد ، ضد العدو .. وهذا بدوره قد صحح وضع الشعب الفلسطينى من « القضية » باعتباره طليعة عربية ، ومنحها — قوميا ودوليا — طابع الحسم الساخن والملتهب .

● الترجمة العملية ، وبمعدل سريع ، لارادة الصمود العربى الشامل فى اجراءات حية تخطت واقع الهزيمة المؤقت ، ومحاولة العدو تكييفه الى واقع دائم وضاغط .

● زعزعة امن العدو واستقراره الداخلى ، واضعاف امكانياته لهضم مكاسب العدوان . الامر الذى يضاعف من اعبائه العسكرية والاقتصادية والاجتماعية . وحسب الاحصائيات التى نشرتها بعض الصحف الامريكية — نقلا عن المصادر الاسرائيلية — فان خسائر اسرائيل البشرية نتيجة عمليات المقاومة قد بلغ اكثر من ٣٠٠ جندى قتيل . وهذا يوازى — بالقياس الى تعداد السكان — اكثر من ١٤ الفا بالنسبة لبريطانيا ، و ٣٦ الفا بالنسبة لامريكا . وهذا «رقم مخيف» للعدو حيث العنصر البشرى لديه محدود نسبيا .

● ضرب مخططات تهجير اعداد كبيرة من يهود العالم الى اسرائيل بعد حرب يونيو . وهو امر تعلق عليه اسرائيل قضية وجودها ومستقبلها . وذلك نظرا لعدم قدرتها الاستمرار فى الحياة بقوة سكانية لاتزيد عن ٢,٥ مليون نسمة فحسب . ولعل هذا هو ماحدى «باشكول» ، عندما خاطب مؤتمر المليونيرات اليهود ، الذى انعقد بالقدس فى اغسطس ١٩٦٧ ، الى ان يؤكد بالحاح على : « **اننا محتاجون فعلا الى المال ، ولكن مانحتاج اليه اكثر وبصورة ملحة هو يهود جدد** » .

واذا كانت «**معركة الكرامة**» فى مارس ١٩٦٨ امتحانا لقدرة المقاومة الفلسطينية المسلحة على مواجهتها للعدو ، اجتازته بنجاح حتى ليمكن القول بان نتيجة المعركة كانت «شهادة ميلاد دولية» للمقاومة .. فان « **احداث الايام الاربعة الدامية من نوفمبر ١٩٦٨** » كانت امتحانا لقدرة المقاومة على الصمود فى موقعها العربى ووسط شعبها ضد مؤامرة الانحراف بها بهدف تصفيتها . ويمكن القول ان نتيجة الايام الاربعة الدامية قد كشفت عن مدى الوعى المزدوج من جانب المقاومة ، ومن جانب القوى الشعبية معا

ازاء خطط المغامرين والانهزاميين . ولكنه كشف ايضا عن قدرة هؤلاء المغامرين والانهزاميين على الحركة والمناورة بأشكال مختلفة من بينهما ارتداء زى مزيف للمقاومة .

وليس هذا بالشيء الجديد في تاريخ اية حركة مقاومة شعبية مسلحة في العالم . فالمقاومة كما تجذب الى صفوفها الالاف من المناضلين ، تجذب ايضا وفي نفس الوقت — خاصة في المراحل الاولى والوسيطة — عشرات من المغامرين والعملاء الذين يناط بهم التخريب من الداخل . وهذا وضع وجهته مثلا كل من المقاومة الفرنسية ضد النازى في الاربعينيات ، والمقاومة الفيتنامية الحالية ضد الامريكان .

ولاسبيل الى كشف المغامرين والعملاء وتميزهم عن المناضلين الحقيقيين الا بالتجربة العملية والمواقف الحاسمة خلال الازمات . ويستلزم الامر عندئذ البتر والحسم دون هوادة او تردد .

ورغم الثمن الفادح الذى دفعته المقاومة من حياة ابنائها [عشرين قتيلا] في احداث الايام الاربعة الدامية فانها سلحتها بمقياس واقعى للتمييز بين المناضلين الحقيقيين والمزيفين .

وهكذا فشلت — حتى الان — محاولات كل من العدو الخارجي والعدو الداخلى لتصفية المقاومة الفلسطينية المسلحة . ولكننا في نفس الوقت يجب ان لانستكين لهذه النتيجة الايجابية ونقلل او نستهين من خطر تجدد المؤامرات بأشكال وصور اخرى طالما ظل العدو قائما وقادرا على الحركة المضادة .

وهنا تطرح مسئولية حماية ظهر المقاومة المسلحة ودعمها وتطوير قواها باستمرار وامتلاكها لحريتها الذاتية المستقلة في الحركة والنشاط : استراتيجيا وتكتيكيا ، على عاتق كل الشعوب العربية وقواها واحزابها وهيئاتها الوطنية والتقدمية عامة وجماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين خاصة .

وفى هذا المجال تبرز المهام العاجلة الاساسية التالية :

● سرعة بناء هيكل تنظيمى نضالى شعبى على نطاق الوطن العربى كله لحماية ظهر المقاومة الفلسطينية ومدها بكل الامكانيات المادية والمعنوية ، تتخذ من الموقف الايجابى او السلبى من المقاومة الشعبية المسلحة معيارا محددا لعروبة ووطنية كل فرد ، او هيئة فى الوطن العربى .

● الاستفادة من تجربة الايام الاربعة الدامية وذلك بسد الطريق امام العدو للعب على التناقضات بين منظمات المقاومة ، وذلك بالوقوف صفا واحدا متماسكا ايا كانت التناقضات التكتيكية ، والاستفادة بمناخ هذا الموقف من اجل توحيد قوى جميع المنظمات — كلما امكن ذلك — توحيدا نضاليا خلال المعركة مع العدو .

● زيادة تعميق الالتحام السياسى مع جماهير الشعب الفلسطينى فى كل مكان وخاصة فى الارض المحتلة بحيث تتحطم كل محاولة لعزل المقاومة عن الشعب منبعها الغنى ومصدر قوتها الحقيقى .

والواقع اننا فى تحديدنا لهذه المهام الثلاث العاجلة ، ننطلق من مفهوم ان المقاومة الفلسطينية المسلحة قد غدت حقا مطلقا وواجبا مطلقا لكل عربى وطنى وتقدمى . وتترجم بذلك الشعار العام الذى نعتقد انه الشعار الموضوعى الاساسى للمرحلة الراهنة : « المقاومة اولا .. والمقاومة اخيرا » .

لطفى الخولى

الفــــرنك الفـــــرنسى

بعـد الاسترلينى والدولار

د . فــــؤاد مـــــرسى



وأخيرا

رفضت فرنسا اباءان تخفض قيمة الفرنك كاجراء مألوف ــ ومطلوب بالحاح من أقرب حلفائها ــ لوضع حد ولو مؤقت لازمة الفرنك فى سوق النقد العالمية ، وهى الازمة التى هزت بعنف قيمة الفرنك الفرنسى وشغلت العالم بأسره منذ الاسبوع الاول من شهر نوفمبر الماضى . وصار على العالم بالتالى ان يشهد فى الايام المقبلة ابرع المناورات الممكنة فى حرب اقتصادية دامية تدور رحاها داخل صفوف معسكر الحلفاء انفسهم ، أعنى داخل النظام الراسمالى العالمى .

ويجب الاعتراف بأنه عندما انفجرت ازمة الفرنك كانت المفاجأة من العنف بالنسبة للكثيرين ، بقدر ما كان الفرنك يبدو فى الماضى القريب مكتمل الصحة موفور العافية صاخبا بالتحدى للاسترلينى ثم للدولار . لكننا اليوم ، وبعد أن توفرت فسحة من الوقت والمعلومات ، نستطيع ان نتبين أن هناك جذورا عميقة تكمن داخل التربة التى تفجرت على سطحها ازمة الفرنك فجأة .

لكن لنبدأ أولا بعرض الاحداث التى اعلنت هذا الانفجــار .

انفجار أزمة الفرنك

ففي مساء الثلاثاء ١٢ نوفمبر اعلنت السلطات النقدية الفرنسية فجاة رفع سعر الفائدة في البنوك من ٥٪ الى ٦٪ . وكان هذا بمثابة اعلان في الوقت نفسه عن تلك الظاهرة التي اشتدت حدتها منذ اوائل الشهر والتي تمثلت في تسرب الاموال الفرنسية الى خارج البلاد ، الى المانيا الغربية وسويسرا ، والتي اتخذت عندئذ شكل المضاربات على الفرنك ، اما في صورة شراء الذهب او في صورة شراء الاوراق المالية الالمانية والسويسرية . ففي اسبوع واحد ، وهو المنتهي يوم ٧ نوفمبر ، فقدت فرنسا من أرصدتها الاجنبية ما قيمته ٢٦٫٨ مليون دولار .

ومع ان السلطات النقدية الفرنسية كانت تبغي من وراء رفع سعر الفائدة ان تحول دون هجرة رءوس الاموال الفرنسية ، وذلك بالحد من التوسع في الائتمان المصرفي ومنع الفرنسيين من شراء الاوراق الالمانية القصيرة الاجل ، فلقد احدث رفع سعر الفائدة اثرا عكسيا بالدقة . لقد اعتبر هذا الاجراء غير كاف بالمرة لمواجهة الوضع الذي يوجد فيه الفرنك منذ مدة . وما لبثت ان انفجرت الازمة .

انطلقت المضاربات بلا عنان على قيمة الفرنك في جميع الاسواق . في سوق **زيوريخ** ارتفع سعر اوقية الذهب في يوم ١٢ نوفمبر نفسه الى ٤٠ دولارا بدلا من ٣٥ . وكان اغلب الطلب هناك من بلاد الشرق الاوسط . وفي سوق **لندن** اقترب السعر من ٤٠ دولارا .

وتدخل بنك فرنسا لبيع الذهب والماركات الالمانية لكل من يطلب تحويل الفرنك ، في محاولة لبث الثقة في قيمة الفرنك . لكنه لم يلبث ان تخطته الازمة . وعادت بكل حدتها يومي الخميس والجمعة ١٤ و١٥ نوفمبر . في هذين اليومين كلف التسابق الى تحويل الفرنك بنك فرنسا مبلغا يتراوح بين ٣٥٠ الى ٤٠٠ مليون دولار اي حوالي عشر احتياطي الذهب والنقد الاجنبي الذي يملكه . وفي يوم الجمعة وحده بلغت مبيعات الذهب خمسة امثال حجمها العادي ، وتجاوز سعره لاول مرة منذ شهور في اسواق باريس ولندن وفرانكفورت وزيوريخ اربعين دولارا للاوقية .

في ذلك اليوم ، تدخل **بنك انجلترا** لمساندة الاسترليني نفسه . فلقد هبطت قيمة الاسترليني يومها الى ادنى مستوى منذ تخفيضها في نوفمبر من العام الماضي . لقد بلغت ٢٫٣٨٢ دولار بدلا من ٢٫٣٨٩ . بينما هبطت اسعار معظم اسهم الشركات البريطانية بما فيها شركة شل والصناعات الكيماوية الامبراطورية . ومن جديد بات الخطر على الاسترليني ماثلا .

في ذلك اليوم ، ارتفع سعر المارك الالماني الى ٣٫٩٧٢٥ مارك للدولار ، بينما هبط سعر الفرنك الى ٤٫٩٧٤ فرنك للدولار . ووقف **بنك الاتحاد الالماني** على استعداد لبيع المارك مقابل الذهب والدولار ، بحيث باع ماركات قيمتها من ٧٠٠ الى ٧٥٠ مليون دولار .

واصبح واضحا ان الاسواق الاجنبية في عالم رأس المال لم تعد ترغب في قبول الفرنك . واضطرت مكاتب الصرف فيها الى تحديد المبالغ المحولة منه . متحددت في جنيف بمبلغ ٥٠ فرنكا للشخص وذلك قبل نهاية يوم ١٥ نوفمبر بعد ان كانت عند الفتح تقبل التحويل حتى ١٠٠٠ فرنك .

وقبل نهاية الاسبوع كانت الازمة قد تحددت معالمها : فهي **صراع في نهاية الامر بين الفرنك الفرنسي والمارك الالماني يهدد الجنيه الاسترليني بينما يحاول الدولار ان يستفيد منه .**

وانتهى الاسبوع الاول والفرنك عند سعر ٤٫٩٧٤ فرنك للدولار ، بينما المارك عند سعر ٣٫٩٧٢٥ مارك للدولار . انتهى والسلطات الفرنسية تشتري الفرنكات مقابل الدولار ، بينما السلطات الالمانية تبيع الماركات مقابل الدولار .

وفي بداية الاسبوع الثاني اعلنت فرنسا عددا من اجراءات التقشف الداخلية تتمثل كخطوة اولى في استقطاعات جديدة في مشروع الميزانية لعام ١٨٦٩ تبلغ ٣٠٠٠ مليون فرنك . واضاف رئيس وزرائها ان الحكومة تدرس موضوع اتخاذ اجراءات مماثلة في الميزانية المقبلة . بعدها استعاد الفرنك مركزه بالنسبة للدولار والاسترليني ولم يتجاوز المارك حدود سعره الرسمي .

ومع ذلك فقد جاءت المفاجأة التالية يوم الاربعاء ٢٠ نوفمبر ، حين اعلن فجأة غلق الاسواق المالية في باريس ولندن وبون وجنيف وزيوريخ وبروكسل وروما وامستردام ومدريد واوسلو وهلسنكي ومونتريال وطوكيو ، على ان تظل مغلقة حتى نهاية الاسبوع . واعتبرت هذه العطلة فترة لالتقاط الانفاس . بيد ان سوق الذهب في لندن وهي التي ظلت مفتوحة كانت افصح في التعبير عن التطور الاخير ، فلقد ارتفع سعر الذهب فيها اكثر من نصف دولار للاوقية ليبلغ ٤٠٫٧٥ دولار . لقد دخلت ازمة الفرنك في مرحلة باتت تهدد العملات الرئيسية في الاسواق العالمية ، ولم يعد يكفي فيها اجراءات تتخذها فرنسا على حدة . وبالفعل بدأ في بون اجتماع وزراء المالية والاقتصاد ومحافظي البنوك المركزية للدول العشر التي تكون ما يسمى [نادي باريس] ، وهي اكبر الدول الصناعية في العالم الراسمالي فلم تعد ازمة الفرنك هي ازمة الفرنك وحده بل

ازمة النظام النقدى العالمى الذى اقامته وتتحكم فيه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اكبر الدول الرأسمالية فى العالم .

جـذور ازمة الفـرنك

وبالفعل فان حكومة ديجول ترى ان جذور ازمة الفرنك انما تكمن فى النظام النقدى العالمى ، أوما يسميه البعض [بالتوتر النقدى العالمى] . ولكن حكومة ديجول تضيف الى ذلك على الفور احداث مايو ويونيو الماضيين من اضرابات واضطرابات هنـاك وتجميع دوائر المال فى جميع الاسـواق المالية على ان هـذه الاحداث قد خلفت تضخما خطيرا فى فرنسا هو المسئول عن الهزة التى أصابت قيمة الفرنك .

وهكذا ترجع الدوائر الحاكمة فى فرنسا ازمة الفرنك الى امرين ، هما التوتر الراهن فى النظام النقدى العالمى وأحداث مايو ويونيو الماضيين . وبعبارة أخرى ، هما الرأسمالية العالمية والشعب الفرنسى . ونبدأ المناقشة بأسهـل الامرين اى احداث مايو ويونيو .

فلقد انفجرت هذه الاحداث كما انفجرت ازمة الفرنك ، وقبلها بستة أشهر ، فجـأة وعلى غير انتظار — بعد مظاهرات الطلبة واحتجاجاتهم فى المانيا الغربية ، التى هبت هى الاخرى فجأة وعلى غير انتظار . ولقد بدأت أحداث فرنسا فى النصف الاول من مايو بالطلبه ، ثم اشتعلت بعـد ذلك باضرابات العمال ، غير ان من يعلقون اليوم على ازمة الفرنك فيحلو لهم ألا يذكروا سوى اضرابات العمال . ففى مساء ١٤ مايو بدأت حركة العمال بما فيهم عمال القطاع العام ، من أجل حد ادنى للاجور لا يقـل عن ١٠٠٠ فرنك فى الشهـر ، وأسبوع عمل لا يـزيد عن ٤٠ ساعة ، واشراك العمال فى الادارة ، واطلاق الحرية النقابية . وبعد ثلاثة ايام توقفت الحياة تماما ، فلقد اضرب اكثر من تسعة ملايين عامل ، واحتل اغلبهم المصانع .

ونعلم جميعا كيف استغلت الدوائر الحاكمة فى فرنسا أحداث الطلبة والعمال لتجميع البورجوازية الكبيرة وتخويف البورجوازية الصغيرة . لكنها فى الوقت نفسه قدمت للطلبة والعمال تنازلات هامة فى مقدمتها تحرير النظم الجامعية وزيادة الاجور فهل كانت هذه الزيادة فى الأجور هى السبب فى انهيار الفرنك !

يجب الاعتراف بأن الاجور ظلت ثابتة فى السنوات الاخيرة ، على الرغم من الارتفاع المتواصل للاسعار وزيادة الانتاج الفرنسى بنسبة تتجـاوز ٥٠٪ ، وارتفاع انتاجية العمل بنسـبة ٤٠٪ . وعندما استجابت الحكومة الفرنسية لمطلب رفع الاجور ، لم تزد الاجور فى المتوسط الا بمقدار ١١٪ .

ويضيف فرانسوا ميتران انه اذا كانت أحداث مايو قد جمدت حوالى ٦٠٪ من الانتاج الفرنسى ، واحداث يونيو قد جمدت ٣٠٪ منه ، فان الخسارة بالنسبة للسنة بأكملها لاتتجاوز ٥٪ وهى نسبة غير ضئيلة ، لكنها أيضا غير خطيرة ، ومع ذلك فقد انطلقت الطبقة العاملة بعد يونيو فى تنمية الانتاج وهو الامر الذى سلم به رئيس الوزراء أخيرا .

فما السر اذن فى الاصرار على القـول بأن [متاعب فرنسا بدأت مع الزيادات الجماعية فى الاجور وهى التى حصل عليها العمال فى الصيف الماضى] ؟ وهـل تبرر هذه الزيادات ما يقرره الخبراء من ان فرنسا قد فقدت منذ اضطرابات مايو ويونيو من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ مليون دولار ، أى أكثر من ٤٠٪ من ارصدتها النقدية الخارجية ؟ فلماذا خرجت هذه الاموال من فرنسا ، على الرغم من استتباب الامر لحكومة ديجول ؟

ويجب الاعتراف بأن فرنسا قد عوضت جزءا من هذه الخسارة بالحصول على قروض بحوالى ١٣٠٠ مليون دولار فى يوليو الماضى من بنـوك المانيا وبلجيكا وايطاليا وهولندا والولايات المتحدة وبنك التسويات الدولية . وبالتالى فلقد ظلت حتى نوفمبر تملك قدرا كبيـرا من الذهب والعملات الحرة . ومعنى هذا إنه لم يكن يعوزها الاستناد الى احتياطى ضخم فى الخارج .

ولقد ظلت حالة التجارة الخارجية مرضية ، على الرغم من أحداث مايو ويونيو . وظل عجز التجارة الخارجية بسيطا فى أغلب الشـهور ، بحيث انه فى الشهور العشرة الاولى من هـذا العام زادت الصـادرات بمعدل ١١٫٢٪ بينما زادت الواردات بمعدل ٩٫٨٪ .

فأين يكمن الخلل اذن ؟

الواقع ان فرنسـا قد أنجزت فى السـنوات العشر الماضية تقدما اقتصاديا حقيقيا وضعها فى المقدمة بين دول اوربا الغربية . وفيما بعد احداث مايو ويونيو اقدمت الحكـومة الفرنسـية على سياسة توسع فى الانتاج لم يعترض عليها العمال بامل ان تنفـذ الحكومة وعودها باجـراء بعض الاصلاحات الهيكلية . غير ان هذه الاصلاحات ظلت على حد قول ميتران [ظلت تنتظر ان تتفضل بها اغلبية محافظة] .

ففى مقـابل زيادة الاجور للعمـال ، اقدمت الحكومة على اعفاء الشركات من بعض الضرائب وقدمت لها باعتراف ديجول [مساعدات مـالية سخية عاجلة] . بيد انها ضـاعفت فى الوقت نفسـه من الضرائب المباشرة وغير المبـاشرة ،

وبصفة خاصة فلقد رفعت اسعار الخدمات العامة وهكذا ابتلعت زيادة الاسعار وبخاصة منذ سبتمبر ما تحقق من زيادة في الاجور وهكذا ايضا بدأ الحديث عن التضخم مع عجز في الميزانية بلغ اكثر من ١١٥٠٠ مليون فرنك .

وعند اول بادرة لتخلف الصادرات الفرنسية، انطلقت حركة هرب رءوس الاموال من فرنسا ، بالمضاربة على المارك الالماني الذي راجت الاشاعات عن قرب رفع قيمته . وفي اسبوع واحد ، تحركت حوالي ١٠٠٠ مليون دولار نحو فرانكفورت من باريس . وهربت رءوس الاموال الفرنسية الى المانيا الغربية ، مضاربة على مصالحها القومية سعيا وراء الربح السهل الوفير ، واضعة بذلك على حد قول ديجول [مصالحها الخاصة فوق الصالح العام] .

وبهذا وقفت الرأسمالية الكبيرة الفرنسية بصراحة ضد حكومة ديجول . فلم تكن الطبقة العاملة هي التي ضاربت وما زالت تضارب على قيمة الفرنك ، وتشتري بدله الذهب والماركات . ولكن هي الطبقة الرأسمالية التي تعلن بذلك عدم ثقتها في كفاءة نظام ديجول على الرغم من نجاحه في انتخابات يونيو الماضي . ومن قبل اضرابات مايو كان اتحاد نقابات العمال يطالب بالرقابة على صرف الفرنك ، لكن حكومة ديجول لم تبدأ بهذه الرقابة الا اخيرا .. ومتأخرة ؛ لذلك تبدو صحيفة التيمس في موقف سليم حين تبرز ازمة الفرنك بوصفها نتيجة (لهجمات مستمرة تتخذ صورة المضاربة ضد الفرنك]. وتضيف الصحيفة ان الخطأ الاساسي انما يرجع الى عدم معقولية سعر صرف الفرنك بالمارك ، فالمارك مقوم بأقل من قيمته بالنسبة لاغلب العملات الاخرى ، اكثر من كون الفرنك مقوما بأكثر من قيمته .

وينقلنا هذا التعبير الى السبب الآخر لازمة الفرنك في راى الحكومة الفرنسية وهو توتر النظام النقدي العالمي ، ففي رأيها ان ازمة الفرنك ليست ازمة فرنسية فقط ، لكنها مظهر لازمة النقد الدولية .

ازمة النقد الدولية

يرى كوف دي مورفيل رئيس وزراء فرنسا ان الازمة قد نشأت « من جراء مضاربة لاعنان لها على العملة الالمانية التي يرى البعض ضرورة رفع قيمتها » . والبعض هنا ليس فقط الرأسمالية الكبيرة الفرنسية ، لكن الحكومة الفرنسية ايضا . فمن رايها ان اغلب اسعار الصرف الحالية قد وضعت في نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولقد ظلت بلا تغيير على الرغم من تطورات العالم الراسمالي ، حيث اشتدت قوة الدول التي هزمت في الحرب بينما اصبحت بعض الدول المنتصرة اضعف اقتصاديا . فمن المعروف ان النظام النقدي العالمي الراهن قد وضع عقب الحرب العالمية الثانية ، حين خرجت الولايات المتحدة بوصفها اقوى دولة في العالم ، بحيث صار الدولار بديلا للذهب والعملة الرئيسية الاولى في الاسواق العالمية . ولقد اكدت احداث مابعد الحرب هذه المكانة للدولار . بيد ان اغلب العملات الرئيسية في العالم الراسمالي تعرضت لهزات كثيرة منذ نهاية الحرب . ففي عام ١٩٤٨ جرى نوع من التخفيض للفرنك . وفي عام ١٩٤٩ خفض الاسترليني . وفي عام ١٩٥٧ خفض الفرنك بنسبة ١٧٫٥٪ . وفي عام ١٩٦٢ تكون [نادي باريس] ليضم الدول الصناعية العشر الكبرى في العالم الراسمالي وهي امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا والسويد وبلجيكا وهولندا واليابان وايطاليا وكندا في محاولة للتضامن النقدي . وفي نوفمبر ١٩٦٤ عندما هبطت ارصدة بنك انجلترا الى اسوا حد ، تدخل نادي باريس لنجدة بريطانيا ، والواقع ان بريطانيا كانت عندئذ في وضع لاتحسد عليه . ففيما بين اول ١٩٦٢ ونهاية ١٩٦٦ لم تحقق بريطانيا سوى معدل للنمو بلغ ١٥٪ فقط ، بينما انجزت المانيا معدلا بلغ ٢٠٪ . اما فرنسا فقد حققت معدل نمو ٢٦٪ . في هذا الوقت كان ميزان المدفوعات الامريكي يسجل عجزا يتفاقم عاما بعد عام .

لهذا حاول ديجول في فبراير ١٩٦٥ ان يوجه ضربة للدولار الذي ظل يحافظ على سعر تعادله مع الذهب وهو ٣٥ دولارا لكل اوقية ذهب . هنالك استخدم ديجول سلاح الذهب المتجمع لدى دول السوق الاوربية المشتركة لا ليعيد نظام الذهب العالمي ، ولكن لينال من مكانة الدولار بأمل ان يعيد تقسيم العالم مع امريكا .

ومع ذلك فقد كان الاسترليني لا الدولار هو الذي اصابه التدهور . وفي ١٩ نوفمبر من العام الماضي تم تخفيض الاسترليني بنسبة ١٤٫٣٪ وهبط سعر صرفه بالدولار من ٢٫٨ الى ٢٫٤ .

في هذه المرة كان تخفيض الاسترليني بمثابة سقوط الدرع الذي كان يحتمي وراءه الدولار . ولذلك اشتدت وطأة التضخم الامريكي ، بالاضافة الى نزيف الذهب من امريكا ، مع العجز المتفاقم في ميزان المدفوعات نتيجة لتدفق الاستثمارات الامريكية على اوربا وكندا . عندئذ انهار الدولار في ازمة رهيبة امتدت من نوفمبر ١٩٦٧ حتى مارس ١٩٦٨ . وكان انهيار الدولار لاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية بحيث يشير في الواقع الى انهيار الثبات النقدي الذي استمر منذ نهاية الحرب . ويعلن بذلك عن ضرورة تعديل نظام

النقد الدولي بما يتلاءم مع تطورات العالم الراسمالي خلال ربع قرن . وهذا هو مايعبر عنه بأن المطلوب هو اقامة نظام نقدي دولي [يزيل التفاوت بين اسعار السلع العالمية].

واليوم بعد عام من تخفيض الاسترليني وبعد اقل من عام من ازمة الدولار ، يتعرض الفرنك لازمة خطيرة مماثلة . ومثلما تصدى الفرنك لمحاربة الدولار ، يتصدى المارك لمحاربة الفرنك. ومثلما تقدمت فرنسا على راس السوق الاوربية المشتركة ضد امريكا ، تتقدم المانيا الغربية ومعها البلدان الدائنة عالميا مثل سويسرا وهولندا وايطاليا واليابان ، ومن ورائها امريكا بحذر ، لتواجه فرنسا .

ومنذ السبت ١٦ نوفمبر اجتمع محافظو البنوك المركزية للسوق الاوربية في مدينة بال بسويسرا ، كمظهر للتماسك بين العملات الرئيسية في العالم الراسمالي ، ليفرضوا التخفيض على الفرنك . فلما قاومت فرنسا ، انتهى الاجتماع بالفشل . ولكن سرعان مادعت المانيا الغربية وزراء المالية والاقتصاد مع محافظي البنوك المركزية في نادي باريس وسويسرا وممثلي صندوق النقد الدولي للاجتماع في بون من اجل معاودة الضغط على فرنسا . وبالفعل اتفق هذا المؤتمر على تقديم قرض لفرنسا يبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار بشرط ان تقوم فرنسا بتخفيض الفرنك . لكن ديجول اصر على موقفه من رفض التخفيض حرصا منه على مكانة فرنسا الدولية وبخاصة في اوربا الغربية وهكذا تكشف الصراع الاقتصادي عن صراع سياسي عميق .

الحلفاء الالداء

ليس وضع الفرنك بأسوأ من وضع الاسترليني ، ولاحتى من وضع الدولار . بل لايزال بنك فرنسا يملك ثالث اكبر احتياطي نقدي في العالم . فلماذا اليوم تركيز النيران على الفرنك خاصة ؟

هنا نضع ايدينا على حقيقة جوهرية تحكم العلاقات داخل النظام الراسمالي العالمي ، هي ان القانون الذي يحكم هذه العلاقات ليس هو قانون النمو المتوازن فيما بين بلاد النظام الراسمالي وانما هو قانون النمو غير المتكافيء. ومن ثم تتناوب هذه البلدان في احتلال المقدمة ، او احتلال المؤخرة . هي لعبة الكراسي الموسيقية في العالم الراسمالي ، لاتتوقف ولاتستقر . ويستخدم كل بلد او مجموعة من البلاد كل مالديها لترجمة قدرتها القومية على المستوى العالمي . ويبدا الجميع في اعادة توزيع الاسواق العالمية، والصراع على دور القيادة داخل النظام الراسمالي العالمي .

ومنذ نهاية القرن الماضي والبلدان الراسمالية تمارس هذه اللعبة . ولو بالحرب العالمية . لكنها هذه المرة مجبرة على انتمارسها، على ان تحل تناقضاتها في ظل السلام . لقد تغيرت بالفعل موازين القوى داخل النظام الراسمالي العالمي بعد ٢٤ سنة من نهاية الحرب العالمية الثانية ، واصبح على الدول الراسمالية ان تواجه كل حين مشكلة اعادة توزيع الاسواق العالمية في ظروف عالمية تشهد عجزها عن الزج بالعالم في اتون حرب عالمية ثالثة مع استمرار حركة التحرر الوطني في المستعمرات .

وحل هذه التناقضات في ظل السلام اصعب بكثير ، ومرهق ، عن حلها في ظل حرب تغرق التناقضات فيها في حمامات من دماء الشعوب ، بحيث تطمس مؤقتا بعض تلك التناقضات على حساب الشعوب . وفي ظروف السلام هذه تطرح قضية العلاقات بين الدول الراسمالية وستظل تطرح بلا انقطاع .

ولاشك ان فرنسا بقيادة ديجول تمثل تحديا جريئا لزعامة امريكا للنظام الراسمالي العالمي . ومن يطلع على البيانات الخاصة بالاستثمارات الامريكية في فرنسا مثلا لابد ان تذهله حقيقة ان رءوس الاموال الامريكية تسيطر على ٤٠٪ من الصناعات الفرنسية .. وهذا على الرغم من مقاومة ديجول !! ومع ذلك تود الولايات المتحدة لو تخلصت فرنسا من سياسة ديجول ، او تنتقل زعامة اوربا الغربية الى المانيا العربية .

في هذه الظروف تلعب امريكا لعبة الكراسي الموسيقية ، وترشح المارك الالماني ليتحدى الفرنك الفرنسي . ولاشك ان تطورات العالم الراسمالي قد دفعت للمقدمة عملات البلدان التي خرجت من الحرب مهزومة ، مثل المارك الالماني والليرة الايطالية والين الياباني . وهناك ايضا الوضع الخاص للفرنك السويسري ، فمعروف ان سويسرا هي بنك لجميع العملات الرئيسية في العالم ، وهي ايضا ملجأ لجميع الاموال التي تطلب الامان . ولذلك تعبر اسواقها فورا عن حقيقة علاقات القوى في النظام الراسمالي . لكن يظل المارك هو العملة الرئيسية القادرة على تحدي الفرنك .

المارك ضد الفرنك

فلماذا المارك بالذات ؟

الواقع ان المانيا الغربية التي خرجت من الحرب

العالمية الثانية مثخنة بجراح الهزيمة الساحقة، قد استطاعت ان تعيد بناء اقتصادها ببراعة ، معتمدة على استغلال وطنية الطبقة العاملة ومستفيدة من وضعها كدولة راسمالية بلا مستعمرات ، ومن التزامها بعدم الاحتفاظ بقوات مسلحة باهظة التكاليف . وفى نهاية الخمسينات كانت المانيا الغربية قد توصلت فى السوق الراسمالية العالمية الى مكانة متقدمة ، بل واصبحت دائنة للولايات المتحدة نفسها .وقتها سمحوا لهابتكوين قواتها المسلحة،وفرضوا عليها فى عام ١٩٦١ ان ترفع قيمة المارك . ومع ذلك لم يؤد هذا الاجراء الى وقف التوسع الهائل فى تجارتها الخارجية . واستمر تدفق الاستثمارات الالمانية على الاسواق الخارجية ، نتيجة تشجيع الشركات الالمانية على الاستثمار الاجنبى عن طريق منحها ضمانات بالتغطية من خلال مؤسسة [هرمز] وهى جهاز لضمان اعتمادات التصدير.

وفى السنة الماضية انجزت المانيا الغربية معدل نمو مفاجئا . وحققت فائضا تجاريا بلغ ٤ مليارات من الدولارات . واصبحت الدائنة الرئيسية لبقية العالم.فهى تقدم العروض مباشرة وبطريقة غير مباشرة [من خلال صندوق النقد الدولى] لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مثلا. وعندما عجز فائض ميزانها الجارى الخارجى عن الاستجابة بشكل مناسب لتوسعها الداخلى وعن مساعده بريطانيا ثم الولايات المتحدة على خفض عجزها الخارجى ، صدرت راس المال بكل وسيلة لتحتفظ على الاقل بميزان مدفوعات فائض . لهذا تفضل المانيا الغربية ثبات الاسعار العالمية ، لكنها تعيش وتتاجر فى عالم يعرف التضخم وقد يشجعه أو على الاقل قد يعجز عن كبح جماحه . ومن هنا يعتبر سعر صرف المارك مختلا مع كل من الاسترلينى والفرنك والدولار، مما يترجم بعملية شراء للمارك ، بسندها استعداد البنوك المركزية لمواجهة الطلب بتحويل العملات الى المارك . بعبارة اخرى فان المانيا الغربية الدائنة الاولى للعالم تقبض على مفاتيح العملات الرئيسية فى اسواق المضاربة . ولهذا تعتبر انجلترا وفرنسا وامريكا ان المارك مقوم رسميا بأقل من قيمته الفعلية ، وتطالب بالتالى برفع قيمته رسميا . ومعنى هذا رفع اسعار الصادرات الالمانية فى الاسواق الخارجية ، والحد من تدفق الاستثمارات الالمانية فى الخارج . ولهذا ايضا تعارض المانيا الغربية محاولات رفع قيمة المارك، وتطالب على العكس بتخفيض قيمة الاسترلينى والفرنك .

وفى هذه المرة ، استغلت متاعب الفرنك الطارئة وتدفق ماقيمته ٥ر١ مليار دولار على اسواقها خلال يومين ، للمطالبة بتخفيض الفرنك . وتركت وكيل وزارة ماليتها يصرح مباشرة بأنه « لامفر من تخفيض الفرنك بنسبة لاتتجاوز ١٥٪ » . بل وبدات البنوك الالمانية تطبق تخفيضا مقداره ١٥٪ على الفرنك الفرنسى.

ثم بادرت الحكومة الالمانية بتحديد موقفها لتضع حلفاءها امام الامر الواقع . فمن جانب اعلنت رفضها رفع قيمة المارك ، بحجة ان المزايا المحتملة لمثل هذا الاجراء يمكن ان تضيع بفعل الدول الاخرى . والواقع ان المانيا الغربية ترفض رفع قيمة المارك محتفظة بالموضوع كورقة للمساومة فى اى مؤتمر لمعالجة ازمة النقد العالمية . ولذلك قدمت بدلا من ذلك مشروعا بفرض ضرائب مؤقتة لمدة ١٥ شهرا من شأنها تشجيع الاستيراد والحد من التصدير واعادة التوازن الى ميزان المدفوعات. واقترحت المانيا الغربية بالفعل فرض رسم على الصادرات بنسبة ٤٪ وتخفيض الرسوم على الواردات بنفس النسبة ، مع رفع الضمان بنسبة ١٠٠ ٪ عن الالتزامات التى تعقدها البنوك الالمانية مع الخارج،حتى ينخفض ميزان مدفوعاتها فى عام ١٩٦٩ بنحو ٤ الى ٥ مليارات مارك. ومنذ الان ، بدات معارضة رجال الصناعة فى المانيا الغربية لاجراءات الحكومة ، وبخاصة فى مجال صناعة السيارات .

ومن جانب آخر، تقدمت المانيا الغربية رسميا باقتراح تقديم قرض بمبلغ ١٠٠٠ مليون دولار لدعم مركز الفرنك ، لكنها اشترطت ببساطة وقف التوسع فى الاقتصاد الفرنسى . لقد اشترطت وقف التضخم المتزايد وخفض كميات الفرنك فى سوق النقد المضاربة على المارك.ورفضت فرنسا العرض الالمانى ، واقترحت على العكس ان تكون الضريبة على الصادرات الالمانية بنسبة ٨٪ وان تخفض الضريبة على الواردات الالمانية بنفس النسبة . وتقدم اقتراح ايضا بوقف تدفق راس المال على المانيا الغربية عن طريق ماسمى [الفائدة السلبية على الودائع الاجنبية] .

ويجب الاعتراف بأن هذا الصراع كله ليس بالبساطة التى يتصورها البعض . فاذا كانت أمريكا والمانيا الغربية ترغبان فى تخفيض الفرنك لاسباب اقتصادية وسياسية ، فلقد تلاقى الامريكان والانجليز والفرنسيون من جانب آخر على ضرورة رفع قيمة المارك . ففى رأى امريكا ان رفع قيمة المارك هو [ابسط وانظف طريقة لاستيعاب الضغوط الاخيرة فى النظام النقدى العالمى] . وعلى العكس ففى المحافل الرسمية تعبر أمريكا عن مخاوفها من تخفيض الفرنك ، اذ ينطوى على مخاطر اكبر باصدائه المتوقعة على الاسترلينى ومن ثم على الدولار نفسه .

فمن المعروف مثلا ان فائض التجارة الامريكى قد انخفض فى السنة الماضية الى حوالى مليار

من الدولارات . فاذا نحينا جانبا تلك الصادرات التي تمولها الحكومة اصلا ، فاننا نتبين ان هناك عجزا في الميزان التجاري الامريكي . ولم يحم الدولار من اصداء هـذا العجـز سوى زيادة الاستثمارات الاجنبية في البورصات الامريكية بحوالي مليـارين من الدولارات . لهذا يشيرون في امريكا الى ان حكومة نيكسون ستوجه الامور النقدية في اتجاه يناسب وجهة النظر الفرنسية .

في هذه المعركة كلها كانت بريطانيا تحبس انفاسها خوفا على الاسترليني . فمن جانبهـا طالبت برفع قيمة المارك، ولم تلح في طلب تخفيض الفرنك . ومن جانب فرنسا فلقد رفضت تخفيض الاسترليني، قائلة ان الدور الذي يلعبه الاسترليني كاحتياطي نقدي هو الذي يعرضه للضغوط الناتجة من [نزوات المضاربات الحادة التي لاترتبط اصلة بالحالة الصحية للاقتصاد البريطاني] . وانمـا يجب الاعتراف بأن هذه الحالة الصحية ليست على مايرام . فبعد عام من تخفيض الاسترليني ، يسلم الاقتصاديون بأن التخفيض قد اعطى دفعة سريعة للارباح ودفعة ابطأ للاستثمار ، لـكنه انتج معدلات من البطالة لم يسبق لها مثيل . لقد نما الاقتصاد البريطاني في هذه السنة بمعدل يزيد ٢٪ عما كان متوقعا . لكن عجز ميزان التجـارة الذي بلغ ٢٨ مليون جنيه في اغسطس الماضي ، وبلغ ٣٣ مليون جنيه في سبتمبر ، قد تضـاعف الى ٦٦ مليون جنيه في اكتوبر . من هنا مخاوف بريطانيا من تخفيض الفرنك الذي يمكن ان يطلق ازمة الاسترليني نفسه بكل اصدائها على التجارة الخارجية . وتصرح الدوائر البريطانية بان الذي يعنيها هو قيمة الاسترليني بالدولار ، حيث ان امريكا هي السوق الرئيسية لتوسع الصـادرات البريطانية . ولذلك تعتبر تطورات الاقتصاد الامريكي حاسمة بالنسبة للاسترليني . وتخشى بريطانيا سلفا من ان يتبع نيكسون سياسة عزلة او حماية تقف حائلا دون زيادة الصادرات البريطانية الى الولايات المتحدة .

لهذا نفهم الجزع الذي تملك الحكومة البريطانية من ازمة الفـرنك . وبدا على الفـور ان امل الاقتصاد البريطاني ـــ وهو اقتصاد راسمالي ـــ معلق على خفض الطلب من جانب المستهلكين البريطانيين . ولهذا لم تتأخر الحكومة البريطانية في اتخاذ اجراءات صارمة : خفض النفقـات العامة ، زيادة الضرائب ، الحد من الاستيراد وخاصة واردات الدول النامية وتمثل حوالي ثلث الواردات البريطانية ، فرض القيود على القروض المصرفية . لكن اخطرها جميعا هو الضريبة على الشراء التي تتراوح بين ١٠٪ و٥٥٪ والتي تتناول سلعا مثل السجاير والبيرة والبنزين والويسكي والثلاجات والسيارات .

وفي النهاية ، فماذا كانت نتيجة هذه الجولة بين المارك والفرنك ؟ لقد رفض ديجول تخفيض الفرنك رسميا حتى لايكافيء اولئك الذين [تامروا على انهيار فرنسا] . واصبح العالم الراسمالي يواجه امرا واقعا هووجود [مارك تجاري] مرفوع القيمة يتعادل مع [فرنك تجاري] و [استرليني تجاري] مخفض القيمة ، بانتظار جولة اخرى ابعد مدى واشد حدة .

المتامرون على انهيار فرنسا

اذا كان ديجول قد رفض تخفيض الفرنك ؟ فلقد اعلن كبديل له عن برنامج داخلي يمكن ان نسميه برنامج تقشف شديد وبطالة مرتفعة . ان العجز في ميزانية ١٩٦٩ الذي قدر باكثر من ١١٥٠٠ مليون فرنك [١١٧٦ مليون جنيـه استرليني] سيخفض الى مادون ٦٥٠٠ مليون فرنك ـــ على حساب تخفيض النفقات الحكومية والمعونات المقدمة للشركات المؤممة وبخاصـة السكك الحديدية والمعونات الزراعية واعتمادات التعليم والعون الخـارجي وبعض المشروعات الاستثمارية وميزانية الدفاع . ولقد اعلن ديجول فرض رقابة صارمة على النقـد الاجنبي . وفي الوقت ذاته فان سعر الفائدة اليـوم في فرنسا هو اعلى سعر في السـوق الاوربية المشتركة ، واعلى من سـعر الفائدة في الولايات المتحدة ٥ر٥ ٪ ويقترب من سـعر الفائدة في الولايات المتحـدة ٥ر٥ ٪ ، ويقترب من سـعر الفائدة في بريطانيـا ٧ ٪ ، وكل هـذا يمكن ان يحول دون هرب الامـوال الفرنسيـة الى الخارج . ولهـذا يتقدم ديجـول للاحتكارات وللراسمالية الفرنسيـة بمزية مقابلة هي اعفاؤها من ضرائب معينـة لزيادة مقدرتهـا على التصـدير .

ويجب الاعتراف بأن هذا البرنامج وهو شديد الوطأة على العاملين في فرنسا يحـابي على العكس الراسمالية الفرنسية . وهو على اي حال يغفل حقيقة أن المتامرين على انهيار فرنسا لم يكونوا جميعا من خارج فرنسـا ، وانما من داخلها ايضا .

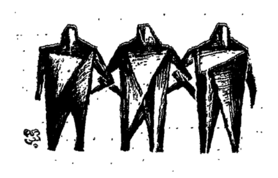
فالواقع ان ازمة الفرنك الفرنسي انما تطرح من جديد قضية المجتمع الراسمالي الزاهر ، مجتمع الاستهلاك كما يحلو لهم ان يسموه . فهذا المجتمع هو في الحقيقة مجتمع الراسمالية الاحتكارية التي تتداخل عضويا مع اجهزة الدولة والحكم ، ومن ثم تسيطر على مقاليد الامور بطرة يعجز عن مقاومتها اقدر الحكام . ففي عام ١٩٦٢ مثلا صدر من فرنسا ٦٩٢٢ مليون فرنك الى البلدان النامية منها ٤٩١٢ مليون فرنك قدمتها الدولة . وفي الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٢ زادت نصيب الدولة في صادرات راس المال من ٥٨٫٦٪ الى ٧١٫٠٪

في هذا المجتمع تتحول الحياة الاقتصادية الى جهاز في ايدى قلة من الاحتكارات الهائلة ، التي لاتعترف بوطن لها ، والتي تتخطى حدود الدولة الواحدة مستفيدة من تطور القوى الانتاجية بفضل الثورة التكنولوجية الراهنة . وعلى الرغم من هذه الثورة الهائلة في التكنولوجيا ورفع انتاجية العمل ، وعلى الرغم من اسلوب التخطيط الذى تدخله على الحياة الاقتصادية ، بحيث نستطيع في النهاية ان نشكل هي السوق اكثر مماتخضع هي له ، شان مجتمع رأسمالية الدولة الاحتكارية على الرغم من كل امكاناته الهائلة يعتبر مجتمعا هشا الى حد بعيد .

ا ـ فمن جانب يعاني هذا المجتمع من تناقض جوهري ، يتمثل في قدرته ليس فقط على زيادة الانتاج بل على زيادة الإستهلاك أيضا . فهو مجتمع يعجز عن الاستمرار في التقدم الفني بغير زيادة الاستهلاك . لكنه في الوقت ذاته ، يعمد عند اول بادرة لاول ازمة الى فرض القيود على هذا الاستهلاك . فلم تجد بريطانيا حلا لازمة الاسترليني في العام الماضي وفي الشهر الحالي ، سوى تخفيض الاستهلاك . وكذلك فرنسا ، لكن فرنسا هذه تقبل ان تكرس للنفقات العسكرية المباشرة وبخاصة للتسليح الذرى ٢٥ ٪ من ميزانيتها السابقة ، بينما الاتخصص للتعليم والعمل والصحة سوى ٢٠ ٪ وتقبل في الوقت ذاته ان تكون أهم اقتطاعات الميزانية الحالية على حساب القطاع العام ، وفي الصناعات المؤممة اساسا . لذلك لانعجب ان كان عمال القطاع العام ، مثل مصانع رينو ، أكثر العمال صلابة في الاضرابات الماضية .

ب ـ ومن جانب آخر ، فان زيادة انتاجية العمل وانخفاض نسبة المشتغلين بالانتاج المادى يؤدى الى ارتفاع نسبة العاملين في النشاط غير الانتاجي ، والى زيادة النشاط الاجتماعي الى أبعد من حدود الانتاج المادى ، مما يخلق تناقضا اساسيا يؤدى في النهاية كما هو معروف [الى اعاقة الانتاج واهدار امكانيات مادية وبشرية او تعطيلها او الخفض من انتاجيتها] . وهكذا بينما يوسع دائرة الاستغلال الاجتماعي ليشمل العامل طبعا والعالم والمهندس والموظف ، فانه يباعد الهوة بين طابع الانتاج الاجتماعي الهائل وبين حقيقة ملكية حفنة من الاحتكارات لخيرات المجتمع وهي حفنة من الاحتكارات تتناقض مصالحها ليس فقط مع اغلبية الشعب العامل ، بل مع جمهرة الرأسمالية أيضا .

لكل هذا اصبحت تفجرات الرأسمالية المعاصرة بهذه الصورة تقع فجأة وفي أي لحظة . فالواقع ان **الاقتصاد الرأسمالي المعاصر عملاق مريض بالقلب .**





فيات وسيتروين

ملامح جديدة فى التركيز الاحتكارى

د. اسماعيل صبرى عبد الله

أثار شراء شركة سيارات «فيات» الايطالية لحصة كبيرة من راس مال شركة سيارات « ستروين » الفرنسية ضجة كبيرة ترددت اصداؤها فى الصحافة العالمية لعدة اسابيع . وبالطبع كانت باريس المركز الرئيسى لتلك الضجة . فمن استجوابات فى البرلمان ، الى مقالات صحفية ، الى بيانات من الاحزاب اليسارية والنقابات العمالية الى مناقشة فى مجلس الوزراء . وقد أعلنت حكومة ديجول معارضتها لتلك الصفقة . ومع ذلك فقد عجزت من منعها . واشترت « فيات » ٣٠ ٪ من اسهم ستروين من الحصة التى كانت تملكها شركة « ميشلان » الفرنسية ، وقضى الامر ·

وربما كان أفضل مافى الضجة التى أثيرت هو ازاحة الستار لفترة عن عمليات التركز الاحتكارى التي تسير على قدم وساق فى أوربا الغربية فى السنوات الاخيرة · ومن خلال هذه العملية يمكن القاء الضوء على بعض الملامح الجديدة التى تمتاز بها الاحتكارات الدولية فى المرحلة الحالية ·

سيتروين وفرنسا

ولم تكن صفقة فيات بالاولى من نوعها التى يتم فيها استيلاء شركة أجنبية على حصة كبيرة من رأسمال شركة فرنسية · بل ان الامثلة كثيرة فى هذا المجال · وإنما ترجع خطورة تلك الصفقة الى الاهمية الخاصة لستروين فى صناعة السيارات الفرنسية وفى الاقتصاد الفرنسى كله ·

وتاريخ شركة ستروين حافل بالاحداث والتقلبات التى قربتها أحيانا من الافلاس وحملتها فى أحيان أخرى الى النمو السريع • فقد أنشأها المهندس أندريه ستروين فى بداية الحرب العالمية الاولى لتبنى مصنعا لانتاج القذائف • وبالطبع كان هذا الانتاج الحربى مصدر أرباح طائلة مكنت ستروين من أن يتحول بعد الحرب الى انتاج السيارات • وقد دخل هذه الصناعة بفكرة كانت تعتبر « ثورية » . فحتى أوائل العشرينات كان الانتاج مقصورا على السيارات الكبيرة المرتفعة الثمن • فاقدم ستروين على انتاج سيارة « شعبية » أى رخيصة نسبيا ، ولاقى فى هذا نجاحا ملحوظا ، ثم أحدث تطورا فنيا فى تصميم السيارة بنموذج جديد كان سابقا لعصره ، ولكن تكاليف اخراج هذا النموذج ، مضافة الى ظروف الازمة العالمية دفعت بالشركة الى حافة الافلاس • وعندئذ أقدمت شركة « ميشلان » لانتاج الاطارات على شراء ٤٠ ٪ من اسهمها . ومات أندريه ستروين سنة ١٩٣٤ ، وفقدت اسرته السيطرة على الشركة التى حققت من النموذج الجديد أرباحا خيالية اذ أنها ظلت تنتجه دون اى تغيير يذكر لمدة عشرين عاما •

وغداة الحرب العالمية الثانية كانت صناعة السيارات فى فرنسا مازالت تعيش فى ظروف منافسة بين أربع عشرة شركة تعتبر بالمقاييس العالمية لصناعة السيارات شركات صغيرة ، أو متوسطة • ولكن ظروف المنافسة العالمية جعلت حركة التركيز تسير بخطى واسعة حتى هبط عدد الشركات الى خمس • وفى خلال هذه العمليات التهمت ستروين بعض الشركات ، من اهمها شركة « بانهار » ثم أخيرا شركة « بيرلييه » التى تنتج وحدها ٥٠ ٪ من الانتاج الفرنسى من سيارات النقل وما اليها • وهكذا أصبحت ستروين تحتل المركز الثانى فى صناعة السيارات الفرنسية بعد مصانع رينو مباشرة ، وبلغ انتاجها من السيارات بمختلف أنواعها فى العام الماضى ٥١٥٫٠٠٠ سيارة ، وهى بهذا تحتل المركز العاشر بين منتجى السيارات فى العالم • ولكن هذا النمو كله لم يكن كافيا فى ظروف المنافسة العالمية حيث يتجاوز انتاج كل شركة من « الخمس الكبار » مليون سيارة فى السنة • ولهذا حاولت ستروين الوصول الى نوع من الاندماج مع شركة « بيجو » الفرنسية التى تليها مباشرة فى الانتاج (٤٠٥٫٠٠٠ سيارة) • ولكن هذه الاخيرة دخلت فى عقد « مشاركة » مع مصانع رينو •

وبالرغم من أن تلك المصانع مؤممة ، الا أن الحكومة الفرنسية شجعت المشاركة مع بيجو ليتمكن الاثنان من الوصول بانتاجهما الى ١٫٥ مليون سيارة فى السنة حتى أصبحتا فى مكانة كل من « فيات » و « فولكس فاجن » •

انتاج السيارات فى العالم

١ — جنرال موتورز (الامريكية)
فى الولايات المتحدة : ٤٫٧٩٨٫٠٠٠
فى اوروبا (اوبل) : ٦٧٠٫٠٠٠
٥٫٤٦٨٫٠٠٠

٢ — فورد (الامريكية)
فى الولايات المتحدة : ٢٫١٢٣٫٠٠٠
فورد انجلترا : ٥٣٤٫٠٠٠
٢٫٦٥٧٫٠٠٠

٣ — كريزلر (الامريكية)
فى الولايات المتحدة : ١٫٥٠٥٫٠٠٠
فى فرنسا (سيمكا) : ٢٧٥٫٠٠٠
١٫٧٨٠٫٠٠٠

٤ — فيات (ايطالية)	١٫٣٧١٫٠٠٠
٥ — فولكس فاجن (المانيا الغربية)	١٫١٦٢٫٠٠٠
٦ — تويوتو (اليابان)	٨٣٢٫٠٠٠
٧ — رينو (فرنسا)	٨٠٥٫٠٠٠
٨ — نيسان (اليابان)	٧٣٧٫٠٠٠
٩ — بريتش موتورز (بريطانيا)	٦٧٠٫٠٠٠
١٠ — ستروين (فرنسا)	٥١٥٫٠٠٠

ولكن أهمية ستروين لا تكفى لتفسير قلق الحكومة الفرنسية ، فهذه ليست أول مرة تدخل فيها فيات فى صناعة السيارات الفرنسية • فقد كانت قبل ذلك تملك حصة كبيرة من رأسمال شركة « سيمكا » التى ابتلعت خلال عمليات التركيز شركة « فورد » الفرنسية . وحين نجحت شركة كريزلر الامريكية فى السيطرة على شركة « سيمكا » تم الاتفاق بين الاطراف المعنية على تقسيمها الى شركتين : واحدة لانتاج سيارات الركوب خاضعة لكريزلر تماما ، والثانية لانتاج سيارات النقل وما اليها ظلت فى قبضة « فيات » • وانما يرجع قلق الحكومة الفرنسية الى احتمال أن تصنع فيات بستروين مافعلته مع مابقى لها من شركة سميكا ، أى أن تصفى تدريجيا الانتاج فى فرنسا لتركزه فى مصانعها فى ايطاليا، وتحول شركة ستروين الى شبكة توزيع وصيانة فقط ، وهذا يعنى زيادة البطالة فى فرنسا ، والنيل من مركز شركة يضعها رغم أعمالها فى المحل الثالث بين الشركات الفرنسية فى كافة المجالات .

فيات وايطاليا

لقد رأينا أن شركة « فيات » تحتل المركز الرابع بين منتجى السيارات فى العالم . ولكن الامر الذى نريد الاشارة اليه هو انتاج السيارات ليس الا الجزء الهام من نشاط تلك الشركة ، وأن شركة فيات بأكملها جزء من جماعة رأسمالية أكبر تسمى « المؤسسة المالية الصناعية » تسيطر عليها أسرة « أتييلى » بحيث أصبح يطلق على كل ذلك اسم « امبراطورية أتييلى » • و « المؤسسة المالية الصناعية» شركة قابضة تملك أسرة اتييلى ٧٠٪ من رأسمالها فى حين يتقاسم الباقى شركة بيرلى لانتاج الاطارات ،و « البنك السويسرى » • وهى تملك اسهما فى شركات مختلفة تبلغ قيمتها الاسمية حوالى مائة مليار ليرة موزعة اقتصاديا بين : الصناعات الهندسية [٥١٪] ، البنوك والاعمال المالية [٢١ ٪] ، الصناعات الكيماوية ، الصناعات الغذائية ، بناء واستغلال الفنادق ، التجارة ، الصناعات الحربية والتأمين ... ونادى لكرة القدم من المحترفين .

وتملك « المؤسسة المالية الصناعية » ٢٥٪ من رأسمال فيات . وتكفى هذه النسبة لضمان سيطرتها عليها ، ورئيس مجلس ادارة فيات دائما من أسرة أتييلى • وتنتج فيات الى جانب السيارات بمختلف أنواعها : الجرارات ، والطائرات ، ومحركات الديزل البحرية ، كما أنها تشتغل بصناعة الصلب • ولكنها بالاضافة الى ذلك تلعب دور الشركة القابضة • وتبلغ القيمة الاسمية لاستثماراتها داخل ايطاليا ٧٥ مليار ليرة موزعة فى شركات متعددة بعضها له صلة ما بصناعة السيارات مثل شركة التأمين على السيارات ، وشركة الاسمنت المتخصصة فى بناء الطرق ، والبعض الاخر لاصلة له اطلاقا بصناعة السيارات مثل جريدة « ستامبا » اليومية • ! ولها فوق ذلك ٤٥ مليار ليرة استثمارات فى الخارج. ولكل هذا فان امبراطورية اتييلى تحتل المكان الاول فى الاقتصاد الايطالى ولها نفوذ واسع فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية .

الشركة « متعددة القوميات »

وليس معنى شراء فيات لحصة كبيرة فى شركة ستروين أن الاحتكارية الايطالية « تغزو » فرنسا • ففى نفس الصناعة نجد شركة « رينو » الفرنسية توثق صلتها مع شركة ايطالية هى « الفاروميو » وتأخذها تحت جناحها • كما أن المصالح الامريكية فى صناعة السيارات الاوربية تمثل ٢٧٪ من انتاج السيارات فى أوروبا الغربية كلها ، وهى تأخذ فى الغالب شكل شركات محلية •

والواقع ان اهم ما تتسم به حركة التركز الاحتكارى المعاصرة هى الاتجاه الواضح نحو ما أسماه الامريكيون « الشركة متعددة القوميات » .. فالاحتكارات الكبرى تحطم الحدود القومية ، وتسعى لتكوين شركات تختلط فيها رؤوس الاموال وتضع مصالحها فوق كل الاعتبارات القومية • وقد نشطت هذه الحركة فى اوروبا تحت شعار تجميع الشركات الاوروبية لتكوين « احتكارات عملاقة » تستطيع أن تنافس الاحتكارات الامريكية • وفى هذا المعنى كتب سرفان ــ شرببير رئيس تحرير مجلة «الاكسبريس» الفرنسية ، وصاحب كتاب « التحدى الامريكى » تحية لارتباط ستروين بفيات تحت عنوان « مرحبا بالعمالقة » ولكن كل هذا ليس الا محاولة لستر حقيقة الاحتكارات • فعمالقة أوروبا كلهم مرتبطون بشكل او بآخر بالاحتكارات الامريكية • ومهما

يكن من أمر فان وجود شركات « أوروبية » بمعنى مساهمة رؤوس أموال أوروبية مختلفة فيها ، هو الذى وفر الاساس المادى لقيام السوق الاوروبية المشتركة • فالاحتكارات حين تتجاوز مصالحها الحدود القومية تضيق بالقيود الجمركية وتعمل على تصفيتها •

وباستمرار حركة التركز الاقتصادى فى هذا الاتجاه يكتسب الصراع فى المعسكر الامبريالى شكلا جديدا وهو شكل الصدام بين الجماعات الاحتكارية الكبرى وبعضها البعض ، بغض النظر عن الاوضاع القومية • بعد أن كان شكله الرئيسى هو الصدام بين الدول الامبريالية وبعضها البعض • وهنا تكمن حدود سياسة ديجول وأبعادها المحتملة • ان ديجول يحاول أن يذكى الشعور القومى لدى البورجوازية الفرنسية باسم الاستقلال عن أمريكا ، وباسم « أوروبا الاوطان » أى الحيلولة دون أن تكون الوحدة الاوروبية سبيلا للقضاء على القوميات ، وهو يحاول أن ينشىء احتكارات فرنسية خالصة فيدمج بعض البنوك فى البعض الاخر ويقدم كافة التسهيلات لعمليات التركز كما رأينا فى حالة « رينو » و « بيجو » •

ولكن الاتجاه الغالب مازال لدى الاحتكاريين الفرنسيين هو تفضيل التركز على مستوى دولى • ولهذا فان ديجول عجز عن وقف سيطرة الشركات الامريكية على شركات فرنسية كثيرة • ومن ناحية أخرى فان تشابك المصالح الاحتكارية مع ايطاليا والمانيا وبلجيكا يجعلها فى مجموعها غير طبيعية لتوجيهات الحكومة •

ان الاحتكارية بعد أن مجدت القومية وأكسبتها طابع التعصب الشوفينى لتستخدمها وسيلة فى استدراج الشعوب الى حروبها التوسعية أيام الاستعمار القديم ، تهدر فى عهد الاستعمار الجديد القومية اهدارا . والطبقة العاملة هى اليوم التى ترفع علم القومية • وفى أزمة ستروين تقدم الحزب الشيوعى الفرنسى والاتحاد العام لنقابات العمال باقتراحات ترمى الى تأميم شركة ستروين وتنظيم التعاون بينها وبين الشركة المؤممة الاخرى « مصانع رينو » لمواجهة المنافسة الخارجية • وبالطبع رفضت الحكومة هذا الاقتراح ، ولكنها لم تجد حلا آخر لانقاذ الموقف فتمت الصفقة رغم معارضة ديجول ».





المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى

[نظرات من الداخل والخارج]

تنعقد الدورة الثانية للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ، فى يناير القادم ليستكمل اعماله ويتابع ماتم تنفيذه من قرارات دورته الاولى التى انعقدت فى ٢٣ يوليو الماضى .

ولا شك أن انعقاد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ، حدث سياسى هام فى تاريخ التنظيم السياسى للثورة المصرية . ويكتسب المؤتمر اهميته الخاصة هذه من حقيقتين اساسيتين : أولهما انه أول مؤتمر قومى عام يعقده التنظيم السياسى ، وتنبثق عنه اجهزة تنظيمية تحدد الاطار العام — السياسى والتنظيمى — لحركة الاتحاد الاشتراكى ودوره فى المجتمع المصرى . وثانيهما : انه قد انعقد فى ظل ظروف خطيرة للعمل الوطنى يواجه فيها ظروف العدوان ونتائجه ومهام تصفيته والقضاء على آثاره .

وتحاول هذه الدراسة ، أن تقيم هذا الحدث الكبير والممتد — بانعقاده الدائم حتى هزيمة العدوان .. واذا كانت هذه الدراسة تتعرض فى الاساس لتحليل الدورة الاولى للمؤتمر القومى العام ، فانها تحاول أيضا أن تستشرف آفاق الدورة الثانية من خلال « رؤيتين » :

- « رؤية من الداخل » لاعمال المؤتمر وقراراته ، يعرضها بعض من ساهموا فى هذا الحدث الهام .. من اعضاء المؤتمر القومى نفسه ..
- « ورؤية من الخارج » لاعمال المؤتمر ، يعرضها كتاب من اعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين تابعوا اعمال المؤتمر القومى مثلما تابعه أعضاء الاتحاد الاشتراكى كله . و « رؤيتهم الخارجية » هذه ، تعنى رؤيتهم من خارج المؤتمر حيث انهم لم يكونوا أعضاء فيه .

نظرة من الداخل

مهام الاتحاد الاشتراكى بين الحاضر والمستقبل

محمد صبرى مبدى

لقد قدر على هذا الجيل من شعب مصر العربى ان يعيش ساعات العسرة التى جاءت مع امسية ٩ يونيو ١٩٦٧ بما حملته من عذاب وحيرة وتمزق كانت كفيلة بأن تسلم اى شعب مهما كانت قدرته على المقاومة الى ضياع لا يعرف له قرار ، ولكن برغم هذا كله فقد استطاعت الجماهير العريضة ان تحتضن قائدها وتحض ثورتها، ثم راحت بعد ذلك فى عملية استكشاف شاملة تبحث عن النواقص والسلبيات لتعيد البناء من جديد على اساس من الطهارة والنقاء الثورى .

وقد كان نداء المنطق وحكم الواقع ان تبدأ عملية اعادة البناء بالمؤسسة العسكرية المتمثلة فى القوات المسلحة باعتبار انها كانت اكثر المهام الحاحا حتى تستطيع بقدر ما يتاح لها من امكانيات وتنظيم ان تضرب اية محاولة للعدو قد يحاولها توسيعا لنطاق عدوانه .

وقد كانت الجهود التى بذلت فى هذا السبيل كما يقول العارفون بها جهودا تدخل فى نطاق الاسطورة وترقى الى مستوى المعجزات، ومصداق هذا القول كان اعلان المناضل جمال عبد الناصر عن استكمال قواتنا المسلحة لمقومات الدفاع فى ٢٣ نوفمبر الماضى اى بعد شهور تعد على اصابع اليد الواحدة وهو امر ان دل على شىء فانما يدل على القدرة الكامنة فى اعماق الجماهير المصرية والتى تستطيع مهما قسا الظرف أن تحقق الابداع فى أروع صوره .

وعلى ضوء هذه الحقيقة المعلنة والتى لعبت دورا رائدا فى تعميق ثقة الشعب بنفسه كان من الطبيعى ان تتحول الانظار الى الجبهة الداخلية طلبا للتغيير الذى التقى عليه مفهوم القائد والشعب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ . وهو مفهوم لم يطرح كانعكاسة لتأثيرات نكسة يونيه فحسب ، ولكنه كان ايضا

محمد صبرى مبدى
● عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى
● مقرر لجنة الاعلام .

مطلوبا بسبب الارتباط الذى لا ينفصل بين جبهة الداخل وجبهة الميدان انطلاقا من مسلمة مؤداها ان حروب العصر هى حروب شعوب لا جيوش فقط،وبهذا يكون التفاعل والتلاحم المطلق بين جبهة الداخل وجبهة الميدان ضرورة شرطية .وقام القائد عبد الناصر كالعهد به بالوفاء وتقدم الى الشعب ببرنامج شامل تمتد ابعاده الى مجالات العمل الوطنى على تعددها وهو ما اطلق عليه [بيان ٣٠ مارس] الذى قبل به الشعب بما يقارب الاجماع الكلى . وكانت اولى الخطوات التنفيذية للبيان المذكور هى اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى بطريقة الانتخاب الحر المباشر .

وما من شك فى ان عملية البناء المجددة للتنظيم السياسى تقف وراءها مبرراتها واسبابها ومنها :

اولا : انها النتيجة الطبيعية والمنطقية لحركة الجماهير الاسطورية التى وقف امامها العالم منبهرا ومشدوها فى يومى ٩ ، ١٠ يونيو والتى كانت ردا تاريخيا وباهرا على التآمر الامبريالى والصهيونى الذى اراد ان يقتنص فى خسة ودناءة تلك الارادة الحرة التى استخلصتها جماهيرنا المصرية بعد سلسلة متصلة من المعارك المضنية سياسيا وعسكريا واقتصاديا .. واذ اكدت هذه الحركة بيقين قدرة الجماهير المصرية على ان تحسن تقدير مواقفها تحت اى ظرف من الظروف مهما كانت دقته او قسوته فانه بناء على التداعى المنطقى وترتيب النتائج على المقدمات كان من المحتم ان تترك لتلك الجماهير حريتها دون اى محاولة للتدخل او الوصاية فى ان تستخلص من بين صفوفها العناصر التى تتوسم فيها الاقتدار الثورى والقسمات الكفاحية التى تؤهلها للقيادة فى هذه الفترة البالغة الصعوبة فى تاريخها .

ثانيا : ان الجماهير فى الاغلب الاعم وهذه مسلمة من المسلمات لا تتحرك بايجابية وفاعلية الا من خلف قيادات تشارك فى انتقائها او تستفتى عليها، ولهذا كان الابقاء على الوضع الذى كان قائما قبيل اعادة البناء التنظيمى والذى كانت تجسده القيادات المعينة بالمكاتب التنفيذية بمثابة ابقاء على وضع اصبح متخلفا عن متطلبات المرحلة التى بدأت غداة معركة الايام الستة السوداء والتى كان فى مقدمتها [المتطلبات] الاسراع فى حشد القوى الشعبية تلبية لحاجات معركة التحرير ولم يكن هناك من طريق لتحقيق هذه المهمة الجوهرية والعاجلة سوى اعادة بناء التنظيم السياسى بالانتخاب الحر من القاعدة الى القمة وهذا هو ما عبر عنه المناضل جمال عبد الناصر فى بيان ٣٠ مارس . .

« ان صيغة الاتحاد الاشتراكى هى اكثر الصيغ ملاءمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية وعلى اساسها ، وهى تجسيد حى وصحى لمعنى ان تكون الثورة للشعب وبالشعب ، ثم انها الضمان بعد ذلك لتجنب دموية الصراع الطبقى ولكفالة فتح اسرع الطرق واكثرها امانا الى التقدم . والاتحاد الاشتراكى كما تذكرون وفقا للميثاق هو واجهة عريضة تضم تحالف قوى الشعب العاملة كلها ، ثم تنظيم سياسى يقوم وسطها من الطلائع القادرة على قيادة التفاعل السياسى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، ولم تكن المشاكل التى عاناها الاتحاد الاشتراكى ترجع الى قصور او عيوب فى صيغته العامة وانما كانت اسباب القصور والعيوب ترجع الى التطبيق .

واول هذه الاسباب هو ان عملية اقامة الاتحاد الاشتراكى لم تبن على الانتخاب الحر من القاعدة الى القمة .»

ثالثا : ان ضرب مراكز القوى وتصفية جيوبها فى كل المواقع وهى التى مثلت عبئا ثقيلا على النضال الوطنى والعمل الثورى سنوات عدة والتى كانت من المؤشرات الفاعلة فى تحرك الاحداث التى انتهت بحدوث النكسة .

ان ضرب هذه المراكز وتصفية جيوبها كان هو الاخر هاتفا ملحا على القيادة الثورية لتلفظ اسلوب التعيين داخل المواقع القيادية فى التنظيم السياسى بحسبان انه اسلوب يساعد على استمرار مراكز القوى او يعين على خلقها . وقد كان اسلوب التعيين برغم بعض حسناته التى تمثلت فى ابراز عدد من القيادات الثورية المتوحدة مع الجماهير والتى قدمت من جهدها عطاء وفيرا من خلال العمل السياسى — كان هذا الاسلوب معوقا لقيام الوحدة النضالية بين قيادات التنظيم فى مواقع كثيرة ومانعا من توافر الانسجام فى عمل تلك القيادات ، وذلك لان عملية الانتقاء والاختيار كانت تتم فى معظم الحالات نتيجة لميول شخصية

وقد ترتب على ذلك نشوء صراعات تحمل باعبائها ودفع ثمنها العمل نشوء صراعات تحمل باعبائها ودفع ثمنها العمل السياسى كما وكيفا ، وقد تناول المناضل جمال عبد الناصر هذه القضية فى معرض حديثه عن اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى فى بيان ٣٠ مارس « ان علينا الان ان نعيد بناء الاتحاد الاشتراكى عن طريق الانتخاب من القاعدة الى القمة اى من اللجان التأسيسية فى القرية والحى والمصنع والوحدة الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى والى لجنته المركزية والى اللجنة التنفيذية العليا، وتذكرون اننى كنت قد اشرت فى خطابى يوم ٢٣ يوليو الماضى الى تكوين اللجنة المركزية للاتحاد

الاشتراكي؟ وكان التصور في ذلك الوقت ان تكون بالتعيين ، لقد اجلت ذلك خلافا لما قلت ووعدت به عن اقتناع بان اسلوب التعيين قد لا يعطينا الا ما تفرزه مراكز القوى ، او ما تقدمه المجموعات المختلفة والشلل ، وليس ذلك هو المرجو وليس هو مايحقق لنا الهدف من الدور الذي كنا نطلبه للجنة المركزية ، ان طريق الانتخاب سوف يعطينا الحل الاوفق ، ان يتم بناء الاتحاد الاشتراكي بالارادة الشعبية وحدها وان تقوم قوى الشعب العاملة باختيار قيادتها المعبرة عنها والمستوعبة لآمالها الثورية ثم تدفعها الى مواقع القيادة السياسية . »

مؤتمر حرب

وقد اقبل اعضاء التنظيم ناخبين ومرشحين على عملية الانتخاب — ولا نريد ان نسميها [معركة الانتخاب] — بمفهوم مبني على التسليم بأنه ان كانت مسألة قيام تنظيم سياسي في مرحلة التحول الثوري الى الاشتراكية تمثل ضرورة حيوية فانها تتحول الى حتمية نضالية في ظل ظرف عدوان خارجي يفرض بالضرورة لرده وردعه قيام وضع تعبيئي يضم القاعدة العريضة من الجماهير بامكانياتها وقدراتها المتنوعة وصولا الى توظيف هذه الامكانيات،واستثمارهذه القدراتفي خدمةالمعركة ومن هنا جاء التنافس العريض من جانب المرشحين طلبا لشرف الخدمة في فترة من اخطر فترات نضالنا الوطني والثوري وبالمقابل كان حرص الناخبين على ان يكون اختيارهم بموازين دقيقة وعادلة .

وقام المؤتمر القومي تسبقه قناعة كاملة لدى جماهير الاعضاء في التنظيم وغيرهم في خارجه بأنه [مؤتمر حرب] فكل شيء في ايامنا هذه انما يصب في المعركة العظمى وكل شيء عداها فرع لا اصل ، ولا قداسة الان لشيء الا للوطن : ترابه وتراثه ، كيانه ومصيره ، وهو الامر الذي أكد عليه القائد عبد الناصر في بيان ٣٠ مارس .

« ليس هناك الان ولا ينبغي ان يكون هناك الان صوت اعلى من صوت المعركة ولا نداء اقدس من ندائها ، ان اي تفكير او حساب لايضع المعركة وضروراتها اولا وقبل كل شيء لا يستحق ان يكون تفكيرا ولا تزيد نتيجته عن الصفر ، ان المعركة لها الاولوية على كل ماعداها وفي سبيلها يهون كل شيء ويرخص كل بذل مالا كان او جهدا او دما » .

وقد كان المؤتمر سلوكا وفكرا عند امل الناس فيه برغم تحفظات ثانوية اثارها البعض حول كلمات او مناقشات صدرت عن بعض اعضائه ، وكانت اقل من مستوى الحدث واقل من قيمة المؤتمر ، وهي تحفظات لا يجب الوقوف عندها بأكثر مما تستحق لانها لا تؤثر في الجوهر الكلي لحركة المؤتمر ، ويكفي هذه الكلمات والمناقشات المتحفظ عليها انها جاءت تجسيدا للمعنى الديمقراطي بالنسبة لحرية الكلمة وكفالتها طليقة بعيدة عن كل قيد حتى لو كان شكليا .

واذ أتى المؤتمر في نهاية دور انعقاده الاول بمقررات تلبي شكلا ومضمونا نداء المعركة فان هذا يمثل ختاما لمرحلة هينة وبداية لمرحلة شاقة وصعبة سوف تحدد الى وقت بعيد قدرة التنظيم السياسي على الوفاء ... انها مرحلة وضع القرارات موضع التنفيذ وتحويلها من كلمات وسطور الى وقائع واعمال .

مغزى انعقاد المؤتمر القومي

ولكن قبل ان نتناول دور التنظيم السياسي في تنفيذ قرارات مؤتمره الاول نجد لزاما علينا قبل ذلك ان نشير الى قضية هامة واساسية هي دلالة قيام المؤتمر القومي ومباشرته لاختصاصاته وممارسته لسلطاته . .

ان قيام المؤتمر القومي الذي يمثل اعلى سلطة في التنظيم السياسي هو بمثابة جواب واقعي على سؤال كثيرا ماتردد بعد نكسة يونيو ... هو لمن السلطة ؟ وكانت إثارة مثل هذا السؤال الجوهري نتيجةمنطقية لعملية التعرية التي قامت بها احداث النكسة لمراكز القوى التي سيطرت واستأثرت بالسلطة وضربت بالمبادىء الاصيلة لثورة يوليو وبما جاء في الميثاق عرض الحائط وهي القضية التي شغلت فكر المناضل جمال عبد الناصر في السنوات الاخيرة والتي كثيرا ما أشار اليها تلميحا او تصريحا في خطابات واحاديث له في مناسبات مختلفة مثل اشارته مرة الى رغبته الاكيدة في التخلي عن رئاسة الجمهورية والتفرغ لبناء التنظيم السياسي الممثل لارادة الجماهير والمعبر عنها ، وتحذيره مرة من خطر الاعتماد على الفرد ومطالبته بأن تحتوي الحياة المدنية الطلائع العسكرية التي قادت ثورة يوليو ، ثم في مطالبته بتأكيد سيادة القانون وبأن تعلو ارادته فوق ارادات الافراد ...

ان المناضل جمال عبد الناصر اراد برغم القيام الحي للمؤتمر القومي ان يعمق الاحساس بالجواب على السؤال المشار اليه وذلك في سياق خطابه امام المؤتمر القومي يوم ٢٣ يوليو الماضي ..

« ان هذا المؤتمر حين يجتمع فى هذا اليوم باعتباره أعلى سلطة سياسية فى الدولة فان اجتماعه فى حد ذاته اشارة لاينبغى أن يخطىء فى فهمها أحد ، مؤداها أن خطوة حاسمة قد تحققت بنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة وبوسيلة الديمقراطية وعلى اساسها ، لكننى أصدقكم القول بأن عملكم وحده هو الذى يقدر على أن يعطى لهذه الخطوة الحاسمة وزنها الطبيعى والحقيقى فى تطور الحياة السياسية لوطننا ، ومنذ البداية فانى أود أن أعلن أمامكم موقفى ، ليست هناك سلطة فى الدولة كلها أعلى من سلطة هذا المؤتمر باعتباره التجسيد الحى لسلطة تحالف قوى الشعب العاملة » ..

ولقد تجلى حرص القائد عبد الناصر على تأكيد هذا الامر من قبل فى بيان ٣٠ مارس فى معرض حديثه عن اختصاصات اللجنة المركزية والتى تتسع لتشمل رسم سياسات العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ... ثم عاد بتأكيد آخر يدل على ايجابية فاعلة يريد بها أن يصل بالقضية الى غايتها وكان ذلك فى شرحه لمعنى اختيار الوزراء ليكونوا أعضاء فى اللجنة المركزية ..منعا لحدوث اى تناقض بين عمل الجهاز التنفيذى ممثلا فى الوزارة وبين التنظيم السياسى من جانب ، وليتبنى الوزارة وبين التنظيم السياسى من جانب، وليتبنى أنهم بصفتهم اعضاء فى اللجنة يشاركون فى مناقشة هذه القرارات والتوجيهات ثم فى اصدارها ...

ومرة أخرى يقرر القائد بأن « الاتحاد الاشتراكى هو الذى يحكم » .. وعلى هذا وانطلاقا من واقع جديد يغذيه ويقويه قائد الثورة فانه يجب على القوى الثورية صاحبة المصلحة فى أن تكون السلطة للشعب أن تعمق هذا المبدأ الثورى الاصيل بمبادراتها فى تعميق وتدعيم حركة العمل السياسى بين الجماهير بما يزيد من وزن التنظيم السياسى فى مواجهة الوزن التاريخى والتقليدى الذى توفر على مدى أجيال عديدة لجهاز الدولة فى مصر .

القدوة الحسنة والالتحام العضوى بالجماهير

بعد هذا نأتى الى **الدور الذى يجب أن تضطلع به مستويات التنظيم السياسى وكوادره فى تحويل قرارات مؤتمره العام الى واقع ملموس** .. وهنا يجمل بنا القول بأن ثمة فرصة ذهبية متاحة للتنظيم ليثبت وجوده ويفرضه وهى فرصة لم تسنح من قبل وهى تتحدد فى أبعاد ثلاثة :

أولها : مناخ نضال يسود كل موقع ويحيط بكل مواطن يعيش على التراب المصرى وليس هناك من مناخ صحى يمكن أن ينمو فيه التنظيم ويتعاظم افضل من مناخ يسود فى فترة نضال كتلك الفترة التى نعيش فى ظلها ...

ثانيها : استكمال الهيكل التنظيمى من القاعدة الى القمة بما يمكن للتنظيم السياسى أن يتحرك حركة متكاملة ويوفر له وحدة العمل وانسجامه.

ثالثها : الاهتمامات الفائقة التى يعطيها المناضل جمال عبد الناصر للتنظيم وحرصه من موقعه فى قمة السلطة التنفيذية على أن يطوعها بكل امكانياتها لخدمة التنظيم عونا وتقوية ...

ان حركة التنظيم السياسى وهو يتقدم ليحمل دوره الرائد فى تنفيذ قرارات مؤتمره العام يجب أن تقوم من جانب على أساس انها حركة شمولية ذات وعاء يتسع لاستثمار امكانيات الجماهير المصرية على تنوع قطاعاتها واختلاف مواقعها ، ومن جانب آخر على أساس انه هو صانع القرارات، وبالتالى فهو المسئول المسئولية الاولى عن تنفيذها وعن رصد معوقات التنفيذ اذا صادفته بشجاعة وأمانة .

وتقوم مسئولية التنفيذ والمتابعة أساسا فى جانب القيادات المنتخبة فى كل مستوى من مستويات التنظيم لان فى انتخابها معنى يشير الى استعداد الجماهير للتأثر بها والتحرك معها ولكن مثل هذا المعنى لايجوز الاخذ به على اطلاقه الا اذا تحقق فى العنصر القيادى شرطان هما :

١ ــ التحام عضوى وارتباط منظور بينه وبين الجماهير فلا ينعزل عنها ولايتعالى عليها ، وفى هذا نذكر حديث المناضل جمال عبد الناصر فى أول مؤتمر عقد للمكاتب التنفيذية فى مساء ١٢ يناير ١٩٦٦ « نريد اليوم أن نرى أن أسلوب عملنا فى الاتحاد الاشتراكى هو الاسلوب الصحيح فاذا تعالينا على الناس وأعطيناهم أوامر أو جمعناهم وطلبنا اليهم أن يسيروا كما نريد فالناس أصبحوا على درجة من الوعى ولن يلتفتوا الينا بأى حال من الاحوال .. اذن يجب أن يكون أسلوبنا فى معاملة الناس هو ربط القيادات المختلفة بالجماهير حتى تستطيع هذه القيادات أن تعمل من خلال الجماهير وتقودها وتحركها ... »

٢ ــ توفر القدوة الحسنة لان القيادة تحمل معنى القدوة فى أعمق معانيها ، فاذا افتقرت الجماهير الى القدوة فى العنصر القيادى فانها لايمكن أن تقبل عليه ، أو حتى تجشم نفسها مئونة الاستماع اليه ، ونجاح العضو القيادى ابتداء يكمن فى الزام نفسه أولا بما يطالب به الاخرين ، وعليه أن يكون « أول من يضحى وآخر من يستمتع » على حد تعبير ليوتشاوتشى (*)

ولقد نبه المناضل جمال عبد الناصر الى هذا فى ذات الحديث أمام مؤتمر المكاتب التنفيذية اذ

قال « أن كل واحد يكون مثلاً طيباً في كل شيء في منطقته وقدوة حسنة .. اذا أردتم أن تنجحوا وتقوموا بعمل تاريخي في بناء هذا البلد ، يجب أن يعمل كل واحد فيكم كرجل سياسي وطني مضحي قائد ومتفرغ لعمله السياسي الصبح والظهر وبالليل » .

ومجمل هذا كما أوجزت أن المدخل الطبيعي الى تحريك الجماهير حركة تعبيرية شاملة هوان تكون قياداتها في المقدمة وأن تعطى القدوة في كل موقع على تعدد المواقع باتساع الوطن كله . ان هذا لو تم بصدق وأمانة ومثابرة كفيل بأن يهيىء لجماهيرنا مناخا جديدا تستطيع في ظله ان تعيد صياغة نفسها صياغة نضالية جديدة على ضوء الدروس المستفادة من أحداث نكسة يونيو ...

يد تبني ويد تحارب

ان الشعار الذي حكم حركة المؤتمر القومي وفكره هو شعار « كل شيء للحرب » وهو شعار وارد ولكن خشية أن يقع البعض في خطأ ، فان هذا الشعار يجب أن يتحدد بمعناه الكامل والامين ، ان كل شيء للحرب لايعني أن يتوقف أي شيء آخر لايتصل اتصالا مباشرا بالحرب والاعداد لها لان الحرب تعني بالدرجة الاولى أن تندفع عجلة الحياة في مختلف مجالاتها الى أقصى سرعة تستطيع أن تصل اليها ... ولهذا فاننا يجب أن نحذر من أية دعوة للتراخي أو التكاسل انتظارا لنتيجة سعي للحل السياسي أو لنتيجة معركة هي في رأيي محتومة وانها يجب أن ترتفع أمام نظر كل مواطن شعار « يد تبني ويد تحارب » ليكون نهج سلوكه وبحرك فكره ... فاذا ماتناولنا بعد هذا دور الاتحاد الاشتراكي العربي في هذه المرحلة الفاصلة في تاريخ المسيرة الثورية ، نجد أن هذا الدور يتحدد بما قال به المناضل جمال عبد الناصر .

« تعبئة قدرات الامة كلها .. وتوجيه جميع جهودها لتحقيق الهدف المزدوج لنضالنا المعاصر » وهو « الحفاظ على برنامج ٣٠ مارس ، وتمهيد الارض لتنفيذه نصا وروحا وفتح الطريق أمامه واسعا رحبا وخصبا لكي يحقق الامال التي وجدتها الامة فيه » ...

ومعنى هذا ان مسيرة الاتحاد الاشتراكي مسيرة كبرى وطويلة ، والذي يحدد كبرها وطولها هو تعدد المهام التي سيتصدى لانجازها ، وهي مهام يمكن أن تنقسم الى نوعين : مهام عاجلة وملحة وتفرضها ظروف العدوان واحتياجات معركة التحرير .. ومهام تحتاج الى وقت يتعدى هذه المرحلة الى مرحلة « آمال مابعد النصر » .

فاذا أردنا أن ندخل في دائرة النوع الاول من تلك المهام وهي المهام العاجلة وذلك على ضوء ماجاء في بيان ٣٠ مارس وما صدر عن المؤتمر في دورته الاولى من قرارات فاننا سوف نواجه بصنوف متعددة من هذه المهام بعضها كلي وبعضها جزئي ، وتناول الكليات والجزئيات أمر يضيق به هذا المقام . ولهذا فاننا سوف نقصر الحديث على بعض المهام الكلية والتي يستطيع التنظيم السياسي أن يقوم بدور رائد في مجال تنفيذها وبشكل مباشر .

التعبئة المعنوية

ان الاعداد المعنوي وتهيئة المناخ النفسي للجماهير هي ضرورة شرطية وتمثل جزءا أساسيا لاينفصل عن المعركة ، فاي مواطن لا يمكن ان يعطي الا اذا عرف لماذا يحارب وماهية هذه المعركة التي يجب ان يخوضها أو يشارك فيها ، كما انه لايمكن ان يتحرك التحرك الايجابي في اتجاه ميدانها الا اذا أحس احساسا حقيقيا بالخطر الذي يتهدده ، ومن هنا تبرز أهمية التوعية بالمعركة وابعادها . ولقد اثارت حملة النوعية التي أعقبت صدور بيان ٣٠ مارس والتي حمل المناضل جمال عبد الناصر العبء الاكبر فيها موجة عارمة من الوعي السياسي الذي اتسم بالموضوعية البعيدة عن التفاؤل الساذج والاغراق في المبالغة ، وهي تجربة تجعل من أولى واجبات قيادات التنظيم السياسي على مختلف مستوياته — خدمة للمعركة — تغذية هذه الموجة من الوعي وتحويلها الى تيار دائم يحاصر الحرب النفسية ويتحدد النكير في مطاردة الدعاية الصهيونية وفي ضرب أصوات الانهزامية والتخاذل .

وحركة التنظيم السياسي في هذا المجال يجب أن تكون حركة مزدوجة في الداخل وفي الخارج :

في الداخل : تستثير روح النضال وتستبقي عقلية المعركة وتوهج الحماس وشحنته في أقصى درجات التأجج والتوتر والترقب والتصميم على أن تتبوأ حركة التنظيم في مجال فعلها الموضوعية والبعد عن الانفعال العشوائي الذي أصاب نظرتنا قبل ٥ يونيو بالارهاق والقصور ، كما أن عليها أن تحذر الوقوع في خطأ الاستسلام لعواطف من يحكمهم بطيبة وسذاجة شعار [تعجل المعركة] وهو الشعار الذي تتمنى اسرائيل لو تحقق وأعمالها الاستفزازية واستثارتها لاعصابنا بعمليات كلها تجسد هذا التمني الذي يجب ألا نقف عنده بأكثر مما يستحق من الرد والتفنيد — ان الذي بيننا وبين العدو هو تصادم أقدار لامفر منه ولا مهرب وتحقيق النصر فيه متى وقع يستلزم عملا متفانيا مستميتا مصمما ومخططا مع صبر بالغ ومنضبط ، وهو أول أسلحة النصر ، وتجربة الصمود البطولية في فيتنام والتي انتهت بركوع أمريكا بقوتها العسكرية الخرافية يجب أن تكون مثلا يحتذى وزادا يقوينا على الثبات .

وبجانب هذا يجب أن تؤكد حركة التنظيم على قضية هي في البداية والنهاية حياة الشعب وهي قضية الاشتراكية ، والتي تعرضت بعد النكسة لمحاولات تعليق الاخطاء التي ادت الى وقوع النكسة على شماعتها وصولا الى التشكيك في اهميتها لحياة الجماهير والذى يجب ان نعيه بعمق ونغرسه في وجدان الجماهير لاسيما في صفوفها الهائلة من العمال والفلاحين : هو ان النكسة خلقت من الظروف الاجتماعية والسياسية الجديدة في هذا الوطن مايقطع بسلامة الحل الاشتراكي وحتميته ، واذا كانت عمليات التنمية قبل النكسة تحتاج الى الحل الاشتراكي ، فان عمليات البناء والتعويض وتدارك آثار النكسة تجعل هذه الحاجة اكثر الحاحا وبروزا .

ومع الامكانيات الهائلة المتاحة للتنظيم للتحرك داخليا في مجال التعبئة المعنوية فانه يجب أن يجعل لتحركه في الخارج اهمية تطاول اهمية تحركه في الداخل ، وسبيله الى ذلك هو لقاءات منظمة ودائمة مع التنظيمات السياسية والمنظمات الشعبية في الخارج ، لاسيما تلك التي تقوم في دول لم تدرك ابعاد صدامنا مع اسرائيل على نحو مرض ، وتلك التي تقوم في دول تضمن فيها دولة الاعداء التفوق الاعلامي والدعائي .

والتنظيم السياسي يستطيع من خلال اتصالاته مع التنظيمات والمنظمات المذكورة أن يحقق الكثير مما قد تعجز الاتصالات الرسمية بين الحكومات عن تحقيقه . ولقد اشار السيد / **محمود رياض** وزير الخارجية الى اهمية هذا الامر في حديث له أمام لجنة الشئون السياسية والدفاع المنبثقة عن لجنة المائة في أغسطس الماضي ان التنظيم السياسي يقدر عن طريق التنظيمات السياسية الخارجية والمنظمات الشعبية ان يحرك الرأى العام أو قطاعات عريضة منه في بلاد تلك التنظيمات والمنظمات ، ليتحول هذا الرأى او قطاعاته العريضة الى مجموعات ضاغطة على حكوماتها واجهزتها الرسمية بحيث تفرض القضية على الضمير والعقل السياسي لهذه الحكومات والاجهزة ، وعلى قائمة مشاكلها بحيث تظل تؤرقها حتى تفرض عدالتها على نفسها . الا ان هذا كله رهن بقدرة التنظيم على اختيار العناصر القادرة على اجراء مثل هذه الاتصالات المطلوبة بحيث لايغدو الامر كما يحدث في كثير من الاحيان مجرد اداء واجب شكلي فارغ من المضمون والقدرة على التحقيق والوفاء .

يبقى بعد ذلك في نطاق هذه المهمة — مهمة التعبئة المعنوية — مسالة واردة في اذهان قطاعات واسعة من جماهيرنا ، وهي مسالة الصحافة وغيرها من اجهزة الاعلام ، وهي المسالة التي تحتاج الى بحث موسع ودراسة متأنية تتقصى كل ظروفها طولا وعرضا وعمقا ، ولكن أمر الاعداد للمعركة يلح على فكر كل مواطن في كل لحظة من لحظات الصحو ، وقد لايكون ضربا من ضروب المبالغة اذا قلنا انه قد يلح على بعض الناس حتى في ساعات النوم . وهذا اعتبار يقود الى ضرورة شد الصحافة وغيرها من أجهزة الاعلام الى التنظيم السياسي اكثر مما هي عليه الان لتعطي لهذه المرحلة بقدر مايرضي طموح الناس بالنسبة لصحافة يملكونها واجهزة اعلام تعبر عنهم .. ان الصحافة واجهزة الاعلام هي مدرسة كل يوم التي يختلف اليها الناس جميعا على اختلاف مشاربهم ومداركهم واتجاهاتهم ، ولاشك ان هذا يلقى ضوءا ساطعا على أبعاد الدور الخطير الذى يمكن ان تؤثر به في حركة الاحداث الجارية ، وبهذا يغدو الاهتمام العاجل بها من جانب التنظيم السياسي امرا واردا ومطلوبا ، وهو ما اكد عليه المؤتمر القومي في واحد من اهم قراراته المتصلة بالاعداد للمعركة معنويا .

التعبئة العسكرية

ان العبارة التي تقول « لن ينجح أى عدوان ضد حرب يخوضها الشعب باكمله » يجب أن تمثل الفلسفة التي يقوم عليها تحرك التنظيم السياسي في مجال تعبئة جماهيره للمعركة سندا وعونا ومشاركة لقواتها الضاربة المتمثلة في القوات المسلحة التي تعد بحق رأس الرمح بالنسبة لتلك الجماهير في مواجهة العدو .

واذا ما أردنا أن نترجم جهد التنظيم السياسي الى اعمال واضحة المعالم في نطاق هذه المهمة الاساسية فان هذا يمكن ان يقود الى تحقيق المهام الفرعية التالية والتي تمثل في مجموعها اطار المهمة الاصلية .

أ — تعميق التلاحم بين الجماهير والقوات المسلحة: والسبل الى ذلك متعددة وكثيرة ، منها ترتيب زيارات متصلة ودائمة للمواقع المختلفة في الميدان ، ومنها اشعار الجندى او الضابط في كل مكان بنظرة التقدير التي ينظر بها الشعب الى قيمة تضحيته ..ومنها التركيز على صور البطولات التي يشهدها مسرح العمليات والحرص على تناقلها بين الجموع الكبيرة من الشعب ، ومنها ايضا تعقب الاكاذيب التي تريدها الدعاية المضادة المساس بالثقة في قواتنا المسلحة بالادعاء الكاذب في اعقاب كل اشتباك مع العدو بأن ادارة النيران كانت تتم بواسطة الخبراء السوفيت .

ب — اشاعة الوعي بضمانات الامن العسكرى : وهي مسالة جوهرية الحرص على تحقيقها هو حرص على توفير امكانيات تحقيق النصر . ان افدح الاخطاء التي نقع فيها هي

« احتراننا » للحديث المفتوح ودون اى تحرزحول الامور العسكرية من تنظيم وتدريب وتسليح ومواقع .. الخ . وهو سلوك يخدم العدو خدمة لاتقدر بثمن اذ يصل اليه مايتوق الى معرفته من معلومات من الوضع العسكرى هينا لينا دون عناء،وليس هناك من سبيل الى تفادى هذه العادة المضرة بالامن القومى كأبلغ مايكون الضرر الا بمزيد من اليقظة التى تبادر الى غلق كل فم يحاول أن يلوك سيرة الامور العسكرية مع دعوة الجماهير الى تطبيق حكمة «ابو قراط» فى هذا الصدد .. لا ارى لا اسمع لا اتكلم » .

هـ ــ **تنظيم قوات الجيش الشعبي** : ان مهمة اعداد هذا الجيش هى مهمة التنظيم السياسي بالاساس ، فهو الذي يقدم العناصر البشرية ويشحذ همتها ويتابع حركتها فى التدريب وحراسة المنشآت والمصانع ويسلح هذه العناصر سياسيا بدراسة الموقف السياسى وتفهم دقائقه ومعرفة الهدف السياسى الذى ترمى اليه القيادة السياسية والغرض الاسمى الذى نكافح من أجله .

ولا شك ان حركة التنظيم السياسى فى هذه الدائرة تمكنه من وضع يده على العناصر الصلبة التى يصلح اقبالها على الانخراط فى صفوف هذا الجيش مقياسا حقيقيا لوعيها النضالى وبمثل هذه العناصر يستطيع التنظيم السياسى أن يصنع النواة الحقيقية « لتنظيم الطلائع » وبهذا يكون قد حقق جزءا مهما من تكليف نضالى حمله بيان ٣٠ مارس ، هو تكوين تنظيم الطلائع الاشتراكية .

وفى النهاية فان التنظيم يجب ان يؤكد كل يوم على أن المعركة القادمة أولها عرق ودم ودموع وفى نهايتها نصر واشراقة أمل .

التعبئة الاقتصادية

مع اقتراب موعد المعركة تتعاظم حاجتها الى مزيد من الموارد والامكانيات المادية والتي لامهرب من تلبيتها، وبداهة فان ذلك يكون دوما على حساب وجوه انفاق أخرى كالانفاق على الخدمات مثلا كما انه يكون مدعاة ايضا الى تعويض سريع يمكن الاقتصاد القومى من الوفاء بحاجات التنمية التى لايمكن أن تتوقف بشكل عام لان ذلك يتناقض أساسا مع مفهوم الاعداد للمعركة والتعويض المطلوب تقع مهمة توفيره على الجماهير المناضلة ويمكن أن يتم ذلك من خلال تجنيد جهود أعضاء التنظيم السياسى لتحقيق المهام التالية :

أ ــ زيادة سريعة فى الانتاج فى كل وحداته ويمكن أن يحدث ذلك عن طريق فرق الانتاج الطليعى وكان للتنظيم السياسى تجربة رائدة فى ذلك ، ويمكن لقيادات وحدات الانتاج ان تعطى دفعة قوية فى هذا المجال بانفتاحها على القاعدة العمالية المنتجة ومعايشتها فى اماكن عملها لان ذلك يوفر حافزا معنويا قويا لتلك القاعدة يجعلها تندفع بكل جهودها الى تحقيق الزيادة المطلوبة فى الانتاج .

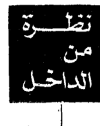
ب ــ العودة الى الحلول الذاتية للمشاكل الجماهيرية باعتبار ان ذلك يمثل تخفيفا عن كاهل الموارد المالية المتاحة للدولة سيما فى هذا الوقت الذى تضطر فيه الدولة الى اتباع سياسة انكماشية بعض الشىء فى مجال الخدمات بسبب توجيه جانب كبير من الموارد الى تلبية احتياجات المعركة .

حـ ــ تعديل السلوك الحياتى اليومى للجماهير بدعوتها الى شكل جديد من أشكال الحياة يتفق مع المناخ الذى يسود أمة تعد نفسها للمعركة ، ويفرض استئناس الاندفاع البادى نحو الاستهلاك وصولا الى شىء من القيود تفرض عليه تحوطا لظروف استثنائية قد تواجهنا وتكون أكثر مشقة مما نحن فيه اليوم .. ولا شك أن قيادات الاتحاد الاشتراكى العربى قادرة على أن تقدم أكثر من قدوة فى هذا النطاق يمكن بها استقطاب الجماهير حول الدعوة الى ضبط الاستهلاك لما يمثله ذلك من اهمية فى مجال التهيؤ للمعركة .

يبقى بعد ذلك القول بأن التنظيم السياسى قادر فى هذه الظروف المواتية ان يفعل الكثير ، وكل انجاز منه سوف يكون جسرا من الثقة يمد بينه وبين الجماهير ، ولكن شيئا واحدا يكفل له ان يحقق المؤمل عليه هو أن يحدث تغييرا كيفيا فى حركته تؤمن المبادرة له على الدوام .

كما تبقى للتنظيم كلمات المناضل جمال عبد الناصر علامات هداية على الدرب الطويل ...

« لا بديل لهذه الامة غير النصر باذن الله وهى تقدر عليه اذا عبأت قواها واحسنت الاستفادة من طاقتها وظروفها ،واذا استطعنا أن نؤمن ونبنى جبهتنا الداخلية على أساس المعركة ، الجبهة الداخلية هى السند الذى ترتكز عليه جبهة ميدان القتال ، كل محاولات العدو ضد الجبهة الداخلية ومحاولات التأثير فيها يجب أن نكشفها ويجب أن نهزمها ويجب أن نسقطها ، فى هذا المجال دوركم انتم أيها الاخوة رفاق الكفاح من أعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى انتم قيادة تحالف قوى الشعب العاملة ، وانتم الاقدر على التلاحم معها ، وأنتم الاجدر بتوجيهها عن طريق العمل والكفاح والوضوح والصدق ، ان المعركة معركة كل الشعب وهى معركة حياة الشعب ويجب ان يخوضها كل الشعب ، ويجب ان تكون انتصارا للحياة وللشعب » .





نحـو حـركـة نقـابيـة قـويـة ومـتـطـورة

عبد الهادى ناصف



مجال التعبئة الداخلية نصت قرارات المؤتمر القومى على « ان تدعم الحركة النقابية المهنية والعمالية وتجدد قياداتها فى مواعيدها المحددة، وان تتاح لها حرية الحركة لتكون اداة فعالة فى زيادة الانتاج والارتفاع بمستوى الخدمات ، وان تكون هذه النقابات اداة ناجحة فى الاتصال بالمنظمات الشعبية المماثلة على الصعيدين العربى والدولى »

وفى اعتقادى — ومع احترامى وتقديرى لكل ماقيل فى موضوع الحركة النقابية ، وهو كثير ، بل اكثر من الكثير — ان اى محاولة او جهد يبذل لدعمها فى بلادنا وتطويرها لن يكتب له اى نجاح يذكر مالم ينبنى على تقييم سليم لواقع الحركة النقابية بماله وماعليه ، وارتباطه بواقع مجتمعنا كله والظروف الموضوعية لهذا المجتمع .. تقييما نستطيع من خلاله ان نخلص الى الاسس التى يجب ان يرتكز عليها اى جهد يبذل لدعم وتطوير الحركة النقابية .

وتقييم واقع الحركة النقابية يقتضى بالضرورة ان يكون لدينا قياس عملى لما نتصور ان تقوم عليه حركة نقابية قوية ومتطورة ، وفى رايى ان مثل هذه الحركة النقابية لايمكن ان تقوم مالم تتوافر لها وفيها العناصر الاتية :

١ — مجال حيوى تستطيع من خلال حركتها الايجابية الواعية فيه ان تعيش وتنمو ، وتقوى وتتطور، وهذا المجال — من وجهة نظرى — لايجب ان يكون على المشاع — كما هو حادث الان — وانما لابد من ان تكون له حدود واضحة تشكلها اضلاع ثلاثة :

عبد الهادى ناصف

- عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى
- مقرر لجنة التثقيف الاشتراكى .

● مسئوليات محددة

● دور مفهوم فى حد ذاته وفى علاقته بغيره

● طريق عمل واضح .

٢ — مناخ ديموقراطى سليم يعطيها القدرة على ان تباشر مسئولياتها، وتقوم بدورها،وتسير فى طريق العمل البناء دون معوقات .

٣ — تنظيم يمكنها من الممارسة الديموقراطية الكاملة ، ويمكن من التفاعل الخلاق بين القيادات فى كل مستوياتها من ناحية ، وبينها وبين قاعدتها الواسعة من ناحية اخرى .

٤ — قيادة واعية وملتزمة تستطيع بنضجها الفكرى ، وادراكها لطبيعة المرحلة التى تعيشها ومتطلباتها ، وبقدرتها على القيام بمسئولياتها ، ان تقود جماهير القاعدة العمالية على طريق العمل من اجل البناء الاشتراكى .

هذه على وجه الاجمال — فى رايى — الاسس او العناصر التى لاغنى للحركة النقابية فى بلادنا عنها او عن اى منها اذا اريد لها حقا ان تقوى وتتطور وتكتسب القدرة على اداء الدور الذى طال بها البحث عنه وطال بنا فيه الكلام وكثر الاجتهاد وتشعبت فيه الاراء والاتجاهات حتى كادت تقودنا الى طريق مسدود .

وقبل ان ندخل فى تفصيل ما اجملناه لابد لنا من نظرة فاحصة ، مخلصة ومنصفة ، فى واقع الحركة النقابية فى بلادنا بالنسبة الى هذا القياس الذى اوضحناه ، ومدى قرب هذا الواقع منه او بعده عنه .

المجال الحيوى للحركة

نستطيع ان نقول — ولست اظن ان هناك ثمة خلافا فى الرأى على هذه البديهية — ان العنصر الاساسى فى قوة اى حركة نقابية فى اى مكان من العالم لايخرج عن احد امرين :

الاول : ان تكون هذه الحركة فى مجتمع راسمالى ، وهنا يكون العنصر الاساسى والعامل الرئيسى فى بناء قوتها هو قدرتها على حشد قوى الطبقة العاملة وقيادتها فى صراع مع راس المال فى سبيل الحصول على شروط عمل احسن، او انتزاع نصيب اوفر للعمال من عائد العملية الانتاجية ، او — فى اقصى حالات التطرف — احداث تغييرات جذرية فى علاقات الانتاج والدخول فى مرحلة التحول الى الاشتراكية .

الثانى : ان تكون الحركة النقابية فى مجتمع اشتراكى او يتحول الى الاشتراكية ، وهنا يكون العنصر الاساسى فى قوتها هو مدى الدور الايجابى المسئول الذى تلعبه فى بناء الاشتراكية .

فاذا ما طرحنا الامر الاول جانبا بقى الامر الثانى بالنسبة للحركة النقابية فى بلادنا باعتباره العنصر الاساسى والعامل الرئيسى فى بناء قوتها وهو ماعنيته عندما اشرت الى [المجال الحيوى].

وليس فى نيتى ان اعمد الى التجريد واطلاق الشعارات والتكرار الممل بعبارات مصكوكة كما يفعل الكثيرون ممن تعرضوا لهذا الموضوع وانما سأحاول قدر مااستطعت — وبايجاز شديد — ان اتناول مضمون هذه العبارة كما افهمه . فلقد اشرت فى صدر المقال الى ماسميته بالمجال الحيوى وما اسميه الان بمسئولية الحركة النقابية فى عملية البناء الاشتراكى واكدت على ضرورة الا يترك هذا المجال على المشاع كما هو حادث الان ولكل ان يجتهد فيه يصيب مرة ويخطىء مرات ، وانما لابد من ان يتحدد هذا المجال فى مسئوليات محددة ، ودور مفهوم ، وطريق عمل واضح . فما حقيقة كل هذا بالنسبة للحركة النقابية فى بلادنا ؟ وفى عالم الواقع بعيدا عن الشعارات ؟

الواقع العملى يؤكد ان مسئولية الحركة النقابية والتى اشار اليها الميثاق كقاعدة طليعية فى عملية التطوير لم تخرج حتى الان من نطاق النظرية الى ميدان التطبيق . واذا اخذنا على سبيل المثال مجال الانتاج وهو بطبيعته اقرب المجالات واوثقها صلة بالنقابات ، وهو ايضا اكثر المجالات التى تستطيع ان تثمر فيه جهودها ، وتساءلنا : ماهى حدود المسئولية التى القيت على عاتق النقابات فى هذا المجال ؟ وجدنا انها حتى الان مجرد مسئولية نظرية لم تنظم وبالتالى لم تتح للنقابات فرصة حقيقية لممارستها . وحتى الذين اجتهدوا فى تفسير مضمون هذه المسئولية وايجاد مجالات تطبيقية لها قصر اجتهادهم عن ان يأتى بأكثر من حصرها فى مسائل هامشية الى جانب انها ايضا غير واضحة الحدود والمعالم

اتفاقيات العمل الجماعية

فاذا جئنا الى مجال العلاقات الانتاجية وجدناها تحكمها لائحة موحدة لاتسمح بعقد اتفاقات عمل جماعية بين النقابات والادارات تتناسب شروطها مع ظروف الوحدات المختلفة التى تتباين تباينا صارخا من موقع لاخر ، ونظام الاتفاقيات الجماعية مطبق على اوسع نطاق فى البلاد الاشتراكية وتتحقق من الاخذ به امثل النتائج سواء فى زيادة الانتاج ورفع الكفاية الانتاجية للافراد وللمنشأة وتطويرها ، كما انها ايضا تربط الاجر بالانتاج وتمتص الخلافات وتقطع الطريق على المطالب الغير موضوعية .

فاذا مابحثنا عن مسئولية النقابات فى مجال الخدمات العمالية التى تستهدف رفع مستوى

العمال اقتصاديا وثقافيا ومهنيا وصحيا وجدنا هذه المجالات تكاد تكون حكرا للجهات الادارية.

وهكذا الى آخر المجالات ..

وكنتيجة منطقية لعدم وجود مسئولية محددة ومنظمة للنقابات فى اى من المجالات المرتبطة بعمليات البناء الاشتراكى بالرغم من ان قرارات المؤتمر القومى كانت واضحة بهذا الشأن فى مجال التنظيم عندما طالب « بوضوح اختصاصات الأطراف المعنية، ووضوح خطة عمل مشتركة يتكامل فى ظلها جهد جميع الاطراف لتحقيق الهدف المشترك» واصبح دورها فى غيبة المسئولية دورا هلاميا غير مفهوم ، وبالتالى اصبح طريق عملها حتى لو ارادت — وكلها فى الواقع تريد — محفوفا بمحاذير لاحصر لها وتتكرر على امتداده التصادمات ليفضي فى النهاية الى لاشىء او الى ماهو شر من ذلك .

مناخ ديموقراطى ملائم

لايكفي لتوفير المناخ الديموقراطى للحركة النقابية ان تتم انتخابات النقابات بأسلوب ديموقراطى فقط وانما يتوفر هذا المناخ بتوافر ضمانات ديموقراطية اخرى منها القيادة الجماعية ، وخضوع الاقلية لرأى الاغلبية، ولكن اهم هذه الضمانات هى تلك التى ثار حولها مؤخرا وفى المؤتمر ولجانه جدل كثير وهي عدم خضوع الحركة النقابية لاى سيطرة من خارجها سواء كان مصدر هذه السيطرة تنظيم سياسى او جهازا حكومى .

وفى رايى ان المتطرفين من اصحاب هذا الرأى أو ذاك قد جانبهم الصواب .

فبالنسبة للقائلين بفرض سيطرة التنظيم السياسى على النقابات احب ان استرعى نظرهم الى الحقائق الاتية :

● ان فرض سيطرة تنظيم ديموقراطى على تنظيم ديموقراطى آخر يفقد كليهما صفة الديموقراطية شكلا وموضوعا .

● ان فرض سيطرة التنظيم السياسى على التنظيم النقابى يؤدى الى قتل التنظيم النقابى ولا يقوى التنظيم السياسى بل يضعفه، فقوة التنظيم السياسى تعتمد على **الاقناع** وليس على **الفرض** وعلى **القيادة** وليس على **السيطرة** وعندما يلجأ اى تنظيم سياسى الى اسلوب الفرض والسيطرة يفقد ارتباط الجماهير به وثقتهم فيه واقتناعهم بقيادته .

● ان مقياس النجاح الحقيقى للتنظيم السياسى هو قدرته على قيادة العمل الوطنى داخل كل مؤسسات الدولة جماهيرية كانت ام اجهزة سلطة من داخلها ، ووفقا لايديولوجيته وخطه السياسى من داخل هذه المؤسسات وبأسلوب ديموقراطى وذلك بواسطة كوادره الملتزمة داخل هذه الاجهزة .

ان من اهم عوامل النكسة التى اصابت الحركة النقابية فى الخمسينات ولازالت تعانى حتى الان من بعض آثارها هو ما استطاعت بعض مراكز القوى فى هيئة التحرير ، والاتحاد القومى ان تفرضه من هيمنة شبه كاملة على الحركة النقابية وبوسائل كانت كفيلة بهدمها واستئصالها من الجذور . وقد تمثل هذا فى احتضان هذه المراكز للعناصر النقابية الانتهازية والمنحرفة ، وفى شن حرب شعواء على النقابيين الشرفاء المخلصين والعمل باستمرار — ان لم يكن على نبذهم تماما وعزلهم عن العمل النقابى — فبتعجيزهم ووضع العقبات فى طريق محاولاتهم لخدمة قواعدهم العمالية . وفى نفس الوقت كانت — بما لها من نفوذ — تساعد العناصر المنحرفة فى الحصول على بعض المكاسب لقواعدها لتدعم بذلك مركزها لدى هذه القواعد . وباسم الامن راحت مراكز القوى هذه مستعينة ببعض اجهزته تستبعد كثيرا من العناصر الصالحة من ميدان العمل النقابى بدعوى او بأخرى — لم يكن من الضرورى ان تكون هذه الدعوى صحيحة او مفتعلة وانما كان الضرورى والمهم هو استبعاد هذه العناصر واخلاء الجو امام العناصر المنحرفة . ومن الطبيعى ان هذه الاوضاع الى جانب ما اوقعته من اضرار مباشرة بالحركة النقابية — قد ادت ايضا الى نشوب صراعات مدمرة داخل الحركة النقابية ذاتها ، وانعكس ذلك كله على الجماهير العريضة التى تزعزعت ثقتها الى حد كبير بالحركة النقابية ككل .

من اجل ذلك فان مفهوم السيطرة يجب ان يطرح جانبا لانه سيؤدى بالضرورة الى خلق **جهاز للسيطرة** داخل التنظيم او المؤسسة التى ستمارسه ، وسيتحول جهاز السيطرة مع الوقت الى **مركز قوى** يضع مصير الحركة النقابية ومقدراتها فى يد فرد او بضعة افراد . وان يتجه جهد التنظيم السياسى فى هذا المجال الى تربية كوادره داخل القواعد العريضة للنقابات — وغالبيتهم العظمى اعضاء فيه — وان يعدهم

الاعداد القيادى السليم ويدفع بهم ديموقراطيا الى مراكز القيادة فيها .

واما بالنسبة للقائلين بالغاء اى دور للتنظيم السياسى فى الحركة النقابية الى حد التجاوز عن شرط عضوية الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للقادة النقابية — فان هذا الكلام قد يكون منطقيا اذا كانت عضوية الاتحاد الاشتراكى عضوية ضيقة بالمفهوم الحزبى ، أما فى حالة الاتحاد الاشتراكى فان عضويته مفتوحة لكل من يطلبها لايحرم منها غير المنحرفين ومن طبقت عليهم القرارات الاشتراكية من الاقطاعيين والراسماليين المستغلين . فهل مما يخدم الحركة النقابية ان يسمح بتسلل مثل هؤلاء الى قيادتها ؟

والمؤتمر فى قراراته لم ينف وجود التناقضات التى تنشأ فى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والاجهزة التنفيذية والمنظمات الشعبية ، ولكنه اشترط لحلها ضرورة العمل على « وضوح اختصاصات الاطراف المعنية » وان « تعقد اجتماعات دورية الزامية مشتركة بين مستويات التنظيم والاجهزة التنفيذية المقابلة على ان تكون هناك متابعة مستمرة لعملها وانجازاتها »

يبقى بعد هذا من حديثنا عن المناخ الديموقراطى الضمانات الديموقراطية الاخرى كالقيادة الجماعية وخضوع الاقلية لرأى الاغلبية، ولست أظننى فى حاجة الى **التدليل** على اهميتها ولكن الذى انا بحاجة اليه هو **التأكيد** على ضرورة التزامها وعدم التهاون فيها بأى شكل من الاشكال وهو امر مفتقد للاسف الى حد كبير فى واقع حياتنا النقابية ولعل ذلك من **نتائج** ما اصابها وليس من **اسبابه**.

التنظيم والبناء الهرمى

الاصل فى فكرة البناء الهرمى للتنظيم النقابى هو ايجاد صلة عضوية بين وحداته من مستوياتها الادنى الى المستوى الاعلى فى بنيان متماسك يعطى الجزء قوة الكل ويحقق للقاعدة العمالية العريضة قيادة موحدة تقود نضالها فى جميع المجالات ومن اجل اهداف موحدة ، وتضبط حركتها فى ايقاع ينتظم الكل فى مسيرة واحدة على طريق نضال واحد هو بالنسبة لمجتمع اشتراكى طريق المجتمع كله .

ولكن الواقع العملى للحركة النقابية فى بلادنا يعكس صورة تختلف تماما عما استهدفته فكرة البناء الهرمى للتنظيم النقابى، فالعلاقة بين اللجان النقابية والنقابات العامة وبين هذه وبين الاتحاد العام تكاد تكون فى اغلب الاحوال منفصمة لا يمسكها الا الاشتراكات التى تتقاسمها المستويات الثلاث فيما بينها طبقا لنسب معينة . ولعل القانون المنظم للنقابات — والذى يعطى اللجنة النقابية شخصية اعتبارية شبه مستقلة ولا يلزم اى مستوى نقابى ادنى بما يقرره المستوى الاعلى — هو بعض السبب فيما تعانيه الحركة النقابية من هذا التفتت العجيب وان كان القانون — من وجهة نظرى — ليس هو كل السبب وانما سلبية بعض النقابات العامة — ولا اقول كلها — ازاء مشاكل لجانها النقابية وعدم اكتراثها بها هو من اهم عوامل انفصالها عنها ، وبالتالى تفتت الحركة النقابية بوجه عام . وهذا النقص الخطير يجب تلافيه فى اى تشريعات او لوائح تصدر مستقبلا لتنظيم الحركة النقابية ، وفى المقام الاول يجب ان يتأكد من داخل التنظيم النقابى نفسه مبدأ الديموقراطية المركزية . فبدون هذا الترابط العضوى لن يكون للحركة النقابية بمفهومها الصحيح اية قوة او فاعلية تذكر .

القيادات والمسئولية

يحلو لكثير من الناس ازاء اى مشكلة ان يبحثوا عن كبش فداء يلقون عليه بكل المسئولية فى المشكلة بدلا من تحرى اسبابها والبحث عن حلول لها . ولقد كان كبش الفداء الذى تركزت عليه حملات كل ناقد لاوضاع الحركة النقابية فى بلادنا هم القادة النقابيون . ولست انكر ان بعض هذه القيادات ليست على المستوى المطلوب — الا ان الانصاف ، وتحرى الحقيقة يفرضان علينا ان نضع الامور فى وضعها الصحيح والا ننظر الى المشكلة من زاوية ضيقة بدلا من النظر اليها كصورة متكاملة فى اطار الظروف الموضوعية المحيطة بها . ومن هنا فانى ارجو ان اضع بعض الحقائق امام القارىء لنفسه ويفكره منها ما يشاء.

● ان هذه القيادات لم تفرض على النقابات فرضا وانما جاءت نتيجة انتخاب حر مباشر من قواعدها العمالية .

● ان الكثير من هذه القيادات لم يعط فرصة كافية للعمل بما يثبت كفاءته من عدمها وذلك بسبب انواع القصور الذاتى والانحصار التى تعانى منها الحركة النقابية والتى اشرنا الى طرف منها فيما سبق من الكلام .

● ان عنصر التجديد المستمر بمعنى انتظام انتخابات النقابات فى مواعيدها كان كفيلا فى حد ذاته باستبعاد الكثير من القيادات الغير صالحة من ناحية واعادة الثقة بالنفس والتى اهتزت لدى بعض القيادات الصالحة فيما لو جددت القاعدة انتخابهم .

واخيرا فان النمو الذاتى للحركة النقابية وتطورها من خلال اتساع مسئولياتها وقدرتها على اداء دورها ازاء هذه المسئوليات هو الكفيل بان يفرز من خلال العمل اصلح القيادات .



وحدة النضـــال ضــد الهـزيـمة

طريــق الوحـــدة العـــربيــة

أحمـــد الخـــواجة

منذ ان بــدأت الثــورة المصرية مســيرتها ، تيقن لها ، ان أمنها هو جزء من أمن الامة العربية كلها ، وان حرية كل وطن فيها ، وحرية المواطن علي ارضها ، مرتبطة اوثق ارتبــاط ، بحركة الحرية والتقــدم ، على الارض العربية جميعها .

ولم تكن المعارك التى خاضتها الثورة المصرية ، ضد الاحلاف الاستعمارية مجرد دعوة مصرية ، بل كانت فى حقيقتها دعوة عربية ، يسودها فــكر واضح ، هو الحفــاظ على اســتقلال بلاد الامة العربية كلها .

والثورة المصرية ، فى هذا كله ، تصدر عن فكر واضح ، قوامه ان مصر جزء من الوطن العربى ، وان الشعب المصرى جزء لا يتجزأ من شــعوب الامة العربية ، مطالب بأن يجعل كل نصر يجتازه فى خدمة قضــية الثورة فى بقية شــعوب الامة العربية .

وتقننت الثورة المصرية ، هدف نضالها فى هذا الصدد ، بنص حاسم فى دستورها الصادر فى سنة ١٩٥٦ ، مقررة فى المادة الاولى منه :

...... « مصر دولة عربية مســتقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديمقراطية .

...... والشــعب المصرى جزء من الامة العربية » .

وفى ذلك الوقت ، أخذ حوار جديد بناء ، يسود الامة العربية كلها ، فى سبيل توحيد امصارها ، وازالة الحدود المصطنعة بين بلادها ، تغذيه جهود شعبية رائعة ، تجلت فى وحدة شــعوب الامة العربية قاطبة ضد العدوان الثلاثى الذى وقع على

احمد الخواجه

- عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى
- نقيب المحامين بالجمهورية العربية المتحدة
- رئيس اتحاد المحامين العرب .

مصر سنة ١٩٥٦ ، ثم بلغ مرحلة عالية من مراحل الانتصار ، بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولست اعني من ذلك كله تاريخا للوحدة ، او استقراء لمسيرتها ، فليس ذلك قصدي من هذه الكتابة ، انما اوردته تقدمة لا غنى عنها ، في تعرضي للابعاد القومية في قرارات المؤتمر القومي .

فلقد ارقني ان اسمع من بعض الاشقاء المفكرين ، على درب الوحدة ، نقدا قوامه ، ان قوميتنا ووحدتنا لم نأخذ وضعها الكامل ، في قرارات المؤتمر القومي ، او مناقشاته . وهو قول احسست بانطوائه على ظلم كبير ، لم يمعن صاحبه النظر في وثائق المؤتمر وقراراته .

فلقد بدا من مناقشة الاشقاء ، انهم كانوا يريدون من المؤتمر مرة اخرى ، حديثا معادا في فلسفة القومية العربية ، وفصلا مكتوبا ، في الوحدة العربية ، وبحثا في كيفية تحقيقها واعادة لمناقشة اسلوب العمل فيها ، سواء كان ذلك وحدة الصف او وحدة العمل او وحدة الهدف ، او لقاء القوى الثورية او وحدتها او بعثا للحركة العربية الواحدة ، او ما شاكل ذلك من الانماط والدروب والوسائل والاساليب .

وكل ذلك في رايي ، ينطوي على تصور غير صحيح ، وعلى اغفال لشوط طويل قطعته امتنا على دربي الفلسفة والنضال .

فلم يكن شيء من ذلك ، ضمن مهام المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي ، لانه ينعقد من خلال ايمان بميثاق اقره الشعب المصري بمؤتمر سابق ، أقام تصورا كاملا لفلسفة الوحدة العربية ، وللاسلوب الذي يراه لازما لتحقيقها ، وكلاهما امر لا بديل له في فكرنا على دروب النضال الوحدوي .

وبعد مضي خمس سنوات كاملة ، على نضال شعبي طويل ، ابتغاء تحقيق هذا الهدف ، حلت بنا هزيمة ٥ يونيو ، كعمل عدائي ضد اهداف نضالنا عامة ، وضد فلسفتنا القومية ، وأمل الوحدة بصفة خاصة .

وعدم الاستسلام للهزيمة ، هو تمسك بأهداف النضال ، ومنها الوحدة العربية . والشوط الذي قطعناه ، منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، حتى الان ، محاولة للخلاص من تلك الهزيمة ، هو شوط على طريق الوحدة ، **والنصر الذي وضعناه للخلاص منها ، هو في رأينا التصور الوحيد ، لتقدم العمل الوحدوي .**

فليس للمهزوم ان يحصر فكره في اطار مناقشة فلسفات معينة ، ليتخذ منها طريقا لتحقيق هدف دائم ، بل ان واجبه الاول المحتوم ، هو ان يتخلص من الهزيمة ، حتى يملك الطريق الى تحقيق هدفه الدائم ، والا امكن القول بتحقيق الوحدة ، في ظل الاحتلال ، وفي ظل الاستعمار . وهي وحدة — على فرض امكان تحقيقها — مرفوضة لدينا ، ولا نريدها ، لانها لن تكون وحدة شعب على طريق التقدم في صنع الحياة ، بل تكون وحدة مستكينة ، تحت سيطرة العدو .

وعلى الذين يتصورون غير ذلك ، ان يتذكروا كيف رفض الشعب العربي « **مشروع الهلال الخصيب** » ، وغيره من المشروعات ، في ظل الاستعمار ، ولكنه هو نفس الشعب الذي يرحب بأية وحدة جزئية في العالم العربي ، تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الامة العربية ، باعتبارها خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد له ، وتمتد جذورها في اعماق الارض العربية .

واذا كان الامر كذلك ، فان المعركة وحدها ، هي النطاق الذي يجب ان يجتمع عليه نضال الشعب العربي ، وهي لا تتطلب الان بحثا في وحدة دستورية ، او جريا وراء راي نظري ، لان الوحدة الدستورية التي ننشدها ، ليست هدفا سلبيا ، بل انها هدف نضالي ثوري ، وطريق النضال يفرض واجبا اوليا ، هو تحرير الارض المحتلة .

ووحدة النضال السياسي ، ووحدة النضال العسكري ، ليست القدر الكافي الان فحسب ، بل هي القدر اللازم ، لان الخلاص من الهزيمة ، كما اسلفنا هو الطريق الوحيد والمحتوم ، لتقدم العمل الوحدوي . **وذلك ليس طريقا عمليا فحسب ، بل انه طريق فكري .**

ولا يمكن ان نمعن النظر حول هذه المسألة في قرارات المؤتمر القومي منفصلة ، عن الخطوات التي انتهت بانعقاده ، ونعني بذلك ، بيان ٣٠ مارس ، والموافقة الشعبية الاجماعية عليه ، بعد حوار خلاق ، شاركت فيه قوى الشعب العاملة جميعها ، ليس على الارض المصرية وحدها ، بل فوق الارض العربية جميعها .

ولقد جاء بيان ٣٠ مارس ، مؤكدا ومقررا ان الوحدة العربية ، هي حقيقة الوجود العربي ذاته ، وان الغايات التي استهدف النضال المصري تحقيقها ، اثر الهزيمة ، كانت اعمالا لازمة لكي تظل راية النضال العربي مرفوعة وخفاقة . أكد البيان ذلك في كل موضع من مواضعه ، فهو حين يتحدث عن التحولات الهامة التي اشار اليها ، يثبت انها كانت خطوات عميقة ولازمة ، لا يمكن ان يعيش الفكر الوحدوي او ان يتقدم بدونها . اذ بدون

اعادة بناء القوات المسلحة ، لم يكن امامنا غير تقبل الهزيمة .

كما ان تحقيق الصمود ، الذى تحمل الشعب المصرى اسبابه ، عن رضاء وطيب خاطر ، ساعد عليه ، موقف عربى اصيل فى **مؤتمر الخرطوم** .

ثم يذكر البيان ، ان هذه التحولات كلها قادها ودعمها احساس عميق بالواجب لدى كثير من المسئولين ، ومن الملتزمين بأهداف النضال الشعبى . وليس ثمة شك فى ان الوحدة ، هدف دائم للنضال العربى الشعبى .

يؤكد البيان ذلك ، ليصل الى غاية اصيلة ، سعى الى تقريرها ، هى :

« ان المعركة لها الاولوية على ما عداها ، وفى سبيلها ، وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل بذل ، مالا كان او جهدا او دما ، ومهما كان السبيل الذى نسلكه الى تحرير الارض وتحقيق النصر ، فانه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة » .

ولا يكتفى بذلك ، بل يقول :

« ولا نستطيع امام انفسنا ، وامام امتنا العربية ، وامام الاجيال القادمة من ابنائنا واحفادنا ، الى الابد، أن نتردد او نتخاذل او نوزع التبعات على الاخرين مهما اقتضانا ذلك من التكاليف على مواردنا وعلى اعصابنا وعلى ارواحنا » .

ومضى البيان على هذا النهج ، ليرفع الغرض الى موضعه الصحيح، ذهابه الى ان اول الخطوط الاساسية للدستور القادم هى :

« ان ينص على تحقيق وتاكيد **الانتماء المصرى الى الامة العربية** ، تاريخيا ونضاليا ومصيريا ، وحدة عضوية فوق اى فرد وبعد اى مرحلة » .

واذا كان مقررا ان الاستفتاء على الدستور الدائم لن يجرى الا بعد ازالة آثار العدوان ، كان الامر على هذا النحو يدل على اهمية المعركة ، وضرورة وضعها فى موضعها الصحيح اساسا لتحقيق مطالب النضال .

والمعركة التى نعنيها ليست حربا يخوضها الجيش المصرى ، بل هى حرب يخوضها الشعب العربى كله . تقوم فيه القوات المسلحة بدور مرسوم لها ، لا يسقط عن الشعب العربى كله واجب القتال — سواء فى اعداد جيوشه والارتفاع بكفاءتها ومقدرتها القتالية ، او فى اعداد الشعب ذاته للمعركة ، بكل ما يعنيه اعداد الشعب من تنظيم يجرى فى كافة مجالات الحياة ، ويبعث فى اذاره حاجة الاحساس بحرية العمل من اجل المعركة . ويتيح لكل منهم المساهمة بدور فى تحقيق النصر .

وهذا المعنى — هو الذى استهدف بيان ٣٠ مارس ، فى كل ما ورد به ، واكده فى تقريره ان قوى الشعب العامل هى وحدها التى تستطيع توفير كل ضرورات النصر ، وحشد كل الطاقات اللازمة لتحقيقه ، واعطاء قدر اكبر من ارادة الصمود لجبهة ميدان القتال . لان ذلك نظام ثورى ، يستند على الجماهير وحدها ، لا يكتفى بأن يكون الشعب وراءه راضيا ومؤيدا ، وانما هو يحتاج الى اكثر من ذلك ، يحتاج ان يكون الشعب امامه قائدا وموجها .

على هدى ذلك كله ، تم انتخاب المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ، وعقد اول جلسة له يوم ٢٣ من يوليو لسنة ١٩٦٨ ، ليؤكد تمسكه بأهداف نضاله فى الحرية والاشتراكية والوحدة بغير مهادنة او تفريط ، واجل جلساته بعد ان اختار من بين اعضائه مائة عضو شكلوا لجنة تحضيرية لاعمال المؤتمر ، وانقسمت اللجنة الى خمس لجان ، كانت احداها لجنة التعبئة السياسية وشئون الدفاع ، التى اختصت بالجانب العربى ، وجاءت اعمال اللجنة بدورها فى هذا الاطار ، تعبيرا عما يجول فى افواه الشعب العربى ، من اصرار على تحرير الارض المحتلة ، والتمسك بالوحدة كهدف نضالى ، وتقرير اللجنة فى هذا الصدد يمكن الرجوع اليه ، لانه وثيقة فكرية ، ترضى فضول الذين ينعون على المؤتمر انه لم يعط البعد الكامل ، لفلسفة القومية العربية ، ونؤكد لهم ان اللجنة لم تغفل لحظة عن تقدير ما يصبون اليه ، فهى تأتى فى نهاية التقرير لتقول فى معرض تقييم المرحلة الراهنة ، وتحديد الضرورات فيها :

« ان الامة الحريصة على وجودها ، هى التى توفر للوجود اسباب بقائه والا فقدت كرامتها وعزتها ، فضلا عن حريتها . وذلك يفرض على الشعب العربى ، فى كل مكان على الارض العربية ان يعد تاريخه وتراثه ليعلم ان وحدته هى التى مكنته على مدى التاريخ ان يكسر جحافل الغزاة والمستعمرين ، وليعلم ان تحرير الارض وهو مطلب نضال عاجل وملح يقتضى منها » .

ثم توجز اللجنة تقريرها فى اربعة خطوط اساسية عامة ، تاركة للعمل السياسى النظم تفصيلها وتنفيذها ، وهذه الخطوط هى :

اولا : الحفاظ على الموقف العربى الموحد ازاء

العدوان الاسرائيلي ، والعمل على تنميته فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاعلامية . والعمل على اتمام التكامل الاقتصادى العربى لمواجهة التخلف ، والتعاون مع الحكومات العربية ، والاخذ بمبدأ وحدة التخطيط القومى العربى فى كل مجال ممكن .

ثانيا : العمل على تنمية العلاقات بين التنظيمات العربية المختلفة سياسية ومهنية وطلابية ونقابية وغيرها ، بقصد حشد وتعبئة امكانيات وطاقات الجماهير العربية ، من اجل المعركة . وايجاد حوار مستمر بين الاتحاد الاشتراكى العربى وسائر التنظيمات والاحزاب العربية ، بقصد تنمية عوامل التفاهم المشترك ، واستثمار ذلك فى ايجاد صيغة جديدة للعلاقة بين التنظيمات السياسية العربية ، تساعد على وحدة العمل العربى فى مواجهة العدو الاستعمارى الاسرائيلى .

ثالثا : دعم حركة المقاومة الفلسطينية والعمل على توسيع نطاقها ، ورفع كفاءتها ، باعتبار ان الشعب الفلسطيني هو طليعة القوى العربية التى تتحمل المسئولية التاريخية فى تحرير الارض الفلسطينية المحتلة .

رابعا : العمل على ان تقوم جامعة الدول العربية بواجباتها فى تحقيق التكامل والتنسيق فى مجالات العمل العربى المختلفة ، وفى تجميع الطاقات الاقتصادية العربية ، وفى تحقيق التكامل والتنسيق بين امكانيات الوطن العربى المتعددة .

وطرحت هذه الاعمال على المؤتمر القومى ، ليتخير منها ، ما يجب المبادرة الى تنفيذه ، فقرر المؤتمر بعد المناقشات التى جرت اثناء جلساته ما يلى :

- **الاستمرار فى تزويد القوات المسلحة بكافة متطلباتها ، وتوفير كل الامكانيات للارتفاع بكفاءتها وقدرتها القتالية ، لتؤدى مهمتها المقدسة ، وهى تحرير الارض وحماية الوطن .**

- **دعم العمل الفدائى الفلسطينى ، باعتباره طليعة لقوى التحرير العربية ومده بكافة القوى المادية والبشرية ، تمكينا له من الاستمرار فى رسالته المشروعة ، من اجل تحرير الارض المحتلة وتحقيقا لامل الشباب العربى فى المساهمة بدوره فى معركة التحرير .**

وجاء فى مقدمة بيان وقرارات المؤتمر القومى العام :

« ان معركتنا مع العدو ليست معركة الجيش وحده ، ولكنها معركة الشعب كله ، ويجب ان يكون الشعب كله امتدادا لقواته المسلحة المتقدمة على خط القتال فى مواجهة العدو ، وان يتحقق التلاحم كاملا بين الشعب والجيش بكل صور التلاقى فى الوسائل والاهداف » .

« واذا كان الشعب يتطلع الى قيام الجيش الشعبى الذى ينتظم فيه كل قادر على حمل السلاح من ابناء هذا الشعب ، الامر الذى يجب ان يكون فى تفكيرنا وتخطيطنا المقبل ، الان الامر العاجل الذى ينتظر المؤتمر ان تضع له اللجنة المركزية تفصيلات تنفيذه ، هو قيام منظمات للدفاع الشعبى ، تحمل مسئولية حماية الخطوط الخلفية لقواتنا المتقدمة ، وتضطلع بالاعمال ذات الطبيعة العسكرية وشبه العسكرية ، المتصلة باية عمليات قد يلجا اليها العدو وراء خطوطنا الامامية ، خاصة أن مسرح العمليات فى اية معركة مرتقبة مع العدو يشمل كل شبر من ارض الجمهورية ، ولتكون هذه المنظمات قادرة على الحراسة المسلحة للمنشآت ضد اية عمليات تخريبية قد يلجا اليها العدو ، ومشتملة فى الوقت نفسه على فرق الاطفاء والانقاذ والاسعاف ، وتامين وسائل النقل والمواصلات والاصلاح والدفاع المدنى بكل صوره » .

وبعد اعلان القرارات والموافقة عليها ، القى المناضل **جمال عبد الناصر** كلمة مفيدة وعميقة ختم بها جلسات المؤتمر ، بقوله :

« وقبل ان ينتهى هذا المؤتمر ، ويذهب كل منا الى سبيله للعمل من اجل الاهداف الكبرى التى لمسناها وناقشناها ، اعاهدكم اننى فى مكانى سأضع كل قراراتكم موضع التنفيذ » .

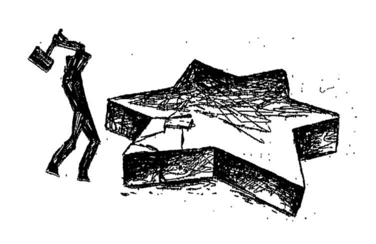
تلك لمحة ، تكاد تكون تاريخية ، عن تعرض المؤتمر القومى لموضوع الوحدة العربية . تؤكد ، انها هدف لنضال محتم ، تسعى اليه جاهدين ، وترى ، ان تحرير الارض المحتلة — يجب ان يسبق ما عداه فى سبيلها ، وهى معركة مقدسة ، تفرض ، الى جانب الاستعداد العسكرى للارتقاء به ، امورا يتحمل الشعب العربى عبء تحقيقها ، والنضال فى سبيلها :

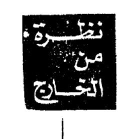
اولها : وحدة العمل العسكرى ضد العدو :
وهذا الامر لا يجوز التراخى فيه لحظة واحدة لاى سبب من الاسباب — وعلى القواعد الشعبية المؤمنة بقضاياها فى كل وطن عربى ان تجعل هذه القضية اول اهدافها ، فان الوحدة العربية كهدف نضالى، لايمكن السعى اليها اذا كانت الشعوب التى تنشد الوحدة لا تستطيع فى اوقات المحن ، ان تعرض قواتها العسكرية ضد عدو يحتل ارضها ولا يجوز التعليل باى سبب من الاسباب للبحث عن طريق بديل ، اذ بغير تحقيق هذه الوحدة العسكرية فى هذه الظروف بالذات ، تصبح

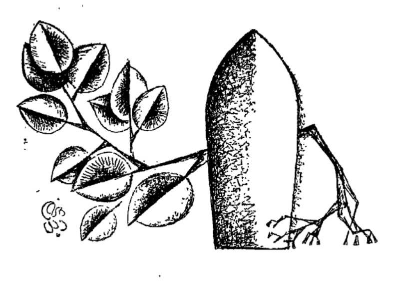
الدعوة المجردة الى الوحدة او التشوق بامكان اقامة وحدة او وحدات دستورية ، هى ضروب من الخيال والاوهام لا تقنع احدا . وعلى المفكرين ان يعلموا ان العمل الثورى للجماهير ، والتجربة الحية لنضالها هو اصدق امتحان وادق اختبار للعقائد النظرية ، والتى لا يستحق نجاحها الا باثبات وحدة حقيقية بين النظرية والنشاط العملى المادى ، فاذا تم ذلك ، كان مسار النضال صحيحا .

ثانيها : دعم العمل الفدائى الفلسطينى :
وهذه القضية بدورها ، لا يجوز ان يثور حولها خلاف ، وهى مسئولية مزدوجة يتحمل الشعب العربى جانبا منها ، باتاحة الفرصة كاملة امام العمل الفدائى للتنظيم والتدريب والقتال ، بغير تدخل فى شئونه يعوق حركته ، او يعطل مسيرته . وتتحمل المنظمات الفدائية جانبه الاخر — بأن تزيل كافة التناقضات فيما بينها . لان تحرير الارض ، حان له وجهه العملى الذى لا خلاف عليه . ولا يجوز للخلاف السياسى بين القيادات السياسية للمنظمات ، ان تنفذ اليه ، بل ان الذين يحملون عبء العمل العسكرى ؟ مطالبون بان يقدموا برهانا ، على امكان وحدة العمل فيما بينهم ، ليضربوا مثلا يحتذى به اولئك الذين يختلفون على نسب التمثيل فى المجالس السياسية . فان قضايا الوجود ، لا تحتمل مثل هذا العبث . فصبر شعب يبحث عن ارضه ، منذ اكثر من عشرين عاما ، حتى اذا وجد الطريق الصحيح اليها ، وجب عليه ان يسير فى الحزم الواجب ، لكى لا يعطل مسيرته جدل فلسفى . فان الجدل الفلسفى — كما اسلفنا — لا قيمة له اذا لم يقدر له تحقيق الالتحام الكامل بين النظرية والتطبيق .

ولا اريد لنفسى الان ان استرسل فى كيفية تنفيذ قرارات المؤتمر ، فهو امر تتحمل اللجنة المركزية عبء تنفيذه ، من خلال ارتباطها بقواعد شعبية لابد ان تتوافر بدورها ، على قدر كبير من التنظيم ، يحقق لما قيادة الشعب كله ، فى سبيل السياسة التى ترسمها تنفيذا لقرارات المؤتمر ، والتى يتعين علينا ان نقدم له حسابا عنه ، فى دورته المقبلة .







الحرب والتنمية

د. ابراهيم سعد الدين

يوما بعد يوم وساعة بعد اخرى تتلاشى امكانيات الحل السلمى لقضية العدوان الاسرائيلى الاستعمارى على البلاد العربية . وتتضح اكثر فأكثر ضرورة المواجهة الحاسمة.والطويلة الاجل فى نفس الوقت بيننا وبين اسرائيل . ان وصول مهمة يارنج الى « طريق مسدود » وان كان لا يعني الحرب المباشرة مع اسرائيل فانه يعنى بالضرورة العمل الجاد والحشد الكامل لكل القوى من اجل معركة التحرير . وانه اذا كان من واجبنا الا نقدم على مثل هذه الحرب دون استعداد يضمن النصر . فان من اهم واجباتنا ان نحقق مثل هذا الاستعداد فى أقصر فترة ممكنة. ان ذلك يعنى ضرورة حشد كل الموارد من اجل تحقيق هذا الاستعداد . ومن الناحية الاقتصادية فان ذلك يتم عن طريق اتمام انتقال الدولة الى « اقتصاد الحرب » .

ونحن من قبل الحرب وسنستمر بعدها نخوض حربا قد لا تكون اقل قسوة ، تلك هى المعركة ضد التخلف الاقتصادى ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والارتفاع بمستوى معيشة الجماهير. وقد حققنا خاصة فى خلال السنوات الخمس الاولى لخطة التنمية دفعة لا بأس بها خرج بها الاقتصاد القومى من مرحلة الركود الى مرحلة جديدة من الحركة المستمرة الى الامام وذلك بالرغم من كل العقبات بل والعثرات التى تكون قد صادفت او تصادف هذه الحركة . ان الحرب ضد العدوان الاستعمارى الاسرائيلى لا يجب ان تنال باية حال من هذه الاندفاعة الى الامام بل على العكس من ذلك يجب ان تكون حافزا لاستمرارها ولمزيد من الاسراع بها .

ان ضرورة الاستعداد للحرب والسير فى طريق التنمية الاقتصادية فى نفس الوقت بل والمسارعة فى التنمية ينتج عن عدد من العوامل الهامة :

د. ابراهيم سعد الدين
● نائب رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات

● فمن ناحية فان الاستعداد للحرب ذاتها يعنى توجيه جزء متزايد من الموارد من اجل المجهود الحربى ومن اجل الاستعداد للحرب وتعويض الخسائر التى يمكن ان تحدث كنتيجة للمعركة . واذا كان من الممكن فى حرب قصيرة وسريعة ان يتم حشد مثل هذه الموارد من الانتاج الجارى حتى على حساب التنمية الاقتصادية من اجل الحصول على نصر سريع . فان الحروب الممتدة والطويلة لايمكن ان تهيىء الموارد اللازمة لها الا من اقتصاد تام يتزايد الانتاج فيه . انه على الرغم من الضغط على الاستهلاك الذى يصاحب الحروب عادة ، فان ما تحتاجه الحروب الحديثة من موارد لا يمكن تدبيره بمجرد الضغط على الاستهلاك، ومهما بلغ هذا الضغط.ولاحتى بالاعتماد على زيادة المديونية الاجنبية. اذانه حتى بافتراض توفر المصادر لمثل هذه القروض فان هناك من المهمات الاساسية فى المجال الحربى ما لا يمكن مواجهته الا بزيادة انتاج العديد من السلع والمهمات المنتجة محليا .

واذا كان من مصلحة اسرائيل ان تخوض حربا قصيرة خاطفة فان البلاد العربية على العكس من ذلك لا تتمكن من استخدام ميزاتها الاستراتيجية الا بحرب طويلة وممتدة مع اسرائيل . ان هذا يعنى ضرورة تحقيق امكانية زيادة مستمرة فى الانتاج من اجل تهيئة الموارد اللازمة للمجهود الحربى اللازم لمثل هذا النوع من المعارك . ان تهيئة البلاد للحرب فى مثل هذه الظروف لا يعنى الاختيار بين التنمية واقتصاد الحرب وانما يعنى توجيه التنمية والانتاج لصالح المجهود الحربى .

● والى جانب ما تفرضه الحرب من واجبات فان الدفعة الشديدة التى احرزتها التنمية خلال السنوات الاولى للخطة . قد تعرضت لعقبات ومشاكل. ان السنوات الاربع الاولى للخطة العامة لنمو الاقتصاد القومى قد حققت معدلا مرتفعا للنمو على الرغم من الاثار العكسية التى ترتبت على اصابة محصول القطن بالافات الزراعية فى السنة الثانية من الخطة . على ان المشاكل المترتبة عن نقص الدراسة الاقتصادية لبعض المشروعات ،وغياب الحساب الدقيق لتأثير المشروعات المختلفة على احتياجاتنا من النقد الاجنبى ، وعدم امكان زيادة الصادرات كما كان متوقعا ، والسماح بزيادة الاستهلاك وخاصة من السلع المعمرة التى يحتاج انتاجها الى نقد اجنبى زيادة كبيرة ، وزيادة الاستهلاك الاجتماعى بدرجة ملحوظة

ان محاولات متعددة قد بذلت بالفعل لعلاج بعض الاسباب الاساسية للمشاكل الاقتصادية التى يواجهها مجتمعنا ، الا ان معدل النمو قد ظل منخفضا . ويهدد ذلك مع الزيادة المستمرة فى السكان والتى تبلغ نحو ٢ر٨٪ بخلق حالة خطيرة ما لم تتمكن من العمل لزيادة معدل النمو من اجل التنمية والحرب فى نفس الوقت . ان استمرار الانخفاض فى معدل التنمية مع الزيادة المستمرة فى السكان والعبء الذى تلقيه الحرب يعنى — فى حالة غياب التنمية السريعة — احتمال مواجهة المجتمع بعد الحرب بحالة من الركود والنمو السكانى التى يصحبها فى نفس الوقت زيادة كبيرة فى المديونية الخارجية يصعب معها ان ينجح المجتمع فى توفير الموارد اللازمة لخروجه من الحلقة المفرغة للتخلف دون تضحيات كبيرة يصعب بذلها .

وعلى العكس من ذلك فان ظروف الحرب بما تثيره من حماس للقضية الوطنية والقومية هى اصلح الظروف لمواجهة التضحيات الضرورية لمعالجة المشاكل التى تواجه اقتصادنا والذى تضعه مرة اخرى فى طريق النمو والتقدم ، وتسمح بالتالى بعد انتهاء معركة تحرير الارض المحتلة بمواصلة النضال من اجل تحقيق الرفاهية والتقدم الاقتصادى .

● ان المواجهة بين البلاد العربية وبين اسرائيل ليست مواجهة عسكرية فحسب . ان تحرير الارض المحتلة بواسطة العدوان الاسرائيلى الاستعمارى الاخير لا ينهى المواجهة مع اسرائيل. ان المواجهة بين البلاد العربية واسرائيل هى مواجهة حضارية اساسا وستستمر ما استمرت دولة اسرائيل قائمة وما استمرت الصهيونية تحاول التوسع. ان اساليب المواجهة قد تختلف بين فترة واخرى . على ان العامل الحاسم سيكون دائما هو مدى قدرة الدول العربية على تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى . ان تحليلا موضوعيا للشروط التى تحاول اسرائيل فرضها كنتيجة لانتصارها العسكرى تبين مدى الاهمية التى تعلقها اسرائيل على تحقيق الظروف التى تمكنها من السيطرة الاقتصادية على ثروة البلاد العربية . ان اسرائيل لا ترضى بمجرد تحقيق الامن العسكرى بل تجعل الاعتراف والاتجار والامتناع عن المقاطعة الاقتصادية شرطا اساسيا لانهاء عدوانها العسكرى . وهى تبرز بذلك مدى اهمية العامل الاقتصادى ومدى رغبتها الحقيقية فى السيطرة على الثروة العربية مستفيدة بذلك من تقدمها التكنولوجى ومن دورها كعميل للاستعمار العالمى . ان تحقيق الانتصار النهائى على اسرائيل يتطلب اذن تحقيق دولة عربية عصرية ومتطورة ، قادرة على المواجهة الاقتصادية وقادرة على القضاء على النفوذ الاستعمارى فى المنطقة وتحقيق الاستغلال الاقتصادى والتطور الاجتماعى . وتلعب مصر بلا شك دورا هاما فى اى جهد عربى من اجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى . ونجاح مصر متوقف على مقدرتها على تحقيق معدل مرتفع

للتنمية الاقتصادية وزيادة سريعة فى الانتاج وفى الانتاجية .

ان هذه العوامل مجتمعة تبرز مدى حيوية قضية التنمية الاقتصادية بالنسبة لبلادنا وكيف ان الحرب وما تتطلبه من جهد لا يجب ان يكون باى حال عائقا لتحقيق مزيد من التنمية بل على العكس حافزا لمزيد من الجهد فى هذا السبيل .

لقد وعى المؤتمر القومى هذه الحقيقة تماما . وجاءت قراراته معبرة عن ضرورة تعبئة الشعب لتحقيق التعبئة الاقتصادية من اجل المعركة وتحقيق معدل مرتفع للتنمية فى نفس الوقت . كما ان قرارات المؤتمر جاءت ايضا موضحة للطريق الذى يجب ان تتخذه جهودنا من اجل تحقيق هذه التعبئة الاقتصادية . والمشكلة التى تواجهنا فى هذه المرحلة ليست فى واقع الامر تحديد السياسة التى يجب ان تتبع بل اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ السياسة التى تقررت بالفعل . الا انه قد يكون من المفيد ان نعود ثانية الى بعض القضايا التى بتت فيها قرارات المؤتمر مادامت مثل هذه القضايا مازالت محل بحث ونقاش فى مجتمعنا .

اولا : الموارد المتاحة وامكانيات التنمية الاقتصادية

اذا كان من المسلم به نظريا من الجميع انه من الضرورى ان نعمل وبقدر الامكان على توجيه الموارد من اجل الاستعداد للحرب وتحقيق التنمية فى نفس الوقت . فان مناقشات تدور فى بعض الدوائر الاقتصادية حول المعدل الممكن للتنمية اولا فى ظروف الحرب وثانيا بعد انتهاء هذه الظروف . لا شك ان التنمية المستمرة والمتوازنة لابد وان ترتبط ارتباطا كاملا بتحديد للموارد المتاحة وللامكانيات . كما لا شك من ان هناك عددا من العوامل المحددة لامكان المسارعة بالتنمية ، ومن هذه العوامل على وجه خاص مدى امكان تهيئة النقد الاجنبى اللازم لتمويل الاستثمارات وامكان اعداد الكوادر الفنية والادارية وغير ذلك من العوامل . وقد يصعب فى مثل هذا المقال مع النقص فى المعلومات حول حقيقة المديونية الخارجية واقساط وفوائد الديون وغير ذلك من العوامل ان تحدث مشاركة جدية فى النقاش الذى يدور احيانا حول هذه الامور . ورغم ذلك فان بعض الاتجاهات الرئيسية تبقى جديرة بالمناقشة وابداء الراى بخصوصها .

يذهب البعض الى ان موارد مجتمعنا محدودة ، وان قدرتنا على تحمل اعباء التنمية والحرب قد استنفذت او كادت . فقد خفض الاستهلاك فى السنوات الاخيرة او على الاقل حددت الزيادة فى معدله وخاصة بالنسبة لمعدلات الزيادة فى الاستهلاك الفردى .

ومن ثم فان المشكلة الاساسية التى تواجهنا تنحصر فى هذا التصور ، فى الكيفية التى يمكن ان تستخدم بها الموارد المتاحة بالفعل ، وتحديد أولويات استخدامها . ولما كانت الاستعدادات للحرب اولوية لا شك فيها فان ما هو متاح للتنمية فى هذه الحالة هو ذلك القدر من الموارد الذى يبقى للاستخدام فى هذا الغرض بعد الوفاء باحتياجات المجهود الحربى . على الاخص وان امكانية زيادة الانتاج او التصدير او غير ذلك من العوامل التى يمكن ان يعتمد عليها فى تحقيق زيادة فى الموارد لمواجهة احتياجات التنمية هى من العوامل التى تحتاج لاجل طويلة نسبيا ليكون لها أثر محسوس فى زيادة الموارد الكلية .

ان التسليم بوجهة النظر هذه ، يعنى معاملة التنمية كمسألة ثانوية ، يهيأ لها من الموارد ما يفيض عن الاستخدامات الاخرى . واذا كانت مثل هذه النظرة ممكنة خلال فترة قصيرة من الزمان . تحشد فيها كافة الامكانيات من اجل حرب سريعة وخاطفة ، فان التنمية نفسها كما بينا هى شرط اساسى من شروط الاستعداد الحربى لمعركة طويلة وممتدة . ومن ناحية اخرى فان النظر الى المستويات الحالية للاستهلاك الفردى والاستهلاك الجماعى فى غير اغراض الاستعداد الحربى باعتبارها حدودا دنيا لايمكن المساس بها يعنى فى الواقع عدم استعداد الجيل الحالى لاحتمال اى تضحيات جديدة والقائه اعباء التضحيات اللازمة للنصر على كاهل الاجيال المقبلة .

ان مثل هذا التفضيل للحاضر ومحاولة نقل العبء للاجيال المقبلة ، يعبر اساسا عن احساس الطبقة المتوسطة فى مجتمعنا التى حاولت ولم تزل تحاول ان تتم التنمية دون المساس بمستوياتها الحياتية . بل على العكس من ذلك ان تتم التنمية فى ظروف تسمح لها بالارتفاع العاجل بمستوى معيشتها وقد سبق لنفس الفئات الاجتماعية ان وجهت النقد لخطة التنمية الاولى على اساس من طموح اهدافها . واشارت الى ان محاولة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات تفوق امكانياتنا القومية ، وان المحاولات التى بذلت فى هذا السبيل هى التى ادت الى المشاكل والعقبات التى صادفت تنفيذ الخطة الاولى وظهور وبروز الضغوط والاختناقات التى تعيق التقدم والتى لا يمكن علاجها الا بالابطاء فى معدل التنمية .

والواقع يبين ان هدف المضاعفة فى حد ذاته لم يكن هدفا طموحا . وان الاقتصاد القومى فى السنوات الاربع السابقة للخطة كان ينمو بمعدل ٦٪ سنويا وان استهداف زيادة هذا المعدل بعد تعبئة الموارد الاقتصادية عن طريق التخطيط الى ٧ر٢٪ سنويا ليس بالطموح المغالى فيه او الذى لايمكن تحقيقه. وان العديد من الدول قد حققت فى ظروف شبيهة معدلات للتنمية تفوق كثيرا ما استهدفت الخطة الاولى تحقيقه .

ان المشكلة الحقيقية لم تكن فى الهدف ذاته بل فى ضرورة توفير عدد معين من الشروط التى لم يمكن توفيرها فى اثناء الخطة لا لانها غير ممكنة . بل لان الخطوات اللازمة لتحقيقها لم تتخذ . فمن ناحية فان تحقيق مثل هذا المعدل للنمو كان يقتضى زيادة معدلات الادخار والحد من زيادة الاستهلاك . ولكن سياسة التصنيع والاجور والعمالة والاسعار وغير ذلك من السياسات شجعت الزيادة على الاستهلاك وخاصة بالنسبة للسلع المعمرة والتى تعتمد فى صناعتها على واردات ومواد مصنوعة بالخارج. ومن ناحية اخرى فان تحقيق هذا المعدل للنمو كان يقتضى التنسيق بين المشروعات والدراسة الاقتصادية الدقيقة لها ، وقد افتقد مثل هذا التنسيق وقصرت الدراسة الاقتصادية فى كثير من المشروعات . وبمعنى آخر فان تحقيق هدف معين للتنمية يقضى تحمل قدر معين من التضحيات لتوفير الموارد اللازمة وتحقيق قدر معين من الفعالية فى استخدام هذه الموارد. فاذا كانت التضحيات قد قصرت عن تلك التى يتطلبها تحقيق الهدف واذا كانت الفعالية قد انخفضت كنتيجة لعدم احسان استخدام الموارد. فان الوسيلة لمعالجة مثل هذه المشاكل لا تكون بخفض هدف التنمية، بل بعلاج هذه الاسباب.

ان قضية التنمية من الاهمية والحيوية بمكان بالنسبة لمستقبل امتنا وبالنسبة لمواجهة مسئوليات الحرب . مما يستوجب اعطاءه الاولوية التالية لتعبئة الاقتصاد للوفاء بالاحتياجات الحربية مباشرة . وبمعنى آخر فان ما يجب ان يحدد ليس هو مقدار الفائض من الموارد التى يمكن او يحتمل توافرها لعملية التنمية الاقتصادية، بل على العكس فانه من الضرورى ان نحدد أولا ما هو الحد الادنى والضرورى لمعدل التنمية الذى يجب ان نصر على تحقيقه لمواجهة الزيادة المستمرة فى السكان ، وتمكين الاقتصاد من مجابهة مسئوليات المعركة الطويلة والممتدة ، والقادر على توفير الاساسى لانشاء دولة عصرية متطورة يمكنها مواجهة تحديات العصر والتحدى الاسرائيلى بشكل خاص . وعلى اساس من هذا التحديد يمكننا تحديد التضحيات التى يجب ان يتحملها شعبنا فى هذه المرحلة من اجل النصر ومن اجل التنمية فى نفس الوقت . ان شعبنا قادر على بذل مزيد من التضحيات ، مادامت هذه التضحيات ضرورية لتحرير ارضه وتأمين مستقبله .

وتمسكا بهذا المعنى فقد أشار تقرير اللجنة الاقتصادية للمؤتمر وبحق الى ان القول بان الاقتصاد القومى قد استنفذ قدرته على توفير مزيد من الموارد من اجل المجهود الحربى والتنمية هو قول غير صحيح. وان هناك من الموارد مايمكن تعبئتها وان هناك ثمنا لابد من ان تدفعه أمتنا لبلوغ الاهداف الكبرى والاساسية التى لابد ان يتمسك مجتمعنا بتحقيقها .

ان جهودا لابد وان تبذل للارتفاع مرة اخرى بمعدلات التنمية الاقتصادية . لقد تدهورت هذه المعدلات كنتيجة للاختناقات والضغوط التى بدات فى البروز ابتداء من السنة الخامسة للخطة الاولى .وقد بذلت محاولات لمعاجلة بعض اسباب الاختلال وخاصة عن طريق الحد من معدل نمو الاستهلاك . الا ان الانخفاض الذى تم فى نفس الوقت فى معدل نمو الانتاج . وخاصة الانتاج الصناعى لم يؤد الى تحقيق الاثار التى استهدفت من هذه المحاولات . ولقد اعتمد بشكل رئيسى فى هذه المحاولات على رفع الاسعار لتخفيض الدخول الحقيقية المتاحة للاستهلاك او للحد منها. وافترض ان توازنا جديدا لابد وان يتم بين العرض والطلب على السلع المختلفة خلال الاسواق . وقد ادت هذه الطريقة فى معالجة الاختلال الى تراكم المخزون من عديد من السلع التى انتجت مستخدمة مواد نادرة، وتتطلب الحصول على نقد اجنبى دون ان يمكن تصريفها داخليا او تصديرها للخارج . وبمعنى آخر فانه فى نفس الوقت الذى تعانى فيه البلاد بشكل عام من عجز فى النقد الاجنبى والذى اثر تأثيرا عكسيا على بعض نواحى الانتاج، فقد استخدم بعض هذا النقد فى انتاج عدد من السلع التى لم يمكن استيعابها محليا او تصديرها للخارج .

واذا كنا قد نجحنا حتى الان فى تحقيق الصمود الاقتصادى . فقد آن الاوان لاتخاذ خطوات جديدة لدفع عجلة التنمية فى نفس الوقت الذى يزداد فيه الاستعداد للمعركة العسكرية ويزيد من امكانيات تحقيق ذلك ، الزيادة الكبيرة فى الانتاج الزراعى التى احرزت فى خلال العام الزراعى ٦٨/٦٧ ، التى يجب أن تصحب بمجهود جدى لوضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ الفعلى سواء عن طريق حشد كل الموارد اللازمة للاستعداد الحربى او للتنمية او عن طريق حسن استخدام هذه الموارد .

ثانيا : تدبير الموارد اللازمة للاستعداد للحرب والتنمية وعلى من يقع عبؤها

ان المسألة الثانية التى ترتبط ارتباطا مباشرا بمعدل التنمية وضرورة زيادته هو تدبير الموارد اللازمة لتحقيق ذلك ، وتوزيع الاعباء المترتبة على هذه التدابير بحيث تشارك فيها جماهير شعبنا على اختلاف فئاته طبقا لقدرة كل من هذه الفئات على احتمال هذه الاعباء .

وقد اشار تقرير اللجنة الاقتصادية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى اشارة واضحة الى ان تدبير الموارد اللازمة للتنمية والحرب لا يتم الا خلال الحد من الاستهلاك الخاص والاستهلاك العام فى غير اهداف المجهود الحربى فيستهل التقرير بالحديث عن تدبير الموارد اللازمة للاستعداد للحرب والتنمية بان يشير الى « **ان الاستعداد للحرب بما يقتضيه من التوسع فى الانفاق العام على المجهود الحربى والمضى فى التنمية بما يستوجبه من الارتفاع بمستوى الاستثمار بمستلزمات تدبير الوسائل الفعالة لتمكين الدولة من ان تقتطع من الناتج القومى القدر اللازم لتحقيق هذين الامرين . ويتحصل السبيل الى هذا بطبيعة الحال فى كبح جماح الاستهلاك الخاص والحد من التوسع فى الانفاق على الاستهلاك العام فى غير اغراض المجهود الحربى** » .

ان الوسائل لتدبير هذه الموارد كثيرة ومتعددة وقد عددها التقرير ولا يوجد ما يدعو لتكرارها هنا . وانما نشير فقط الى بعض الاتجاهات الاساسية التى اوردها التقرير والتى تحتاج الى مزيد من الدعم على ضوء تجربة السنوات الماضية . وعلى أساس من ضرورة توزيع اعباء الحرب والتنمية توزيعا عادلا على الفئات الاجتماعية المختلفة وعلى ضوء استمرار وجود بعض الافكار المعارضة لاتجاهات التقرير بين عدد ممن يتولون المسئولية التنفيذية .

وعلى العكس من الاتجاه الذى ساد لوقت طويل فى السياسة الاقتصادية ، والذى استمر حتى بعد ان وضح ضرورة الحد من الاستهلاك وبدىء فى اتخاذ العديد من الاجراءات لتحقيق ذلك وخاصة فى السنوات الاخيرة . فان تقرير اللجنة الاقتصادية يرى الاعتماد اساسا على تحديد الدخول عن طريق الضرائب والحد من زيادة الاجور والمرتبات بدلا من الاعتماد على الزيادة فى الاسعار باعتبارها الوسيلة الاساسية لتحقيق الحد من زيادة الاستهلاك .

ان مراجعة الاجراءات التى اتخذت فى السنوات الاخيرة تبين انه باستثناء الادخار الاجبارى لمرتب نصف اليوم الذى رفع بعد ذلك الى ثلاثة ارباع اليوم ، وفرض ضريبة الامن القومى باسعار تصاعدية ، وتخفيض بدل التمثيل بالنسبة للفئات العليا من موظفى القطاع العام والحكومة . فقد كانت الاسعار هى الوسيلة التى استخدمت للحد من القوة الشرائية المتاحة فى ايدى الجماهير . وكان طبيعيا فى مثل هذه الظروف ان تصيب هذه الزيادة السعرية الفئات المحدودة الدخل بوجه خاص . ان السلع الترفيهية والكمالية التى تستخدمها الفئات ذات الدخل المرتفع تتمتع بمرونة شديدة فى الطلب . ومن ثم فان اى ارتفاع هام فى اسعارها سوف يؤدى الى نقص الطلب على هذه السلع . دون زيادة كبيرة فى الحصيلة التى تحصل عليها الحكومة خلال مثل هذا الرفع فى الاسعار . وقد تم ذلك فعلا بالنسبة للسلع المعمرة كالثلاجات وغيرها من السلع الشبيهة . وعلى العكس من ذلك فان السلع ذات الاستهلاك الشعبى والعام هى دون غيرها القادرة على تحقيق حصيلة كافية من الموارد كنتيجة لارتفاع اسعارها ، حيث يصعب الاستغناء عن مثل هذه السلع حتى وان ارتفعت اسعارها . ومن هنا فان اللجوء الى الاسعار كوسيلة للحد من الاستهلاك يعنى فى الاغلب والاعم تحميل الطبقات المحدودة الدخل بالجزء الاكبر من عبء التنمية .

كما استطاعت فيها الراسمالية الوطنية تحقيق زيادة فى ارباحها بالاستفادة بالاتجاه الصعودى فى الاسعار . كما استمرت فيها العلاوات والمنح للموظفين والعاملين فى قطاع الخدمات الحكومية بشكل عام .

لهذه الاسباب وغيرها يشير التقرير الى ضرورة الاستقرار النسبى للاسعار ويبرز الاثار الضارة لارتفاع الاسعار على الطبقات المحدودة الدخل ويطالب كبديل لذلك بفرض ضرائب جديدة ورفع اسعار الضرائب القائمة « على ان تؤخذ المقدرة على الدفع دائما فى الاعتبار عن طريق الامعان فى التصاعد » واخيرا ينصح التقرير بتخفيض الاعفاء من الضريبة على الايراد العام .

ان تقرير اللجنة الاقتصادية قد حدد بوضوح ضرورة مشاركة الفئات الاجتماعية المختلفة فى تحمل اعباء التنمية والحرب على اساس من قدرتها الفعلية على تحمل هذه الاعباء . ورسم السياسات اللازمة لوضع هذا موضع التنفيذ ، وبقى ان تتخذ هذه السياسات نبراسا فعليا لخطوات الاصلاح الاقتصادى وان تتخذ مجالها للتنفيذ فى اقرب فرصة ممكنة .



الشباب
ومشكلة توحيد الإشراف

عبد الغفار شكر

حظيت قضية اعداد الجيل الجديد باهتمام المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى دورته الاولى ، حيث شهدت هذه الدورة مناقشات واسعة ركزت اهتمامها على الشباب • ولقد كان من المنطقى ، والمؤتمر ينعقد من أجل « حشد كل قواتنا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو ، وتعبئة كل جماهيرنا بمالها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل واجبات التحرير والنصر وآمال مابعد التحرير والنصر » (١) ـ كان من المنطقى ان يخصص جانب هام من مناقشات المؤتمر سواء في جلساته العامة أو فى اجتماعات لجانه الفرعية لدراسة اسلوب اعداد وتربية الشباب ، وذلك ضمن محاولات الاجابة عن السؤال المطروح الان « كيف يمكن تحريك الجماهير للقيام بدورها فى معركة ازالة آثار العدوان ، كيف يمكن تعبئة هذه الجماهير للدفاع عن ارضها وعن مكاسبها الثورية وعن نظامها الاشتراكى ؟ » (٢) فالشباب يمثل نوعية خاصة من هذه الجماهير لها قيمتها ولها أهميتها ولها خطورتها ولا يمكن اغفالها ونحن نبحث عن اجابة لهذا السؤال والا كان ذلك تفريطا لا مبرر له واهدارا غير مسئول لطاقات وامكانيات هائلة •

والمتتبع لمناقشات المؤتمر ولجانه الفرعية يلمس فيها تعبيرها الصادق عما يدور فى المجتمع من

عبد الغفار شكر

● عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب »

---

(١) تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومى عن مشروع جدول اعمال المؤتمر سبتمبر ٦٨ ص ٥

(٢) محضر الجلسة الرابعة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ص ٨ •

اهتمام بالشباب ، وكذلك تعبيرها الصادق عن احاسيس الشباب وانفعالاتهم « ان شباب هذه الامة ، يريد ان يحس بان الدور الذى يعطى له للاستفادة من طاقاته وليس لامتصاص انفعالاته » (٣) ٠

كذلك فان تتبع هذه المناقشات ـ التى عبرت بصدق عن اهتمام المجتمع بالشباب وعن احاسيس الشباب وانفعالاتهم ـ يمكننا من رصد مجموعة من الاتجاهات العامة تكاد تجمع عليها غالبية الاراء ٠

● اننا احوج ما نكون للحفاظ على وحدة الشباب واستمرار ايجابيته وحركته فى خدمة المجتمع ٠

● ان العمل مع الشباب لا يتحمل اى انتظار ولابد من اتخاذ خطوات فورية تحمى للامة شبابها وتصون للثورة قوة هائلة يمكن مع أى انتظار ان تتبدد ٠

● ان تربية الشباب مسئولية اساسية للتنظيم السياسى تخطيطا واشرافا ومتابعة ٠

● ان واقع العمل مع الشباب يؤكد ضرورة القضاء على اى تناقضات نشأت فى المرحلة الماضية بين الاجهزة والتنظيمات القائمة على رعاية الشباب وتوحيدها بما يضمن الاستفادة من امكانياتها فى تجميع الشباب ٠٠ كل الشباب ٠

وقد عبرت اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومى العام عن هذه الخطوط العامة فى توصيتها باقتراح « البدء بتوحيد جهات الاشراف على شئون الشباب فى مجلس قومى للشباب منبثق من تنظيمنا السياسى ، وشامل لكل العاملين فى مجال الشباب ، ويقوم بالتخطيط لاسلوب العمل داخل كل مجالات الشباب السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية والعسكرية وكافة الانشطة الاخرى ، مستهدفا تقسيم مجالات العمل بحيث تنبع جهة الاشراف على كل من هذه المجالات من المجلس أساسا ، وبحيث نقضى على تعدد جهات الاشراف » (٤) ٠

وقد أكد المؤتمر فى توصياته وقراراته هذا الاتجاه « لا جدال فى ان وضوح الرؤية امام الشباب امر يزيد من حرصهم على المستقبل ويدعم اعدادهم لتحمل هذه المسئولية ، ويربط حاضرهم بمستقبلهم ، ويدفعهم الى تعبئة انفسهم للمعركة مؤمنين ان دورهم فيها اساس تحتمه مشاركتهم الفعالة فى بناء مستقبل الوطن ، ولقد تحول الكثيرون من الشباب بعد النكسة الى الاهتمام باحداث وطنهم والايمان المطلق بالعمل من اجل تهيئة جبهة صلبة من خلف صفوف الجبهة العسكرية ٠ ومن هنا وجب الاتجاه الى تجميع جهودهم فى اطار موحد ، بحيث يتجه الشباب جميعا للمحافظة على مكاسبنا الاشتراكية والحفاظ على سلامة الوطن ووحدة صفوفه والقضاء على حملات التشكيك ٠ ولن يكون ذلك الا بتوحيد جهة الاشراف على شئون الشباب فى مجلس قومى للشباب منبثق من تنظيمنا السياسى » (٥) ٠

وهكذا يمكن القول بأن المؤتمر قد وقف فى دورته الاولى عند حد تشخيص الداء (تعدد جهات الاشراف وتناقضها) وطرح صيغة عامة للعمل مع الشباب (مجلس قومى منبثق من التنظيم السياسى) تحتوى على ضمانات القضاء على هذا الداء. وليس من شك فى ان وصول المؤتمر الى هذه النتيجة يعد بداية طيبة للنجاح ولكنه بالرغم من كل شىء لا يضمن تحقيق هذا النجاح ، فما زال أمامنا الكثير ٠ مازال امامنا طرح هذه الصيغة العامة للممارسة الفعلية. مازال أمامنا تحويل هذه الصيغة العامة الى دورة حياة ٠ وتحديد من أين تبدأ والى أين تنتهى ؟ ولعل هذه الخطوة بالذات هى جوهر العملية كلها ، ولهذا فانها ولاشك ستكون موضع مناقشة ودراسة المؤتمر القومى العام فى دورته الثانية ليصل فيها الى تصور عملى قابل للتطبيق يقطع الطريق على اى اجتهادات او تفسيرات تنحرف بقرارات الدورة الاولى وتحول دون تحقيقها لاهدافها ٠

الصراع وأساسه الاجتماعى

وهنا يجدر بنا ان نقف ونتساءل ، لماذا كل هذا الاهتمام بالشباب ؟ ولماذا التركيز على قضية تعدد جهات الاشراف بالذات ؟ وما هى تلك الاجتهادات، او التفسيرات التى قد تنحرف بقرارات المؤتمر ؟ وما علاقة ذلك كله بمعركة ازالة آثار العدوان التى تحظى بكل الاهتمام وتستحق وحدها كل الجهود ؟٠

وهذه الاسئلة مع اجاباتها لها أهميتها فى التعرف على جانب هام ورئيسى من جوانب العمل الوطنى واكساب هذا العمل مزيدا من القاعلية بتحليل الاسباب والدوافع الحقيقية لبعض القضايا

---

(٣) محضر الجلسة الرابعة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ص ٧ ٠
(٤) تقرير عن اعمال لجنة التعبئة الداخلية ٠ ص ٦ ٠
(٥) محضر الجلسة الرابعة للمؤتمر القومى العام ـ تقرير تحليلى عن البندرايما ص ٢٠

المثارة ، وما يترتب على ذلك من رؤية سليمة لهذه القضايا وقدرة على حسمها فى الاتجاه الصحيح •

ان اثارة قضية تعدد جهات الاشراف على الشباب وتناقضها هى فى حقيقتها انعكاس أمين لهذا الاهتمام الذى تبديه كافة طبقات المجتمع بالشباب ، وبالتالى اهتمام كافة التيارات السياسية والفكرية بهم • والامر لايعدو أن يكون تعبيرا علنيا عن الصراع المكتوم الذى يعيشه مجتمعنا حول مستقبل هذا المجتمع •• كيف يتطور ؟ والى اين يسير ؟ •

اننا نعيش فى مرحلة التحول الى الاشتراكية • وقد أمكن بالفعل احداث تحولات مادية لها أهميتها فى مجال الانتقال الى الاشتراكية • وكما أفادت هذه التحولات قوى اجتماعية معينة فانها ضربت مصالح قوى أخرى ، وهكذا فالتحول الى الاشتراكية له انصار وله أعداء •• قوى ثورية وقوى مضادة للثورة ، ولم يتخلص المجتمع تماما من تناقضات الماضى ورواسبه ، وما زالت تحكم بعض جوانبه قيم متخلفة من المجتمع الطبقى ، وللرجعية وقوى الثورة المضادة عناصرها التى مازالت تتطلع الى عودة الاوضاع الى ماكانت عليه قبل الثورة • انه مجتمع التحول الذى يعيش فيه الجديد مع القديم فى صراع من أجل البقاء • ولما كان اتمام هذا التحول يقتضى فترة طويلة نسبيا قد تستغرق أكثر من جيل فان كافة قوى المجتمع تهتم بالشباب لتضمن كل منها ـ من وجهة نظرها ـ مسار المجتمع واتجاه حركته ، البعض يأمل استمرار الثورة الاشتراكية ، والبعض الاخر يهدف الانتكاسة بها ، وذلك امر طبيعى يكاد يكون قانونا عاما لكل مجتمع يمر بهذه المرحلة ، فقد شهدته وعاشته كثير من المجتمعات ، نجحت فى بعضها قوى الثورة فى الاستمرار بها (غينيا ـ كوبا) وعانى بعضها الاخر من انتكاس الثورة (غانا ـ اندونيسيا) • وكانت مسألة اعداد الشباب والتنظيم السياسى ـ مع عوامل أخرى لها أهميتها ـ هى العامل الحاسم فى النتيجة التى وصل اليها كلا النوعين من المجتمعات • فبقدر ماتعطى الثورات من اهتمام للتنظيم السياسى ، وبقدر ما توفر من رعاية للشباب (ضمانا لاستمرار التنظيم) بقدر مايتحقق لها الاطمئنان والاستمرار والعكس صحيح •

وفى المجتمع المصرى برزت البيروقراطية المصرية كطرف ثالث فى الصراع حول الشباب ، ولم يكن للبيروقراطية خطورتها فى كثير من تجارب الشعوب الاخرى وانما تبرز خطورتها فى مصر لاسباب موضوعية خاصة ، منها غيبة التنظيم السياسى الطليعى الاشتراكى منذ البداية وسطوة الجهاز الحكومى • وتختلف البيروقراطية فى نظرتها للشباب مع كل من قوى الثورة والقوى المضادة فلها منطقها الخاص حيث تنظر للشباب من زاوية الاختصاص ، وان كان ذلك لايمنعنا من القول بانها تفضى فى النهاية موضوعيا الى الانتكاس بالثورة •

« ان البيروقراطية فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعمل على أن تحصل بكل الوسائل على أكبر قدر من السلطة حتى تستطيع أن تقوم بدور حاسم فى الانتاج وفى العلاقات الانتاجية ، وان تحتكر هذا الدور وتستطيع البيروقراطية بفضل هذه الاحتكارات ان تأخذ مكان الرأسمالية فى المجتمع الرأسمالى » (٦) •

ولعله مما يضاعف من خطورة البيروقراطية كطرف ثالث فى الصراع حول الحركة الشبابية انها تعبر فى ايديولوجيتها عن تيار فكرى وعملى غير اشتراكى ، فالجزء الاكبر منها « يؤمن بدور الصفوة (من التكنوقراطيين والاداريين) الحاسم فى اجراء التغيير الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى ، ولا يؤمن بالجماهير وبدورها فى صنع التاريخ ويهون من قيمة العمل السياسى الجماهيرى ولا يرى ضرورة لبناء حزب ثورى جماهيرى ويخشى الديمقراطية ويرى انها قد تعرقل عملية التصنيع والتنمية الاقتصادية » (٧) ـ وفى أحسن الاحوال فان هذا التيار قد يتقبل ماتم من انجازات اشتراكية ، ولكنه « يرى الاكتفاء بما تم من تأميمات واصلاح زراعى ، ويرى تجميد الثورة » (٨) •

هكذا كانت الحركة الشبابية منذ بدء التحول الاشتراكى موضع اهتمام أطراف ثلاثة : قوى الثورة ـ والقوى المضادة ـ والبيروقراطية ، ومازال هذا الاهتمام مستمرا حتى اليوم ، ولكنه مع هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ اتخذ شكلا جديدا ، فقد أتاحت النكسة للكثيرين أن يعيدوا ترتيب صفوفهم ، وان يناقشوا كثيرا من البديهيات التى كان قد تم حسمها ، وحول الشباب تركزت المناقشات فى ثلاثة اتجاهات حاول بعضها التستر

---

(٦) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٦٤ •
(٧) حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر ـ الطليعة فبراير سنة ١٩٦٨ ص ٩٢ •
(٨) المصدر السابق ص ٩٢ •

خلف قضية تعدد جهات الاشراف ،ولكنه لم يلبث أن أوضح أهدافه ٠

فالاتجاه الاول : يرى ان الشباب بحكم كونه يمثل مرحلة سنية معينة لم يكتمل تكوينه بعد ويغلب عليه طابع الانفعال وعدم الاتزان ولهذا فانه مازال فى حاجة الى تربية مستمرة يتولاها الخبراء ورجال التربية ممن أنضجهم العلم والخبرة وطول الممارسة وتجاوزوا سن الشباب. وانه من الخطر تحميل الشباب مسئوليات عامة أو السماح له بتجاوز حدود تجربته المحدودة ومن ثم يتعين ابتعاده عن المسائل السياسية والاكتفاء بالنشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى وينتهى هذا الرأى الى أن البيت والمدرسة والكلية والنادى هى أصلح الاماكن لتحقيق هذه الاهداف ، ومن ثم فلا حاجة بنا الى تنظيم سياسى للشباب ، خاصة وأن ذلك سيؤدى الى استمرار تعدد الاجهزة القائمة على رعاية الشباب وما يترتب على ذلك من مشاكل نحن بغنى عنها فى مرحلة حاسمة من حياتنا ٠

والاتجاه الثانى : ويركز على ان الشحن العقائدى للشباب (!!) قد تجاوز حدوده مما خلق اتجاهات ضارة فى صفوف الشباب ،ويرى ان علاج ذلك هو فى الاستفادة من امكانيات الدولة فى تربية الشباب تربية سياسية سليمة ، ويرى ان الاجهزة الحكومية هى وحدها التى يتاح لها امكانيات واعتمادات مادية كافية لقيامها بعملية التربية السياسية للشباب ، ويؤكد على ان أجهزة رعاية الشباب الحكومية يجب أن تعتبر اداة التنفيذ الوحيدة للتربية السياسية بين جماهير الشباب ، على ان تترك تربية الكوادر القيادية فقط للتنظيم السياسى ٠

والاتجاه الثالث : يؤكد على ان تربية الشباب لايمكن ان تتحقق الا من خلال تنظيم سياسى للشباب ، ويوجه النقد لاوجه القصور فى العمل السياسى الشبابى فى المرحلة الماضية ، ويطالب بالقضاء على السلبيات ودعم الايجابيات وتدعيم التنظيم السياسى للشباب ٠

ومن الواضح ان هذه الاتجاهات تعبر عن آراء كافة القوى فى المجتمع وقد حسمها المؤتمر القومى بتوصياته التى أشرنا اليها من قبل ولكنها عادت الى الظهور على شكل اقتراحات لكيفية تنفيذ هذه التوصيات ٠

فالبعض يرى ان المجلس القومى المقترح للشباب يجب أن يشكل فى اطار وزارة الشباب ، وانه يجب أن يكون نقطة البدء فى العمل الشبابى ، منه تصدر التوجيهات وفيه توضع الاتجاهات العامة لتربية الشباب ، وتعتبر الوزارة هى الاداة التنفيذية الوحيدة له فى كل مايصدر عنه من قرارات وخطط فى المجالات السياسية والثقافية والرياضية ٠٠٠ والبعض الاخر يرى أن اتحادات الطلاب يجب أن تكون التنظيم الوحيد للطلاب فى الجامعات والمعاهد العليا وبحيث تقوم الاتحادات بكل الوان النشاط سياسية وثقافية واجتماعية ورياضية ، ويكمل آخرون هذا الاقتراح بأن تعطى النقابات اهتماما لشباب العمال ، وتعطى التعاونيات اهتماما لشباب الفلاحين ٠

وهكذا يتأكد لنا ــ من خلال هذا العرض السريع الموجز ــ ان قضية تعدد جهات الاشراف ليست قضية جزئية أو عارضة ، كما انها ليست مسألة متعلقة بالشباب فقط ، ولن تقف آثارها عند مرحلة معينة ، وانما هى شأنها شأن كثير من القضايا العامة جزء من كل يتفاعل مع غيرها من القضايا تأثيرا وتأثرا ، وتكاد تصل نتائجها الى التأثير فى مجرى تطور المجتمع وتلعب دورا فى تحديد اتجاه حركته ٠٠ من هنا كان الاهتمام بان يواصل المؤتمر القومى العام مناقشاته فى دورته الثانية وصولا الى تصور متكامل لمستقبل العمل الشبابى ٠

مهـــام الشـباب فى اطـــار استراتيجية العمـــل الوطنى

وليس من شك فى ان أى محاولة للوصول الى هذا التصور يجب أن تبدأ من سؤال محدد : **ما هى المهام التى تنتظر الاجيال الجديدة فى حركة تطور المجتمع العربى ؟ وما هى المهام التاريخية التى يتعين على جيل الشباب المعاصر ان ينجزها عندما يصل الى مواقع القيادة ؟**

ان الجيل الذى يمسك بزمام القيادة الان قد قطع شوطا طويلا فى تثبيت المجتمع المصرى على طريق الاشتراكية وبدأ مرحلة تاريخية محورها الاساسى ارساء القاعدة المادية للنظام الاشتراكى ، وازاحة معوقات التحول المترسبة من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى ، وتجنيد قطاعات واسعة من الجماهير لصف هذا التحول بتعميق الوعى الاشتراكى فى صفوف الجماهير ٠ وبالرغم من ان هذا الجيل قد حقق خطوات لها قيمتها واهميتها فى هذه المرحلة ، الا انه يبقى الكثير يتعين على الاجيال القادمة تحقيقه ، ويتحمل جيل الشباب المعاصر على وجه التحديد مسئولية اتمام مرحلة التحول الى الاشتراكية بانجاز مهمتين رئيسيتين : اولاهما تنفيذ برنامج التصنيع الثقيل بكل ما يتطلبه من حشد لامكانيات المجتمع المادية والبشرية

واستخدامها ـ بالتخطيط الشامل والعلم ـ لتحقيق اقصى معدلات التنمية . وثانيتهما : الانتهاء من تصفية بقايا الاستغلال باستكمال علاقات الانتاج الاشتراكية وما يتطلبه ذلك من تحول ثقافى شامل يؤتى ثماره فى وحدة فكرية تجمع الشعب العامل حول منهج اشتراكى علمى ، وفى ترسيخ قيم ايجابية ـ تخدم التحول المادى ـ تتمثل فى تراثنا وتضيف اليه ما يتفق مع المجتمع الجديد .

ولا يقف الامر عند هذا الحد بل ان نظرة متأملة لخريطة القوى الدولية وحركة الاحداث فى العقد السابع من القرن العشرين تكاد تشير بوضوح الى مهام أخرى تنتظر هذا الجيل ، فالرأسمالية العالمية بقيادة الاحتكارات الامريكية وهى تشهد نهايتها المخزية فى فيتنام ، تتجه باهتمامها الى منطقة الشرق الاوسط ضمانا لاستمرار مصالحها فى ثرواته الطبيعية واستئثارا بموقعه الاستراتيجى الهام تامينا لنشاطها الاستغلالى فى افريقيا من ناحية ، وتثبيتا لعزلة الاتحاد السوفييتى من ناحية اخرى ، وهى على استعداد لتكرر فى الشرق الاوسط حماقاتها السابقة ولديها اسرائيل رأس حربة متقدمة . ان الجيل المعاصر من شباب مصر لن يواجه مسئولياته فى الداخل فقط وانما سيواجه ايضا مسئولياته فى قيادة حركة التحرر الوطنى العربية ضد الامبريالية العالمية فوق مسرح عمليات قد يمتد من المحيط الى الخليج دفاعا عن امل الانسان العربى فى حياة عادلة .

وهكذا اذا كان شعبنا قد انجب جيلا تحدى اليأس فقهره ، وجيلا تحدى الامل فبلغه ، فانه قد انجب جيلا ثالثا يتطلع الى الانتصار .. الانتصار على بقايا الاستغلال محليا وعالميا ، والانتصار على قوى الطبيعة ، واضعا بذلك اقدامه على عتبات مجتمع الكفاية والعدل . وهذا الجيل يحتاج منا الى تسليحه بما يمكنه من الانتصار فى مهمته التاريخية هذه بكل ما تتضمنه من مسئوليات متعددة متشابكة ، وذلك رهن بتصورنا لمستقبل العمل مع الشباب والذى نضع له الاسس التالية كنتيجة منطقية لهذه البدايات الواضحة :

١ ـ ان تربية الشباب فى مصر قضية محورية ترتبط أساسا باستراتيجية العمل الوطنى ولهذا فانها مسئولية مباشرة لقيادة ثورة ٢٣ يوليو ولا يمكن تركها لغيرها من القيادات .

٢ ـ ان تربية الشباب فى مصر لا يمكن ان تتحقق وتحقق اهدافها الا بالمزيد من الحركة الايجابية للشباب فى خدمة المجتمع ، والا بالمزيد من دفعهم للممارسة الفعلية ، وتحميلهم مسئوليات المشاركة فى النضال الثورى . والطريق الى ذلك هو التربية السياسية .

٣ ـ ان التربية السياسية والعقائدية فى جوهرها حوار مع الواقع ، دراسة وتحليلا ثم تغييرا وتطويرا . والتربية السياسية بهذا المفهوم تنطلق من نظرة علمية أساسها أن التكوين الفكرى مدخله الممارسة العملية والسلوك اليومى ، أى وحدة النظرية والتطبيق التى تتيح للقوى الثورية استمرار سيطرتها على الواقع وتطويره بما يتفق مع غايات النضال . وأداتنا لتحقيق هذا المفهوم هو التنظيم السياسى للشباب المرتبط عضويا بالتنظيم السياسى القائد (الاتحاد الاشتراكى العربى) .

٤ ـ للشباب ـ كمرحلة سنية معينة ـ احتياجات نفسية وجسمانية وفى ميادين الرياضة والادب والفن والنشاط الاجتماعى ما يكفل اشباع هذه الاحتياجات ، وليس هناك تعارض بينها وبين تربية الشباب سياسيا، فكلاهما مكمل للآخر ومدعم له ، وانما علينا فقط ان نتذكر دائما ان لهذه الانشطة مجالات حيوية لتحقيق الهدف الرئيسى وهو التربية السياسية وبحيث لا تتحول هذه المجالات فى اى مرحلة الى اهداف وحيدة للعمل مع الشباب .

واذا كانت هذه الاسس العامة تمثل القاعدة الصلبة باعتبارها فلسفة العمل مع الشباب ، فان ترجمة هذه الاسس الى قواعد تفصيلية يكفل لنا ولا شك القدرة على تحديد الصورة النهائية للعمل مع الشباب :

أولا ـ لجنة الشباب باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى :

من الطبيعى بعد ذلك كله ان تبدأ دورة الحياة المقترحة من التنظيم السياسى ومن اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى على وجه التحديد باعتبارها أعلى مستوى قيادى للتنظيم السياسى ، وبالتالى أعلى سلطة فى هذا المجتمع والتى تنبع منها كافة السلطات « الاتحاد الاشتراكى العربى هو تنظيم سياسى وشعبى تتمثل فيه ارادة الشعب وقوى التحالف الداخلية فيه ، وهو من هذه الناحية يعتبر بمثابة سلطة فوقية ، سلطة تعلو على سلطات الدولة المختلفة تنفيذية وتشريعية وقضائية ، وهو سلطة سياسية ، سلطة تخطيط ومتابعة وتقييم ورقابة » . (٩)

(٩) محضر الجلسة الختامية للمؤتمر القومى العام ص ٣٢

ويتضمن ذلك تكوين لجنة فرعية للشباب باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى يرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ويحضر اجتماعاتها الوزراء الذين يتحملون مسئوليات فى رعاية الشباب مثل وزير الشباب والتعليم العالى والتربية والتعليم وغيرهم وتتولى هذه اللجنة التخطيط والاشراف على مجالات العمل الشبابيه المختلفة وذلك فى الحدود التالية :

● تحديد فلسفة العمل مع الشباب وأسس التربية السياسية والعقائدية والاتجاهات العامة للبرامج الفكرية التى يتلقاها الشباب ٠

● تحديد الاهداف العامة المطلوب انجازها فى مجال الشباب حسب احتياجات العمل الوطنى ومتطلباته على المدى القريب والبعيد بما فى ذلك اعداد القيادات فى مجالات العمل الوطنى المختلفة ٠

● تحديد المهام الاساسية التى يتحمل الشباب انفسهم مسئولية القيام بها ضمن برنامج العمل الوطنى الشامل ٠

● متابعة تنفيذ قراراتها فى جميع الاجهزة والتنظيمات الشبابية سواء بتشكيل لجان متابعة لتقصى الحقائق على الطبيعة او بتلقى تقارير دورية عن تنفيذ هذه القرارات ٠

ولسنا فى حاجة للتأكيد على ان قرارات هذه اللجنة ملزمة للاجهزة التنفيذية والتنظيمات الشبابية على حد سواء ، وانه لاينبغى بأى حال من الاحوال تجاوز هذه القرارات او التغاضى عنها فى أى من هذه الاجهزة والتنظيمات ٠٠ بل يجب ان تكون دائما الاساس الذى تنبع منه كافة الخطط فى جميع مجالات العمل مع الشباب ، وبذلك نضمن تحقيق مبدأ وحدة القيادة فى مجال الشباب ، ونكون قد قطعنا أول خطوة فى طريق القضاء على مشكلة تعدد جهات الاشراف ٠

ثانيا – المجلس القومى للشباب :

اما الخطوة الثانية والتى يمكن ان تقضى على تناقض هذه الجهات فتتحقق بتشكيل مجلس قومى للشباب باعتباره الاداة التنفيذية لتوجيهات لجنة الشباب باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ويضم هذا المجلس فى عضويته ممثلين للاجهزة والمؤسسات المسئولة عن رعاية الشباب بالاضافة الى ممثلين للاتحاد الاشتراكى العربى (قيادات من المستوى المركزى لمنظمة الشباب الاشتراكى) وتتحدد مهمة هذا المجلس فى ترجمة توجيهات اللجنة المركزية الى برنامج عمل متكامل يحدد دور كل تنظيم أو جهاز او مؤسسة فى هذا البرنامج تحديدا واضحا يمنع تداخل هذه الادوار أو تعارضها ٠

واذا كان المجلس فى حاجة الى قواعد تحكم نشاطه وتكفل له النجاح فى مواجهة التناقض بين بعض الاجهزة والتنظيمات والمؤسسات فيمكن ان يستعير من قرارات المؤتمر القومى العام وتوصياته منهجه فى معالجة موقف شبيه بذلك حيث عالج المؤتمر موضوع العلاقة بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية والتنظيمات الشعبية باسلوب يكفل استفادة المجتمع من امكانيات هذه الاجهزة والتنظيمات جميعا ويحقق تكاملها بدلا من تناقضها ٠٠ وهو بلا شك اسلوب قابل للتطبيق فى مجال العمل مع الشباب باعتباره جزء لايتجزأ من المجتمع ظهرت فيه هذه المشكلة كنتيجة طبيعية لظهورها على المستوى العام ، وليست مشكلة خاصة بالعمل الشبابى وحده ٠ ان حل هذه التناقضات ممكن عن طريق وضع ضوابط تسير فى هداها العلاقة بين التنظيم السياسى وغيره من الاجهزة والتنظيمات ، وتتلخص فيما يلى :

١ – وضوح اختصاصات كل طرف لدى الاطراف المعنية وضوحا تاما ٠

٢ – وضوح خطة عمل كل طرف لدى الاطراف الاخرى بحيث يمكن على ضوء هذا الوضوح تنسيق خطة عمل مشتركة يتكامل فى ظلها جهد جميع الاطراف لتحقيق الغرض المشترك ٠

٣ – أن تعقد بانتظام اجتماعات مشتركة بين مستويات التنظيم والاجهزة التنفيذية ، وان يصدر كل من التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية القرارات المنظمة لعقد هذه الاجتماعات بحيث يلتزم الطرفان بعقدها دوريا ، وان تكون هناك متابعة مستمرة لعملها وانجازاتها (١٠) ٠

ومن الواضح أن المجلس القومى للشباب المقترح يكاد يكون تطبيقا كاملا لذلك اذ يضم فى عضويته ممثلى مختلف الاجهزة والتنظيمات كما أن قيامه بمهمته كفيل بتحقيق الوضوح لدى كل جهة عن اختصاصات وخطة عمل باقى الجهات فضلا عن ان اجتماعاته الدورية ستضمن استمرار

---

(١٠) محضر الجلسة الخامسة للمؤتمر القومى العام ص ٣٢

هذا الوضوح وتحقيق نوع من الوحدة الفكرية تزداد عمقا باستمرار اللقاءات والحوار بين ممثلى هذه الجهات ٠

ولما كان تشكيل هذا المجلس سيحقق نتائج ايجابية على المستوى المركزى فقط ، لهذا فانه من الضرورى انشاء مجالس محلية للشباب فى المحافظات ، كصورة مصغرة للمجلس القومى تحقق الربط والتفاعل بين مختلف الاجهزة والتنظيمات وتكون مهمتها تنفيذ برامج العمل التى يضعها المجلس القومى فى نطاق محافظته ٠٠

ومن المهم أن نشير هنا الى أن دور ممثلى الاتحاد الاشتراكى فى هذا المجلس يجب أن يكون واضحا فى أنه عرض فكر التنظيم السياسى امام ممثلى باقى الاجهزة والمؤسسات ، وتوضيح اهداف القرارات التى يصدرها التنظيم، والدفاع عنها، وشرح ما ينتظره التنظيم من هذه الاجهزة والمؤسسات للمساهمة فى تحقيق اهداف العمل السياسى ٠

ثالثا ـ دور واضح لكل جهاز :

ويبقى اخيرا ضرورة قيام لجنة الشباب باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى بداية نشاطها بتحديد مبدئى لدور كل جهاز وتنظيم ، ومجالات عمله باعتبار ذلك ضرورة تفرضها طبيعة الممارسة الاولى ، وليكون هذا التحديد نقطة انطلاق يبدأ منها المجلس القومى تنفيذ توجيهات اللجنة المركزية ، وسأعرض فيما يلى لدور اهم هذه الاجهزة والتنظيمات :

منظمة الشباب الاشتراكى :

هى التنظيم السياسى والديمقراطى لجماهير الشباب ، وهذا يعنى ان دورها الوحيد هو قيادة حركة هذه الجماهير الشعبية نحو تحقيق اهداف معينة من اهمها :

● حماية الثورة ومنجزاتها والنضال من اجل استمرارها واندفاعها ٠

● المساهمة فى حل مشكلات الشباب وتنظيم جهوده الخلاقة وتنمية مهاراته وقدراته بما يتفق مع دور الشباب فى المجتمع الجديد ٠

● ضمان وجود منبع دائم يمد التنظيم القائد الاتحاد الاشتراكى العربى بطلائع ثورية على اتم استعداد للقيادة ولحمل الامانة ومواصلة التقدم بها » (١١) ٠

وتفرض هذه الاهداف عدة مهام على منظمة الشباب الاشتراكى منها :

● استكمال البناء التنظيمى بحيث تصل وحداتها الى كافة التجمعات الشبابية فى المصانع والقرى والجامعات والمدارس ٠

● تربية الشباب فكريا وسياسيا من خلال برامج نظرية ترسى دعائم المنهج الاشتراكى العلمى، ومن خلال عمل ميدانى يثبت القيم الاشتراكية ويوفر القدرة على تحمل المسئولية وممارسة القيادة فعليا ٠

● قيادة نشاط الشباب بهدف حشده وتعبئته فى اعمال تطوعية تتصل بمعركة التحرير مباشرة او تخدم هذه المعركة فى مجالات الانتاج والحرب النفسية وغيرها ٠

● تقديم نماذج ثورية للنشاط الانسانى فى مختلف المجالات أدبيةوفنية ورياضية واجتماعية ، اما بتكوين تنظيمات مساعدة على شكل جمعيات أدبية أو فرق فنية أو أندية سياسية أو بتشجيع الاعضاء على الاستفادة من امكانيات الاجهزة والمؤسسات الحكومية فى هذه المجالات واكساب نشاطها مضمونا ثوريا من خلال الاشتراك فى المسابقات التى تنظمها هذه الجهات والحصول على عضوية الفرق والاندية والجمعيات التى تنشئها ٠

ويعنى هذا كله ان منظمة الشباب الاشتراكى هى الجهاز المسئول عن تنفيذ الجانب السياسى من توجيهات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ٠

وزارة الشباب :

لما كانت الوزارة هى ذلك القطاع من الجهاز الحكومى المسئول عن رعاية الدولة للشباب فان مهمتها تتحدد أساسا فى توفير الامكانيات المادية التى تمكن الشباب من ممارسة النشاط الثقافى والرياضى والاجتماعى ، وكذلك متابعة أجهزة رعاية الشباب بالوزارة والمؤسسات الحكومية المختلفة للتأكد من تنفيذها لهذه المهام ، ويتوقف نجاح الوزارة فى قيامها بمسئولياتها ــ كجهاز تنفيذى ــ على ممارسة نشاطها بأسلوب سياسى ويستلزم ذلك :

---

(١١) النظام الاساسى لمنظمة الشباب الاشتراكى ص ٩ ، ١٠.

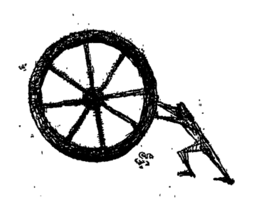
● تحويل جهاز العاملين بالوزارة الى جهاز ثورى يعى حقيقة دوره فى خدمة جماهير الشباب ·

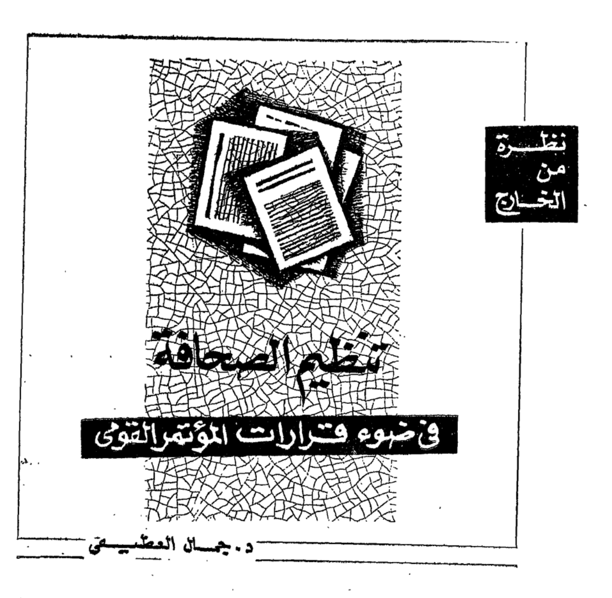
● مواكبة برامج عمل الوزارة لاحتياجات العمل الوطنى كما يحددها الاتحاد الاشتراكى العربى فى كل مرحلة ·

تلك هى الخطوط العامة لدور كل من منظمة الشباب الاشتراكى ووزارة الشباب ، وليس من شك فى ان هناك كثيرا من المسائل التفصيلية التى سيبرزها التطبيق والممارسة ، والتى يمكن دراستها أولا بأول ، فكل ما يعنينا هنا هو تحديد نقاط الارتكاز الاساسية وبحيث يكون هذا التحديد من المرونة بما يكفل سلامة التطبيق ·

وأخيرا ·· فان هذه الدراسة لقضية تعدد جهات الاشراف فى مجال العمل مع الشباب لا تزيد عن كونها مساهمة فى الحوار النشط حول الشباب ، وان استمرار هذا الحوار لقادر – مع الجهود المخلصة – على الوصول الى أسلوب عمل محدد يضمن تجميع وتعبئة الشباب حول ثورته الاشتراكية فكرا وعملا ، والدفاع عن منجزات شعبنا ضد العدوان الخارجى · وأكثر ما يعنينا فى هذا الحوار قدرته على النفاذ الى صميم المشكلة وتلمس الاسباب البعيدة لها ، وقدرته على اكتشاف الطريق الصحيح لمواجهتها ·

ان النتيجة الحاسمة التى توصلنا اليها دراستنا لمشكلة تعدد جهات الاشراف تتلخص فى أن التقدم الذى أحرزته الثورة فى السنوات القليلة الماضية فى مجال اعداد الجيل الجديد يجب أن يكون الحد الادنى الذى نتقدم منه ولا نتراجع عنه · من هنا فان العمل السياسى مع الشباب أساس لابد منه للسير فى الطريق الصحيح – ان العمل الادارى يمكن أن يكون مقبرة لطاقات الشباب الهائلة ، والعمل النقابى – فى ظل الظروف السائدة – خطر يتهدد قياداتنا الشبابية · ان تربية واعداد الشباب لا يمكن أن تتم بالعمل الادارى أو العمل النقابى وحدهما ، وانما وسيلتها الاساسية هى العمل السياسى الذى يستمد وجوده من الجماهير · وليس هناك غير العمل مع الجماهير مدرسة يتعلم منها الشباب كيف يواجه معارك المستقبل وما أشد ضراوتها ·





د. جمال العطيفي

من بين قرارات المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي ، التي أعلنها في ٢١ سبتمبر الماضي ، قرار « بدراسة أوضاع الصحافة ووضع تنظيم جديد لها ، يؤكد ملكية الشعب لها ، ويضعها في خدمة الرأى الحر والنقد البناء ، لتحقيق أهداف المجتمع الاشتراكي » .

فالقرار يدعو **أولا** الى الدراسة **ثم** الى وضع تنظيم جديد في ضوء هذه الدراسة . وهذا **التنظيم الجديد** ليس منقطع الصلة بالتنظيم القائم المبنى على ملكية الشعب لها ، وهو التنظيم الذى قرره قانون تنظيم الصحافة الصادر في ٢٣ مايو سنة ١٩٦٠ ، والذى اكده الميثاق بعد ذلك فيما ذكره في بابه الخامس عن الديمقراطية السليمة ، من ان « ملكية الشعب للصحافة التي تحققت بفضل قانون تنظيم الصحافة ، الذى اكد لها في نفس الوقت استقلالها عن الاجهزة الادارية للحكم ، قد انتزع للشعب أعظم ادوات حرية الرأى ، ومكن أقوى الضمانات لقدرتها على النقد » . وأن « الصحافة بملكية الاتحاد الاشتراكي لها ، هذا الإتحاد الممثل لقوى الشعب العاملة قد خلصت من تأثير الطبقة الواحدة الحاكمة ، وكذلك خلصت من تحكم رأس المال فيها ، ومن الرقابة غير المنظورة التي كان يفرضها عليها بقوة تحكمه في مواردها » .

فالتنظيم الجديد الذى اشارت اليه قرارات المؤتمر القومي لا يمكن ان يكون عدولا عن الصيغة التي اقرها الميثاق ، وهي ملكية الشعب للصحافة ، بل انه كما أشارت الى ذلك القرارات ، تنظيم يهدف الى تأكيد ملكية الشعب للصحافة ووضعها

د. جمال العطيفي
● عضو مجلس ادارة مؤسسة الاهرام والمستشار القانوني للمؤسسة .

فى خدمة الرأى الحر والنقد البناء لتحقيق أهداف المجتمع الاشتراكى .

وهذا التحليل لقرار المؤتمر القومى العام ، هو الذى يجب ان يكون اساسا لاية دراسة تقدم عن هذا الموضوع .

ولعل منطق الدراسة ثم منطق اعادة التنظيم يقتضى ان نعالج أولا الوضع الذى انتهت اليه الصحافة اليوم ، وما اذا كان هذا الوضع يفتقر الى تحقيق ملكية فعلية للشعب للصحافة « بهدف خدمة الرأى الحر والنقد البناء ، لتحقيق اهداف المجتمع الاشتراكى » .

فما الذى نجده فى مناقشات المؤتمر القومى العام عن ذلك ؟

حرية الصحافة فى مناقشات المؤتمر القومى

يمكن ان نخرج من مراجعة الاراء التى قدمها بعض اعضاء المؤتمر فى هذا الشأن ، بنتيجتين : **الاولى** : تأكيد لاهمية النقد لتحقيق أهداف المجتمع الاشتراكى . **والثانية** : ان الصحافة لم تقم بواجبها تماما فى هذا الشأن .

فحسبما عبر عن ذلك رئيس الاتحاد العام لطلاب الجمهورية « فانه لو اتيح لنا بدون تردد أو رهبة أو خوف ، ان نتكلم ونفصح عما يجيش فى صدورنا ، لما كانت النكسة ، او لكانت وطأتها اقل حدة » . [جلسة المناقشة فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٦٨] ، وحسبما عبر عنه استاذ بالجامعة « لابد من ان تحرر الصحافة نفسها ، وأن تخلع عنها ذلك القيد الذى بالسكوت عليه سلمت نفسها له ، امارغبة فىالابتعاد واختصارا للجهد ولعدم اغضاب الغير ، واما لعدم القدرة على التصدى لمتطلبات الجماهير والتعبير عنها » . [نفس جلسة المناقشة] .

ولا نجد غير ذلك فى المناقشات التى جرت . لا نجد مثلا تحليلا واضحا للمعوقات التى جنحت بالصحافة الى عدم ممارسة مسئولياتها فى النقد . ولعل كل ما نجده هو ما اشار اليه الاستاذ الجامعى وهو يقترح تشكيل لجنة من اعضاء المؤتمر تعمل على تنظيم العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين المؤسسات الصحفية ، من ان « تقوم هذه اللجنة بوضع تفسيرات محددة عن ابعاد الامن القومى الذى تتحلى به كل مبررات عدم النشر والرقابة ، على الا تكون هناك رقابة على الصحف الا فيما يتعلق بالناحية العسكرية ، فلا تترك عملية الرقابة تحت رحمة اجتهادات فردية لبعض الاشخاص» . وظاهر ان هذا الكلام لا يمكن ان ينصرف الا الى فترة محدودة هى التى بدأت بعد عدوان ٥ يونيو ، وهى فترة كانت تستلزم بطبيعتها فرض رقابة على النشر ، وهى رقابة يجب تنظيمها او قصرها على النواحى العسكرية وحدها فى هذه المرحلة . ولكنها ليست القضية الحقيقية المعروضة تحت عنوان « وضع تنظيم جديد للصحافة يؤكد ملكية الشعب لها ، ويضعها فى خدمة الرأى الحر والنقد البناء » .

ولعل الملاحظة الوحيدة التى ظفرت بها القضية الحقيقية لمشكلة الصحافة ، ان التنظيم الشعبى يجب ان يهتم اكبر اهتمام بأن تصبح الصحافة منبرا للجميع ، وما أضافه الاستاذ الجامعى من وجوب ان يستهدف تنظيم الصحافة تنظيما شاملا « الا يكون هناك بغى عليها ، والا يكون هناك بغى منها .. فلا يكون هناك بغى عليها من تسلط راس المال او الاجهزة الادارية فى الدولة ، والا يكون هناك بغى منها ، من تسلط القائمين على التحرير فيها ، بفرض آرائهم على الجميع دون السماح بقدر من الفرصة المتكافئة لكل مواطن قادر ، لان الصحافة ليست ملكا لمحرريها ، ومن ثم فان حق الكتابة فيها ليس مقصورا على الافراد بذاتهم يحتكرون وحدهم حق توجيه الامة » .

وظاهر ايضا ان جانبا من هذا الكلام ، وهو البغى الذى يقع على الصحافة ، لا يمكن ان يكون مصدره « تسلط رأس المال » ، كما اشار الى ذلك عضو المؤتمر ، لان تمليك الصحافة للاتحاد الاشتراكى ممثلا للشعب ، انما قصد به تخليصها من تحكم رأس المال فيها . ذلك انه حسبما اوضح الميثاق « فقد كان من اثر التقدم الالى فى مهنة الصحافة ، واحتياجاتها المتزايدة الى الالات الحديثة ، والى السكميات الهائلة من الورق ، ان تحولت هذه المهنة العظيمة من كونها عملية رأى الى ان اصبحت عملية رأسمالية معقدة ، وان الصحافة فى هذه الفترة — التى سبقت الثورة — لم تكن قادرة على الحياة الا اذا ساندتها الاحزاب الحاكمة الممثلة لمصالح الاقطاع ورأس المال ، او اذا اعتمدت اعتمادا كليا على رأس المال المستغل الذى كان يملك الاعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة » .

وظاهر انه من غير المجدى ان نتحدث اليوم عن بغى على الصحافة من تأثير رأس المال ، بعد ان بدأت فترة التحول الى الاشتراكية ، وبعد ان اصبح مصدر الاعلان ، مؤسسات وشركات مملوكة ملكية عامة .

كذلك فان اقتصـــار الحديث ايضـــا عن بقى الصحافة على القول بأن الصحافة ليست ملكا لمحرريها ، وأنهم يجب الا يحتـــكروا وحدهم حق توجيه الامة ، وأنه يحملها مسئولية وضع قيادات وكفاءات جادة وواعية فى الظل ، وان حق الكتابة فيها يجب ان يكون مفتوحا للجميع ــ هذا الكلام فيه قصور واضح فى فهم طبيعة مهنة الصحافة ودورها ، كما قد يكون فيه تجنيا ايضا على الواقع فى وقت تعتنى فيه كثير من الصحف بنشر آراء المواطنين والتعليق عليها ، ومعالجة مشـــكلات الجماهير اليومية .

ومهمـــا يكن الامر فهـــذا وذاك لا يجيب عن السؤال ..

هل حقا ان الصحافة لم تؤد مسئولياتها كاملة فى النقد ؟

وما هى أسباب ذلك ؟

وما هو العلاج ؟

هل أدت الصحافة مسئوليتها ؟

ان الصورة التى يذكرها كثير من المواطنين عن الصحافة قبل الثورة ، انها كانت مليئة بالنقـــد ، الذى كان كثيرا ما يتجـــاوز حـــدوده التى كانت ترسمها قوانين النظام القائم الى المطالبة بتغيير هذا النظام ، وما كان يستتبعه ذلك من التجـــاء الدولة الى فرض رقابة صارمة ، او تطبيق قوانين للنشر مليئة بالمحاذير . ولكن لابد ان نذكر أيضا الى جانب هذه الصـورة ، صورة صحافة فى نظام يقوم على تعدد أحزاب ، يسـعى كل منها الى الحكم وفى سبيل ذلك تسـعى صحافتها الى الحط من خصومها ، والنيل منهم بكل طريق . ولابد ان نذكر ايضا صورة صحافة صفراء كان هدفها الوحيـــد هو الابتزاز او الطعن فى الاعراض ، او التوسل بوسائل الاغراء والاثارة الرخيصة .

ومن الانصـــاف للبحث الهادىء ان نضع فى اعتبارنا ما طرأ على المجتمع المصرى من تغيير بعد الثورة الوطنية ، التى انتهت الى ثورة اجتماعية فى عام ١٩٦١ ، والى تنظيم سياسى جمـــاهيرى واحد ، يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ، وان ندرك اثر ذلك على تغير مضـــــمون النقد وهدفه . فلم يعد النقد ، ولا يجوز ان يوجه الى اساس نظام اجتماعى يقوم على تذويب الفوارق بين الطبقات . ولكن النقد فى هذه المرحلة التى بدأ فيهـــا المجتمع يتحول الى الاشتراكية ، يتخذ مضمونا وابعادا جديدة . وهو ان ضاقت دائرته من ناحية ، الا انها كان يجب ان تتسع من ناحية أخرى . فالنقد فى هذا المجتمع يصبح لازما لرقابة التزام المسئولين عن سلطة الدولة بمبادىء الميثاق التى ارتضاها الشعب . والنقد فى هذا المجتمع ضرورى للكشـــف عن اى انحـــراف فى تطبيق الاشتراكية، وللكشف عن المعوقات البيروقراطية . وتبـــدو ضرورته واضـــحة فى مجتمع تتملك فيه الدولة وسائل الانتاج الرئيســـية ، ويصبح فيـــه القطاع العام المملوك للشـــعب هو القطاع الذى يتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ، بل يشترك فيه القطاع الخاص ذاته فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال . كما تبدو ضرورته واضحة فى مجتمع فى مرحـــلة التحول ، مع ما قـــد ينتج فى هـــذه المرحلة من متناقضات ، وما قد يقتضيه حلها بالوســـائل السلمية من حوار ديمقراطى ، وما قد ينشـــأ فى هذا المجتمع من قوى مضـــادة بين صـــفوف الطبقـــات التى عز عليها التســـليم بالعـــدالة الاجتمـــاعية ، وما قـــد ينشـــأ من مراكز للقوى والسيطرة داخل جهاز الدولة ذاته، ومايقتضيه ذلك من وجوب الكشـــف عنهـــا وادانتهـــا جماهيريا وسياسيا .

واذا كان من الانصاف للصحافة ان نعترف لها بأنها قد اتبعت اسلوبا جديدا فى معالجة القضايا الهـــامة التى تمس مشـــكلات المواطنين ، وهو اسلوب يقوم على النقد الموضوعى الهادىء الذي يخلو من العبارات النابية ومن المساجلات التى لا تهدف الا الى الاثارة ، وأنها قدمت دراســـات ومناقشـــات جادة خلال ندوات اشـــركت فيها المتخصصين والمسئولين لمعالجة مشكلات التطبيق الاشـــتراكى ، كمـــا افســـحت صـــفحاتها لاراء المواطنين ، وان مستوى الخدمة التى تقدمها الى جماهيرها قد ارتفع على نحو لم تعرفه صحافتنا من قبل ــ الا انه من الانصاف للحقيقة ايضا ان نعترف بأن هنـــاك نواح أخرى للقصـــــور او الانحراف لم تقم فيها الصحافة بمسئولياتها ، وانها كانت تمارس حريتها فى محاسبة المسئولين فى الدولة او القطاع العام فى بعض الحالات ، وتمسك عنها فى حالات أخرى ، ربما كانت أشـــد خطورة وأولى بالاهتمام .

كذلك فاننـــا يجب ان نعترف لانفســـنا بأن صحافتنا فى مجموعهـــا لا زالت تحمل طابعـــا « اقليميا » ، فهى لم تنجح فى ان تكون صـــحافة « عربية » ذات مضمون يتجاوز حدود الاقاليم ، ليقود حركة الوحدة العربية . كما انها حتى فى نطاق الاقليم المصرى نفسه تكاد تكون صـــحافة محلية ، بمـــا تزدحم به من أخبـــار عن علاوات وترقيات الموظفين ، او حوادث جنائية تتكرر كل يوم . بل انها تكاد تكون صحافة محلية لمدينـــة

القاهرة . ولا يمكن بغير صحافة اقليمية قوية وجادة أن تتفرغ الصحافة الاساسية التى تصدر فى القاهرة لتصبح صحافة قومية وعربية ، ولا بأس من أن يكون لمدينة القاهرة صحيفتها المحلية ولكن الى جانب الصحف القومية التى تصدر فيها . كما ان الصحف الرئيسية تكاد تتفق فى الاخبار الهامة التى تنشرها ، وفى الموضوعات التى تثيرها ، واحيانا حتى فى العناوين التى تتصدر صفحاتها .

حقيقة يمكن ان نلمس فى بعض المجلات تخصصا نحو الدراسات العقائدية او العلمية او الفنية او الخفيفة . كما اننا يمكن ان نلمس بين الصحف اليومية ذاتها تنوعا فى اسلوب معالجة الموضوعات من اسلوب للتشويق الى اسلوب للبحث الجاد ، او مزيد من الاهتمام بأخبار القرية او المصنع فى جريدة عنه فى أخرى ، او عناية بابراز حوادث الناس او المجتمع ، بينما قد لا نجد هذا الطابع غالبا فى جريدة اخرى . ولكن هذا كله اختلاف اسلوب وليس اختلاف مبناه تنوع الخدمة ومضمون الرأى .

ويضيف البعض ملاحظات عن « خطر التشابك بين العمل الاعلامى والعمل الاعلانى فى الادارة الصحفية » ، وما انتهى اليه امرها من تنافس غير صحى بينهما قد يؤثر على رسالتها الاعلامية الخالصة » . وهذه قضية سأعالجها على حدة . وحسبنا الان ان نبحث اولا عن اسباب نكوص الصحافة عن القيام بمسئولياتها كاملة فى النقد والاعلام .

ما هى الاسباب ؟

ومن الانصاف للحقيقة الا نحمل الصحافة المسئولية كاملة . ذلك ان الحديث عن حرية الصحافة لا يمكن ان يجرى بمعزل عن الحريات الاخرى . فحرية الصحافة لا يمكن أن تنعزل عن تحرير المواطن من اليد التى تقبض على زمام رزقه ومستقبله ، كما لا يمكن ان تنعزل عن تحرير المواطن من الخوف ومن القلق على غده . وهى بوصفها امتداد لحرية التعبير والرأى لا تزدهر بغير الحريات الاخرى .. الحريات ذات المضمون الاجتماعى والحريات الشخصية .

ولذلك فان حرية الصحافة لا تعيش الا اذا كانت الحرية الشخصية مصانة مكفولة . والصحافة لا يمكن ان تكون الا انعكاسا لحركة النشاط داخل المجتمع . وشأنها فى ذلك حسبما أشارت الى ذلك المذكرة الايضاحية لقانون تنظيم الصحافة ، شأن مجلس الامة وهيئات الرقابة الشعبية . اى ان الجمود الذى يصيب حركة المجتمع فى كافة نواحيه لابد ان يمتد اثره الى الصحافة . وبمعنى اكثر وضوحا فان هناك مؤسسات دستورية فى الدولة تقع عليها المسئولية الدستورية الرسمية .. التى ناطها بها الدستور لتكشف عن الانحراف او القصور ، وبقدر ادائها لمسئولياتها هذه .. بقدر ما يمكن ان نحاسب الصحافة او نقيم نشاطها .

ولذلك فانه لا قيمة للحديث عن حرية الصحافة بغير توفير ضماناتها .. وهو ما عنى به بيان ٣٠ مارس .. فالجديد فيه حقا انه يدعو الى توفير كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمى والصحافة ، لا مكتفيا بتقرير هذه الحرية ..

لقد مارست الصحافة مسئولياتها فى ظل قانون تنظيم الصحافة الذى أصبحت بمقتضاه كبريات الصحف تابعة للاتحاد الاشتراكى . فهو الذى يصدر الترخيص باصدار الصحف ، وهو الذى يصدر الترخيص للصحفيين بالعمل فى الصحافة .

ومن هنا يبين الارتباط الوثيق بين حرية الصحافة ووضع التنظيم السياسى . فلا يمكن أن نتصور ضمانات لحرية الصحافة فى ظل سلطة الاتحاد الاشتراكى، فى الترخيص بالعمل اوحجبه أو سحبه، الا اذا كانت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى منتخبة من قاعدته العريضة الى قيادته العليا .. اى الا اذا تحققت له ديمقراطية التنظيم . ومن ثم فان ازمة حرية الصحافة فى السنوات الاخيرة ، قبل اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، كانت هى نفسها ازمة التنظيم السياسى .

ومع ذلك فان بعض اوجه النقد التى وجهت الى الصحافة ، لم تلتفت الى أثر سلطة معينة فى الاتحاد الاشتراكى على حرية الصحافة ، وانها فى النهاية وفى الواقع تكاد تكون سلطة معينة من الدولة ، او لعلها تختلط بها . وهى ليست سلطة مرئية ومحددة ، تنشر رأيها وتسبب قراراتها ، حتى يتحقق لها الهدف التقويمى . ولكن اسلوبها اقرب الى اسلوب بيروقراطى ، يستخدم فى معالجة قضية جماهيرية سياسية لا تعالج الا بالاقتناع والحوار والبيان الواضح المنشور على الناس .

واذا كانت صفات الكاتب الخاصة او الثقة فيه ربما كان لها اثرها فى اطلاق العنان لقلمه ، فان حرية الصحافة فى مجتمع ديمقراطى يجب الا تبنى على اساس الصفات الشخصية للصحفى وحدها ، كما انها لا يجوز أن تبنى على اساس موقف متسامح من سلطة الدولة ، زمامه فى يدها تضيقه

او توسعه ؟ بل ان هذه الحرية يجب ان تجد لها ضمانات موضوعية .

وأول هذه الضمانات هو ما أشار اليه بيان ٣٠ مارس عن اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب . وهى خطوة هامة على طريق تحقيق ديمقراطية هذا التنظيم السياسى .

والسؤال المطروح بعد ذلك ، كيف يتم للاتحاد الاشتراكى بتشكيله الجديد المنتخب ممارسة مسئولياته فى الاشراف على الصحافة ؟

وهل يكون ذلك بممارسة سلطات الملكية التقليدية ، ام بممارسة مسئوليات الرقابة السياسية . هل يتدخل مباشرة فى سير العمل بهذه الصحف ، اى هل يعمل « **من الداخل** » ، أم ان دوره يجب ان يقتصر على الاشراف « **من الخارج** » . وما هى حدود هذا الاشراف ، وما هى الهيئة التى يمكن ان تقوم به داخل الاتحاد الاشتراكى ؟ .

وفى الاجابة على هذه الاسئلة ، يجب ان نلم اولا بالوضع الذى كان قائما منذ صدور قانون تنظيم الصحافة . فقد نص هذا القانون على تشكيل مؤسسات خاصة لادارة الصحف التى يملكها ، وان يعين لكل مؤسسة مجلس ادارة يتولى مسئولية هذه الادارة ، نيابة عن الاتحاد القومى وقتئذ ، ثم الاتحاد الاشتراكى فيما بعد . ثم صدر قرار من رئيس الاتحاد القومى وقتئذ بتشكيل مجالس هذه الادارة ، ونص ايضا على ان يوضع لكل مؤسسة ميزانية سنوية خاصة يصدر باعتمادها قرار من رئيس الاتحاد القومى [الاشتراكى بعد ذلك] ، على ان يخصص نصف صافى الارباح لموظفى وعمال المؤسسة ، والنصف الاخر لمشروعات التوسع والتجديدات الخاصة . ثم صدر قرار آخر بعد أكثر من عام ، بأن تبلغ جميع قرارات مجالس ادارة المؤسسات الصحفية الى وزير الدولة وقتئذ ، فاذا لم يعترض عليها خلال اسبوعين تعتبر نافذة، اما بالنسبة للقرارات التى كانت قد صدرت قبل ذلك فتعرض عليه خلال شهر ، فاذا لم يعترض عليها خلال شهر تعتبر نافذة .

ويعنى هذا ان الاهتمام كان منصبا اساسا على الجوانب الاقتصادية والادارية للمشروع ، اما الجوانب المتعلقة بسياسة الجريدة فى النشر والاعلام ، فلعل الاعتماد فيها كان على ان رئيس مجلس الادارة واعضائه يعينون بقرارات من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى . ثم شكلت بعد ذلك فى مرحلة سابقة امانة للصحافة فى الاتحاد الاشتراكى ، كانت تضم رؤساء مجالس ادارة المؤسسات الصحفية ؟ ولكن نشاطها لم يستمر الا بضعة شهور .

ويزداد اضطراب الوضع اذا ادركنا ان رئيس المؤسسة الصحفية فى بعض الاحيان لم يكن هو رئيس تحريرها ، وان بعض المؤسسات الصحفية تصدر جرائد لها رؤساء تحرير قد لا يكونون اعضاء فى مجالس ادارة المؤسسات الصحفية . وان مجالس الادارة لا تعنى برسم سياسة النشر ، بقدر عنايتها بالجوانب الادارية والاقتصادية للمشروع . ومن ثم ، ونظرا لعدم وجود تنظيم شرعى لذلك ، فقد انفتح الباب للتدخل كلما انحرفت سياسة الجريدة أو انحرف قلم احد كتابها . وهو بدوره وضع ضار ، لان التدخل لم يكن يمثل فى جميع الحالات سياسة عامة يرسمها الاتحاد الاشتراكى ، ويبلغها الى المسئولين عن الصحف ، بل كان يتخذ طابع التدخل الشخصى لمساءلة شخصية فى مسألة معينة .

ولا شك ان هناك خطا عاما يلتزم به جميع العاملين فى التحرير الصحفى ، هو المبادىء التى ارساها الميثاق . ولكن النشاط الصحفى ليس بهذه البساطة ، بل انه نشاط يتعدد فى التطبيق وتختلف فيه وجهات النظر . والسياسة التى يرسمها رئيس التحرير يجب ان تكون متفقة مع السياسة التى يقررها الاتحاد الاشتراكى ، والتى يجب ان تظل داخل خطوط مرنة ، والا تتحول الى تفصيلات يومية .

فمن الذى يرسم هذه السياسة ؟

اقتراحات محددة

فى اعتقادى ان رسم الخطوط العريضة لهذه السياسة يجب ان يكون مسئولية مجلس يشكل للصحافة من بين المسئولين عن المؤسسات الصحفية، ويتصل باللجنة التنفيذية العليا ويكون مسئولا امامها .

ولما كان تطبيق هذه الخطوط العريضة يقتضى متابعة سياسة واعية من رؤساء التحرير الذين ليسوا أعضاء فى اللجنة المركزية ، فانى اقترح ان يسمح لهم بأن يشهدوا جلساتها دون ان يكون لهم صوت فى مداولاتها .

ويبقى بعد ذلك مساءلة الجريدة عن الانحراف عن مبادىء الميثاق او مخالفة السياسة المرسومة فى خطوطها العريضة . ويجب من جديد ان نعيد تأكيد ان المسئولية الاولى يجب ان تكون مسئولية رؤساء التحرير ، فهم الذين يرسمون الخطوط التنفيذية لتطبيق الخطوط العريضة للسياسة العامة ، وهم الذين يجب ان يتحملوا مسئولية المراجعة . وان تجرى محاسبة المحررين عن طريق رؤساء تحريرهم ، لا بتدخل مباشر من تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ، وان تحاط هذه المحاسبة ، سواء أكانت محاسبة رئيس التحرير أو محاسبة المحرر بالضمانات الكافية .

ولعلنا نجد هذه الضمانات مشارا اليها فى قانون الاتحاد الاشتراكى الذى يخصص بابا للاجراءات النظامية . والذى يقرر محاسبة عضو الاتحاد الاشتراكى عن الانحراف عن مبادىء الميثاق ، كما يحدد العقوبات التى يجوز توقيعها عليه ، والتى تختص بها هيئة نظام تشكلها اللجنة التنفيذية العليا من خمسة من اعضاء اللجنة المركزية ، وهى تنص على كفالة حق الدفاع للعضو فيمايوجه اليه من اتهام ، كماتكفل له حق التظلم من القرارات التى تصدر فى شأنه .

والمأمول ان توضع هذه الضمانات موضع التنفيذ ، لان هذه الضمانات ذاتها كان منصوصا عليها فى قانون الاتحاد الاشتراكى القديم ، ومع ذلك فانها قد اغفلت فى التطبيق .

أما مساءلة رئيس التحرير او اى محرر عن مخالفة القانون التى لا تتخذ طابع مخالفة سياسية ، فان امرها يجب ان يظل بيد القضاء وحده ، وفق احكام قانون العقوبات . وان كانت لنا ملاحظة نبديها بهذه المناسبة ، فهى اننا ورثنا نصوص جرائم النشر فى قانون العقوبات ، وهى تكاد تخنق حرية النقد بتضييقها فى تحديد مدلول الشخص العام الذى يجوز للصحافة ان تكشف ما خفى من تصرفاته ، بينما انها لا تتضمن حماية كافية للافراد فى حياتهم الخاصة .

وعلى سبيل المثال ايضا ، فان « **حق الرد** » المقرر للافراد فى جميع الدول — نراه عندنا فى قانون المطبوعات الذى لا يزال معمولا به منذ عام ١٩٣٦ ، حقا باهتا ، فلا يوجد من حافز للصحيفة على ان تنشر رد مواطن على خبر نشرته وتضمن مساسا به ، الا ضميرها وتقاليدها . وهذا يجعل المواطن دائما تحت رحمة الجريدة او بمعنى آخر قد يصبح تحت رحمة محرر فيها .

واذا كان يجب علينا فى هذا التنظيم الجديد ان ندعم حق الرد ، بل ان نرفعه الى مرتبة حقوق المواطن الدستورية ؟ فليس معنى هذا ان يتحول جميع المواطنين الى كتاب وصحفيين ، بحجة ان الصحافة مملوكة للشعب . فهناك فارق بين ان تعني الصحف بمشكلات المواطنين ، وان تعبر عن آرائهم ، وان تكفل لهم الرد على ما ينشر متعلقا بهم ، وهى رسالة الصحافة الاولى ، وبين ان يتحول العمل الصحفى الى هواية غير مسئولة . فان حرية الصحافة ليست امتيازا للصحفيين ، بل انها مقررة اصلا لصالح الشعب ، وليست الصحف الا نائبة عنه فى ممارسة هذه الحرية .

وقد يكون من الملائم بعد ذلك ان نشجع النقابات والهيئات والتعاونيات على ان يكون لها صحفها . فحرية اصدار الصحف فى المجتمع الاشتراكى ، انما تمارس اساسا عن طريق هذه المنظمات الجماهيرية . وملكية الصحافة للشعب يمكن ان تتسع لصيغ اخرى ، بالاضافة الى صيغة صحف الاتحاد الاشتراكى . كما ان صيغة ملكية الاتحاد الاشتراكى يجب الا تجمد على الصحف التى تصدر فى القاهرة وحدها ، بل انها يمكن ان تمتد الى الاقاليم لخلق صحافة محلية جادة .

حرية الصحافة والاعلانات

ونعود فى ختام هذه الدراسة الى موضوع الاعلانات ، وما قد اثير بشأنه من خطر التداخل بين العمل الاعلامى والعمل الاعلانى .

والواقع ان هناك حقيقتين فى هذا الصدد جديرتين بالتسجيل :

الاولى : ان للاعلان فى الصحف وظيفة هامة فى تعريف الجمهور بالسلع والخدمات وفى معاونته على تعرف حاجاته ، وهو يعاون المنتجين فى التعريف بخصائص انتاجهم . وقد تطور فن الاعلان فأصبح يقوم على البحث العلمى وفن التصميم ، ويعتمد على دراسة حالة السوق ، ويقوم بدور هام فى خلق علاقات عامة — ومن ثم فقد أصبح الاعلان جزءا مكملا لرسالة الصحافة . ومن الخطأ ان نغفل اهمية الاعلان فى مجتمع لا يزال فى مرحلة التحول الى الاشتراكية ، ولا يزال محكوما بعلاقات السوق .

الثانية : انه اذا أريد للمؤسسات الصحفية أن تظل محتفظة بحريتها واستقلالها عن السلطة التنفيذية ، فان عليها ان تعتمد على تمويلها الذاتى . لان رسالتها فى الرقابة على اجهزة

السلطة التنفيذية ، يجب ان تنأى بهـا عن ان تستعين فى تمويلها بمصادر حكومية ، ومن ثم فقد اصبح من واجب الصحافة ، حتى تتمكن من ممارسة رسالتها بحرية وكفاية ، ان تهتم بتنمية مواردها الذاتية ، واهمها الاعلان .

وفى ضوء هاتين الحقيقتين ، فانه اذا فهمت المؤسسات العامة والجهات المعلنة الاخرى وظيفة الاعلان على وجهها الصحيح ، لا على انها اعانة تقدمها للصحف ، بل على انها خدمة تحتاج اليها هذه المؤسسات ، فانها لن تقرر تخصيص اى مبالغ معينة للاعلان الا بعد بحوث ودراسات تجريبها على السلعة التى ترغب فى تعريف الجمهور عنها ، وبعد دراسة وسائل النشر التى يمكن ان تؤدى لها هـذه الخدمة ، ومن ثم فان اختيارها وسيلة الاعلان يكون بناء على ما تتمتع به هذه الوسيلة من مقدرة على تحقيق الغاية من الاعلان ، سواء من ناحية كفاية القائمين على الاعلان وخبرتهم الفنية والاعلانية ، او من ناحية مدى انتشار الوسيلة الاعلانية . فمن المؤسف ان بعض المؤسسات العامة كانت تدفع مبالغ طائلة الى مجلات محدودة الانتشار ، على انها مقابل اعلانات ، وهى فى الحقيقة لا تعدو ان تكون اعانة مستترة لها . وقد اثبت التحقيق الذى اجرته النيابة الادارية للمؤسسات والشركات ، ان احدى هذه المجلات حصلت من بعض هـذه المؤسسات فى اقل من عام ، على مبلغ يربو على خمس وعشرين الفا من الجنيهات ، ولاحظت النيابة فى مذكرتها التى اعدتها ، بنتيجة هـذا التحقيق ان العقلية التى تحكم الدعاية والاعلان فى بعض شركات القطاع العام ، ليس لهـا الا مفهوم واحد ، ان يكون مجرد توزيع اعلانات الشركات على الصحف والمجلات التى تتقدم اليها بسبب الصلات والمهارة الشخصية .. دون النظر الى خطة مسبقة ، ودون وعى اعلانى او دراسة . واذا كانت بعض المؤسسات العامة تلجأ الى نشر اعلانات تنطوى على دعاية شخصية للمشرفين عليها ، او تتضمن مشاركة فى المناسبات العامة ، دون ان يرتبط هـذا النشر بالغرض الحقيقى من الاعلان الذى يهـدف الى التعريف بنشاطها او بمنتجاتها ــ فان مسئولية تنظيم مثل هـذا النشر والحد منه ليست مسئولية الصحف ، ولكنه فى الدرجة الاولى مسئولية المشرفين على القطاع العام .

ولكن يبقى بعد ذلك ان يضع مجلس الصحافة آدابا لمهنة الاعلان ، مثلما يضع آدابا لمهنة الصحافة . ويمكن ان نقترح هـذه الاداب فيما يلى :

● نظرا لان بعض الاعلانات يتخذ صورة اعلانات تحريرية ، وهو ما قد يؤدى الى الاعتقاد بأن الراى الذى تضمنه الاعلان ، يعبر عن رأى الجريدة ــ فان الامانة تقتضى وجوب تمييز الاعلان عند نشره عن غيره من المواد التحريرية بعلامة خاصة واضحة .

● يجب ان تكون الاعلانات المنشورة فى الصحف متفقة مع السياسة العامة للدولة ، فلا يجوز نشر اعلانات تتضمن دفاعا عن سياسة دولة اجنبية تناقض السياسة التى تنتهجها الجمهورية العربية المتحدة .

● يجب ان يتم النشر طبقا لاسعار الاعلانات المقررة فى الجريدة ، حتى لا ينطوى الاعلان على اعانة غير مباشرة من دولة اجنبية او من رعاياها .

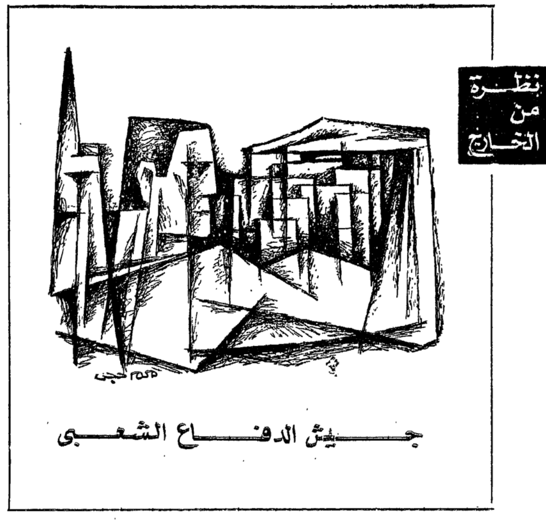
● بالنسبة للاعلانات الخارجية غير السياسية ، يشترط لقبول الاعلان عدم ورود اسم الشركة المعلنة فى القوائم السوداء التى يصدرها مكتب مقاطعة اسرائيل .

● يجب ان يلتزم الاعلان عدم المساس بالاداب العامه وتقاليد المجتمع ، وعدم الاساءة الى سمعة الافراد وحقوقهم المشروعة ، وعدم الاضرار بالصحة العامة ، وعدم الايهام بمشروعات غير جدية ، وتجنب البيانات الخادعة او المضللة ، كذلك يجب تجنب الطعن فى مميزات سلعة ، او خدمة عند النشر عن سلعة او خدمة اخرى .

● يجب ان يلتزم المنتجون فى الحصول على الاعلانات الوسائل القويمة . فلا يجوز الحصول على الاعلان عن طريق الاغراء او التهديد بالنشر او الطعن فى كفاية المؤسسات الصحفية الاخرى ، او عن طريق تنازل المنتج عن جزء من عمولته للمعلن او ممثله . بل يجب ان تكون وسيلة المنتج فى الاقناع هى قيمة الخدمة التى يؤديها الاعلان .

● انه من المرغوب فيه الا يشترك المحررون فى الحصول على الاعلانات ، سواء للصحف التى يعملون بها او لغيرها ، وذلك حتى لا يصرفهم ذلك عن رسالتهم فى التوجيه والنقد .

وبعد ... فان حرية الصحافة انما تستمد جذورها من حرية المواطن ، ومن حقه فى ان يتابع ما يجرى فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وحقه فى ان يراقب ويحاسب ممثليه ، فهى مقررة اصلا لصالح الشعب ، وليست الصحف الا نائبة عنه فى ممارسة هذه الحرية . ولا يمكن للصحافة ان تمارس هذه الحرية الا فى ظل مفهوم متكامل للحرية .



جيش الدفاع الشعبى

والجبهات الثلاث للعمل الوطنى

ميشيل كامل

في مجال الاجتهاد النظرى لتصور ابعاد معركتنا الراهنة ضد الاستعمار والصهيونية ، واثناء البحث عن السبل الكفيلة بدحر قوى العدوان وتحرير الارض المغتصبة ، تبلورت مجموعة من المفاهيم المتباينة . كان هناك اجماع شعبى على ضرورة تنظيم المقاومة الشعبية المسلحة على نطاق جماهيرى واسع ، جنبا الى جنب مع عملية اعادة البناء العسكرى للقوات النظامية . وتجسد هذا الاتجاه فى الاقبال الحماسى المنقطع النظير على الانضمام الى منظمات المقاومة الشعبية على اثر النكسة . ثم وجد تعبيره فى مطلب موحد عام ، كان فى مقدمة المطالب التى تقدمت بها القاعدة الجماهيرية العريضة أثناء الفورة السياسية التى سادت قبيل اجراء انتخابات الاتحاد الاشتراكى، اذ لم تخل قرارات اجتماع أو مؤتمر واحد من شعار تنظيم جيش الدفاع الشعبى .

وفى نفس الوقت ظهرت مفاهيم واتجاهات مغايرة ، شدتها قيود النظرة التقليدية وتجمدت فى قوالب مغلقة عجزت عن اجتيازها الى واقع العصر ومتطلباته ومستوى الاحداث واحتياجاتها . هذه النظرة كانت تدعو الى التركيز فحسب على اعادة بناء القوات النظامية المسلحة ، وترفض أوتستهين

ميشيل كامل
● مدير تحرير الطليعة

وتسوف وتؤجل – وهو موقف يصل الى مصاف الرفض موضوعيا – فكرة تكوين منظمات الدفاع الشعبي أو المقاومة الجماهيرية المسلحة ، وتستند في موقفها هذا على مجموعة من الحجج والمبررات صاغت منها شبه نظرية متكاملة •

انتصرت الارادة الشعبية العارمة ، وكان للاحداث الاخيرة اثرها في التعجيل باصدار القانون الخاص بانشاء منظمات الدفاع الشعبي ، تنفيذا لقرارات المؤتمر القومي العام الاول للاتحاد الاشتراكي العربي •

لكن •• هل يعني انتصار الاتجاه الاول أن نسكت عن المفاهيم التي هزمت ، أو نتغاضى عن الحجج التي أثيرت دفاعا عنها ؟

كلا •• فعلينا أن نتصدى لها ونقارعها الحجة بالحجة ، وأن نطاردها ونكشف عن فسادها وضررها ، وذلك رغم تسليمنا بالنيات الحسنة والدوافع الطيبة لغالبية حاملي لواء هذه الافكار •

لماذا ؟

● لان الافكار الخاطئة لاتموت بالقرارات ، ولا تقهر بالاجراءات ، فهي تمتد وتتشعب في تربتنا ، ولذلك فان دحرها يقتضي المثابرة على انتزاع وتعرية جذورها لتجف وتذبل بتعريضها لوهج شمس الحقيقة التي يحمل لواءها جماهير الشعب العاملة وقيادتها الثورية •

● ولان هذه الافكار بالذات وجدت تربتها الخصبة بين فئة بعينها من أبناء الطبقة المتوسطة • وهي فئة وطنية بصفة عامة ، الا ان تأثر بعض أفرادها بهذا المنطق قد ينعكس على نشاطهم اثناء مزاولة مهامهم بمجالس الدفاع الشعبي ، بما يؤثر على قواها ، ويضعف من فاعليتها •

● كما ان لهذا المنطق امتداداته في شتى نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانعكاساته فيما يتعلق بالاستراتيجية والتكتيك في معركتنا المصيرية ضد الاستعمار والصهيونية •

حول نظرية الحرب الشعبية

وقبل التطرق الى مشكلات تكوين جيش الدفاع الشعبي ، تبدو أهمية تمهيد الارض الفكرية التي نقيم عليها البناء ، بالتعرض لبعض نقاط رئيسية برزت أثناء الحوار الذي دار حول هذه القضية الحيوية ، وذلك حتى تكون حركة بناء قواتنا الشعبية من موقع صلد ومنطلق ثابت ، محسوم من الناحية الايديولوجية •

● هناك الرأي القائل بأن القوة العسكرية تتحكم في كل شيء وتحسم كل الامور • وينبثق عن هذا المفهوم عملية الفصل المتعسف وغير الجدلي للقوة العسكرية عن القوى السياسية • فمن المعروف ان الحرب هي شكل من أشكال الصراع السياسي ، في اعنف صوره ، أي انها الفرع الذي ينبت عن الاصل ، يعكس صفاته وخصائصه ، وتعتمد صلابته وقوته على متانة الساق التي تحمله والجذور التي تغذيه تماما ، كما لايمكن ان ينبت فرع من « الزان » القوى من شجرة الخروع المهتزة الساق الهزيلة الجذور •

وجيشنا النظامي هو جزء من قوى الشعب العاملة •• هو الفصيلة المتقدمة على خط النار ، القوى الصدامية التي تكرس كل وقتها وجهدها ، ويقدم افراده دماءهم وأرواحهم عن طيب خاطر فداء للوطن • ولكنه رغم ذلك « جزء » من « كل » •• هو جماهير شعبنا • وهذه النظرة تختلف جذريا عن المنطق القائل بأن الشعب هو امتداد للقوات المسلحة ، أو ان القوة العسكرية تقرر كل شيء •

والخلاف لا يدور حول الشكل ، ولا يتعلق بالتعبير اللغوي ، اذ يعكس مفهومين متناقضين ... الاول منهما يلمس الارتباط العضوي الوثيق بين عملية اعادة بناء القوات المسلحة وبين الجبهة الداخلية ، ويرى القوة العسكرية في اعتمادها على الوضع السياسي ، ولا يفصل بين قدرات الجنود النضالية والقتالية والاوضاع السائدة اجتماعيا • ومن هنا كان مطلب التغيير الشامل الذي يمتد الى كل أوجه الحياة ويعيد بناء جميع مؤسساتنا السياسية والاجتماعية باعتباره حجر الاساس في انجاز مهامنا القومية الملحة ، بتحرير الارض المغتصبة في اطار المرحلة التي نجتازها المتمثلة في تلاحم الثورة الوطنية مع الثورة الاجتماعية •

اما الاتجاه الثاني الذي ينحو الى جعل القوة العسكرية هي الاساس والمخرج من الازمة الراهنة ، ويرى في الشعب مجرد امتداد للجيش ، فهو لا يعتد بعملية الاصلاح الشامل للاوضاع التي سادت قبيل النكسة او بالتغيير في المؤسسات القائمة ، ويدعو – موضوعيا – الى تجميد طابع السلطة وحصرها في الحدود التقليدية •

ان الطابع المميز للعصر هو انتصار الانسان في

البلدان المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا على أجهزة الحرب الحديثة للدول الاكثر تقدما فى المجال الاقتصادى والتكنيكى ٠٠ انتصار الحرب الشعبية على الحرب النظامية ، ودحر الجيوش الشعبية للقوات المحترفة ، والا لما وجدنا تفسيرا لانتصار الشعوب الاقل شأنا من الناحية العسكرية ـ بل والتى بدأت معركة التحرر دون أن تملك جيوشا نظامية على الاطلاق ـ على قوات تتفوق عليها فى العدد والعدة، ودحر الشعوب «المتخلفة» لقوى تتميز عليها بضخامة مواردها وامكانياتها المادية والعسكرية ٠ فقد هزم جيش العمال والفلاحين فى الاتحـاد السـوفيتى جيـوش أربعـة عشرة دولة « عصرية » فى حرب التدخل عام ١٩١٨ ٠ ولنا فى تجارب الصين الشعبية وكوريا والجزائر وفيتنام ما يؤكد أن للعنصر السياسى والعامل البشرى التفوق والغلبة على اعظم اجهزة الحرب العسكرية ، واحدث أسلحة الدمار التى عرفها التاريخ ٠

ولا يمكن لانسان يعيش فى عصرنا ، ان يسدل ستارا يحجب الرؤية عن خبرة النضال البطولى لشعب فيتنام ٠ وفى هذا المجال يذكر « الجنرال جياب » ان خبراء الاسـتراتيجية العسـكرية الغربيين ، وقد أذهلهم النصر الذى حققه الشعب الصغير الفقير فى هزيمة قوى امبريالية كبرى كفرنسا ، تسندها وتسلحها الولايات المتحـدة الامريكية ـ وهو اليوم يمزق جهاز الحـرب الامريكى نفسه ـ حاولوا تفسير هذه « الحقيقة الغريبة» ببراعة الاستراتيجية والتكتيك واشكال القتال المتبعة ٠ ولكنه يذكر أن هذه العـوامل ساهمت فى النتيجة المظفرة ٠ « **ولكن اكثـر العوامل صدقا وأعظمها فاعلية هى أن الحرب كانت حرب شعب، والمقاومة من عمل الشعب كله، وفى هذا الخط يكمن سر النصر !**

و « **لين بياو** » يؤكد ان سبب النصر فى الصين هو ان الحرب « كانت حربا شعبيـة محضة ، وانتصـارا لنظـرية الحرب الشعبية » ؟ **وكيم ايل سونج** » يلخص دروس الحرب الشعبية فى كوريا بقوله « **اذا تمكن الانصار المعادين لليابان أن يخوضوا الحرب طوال خمسة عشر عاما دون أن يملكوا السلطة فذلك يعود الى كونهم ناضلوا من أجل الشعب والى كونهم خطوا بدعم الشعب وحمايته ٠٠ »**

ولن نذهب بعيدا ٠٠

فالتجربة المستفادة من واقعنا نفسه ، تبرز هذه الحقيقة ٠ فقد كان هدف الاستعمار والصهيونية من معركة يونيو هو اسقاط نظم الحكم الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى ٠ ورغم نجـاح اسرائيل فى احتلال بعض الاراضى العربية بهزيمة القوات المسلحة ، فشلت فى تحقيق مخططهـا الاصلى ، بفضل صـلابة وصـمود الجبهـة الداخلية ٠٠ بفضل جماهير شعبنا العاملة وهبتها الثورية العملاقة ، عنـدما رفضت الاستسلام وفرضت طريق النضال وهى الجماهير العزلاء، التى لاتملك سلاحا غير ارادتها ووعيها السياسى واستعدادها للبذل والتضحية ٠٠ ومن ثم فان القوى السياسية هى التى تحكمت فى الموقف كله ٠

ويجدر بنا فى هذا المجال الا ننسى المغزى الكبير الذى حملته كلمات «**جمال عبد الناصر**» يوم ٢٣ نوفمبر من العام الماضى عندما قال :

« فى يوم ٩ و ١٠ يونيو، يوم الناس ماخرجت فى الشـوارع بالالاف أو بالملايين ، مكنش عندنا دفاع عن الضفة الغربية لقنال السويس ٠٠ كان العدو موجود فى الضفة الشرقية لقنال السويس، وكان الطريق ما بين السويس والقاهرة مفيش فيه ولا عسكرى ، وكان الطريق الى القاهرة مفتوح بدون أدنى مقاومة ، نتيجة الشلل الكامل اللى حصل فى قواتنا المسلحة ٠ فى بور فؤاد كانت المقاومة الشعبية هي اللى احتلت بور فؤاد ٠ وفى بورسعيد كانت المقاومة الشعبية هى اللى احتلت بورسعيد ٠٠٠ الخ !

« تغير الموقف كلية ٠ تغير الموقف كلية بدون ان يطرأ عليـه تغيير جديد مادى ، بتأكيـد الارادة الشعبية ٠٠ :

وأهمية اعادة بناء القوات المسلحة وتدعيم الجيش النظامى وتقويته ، ليست مجال نقاش أو مثار جدل ، فالجيش النظامى هو جيش الشعب فى البلدان الاشتراكية والوطنية التقدمية ٠

الجبهة فى كل مكان

● يرى البعض ان استحواذ القوى الوطنية على السلطة ووجود جيش نظامى وطنى ، يلغى بالتبعية الحاجة الى اقامة منظمات للمقـاومة الشعبية ٠ وأن جيش الشعب كفصيلة متخصصة فى القتال يحجب دور الجيش الشعبى ٠ ويدللون على ذلك بأن جيوش التحرير الشعبى نشأت ضد حكومات عميلة واستعمار قائم ، ولم تظهر الحاجة اليها بعد سيطرة القوى الوطنية على الحكم وتحول جيوش التحرير الى قوات نظامية ٠ وفى هذا القول تجنى على الواقع ٠

ونحن اذا راجعنا حروب التحرير جميعا التى

خاضتها الشعوب لما عثرنا على حالة واحدة تعتمد فيها القوى الوطنية على قواتها النظامية فحسب ، اذ شارك فى حمل السلاح كل فرد من أبناء الشعب ، وساهم الجميع فى المعركة العسكرية ، بما فى ذلك البلاد التى تملك جيوشا جرارة حديثة التسليح مثل الاتحاد السوفيتى شرقا وفرنسا غربا ، فقد قامت فرق حرب الانصار والمقاومة المسلحة فيهابدور اساسى فىدحرجحافل النازية، ولم تأخذ بنظام التخصص واحتراف القتال .

وفى جمهورية فيتنام الديمقراطية ، رغم سيادة الدولة الاشتراكية الشعبية ، ورغم قوة جيشها النظامى الذى تمرس فى معارك النضال ضد الاستعمار ، فان كل فلاح يزرع حقله وكل عامل يدير آلة ، يملك سلاحا ، هو رفيقه فى اى مكان يتجه اليه ، يمزق به جهاز الحرب الامريكى جنبا الى جنب مع قواته المسلحة النظامية .

● الا ان أخطر مافى هذه النظرة ، أنها تعكس منهجا متكاملا فى الفكر السياسى ، يقصر عن فهم حقيقة العدو ويعجز عن ادراك أبعاد الاستراتيجية الاستعمارية الصهيونية ، ومن ثم وسائلها وأدواتها والمدى الذى يمكن أن تصل اليه لتحقيق أغراضها .

هذا الاتجاه يلجأ الى تغليب الفكر العسكرى المجرد على النظرة السياسية . وفى هذا الاطار يصوغ تصوره لافاق المعركة . بل وهو عندما يحاول أن يتخيل مخطط اسرائيل ومستقبل نشاطها ويستنتج اتجاهاتها والمدى الذى يمكن أن تصل اليه فى تحركاتها ، بهدف مواجهة هذا المخطط من جانبنا،فهو اما ان يحصر نفسه فىاطار اسرائيل وحدها معزولة عن المعسكر الامبريالى ككل ، أو يتناولها كفكر حربى بحت وكمؤسسة عسكرية «ضيقة الافق» ، فيحدد هذه الاحتمالات بما هو صالح لها من الناحية الحربية وما هو ضار بمصالحها فى هذا المجال وحده ، دون أن يتسع هذا الافق الى المستوى السياسى والنظرة الشاملة .

وما الفارق بين النظرتين ؟

اذا أخذنا بالاهداف السياسية للاستعمار والصهيونية لوجدنا مخططها يتوخى القضاءعلى النظم الوطنية والتقدمية فى الشرق الاوسط ، فنشاطها موجه ضد الحركة الوطنية والثورة الاجتماعية . ومن ثم فان المدى الذى يمكن ان تصل اليه المخططات العسكرية **رهن بهذا الخط السياسى** ، ويسخر فى خدمته .

ومن هنا يجدر بنا أن نرسم خطتنا على أساس التصدى للاستراتيجية الاستعمارية الصهيونيةبكل مداهاواحتمالاتها.وهى فى هذه الحالة لا حدود لها ، اذ لايمكن ان نعول كثيرا على اعتبارات «المنطق» وموازين «رشيدة» ، لاتتعداها ، ولا ان نحسب التوقعات طبقا لمنطق التصرفات « الذكية المتزنة » .

ونحن اذا ادخلنا فى حسابنا الاعتبارات العسكرية وحدها ، معزولة عن واقع الاستراتيجية الاستعمارية فى مجموعها ، واذا لجأنا الى مقاييس « الذكاء » ، فسوف نكون عرضة لمواجهة المزيد من المفاجآت دون أن نأخذ الاهبة لملاقاتها .

علينا أن نعد لكافة الاحتمالات ، مهما بدت غير منسقة مع « العقل والمنطق » ــ العربى ــ وفى نفس الوقت لا نشتت جهودنا ، بل نركز خطتنا على الاحتمالات الاكثر توقعا ، دون أن نستبعد اقدام اسرائيل والاستعمار على اية مغامرة .

لقد اقدمت بريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٦ على «حماقة» المشاركة فى العدوان الثلاثى ، عندما كانتا تمثلان العدو الرئيسىلنا. واليوم فان عدونا الرئيسى هو أمريكا بكل ما تختزنه من طاقات مغامرة واتجاهات العنف ، وبعد ان أصبحت الدولتان الاولتان بمثابة العدو الثانوى . كما انموقف اسرائيل ــ الذىيجدكل المساندة من جانب الولايات المتحدة الامريكية ــ بتحديها لقرار مجلس الامن ــ ورفضها محاولات الحل السياسى ، وما أدى اليه من وصول مهمة يارنج الىطريق مسدود تماما ، ومواصلة حملاتها العدوانية والعمل على تصعيدها ــ ضرب نجع حمادى ــ ، يزيد من توتر الموقف ويهدد بتفجيره من جديد فى صورة صدام مباشر واسع النطاق .

وقد أصاب المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى فى تقديره للموقف واحتمالاته عندما أشارفىتقريره الختامى الى « **انمسرح العمليات فى اى معركة مرتقبة مع العدو يشمل كل شبر من أرض الجمهورية** »

الحرب الموقعية والحرب المتحركة

لقد وقع البعض ـ من حيث لا يدرى ـ فى الشرك الذى نصبه الاستعمار وروجت له اسرائيل ببراعة ، فراح يبدأ تقديره للموقف السياسى والعسكرى من زاوية « الامن الاسرائيلى » ، فيستبعد كل احتمالات تمثل ـ فى تصوره ـ تهديدا للامن الاسرائيلى • وبذلك لم تكن نقطة البدء وزاوية الرؤية لديهم هى الاستراتيجية الاستعمارية بكل أبعادها ومداها الذى لا يعرف روادع ولا حدود • وقد ادى هذا الخطأ الى التهوين من أهمية منظمات الدفاع الشعبى •

وهناك قاعدة من بديهيات الفكر العسكرى تقول أن فقدان الارض هو السبيل الوحيد للاحتفاظ بها ، على أن يكون فقدانها مقابل ما تكسبه من هزيمة العدو ».

فمادامت المعركة دائمة مستمرة فيظل خط القتال متحركا مرنا . والعبرة بمتابعة النضال حتى النصر • والتاريخ يكشف لنا عن حقيقة أن البادىء بالعدوان يكسب بعض الارض فى الجولات الاولى • والتخلى عن مساحة من الارض ـ كما هو الحال فى سيناء اليوم ـ هو تراجع مؤقت من أجل تقدم مؤكد، وهزيمة لامراء فيها ولا مرد لها للقوى الاستعمارية والصهيونية . و « **ماوتسى تونج** » فى هذا المجال ومن خلال خبراته طوال ما ينوف على ربع قرن من حرب التحرير يقدم لنا نموذج الملاكم العاقل الذكى الذى يتراجع أمام ضربة ليكيل لعدوه أقسى منها •••

والتاريخ زاخر بنماذج لا حصر لها ، **فخط ماجينو** لم يمنع احتلال فرنسا ، **والانسحاب من دنكرك** كان من أعظم المعارك التى خاضتها بريطانيا ، بل وكان بداية الطريق الطويل الى النصر ». وكل الاراضى التى احتلتها قوات النازى فى الاتحاد السوفيتى لم تشفع له فى تحقيق النصر ، ولا تعدو كونها مقدمات لاحتلال برلين نفسها •

فالحرب متحركة دائما ابدا ، وليست حربا موقعية أو خط قتال محدد ثابت لاتراجع عنه • فالجبهة فى كل مكان ، « ومسرح العمليات فى أى معركة مرتقبة يشمل كل شبر من أرض الجمهورية » ».

● ان الانظمة الثورية التى سقطت تحت وطأة ضربات من قوى « الثورة المضادة » هى أكثر بمراحل من الانظمة التى قصفت بها قوات استعمارية عن تاريخ التدخل المباشر ». والامبريالية لاتتورع عن استخدام كافة الاساليب للقضاء على حركة التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية فى الوطن العربى ، بل ويكتسب سلاح التآمر اهمية متزايدة بعد ان اعدنا بناء قواتنا المسلحة ، وازدادت قدرتنا على الصمود والردع •

ومهمة التصدى للقوى المعادية للثورة تقع على عاتق جماهير الشعب العاملة ، وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون . وتنظيم هذه القوى تحت قيادات من أبنائها فى جيش الدفاع الشعبى يمثل ضمانا اساسيا فى التصدى لقوى التآمر الانقلابى وعناصر التخريب والخيانة ».

● لا توجد أرض لا تصلح للقتال • هناك منها الانسب والاكثر ملائمة • الا ان كل أرض يربض عليها العدو صالحة للقتال يتساوى فى ذلك الغابات والجبال والسهول او الصحراء • وقد اثبتت التجربة نجاح العمليات التى تمت فى سيناء ، واثارت ذعر وفزع قوات العدو المسلحة ، والارض هناك ليست مسطحة تماما ، بل تتخللها مسالك ودروب وعرة وتتناثر فيها مناطق جبلية مرتفعة • والعرب من سكان سيناء لهم خبرات بأرضها وطبيعتها ومسالكها يفوق المام قوات العدو بها ، ومن ثم فهى أكثر ملاءمة لنا فى العمل على تخريب منشآتهم ، وضرب قواعدهم وقواتهم حتى تجعل من حياتهم جحيما يستعيرون بنيرانه • وهنا أيضا تبدو اهمية تشجيع عرب سيناء على الانخراط فى صفوف منظمات الدفاع الشعبى •

والقول بأن الافتقار الى السكان ووجود المناطق غير المأهولة يجعلها غير صالحة للمقاومة الشعبية المسلحة ، يصل بنا الى مزالق خطرة • فان خط القتال الذى يتعرض أهله للقصف المستمر ، تجرى

به عملية تهجير شبه شاملة ، مما يقلل من كثافة السكان .. وهكذا تتتابع حلقات دائرة مفرغة لا قرار لها ».

مستويان للتحالف

حدد القانون الخاص بانشاء منظمات الدفاع الشعبى طبيعة المهام الموكولة اليها وطريقة تشكيل مجالس الدفاع التى تتولى قيادتها • الا أن نجاح جيش الدفاع الشعبى فى تأدية دوره ، يتوقف على خلق المناخ الصالح لنشاطه وتوفير مقومات الحياة الصحية له •

وفى هذا المجال يجدر بنا أن نضع فى اعتبارنا التطبيق العملى الفعال للخط الثورى ولقرارات المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى • وهناك عدة نقاط تستحق اهتماما خاصا ، كضمانات أساسية للنجاح فى انشاء جيش حقيقى للدفاع الشعبى ، نذكر منها :

● ان قضية استمرار الثورة الاجتماعية تمثل حجر الزاوية فى معركة التحرر الوطنى • وعلى أثر الهزيمة العسكرية مباشرة أوضح الرئيس عبد الناصر أنه « لكى نستطيع مواجهة العدوان فانه من الضرورى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر • كما جاء فى قرارات المؤتمر القومى فى دورة انعقاده الاولى « أن معركتنا مع العدو ليست معركة تحرير الارض مع العدو فحسب ، بل هى تأمين لحق الانسان على هذه الارض فى الكفاية والعدل ، فى الحرية بجانبيها الاقتصادى والسياسى ، وهى تحرير حياة الانسان من قوى الاستغلال فى الداخل والخارج ، ومن ثمة فالانتصار على العدو لا يتأتى الا بالحفاظ على النظام الاشتراكى والتصدى للشوائب والنقائص التى شابت التطبيق الاشتراكى • **ان الدفاع عن نظامنا الاشتراكى ومنجزاتنا ومكاسبنا الاشتراكية هو جزء لايتجزأ من المعركة المصيرية التى نواجهها ، بل هو جوهر هذه المعركة »** •

والواقع أنه لا يمكن الفصل بين التناقضين الرئيسيين اللذين حكما ميزان القوى فى مصر .. التناقض بين الامبريالية والشعب ، والتناقض بين تحالف كبار الملاك الزراعيين والرأسماليين وبين جماهير الشعب العاملة •

هذا الطابع المزدوج لثورتنا ، الذى يعبر عن التلاحم بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ، يجب أن ينعكس على سياستنا الداخلية • فبقدر مراعاته يمكن لنا أن ندعم ونقوى بناء التحالف الوطنى الثورى ، عماد عملية التحرر الوطنى •

ومنذ النكسة فى يونيو ١٩٦٧ احتدم الصراع بين اتجاهين .. تيار ثورى عبر عنه الرئيس عبد الناصر بخط « **المراجعة لا التراجع** ! وفى الدعوة الى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر ، وفى الاستجابة لمطلب التغيير الذى نادت به جماهير شعبنا وأجمعت عليه • وتيار راح ينادى بمواقف وسياسات تؤدى موضوعيا الى تصفية خطر الثورة الاجتماعية بدعوى دعم الوحدة الوطنية وتوسيع نطاقها، فى محاولة للعودة الى تطبيق نظرية « الامة كلها » وتغيير مفهوم التحالف الثورى ، بما يترتب عليه من تدعيم سيطرة فئة بعينها على أجهزة السلطة بدلا من وضعها بأيدى كل الطبقات الثورية ــ أى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها ــ طبقا لما جاء بالميثاق الوطنى •

وقد كان مطلب التغيير يهدف أساسا الى تغيير المحتوى الاجتماعى للسلطة والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والى المشاركة الحقيقية والفعالة من جانب كل قوى الثورة بلا استثناء، وفى مقدمتها العمال والفلاحون فى اتخاذ القرارات وتطبيقها ، وتنحية القيادات البيروقراطية التى تنتمى فى غالبيتها الى فئة اجتماعية واحدة • وهى رغم طبيعتها الوطنية ، ليست مقتنعة بالتحول الاشتراكى ولا متحمسة للدفاع عنه أو معنية بانجازه ، مما يبرز تناقض موقعها فى السلطة مع متطلبات المرحلة الثورية بطبيعتها المزدوجة الوطنية والاجتماعية •

والميثاق الوطنى فى تحديده لقوى التحالف الوطنى ، قد وضعها على مستويين •• المستوى الاول هو التحالف القائم بين العمال والفلاحين باعتبارهما « قوى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة » ، فجعلت لهما دورا مميزا داخل التحالف الاوسع الذى يضم البورجوازية الصغيرة والمتوسطة • أى أن تحالف الشعب الكادح هو العمود الفقرى لتحالف أعرض مع البورجوازية وسائر أفراد الشعب من غير الكادحين • والوحدة بين التحالف الاساسى والتحالف الاوسع تبقى اذا سعينا للمحافظة عليها

بالنضال ، وبالمثابرة على تدعيم الثورة الاجتماعية • وهى تزول وتتفتت اذا تصورنا امكانية الابقاء عليها بالخضوع والتنازلات من جانب قوى الثورة الرئيسية لفئة أو جماعة بعينها هى أبعد الفئات حرصا على الوحدة •

وهذه « المصلحة العميقة فى الثورة » ليست مجرد كلمات مجردة ، فان الطبقات التى ترفض الاستسلام والهزيمة باصرار أكبر وقوة أعظم •• الطبقات الاكثر قدرة على القتال والصمود واستعدادا للتضحية والبذل ، هى نفس الطبقات الاشد تمسكا وايمانا بالثورة الاجتماعية • ومن ثم فان أى اتجاه لتصفية المكاسب السياسية والاجتماعية يؤدى بالضرورة الى اضعاف التحالف ، بينما السير فى حسم نحو تدعيم الثورة الاجتماعية يزيد من ترابط الجبهة الداخلية •

ونحن نواجه كل يوم بمواقف عملية فى هذا الاتجاه او ذاك ، ولنعالج منها مثالا واحدا كنموذج يجسد اتجاه التراجع لا المراجعة والتصفية لا التدعيم — او حتى التجميد — ويؤدى الى زعزعة ثقة قطاعات واسعة من جماهير شعبنا الاشد اخلاصا وصلابة فى النضال ضد الاستعمار ، لكسب فئة قليلة ، مواقفها مشوبة بالتردد وتهالكها على مصالحها يحدد ويضيق الى اقصى حد من امكانياتها الوطنية •• ونعنى هنا الموقف من قانون التعاون الذى كان ينص على جعل أربعة اخماس مجالس ادارة الجمعيات التعاونية من الفلاحين الذين لايحوزون أكثر من خمسة افدنة فقد جرى تعديله بجعل نصف المقاعد لمن لا تزيد حيازته عن عشرة افدنة . وهو بذلك يلغى ضمانا أساسيا وضع لحماية مصالح فقراء الريف (٩٥ فى المائة من الحائزين) ويضع هذه المؤسسات بين ايدى أغنياء الريف ومتوسطى الملاك •• أى أنه « تغيير » أساسى فى المحتوى الطبقى لمصلحة القلة من أثرياء الفلاحين [٥ فى المائة حيازتهم تزيد على عشرة افدنة] .. فهو « التغيير » فى الخط العكسى ، المناقض لقرارات المؤتمر القائلة بأن قضية استمرار الثورة الاجتماعية والدفاع عن منجزاتنا ومكاسبنا «هو جزء لايتجزأ من المعركة المصيرية التى نواجهها بل هو جوهر هذه المعركة »

تدعيم الدور القيادى للعمال والفلاحين

● ان تكوين جيش الدفاع الشعبى ، عمل سياسى مرتبط بصلابة الجبهة الداخلية ، يعتمد أساسا على الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين ، فاذا أردنا لهذا الجيش ان ينمو ويتطور فى مناخ صحى مناسب، علينا ان نضع نصب أعيننا قضية السير قدما فى طريق الثورة الاجتماعية ، باعتبارها ضرورة ثورية لكسب وتعبئة أصلب وأخلص قوى التحالف •• المنحدرة من أصول فلاحية وعمالية ومن المثقفين المخلصين لقضية الثورة •

ومن جانب آخر يجب أن يسهم العمال والفلاحون فى تولى مسئوليات اساسية فى منظمات الدفاع الشعبى ، وان تتاح لهم فرص الترقى لكافة المستويات ليؤدوا دورهم القيادى الذى تؤهلهم له طبيعتهم الثورية وثباتهم واتساع افقهم، ولانهم اقل الفئات تعرضا للجمود والانانية واكثرها استعدادا للتنظيم وتقبلا للتعليم، وقدرة على تحمل اهوال الحروب الحديثة بحكم حياتهم البسيطة الخشنة •

ولا شك ان هناك اعتبارات تحبذ فكرة تواجد العديد من ممثلى الوزارات والمصالح الحكومية — بحكم وظائفهم — وانضمام البعض منهم الى مجالس الدفاع الشعبية . الا انه يجب ان نحذر من تغليب الطابع الوظيفى على الشكل النضالى، وان نتجنب تركيز السلطات والمسئوليات بين أيدى كبار الموظفين والاجهزة البيروقراطية بما يؤثر على المحتوى الاجتماعى للمنظمات • وقد أشار القانون الى ضرورة المزج بين ممثلى التنظيم السياسى وممثلى الوزارات فى تشكيل المجالس • لكن التنظيم السياسى يجب ان يتعاظم، والاعتماد على موظفى الجهاز التنفيذى يقل ويضمحل الى اقصى حد ، خاصة وأنه يمكن الاستعانة بهذه الاجهزة وممثليها دون حاجة الى تمثيلها للاعتبارات الوظيفية وحدها فى مجالس الدفاع ، لان التمثيل السياسى والتعبير الثورى عن واقع تحالف قوى الشعب العاملة هو حجر الزاوية فى نجاح مؤسسات الدفاع الشعبى ، وليس على الاطلاق مدى تمثيلها للمصالح الحكومية والاجهزة التنفيذية • واذا كنا ندعو الى بقاء اجهزة الدولة ليكون للعمال والفلاحين والكادحين عامة دور متزايد فى قيادتها والاشراف عليها، فمن الطبيعى أن ينطبق هذا الوضع بصورة اكثر الحاحا على منظمات الدفاع الشعبى •

ان معيار نجاح منظمات الدفاع الشعبى مرتبط بالسماح بالتفاعل الحى داخل صفوفها ، وتهيئة كل الفرص لبلورة عناصر تقدمية جديدة منبثقة من العمال والفلاحين لشغل مواقع قيادية بها ، باعتباره دعامة التحرر الوطنى والاجتماعى وعماد التحالف الثورى وعموده الفقرى •

● وجيش الدفاع الشعبى بحكم تكوينه وطبيعة المهام الملقاة على عاتقه ، لا يقتصر دور العاملين

به على المقاومة والدفاع المسلح ، اذ يؤدى اعضاءه ثلاث مهام مترابطة فى وقت واحد .. القتال عندما يقتضى الامر ذلك ، والقيام بالعمل الجماهيرى بحكم معايشة الناس وانبثاقه عنهم ، ومزاولة النشاط الانتاجى فى مجالات العمل التى يشتغلون بها، ومن ثم فهو قوة مقاتلة ، وفرقة للعمل السياسى وكتيبة للانتاج فى آن واحد .

ومن هنا تبدو أهمية النشاط الايديولوجى والتثقيف السياسى لافراده ، وضرورة أن يتم ذلك جنبا الى جنب مع عمليات التدريب العسكرى .

ومنظمات الدفاع الشعبى يمكن أن تصبح المدارس التى تقدم أصلب العناصر المناضلة والبوتقة التى تنصهر فيها وتتمرس القوى الثورية بخبرات العمل السياسى والانتاجى والعسكرى معا ، بما يكفل بامدادنا بكادرات من نوع جديد وبجيل جديد من القيادات الكفؤة الناضجة .

لذلك علينا ان نهيىء كل فرص التفاعل الحى بين منظمات الدفاع وبين الاتحاد الاشتراكى ، وخاصة فى مستوياته القاعدية والوسطى ، وان تعطى لمهام التثقيف السياسى نفس اهمية التدريب العسكرى . وهذا التفاعل كفيل — لو احسن استخدامه — باعطاء دفعة قوية لكل من التنظيمين .

ومن القضايا التى يجب اعادة النظر فيها واتخاذ موقف حاسم ازاءها ، المبادرة الى فتح أبواب معهد الدراسات الاشتراكية من جديد .. ليس هذا فحسب ، بل والتوسع فى نشاطه البناء فى خدمة التثقيف السياسى .

الانضباط لايلغى الديمقراطية

● ايجاد العلاقة السليمة بين الانضباط فى صفوف منظمات الدفاع الشعبية وبين توفير جو من الديمقراطية يسمح بالحوار والجدل ، ويتيح من حرية الرأى ما يمكن عن طريقه تربية قيادات سياسية متفتحة واسعة الافق ، وذلك دون اخلال بالنظام الدقيق والالتزام بالخضوع للقرارات . وفى هذا المجال يجدر بنا ان نستعين بخبرات جيوش التحرر الوطنى التى نجحت فى الجمع بين جوهر الديمقراطية فى العلاقات القائمة داخل صفوفها مع ضمان الانضباط التام فى النشاط الحربى .

● الفصل ما بين منظمات المقاومة المسلحة وبين تشكيلات الدفاع المدنى المخصصة « لمتابعة تاثير ضرب العدو الجوى والتخفيف من آثار النكبات والكوارث العامة .. » وفرق مقاومة الحرائق والاسعاف ... الخ ، وذلك حتى لاتتميع الحدود الفاصلة بين مهمة الكفاح المسلح ومسئوليات الدفاع المدنى .

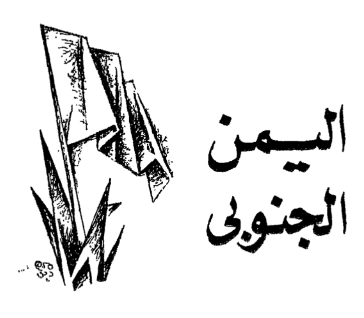
● المهمة الاساسية لجيش الدفاع الشعبى تتركز فى حماية المناطق التى لا تشملها الاوليات الاولى لجهاز الدفاع العسكرى، ومسئولية الدفاع عن المنشآت ضد الغارات الجوية ومحاولات التخريب وقوى الثورة المضادة أى « حماية الخطوط الخلفية للقوات المتقدمة » ، والاعمال العسكرية وشبه العسكرية باية عمليات قد يلجأ اليها العدو وراء خطوطنا ..

● تنظيم عملية التطوع للانضواء فى صفوف حركة المقاومة الفلسطينية لدعم العمل الفدائى الفلسطينى وتوسيع أفق حركة النضال التحررى من حدودها المحلية الى الكفاح عن نطاق الوطن العربى ككل .

● لايكفى الاتجاه الى « مقابلة تاثير ضرب العدو الجوى والتخفيف من آثار النكبات والكوارث العامة ... الخ»، بل ان علينا بالمبادرة الى اتخاذ كافة الاجراءات «**الوقائية**» — فهى خير من العلاج — بتحصين المواقع والاعداد للدفاع عن المؤسسات الهامة وحفر الخنادق والمخابىء . ومن غير المتصور أن تتجه الدولة فى ظروف الحرب الى طرح مناقصات على الشركات للقيام بمهمة مثل حفر الخنادق وتهيئة المخابىء لحماية السكان ، اذ يمكن لمنظمات الدفاع الشعبى أن تسهم بنصيب أساسى فى هذا المجال .

● الحرص كل الحرص من الوقوع فى شراك الاساليب البيروقراطية والشكلية فى نشاط منظمات الدفاع التى تستنفد طاقات المتطوعين فى تدريبات عقيمة لا تنفعهم أو تقنعهم بالجدية . ويجب أن نتجنب تجربة لجان المقاومة الشعبية التى شكلت على أثر النكسة .

وفى الظروف الراهنة ، اذ تتزايد الاخطار ويهدد الموقف بالانفجار فى معركة مصيرية ، علينا ان نشحذ كل أسلحة النصر، ومنها .. بل وفى مقدمتها سلاح تكوين جيش الدفاع الشعبى ، الذى يسمح بأن يلقى الشعب كله بثقله كاملا فى المعركة .



اليمن الجنوبى

مابعد الاستقلال

د. عبد الرازق حسن

تحت الضربات المستمرة الشديدة التى سددتها ثورة ١٤ اكتوبر ، اضطرت بريطانيا الى الانسحاب من اليمن الجنوبى ، واعلنت الجبهة القومية فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ميلاد جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وهكذا استقل هذا الجزء من الوطن العربى ، بعد ثورة مسلحة استمرت اربعة سنوات ، راح ضحيتها الالاف، ولكنها نجحت فى اقتلاع الاستعمار العتيد الذى ظل جاثما فى هذا المكان ١٢٨ سنة ، ١٠ شهور، ١٢ يوما . وعادت اليمن الجنوبى الى الحظيرة العربية ، لتصبح الدولة الرابعة عشرة فى الجامعة العربية .

ولم يكن اعلان الاستقلال مجرد نقل السلطة من الاستعمار الى الشعب ، ولكنه كان يعنى ضرورة العمل لمواجهة المشاكل المعقدة التى تسبب فيها الاستعمار ، وتركت البلاد فى حالة شديدة من التخلف ، ولم تكن مهمة حكومة الثورة بالمهمة السهلة ، اذ كان عليها أن تعيد تنظيم أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية فى مرحلة قاسية تواجه البلاد العربية ، وفى ظروف غير مستقرة يمر بها العالم الخارجى .

وحتى يمكن ادراك طبيعة المشاكل التى واجهتها حكومة الثورة بعد الاستقلال ، علينا أن ندرك أن الاستعمار احتل البلاد ليجعل منها محطة فى طريق قوافله بين الشرق والغرب ، وقاعدة لحماية خطوط مواصلاته ، ولمواجهة اى حركة قد تقوم فى مستعمراته الاسيوية والافريقية ، فضلا عن اعتبارها منفذا خلفيا له الى الجزيرة العربية والشرق الاوسط .

الوضع العام قبل الاستقلال

تركت بريطانيا اليمن الجنوبى فى وضع غير مستقر، من اقتصاد تابع مهلهل يعتمد على الخدمات بالدرجة الاولى ، الى علاقات اجتماعية مندثرة ، الى نظم اذارية ممعنة فى التباين . ولم يكن هذا الوضع بالامر المستغرب ، طالما انه يخدم قضية

الاستعمار اولا ؟ ويضمن التباعد بين هذا الجزء من الوطن العربى وبقية اجـــزائه . ولم يبدا الاهتمام باقتصاديات اليمن الجنوبى ، والعمل على تجميع اجزائه المفتتة الا منذ سنوات قليلة ، كنتيجة مباشرة للظروف الاقتصادية والسـياسية التى هزت الاستعمار .

كانت **عدن** — عاصمة اليمن الجنوبى — هى مركز النشاط فى جنوب الجزيرة العربية ، تديرها **شركة الهند الشرقية** ، ثم حكومة الهند ، وكانت العملة السائدة فيها هى الروبية الهندية ، غيرانها اعتبرت مستعمرة تتبع التاج البريطانى بشـكل مباشر فىسنة ١٩٣٧ حينمالاحت تباشير استقلال الهند . أما المناطق المحيطة بعدن فكانت تتمتـع بنظم ادارية متباينة فى شكل سلطنات وامارات ومشيخات ترتبط ببريطانيا بمعاهدات صـداقة وحماية واستشارة ، تجعل لبريطانيا اليد الطولى فى توجيه الامور ، ولم تهتم بريطانيا بالتفكير فى توحيد المنطقة الا منذ سـنة ١٩٥٤ ، وسـارت شوطا كبيرا فى هذا المجال سنة ١٩٥٩ . ولم يكن ذلك مصادفة ، او من قبيل الرغبة فىتصحيح الاوضاع فى المنطقة، ولكنه كان كرد فعلللثورات التى اجتاحت الشرق الاوسـط وهـددت مركز الاستعمار ، وبالذات ثورتى مصر والعراق ، وكذلك قيـام الوحدة بين مصر وسـوريا ، وبدء تجمع البلاد العربية نحو فلسفة موحدة .

وارتبط الاهتمام بتنمية بعض نواحى الانتـاج فى البـلاد بالرغبة فى توطيد مركز بريطـانيا ، ولمواجهة التطورات التى اصابت المنطقة ، فنجد مثلا أن الاهتمام بزراعة القطن الطويل التيله فى **أبين ولحج** بدا فى سنة ١٩٤٨ بعد أنخرجت مصر من منطقة الاسترلينى، وبدات علاقتها الاقتصادية ببريطانيا تتوتر ، كما أقيم معمل تكرير البترول فى سنة ١٩٥٤ عقب قيام مصدق بتأميم البترول فى ايران .

وحتى هذه التنمية، نجدها كانت تتم فى حدود، بما يضمن التبعية الاقتصادية لبريطانيا ، وعدم قيام اقتصاد متوازن فى المنطقة .

وقد صور **سلوين وهولند** — وهما الخبيرأن الانجليزيان اللذان استدعتهما حكومة اتحـاد الجنوب العربى وقتذاكلدراسة الحالةالاقتصادية للاتحاد — الوضع بقولهما « ان الجنوب العربى بلد يجمع بين أضداد غاية فى التناقض » ولخصا الحالة فى الاتى :

- عدن ذات اقتصاد عالى التخصص يعتمد على التجارة ، وتوفر المرافق لتمـوين السـفن بالوقود .
- مصفاة فى عدن تقوم على استيراد الخام وتكريره .
- مناطق قريبة من عدن تزرع محاصـيل اقتصادية اما للتصدير كالقطن ؟ او لاسـتهلاك سوق عدن بالذات كالفاكهه والخضر .
- معظم اجزاء الاتحاد تفتقر الى موارد المياه السهلة ، وطبيعة ارضها جبلية ، ومواصلاتهـا سيئة ، وتفتقر الى الامن .
- بالرغم من انخفاض معدل الدخل القومى للفرد ، فهناك تباين كبير بين متوسط الدخل فى عدن وفى المناطق الاخرى .
- توسع فى الاستثمار فى البناء، وعدم وجود شكل من اشكال النمو فى الصناعة . وحـالة الصناعات القـائمة كالملح والحرف اليدوية فى تدهور .
- اعتماد متزايد على مصروفات الحـكومة البريطانية . ويقدر ان نصف الانتاج المحلى سنة ١٩٦٥ انما يرجع بصورة مباشرة أو غير مباشرة لهذه المصروفات [بلغت المعـونة ثلاثة ارباع مصروفات حكومة الاتحاد، وثلثى مصروفات جميع الحكومات الداخلة فى الاتحاد] .

وخرج الخبيران من ذلك بأن انسحاب القوات البريطانية سيخل بالحالة المالية ، ويؤدى الى تعطل من ٢٠ ٪ الى ٢٥ ٪ من الايدى العاملة .

نستنتج من ذلك انه لم يـكن هناك تخطيط للتنمية ، وان ماحدث من نمو لبعض قطـاعات الانتاج لم يكن الا نموا عفويا ، نتيجـة لظروف طارئة ، مما جعل الاقتصاد القومى ، بل والوضع الاجتماعى يواجه بمشاكل حاسـمة ، كان على حكومة الثورة ان تواجهها بـكفاية . وتحتـاج المسائل السابقة الى بعض الدراسة ، لتحـديد ابعادها ، وعمقها ، لانه على هدى هذه الدراسة يمكن ادراك طبيعة المشاكل التى واجهت حكومة الثورة فى اليمن الجنوبى ، وكيف حاولت انتذلل ماامكنها تذليله منها فى مدى سـنة واحدة من حكمها .

انخفاض الدخل وتباين مستوى المعيشة

اذا نظرنا الى جمهـورية اليمن الجنـوبية الشعبية كوحدة نجد أن بعض التقديرات التى أعدت عن الدخل القومى تبين أن متوسط دخل الفرد بلغ فى سنة ١٩٦٥ حوالى ٥٠ جنيها فى السنة ، وهو تقدير فيه بعض المبالغة ، ومع ذلك فان المتوسط كان أقل من ذلك بكثير، حينما أعلنت الجمهورية كنتيجة مباشرةلتوقف الانفاقالبريطانى سواء فى شكل مصروفات لجيش الاحتلال ، أو معونات نقدية لحكومة الاتحاد ، او لانسحاب بعض رؤوس الاموال وطنية وأجنبية ، واقفـال قناة السويس ، وانخفاض الانتاج نتيجة للثورة، وكذلك هجرة بعض الخبرات الفنية ، ولا نعتقد أن متوسط الدخل كان يزيد عند قيام الجمهورية

عن ٤٠ جنيها للفرد فى العام .

ولايدل متوسط الدخل على الدخل الحقيقى ، أو الشكل الذى كان موزعا به ، فالقسم الاكبر من الدخل ينصب فى عدن والمناطق المجاورة لها، ويقدر متوسط الدخل فى عدن بأكثر من ضعفه فى اى منطقة اخرى فى البلاد ، ومن تقديرللدخل فى بعض المناطق الزراعية فى حضرموت وجد أنه لايتعدى ١٨ جنيها للفرد فى العام .

ومتوسط الدخل على ضآلته موزع بشكلسىء، اذ يستقطب الدخل فى أرباح التجار ، ومرتبات العاملين فى الدولة والمشروعات الكبيرة . ومن تقديرات ضريبة الدخل المفروضة فى عدن وجد أن نسبة الخاضعين ممن يقل دخلهم عن ٤٠٠ دينار [جنيه تقريبا] فى العام كانت نسبتهم ٤٢٪ فى سنة ١٩٦٧/٦٦ . واذا استبعدنا أصحاب الدخول حتى ٤٠٠ دينار نلاحظ انءنسبةالخاضعين للضريبة ممن حصلوا على دخل يتراوح بين ٤٠١، ٨٠٠ دينار فى السنة لم يتعد ٣٧٪ ، وما يعنى تراكم الدخول العالية فى فئة ضئيلة ، وهو مايشكل خطورة اقتصادية واجتماعية . لانه يعنى أن اى مشروعات يمكن أن تقام عليها أن تهتم بهذه الفئة ذات الدخل العالى ، الا اذا عملت الحكومة على الحد من اثرها .

فقد كانت هناك اذنءمشكلتان : الاولىانخفاض الدخل العام، مما يضعف من النشاط الاقتصادى، ويحد من قدرة الدولة على فرض الضرائب ، والثانية سوء توزيع هذا الدخل مما يؤدى الى تفاوت كبير فى المستوى الحضارى ، ومايعنى صعوبة العمل لارضاء قطبى الرحى فى المجتمع.

واذا كان من الممكن معالجة المشكلة الثانية عن طريق زيادة الضرائب على الدخول العالية ، أو على مايستهلكه أصحاب هذه الدخول منسلع، الا ان المشكلة الاولى لايمكن مواجهتها الا فى الاجل الطويل عن طريق تنمية الموارد القومية ، وهذه تحتاج الى تمويل خارجى كبير .

طبيعة اقتصاد اليمن الجنوبى

يتميز اقتصاد اليمن الجنوبى بتغلب طابع الخدمات عليه ، فبينما تقدر نسبة الخدمات فى الدخل القومى بما يتراوح بين ٧٥٪ ، ٨٥٪ نجد أن نصيب الزراعة والصناعة لايتعدى من ٢٠٪ الى ٢٥٪ من الدخل . ولهذا يعتبر اقتصاد البلد اقتصاد خدمات .

وتتلخص عناصر الخدمات فى :

أ — ماكان يقدم لقوات الاحتلال من خدمات كانت تقدر بحوالى ١٠ ملايين دينار فى السنة ،

ب — خدمات ملاحية للسفن العابرة ، وكان عددها يتراوح بين ٥٠٠ ، و ٦٠٠ سفينة فى الشهر تمر بميناء عدن وحدها ، وقدرت قيمة الخدمات المقدمة لها بحوالى ٥ ملايين دينار سنة ١٩٦٥ . وذلك بالاضافة الى المواد البترولية المقدمة لها وقدرت قيمتها بأكثر من ٢٠ مليون دينار ،والدخل الناتج من هذه العملية ويقدر بحوالى ٢ر٥ مليون دينار .

جـ — توزيع التجارة ، والتخزين للمناطق المحيطة ، ويقدر مايعادل تصديره من السلع المستوردة بحوالى الثلث ، غير ان اهمية التخزين واعادة التصدير اخذت تقل فى السنوات السابقة على الاستقلال كنتيجة لنمو بعض موانى المنطقة كجيبوتى ، والحديدة .

وقد ترتب على هذا الوضع الاهتمام بجعل المنطقة ، لاسيما عدن وماحولها منطقة حرة ، او سوقا لعرض منتجاتالبلدان الاجنبية المختلفة، فتضخم راس المال التجارى ، وتركز النشاط على المضاربة ، فلم تجد الزراعة والصناعة حاجتها للتمويل ، وان كانت المبانى قد نشطت فانما يرجع ذلك لظروف عارضة ، هى وجود القاعدة البريطانية ومايرتبط بها من نشاط وما تتطلبه من عمالة .

والملاحظ ان القسم الاكبر من راس المال التجارى ، تتحكم فيه قوى اجنبية ، فجميع البنوك العاملة فى البلاد باستثناء بنك واحد — هو **بنك الجنوب العربى** — فروع لبنوك اجنبية ، وحتى هذا البنك الاخير ، غالبية اسهمه تحوزها البنوك الاجنبية القائمة . [من هذه البنوك فرع واحد للبنك العربى تبلغ نسبة ودائعه ٨٪ ، وبنك باكستانى نسبة ودائعه ٤٪ ، وفروع البنوك الانجليزية الخمسة قيمة ودائعها ٨٦٪ منمجموع ودائع البنوك مجتمعة] .

اما عمليات التأمين فغالبيتها تتم عن طريق وكالات لشركات اجنبية ، وكذلك الحال بالنسبة لوكالات الشركات التجارية الكبرى فانالمسيطرين عليها من الاجانب .

ويعنى هذا الوضع تأثر الاقتصاد اليمنى الجنوبى بكل مايؤثر فى التجارة الخارجية ، وفى مسارها ، وفى المسيطرين عليها . فقد ادىنشاط الموانى المجاورة الى ضعف حركة التجارة، والتى تأثرت بشكل واضح باقفال قناة السويس اذ لم يعد يمر بالميناء الا ربع ماكان يمر بها ، وادى هروب راس المال والتبعية المصرفية الى ارتفاع تكاليف الائتمان المصرفى فيزيد سعر الفائدة عن ١٠٪ سنويا ، وتصل الفائدة التى يحصلها المرابون فى الريف الى حوالى ٣٠٪ سنويا . كما ادى خروج الجيش البريطانى وتوابعه الى نقص القوة الشرائية بشكل ملحوظ، واخلاء الكثير من المبانى، وبالتالى تعطل قدر طيب من راس المال المغرق فيها . ولم تستفد ميناء عدن باقامة اى نوع من صناعات التصدير ، او

التجميع ، او حتى الاستفادة من تبادل العملات على نطاق واسع كما هو الحال فى الموانى او المناطق الحرة .

وفى الوقت الذى كان يشكو فيه السوق من نقص الاموال نتيجة للظروف الاقتصادية التى تمر بها بريطانيا ، واتجاهها الى الانكماش ، فان المدخرات العامة كانت مستثمرة فى سندات بريطانية ، او مودعة فى حسابات فى بريطانيا لتغل فائدة تتراوح بين ٥٪ ، ٦٪ ولتعود مرة اخرى لتقرض للمواطنين وللمشروعات المحلية كما قلنا بفائدة تزيد على ١٠٪ .

ولم تقتصر المدخرات العامة على الاحتياطيات الخاصة بتغطية النقد ، وانما ايضا احتياطيات المشروعات العامة ، واحتياطيات العاملين فى المشروعات الخاصة ، والاحتياطيات الحسابية لشركات التأمين .

وقد ادى هذا الوضع الى انخفاض قيمة الاحتياطيات بالنسبة للذهب والدولار كنتيجة لانخفاض قيمة الاسترلينى بنسبة بلغت ٤٠٪ منذ سبتمبر سنة ١٩٤٩ حتى نوفمبر سنة ١٩٦٨ .

التنمية الزراعية والصناعية واعتمادها على الخارج

بالرغم من ضخامة الامكانيات الزراعية والصناعية فى البلاد ، الا ان الجزء المستغل منها ضئيل الى حد كبير ، فلا يزرع من الارض غير حوالى ربع المساحة الصالحة للزراعة ، وتكاد لاتعرف المخصبات الصناعية ، وتزرع اغلب الاراضي محصولا واحدا فى العام ، ولاتوجد سياسة لتحسين البذور او انتقائها . وتصدر المحاصيل دون تصنيعها ، وما حول القيام به من صناعات لقى سوء المعاملة من الدولة وتركتها تنهار .

فبالرغم من الاعتماد الاساسى فى الغذاء على الارز ، فانه بأجمعه يستورد من الخارج ، ومع امكانية زراعة القمح والتوسع فيه الا ان حرية الاستيراد جعلت القمح الاجنبى هو الاساس فى السوق . ويزرع القطن طويل التيلة فى لحج وابيان لايصنع ، وليسد كل او بعض الاحتياجات المحلية وانما ليصدر ، وحينما قامت محاولة لعصر بذرته وصناعة الصابون فانها لم تلق الاهتمام الواجب فاقفل المصنع بعد ان انفق عليه بضعة الاف من الجنيهات .

وقد نمت بعض مزارع الخضر والفاكهة فى المناطق القريبة من عدن لمواجهة احتياجات الطلب الذى كان يعتمد على الاجانب ، والقوات الأجنبية ، والسفن العابرة، غير ان تغير الظروف يصاب هذه المحاصيل بالكساد ، وليست هناك وسائل لتصريف هذه المنتجات فى الداخل باسعار مناسبة ، او توجد مصانع لحفظها حتى يمكن الاستفادة بها فى غير مواسمها .

وحتى محصولى الدخان والبن ، وهما من المحاصيل ذات الطلب المرتفع فى العالم ، لم تهتم الدولة بالعناية بهما ، مما ادى الى صعوبة تصريفهما ، وانخفاض سعرهما .

واهم صناعة فى البلاد هى صناعة تكرير البترول ،وهى تعتمد على استيراد الخام من الخارج ، وتصدر المنتجات النهائية للخارج ايضا، تاركة قدرا بسيطا للاستهلاك المحلى . ولم يتم الاهتمام الجدى بالبحث والتنقيب عن البترول فى البلاد ، بالرغم من ان شركة **بان امريكان** للبترول مضت عدة سنوات للبحث عنه فى منطقة حضرموت ولم تهتم شركة التكرير بانشاء صناعات بتروكيماوية يمكن ان تستفيد بها ، والقسم الاكبر من الغاز الناتج من التكرير يحرق ولا يستفاد منه .

ولاتكاد توجد فى البلاد صناعات تذكر ، بعد ذلك باستثناء تعبئة المياه الغازية ، وتحضير اللبن من اللبن المجفف المستورد ، وتجفيف الاسماك وتمليحها ، وبعض المناسج اليدوية البدائية ، وواجهت الصناعات الصغيرة التى قامت الكثير من المتاعب كالزيت ، والاثاث والجلود ،وتعليب الاسماك .

ضخامة المنفق على الجهاز الادارى وقصوره

الملاحظ على الميزانية العامة للاتحاد قبل الثورة ضخامة نسبة المنفق على الجهاز الادارى بالقياس الى الدخل القومى ، وذلك فى نفس الوقت الذى تشكو فيه الحكومة من عجز هذا الجهاز عن اداء الالتزامات الضرورية للدولة ، والنقص الكبير فى الاجهزة العاملة فيها . ويرجع هذا التناقض الى عاملين : الاول اهتمام بريطانيا بتعزيز اجهزة الامن والدفاع على حساب الاجهزة الانتاجية والثقافية الاخرى ، والثانى دفعها للمخصصات قبل جلائها عن البلاد .

وتقدر نسبة الانفاق الحكومى قبل الثورة الى الدخل القومى بما يتراوح بين ٤٥٪ ، ٥٠٪ ، وحتى لايثير هذا الوضع المتناقض مشاكل كثيرة فقد كانت بريطانيا تتحمل من ٥٠٪ الى ٥٥٪ من هذه الميزانية ، وكان على حكومة الثورة ان تواجه هذا الانفاق الكبير او تجد وسيلة لخفضه .

لقد قفز الانفاق العام بنسبة ٢١٦٪ خلال خمس سنوات [من ٦٢/٦٣ الى ٦٧/٦٨] وارتفعت المرتبات بنسبة ١٨٠٪ ، والمصروفات الجارية بنسبة ١٢٢٪ ، كما زادت نسبة الانفاق على الانشاءات والتجديدات [اغلبها انفاق

عسكرى] بنسبة ٦٢٣٪ . وحتى يكون كلامنا اكثر تحديدا نذكر ان الزيادة فى نفقات القوات المسلحة خلال المدة زادت من ٧ر١ مليون دينار الى ٩ر١٣ مليون دينار . وقد اعطى السيد رئيس الجمهورية صورة من الزيادة فى المرتبات فى البرنامج الوزارى المعلن فى ٢٧ يونيو الماضى ، فأشار مثلا الى ان مرتب الموظف المدنى ارتفع فى ادنى السلم بأكثر من ٥٠٪ ، وارتفع من هم فى اقصى السلم بنسبة تزيد على ٣٠٪ فى مدى ثمانى سنوات [من ٥٨ الى ٦٦] وارتفع اجر الجندىبنسبة ٦٨٪ والضابط الكبيربنسبة ١٥٪ . وذلك دون ان ترتبط هذه الزيادات بارتفاع فى الكفاية ، او زيادة اكيدة فى الدخل القومى .. وكل مايمكن تصوره ان هذه الزيادات المفتعلة كانت كنوع من الرشوةللجهاز الادارى والعسكرى لضمان ولائه من ناحية، وليكون مشكلةلاىحكومة تخلف الاستعمار من ناحية اخرى ، وهو يشبه ماحدث فى كثير من البلاد المستعمرة قبيل استقلالها .

عجز ميزانية الدولة

لاتنحصر مشكلة الدولة فى زيادة نسبةالانفاق العام ، وانما عجز الايرادات عن مواجهةالانفاق العام ، فالملاحظ ان الايرادات المتحصلة كانت تغطى اجور الموظفين ، بل ان هذه الاجور زادت عنها فى سنة ٦٧/٦٨ بحوالى ١٩٪ . ومعنى ذلك انه بعد دفع المرتبات لايتبقى شىءفى الخزانة للانفاق على المصروفات الجارية او المتجددة ، والمصروفات الاستثمارية .

وتمشيا مع فلسفة الحرية الاقتصادية التى فرضتها بريطانيا فى شكلها البدائى ، فان الضرائب المباشرة وغير المباشرة المفروضة لم تكن لتغطى اكثر من ١٦٪ من المصروفات العامة ، ولاتزيد نسبتها قليلا عن ٧٪ من الدخل القومى.

وتفتقر الميزانية الى الاسس التقليدية التى كانت سائدة فى بريطانيا نفسها منذ اواخرالقرن الثامن عشر ، وهى ان تكون متوازنة، وانتحكمها أسس موحدة . ففضلا عناختلال الميزانيةالعامة، فان النظم الضريبية التى كانت سائدة فى الاتحاد تختلف من منطقة الى اخرى ، فنجد ان**حضرموت** مثلا كان يسرى فيها نظام جمركى متكامل ، تفرض فيه الرسوم على جميعالسلع ضرورية أوكمالية، وفى نفس الوقت لاتكاد توجدضرائب على الدخل، وفى عدن كانت هناك ضريبة على الدخل محدودة الاثر ، ولاتفرض رسوم جمركية الا على القليل من السلع وهى السجاير ، والكحوليات والقات.

التفكك الادارى

كان فى جنوب اليمن قبل استقلالها اكثر من ٢٥ وحدة ادارية فى شكل سلطنة او امارة أو مشيخة او محمية اندمجت على فترات فى شكل اتحاد عرف باتحاد الجنوب العربى ، وكان يضم المحمية الغربية المكونة من ١٧ وحدة زيدت قبيل الاستقلال الى ١٩ ، والمحمية الشرقية وتضم ٥ سلطنات ، ومحمية عدن . وقد بدا الاتحاد فى فبراير سنة ٥٩ بين امارات بيحان والضالع وسلطنة الفضلى ويافع السفلى والعوالق العليا، ثم توالى انضمام السلطنات المختلفة الى اتحاد امارات الجنوب العربى . فانضمت سلطنة**لحج** فى اكتوبر سنة ٥٩ ، **والعوالق السفلى والعقربى ودثينة** فى فبراير سنة ٦٠ وانضمت **الواحدى** سنة ٦٢ ومحمية **عدن** فى يناير سنة ١٩٦٣ .

وكان لكل وحدة نظامها الخاص ، ويحكمها فى كثير من الاحوال النظم القبلية والعشائرية ، ولم يحاول الانجليز بالرغم من تغلغلهم ، وسلطتهم على الحكام العمل على توحيد النظم او رفع الحواجز بينها الا قبيل الاستقلال ، ومع ذلك فقد كان الملاحظ عدم المساس ببعض التنظيمات بحجة المحافظة على موارد الوحدة او اوضاعهاالخاصة .. وقد ادى هذا التفكك الادارى الى اضعاف الوحدة الاقتصادية والفكرية ، وتعزيز النعرات القبلية الفردية ، وان لم يحل فى النهاية دون الثورة الشاملة على الاستعمار .

ومما زاد المشكلة حدة ، صعوبة المواصلات ووعورتها ، او بمعنى آخر عدم اهتمامالاستعمار بربط البلاد بسلسلة من الطرق الداخلية ، فيما عدا القليل الذى يمس النواحى الاستراتيجية . ونتيجة لان كل وحدة كانت مسئولة عن مرافقها ونظرا لنقص موارد المدخرات فىتفككها،فلم تنشأ فيها طرق ممهدة ، وحتى بالنسبة لبعض الوحدات التى كان فيها بعض الموارد كانت تعزف عن اقامة الطرق حتى لاترتبط الوحدات بشكل يحد من سلطة الحكام .

والغريب انه بالرغم من أن بريطانيا تعتبر اول دولة استخدمت السكك الحديدية ، ومن أكبر الدول البحرية ، الا انها لم تحاول مد اى خط حديدى فى البلاد او تنشىء اسطولا محليا يربط السواحل التى تمتد حوالى ٧٠٠ ميل ، أو يربط البلاد بالجزر التى يمتد بعضها لابعد من ٣٠٠ ميل الى الجنوب .

نقص الخدمات الصحية والتعليمية

بالرغم من ان عدد السكان لايزيد على المليون ونصف المليون ، فان الاستعمار لم يهتم برفع المستوى الصحى والتعليمى للناس ، واذا رجعنا الى ميزانية التربية والتعليم والثقافة والارشاد والصحة نجدها لم تتعد مبلغ ٢ر٤ مليون دينار فى ميزانيةسنة ٦٧/٦٨ ، ونجد ان ميزانيةالدفاع والداخلية تصل الى ١ر١٤ مليون دينار . اىانه

بينما كان يقلّ نصيب الفرد فى النواحى الصحية والتعليمية والثقافية عن ٣ دنانير فى العام ، فان معدل ماينفق على الدفاع الداخلى والخارجى حوالى ٥ر٩ دينار .

وكان الاهتمام بالتعليم فى عدن يفوقه فى الولايات الاخرى ، وقدر متوسط نفقات التلميذ فى الابتدائى والاعدادى والثانوى فى عدن فى ميزانية ٦٥/٦٦ بحوالى٤٤ دينارا مقابل ٢٩دينارا فقط للتلميذ فى الولايات .

ووفقا لقوانين محمية عدن كانت الحكومة المحلية ملتزمة بتوفير التعليم الابتدائى والاعدادى ومدته سبع سنوات لكل طفل يولد فى عدن، وهو التزام لم يتحقق فى الولايات الاخرى ، ومع ذلك فقد كانت فرص التعليم مقصورة على الاجانب ، واصحاب الدخول العالية والمتوسطة ، وكانت القلة القليلة من أصحاب الدخول الدنيا هى التى كان يمكنها ان تدفع بأولادها للمدارس سواءكان ذلك بأجر أو بدون أجر .

واذا رجعنا الى احصاءات التعليم نجد ان نسبة الطلبة الى السكان فى مراحل الابتدائى والاعدادى والثانوى كانت ٦ر٦٪ فى عدن فى سنة ٦٥/٦٦ مقابل ٤٪ فقط فى الولايات الاخرى .

وحتى ندرك المستوى التعليمى نجد الاحصاءات تشير الى ان نسبة المعلمين المدربين وغير المدربين الذين انهوا المرحلة الثانوية وكانوا يدرسون فى المدارس الابتدائية والمتوسطة فى ولاية عدن لم يزيدوا عن ٣٩٪ ، وان نسبة هؤلاء ويقومون بالتدريس فى المدارس الثانوية والعالية وتدريب المعلمين كانت اقل من ٢٨٪ . وذلك فى سنة ١٩٦٦ . اما نسبتهم فى مدارس الولايات فكانت فى حدود ٥٪ . اى أن غالبية المدرسين فى مختلف مراحل التعليم الموجودة كانت مؤهلاتهم اقل من اتمام الدراسة الثانوية .

ولم تكن الحكومة لتشجع التعليم فى الخارج، فمن كان يحصل على منحة دراسية من الموظفين كان يوقف صرف مرتبه ، واذا كانت مدة الدراسة سنتان فأكثر الزم بالاستقالة من عمله .

ويؤثر التعليم فى الشكل الادارى الهرمى ، وطريقة توزيع الدخل ، فالوظائف الكبرى كانت فى غالبيتها سواء فى الدولة او فى الشركات فى يد الاجانب ، او ابناء كبار التجار الذين كانت ظروفهم تمكنهم من تعليم اولادهم فى الخارج . اما ابناء الطبقة المتوسطة فكانت تشغل الوظائف العادية ، وكان من النادر ان يصل الى الوظائف الحكومية ابناء الطبقة العمالية ، وبالأخص اولئك الذين يعيشون خارج عدن .

وكما يتباين المستوى الثقافى، ويعكس اثره على الدخل ، فكذلك الحال بالنسبة للمستوى الصحى، فباستثناء عدن، لم يكن هناك اهتمام يذكر بالرعاية الصحية وانشاء المستشفيات ، مما ادى الى انتشار الاوبئة وارتفاع معدل الوفيات، وكان على حكومة الثورة ان تواجه انخفاض المستوى التعليمى ، وتدهور المستوى الصحى لاسيما بعد انسحاب عدد كبير من الاطباء الاجانب .

اطار المشاكل وسياسة الحكومة

لم يكن حل المشاكل التى واجهت حكومة الثورة فى اليمن الجنوبى بالامر الهين .

فالبلد كماذكرنا كانت مفككة اداريا، والمواصلات بين اجزائها ليست سهلة ، ويعتمد الاقتصاد القومى على الخدمات التى تدهور الطلب عليها كنتيجة لاقفال قناة السويس ولانسحاب قوات الاحتلال . والزراعة متخلفة لاتغطى الا قدرا بسيطا من الاحتياجات العامة، ومحصول التصدير الرئيسى وهو القطن قد انخفض انتاجه بأكثر من النصف نتيجة لحرب الاستقلال . وتركت الاجور تتضخم دون رابط ، بهدف زيادة الاعباء العامة دون اهتمام بزيادة الانتاج . واخذت بعض الشركات الاجنبية تخفف من نشاطها وتسحب جزءا من استثماراتها ، وتتجه الى البنوك لتغطية عجز التمويل سواء بالسحب على المكشوف او بضمانة مالها من اصول ثابتة ، وفى نفس الوقت قامت العناصر المضادة للثورة والمرتبطة بالاستعمار بتهريب ما امكنهم تهريبه من اموال ، وعملت البنوك من ناحيتها على رفع سعر الفائدة ، ورفع حدود الضمان للعملاء من المواطنين .

وادت تصفية القاعدة وخروج الجيش البريطانى، وبعض كبار العاملين من الاجانب الى تسريح من كانوا يعملون معهم ، وقدر عدد هؤلاء بحوالى ٣٥٠٠٠ عامل او مايزيد عن ١٥٪ من سكان العاصمة ، ومما زاد المشكلة حدة ان بعض الشركات الاجنبية لجأت الى تشجيع بعض العاملين فيها على ترك خدمتها مقابل منحهم مكافآت مغرية .

وانتهز بعض الشركات والتجار فرصة انخفاض الاسترلينى وانتقال السلطة الى يد الحكومة الوطنية ، فعمدوا الى رفع اسعار مختلف المواد ، لاسيما الوقود والمواد الغذائية .

وترك الاستعمار جهاز الدولة ضعيفا اذ كانت فرصة المواطنين لشغل المناصب الاشرافية محدودة جدا ، ولم تكن العناصر التى تشكلت منها اول حكومة وطنية ممن سبق لهم ممارسة السلطة، او التدرج فى الوظائف العامة . وكانت ميزانية الدولة تواجه عجزا ضخما ، مايرادات الدولة لاتكفى لتغطية مرتبات الموظفين والمصروفات الجارية ولانقول الاستثمارية، وتكون نفقات الدولة لاسيما غير الانتاجى منها نسبة طيبة من الدخل القومى .

وكانت أوضاع العالم خارج الجمهورية الوليدة ليست مواتية ، فقد كانت سيطرة الجبهة القومية التي حملت لواء حرب الاستقلال وارتباطها بسياسة ثورية متحررة ، معناها اثارة الخوف في البلاد المجاورة المهادنة للاستعمار او المتحالفة معه . وكانت الجمهورية العربية المتحدة حاملة لواء الثورة الاجتماعية والتحرر في الشرق الاوسط تواجه نكسة قاسية ، وتركز همها في شحذ القوى لطرد الغزاة من الارض العربية المحتلة ، وكانت الدول الاشتراكية في جانب آخر ، اما منشغلة بمواجهة قوى الاستعمار والامبريالية في فيتنام او مترقبة لسير الاوضاع في البلاد . وكان من الواضح ان الجمهورية لاتنتظر املا في معونة مستعمريها السابقين ، اذ لم يكن متصورا ان تطردهم من الباب وتسمح لهم بالتسلل من النافذة في شكل خبراء ومشرفين على جهازها الوطني ، ولم يكن من المنتظر ايضا ان تتقدم بطلب المعونة من الولايات المتحدة وهي عميدة الامبريالية في العالم المعاصر .

وكان معنى نجاح **الجبهة القومية** انتصار لفلسفة الاشتراكية والتحرر الوطني ، واندحار **لجبهة رابطة ابناء الجنوب ، وهيئة تحرير الجنوب العربي** ، وهي التجمعات المهادنة للاستعمار التي لاتريد تغييرا جذريا للاوضاع العامه . وبمعنى آخر اشتداد الصراع الداخلي ، مع بدء تنفيذ السياسة التي تضمنها الميثاق الوطني الذي اقره المؤتمر الاول للجبهة القومية ، والذي عقد في الفترة ٢٢ — ٢٥ يونية سنة ١٩٦٥ .

ولكي ندرك الاتجاه الذي كان على حكومة الثورة ان تتخذه يمكن ان نلخص السياسة التي حددها الميثاق الوطني في الاتي :

● ايجاد اوضاع اجتماعية تخدم الجماهير المحرومة وذلك بتحطيم الادوات السياسية القائمة على الاستغلال واسقاط حكم السلاطين والقضاء على المؤسسات الاستعمارية .

● تأكيد الوحدة الوطنية او وحدة التراب التي تضم المحميات السابقة وجزر كوريا موريا ، وكمران وميون وسقطرة وجميع الجزر الواقعة على الساحل غربا وجنوبا .

● التحرر الكامل من الوجود الاستعماري وتخليص الشعب من سيطرته الاقتصادية والعسكرية والسياسية .

● اعادة وحدة الشعب العربي في اليمن شماله وجنوبه كخطوة نحو وحدة عربية متحررة، على ان تتم على اسس شعبية سليمة .

● التحرر الاقتصادي من سيطرة الراسمال الاجنبي والشركات الاستعمارية والاحتكارية ، واعادة بناء الاقتصاد الوطني على اسس جديدة وسليمة تتمشى مع مبادىء العدالة الاجتماعية ، ويتحقق من خلالها سيطرة الشعب على مصادر ثروته ، ووسائل الانتاج .

● تعبئة الموارد القومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

● مشاركة القطاع الخاص في التنمية على ان يبتعد عن الاستغلال والاساليب الاحتكارية ، ويقتصر عمله على المجالات وضمن الحدود التي يسمح له بالعمل فيها سواء منفردا ، اومشتركا مع القطاع العام .

● اعادة توزيع الاراضي التي اغتصبها السلاطين من الشعب ، واستصلاح الاراضي البور وتوزيعها على المعدمين .

● النهوض بالزراعة ، والعمل على زيادة انتاجية الارض ، ورفع مستوى المزارع وحمايته من الاستغلال ، وصيانة حقوق العمال الزراعيين .

● وضع خطة شاملة لتوجيه راس المال الوطني ، وتشجيع الادخار ، والحصول على القروض والمعونات غير المشروطة من الخارج ، والسماح للاستثمار الاجنبي في بعض المجالات .

● تطوير الصناعة المحلية ، وتصنيع الحاصلات الزراعية والحيوانية والثروة السمكية . وكذلك اقامة صناعات جديدة تتوافر مواردها الاساسية ، والاهتمام بصناعة البترول والبتروكيماويات ، وصناعات الملح والغزل والنسج والسفن والاسمنت ومواد البناء والاسمدة .

● تحرير راس المال الوطني من السيطرة الاجنبية ، وانشاء بنك مركزي يملكه الشعب ، ويقود الحركة المالية .

● تنظيم التجارة الداخلية والخارجية ، وانشاء مؤسسات عامة للقيام بهذه المهمة .

● اعادة تنظيم التعليم على اسس ثورية ، وعلمية لتحقيق اهداف الشعب ، وتوفير التعليم المجاني الالزامي للجميع .

● الالتزام بالاسس الاشتراكية الثورية ، وتوفير فرص العمل لكل المواطنين ، والقضاء على الفوارق الاجتماعية بين الريف والمدينة ، ومساهمة العمال في ادارة المشروعات ، وكذلك تنظيم جماهير الفلاحين ، ومساواة المراة بالرجل .

● الالتزام بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، مع دعم حركات التحرر الوطني الثورية العالمية ، ومعارضة اقامة القواعد العسكرية وسياسة الاحلاف الاستعمارية .

وقد اكدت الحكومة سياستها في البيان الصادر من القيادة العامة للجبهة القومية المنبثقة عن المؤتمر الرابع الذي عقد في زنجبار في

الاسبوع الاول من مارس سنة ٦٨ ٪ كما اكدته فى البرنامج الوزارى الذى اعلنه رئيس الجمهورية فى ٢٧ يونية سنة ١٩٦٨ .

خطوات العمل

تخوض الحكومة الوطنية طريقها فى ظروف صعبة داخلية وخارجية ، فمشكلة البطالة ملحة، وعجز الميزانية يؤرقها، وجناح له وزنه فى التنظيم السياسى للجبهة القومية يضغط لاحداث تغيير شامل فى الكيان الاقتصادى والاجتماعى باعتباره الوسيلة الوحيدة لمواجهة التحديات ، والعناصر المناوئة والعميلة تعمل من خارج الحدود، وتحشد قواها بين وقت وآخر علها تجد نقطة ضعف فى كيان الدولة تنفــذ منــه . وبالرغم من رد كل الحركات الخارجية وضربها بقسوة ، الا ان هذه العملية تزيد من الاعباء العامة .

ولسنا فى حاجة الى تحليل هذه الضــغوط التى تواجهها الحكومة ، لانها تحتاج الى مجال اوسع ، ولكنا نكتفى هنا بابراز اهم الخطوات التى اتخذتها لتحقيق الاهداف التى قامت الثورة من اجلها ، والتى يمكن ان تدرجها فى مجــالين اجتماعى واقتصادى، وان كان الارتبــاط بينهما كبيرا ، والفصل بينهما ليس بالسهل .

فى المجال الاجتماعى

من اهم الخطوات التى اتخذت فى هذا المجال اصدار قانون الاصــــلاح الزراعى ، وخفض الايجارات ، وفرض ضريبة مؤقتة على المرتبات، والغاء الضريبة الجمركية المفروضة على السلع الضرورية فى بعض المناطق، والاخذ بنظام التسعير الجبرى للسلع الاساسية. ويتميز قانون **الاصلاح الزراعى** بأخذه بمبدا المصادرة بدون عوض لاراضى ومنشآت ومواشى وآلات السلاطين والمشــايخ والامراء وحكام العهد المنهار واسرهم ، وكذلك مصادرة املاك المستوزرين واسرهم ، وكل من طرد بحكم ارتباطه بالفئات السابقة . كما يقضى القانون بمصادرة اراضى الاوقاف دون عوض ، باستثناء الاوقاف الخاصة بالاسر الفقيرة ، وكذلك مصادرته الاراضى تحت اليد ، والمهجورة — التى لم تفلح خلال ستة اشهر — والاراضى البور .

وحددت الملكية الزراعية بـ ٢٥ فدانا فى الاراضى المروية والمشجرة ، ٥٠ فدانا فى الارض البعلية، ويعوض الملاك عن الارض المستولى عليها بسندات على الدولة قابلة للتداول بين الوطنيين وذلك بعد ٣ سنوات من الاستيلاء عليها وتستهلك فى مدة ٢٥ سنة . وقد وزعت مساحات من الاراضى المصادرة فى عيد الثورة الخامس وذلك على اسر الشهداء المعدمين ، والذين اصيبوا بعاهات فى حرب التحرير ، والعمال الزراعيين المعدمين ، ويقضى القانون بامكان توزيع بعض الاراضى على الفلاحين الذين لايملكون الحد الادنى المسموح به، وكذلك المهاجرين من المدن والصحارى .وتتراوح الملكيــة الموزعة بين ٣ ، ٥ افدنة فى الاراضى المروية ، وضعف هذه المســـاحة فى الاراضى البعلية . ويتم تسديد قيمة الارض على ٢٥ سنة بفائدة ٥ر١ ٪ سنويا .

كما يقضى القانون بانشاء جمعيات تعــاونية ممن آلت اليهم الارض المستولى عليها لتسهيل زراعتها ، والحصول على الخدمات الفردية ، ويمنع القانون التعامل فى الارض المــوزعة او رهنها . كما يقضى بالغاء كافة الرهون الاستغلالية على الارض التى مضى عليها ٥ سنوات وبدون تعويض . واعادة النظر فى الرهون الاخرى .

ويشير القانون الى ان تعمــل الــدولة على انشاء مزارع جماعية ، ونموذجية من المزارع الكبيرة والبساتين، بهدف عام، ولتشجيع الفلاحين والجمعيات الزراعية على العمل الجماعى .

اما بالنسبة **للايجارات** فقد خفضـــت على المساكن التى انشئت فى السنوات الاخيرة بنسبة ٤٠ ٪ مع وضع حد اعلى للايجارات . والملاحظ ان الاستعمار قد ساعد على التوسع فى انشاء العمارات ، التى ادى زيادة الطلب الاستثنائى عليها الى رفع الايجارات الى حدود خيالية، وهناك شكوى من ان خفض الايجارات لم يراع فيــه الالتزامات المادية التى يتحملها اصحاب الاملاك، والتى قد تزيد فى بعض الاحيان عن قيمة الايجار، غير انه لوحظ ان الملاك كانوا اقل الناس تضررا من حرب التحرير ، فضلا عن ان ماحصلوا عليه من ايجارات قد غطى الجزء الاكبر من قيمة المبانى المقامة .

وكان **الغاء الرسوم الجمركية** على الســـلع الضرورية التى كانت مفروضة فى المحافظــــة الخامسة [امارة **القعيطى** السابقة] مسـألة اساسية كخطوة نحو العدالة فى توزيع الاعباء العامة ، فضلا عن كونه خطوة اساسية نحــو توحيد الميزانية — وقد فرضت مقابل ذلك رسوم تعويضية على السلع غير الاساسية المفروضة فى عدن .

وقد فرضت الدولة ضريبة مؤقتة على دخل العاملين فى الدولة ، واخرى على العاملين فى القطاع الخاص لامتصاص جزء من الزيادة التى اضيفت على الاجور دون مبرر ، والحد الاعلى للضريبة كان ٦٠ ٪ ، مما جعل **الحد الاقصى للدخل فى الحكومة هو ١٠٠ دينار** . وينتقد البعض هذه الضريبة على اساس انها فرضت على فئة محدودة، وكان يمكن ان تكون ضمن اطار عام للضريبة ، غير ان الاوضاع العامة لم تكن لتستدعى البطء ، مهما كان فى الخطوة من نقص ، ولو انهـــا

لعبت دورا هاما في ضغط الميزانية من ناحية ، والحد من الانفاق من ناحية اخرى .

ولاول مرة في تاريخ اليمن الجنوبي الذي عرف بالحرية الاقتصادية المطلقة تهتم الدولة بوضع تسعيرة جبرية لبعض السلع الاساسية ، ولنا ان نتصور رد فعلها على التجار الذين تعودوا الحرية، واضاعت عليهم هذه التسعيرة فرصة الكسب غير المشروع . ومهما كان الراى في التسعيرة الا انها تعني ان الدولة صاحبة الحق فيممارسة سلطاتها بالشكل الذي تراه مناسبا للصالح العام.

في المجال الاقتصادي

وتتلخص الاجراءات التي اتخذت في المجال الاقتصادي في ضغط الميزانية والقضاء على كل مظاهر الاسراف ، وزيادة سلطة مؤسسة النقود ورقابتها على البنوك، وزيادة الرسوم على السلع غير الاساسية، واصدار قانون التخطيط، واعداد تشريع لتنظيم الاستثمار وتشجيعه في مشروعات التنمية ، وتنظيم استغلال المناجم والمحاجر ، وانشاء غرفة للتجارة والصناعة ، واعداد نظام للسجل التجاري واعادة النظر في العقود التي تمت قبيل الاستقلال .

اما عن **ميزانية الدولة** ، فقد وضعت ميزانيات مؤقتة كل ثلاثة اشهر لمتابعة اثر اجراءات ضغط المصروفات ، وتحصيل الايرادات ، فنجد مثلا انه باستثناء المحافظة الخامسة التي تحتفظ بميزانية مستقلة ومتوازنة ، كانت مصروفات ميزانية عدن والولايات في سنة ٦٨/٦٧ حوالى ٢٩ مليون دينار، بينما لم تزد مصروفات ستة الاشهر الاولى من السنة المالية ٦٩/٦٨ عن ٥ ملايين دينار ، وينتظر ان يزيد الرقم في نصف السنة الثاني نتيجة لانشاء بعض الوظائف الضريبية ، والقيام ببعض المشروعات السريعة ، ولمواجهة حركات المتسللين على الحدود ، والمقدر ان يصل الى ٨ ملايين دينار على الاكثر اى ان الانفاق العام في السنة انخفض بأكثر من النصف . ومقابل هذا يزداد الاهتمام بالضرائب ، والقضاء على التهرب منها ، واعادة النظر فيها بخفض الحد الادنى المعفى وزيادة التدرج في السعر، ودراسة امكانية فرض رسوم جمركية على السلع غير الضرورية، وبالشكل الذي لايمس وضع الميناء الحر ، حتى يعاد النظر فيه . وقد بلغت الايرادات عن النصف الاول من السنة المالية الحالية حوالى ٦ ملايين دينار ، منها حوالى ٢ر٢ مليون دينار معونات اجنبية . اى انه باستثناء المعونات فان العجز في الاشهر الستة يبلغ ٢ر١ مليون دينار. والمقدر ان يصل عجز الميزانية خلال العام الى مايتراوح بين ٨ ، ١٠ ملايين دينار ، وهو امر يحتاج الى اهتمام .

وقد تساءل البعض عن مدى امكانية ضغط المصروفات وبالذات مصروفات الدفاع بأكثر من ذلك ، والواقع ان ذلك غير متيسر ، لان معناه اختلال النظام العام ، وليس من السهل ضغط ميزانية الدفاع في الوقت الذي تواجه فيه البلاد بحركات خارجية ، ويمكن ان يتم ذلك بالتدريج مع تحسن الظروف العامة وزوال التيارات العدوانية التي تأتي من الخارج .

وقد زيدت سلطة **مؤسسة النقد** تمهيدالانشاء بنك مركزى ، واصبح للمؤسسة الحق في تحديد اسعار الفائدة ، والاحتفاظ بنسبة معقولة من الودائع ، والنظر الى الاسترليني باعتباره عملة اجنبية كغيره من العملات الاجنبية وليس السند الاساسي للاصدار .

وبالرغم من صعوبة الظروف فان اهتمام الحكومة بانشاء **جهاز للتخطيط** ليعني انها تسير بالاسلوب العلمي ، وقد ارتبط بذلك اجراء مسح شامل للاوضاع الاقتصادية العامة وحصر للكفايات العلمية والفنية ، وانشاء جهاز للاحصاء واعداد تشريع لتنظيم الاستثمار وتشجيعه في مشروعات التنمية ، وتنظيم استغلال المناجم والمحاجر .

وقد كان من الواضح للحكومة ان قصر العمل على المجال الداخلي يعني زيادة المعاناة ، وطول المدة التي يجب ان تمضي قبل التغلب على المشاكل، وضعف التنمية العامة .ولهذا اخذت تطرق جميع الابواب للحصول على قروض ومعونات من الخارج . وقد تمت اتفاقات مع الجزائر، والعراق ويوغوسلافيا، وبلغاريا، ورومانيا ، وكوريا الشمالية ، والصين الشعبية، وقد وضعت الخطوط العريضة لاتفاق مع الجمهورية العربية المتحدة ، وهناك احتمال عقد اتفاق قريب مع الاتحاد السوفيتي . وهناك مشروع اتفاق مع المانيا الاتحادية ولكنه لم يقر بعد .

وتتضمن الاتفاقات المعقودة الحصول على معونات مادية وفنية، وتسهيلات ائتمانيةمتوسطة الاجل . ومازالت هذه الاتفاقات حتى الان عاجزة عن تغطية متطلبات الظروف الشاقة التي تمربها البلاد . وهناك أمل كبير في ان تؤدي الابحاث التعدينية عن وجود البترول ، وخام النحاس بدرجة كبيرة ، غير ان الظروف تقتضي اهتمام اكبر سواء من البلاد العربية ذات الافكار الاشتراكية ، او البلدان الصديقة اشتراكية او نامية ، على اساس ان الاستعمار ترك هذه المنطقة في اشد الحالات صعوبة ، وانه لمصلحة السلام العالمي ان تعيش هذه البلاد في امن دون ان تكون قاعدة لضغط الدول الاستعمارية ، وان نجاح الثورة المسلحة لتعني ان الذين قادوها يدركون مايفعلون ، وليس لهم مصلحة خاصة يمكنهم ان يحققوها .



ثقافة ٦٨

غالى شكرى

عام ١٩٦٨

ليس عاما ككل الاعوام ، فهو الصفحة الاولى في كتاب الرد على التحدى الذى جوبهنا باخطر مظاهره فى منتصف ١٩٦٧ . ولقد مضت الاشهر الستة من ذلك المنتصف الكئيب مضيا ذاهلا مما جرى عما جرى .

ولم يكن لدى معظم المثقفين ما يقولونه ، لان « الكابوس » ظل جاثما على مخيلتهم ووجدانهم يخنق كل فكرة ويئد كل خلجة . ولم يستطع أكثرهم هدوءا فى النفس ، وصفاء فى الذهن ، الا ان ينصت فى داخله ، وان يتأمل .

كان « الصمت » هو السحابة الثقيلة التى خيمت على العيون فى ذلك الصيف المرير ، فلم تعد قادرة الا ان توجه البصر الى الداخل . واقبل الشتاء فأمطرت السحابة مطرا غزيرا من دموع راسبة فى الاعماق ، تحجرت زمنا فى المآقى الخجلى ،

ثم ذابت فى وقدة اللهيب المستعر وظلت مدرارا سخيا من نقد الذات ونبشها من الجذور ·

وكان لابد للصمت أن ينكسر ، لانه فى أرقى لحظاته ليس الا سلبا ساكنا . واقبل عام ١٩٦٨ بعد أن جفت الدموع يعطى اشارة البدء للعمل ، للاجابة على التحدى الرابض فى جوف الهزيمة، كوحش طيبة الاسطورى الواقف عند مدخل المدينة يسأل أهلها ـ كل فرد فيها ـ سؤالا واحدا مشتركا ، فمن لا يملك الجواب يكون من نصيب الوحش ، واذا استطاع أحد من أبناء المدينة أن يقدم الجواب انتحر الوحش وهلك ، ويتم للمدينة خلاصها الابدى ·

تلك كانت حالنا فى بداية عام ١٩٦٨ وعلى طولها : لقد تعددت الاجوبة واختلفت مع بعضها البعض لا لشىء الا لنستكمل الصيغة الصحيحة للجواب على التحدى · ذلك أن التحدى لم يكن له وجه واحد لان الهزيمة لم تكن ذات وجه واحد · وانما تعددت وجوهها واقنعتها ، فكان طبيعيا أن تتعدد محاولات الاجابة عليها وأن تختلف اختلافا خصبا حيا عميقا ·

ولقد شاركت ثقافة ١٩٦٨ على الصعيد العربى فى هذه المحاولات مشاركة حقيقية وصادقة ، أصابت فيها أم أخطأت ، من هذا الموقع أو ذاك ، ولكنها فى جميع الاحوال كانت خطوة نحو الجواب الكبير على أخطر التحديات التى واجهت انساننا ·· وعصرنا ·

الكتاب العربى بين المد والجزر

اذا كانت الهزيمة قد صرفت الناس عن القراءة الى حد كبير ، اما بسبب الحالة المعنوية الهابطة التى أصابتنا جميعا غداة النكسة ، واما بسبب فقدان الثقة فى قيمة القلم كسلاح فى المعركة ·· فان الهزيمة ايضا هى التى دفعت الناس بعد ان خفت حدة الصدمة قليلا الى البحث عن ذواتهم ووجودهم فى طوايا الفكر والتاريخ والادب والفنون · ولايعنى هذا أن الحالة المعنوية قد ارتفعت تماما ولا أن الثقة قد عادت بين القراء وكتابهم، وانما يعنى على وجه الدقة ان لابديل فى الرد الحضارى على العدو عن الثقافة والاستزادة منها بأقصى مانستطيع · ولعل التغيير الملحوظ على أسواق القراءة العربية ، ان الجماهير لم تعد تتسامح كثيرا فى تقييم مستوى الكتابة العربية ، وأصبح « الاختيار » الواعى الدقيق يحدد لها الكتاب الذى يستحق أن تدفع فيه قرشا وأن تقضى معه ساعات . فلم تعد الظروف نفسها تسمح «بقتل» الوقت لاننا فى سباق مخيف مع الزمن ، ولم تعد هذه الظروف بعينها تسمح ببعثرة القرش لاننا فى ظل اقتصاديات حرب ستطول · ولاننا قبل الحرص على الوقت والمال ، قد آلمتنا الصدمة العنيفة لافكار كثيرة راسخة اهتزت اسسها وقيمها فى أعماقنا ، وأمسينا حريصين أشد الحرص على تمحيص كل فكرة تصل الى عيوننا أو آذاننا قبل أن تنفذ الى عقولنا وقلوبنا ·

لذلك يمكن القول بأن ظاهرة الجزر العنيف الذى أصاب توزيع الكتاب العربى والمجلة الثقافية العربية ، ظاهرة طبيعية ، وقد كانت الى وقت قريب ظاهرة عامة شملت الجيد والردىء جميعا. ولكنها فى نفس الوقت كانت ظاهرة مؤقتة، لم تلبث ان تحولت الى نقيضها فيما نشهده من «مد» بطىء فى سوق القراءة العربية ، وان لم تكن ظاهرة المد الى الان ظاهرة عامة ، بل هى قد اقبلت بعد « غربلة » دقيقة لافكار الكتاب ومستوياتهم ، وبعد « تنقية » شاملة للاتجاهات الفكرية التى اسهم بعضها فى صنع الهزيمة .

هكذا برزت أسماء بعض رواد الحركة الثورية المعاصرة على أغلفة الكتاب العربى المقروء من امثال « **كاسترو** » و « **جيفارا** » و « **دبريه** » و « **الجنرال جياب** » و « **هوشى منه** » فقد أصدرت دور النشر اللبنانية على وجه الخصوص كدار الطليعة ، ودار الاداب ، المؤلفات الرئيسية لهذه الاسماء خلال الشهور الاخيرة من عام ١٩٦٧ وطيلة عام ١٩٦٨ · لقد كانت هذه المؤلفات فى مجموعها ترد على السؤال الخطير الذى واجه أمتنا العربية فى ٥ يونيو ، كما واجه أمما أخرى فى العالم الثالث قبل ذلك التاريخ وبعده · كان هذا السؤال من كلمة واحدة هى « **كيف ؟** » تترجم فى ايجاز افتقادنا للدليل الذى يغير. ولقد تفاوتت اجابات هؤلاء المناضلين فى درجات عمقها ومستواها تفاوتا يعكس اختلاف مصادر تجاربهم وأصالتها · ولكنها بشكل عام كانت « دعوة » و«طريق» : هى الدعوة الى الكفاح المسلح طريقا الى التغيير والثورة ·

ولم تكن هذه المؤلفات وحدها هى صدى الهزيمة ، فقد كان الاستعمار الامريكى واسرائيل من أبرز الاصداء التى احتلت مكانها على غلاف الكتاب العربى عام ١٩٦٨ . وفى هذا الصدد كان كتاب « **٥ يونيو : الحقيقة والمستقبل** » اول تقييم عربى شامل للعدوان الاسرائيلى الاستعمارى · فقد صدرت خلال الاشهر الستة التالية للعدوان بعض الكتب الغربية التى تابعت الازمة من وجهات نظر متطرفة احيانا فى الانحياز لاسرائيل ، ومعتدلة فى القليل النادر · وجاء كتاب لطفى الخولى معبرا عن وجهة النظر العربية التقدمية فى الاحداث التى تابعها من قبل ان يبدأ العدوان ، فى أوربا ، وظل متابعا لها بعد العدوان ، على أرض الوطن · ثم توالت الكتابات العربية فى الموضوع ، بصورة أو بأخرى ، فأصدرت دار الكاتب العربى ـــ بعد كتاب ٥ يونيو : الحقيقة والمستقبل ـ كتبا حول « **الثورة العربية الكبرى فى فلسطين** » للمناضل الذى استشهد مؤخرا فوق

ارض الفداء : صبحى ياسين " وكتبا تعالج دور الامبريالية الامريكية فى العالم المعاصر بشكل عام ، وفيتنام والشرق الاوسط بشكل خاص مثل « **شعوب حطمت العدوان** » لاسماعيل عبد الحكم وكمال السيد و « **وجه أمريكا القبيح فى التربية** »لاديب ديمترى • وفى أصول حرب العصابات أصدرت دار الكاتب العربى بالقاهرة كذلك **مذكرات جيفارا** ، و **كتاب بورشت عن فيتنام** ترجمة وديع وهيب • ولقد تخصصت منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق مركز ابحاثها فى اصدار سلسلة من الدراسات الاكاديمية الموجزة عن اسرائيل مساهمة منها فى معرفة عدونا ، وكان من اهم ما اصدره المركز الذى يشرف عليه الدكتور انيس صايغ كتاب « **يوميات هرتزل** » الذى يترجم الى العربية ـ أجزاء منه على وجه أدق ـ للمرة الاولى.. وكذلك كتاب « **فى الادب الصهيونى** » الذى كتبه غسان كنفانى مستكملا الوجه الاخر لكتابه السابق « **أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة**» . وفى مواجهة الخطر الاسرائيلى أصدرت دار المعارف كتاب « **نظرة على الخطر** » لحاتم صادق ، بعد عام كامل على الهزيمة العربية فى ٥ يونيو • بينما اتجهت دور النشر السورية وفى مقدمتها وزارة الثقافة الى ترجمة الاعمال الرئيسية لاباء الاشتراكية العلمية ، حتى يتجه القارىء العربى الى الينابيع الاولى لما يجرى فى عالمنا من تحولات عميقة • هذه التحولات التى عالجتها كتب أخرى نقلتها دار الاداب البيروتية الى العربية مثل « **التحدى الامريكى** » و « **الوجه الاخر لامريكا** » •

على ان الفكر السياسى المباشر لم يكن ـ تأليفا وترجمة ـ الا وجها واحدا من وجوه الظاهرة الفكرية العاكسة للهزيمة ، فقد تأثر الكتاب الادبى ـ خلقا ونقدا ـ بما اصاب سوق القراءة من جزر عنيف ومد بطىء • وتكاد أن تكون « القصة » هى الفارس الادبى بعد الشعر فى تعبيره عن المرحلة الدامية التى نعيشها ، وان كان « النشر » عام ١٩٦٨ لا يمكن اعتباره مقياسا لموقف القصة الراهن . فمعظم الانتاج القصصى المنشور هذا الموسم قد تم تأليفه من قبل ، وليس عام ١٩٦٨ الا تاريخ « الافراج » عن هذه الكتب التى اعتقلها للنشر منذ امد طويل .وقد اهتمت دار الكاتب العربى الى جانب اعادة نشرها لبعض مؤلفات الكتاب الكبار بنشر الاعمال الشابة الجديدة فأصدرت لمحمد البساطى « **الكبار والصغار** » ولشاكر خصباك « **حياة قاسية** » ولمحمد حافظ رجب «الكرة ورأس الرجل» ولاحمد هاشم الشريف واحمد يونس واحمد الخميسى مجموعة مشتركة عنوانها « **الاحلام ـ الطيور ـ الكرنفال** » ولاكرم شريم « **لم نمت بعد** » ولعزّ الدين نجيب « **المثلث الفيروزى** » ولمحمد الشناوى «**حكايات من بلدنا**» كما اصدرت للجيل الاوسط كتبا جديدة مثل «**شرخ فى جدار الخوف** » لمحمد صدقى ، و «**الشمندورة**» للكاتب النوبى الراحل محمد خليل قاسم ، و « **راضية** »لابراهيم شعراوى ـ والكتابان من بواكير الادب النوبى المنشور بالعربية ـ و « **بعدنا الطوفان** » لسليمان فياض ، و « **النبع المر** » لابى بكر خالد ، و « **البلد** » لعباس احمد • والملاحظ ان دار الكاتب العربى قد عنيت خلال موسم ١٩٦٨ بمختلف الاجيال والاتجاهات والاقطار العربية •

وفى مجال القصة ايضا اصدرت دار المعارف « **جراح عميقة** » ليوسف جوهر ، ومكتبة مصر « **خمارة القط الاسود** » لنجيب محفوظ ، ودار الأداب « **عن الرجال والبنادق** » لغسان كنفانى ، ومكتبة الانجلو « **واحترقت القاهرة** » لاحمد حسين ، وهى الجزء الاخير من ثلاثيته التى بداها « **بازهار** » و « **الدكتور خالد** » .

أما الشعر فقد أصدرت « المعارف » باقة من الشعر المنثور لحسين عفيف عنوانها « **الغسق**» واصدرت الكاتب العربى للشعراء الجدد « **انهار الملح** » لكمال عمار ، و « **هدية صغيرة** » لناجى علوش ، و « **القلب الاخضر** » لتاج السر الحسن • ولشعراء الاجيال السابقة : « **زهرة** » من المسرح الشعرى لعزيز اباظة و « **شموع على الدرب** » لعلى هاشم رشيد و « **التائهون** » لمحمود حسن اسماعيل •

وكان النقد الادبى والدراسات الادبية وتاريخ الادب والنقد من الموضوعات التى لقيت اهتماما من الناشرين عام ١٩٦٨ ، فأصدرت دار المعارف « **النقد الادبى الحديث فى لبنان** » كتابا من جزءين للدكتور هاشم ياغى و « **الادب فى العصر الايوبى** » للدكتور زغلول سلام و « **رحلة الادب العربى الى اوروبا** » لمحمد مفيد الشوباشى ، كما اصدرت المعارف مجموعة من التراجم الادبية والفنية والفكرية عن « **الشاعر عبد الحميد الديب** » للدكتور عبد الرحمن عثمان ، و « **الامام عبد الحميد بن باديس** » للدكتور محمود قاسم و « **الشيخ بن ضرار** » لصلاح الدين الهادى

و « **جرير حياته وشعره** » للدكتور نعمان محمد امين طه ، و « **أمين الريحانى** » لعيسى ميخائيل سابا. كما اصدرت دار الكاتب العربى فى «**الرواية المصرية** » لفؤاد دوارة ، وفى الادب المقارن اصدرت « **اسطورة اوريست والملاحم العربية** » للدكتور لويس عوض، وفى الدراسات الفولكلورية أصدرت «**الحكاية الشعبية**» للدكتور عبد الحميد يونس • كما أصدرت « **قراءة جديدة لشعرنا القديم** » لصلاح عبد الصبور ، و « **أدب المقاومة** »

لعباس خضر و « **التراث النقدى قبل مدرسة الجيل الجديد** » للدكتور عبد الحى دياب .

وقد كانت الدراسات الفكرية عموما ، والفلسفية خصوصا ، من الاعمال المقروءة عام ١٩٦٨ . فقد نشرت دار المعارف طبعات جديدة لاجزاء من « **نوابغ الفكر الغربى** » و « **ذخائر العرب** » ونشرت للمرة الاولى « **فى الفلسفة الاسلامية** » للدكتور ابراهيم بيومى مدكور و « **الوادى المقدس** » للدكتور محمد كامل حسين ، و « **حوار مع برتراند راسل وسارتر** » للطفى الخولى و « **قصة الفلسفة** » للدكتور مراد وهبة . كما نشرت دار الكاتب العربى « **المعرفة عند الحكيم الترمذى** » لعبد المحسن الحسينى و «**دراسة لجمهورية افلاطون**» للدكتور فؤاد زكريا و«**القيمة والعادات الاجتماعية** » لفوزية دياب و«**محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة** » للدكتور سيد عويس ،**والاعمال الكاملة للافغانى** مع مقدمة دراسية طويلة لمحمد عمارة .

وعلى هذا النحو يبدو لنا أن الكتاب العربى قد بدأ يسترد قواه وان يتنفس ، بطيئا فى البداية ، ولكنه يحاول الاستجابة لما طرأ على العقلية العربية من موازين صارمة تحدد نجاح الكتاب واخفاقه ، فقد هبطت أرقام التوزيع فى اعقاب النكسة بالنسبة الى جميع المستويات والاتجاهات والمنابر ، ثم تغير الامر تغيرا وئيدا بالنسبة « لبعض » هذه المستويات والاتجاهات والمنابر ، و « مات » البعض الاخر و « ولد » بعض ثالث . ولا نستطيع بالرغم من هذه التعرجات فى الرسم البيانى لحركة الكتاب العربى ان نقول بانتفاء حالة «الهبوط المعنوى» تماما عند القارىء أو استعادته الثقة المفقودة استعادة كاملة .

الموجة الجديدة ، ظاهرة الموسم

اذا كان أدب الشباب وفنونه ابان الستينات ، تشكل فى مجموعها « موجة جديدة » صادفت مدا وجزرا خلال السنوات العشر الاخيرة ، فان هذه الموجة قد اثبتت وجودها خلال عام ١٩٦٨ ،كمالم تثبته من قبل . وربما كان للهزيمة المعنوية المريرة التى كابدها الشعب العربى على اثر الهزيمة المادية ، وقعها العنيف على وجدان المثقفين عموما ، والشباب منهم على وجه الخصوص . يبدو ذلك واضحا فى ادب هذا الجيل الذى راح يكتب ويرسم وكأنه يحترق ، فقد كانت الهزيمة أولى تجاربه « الجذرية » فى الحياة ان جاز التعبير .. فارتفعت معاناته لاهوالها الى اقصى درجات العذاب الوحشى . انعكس هذا العذاب بصورة عامة فى انقسام الاشكال الفنية الجديدة الى منهجين فى التعبير :

اولهما الانفتاح المطلق على الاتجاهات الحديثة فى الادب الأوروبى ، وبخاصة اتجاهات العبث واللامعقول ، فقد احس فريق هام من الادباء والفنانين الشباب بأن الارض قد تهاوت من تحت اقدامهم فجأة ، وان الكون من حولهم ينهار فوق رؤوسهم ، ومن ثم كان من الطبيعى ان يروا فى ادب التمزق الاوروبى نماذج قريبة الى ما تكتوى به وجداناتهم .

وثانيهما هو الاتجاه نحو ادب المقاومة ،فقد احس فريق آخر من ابناء هذا الجيل ان هذا اللون المناضل بين الوان الأدب المختلفة هو اللون الجدير بأن يسود ـ ويقود ـ حياتنا الراهنة ، اذ علينا ان نتجاوز الشعور السلبى بالهزيمة الى العمل الايجابى بمقاومتها .

ولم تكن الحدود بين المنهجين فى التعبير الفنى حادة ولا حاسمة ، فكثيرا ما امتزج المنهجان امتزاجا حيا عميقا يعبر عن مدى التعقيد الذى يصوغ هذه اللحظة الدامية من لحظات تاريخنا . وكذلك لم تكن الحدود بين الاجيال المعبرة عن هذه اللحظة حادة ولا حاسمة ، فكثيرا ما حاول الشعراء والروائيون وكتاب المسرح من أبناء الجيل الماضى ، ان يلحقوا بركب التجديد والحداثة شكلا ومضمونا .

ومن الطبيعى أن تتلكأ الرواية قليلا فى القيام بدورها نحو المرحلة التالية للهزيمة ، ومن الطبيعى كذلك ان يسرع الشعر والقصة القصيرة والمسرح ــ الى حد ما ــ فى القيام بهذا الدور . وكانت قصيدة نزار قبانى « **هوامش على دفتر النكسة** » هى الفاتحة الخطيرة لما يمكن أن نسميه « أدب تمزيق النفس » فقد جاءت القصيدة اعترافا من جيل كامل بسقوطه فى معركة النبوءة بما كان ، سقوطا عظيما . ولئن كان تعميم هذا المعنى يغمط حق القلة الضئيلة التى تنبأت بالكارثة ،كنجيب محفوظ فى «**ثرثرة فوق النيل**» و « **ميرامار** » وتوفيق الحكيم فى «**بنك القلق** » وعبد الرحمن الشرقاوى فى « **الفتى مهران** » وسعد الدين وهبة فى « **بير السلم** » و « **سكة السلامة** » ولويس عوض فى « **المحاورات الجديدة** » واحسان عبد القدوس فى قصصه القصيرة التى نشرها فى « المصور » و « اخبار اليوم » عشية الهزيمة . هذه الاعمال كليها تقول أن ثمة أجراسا دقت ولم تسمع صوتها الاذان . وقد جنت قصيدة « نزار » على أصحاب هذه الاعمال القليلة من ناحية ، وفاتها من ناحية أخرى أن تعميم المعنى السلبى يقتل بذرة الامل الكامنة بلا ريب فى الارض العربية مهما توارت تحت طبقات كثيفة من التراب . ولابد من التأكيد على هذا المعنى الايجابى حتى يزداد عدد الانبياء من أصحاب الرؤى النافذة الى ماوراء اللحظة

العابرة ، ويقل عدد « الباشكتبة » من أصحاب البصائر التى لاترى ما هو ابعد من أنوف أصحابها ، فتكتفى بالتسجيل والتقرير والتوثيق بدلا من التبشير والتنوير ، لان المهمة الاولى سلامتهم فيها مؤكدة ، والمهمة الاخرى تحتمل الاستشهاد فى سبيلها . وهذا هو الفرق الجوهرى بين قصيدة نزار وقصيدة أمل دنقل « **بين يدى زرقاء اليمامة** » فانها بالاضافة الى خلوها التام من الهتاف والصراخ ارتفعت الى مستوى المأساة، كثافة وشفافية .وكان ديوان « **الموت فى الحياة**» لعبد الوهاب البياتى ، هو الصرخة اللاهبة فى ضمير انساننا الشقى بوجهه وقناعه على السواء . وكذلك جاءت القصيدة الطويلة لمحمد الفيتورى « **سقوط دبشاليم** » عناقا مرا لاحزاننا لا يخفى انياب العدو وهى تأكل احشاءنا ، ولاتخفى انيابنا ونحن نأكل بعضنا .

الا أن شعر المقاومة كان اكبر الظواهر الادبية ، كما وكيفا ، خلال ١٩٦٨ وبخاصة ذلك الشعر الذى كتبه الشعراء الفلسطينيون المناضلون تحت سماء اسرائيل أو خارج ديارهم . وقد برزت أسماء محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيادة بروزا مفاجئا للقارىء العربى بالرغم من أنهم يكتبون منذ سنوات . الا أن شعرهم فى الاونة الاخيرة كان أعمق التجسيدات الفنية للازمة المركبة التى يعانيها الفلسطينى فى ظل العلم الاسرائيلى . وكان ديوان « **آخر الليل** » لمحمود درويش بمثابة الوثيقة الشعرية الحريصة على أن تمد الذاكرة العربية بتاريخ لا يموت .

وقد كان الشعر التجريبى هو ثالث الظواهر الشعرية التى عرفها عام ١٩٦٨ سواء من جانب الشعراء الراسخين مثل ادونيس فى « **المسرح والمرايا** » ، والمنابر المتخصصة كمجلة « **شعر** » التى عادت الى الظهور بعد احتجاب عامين ، أو من جانب المجلات الجديدة التى أصدرها شباب الادباء أنفسهم مثل « **مجلة ١٩٦٨** » فى مصر ومجلة « **الكلمة** » فى العراق . وبرزت أسماء محمد عفيفى مطر وأمل دنقل، ويسرى خميس وخليل كلفت ومهران السيد ونصار عبد الله وممدوح عدوان وعبد الستار الراوى وشاكر العاشور وعبد الرضا الصحنى وطراد الكبيسى وسعدى يوسف وفوزى كريم ومحمد المناصرة وحميد سعيد ومحمد حسن الامين وحميد المطبعى وسمية العبيدى ، من كافة أرجاء الوطن العربى « يجربون » شعرا حديثا تتراوح قيمته وموهبة قائلية بين الجودة والرداءة، كما تتفاوت أعمار الشعراء وخبراتهم الفنية واتجاهاتهم فى التجريب تفاوتا كبيرا . ولكن الذى يجمعهم حقا هو الرغبة الحادة فى اكتشاف رؤيا جديدة مهما تشكلت فى قالب من قصيدة النثر أو المونولوج الدرامى ، أو استخدام العامية .

وكذلك الامر فى مجال القصة القصيرة ، فقد غلب المنهج التجريبى على انتاج ١٩٦٨ فى أدب الشباب عامة ، وفى ادب الكبار الين رفضوا التخلى عن روح العصر بحجة « القواعد والاصول والتقاليد » وهكذا رأينا فنانا كبيرا مثل نجيب محفوظ لم يكتب روايته السنوية التى عودنا عليها ، ولكنه نشر فى « الاهرام » مجموعة من القصص القصيرة « التجريبية » لحما ودما مثل « **الحاوى** » و « **التركة** » و«**النوم** » الى أن وصل ذروة التجريب فى « **تحت المظلة** » واذا كانت « **التركة** » قد اختارت الحوار أسلوبا خالصا فى التعبير دون فترة «**سرد**» واحدة ، فان «**تحت المظلة** » جاءت مزيجا من أسلوب السيناريو والحلم أو الكابوس . وقد أصدر نجيب محفوظ فى نفس العام مجموعته « **خمارة القط الاسود** » تضم قصصه التى سبق نشرها خلال العامين السابقين . وهى لا تختلف من حيث الجوهر عن مجموعتيه « **بيت سىء السمعة** » و«**دنيا الله**» فى تركيب الازمة الاجتماعية ومأساة الوجود الانسانى تركيبا ميتافيزيقيا ، كما تدعو سيمون دى بوفوار لهذا الاتجاه التجريدى فى الادب .

ولكن هذا الاتجاه يعود الفضل الاول فى ظهوره الى « مغامرة » الشبان الجدد بنشر تجاربهم الجديدة التى تمردوا فيها على القوالب التقليدية عند الجيل السابق . وهنا ترد أسماء يحيى الطاهر عبد الله وهاشم الشريف ومحمد البساطى ومجيد طوبيا وجميل عطية وابراهيم اصلان وابراهيم منصور وضياء الشرقاوى وسركون بولس ويوسف الحيدرى وصالح كاظم وعائد خصباك وابراهيم عبد العاطى ومحمد جبريل وموسى كريدى وخضير عبد الامير وبهاء طاهر وزكريا تامر وهانى الراهب وسميرة المانع ومحمد خضير وعبد العال الحمامصى وغالب هلسا وغيرهم من أبناء الجيل العربى الذى توفر على كتابة القصة الجديدة متجاوزا كافة الاطر القديمة ، كلاسيكية كانت أم رومانسية أم واقعية . وهو الجيل الذى تنفس رائحة المأساة فى هزائم حضارية متلاحقة خلفت فى نفسه ورسبت فى وجدانه احساسا عميقا بالضياع ووعيا نافذا بأبعاد الكارثة . ولم يتأثر كتاب القصة العربية الجديدة بكتاب القصة القصيرة فى اوربا وأمريكا ، وانما كان تأثرهم بالغا بالشعر والرواية والمسرح . ولم يكن تأثرهم بالاتجاهات المعاصرة فى الغرب وانما بالاتجاهات التى ارهصت لها منذ بدايات القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وهم فى لقائهم بالاداب الاوروبية والامريكية انما يلتقون بلحظتهم السلبية الكامنة فى أعماقهم ، فهى لقاءات أصيلة ، وليس نتاجها

من الاعمال التى يدعونها البعض « مستوردة » • ذلك أن التجربة المحلية تشكل المصدر الفقري لهذا الادب الجديد . فلم يكن تمرد الادباء الشباب الا انعكاسا لتمرد عام شمل الاجيال الجديدة شرقا وغربا . شمالا وجنوبا . ففى تمرد شبابنا من الادباء والفنانين والمتلقين للادب والفن استجابة لروح العصر من ناحية واحتراقا فى بوتقة المحنة التاريخية التى يجتازها وطننا العربى .

وقائع خطيرة فى جوائز الدولة

وبالرغم مما يبذله المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب من محاولات جادة فى تشجيع الاجيال الجديدة من الكتاب ، الا أن هذا التشجيع يصطدم أحيانا كثيرة بعقبات من ممثلى الاجيال القديمة المحافظة . ولقد سارت جوائز الدولة الادبية التى يمنحها المجلس الاعلى على هذا النمط التقليدى أمدا من الزمن يشعر الكثيرون بطوله ، فقد منيت بهزائم متلاحقة أعمال يوسف ادريس ولطيفة الزيات وابو المعاطى ابوالنجا وعبده بدوى وفوزى العنتيل . على ان التصادم بين القديم والجديد اتخذ عام ١٩٦٨ أشكالا معقدة شديدة الالتواء • ففى جائزة الشعر تقدم اليها شاعران هما العوضى الوكيل وعبده بدوى • وتشكلت لجنة التحكيم من الشعراء والنقاد : عزيز اباظة واحمد رامى وصالح جودت ومحمد عبد الغنى حسن ومحمود غنيم وصلاح عبد الصبور ومحمود أمين العالم ومحمود حسن اسماعيل وشوقى ضيف وكمال نشأت واحمد عبد المعطى حجازى . ولقد تغيب صالح جودت عن حضور جلسات المناقشة والتقييم على أثر استقالته من لجنة الشعر بالمجلس • وقد اتفق محمود العالم ومحمود حسن اسماعيل وشوقى ضيف وكمال نشأت حول جدارة أعمال عبده بدوى التى تقدم بها لنيل الجائزة ، بينما اقترح حجازى حجب الجائزة هذا العام لعدم توفر المستوى الرفيع — منوجهة نظره — فى انتاج عبده بدوى من ناحية ، ولعدم انطباق عنصر التشجيع على العوضى الوكيل الذى يعد من شعراء الجيل السابق • وقد وقف الى جانب العوضى وأحقيته فى الجائزة : عزيز أباظة ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد رامى ومحمود غنيم وصلاح عبد الصبور • وهكذا تعادلت الاصوات بعد اتفاق الاصوات المؤيدة لعبده بدوى على حجب الجائزة هذا العام ، ولابد من رفعها الى المجلس الاعلى ليبت فى هذا التعادل اما بالحجب ، أو بمنحها للعوضى الوكيل •

غير أن مايلفت النظر حقا هو « التحايل » على منح الجائزة لشاعر تجاوز مرحلة التشجيع ، فالديوان الذى تقدم به العوضى الوكيل يحمل عنوان « **فراشات ونوار** » وقد نشر فى ديسمبر عام ١٩٦٤ عن الدار المصرية للتاليف • والحق أن هذه الطبعة التى تحمل هذا التاريخ ليست الطبعة الاولى للقصائد المنشورة بين دفتى الديوان ، وانما هو يجمع كثيرا من القصائد التى سبق نشرها فى دواوين أخرى يرجع بها التاريخ أكثر من ربع قرن الى الوراء ، بحيث لاينطبق عليها قانون الجائزة الذى ينص على أن الكتاب موضوع الجائزة حديث النشر فلا يتجاوز تاريخ طبعه لاول مرة ثلاث سنوات عند تقديمه الى لجنة الجائزة . وحتى نقدم صورة دقيقة لهذا الجانب القانونى من الموضوع ، نقول أن قصائد « صدى النور » و « الى الحلم » و « أزاهر فى يدى » سبق نشرها فى ديوان « تحية الحياة » الذى أصدره العوضى الوكيل عن مكتبة الحلبى عام ١٩٤٧ ، ويجدها القارىء على الصفحات (٧٥ ، ٩٠ ، ٨٠) وكذلك قصائد «فى موكب الربيع » و«لون العيش »و«نداء الباعة » و « وحى اللقاء » و « الغد فى حلوان » و « ليلى تغار » سبق نشرها فى ديوان « أغانى الربيع » الذى أصدره العوضى الوكيل عن مطبعة ومكتبة وادى النيل عام ١٩٣٩ ، ويجدها القارىء على الصفحات (١٨ ، ٨٤ ، ٤٦ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٣٠) وكذلك قصائد « زوارق فى النيل » و « من الطارق » و « عتاب » سبق نشرها فى ديوان « أصداء بعيدة » الذى أصدره العوضى الوكيل عن مكتبة الحلبى عام ١٩٤٧ ، ويجدها القارىء فى الصفحات (١٧ ، ٤٧ ، ٤٦) •

وهكذا تنتفى على وجه اليقين حداثة ديوان «فراشات ونوار » بالمعنى الزمنى الذى ينص عليه القانون — فهو ليس أكثر من مختارات قديمة جمعها الشاعر من جديد ليتقدم بها لنيل الجائزة قبل فوات الاوان • بل ان كلمة العقاد المدرجة فى الطبعة الجديدة ، وقصيدة الشاعر عن العقاد وقصيدته الاخرى عن جورج صيدح ، هذه كلها سبق أن نشرت فى كتابه « **رسوم وشخصيات** » الذى صدر عام ١٩٦٠ عن مطبعة الاعتماد (من ص ٢ الى ١٢ و ص ٧٣) • وبغير أن نتطرق الى تقييم هذا الانتاج الذى ينفصل عن ايقاع عصرنا انفصالا تاما ، نطرح أمام النظرة الموضوعية هذه الاستماتة من جانب الجيل القديم فى الحفاظ على « مكاسب » غير شرعية من الناحية القانونية ، وانما هو نوع من التحايل لتعويق السبل أمام « تشجيع » الاجيال الجديدة • فلقد تقدم عبده بدوى بأربعة أعمال هى « الارض العالية » الاوبرا الافريقية ، ودواوين « **لا مكان للقمر** » و « **كلمات غضبى** » و «**الحب الموت** »وقد صدرت جميعها بين عامى ١٩٦٦ و١٩٦٧ • ومهما اختلف النقاد حول تقييم شعر عبده بدوى فلاريب انه أحد ابناء الرؤيا الحديثة للشعر ،وأنه صاحب تجربة حية وأصيلة ، فليست قصائده « مناسبات »

للمدح والرثاء ،وانما هي رحلة وجدانية بين هموم جيلنا وعذابات العصر الذى نعيش فيه ٠

بوادر جديدة فى اتحاد الادباء

واذا كان الجيل المحافظ فى المجلس الاعلى مايزال قادرا على سد الطريق أمام الاجيال الجديدة ، فان ثمة بوادر نامية فى اتحاد الادباء تتجاوز السدود وتنطلق نحو آفاق رحبة ٠ وقد جاء انعقاد **مؤتمر الادباء العرب السادس فى القاهرة** هذا العام فى وقت أشد مايكون فيه المثقفون حاجة الى اللقاء الحار والعميق فيما بينهم ٠ ومن الطبيعى أن تكون « **الامبريالية** » و« **الاستعمار الجديد** » و « **الصهيونية** » و « **المقاومة** » خطوطا رئيسية للمناقشات الموضوعية التى جرت فى هذا المؤتمر ، الذى كان بالرغم من كل التحفظات التى تؤخذ على تكوينه « علامة طريق » أمام الاديب العربى فى ظل أخطر المراحل التاريخية التى يمر بها وطنه ٠ وقد كان أهم مايميز المؤتمر السادس أنه تكون فى اطار « جبهة وطنية تقدمية » من كافة الالوان والاجيال ،وقد شارك اتحاد الادباء بنصيبموفور فى تكوين « **اتحاد الادباء العرب** » الذى اعلن تشكيل مكتبه الدائم فى ختام المؤتمر ٠ وحتى ينشىء الادباء العرب منبرهم الفكرى الخاص ، فقد أسهم الاتحاد مساهمة فعالة فى اصدار مجلة « **الادب الافريقى الاسيوى** » عن رابطة الكتاب الافريقيين الاسيويين فى لغات ثلاث هى العربية والانجليزية والفرنسية ٠ وليس من شك فى أن هذا المنبر النضالى جاء همزة وصل حية وعميقة بين أفكار القارتين الكبيرتين ونضال المثقفين فيهما ٠ وكذلك عقد اتحاد الادباء ندوة دراسية عن « **التراث العربى** » ، كان للعلماء الشباب فيها الدور الاكبر فى تسليط الضوءعلى القيم الايجابية فى تراثنا وتقييمه تقييما علميا ٠ ولقد كان آخر نشاطات اتحاد الادباء المصريين اشتراكه فى **ندوة طشقند الادبية** بمناسبة مرور عشر سنوات على قيام حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، وقد مثلنا يوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور ومرسى سعد الدين فى مناقشة واسعة حول « **الادب والعالم الحديث** » ٠

ولم يتخلف نادى القصة عن مواصلة دورد الهام فى اكتشاف المواهب الجديدة فى القصة القصيرة والرواية ٠ وكان المجلس الاعلى قد أصدر كتابا ضخما يضم عشرات القصص الفائزة فى مسابقات الاعوام الماضية (من ١٩٥٦ الى ١٩٦٠) وقد برز من بين أسماء الفائزين بعض كتابنا المعروفين الان ٠ وهذا يدل دلالة قاطعة على أهمية الدور الذى يقوم به نادى القصة فى « استنبات » البذرة ، وتعهدها بالنمو والتشجيع ٠ وقد خطا النادى خطوة كبيرة الى الامام باصداره مجلة « نادى القصة » التى تخصصت فى لقاء شهرى بين الاقلام الكبيرة والاقلام الشابة فى جو مدعم بالثقة المتبادلة والاعتراف بفضل الماضى والايمان بكتاب الغد ٠

ان هذا النشاط الخلاق فى اتحاد الادباء ونادى القصة يعوزه التدعيم والتطوير والحماية حتى يساهم فى تطهير الحقل الادبى والفنى من ظاهرة « الشللية » المريضة .

خطوة « مسرح » الى الامام ..

وخطوتان « سينما » الى الخلف

لا تنفصل الظواهر المعقدة فى السينما والمسرح عن المناخ العام لحياتنا الثقافية ، ولكن هذا المبدأ العام لايدفعنا الى تجاهل الخصائص الذاتية المستقلة لمؤسستى السينما والمسرح وما يستتبع هذا التخصيص من مشكلات « نوعية » أصابت هذين الفنين العظيمين فى الصميم .

وقد شهد موسم ٦٧ ــ ١٩٦٨ فى المسرح المصرى والسينما المصرية تغيرا فى قيادتيهما مرتين : أولاهما فى بداية الموسم عندما حل محمود أمين العالم مكان الدكتور على الراعى ، والدكتور عبد الرازق حسن مكان سعد الدين وهبه ٠٠ ضمن تجديد عام شمل معظم المراكز القيادية فى وزارة الثقافة ٠ وفى وسط الموسم تماما نقل محمود امين العالم الى مؤسسةاخبار اليوم ليحل مكانه الدكتور عبد العزيز الاهوانى ، ونقل نجيب محفوظ مستشارا فنيا لوزير الثقافة ليحل مكانه ، هو والدكتور عبد الرازق حسن معا ، عبد الحميد جوده السحار ٠٠ وذلك ضمن حركة تنقلات واعارات واستقالات ، ترك بموجبها سعد كامل ادارة الثقافة الجماهيرية الى دار الكتب ، وعاد مصطفى درويش مدير الرقابة على المصنفات الفنية الى عمله بمجلس الدولة ٠ وقد تمت هذهالتغيرات جميعهاـ كالتجديداتالسابقة التىاتتبمن ذهبواـبصورة «قطبية» تناولت فى المرتين الاشخاص ولم تمس الاجهزة ٠ ولا تدرى لماذا جاء هذا وذهب ذاك ، وكلاهما ـ محافظا كان ام مجددا ـ لا يملك التغيير ان اراده، وهكذا نكتشف هذه الظاهرة الطبيعية ، وهى تقارب « النتائج » النهائية ، لان الجهاز الادارى والتنظيم الفنى لم يصبه أدنى تغيير ٠ ولقد تكاتفت هذه التغييرات القيادية المتلاحقة مع انكماش الميزانية الجديدة المخصصة للثقافة نتيجة الظروف

الاقتصادية الجديدة فى ضمور الموسم المسرحى واضمحلال الموسم السينمائى . على أن ضمور المسرح كان ضمورا كميا فلم يحفل الموسم بعدد من الاعمال الجديدة تماثل عددها فى المواسم السابقة . ولذلك اضطر « المسرح الحديث » أن يعيد عرض « **الزنزانة** » و « **الدرس** » و « المتحذلقات » وأن يعيد «**المسرح الكوميدى** » عرض « **حلمك ياسى علام** » و « **حركة ترقيات** » و « **مقالب محروس** » : .. ولكن الموسم المسرحى لم يضمر مستواه الفنى فقدم عدة تجارب مثيرة نجح بعضها وأخفق البعض الاخر ، ولكن هذه التجارب فى مجموعها حققت خطوة الى الامام بالنسبة لتطور المسرح المصرى .

وقد أخفقت « **الزير سالم** » لالفريد فرج ، و « **ليالى الحصاد** » لمحمود دياب فى جذب الجمهور (شاهد الاولى ٤٠٦٧ متفرجا فى ٢٣ ليلة عرض ، وشاهد الثانية ٥٣٥٤ متفرجا فى ٤٣ ليلة) ولكن المسرحيتين كلتيهما قدمتا تجربة جديدة فى « فن » المسرح . كانت « **الزير سالم** » عودة من الفريد فرج الى استلهامه القديم للتراث الشعبى كما شاهدناه من قبل فى « **حلاق بغداد** » ولكن « الزير سالم » مالت بصاحبها الى المناخ الملحمى للسيرة الشعبية ، أى انها ابتعدت خطوات عن الجو الكوميدى فى « **حلاق بغداد** » . . وكذلك مالت « الزير سالم » الى القضايا الفكرية المجردة كالسلام والعدل فاقتربت بذلك من « **سليمان الحلبى** » دون أن يكتسى بناءها بتلك المادة الجاذبة للاهتمام ، ولا أقول الايهام ، وهى المادة التى تميز طلاوة « سليمان الحلبى » وتفسر اقبال الجمهور عليها ، بينما تفتقر اليها « الزير سالم » لصرامة بنائها وجديته المفرطة التى افقدته حرارة التجاوب مع المشاهدين .

وارتد محمود دياب ايضا الى التراث الشعبى ، ولكن ليس عن طريق المادة الشعبية كالسيرة أو الملحمة ، وانما عن طريق « الشكل » المسرحى باستيحائه السامر الشعبى قالبا دراميا للمسرحية . ولقد سبقت محمود دياب محاولة يوسف ادريس فى «**الفرافير** » الا ان « **ليالى الحصاد** » حققت ذلك الشكل الذى أراده يوسف ادريس دون أن ينجح فى تجسيده . وكذلك جاءت محاولة نجيب سرور فى « **آه ياليل ياقمر** » تجربة جديدة فيما يمكن أن نسميه « الموال الدرامى » ، وهى فيما أعتقد أول تجربة لشعر العامية المصرية « الجديد » على خشبة المسرح . ولذلك فان قيمتها الحقيقية لاتكمن فى ادراجها ضمن اعمال أدب المقاومة ، وانما فى كونها اضافة الى رصيد هذه التجربة التى يشترك فى تنميتها بعض كتابنا ، ويمكن أن ندعوها بتمصير المسرح المصرى : اما بتأليف « بابة شعبية » كما هو الحال عند رشاد رشدى فى « **اتفرج ياسلام** » و « **بلدى يابلدى** » ، واما ببعث السامر كما يحاول محمود دياب ، واما بتطوير الموال تطويرا دراميا كما نرى فى تجربة نجيب سرور الناجحة ، واما بتأسيس مسرح « شعائرى » كما هو الامر فى تجارب شوقى عبد الحكيم .

وليس من الغريب أن يصدر توفيق الحكيم فى نفس العام كتابه « **قالبنا المسرحى**» الذى يسهم نظريا فى ترسيخ الجذور « المصرية » فى تجربة المسرح المصرى عن طريق التقاليد الشعبية التى تعرفنا عليها فى «الاراجوز » «و خيال الظل » .. ليس من الغريب ان يصدر هذا الكتاب عن توفيق الحكيم وهو صاحب التجارب الرائدة فى « نبش » هذه الجذور ، ولكن الغريب هو تأليفه لهذا الكتاب فى وقت متقارب مع تجارب المسرحيين الشبان ، فهكذا يصبح الموضوع ظاهرة عامة هى شكل من أشكال البحث عن الذات والوعى بها ، كرد فنى على محاولة الهزيمة أن تفقدنا ذاتنا ووجودنا .

على ان ظاهرة « تمصير المسرح المصرى » ليست هى الظاهرة الوحيدة فى موسم ٦٧ ــ ١٩٦٨ فلقد اتسم هذا الموسم أيضا بمعالجة بعض المشكلات الحيوية التى واجهتنا بعد الهزيمة . وكانت مسرحية « **بلاد برة** » لنعمان عاشور فى مقدمة الاعمال التى تصدت لموقف بعض الفئات الاجتماعية التى خسرت امتيازاتها الطبقية فى ظل الثورة . وقد عالجت مسرحية « **بلاد برة** » ظاهرة الهجرة الى الخارج من قبل أن تصبح ظاهرة عامة . وظل نعمان عاشور فى مسرحيته هذه كالعهد به فى مسرحياته الكبيرة « **الناس اللى تحت** » و «**عيلة الدوغرى**» فنانا عميق الاحساس بقاع المجتمع المصرى ــ بالرغم من أن الشريحة الارستقراطية تحتل مركز الصدارة من خشبة المسرح . وظل كذلك عميق الاحساس باللقطات الكوميدية التى تتخلل المأساة ، وتدرج مسرحه فى طليعة التراجيكوميديا المصرية . وظل أخيرا عميق الاحساس « بالشخصية » الفنية كعماد للمسرحية . ولكنه أضاف الى كل ذلك هذه المرة عمق احساسه باستمرارية التاريخ الضارب فى حنايا النفس المصرية .

وكانت مسرحية « **المسامير** » لسعد الدين وهبه قد أثارت بعض الجدل حول مضمونها من قبل أن تعرض ، ذلك أنها هى الاخرى تتخذ موقفا صريحا من الفئات المتهادنة فى القضية المصيرية التى نواجهها بشقيها الوطنى والاجتماعى . وحين عرضت « **المسامير** » ضربت رقما قياسيا فى عدد مشاهديها اذ بلغ « ١١ر٢٤٤ » على مدى ٤٢ ليلة . ولكن المسرحية بشكل عام من أعمال أدب المقاومة ، اذ هى تتخذ من ثورة ١٩١٩ ديكورا لاحداث تجرى عام ١٩٦٧ ، وكذلك مسرحيتا « **اغنية على الممر** » و « **البريمة** » من

تأليف على سالم فهما امتداد موفق لهذا الكاتب الجديد الذى يؤثر التخصص فى المسرحية الكوميدية الخالصة ، ولكنهما ـ مثل المسامير ـ يعالجان القضية الوطنية فى اطار من السخرية اللاذعة ببعض الاوضاع التى ادت الى الهزيمة .

واختتم ميخائيل رومان الموسم فى مسرح الحكيم بمسرحيته التى اثارت اطول الجدل، وهى مسرحية **«العرضحالجى»** فلقد تعرضت بشجاعة فكرية وفنية لما يمور به مجتمعنا من غليان بعد الهزيمة . كانت شجاعة فكريا لانها اوجزت الصراع الرئيسى الذى يعتمل فى باطن المجتمع المصرى . وكانت شجاعة فنيا لانها اعتمدت اعتمادا شبه مطلق على ما يسمى بمسرح الشخصية الواحدة أو مسرح المونولوج ، حيث يكتفى الفنان بهذه الشخصية من بين بقية الشخصيات، ويكثف فى اعماقها **الازمة الدرامية** التى تتبلور فى مونولوجات طويلة ، لا على الحوار بين مختلف الاطراف .

هاتان هما الظاهرتان الرئيسيتان اللتان حققتا خطوة للامام للمسرح المصرى ، احداهما صاغت البحث عن الذات الضائعة أو التائهة بالعودة الى أشكال التراث الشعبى وأفكاره ، والاخرى ولت وجهها شطر الحاضر بكل أثقاله وعذاباته .

على ان المسرح لم يقتصر على تقديم الاعمال المحلية ، وانما باشر مسئولياته ـ بالرغم من كل القيود ـ فى اتاحة الفرصة امام التذوق المصرى لمشاهدة الاثار العالمية .. فقدم فى موسم ٦٧ ـ ١٩٦٨ الجزء الثانى من ثلاثية اسخيلوس « **حاملات القرابين** » ترجمة الدكتور لويس عوض واخراج موزينيدس . وقدم أيضا الكوميديا المصرة « **زهرة الصبار** » . ومن عيون المسرح الجزائرى المترجم عن الفرنسية قدم لكاتب ياسين تراجيديا « **الاسلاف يتميزون غضبا** » وكوميديا « **مسحوق الذكاء** » .

وبينما نلاحظ أن المسرح قد استطاع أن يجتاز الاسوار العالية ويخطو للامام خطوة ، فاننا نلاحظ على السينما انها قد اضافت الى تعقيدات تاريخها الطويل مع القطاع الخاص تعقيدات صراعاتها الداخلية فى ظل القطاع العام . وأن ذلك كله قد ترك آثارا ضارة وعميقة فى فننا السينمائى حتى لتؤذن هذه الاثار أن تهدد هذا الفن بالتوقف التام ، ويكاد ان يكون فيلم « **البوسطجى** » لحسين كمال ـ عن قصة بهذا الاسم ليحيى حقى ـ هو الفيلم الوحيد الذى حقق مستوى فنيا عاليا وسط دوامة هائلة من التفاهة والغثاثة ، تبدأ بامتهان رائعة نجيب محفوظ « **قصر الشوق** » على يدى المخرج حسن الامام ، وتنتهى بأفلام « **عالم مضحك جدا** » و « **شباب مجنون جدا** » و « **مراتى مجنونة** » الى غير ذلك من الافلام الرخيصة التى تذكرك بموجة «الانحلال» السينمائى المصرى ابان الحرب العالمية الثانية .. ولا تستطيع ان تحدد مسئولية هذا او ذاك من قيادات مؤسسة السينما وشركاتها ، لان فيلما ما قد يعرض فى ظل قيادة لم تتعاقد على انتاجه ، ولكنها ملتزمة ـ تلقائيا وقانونيا ـ بتنفيذ التعاقد . ولان فيلما آخر تتعاقد عليه القيادة الجديدة ولا تلبث ان تترك التنفيذ لمن يتولى الامر مكانها . ولكن هذا « الاختلاط » لا ينفى ان الفن السينمائى فى بلادنا قد تخلف الى الوراء سنوات طويلة خلال موسم ٦٧ ـ ١٩٦٨، بما لا يتسق مع « وقع » حياتنا المهزومة على القلوب والعقول. وربما كانت قوة الضوء الوحيدة التى أطلت منها حياتنا السينمائية هذا العام هى فكرة « نادى السينما » فقد أخذت طريقها الى التحقيق على يدى مصطفى درويش مدير الرقابة انذاك . وقد اتاح لنا النادى متابعة الموجة الجديدة فى ذروة نجاحها بأوربا وأمريكا ، كما اتاح لنا مشاهدة بعض الاعمال الكلاسيكية .. وبذلك هيأ فرصة مزدوجة للذين لم يسبق لهم رؤية هذه الاعمال ، وللمقارنة بينها وبين ما استجد فى العالم السينمائى المعاصر . وقد كان اختيار مصطفى درويش لافلام النادى دقيقا وناجحا ، فقد ركز على الافلام ذات الطابع المتمرد على نموذج الحياة الغربية مثلما شاهدنا فى « **امتياز** » و «**الطابق العلوى**» و «**الفقيد العزيز**» و « **خداع الشيطان** » بالرغم من انها انتاج غربى. كما ركز على التجارب الجديدة فى الشرق الاشتراكى مثلما شاهدنا فى فيلم «**المدرس الاول**» السوفيتى .وهو فى هذه الاختيارات جميعها كان يتوخى المستوى الفنى الرفيع ، فكان نادى السينما بذلك ارقى مدرسة للتذوق السينمائى عرفتها مصر على طول تاريخها . ولا ندرى لماذا يكون نصيبه مع مسرح الجيب هذا المصير الفاجع ؟ فلا يكفى القول بأن الميزانية هى السبب ، لان الميزانية وسيلة ، أما نادى السينما ومسرح الجيب فغايات .

الرؤيا التشكيلية الجديدة

ولا ريب أن الفنون التشكيلية هى التى استحوذت على موسم ١٩٦٨ كما وكيفا ، فقد افتتح هذا الموسم بالمعرض الكبير الذى أقيم للمتفرغين بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٦ بالقاعة الكبرى فى المبنى الرئيسى للاتحاد الاشتراكى ، وذلك خلال شهرى فبراير ومارس من عام ١٩٦٨ . وكان المعرض فى حقيقة الامر وساما رفيعا لفكرة «التفرغ» فى ذاتها ، وبخاصة تفرغ الفنان التشكيلى الذى أنتج كل هذا الانتاج بهذا المستوى الذى بلغ به بعض العارضين آفاقا عالية . فالحق أن تفرغ الاديب لم يثمر ثماره المرجوة بعد ، ولابد من اعادة النظر فيما يخص التفرغ للادب .

وباستثناء قلة قليلة لاتشكل ظاهرة ادبية نلحظ بكل أسف أن مشروع التفرغ عند الادباء الناشئين أصبح نوعا من الخلاص من الوظيفة الروتينية فى المصالح الحكومية ، ونوعا من الحلول المؤقتة للمشكلات الاجتماعية · ولا سبيل لهذين الاسلوبين فى التفكير أن يخلقا أديبا متفرغا على مستوى عال أو ان يحققا للمتفرغ أهدافه الكبرى ·

ولقد أردت من وراء هذا التصور لتفرغ الادباء ان اقول بأن معرض الفنانين التشكيليين المتفرغين قد اثبت بما لايدع مجالا للشك ان الفنان التشكيلى قد استطاع أن يحقق الهدف الاصيل من المتفرغ ، دون أن تهيىء له اللائحة الجديدة مناخا صالحا للاستمرار · فاذا كان بعض الادباء يسيئون الى فكرة التفرغ ، اما بضحالة انتاجهم واما بانشغالهم طيلة التفرغ « بالعمل » فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون، فاننا نظلم الفنان التشكيلى ظلما فادحا عندما نسوى بينه وبين الاديب فى تلك اللائحة المالية الغريبة التى تتيح له نفس المرتب الذى كان يتقاضاه فى وظيفته الحكومية · وكأننا نسلم بصحة تقييم الدرجة الحكومية لهذا « الموظف » الذى استحق فى تقييمنا له أن يتفرغ « للفن » أى لشيء آخر مختلف تماما عن الوظيفة · وبالتالى فانه فى اللحظة التى نقرر فيها صلاحيته للتفرغ الفنى، فاننا موضوعيا نقرر خطأ التقييم الوظيفى الروتينى السابق ، ويتعين علينا تصحيح وضعه بما يتفق مع موهبته الفنية وانتاجه الفعلى فى هذا الميدان . والا فلا معنى لان يكون تفرغ الفنان التشكيلى مجرد منحه ساعتين أجازة يوميا من عمله الاصلى ·

ان هذه القضية تطرح نفسها طرحا بالغ العنف فى هذا المعرض الكبير الذى أشرفت عليه وزارة الثقافة · فقد حقق أعلى درجات الديموقراطية الفكرية والفنية حين تجاورت الاتجاهات والمدارس الفنية المتعارضة تجاورا اقرب الى « الحوار » الخلاق ، والاعتراف العملى بتعدد وجهات النظر فى الفن والحياة ، وان مجتمعنا أرحب وأعمق من أن يعبر عنه اتجاه واحد أو مدرسة واحدة · فرمسيس يونان بتجريده الكلاسيكى وفؤاد كامل بتجريده الحديث وعبد الوهاب مرسى بتكويناته الفولكلورية ورفعت أحمد بتصويره الشعبى وراتب صديق بكلاسيكية عصر النهضة ، وتحية حليم بواقعية عصر التنوير ، وجاذبية سرى بواقعية العصر الحديث وآدم حنين ومحمد هجرس وكمال خليفة والدواخلى بنحتهم الذى يخلق من التمثال سيمفونية ·· أولئك جميعا وغيرهم شاركوا فى بناء أجمل المتاحف المتحركة ، فما أجدر أن يتحرك حقا هذا المعرض فى قرانا ومدننا الصغيرة ومحافظاتنا ، وأن يتحرك بعدئذ فى مختلف عواصم الوطن العربى وأفريقيا وآسيا وأوروبا ·· فاننا بهذا المتحف المتحرك نبرهن على أنه اذا كان هناك من قادر على الحياة فى مصر بالرغم من كل ما يلاقيه من عسف وعنت فهو الفن التشكيلى الذى استطاع مبدعوه ان يصوغوا معظم الالوان والظلال التى تشكل البنية الحية لمجتمعنا المأزوم ، فاستطاعوا من ثم أن يجسدوا أرقى أشكال الحوار الديمقراطية ، الحوار بين القلوب التى تئن وتنزف فترسم دماؤها علامة استفهام كبيرة، ويظل السؤال عالقا بقلبى وقلبك حتى يجيب عليه الفنان بسؤال جديد · وهكذا تبقى دورة السؤال والجواب الابدية بين الانسان والفنان وبين الفنان وعصره هى محور كل فن عظيم ·

ولقد كانت ظاهرة الفن التجريدى من أهم الظواهر التى عرفها موسم ١٩٦٨ ،فبعد وفاة الرائد رمسيس يونان أخذ الاتجاه يتسع ويزداد عمقا حتى يشمل من الاجيال والتيارات ما يتجاوز جيل صالح رضا وكمال السراج مثلا ، وجيل الاصل فى منحاه والمعطافاته. فما ابعد الشقة بين كنعان وفؤاد كامل ؟ وما أبعد الشقة كذلك بين أعمال خديجة رياض وأعمال طه حسين ؟ ولسنا هنا بصدد تقييم مستويات هذه الاعمال وقيمتها الفنية ، وانما نحن بصدد القيم التجريدية التى يصوغها هذا الانتاج ·

ولقد شاهدنا فى أعمال فؤاد كامل الجديدة — على سبيل المثال — ميلا واضحا الى اضافة اللونين الاخضر والاحمر الواضحين على لونيه الاثيرين الاسود والازرق . كما شاهدنا كذلك انتقال كنعان انتقالا واضحا كذلك من الالوان القاتمة الى الالوان الفاتحة وبخاصة اللون الابيض الشفاف · فهذه الاضافة من جانب فؤاد كامل ،وذلك الانتقال من جانب كنعان : هل يعبران عن رؤيا جديدة فى فن كل منهما ؟

ان اللون الاسود واللون الازرق فى تجريدات فؤاد كامل ، يوحيان للوهلة الاولى بأحلك الاحلام ظلاما ، وهو فى ذلك يلتقى مع « تراكيب » كنعان من المسامير واكاليل الشوك ، ومزق الخشب والخرق البالية. لا ينبغى الاكتفاء بقولنا ان ظلال فؤاد كامل ومسامير كنعان « قصد » بها أن يخلق الفن من القتامة جمالا · فالتجريد ليس فنا رمزيا ، وتراكيب كنعان وألوان فؤاد كامل ليست كنايات · وعلى النقيض من ذلك اقول ان الاسود والازرق فى لوحات فؤاد كامل كانت ألوانا بهيجة لان تكوينها « البقعى » أتاح لها من التلقائية — فى التصور لا فى التصوير — ما يجعل منها شيئا شبيها بقوس قزح وطيف الوانه البهيج. وعندما فاجأنا فؤاد كامل باضافة الاخضر والاحمر ، جاءت اضافته طعنه دامية فى قلب « البهجة » التى تصورناها — ولم يصورها — فى درجات الازرق والابيض والاسود . ولم يأت الاحمر والاخضر تشكيلا بقعيا كما هو الحال فى الالوان الاخرى ، وانما جاء تخطيطا واعيا صارما فى وعيه حتى بدا وكأنه يصرخ فى وجوهنا ان هذه هى القضية، فالتلقائية والعمد يلتقيان على صعيد واحد يسحب

الارض البهيجة من تحت اقدامنا ولا يضع بدلا منها الا نصالا حادة قانية فى حمرتها ، تستظل بها تلك الخضرة الغريبة فى عالم كئيب • وهكذا فمن الناحية التجريدية البحته يعد فؤاد كامل رائدا لاتجاه جديد لم يرث بصماته من احد ، اتجاه لم يخطر على بال رائد التجريد الكلاسيكى رمسيس يونان بصحراواته ذات الابواب السبعة والالوان الالف •

أما كنعان فقد خرج وئيدا من التراكيب السلكية والمسامير والقتامة الى هـذا العـالم الابيض الشفاف الذى تحف به الالوان الرمادية غيرة واغتصابا • فالابيض هو سيد اللوحة التجريدية الجديدة فى أعمـال كنعان ، لا ينازعه الاحمر الخفيف ولا الرمادى الثقيل، الامن قبيل التشكيل الدرامى للفكرة الذهنية المتسلطة على ابداعه من قبل أن يمسك ريشته ويغمسها فى الوانه . أن كنعان يكتشف نفسه أولا ثم يجسد رؤاه بعد ذلك ، ولا يفعل العكس ، كأن يكتشف نفسه فى اللوحة أثناء عملية الخلق • وهو لانه يكتشف نفسه رويدا رويدا ، فانه لا يفاجئنا ، وانما يواكبنا • وهو لانه يجسد رؤياه بعد اكتشافه لها ، فانه « يقصد » و « يهدف » بمعنى يخطط لا بمعنى يرمز ـ ولا اثر للتلقائية فى اعماله. ويبدو هذا التخطيط العمدى واضحا فى تلك المرحلة الجديدة من أعماله حيث يتضح التكوين الذهنى السابق على عملية الخلق فى تشكيلاته القريبة من العين والمألوفة للقلب • فلم تحل هذه الشفافية البيضاء من أن «نستشف» وراءها هول الدمار وفظاعة الكارثة ، ذلك أن تكويناته الجديدة لم تخرج « حدودها » من الحطام والعالم الشبيه بالقبور • وتلك هى الخدعة ـ أو القيمة ـ التى أودعنا الفنان سرها منذ البداية • ان الالوان الفاتحة وفى قمتها الابيض بدرجاته المختلفة ، لا تعنى أن الفنان قد انتقل من العالم الدامى بمساميره وأشواكه ، وانما تعنى أن الفنان قد انتقل حقا من التقرير والصراخ ، الى البوح بالهمس • وهو انتقال تدريجى يقظ ، تسبق فيه الفكرة تجسيدها الفنى ، ولكن لان هذا التجسيد ـ عند كنعان ـ هو تجسيد تجريدى ،فان أولوية الفكرة المجردة على تحققها الواقعى بصـورة مجردة ينفى احتمال الثنائية والازدواج بين الشكل والمضمون • والحق أن مضمون كنعان لم يتغير منذ أعماله الاولى ، وانما هو يضيف اليه قيمة تشكيلية جديدة بأن يصرح لنا فى غير عنف : ليس الابيض الا غلالة تخفى الاسود، وليس التخطيط المتعمد الا بابا يخفى العشوائية والتلقـائية • فلنحذر اذن قول بعضنا أن كنعان « أقل » تجريدا عما كان عليه فيما مضى ، فتلك هى خدعة الفنان وقيمته معا •

والظـاهرة الثالثة فى هذا الموسـم هى الفن الفلسطينى ، أو الفن التشكيلى المناضل من أجل فلسطين . وبمجرد وصفنا لهذا الفن بهذ العبارة فاننا نضع أيدينا ـ ومعنا أيدى فنانين كبار مثل اسماعيل شموط ومصطفى الحلاج ـ على قضية من اخطر قضايا الفن . تلك هى قضية المواءمة بين الشكل والمضمون فى العمل الفنى بحيث لا ينحرف الفن هذه الناحية فيصبح كليشيها دعائيا فجا أو ينحرف فى الناحية الاخرى فيصبح سلعة تجارية كغيرها من السلع .. هل يستطيع الفن الفلسطينى مثلا أن يدعو لقضية فلسطين بغير أن تتحول دعوته الى نوع من اللافتات المعلقة فى أسواق المناسبات • وبعبارة أخرى، هل يمكن لهذا الفن ان يبقى ، حتى بعد ان تحل قضية فلسطين ، وان يبقى مصدرا للالهام الانسانى عند غير العرب ؟

لقد اجابت معارض الفنانين الفلسطينيين التى أقيمت فى القاهرة اجابات مختلفة • بعضها ـ وهو اقل من القليل ـ يلج عالم الفن من باب الفن انسانية باقية الى عمله الفنى ، والبعض الاخر ـ وهو اقل من القليل يلج عالم الفن من باب الفن وحده ، فليست فلسطين عنده الا الفنان الذى أبدع ، فيكفى أن يقال عن صاحب هذه اللوحة ـ أيا كان موضوعها واتجاهها ـ أنه فلسطينى ليرتفع اسم فلسطين فى نظره عاليا • والكثرة الغالبة لا تزال تتخبط فى وهاد الدعاية والمباشرة والتقرير ، تخدم فلسطين أولا ، حتى ولو قيل أن أعمالها لا ترتفع كثيرا من حيث القيمة الفنية على مستوى المنشورات السياسية ..

ولكنه يبقى بعد ذلك كله ، سواء عن طريق البعض القليل أو الكثرة الغالبة أن فنا فلسطينيا أكد وجوده ولا يزال فى ساحة النضال المقدسة •

سيد درويش فى عصر جديد

تكاد تخلو حياتنا الزوجية من المـوسيقى والغناء ، بمعناهما القادر على اثراء العقل ، واذكاء الوجدان. وليس من الغريب أن يرتفع صوت سيد درويش بعد الهزيمة ارتفاعا مفاجئا ، فقد ظل أمدا طويلا فى غابة الصـمت يعانى الوحدة والهجران • الوحدة بين أصدقائه الذى يستمعون اليه فى حلقات صغيرة ضيقة ، والهجران الذى أصابه من أجهزة الاذاعة والتليفزيون • ولكن الهزيمة سرعان ما دفعت صوت سيد درويش الى أسماع الملايين يغنى « بلادى • بلادى » بألحانه العذبة الحزينة التى أعيد توزيعها وانطلقت من القاعة المسماة باسمه فى الهرم • وبالرغم من أن عودة سيد درويش الى شعبه قد أسعدت وجدان هذا الشعب الا أنها قد عذبت هذا الوجدان عذابا مريرا فى نفس الوقت. ذلك ان سيد درويش بكل ما يجسده من معان وقيم نضالية ، فان عصرنا ومحنتنا قد تجاوزا الصوت العظيم وموسيقاه. ولقد كانت الدلالة الحقيقية لعودة سيد درويش هى حاجتنا الملحة والعاجلة والكبيرة الى سيد درويش

آخر للعصر الجديد ، الى امتداد حى خلاق لسيد درويش القديم يتجاوب مع أزمة عصرنا وآلام شعبنا الجديدة · ولقد غنت « فيروز » بعضا من الحانه التى أعاد توزيعها الاخوان رحبانى ، كما غنت فيروز لحنا عظيما عن « **القدس** » وكانت بذلك صدى عميقا لاحزاننا · ولا شك أن فيروز والاخوان رحبانى قداستطاعوا ثلاثتهم انيكونوا لسانا معبرا عن الهزيمة العربية وتجاوزها .

ولكن مصر ـ من جانب آخر ـ أثبتت أنها من الاصالة والخصوبة والقدرة على العطاء بحيث استطاعت ان تثمر نبتا جديدا ، يمتد من اعماق التربة التى أثمرت سيد درويش ، ومن أغوار الشعب الذى ينتمى اليه الفنان العظيم ، فأعطتنا صوتا جديدا يحمل فى طواياه عذابات العصر الذى نعيش فيه ومرارة الايام التى نجتازها هو **صوت الشيخ امام** · وهو الشيخ الضرير الذى ظل فترة بعيداً عن أسماعنا ، يعانى ويلات اللحظة الكئيبة التى نحياها ، يعانيها ابداعا وخلقا ، لحنا وموسيقى ، ويكتوى بنار الكلمات التى احترق بها وجدان الشاعر أحمد فؤاد نجم ·· فاثمر هذا اللقاء الخصب بينهما أقدر ظواهر ١٩٦٨ على التعبير عن ازمتنا .. حتى أصبح ظاهرة شعبية تخرج عن نطاق الحلقات الصغيرة الضيقة الى القاعات الكبيرة فى نقابة الصحفيين والاتحاد الاشتراكى والجامعات . واصبح الناس يرددون اغانيه والحانه وهى تستعيد فى خاطرها اغانى سيد درويش والحان الشيخ زكريا احمد وسيد مكاوى · ولكنها تستعيد هذه الرواسب فى أغنيات الشيخ امام وموسيقاه وشعر « فؤاد نجم » لكى تعانق فى الظاهرة الجديدة تجربة جديدة لم يعاصرها سيد درويش ولم يعانيها سيد مكاوى هى تجربة الشيخ امام وفؤاد نجم ، تجربة الشعب المصرى وهو يحاول بكل اصالته الحضارية العريقة أن يحل اللغز الكامن فى وحش طيبة الاسطورى الرابض عند مدخل المدينة ·

معارك واتجاهات

ولقد بدأت محاولات مثقفينا لحل اللغز منذ وقت مبكر ، منذ جثم الاحتلال الاسرائيلى على أراضينا وصدورنا ، وبدأت آنذاك موجة عاتية من تمزيق النفس ·· ربما كانت قصيدة نزار قبانى من بداياتها ، ولكن الشعر اذا تحول نثرا على أيدى النقاد والباحثين استلزم الامر شيئا كثيرا من الهدوء والتأنى · ولقدكانت سلسلة مقالات الكاتب العراقى محيى الدين اسماعيل فى « **الاداب** » تحت عنوان « **انى اتهم ثقافتنا المعاصرة** » **من** بواكير أدب تمزيق النفس الذىاقشعر منه الكثيرونكما اقشعروامنقصيدة نزار فىالبداية.. فلقد كانت مقالات محيى الديناسماعيل طرحا موسعالماجاء فى « هوامش على دفتر النكسة » من أن فكر الاجيال المعاصرة هو الذى قاد الى الهزيمة · ولذلك ثارت عليه هذه الاجيال ـ بالرفض والقبول الجزئى والقبول الاكثر شمولا ـ وما تزال ثائرة الى الان كما يتضح فى مقال بسام طيبى بالعدد العاشر من الاداب .

وفى مصر علق الدكتور لويس عوض تعليقا متصل الحلقات على ما جاء فى بيان ٣٠ مارس حول المجلس القومى للثقافة . وقد رأى لويس عوض أن المجلس المنشود لابد وأن يحل مكان المجلس الاعلى للاداب والفنون الذى استنفد أغراضه بانشاء وزارة الثقافة ، ولم يعد الا ركيزة مالية لعقد المؤتمرات والحفلات وتوزيع الجوائز · وقد عرض لويس عوض لما يتصوره عن أهداف المجلس الجديد القادم فأكد على ضرورة عنايته بالقضايا الكبرىكقضية التراث ، المصرى والعربى والانسانى · وقال أن احياء التراث لا يعنى اعادة طبع الكتب الصفراء على ورق مصقول فتلك مقدمة لابد منها ، ولكن تتلوها مقدمات أخرى كتحقيق التراث وتوثيقه علميا ، ثم يأتى دور الاحياء الحقيقى باستلهام هذا التراث فى أعمال فنية عظيمة كما يفعل الاوروبيون بتراثهم وتراثنا وتراث البشر أجمعين ، وكما يفعل فريق من أدبائنا الان كالفريد فرج وصلاح عبد الصبور ·

وقد تصدى لمناقشة الدكتور لويس عوض الكاتبان عبد الرحمن الشرقاوى وبدر الديب فى «الجمهورية» حاول الاول ان يدافع عن المجلس الاعلى وحاول الاخر أن يدافع عن التراث ·· الاول من موقع الابقاءعلىالمجتمع كما هو،والاخر من موقع احياء التراث كما هو . ولكن الرد الموضوعى الامثل كان الحلقة الدراسية التى عقدتها جمعية الادباء حول التراث العربى . على أنه مهما اختلفت الاراء فى هذه القضية أو تلك ، فقد تميزت المناقشات جميعها بهدوء النبرة والموضوعية الى حد كبير فأنقذت الموضوع من البوار على مائدة الهجوم الشخصى المبتذل .

وهو المنهج الذى ساد على الحوار بين الاجيال الجديدة فى قضيتين : الاولى هى قضية ترجمة وطبع ونشر الاعمال الكاملة للكاتب الروسى دوستويفسكى · فقد طرح اسماعيل المهدوى هذه القضية على صفحات « المساء » فهاجم الترجمة بحجة أنها تمت عن الفرنسية لا عن الروسية مباشرة · وهاجم أن تكون أعمال دوستويفسكى من الاعمال الجديرة بالانفاق عليها من خزينة الدولة . واشترك ركن الادب فى جريدة «الاخبار» فى اشعال القضية متخذا جانب اسماعيل المهدوى . وتصدى احمد عبد المعطى حجازى فى « روز اليوسف » لمناقشةهذهالقضية متخذا موقفا صحيحا فى مجمله · ولكن المناقشة شابها فى ردود طرفيها هجوما شخصيا متبادلا أفقدها ثمارها المرجوة ·

وكذلك الامر فى القضية الثانية التى ثارت بين رجاء النقاش فى « المصور » وصالح مرسى فى « صباح الخير » حول ما اذا كان نجيب محفوظ قد أصبح عقبة فى طريق تطور الرواية العربية . فقد رأى رجاء أن اعمالا روائية جديدة للادباء الشبان ليست الا ظلالا باهتة لاعمال الروائى الكبير . ورأى كذلك ان بعض الروائيين الموهوبين من الجيل الجديد يرتاب فى قدرته الذاتية على تجاوز نجيب محفوظ ، وهذا من شأنه أن يقيم حائطا كبيرا مسدودا فى وجه الرواية العربية اذا فقدت الدم الجديد ، سواء « بتلوثه » فنيا بآثار الدماء القديمة اوبخشيته ــ اذا كان نقيا خالصا من التأثر ــ من السريان فى عروق الرواية العربية وشرايينها، اذ يحس أنه لا يستطيع «التطاول» على عبقرية نجيب محفوظ . وكان من الممكن ان تتخذ المناقشة سبيلا آخر غير الذى اتخذته بالفعل ووصلت به الى حافة المهاترات الشخصية المجوجة .. لولا ان صالح مرسى انفعل انفعالا شخصيا جامحا انعكس فى العبارات الجارحة التى استخدمها فى الرد · وبالرغم من أننى أختلف اصلا مع منطق رجاء فى طرح القضية ، لانى أرى فى انتاج غسان كنفانى وحليم بركات ويوسف الاشقر وصنع الله ابراهيم والطيب صالح ابداعا روائيا يجتاز مدرسة نجيب محفوظ ويتخطاها فكرا وتعبيرا ·· الا أن ردود صالح مرسى الشخصية والتى لا يتفق معه بشأنها احد قد جذبت رجاء الى نفس الحافة الخطيرة التى اضطرت نجيب محفوظ ان يحذره منها فى حديث اجراه معه . ولقد كانت النتيجة أن فقدنا ثمار معركة أخرى كان من الممكن أن تمنحنا قيمة جديدة لو تخلصت من النزاعات والاهواء غير الموضوعية ·

ويمكن القول بشكل عام أن المعارك الفكرية والادبية هذا العام لم تثمر ثمارها سواء على أيدى الجيل السابق بالرغم من « آداب المناقشة » التى تحلى بها أوعلى ايدى الجيل اللاحق بسبب غياب هذا التقليد الموضوعى المتحضر · ولقد ضاعت ثمار المعركة بين أبناء الجيل الماضى لان كلا منهم فى حالة اكتفاء بذاته فلم يتم بينهم « حوارا » حقيقيا · وضاعت ثمار المعركة بين أبناء الجيل الجديد بالرغم من امكانية « الحوار » لان حماسهم لانفسهم اكبر من حماسهم للقضية المطروحة ·

صراع الاجيال ، محور ١٩٦٩

اذا كان « التمرد » هو طابع الحركة الثقافية العربية فى مختلف فنونها وآدابها وافكارها واتجاهاتها . خلال عام ١٩٦٨ ، فان هذا التمرد ــ انعكاسا لحركة المجتمع الغربى والاوضاع العالمية المعاصرة ــ ظل حبيس الاطر المحافظة التى تحكم فى النهاية مسار الحركة وتضبط ايقاعها · فليس التمرد «ارسالا» فقط ، وانما هو استقبال ايضا ، واذا كان شباب المثقفين فى الوطن العربى يملكون أجهزة الارسال ، فانهم على وجه اليقين لا يملكون اجهزة الاستقبال من دور للنشر وأجهزة للاعلام وغير ذلك من أدوات « التوصيل » التى تقيم الجسور بين الفكر ومتلقيه ، وبين الاداب والفنون ومتذوقيها · وبغير دورة حرة للارسال والاستقبال فان التمرد الثقافى يظل أسيرا لهذه الاطر المحافظة ــ ولو بحكم انتمائها لاجيال سابقة لا الى افكار متخلفة جوهريا ــ تتحكم فيه ضبطا وايقاعا ·

ولقد حاول الشباب ولايزال تجاوز الازمة القادمة بلا ريب بأن يعتمد على نفسه اعتمادا مطلقا ، ولكن هذا الحل الشكلى والمثالى ليس الا حلا مؤقتا وضعيفا ولا يقبل الاستمرار . ذلك لان سلطة الاجيال القديمة ليست مجرد استحواذ على دور النشر واجهزة الاعلام ، فكم من الشباب يعملون فى هذه الدور وتلك الاجهزة .. ولكن السلطة الحقيقية لهذه الاجيال هى سلطة فكرية محافظة تعتمد على أسس راسخة فى الوجدان الاجتماعى العام · ولقد كان عام ١٩٦٨ من جانب المثقفين الشباب هو عام «التمرد» ولكنه ايضا ، وبنفس المقدار ، كان عام « احتواء التمرد » من جانب الشيوخ والمحافظين .. وكم من مجلة ناشئة اعتمدت ميزانيتها على مساعدة الكبار ، وكم من أقلام شابة « تبناها » الكبار وكتبوا لها المقدمات ، وكم من مجموعات قصصية وشعرية ظهرت على يدى الكبار وحماسهم المظهرى أو الحقيقى · لقد مد الكبار أيديهم الى « الصغار » بالخبرة والتجربة والحنان · وهذه جوانب ايجابية لا شك فيها · ولكنها لا تخفى الجانب الاكبر من التناقض بين الاجيال وهو الجانب الفكرى · تلك هى القضية التى لا يفيد معها « الاحتواء » ، وانما يفيد معها « الحوار » ·

ولقد شهدت نهاية عام ١٩٦٨ ارهاصات الحوار القادم بين أجيال الثقافة العربية المعاصرة · وهى ارهاصات تنبىء بعمق الصراع وحدته وتعدد ابعاده ، تعبيرا اصيلا عما يموج به المجتمع العربى من حاجة ملحة ومتزايدة الى التجديد الشامل · ولعل الدلالة الرئيسية لاصداء الدراسة التى نشرتها « الطليعة » حول الشباب هى هذه: ان جيلا جديدا من أجيال البشرية المعاصرة قد ولد ، وأنه فى أتون التناقضات التى تمزق عالمنا قد كبر ، وأنه بصوابه وأخطائه يعد نفسه اعدادا ثوريا لقيادة التغيير · ومن الدلائل الهامة أن يتصدر المثقفون فى جميع انحاء العالم ــ طلابا ومهنيين ومفكرين ــ لحمل المسئولية ، ولا تنفصل بلادنا عن المجرى العام للصراع بين الاجيال ، ولا ينعزل مثقفونا عن تبعات هذا الصراع ·

ولنتطلع الى عام ١٩٦٩ وكلنا قلب خافق بما يمكن أن ينطوى عليه من اسرار الحياة المتجددة .

تحقيق سياسي من موقع الأزمة

تشيكوسلوفاكيا

من داخل

تشيكوسلوفاكيا

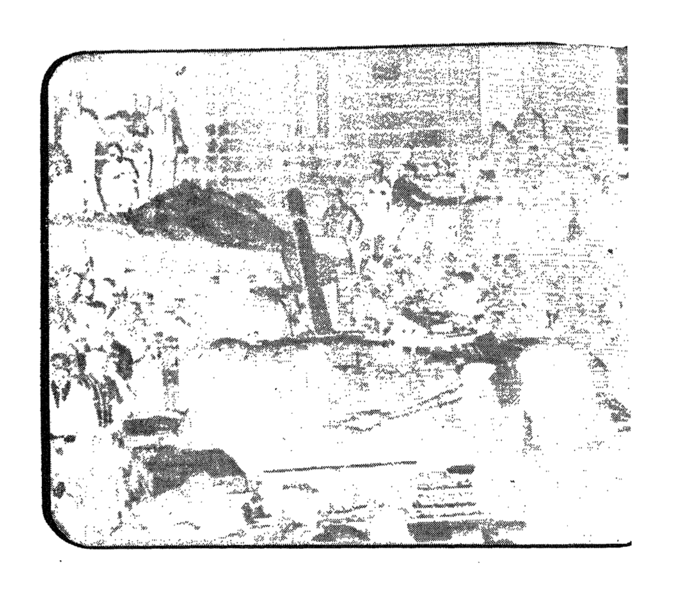
تقدم « الطليعة » بهذا التحقيق نوعا جديدا ومكثفا من الخدمة . وهو القيام بدراسات على الطبيعة في موقع مشكلة او أزمة عالمية أو قومية او محلية ذات اهمية خاصة على مجرى الاحداث والتطور .

وفى هذا النطاق أوفدت « الطليعة » محمد سيد احمد عضو مجلس تحريرها فى رحلة دراسية استغرقت شهرا ونصف الشهر الى عواصم الدول الاشتراكية التى كان لها دور بارز فى احداث تشيكوسلوفاكيا ، التى ما تزال تجذب اعمق الاهتمام عالميا . وقد بدأ « محمد سيد احمد » جولته فى سبتمبر ، بعد دخول قوات حلف وارسو لتشيكوسلوفاكيا بتسعة أيام فقط .وزار كلا من براغ وموسكو وبرلين ووارسو .

وتقدم الطليعة هذا التحقيق الشامل الذى عاد به محمد سيد أحمد، بعد حوار واسع أجراه مع الاطراف المختلفة لهذا الحدث الخطير .



قام بالتحقيق : محمد سيد أحمد



هيئة إدارة الأزمات من أزمة الشرق الأوسط إلى أزمة تشيكوسلوفاكيا

حول الأسباب المحددة التى استدعت دخول قوات حلف وارسو

الطابع الخاص للعملية العسكرية وكيف فاجأت كل أجهزة مخابرات الغرب

أبعاد مشكلة تشيكوسلوفاكيا فى عالم اليوم



هيئة ادارة الأزمات

من أزمة الشرق الأوسط الى أزمة تشيكوسلوفاكيا



الى عواصم حلف وارسو التى كان لها ان تشارك فى تطورات أحداث تشيكوسلوفاكيا ، تكشف عن صورة للعملية تختلف كثيرا عما تتوافر رؤيته **لمراقب يتابع الموقف من بعيد . وربما كان أهم مايستحق الالتفات اليه ، هو ان القضية ، وان دارت فصولها فوق أرض تشيكوسلوفاكيا : فهى فى دلالاتها وأبعادها لاتقتصر على تشيكوسلوفاكيا وحدها . وقد مر من الزمن على دخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا فى ليلة ٢٠ أغسطس الماضى ، ما يسمح بتحديد ملامح الصورة بعيدا عن الانفعالات العنيفة التى حجبت وضوح الرؤية فى الايام الاولى — ويمكن تقرير أن المشكلة برمتها تمس — بشكل أو آخر — أهم المسائل التى يطرحها عصرنا ، ومن المؤكد أنها ليست منبتة الصلة عن أخطر القضايا التى تواجهنا فوق أرضنا العربية .**

وليس القصد من وجود وجه للمقارنة بين « أزمة الشرق الاوسط » و« أزمة تشيكوسلوفاكيا » — والفاصل الزمنى بين « الحدث » فى كل منهما تجاوز السنة الواحدة بقليل — هو ان « **تدخلا عسكريا** » ، أفضى فى الحالة الاولى الى احتلال اسرائيل لاجزاء من أرض بعض الدول العربية ، مقابل « احتلال » دول حلف وارسو لأرض تشيكوسلوفاكيا فى الحالة الثانية .

فمن المؤكد أن ليس هناك ثمة أساسا لعقد مقابلة بين **دلالة العدوان الصهيونى الاستعمارى على الوطن العربى ، والدوافع التى حكمته ، وتلك التى تحركت فى ضوئها قوات حلف وارسو ، دفاعا عن الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا .**

ان أحداث تشيكوسلوفاكيا تتصل اتصالا عميقا بمحتوى وابعاد « **الثورة الاجتماعية** » فى عصرنا واشكال الصراع الجارى فى عالم اليوم بين قوى الاستعمار ، وبخاصة الاساليب المتكرة للاستعمار الجديد من جانب ، وقوى الاشتراكية والتحرر الوطنى والديمقراطية من الجانب الاخر . وهى تتصل فوق ذلك بانجازات « **الثورة العلمية والتكنولوجية** » فى عصرنا أيضا . ولا أقصد بهذه الانجازات ، مجرد تلك التى لها انعكاساتها على الاستراتيجية العسكرية المعاصرة ، وما يتطلبه

« التوازن الاستراتيجي العالمي » من اعمال اساليب « القوة » .

وقد كشفت لنا حرب الايام الستة أن حقائق عديدة في اللحظات الفاصلة ما زال يكتنفها الغموض، ومهما كان حسن التدبير في الضربة المباغتة التي وجهتها اسرائيل في صبيحة يوم ٥ يونيو ، ومهما كانت الاخطاء التي ارتكبت من جانب العرب ، واتاحت للعدو فرصة نيل انتصاره المؤقت السريع ، فان هذه العوامل وحدها لا تكفي لتفسير ما نجم عنه الصدام من نتائج . **والامر يستدعي أن ننتبه الى أن علامات استفهام كثيرة ما زالت تلاحق الدور الذي تولته التحركات الاستعمارية الخفية**، ويكفي دليلا على ذلك ما أصاب دوائر متعددة في العالم من ذهول ، اثر النكسة ، وواقع آثارها .

وهذا التباين بين « سطح » الاحداث ، و « حقيقة » القوى التي تصنعها وتحركها في الخفاء ، ظاهرة — بالبداهة — لم يكن من المتصور أن تظل مقصورة على الشرق الاوسط . ويقضي المنطق بأن هذه الظاهرة كان لا بد أن تسفر عن نفسها بصور متنوعة في مواقع أخرى من العالم.

وجدير بالذكر هنا أن « أوجه الشبه » بين « أزمة الشرق الاوسط » و « أزمة تشيكوسلوفاكيا» — بعد التحفظات التي أبديتها — تتسع لعدد من الظواهر التي تستحق أن تشد انتباهنا ، وبخاصة أنها جميعا « تعمل في اتجاه واحد » .

دور الاعلام والدعاية

● اننا جميعا على علم بدور الاعلام والدعاية في الاساءة الى القضية العربية وخدمة اسرائيل، قبيل ٥ يونيو ، وفي الفترة التي تلت الحرب مباشرة. ولا اقصد بذلك فقط نشاط **أبواق الصهيونية العالمية** ،وقدرتها على تعبئة قطاعات عريضة من الرأي العام العالمي لتقف الى جانب اسرائيل في عدوانها على العرب . وانما أقصد فوق ذلك **طابع ومحتوى بعض أوجه الدعاية العربية** التي هيأت موضوعيا للدعاية الاسرائيلية المقابلة ، — وبرزت هذه الدعاية موضوعيا أيضا — **كقوة في حد ذاتها** ، اعاقت من حرية مناورة القيادات السياسية ، وحدت من قدرتها على اتخاذ التدابير الكفيلة بافساد مخططات اسرائيل الخبيثة الرامية الى شن عدوانها المباغت بمجرد أن تسنح الفرصة .

● **وظاهرة مماثلة تماما** نجدها في التطورات التي عاشتها تشيكوسلوفاكيا منذ تجديد قيادتها السياسية في يناير . فابتداء من مارس ، تحولت أجهزة الاعلام والدعاية الى **كيان مستقل بذاته** ، وهو كيان اكتسب بعد انزواء الرقابة عملا ، ثم الغائها رسميا **استقلاليته** نسبيا حتى عن الحزب الشيوعي . وامسح المجال لوثائق لا تخفي عداءها للحزب ، وحقدها على الاشتراكية [مثل وثيقة الالفي كلمة المشهورة] فرصة التداول بحرية تجاوزت بعض الوثائق الحزبية ، وأصبحت هذه الاجهزة الاعلامية والصحفية تملك قدرة اشاعة جو من الارهاب ضد كل من يبدي مجرد الرغبة في مناهضة خطها الجارف .

وابرز ماينبغي أن يستوقف نظرنا في هذا الصدد ، هو أن النظم المتبعة في الاعلام والدعاية خدمت في الحالتين مصالح الاستعمار قبل أن تخدم مصالح قوى التحرر والاشتراكية . وهذه ظاهرة لا تنفصل عن القدرات التي أصبحت تختزنها **انجازات العلم والتكنولوجيا** في أساليب الاتصال السلكي واللاسلكي ، في الاذاعة والتليفزيون ، وسرعة انتقال الصحفيين والمعقبين والقدرات التي أصبحت متاحة لوسائل مبتكرة في التجسس والوصول الى الاسرار ، وتتبع وتصنيف الوقائع ، والتأثير على الاحداث ، وعلى مجرى **التحولات الاجتماعية** . وهذه الحقائق شهدت اثرها المباشر في أحداث براغ .

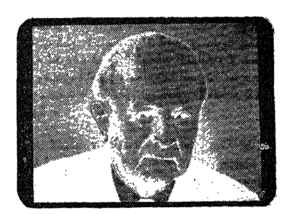
ويكفي أن أشير هنا الى ما نقل لي عن « خبرات » اهتمت قيادة حلف الاطلنطي أن تستخلصها من حرب الايام الستة ، لتخطيط أساليب شن الحرب الوثائقية بطرق سرية مبتكرة مكيفة لظروف أوربا . وهذه العمليات لا تعتمد على وسائل الاعلام وامكانياتها الحديثة لجرد جني المعلومات ، بل **للتدخل في صنع الاحداث تدخلا سافرا** .

لقد انشأت قيادة حلف الاطلنطي هيئة أطلقت عليها اسم « **ادارة الازمات** » Crisis Management ، مهمتها هي بحث وتنظيم وسائل الانتفاع من اللحظات الدقيقة التي تتفجر عندها أزمة في احدى دول أوربا الشرقية ، وتهيئة العمل للتدخل بتدابير معدة مقدما ، وبعناية فائقة . ومن المعلوم ان الادارات المركزية للحلف كانت تختص في الماضي بالنواحي **العسكرية** وحدها ، ولكنها أصبحت الان تجري الابحاث الدقيقة في جوانب الحياة **السياسية والاجتماعية** بالتعاون مع أجهزة

المخابرات . وقد اطلعت بنفسي على وثيقة خطيرة ضبطت في المانيا الغربية ، تتضمن تعليمات للعملاء ، وتجمع بين صفتين تبدوان لاول وهلة جد متناقضتين : فهي من ناحية تستفيد من كل خبرات « ماوتسي تونج وشي جيفارا » وغيرهما لاطلاق حرب العصابات في ظروف بيئية متنوعة واحيانا بأبسط الطرق البدائية . وهي من ناحية اخرى تعتمد على كل امكانيات العلم الحديث ، والعقول الالكترونية في تصـنيف المعلومات ، وتنظيم التوجيه بما يحقق أفضل النتائج وأكثرها فعالية .

والوثيقة المذكورة ــ وقد كانت موجهة لعملاء في تشيكوسلوفاكيا ــ مرقمة ، وبها خانات مرقمة وبكل خانة بنود مرقمة وكل بند عبارة عن جملة مقتضبة ، وتختص كل خانة بجانب مـن جوانب الحياة الاجتماعية أو السياسية : « **الحالة داخل الحزب** » ــ « **داخل المصانع** » ــ « **في التجمعات الجماهيرية** » ــ **الخ** .. وأذكر أن الخانة ١٢ ــ تحت عنوان « **سلوك الناس** » ــ كانت تتضمن البنود الاتية : [صفر] لا شيء ــ [١] مناقشات [مع الجماهير] ــ [٢] مظاهرات [صغيرة] ــ [٣]اضرابات [محدودة] [٤] خلق مجمـوعات معارضة ــ [٥] عمليات تخـريب [فردية] ــ [٦] اطلاق دعايات واشـاعات ــ [٧] طلب الافراج عن المسجونين ــ [٨] خلق اضطرابات واسعة [٩] شن الحرب الاهلية .

وقيل لي أن التعليمات تصدر الى العملاء عن طريق اذاعة أرقام معينة بالراديو ، وعلى العميل التحرك بعد مضاهاة الارقام ، بالبنود المحددة في نسخة من الوثيقة تسلم اليه .



■ **لودفيج سفوبودا** ■

لم يكن رجلا سياسيا ، ولاعضوا قياديا بالحزب الشيوعي .. بل رجلا عسكريا ، اشتهر بدوره البارز كقـائد للفـرقة التشيكوسلوفاكية التي ناضلت بجوار الجيش الاحمر ضد الالمان اثناء الحرب .. ومع ذلك اثبت في المحنة حنكة سياسية فائقة .. وكان له الفضل الاعظم في انقاذ الموقف في أدق لحظـات الازمة .

وينبغي ــ في نظري ــ أن نعزو الى مثل هذه الاساليب ، هذه « القدرات الخفية » التي أصبح يملكها الاستعمار في تحركاته الحديثة . وهـذه الظاهرة يجب أن تكون موضع دراستنا الدقيقة والمتأنية .

● ولكن علينا أن ندرك أيضا أن هذه القدرات لا تنبع فقط من انجازات فنية وتكنولوجيـة في مجال الاعلام وحـده . وانما ترجـع كذلك **الى مناهج متبعة في هذا المجال للتأثير على العقول، وتشـكيل رأى عام ، وشـن ما أصبح معروفا « بالحرب النفسية »** وتستند هذه الحرب النفسية الى « **شكل** » في دعاياتها ، والى « **محتـوى** » لهذه الدعايات . **فمن حيث الشـكل** ، تتظاهر أساليب الدعاية الغربية ــ كما هو معلوم ــ بالتزام الموضوعية التامة ، وطرح جميع الحقائق دون تمييز ، واتاحة الفرص لكل وجهات النظر ، عملا بفكرة « **الديمقراطية المطلقة** » ، ولكنها **في** الحقيقة تتبع بمقدرة ومهارة طرقا خبيثة في انتقاء وابراز الحقائق ــ مستخدمة فن الاثارة ــ لتوجيه الجمهور الى نتائج محـددة ، يسند ذلك أساليب هذه الدعاية **من حيث المحتوى** . وقد تخلت عن ادعاءاتها الفجة السابقة في محاربة الشيوعية ، وأصبحت تلجأ الى تشجيع النعرات القومية ضد التضامن الاشتراكي ، وتقتبس حجج «الاشتراكية الديمقراطيـة » الاوربية التقليدية ، وتسترشـد بنصائح الخبراء « الاشتراكيين » أمثال زعماء حزب « **ويللي براندت** » في المانيا الغربية ، أو « **جي موليه** » في فرنسا . ولكن ربما كان أقوى أسانيد هذه الدعاية على الاطلاق ، هو قدرات وسائل الاعلام الاذاعية الحديثة في **تقريب العالم** وابراز انجازات الثورة التكنولوجية في انعاش اقتصاديات الغرب الاستعماري، بغض النظر عما يترتب عليها من تمزقات اجتماعية واضطرابات اقتصادية ، وبصورة ترضى تطلعات فئات لم تحقق الاشتراكية بعد ، كل ما تصبو اليه .

● **وجدير بالذكر أن الصهيونية ، كفصيلة من فصائل الفكر الاستعماري المعاصر ، قد أسهمت بدورها في تنشيط الدعايات المعادية، وكان لها في تشيكوسلوفاكيا دورها الملموس بعد يناير ١٩٦٨**

وقد أثبتت أحداث تشيكوسلوفاكيا مرة أخرى أن الفكر الصهيوني يملك قوة نفاذ وانتشار تتجاوز الحدود الاقليمية للشرق الاوسط ، ولا يقتصر على غرب أوربا الرأسمالي وحده ، وان لجأ الى تلوين

ادعاءاته حسب الموقع الذى يعمل منه . وقد ثبت أن هذا الفكر يلعب دورا بارزا فى اضعاف الروابط بين القوى العالمية المعادية للاستعمار ، ويستثمر معانى « الديمقراطية المجردة » بهدف اشاعة البلبلة ، وتثبيط الهمم فى الحرب النفسية المطلقة ضد كافة المعانى المعززة لترابط وتضافر قوى التحرر والاشتراكية فى العالم . **وليس من باب الصدفة أن مشكلة تشيكوسلوفاكيا انفجرت فى اعقاب ازمة الشرق الاوسط مباشرة . ولا** ينفصل ذلك عن الموقف الحاسم الذى وقفته دول حلف وارسو من اسرائيل ، بما فى ذلك القيادة التشيكوسلوفاكية السابقة . وكان هذا الموقف الحاسم ، من العوامل المحركة لحملة التشكيك فى صحة هذه السياسة ، من جانب دوائر معينة فى تشيكوسلوفاكيا ، ارتفعت اصواتها فى ظل « الاشتراكية الديمقراطية » التى نادت بها القيادة الجديدة . وليس هناك شك فى ان ثمة صلة تربط بين **تمايز طابع الاشتراكية** فى تشيكوسلوفاكيا عن بقية الدول الاشتراكية المجاورة، وبين **التمايز** فى موقف الراى العام التشيكوسلوفاكى ، بل وموقف بعض كبار المسئولين ، **من قضية اسرائيل**

ويكفى للتدليل على حقيقة «**الديمقراطية المطلقة**» التى اصبحت تتباهى بها اجهزة الاعلام فى تشيكوسلوفاكيا بعد اختفاء الرقابة ، أن أروى القصة التالية ، أنقلها عن صاحب الشأن فيها راسا ، وهو صديق عربى يعمل باذاعة براج ، وهو ليس ممن يناصرون دخول قوات حلف وارسو فقد كان احد الصحفيين التشيك يدعى «**لوستيك**» قد نشر مقالا بالمجلة الادبية «**ليترارنى ليستى**» هاجم فيه العرب بمفتريات صارخة لا تعرفها سوى اكثر صحف الغرب رجعية وتعصبا فى عدائها للعرب. وحاول صديقى العربى ان يرد ، ولكن اعتذرت المجلة عن نشر رده ، متذرعة بمبررات غريبة .. وظل صديقى يلح ويحاول . ولجأ الى جميع الصحف بلا استثناء . ولكنها اعتذرت هى الاخرى لاسباب مختلفة . منها انها على غير استعداد لاقامة حوار على صفحاتها مع لوستيك الذى بنى مجده بكتب نشرها فى اسرائيل . ولم يجد صديقى سبيلا لنشر مقاله سوى أن يلجأ الى صحبه من العرب ليجمع تبرعات ، ويدفع ثمن نشر المقال الذى يناصر رأى الدولة الرسمى .. كاعلان !! .. وهنا برز كل عجب المفارقة ! .. ونطوعت احدى المجلات بنشر عمود يسرد القصة ولكن المقال الاصلى ردا على لوستيك لم ينشر قط !! ..

● **اننى لا ادعو مطلقا الى ان نقتبس من الغرب اساليبه فى الدعاية والاعلام . ولكنى ادعى ان مواجهة هذه الاساليب اصبحت تستدعى جهدا وفكرا ابداعيا خلاقا ، كفيلا بالارتفاع الى مستوى التحدى — وربط ازمة تشيكوسلوفاكيا بأزمة الشرق الاوسط — بعد ادراك دور الدعاية والاعلام فى الحالتين — يكشف عن حقيقة اننا بصدد مخطط متصل ، اثبت كفاءته فى اخطر لحظات المواجهة . ولم يعد تصحيح اساليب الاعلام والدعاية المقابلة ترفا يحتمل الارجاء ..**
وقد صححنا الكثير من اساليب دعايتنا منذ حرب يونيو ، وان كانت هذه الاساليب لم ترتق بعد الى المستوى المنشود . ولكن ينبغى أن نقرر فيما يختص بأزمة تشيكوسلوفاكيا ، ان الخط الدعائى الذى اتبع لتفسير عملية دخول القوات ، ظل فى نظرى قاصرا ومتخلفا عن متطلبات الموقف ، وهو أمر سمح للدعايات المعادية باستثمار الجو الذى اثير الى حد مذهل حقا ..

الشرعية الدولية

وثمة نقطة ثانية تصلح وجها للمقارنة بين « ازمة الشرق الاوسط » و « ازمة تشيكوسلوفاكيا » تتصل « بالشرعية الدولية » كما هى مقررة ومطبقة فى عالم اليوم .

فمن المعلوم طبعا أن « الشرعية الدولية » ليست بحال من الاحوال قواعد سرمدية ، أو التزامات أبدية لا تقبل الاصلاح أو التطوير ، حسب توازن القوى الاجتماعية على النطاق العالمى . **وينبغى أن نقرر أن « الشرعية الدولية » فى تطبيقاتها الراهنة ، برزت خلال الازمتين على السواء ، كاطار خدم تحركات الاستعمار ، أكثر من مساندتها لحركة قوى التحرر والاشتراكية .**

● فقد تملك بعض الدوائر الاستعمارية أن

تجادل ؛ انطلاقا من منطقها ؟ فى ان اسرائيل كانت المعتدية فى صبيحة يوم ٥ يونيو — وطبعا يتصل هذا « الالتباس » بقوة تأثير اجهزة الاعلام والدعاية الاستعمارية والصهيونية ، وقدرتها على تضليل بعض قطاعات الراى العام العالمى ، ولكن ما لا يقبل الجدل فى اية صورة كانت ، هو ان اسرائيل ما زالت تحتل ارضا عربية ، ومع ذلك ، اثبتت الهيئات العالمية التى تجسد هذه الشرعية الدولية وعلى راسها الامم المتحدة ومجلس الامن ، عجزها حتى هذه اللحظة عن أن تلزم اسرائيل بالتخلى عن هذه الاراضى المغتصبة .

● **وفى تشيكوسلوفاكيا** : نشأ موقف اشعر الدول الاشتراكية المشتركة فى حلف وارسو بأنه يلزمها — دفاعا عن الاشتراكية — باللجوء الى اجراء كان بلا شك موضع نزاع جدى فى نظر الشرعية الدولية المتعارف عليها .. وأذكر أن صحفيا سوفيتيا مسئولا اعترف فى خطاب له لجريدة « **لوموند** » الفرنسية فى ٢٠ سبتمبر الماضى بأن « دخول القوات الحليفة فى تشيكوسلوفاكيا تم بدون نداء رسمى من حكومة هذا البلد ، بمعنى أن الدول الاشتراكية الخمس لم تكن تملك مستندا حكوميا يؤهل البلاد الحليفة لان تدخل قواتها فى أرض تشيكوسلوفاكيا . انها لم تكن تملك سوى نداء للمساعدة ، صدر من مجموعة شخصيات فى الحزب والدولة ، وهو نداء تشكك الدعاية الغربية فى قيمته القانونية . ولكن حتى بدون هذه الوثيقة فقد كانت الدول الحليفة لتشيكوسلوفاكيا تملك فى اطار حلف وارسو ، ومن جراء الموقف الذى نشأ ، « **الحق الادبى فى التدخل** » . وهكذا استند الصحفى السوفيتى الى حق أدبى ، وليس الى حق شرعى مستمد من مقاييس « الشرعية الدولية » السائدة .

واعتقد فى ضوء تجربة الشرق الاوسط وتجربة تشيكوسلوفاكيا ، ان قطاعا هاما — ومتزايدا — من القوى العالمية المعادية للاستعمار ، اصبح يتنبه الى قصور « الشرعية الدولية » — فى صياغتها الراهنة — عن تأمين مصالحه ضد الاساليب المبتكرة التى اصبح من المتاح للاستعمار اللجوء اليها .

والواقع أن هذا القصور هو تعبير قانونى عن قضية اعمق ؟ ذات ابعاد اجتماعيــة خطيرة . وتتلخص هذه القضية فى أن هناك ادراكا بتغييرات هامة قد طرأت خلال السنوات الاخيرة على علاقات القوى الدولية ، وطبيعة هذه العلاقات والفرص المتبادلة المتاحة لكل منها فى الحركة ، ومن الواضح أن لانجازات الثورة **التكنولوجية** اثرها البارز كذلك فى هذا المضمار ، وهو أثر لا يقتصر على الاستراتيجية **العسكرية** فحسب ، بل يمتد الى أشكال المواجهة داخل نطاق العمل « **السلمى** » وبأعمال اساليب الحرب « **النفسية** » وحرب الدعاية والاعلام ، وغيرها من الوسائل الفعالة ، الكفيلة بالتأثير على الراى العام ، وعلى مجريات التحول **الاجتماعى** .

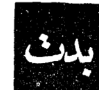
وتطرح هذه التغييرات قضية لم يعد من الممكن اغفالها ، تتعلق بالتطبيقات الراهنة « للتعايش السلمى » . فلا اعتقد ان احدا يملك ان يجادل فى ان « **مبدأ** » التعايش السلمى لا يحتمل عالمنا الحديث بديلا له . وليس هناك شك فى أن هذا **المبدأ** — بمقدار ما أمكن فرضه كواقع يجد تطبيقه فى السياسة الدولية — قد افسح لقوى التحرر فى العالم فرصا واسعة للنمو والازدهار لم يسبق لها مثيل . وما زال تقدم المد الثورى هو السمة البارزة لعصرنا . **ولكن هل لا يجدر بنا أن نطرح فى الوقت ذاته حقيقة أن الاستعمار الجديد قد نجح فى أن يتكيف للموقف ، وأصبح فى مقدوره ان يستفيد من بعض أساليب التطبيق الراهن للتعايش السلمى ، بمرونة وكفاءه تفوق قدرات القوى العالمية المعادية للاستعمار ؟ ومن هنا : يتداعى السؤال : أليست هذه الاساليب فى حاجة الى تصحيح ؟**

وبالقدر الذى برز عدوان صبيحة ٥ يونيو ٦٧ كضربة عسكرية مباغتة ، وجهتها قوى الاستعمار والصهيونية الى حركة التحرير العربية داخل « مناخ » دولى ، « وتعاملات » دولية لا تعد هذه الضربة اخلالا صريحا ، يقضى على التطبيق الراهن للتعايش السلمى ، بنفس القدر ، يمكن اعتبار عملية تشيكوسلوفاكيا ، ضربة مقابلة ، راعت نفس القواعد، ولكن فى هذه المرة للحد من التمادى فى هذا « المناخ » بما يهدد التوازن الدولى كله .



حـــول
الاسباب المحددة
التى استدعت

دخـــول قـــوات حلـــف وارســـو



لى براغ هادئة ، بمجـرد ان وطــأت اقدامى أرض المطار ، وصولا من موسكو وبرلين فى منتصف سبتمبر. وبدت الحياة خلال الاسابيع التى مكثتهـا هناك كأنما عادت الى حالتها الطبيعيـــة ، لولا ان شـــوارع العاصمة قد خلت من سيارات السياح بارقامها الاجنبية ، وقل الرواد الاجانب بالمطاعم والملاهى. وكانت الفنادق الكبيرة ما زالت مكتظـــة برجال الاعمال ، قيل ان منهم من عاد من معـــرض برنو الصناعى الدولى ، ولـــكن تحققت ان الكثير بينهم صحفيون انتحلوا هذه الصفة لاجتياز الحدود بعد دخول القوات ، وربما كنت الصحفى الوحيد الذى استطاع ان يحصل وقتذاك على تأشيرة دخول.

وكانت الدبابات الســـــوفيتية قد اختفت من شوارع العاصمة . ولم يعد هناك وجود مادى لاحداث الشهر السابق ، سوى بعض سيارات اللاســـلكى المرابطة خلف الاشجار فى بعض الحدائق العامة ، وآثار الحرق والرصاص بمبنيين قـــرب مبنى الاذاعة ، وباقات الورود التى دأب مواطنون على وضعها تحت التمثال الرئيسى بميدان فاتسلافسكى ، يلتف حولها جمع من النـــاس فى صبيحة كل يوم .

بدت العاصمة هادئة كما قلت . غير ان الوجوه الصارمة ، والمناقشـــات المحتـــدمة ، بمجرد ان يتعرض احد لاحـــداث اغسطس ، كانت تنم عن انفعالات احتفظت بكل قوتها ، وكشفت عن جرح عميق لم يلتئم بعد . وظلت اسئلة كثيرة لا تجـــد اجابات ، تقلق بال الناس ؟ حـــول ما ينبىء به المستقبل من احتمالات .

وأذكر فى صبيحة يوم ٢١ اغسطس ، وقـــد علمت وأنا فى القاهرة بدخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا . اذكر الجدل الحاد الذى اثارته هذه التحركات العسكرية المفاجئة ، وقلت وقتذاك : ليس من المتصور ان تقدم دول اشتراكية على هذه الخطوة ــ وهى خطوة قد تعرض لانتكاس خطير جهود الاتحاد السوفيتى طوال الاعوام الاخيرة ، لارساء اسس التعايش السلمى. وتحمل المحاولات لتوحيـــد الحركة الشـــيوعية لمزيد من التبعـــات والعثرات . وأصداؤها قد تمتد لتمس بظـــلالها علاقة المعســـكر الاشـــتراكى بدول حـــديثة الاستقلال ــ قلت : ليس من المتصور ان تتم هذه الخطوة ــ بمـــا تحتمله من تضحيات ــ دون ان تسندها اسباب جدية تماما .

غير ان طرح هـــذه القضية كفرض مجرد فى القاهرة ، لم يعـــد مقبولا دون تدعيمهـــا « بوقائع محددة » ، تقدم تفسيرا شافيا لعملية التدخل ، بعد رحلة استكشافية الى اكثر من عاصمة كانت طرفا فى النزاع .

وهنا ، فى التفتيش عن « الوقائع المحددة » ؟

سـواء في موسكو او برلين او وارسو او براج . استوقفتني اشكالات عدة .. لان « العنصر الفاصل » ، الذى دعا دول حلف وارسو الى التدخل بالطريق العسكرى ، هو على حد تعبيرها « **تهديد تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية بثورة مضادة** » ، تم الاعداد لها باسلوب مبتكر جديد ، قوامه هو «الانتقال السلمى من الاشتراكية الى الراسمالية» تدريجيا ، ومن خلال سلسلة ظواهر متداخلة ومعقدة ، وبسند من القوى الاستعمارية العالمية ، وبوسائل تختلف كثيرا عن احداث المجر التى كان العنف فيها مكشوفا وظاهرا للعيان ..

وقد قيل لى فى اكثر من مرة ، وانا الح فى السؤال عن « **الواقعة الحاسمة** » ، التى حتمت اصدار القرار الخطير ، قيل لى ان الاستعمار قد استفاد من دروس المجر ، ولم يلجأ الى الاسلوب المفضوح الذى يستثير رد فعل حاسم فى الحال . ومع ذلك «**نشأ موقف**» لم يكن يحتمل ارجاء التدخل قط .

وردد أمامى تصريح « **لجوملكا** » فى اجتماع لأعضاء حزبه ، قال فيه انه « عندما تتوافر لنا فرصة الكشف عن كل شىء .. فسوف تعلمون من حقائق تشيب !!» .

وشعرت ان ثمة « معلومات محققة » ، وصلت الى القيادة السوفيتية ، تحول ظروف معينة دون الافصاح عنها صراحة . وطرحت قضية تشيكوسلوفاكيا فى مستوى « **تدارك خطر حرب عالمية ثالثة** » . ولا استبعد صلة الانتحارات التى توالت اخيرا فى وزارة الدفاع الالمانية الغربية ، بتسرب معلومات حول هذا الموضوع الخطير .

غير ان « **الوقائع المتداولة** » ، ربما يختلف التقدير فى صلاحيتها كدليل على وقوع تهديد وشيك بثورة مضادة ، حسب زاوية الرؤية ، والارضية التى ينطلق منها كل مشاهد ، والمفهوم الذى يتصوره للثورة المضادة . وهى وقائع فى اغلبها موضع نزاع من جانب التشيك ، واستطعت بشكل عام تصنيفها الى :

● وقائع خاصة بتطور تشيكوسلوفاكيا الداخلى .

● وقائع تتعلق بتدخل الغرب فى هذا التطور .

● وقائع تتعلق بالخطر الذى اصبح يهدد الدول الاشتراكية المجاورة .

تصحيح أم الغاء للاشتراكية

● **أما عن الوقائع الخاصة بتطور تشيكوسلوفاكيا الداخلى** ، فهى تدور كلها حول تقدير مجريات الاحداث بعد يناير ، والى اى حد انفسحت المجال لانطلاق قوى معادية للاشتراكية ، مهدت لعودة الراسمالية . ففى نظر دول حلف وارسو ، كان **خطر الثورة المضادة قائما بالفعل** ، ايا كانت الصعاب التى قد تعترض تقديم ادلة حاسمة للراى العام ، نظرا لتدخلها الحاسم فى وقت ملائم ، سبق وصول الامور الى الحد الذى يوفر هذه الادلة ، ولكن يهدد ببلوغ « **نقطة اللاعودة** » ، التى يتعذر عندها اتخاذ التدابير المناسبة دون تضحيات جسيمة .

وفى راى جميع المسئولين التشيك الذين ناقشتهم ، **لم يكن يوجد ثمة خطرا يستوجب التدخل** ، وان حرصوا على تأكيد ان القيادة التشيكية لم تنف فى اى وقت ، وجود **قوى معادية للاشتراكية** ، حاولت استغلال الموقف لصالحها . الا ان خير سبل كبح جماح هذه القوى على حد قولهم ، هو بالوسائل السياسية ، وليس بالتدخل العسكرى .

● **وربما كان من مصلحة العرض ، قبل ان اتناول ما هو مختلف عليه ، ان احاول حصر ما تبينت انه « متفق عليه » بين جميع الاطراف ، لطرحه جانبا ، وتحديد اطار الخلاف وملامحه .** فمما لا خلاف عليه — واعتقد ان مؤشرات الواقع كانت تحول دون ان يكون عليه خلاف جذرى — هو « ان الثورة ذاتها فى تشيكوسلوفاكيا كانت مهددة فى ظل النظم المتبعة قبل يناير » . وهذه حقيقة مقررة ، تسبق فى جدول الزمن ، السؤال الذى اصبح مطروحا بضعة اشهر بعد تغييرات يناير،وهو ظهور « تهديد بثورة مضادة ». وترتيبا على هذه الحقيقة المقررة قبلينا ير ، اصبح الوضع يقتضى « **تجديدا للثورة** » . غير ان كل تجديد يحتمل — حتى كفرض مجرد — احتمالين : تجديد الثورة فعلا ، وتصحيح العيوب السابقة فى تطبيق الاشتراكية ، او تغيير الاوضاع بما يلغى الاشتراكية فى محتواها الحقيقى ، باسم التجديد والتصحيح . والخط الفاصل بين هذا وذاك ليس من السهل تحديده ، مع اجتهادات مختلفة تبذل فى العالم ، سعيا وراء صيغ للاشتراكية ، تساير متطلبات عصرنا المتجدد الملامح .

● **وهنا تبرز اهمية «الوقائع المحددة» كاساس للقياس ، ومعرفة ما اذا كانت تطورات ما بعد يناير تندرج تحت باب « تصحيح الاشتراكية » .**

أم « **الغاء الاشتراكية** » . ولكن معظم هذه « الوقائع المحددة » ، ظلت كما قلت موضع خلاف فى تقييم محتواها ، وتقدير وزنها النسبى فى سياق الاحداث . واذكر بعض الامثلة التى شهدت الصراع حولها محتدما بوجه خاص :

الاصلاحات الاقتصادية

لفت نظرى كثير ممن حدثتهم فى براج الى ان الصحافة السوفيتية ظلت تتهم **أوتاشيك** ، وهو الاب الروحى ، والمخطط الرئيسى للاصلاحات الاقتصادية الجديدة فى تشيكوسلوفاكيا « بأن مخططه كان من شأنه تحويل الاقتصاد التشيكى الى طريق الرأسمالية . وكان النمط الذى يدعو له خليطا من النظريات البورجوازية ، ولا ينبىء بشىء سوى البطالة للطبقة العاملة ، وهبوط فى مستوى معيشتها ، وتسرب الاحتكارات الاجنبية الى الاقتصاد » .

وحاولت ان استكشف الراى فى هذا التقدير — فأجاب متحدثى بابراز مذكرة تضمنت رد ١٣ اقتصاديا تشيكيا على الاتهامات السوفيتية — وجاء بالمذكرة « ان الاصلاحات الاقتصادية التى خطط لها « أوتاشيك » ، لم تكن ثمار عمله وحده ، بل كانت حصيلة مناقشات لا تحصى طوال عدة سنوات ، وتبنتها الحكومة التشيكوسلوفاكية ، واللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى مؤتمره السابق عام ١٩٦٦ . وهذه الاصلاحات التى تبرز جوانب القيمة فى عمليات الانتاج ، وربحية المشروعات ، وتحقق استقلالية واسعة للوحدات الانتاجية ، اكثر تطابقا لاحتياجات الاقتصاد التشيكوسلوفاكى من النظام المركز البيروقراطى السابق .. وهذا النظام القائم على المبادىء الاشتراكية يستهدف الارتفاع بمستوى معيشة الجماهير . ولم تكن البطالة ابدا جزءا من هذا المخطط . بل اشار الى وجود عمالة زائدة فى بعض القطاعات غير المربحة ». ودعم متحدثى التشيك رأيهم بتصريحات لرئيس اتحاد النقابات **بولاشيك** ، جاء فيها « ان النقابات ما زالت مصرة على الاصلاحات الاقتصادية فى كل قطاعات الاقتصاد القومى ، مع تأكيد دور العاملين فى الادارة بواسطة مجالس عمالية » .

والحق يقال اننى لم اجد حماسا من جانب اساتذة الاقتصاد السوفيت الذين ناقشتهم ، فى ادانة افكار « أوتاشيك » الاقتصادية بالصورة التى صورتها الصحافة . ونسبوا العيب الى البيئة السياسية فى تشيكوسلوفاكيا قبل الجوانب الاقتصادية الفنية . ولم ينف احد ان الاصلاحات التى تم تطبيقها فعلا فى المجر صارت شوطا أبعد من نشيكوسلوفاكيا . وقال لى مسئولون بالحزب الشيوعى فى بولندا انهم بصدد الاخذ باصلاحات لا تتطرف فى اعمال « مقاييس السوق » التى نادى بها « أوتاشيك » ، ولكن تدين فى الوقت ذاته الممارسات البيروقراطية السابقة . غير اننى **علمت ان «اوتاشيك» فى خضم الصراعات تمادى** فى انتقاداته للماضى ، وذهب الى حد عقد مقارنات لا تليق بعالم اقتصاد ، كمحاولة اظهار بعض اوجه القصور فى الاقتصاد التشيكى عن طريق مقارنات متعسفة مع النمسا والمانيا الغربية ، فى احاديث علنية ادلى بها امام التليفزيون .

وأيا كان الحال ، يحق ان نتساءل : هل كانت الاصلاحات الاقتصادية التى خطط لها أوتاشيك ، وأقرها الحزب مبدئيا فى مؤتمره السابق عام ١٩٦٦ ، وما زال يتمسك بها قادة الحزب ، وخبراء الاقتصاد ورؤساء العمال ، هى «تصحيح للاشتراكية » ، وفقا لمتطلبات المجتمع التشيكوسلوفاكى ، وسماته النوعية الخاصة ؟ أم هى « الغاء للاشتراكية » عن طريق تهيئة الاقتصاد لاستقبال هيمنة الاحتكارات الغربية ، وبخاصة رأس المال الالمانى الغربى كما سأشير الى ذلك فيما بعد ؟

مفهوم الحزب

الا ان الجدل قد احتدم بوجه خاص حول التعديلات التى أدخلت على نظام الحزب الشيوعى بعد فصله عن جهاز الدولة . وقد تمت الخطوة الاولى فى هذا الصدد بالفصل فى يناير بين منصب رئيس الدولة ، وكان « نوفوتنى » ما زال يحتله . ومنصب سكرتير اول الحزب ، وأصبح دوبتشيك يتولاه . وتجسدت هذه التعديلات فى الاتجاه نحو **ابراز مفهوم محدد لدور الحزب القيادى** ، قوامه



■ **أوتاشيك** ■
هل كانت اصلاحاته الاقتصادية « تجديدا للاشتراكية » ..
أم « دعوة الى الرأسمالية » ؟

ان الحزب لا ينبغى ان يكتسب هذا المركز الا بفضل قوته الاشعاعيه والاقناعية بين الجماهير . وعليه ان يتخلى عن الطرق الادارية والتحكمية التى كانت سائدة من قبل .

ومآخذ السوفيت على هذا الاتجاه لا يتعرض لوجوب تدعيم التلاحم بين الحزب والجماهير . ولكن لفت نظرى بشدة فى موسكو ، الى ان هذا المفهوم بمثابة استقالة من جانب الحزب عن مهامه ، ويحمل معنى انزوائه كهيئة قادرة — فى ظروف تشيكوسلوفاكيا المحددة — على كبح جماح قوى معادية كمنت ، ولكنها لم تستأصل ، وما زالت تتحين الفرص للحركة ، بهدف الغاء الاشتراكية اصلا ليس الا .

وقد نشرت الصحافة التشيكية بالفعل بعد الغاء الرقابة مقالات تبرر حقا هذه المخاوف . فقد كتبت « **ليترارنى ليستى** » فى ١٣ يونيو ، ان « الحزب الشيوعى لم يعد يملك الحق الاخلاقى او السياسى فى ان يحتفظ بدوره القيادى » . واضافت مجلة « **ستودنت** » فى ٣ يوليو « ان الوقت قد حان لاعادة ظهور التكتلات والتجمعات داخل التنظيم الحزبى » . بل ذهبت بعض الصحف الى حد التحريض على « الغاء كل نشاط للحزب الشيوعى » و « اعتباره منظمة اجرامية تستحق اللفظ من الحياة العامة » . ولم يكن التطاول على الحزب حدثا استثنائيا ، بل اخذ يتكرر بصورة حادة ، وبلغ التحدى ، حد جمع التوقيعات علنا للمطالبة بحل الميليشيا العمالية التى تعتبر عصب النظام ، والقوة المسلحة التى تكفل حمايته منذ انتصار الثورة الاشتراكية فى فبراير عام ١٩٤٨ .

ويرد الشيوعيون التشيك عند مواجهتهم بهذه الحجج ، بأن الحزب لم يكن يملك ان يستعيد جماهيريته — بعد أن تحول الى « ادارة » فى عهد نوفوتنى — الا بخوض معركة تجديد عبر اوسع حوار مع الجماهير ، بعيدا عن الطرق الادارية . وهذا الحوار كان يعرضه بالحتم لانتقادات قوى معادية ، حاولت تعميم اخطاء الماضى ، وادانة كل ما انجزته الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا . ولكن هذا الحوار قد اسهم بالفعل فى اكتساب الحزب مركزا بين اوسع الفئات لم يصل اليه من قبل .

الا ان هذا التطور فى مفهوم الحزب اصبح يطرح بالحاح السؤال : هل هو حقا فى اتجاه تصحيح الاشتراكية ؟ ام من شأنه على العكس ، ان يحول الحزب الى منتدى للنقاش ، تمزقه الصراعات التى تطلق العنان للقوى المعادية ، بصورة لم تتح للحزب مجرد فرصة ملاحقتها ، حتى على مستوى مقارعة الرأى بالرأى ؟ وزاد « نفوذه الجماهيرى » ظاهريا ، بقدر اتساعه لحركة قوى هى فى حقيقتها تعادى الاشتراكية ، وتهدف الى تصفية الحزب فى محتواه الحقيقى ؟

الديمقراطية

وشعرت فى موسكو ان الذى ازعج السوفيت بوجه أخص ، هو ان هذا المفهوم **للحزب** ، استتبعه مفهوم « **للديمقراطية** » اصبح يفرض وجوده بعد يناير . قوامه هو « **الديمقراطية المجردة** » ، التى لا تميز سياسيا او طبقيا بين انصار الاشتراكية وخصومها ، واستند الى الاستقلالية التى اصبحت تتمتع بها اجهزة الاعلام بعد اختفاء الرقابة . وفعلا ارتفعت اصوات تطالب بتعديل تكوين الجبهة الوطنية ، وضم منظمات مختلفة ظهرت فجأة فى هذه الفترة مثل « **نادى ٢٣١** » ، و « **نادى المنشطين غير الحزبيين** » ، الذى ادعى تمثيل ٦ ملايين من غير الشيوعيين فى المجتمع ، و « **جمعية الدفاع عن الحقوق الانسانية** » .. الخ .. وهذه التطورات كانت تنبىء فعلا بتعديلات جذرية تصل الى صميم هيكل المجتمع ونظمه الاساسية .

وقد قيل لى فى براغ عن هذه الجماعات والاندية ، انها لم تكن تمثل وزنا يدعو الى القلق ، ولم تكن تقدر وحدها قلب المؤسسات القائمة ، رغم كل نشاطها الصاخب . الا ان احدا لم يستطع ان ينكر مثلا ان « **نادى ٢٣١** » ، الذى انشىء بدعوى الدفاع عن العناصر الاشتراكية المخلصة ، التى عانت الاضطهاد والتنكيل منذ عام ١٩٤٩ ، ورد اعتبارها خلال الفترة الاخيرة ، ضم كذلك عناصر سجنت لارتكابها جرائم ضد الدولة ، بما فى ذلك جنرالات نازيين ، وضباطا تعاونوا مع الجستابو ، ووزراء سابقين فى الحكومة العميلة التى انشأها هتلر فى سلوفاكيا .
ولذلك يحق السؤال : هل كان هذا النمط من الديمقراطية يحقق مفهوم لينين الطبقى عن الديمقراطية ؟ وهل كان يخلق انسب الظروف لتجديد وتصحيح وجه الاشتراكية ، وابراز مدلوله « الانسانى » بعد الاخطاء والجرائم التى ارتكبت باسمها ؟ ام مهد على العكس للقوى المعادية فرصة غزو موقع بعد آخر ، توطئة للاستيلاء على السلطة كلها فى نهاية المطاف ؟

مشكلة السوديت

وطبعا ، كانت هذه التحولات الداخلية لا تجرى فى الفراغ ، بل احاطت بها بيئة دولية محددة — وتحركت بالبداهة قوى فى الغرب ، حاولت الاستفادة منها ، ودفعها نحو اهداف معينة — ولكن يصعب تحديد فعالية هذه القوى بالضبط فى تشكيل مجرى الاحداث .

لقد كان متحدثى فى برلين ووارسو حريصين على تأكيد معنى ان تشيكوسلوفاكيا لم تكن دولة اشتراكية مرتبطة ببقية المجموعة الاشتراكية بروابط **ايديولوجية** فقط ، بل بالتزامات متبادلة كذلك داخل اطار **الكوميكون** ، تجسدت فى تقسيم عمل اشتراكى ، وفى تخصص كل طرف فى خط انتاجى محدد . ويربطها جميعا من الناحية العسكرية **حلف وارسو** . وهو حلف برز كضرورة فى وجه حلف الاطلنطى ، وفى ضوء علاقات قوى معينة فى اوربا ، نشأت بعد الحرب العالمية الثانية .

وفى اعقاب الحرب، استعادت تشيكوسلوفاكيا اراضى كانت المانيا قد غزتها من قبل ، ولم تتخل عن نية استرجاعها . والمانيا الغربية منذ الحرب لم تعترف بالحدود الشرقية للامة الالمانية قط [خط الاودر نيسى] . ومن المشاكل التى عقدت علاقة تشيكوسلوفاكيا بالذات بالمانيا الغربية ، مشكلة الالمان الوافدين اصلا من **منطقة السوديت** الواقعة على الحدود الغربية لبوهيميا التشيكية ، والتى كانت تقطنها قبل الحرب اغلبية من السكان الالمان . وكان وجود هؤلاء الالمان هو المبرر الذى تذرع به هتلر لاحتلال هذه المنطقة فى عام ١٩٣٨ ، تمهيدا لغزو تشيكوسلوفاكيا كلها . وبعد الحرب اجلت تشيكوسلوفاكيا المان منطقة السوديت ، وقد بلغ عددهم مليونين ، انهاء للتهديد الذى يمثلونه . ولكن المانيا الفيديرالية لم تعترف فى يوم من الايام بأن **اتفاقية ميونيخ** ، التى اطلقت يد هتلر شرقا قبل الحرب ، باطلة منذ ان وقعت . واصبحت بون تجد فى المان السوديت قوة مشحونة تستجيب لتطلعات دوائرها الانتقامية والنازية الجديدة ، وتخدم اهدافها فى استرداد ما تعتبره مناطق المانية مفقودة .

وقد تعهدت تشيكوسلوفاكيا دائما لبقية اعضاء حلف وارسو ، بالتزام موقف موحد من المطامع الاقليمية الالمانية ، وانها لن تسعى الى تسوية خلافاتها مع المانيا الغربية قبل اعتراف هذه الاخيرة بألمانيا الشرقية ، وخط الاودر نيسى . الا اننى ابلغت انه حتى فى عهد نوفوتنى ، كشفت تشيكوسلوفاكيا عن رغبة فى التنصل من هذا الالتزام ، وبالذات بعد ان تفاقمت مشاكلها الاقتصادية ابتداء من عام ١٩٦٣ ، وامكن ارجاء المشكلة وقتذاك ، ولكن اخذت اصوات ترتفع بعد يناير لتتساءل ما هو الضرر من اقامة علاقات دبلوماسية مع بون ؟ .. ووجدت جمعيات الالمان السوديت الجو مهيأ لتطلب رسميا حق مباشرة العمل داخل تشيكوسلوفاكيا لمنظمات مثل « **فولسجروب** » ، ممن رفعت شعار الحرب الصليبية ضد الشيوعية . وأشار صحفى كندى فى تحقيق اجراه قبل اغسطس الى منظمة اخرى تدعى « **ويتكوبوند** » ، قامت بحملة من اجل وضع « استرداد السوديت » ، كمطلب اساسى فى برنامج الحزب النازى الجديد ، واخذت توفد افواجا متتالية من اعضائها الى تشيكوسلوفاكيا ، ليعيدوا اتصالاتهم بالالمان المقيمين بها اصلا ، « عبر الحدود التى لا ينبغى ان توجد » [!] . واضاف الصحفى الكندى : « على ضوء معلومات استقيتها من ميونيخ ، اعتقد ان الاسلحة التى عثر عليها فى منطقة السوديت ، كانت قد اخفيت هناك لتستخدمها وحدات غير نظامية من السوديت بمجرد ان تسنح الفرصة » !

مطامع الاحتكارات الالمانية

ولفت نظرى مسئولون فى برلين الى مجموعة زيارات مشبوهة لشخصيات المانية غربية الى براغ فى المرحلة التالية ليونيو عام ١٩٦٨ ، منها على سبيل المثال زيارة **كارل بليسنج** ، رئيس البنك المركزى الالمانى ، **وهانز شلبير** ، عضو مجلس ادارة اتحاد الصناعات ، والنائب **ماركس** مستشار كيزنجر ، **وشيل** الوزير السابق المختص بالمعونات للخارج ، وغيرهم . وكان بليسنج اثناء الحرب رئيس مجلس ادارة شركة مناجم تشيكية قرب اوسترافا ، وقبل ذلك وبعده ، رئيس مجلس ادارة الاحتكار الدولى **يونيلفر** الذى كان على صلة وثيقة بمازاريك .

وغير معلوم على وجه الدقة فحوى مباحثات بليسنج مع قرينه التشيكى . وقيل انها تناولت قرضا يبلغ نصف مليار مارك ، لمواجهة صعاب تشيكوسلوفاكيا الاقتصادية ! ولكن المؤكد هو ان النائب بالبوندستاج **بيخر** ، اعلن بعد الزيارة عن مساعى لاطلاق المقاولين الالمان من السوديت للعمل فى تشيكوسلوفاكيا . وقالت جريدة جنيف ان « مفاوضات بليسنج تعرضت لكل المسائل التى تتعلق بالسياسة الاقتصادية والمالية والنقدية ، وهى مسائل على قيادة براج مواجهتها فى مستقبل قريب » .

وسألت نائب وزير التجارة الخارجية فى براج **باباشيك** ، عن زيارة بليسنج . قال لى : « لم نحط علما بشىء غير طبيعى . اما عن قصة القرض، فلا يعدو الامر ان بعض اساتذة الاقتصاد طرحوا فى اجتماع جماهيرى ، وردا على سؤال ، ان قرضا يبلغ قدرا معينا يستطيع ان يسهم فى الاسراع باعادة بناء صناعاتنا وتجديدها » . وابرز لى تصريح حديث لوزير الاقتصاد فى بون **شيللر** ، كشف فيه النقاب لاول مرة عن تعاملات المانيا

الغربية بالدول الاشتراكية الاوربية [ما عدا يوغوسلافيا] . وقد بلغت القروض الممنوحة لها حتى ١ / ٧ / ١٩٦٨ ، ٥ر٣ مليار مارك ، منها ١٦٠ مليون مارك للمؤسسات التجارية التشيكية ، اى اقل من ٥ ٪ من الرقم الكلى .

الا ان هذا الرد لم يكن ينهض دليلا على ان مساع لم تبذل بالفعل لزيادة هذه القروض ، وبشكل كيفى ، فى المستقبل ، وبخاصة ان البيئة السياسية والاقتصادية اصبحت تبدو مهياة لاستقبالها .

يورانيوم بوهيميا

ومما يزيد من خطورة المطامع الاقليمية الالمانية ما اكتشف أخيرا من يورانيوم فى بوهيميا . فان احتكار **فليك** الالمانى الغربى ، المشترك مع احتكار **ديجوسا** فى الانتاج الذرى الالمانى ، يطمع فى امتلاك مناجم يورانيوم جديدة ، تسهيلا لمشروعات بون فى انتاج الاسلحة الذرية . وقام هذا الاحتكار بالتنقيب عن اليورانيوم فى بعض مناطق بفاريا ، وكانت نتائج التنقيب مخيبة للامال . حتى صدر اخيرا تقرير لمكتب اعلام يتبع هذا الاحتكار فى ميونيخ ، يشير الى ان أهم مصادر اليورانيوم فى وسط اوربا تتركز فى منطقة السوديت بتشيكوسلوفاكيا ، والطريف ان مجموعة **فليك** اعلنت فى ٢٢ اغسطس بالذات ، انها بصدد الظهور على الملأ قريبا «باتصالات هامة ومذهلة» .

وينبغى ان ندرك ان الاحتكارات الالمانية كانت تملك مصالح ضخمة فى تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب ، بلغت مثلا ٤٠٪ من الصناعات التشيكية الثقيلة ، و ٦٠ ٪ من الصناعات الكيماوية ، و ٨٩ ٪ من صناعة النسيج . واصبحت الصناعة التشيكية ترسانة رئيسية لانتاج المانيا اثناء الحرب . وقد ارتفعت اصوات فى بون لتطالب باستثمار سياسة كيزنجر الجديدة تجاه دول شرق اوربا لاسترداد المصالح المفقودة . وطلب الاحتكار **ا . ج . فاربن** ، بايجاد مركز له فى الصناعات الكيماوية التشيكية، وبخاصة فى شركة « ديناميت نوبل » فى براتسلافا ، وشركة « بيتوما » للمناجم فى كارلوفى فارى . وطالب الاحتكار الالمانى **مانسمان** ، بممتلكات سابقة له فى شوموتوف .

والبنوك الالمانية التى اعيد تاسيسها بعد الحرب بواسطة نفس الرجال الذين اداروها فى عهد هتلر ، لم تتخلف عن اثارة مطالب مماثلة . فقد ابدى البنك المركزى الالمانى رغبة فى تحويل بعض بنوك براغ وبراتسلافا الى افرع له ، يهيمن عليها بواسطة اداة القروض والتسهيلات الائتمانية . بل الطريف فى هذا الشأن ، هو ان بعض العائلات الالمانية الارستقراطية ، مثل جوتا وهوهنزلرن قد تصورت ان الوقت قد حان لاثارة « حقها » [!] فى استعادة آلاف الهكتارات من الارض التى فقدتها فى مورافيا وبوهيميا .

سياح وجواسيس

وبمناسبة تدفق المان السوديت على تشيكوسلوفاكيا ، ابلغت فى برلين بحقائق غريبة عن حركة السياح الالمان عموما الى هذا البلد بعد يناير ، وقدر عددهم بـ ٣٦٨ الفا . ولفت نظرى الى مقال نشرته **دير شبيجل** ، جاء فيه ان السلطات الالمانية وقفت ترصد ارقام السيارات وعناوين السياح الالمان عند عبورهم الحدود الى تشيكوسلوفاكيا ، لترسل قوائم الاسماء الى مركز المخابرات فى ميونيخ ، وانتقاء افراد بينهم يصلحون للعمل كمرشدين وجواسيس . وقد استجوب النائب الالمانى **بورش** ، وزير داخلية بفاريا ، للاستفسار عن سبب رصد الاسماء . وأجاب الوزير بأن اعتبارات الامن تقتضى ذلك . واضاف: « ليست القوائم بهدف اكتشاف عملاء من الشرق ، بل لتجنيد عملاء للغرب !! » .

وشمل هؤلاء السياح بعض كبار ضباط الجيش الالمانى الغربى ، ممن ينتمون الى الوحدات المرابطة على الحدود التشيكية ، **كالكولونيل ترنتزش** ، قائد وحدة الدبابات فى هامليرج ، **والجنرال مولينارى** ، مدير وحدة « الحرب النفسية » رقم ٢٨١ .

ولكن التشيك يجيبون على هذه الحقائق بأن عدد السياح الذين زاروا بلدهم فى النصف الاول من هذا العام لم يختلف كثيرا عن العدد الذى زار الاتحاد السوفيتى فى نفس الفترة . وفى تشيكوسلوفاكيا ، كان ٢٢ ٪ منهم فقط من بلاد رأسمالية ، مقابل ٤٣ ٪ فى الاتحاد السوفيتى ، و ٦٠ ٪ فى بلغاريا. وكل سائح من المانيا الغربية

كان يقابله ٥ر٤ من المانيا الديمقراطية ، واضافت متحدثى التشيكى : « بل ربما كانت تلتقى هنا عائلات المانية عجزت عن الالتقاء فوق ارض بلادها » .

ومع ذلك ، فاذا صح ان السياح الغربيين فى تشيكوسلوفاكيا لم يختلفوا من حيث « الكم » عنهم فى بلاد اشتراكية اخرى ، هل ينهض هذا دليلا على انهم لم يختلفوا من حيث « الكيف » ؟ وبخاصة ان تشيكوسلوفاكيا كانت بصدد تحولات تجتذب بطبيعتها اطرافا عديدة لها مصلحة انتحال صفة « السائح » .

ولا شك فى ان براغ فى اغسطس كانت تموج بأعجب خليط من الشخصيات الغربية ، كأنما التقت جميعا على موعد ! .. شخصيات صحفية المانية مثل **هانز شيف** ، مراسل دى فلت السابق فى موسكو ، الذى تواجد فجأة فى تل ابيب قبيل اندلاع الحرب بأيام .. او مندوب التليفزيون الالمانى **ميتليزگى** ، الذى عرف فى براغ بتغيير رقم سيارته كل يوم ، وكان قد ظهر فى بودابست اياما معدودة قبل احداث المجر .. شخصيات بريطانية مثل **سيسيل باروت** ، اول سفير بريطانى فى براغ بعد الحرب ، والخبير فى شئون اوربا الشرقية ، وصاحب كرسى اللغة الروسية بجامعة لانكاستر ، الذى تخصص فى ترشيح طلبته للمخابرات البريطانية ، وكان المسئول من قبل عن تسليم شبكة التجسس الالمانية التابعة للجنرال **جهلين** لوكالات المخابرات الغربية . **واعترفت مصادر صحفية امريكية بأن عدد عملاء وكالة المخابرات المركزية فى تشيكوسلوفاكيا خلال شهر اغسطس كان يقدر بما لا يقل عن ١٥٠٠ .**

وفى هذا الشهر ، تلاحقت الاجتماعات الصاخبة فى شوارع براغ ، حتى سمى ميدان بالقرب من فاسلافسكى فى قلب المدينة « **بهايد بارك** » تشيكوسلوفاكيا .. تناقش فيها شتى الافكار والمناهج السياسية .. وتقيم وتنتقد وتهاجم دون ادنى تحفظ ، وبكل اللغات .

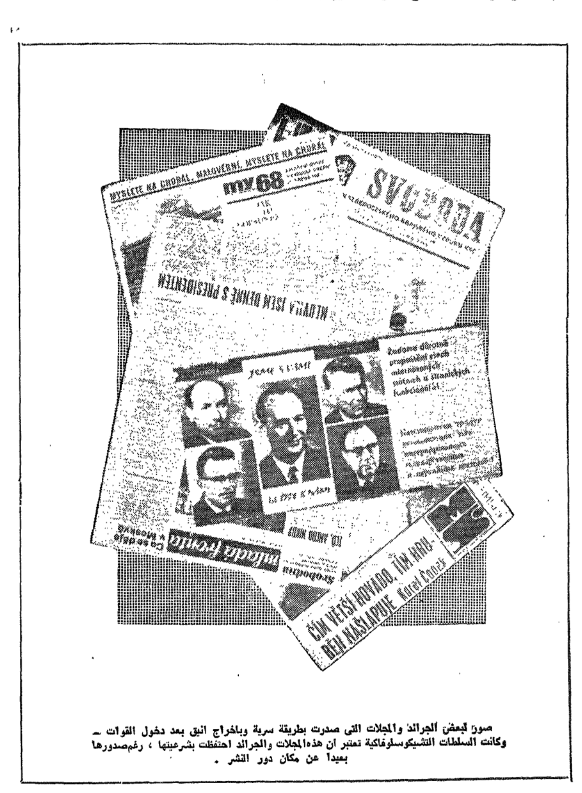
تعليقات تلفت الانظار

وفى غمرة الاحداث المتلاطمة ، قد يصعب التقاط « الواقعة الحاسمة » : التى لا يختلف عليها احد ، بان الثورة المضادة اصبحت تملك زمام الامور ، ولكن من المحقق ان هناك مقياسا يصلح على الاقل لحكم عام . وهو « اتجاه الاحداث » فى مجراها العام ومحصلتها النهائية ، و « من كان المستفيد الرئيسى منها » .

ويجدر ان اشير فى هذا الصدد الى بعض تعليقات الصحف الغربية قبل التدخل ، وربما بالذات لتعليق بجريدة « **لوموند** » الفرنسية فى **يوم ٢٠ اغسطس** ، اى قبل التدخل بيوم واحد فقط .. قالت الجريدة : « ان تقهقر الروس امام تصميم الشعب التشيكوسلوفاكى يؤكد مرة اخرى **ارتباك** القادة السوفيت — وهذا حتى لا نستخدم كلمة **عجزهم** — كلما كان عليهم ان يواجهوا تمردا داخل حزب شيوعى حليف .. وتضاف التنازلات المتبادلة فى شييرنا ، والتى تأكدت فى براتسلافا الى **مجموعة الهزائم التى تكبدها الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٦** . واذا اعدنا فحص المعطيات الاساسية للموقف ، فمن الواضح ان عملية التفكك مستمرة ، واسبابها العميقة ليست اقتصادية بقدر ما هى **سياسية** ، وقبل ذلك تتعلق بالبنيان الهيكلى للكتلة الشرقية . ان الذى ينخر امبراطورية ستالين ، هو فى المقام الاول غياب علاقات هيكلية محددة بين الاتحاد السوفيتى والذين يتبعونه . والتفاوت الثقافى وتباعد العقليات بين الروس من جانب ، وشرق ووسط اوربا من الجانب الاخر . واخيرا ، **الشلل** الذى اصبح يصيب الطبقة السياسية فى روسيا ، فى مواجهتها الفجة للمحاولات شبه العامة فى بقية الامبراطورية لاجتياز الستالينية ، ان لم يكن للتخلص منها نهائيا » .

ولم يكن هذا التقدير هو الوحيد من نوعه . بل تعددت التنبؤات بان ثمة احداثا خطيرة لابد من انتظارها . وكتبت **الجارديان** البريطانية فى ١١ اغسطس ، ان « تشيكوسلوفاكيا بصدد كتابة فصل جديد فى تاريخ الشيوعية ، وهذا ينبىء بمفاجآت يجب توقعها فى العالم الشيوعى » . الا ان اجدر هذه التعليقات بجذب انتباهنا ، هو ما كتبته مجلة حزب جى موليه فى فرنسا منذ ٢٠ مايو : « ان التطورات فى تشيكوسلوفاكيا ستؤثر على التوازن فى اوربا الوسطى والشرقية وفى مجموعة الدول الشيوعية . فان «المثلث الحديدى» [تشيكوسلوفاكيا — المانيا الشرقية — بولندا] ، الذى يشكل سدا منيعا فى وجه المانيا الغربية ، قد تم تفكيكه . وستتجه تشيكوسلوفاكيا لتقترب من يوغوسلافيا ورومانيا ، ولهما اتجاهات مماثلة نحو « الاستقلالية » . وهكذا سيواجه

الاتحاد السوفيتى فى الجنوب الشرقى من اوربا مجموعة بلاد « اشتراكية » ـ اى نعم ـ ولكنها ليست مرتبطة به ارتبـاطا « دون ما تحفظ » .
وبذلك سـيضعف اكثر فأكثـر « المركزية » الشيوعية . . وقد سارت من قبل شوطا فى هذا الاتجاه ، ان عوامل التفكك فى الحركة الشيوعية العالمية تبدو باطراد اقوى من عوامل التماسك والتقارب . و « الانعطافة » التى برزت فى براج ـ اذا نجحت ـ ستسهم فى تهديد هيمنة روسيا على نصف اوربا . . ان ازمة تشيكوسـلوفاكيا ستكون لها مضـاعفاتها البعيدة ، وهى ليست بصدد تسوية عاجلة » .



صور لبعض الجرائد والمجلات التى صدرت بطريقة سرية وباخراج انيق بعد دخول القوات ـ وكانت السلطات التشيكوسلوفاكية تعتبر أن هذه المجلات والجرائد احتفظت بشرعيتها ، رغم صدورها بعيدا عن مكان دور النشر .



الطابع الخاص للعمليـــــة العســـكرية

وكيف فاجأت كل أجهـزة مخـابرات الغـرب



كـان اهـم ما اثـار قلق الغـــرب فى « عمليـــة تشيكوسلوفاكيا » وشـغل صحافته لفترة طويلة ، هو الناحية العسكرية والفنية فى العملية ، والسرعـــة الخارقة التى تم بهـا احتـــلال كل اراضى تشيكوسلوفاكيا ، دون ان يتنبه او يتنبأ احـــد بالعملية مقدما ، وقبل ان تلتفت اليها شبكات الرادار او الاقمار الصناعية او اجهزة المخابرات والتجسس ، وفى وقت ركزت فيه هذه الاجهزة كل أضوائها على احداث تشيكوسلوفاكيا . ولم يصل الى علم كبار المسئولين فى عواصم الغرب خبر دخـول قوات حلف وارســو الا عن طريق سفراء الاتحـاد السوفيتى فى هـذه العواصم ، بعد ان طلبوا مقابلة المسئولين فى الصباح الباكر من يوم ٢١ اغسطس . وهذا على الرغم من انعقاد اللجنـة المركزية للحـــزب الشيوعى السوفيتى فى اليوم الســابق ، وكان من المعلوم ان الجلسة كانت مخصصة لمناقشة قضيـــة تشيكوسلوفاكيا .

كيف دخلت القوات ؟

فى حوالى الساعة العاشرة من مساء ٢٠ اغسطس ، ظهر فجأة فى مطـــار براج المدنى الجديد ، طائرة عسكرية سوفيتية ، طلبت الهبوط بحجة حدوث خلل مفاجىء فى احد المحركات . وخرج منها ما يقرب من عشرين شخصا يرتدون الملابس المدنية ، واخـــذوا ينتشرون فى ارجاء المطار ، وهم ينتظرون اصلاح الطائرة دون ان لفتت هذه الواقعة نظر احد .. غير أنه فى تمام الساعة الحادية عشرة ، هبطت طائرة عسكرية ضخمة اخرى ، تحمل فى هذه المرة اكثر من مائة جندى بالرشاشات ، احتلوا المطـــار فى دقائق معدودة . وثبت ان الطائرة الاولى كانت تحمل ضباط اركان حرب العملية التى بدأت ، وحدد لهم احتلال العاصمة قبل الصباح .

وتوالت الطائرات بعد ذلك بمعدل سريع . وقال لى مسئول سوفيتى ان ١٢٩ طائرة هبطت فوق المطار فى الدقائق التسعين الاولى ، اى بمعدل طائرة كل ٤٠ ثانية — ومن كل طائرة من طائرات الانتونوف الضخمة ، خرجت دبابة كبيرة ، واخرى صغيرة ، وسيارة مصفحة او سيارة نقل جنود . وبينما اخذت الطائرات تقلع عن المطار بمجرد افراغ شحنتها لاخلاء مكانها لغيرها ، اخذت الدبابات تصطف فى الطريق الرئيسى الى براج ، وتتحرك دون تأخير ، بحيث انها كانت قبل الفجـــر قد احتلت كل المواقع الرئيسية فى العاصمة ، وسيطرت عليهــــا سيطرة تامة .

وبتدبير مماثل ، تم احتـــلال معظم مـــدن

تشيكوسلوفاكيا الكبرى ؟ في وقت اخذت القوات البرية تجتاز الحدود وتزحف في كل الاتجاهات. وقال لي شاهد عيان انه لم تكد توجد قرية في اليوم التالي ولم تكن الدبابات قد وصلت اليها .

الا ان الذي اثار عجب الغرب وارتباكه ، هو كيف ان العملية تمت على هذا النطاق الواسع، دون ان يعلم بها مقدما اجهزة المخابرات الغربية وعملاؤها المنتشرون في ارجاء تشيكوسلوفاكيا. وقد اجرى كبار رجال الدولة في بون تحقيقا في هذا الشأن مع مسئولين عن اقلام التجسس الالمانية. واكد هؤلاء ان ثمة اشارات رصدتها شبكات الرادار اثناء الليل ، راوا اهمية ابلاغها للجهات المختصة — ولكن هذه الجهات لم تعرهم الاهتمام المنتظر ، ربما لتقدير مخالف من الوجهة السياسية . وتبين على اى حال ان قوات حلف وارسو استخدمت وسائل مبتدعة لتشويش الرادار ، افسدت الكثير من العلامات ، وحالت دون امكان تقديم تفسير محدد لها .

وينبغى ادراك ان قوات حلف وارسو ، وهى تزحف فوق اراضى تشيكوسلوفاكيا ، لم تكن اعدت عدتها للدخول في صدام مع الشعب التشيكى ، وانما انصرفت في تدابيرها لمواجهة احتمال صدام مع الغرب . وكان عنصر الحسم والسرعة ، وضخامة القوات التي دخلت وقدرت بـ ٦٥٠ الفا ، محكوما بهذا الاعتبار قبل غيره. وقد اتخذت كل الاجراءات الاحتياطية اللازمة لواد « عملية مقابلة » في مهدها ، قبل ان ينفجر الموقف بشكل يتعذر تداركه .

عملية ذات طابع فريد

غير انه قد تبين في الحال ان القوات الزاحفة، وقد انطلقت على اساس انها تتحرك لانقاذ شعب تشيكوسلوفاكيا من الثورة المضادة ، فوجئت برد فعال من جانب جماهير المدن والقرى ، لا يقل عن مفاجأة الشعب التشيكى بدخول القوات ، ونشأ التباس من نوع غريب ، لا نغالى ان قلنا ان التاريخ لم يشهد ما يماثله — فليست العملية « احتلالا » بمعناه المألوف وبتدبيراته المميزة في نظر القوات الزاحفة ، بل « مساعدة » لتامين الثورة ضد اعداء يهددونها من الخارج ومن الداخل . ولا هى عملية «انقاذ» في نظر التشيك شعرت الجماهير بضرورتها ، وبصورة يدفعها الى استقبال الجنود بالزهور ، بل اثارت على عكس ذلك ذهولها ونفورها ، واطلقت شعورا قوميا ملتهبا ، كان الجو السائد قبل دخول القوات مهيأ له اصلا . ومن هذا الالتباس في فهم طبيعة العملية ، الناجم عن التباين في تقدير الموقف واحتمالاته ، توالت مجموعة ظواهر اكسبت العملية طابعها الفريد حقا .

● فلم يجادلنى احد في براج بأن القوات كانت حريصة تمام الحرص على الا تصطدم بالجماهير في انجاز المهمة التي كلفت بها ، واحتلال المواقع التي حددت لها . ومن الواضح أن التعليمات قد صدرت اليها صريحة ومحددة بألا تستجيب لاية استفزازات . وقد بصق بعض المتجمهرين بالفعل في وجه جنود فوق دباباتهم ، واكتفى هؤلاء بمسح البصاق بمناديلهم ! بل سقطت دبابة من فوق طريق وعر عند منحنى باحدى المناطق الجبلية ، وقتل من بها ، لتفادى الاصطدام مع نساء واطفال تصدوا لها . ويبدو من تقصى الحقائق ان معظم الحوادث التي وقعت نتجت عن عمليات « دفاع الجنود عن الذات » ضد انفعال الجماهير، وهذه الحوادث على العموم معدودة . وقد أعلن رسميا أن عدد القتلى كان على وجه التحديد ٧٢ وعدد الجرحى ٤٦٤ . ومع ذلك، وقعت بعض حوادث اطلاق النار، وبخاصة في الايام الاولى ، ربما كان ابرزها في براج امام مبنى الاذاعة في صبيحة يوم ٢١ أغسطس ،حيث تجمع ٥٠٠٠ متظاهر حاولوا حماية المبنى من الاحتلال ، وعلى اثر انسياب الوقود من دبابة اصطدمت بعمود ، اشعلت الجماهير فيها النار ، وما زالت آثار الحرق ظاهرة في مبنيين قرب الاذاعة بشارع فينوهرادسكا .

وترددت شائعات كثيرة عن سفك دماء أفراد بدون مبرر ، ومنهم أطفال . وحاولت الصحافة الغربية التهويل من الوقائع التي ذكرت في هذا الصدد ، ولكنى تحققت من مسئولين تشيك أن معظم هذه الشائعات مبالغ فيها ، باستثناء طفل في سن الحادية عشرة قتل على ما أظن في برنو، وقد تداخلت بصورة يصعب التمييز ، الخيالات والاساطير الناجمة عن المشاعر الملتهبة ،والحقائق المحددة التي تاهت في خضم الاحداث .

● وتحققت من مسئولين تشيك ان قوات حلف وارسو **لم تجر أية اعتقالات على الاطلاق ،** باستثناء قادة الحزب الخمسة الذين اشتركوا بعد يومين في مفاوضات موسكو مع الرئيس سفوبودا ،وعادوا ليمارسوا من جديد مسئولياتهم القيادية ، وكذلك خمسة من وزارة الداخلية افرج عنهم بعد ٣ أسابيع . ولمزيد من التأكد سألت : « كيف تستطيعون الجزم بذلك ، وقد غادر تشيكوسلوفاكيا اعداد غفيرة من المواطنين اثر دخول القوات ؟ » . قالوا : « اننا نعلم بمجرد أن يقبض على أحد . فليست هناك قوة تستطيع أن تحول دون انتشار مثل هذه الاخبار . والغريب أن معظم الكتاب الذين اتهموا بكتابة مقالات معادية

للثورة مازالوا يوقعون مقالاتهم بالجرائد والمجلات الى الان » .

ومن المؤكد أن السلطات العسكرية لم تتدخل فى الشئون الداخلية الخاصة بسير العمل فى الحزب ، أو فى الوزارات والادارات والهيئات ، وتركت للاجهزة الدستورية مباشرة اعمالها كالمعتاد . والغريب فى هذا الشأن ان هذه السلطات ، وقداحتلت مبانى الاذاعة والتليفزيون وبعض الصحف فى الساعات الاولى من العملية، قد احتجزت العاملين بها حتى اليوم التالى فقط، ثم امرتهم بالذهاب الى بيوتهم . ولما استمرت الجرائدتظهر ، بعيدا عنمقارها ، واصبحت توزع بالمجان ، وبصور وشعارات ومقالات ملتهبة ضد التدخل ، وعثر على بعض المطابع التى تصدرها، وكذلك على اماكناخفاء الاذاعات السرية ،احتجز العاملون بها مرة اخرى ، ولكن اطلق سراحهمبعد ساعات .

● وقد تحققت كذلك من ان تشيكوسلوفاكيا **لم تتحمل باية صورة نفقات القوات بعددخولها** ، ولم يكن عليها تموينها بالغذاء . وهذه القوات استوردت كل احتياجاتها من بلادها الاصلية . وقيل لى حتى انمفاوضات مقبلةستتناول تعويض الاقتصاد التشيكى عن الاضرار التى الحقت بهمن جراء دخول القوات ، وتعطيل العمل ببعض الوحدات الانتاجية فى الايام التى تلت وصولها ومرابطتها بالمدن الكبرى . ومن المناظر الغريبة التى كشفت كل مفارقات الموقففى اعجبصورة، ماروى لى عن ان الطلبة كانوا يتجمعون فىميدان فاتسلافسكى ، ليتناولوا افطارهم فى مواجهة القوات ، ويجلسون امام الدبابات وهم يتلذذون بالتهام سندوتشات السجق ، بينما « جنود الاحتلال » امامهم يتضورون جوعا لارتباكات اصابت فى الايام الاولى خطوط التموين . وقد قرر الاهالى مقاطعتهم ، ومنع الماء عنهم فوق منع الغذاء ، بل بلغ عجب التحدى حد صدورتوجيهات من الاذاعات السرية بتبادل القبلات امامالجنود، وارتداء المينى جوب ، دون تمكينهم من شيء !!..

المفاجأة

وهذه المفاجاة التى اصابت جميع الاطراف المعنية ، ظاهرة اعتقد انها فى حاجة الى تامل — ولا اقصد فقط مفاجاة الغرب — واذكر فىهذا الصدد مقالانشرته « **نيوزويك** » الامريكية ،يلخص الموقف فى سؤالها : « **الى اى حد يمكن التنبؤ بمواقف الكريملين ؟** » وجاء فيه : « ان الغزو السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا احيى فورا فى البلاد الشيوعية وغير الشيوعية مخاوف كامنة حول أن قوة روسيا يحتمل فى نهاية الامر أن تكون بين ايدى رجالخطرين لايمكنالتنبؤ بتصرفاتهم ، وزاد من الصدمة ان اغلبالناس خرج بنتيجة انالقادة السوفييت لن يلجأوا الى القوة » ، وقد اعترف احد المسئولين البريطانيين فى الاسبوع الماضى بان « ليس امامنا الا أن نسلم بالامر الواقع ، فان حكومتى لم تكن معدةللغزو » . وفىالمانيا الغربية، بعث المستشار كورت كيزنجر حلالالعقد بيرنباخ الى واشنطون ليلح على الولاياتالمتحدة بانتوجه حلف الاطلنطى نحو « تصحيح التوازن الاستراتيجى » فى اوربا — وفى يوغوسلافيا حيث راجت الاشاعات عن الغزو السوفيتى ، أصدر الرئيستيتو تعليماته بجعل كلقوات جيشه على اهبة الاستعداد — وقال لبعض المقربينعلى حد قول « نيوزويك » : « لم اكن اتصور حدوث غزو تشيكوسلوفاكيا — لقد فقدت ثقتى فىقدرتى على استقراء الامور » .

غير اننى اعنى بالذات مفاجاة التشيك لدخول القوات ، ومفاجاة السوفييت للنتائج التى ترتبت على دخولها ، اما عن **مفاجاة التشيك** ، فيجب أن أشير الى انعلامات كثيرة كانتتوحى باحتمال ان دول حلف وارسو قد لاتجد مفرا الا أن تلجأ الى التدخل ، بخاصة بعد التحذير الذى تضمنته رسالة اجتماع وارسو الى دوبتشيك فى يوليو ، واطالة مدة المناورات فى الاراضى التشيكية حتى انعقاد اجتماع شييرنا ، واستمرار التحركات العسكرية على الحدود بعد انسحابها .

● وقد علمت أنه قد تم الاتفاق فى اجتماع شييرنا بين القادة السوفييت والتشيك علىنقاط اربع لم تذع مطلقا ، واتفق — استجابة لطلب التشيك — على احاطة بقية دول حلف وارسو علما فى براتسلانا بالنقاط الثلاث الاولى فقط . وهذه النقاط الاربع هى : وضع اجهزة الاعلام تحت اشراف الدولة — اعادة تنظيم المخابرات — وقف الاضطهاد الموجه ضد انصار تدعيم التعاون مع الاتحادالسوفيتى — ادخالعدد من التغييرات على جهاز الحزب وعناصره المسئولة . ولكن فى وجه الحملة العارمة التى طالبت دوبتشيك بالصمود امام مفاوضيه السوفيت، لمتجد القيادة التشيكية الجراة فى أن تجاهر الحزب والجماهير بما التزمت به . بل سكتت عن هذه النقاط الاربع تماما كأنما لم توجد اصلا !

● علمت أن بريجنيف بعد اجتماع براتسلانا بأيام معدودة ، بعث بخطاب الى قادة جميع الاحزاب الشيوعية ، اخطرهم فيه بقلقه البالغ للتطورات فى تشيكوسلوفاكيا . وهذه الخطوة تفسر عادة على انها تنبىء ببروز الحاجة الى اجراء يخرج عن المألوف .

● شهدت الايام المعدودة التى تلت اجتماع

براتسلافا وسبقت دخول القوات ؟ تفاقما ملفتا للانظار فى نشاط القوى المعادية ، ولم يحدث تغيير ملحوظ فى مقاومة هذا النشاط . بل ان لقاءات دوبتشيك فى هذه الفترة مع البرخت وكادار كشفت عن مدى اتساع البون ، وصعوبة تدارك الموقف .

● علمت ان الجو فى قيادة الحزب التشيكى قد بلغ حدا بعيدا من التوتر فى اليومين السابقين على دخول القوات بالذات . وابلغ المسئولون الصحافة الحزبية وأجهزة الاعلام بأن ثمة احداثا خطيرة من المنتظر وقوعها . وفى يوم ٢٠ أغسطس ، قدم فى اجتماع لرياسة الحزب التشيكوسلوفاكى تقريرا من **أندرا** ، أعدته بعض اللجان الحزبية ، وتضمن تشخيصا للموقف بأنه سريع التدهور ، وكان من المتوقع ان يثير هذا التقرير خلافات محتدمة داخل هيئة الرياسة . ولكن التقرير لم يناقش قط — وعلمت القيادة بدخول القوات فى ليلة ٢٠ اغسطس قبل طرحه للمناقشة .

وجدير بالذكر ان اندرا هو احد ثلاثة من أعضاء الرياسة ، ذكرهم جوملكا فى اجتماع مغلق لبعض أعضاء حزبه ، بأنهم ممن بادروا بطلب معاونة قوات حلف وارسو . وربما كان هذا التصريح من جوملكا ، هو الوحيد المعروف الذى كشف عن أسماء نسب اليها التقدم بهذا الطلب . ومن الصعب الجزم بصحة هذا القول ، لان جميع أعضاء الرياسة فيما بعد نفوا اشتراكهم شخصيا فى استدعاء القوات .

أما عن مفاجأة السوفييت للنتائج التى ترتبت على دخول القوات ، ماعزوها الى أن الصورة التى نقلت اليهم من جهات معينة أعوزتها الدقة فى تقدير كل عناصر الموقف ، وقللت من شأن دور الاعلام والدعاية ، والحرب النفسية ، فى ارهاب القوى ذات المصلحة الاصيلة فى الدفاع عن منجزات الاشتراكية ، ومقاومة موجة التعصب الجارف المعادى للسوفييت ، تحت شعارات قومية براقة . **غير انه من المؤكد أن النجاح المذهل للعملية من الوجهة العسكرية ، لم يقابله نجاح مماثل من الوجهة السياسية** . وهذا هو الذى يفسر بعض أوجه عدم الاتساق فى تسلسل الاحداث التى تلت دخول القوات ، كان ابرزها اتهام دوبتشيك فى برافدا يوم ٢٢ أغسطس « بقيادة الاتجاه الانتهازى اليمينى » . ثم التخلى عن هذا الاتهام ، والتفاوض معه ابتداء من يوم ٢٣ . **واذا كان علينا أن نسلم بأن المفاجأة قد أربكت جميع الاطراف فى اليومين الاولين قبل سفر الرئيس سفوبودا الى موسكو ، الا أن المباحثات التى جرت هناك بعد اشراك القيادة التشيكية الحائزة على تأييد الجماهير فى الايام التالية أحرزت نجاحا ، وتوافرت لها فرصة احراز هذا النجاح ، رغم أن الجو ظل شديد التوتر ، بفضل « تنازلات متبادلة » تمت بحكمة من الجانبين ، لخصها لى مسئول فى براج بقوله « ان القادة التشيك ادركوا انه ليس أمامهم سوى التسليم بان دخول القوات أمر واقع ، ويجب الانطلاق مستقبلا تسليما بهذا الواقع ، وبغض النظر عن رأيهم فى أن التدخل لم يكن ضروريا أو سليما . وفى مقابل ذلك ، سلم السوفييت بأن هناك شبه اجماع من جانب الشعب التشيكوسلوفاكى على عدم تقبل ماحدث . ومع تقدير الطرفين للظروف الدولية المحيطة ، وموقع تشيكوسلوفاكيا الاستراتيجى ، وما يحمله الموقف من احتمالات لا مفر من مواجهتها ، أمكن الوصول الى اتفاق مبدئى حول خط للمستقبل يقبله الطرفان .**

الاسلحة والاذاعات السرية

الا أن الاتفاق المبدئى لم يكن يعنى اكتشاف الصيغة التطبيقية الملائمة له . وكان أمرا طبيعيا أن ينشأ عن هذه الحالة اتجاهات متعارضة فى طريقة معالجة آثار العملية . فمما لاشك فيه ، هو أن « **الحل العسكرى** » عقد من احتمالات « **الحل السياسى** » للازمة . وكان « الحل السياسى » يقتضى لتحقيق التقارب المنشود ، تأكيد معانى **الصراع الطبقى** بهدف عزل القوى المعادية الاشتراكية ، على حساب معانى **الوحدة القومية** التى تطمس ملامح هذا الصراع ، وفى ظرف أفضى فيه « الحل العسكرى » الى تأجيج المشاعر القومية الى أبعد حد .

وهذه الموجة القومية التى حجبت قوى الثورة المضادة ، حثت دول حلف وارسو الى بذل جهد خاص فى البحث عن أدلة مادية تثبت الخطر الداهم . وأبرزت صحافة هذه الدول فى هذا الشأن **الاسلحة** التى تم العثور عليها فى رياسة الوزارة ووزارة الزراعة ومبنى التليفزيون ومدرسة الحزب العليا ، وقرب مطار براج وفى مدن تشيكية أخرى . وكذلك ظهور **الاذاعات السرية** فجأة ، وحتى **موجة تليفزيونية سرية** بمجرد أن استولت القوات على المحطات الرسمية ، وصلة هذه العمليات بتدابير تم الاعداد لها فى المانيا الغربية — فقد لوحظ منذ يوم ٢١ أغسطس أن « **الموجة الالمانية** » قد ضاعفت من ساعات عملها بالتشيكى والسلوفاكى ، واخذت تحرض للتصدى بالسلاح لقوات حلف وارسو . وحرص السوفييت على ابراز تحقيق نشرته مجلة **شترن** الالمانية الغربية ، جاء فيه أن محطات اذاعة عسكرية تعمل فى آندرناخ ، اخذت تذيع معلومات مغرضة الى اهالى تشيكوسلوفاكيا للتأثير على الاحداث . واخذت فرقة الحرب النفسية رقم ٧٠١ تقوم

بعمليات « تمويه » تشيكوسلوفاكيا عن طريق محطات ارسال متنقلة على الحدود ، استخدمت نفس الموجات الاذاعية للاذاعة التشيكية . وتقول المجلة ان كثيرا من المحطات السرية التى نسبت الى مدن تشيكية ، مثل « اذاعة تشيكوسلوفاكيا الحرة » ، و « محطة بوهيميا الشمالية » ، و « الاذاعة رقم ٧ » ، كانت تعمل فى الواقع خلف الحدود . ونقلت المجلة تصريحا لمسئول ألمانى قال فيه « نرجو الا تحرجوننا .. فليس لدينا تعليق » . وعقبت المجلة بأنه يجب تفسير هذا الرد على انه تأكيد للواقعة .

كما لفت نظرى الى تحقيق نشرته جريدة دى فلت الالمانية الغربية فى ٢٦ اغسطس ، وجاء فيه ان « هناك دلائل عديدة تشير الى ان الاذاعات السرية فى تشيكوسلوفاكيا تم تركيبها واعدادها للعمل مدة طويلة قبل دخول قوات حلف وارسو » وان نشاط هذه الاذاعات لم يكن « عملية تلقائية » كما هو معتقد فى الغرب ، بل ثمار عمل منظم ، وفى اطار عملية عسكرية كبيرة .

الا ان التشيك يروون بأن هناك وثائق حملها معه تشيرنيك الى موسكو تؤكد ان الاسلحة التى عثر عليها كانت كلها اسلحة مرخصة ، ملك الميليشيا العمالية ، او جهات اخرى مسئولة . ولكن على ان أؤكد اننى لم احصل على رد شاف حول مخزن الاسلحة الذى وجد فى غرب بوهيميا ، ونشرت عنه الصحف قبل احداث اغسطس .

ويقول التشيك عن محطات الاذاعة السرية ، انها كانت فى اغلبها ملك الاذاعة التشيكوسلوفاكية الرسمية ، وتعمل فى غير مبنى الاذاعة الرئيسى ، وجهزت لمواجهة الطوارىء داخل اطار تدابير حلف وارسو . ويضيفون ان الاحداث تثبت الان ان القوات عند دخولها لم تكن على علم سابق بمواقعها ، ولم تكن تتوقع استخدامها . ولا يعتبرها التشيك اذاعات غير شرعية ، بل اذاعات تعمل فى ظروف خاصة . وهم لا ينكرون ان الغرب حاول بالبداهة ان يستفيد من هذه الظروف الخاصة ، بمحاولة « سكب الزيت فوق النار » . ولكن الحزب والجهات الشرعية حاولت الاحتفاظ بصلتها بهذه المحطات طوال فترة عملها ، رغم الفوضى التى عمت فى الايام الاولى . بل ذهبت الجهات الشرعية الى حد استخدام هذه المحطات لاذاعة نداء سفوبودا بضرورة عدم مقاومة القوات ، ومواجهة الموجة العارمة التى هددت بالتسبب فى استفزازات خطيرة .

ومن المعلوم ان هذه الاذاعات هى التى نادت بنزع الاسماء من الشوارع ، وكتابة شعارات معادية على الجدران ، وشل المواصلات ، ومقاطعة القوات . وعلى أى حال ، تظل أسئلة ما زالت تبحث عن اجابات .. ويجب تفسير اللقاء الى حد التطابق احيانا بين خط اجهزة الاعلام فى بعض الاذاعات السرية وبعض الصحف بعد دخول القوات ، وبين « الموجة الالمانية » التى تذيع من ميونيخ ... حتى اصبح من الصعب التمييز بينهما .

عقبات اعترضت تسوية الموقف

وظلت عقبات تعترض لفترة طويلة اعادة الامور الى مجراها الطبيعى . فمما لا شك فيه ، هو ان « الوحدة القومية » ظلت تشكل السند الرئيسى للقيادة التشيكوسلوفاكية . « وحدة كل طبقات الشعب ، ووحدة الشعوب والقوميات ، ووحدة الدولة مع الحزب ، ووحدة الحزب مع الشعب ، وفوق هذا كله ، وحدة القادة التى لا ينبغى ان تنفصل عنها حلقة واحدة » ، على حد قول سمركوفسكى . وكان سمركوفسكى حريصا فى الوقت ذاته على ان يؤكد ان هذه الوحدة لا تتسع للعناصر المعادية للاشتراكية .

الا ان برافدا ظلت تؤكد ان التوتر ما زال قائما فى **الجبهة الايديولوجية** ، وان القوى المعادية للاشتراكية تلجأ هى الاخرى الى شعار «الوحدة» لتضفى عليه محتوى متعصبا معاديا للسوفيت . واشارت الى مقالات نشرت فى الصحف التشيكية ، تؤكد أهمية «ما يجمعنا ، وليس ما يفرقنا» وتطرح « الوحدة القومية » فوق « الفروق الطبقية » . واختتمت بقولها ان هذه المعانى ابعد ما تكون عن الماركسية . وربما كان ابعد ما قيل فى ادانة موقف الشيوعيين الذين وقفوا ضد دخول القوات على انه « اجراء غير شرعى » ، مقالا لاستاذ الفلسفة **كوفاليوف** فى برافدا ، جاء فيه ان نظرتهم تتسم بمواقف « مجرد » ، و « غير طبقى » ، وانهم يتناسون ان « القانون » ، و « السيادة » ،



■ انطونين نوفوتنى ■

هل كان مسئولا عن أن « الثورة كانت مهددة » .. قبل ان يبرز « تهديد بثورة مضادة » ؟

و «حق تقرير المصير» ، ما هى بمفاهيم «مجردة» ، بل يجب كماركسيين ادراكها « جدليا » من زاوية الصراع الطبقى والاجتماعى فى العالم ، ومصالح الاشتراكية ، والحركة الثورية العالمية . وليس هناك اعتراض على السمات الخاصة للاشتراكية فى بلد محدد ، ولكن « الموقف يختلف جذريا عندما يثور تهديد للاشتراكية ذاتها » .

ونسر ان السبب وراء هذه الحملة ، هو رفض دوبتشيك اتخاذ اجراء من عناصر اتهمت بأنها قامت بدور بارز فى النشاط المعادى للاشتراكية خلال الاشهر السابقة ، وتقديمها للمحاكمة كعملية تحدد الخط الفاصل بين قوى الثورة والثورة المضادة . وقد اكد دوبتشيك فى خطبه مرارا انه لن يلجأ مرة اخرى الى محاكمات على غرار تلك التى اجريت فى الخمسينات ، وراح ضحيتها الالاف ، الامر الذى استوجب رد اعتبارهم فيما بعد ، بكل ماترتب على ذلك من اضرار للاشتراكية فى مرحلة ما قبل يناير . ولابد من التزام القوانين القائمة فى معاقبة المخالفين دون انتهاك للشرعية فى اية صورة كانت .

ومع ذلك لوحظ انه قد استبعد على التوالى من مناصبهم وزير الداخلية **جوزيف بافل** ، ثم نائب رئيس الوزراء لشئون الاقتصاد **اوتاشسيك** ، لا لارائه الاقتصادية ، ولكن لانتهاجه موقفا بعد دخول القوات يخالف اتفاقات موسكو ، وكانت الازمة قد فاجأته وهو فى يوغوسلافيا ، ثم استبعد وزير الخارجية **جيرى هايك** ، وقد اتبع فى مجلس الامن سلوكا متميزا عن موقف الدولة فى طلب سحب الشكوى . ولوحظ كذلك ان **كريجل** ، العضو اليهودى برياسة الحزب ، والوحيد ضمن من شاركوا فى مباحثات موسكو ورفض التوقيع على الاتفاقية ، قد استقال من منصبه ، وان **بليكان** ، مدير التليفزيون ، **وهيزلر** مدير الاذاعة ، قد نحيا من مسئولياتهما ، كما اعيدت الرقابة على الصحافة بعد ان اقتصرت الاجراءات على انشاء « رقابة ذاتية » ، يتولاها مندوبون من هيئة تحرير الصحف بارشادات من مكتب اعلام مركزى . ورأت المصادر الغربية ان هذه الاجراءات دليل على ان القيادة التشيكية سارت الى ابعد ما تستطيع للالتقاء مع وجهة النظر المقابلة .

وظلت قضية بالذات تستلفت الانظار ، هى عدم عقد مؤتمر الحزب التشيكى ، رغم انعقاد مؤتمر الحزب السلوفاكى مباشرة بعد دخول القوات ، توطئة لانعقاد المؤتمر غير العادى للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، الذى كان من المزمع عقده فى ٩ سبتمبر الماضى ، وارجىء الى اجل غير مسمى . ويبدو ان قضية المؤتمر التشيكى اثيرت فى مباحثات موسكو . وكان رأى السوفيت

— كما ابداه **كوزنتزوف** ، نائب وزير الخارجية السوفيتية ، الذى اقام بصفة شبه مستمرة فى براج طوال الفترة الماضية — ان الظروف ليست مهيأة لعقد المؤتمر بصورة عاجلة . وقد اعتبر بالفعل المؤتمر الذى عقد سرا فى احد مصانع براج بصفة استثنائية مباشرة بعد دخول القوات ، مؤتمرا غير شرعى لعدم استيفائه شروطه الشكلية ، وعدم تمثيله كل اتجاهات الحزب ، وتخلف عدد كبير من المندوبين السلوفاك . ومن المؤكد ان المشاعر لم تكن مهيأة وقتذاك لاتخاذ قرارات تسند الخط الذى وافقت عليه القيادة فى مباحثات موسكو .

غير ان قضية عقد مؤتمر الجانب التشيكى من الحزب قضية لا تقبل الارجاء ، دون ان يحدد له موعد قريب ، لان الهيئة التى تمارس قيادة الحزب حاليا ، هى لجنته المركزية المنبثقة عن مؤتمره السابق فى عام ١٩٦٦ ، بما ادخل عليه من تعديلات بعد يناير ، ويضم مندوبين للمؤتمر الجديد . ويقال ان شريحة من القيادة ، تعتبر من انصار « الخط المحافظ » ، لا تشارك فى اعمالها . ومن المشكوك فيه ان هذا التشكيل لاعلى سلطة سياسية لائحى .

وتبرز اهمية عقد مؤتمر الجانب التشيكى من الحزب من زاوية انه يضم ١١٥٠ مندوبا من ١٦٠٠ مندوب للحزب كله . والقيادة المنتظر ان تنبثق من هذا المؤتمر ستشكل الكتلة الرئيسية ، والقوة الحاسمة فى تحديد مجريات المستقبل . ومن هنا يتضح ان الخلاف حول تحديد موعد المؤتمر ليس مجرد مسألة شكلية ، بل يمس فى الصميم تباين اوجه النظر حول طبيعة الشخصيات الكفيلة بتبوء أعلى المسئوليات القيادية مستقبلا ، ومدى نضوج الظروف لتحديد هذه الشخصيات الان .

وينبغى ان اقول ان متحدثين تشيك عديدين اشاروا على بان **كوزنتزوف** بذل جهدا كان موضع رضاهم فى محاولة تكشف وجهة نظر الجانب التشيكى الرسمى والشعبى على السواء . وربما كان وجوده بدعوة من السلطات التشيكية ذاتها ، لتيسير عمليات الاتصال على مستوى يملك صلاحيات كبيرة ، دون التعرض لعقبات وتعثرات . وقد لوحظ نشاطه المحسوس طوال الفترة الماضية فى الاتصال الدائم بالمسئولين فى الحزب والدولة ، وبأعضاء البرلمان والسلطات المحلية والنقابات . والبعض يفسر هذا النشاط على ان مهمته تضمنت تصحيح الصورة التى نقلت من قبل الى المسئولين السوفيت ، وكانت سببا فى نواح مختلفة من سوء التفاهم .



ابعاد مشـــكلة تشـــيكوسـلوفاكيا فى عالم اليوم



٢٨ اكتـــوبر ، احتفـلت تشيكوسلوفاكيا بمرورنصف قــرن على استقلالهـــا . وبمقتضى المعـــاهدة التى وقعتها معالاتحاد السوفيتى قبـــل ذلك بايام ، بدأ انســـحاب قطـــاع رئيسى من قـــوات حلف وارسو فى مناسبة هذا العيد ، وسيستمر احلاء اغلب القوات حتى نهاية هذا الشـــهر ، ولن يظل سوى ٧ فرق تضم ٧٥ الف جندى ، سترابط لفترة « مؤقتة » تحدد باتفاق خاصخلف الحدود التشيكية الغربية « لتـــأمين امن بلاد المجموعة الاشتراكية ضد الجهـــود الانتقاميـــة المتزايدة من جانب القوى العسكرية فى المانيـــا الغربية » .

وأخذت قوات بولندا والمجر وبلغاريا تنسحب بسرعة وكانت القوات الالمانية قد انسحبت فى بداية سبتمبر ، ولم يتبق منها سوى ما يمثلها رمزيا ، حتى لا يتخذ وجودها تكأة منجانبالمانيا الغربية ، على ان مشاركتها تخالف اتفاقـــات بوتسدام . وتضمنت **المعاهدة** ان العسكريين السوفييت الذين يظلون فى تشيكوسلوفاكيـــا سيحاكمون عن اية جرائم او مخالفات يرتكبونها امام السلطات التشيكوسلوفاكيـــة ، وبمقتضى قوانين تشيكوسلوفاكيا ، كما سيتحمل الجانب السوفيتى نفقات القوات ، وتعـــويض التشيك عن الإضرار التى الحقت بهم عند دخولها .

وكانت **اتفاقية موسكو** فى ٢٦ اغسطس قـــد تضمنت اصلا مخططا للانســـحاب على ثلاث مراحل ، على ان تنسحب القوات من المدناولا؟ ثم تجمع القوات السوفيتية فى مناطق محددة مع الانسحاب الكلى لقوات الدول الاخـــرى المشاركة فى العملية ، واخيرا تنسحب القوات السوفيتية تدريجيا مع بقاء بعض الفرق ، لم يحدد عددها . وكان الجانب التشيكى قد اثار فى فترة لاحقة ان تتم المرحلة الثانية قبـــل ٣٠ سبتمبر الذى يوافق ذكرى اتفاقية ميونيخ منذ ٣٠ عاما ، والمرحلة الثالثة قبل عيد الجمهورية فى ٢٨ اكتوبر . وتواترت اشاعات عن وجود تباين فى اوجه النظر حول عدد القوات التى عليها ان تظل بعد عمليات الانسحاب . وكان الجانب السوفيتى يرى بقاء مائة الف جندى ، بينما كان رأى التشيك الاكتفاء بخمسين الفا فقط .

وقد تم الانسحاب فعلا من المدن الكبرى قبلُ وصولى الى براج فى منتصف سبتمبر . الا ان تعثرات نشأت حول تحديد مفهوم « **عودة الموقف الى حالته الطبيعية** » . **وارجىء ٤ مراتمتعاقبة** ـــ اثناء زيارتى لبراج سفر وفد رسمى مـــن قيادة الحزب الى موسكو ، لتسوية مســـائل عديدة معلقة . وبدت الحالةكأنما لا تنبىءبتسوية عاجلة ، بعد اذاعة بيان لوكالة تاس عنالموقف فى تشيكوسلوفاكيا ، اشارت فيه الى وجود

« جماعات من الارهابيين المكلفين بان ينتقلوا فى وقت محدد من الارهاب المعنوى الى الارهاب المسلح » . ولذلك كان نبأ وصول دوبتشيك على رأس وفد حزبى الى موسكو فى ٣ اكتوبر مفاجأة للكثيرين . غير ان اهم ما لفت النظر فى نص البيان المشترك الذى صدر بعد المباحثات ، هو **« اتخاذ الاجراءات التى تؤدى الى بنـاء حصن متين فى وجه المحاولات الاستفزازية المتصاعدة للقوى العسكرية فى المانيا الغربية »** . واعد المراقبون هذه الفقرة على انه تسليم من جانب التشيك باحقية مخاوف السوفييت من هذا الخطر الداهم ، كاحد المعطيات الاساسية للموقف ، وكمفتاح للوصول الى تسوية .

وقد تدرجت الجهود بعد ذلك لتذليل اسباب التوتر والخلاف ، رغم انتفاضات بعض فئـات الشباب والمثقفين ، وصور المقاومة التى ظلت تمارسها ، حتى لا يستعيد الحزب سيطرته على الموقف ، فى اتجاه يؤكد اتفاقات براتسـلافا ، وبروتوكول موسكو فى ٢٦ اغسطس .

وربما كان الحدث البارز الذى يعد بحق علامة هامة على الطريق ، هو نجاح اللجنة المركزيـة للحزب ــ رغم استمرار تباين اوجه النظر ــ فى ان تتعرض بالتقييم للموقف برمته منذ يناير : فى اجتماع من أخطر اجتماعاته ، عقده فى منتصف **الشهر الماضى** . وقد تمكنت اللجنة المركزية فى هذا الاجتماع من صياغة الخطوط العريضـة لسياسة يمكن بمقتضاها تأكيد الجوانب الايجابية ، واطلاق الاتجاهات الصـحية التى نجمت عـن التطورات اللاحقة ليناير ، مع استبعاد ماتضمنته من جوانب سلبية ، واتجاهات متطرفة ، ومساع كشفت عن نوايا معادية اصلا للاشـتراكية ، وبثبيت انتخابات القيـادة لمعظم الشخصيـات القيادية فى مراكزها ، اكتسبت هذه العنـاصر الحق الشرعى فى مباشرة هذه السياسة ، حتى انعقاد مؤتمر الحزب غير العادى ، الذى تقـرر عقده فى العام القادم ، على ان يرجأ عقد مؤتمر الجانب التشيكى من الحزب لتاريخ لاحق عليه . واصبح هذا الحل مقبولا بعد ان سلمت كل الاطراف المعنية بصلاحية التشكيل الراهن للقيـادة فى الاضطلاع بمهام المسئولية حتى عقد المؤتمـر .

وكانت احتفـالات العيد الخمسينى لتأسيس الجمهورية مناسبة لاعلان اقامة اتحـاد فيدرالى بين دولتى التشيك والسلوفاك، اعترافا بشخصية القومية السلوفاكية التى طالما اهدرت، وحقوقها المتكافئة ، وكحل دسـتورى لمشكلة مزمنة ظلت تلاحق العلاقة بين القوميتين المشكلتين للجمهورية، حتى فى ظل تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ، وكانت سببا هاما من اسباب تأزم الموقف الذى افضى الى تحولات يناير .

وبتوقيع معـاهدة براج فى ١٦ اكتـوبر ، سقطت نهائيا شبهة ان بقاء قوات اجنبية فـوق ارض تشيكوسلوفاكيا مساس بسيادتها ، او انتهاك للشرعية الدولية ، وان اغفلت المعاهدة التعرض لشرعية وجود القـوات فى الفترة السابقة منذ ٢٠ اغسطس . وعلينا على اى حال ان نقرر ان هناك سوابق كثيرة تتطلب فيهـا التكنولوجيا العسكرية فى عالمنـا المعـاصر ، اجراءات دفاعية جماعية ، لا تعرض سـيادة البلد او استقلاله للضرر . وبتوقيع المعاهدة ، سقط المبرر الذى طالما استغله الغرب ليطلق جوا هيستيريا محموما ، اعاد العالم فجأة الى ما يقرب من احلك ايام الحرب الباردة ، وكان مثارا لاعجب المفارقات . اذ من الصعب ان يقتنع احد بان كبريات الصحف الغربية ، ومندوبى الغرب فى المحافل الدولية ، ورؤساء حكوماتها ، وهم يتبنون بحرارة قضية تشيكوسلوفاكيا ، كانوا يتباكون على مصالح الاشتراكيـة فى هـذا البلد . ولا شك ان « الحرية » التى اهدرت فى نظرهم ، هى « حرية انتزاع تشيكوسلوفاكيـا بعيدا عن الاشتراكية » ! .

دلالات خطيرة

الا ان اسدال الستار على هذا الفصل المثير من احداث تشيكوسلوفاكيا ، لا يقلل من خطورة الدلالات التى تنطوى عليها ، وهى دلالات كما قلنا لا تقتصر على تشيكوسلوفاكيا وحدها ، بل تمس فى واقع الامر اخطر القضايا التى يطرحها عالم اليوم . ولا شك فى ان المجـرى العـام لاحداث تشيكوسلوفاكيا ، وتقييم الغرب له قبل الشرق ، كان يبرر ما اثاره من قلق بالغ وتخوفات شديدة ، بغض النظر حتى عن وقوع « شيء حاسم » ، كانت تملك دول حلف وارسو اشهاره فى وجه الغرب ، كدليل لا يرد على قيام «ثورة مضادة» . وكان التقدير الذى سمعته فى اكثر من عاصمة زرتها ، هو انه كان ينتظر بمناسبة عقد المؤتمر غير العادى للحـزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى ٩ سبتمبر ، طرح **تطويرات لائحية** للحزب تجرده نهائيا من دوره الموجـه للمجتمع ، وتشرع وضعه كتنظيم يمزقه صراع الكتل على غرار الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الاوربيـة ، حتى تنهض قوى تطـالب **بتحييد** تشيكوسلوفاكيا ، اسوة بالنمسا ، وتوطئة لانتقالها نهائيا الى الغـرب ، فى حمى قـوة ردع حلف الاطلنطى ، وبالذات مناورات « الاسد الاسود » المزمع اجراؤها وقتذاك خلف الحدود الالمانية .

ولكن لا نملك انكار ان دخول قوات حلف وارسو لم يثر فقط استنكار الدوائر الاستعمارية

العالمية ؟ بل قطاع هام من الحركة الشيوعية العالمية كذلك . واستنادا الى هذه الحقيقة ، علينا ان نسلم بان تخوفات حلف وارسو كانت تحتمل فى تفسيرها — ولو كفرض نظرى — احد احتمالين :

● **ان يكون مبعثها اسباب « موضوعية » تتعلق باحباط مخطط استعمارى عالمى يرمى الى احداث تغيير جذرى فى توازن القوى داخل اوربا ، وتصفية المراكز التى اكتسبتها مجموعة الدول الاشتراكية اثر الحرب العالمية الثانية ، مقابل تضحية الاتحاد السوفيتى خلال الحرب بعشرين مليون شهيد ، وبولندا بما يقرب من ربع عدد سكانها .**

● **او ان يكون مبعثها اسباب « ذاتية » تتعلق بتحولات داخل النظم الاشتراكية لمسايرة تحديات العصر ومتطلباتها .** وترتبط هذه القضية الاخيرة بمشكلة « **اجتياز الستالينية** » ، وايجاد صيغة بديلة للتجانس الصارم Monolithism الذى ميز عصر ستالين — وهذه الصيغة البديلة وابعادها مازالت موضع اجتهادات متعددة ، تفاوتت وتباينت تجارب الاحزاب الشيوعية فيها ، وليس هناك الى الان رد محدد يتفق الجميع عليه ، بل بلغ التمايز والتعارض بين بعض الاحزاب الشيوعية حد التناقض العدائى ، ومع ذلك هناك اتفاق مبدئى منذ سنوات على نظرية « **الطريق الخاص للاشتراكية فى كل بلد ، حسب ظروفه النوعية المتميزة .** الا ان العلاقة بين «**الخاص**» و«**العام**» مازالت موضع جدل واسع . والمقاييس التى تميز بين « **طريق خاص للاشتراكية** » و « **طريق منحرف عن الاشتراكية** » مازالت غامضة — ثم من هو الذى يملك الحكم بان التطور داخل بلد اشتراكى محدد « فى طريق الاشتراكية » او « انحراف عنها » و « الغاء لها » ؟ وما هى الوسائل المقبولة فى « تصحيح الانحراف » اذا وقع ؟ وهل تتسع هذه الوسائل لعلاج قضية ايديولوجية بالطريق العسكرى ؟ وهل من شأن هذا الطريق احداث العلاج المنشود بالفعل ؟

مخططات استعمارية جديدة

ولكن قبل الاستطراد فى بحث هذه القضايا ذات الابعاد العالمية حقا ، علينا ان نطرح حقائق هامة تتصل بتطور مخططات الاستعمار فى هذه الاونة ، كما تجسدها مخططات حلف الاطلنطى الاخيرة ، وقوة ضاربة طليعية داخل اطار هذا الحلف ، واقصد بالذات الدوائر الانتقامية والنازية الجديدة فى المانيا الغربية ، التى لم تتخل عن احلامها فى استرداد امجادها السابقة ، وظلت طوال السنوات الماضية مصدرا لتوتر لم يخفت فى قلب اوربا . فمنذ بضع سنوات ، اعادت هذه الدوائر فى بون تصميم سياستها نحو البلدان الاشتراكية الاوربية . ووضعت مخططا جديدا للوصول الى اهدافها الاصلية بوسائل مبتكرة تساير ظروف العصر والامكانيات التى تتيحها ، وعرفت هذه السياسة « **بسياسة بون الشرقية الجديدة** » ، قوامها التظاهر بوجه مسالم عطوف ، يخفى فى حقيقة الامر كل قدرات تكنولوجيا السلاح المعاصرة ، والقدرات العدوانية الرهيبة التى باتت تختزنها . وقد وجدت هذه السياسة تعبيرا ناطقا عنها فى مؤلف حديث للوزير الالمانى الغربى **شتراوس** بعنوان « **مشروع من اجل اوربا** » ، يطالب فيه حكومته بان تعمل على تشجيع بعض « التطورات الناشئة » فى عدد من دول اوروبا الشرقية ، و«دفعها الى نقطة اللاعودة» .

وقد التقت الافكار التى يدعو لها اصحاب « السياسة الشرقية الجديدة » فى بون ، مع مخططات مصممى « الاستراتيجية الشاملة » الامريكية ، منذ ان اسهم مكثمارا فى اعادة تحديد ملامحها . ومن المعلوم ان المعاهدة التى بمقتضاها أسس حلف الاطلنطى منذ ١٩ عاما ينقضى فى ١٩٦٩ . وثار جدل واسع قبل احداث تشيكوسلوفاكيا حول الاستعاضة عن صيغة الحلف الاصلية التى رسمت وفق متطلبات الحرب الباردة ، بصيغة جديدة تحفظ قدرات الحلف الضاربة المهولة ، مستترة وراء مظهر برىء ، مكيف لافضل استثمار ممكن لظروف التعايش السلمى ، كما استقرت خلال السنوات الاخيرة . وكتب **برزيزنسكى** ، مستشار المرشح السابق للرياسة الامريكية همفرى ، ومن اكبر الخبراء فى شئون اوربا الشرقية « ان انسب طرق التحول يجب ان تبدأ باطلاق تطورات داخلية نحو الليبرالية فى دول اوربا الشرقية . والجو مهيأ لهذه التطورات فى



■ الكسندر دوبتشيك ■

اول سلوفاكى يحتل مركز السكرتير الاول للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى .. ظل بعد يناير فى نظر اوسع فئات الشعب رمزا للتجديد .. ولكن سأندته قوى معادية بأمل ان يصنع « معبرا » نحو تغييرات جذرية ...

تشيكوسلوفاكيا بالذات ، والى حد اقل في المجر وبولندا » .

وتدرك الدوائر المسئولة في موسكو من الجانب الاخر ، ان التوازن الراهن للقوى العالمية لم يعد يسمح للاستعمار الغربي بتصدير الثورة المضادة الى دول اوربا الاشتراكية عن طريق التدخل العسكرى السافر مباشرة . ولم يعد امامها ، اتقاء للردع السوفيتي المنتظر ، الا ان تلجأ الى مخططات جديدة ، قوامها تهيئة الظروف لانطلاق الثورة المضادة « بالطرق السلمية » التى لا تستثير الشبهات حول دوافعها المعادية للاشتراكية اصلا . وان تسير هذا العمليات باسم تجديد الاشتراكية ، أو تصحيح اخطائها ، أو جعلها اكثر ملاءمة لتطلعات الشعوب في مناخ التعايش السلمي السائد . وهذا « الانتقال السلمي من الاشتراكية الى الرأسمالية » لا يلغى بطبيعة الحال الاستناد الى القوة بمجرد نزع حق اللجوء الى هذا السلاح من القوى الاشتراكية .

تقييم الموقف الدولي

وتطرح هذه التطورات في مخططات الاستعمار العالمي أسئلة ، غاية في الخطورة ، تنفذ الى صميم الموقف الدولي الراهن : هل نحن بصدد فترة « انفراج » DETENTE في الوضع الدولي ؟ أم نحن على عكس ذلك ، بصدد فترة « تفاقم التوتر » Increasing Tension ونحو مزيد من الاستقطاب الدولي ، يعيد في صورة جديدة ملامح أشبه بالحرب الباردة ؟

بديهى اننا كعرب نجيب على هذا السؤال بشكل محدد ، ونقول : نحن بصدد فترة تفاقم التوتر الدولى ، وازمة الشرق الاوسط دليلنا الواضح على ذلك . ونعتقد ان «خط زيادة التوتر» يرجع الى عدة سنوات مضت ، ابتداء من ازمة الصواريخ في كوبا ، **واسلوب تطبيق** التعايش السلمي فى هذه الازمة على وجه التحديد . ومنذ ذلك التاريخ ، تمادى الاستعمار فى التطاول على مكتسبات الشعوب ، باساليب مبتكرة ، بعضها عدوان مكشوف ، واغلبها عدوان مستتر ، امتدت من فيتنام الى اندونيسيا الى معظم ما انجزته شعوب افريقيا منذ الاستقلال ، لتصيب اغلب تطلعات العالم الثالث بعد ان تحرر من نير الاستعمار التقليدى . **وربما كانت ازمة الشرق الاوسط هى « الانعطافة » التى نبهت الدول الاشتراكية الى خطورة الموقف الدولى ، والحاجة الملحة الى تعديل استراتيجيتها ، بشيع خيرا لهذا المد الاستعمارى الخطير** .

بين « بوربا » ٠٠ و « الطليعة »

انتقدت « بوربا » ، لسان حال التحالف الاشتراكى اليوغوسلافى ، مجلة « الطليعة » فى افتتاحيتها يوم ١٦ نوفمبر وأبدت « بوربا » ما وصفته بانه « خيبة أملها » من تحليل لطفى الخولى — عن موقف يوغوسلافيا — فى افتتاحية العدد الماضى التى كتبها بعنوان « ماذا بعد أحداث تشيكوسلوفاكيا »

وعلى حد المقتطفات التى أوردتها وكالة الانباء الفرنسية من افتتاحية « بوربا » انتقدت الجريدة اليوغوسلافية مقال لطفى الخولى بانه « يدخل ضمن جهود تسعى الى تغيير الاتجاه الاساسى للسياسة الخارجية المصرية » .. وتأتى هذه الجهود فى وقت تجرى فيه محاولات سوفيتية مركزة كى يتبنى الراى العام فى الدول غير المنحازة ، تقييم دول حلف وارسو للتطورات داخل تشيكوسلوفاكيا .

ولخصت « بوربا » تحليل لطفى الخولى لموقف يوغوسلافيا بانه « عنصر يساعد موضوعيا مناورات القوى المعادية للاشتراكية » . وابدت الجريدة مخاوفها على صفاء علاقات الود التى تربط يوغوسلافيا بمصر ، بعد أن أورد مقال الطليعة فقرة عن وجود أقلية فى يوغوسلافيا تعارض خط الحزب ، فوصف بأنها « بقايا للستالينية » وتساءلت « بوربا » فى ختام مقالها : هل لطفى الخولى بهذا الموقف قد تخلى عن مبادىء التعايش السلمى ، وذلك بتسليمه بأحقية اللجوء الى القوة ، وهل يقبل امتداد هذا المنطق الذى طبقه على أوربا الى الموقف فى بلاده ، وهل يدرك كل ما لابد أن ينجم عن تطبيق نظرية « السيادة المحدودة » على الشرق الاوسط ؟ .

والملفت للانظار أن « بوربا » نفسها لجأت فى مقالها الى منطق « تأليب القوة » بتحميل افتتاحية الطليعة معنى « الضغط على السلطة وسياسة الدولة » ، وهو المنطق الذى ترفضه يوغوسلافيا ، مطبقا على أحداث تشيكوسلوفاكيا — اى منطق اللجوء الى القوة فى حسم خلاف ايديولوجى . بل عممت « بوربا » بهذا المنهج ما يمكن تصوره مقبولا فقط فى ظرف محدد وخاص — بينما يصبح تعميمه مصادرة لاقامة اى حوار ايديولوجى على الاطلاق .

ولم يكن باى حال مطروحا تعميم فكرة « السيادة المحدودة » أو « التخلى عن مبادىء التعايش السلمى » . وانما الذى كان مطروحا هو احقية تصرف جرى داخل اطار الالتزامات المتبادلة بين دول حلف وارسو ، وهى التزامات تتجاوز طبيعة العلاقات القائمة بين دول عدم الانحياز ، ولمواجهة خطر يهدد المجموعة الاشتراكية برمتها . ولا شك فى أن لتماسك هذه المجموعة ، وتدعيم وحدتها وتضافرها دورا حاسما فى ارساء أسس السلام العالمى ، والتعايش السلمى ، والحد من التوتر الدولى ، ومواجهة أخطار العدوان الاستعمارى ، وافساح الفرصة لقيام سياسة عدم الانحياز أصلا .

وربما يكمن جوهر خلاف « الطليعة » مع « بوربا » فى تقدير متباين للابعاد الراهنة للوضع الدولى وهل تملك القوى العالمية المعادية للاستعمار — ويوغوسلافيا طرف هام داخلها — مجرد الالتزام بمنطق « الانفراج الدولى » دون أن يتحول المنهج الناجم من هذا المنطق ، الى موقف يسعف موضوعيا جهود الاستعمار التى أصبح متاحا له اللجوء اليها لاستعادة مراكز فقدها من قبل ؟ أم أصبح من واجب هذه القوى فى الملابسات الدولية الراهنة تصحيح بعض تطبيقات « التعايش السلمى » حتى يكفل لها صنع انفراج دولى ينهض على أسس راسخة وفعالة ؟

أما عن وجود اقلية داخل يوغوسلافيا تعارض خط الحزب ، وتوصف بالستالينية ، فهذه معلومات متاحة لا يخفيها الحزب نفسه ، وقد تداولت خلال مناقشات لطفى الخولى فى زيارته ليوغوسلافيا فى سبتمبر الماضى .

« الطليعة »

وكعرب نقول : نحن فى فترة حرجة تستدعي التركيز على تأكيد **الترابط** ، والقدرة النضالية لكافة القوى المعادية للاستعمار . وهذا يتطلب بوجه خاص **تماسك قوى الاشتراكية** فى العالم ، لبلوغ المستوى الكفيل باحباط مناورات الاستعمار الجديد ، وما احرزه من نتائج خلال السنوات الاخيرة فى بث الفرقة بين القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية فى العالم ، وفى اقتحام مواقع بوسائل جديدة لم تكشف كلها بعد ، وفى استثمار انجازات التكنولوجيا ، وامكانيات اجهزة الدعاية والاعلام العصرية ، واسلحة الحرب النفسية ، وهذه مهمة تسبق الاولويات ، العناية بمعانى «الديمقراطية المجردة» التى تفسح فرصا « متكافئة » لكل القوى الاجتماعية ، على اختلاف محتواها الطبقى ، وهى سمة قد تبرز للمقدمة فى فترات « الانفراج » .

ونزعم ان المد الاستعمارى الراهن يطرح فعلا فى مواجهته وجاهة المنطق القائل بأهمية التركيز على « تماسك **الكل** » قبل الالتفات الى « خصائص **الجزء** » وتأكيد « **العام** » فى الاشتراكية قبل ان يستوعبنا « **الخاص** » فى كل تجربة على حدة . وبهذا السبيل فقط يمكن التغلب على تفاقم التوتر فى العالم ، الناجم عن تلاحق المواقع التى يكسبها الاستعمار ، وخلق مناخ عالمى كفيل فعلا باطلاق « انفراج » فى الموقف الدولى ، لا ينهض على الامال قبل الحقائق المرة ، ويفسح بحق « للخاص » كل فرص ازدهاره ، دون ان ينجذب الى مخاطر العداء للاشتراكية . .

ونقول : ليس من باب المصادفة ان الاحزاب الشيوعية التى تقف على خط النار فى وجه الاستعمار ، هى التى انحازت **الى جانب** تأييد تحرك حلف وارسو مثل الاحزاب الشيوعية فى فيتنام وكوريا وكوبا والولايات المتحدة واسرائيل ، وفى البلاد العربية ، والحزب الجديد فى المانيا الغربية . بينما وقف **ضد** التدخل ، الاحزاب الشيوعية التى تؤمن بالامكانيات التى مازالت تختزنها سياسة تنهض على « انفراج الموقف الدولى » ، وفى مقدمتها معظم الاحزاب الشيوعية الاوربية ــ وطبعا ، موقف الصين والبانيا محكوم بخلافهما السابق مع الحزب السوفيتى .

والواقع اننا اذا سلمنا بان المخطط الجديد للاستعمار فى اوربا ، ينهض ــ كما يشير الى ذلك سياسة بون الشرقية الجديدة ، وخطط « تطوير حلف الاطلنطى بعد ١٩٦٩ ــ على التظاهر بوجه مسالم عطوف ، يخفى وراءه كل قدرات العدوان والتدمير التى تختزنها تكنولوجيا السلاح والدعاية العصرية على السواء ، فعلينا ان نستخلص نتيجة لا مفر من الوصول اليها ، وهى ان سياسة الاخذ بمنطق « الانفراج الدولى » تنهض ــ موضوعيا ــ كسياسة **تخدم وتكمل** هذا المخطط الاستعمارى الجديد ، دون ان تسلح الجماهير باليقظة التى تستوجبها هذه التطورات . بينما يفضى المنطق المقابل الى اتخاذ تدابير كفيلة **بتصحيح الموقف** بصورة تسمح باستثمار امكانيات التعايش السلمى على اسس لا تغبن حق الشعوب . وربما كانت التطورات الاخيرة بشأن فيتنام ليست منقطعة الصلة عن هذا التطور الجديد فى موقف المجموعة الاشتراكية .

وقد يقال انه كان فى مقدور دول حلف وارسو ان تلجأ الى اى مسلك « لتصحيح الموقف » فى تشيكوسلوفاكيا ، غير الطريق العسكرى . ويبدو ان التباين فى تقدير الموقف الدولى قد شمل القيادة السوفيتية ذاتها . وكان ذلك عنصرا فى الحيلولة دون التحرك بالشكل المطلوب والقدر اللازم فى وقت مبكر ، حتى لم يعد هناك مفر سوى اللجوء الى الطريق العسكرى .

وايا كان الحال ، فان هذا الفصل المثير فى احداث تشيكوسلوفاكيا ، الذى شغل العالم كله ، سينهض بدور ــ ليس فى ذلك جدال ــ من اجل حث الجهود على اعادة الوحدة والترابط بين قوى التقدم فى العالم على مستوى جديد ، وسيكون مثارا لاجتهادات كبيرة من اجل ايجاد ردود شافية على هذه الاسئلة التى نطرحها ، ويطرحها الكثيرون .

ومنذ ايام امكن بالفعل فى اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر الاحزاب الشيوعية فى بودابست ، تحديد موعد ٩ مايو القادم ، لعقد هذا المؤتمر الشيوعى الدولى الهام ، بعد ان كانت احداث تشيكوسلوفاكيا سببا فى ارجائه الى اجل غير مسمى ــ ولاشك فى ان هذا المؤتمر الذى سيتعرض فى مداولات للخلافات القائمة ، سيسهم بدوره فى هذا الجهد الشامل المطلوب لتوحيد قوى التقدم استجابة لمتطلبات الوضع الدولى الراهن .

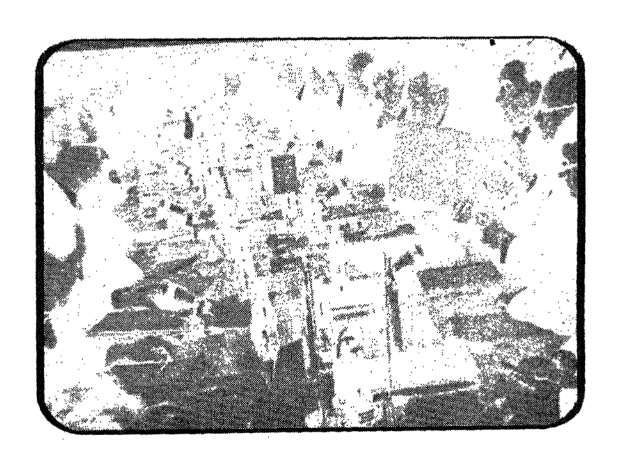
من أجل درء الكارثة الشاملة

ويترتب على هذا التقييم للموقف الدولى : « هل نحن بصدد انفراج .. أو تفاقم التوتر فى العالم » سؤال اخير ، هو جدير بشد انتباهنا قبل ان نختم هذا العرض ــ وهو سؤال يتصل بناحية من نواحى الترابط فى عصرنا ، بين « **الثورة الاجتماعية** » و « **الثورة العلمية والتكنولوجية** » . واقصد بالذات انجازات الثورة العلمية والتكنولوجية فى انتاج **اسلحة الدمار الشامل** ، وخطر المواجهة المباشرة بطريق الحرب بين الدول العظمى ، وبين اقطاب الراسمالية والاشتراكية فى العالم ،

والواقع ان الاحساس بهذه المشكلة ينبع من حقيقة ان انجازات الثورة التكنولوجية فى المجال العسكرى . وفى انتاج اسلحة الموت الشامل ، اصبحت تفرض على الدول العظمى **الابتعاد عن الوصول الى نقطة اللاعودة** . التى ننطلق ــ ابتداء منها ــ المواجهة الساخنة بنتائجها الرهيبة للبشرية جمعاء ــ وتتحمل الدول العظمى ــ والاتحاد السوفيتى قبل غيره بوصفه دولة اشتراكية ــ مسئوليتها بالذات . وهذا الحرص على الابتعاد عن نقطة اللاعودة يفرض **تحويرا معينا** على اساليب ممارسة الصراع الطبقى والاجتماعى على النطاق العالمى ، التى لم يعد من الممكن ترك قوانينها « الطبيعية » تعمل بدون ضابط ولاحساب والى غير حدود . وفى احوال كثيرة ، **يفضل التدخل باجراء وقائى بدلا من التدخل فى ظروف اخطر باجراء يهدد بكارثة شاملة .**

● فليس هناك شك فى ان اية محاولة لانتزاع تشيكوسلوفاكيا من مجموعة الدول الاشتراكية ــ بموقعها الاستراتيجى الحاسم فى قلب اوربا كانت تعنى **حربا عالمية ثالثة** ــ وقد قال بسمارك بحق ان من يملك مفاتيح براج ، يملك مفاتيح وسط اوربا كله .

● وفى المنطق العسكرى الاستراتيجى السوفيتى ، ما من شك فى ان التدخل بما يدرأ هذا الاحتمال ــ حتى اذا ظل مجرد احتمال ، لا يسعفه الدليل الحاسم الذى يجزم بوقوع اخطار جسيمة قطعا ــ افضل له من ان يتعرض لضرورة البت فى قرار اخطر فى وقت لاحق ، يجازف فيه بالمواجهة الساخنة الرهيبة . هذا بالاسف احدى معطيات منطق عصرنا .



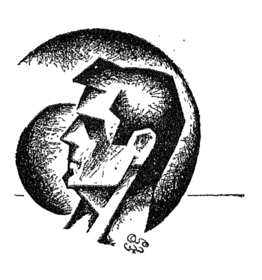
حوار مفتوح حول شباب ١٩٦٨

مع بروز حركة الشباب فى العالم ، الى المسرح السياسى ؟ وحيث اصبحت ظاهرة جديرة باهتمام ودراسة كل مهتم بالسياسة ، قدمت الطليعة فى اعدادها من الثامن الى الحادى عشر ، بعض الدراسات والمقالات التى تعبر عن وجهة نظر كتابها بغض النظر عن مدى اختلافها او اتفاقها مع رأى الطليعة التى تؤمن دائما بجدوى الحوار الجاد بين مختلف الاراء .

وتختتم الطليعة ، فى هذا العدد ،ذلك الباب الذى خصصته للحوار حول هذه القضية ، بنشر ندوتين اقامتهما مجلة « السلم والحرية والاشتراكية » تناقش الاولى اضرابات الطلبة فى المجتمعات الرأسمالية وقد اشترك فيها ممثلون عن فرنسا وايطاليا واسبانيا والمانيا الغربية وحزب الوحدة الاشتراكى ببرلين الغربية والولايات المتحدة ، بتقديم تقارير عن حركات الطلبة فى بلادهم . كما اشترك فى المناقشات ممثلون عن كندا والدانمرك والارجنتين والنمسا وكولومبيا وجواتيمالا وشيلى وفنزويلا .

أما الندوة الثانية فقد دارت حول دور الشباب — وخاصة الطلبة والمثقفين — فى آسيا وافريقيا ، فى الكفاح ضد الاستعمار وبناء الدول النامية ، واشترك فى هذه الندوة ممثلون للشباب من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا وتونس ولبنان ومراكش ووطنيو جنوب افريقيا وانجولا وموزمبيق ولاوس والسنغال . كما اشترك فى الندوة لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة .

وتأمل الطليعة ان تكون قد ساهمت — بالمناقشات التى دارت على صفحاتها من قبل وبنشر الندوتين فى اشاعة مناخ للحوار الديمقراطى الجاد حول قضية من اهم قضايا الساعة .



حركة الشباب فى العالم الرأسمالى

افتتح

الندوة ج . ب . فرانسوف رئيس تحرير المجلة قائلا ان اضطرابات الطلبة فى الدول الرأسمالية قد قضت على الاسطورة التى كانت تدعى ان المجتمع الرأسمالى يمكنه ان يتطور فى تجانس ، وبدون صراعات داخلية ، « موفرا سعادة وحرية للجميع » . كذلك قضت هذه الاضطرابات على الادعاء بأن الصراعات الاجتماعية فى غرب اوربا قد انتهت تماما واستقرت الاوضاع فيها ، وان مجتمع الولايات المتحدة الامريكية الرأسمالى الديمقراطى الاكثر تطورا قد توصل الى حلول لجميع مشاكل الرأسمالية الداخلية ، « ولكن ها هى اضطرابات الطلبة تثبت من جديد الدور الهام للثورة الاجتماعية الاوربية ، وتهز المجتمع الامريكى بعنف » .

واستطرد يقول : ان هناك من يحاولون الادعاء ان اضطرابات الطلبة تدل على ان الطبقة العاملة قد فقدت ثوريتها وصارت المبادرة الثورية فى يد الطلبة او ان الصراع الطبقى قد تحول الى صراع بين اجيال ، وعلينا ان نذكر هنا انه فى وقت ما ظهرت فى روسيا القيصرية اضطرابات طلابية كبيرة ، اطلق عليها فى ذلك الوقت « اللغز الروسى » ، فى وقت لم تكن البروليتاريا قد تحركت على نطاق واسع بعد . وكان سبب تلك الاضطرابات هو ان المجتمع هناك كان مشبعا

بالثـورة البورجوازية الديمقراطيـة ؟ حيث كان المثقفون الشبان لا يجدون مكانا لهم فى المجتمع القيصرى ذى النظـام البيروقراطى المتحجـر ــ وكانت اضطرابات الطلبة تعبير عن الحـاجة لنظام اجتماعى وسياسى جديد ، ومقدمة لما حدث فيما بعد .

كذلك لا يوجد شك فى ان اضطرابات الطلبة الحالية فى الدول الرأسمالية ، تعبير عن الحاجة لتغيير اجتماعى عميق ــ فالثورة التكنولوجية قد اكدت دور المثقفين فى الانتاج ، وفى المجتمع ، بينما تحاول الرأسمالية حصر الثورة التكنولوجية داخل اطار الانتـاج البيروقراطى الاسـتغلالى الخاص بالاحتكارات ، وما يخـدمها من اطارات الدولة .

ويجب ان نراعى ان الصراع ضد شيء او آخر يتخذ احيانا صورا مشوهة مثل الفردية التخريبية او الاحلام المثالية بمجتمع افلاطونى تسود فيه « النخبة » ، خاصة عند الشباب الذى لم ينضـج ايديولوجيـا واجتماعيـا ، او المتشـبع بالافكار البورجوازية ، ولكن الانسكابات من الوعاء حينما يمتلىء ، يجب ان لا تحجب عنـا رؤية واقع ان محتويات الوعاء تتخمر وتفور .. فما الذى يريده المثقف حينما يطلب التغيير الاجتماعى ؟؟ انه يطلب نظاما اجتماعيا يمكنه من ان ينمى مواهبه ، وان يعمل بأقصى امكانيـاته لخير الجميع ــ وان لا يستغل او يستخدم لاسـتغلال الغير . وهو ما يمكن للاشتراكية فقط ان تحققه ، رغم عدم وعى الشباب بذلك ، لان الضباب الذى اطلق حـوله ما زال سميكا .

وتحدث **بيير هنتجيه** الفرنسى ، عن كيفية بدء اضطرابات الطلبة فى فرنسا ، وقال ان تعليلات كثيرة قد اعطيت لهذه الاضطرابات ، ولكنها كانت ترمى اساسا الى تعقيد المسـألة ، ومنع البحث الجدى عن الاسباب الحقيقية للازمة ، بينما هى فى الحقيقة رفض الطلبة ان يتحولوا الى الكادرات المعدة لاستغلال الطبقات العاملة فى المسـتقبل [كما قال الزعيم الطلابى الفرنسى **كوهن بنديت**] ــ اى رفضهم لدورهم فى المجتمع الرأسمالى ــ وادراكهم للفجوة الهائلة التى تفصلهم عن المجتمع حيث لايأخذون دورا فى تسييرالاقتصاد او صياغة السياسة ، او خلق حضارة ديناميكية ــ وعضو البرلمان **بييركوت** ، يقول « الطلبة يرفضون هـذا المجتمع ، لانه ظالم لهم ــ كل ما يقـدمه لهم هو احتمالات البطالة عند التخرج ، وعدم العثور على مسكن عند الزواج ، والحياة فى مجتمع يضحى بجميع القيم الثقافية والاجتماعية ، فى سـبيل القنابل الذرية » .

واضـاف انه ليس من المصـادفة ان تنتشر الاضطرابات الطلابية فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، من برلين الى بونس ايرس ، ومن السنغال الى ايسلندة ، فقد ظهرت بوادر الازمة الاقتصـادية مقبلة ، وحتى الصحف الاقتصادية الغربية تقول : « ان فترة التوسع والامتداد السهل فى الاقتصاد الغربى قد انتهت ، وتبدأ الان فترة جديدة تحددها خواصها : عدم الاستقرار النقدى وتباطؤفىمعدل التبادل العالمى ، وتضييق علىالتسهيلات ، وزيادة فى البطالة » .

وقال المندوب الفرنسى ، انه فى الوقت الذى زادت فيه الاوتوماتية فى العمل ، وزاد الاستغناء عن القوى العاملة صار عدد الطلبة الجـامعيين فى فرنسا ثلاثة اضعاف عددهم من عشر سنوات .. واكد انه من ٨٩ الى ٩٠ فى المائة من خريجى الجامعات فى الدول الرأسمالية قد تحولوا الى كادحين بتطوير المجتمع الرأسمالى الصـناعى ، وان هناك ...ر٢٠ مهنـدس وتكنيـكى وخريج جامعة فى فرنسا يبحثون عن عمل الان ، ضـمن العاطلين .

ثم تحـدث بيير هنتجيـه عن المؤامرات التى صاحبت الحركة الطلابية ، فقال ان اهمها كانت محاولة **هربرت ماركوز** ، التى تدعى « فشـل » الطبقة العاملة ، لان النظـام الرأسـمالى قـد استوعبها ، ولانها طبقة « ممكن المضاربة بها ، لانها مرتبطة بالحاجة الى لقمة العيش » .

واكد ان الطلبـة لم يكونوا فى يوم من الايام منفصلين عن مشاكل العالم والصراع التقـدمى ــ صراع الدول الاشـتراكية وحركات التحرير الوطنية والطبقات العاملة فىالدول الرأسمالية ــ وقد قاموا بمظاهرة عنيفة لنصرة فيتنام والزنوج الامريكيين والعرب ضحايا العدوان الاستعمارى الصهيونى .

وانهى حديثه بتأكيده اهمية ربط كفاح الطلبة بكفاح الطبقة العاملة .

وتحدث **جولينو كيينزا** الايطالى ،فقال:ان الطلبة فى صراعهم فى سبيل اصلاحات تعليمية وثقافية قد اشتبكوا فعلا فى صراع ضد النظام الرأسمالى نفسه . وأضاف ان الطلبة مع انهم لم يصلوا بعد الى مسـتوى واضح من الوعى الاشـتراكى ايديولوجيا ، والى استراتيجية عملية ، ومع ان

حركتهم نابعة عن البورجوازية الصغيرة ، وبها جميع التشويهات الايديولوجية والاجتماعية التي تتميز بها تلك الطبقة ، الا انها قد اتاحت الفرصة لانفجار مضاد للرأسمالية وللسلطات المطلقة وللاستعمار — وقد ساهمت بذلك في انضاج الصراع الاجتماعي واطلاق طاقات جديدة فيه — وكذلك اظهرت اضطرابات الطلبة خطا فاصلا واضحا بين العناصر المعادية للطبقة العاملة ، والتي لا خير فيها ولا امل يرجى منها ، والعناصر المخدوعة ايديولوجيا ، والتي من الممكن اكتسابها للاستراتيجية الاشتراكية ، وانه من الممكن اكتساب هذه العناصر بالتعاون معها لا خلال التنظيمات الحزبية فحسب ، بل العمل المشترك والمناقشة — لذا يجب نبذ النظرة الجامدة المتحجرة في سبيل اقحام النظرية الماركسية في المعركة ، لان التجربة هي التي تثبت صحتها وتؤكدها كل يوم . كذلك يجب تحاشي نقد حركة الطلبة واخطائها الايديولوجية ، بل العمل على محاولة كسبها عن طريق الاقناع .

وقال ممثل ايطاليا ان اكثر ما يخشاه الحكام في الدول الرأسمالية هو الانسجام والتعاون بين الشباب والطلبة والقوى العمالية ، ومن الواضح ان البورجوازية تحاول استغلال التناقضات الوقتية بين هذه الفئات لتضخيمها وتفتيت وحدتها .

وانهى كينيزا حديثه بتصريح **لويجي لونجو** ، سكرتير عام الحزب الشيوعي الايطالي عن أزمة الطلبة :

« في الاونة الاخيرة صارت الجامعة ميدانا حيا وعاصفا لصدامات بين اكثر الاراء والمواقف تنوعا . وبصراعها في سبيل مطالبها داخل النطاق الجامعي ، فان الحركة الطلابية قد انتجت طرازا فريدا من الصراع ضد النظام ، كما كشفت عن مظاهر جديدة من الاستراتيجية والتاكتيك ويجب علينا ان نقر بأن الحركة واقعيا قد هزت الدولة سياسيا ، ورجت دعائم البناء الاجتماعي — وبذا فان لها قيمة ايجابية كبرى » ..

واكد مندوب اسبانيا **جوان ديز** ، ان حركة الطلبة في الدول الرأسمالية قد اثبتت افلاس نظرية « الرأسمالية الجديدة » ، التي كان يتغنى بها الايديولوجيون البورجوازيون القائلة بان الثورة التكنولوجية والنمو الاقتصادي قد مكنا الرأسمالية من معالجة صراع الطبقات ، واحتواء الطبقة العاملة وتفادي الثورة . وقال ديز بهذه المناسبة ان القوى الاشتراكية لم توجه عناية كافيه لتفنيد نظرية الراسمالية الجديدة ايديولوجيا .. وكذلك بتفنيد التعليلات البورجوازية الاخرى لاضطرابات الطلبة ..

وقال ديز ان هناك عنصرين يجب وضعهما في الاعتبار بالنسبة لحركة الشباب :

اولا : ان آمال الجيل السابق كانت تنحصر في بعض الامكانيات الاستهلاكية كالسيارة والسفر بالطائرة والتليفزيون والفريجيدير — وهي اشياء اصبحت نقاط بدء بديهية للجيل الجديد — فالشباب يتطلب اذن مستويات اعلى من الامال لا يمكن « للرأسمالية الجديدة » ان تقدمها له ..

ثانيا : ان التطور العلمي جعل الانسان يؤمن بأن كل شيء ممكن تحقيقه — حتى «المستحيلات» ، كالسفر للقمر مثلا — ليست هناك مستحيلات ولا مقدسات ولا ممنوعات ، كذلك هناك ازمة في اخلاق البورجوازية ، بعد انهيار سيطرة الدين والمثاليات الاخرى . كما ان شباب اليوم اكثر علما عموما من شباب الجيل السابق — وهذا ينطبق لا على الطلبة فحسب ، بل العمال والفلاحين الشبان ايضا — اي ان الشباب معد اكثر لفهم حقائق الحياة والمشاكل الاجتماعية . اضف الى ذلك التطور الهائل في وسائل الاعلام التي وسعت مدارك الناس ، حتى صاروا يعرفون ويتجاوبون مع ما يحدث في اي مكان في العالم .

وجاءت هذه العوامل في وقت تحول عظيم من الرأسمالية الى الاشتراكية ، حيث كل تجربة وكل خطوة تناقش مناقشات عريضة ، وتظهر التناقضات في أجلى واوضح صورها . هكذا يكتسب الشباب ادراكا ووعيا اجتماعيا قبل الادراك والوعي السياسي .

وقال ممثل **اسبانيا** ، ان السبب المباشر لانفجار الطلبة هو حرب فيتنام ، وما اظهرته من ان السياسة الرأسمالية من الممكن ان تصل الى احط مستويات الاجرام والابادة الجماعية ، ومن ان القلة الشجاعة يمكنها ببطولتها ، ان تهزم الكثرة الغاشمة — كذلك ساهمت في توعية الشباب بحقائق الاستعمار الرأسمالي مشكلة كوبا وموت جيفارا ، ومواقف العالم الثالث في مواجهة الاستعمار ..

وبعد الحديث عن الشباب عامة ، تناول مندوب اسبانيا الحديث عن الطلبة بصفة خاصة ..

فأشار الى عامل الزيادة العددية الكبيرة للطلبة ثم الى انهم مركزون في مناطق تعليمية ، وكونهم لم يعودوا من ابناء النخبة فحسب ، كما كانوا في الماضي ، بل من الطبقة المتوسطة والفقيرة . ولذا يجب الحكم عليهم تبعا للمهن التي يعدون انفسهم لها — وهي اساسا مهن عمل ثقافية وتكنولوجية

والطلبة قد صاروا — لهذه الاسباب الثلاثة —

قوة ثورية لا يستهان بها — اى لم تعد القوة الثورية الطليعية العمال والفلاحون فحسب، بل « اتحاد قوى العمل والثقافة » ، لان المجتمع الراسمالى يعتمد على العمال والفلاحين والمثقفين والمحترفين والتكنيكيين والطلبة كشغالة .

لذا يجب التنسيق والتعاون بين هذه القوى الثورية كلها ، وان يكون هذا التنسيق والتعاون على اساس ربط المفاهيم بالاهداف — اى ان يكون الصراع من اجل الحرية وظروف معيشية افضل ، هو صراع فى سبيل الاشتراكية .

ثم تحدث **ويلى بيكر** ، ممثل المانيا الفيديراليه فقال : انه منذ سنين عديدة والمانيا الفيديراليه [الغربية] ، تطنطن عن رخائها مماملاعقول الشعب الالمانى — والشباب خاصة — بأوهام عن رخاء الرأسمالية — كذلك تمتلىءالمانياالغربية بالمنظمات المعادية للشيوعية والاشتراكية ، وتكاد لا توجد منظمات معادية للرأسمالية — وبين ٨٠٠منظمة شباب فى المانيا الغربية ، لا توجد منظمة واحدة تنبع من الافكار الماركسية منذ ١٩٥١ ..

وفى سنة ١٩٦٦ ، بدات اعراض الازمة الرأسمالية فى المانيا الفيديرالية ، ونتج عن ذلك استقطاب تدريجى للعناصر اليمينية واليسارية وكان الاستقطاب لليمين اسرع واقوى ، نظرا لانه حدث على المستوى الحكومى ، ولعدم وجود تنظيمات يسارية قوية — فاستبدل الدستور بقوانين الطوارىء ، واعيد احياء النازية بمساندة رأسمال ضخم ..

وقال ان مظاهرات الطلبة بدأت منذ ثلاث سنوات ، وخلال هذه الفترة تظاهر الطلبة لمطالبهم الخاصة ، كما تظاهروا لمطالب ديمقراطية كنزع السلاح ولشجب الاستعمار ، ومساندة الكفاح الديمقراطى للشعوب ، كما عارضوا اخيرا الحرب الباردة وحلف الاطلنطى .

واضاف ان مشكلة فيتنام قد فتحت عيون الشباب الالمانى الى اشياء كثيرة ، خاصة لان المانيا الفيديرالية تساعد امريكا بالمال فى حربها القذرة — فى نفس الوقت يقول وزير الدفاع السابق ووزير المالية الحالى **جوزيف شتراوس** فى كتابه « **مشروع لاوربا** » للشباب الالمانى انه من المحتمل ان يجد نفسه فى يوم ما مضطرا لتقديم تضحيات مثل الشباب الامريكى فى الدومينيكيان وفيتنام — كما تردد الصحافة الالمانية « ان ابطال هذا العصر هم رجال البحرية الأمريكيون » .

وذكر بيكر ان منظمات الطلبة الرئيسية كانت مهمتها حتى السنوات الثلاث الاخيرة — ومنذوقعت تحت السيطرة النازية فى عام ١٩٣٣ [اى قبل وصول هتلر للحكم] ، هى ان تساند الحكم ، وكان الطلبة هم طبقة « المدللين » .. اما الان فقد اضطرت منظمات الشباب والطلبة ان تتخذ الوانا طبقية بسبب الازمة والوعى الاجتماعى والسياسى واصبح الطلبة — نتيجة لمظاهراتهم — مادة للقمع والارهاب — البوليس العنيف — كما فقد الشباب معظم الحقوق التى كان قد اكتسبها فى صراعه الطويل ، ومنها حق الانتخاب فى سن الثامنةعشرة والاجور العالية نسبيا فى سن الواحد والعشرين — عدم شرعية طرد الشبان المنتخبين فى اى مراكز أو لاية مسئوليات من اعمالهم ومناصبهم وهكذا ..

كذلك يعانى الطلبة من رجعيةشديدة فى مناهج التعليم [رغم التقدم الصناعى الكبير] — والدليل على ذلك ان ٥٨ ٪ من الذين درسوا صناعة السيارات ، و ٢١ ٪ من الميكانيكيين ، و ٥٠ ٪ من صناع الخراطة ، و ٤٧ ٪ من صناع الالات الثقيلة ، و٦٤ ٪ من صناع الاحذية ، قد اضطروا للعمل فى صناعات غير التى تخصصوا فيها .. اى ان التعليم — الفنىخاصة — لا يفضى الى عمل مناسب ..

كما ان ابناء العمال يمثلون اقل من خمسة فى المائة من الطلبة .

وختم ممثل المانيا الفيديرالية حديثهبتاكيد اهمية انشاء لجان للطلبة والعمال لتنسيق صراعها معا .. خاصة فى عصر الثورة التكنولوجية التى نعيشها .

وتحدث **برونوكوستر** ، ممثل برلين الغربية ، عن وضع برلين الغربيةالخاص ، فهى رغم موقعها داخل اراضى المانيا الشرقية ، لا تتعامل معها — بل تستعمل اساسا كرأس حربة للهجوم على الشيوعية عموما ، والمانيا الشرقية بوجه خاص ، وحيث يوجه التعليم اساسا للدعاية ضد الشيوعية .

وقال ان شباب برلين الغربية — كزملائهم فى المانيا الفيديرالية — قد اكتشفوا خديعة «المعجزة الاقتصادية الالمانية » ، وانه من المستحيل توحيد المانيا كدولة رأسمالية استعمارية ، وانهم قاموا بحركات مماثلة لزملائهم فى المانيا الغربية وعوملوا بالمثل ، ونادى بوجوب ربط صراع الطبقة العاملة بالطلبة والشباب — فالطبقة العاملة فى قائدة الصراع ، والمثقفون بوضعهمالحالى كطبقة عاملة فى المجتمع التكنولوجى ، من العناصر الهامة فى الثورة ..

اما **م ، ب ، هالينان** ، ممثل الولايات المتحدة ، فقد اوضح ان الجيل الامريكى الجديد قد نشأ

فى جو يتميز اولا بأن الاستعمار لم يعد القوة الوحيدة المنفردة بالعالم ، بل توجد قوى اشتراكية مضادة للاستعمار معادلة للقوى الاستعمارية ، وبأن امريكا قد فقدت احتكار الاسلحة الذرية — وان الراسمالية الامريكية نفسها قد وطدت حياتها على تنظيم علاقات معينة مع القوى الاخرى فى العالم .. مما جعل الجيل الامريكى الجديد ينشأ فى جو الارهاب لا يتسم بالتعنت التقليدى ضد الشيوعية ، وسياسة خاصة الحرب والماكارثية [١٩٥٦ — ١٩٥٨] — وبذا اصبح فى مقدور الشعب الامريكى ان يتفهم السياسة المحبة للسلام ، وان يعارض مواقف امريكية مثل التدخل فى الدومينيكان ، وارسال طائرات تجسس فوق الاتحاد السوفيتى ، واستفزاز المانيا الشرقية وحرب فيتنام .

ويتميز الجو الذى نمى فيه الجيل الجديد ايضا ، بانفجار الحركة العنصرية فى امريكا — وتأثيرها الهائل على الشباب ، وخاصة بازالة التفرقة بين السود والبيض ، التى كانت افضل الوسائل لتمزيق جميع الحركات الديمقراطية والتقدمية الهامة فى الولايات المتحدة .

وساهمت هذه العناصر فى حركة الشباب فى الولايات المتحدة ، ولكن السبب الحقيقى للانفجار كان ازمة الراسمالية العالمية ، ومظاهر سوء مستقبل الراسمالية الامريكية على الاخص — فاليوم تزداد متاعب الولايات المتحدة الاقتصادية ، وبناء على ذلك تعمل الدولة والاحتكارات الراسمالية على زيادة سيطرتها وصرامتها لمواجهة هذه الازمة — وتعمل اجراءات مواجهة الازمة هذه ، وكذلك نفقات حرب فيتنام المتصاعدة ، الى زيادة تشويه الاقتصاد الامريكى وزيادة الضرائب ، وزيادة التضخم ، وتبعا لذلك — انخفاض مستوى المعيشة — ولا تقع هذه الاجراءات الاقتصادية على كل الدولة ، بل على بعض القطاعات الخاصة كالزنوج ومنخفضى الدخل .

ومن عوامل الافتقار الى الاستقرار انتشار البطالة بين الشباب ، فهى تمثل ٤٪ من القوة العاملة فى امريكا عموما . بينما تبلغ بين الشبان [اقل من ٢٥ سنة] ١٢٪ بالنسبة للبيض و٢٤ الى ٣٠٪ بالنسبة للسود — هذا رغم تجنيد ثلاثة ملايين من الشبان لحرب فيتنام .

اضف الى هذا أن الشباب لايجد عملا الا فى الأعمال الوقتية قصيرة المدى التى لاتنظمها النقابات والاتحادات ويبقى العامل الجديد تسعين يوما تحت الاختبار قبل انضمامه للنقابة وتجرى سياسة كثير من الصناعات على الاحتفاظ دواما بنسبة ١٥٪ من العمال فى هذا الوضع القلق ولاتبدى النقابات اهتماما كبيرا بالشبان باعتبارهم منافسين ذوى طاقات اكبر واجور اقل . وتستغل البرجوازية هذا الوضع للتفرقة بين أجيال الصناع المختلفة .

ووجه هاليبان الانظار الى ظاهرتين جديدتين فى العام الاخير : تنظيم العمال الشبان لمظاهرات بدون موافقة الاتحادات ورفض العمال الشبان لعقود عمل ابرمتها النقابات والاتحادات ووافقت على شروطها ..

اضف الى هذه العناصر نظام العمل بسرعة متزايدة اى محاولة استغلال العامل الى اقصى جهد ممكن — مما يتسبب عنه امراض نفسية وانهيارات عصبية خاصة للشبان الذين لم يعركوا الحياة بعد ..

ومن المعروف أن الميزانية الاخيرة للولايات المتحدة بلغت قيمتها ١٨٦ بليون دولار منها ٨٠ بليون دولارا نفقات عسكرية . والضرائب التى تدفعها الطبقات التى تصفها الحكومة بأنها محرومة وفقيرة تستطيع ان تغطى وحدها ميزانية الصحة والتعليم والشئون الاجتماعية . فالامريكى يدفع الان ثلث أجره فى ضرائب لاتعود عليه بأية خدمات اجتماعية — والواقع ان انهيار الخدمات الاجتماعية وسوء حال المدن والمرافق من المشاكل التى يتحدث عنها الناس كثيرا الان والقطاع الاكبر الذى يتأثر بتخفيض خدمات المدارس والمعاهد وساحات اللعب والخدمات الصحية هو الشباب .

وبينما تحتاج الرسمالية لمستويات عالية فى المهارة الفنية فى الصناعة الا انها تحاول أن تحمل العمال أنفسهم — لا الراسمالية — نفقات تعليم هؤلاء الذين تحتاج اليهم لذا تقل المعونات الحكومية للتعليم فى كل عام ويزيد تبعا لذلك الحمل على الضرائب المحلية للولايات . كذلك دخلت الاحتكارات فى اسواق الكتب والادوات المدرسية فزادت فى اسعارها وفى انشاء مساكن للطلبة الغرض منها الربح .

كذلك وقعت الجامعات الامريكية تماما تحت سيطرة الاحتكارات ومثال ذلك جامعة **كولومبيا** التى يرأس مجلس ادارتها رئيس مجلس ادارة شركة **ستاندرد اويل** السابق ويضم مجلس ادارتها ممثلين لمؤسسة **روكفلر وبنكى تشيس مانهاتن وفيرست ناشيونال سيتى أوف نيويورك** — وقد قامت الاضطرابات الطلابية فى جامعة كولومبيا لسببين أولهما قرار بهدم منازل الزنوج لبناء مشروعات سكنية للطلبة تحقق ربحا أكبر وثانيهما للاحتجاج على الابحاث العسكرية التى تقوم بها الجامعة لخدمة حرب فيتنام — أى أن الاضطرابات قامت لقضيتى التفرقة العنصرية وحرب فيتنام — ولاعجب ان تكون جامعة كولومبيا مرتبطة بمثل هذه المشروعات فالشركات الممثلة فى مجلس

ادارتها تمتلك اكبر مساحات اراضي البناء في مدينة نيويورك كما أن بنك فيرست ناشيونال سيتي ومؤسسة روكفلر تملكان أكبر عقود عسكرية مع الحكومة الامريكية .

ومن المعروف أن الجامعات الامريكية تقوم بأبحاث عسكرية كثيرة أفادت امريكا في حرب فيتنام وفي النشاطات الاستعمارية الاخرى ومثال ذلك **تكتيك المرتفعات الستراتيجية** الذى الفه علماء جامعة **ميتشجان** ونظرية ارتباط الاصلاح الزراعي بثورية الفلاحين في فيتنام التي سببت تغييرا في التكتيك الاقتصادي في امريكا اللاتينية ، وعملية كاميلوت — اي الاختبارات لكشف احتمالات تغيير الولاء عند الضباط والجنود والموظفين — التي طورها علماء جامعة **بتسبرج** ونظريات سيكولوجية الصناعة والانتاج التي ترمي لزيادة الانتاج بغض النظر في اثر ذلك على العمال وهكذا ..

ومن هنا ندرك ان اعدادا متزايدة من الطلبة تدرك أن الرأسمالية لايمكن أن توفر لهم مستقبلا انسانيا حسب امكانياتهم وطاقاتهم — فالتعليم لايوجه لخير المجتمع ولا يهدف حتى الى العلم المطلق نفسه بل يوجه لحاجات انتاجية رأسمالية ويحول الطبقة المتوسطة — البروليتاريا الصغيرة — تدريجا الى « بروليتاريا تكنولوجية » — اي أن وعود الرأسمالية للطبقة المتوسطة بالحرية والطمأنينة قد حنث بها .

فالشباب الامريكي — والطلبة خاصة — يدرك أن عليه أن يلعب دورا هاما في حركات السلام وتحرير الزنوج وان يساند العمال ، وينسق جهودهما معا ، كما يدرك انه من المهم تغيير المجتمع الامريكي نفسه ، ولكن — نظرا لقلة وعيه السياسي وللدعايات التي تشبع بها فان التغيير في نظره يرمي للمحافظة على الرأسمالية واعادة تنظيمها — — وهي حلول مثالية قد رفضتها الطبقة العاملة من زمن طويل .

وانهى الممثل الامريكي كلمته باقتراح مناقشة ثلاث مسائل هي [١] تحول ميزان الطبقة المتوسطة الى اليسار وكيف يمكن الاستفادة من هذه الظاهرة [٢] علاقة الطلبة بالشباب عامة [٣] طرق ووسائل اعادة تنظيم الجامعات والبرامج التعليمية ورفع مستواها .

وبعد عرض التقارير التي قدمها هؤلاء الممثلون جرت مناقشة كان اهم ما جاء فيها مايلي :

اتفق جميع المشتركين في الندوة على ان الاسباب الموضوعية لحركات الطلبة هي ازمة المجتمع الرأسمالي ، وتفاقم التناقضات داخله ، وهي التناقضات المتسببة عن رأسمالية الدولة والاحتكارات ، وعلى انه من الواجب أن ينظر الى هذه الحركة على انها احد مظاهر احتدام الصراع الطبقي وعلى انها عنصر ايجابي ومساعد للصراع .

ولاحظ ممثل الارجنتين ان حركات الطلبة كانت ظاهرة قاصرة على الدول المستعمرة والنامية وان امتدادها الى الدول الرأسمالية يدل على التأزم وعدم الاستقرار في هذه الدول .

كذلك لاحظ ان ظهور اعداد هائلة من الطلبة نتيجة للتوسع في التعليم والمتطلبات التكنولوجية قد انتج طبقة خاصة لها خصائص الشباب — الرومانتيكية والحماس الشديد — ولها دورا اجتماعيا هاما — وهي ارض صالحة جدا لتقبل الاشتراكية عن طريق المناقشات والدعاية والعمل المنظم ، وقال انه بينما كان الطلبة في الدول الرأسمالية في مطلع هذا القرن يتحولون ايديولوجيا نحو البرجوازية والرجعية والعسكرية اصبحوا الان يتحولون لاعتناق المبادىء التقدمية .

كما اوضح ممثل آخر ان التعليم في العالم الرأسمالي قد اصبح متخلفا الى حد كبير بالنسبة للتطور الاقتصادي وان الطالب اصبح يدرك وهو بعد طالبا المشاكل التي سيواجهها بعد التخرج في مجتمع لايحتاج اليه اساسا وانه لن يجد الا عملا غير مناسب ومتاعب كثيرة .

وتحدث احد الممثلين عن مطالب الطلبة فقال ان الطالبات والطلبة يتقدمون اولا بمطالب خاصة (كالاشتراك في ادارة الجامعات والمعاهد وتمثيلهن في مجالس اداراتها ، واخذ رأيهم في برامج وطرق التعليم ..) وفيما بعد يربطوا هذه المطالب بالحرية والديموقراطية والكفاح ضد الاستعمار . وقال ان على الاحزاب والهيئات اليسارية ان تتبنى برامج ومطالب التغيير والتجديد للتعليم والجامعات .

ولاحظ مندوب **النمسا** ان اغلب الشباب لم يشهد ويلات الحرب والفاشية ، وانه من الواجب وضع هذا في الحساب عند التعامل مع الشباب بدلا من اعتبار فهمهم لهذه المسائل مفروغ منه .

ثم حذر من وسائل التفرقة بين القوى الثورية واكد ضرورة مكافحتها وفضحها **وعلى الاخص ادعاء انتهاء دور العمال الثوري وادعاء أن الاضطرابات الحالية ماهي الا صراع اجيال .**

كذلك حذر من النقد البرجوازي للمجتمع البرجوازي على طريقة **ماركوز** — وهو النقد الذي يرمي الى ادعاء ان الانسان فرد يحاول تحقيق نفسه — اي ان الصراع صراع افراد لا طبقات — وان مأساة الرأسمالية هي جهل وبربرية الناس وطمعهم — فلو لم يكن هناك طمع وجشع عند الناس لكان النظام الرأسمالي قد وفر السعادة والرخاء للجميع — اي ان الطبقة الكادحة لايستعبدها الرأسمالية بل اطماعها وجشعها هي — وهي محاولة لتوجيه اللوم للطبقة العاملة وتحميلها مسئولية مشاكل النظام الرأسمالي وازماته ، واعتبار أن صراع

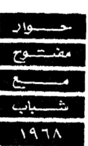
المثال لتحصيل حالهم طمع والانانية الشخصية .» وطالب المتحدث بتقديم نقد اشتراكي جيد للمجتمع الرأسمالي ليحل مكـان هذا النقد البرجوازي لـه ..

وتحدث ممثل آخر فقال ان حركة الطلبـة والشباب تلاقى اهتماما شديدا فى الغرب ايضا وان صحافة الغرب قد اهتمت بتقديم دراسات طويلة عن اضطرابات الشباب على انها خطر رجعى مضاد للمجتمع .

ولاحظ انه نظرا لفشل الرأسمالية وخوفا من أن تكسب الاشتراكية العناصر الطلابية التى قد خذلتها الرأسمالية والتى لا تعرف الى أين تتجه فان الرأسمالية تعمل على تقديم بديل هو « الطريق الثالث » — كذلك تعمل الرأسمالية على تشويه الاشتراكية والتشكيك فى الماركسية

واختتم رئيس تحرير المجلة الندوة بقوله « ان صراع الطلبة قد اثبت ان المجتمع الرأسمالي ملىء بالتناقضات الداخلية وانه قد فشل فى اكتساب طبقة الطلبة والشباب لايديولوجيته رغم الاغراءات والرشاوى والارهاب ، واضاف انه قد تم لقاء بين الطلبة والعمال فى سبيل تطوير المجتمع نحو الاشتراكية — وكان اللقاء اولا مساندة عاطفية تطورت الى مشاركة فى الصراع الاجتماعي .»

وحث على استبدال جميع الوسائل القديمة التى ابتذلت والكليشهات التى نبذها الناس والعمل على اللقاء مع الطلبة والاهتمام بالمناقشة والحوار والاقناع وعلى مساندة مطالب الطلبة والربط بين الايديولوجية والعمل .»



حركة الشباب في آسيا وأفريقيا



الندوة جورج بطل [مجلة السلم والحرية والاشتراكية] بقوله ان شباب اليوم يلعب دورا اكثر فاعلية فى الكفاح في سبيل التقدم والديموقراطية والتحرر الوطني والاجتماعي . وقال أن حركات الشباب فى الدول النامية — رغم ارتباطها بهذه المشاكل فانها متصلة ايضا بكفاح الشباب فى العالم اجمع .»

وقال اسحق خطيب (الاردن) ان اضطرابات الشباب فى أوربا قد لفتت انظار العالم كله الى الدور الهام الذى يلعبه الشباب عامة فى الصراع ضد الاستعمار وفى سبيل السلام والديموقراطية والاشتراكية . وقال ان الشباب فى العالم — الذى تجمعه عناصر السن والحماس — ينبع من مختلف الطبقات والقطاعات — لذا فله دور مختلف فى كل دولة تبعا للطبقات التى ينبع منها وعلاقاتها بالانتاج هنـاك . ولكن مطالب الشباب فى الدول كلها تتفق على نبذ الاستعمارية والرأسمالية وضرورة الكفاح ضدهما .»

وقال ممثل الاردن ان الشباب الافروآسيوى قد لعب دورا هاما فى الكفاح الوطني للتحرر والتقدم الاجتماعي — وقال أنه فى الدول التى كانت مستعمرة فان الجيل الجديد الذى ولد خلال وبعد الحرب العالمية الثانية هو وحده الذى كان بامكانه أن يتلقى العلم — وبهذا تعرف على الافكار الثورية والتقدمية — ففى الاردن مثلا تبلغ نسبة الامية للذين فوق سن الاربعين ٨٠ فى المائة بينما هى ٢٠ فى المائة بين الاقل من سن الاربعين — لذا فمن الطبيعي أن تعتمد الحركات الوطنية فى الدول النامية على الشباب بصفة اقدر على العمل الثوري المتطور .»

وقال **نسيم ضاهر [لبنان]** ان شباب الدول النامية قد يتولى مسئوليات ومناصب هامة فى بلاده ولكنه رغم ذلك لايمكنه ان يقوم بأى عمل مؤثر أو هام الا اذا كان ذلك فى نطاق خطة الحزب أو الحكومة ».

وتحدث **احمد ابراهيم (تونس)** عن ضرورة تفنيد الادعاء بان اضطرابات الشباب فى العالم تعبير عن صراع بين الاجيال لا بين الطبقات . فالشباب — ليس له كيان مجرد ومنفصل عن الاوضاع الاجتماعية وعلاقات الانتاج — كذلك نبذ المتحدث محاولات الرأسمالية للتفرقة بين الشباب وباقى القوى الثورية ، وقال ان جميع الاجيال قد حاربت — بحسب امكانياتها — فى سبيل الحرية والتقدم والرفاهية وقدمت شهدائها فى كفاحها هذا ».

وقال **يعقوب جرو [سوريا]** ان دور الشباب السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تزايد مستمر — فالشباب يحمل مسئولية الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى فيتنام وانجولا وموزمبيق والاراضى العربية المحتلة . وقال ان الجيلين الاول والثانى فى الدول حديثة الاستقلال يكافحان معا لاستكمال استقلال بلادهما بازالة النفوذ الاجنبى — لذا فان كفاح الشباب فى الدول النامية قد اتخذ **مضمونا اجتماعيا مضادا للرأسمالية** . واصبح الشباب يدرك ان الاشتراكية اقصر واسهل الطرق للتخلص من بقايا الاستعمار وبناء حياة جديدة — ولهذا أيضا تعتنق الطبقات التى ليست من البروليتاريا العاملة الافكار الاشتراكية وتكافح فى سبيل مثالياتها ولو انها تمزج مفهوم الاشتراكية بمفاهيم دينية او وطنية أو محلية . واضاف ان الشباب السورى يرى ان الهدف الاول الان هو ازالة آثار العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض العربية المحتلة ».

وقال **مفيد شهاب [الجمهورية العربية المتحدة]** انه بالنظر الى دور الشباب فى الدول النامية فى اطار **مرحلتين** هامتين تمر بهما تلك الدول : **الثورة الوطنية والاستقلال السياسى ، والبناء الاقتصادى والاجتماعى** ، نجد انه عنصر مناضل خاصة فى مرحلة الثورة الوطنية — وقد ثبت هذا فى كوبا والجزائر وغينيا فى الماضى ويثبت الان فى فيتنام وفلسطين — وفى المرحلة التاريخية التالية يشترك شباب الدول حديثة الاستقلال فى **مهمتين** هامتين : **الاولى** التأكد من وجود مستوى عال من الثورية لتخطى مرحلة التخلف الاقتصادى الذى تسبب عن الاستعمار ، **وثانيا استكشاف وصياغة** علاقات اقتصادية واجتماعية ، ووسائل لتنظيم المجتمع مبنية على الحد الاقصى للعدالة فى العلاقات الانسانية والحد الاقصى لانتاجية اقتصاد الدولة — وهذا يتطلب حيوية كبيرة بالاضافة الى خبرة تكنيكية وعلمية . ثم قال ان **منظمة الشباب الاشتراكى العربى** انشئت منذ عامين بهدف نشر الاراء الاشتراكية وتنشيط الثورة والمساعدة على بناء مجتمع جديد وتوسيع رقعة الديموقراطية .

وتحدث **دانسوكو [مجلة السلام والحرية والديموقراطية] السنغالى** عن الشباب وتحلل العلاقات الاجتماعية القديمة فى الدول الافروآسيوية مما يعطى المجال لظهور مقومات جديدة . ففى افريقيا مثلا ينهار نظام سيادة كبار السن والنظام القبلى نتيجة لدخول الاقتصاد الرأسمالى وظهور النضال الوطنى التحريرى هناك . كذلك تلاحظ ظاهرة هجرة الشباب الى المدن مما يزيد من مشاكل البطالة فى الدول الافرو آسيوية ».

وقال **دى سيلفا [انجولا]** ان اتحاد الطلبة الانجولى والحركة الشعبية لتحرير انجولا يحاربان السحر وتعدد الزوجات والقبلية وانهم يلاقون بعض المقاومة من كبار السن ولكن الشباب متفتح لقبول الاراء العلمية والتقدمية — وقال انه بينما كان الرئيس القبلى اهم شخص فى القرية فى سنة ١٩٦١ اصبح الان فى المرتبة الثالثة أو الرابعة من الاهمية بعد قادة حركة التحرير الوطنى . واضاف انه بينما تزيد نسبة الشباب عن ٥٠ فى المائة من السكان ، يكون الشباب [من سن ١٥ الى ٢٥ سنة] ٩٠ فى المائة من قوى جيش التحرير ، بينما لا يزيد سن المشتركين فى الكادرات السياسية عن ٣٥ عاما . اى ان الشباب يأخذ دوره فى عملية التحرير وفى ادارة المناطق المحررة .

وأيد **اركانيو فاوستينو [موزامبيق]** هذه الاراء واضاف ان الاستعمار يحاول دائما كسب عناصر الشباب الى صفه برشوتهم . لكن الشباب يرفض ان يستعمل لاستغلال الشعب ومن اجل الاستعمار . واضاف ان خلال السنوات الست الماضية فضل كثير من الشباب ترك دراساتهم لحمل السلاح او للعمل فى المناطق المحررة .

وتحدث **باسو سوليمان [غينيا]** عن دور الشباب الافريقى فى الصراع لتحرير بلاده وللتطور الاقتصادى — فقال ان افريقيا كانت ميدانا لصراع تحريرى كبير خرجت منه الدول الناشئة منتصرة

ولكن لم تكن هذه الا المرحلة الاولى والسهلة التى تليها مرحلة صعبة وهى تأكيد الاستقلال وازالة آثار الاستعمار وبقاياه ومعالجة الانقسامات التى تحدث داخل جبهات التحرير التى كان يدعمكيانها هدفالتحرر نفسه،وانقسام القوى الى معسكرين واضحين — الاستعمار وعملاؤهمنناحيةوالشباب الثورى من ناحية اخرى . وقال ان بعض كبار السن ممن درسوا فى مدارس الاستعمار يتشبعون بالافكار التقدمية ولكن الباقين يفضلون الاستمرار فى خدمة الاستعمار ويرون مستقبل بلادهم مرتبطا بالغرب ، وهم يكونون الطبقة البرجوازية التى تحاول الحلول محل الاستعمار بالاتفاق معه او بخيانته — وجنى ثمار كفاح الشعب — ومن وسط هؤلاء تخرج الثورةالمضادة .. اما الشباب الذى يربط بطبيعته بين العدالة والاراء التقدمية — فيرفض الاستعمار الجديد ولا يرضى الا بالاستقلال الكامل والمساواة الاجتماعية والديموقراطية الحقيقية .

وتحدث **شاندايان** [**الهند**] عن شباب الهند فقال انه نتيجة لان **حزب المؤتمر الوطنى** لم يقم بتحقيق وعوده ببناء دولة جديدة ، دخل الشباب فى الانتخابات الاخيرة منافسين لحزب المؤتمر وكان اكثر من ثلث النواب الذين انتخبوا تحتسن الثلاثين .

وتكلم **نوبوهيدى ايماى** [**اليابان**] عن وضع اليابان الخاص كثالث دولة رأسمالية فى العالم ومع ذلك تسيطر عليهاالولايات المتحدة وتسخرها لخدمة اغراضها وتزجها فى حرب فيتنام — وقال ان **المؤتمر الوطنىالعاشر لرابطة الشباب اليابانى الديموقراطى** اقر فى سبتمبر ١٩٦٧ مبادىء اساسية منها : محاربة العدوان والكبت الداخلى وسياسة احياء العسكرية واعمال الاستغلال والنهب التى يقوم بهاالاستعمار الامريكىومساندة الاستقلال والديموقراطية والسلم وحياد اليابان، والكفاح فى سبيل مطالب الشباب الاقتصادية والثقافية حتى يتمكن من ممارسة نشاطه بشكل مستقل فى ميادين الدراسة والثقافة والترويحعن النفس والرياضةوتقويةمنظمات الشبابوالسعى فى سبيل وحدة عمل عالمية لجبهة شباب عالمية اكثر صلابةفىوجهالعدوان الامريكى الاستعمارى فى فيتنام لتقوم حركة الشباب الديموقراطية العالمية .

وقال الطالب اليابانى ان الشباب اليابانىيقاوم العدوان على فيتنام وزيارة الغواصات الذرية الامريكية لموانى اليابان ووجود القواعد الامريكية فى الاراضى اليابانيةويطالبباعادة جزيرةاوكيناوا والغاء اتفاقية الامن المشترك الامريكية اليابانية .

وتحدث **اسحق خطيب** [**الاردن**] عن مهام الشباب الاردنى الذى تحتل اسرائيل جزءا كبيرا من وطنه ، وقال ان عددا كبيرا من الشبان يهربون كل يوم من الارهاب الاسرائيلى وان اسرائيل تشجع ذلك لانها تريد « الاحتفاظ بشخصية الدولة » كما قال موشى ديان . واضاف ان هناك حملات اعتقال واسعة فى الاراضى المحتلة وان المعتقلين العرب — ويبلغ عددهم سبعة آلاف — يضمون الفين اقل من ثلاثين سنة فى السن . كذلك تقوم اسرائيل باجراءاتارهابية مثل فرض منع التجول لمدد طويلة ونسف القرى ونفى المواطنين وتخريب الاقتصاد المحلى .

واضاف ان الشباب — وهم الذين ينظمون اعمال المقاومة من المقاطعة الى العمل الفدائى — يرون ان تحرير المناطق المحتلة يحتاج الىكفاح مستمر ضدالاستعمار والىتغيير سياسةالحكومة الحالية التى تتسم بطابع اللاجدية .

وتحدث **مجيدى خسرو** [**ايران**] عن بلاده فقال ان نسبة الامية فى ايران تصل الى ثمانين فى المائة لان المدارس قليلة ودخول الجامعات صعب كالوصول الى القمر . وقال ان الطلبة يملأون السجون والمحاكم تحكم عليهم بالسجن المؤبد وبالاعدام بأمر الشاه — ورغم ذلك فالشبابيدرك اهمية كفاحه فى سبيل الحرية الكاملة .

وقال **نسيم ضاهر** [**لبنان**] ان جميع الكادرات التى تعلمت اثناء حكم الاستعمار ، تقاوم الان الاصلاح والتطور فى جميع صورهما . ونبه الى اهمية تعليم جيل جديد بالنسبة للدول النامية — وقال ان المسألة بالنسبة للدول النامية ليست تخريج عدد كبير ، بل تخريج من يؤمنون بقضايا الشعوب — والا لحدث مايحدث الان فى كثيرمن الدول الافروآسيوية استنفاد للامكانيات الذهنية لتفريغها فى جهاز بيروقراطى ادارى .

ووافق **احمد براهيم** [**تونس**] على هذا الرأى واضاف ان الحكومة ترشو المتعلمين بالمناصب والاجور وتعمل على تقوية تطلعاتهمالبورجوازية . ولكن اتساع قاعدة الطلبة ووعيهم بآمال الشعب وامانيه يقضى بفشل خطة الحكومة هذه .

واكد **يعقوب جرو** [**سوريا**] اهمية التدريب الوطنى للخريجين الذينيقومون بالتطبيقويعيشون فى احتكاك مباشر بالشعب . ولذلك فهم القادرون على انجاح اوافشال البرامج الاشتراكيةومحاولات

البورجوازية لتخريب العمل الاشتراكى » وامتدح تعليم الدول الاشتراكية للطلبة الافروآسيويين . وقال ان الذين يتعلمون في الدول الراسمالية يتعرضون للاغراء والرشوة للبقاء هناك . اما من يعود منهم ، فيعود مشبعا بالاراء البورجوازية ويعملون كابواق دعاية للاستعمار .

واضافة **باعلوى [السنغال]** ان عددا من الطلبة الذين يدرسون فى الخارج لايعودون الى بلادهم لانهم يعرفون انه لا توجد بها حياة ديمقراطية ، او لانهم مهددون بالسجن اذا عادوا الى بلادهم نتيجة لنشاط وطنى يقومون به فى الخارج .

وقال **مصطفي [الجزائر]** ان الشباب احيانا لا يكون عنده اية فكرة عما يهدفون اليه — الا ان الشباب يعرفون تماما مايجب الايفعلوه— يعرفون ان عليهم الا يتبعوا طريق الراسمالية — لذا فهم يبحثون عن بديل ولكنهم احيانا لايهتدون الى هذا البديل .»

وتحدثت **ماريا آية اونخير (مراكش)** فقالت أن المشكلة الاساسية هى توعية الشباب الافرواسيوى — وهي عملية لم يتحقق منهـا الا القليل ، وعلى نطاق ضيق جداً .»

واضافة **دى سيلفا [انجولا]** قائلا ان الحركة الشعبيةلتحرير انجولا ترى ان التوعيةالسياسية هى اهم الاسلحة فى الكفاح للتحرير الوطنى .

وقال **نسيم ضاهر [لبنان]** ان الوعى ينمو تحت تأثير الواقع الاجتماعى ويكون انعكاسا لمشاكل العصر والصراع الطبقى فى العالم كله. وقال ان درجة وعى الشباب الافرواسيوى المضاد للاستعمار تعكس المستوى الذى ادركه الصراع بين العالم الاشتراكى والعالم الراسمالى.» وان الشباب الواعى يدرك أن نمو دولتهم على طريق الراسمالية لايمكن فصله عن نمو الاستعمار اى ان الصراع ضد الاستعمار يصبح رفضا للنظام الراسمالى نفسه .»

وقال **يعقوب جـرو [سوريا]** انكفاح شعب فيتنام قد أصبح رمزا للبطولة وتجسيدا لمثاليات الشباب »

وتحدث **شندابان [الهند]** فقال ان وعى الشباب وكفاحه السياسى اقوى فى الدول الراسمالية عنه فى الدول النامية — فشباب اليابان مثلا هو اكثر شباب آسيا كفاحا ضدحرب فيتنام ، رغم أن اليابان اكثر دول آسيا راسمالية واستعمارية — وكذلك فى وقت العدوان الاسرائيلى على الدول العربية كان انشط شباب العالم فى نبذ العدوان ونتيجة هو شباب الدول الراسمالية مكتملة النمو .»

وقال **نسيم ضاهر [لبنان]** أن كفاح شباب الدول النامية ضد الاستعمار المحلى لايمتداحيانا الى كفاحضد الاستعمار العالمى نتيجة لتشويهات وضغوط الاستعمار والراسمالية ، ولتمويه الاستعمار الجديد وتشويه سمعة الشيوعية وتزويق الراسماليةوالتفرقة بينالعناصر المكافحة داخليا وخارجيا — كذلك لان الشباب فى الدول حديثة الاستقلال لم يتح له الوقت الكافى للنضج ولكى يبنى اختياره السياسى والاجتماعى على التجربة بل على أساس الوعود والعائد السريع والدعايات والعواطف .»

وقال **لطفى الخولى [الطليعة]** انه فىالوقت الذى صارت فيه الاشتراكية ظاهرة عالمية واسعة الانتشار امتدت جاذبية الماركسية الى الطبقات العاملة وكذلك — اكثر فأكثر — الى طبقات غير البروليتاريا من ذات الاصل البورجوازى — وهذا هو سبب تسرب ايديولوجية غير ناضجة وغير بوليتارية الى الحركة الاشتراكية فى الدول الافروآسيوية .

وفى نفس الوقت — نرى تطورا تكنولوجيا وعلميا كبيرا خاصة فى الدول الاكثر نموا سواء الاشتراكية أم الراسمالية — وهذا يقوى مركز العمال ذوى الياقات البيضاء ويضطر الدول النامية التى تطلب التطور السريع الى استخدام وسائل تكنولوجية جديدة فى ظروف غير مناسبة مما يقوى أفكار البورجوازية الصغيرة رغماتجاه هذه البلاد الاشتراكى .

وقال **جونى ماكاتينى [جنوب افريقيا]** ان الوعى المعادى للراسمالية ينمو وينضج خلال الصراع ضد الاستعمار، لان الاستعماربينمايحطم آمال الناس ومثالياتهم ، يتظاهر فى نفس الوقت بتأييد المثاليات والامانى التى تنادى بها الشعوب مما يسبب بلبلة وربكة للشباب—ولكن الصراع يكشف عن كذب هذه الادعاءات .

وتحدث **مصطفى [الجزائر]** عن الحرب الايديولوجية الخطيرة التى يشنها الاستعمار فى عقول الشباب وخاصة فى الدول النامية ضد خلق الوعى الوطنى الحقيقى .

وقالت **ماريا آيه اونخير [مراكش]** انالمراكز الثقافية الاستعمارية تقومبدور خطير فىالمعركة ضد الوعىالوطنى وتروجشعارات ان«الشيوعية دخيلة وغريبة » و « يجب تبنى الحقائق النابعة عن الواقع المراكشى » كما انها تتهجم على الدول الاشتراكية والمشروعات والخطوات الاشتراكية.»

وطالب **ب • بيونيدس [قبرص]** دراسة مقومات الايديولوجية البورجوازية ووسائل تسربها الى الدول النامية حيث يشعر الجميع بتأثيرها — فعلى مر السنين كونت الرأسمالية فلسفة فكرية ونموذجا للسلوك تهدفان الى صرف الناس ، وخاصة الشباب ، عن ميادين العمل الجاد ، الى الافكار المجردة والفردية المبنية على اسس الحرية الفردية الانتهازية والرومانتيكية. فالشباب الان يهتم بالبحث عن مظاهر للتطرف وللفردية دون ان يربط صراعه بالمجموعات والقوى الاخرى المكافحة — مما يفتت الصراع ويضعه بشدة — ويجب ان تكون مهمة القوى الوطنية والتقدمية هى اكتساب الفرد من جديد للمجتمع واثارة اهتمامه بالمشاركة فى نضال المجتمع •

وعلق **مصطفى [الجزائر]** قائلا ان الاستعمار يدرك المقومات العقلية والنفسية للشباب ويعمل على تصفيتها والغاء خطرها عليه بكل وسائل الدعاية المقنعة وخاصة فى البلاد التى تفتقر الى قاعدة الثقافة الوطنية وتلك التى تنتشر فيها الامية .•

وتحدث **شاندرابان [الهند]** عن خطر الراسمالية والاستعمار على التعليم والثقافة • وقال ان امريكا حاولت عمل مشروع تعليم فى الهند ولكن الشباب قاوم المشروع حتى الغى — وذكر علاقة المخابرات الامريكية بالتعليم التى اوضحتها واثبتتها مجلة رامبارتس .•

وقال **احمد براهيم [تونس]** ان الاستعمار يوجه حملة لنبذ الثقافة الوطنية وتقديس الثقافة الاستعمارية — وقال ان سياسة الحكومة التونسية هى نبذ الثقافة والتراث العربى والثقافة العربية للدول العربية الشقيقة. وقال ان المثقفين الوطنيين مضطهدون فى تونس وان امريكا لها تأثير ثقافى واسع هناك .•

وتحدث **بيونيدس [قبرص]** عن خطر الغزو الاستعمارى الثقافى وخاصة عن طريق السينما — فقال ان دور السينما فى قبرص تعرض الافلام الامريكية وافلام الدول الراسمالية الاخرى. ولم تعرض فى سنة ١٩٦٧ الا فيلما واحدا روسيا كما لم تعرض اية افلام لدول اشتراكية اخرى • وقال ان المكتبات مليئة بالكتب والمجلات الامريكية خاصة التى تنشر الجنس والعنف والرعب • اذ لا توجد كتب ذات قيمة فكرية او تقدمية • وهذا الغزو الثقافى يولد العقم ويحول الفنانين الجادين الى مقلدين وسطحيين وابواق للنزوات الراسمالية .•

واكد **باعلوى [المستقبل]** ان ظهور فن وطنى قومى غير ممكن الا بعد التحرر التام الكامل .•

ونبه **بيونيدس [قبرص]** الى ضرورة دراسة وسائل توعية الشباب سياسيا واجتماعيا. وقال انه مع أننا احيانا نكون اقوياء سياسيا الا اننا ضعفاء ايديولوجيا. مما يجعل دور الشباب مجرد تكرار للعمل الحكومى او الحزبى — لذا يجب دراسة علاقة منظمات الشباب بالاحزاب — فبدون خط سياسى صحيح ، لا يمكن لمنظمات الشباب ان تخرج كادرات صالحة للعمل الوطنى — ولكن هذا لا يعنى فى نفس الوقت ان تكون منظمات الشباب جافة وميتة ومقيدة بخط سياسى اكثر مما يجب .•

وتحدث **لطفى الخولى [الطليعة]** عن الصراع ضد الجمود والانعزالية عن الواقع، فقال ان هناك اهدافا واضحة وخطة عمل واضحة وامكانيات واضحة لتقوية الاشتراكية .• ولكن يجب ان يكون تناولنا لمشكلة الشباب اكثر حماسا وجراة وان لا نراهم كما نريد ان نراهم بل كما هم فعلا — وقال ان حركة الشباب فى وقت الثورات تكون تقدمية يسارية صحيحة والواجب تحويلها الى طاقة ايجابية رغم محاولة الرجعية كسبها لحسابها • ويتحقق ذلك عن طريق المناقشة الموضوعية والواقعية الديموقراطية والشرح والاقناع لا عن طريق المهاجمة والتشاجر .•

ولفت **بيونيدس [قبرص]** النظر الى ضرورة الاهتمام بالنواحى الثقافية للشباب كحبهم للموسيقى الحديثة وللرياضة وهكذا كظاهرة واقعية .•

وانتهت الندوة باقرار ان **الوحدة الوطنية لحركات الشباب هامة جدا — ويجب تحقيقها فى كل بلد حسب امكانياتها على اساس وحدة عمل حول مشاكل معينة يتفق عليها بين الجميع ، ومساواة بين جميع الاطراف الداخلة فى وحدة العمل • وانه من الواجب اعتبار وحدة الشباب غاية ووسيلة فى وقت واحد •**

وان للشباب طاقات هائلة للصراع من اجل التقدم والديموقراطية• وان هذا الصراع يتحقق عن طريق توحيد طاقات الشباب وكسبهم للصفوف التقدمية بدلا من تركهم لتكسبهم الرجعية والاستعمار — لذا فواجب الوطنيين والثوريين والتقدميين فى كل مكان ان يستخدموا كل الوسائل الممكنة لتطوير هذه الطاقة وربطها بالكفاح ضد الاستعمار والرجعية وللتقدم والحرية والاشتراكية •

تقارير الشهر

- الصراع العربي الاسرائيلي : مـــاذا بعـــد يـارنج ؟
- روديســيا : اكثر المقترحـات رجعية وعنصرية منذ عام ١٩٢٣
- الولايات المتحدة-الامريكية : هل هنـاك نيكسـون جديد ؟
- رسالة المكسيك : الصراع « الرياضى » الدولى لعام ١٩٦٨

الجمهورية العربية المتحدة

الاتحاد الاشتراكى وانتخابات مجلس الامة

في الرابع والعشرين من ديســمبر الحالى ، سوف يفتح باب الترشيح لانتخـــابات مجلس الامة ، التى سوف تجرى يوم ٨ يناير القادم .

وكانت اللجنة المركزية للاتحـــاد الاشـــتراكى العربى ، قــد قررت حل مجلس الامة ، واجراء انتخابات لمجلس أمة جديد ـــ على اســـاس ان التغيير قد بدأ يأخذ طريقه الى كل مؤســـسات الدولة والتنظيم السياسى ، تنفيــذا لبيــان ٣٠ مارس .

وقد اثار قرار اجراء انتخـــابات لمجلس أمة جديد ـــ قضيتين من القضايا الهامة طرحت للبحث والمناقشة .

- **أولاهما** : دور الاتحـــاد الاشـــتراكى فى الانتخابات القادمة .
- **وثانيتهما** : العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة الجديد .

وفى المناقشات التى دارت حول دور الاتحاد الاشتراكى فى الانتخابات القادمة ، كان هنـــاك اتجاهان واضحان : اتجاه يرى ان يكون للتنظيم السيـــاسى دور مؤثر وفعـــال فى الانتخـــابات على أســـاس ان قيـــادات الاتحاد الاشـــتراكى المنتخبة ، تملك حق التعبير عن قواعدها سياسيا ، وتتحمل فى الوقت نفسه واجب قيادة معـــارك الجماهير السياسية ، وانماء وعيها خلال المعارك الانتخابية .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ، ان يكون للتنظيم السياسى مرشحون بقدر العدد المطلوب انتخابه تماما ، مع السماح لكل من يريد ترشيح نفســه من اعضائه العاملين بالتقدم ، دون ان يعتبر ذلك خارجا على قرارات التنظيم ، أو مناوئا له .. كل ما هناك انه ســيخوض المعركة وحــده ، او بواسطة مناصريه ، بينما يخوض مرشح التنظيم معركته مؤيدا ومســـاندا بكل جهــود التنظيم وقياداته .

ويرى الاتجاه الاخر ان الاتحـــاد الاشـــتراكى ليس له سلطة الترشيح لمجلس الامة ـــ وذلك لان الاتحاد الاشتراكى تحالف جماهيرى واســـع ، وليس حزبا ـــ كما تستبعد ايضا حق الاعتراض على الترشيح ، لان سلطة الاعتراض ، فضـــلا

من مجافاتها للدستور القائم ؟ فانها لا توفر حرية الترشيح ، وتخلق تقديرات شخصية فى موضوع يجب ان يخضع للتقديرات الموضوعية وحدها .

ويرى اصحاب هذا الاتجاه ، ان الترشيح يجب ان يتم على اساس التزكية الشعبية — وان يتم هذا عن طريق عقد المنظمات الجماهيرية كالنقابات والجمعيات والتعاونيات ، اجتماعات شعبية يبدى فيها طالبو الترشيح رغباتهم ، ويشرحون للحاضرين الاسباب التى دفعتهم الى طلب الترشيح ، ويتناقش المجتمعون فى صلاحية المرشح ، ويقترعون على ترشيحه — على ان لا يكون هناك شرط التمثيل الطائفى فى هذه العملية .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان انتخاب المواطن فى عضوية احد اللجان الاساسية للاتحاد الاشتراكى ، تعتبر بمثابة تزكية شعبية تجيز له الترشيح ، واذا كان يرغب فى الترشيح فى دائرة اخرى غير دائرة المحافظة التى تقع فيها وحدته الاساسية ، فان عليه ان يحصل ايضا على تزكية من عدد معين من لجان الوحدات الاساسية فى الدائرة الانتخابية التى يرغب فى الترشيح فيها ، مع امكان النظر فى صور اخرى للتزكية الشعبية تتم عن طريق التنظيمات الشعبية مثل التنظيمات التعاونية والنقابية ، وعن طريق الجامعات ، ومراكز البحث العلمى ، التى وصف الميثاق مسئولياتها ، بأنها لا تقل عن مسئولية التنظيمات الشعبية .

وبالنسبة للعلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الامة — فقد شرعت اللجنة الدائمة للشئون السياسية المتفرعة من اللجنة المركزية فى اعداد دراسة عن الاسلوب الواجب اتباعه لازالة اى صراع يمكن ان يقوم بين المجلس والاتحاد الاشتراكى ، الامر الذى كان موضع الشكوى فى الماضى — وكذلك دراسة كيفية ربط اللجنة المركزية للاتحاد ، بالمجلس التشريعى [مجلس الامة] ، بحيث لا يكون هذا الارتباط قيدا على حرية المجلس فى مباشرة اختصاصاته الدستورية ، ويحتفظ فى الوقت نفسه بمبدأ الالتزام الواجب نحو التنظيم السياسى . وتحقيقا لهذا ، سيكون لمن يرغب من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، الحق فى ترشيح نفسه لانتخابات مجلس الامة ، على اساس انه لا توجد اية نصوص قانونية تمنع من الجمع بين عضوية اللجنة العليا ، وعضوية المجلس — بل ان هذا الجمع قد يكون مرغوبا فيه من الناحية السياسية ، باعتبار ان وجود بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى فى مجلس الامة يساعد على عدم وجود اى صراع او تناقض بين التنظيم السياسى ومجلس الامة .

ولقد تحدد اسلوب العمل بين مختلف الهيئات القيادية ، على اساس ان اللجنة التنفيذية تضع الخطوط العريضة ، وان اللجنة السياسية الرئيسية الى جانب مسئوليتها عن جميع النواحى المادية والادارية والتنظيمية لاجهزة الاتحاد الاشتراكى ، فهى تضع خطة العمل ، ثم تأتى اللجان الفرعية التى تحدد نطاق العمل .

وعلى اساس ما تقرر من عدم جمع الوزراء بين مراكزهم الوزارية ، وبين عضوية اللجنة التنفيذية العليا ، ثم التعديل الوزارى لشغل الاماكن التى خلت بانتخاب اصحابها فى اللجنة التنفيذية العليا . وفى اتجاه استكمال البناء التنظيمى لمستويات الاتحاد ، تقرر شغل المواقع الشاغرة ، سواء نتيجة عمليات التصعيد فى مراحل الانتخابات الماضية ، او نتيجة حركة العضوية .

كما تقرر تطبيق قانون الاتحاد الاشتراكى وقرارات اللجنة التنفيذية العليا ، فيما يتصل بالعضوية والاشتراكات .

وفى مجال تنشيط العمل السياسى ، عقد السيد « **انور السادات** » مسئول اللجنة السياسية باللجنة المركزية ، سلسلة من الاجتماعات الموسعة ، اشتركت فيها مجموعات من امناء المحافظات ، والاقسام . وتناولت المناقشة تنشيط العمل السياسى ووسائل زيادة فاعلية التنظيم فى مجال العمل بين الجماهير ، ودفع حركة المواطنين ، مع تطورات المعركة واحتمالاتها واعدادهم فكريا ونفسيا وماديا ، وتحديد مسئوليات التنظيم ، ووضع حدود لعلاقاته مع الاجهزة التنفيذية ، بما يكفل اكتساب الشعبية للعمل الوطنى .

كما تقرر ان تتم لقاءات جماهيرية واسعة فى مختلف المحافظات يحضرها اعضاء اللجنة التنفيذية العليا .

وفى الجلسة الختامية لمؤتمر محافظة القاهرة ، الذى اقر توصيات التنظيم السياسى بالمحافظة ، المرفوعة للجنة المركزية ، حول اسلوب تنفيذ قرارات المؤتمر القومى ، وحضره السيد **على صبرى** ، وعدد من الوزراء ، أكد سيادته على ضرورة ان يبدأ كل مؤتمر ، او اجتماع تنظيمى ، بعرض عن تطورات الموقف السياسى والعسكرى والاحداث التى نمر بها — لكى تكون مستويات التنظيم السياسى على معرفة بالنسبة للاحداث .

واستجابة للرغبة الجماهيرية التى عبر عنها قرار المؤتمر القومى ، بدعم العمل الفدائى الفلسطينى — شكلت لجنة محافظة القاهرة لجنة خاصة بهذا الغرض ، للاشراف على عملية التعبئة

السياسية وتنظيم المساندة بكل اشكالها — ويجرى تشكيل لجان فى الاقسام والوحدات .

وتتحمل لجان الاتحاد الاشتراكي ومستوياته مسئولية اساسية فى انشاء منظمة الدفاع الشعبى — وتتولى اللجان تقديم الجهد اللازم ، وكذلك المتطوعين الملتزمين الذين سبق اختبار قدراتهم .

وتدور مناقشة واسعة داخل مستويات الاتحاد الاشتراكي ، عن شكل واسلوب اعادة بناء منظمة الشباب .

وفى المناقشة اتجاه لان تكون الاتحادات الطلابية مسئولة عن النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى ، فى اطار الخط السياسى للاتحاد الاشتراكى ، وان تعتبر هذه الاتحادات فروعا للمنظمة ، ويعين رئيس الاتحاد العام للطلاب عضوا فى اللجنة المركزية للمنظمة .

وتنفيذا لما قرره المؤتمر القومى العام عن دراسة اوضاع الصحافة ، بدأت لجنة الاعلام باللجنة المركزية ، تتصدى لمحاولة حل المشكلة ، وفى تصريح للسيد « **ضياء الدين داود** » مسئول اللجنة ، اكد انه اذا كان من المسلم به ان الصحافة ملك للشعب ، ممثلا فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، ومن المسلم به ايضا ان الصحافة وكل وسائل الاعلام خاضعة لسلطة الشعب ورقابته ، الا ان هذا الكلام نظرى بحت حتى هذه اللحظة ، فلم يمارس الشعب سلطته الفعلية ، ورقابته ، لاسباب عديدة من اهمها عدم اكتمال التنظيم الشعبى فى صورته النهائية — الامر الذى تحقق الان ، فأصبح لابد من توجيه وسائل الاعلام وربطها باحتياجات واهداف المجتمع .

وقد عقدت اللجنة سلسلة اجتماعات ضمت رؤساء المؤسسات الصحفية ، ورؤساء التحرير ، وامناء لجان الاتحاد الاشتراكى بدور الصحف .

ويناقش اقتراح بتكوين اتحاد يضم المؤسسات الصحفية الخمس : الاهرام — الجمهورية — الاخبار — الهلال — روز اليوسف ، وتضاف اليهم دار المعارف . ويتولى هذا الاتحاد العناية بالمصالح المشتركة للمؤسسات الصحفية ، وتنسيق نشاطهم والنهوض بمستوى الخدمة الصحفية ، على الا يؤثر قيام الاتحاد على حق كل مؤسسة فى مباشرة نشاطها ، باعتبار ان لكل منها شخصية معنوية مستقلة ، بالاضافة الى رسم السياسة العامة للصحف التى تخدم الاهداف العامة للشعب .

ويشكل المجلس من بعض اعضاء اللجنة الدائمة للثقافة والاعلام ، ورؤساء مجالس ادارات الصحف ، على ان يتولى الرئاسة رئيس كل مؤسسة بالتناوب لمدة سنة ، كما يناقش اقتراح بأن يكون للاتحاد الاشتراكى حق التوجيه السياسى والمتابعة والرقابة على الصحف من خلال اللجنة الدائمة للاعلام .



فقدت مصر والعالم العربى فى الشهر الماضى ، واحدا من خيرة مناضلينا وعلمائنا الشباب فى ميدان التربية ومحو الامية ، هو الاستاذ شفيق سليمان . وقد كان الفقيد من اوائل كتاب « الطليعة » الذين اولوا مشكلة الامية عناية رئيسية بين بقية اهتماماتهم الفكرية . ولقد بدأ شفيق سليمان اهتمامه النظرى والعملى بتلك المشكلة الحيوية منذ التحق مبعوثا بمركز تنمية المجتمع بسرس الليان حين اوفدته وزارة التربية والتعليم لدراسة اصول تنمية المجتمع واساليبها وكان « الاول » على دفعة المبعوثين العرب ، فسعى المركز الى استعارته من وزارة التربية ليبقى فى ميدان تخصصه .

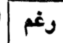
واخذ شفيق سليمان مهمته الجديدة بمنهج علمى يتجه الى الواقع مباشرة فعاش بين الفلاحين والاميين ، يمزج بين عدم معرفتهم للقراءة والكتابة واحوالهم الاجتماعية ليستخلص اسلوبا جديدا فى محو الامية . وبدأ يتدرج فى عمله ومراكز المسئولية الى ان بدأ فى وضع الكتب المتخصصة التى تعلم القراءة والكتابة جنبا الى جنب عنايتها بالوعى القومى والاجتماعى . وكذلك بدأ يصوغ خبرته الطويلة فى تاليف كتب للمعلمين ، تعد نموذجا علميا رفيعا فى رأى كبار العلماء لمحو الامية فى جميع البلدان العربية . وقد ساهم مساهمة كبيرة فى المؤتمر العربى لتنظيم وتمويل برامج محو الامية الذى عقد بالاسكندرية عام ١٩٦٤ ، كما شارك بنصيب موفور فى كثير من الحلقات الدراسية والاجتماعات الدولية التى عقدت لتطوير العمل فى هذا الميدان .

وقد غادر شفيق سليمان مركز سرس الليان بعد اثنتى عشرة عاما من العمل المتواصل ، وذلك بعد ان عين خبيرا لليونسكو فى كينيا حيث كان بيته ندوة عربية دائمة الانعقاد ، بذل فيها جهدا كبيرا لايضاح الموقف العربى بعد العدوان ، كما كانت اذاعاته فى راديو كينيا تفسيرا واعيا وتحليلا دقيقا لمشكلات هذا البلد ، كقطر نام ورث تركة استعمارية ثقيلة وعليه ان يتحدى معوقات التنمية والتقدم . وظل فى موقعه حتى آخر لحظة فى حياته — حيث مات فى حادث مؤلم — مناضلا عميق الايمان ووجها مضيئا من وجوه العمل الثورى العربى .

الوطن العربي

■ الصراع العربي الاسرائيلي ■

ماذا بعد يارنج ؟



رغم الازمة التى خيمت على جو العلاقات بين حركة المقاومة الفلسطينية ، وبين حكومة الاردن فى اوائل الشهر الماضى ، والتى اقلقت الراى العام العربى ، حول مستقبل نشاط حركة المقاومة وموقف الحكومات العربية منها ، فقد واصل رجال المقاومة نشاطهم فى الضفة الغربية وفى قطاع غزة ، وبرز هذا النشاط فى سلسلة من الهجمات على قواعد العدو ، كان من اهمها تلك العملية الجريئة التى قام بها رجال المقاومة داخل القدس فى ٢٢ من الشهر الماضى ، حينما قاموا بتفجير سيارة مليئة بالمتفجرات فى احد الاسواق اليهودية فى القدس ، مما ادى الى خسائر ضخمة فى الارواح بين المدنيين الاسرائيليين . وقد وصفت وكالات الانباء هذه العملية بأنها اجرأ عملية قام بها الفدائيون العرب منذ حرب يونيو . وعلى اثر ذلك قامت السلطات الاسرائيلية بحملة اعتقالات واسعة بين السكان العرب فى القدس ، وصرح « **ليفى اشكول** » ، بأن الدول العربية تعتبر مسئولة عن الخسائر الضخمة التى ترتبت على هذه العملية . كما قام الفدائيون باشعال حريقين فى مطار اللد خلال النصف الاول من الشهر . واعربت السلطات الاسرائيلية عن قلقها من ان تتحول منطقة « **الجليل** » ، فى شمال البلاد الى ساحة حرب شعبية ، باعتبارها اكبر منطقة لتجمع السكان العرب فى اسرائيل . وقد لجأت السلطات الاسرائيلية ردا على نشاط قوات المقاومة الى ضرب القرى الاردنية بقنابل النابالم الحارقة ، كما قامت بحملة اعتقالات واسعة فى قطاع غزة .



اما فى المجال الدبلوماسى ، فقد بدات مهمة يارنج ، ومعها امكانيات الحل السلمى ، تواجه طريقا مسدودا ، بعد ان غادر « **محمود رياض** » و « **الرفاعى** » نيويورك وصرحا بانه لم يعد هناك من جديد يستدعى استمرار وجودهما ، وبعد ان اتضح ان محاولة اسرائيل لاستمرار مهمة يارنج انما هى محاولة لكسب الوقت وخداع الراى العام العالمى .





محمود رياض — جونار يارنج

ومع تعثر مهمة يارنج ، والنشاط الدبلوماسى فى الامم المتحدة ، بدأ نشاط واسع على النطاق العربى من اجل التفاهم حول الخطوة التالية التى يجب ان تتخذها الدول العربية من اجل الوصول الى حل للمشكلة ، بعد فشل يارنج . وقد قام « **التلهونى** » و « **الرفاعى** » ، بزيارة للرياض والقاهرة لهذا الغرض . وقالت وكالات الانباء ان المصادر الاردنية ذكرت ان مهمة « التلهونى » و « الرفاعى » فى كل من الرياض والقاهرة ، لها علاقة مباشرة بفكرة الحاجة الى عقد مؤتمر قمة عربى لتحديد الموقف العربى فى هذه المرحلة على ضوء ما وصلت اليه مهمة يارنج . كما علم فى الكويت والخرطوم ، انه من المتوقع ان يقوم السودان والكويت بخطوة مشتركة للدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى ، وصرحت الدوائر المسئولة فى الخرطوم انه من المتوقع ايفاد وزير خارجية السودان الى القاهرة لاجراء محادثات حول هذا الموضوع .

وعلى اثر تعقد الاوضاع فيما يختص بامكانية نجاح يارنج فى مهمته ، اعلنت فرنسا على لسان وزير خارجيتها فى الامم المتحدة ان نذر الحرب تلوح فى الشرق الاوسط ، وان احتمالات الصدام العسكرى تتزايد ، وان السبيل الوحيد لتفادى وقوع الانفجار ، هو ان تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة . كما حمل المندوب **السوفيتى** قادة اسرائيل ، مسئولية الاستمرار فى سياستهم العدوانية ، ودعا الى انسحاب القوات المعتدية من الاراضى العربية فورا . واعلن المندوب البريطانى انه من الضرورى انقاذ مهمة يارنج كيلا يفلت الموقف فى الشرق الاوسط . اما الولايات المتحدة ، فقد واصلت سياستها فى

تأييد اسرائيل؟ وأعلنت المصادر الأمريكية المسئولة عن موافقتها على بيع ٥٨ طائرة فانتوم الى اسرائيل ، بينما كانت اسرائيل قد طلبت ٤٨ طائرة فقط .

وتواصل اسرائيل سياسة التعنت والعدوان ، ضاربة عرض الحائط بكل الجهود التى بذلت من اجل الوصول الى مخرج من الازمة يتفق وقرار مجلس الامن . وكتبت صحيفة « **ها آرتس** » الاسرائيلية ، تكشف النقاب عن ان مجلس الوزراء الاسرائيلى يناقش عددا من المسائل ، من بينها :

١ ـ اعلان ان نهر الاردن والبحر الميت يشكلان حدودا بين الاردن واسرائيل .

٢ ـ انشاء ممر آمن يتراوح بين ١٥ ، ٢٥ كيلومترا .

٣ ـ اعلان ضم قطاع غزة لاسرائيل .

٤ ـ وجود اسرائيل فى شمال سيناء حتى العريش ، وجنوبها حتى شرم الشيخ . وتقول وكالة الانباء الفرنسية ان اسرائيل قررت الاحتفاظ بما يسمى بالوجود المادى فى شرم الشيخ وسيناء ، لضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران .

« غير ان الزمن ، كما تقول جريدة « **النيويورك تايمز** » ، فى صالح العرب عند المواجهة الطويلة الامد مع اسرائيل . ان اسرائيل قد تتمتع بميزة استراتيجية مؤقتة ، ولكن بقاءها المستمر فى حالة الحرب والاحتلال هو بمثابة نكبة سياسية واقتصادية وعسكرية » .

وقد اشار « **محمود رياض** » فى تصريحاته الى رفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن ، والى تصريحات « **اشكول** » ، حول التشبث باحتلال مضايق تيران ، وقال ان تلك التصريحات تؤكد تمسك اسرائيل بسياسة التوسع بهدف اقامة دولة صهيونية تستوعب جميع يهود العالم .

وختم **محمود رياض** تصريحاته قائلا : « ان واجبنا هو تطهير الارض من الغزاة . وليست هذه هى المرة الاولى التى يواجه فيها شعبنا الغزاة ، فقد كان دائما يواجه العدوان ، وكان دائما ينجح فى صد العدوان ورد الغزاة » .

لبنان

لماذا لجأ حزب « الكتائب » الى العنف ؟

ربطت عديد من الصحف اللبنانية والعربية بين التحذير الاسرائيلى الاخير للبنان بشأن قيام هجمات المقاومة من الحدود اللبنانية وبين الاضطرابات الاخيرة فى لبنان ، ذلك ان المظاهرات الوطنية والطلابية كانت قد اجتاحت بيروت وسائر المدن اللبنانية الاخرى بمناسبة ذكرى وعد « بلفور » فى ٢ نوفمبر الماضى ، تأييدا للعمل الفدائى واستنكار سياسة ملاحقة الفدائيين فى الاردن . ودعت هذه المظاهرات الى اقرار قانون التجنيد الاجبارى ، وتسليح القرى الامامية على الحدود مع اسرائيل ، واطلاق سراح المعتقلين فى مظاهرات ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، وقد تطورت هذه المظاهرات ، عندما دعت اللجنة التحضيرية لاتحاد الطلبة الجامعيين الى الاجتماع فى الجامعة اليسوعية للقيام بمسيرة طلابية فى ١١/٧ استنكارا للمؤامرة الرجعية فى الاردن ضد العمل الفدائى اذ تحركت عندها فصائل حزب الكتائب اليمينى المسلحة ، وعلى رأسها الطالب « **بشير الجميل** » نجل زعيم حزب الكتائب ووزير الداخلية ، وقامت بالاعتداء على الطلبة المتظاهرين فى الجامعة اليسوعية وفى الشوارع المحيطة بالجامعة اللبنانية فى بيروت ، كما قامت بتحريض بعض رجال الدين لاستفزاز مشاعر المواطنين المسيحيين من ابناء الطائفة المارونية بدعوى قيام المتظاهرين بانزال العلم اللبنانى من فوق مبنى الاونسكو ومجلس النواب ، وقد دأبت الصحف اليمينية الموالية للحلف الثلاثى الرجعى [**كميل شمعون ـ ريمون اده ـ بيير الجميل**] وخاصة صحيفة « العمل » الناطقة بلسان حزب الكتائب دأبت طوال تلك الاصطدامات على تشويه المظاهرات والزعم بوجود مؤامرة شيوعية لحرق البنوك ، والشركات ، والسفارة الامريكية ، والاشادة بدور شباب الكتائب فى الدفاع عن الوطن .

ويرى عديد من المراقبين السياسيين ان لجوء العناصر المتطرفة من اليمين اللبنانى الى استخدام العنف ، انما جاء نتيجة القلق من تعاظم الحركة الوطنية واستشعار القوى الرجعية للخطر من الشعارات الجماهيرية التى ترددت فى هذه

المظاهرات ؟ ومن اتجاه الحركة الطلابية عامة نحو التوحد الديمقراطي في اتجاه النضال الوطني والتغيير الاجتماعي بعيدا عن الصراع الطائفي التقليدي .

وقد أثار تحرك الكتائب العنيف غضب وسخط كافة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والهيئات الشعبية مثل « الجزب التقدمي الاشتراكي » الذي يتزعمه « **كمال جنبلاط** » ، وكذلك « **رشيد كرامي** » رئيس الوزراء السابق ، وزعيم « الجبهة الديمقراطية البرلمانية » ، « والحزب الشيوعي اللبناني » ، « وحزب البعث العربي الاشتراكي » ، « وحزب النجادة » وحزب ، الهيئة الوطنية » ، ونقابات «الصحفيين» ، «والعمال» ، « واتحادات النساء » ، « الطلاب الجامعيين » ، بالاضافة الى عدد من الشخصيات الوطنية مثل **صبري حمادة** رئيس مجلس النواب وعدد من نواب هذا المجلس .

وقد ادى اضطراب الاوضاع في لبنان عامة الى تقديم الدكتور « **عبد الله اليافي** » رئيس الوزراء استقالته الى الرئيس « **شارل حلو** » ، وكان اليافي قد اقترح احد اقتراحين : اماتوسيع الوزارة اللبنانية أو تشكيل وزارة اخرى جديدة ، إلا أنه عدل بعد ذلك عن استقالته نزولا على رغبة رئيس الجمهورية الذي وعد بتوسيع الوزارة بعد أن تهدأ الاحوال في البلاد ، وكانت وزارة اليافي قد تشكلت بصفة مؤقتة في ٢٠ اكتوبر الماضي من اربعة وزراء فقط نتيجة ظروف استثنائية للخروج من أزمة الحكم في ذلك الوقت .

هذا وقد صدر اخيرا قرار بمنع المظاهرات وفرض حظر التجول في طرابلس وبعض المدن اللبنانية ، كما أصدرت لجنة الشئون الخارجية في البرلمان بيانا طالبت فيه الحكومة باجراء اتصالات مع الدول العربية لتنسيق العمل العربي السياسي والعسكري والاقتصادي والاعلامي .


شارل حلو


كميل شمعون

لمواجهة التطورات بعد الفشل الذي اصاب مهمة يارنج . كذلك اتخذ مجلس النواب اللبناني قرارا باستنكار اعتزام امريكا بيع طائرات الفانتوم لاسرائيل . ومع ذلك لم يستطع عديد من المراقبين السياسيين ان يحددوا ما اذا كانت الازمة اللبنانية الاخيرة ستسير في طريق الحل . أم أن الهدوء الذي يسود هناك — وقت كتابة هذا التقرير — ليس سوى هدوء مؤقت .

■

السعودية - الكويت

الخلافات الرئيسية مازالت قائمة

لم تسفر زيارة شاه ايران لكل من السعودية والكويت عن اية قرارات هامة في موضوعات الخلاف الرئيسية بين ايران والدول العربية ، ولم يرد في البيانات الرسميه ما يشير الى اتفاق محدد بشأن الوضع في منطقة الخليج العربي ، واتحاد الامارات العربية ، بعد الانسحاب البريطاني من هذه المنطقة .. هذا الانسحاب الذي يشكل جزءا من خطة الانسحاب البريطاني العامة من شرق السويس .

الا ان ذلك لم يحل بين كل من الشاه الايراني والملك السعودي ، والامير الكويتي ، وبين الاتفاق على نقاط معينة . فقد اكد الشاه والامير صباح السالم الصباح في بيانهما المشترك الذي صدر اخيرا في الكويت ، دعمهما للجهود المبذولة لتأييد حقوق ومطالب الشعب الفلسطيني المشروعة ، كما طالبا بضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة .

كذلك فقد تم الاتفاق بين الملك فيصل والشاه على اعتراف المملكة العربية السعودية بسيادة ايران على جزيرة « فارسي » ، مقابل اعتراف ايران بسيادة المملكة العربية السعودية على جزيرة « العربي » .

أما بخصوص اتحاد الامارات العربية ، والازمة بين ايران والبحرين ، فلم تصل المباحثات بين الشاه والملك فيصل ، الى اية حلول واضحة بشأنها ، بسبب رفض الشاه اسقاط دعواه بالنسبة للبحرين ، ولذلك صدر البيان المشترك عقب انتهاء المباحثات دون ان يذكر شيئا عن مسألة البحرين او اتحاد الامارات العربية .

وبالنسبة لمستقبل الخليج العربي ، وهي القضية الرئيسية التي تشغل اهتمام الشاه ، فان الامر الواضح لدى عديد من المراقبين

السياسيين هو ان الشاه الايرانى يعمل جاهدا فى سبيل الحيلولة بين منطقة الخليج ، وبين ما يسمى بتسرب نفوذ اى دولة « عربية اشتراكية » اليها ، وذلك على حد تعبير مراسل الاذاعة البريطانية .

ومما هو جدير بالذكر : ان صحيفة الحياة البيروتية اليمينية ، قد اشارت الى ان مباحثات الشاه فى السعودية كانت تتناول اقتراحا مفصلا « للتنسيق بين وجهات نظر الاطراف الاربعة المعنية بمستقبل الخليج ، وهى السعودية والكويت والعراق وايران ، وايجاد قاعدة اساسية موحدة لكل من هذه الاطراف ، تجاه قضية اتحاد الامارات العربية ، وما يتصل بها ، وتجاه مايسمى بالاخطار الخارجية التى تواجه الامارات » . كذلك فقد توقعت الصحيفة ان يقوم الشاه بزيارة رسمية للعراق ، لاجراء مباحثات حول نفس القضايا مع الرئيس حسن البكر . وقد اوضحت الصحيفة ايضا « ان المصادر الدبلوماسية تنتظر ان تسفر هذه المشاورات عن عقد مؤتمر قمة رباعى بين ايران والسعودية ، والكويت ، والعراق ، لوضع اقتراح التنسيق موضع التنفيذ ، وتخطيط سياسة مكملة لحماية الخليج وحفظ استقراره » .

■

السودان

« حادث » الجامعة يتكرر من جديد

توقفت الدراسة فى جميع المؤسسات الجامعية فى السودان ، بعد اغلاق جامعة الخرطوم ، ثم فرع جامعة القاهرة ، لاجل غير مسمى ، بسبب اشتباكات الطلبة الاخيرة . وكانت هذه الاشتباكات قد وقعت اخيرا بين طلاب جماعة «الاخوان المسلمين» ، والطلاب المنتمين للجماعات والاحزاب السياسية الاخرى .

ففي مساء السادس من نوفمبر الماضى ، شهدت جامعة الخرطوم اعتداء من قبل طلاب جماعة « الاخوان المسلمين » على احتفال كان قد اقامه طلبة جامعة الخرطوم ، قدم فيه الطلبة بعض الرقصات الشعبية . وكانت ادارة الجامعة قد اجازت هذا الاحتفال . وادى هذا الاعتداء الى تخريب قاعة الاحتفالات ، واصابة عدد من الطلبة ، استشهد منهم الطالب « **سيدعبدالرحمن الطيب** » ، وهى ثانى « حادثة » تتكرر من هذا **النوع منذ ثورة اكتوبر سنة ١٩٦٥** .

واصدرت جميع الهيئات الطلابية فى جامعة الخرطوم ، بيانا ادانت فيه مبدأ العنف ، ورفضت مبدأ وصاية الاخوان على اخلاق الاخرين . وقد وقع على هذا البيان ، طلاب « المؤتمر الديمقراطى الاشتراكى » ، و «الاتحاد الاشتراكى» ، و « رابطة طلاب الاتحاد الديمقراطى » ، و «رابطة الطلاب المستقلين » ، و « رابطة الطلاب الجمهوريين » ، و « هيئة حزب الامة » ، و « رابطة الشيوعيين — القيادة الثورية » ، و « الجبهة الديمقراطية » ، و « رابطة الطلاب الجنوبيين » ، و « الجبهة العربية » » .

وشجب مدير جامعة الخرطوم « **عمر محمد عثمان** » ، موقف جماعة الفكر الاسلامى بالجامعة موضحا ان ما قدم بالجامعة ، كان « عرضا مسرحيا لبعض الرقصات القبلية التى تقوم بها القبائل المسلمة فى كل مكان من السودان » .

وقد اندلعت بعد ذلك مظاهرات جديدة ، اثر وفاة الطالب « **سيد عبد الرحمن الطيب** » ، ووقع اشتباك آخر بين المتظاهرين والبوليس ، اصيب فيه ١٩ طالبا ، واعتقل ٢٦ آخرين ، ورددت تلك المظاهرات هتافات معادية لجماعة « الاخوان المسلمين » ، تطالب بحلها ، وانضم فيها طلبة المدارس الثانوية الى طلبة الجامعات . كما بدأ المعهد العالى فى ام درمان اضرابا لمدة اسبوع ، وطلبة المعهد الزراعى اضرابا لمدة ٥ ايام ، واحتل طلبة المعهد الفنى مبانيه وتحصنوا بداخلها .. ووقعت اشتباكات اخرى بين الطلبة والبوليس ، عندما تدخل الاخير لتفريق المظاهرات ، اسفرت عن اصابة ٣٠ طالبا آخرين ، منهم ٤ بجراح خطيرة ، و ٤ فتيات ، واعتقل البوليس ٥٠ طالبا آخرين .

وقد استنكرت جماعات وشخصيات سياسية سودانية عديدة من اتجاهات سياسية متباينة ، اعتداء جماعة الفكر الاسلامى على احتفال الطلبة . مثل « **الصادق المهدى** » و «**اسماعيل الازهرى** » .

واصدر الادباء والفنانون السودانيون وثيقة باسم « الدفاع عن الثقافة الشعبية » ادانوا فيها الاعتداء .

كما اصدر اتحاد نقابات عمال السودان بيانا بعنوان « اقتلوا الفتنة » ، طالب فيه الاتحاد بحل جماعة الاخوان

واصدر الاتحاد النسائى السودانى ، ومنظمات طلاب جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، بيانات ادانت فيها الاساليب الفاشستية التى استخدمتها جماعة الاخوان .

والجدير بالملاحظة انه عندما تظاهر طلاب

جامعـــة القـــاهرة فرع الخرطوم فى ١٣ نوفمبر الماضى ، اعتدى عليهم البوليس ، واقتحم الجامعة والمستشفى الحكومى ، واعتدى على حرمة مسجد الجامعة ، وجرح العشرات من الطلبة والطالبات ــ بينما سمح لمظاهرات اخوانية ورجعية بالسير دون التعرض لها ــ وقد استنكر وزير داخليـــة السودان ما فعله البوليس ، واعلن انه ينـــافى سياسة الوزارة السودانية .

ويرى الاستاذ « **حسن الطاهر زروق** » ، فى تعليق له على هـــذه الاحـــداث نشر فى جريدة « الايام » السودانية : « ان هـــذه الاحداث تأتى :

١ ــ بعد فشل الحكومات التقليدية المتعاقبة فى حل قضية التحرر الاقتصادى ، الذى بدونه يصبح الاستقلال السياسى ضعيف المضـــمون ، لا يقوى على حماية نفسه .

٢ ــ بعد ان ارتفعت صيحات الاعتراض من كل الفئات ، على الطريقة المفلسة التى تحكم بهـــا البلاد .

٣ ــ بعد موجة الغلاء والضرائب التى شـــملت كل شىء ، وجعلت حياة الناس جحيما ، خاصـــة بعد ان تبينت للجميع النتائج الهزيلة للكادر .

٤ ــ بعد ان احست اغلبية الشعب السودانى التى لاتعمل كموظفين او عمال فى اجهزة الدولة بأنهم يدفعون ثمن اخطـــاء سياسة الحـــكومة الاقتصادية .

٥ ــ وفى الميدان العربى ، بعد ان فشـــلت كل محاولات مجلس الامن لايجاد حل لمشـــكلة الشرق الاوسط ، ولم يبق سوى ان تحشد كل القوى العربيـــة لانتزاع حقهـــا وفرض ارادتها بالقوة .

« انه لكى تنصرف الجهود والانظار والافـــكار عن كل هذا ، افتعلت هـــذه المعركة والضجة ، وكان ميدانها جامعة الخرطوم ، اوى اى مكان آخر يحتفل لهذا الغرض ــ ولكن اختيار الجـــامعة لهذا الغرض قد قصد به فى المكان الاول تلطيخ وتشويه تاريخ طلابها الاحرار عبر الســـنين ، ولاطفاء نور المعرفة فى المـــكان الذى ينتظر منه كثيرا من الخير والامل ــ هذا المكان يجب ان يعتقل حتى لا يصبح منارة للثقافة وحرية الفكر ، وابداع الفن ، وان تسيل فيه الدماء ويغتـــال فيه طالب ، تماما كما سقط الشهيد « **القرشى** » فى نفس المكان ــ شهيد ثورة اكتوبر ــ

« ما حدث فى الجامعة نذير بأن هناك نوايا ومخططات تلك فقط مقدمتها ، فلم يحـــدث ذلك صدفة او عفوا . الجريمة الكبرى ان تنام يقظتنا او لا نأخذ بالحذر المسلح باليقظة التامة » .

روديســـيا

« اكثر المقترحات عنصرية ورجعيـــة منـــذ ١٩٢٣ »

لم يسفر الاتصـــالات بين حـــكومتى **بريطانيا** ، والاقلية البيضـــاء فى **روديسيا** ، حتى كتابة هذا التقرير ــ عن اتفـــاق بشـــأن مشـــكلة « الاستقلال من جانب واحد » ، برغم ما تشـــيعه الصحافة الغربية ــ والبريطانية بالذات ــ عن ان الاتفاق على وشك ان يتم .

وتستشهد الدوائر الصحفية الغربية على صحة توقعاتها هذه ، بجو الهدوء النسبى الذى اعقب محادثات ويلســـون ــ ســـميث التى اجريت فى ١٠ ــ ١٢ اكتوبر الماضى ، فوق السفينه الحربية فيرليس ، فى ميناء جبل طارق ، واستغرقت ٣٠ ساعة . اذ اتسمت تصريحات الجانبين بعدم تبادل النقد اللاذع او الهجوم العنيف ، كما حـــدث بعد محادثات « تايجر » ، التى اجريت بينهما فى عام ١٩٦٦ . وتركز هذه الدوائر الضوء على الاجتماع الذى عقده كل من ويلسون وسميث مع وزارتيهما بعد انتهاء المباحثات .

ويربط المراقبون الســـياسيون بين انباء توقع الوصول الى اتفاق بين الجانبين ، وبين الجـــولة التى قام بها **جورج طومسون** ، مبعوث ويلســـون فى كل من سالزبورى [عاصـــمة روديســـيا] ، ولوزاكا [عاصمة زامبيا] . وقد صرح طومسون انه سوف يجرى محادثات مع زعماء روديســـيا الافريقيين المعتقلين ، كما سيزور دول افريقيـــة اخرى ــ لم يحددها ــ « لاجراء محادثات » .

ويرى معلقو الشئون الافريقية ، ان مفاوضات ويلسون ــ سميث الاخيرة ، قد جرت فى وقت يعانى فيه كلا من الطرفين من مشاكل داخلية ، ومخاوف سياسيه عامه . فبالنســـبة الى الهجوم المستمر الذى تشنه الدول الافريقية ضد بريطانيا ، باعتبارها « متواطئة » مع الاقليـــة العنصرية ، فضلا عن الحملات السياسية التى تعرضت لها حكومة ويلســـون فى الامـــم المتحـــدة لموقفهـــا « المتخاذل » من اية اقتراحات جادة لحل المشكلة لصالح الافريقيين ــ بالاضافة الى هـــذا ، فقـــد اصبحت مشكلة روديسيا مبعث « صداع سياسى دائم » لحكومة ويلســـون فى مجلس العمـــوم ، بسبب هجوم حـــزب المحـــافظين ، بل وكثير من اعضاء حزب العمال انفسهم . ناهيك عن المتاعب السياسية التى تلقاها حكومة العمـــال الان فى السياسة الداخلية . وترى قيادة حزب العمال ان الوصول الى اتفاق بشأن روديسيا سوف يخفف بعضا من الهجوم داخل مجلس العموم ، فضـــلا

عن ان بريطانيا لا تستطيع ان تتجاهل الكومنولث والامم المتحدة الى النهاية .

أما حكومة سميث ، فبالاضافة الى استمرار الحرب الوطنية المسلحة ضدها ، فان حكومة جنوب افريقيا فيما يبدو ، اصبحت تفضل ان تخفف من الاعباء الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى تتحملها تجاه حكومة روديسيا .. فى اطار استمرار الحكم العنصرى . كذلك يخشى سميث — كما تقول الاوبزرفر البريطانية — ان تقل كمية المساعدات التى تقدمها حكومة البرتغال ، بعد ابتعاد سالازار عن السلطة ، بسبب مرضه .

وأهم دوافع سميث وراء قبول التفاوض ، هى بعض المتاعب الاقتصادية التى تعانيها روديسيا الان . تقول الصنداى تايمز البريطانية « ان استمرار العقوبات الاقتصادية ضد روديسيا قد زاد من البطالة فى البلاد ، فبلغ عدد العاطلين الافريقيين ١٠٠ الف شخص ، كما ان عدد العمالة فى الزراعة فى انخفاض مستمر . فمن بين ٢٧٠٠ مزارع دخان ، قبل اعلان الاستقلال ، تحول ١١٠٠ ، منهم عن الزراعة . وذلك بسبب عدم تصريف كل انتاج الدخان » . ويقدر المخزون الباقى بـ ٢٠٠ مليون رطل ، تبلغ قيمته ما بين ٣٥ و ٤٠ مليون جنيه استرلينى ، [بنسبة نصف المحصول] . ومعروف ان تصدير الدخان يشكل نسبة هامة من الدخل القومى للبلاد . وتضيف الصحيفة « ان التجار ورجال الاعمال فى روديسيا يدعون الى ايجاد تسوية . وانشط هؤلاء هم كبار المسئولين فى الغرفة التجارية واتحاد الصناعات » .

وتنظر الدوائر الافريقية الى انباء قرب التوصل الى اتفاق ، فى ضوء ما أذيع — بشكل غير رسمى — عن محتويات هذا الاتفاق ، باعتبارها مقدمة لجس « النبض الافريقى » فى اتجاه « بيع » روديسيا كاملا الى العنصريين البيض . فبينما كانت تتظاهر بريطانيا بالاتفاق مع وجهة نظر الافريقيين ، على ان « لا استقلال بدون حكم الاغلبية الافريقية » ، تقول الصحف البريطانية ان الاتفاق يكتفى بضرورة دخول الافريقيين — بنسبة الربع — بين اعضاء البرلمان ، وان ينص فى الدستور الجديد على « العمل من اجل تحقيق حكم الاغلبية فى خلال ١٠ او ١٥ سنة » . وتتمسك بريطانيا بمسائل شكلية حين تشترط عدم اجراء اى تعديل فى الدستور الجديد الا بموافقة « مجلس البلاط البريطانى » . وحول هذه النقطة يدور خلاف الحكومتين البريطانية والعنصرية . وتضيف الصحف الغربية ان الاتفاق يدعو الى اجراء استفتاء على الدستور الجديد المقترح .. بين الافريقيين والبيض فى البلاد . وذلك — فى تقدير المراقبين — « مجرد لغو » ، ما دام سيجرى فى ظل سيطرة حكومة سميث على اجهزة الدولة والاعلام ورؤساء القبائل ، فضلا عن وجود الوطنيين فى السجون والمعتقلات .

وجدير بالذكر ان الوطنيين من ابناء روديسيا المقيمين فى زامبيا ، قد اعلنوا رفضهم بشكل كامل لمقترحات بريطانيا لتسوية الازمة . ووصفوها بأنها « اكثر المقترحات البريطانية عنصرية ورجعية منذ حصل المستوطنون البيض على الحكم الذاتى فى روديسيا عام ١٩٢٣ » . هذا وقد اعلن هؤلاء ، انهم سيواصلون كفاحهم المسلح حتى يحققوا لوطنهم « الاستقلال الحقيقى تحت حكم اصحاب البلاد الافريقيين » .

■

فيتنام

« القتال حتى آخر معتد أمريكى »

اعلن **اكسوان ثوى** ، رئيس وفد فيتنام الشمالية فى محادثات باريس ، أن بلاده لن تجرى مفاوضات سلام موسعة ، الا اذا اعطيت لوفد جبهة التحرير الوطنى فى فيتنام الجنوبية ، نفس الصفات والحقوق التى تعطى لوفد حكومة سايجون ، على ان يكون وفد الجبهة على قدم المساواة مع سائر الوفود الاخرى

وقد اعتبر عديد من المراقبين السياسيين ، موافقة حكومة سايجون على الاشتراك فى محادثات باريس ، خطوة للامام نحو اكتمال كافة الاطراف المشتركة فى المشكلة ، على مائدة المحادثات . الامر الذى يعد من التطورات الملحوظة التى طرأت على الموقف بعد قرار الرئيس الامريكى « **جونسون** » بوقف قصف فيتنام الشمالية بالقنابل وقفا تاما . وقد اجمع العديد من المراقبين السياسيين فى العالم ، على اعتبار ذلك القرار من جانب جونسون نصرا للشعب الفيتنامى لا شك فيه ، ورضوخا من السياسة الامريكية أمام اصرار الشعب الفيتنامى وصموده . الا ان الرئيس الفيتنامى الشمالى **هوشى منه** ، قد عبر فى النداء الذى وجهه الى الشعب الفيتنامى فى الثالث من نوفمبر الماضى ، عن ان ذلك القرار الامريكى ليس سوى « هزيمة لحرب الدمار التى شنها الامبرياليون الامريكيون فى الشمال ، ومهما يكن فهو ليس سوى انتصار اولى فقط . لان الامبرياليين الامريكيين عنيدون وغادرون للغاية ... فأكثر من مليون من القوات الامريكية والعميلة والتابعة ، ترتكب يوميا ابشع الجرائم التى لا تحصى ولا تعد ضد مواطنينا فى الجنوب » . ودعا الرئيس



سوان توى

هوشى منه الى انه « ما دام يوجد هناك معتد واحد على اراضينا ، فلابد من القتال باستمرار حتى نطرده طردا تاما » .

ومما هو جدير بالذكر ، فيما يتعلق بقرار جونسون بالوقف التام للقصف ، ان مراسل « النيوز دويتشلاند » الالمانية الشرقية فى باريس ، قد ربط بين قرار جونسون الاخير ، وبين التدخل الحاسم لقوات وارسو فى تشيكوسلوفاكيا ، فأوضح فى ٣ / ١١ الماضى ، انه « فى الدوائر المحيطة بالمحادثات فى باريس ، قيل فى نهاية الاسبوع الماضى، ان اجراءات المعونة التى اتخذتها البلدان الاشتراكية الخمس لحماية الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، قد ساعدت قطعيا وبصورة اكيدة ، على ان تضع الولايات المتحدة وشركائها الامبرياليين فى موضع يتعين عليهم ان يدركوا فيه حدود قوتهم ، وهذا كما قيل ، قد ساعد على اعلان وقف قصف الولايات المتحدة لفيتنام الشمالية بالقنابل » .

على انه اذا كانت محادثات باريس قد سارت خطوة الى الامام نحو الاكتمال الشكلى للاطراف المتنازعة ، فان جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية قد حددت من ناحية اخرى ، شروط التسوية السياسية للمشكلة الفيتنامية ، على اساس انهاء الامريكيين لحربهم العدوانية ضد فيتنام الجنوبية ، وسحب جميع قواتهم وقوات الدول التى تدور فى فلكهم ، واقامة حكومة ائتلافية وطنية ديمقراطية عريضة ، واجراء انتخابات عامة حرة فى فيتنام الجنوبية ، ثم اتباع فيتنام الجنوبية لسياسة خارجية قائمة على السلام والحياد وعدم الدخول فى احلاف عسكرية بأى صورة من الصور مع دول اجنبية ، واقامة علاقة حسن جوار مع مملكة كمبوديا ، على اساس احترام استقلالها وسيادتها وحيادها وسلامة اراضيها بحدودها الحالية . ومع لاوس : على اساس احترام اتفاقية جنيف لعام ١٩٦٢ ، الخاصة بهذا البلد .

ولا يزال القتال دائرا بين الاطراف المتنازعة فى فيتنام الجنوبية ، وقد وضعت القوات الفيتنامية الجنوبية الحكومية فى الاقاليم الخمسة ، التى تقع فى أقصى شمال فيتنام الجنوبية فى حالة تأهب قصوى ، استعدادا لمواجهة هجوم متوقع للثوار بمناسبة بدء موسم الشتاء الجديد. كما شن الثوار عددا من اعنف الهجمات على قاعدة دانانج الامريكية ، فرضت بسببها الاحكام العرفية فى المدينة ، كما اعلن حظر تجول مؤقت فيها . كذلك قال الجنرال **ابرامز** ، قائد القوات الامريكية في فيتنام الجنوبية بسحب فرقة الفرسان الجوية الامريكية البالغ عددها ١٩٫٠٠٠ رجل ، والمعروفة بأساليبها الهجومية بطائرات الهليكوبتر ، وبقدرتها على الحركة ، من مواقعها فى الشمال بالقرب من المنطقة المنزوعة السلاح ، والتى كانت مشتبكة فيها فى قتال مع القوات الفيتنامية الشمالية ، قام بسحبها الى الجنوب ، وتركيزها فى المنطقة بين سايجون ، وحدود كمبوديا ، على بعد ٤٠ كم من العاصمة ، وهو امر اعتبره عديد من المراقبين العسكريين دليلا على توقع هجوم عسكرى جديد من جانب الثوار على سايجون .

■

الولايات المتحدة الأمريكية

هل هناك « نيكسون » جديد ؟

أتخذ الرئيس الامريكى المنتخب « **ريتشارد نيكسون** » ، منذ انتخابه ـ وحسبما اوضحت ذلك وكالة اليونيتد بريس اخيرا ـ عدة خطوات للاعداد لما تصفه المصادر الوثيقة به ، « خطوات مباداة جديدة » فى مشكلة الشرق الاوسط . وأوضحت الوكالة انه من المعتقد ان هذه الخطوات تستهدف اعادة العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة الامريكية .

وكان الرئيس الامريكى المنتخب قد اكد لمراسل مجلة « الجويش كرونيل » البريطانية ، قبل انتخابه باسبوع ، موقفه من مشكلة الشرق الاوسط موضحا : « ان استيلاء اسرائيل بصورة نهائية ورسمية على الاراضى التى احتلتها ، سيكون خطأ فادحا ، كما انه « ليس من الواقعية فى شىء ان نتوقع ، ان تقدم اسرائيل تنازلات حيوية ، فى حالة عدم ضمان سلام حقيقى لها ، وضمانات فعالة » ، كذلك أعلن نيكسون عن موافقته على مد اسرائيل بطائرات الفانتوم ، وعلى

تحقيق التفوق العسكرى لها على جيرانها . واذا كان اليهود فى ولاية نيويورك [ولها ٤٣ صوتا انتخابيا] قد صوتوا مع خصمه ، فليس معنى ذلك بحال، اجراء تغير اساسى منجانب نيكسون فى سياسته ازاء اسرائيل . لان التزام الولايات المتحدة بامن اسرائيل واستمرارها وسلامتها التزام دائم ، وليس موضع بحث . وانما الذى يمكن ان يكون موضع بحث من جانب نيكسون ، هو مجاراة اسرائيل فى كل ماتريده ، خصوصا فى سياستها التوسعيه بالدرجة التى يمكن ، بل من المحتم ، ان تؤدى الى رد فعل عربى عكسى يلحق اكبر الاضرار بالمصالح الامريكية فى المنطقة ، والحقيقة ان نيكسون يمكن ان يكون مطلق اليدين نسبيا فى اتباع سياسة من هذا النوع ازاء اسرائيل اكثر من منافسه **هيوبرت همفرى** ، لان نيكسون غير مدين لليهود بنجاحه الانتخابى « ومع ذلك فان نيكسون يواجه وضعا يحتاج فيه الى دعم الصهيونيين له فى الكونجرس ، وذلك بسبب حصول الحزب الديموقراطى على الاغلبية فى الكونجرس ، بمجلسيه النواب والشيوخ . وعلى اية حال ، فان الصهيونيين لم يضيعوا الوقت قط ، فى محاولتهم للدس منذ البداية بين نيكسون والعالم العربى ، ولعل قضية مؤامرة اليمنيين المزعومة لاغتيال نيكسون ، واتهام اردنى ايضا بمحاولة ذلك ، والدور الواضح للمباحث الامريكية فى تلك الفضيحة ، لعل كل ذلك محاولة واضحة من جانب الصهيونيين لايهام نيكسون بانه « اذا كان اليهود لم يصوتوا معك ، فان العرب حاولوا قتلك » . هذا فى الوقت الذى ثبت فيه ان كثيرا من الاغنياء الامريكيين المنحدرين من اصل لبنانى، قد ساهموا ماليا فى حملة نيكسون الانتخابية ، وعملوا بكل ما لديهم من قوة وامكانيات على انجاحه ، اعتقادا منهم ، بان لديه استعدادا لتفهم وجهة النظر العربية اكثر من «**جونسون**» او « **همفرى** » .

والحقيقة ان نيكسون ينظر الى مشكلة الشرق الاوسط فى اطار « دولى » اكثر مما ينظر اليها فى اطار « محلى » . وقد وصف خطر المجابهة الامريكية — السوفيتية فى الشرق الاوسط ، بانه فى الدرجة الثانية بعد برلين ، كما صرح اخيرا فى مقابلة خاصة له مع « الاسوشيتيد بريس » « بان خطر نشوب حرب عالمية فى الشرق الاوسط ، اكبر منه فىفيتنام »؛ ولذا يعتقد نيكسون انه يجب معالجة جزء كبير من مشكلة الشرق الاوسط عن طريق محادثات مباشرة مع الاتحاد السوفيتى .

اما فيما يتعلق بحركة نيكسون المتوقعة فى الداخل ، فيرى عديد من المراقبين السياسيين ان فوزه على همفرى بفارق ضئيل لم يتجاوز الـ ٥٠٠ر٢٥٠ صوت [اى اقل من ١ ٪ من مجموع الاصوات] ، يلزمه بضرورة توسيع قاعدة تأييده سواء فى الكونجرس او فى البلاد عامة . فاذا كان نيكسون معروف تاريخيا باتجاهه المحافظ ، وبنصرة المحافظين له ، فان عليه اذن ان يسعى لكسب الليبراليين او على الاقل يوسع نفوذه بينهم . وبهذا الصدد اوضحت « الصنداى تلجراف » البريطانية فى ١١/١٠ الماضى ، ان بعض مستشاريه يحضونه بالفعل على كسب ود الرأىالعام الليبرالى .بلان هناكتوقعات مرتقبة بين كثير من المراقبين السياسيين ، بان تضم حكومته عددا من الليبراليين . وقد بات محتملا ان يعود **جون جاردنر** الجمهورى الليبرالىووزير الصحة والتعليم فى حكومةجونسون الىمنصبه، او يرشح لوزارة المدن . كذلك فان نيكسون — حسبما اوضحت الهيرالد تريبيون الدولية فى ١١/١٠ الماضى — يبحث موضوع اعطاء مناصب فى حكومته لثلاثة من كبار الجمهوريينالليبراليين هم **نيلسون روكفلر** لوزارة الدفاع ، **ووليم سكرانتون** للخارجية ، **وجورج رومنى** للتجارة . ويتردد انه سيعرض على **هيوبرت همفرى**منصب سفير الولايات المتحدة فى الامم المتحدة . وقد اكدت الجريدة السابقة كذلك ، ان هناك شعورا قويا داخل الدائرة المحيطة بنيكسون ، بشأن تطعيم حكومته باحد الديموقراطيين ، ولكن من غير المحافظين الجنوبيين ، اى منالنوع الذى كان مفضلا ايام « ايزنهاور » .

ومما هو جدير بالذكر ان الامر بلغ ببعض الصحفيين الغربيين ، فى تصويرهم لالتجاء نيكسون المتوقع لطلب العون من الليبراليين ،الى حد اعتباره جنوحا مقبلا من جانبهنحو «اليسار»، مثل الكابتن **رولاند ايفانز** ، « **وروبرت نوفاك** » فى « الهيرالد تريبيون الدولية » . على ان «اليسار» الذى يقصدانه هنا ، مسألة نسبية تماما ، وهو يدخل بالقطع فى اطار خدمةالمصالح الاساسية للاحتكارات الامريكية الكبرى ، وللامبريالية الامريكية عامة . وقد عزا الكاتبان اعتقادهما ، الى النصائح التى يقدمها لنيكسون « **روبرت فينش** » نائب الحاكم العام لكاليفورنيا، والذى يعد من اقرب المقربين اليه ، والتى يؤيده فيها عدد كبير من مساعدى نيكسون ، وهى نصائح هامة بالفعل ، لان روبرت فينش يرى : « ان انتخابات سنة ١٩٦٨ ، ستكون آخر انتخابات يحدد نتيجتها الناخبون منغير الشباب، او السود ، او الفقراء ، ولذا فان على نيكسون اذا اراد ان يكون رئيسا للجمهورية لاكثر منفترة واحدة ، ان يمد يده الى « اليسار » . وعلى اية حال ، فان « يسارية » نيكسون المتوقعة لن تعدو

كونها نوعاممائلا «لليسارية ايزنهاور» وفق مايراه عديد من المراقبين الغربيين .

على ان نيكسون فى سعيه لزيادة نفوذه بين الليبراليين ، يعلم انه لا ينبغى له ان يذهب فى هذا الصدد ، الى الدرجة التى يمكن ان تؤثر تاثيرا ضارا على نفوذه بين المحافظين ، خاصة وان سعيه لارضاء اليمين ، واليمين المتطرف [والاس] يتسمان هذه المرة باهمية خاصة ،لانه يستهدف من وراء ذلك ،اعادة الجنوب الى حظيرة « الاتحاد الامريكى » . ولذا فالمنتظر فى المستقبل القريب ، هو ان يعمل نيكسون بنفسه على خلق نوع من التوازن بين « اليمين الجمهورى » الذى يمثله « **ستروم ثيرموند** » [جنوب كاليفورنيا] ، و « اليسار الجمهورى » الذى يمثله « **جاكوب جافيتش** » [من ولاية نيويورك] ، الا ان عددا من المراقبين يرون انه من الصعوبة بمكان تحقيق ذلك التوازن لمدة طويلة ، ويأمل مستشارو نيكسون ، الذين يصفهم المعلقون الغربيون ، « بالتقدميين » ، فى ان ينتهى ذلك التوازن ، لغير مصلحة **ثيرموند** ، وذلك من اجل مستقبل نيكسون السياسى .

والسؤال المطروح الان ، من عديد من المراقبين السياسيين فى العالم هو ، هل يسير نيكسون الذى شارك بنشاط فى حملة «مكارثى» الارهابية داخل الولايات المتحدة من قبل ، والذى دعا دوما طوال تاريخه السياسى ، الى خط عداء عنيف ومتصلب ضد الشيوعية ، هل يسير فى نفس الاطر المحافظة التقليدية التى عرفت عنه تاريخيا ؟ . والامر المؤكد الذى يعتقده اغلب المراقبين ، ان نيكسون لم ولن يتخلى قط عن سياسة العداء للشيوعية ، ولم يتخل ايضا عن طابعه السياسى المحافظ ، ولكن الامر الاكثر اهمية ، هو ان الظروف العالمية نفسها قد تغيرت ، وليس بوسع اى رئيس امريكى ان يعامل الشيوعية المعاصرة ، فى الوقت الذى لا تزال فيه « فجوة التخلف الامريكى الصاروخى » عن الاتحاد السوفيتى قائمة ، بنفس افكار ونظريات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى الوقت الذى يحذر فيه « **والتر ليبمان** » ، نيكسون من الاقدام على تدمير حكومته ، بخوض حرب برية اخرى فى اسيا . ولذا فان الظروف العالمية والامريكية العامة ، التى يتولى خلالها نيكسون الحكم ، ستكون مشاركة الى حد كبير فى رسم صورة السياسة القادمة كرئيس امريكى . والمتوقع مثلا وبرغم الصورة التاريخية المحافظة والمعادية للشيوعية التى اتسم بها نيكسون ، ان يقوم هو بانهاء الحرب الفيتنامية الفاشلة التى بداها الديمقراطيون مثلما انهى « **ايزنهاور** » الجمهورى



نيكسون

حرب كوريا ، التى بداها الديموقراطى « **ترومان** » .

وعلى اى حال فان والتر ليبمان كبير المعلقين السياسيين فى العالم يعتقد ، ان هناك « نيكسون جديدا » حقا ، كذلك فان « البوربا » اليوغوسلافية قد كتبت اخيرا موضحة « ان نيكسون اليوم لم يعد هو نيكسون الامس ،عندما دخل الحياة السياسية كنائب للرئيس ايزنهاور، وكمنافس لكيندى ، اذ بذل جهودا كبيرة منذ ذلك الوقت ليكمل ، ويحدد بدقة شخصيته السياسية ، وحقق نجاحا بهذا الصدد » .

ولكن هل تعبر نصيحة « روبرت فينش » السابقة الذكر عن حقيقة موضوعية فى المجتمع الامريكى ؟ انها تعبر بالفعل عن ذلك ،لان معارك الرياسة القادمة ، لن تتحدد بيد القوى التقليدية [المتمثلة فى الحزبين الديموقراطى والجمهورى] وحدها ، فهناك النفوذ المتزايد لليسار الجديد بين الشباب الامريكى وحركة الزنوج ،بالاضافة الى قوى الممتنعين عن التصويت من انصار يوجين مكارثى وغيره الذين يحتجون على سياسات الحرب والعنف القائمة ، وهناك من ناحية اخرى قوى اليمين العنصرى المتطرف التى يقودها «**جورج والاس**» الحاصل على ٤٥ صوتا انتخابيا، والتى تعمل على تكوين حزب « ثالث » ، والتى « سجلت نصرا معنويا فى الانتخابات سيكون اساسا لنشاطها السياسى فى المستقبل » حسبما اوضح جورج والاس نفسه .

وجدير بالذكر انه فيما يتعلق **بالتوقعات الخاصة بسياسة نيكسون الخارجية** ، اشارت وكالة انباء الصين الجديدة اخيرا الى حقيقة ان انتخاب

نيكسون قد جاء بعد ان نادى « بتقليل التزامنا حول العالم فى المناطق التى غالبنا فى التوسع فيها » « والتركيز على المناطق المفضلة » [المقصود بها اوربا الغربية وامريكا اللاتينية] ، ومع ذلك فقد ابدى عدد من الساسة الاوربيين الغربيين نوعا من عدم الارتياح خشية ان تميل الحكومة الجديدة الى العزلة مما يضعف موقف اوربا الغربية فى « مواجهة الاتحاد السوفيتى » ، خاصة وانه من المعروف تاريخيا ان العودة الى سياسة العزلة تقليد قديم للجمهوريين . وفيما يتعلق **بالسياسة الاقتصادية المتوقعة لحكومة** نيكسون ، فان الكثير من المراقبين الاقتصاديين يربطون عادة بين مجىء الحزب الجمهورى الى الحكم ، وبين اتباع سياسات « انكماش » اقتصادى [فترة رياسة **هوفر** ، والفترة الثانية من حكم **ايزنهاور**] . وذلك ، على خلاف الحزب الديموقراطى الذى يتبع عادة سياسة «توسع». ولذا فقد ساد الاعتقاد ، بان نيكسون ابتغاء القضاء على التضخم ، سيتبع سياسة اقتصادية اكثر تقشفا تؤدى الى نوع من الانكماش ، ولكن ذلك كان موضع تكذيب المحيطين بنيكسون. ويرى عديد من المراقبين الاقتصاديين ، انه من السابق لاوانه الحكم على سياسة نيكسون الاقتصادية، وان كان مستشاروه وخبراؤه يؤمنون انه سيدفع الى الامام بقضية مواجهة التضخم ،وسيعمل على ضمان توسع اقتصادى متوازن وقوى للبلاد ، مع تحسين الميزان التجارى ،والدفاع عن الدولار، على اساس ان يكون الهدف الرئيسى فى سياسته الاقتصادية ، التوسع مع الثبات فى الاسعار .

وعلى اية حال ، فان نجاح ريتشارد نيكسون، كان نتيجة حتمية لثمانى سنوات من الفشل المتوالى لحكومة الديموقراطيين ،سواء فى داخل الولايات المتحدة او فى خارجها . فهناك فشل مشروع « المجتمع العظيم » ، واهتزاز وضع الدولار ، وازدياد خطر التضخم ، وانهيار القانون والنظام ، وانفجار ثورات الزنوج ، بالاضافة الى اغتيال رئيس امريكى ، ومرشح للرئاسة ، وزعيم للزنوج الخ خلال حكم الديموقراطيين . فاذا كان ريتشارد نيكسون قد استفاد من ذلك كله ليحقق لنفسه النصر بزيادة عددية ضئيلة عن خصمه الديمقراطى ، فقد اوضحت صحيفة « **نهان دان** » الفيتنامية الشمالية فى ٩ نوفمبر الماضى ، حقيقة هامة وهى انه اذا كان نيكسون قد كسب الانتخابات ... « فليس ذلك ، لانه او الحزب الجمهورى يتمتع بثقة الشعب الامريكى ، ولكن لان الشعب الامريكى تعب من حكم الحزب الديمقراطى » ، ولم يجد وسيلة للاعراب عن موقفه ، الا بالتصويت لمرشح الرئاسة غير الديموقراطى » .

إيطاليا

هل يعود « يسار الوسط »

لم يتكشف بعد — حتى كتابة هذا التقرير — مخرج واضح من ازمة الحكم الايطالية ، التى تفجرت بصورة ظاهرة بعد استقالة حكومة «**جيوفانى ليونى**» التى كانت تعتمد على الحزب الديموقراطى المسيحى وحده . وفاقم من تعقيد هذه الازمة ، وتعقيد الجو السياسى العام فى ايطاليا ، اتساع نطاق اضرابات الطلبة واضرابات العمال التى شملت العاصمة والمدن الكبرى ، واصابت قطاعات كبرى من الحياة فيها ، بالشلل التام. كما جاءت استقالة **ماريانو رومور** من زعامة الحزب الديموقراطى المسيحى لتزيد من حالة الارتباك والتعقيد فى الموقف ، خاصة وان اسمه يتصدر قائمة المرشحين لتولى الحكومة المقبلة ، كذلك خلق **الدو مورو** وهو من كبار زعماء هذا الحزب ، تصدعا ملموسا فى صفوفه ، بخروجه من صفوف الاغلبية فى الحزب ، واتخاذه «موقف مستقل» من سياسته واعادته النظر فى موقفه من الحزب الاشتراكى .

والحقيقة ان ازمة الحكم الايطالية ، تعود من الوجهة السياسية الى عدم وجود حكومة قوية تستند الى اغلبية برلمانية واضحة . ذلك ان الاغلبية البرلمانية التى ضمنت استمرار حكم ائتلاف « يسار الوسط » منذ ١٩٦٣ حتى مايو الماضى، كانت تقوم فى الاساس على قوتى الحزبين المؤتلفين ، وهما : الديموقراطى المسيحى ، والاشتراكى . فلما تدهورت قوة الاشتراكيين الى حد كبير فى انتخابات مايو الماضى التى فقدوا فيها ١/٤ الاصوات المؤيدة لهم ،بسبب اشتراكهم فى حكومة لم تنفذ شيئا من الاصلاحات التى وعدت بها، ولما تدهورت قوتهم على هذا النحو، خرجوا من الحكومة الائتلافية ، وانفرط عقد الائتلاف . وافسح حكم ائتلاف «يسار الوسط» المعتمد على اغلبية برلمانية، مكانه، لحكم الحزب الديموقراطى المسيحى المنفرد برياسة «جيوفانى ليونى» المعتمد فحسب على اقلية برلمانية ، ولم يكن ذلك بالطبع، طريق الاستقرار السياسى لبلد بلغ عدد احزابه ٧٣ حزبا سياسيا .

ولقد كان من الممكن الوصول الى حل للازمة بعودة «الائتلاف» ، لو ان الاشتراكيين استغلوا فترة حكم «جيوفانى ليونى» منذ مايو الماضى لتقوية صفوفهم ودعم وحدتهم . الا ان ذلك لم يكن بالعمل السهل اطلاقا عليهم لان مؤيديهم وجدوا ان اشتراك الحزب الاشتراكى فى الحكم مع الديموقراطى




الدو مــورو — جيوفاني ليوني

المسيحي لم يترتب عليه اي من الاصلاحات التي يضعها الحزب في مقدمة برامجه ، ومن ثم استمر الانفضاض من حول الاشتراكيين ، وازداد تدهور موقفهم باضطراد واتضح ذلك اخيرا في الانتخابات المحلية للمجالس البلدية . وزاد من تفاقم مشكلة الحزب الاشتراكي ، ان تدهور وضعه بين الناخبين ، لم يؤد ــ كما كان يتوقع عــديد من المــراقبين السياسيين ــ الى وحدة القيادات الحزبية لمواجهة خطر تدهور الوضع العام للحزب ، بل انه على العكس ــ ادى الى مزيد من الفرقة والتفكك ، ففي مؤتمر الحزب الاشتراكي الاخير في اكتوبر الماضي ، لم تتوصل الاجنحة الخمسة المتنافسة داخلــه الى وحدة في الراي بشأن القضايا الهامة بالنسبة لمستقبل الحزب ، وعلى راسها مسألة عــودة الاشتراكيين الى ائتلاف «يسار الوسط» مــع الديموقراطيين المسيحيين والجمهوريين ، مثل « بيترو نيني » [اخطر زعماء الحــزب ، والذي يحتل انصاره ٤٣ مقعدا من مقاعد اللجنة المركزية الـ ١٢١] قد فقدت تأثيرها التوحيــدي ، وقد اشارت « لوسوار » البلجيكية الى انه حتى لم يتدخل في المناقشات وواجه ايضا انتقــادات مباشرة من خصومه . كذلك فمما يعقد من وضع الحزب ، ان « مارتينو » الذي يعتبر الشخصية الثانية في الحزب [ويحتل انصاره ٣٩ مقعدا من مقاعد اللجنة المركزية] والذي يتزعم الاتجــاه التوحيدي في الحزب ، ويتسم بالتشدد اكثر من نيني فيما يتعلق بشروط « الائتلاف » مع الحزب الديموقراطي المسيحي ، مما يعقــد من وضع الحزب ، ان لواء الزعامة الحزبية لم ينتقل تماما الى ايدي « مارتينو » .

وقد اسفرت الانتخــابات المحلية للمجــالس البلدية التي اجريت اخيرا عن تزايد قوة الشيوعيين الذين كشفوا عن فضائح جهــاز المخــابرات الايطالي ، وفضحوا قصور الحكومة وتقاعسها في تنفيذ الاصلاحات التي اصبحت الحاجة اليها ملحة تماما . كذلك فمما ساهم في تدعيم قوتهم اخيرا ، التصريحات السمحة للبابا **بولس السادس** ازاءهم ، والتي تفتح ــ حسبما يعتقدون ــ طريق التعاون بين الكاثوليك والشيوعيين . ولعــل من اخطر المظاهر في الحياة السياسية الايطالية الراهنة ، المرض الذي تقدم به الشــيوعيون للرئيس الايطالي **جوسيبي ساراجات** للاشتراك في الحكم . خاصة وقد اشار عديد من المراقبين الغربيين الى حقيقة أن انصار « **لويجي لونجو** » الزعيم الشيوعي الايطالي ، اخذوا يتحــدثون بشدة عن امكانية « قيام ائتلاف شيوعي كاثوليكي يحل محل « يسار الوسط » ، ويعتمد على اغلبية برلمانية ، ويفتح الطريق امام اصلاحات جذرية في المجتمع الايطالي .

فاذا كان من الواضح ان الديمـــوقراطيين المسيحيين يرفضون مثل هذا الائتلاف الحكومي مع الشيوعيين ، بحكم المصالح الراسمالية والمالية التي يمثلها الحزب الديمقراطي المسيحي من ناحية ، فان مسألة اشتراك الشيوعيين في الحكم في ايطاليا العضو في حلف شمال الاطلنطي ليست قط من السهولة بمكان من ناحية اخرى . واذا كانت قوة الشــيوعيين تتصــاعد باضطــراد وباستمرار ، فليس هناك من مجال امام اليمين الايطالي عامة ، سوى محاولة توحيد قواه تحت اي شكل قد يكون جديدا وهذا احتمال مطروح ، او العودة مرة اخرى الى ائتلاف «يسار الوسط» رغم الصعوبات القائمة . ومع ذلك فامكانيــة هذه العودة ، من الممكن توفيرها برغم تعقــد الموقف الحالي ، لان الحزب الاشتراكي يمكن ان يجد فيها حمــاية له من التــدهور المســتمر ، والديموقراطي المسيحي سيجد فيها سبيلا للافلات من اي مساومات اضطرارية خطرة مع الشيوعيين ، والحزب الجمهوري سيجد فيها فرصة للمشاركة في الحكم . وعلى اية حال ، فلم تبدأ بعد ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ مشاورات الرئيس الايطالي **جوسيبي ساراجات** لاختيار رئيس جديد للوزارة ، التي يتصدر قائمة المرشحين لها ، كل من **ماريانو رومور** السكرتير العــام المســتقيل للحــزب الديموقراطي المسيحي ، **واميليو كولومبو** وزير الخزانة ، ومن كبار رجال هذا الحزب ايضا .

■

المــانيا الغربية

«الى موسكو ... بالبريد الجوي»؟!

لم تنشر الصحف الاوربية الغربية ، اي أنباء تفصيلية عن تطور العلاقات بين الاجنحة المختلفة داخل حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي في المانيا الغربية ، بمناسبة انعقاد مؤتمره السادس

عشر . ولم تعرف بالضبط طبيعة المواقف التي اتخذتها « المجموعة البافارية » التي يقودها « **فرانز جوزيف شتراوس** » وزير المالية ، وهي مجموعة الاتحاد المسيحي الاجتماعي ، او تلك التي اتخذتها مجموعة «المجلس الاقتصادي» التي تمثل أصحاب الاعمال ، أو مجموعة « اتحاد الشباب » التي تضم شباب الحزب ، أو مجموعة « اللجان الاجتماعية » التي تمثل العمال ، والتي تحظى بمساندة متبادلة مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني الغربي .

وكل مانشرته « الموند » الفرنسية في ٧نوفمبر الماضي عن قرارات هذا المؤتمر ، انه « يأمل في خلق ولايات متحدة أوربية لها دستورها الديمقراطي والليبرالي ، وسياستها الخارجية والدفاعية ، وبرلمانها المنتخب انتخابا مباشرا » وذلك كطريق لتأكيد «الوجود الاوربي بين القوتين الكبيرتين » وانه « ينبغي أن يلعب التعاون الفرنسي ـــ الالماني دورا كبير الاهمية في الوحدة الاوربية » . على أن أحد الاتجاهات التي لاحظها المراقبون السياسيون في هذا المؤتمر ، ماأشار اليه **رينير بارزل** زعيم المجموعة البرلمانية للحزب في البوندستاج ، من أن الحزب المسيحي لن يكون بينه وبين الحزب الاشتراكي الديمقراطي أي « تحالف كبير » بعد انتخابات ١٩٦٩ . وقد أكد بارزل على ضرورة التضامن بين العالم الغربي عقب دخول قوات حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا ، ودعا الى استمرار المانيا الغربية في حالة من اليقظة بالنسبة لامنها ، مع « متابعة سياسة اليد الممتدة الى الشرق » . الا أن حكومة المانيا الديمقراطية ، أصدرت احتجاجا على انعقاد المؤتمر في برلين الغربية ، ذلك العمل الذي لايهدف الا الى تعميق التوتر واعتبرته استفزازا من بون ، في منطقة برلين الغربية ذات الكيان السياسي المستقل ، والواقعة وسط أراضي جمهورية المانيا الديمقراطية .

ومما هو جدير بالذكر أن اشتباكات عنيفة وقعت بين مئات من الطلبة اليساريين ، ورجال البوليس قبيل ساعات من افتتاح المؤتمر . كذلك فمن الانباء التي نالت اهتماما ملحوظا من الصحافة الغربية ، قيام سيدة « **بيت كلارسفلد** » « ٢٩ عاما » وصفت بانها مناضلة المانية قديمة ضد النازي ، بصفع المستشار الالماني كيسنجر داخل المؤتمر ، وذلك « للفت انظار الشباب الالماني لماضيه النازي » ، حسبما أوضحت ، حكم عليها بالسجن لمدة عام . وكانت هذه السيدة تعمل في هيئة الشباب الالماني ـــ الفرنسي في باريس وفصلت منذ عامين بسبب وصفها لكيسنجر بالنازية ، وقد ربطتها العناصر الصحفية المحيطة بالمستشار الالماني ، بالجناح الطلابي اليساري الراديكالي في جامعات برلين الغربية .

ومن ناحية اخرى ، فقد أثارت حوادث الانتحار والتجسس الاخيرة في المانيا الغربية ، قلقا عميقا في الاوساط العسكرية لحلف الاطلنطي ، واصبحت الاتهامات توجه صراحة الان الى موظفي الامن الالمان الغربيين في حلف الاطلنطي ، وقد تأكد لسلطات المانيا الغربية اخيرا ، أن أحد الطيارين المقاتلين الالمان الغربيين قد سرق ـــ بمساعدة آخرين ـــ صاروخا من طراز « سايدويندر » الامريكي الصنع وأرسله الى الاتحاد السوفيتي كطرد بالبريد الجوي العادي ، تكاليف طوابعه ٧٥ دولارا. كذلك ظهر لهذه السلطات ايضا ان ثلاثتهم حاولوا سرقة جهاز ملاحي يستخدم في الطائرات النفاثة من طراز « **ستار فايتر ف ١٠٤** » . وقد اثار القلق الشديد لدى العسكريين خاصة وساسة الغرب الاوربيين عامة احتمال تسرب معلومات هامة عن الاستراتيجية العسكرية لحلف الاطلنطي الى السوفيت ، مماترتب عليه ضرورة اجراء تغييرات كبيرة في الاستراتيجية الغربية وخطط الحلف ، خاصة وأن من المنتحرين شخصيات بالغة الخطورة مثل الاميرال **لودكة** رئيس ادارة الامدادات والذخيرة ، للحلف ، **وهورست فندلند** الرجل الثاني مباشرة ، في مخابرات المانيا الغربية .

وعلى اية حال فقد خلقت فضيحة التجسس التي يعدها بعض المراقبين أكبر فضيحة يشهدها العالم الغربي منذ الحرب العالمية الثانية ، احراجا كبيرا للمسئولين الالمان الغربيين ، الذين يطالبون بالحاح ومنذ سنوات ، بمسئوليات أخطر وأكبر لرجالهم في قيادة الحلف والدفاع عن العالم الغربي كما أحدثت اهتزازا في ثقة الحلفاء الغربيين نحو الالمان الغربيين الذين يشغل عددا كبيرا من رجالهم مناصب قيادية ورئيسية في الحلف . ويفسر ذلك اتجاه التهوين من احداث التجسس الاخيرة ، والتقليل من اهمية الصاروخ المسروق ، من جانب بعض الدوائر الصحفية الالمانية الغربية والاوربية ، التي تحاول دعم موقف المسئولين الالمان. وقد أوضحت وكالة انباء المانيا الديمقراطية اخيرا ، انه يجري في بون ، اتخاذ تدابير معينة لمركزة عمل أجهزة المخابرات السرية الالمانية الغربية ، ومنحها مزيدا من الحقوق والسلطات في اطار قوانين الطوارىء بألمانيا الغربية ، والاسراع بعملية التنسيق بين جميع اجهزة التجسس والتخابر ، كما أوضحت أن أجهزة المخابرات السرية ستندمج فيما يسمى « بالجهاز الفيدرالي لمحاربة التجسس » ، وهو جهاز سيعمل على صورة مشابهة « لوزارة أمن » ، وذلك كمحاولة لتجنب أمثال فضائح التجسس الاخيرة في المانيا الغربية .●

بولندا

أول مؤتمر حزبي شيوعي بعد أحداث تشيكوسلوفاكيا

انعقد المؤتمر الخامس لحزب العمال الموحد البولندى من ١١ الى ١٥ نوفمبر الماضى . ويكتسب هذا المؤتمر للحزب البولندى بالذات اهمية خاصة ، لانه يأتى ليحسم تطورات داخلية فى بولندا ، برزت الى السطح ، ووجدت ابرز تعبير عنها فى الاضطرابات التى فجرها بعض المثقفين والطلبة فى مارس من هذا العام ، وهى احداث لا تنفصل عن الموقف الحاسم الذى وقفته بولندا مع دول حلف وارسو الاخرى من عدوان اسرائيل ضد البلدان العربية فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ . وكذلك لان هذا المؤتمر يجمع لاول مرة ، بعد احداث تشيكوسلوفاكيا اقطابا يمثلون احزابا شيوعية ، اتخذت مواقف متعارضة من هذه القضية ، واذا صح انه لم يدع للمؤتمر ممثلون للحزب اليوجوسلافى والصينى والالبانى ، الا انه يضم فى قائمة المدعوين قادة الاحزاب الشيوعية الاوربية ، وعلى راسها الحزبين الفرنسى ، والايطالى ، وهى احزاب عارضت فى اغلبها دخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا ، وترتب على هذه الازمة تأجيل موعد انعقاد مؤتمر الاحزاب الشيوعية ، الذى كان من المزمع عقده فى ٢٥ نوفمبر ، بهدف استكشاف الوسائل الكفيلة بتذليل العقبات التى حالت منذ سنوات دون تأكيد وحدة الحركة الشيوعية العالمية .

وقد كشفت احداث مارس فى بولندا ، كما كشفت التطورات داخل تشيكوسلوفاكيا عن تسرب نفوذ صهيونى بدرجات متفاوتة الى بعض الدول الاشتراكية الاوربية ، اسهم فى تفتيت تماسك القوى الاشتراكية فى وجه المخططات الجديدة للاستعمار . وقد اتخذت القيادة البولندية موقفا حاسما من العناصر الراجعة والصهيونية ، بمجرد ان طلت براسها ، على عكس ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا . وليس صدفة ان اول مندوب فى المؤتمر صعد الى المنصة بعد جومولكا هو سكرتير تنظيم الحزب فى منطقة سيليسيا الصناعية ، ليؤكد مبادرة العمال ودورهم الطليعى فى تصفية هذه العناصر بعد اضطرابات مارس .

ولاول مرة فى مؤتمر الحزب البولندى ، صدر تصريح على لسان مسئول سوفيتى فى اهمية بريجينيف ؟ يقيم فيه دخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا ، ويشخص العملية بأنها كانت « خطوة استثنائية حتمتها ضرورة معينة ، ويمكن ان تتخذ فقط فى حالة واحدة ، هى قيام اعداء الاشتراكية بنشاط مباشر داخل دولة اشتراكية وخارجها ، بما يهدد المصالح المشتركة للمعسكر الاشتراكى » . ولكن بعد زوال الخطر عن تشيكوسلوفاكيا ، وعقد المعاهدة الاخيرة المنظمة لانسحاب القوات ، باستثناء بعض الوحدات المرابطة فى وجه المانيا الغربية ، اكد بريجينيف ضرورة العمل من اجل الاسراع بعقد مؤتمر الاحزاب الشيوعية ، لتذليل الخلافات القائمة .

وقد تقرر بالفعل عقد المؤتمر فى ٩ مايو القادم .

واطلق بريجينيف هذا النداء فى وقت تقرر التعجيل بعقد اجتماع للكوميكون فى نهاية نوفمبر او بداية ديسمبر ، لتدعيم التعاون الاقتصادى والتكنولوجى بين الدول الاشتراكية ، وبخاصة لمواجهة الصعاب التى يعانيها الاقتصاد التشيكوسلوفاكى بالذات . وينتظر حضور رومانيا هذا الاجتماع .

وانعقد مؤتمر الحزب البولندى فى وقت تجرى فيه الجمعية البرلمانية لدول حلف الاطلنطى دورتها فى بروكسل لبحث وسائل الدفاع ، وتقوية امن أوربا الغربية ، بعد ان اثبت حلف وارسو كفاءة عسكرية ملفتة للانظار فى احداث تشيكوسلوفاكيا .. وفى وقت تبذل فيه جهود كبيرة لازالة الخلافات التى نشأت داخل الحركة الشيوعية بسببها .

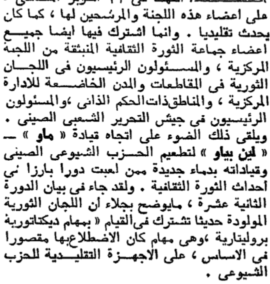
ومن هذه الزاوية ، يبرز مؤتمر الحزب البولندى بوصفه المجال الذى التقت فيه القوى الاشتراكية العالمية لاعلان تحديدها للوضع الدولى الراهن فى مواجهة التحديد الذى وضعه الغرب .

ولم يأت المؤتمر بتغييرات كبيرة فى ابرز قادة الحزب ، وان احدث تغييرا عميقا فى التركيب النوعى للهيكل القيادى ، بتطهير المراكز القيادية الحساسة من العناصر التى جنحت الى خط انتهازى فى وجه عمليات التطهير التى استدعتها احداث مارس ، وما كانت تنطوى عليه من دلالات واحتمالات ، او العناصر التى ابدت ميولا ذات طابع صهيونى مفتت للتماسك الاشتراكى والتعبئة القومية ، وغذت الهيئات القيادية بموجة من العناصر الشابة الجديدة ، هى من صنع المجتمع الاشتراكى بمشاكله وآماله ، فى عصر تكتسب زيادة انتاجيته العمل ، وملاحقة انجازات التكنولوجيا ، اهمية لا تقل عن وضوح الرؤية الايديولوجية والروح النضالية الاشتراكية .

الصين الشعبية

أبعاد ليوشاوشي والتمهيد لعقد المؤتمر التاسع للحزب

لم يقتصر الاشتراك فى الدورة الكاملة الثانية عشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، والتى انتهت فى ٣١ اكتوبر الماضى ، على اعضاء هذه اللجنة والمرشحين لها ، كما كان يحدث تقليديا . وانما اشترك فيها ايضا جميع اعضاء جماعة الثورة الثقافية المنبثقة من اللجنة المركزية ، والمسئولون الرئيسيون فى اللجان الثورية فى المقاطعات والمدن الخاضعة للادارة المركزية ، والمناطق ذات الحكم الذاتى ، والمسئولون الرئيسيون فى جيش التحرير الشعبى الصينى . ويلقى ذلك الضوء على اتجاه قيادة « **ماو** » — « **لين بياو** » لتطعيم الحزب الشيوعى الصينى وقياداته بدماء جديدة ممن لعبت دورا بارزا فى أحداث الثورة الثقافية . ولقد جاء فى بيان الدورة الثانية عشرة ، مايوضح بجلاء ان اللجان الثورية المولودة حديثا تشترك فى القيام « بمهام ديكتاتورية بروليتارية » ، وهى مهام كان الاضطلاع بها مقصورا فى الاساس ، على الاجهزة التقليدية للحزب الشيوعى .



واوضح البيان الدور الشخصى « **لماوتسى تونج** » فى قيادة الثورة الثقافية ، واكد انه « يفضل خط **ماو — لين بياو** ، وتعبئة مئات الملايين من جماهير الشعب على نحو عميق واسع النطاق « لم يسبق له مثيل » ، « ويفضل تأييد جيش التحرير الشعبى الصينى » ، فقد « نسف فى النهاية مقر القيادة البرجوازية المتمثلة فى **ليوشاوشي** التى كانت تحاول عبثا اغتصاب قيادة الحزب والحكومة والجيش ، وكذلك عملاؤه فى مختلف انحاء البلاد ، واسترجعته منهم تلك السلطة التى اغتصبوها » واوضح ، ان الثورة الثقافية « قد أحرزت انتصارا عظيما وحاسما » ، وانه قد تهيأت الشروط الايديولوجية والسياسية والتنظيمية لعقد المؤتمر الوطنى التاسع للحزب . وقررت الدورة انعقاده « فى وقت مناسب » ولكنها لم تحدد هذا الوقت بعد . وصادقت اللجنة المركزية ايضا على تقرير تحقيقى عما يسمى بجرائم «ليوشاوشي »» ، ووصفته بانه «القابض على زمام السلطة الذى يسلك الطريق الرأسمالى ، والمرتد ووكيل العدو ، وخائن العمال المختبىء فى داخل الحزب ، وعميل الامبريالية والتحريفية المعاصرة ، ورجعى الكومنتانج ، الذى ارتكب جرائم كبرى ». وقد أقرت الدورة الثانية عشرة بالاجماع « قرارا يقضى بأبعاد « **ليوشاوشي** » عن الحزب الى الابد»



ماوتسى تونج — **ليوتشاوشى**

وتجريده من كل مناصبه فى داخل الحزب وخارجه ومواصلة تصفية الحساب مع « **ليوشاوشى** » وشركائه لجرائمهم فى خيانة الحزب والدولة » . ويلاحظ أن البيان فى مطالبته للجماهير بتصفية الافكار المعادية للثورة قد خص بالذكر ، كبار الحزبيين القابضين على زمام السلطة والذين يسلكون الطريق الراسمالى » والذين قاموا بترويج هذه الافكار مما يوضح طابع الثورة الثقافية الموجه ضد بعض كبار القادة السابقين للحزب الشيوعى نفسه .

وتوضح اشارة البيان الى مايسمى « بتيار فبراير المضاد » فى عام ١٩٦٧ ، الذى عارض قرارات الدورة الحادية عشرة ، والثورة الثقافية ، وزعامة ماو ولين بياو ، واشارته « الى دحر تلك الروح الشريرة التى هبت فى ربيع هذا العام بغية الغاء الاحكام الصحيحة المتخذة ضد تيار فبراير المضاد » أن المعارضة ضد خط ماو — ولين بياو ، وضد الثورة الثقافية ، كانت لاتزال تبذل جهودها حتى ربيع ١٩٦٨ ، مما يلقى الضوء على طبيعة العملية الصعبة المعقدة ، التى استهدفت بتصفية فكر ونفوذ ليوشاوشي ومجموعته . كذلك فمما يلقى الضوء على الاوضاع السياسية فى الصين الشعبية قبل الثورة الثقافية : دعوة البيان « لكل الحزب ، وكل الجيش واللجان الثورية » الى « انتقاد ودحض نظرية » « المراكز المتعددة » « البرجوازية الرجعية » ، وهى تعبير آخر عن نظرية « مراكز القوى » السياسية فى حياة المجتمع الصينى .

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن البيان قد دعى فيما يتعلق بانجاز « المهمة التاريخية العظيمة لثورة التعليم البروليتارية » الى وجوب ادارة المدارس فى الارياف من قبل « **الفلاحين الفقراء وصغار الفلاحين المتوسطين** ، الذين هم أعظم حليف يعتمد عليه للطبقة العاملة » باعتبار ذلك « **مسالة حاسمة للمضى بالثورة الثقافية حتى النهاية** » ، كما طالب « بدفع الانتاج والاعمال الاخرى ، **والاستعدادات للحرب** » ذلك ان اللجنة

المركزية كانت قد اتخذت قرارا فى أواخر ١٩٦٥ بوضع البلاد « على اهبة الاستعداد للحرب مع الامبريالية الامريكية على ارفع المستويات » ، لان « صدامنا مع أمريكا بات وشيكا » . وقد اختتمت الدورة الكاملة الثانية عشرة بيانها ، بتوضيح أن الوضع الذى يسود داخل البلاد وخارجها «ممتاز جدا » ، وأن انعقاد الدورة الكاملة ، هو « اجتماع تعبئة لانتزاع النصر الكامل الشامل للثورة الثقافية ، اجتماع تحققت فيه وحدة منقطعة النظير لكل الحزب » تحت قيادة **ماو — لين بياو** .

■

كوريا الشمالية

اليابان ، والامبرياليون والمرتدون والاشــقاء الطبقيــون

لاتزال مشكلة سفينة التجسس الامريكية « بويبـلو » معلقـة بيـن كوريا الشـمالية والولايات المتحـدة الامريكية ، بسـبب رفض الاخيرة — حتى كتابة هذا التقرير — الاعتـذار للكوريين الشماليين عن الحـادث . وكان قائد وضـباط وبحـارة السـفينة الامريكية ، قـد قدموا أخيرا التماسا الى الحكومة الكورية اعترفوا فيه بجريمة التجسس ، وناشدوها الافراج عنهم . وأدانوا فى التماسهم « الجهـات التى حركتهم نحو هـذه الجريمة » ، وعبروا عن « اعتراضهم على رفض هذه الجهات تحمل مسئوليتها ، والذى عاد عليهم بالضرر » .

وقد حظت الاستراتيجية العدوانيـة للولايات المتحدة الامريكية ووسـائل مقـاومتها ، باهتمام واضح من الرئيس الكورى الشمالى **كيم ايل سونج** فى تقريره الذى قدمه بمناسـبة العيد العشرين لتأسيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية . وقد أشار فى تقريره الى ان الامبرياليين الامريكيين يستخدمون المعونات الاقتصادية « كطعم » للتدخل فى الشئون الداخلية للدول المستقلة الجديدة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لرشوة وتجميع الرجعيين ، وتدبير انقلابات عسـكرية رجعية ، بهدف تحويل هذه الدول الى اليمين ، وفصـلها من الجبهة المعادية للامبرياليـة واحـدة بعـد الاخرى . وقد وضع استراتيجية مضادة للخطـة الامريكية تلتقى الى حد كبير مع الاستراتيجية التى نادى بها من قبل الزعيم الثورى الكوبى **ارنستو جيفارا** ، فى رسالته الى شعوب العالم . اذ دعا كيم ايل سونج الى « اطلاق العنان للنضـال ضد الولايات المتحدة بكل قوة فى جميع اجزاء العالم » ، لتشتيت وتصـفية قوة الامبرياليين الامريكيين .

وفى دراسته لاستراتيجية العـدوان الامريكى ، اوضح ان الامبرياليين الامريـكيين يوجهون رأس رمحهم العدوانى الى **آسيا** بشـكل خاص ، وان **العسكرية اليابانية** ، تقوم بدور خاص فى خدمة المخطط الامريكى ، باعتبارها « فصيلة الصدام » فى « العدوان الاسيوى » ، ودعا الى عدم اغفال النضال ضد العسكرية اليابانية . ولكنه اوضـح حقيقة ، « ان الدول الاشـتراكية يمكن ان تكون لها علاقات اقتصادية مع اليابان ، او تسـتفيد من التناقضـات بين الولايات المتحـدة واليابان لمصلحة النضال المعـادى للامبريالية » ، ولكنه حذر الدول الاشتراكية من ان « تذيب النضـال ضد العسكرية اليابانية فى مثل هذه الاشياء ، او ان تضعف النضـال من اجل سبب كهـذا » .

وطالب كيم ايل سونج بتحرير كوريا الجنوبية من الامبرياليين الامـريكيين ، واعلن اسـتعداده لمساندة الشعب هناك فى نضاله ، ولتحقيق وحدة الوطن الكورى .

وفيمـا يتعلق بالتطويرات الجـارية فى بعض بلدان شرق اوربا ، ومحاولات استغلالها لتقويض النظم الاشتراكية هناك ، اشار **كيم ايل سـونج** الى « ان الامبرياليين الغـربيين والمرتـدين عن الثورة ، يطلقون صيحات عاليـة ، ويهللون فى صخب حول مايسمى « بالتطور الديمقراطى » ، و « تعميم الليبرالية » ، ويستخدم هذا الضجيج فى بعض الدول الاشـتراكية فى وصـف هـذه الاشياء بأنها « عملية مشروعة » لتطوير المجتمع الاشتراكى ، وعلى انها « رياح جديدة فى اوربا الشرقية تحمل معها الامال للعالم الغربى » . الخ .. [والكلام هنا لكيم ايل سونج] .. انها فى التحليل النهائى مناورة حمقاء من جانب الامبرياليين والمرتدين عن الثـورة للاعتـداء على المكاسب الاشتراكية ، وفتح الطريق امام اعادة الراسمالية الى داخـل الدول الاشـتراكية ، ولذا يجب ان نضاعف يقظتنا ازاء مكائد ومناورات الامبرياليين التى تسـتهدف تخريب الدول الاشـتراكية من الداخل » .

وقد اشار الزعيم الكورى الشمالى اشارة لها اهميتها بالنسبة لبعض الدول التى ترفع « راية العداء للامبريالية » ، و « النضال ضد الامبريالية الامريكية » ، فأوضح « ان الامبرياليين يستهدفون عن طريق توسـيع نطاق التسـلل الايديولوجى والثقـافى ، تفـكيك الدول التى لا تريد أن تقوم بالثورة بطريقة ايجـابية ، من الداخل ، وترويج الاوهام حول الامبريالية وسط الشعب ، والاصرار فقط على مساومة غير مبدئية مع الامبريالية » .

وبالنسـبة للخـلاف العقـائدى داخـل الحركة

الشيوعية العالمية ، اوضح ان الاحزاب والدول الشقيقة . ورفاق السلاح الطبقيين ، يجب الا يكون بينهم عداء مستحكم وخصام. «فالشيوعيون يجب ان يكونوا قادرين دائما على التمييز بين الاشقاء الطبقيين ، والاعداء الطبقيين . ويجب الا يتخلوا عن الموقف الطبقي في اى ظرف من الظروف » .

وقد اوضح كيم ايل سونج في تقريره ، ان الانتاج الصناعي في كوريا الشمالية ، قد زاد في عام ١٩٦٧ ، بمقدار ٢٢ مرة عما كان عليه في سنة ١٩٤٨ . كما زاد الانتاج الاجمالي للصناعة الهندسية بمقدار ١٠٠ مرة عما كان عليه في نفس المدة السابقة ايضا . وزاد انتاج الحبوب بمقدار ٢ر٧ مرة ، غير الزيادة الضخمة في الخضروات والفواكه والمنتجات الحيوانية ، بحيث توصلت كوريا الشمالية الى مجرد تحقيق اكتفاء ذاتي في الحبوب الغذائية ، وانما الى توفير احتياطي كبير منها ايضا ، كما اشار الى التقدم الضخم في مجال التعليم والثقافة (٢٫٦٩٠٫٠٠٠ طالب) ، اى ١/٢ السكان يتلقى تعليما مجانيا ، بالاضافة الى ٤٢٥٫٧٠٠ مهندس ومساعد مهندس واخصائي اى بزيادة قدرها ١٩ مرة عن عام ١٩٥٣ . كما اوضح ان نصيب الفرد من الدخل القومي في سنة ١٩٦٧ زاد بمقدار ٩ مرات عما كان عليه في سنة ١٩٤٦ ، وطالب بضرورة اعطاء اولوية جاسمة لصناعات الطاقة الكهربائية والتعدين، « حتى يمكن استكمال كهربة الريف حتى عام ١٩٧٠ » ، واوضح ان انجاز خطة السنوات السبع سيكون حدثا تاريخيا بالنسبة لتطوير ودعم النظام الاشتراكي ، لان كوريا الشمالية ستتحول بموجبه من دولة صناعية زراعية الى دولة اشتراكية صناعية متقدمة

رسالة من المكسيك

الصراع الرياضي الدولي لعام ١٩٦٨

نجيب المستكاوي

الحديث عن دورة المكسيك يقتضي تعريفا سريعا بنشأة الالعاب الاولمبية وماهيتها، وبأهداف الحركة الاولمبية بوصفها لقاء القمة بين ابطال النشاطات الرياضية المدرجة في برنامج الدورات الحديثة .

نشأت الالعاب الاولمبية القديمة في بلاد الاغريق نشأة اسطورية في عام ٧٧٦ قبل الميلاد ، وكانت تقام كل ٤ سنوات في ساحة جبل اوليمب المقدس ، وفي رحاب زيوس رب الارباب في الميتولوجيا اليونانية . وخلال هذه الالعاب كانت تعقد هدنة مقدسة تتوقف خلالها الحروب والنزعات ، ويرتفع لواء السلام ،وتقام حفلات دينية وثقافية وفنية ، وفي هذا الجو كان لابد ان يتسامى الانسان الى آفاق التفاهم والوئام .

وقد ظلت الالعاب القديمة عبارة عن سباق واحد لمسافة ٢٠٠ ياردة مدة ١٣ دورة اوليمبية، أي ٥٢ سنة ، ثم اضيف اليها سباق ٨٠٠ ياردة، وفي الدورة التالية ــ الخامسة عشرة ــ اضيف سباق لمسافة ميلين ونصف ميل اى زهاء ٣ آلاف متر . واستمرت الاضافات بعد ذلك فشملت رمى الرمح والوثب الطويل وغيرها ، وكلها من مسابقات العاب القوى ، ثم اضيفت تباعا الملاكمة والفروسية والمصارعة . ونتيجة لهذه الاضافات امتد البرنامج الاوليمبي فاصبح خمسة ايام بدلا من يوم واحد ، يعقبها يومان للحفلات الدينية .

ورغم اقتصار هذه الالعاب على الاغريق فان شهرتها طبقت الافاق في العصور القديمة ، وهرع اليها ــ للمشاهدة ــ عشاق الرياضة من دول البحر الابيض المتوسط ، التي انتقلت اليها الرياضة من مهدها الاول : مصر .

الالعاب الحديثة

ولندع التاريخ والاساطير لنرى كيف نشأت الالعاب الاوليمبية الحديثة .

بايجاز شديد فان حفائر الاثريين الفرنسيين والالمان في عام ١٨٢٩ وما بعده ادت الى اكتشاف

اوليمب ، والى نشوء فكرة احياء الالعاب الاوليمبية ، وقد راودت الكثيرين ، ولكن الدور الايجابى الذى قام به **البارون دى كوبرتان** الفرنسى هو الذى جعله صاحب الفضل فى بعث الحركة الاوليمبية بعد عدةمؤتمرات ومفاوضات، لاقت الترحيب والتوفيق على كل حال ، وانتهت الى اقامة الدورة الاوليمبية الحديثة الاولى عام ١٨٩٦ فى اثينا . ومنذ ذلك التاريخ تقام الدورات فى نهاية كل اوليمبياد — اى فى نهاية فاصل الاربع سنوات ، الذى يفصل بين كل دورة واخرى ، وبهذا فان دورة المكسيك هى الدورة التاسعة عشرة ، ولان الدورات لم تقم فى سنوات ١٩١٦ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤٤ بسبب الحروب، فقد يتسائل البعض كيف بلغنا الدورة رقم ١٩ اذن ؟ ذلك ان الدورة تأخذ رقمها العادى حتى لو حالت الظروف دون اقامتها فى الموعد المحدد .

اهداف الحركة الاوليمبية

وعلى غرار الدورات القديمة اذن نظمت الدورات الاوليمبية الحديثة ، محتفظة بنظامها واهدافها وروحها ، فهى لقاء قمة بين الافراد فى مختلف اللعبات يفوز فيه « الاسرع والاعلى والاقوى » وفقا للشعار الاوليمبى القديم ، الذى اضيف اليه شعار آخر هو الحلقات الاوليمبية الخمس التى ترمز الى تعاون القارات جميعا على قدم المساواة ، والى ان الالعاب تقام دون تفرقة بسبب جنس او لون او دين .

وفى رحاب هذه الشعارات يجتمع صفوة الشباب العالمى كل ٤ سنوات للمنافسة على بطولة اللعبات التى تدرج فى البرنامج الاوليمبى تنافسا شريفا قائما على العدل والمساواة، محققا لاهداف الحركة الاوليمبية وهى نشر السلام ، واقرار التفاهم بين الشباب ، حتى اصبحت الالعاب،كما قال **بروندج** رئيس اللجنة الاوليمبية واحة السلام فى بيداء عالم يسوده القلق وتمزقه الخلافات والنزاعات .

أضخم دورة فى التاريخ

نظمت مدينة مكسيكو الدورة التاسعة عشرة بنجاح عظيم ، بل باقتدار كبير اذا راعينا ان المكسيك دولة نامية ، وان طوكيو كانت قد اقتربت من الكمال فى تنظيم دورتها عام ١٩٦٤ . ولكن المكسيك اقامت مجموعة من الملاعب والاستادات والصالات المغطاة لتنظيم المباريات ، بعضها لا مثيل له فى العالم ، واعدت قرية اوليمبية ضخمة لاقامة اكثر من ١٠ آلاف رياضى و ١٥٠٠ صحفى من ١١٥ دولة ، فضلا عن قرية اخرى لاقامة آلاف من اعضاء فرق الفنون المشتركة فى الاوليمبياد الفنى المواكب للدورة . وليست الصعوبة فى انشاء ذلك كله ، بل فى ادارته بكفاءة ، وضمان وسائل الراحة نوما وغذاء وترفيها وتدريبا ونقلا لهذا الجيش من الرياضيين، الذى يشكل رقما قياسيا للاشتراك فى الدورات، سواء بالنسبة للدول او للافراد الذين يمثلونها فى ١٩ لعبة حواها برنامج الدورة .

التصميم على النجاح

ولم تكتف المكسيك بانفاق ٨٦ مليون دولار على المنشآت الرياضية والاسكانية والاعداد للدورة بل ارادت ان تتأكد من كفاءة التنظيم نفسه ، فنظمت فى عام ١٩٦٦ الالعاب الاوليمبية الصغيرة ، ودعت اليها — على نفقتها سفرا واقامة — زهاء الف من ابطال العالم لتجربفيهم التنظيم ، ثم عادت ونظمت دورة مماثلة فى نفس الموعد من عام ١٩٦٧ لتسد كل ثغرة يمكن ان تكتشف ، ضاربة مثلا طيبا فى الاصرار على النجاح ،بل كان لها هدف آخر فرعى فى تنظيم هذه التجارب وهو الغاء الشكوى من ارتفاع المكسيك ٧٤٠٠ قدم عن سطح البحر ، الامر الذى قد يعرض الابطال للخطر بسبب نقص الاوكسيجين . ولهذا السبب اوفدت الدول مجموعات من الاطباء والاخصائيين مع بعثاتها فى تلك التجارب لدراسة هذه المشكلة ، وكانت خلاصة هذه الدراسة ضرورة التأقلم على الارتفاع فترة اسبوعين على الاقل قبل الدورة .

وفى الحال تقدمت المكسيك ودعت شباب العالم الى انفاق فترة التأقلم هذه فى ارضها ، وعلى نفقتها ، وهذا هو سر سفر معظم البعثات الى المكسيك مبكرة ، كما انه سر اختيار كثير من الدول لمناطق مرتفعة لتدريب ابطالها قبل الدورة .

حجم المنافسات

وبدأت الدورة على كل حال يوم ١٢ اكتوبر ، وهو يوم اكتشاف كريستوفر كولمبوس لامريكا ، وكان حفل الافتتاح رائعا ومؤثرا ومتضمنا الابتكارات واضافات جديدة ، فى اطار المراسيم التقليدية، وفى اليوم التالى بدأت المسابقات التى يتضمنها البرنامج الاوليمبى فى ١٩ لعبة تضم ١٧١ مسابقة لكل منها ميدالية ذهبية ، اضيف اليها فى هذه الدورة غصن زيتون من جبل اوليمب هدية من اليونان، وهو اكليل الغار الذى كان يتوج هامة المنتصر فى الالعاب الاوليمبية القديمة .

ولان الالعاب الاوليمبية مقتصرة على الهواة فان هذه الميدالية الذهبية هى امل كل بطل ،

ليصعد على سلم الشرف يستمع الى نشيد بلاده القومى يعزف ، ويشهد علم بلاده يرفرف. والكل يقف اجلالا للفائز وللحظة النصر العظيم. ويحرز الثانى ميدالية فضية والثالث ميدالية برونزية ، بينما يحصل الفائزون من الرابع الى السادس على دبلومات شرف ، وتظهر أسماء الستة الاوائل على لوحة الشرف الالكترونية بمجرد انتهاء كل مسابقة .

أفراد .. لكن دولى ايضا

ومع ان للالعاب الاوليمبية منافسات بين الافراد ، يفوز فيها الاسرع والاعلى والاقوى ، ومع ان النظام الاوليمبى يحرم ترتيب الدول حسب الفائزين منها ، لكيلا تتدخل النعرات القومية والاتجاهات السياسية فتفسد جو الالعاب النقى ، فان الدول تحاول ان يكون « لافرادها » قصب السبق دائما ، لان فوزهم فى هذا المضمار دليل حضارة رياضية وصحية وتقدم علمى وتكنولوجى ، بل دليل متانة نظمها الاجتماعية والاقتصادية ، وكفاءة اجهزتها ومواردها وامكانياتها المادية والبشرية .

وفى الدورات الاخيرة ظهر بوضوح ان هناك تنافسا على سيادة الالعاب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى اولا ، ثم بين الكتلتين الغربية والشرقية فى المقام الثانى ، بينما تحاول الدول النامية والصغيرة ان تعتمد على المواهب الفردية والفلتات الشاذة والظروف الخاصة لاثبات وجودها وسط هذا التنافس الكبير الخطير بين أصحاب الامكانيات .

كشف الميداليات ومعناه

ومن بين ١١٥ دولة اشتركت فى المسابقات استطاع ابطال ٤٤ دولة ان يحرزوا ميداليات ذهبية أو فضية او برونزية ، وكانت النتيجة النهائية للميداليات فى المراكز الخمس الاولى على النحو التالى :

الدولة	ذهبية	فضية	برونزية	المجموع
١ امريكا	٤٥	٢٨	٣٤	١٠٧
٢ روسيا	٢٩	٣٢	٣٠	٩١
٣ المجر	١٠	١٠	١٢	٣٢
٤ اليابان	١١	٧	٧	٢٥
٥ المانيا ش	٩	٩	٧	٢٥

وهذه القائمة قد يفهم منها لاول وهلة تفوق امريكا رياضيا ، او تفوق الكتلة الغربية ، ولكن أمريكا تعمل فعلا فى الميدان الاوليمبى — وللاسباب السابق ايضاحها — بذكاء واضح ، فتركز على اللعبات الاساسية ذات المسابقات — وبالتالى الميداليات الكثيرة ، وهى العاب القوى والسباحة بصفة خاصة .

والواقع ان امريكا احرزت فى العاب القوى ١٥ ميدالية ذهبية من ٣٦ ميدالية للرجال والانسات ، وكذلك ٢٣ ميدالية ذهبية فى مسابقات السباحة للرجال والانسات من ٣٣ ميدالية ، حتى ليمكن القول بانهما اكتسحت اللعبتين ، وهما عصب الدورات وسبيل البروز فيها على اوسع نطاق .

يقابل ذلك ان الاتحاد السوفيتى رغم انه اقوى دول أوروبا فى العاب القوى لم يحرز فيها سوى ٣ ميداليات ذهبية ، كما انه لم يحرز فى السباحة اية ميدالية ذهبية رغم انه ايضا اقوى دول اوروبا فى هذه الرياضة [1] .



ولكن جهد الاتحاد السوفيتى كان ظاهرا فى جميع اللعبات ، وكانت الميداليات التى احرزها ثمرة تفوق ابطاله فى ميادين كثيرة . ومع ذلك يجب ان نضع الملاحظات التالية فى الحسبان :

اولا : ان هدف تعميم الرياضة فى الدول الاشتراكية هو اصليا تكوين المواطن القوى القادر على العمل والانتاج والدفاع ، بعكس المفهوم الرياضى فى الدول الغربية وهو الترويح، ومن ثم فان البطولة — على اهميتها مسالة فرعية فى المفهوم الاشتراكى .

ثانيا : ان معظم الميداليات التى خسرها الاتحاد السوفيتى كسبتها منه الدول الاشتراكية لاسيما فى العاب القوى ، والجمباز للانسات ، والتفوق الفردى اليابانى فى الجمباز للرجال .

ثالثا : ان قرب المكسيك من امريكا ووصول عشرات الالاف من السياح الامريكيين كان سببا فى « الشوشرة » على اداء نجوم الاتحاد السوفيتى فى مسابقات تحتاج الى تركيز شديد، مما ضيع عليهم فرص نجاح مؤكدة .

رابعا : ان اعجاز الزنوج وتفوقهم الرائع فى العاب القوى — مقياس القدرات البشرية البدنية من سرعة وتحمل ووثب ورمى — وفى الملاكمة وكرة السلة اتاح لامريكا ان تحصل على ١٠٤

(١) ملحوظة : هناك ميداليتان ذهبيتان اضافيتان بسبب التعادل مرتين فى المركز الاول فى الجمباز ، وميدالية فضية ناقصة لعدم تخصيص جائزة للمركز الثانى فى المطاردة فى سباق الدراجات

ميدالية ذهبية منها ١١ في العاب القوى و ٢ في الملاكمة وواحدة في كرة السلة احرزهـا الزنوج الامريكيون الذين كانوا فوق المستوى !

ورغم ذلك فان ابطال الاتحاد السوفيتي قد اخفقوا في عدة ميادين دون مبرر ، ولعل ذلك هو سبب المساءلة ، ثم التغيير الذي حدث هناك في الجهاز الرياضي عقب الدورة مباشرة ،واهم مظاهر الاخفاق :

●● عجز الانسات السوفييت عن الحصول على ميدالية ذهبية واحدة في مسابقات العاب القوى النسائية — ١٢ مسابقة — وكن قبل ذلك يحصلن على ٦ ميدالياتذهبيةفيالمتوسط .

●● عجز السباحين السوفيت عن الفوز بميداليتين ذهبيتين في السباحة على الصدر رغم أنهم يملكون ارقامها العالمية .

●● تراجع المستوى السوفيتي في التجديف حيث فازوا بميدالية واحدة ذهبية بعد ان كانوا يحرزون ٣ من ٧ ميداليات على الاقل ، وفي المصارعة الرومانية والحرة حيث لم يحـرزوا سوى ٣ ميداليات ذهبية من ١٦ ميدالية .

الزنوج .. اعجاز وثورة

ولئن كان الصراع الامريكي السوفيتي من اجل التفوق ظاهرة اساسية في الدورة فقد كان فيها ظواهر اخرى جديرة بالتسجيل ، لعلفي مقدمتها اعجاز الزنوج في مسابقات العاب القوى بصفة خاصة ، وما اقترن بهذا الاعجاز من شعور بالغبن اثار فيهم موجة الغضب الكامن على التفرقة العنصرية .

ذلك ان الزنوج الامريكيين أتوا من ضروب الاعجاز في العاب القوى ما حير الالباب وفاق كل خيال . وعلى سبيل المثال :

●● **سجل بوب بيموف** رقما عالميا فذا في الوثب الطويل هو ٨ر٩٠ متر ،وكان الرقمالعالمي القديم ٨ر٣٥ متر . وهذا الرقم ليس فقط احسن « انجاز » في الدورة طبقا للقائمة الفنلنديةلتقويم الارقام ، **بل هو رقم يتعذر ضربه خلال نصف القرن المقبل على الاقل** ، لاسيما اذا وضعنا في الاعتبار ان العالم تقدم ٢٢ سنتيمترا في المدة من ١٩٣٥ الى ١٩٦٨ .

●● **سجل لي ايفانز** ٤٣ر٨ ثانية في سباق ٤٠٠ متر عدوا ، وهو رقم عالمي جديد هائل ،لان العالم الذي نزل عن ٤٥ ثانية لاول مرة في عام ١٩٦٠ حين سجل الزنجي الامريكي **ديفيز** والالماني **كاوفمان** ٤٤ر٩ ثانية في دورة روما لم يتصور ان ينزل الى ٤٣ر٨ ثانية في عام ١٩٦٨ ،ولكن ايفانز اختزل من مجهودات البشر عشرات السنين !

●● **سجل هاينز** ٩ر٩ ثانية في سباق ١٠٠ متر عدوا معادلا الرقم العالمي الذي سجله الزنوج الثلاثة **شارلي جرين وراي سميث وهاينز** فيعام ١٩٦٨ قبل الدورة ، وهم وحدهم الذين تخطوا حاجز العشر ثوان الذي وقف عنده البشر منذ عام ١٩٦٠ مكتوفي الايدي .

●● سجل **تومي سميث** ١٩ر٨ ثانية فيسباق ٢٠٠ متر عدوا ناسخا رقمه العالمي السابقوكان ٢٠ ثانية . وهذا الرقم الجديد الفذ كان قد سجله زميله **جون كارلوس** في التجارب الامريكية للدورة ، ولكن الاتحاد الدولي لالعاب القوى رفض اعتماده لانه كان يرتدي حذاء مخالفا للمواصفات القانونية ، ناسيا ان المسألة مسألة قدرات وليست مسألة أحذية .

هذه مجرد امثلة عن اعجاز الزنوج الامريكيين الذين فازوا بعشر ميداليات ذهبية في العاب القوى — كلها بارقام عالمية واوليمبية جديدة — من بين ١٥ ميدالية ذهبية فازت بها امريكا في العاب القوىعصب الدورة، فضلا عن ميداليتين ذهبيتين في الملاكمة ، وواحدة في كرة السلة بمستويات خارقة .

وقد اثار هذا التفوق تواخي الاشجان في نفوس الزنوج ، فانتهزوا الفرصة واحتجوا على التفرقة العنصرية بطريقة عملية ،وان اثارت الاوساط الاوليمبية الدولية ، لان مبادىء الالعاب تحرم استغلالها لاغراض سياسية .

وثارت العاصفة عقب سباق ٢٠٠ متر الذي فاز فيه سميثوكارلوس بالمركزين الاول والثالث، فلما دعيا لتسلم الميداليات لاحظ الناس انهما جاءا يلبسان قلنسوتين سوداوين ، ويضعان في أيديهما قفازات سوداء ، ويحملان احذية الجري في ايديهما ، ووقفا بهذه الصورة على سلم الشرف ، وتسلما الجوائز ، وحين رفع العلم الامريكي وعزف النشيد الوطني ، اطرقا ارضا ولمينظر اتجاهالعلم ،ولما حياهما الجمهور عقب انتهاء هذه المراسيم لوحا له بقبضة اليد علامة « القوة السوداء » ، كما لوحا بالحذاء !

وقامت قيامةاللجنة الاوليمبية الدولية وساءلت اللجنة الاوليمبية الامريكية التي لم تجد بدا من طرد البطلين من القرية الاوليمبية ، وترحيلهما الى امريكا . على ان الاحتجاج لم ينقطع فعمد كثيرون من الزنوج الفائزين الى اتخاذ نفس الاجراء ، لكن دون اهانة العلم الامريكي . لكن المسألة تمتد جذورها الى ما قبل الدورة على كل حال .

فمنذ عدة شهور بذلت مساع في اوساط الزنوج لمقاطعة الدورة ، ثم عقد مؤتمر زنجي اتخذ فيه قرار سري يقضي بالاشتراك — ليثبت الزنوج تفوقهم الساحق الباهر اولا — ثم الاحتجاج على التفرقة العنصرية التي تمارسها امريكا بصورة من الصور لم تحدد وقتذاك .

نهضة أفريقيا

ومن أبرز ظواهر الدورةبروز أفريقيا المفاجيء لاسيما في العاب القوى حيث حصلت كينيا مثلا على عدد من الميداليات يفوق ما احرزه الاتحاد السوفيتي ، اذ احرزت المركز الاول فيمسابقات ١٠ آلاف متر بفضل لاعبها **تيمو** ، والمركز الاول في ١٥٠٠ متر بفضل **كينو** ، والمركزين الاول والثاني في ٣ آلاف متر موانع بفضل **كوجو** **ووينكوت** ، والمركز الثاني في سباق ٨٠٠ متر بفضل **كبروجوت** .

وفاز اللاعب الاثيوبي ميمو ولدي ببطولة سباق الماراثون ٢ر١٤٩ر٤٢ كيلومتر محتفظا لاثيوبيا بتلك البطولة التيأحرزها لها **ابيبي بيكيلا** من قبل في دورتي روما وطوكيو ، كما فاز **وولدى** بالمركز الثاني في سباق ١٠ آلاف متر .

كذلك فاز **محمد جمودى** التونسيببطولةسباق ٥ آلاف متر ووراءه **تيمو وكينو** من كينيا ،وبالمركز الثالث في سباق ١٠ آلاف متر وراء تيمو الكيني وميمو ولدي الاثيوبي . وهكذا اكتسحت أفريقيا مسابقات الجرىالمتوسط والطويل ،أيمسابقات التحمل ،وبفارق بعيد عنأبطال القاراتالاخرى.

وربما ساعد على ذلك ارتفاع كينيا واثيوبيا عن سطح البحر بقدر مساو لارتفاع المكسيك تقريبا ، مما ازال من ابطالها الشعور بنقص الاوكسيجين ، وقد يصدق ذلك على جمودى التونسي أيضا باعتبار انه أدى فترة طويلة من التدريب في منطقة « فون رامو » المرتفعة في فرنسا ، ولكن بروز افريقيا لم يقتصر على تلك المسابقات ولا تلك الدول ، وانما وصل الى الادوار النهائية أبطال افارقة في مسابقاتكثيرة، وبرهنوا على انهم من « المستوى الاوليمبي الرفيع » ، مثل **منصور** السنغالي في الوثب الثلاثي وزميله جاكو في ٤٠٠ متر حواجز ، **ورافلامننتاسوا** بطل مدغشقر في ١٠٠ متر عدوا ، **وكوني** بطل ساحل العاج في ١٠٠ متر ايضا ، **وفريقا كينيا** في التتابع ٤ × ١٠٠ و ٤ × ٤٠٠ متر ، وبطلا تشاد في الوثب العالي **محمد ادريس** .

عدة ابطال من الكميرون وكينيا واوغندة حصلوا على ميدالياتفضية وبرونزيةفيالملاكمة، على رأسهم **بيسالا** الكميروني ، ووارينجي الكيني .

وفي الجملة ، **سجلت أفريقيا فيالمكسيك انها خرجت من مرحلة انعدام الوزن التي فرضها عليها الاستعمار والامبريالية طويلا ، وبدا الانسان الافريقي يظهر تفوقه بمجرد اناستروح إنسام الحرية !**

نجوم من ذهب

ان التفوق ، او الاعجاز البشرى لم يتمثلفي زنوج امريكا الذين تألقوا في العاب القوى وسجلوا أرقاما عالمية خيالية فيالسرعةوالوثب، ولا في أبطال افريقيا الذين اكتسحوا المسافات الطويلة فقط ، وانما تمثل ايضا فيأبطال كثيرين، من الجنسين ، تألقوا في معظم اللعبات،وضربوا لشباب العالم مثالا رائعا في المثابرة والاتقان والكفاح ، ورفعوا اسم بلادهم الى القمة . وفي مقدمة اولئك النجوم :

● **آل اورتر الامريكي** ، الذى فاز بالميدالية الذهبية لرمي القرص لرابع دورة اوليمبية



● **ديبي ماير الامريكية** ، بطلة السباحة التي فازت بخمس ميداليات ذهبية وحدها

● **فيراكاسلافيسكا التشيكية** : بطلة الجمباز التي فازت باربع ميداليات ذهبية وميداليتين فضيتين ، وكانت نجمة هذه اللعبة الاساسية في الدورة . ومما يذكر ان تشيكوسلوفاكيا احرزت في الدورة كلها ٧ ميداليات ذهبية ،منها ٤لفيراكاسلافيسكا فيالجمباز، وواحدةلفيرنركوفا بطلة الوثب العالي ، وواحدة لديشكوفا بطلة الغطس من السلم الثابت ، اى ان ٣ آنسات احرزن لبلادهن ٦ ميداليات ذهبية من ٧ ميداليات ، وهذه النسبة **تجعل المرأة التشيكية اكثر نساء العالم مساهمة في نجاح بلادها أوليمبيا** !

● **ياماناكا الياباني بطل الجمباز** ، الذى احرز ٤ ميداليات ذهبية وواحدة فضية وواحدةبرونزية

● **كاتو الياباني** ، **بطل الجمباز** ، الذىاحرز ٣ ميداليات ذهبية في الترتيب الفردى العام، وفي الفرق ، وفي الحركات الارضية .

● **ويندين الاسترالي بطل السباحة** : الذى فاز بميداليتين ذهبيتين في السباحة الحرة

● **ماتيس الالماني الشرقي** ، الذى فاز بميداليتين ذهبيتين في السباحة على الظهر .

نتائج البعثة المصرية

حرصت مصر دائما على الاشتراك في الدورات الاوليمبية منذ عام ١٩١٢ ، ولم تتخلف الا مرة واحدة في دورةلوس انجلوسعام ١٩٣٢ بسبب خلافها مع اللجنة الاوليمبية الدولية حول

مندوب اللجنة فى مصر ؟ وحتى دورة ملبورن عام ١٩٥٦ اشتركت فيها مصر مكتفية بالفروسية التى اقيمت فى ستوكهولم فى السويد بسبب القيود المفروضة على دخول الجياد الى استراليا.

ونظرا للظروف الحالية ، ولان اللاعبين المصريين لم يحققوا المستويات المقررة للاشتراك فى دورة المكسيك ولم يشتركوا فى التصفيات القادمة للعبات الجماعية لاختيار الفرق التى تصل الى الادوار النهائية للالعاب الاوليمبية ، فقد أعتذرت مصر فى البداية عن الاشتراك فى الدورة . ولكن نشأت مشكلة جنوب افريقيا وطردها من الدورة بسبب سياسة التفرقة العنصرية التى تمارسها ، وكان لمصر دور فى هذا الطرد وجدت انه يترتب عليها التزاما ادبيا بالاشتراك .

وقد قررت اللجنة الاوليمبية التنازل عن المستويات المقررة ، والاشتراك باقرب الفرق الى المستوى الدولى ثم فريق كرة الماء باعتبار انه كان سيقابل فريق جنوب افريقيا فى تصفية الدورة ، قبل استبعادها . وفيما يلى تسجيل لنتائج البعثة :

■ **كرة الماء** : جاء الفريق فى المركز الخامس عشر والاخير .. لعب اولا فى المجموعة الثانية التى تضم يوجوسلافيا والمانيا الشرقية وايطاليا وهولاندة واليونان واليابان والمكسيك ، وفازت عليه يوجوسلافيا ٢/١٣ ، وايطاليا ١/١٠ ، واليونان ٦/٧ ، واليابان ٤/٧ ، ، وهولندة ٦ / ٣ ، والمانيا الشرقية ١٩ / ٢ ثم تعادل مع المكسيك ٣/٣ ، واستقر فى ذيل المجموعة ، ولعب مع البرازيل ذيل المجموعة الاخرى ففازت البرازيل ٣/٥ واحتلت المركز الرابع عشر ، ومصر المركز الخامس عشر .

■ **الغطس** : اشترك **وجيه ابو السعود** فى الغطس من السلم الثابت وجاء فى المركز التاسع عشر من بين ٣٥ متسابقا .

■ **رفع الاثقال** : انسحب **محمد حريت** اثناء مسابقة وزن الديك لإصابته بتمزق عضلى ، وجاء **بكر بسام** فى المركز الحادى عشر بمجموعة ٤٥٥ كيلوجراما ، وجابر حافظ فى المركز السابع عشر لوزن متوسط الثقيل بمجموعة ٤٢٥ كيلوجراما ، اي بنقص ٣٠ كيلوجراما عن مستواه !

■ **الرماية** : احتل **محمد محرز** المركز التاسع عشر فى الرماية على الاطباق من الحفرة مسجلا ٢٠٠/١٩١ ، وجاء شكرى بدير فى المركز ٤٦ من بين ٥٧ راميا .

■ **السلاح** : اجتاز **مصطفى سحيم وجميل القليوبى والهامى الجسينى** الدور الاول لتصفيات البطولة الفردية لسلاح الشيش ثم خرجوا فى الدور الثاني . وخرج الفريق المصري من الدور الاول لبطولة الفرق ، اذ لعب فى مجموعة واحدة مع رومانيا واليابان ، ففازت عليه رومانيا ٣/١٣ ، واليابان ٣/١٣ ايضا ، واشترك **شريف هاشم** فى البطولة الفردية لسلاح سيف المبارزة فخرج من الدور الاول .

■ **الملاكمة** : خسر **محمد سليم** مباراته الاولى بالنقط امام **سكريز بساك** الهولندى الذى احرز الميدالية البرونزية لوزن خفيف الذبابة ، وخسر **طلعت الدهشان** مباراته الاولى فى الوزن الثقيل امام الهولندى **لوبرز** لشطبه بسبب كثرة الاخطاء ، وخسر **حسن نور الدين** مباراته الاولى فى وزن خفيف الثقيل امام **شليجل** الالمانى الشرقى بالنقط . وكسب **سيد النحاس** مباراته الاولى فى وزن خفيف المتوسط حين فاز على المكسيكى **شيريروس** بالضربة القاضية ، ثم خسر فى الدور الثانية بالضربة القاضية امام **لاجوتين** السوفيتى الذى احرز الميدالية الذهبية . وفاز **عبد الهادى خلف الله** على **مناعى التونسى** بالنقط فى مباراته الاولى فى وزن الريشة ، ثم فاز فى الدور الثانى على اليوجوسلافى **باتروفتش** بالشطب ، ولكنه خسر المباراة الثالثة امام **روبنسون** الامريكى بالنقط ، وهو الذى احرز الميدالية الفضية للوزن .

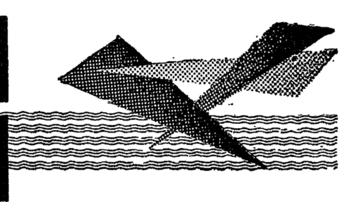
■ **المصارعة** : فى وزن الذبابة تعادل **منجد سالم** مع **شحرور السورى** فى الدور الاول ثم خسر فى الدور الثانى بالنقط امام **زيمان** التشيكى ولم يشترك فى الدور الثالث لاصابته بتمزق عضلى .

وفى وزن الريشة خسر **يحيى حسنين** مباراته الاولى امام « **معرب** » الايرانى بالانسحاب بسبب تقلص عضلى ، ثم خسر مباراته الثانية امام جوالنتشيف البلغارى بالنقط وخرج من المسابقة.

وفى وزن الخفيف خسر **محمود فريد** مباراته الاولى بالنقط امام **روست** الالمانى ، ثم خسر فى الدور الثاني بالنقط امام **ايناش** الرومانى وخرج من المسابقة .

وفى وزن الديك تعادل **ابراهيم السيد** مع **جيرا** المكسيكى فى مباراته الاولى ، وفاز في الدور الثانى على **سينجرمان** الكندى بالكتف ، وخسر فى الدور الثالث امام **ايون باكيو** الرومانى بالنقط ، وفاز فى الدور الرابع على **هايز وينكيل** الامريكى بالنقط ، ثم خرج من المسابقة فى الدور الخامس حين خسر امام **كوشرجين** السوفيتى ، وحصل على المركز السابع رسميا ، وهذه هى أحسن نتيجة حققها لاعب فى البعثة المصرية .

وليس فى تلك النتائج كلها مفاجأة على كل حال ، ولم تخسر البعثة المصرية ميدالية كان يمكن ان تحرزها ، او مركزا شرفيا كان يمكن ان تحصل عليه ، فالنتائج مطابقة للواقع ومتمشية مع مستوانا الرياضى العام ، ولكن هذه حكاية اخرى!




النقابات وقضية التعبئة الاقتصادية

يحظى دور النقابات في التعبئة الاقتصادية في مجال الانتاج ، باهتمام الدوائر الشعبية والرسمية في بلادنا باعتبارها واحدة من القضايا التي تكتسب ابعادا وطنية خاصة في ظروفنا الراهنة بالذات . وهو الدور الذي خصصت له « الطليعة » في العدد الماضي دراساتها الرئيسية .

وفي هذا المقال ، يعرض المواطن حسني عبد العال ، شركة حلوان للمعادن الحديدية والمنتجات الحربية ، لوجهة نظره في هذه القضية الهامة .

حسني عبد العال

لقد قاسى شعب مصر على مر العصور الكثير من الحرمان والجمود الطويل في خلق امكانيات انتاجية جديدة .. وقد شارك الاقطاع — الراغب في توفير الايدي العاملة الرخيصة بحكم الجوع والحاجة — الاستعمار الذي استنزف جميع الموارد الانتاجية وجعل مصر مزرعة محدودة الانتاج لمصانعه في لانكشير — في استمرار هذا الجمود ، وزيادة مخاطره وانخفاض مستوى المعيشة انخفاضا كبيرا زاد من حرمان الجماهير وجعلها في مصاف الامم المتخلفة . هذا بالاضافة الى مشكلة تزايد السكان التي تواجه شعبنا .

لذلك عندما تخلصت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ من وجود الاستعمار على ارض الوطن كان من اهم اهدافها دفع عجلة الانتاج ، وكانت الوسيلة الحاسمة والحل العملي الواقعي لهذا الهدف هو خلق **امكانيات انتاجية جديدة** ، وزيادة الطاقة الانتاجية الحالية وتحقيق استغلالها الكامل ورفع كفايتها لتحقيق العدالة الاجتماعية للمواطنين .

والانتاج وهو دعامة الدول النامية وركيزة الدول المتقدمة — وكان على الميثاق ان يحمل النقابات — وهي تمثل القيادة الطبيعية للسواعد القوية والعرق المبذول في خدمة الانتاج وتطويره — بمسئوليتها كاملة عن الكفاية الانتاجية وتطوير الانتاج .

ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدي في رفع المستوى الفكري والكفاية الفنية ، ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال عن طريق صيانة حقوقهم ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي والاجتماعي وتقديم الخدمات بما يساهم في تحقيق الرفاهية للعاملين .

ولكي تحدد سبيل النقابة في تحقيق الكفاية الانتاجية — هناك وسيلتان :

أولاهما : رفع الكفاية الفكرية : وذلك بخلق التجاوب الفكري بين اهداف المجتمع ومفاهيمه وبين مفاهيم العاملين وذلك بالتوعية والتثقيف .

ثانيتهما : رفع الكفاية الفنية : وذلك بتوفير المهارات الفنية والخبرات لدى العاملين وتنمية قدراتهم الانتاجية لسد حاجات المجتمع ومتطلباته من الحرفيين .

وللنقابات دور كبير في عناصر الانتاج حتى يمكن ان نحقق أفضل استفادة من استغلالنا وتشغيلنا لمقومات الانتاج حتى نصل للمستوى الذي يسمح بأن تغطي فيه حصيلة الانتاج نفقات

الاستقلال ويتبقى العائد الذى هو ذخيرة المجتمع لمواجهة الاعباء الجديدة فى مجال الخدمات والانتاج والسعى للتقدم والتطوير .

فمثلا عنصر رأس المال الذى يتمثل فى المصروفات والالات . نجد ان للنقابة خطة عمل ودورا كبيرا لرفع الكفاية الفكرية لدى العاملين بتبصيرهم بأوجه الانفاق السليم القائم على السلوك الاشتراكى ، واهمية هذا الانفاق وكذا سلامة اختيار الالة الملائمة لدور العمل الذى تقوم به، وسلامة التشغيل الذى يتطلب القدرة العالية والخبرة لدى الافراد . فلم تعد الالة اداة تعتصر قوة العامل لمصلحة فئة قليلة مستغلة — بل أصبحت الالة ملكا كاملا للعاملين الكادحين تدور لتوفر لهم العيش والكساء والرخاء . فيجب ان تعمل هذه الالة وتعيش عمرها المقدر لها كاملا، وبذلك تحفظ لاهم عنصر وهو رأس المال كفايته .

عنصر العمل : ويمثل مركز الثقل بين عناصر الانتاج وينقسم الى جانبين : جانب المقدرة — جانب الرغبة .

ولتحقيق الكفاية الانتاجية للعمل يجب ان تتوافر القدرة على ادائه ، والرغبة فى ذلك .

وواجب النقابة هو تأكيد العوامل والمقومات التى تبنى القدرة وترسى قواعدها . فكلما تأكدت لهذه العوامل والمقومات الخبرة والمهارة والمعرفة — كلما تأكدت ايجابيتها وفاعليتها فى خدمة الانتاج .

فمثلا يجب على النقابة ان تكون خير معين للادارة فتضع امامها بأمانة ماينعكس لديها من مشاكل واخطاء واقتراحاتها تجاه ذلك . كما يجب عليها ان تكون خير مرشد لها على أحدث الاساليب والالات والمعدات . كما تسعى لاتاحة فرص التدريب السليم لتشغيل الالات وصيانتها بعناية واخلاص، كماتعمل على رفع الكفاية الفكرية لدى العاملين حول اهمية الصيانة وسلامة التشغيل .

وبقدر مايبذل من جهود لتوفير القدرة فلن يتاكد لها الفاعلية المرجوة اذا اهمل جانب الرغبة فى الاداء ، لان عدم وجود الباعث على وضع هذه القدرة فى خدمة أهداف الانتاج سوف يؤدى الى الضياع . لذلك وجب تحريك البواعث والدوافع والامال لدى العاملين لبذل الطاقات والقدرات فى خدمة الانتاج عن رضا وحب واخلاص وايمان .

وخطة النقابة يجب أن تساهم فى خلق العامل الحر الذى يعطى العمل من روحه وعرقه عن ايمان ورضاء ، وذلك بتحقيق التجاوب الفكرى لدى العاملين الذى يخلق الحافز عن ايمان ووعى بالاهداف الحقيقية من وراء البذل والتضحية . وسبيل النقابة فى ذلك التوعية والتثقيف عن طريق الاجتماعات والندوات مع العاملين والحلقات الدراسية والحوافز .

فمنطق العمل النقابى عميق الجذور ويتفاعل مع العاملين لما للنقابة من مكانة عاطفية تحيط بها بين جماهير العاملين ، لانها فى نظرهم الحافظة على حقوقهم ومصالحهم، كما يجب على النقابة ان تعمل على استقرار العامل نفسيا وماديا، بأن تقدم له الخدمات الاجتماعية والتعاونية باسلوب سهل يعكس اثره على القوة الشرائية لدخل العامل ، وموازنة انفاقه وبذلك تحقق الاستقرار والاطمئنان اللذين يعكسان اثرهما المادى والمعنوى على العمال . وبالتالى على الكفاية الانتاجية .

اما عن عنصر الموارد :

فخطة النقابة لرفع الكفاية الفكرية لجماهير العاملين ، يجب أن تعتمد على التثقيف واشاعة القيم والمبادىء حول المواد واهميتها وما تنفقه الدولة وما يتحمله المشروع من نفقات واهتمام المجتمع بحسن استخدام المواد وسلامة استغلالها وبذل اقصى الجهود للحفاظ على تقليل فاقد التصنيع وفاقد التشغيل ما أمكن .

ومثال حى على ذلك ، يرد من بعض العملاء لاحدى شركات التعدين فضلات من النحاس والالومنيوم بعد عملية التشكيل ، وكذا نحاس خردة لاعادة تصنيعه، وبسبب عدم وجود مخازن كافية بالشركة فان هذه الفضلات والخردة تفرغ من العربات على جانبى الطرق داخل الشركة، وفى تلك الاثناء تتعرض هذه المواد الى البعثرة وبعضها للفقد تحت الاتربة مما يجعل من الصعب تجميعها . وقد قامت ادارة الشركة بتكليف بعض العاملين بتجميعها نظير مكافآت تشجيعية .

وانى ارى ان الحافز المادى لهؤلاء العاملين نظير تجميع هذه الفضلات والخردة لا يعتبر حلا للمشكلة ، بل ربما يكون عنصرا له مفعول عكسى .

فواجب النقابة ازاء هذا الموضوع هو توعية العاملين وتثقيفهم ، واشاعة القيم والمفاهيم حول أهمية ودور هذه الفضلات فى الانتاج باعتبارها عنصر من عناصر الانتاج ، وان هذه المواد ببعثرتها وفقدها يؤثر على نفقات الانتاج ، وبالتالى على العاملين — وبذلك تنزع الخبرات السابقة التى كانت تتمثل فى رد الجماهير العمالية لضيقها وآلامها فى شكل اهمال الموارد والانتاج . كمتنفس عما بنفوسها من الام وضيق . فقد آلت هذه المواد وغيرها من وسائل الانتاج الى ملكية وسيطرة الشعب والعاملين، واصبح اى كمية من المواد تستهلك خطأ او تعدم باهمال انما يمثل شرا لمجتمعنا كله .

من هذا يتضح دور النقابات وخطتها فى التعبئة الاقتصادية فى مجال الانتاج، وان الآمال معقودة على أن تتصدى النقابات لمسئوليتها كاملة لتؤكد مكانها وتحقق اهدافها وتؤدى واجبها فى تحقيق الكفاية الانتاجية .

مسئوليات القوى الثورية

كتب المواطن حسين عبد الاله علي — عضو المؤتمر القومي بمحافظة الاسكندرية يحذر من ان جماهيرية الاتحاد الاشتراكي « قد اتاحت للبعض من قوى الثورة المضادة ان تتسلل الى التنظيم » ويدعو القوى الثورية داخل الاتحاد الاشتراكي الى التنبه لهذه الواقعة والعمل على كشفها ، — يقول بعد ذلك :

ان الطريق الى كشف عناصر الثورة المضادة والحد من حركتها ، بل والقضاء عليها ، لن يتاتى لن تتاتى الا بازالة جدار الخوف من نفوسنا ، لاننا الا من خلال حرية الرأى والنقد • وان هذه الحرية ان لم نزله سنتيح مناخا مناسبا لظهور مراكز للقوى تنمو على حساب مصلحة الجماهير وبنائنا الاشتراكى • وكذلك فان شعار التغيير الذى رفعته جماهيرنا يجب ان نستمر فى تطبيقه ليس بالنسبة للاشخاص فحسب ، ولكن فى الظروف والمناخ •

وعلينا ان نتيح لشبابنا من خلال تنظيمه السياسى والتزامه بالخط السياسى ، فرصته فى التجربة دون وصاية عليه ودون ماحجر على حركته ، مؤمنين بأن تربية الشباب سياسيا وعقائديا هى الضمان الاكيد لاستمرار الثورة الاشتراكية فى مجتمعنا •



وعن التنظيم الشعبى ومسئولياته فى هذه المرحلة كتب المواطن هاشم عبد الصادق عبد الحكيم ، محاسب بالهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية — اسوان ، يقول :

مسئولية التنظيم الشعبى

يجب ان نضاعف الانتاج باذلين كل جهد عن طواعية ورضى ، لان معركتنا ضارية وطويلة • والصمود الاقتصادى يجب ان يواكب الصمود العسكرى • والطريق الى ذلك •

اولا : الاهتمام بالعاملين بوحدات الانتاج ثقافيا واجتماعيا وماديا •

ثقافيا : وذلك بربطهم فكريا بأحداث المجتمع وأهمية الدور الذى يقومون به فى معركتنا • وايضاح ان العمل داخل المصنع لا يقل فى قداسته وشرفه عن الوقوف على خط المواجهة • والمعركة بذل للروح • بذل للمال وبذل للجهد كل يعطى حسب موقعه فيها

اجتماعيا : بتغيير علاقات الانتاج داخل الوحدات الانتاجية وافساح المجال أمام الطاقات الخلاقة وتوفير الجو الملائم للعمل واحترام اللوائح والقوانين المعمول بها داخل وحدات الانتاج وعدم استغلالها بما يسىء للعاملين •

ماديا : افساح المجال امام الحوافز المادية والادبية لانه ليس من منطق العدل ان يتحمل جيل أعباء التقدم دون ان يلمس تحسنا ملموسا • قد يتنازل عن جزء من ناتج عمله للاجيال المقبلة ، ولكنه قطعا لا يقبل التنازل عنه جميعه •

ثانيا : واجب التنظيم الشعبى : هو ربط القوى العاملة فكريا بقيمة العمل وخلق المواطن العقائدى ، الملتزم فكرا وعملا ، وحث الجماهير على زيادة الانتاج والحد من الاستهلاك بالتضحية بالكماليات والاقلال من الضروريات وتوجيه فائض الدخل الى الاستثمار ، ولا شك ان دفع الانتاج واجب رئيسى سواء فى تعويض النقص فى العمالة بسبب الاستدعاء للقوات المسلحة • أو صيانة الآلات والعمل على التقليل من العوادم والنفايات والحفاظ على مستوى الانتاج كما وكيفا : وان تضرب القيادات الشعبية المثل الاعلى فى التضحية بالجهد والمال، وان تكون مثلا يحتذى داخل وحدات الانتاج • بهذا ترتفع التنظيمات الى مستوى

المسئولية، لا ان تعيش داخل النظام الرتيب الذى سارت عليه فى الماضى . فلقد عانت الجماهير فى الفترة السابقة من انعدام فاعلية التنظيم، وطبيعة المرحلة لا تسمح بتكرار ما فات . لقد كان التنظيم متخلفا عن حركة الجماهير حتى ان انطلاقة ٩ ، ١٠ يونيو فاقت كل تصور وأذهلت قيادات الاتحاد الاشتراكى . لان الجماهير بفطرتها أحست بما يجب أن يكون . ولم تكن قيادات الاتحاد الاشتراكى فى موقع يسمح لهما بتوقع الثورة الشعبية . لماذا ؟ يعود ذلك فى نظرى الى انعزالها عن آمال الجماهير حيث لم تكن تستشعر آمالها ولم تكن تستبطن هذه الامال . ان الجماهير تأبى تكرار ما حدث والقيادات الجديدة مطالبة أن تتحسس مشاكل الجماهير وان لا تنظر اليها من السماء بل تتفاعل معها وتعمل على ايجاد الحلول العملية لمشاكلها .

عليها أن تقوم بمحو الامية السياسية وخلق المواطن الملتزم فكرا وعملا ، بهذا تكون قاعدة التحالف . تربطها وحدة الفكر . ووحدة العمل ووحدة الامل حتى ترى قوى الثورة المضادة نفسها معزولة ، لان اليقظة الثورية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلل رجعي مهما كانت أساليبه . اننا نطالب أن تكون التنظيمات الشعبية خلايا حية تبعث الحياة فى جسم الوطن . ترتفع الى مستوى المسئولية وان تدعم بكفايات لازمة من المفكرين الثوريين . يجب ان لايكون العمل داخل التنظيم . مواكب وحفلات . وموائد وزيارات . وهتافات وشعارات ، بل عمل ومزيد من العمل ومواجهة المشاكل والتصدى لحلها . بهذا نستطيع ان نعبىء قوى الشعب كى تسير بفكر ارحب وعمل أكثر فى موكب النصر .

ونطالب بقيام المجالس الشعبية كى تحقق رسالتها وهى :

- تأكيد أن سلطة الشعب فوق سلطة الاجهزة الادارية .
- حماية قوى الاندفاع الثورى من التجمد .
- تأكيد أن الشعب دائما هو قائد العمل الوطنى .

لابد ان تلتزم القيادات الشعبية كحد ادنى بهذه الاهداف وان تضرب المثل فى التضحية وانكار الذات، وان تتفاعل مع القاعدة تعطيها وتأخذ منها، لا ان تنظر اليها من أعلى، ولا يداخلها شعور بأنها الوريث الطبيعى للسلطة، اذ القيادة ليست استعلاء بل هى تعاون مثمر بناء .

تعقيب حول ما أثير عن « بلدى يابلدى »

وكتب المواطن محمود عوضين ــ قصر الثقافة بالمنصورة ، يعقب على ماجاء بتقارير الشهر [عدد نوفمبر] بشأن ماأثير حول مسرحية «بلدي يابلدى» واعتذار الفنانة محسنة توفيق من تادية دور البطولة فيها، يقول :

.. انه ليس من المقبول او المعقولية فى شىء، أن تعاقب محسنة توفيق على موقفها الممتاز ، المعبر عن التزامها الحق بالفكر الثورى ، المؤمن «بالشعب صانع الثورة» .

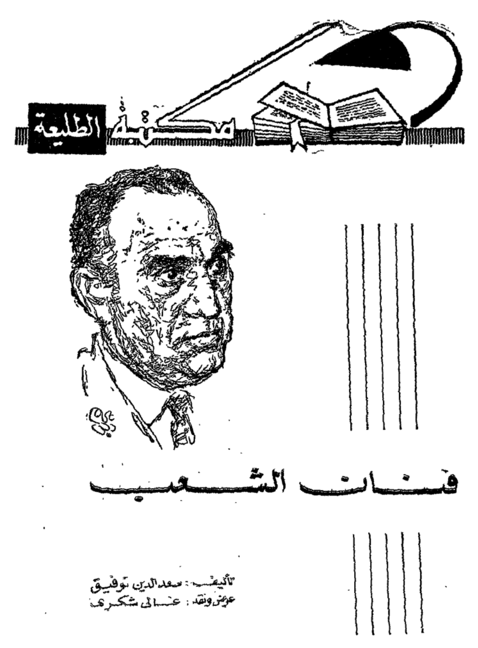
ان مؤسسة المسرح ، وقد رأت تعديل النص، مدعوة ــ بالامانة والنزاهة ــ لان تحيي موقف الفنانة محسنة توفيق التى بادرت بالاعتراض على ماجاء بالمسرحية قبل التعديل . وبعد ذلك ، هل سيبقى السؤال عن مبررات قرار الابعاد ــ خاصة بعد تعديل النص ــ بلا اجابة ؟

لقد آن أن يدرك هؤلاء الذين يتناسون اصالة هذا الشعب العريق وقدرته على احداث التغيير، حقيقتين هامتين :

اولاهما : أنه ليس من حقهم أن يتعرضوا للشرفاء ــ بالتسلط الادارى ــ حينما يمتنعون عن مشاركتهم جريمة تقديم أعمال دنية لاترى شعبنا العظيم من خلال التطور الصحيح .

ثانيتهما : ان الممثل ، ليس « قطعة شطرنج» وانما الممثل قبل كل شىء ، انسان يملك عقلا وفكرا **« ولايمكن ان تصادر حرية الفكر وحرية ابداء الرأى بقرارات ادارية »** .

ان موقف محسنة توفيق ، يجب أن يحتذى ، كمثال عملى ، لموقف المثقف الثورى ، ومايمليه عليه الواجب من الوقوف الى جانب الشعب والثورة .



فنان الشعب

تأليف : سعد الدين توفيق
عرض ونقد : غالى شكرى

لقد خرج صلاح ابو سيف من بولاق ، ولكن بصمات هذا الحى لاتزال باقية على طابعه الفنى . . بهذه الكلمات يختتم **سعد الدين توفيق** كتابه الهام عن المخرج السينمائى الرائد **صلاح أبو سيف** . وفى هذه الكلمات القليلة نعثر على المفتاح الحقيقى لفن هذا المخرج ودلالته على مجرى تطور السينما المصرية . والحق ان هذا التطور يحتاج الى عشرات الكتب الناقدة التي تؤرخ لاتجاهات هذه السينما ومراحلها ، حتى نضع ايدينا على جوهر المشكلات التى تعانيها فى الوقت الحاضر بالرغم من اشراف الدولة على الجانب الاكبر من انتاجها. فلا ريب أن ثمة « جذورا » ترتبط بها نشأة السينما فى بلادنا ، تمتد شعيراتها الى واقعها الراهن .

ومثل هذا الكتاب عن صلاح ابو سيف — وغيره من المخرجين الرواد — يكشف عن اصول هذه الصناعة الفنية فى مجتمعنا ، اصولها الفكرية والاجتماعية .. وباكتشاف هذه الاصول نستطيع ان نخطط تخطيطا علميا دقيقا لمستقبل السينما المصرية . . فليس صلاح ابو سيف مجرد مخرج بين المخرجين كأى حرفى وسط مئات الحرفيين ، وانما هو مخرج صاحب مدرسة واتجاه ، وهو ايضا مخرج قديم عايش المراحل الاولى من تطور السينما فى وطننا وبالتالى تتوفر لدراسة هذا « النموذج » عدة اهداف لا أشك فى ان الناقد سعد الدين توفيق

قد وضعها فى اعتباره وهو يقدم لنا هذا المرجع القيم ».

اول هذه الاهداف ان يسد جانبا من الفراغ الذى تعانيه مكتبتنا السينمائية حيث لانجد الى الان — وقد مضى على نشأة السينما عندنا اكثر من اربعين عاما — دراسة تاريخية لها . وثاني هذه الاهداف هو تقييم احد الاعلام الرائدة للاتجاه الواقعى فى السينما المصرية تقييما موضوعيا امينا مع العصر الذى نشأ فيه الاتجاه وتطور ، وصادقا مع المعايير العلمية السليمة لفن السينما وفكرها وتأثيرها . ولذلك كان منهج «سعد الدين توفيق » لتحقيق هذين الهدفين ، هو تتبع السيرة الشخصية او الترجمة الذاتية لصلاح ابو سيف منذ تربى فى حوارى بولاق بعيدا عن والده العمدة الصعيدى الذى آثر البقاء فى قريته مع زوجاته الاخريات يرسل « شيئا ما » الى زوجته القاهرية وابنها الصغير بعد ان استقر بهما الراى على البقاء فى المدينة . وكان من اثر ذلك ان اقعده ضيق ذات اليد عن مواصلة الدراسة العالية فاكتفى بوظيفة صغيرة باحدى شركات المحلة الكبرى . وكان اثناء طفولته وصباه قد هوى السينما وشغف بها فاصبحت هوايته الاثيرة ، مشاهدة وطموحا لان يكون نجما فى التمثيل او الاخراج او التأليف الى غير ذلك من ابواب الدخول الى عالم السينما اللامع الواسع ، وكان عام ١٩٣٦ هو العام الحاسم فى حياة الفتى الطموح الذى بدا اسمه « ينتشر » على صفحات المجلات الفنية ناقدا ومترجما وشارحا لبعض ماكان يقرأه فى المجلات الاجنبية المتخصصة ، ففى هذا العام قام المخرج نيازى مصطفى بزيارة الشركة التى يعمل بها صلاح لاخراج احد الافلام ، وكان لقاؤهما نقطة تحول فى حياة صلاح فقد اختاره نيازى مساعدا له بقسم المونتاج باستوديو مصر . وهو القسم الذى اصبح صلاح ابو سيف رئيسا له بعد ذلك . ولكن المونتاج لم يشف غليل الشاب الذى حزم امره منذ وقت مبكر لان يكون مخرجا ، مادام المخرج — كما تقول الكتب الاجنبية التى يقرؤها — هو المايسترو الذى يقود الفيلم . وقد حدثت نقطة التحول الثانية فى حياة صلاح ابو سيف عندما التقى **بكمال سليم** ، وبالذات خلال اخراجه اعظم افلامه « **العزيمة** » وظهرت فى ستوديو مصر اثناء اخراج هذا الفيلم « معركة فكرية » على حد تعبير سعد توفيق ، فقد اثارت جماعة الالمان الفاشست التى كانت تعمل آنذاك فى الاستوديو حربا ضارية ضد الفيلم . وفى مناخ هذه المعركة التى لم يحلل الناقد ابعادها وان سجل مظاهرها ، عمل صلاح ابو سيف مساعدا لكمال سليم فى الاخراج . وهنا يقول سعد الدين توفيق « ومن الغريب اننا نلاحظ انه على الرغم من ان العاملين فى فيلم العزيمة كانوا اشتراكيين ، او كانوا يتهمون بأنهم اشتراكيون ، الا ان الفيلم لم يكن محققا للنظرة الاشتراكية ، فقد جاء حل مشكلة بطل الفيلم الشاب المكافح على يدى باشا ارستقراطى غنى !! » ، هذه الفكرة اللامعة كانت جديرة من المؤلف بتفصيل اكبر يتصل بالمناخ الفكرى والاجتماعى الذى ظهر فيه الفيلم ، لان هذا المناخ هو الذى تربى صلاح ابو سيف فى ظلاله ، وقد ترك على مستقبله الفنى اعمق الاثار . فالوجه الاخر للعزيمة قد اشار اليه الناقد العالمى **جورج سادول** بقوله ان العزيمة « **يدخل فى نطاق مدرسة الواقعية الشاعرية الفرنسية، غير انه يتجاوب مع الواقعية الايطالية الجديدة من ناحية اهتمامه بمشكلة اجتماعية حادة هى البطالة ، ثم تصويره للبيئة الشعبية، واخيرا اضفاؤه جوا من التعاطف على شخصيات مصرية صميمة .. وفى رايى ان فيلم العزيمة يعد الان من كلاسيكيات السينما** » . ولعل هذا التحليل لجورج سادول يلتقى مع ماذكره سعد توفيق عن الفترة التى قضاها صلاح ابو سيف فى فرنسا .. فتلك هى العوامل التى صبغت اتجاهه الفنى فيما بعد : نشأته الشعبية ، ثقافته الفنية بالخارج ، معايشته لمرحلة خطيرة من مراحل التطور الاجتماعى المصرى ، حيساته بين مستويات السينما المصرية الناشئة بين احضان الحرب العالمية الثانية . كل ذلك اسهم فى خلق صلاح ابو سيف مخرجا .

ذلك ان الثمانية والعشرين فيلما التى اخرجها من « **دايما فى قلبى** » الى « **القضية ٦٨** » تحمل بصمات هذا العصر المتعدد الجوانب الذى عاش فيه . فلم يكن اسلوب صلاح فى هذه الافلام واحدا ، وانما نراه قد راح يجرب « كل نوع » كما يقول سعد توفيق ، من الانواع التى شاهدها على الشاشة الاجنبية او الشاشة المحلية . وفى مختلف هذه التجارب كان يخضع لاشياء ترفضها مثاليته ، ولكن السينما صناعة كما انها فن ، وهى تجارة كما انها رسالة . وبين هذه المتناقضات الصخرية شق صلاح طريقه بعنف واصرار . ربما افلت منه هذا الفيلم او ذاك ، ولكن خطه العام الذى كونه بالمعاناة والمثابرة هو الذى تشكل فى افلامه الرئيسية التى اختار منها الناقد ستة افلام هى « الاسطى حسن ، ريا وسكينة ، الوحش ، شباب امراة ، الفتوة ، القاهرة ٣٠ ، القضية ٦٨ » ويعالج سعد الدين توفيق هذه الافلام الستة علاجا تفصيليا فيخصص لكل منها فصلا مستقلا ، وهذا هو الجانب الاخر من منهج المؤلف فى تأليف كتابه، فبعد السيرة الذاتية لصلاح ابو سيف ، يبدأ رحلته الطويلة معنا برفقة هذه المجموعة من الافلام التى يرى فيها « علامات

طريق » الى عالم صلاح ابو ستيف ، فكرا وتكنيكا ، فنا واسلوبا .»

وبالرغم من الاهمية الكبيرة لهذا الكتاب ،بل لاهميته هذه في نفس الوقت ، لم يكن لهذا المنهج الذى اتبعه سعد الدين توفيق في تاليفه ان يحقق له النجاح المطلوب . ذلك انه قد حاصر موضوعه ــ وهو فن صلاح ابوسيف ــ فىدائرة ضيقة للغاية هي ترجمة حياته من ناحية وتقييم ستة من افلامه ، كل على حدة ، تقييما مفصلا . فترجمة الحياة الشخصية بمعزل عن الظروف « العامة » التى كانتتمر بها مصر حينذاك ،يجعل من صلاح ابو سيف « شذوذا » اجتماعيا بالغ الاستثناء ، ويجعل من هذا الشذوذ دافعه الى العمل السينمائى . والحق ان مصادفات الحياة كثيرة ، ولكن وعاء الحياة الاشمل يسهم في صياغة هذه المصادفات مساهمة فعالة ولا يجعل منها انموذجا لا يتكرر . ولا شك مثلا ان اعمال احمد كامل مرسى وكمال سليم ويوسف شاهين وتوفيق صالح تشكل فى مجموعها « تيارا » واقعيا فى السينما المصرية ، وهو التيار الذى « ينتمى » اليه صلاح ابو سيف ، هو انتماء رائد حقا ، ولكنه انتماء الى حركة أوسع من الفرد فى النهاية . ولابد لظهور هذا التيار الجماعي من عناصر موضوعية في باطن المجتمع قد ادت اليه ، ولا يمكن أن يقتصر هذا الظهور على العناصر الذاتية وحدها . ولقد كاناكتشاف العنصر الموضوعى كفيلا بان « يبرر » ظهور صلاح ابو سيف ويؤكده كتعبير ملح عن حاجة اجتماعية . وكان كفيلا كذلك بان « يفسر » ضآلة حجم التيار الواقعى وضعفه الى جانب التيارات التجارية الرخيصة التي غلبت على صناعة السينما في مصر . لقد خرجت احدى المجلات الاسبوعية ذات صباح على قرائها منذ حوالى عشرين عاما باعلان يقول « مطلوب سيناريو محبوك المواقف والمفاجآت لفيلممصرى موضوعه فتاة مصرية تبدا حياتها ثروية فقيرة ثم تتبدلمعها الظروف والاحوال فتجد نفسها وقد أصبحتفتاة راقية جدا ــ مودرن ــ على ان يكون الفيلم غنائى تمثيلى . والمخابرة مع ادارة منتخباتبهنا فيلم بالسكة الجديدة بمصر » . فى هذا الطريق سار الكثيرون ممن اسهموا فى فن تفصيل الروايات وفقا للمقاسات التجارية واملاء راس المال وحاجة السوق . وفى هذا الطريق لم يسر صلاح ابو سيف وزملاؤه من رواد الطريقالاخر، الواقعى ، وهو الطريق الصعب المليء بالاشواك والصخور . وحول هذه القضية الهامة لميتوقف مؤلفه كتاب «فنان الشعب» حتىنستنيربالصعاب المريرة التى واجهها الجيل الرائد فى موازاة المناخ العامللحياةالاجتماعية والاقتصاديةالمصرية ابان الاربعينات . وهى الحياة التى دفعت مخرجا آخر ــ كأحمد بدرخان ــ انيؤلف كتاباعن السينما وقتذاك يقول فيه بالحرف « يجب ان تتخلل الفيلم مناظر فخمة واماكن شيقة طريفة كالمصيف وسباق الخيل ومخازنالازياء والنوادى الرياضية ونوادى القمار ، لانالمشاهدالخلابة هى من مستلزمات الفيلم التجارى الناجح .. ان القصة التى تدور فى اوساط بسيطة كاوساط العمال والفلاحين يكون نجاحها محدودا » .. ليس هذا تفكيرا سينمائيا محضا ، وانما هو تفكير اجتماعى ايضا وبنفس المقدار ، ولقد كان هو التفكير السائد على مخرجين كبار مثل محمد كريم وبدرخان ويوسف وهبىوعمر جميعى وانور وجدى وغيرهم .. بل هو التفكير السائد على طبقات اجتماعية إستفادت من ان يكون الفيلم المصرى على هذا النحو « المريح » .

واذا كان سعد الدين توفيق قد اغفل المناخ الاجتماعى العام الذى اثمر فن صلاح ابو سيف كمخرج واقعى ، فقد اغفل كذلك هذا المناخ السينمائى البشع الذى خاض صلاح وزملاؤه صراعا قاسيا وبطوليا ضد قيمه الفكرية والتكنيكية . فبالرغم من التحليل الدقيقوالعميق معا ، الذى قام به المؤلف لستة من افلام صلاح أبو سيف ، الا أنه لم يربط بين هذه الافلام بخيط واحد هو الرؤية السينمائية العامة التى تحكمت فى اخراج صلاح ابو سيف . هذه الرؤية التى ثارت على العقدة الكلاسيكية فى الفيلمالمصرى، والصدفة التي تقترب من حدود المعجزة والنهاية السعيدة القادمة من وراء الغيب .. هذا البناء الشامل للفيلم المصرى ، هو البناء الذى شارك صلاح فى تحطيمه واسقاطه .ذلك ان«الاساس» الفكرى لذلك البناء كان القدر اى غياب ارادة الانسان . فاسهم صلاح ــ فكريا ــ باحلالهذه الارادة الىجانببقية العناصر الاخرى الخالقةللحياة الانسانية . ومن ثم فقد تغير البناء الفنى للفيلم المصرى علىضوء هذه الرؤية «الواقعية» للحياة. ولم تعد البطلات والابطال « دمى » جاهزة يمثل بعضها الخير المطلق والبعض الاخر الشرالمطلق، لم يعد الفيلم بحاجة الى « تفصيل » الرواية على احجام الممثلين . وتلك هي الثورة الحقيقية التى قام بها صلاح ابو سيف وزملاؤه .

ولكن صلاح ابو سيف وحده يتميز فىتاريخنا السينمائى ، وبين ابناء الجيل الواقعى ، بانه كان اكثر اصرارا ومثابرة على تبنى الاتجاه وتدعيمه وتطويره . وهذا فى تصورى اكبر المبررات التي تدعو اى ناقد موضوعى ــ كسعد الدين توفيق ــ لتاليف كتاب عن صلاح ابوسيف، وليس لانه نال عددا كبيرا من الجوائز .

وثائق



جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

تواصل الطليعة ، في هذا العدد ، نشر الوثائق السياسية التي نشرتها « جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية » ، ويشترك فيها لفيف من كبار الكتاب والمفكرين الفرنسيين . وهى جماعة وضعت كهدف لها البحث عن الحقيقة التي تاهت فى أوربا بسبب تداخل وتضارب لاحد له للدعايات .

وارضية هؤلاء المفكرين والكتاب تختلف بالحتم عن ارضيتنا . وهى محكومة فى نهاية الامر بالموقع الذى ينطلقون منه ، وبنظرة أوربية . الا انه جهد تميز بالجدية والحذر من الانحراف وراء موجة الدعاية الصهيونية التى اجتاحت أوربا .

وبرغم اختلاف وجهة نظرنا مع وجهة نظر هؤلاء المفكرين بشأن ماعرضوا له حول بعض الافكار من هذه القضية ، الا اننا نعتقد باهمية عرض القضية كما يراها هؤلاء المفكرون ، وحتى تتفتح فرص جادة

لاقامة حوار مثمر يرمى الى الاقتراب من الراى العام العالمى ؟ وازاحة الحوافز التى طالما نجحت عن تناول المشكلة بالصورة التى قد تجد أصداءها عند العرب ، ولكن دون استكشاف لتقديرات الغير وربما كانت هذه الوسيلة ، هى الكفيلة بافساد مخططات العدو فى الحفاظ على هالة من التأييد لدى من هو ليس محكوما بآراء مسبقة يغذيها على الدوام بايجابية فى الحركة والمتابعة والملاحقة •

■ ■ ■

تأملات فى إمكانيات تسوية القضية الإسرائيلية العربية

ايف لاكوست

تكونت « **جماعة البحث والعمل من أجل تسوية النزاع** الفلسطينى » فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ • ولا شك أننا نستطيع أن نعتبر أن نتائج نشاطها كانت ايجابية الى حد كبير ، ففى الوقت الذى انساق فيه جزء كبير من الرأى العام وراء ردود فعل تبدو عاطفية فى الظاهر ، وتؤدى بوضوح الى موقف عنصرى معاد للعرب ، تغذيه أحقاد ورواسب حرب الجزائر ، دعت الشخصيات التى أسست هذه الجماعة الى الحكمة والتعقل ، ولم تذهب كلماتها سدى ، فقد أثارت بالفعل الكثير من ردود الفعل المؤيدة لها •

على أنه يحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت النوايا الطيبة من جانب عدد كبير من أعضاء « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية النزاع الفلسطينى » لا تستند الى أوهام • فالنداء الذى انبثقت منه هذه الجماعة (والذى نشرته جريدة « الموند » فى ٨ يوليو) كان عنوانه « من أجل حل للقضية من أساسها » ، كما أن التقرير الذى قدمه مكسيم رودنسون ، ووافقت عليه الجمعية العمومية بالاجماع فى ١٨ يونيو ، يؤكد ضرورة البحث عن أسس حل دائم لا على أساس تسوية مؤقتة مثل التسويات السابقة • يقول التقرير ، « يجب أن تبذل أكبر الجهود من أجل التوصل الى حل سلمى لهذا النزاع الاليم والخطير ، على أن يضمن التعايش والمساواة بين الجماعتين •• ولما كان هذا التعايش لا يمكن أن يدوم اذا فرض أحد الشعبين ارادته على الاخر بالقهر ، فانه يتعين البحث عن التدابير والتعويضات والاستحداثات للوضع السابق على الازمة الحالية التى تسمح بالحصول على موافقة الطرفين على **تسوية شاملة ونهائية** » • وبوسعنا الاشارة الى كثرة من الفقرات التى توضح أن عددا كبيرا من أعضاء جماعة البحث والعمل من أجل تسوية النزاع الفلسطينى يرون أن هناك امكانية للتوصل الى حل نهائى يتحقق فى مدى قصير نسبيا عن طريق مفاوضات ، أساسها التنازلات من جانب الطرفين •

ومع أننا لا نشكك اطلاقا فى صدق هذه النوايا الطيبة الا أنه يتعين علينا أن نثير سؤالا اعتقد أنه أساسى : هل يمكن التوصل الى حل شامل ونهائى للقضية الاسرائيلية العربية **فى مدى قصير نسبيا** ، والامور على وضعها الراهن ؟

لقد مضت ستة شهور على « انتهاء » الحرب الاسرائيلية العربية الثالثة ، ومع ذلك هل هناك تسوية شاملة ونهائية متوقعة ؟ لا . لم يكف تبادل اطلاق النار على طول قنال السويس وعلى طول نهر الاردن ، كما تتزايد هجمات الفدائيين الفلسطينيين فى الاراضى التى احتلها الجيش الاسرائيلى • لقد دخل هذا الجيش فى دائرة القمع المفرغة ، وهو مهيأ لان يتصور أن نزاعا رابعا قد يحل مشاكله الداخلية . وبالرغم من « التعايش السلمى » بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، فان منظمة الامم المتحدة ، أو أى سلطة أخرى عاجزة عن اقتراح حل يؤدى الى تسوية نهائية وشاملة ، وقد تلقى المهادنة المؤقتة الموافقة بسبب الملل أو لاعتبارات تكتيكية ، ولكن الاعتقاد بأن امكانية التوصل الى تسوية نهائية ضرب من الخيال •

والواقع أن تسوية القضية الفلسطينية اصبحت معقدة **للغاية** ، فقد أثارت الهجرة اليهودية قبل الحرب العالمية

الاولى وفى السنوات التى تلتها ، مشاكل كان من الممكن ايجادحل دائم لها • ولكن السياسة البريطانية زادت من خطورة المشكلة بتأجيج النزاع بين اليهود والعرب لتبرير وجودها • وأصبح التوصل الى حل ودى بعد تشريد مئات الالاف من اللاجئين العرب بعد الحرب الاولى بين العرب واسرائيل ، ضربا من الوهم • واشتركت اسرائيل بمحض ارادتها فى الحملة الفرنسية ـ الانجليزية على السويس عام ١٩٥٦ ، تلك الحملة التى تصور الفرنسيون أنها وسيلة لاخماد منبع الثورة الجزائرية • غير أن هذه الحملة زادت من تضامن الشعوب العربية ضد اسرائيل التى تحولت بهذه المناسبة الى تابع للاستعمار • ومن ناحية أخرى فان الهجوم الاسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ واحتلال سيناء والضفة الغربية وتزايد عدد اللاجئين ، كلها عوامل تجعل التوصل الى حل نهائى وشامل أمرا مستحيلا الى مدى طويل •

أما فى المدى القصير ، فلا يوجد الا حل جذرى يتطلع اليه بعض العسكريين العرب الذين يرون أن الهزيمة الاخيرة لم تكن الا نتيجة للخيانات • ويتمثل هذا الحل فى استئناف الحرب وتصفيه اسرائيل • واذا تغاضينا هنا عن أى اعتبارات أخلاقية ، فان هذا الحل خيالى أيضا ، فهزيمة العرب فى يونيو ليست أمرا طارئا فقط • وفى ظل الظروف الراهنة ، فان الهزائم الاسرائيلية ستؤدى ، على الارجح ، الى تدخل القوى الغربية • وهذا التدخل قد يترتب عليه مواجهة مباشرة بين أكبر دولتين فى العالم •

ان الحل الوحيد للنزاع المعقد القائم بين الاسرائيليين والعرب لا يمكن أن يتم الا من خلال تطور داخلى طويل المدى . فالواقع أن أسباب المواجهة ترجع جزئيا الى عوامل داخلية ، ولا تتوقف فقط على وجود العدو • ومن جهة أخرى فان المصالح الداخلية هى التىقد تدعو العربوالاسرائيليين الى البحث عن تسوية نهائية بالتعايش

لا شك أن البلاد العربية لديها من الاسباب الموضوعية ما يبرر عداءها لاسرائيل ورفضها الاعتراف بهذه الدولة ، لانه يعتبر اعترافا بالامر الواقع • ولكن هناكأوساطا عربية لها كل المصلحة فى جعل الصراع ضد اسرائيل فى المرتبة الاولى قبل أى تغيير فى النظم الاجتماعية والسياسية ولفرض وحدة العرب المقدسة ضد اليهود ، مما يسمح للاقليات العربية بالبقاء فى الحكم . ومن مصلحة هذه الاقليات ان يتخذ الصراع ضد اسرائيل طابعا آخر ، فبقدر ما تشيد هذه الاقليات بالوحدة العنصرية العربية ضد اسرائيل ، بقدر مايتقهقر الصراع الطبقى بين العرب المستغلين والعرب المستغلين • وبقدر ما تستخدم الدعاية العربية الحجج العنصرية ضد اسرائيل ، بقدر ما تتقلص التناقضات الداخلية فى اسرائيل أمام الوحدة المقدسة الضرورية للدفاع عن الدولة •

وقد تتخذ المعارضة العربية لاسرائيل طابعا رجعيا ، أو تقدميا • ويدل التأييد الجزئى الذى تمنحه بعض النظم العربية منذ وقت قريب للنظم المتجهة نحو الاشتراكية على أن أى دولة عربية ، أيا كانت ميولها ، لاتستطيع أن تمتنع عن مساندة الكفاح ضد اسرائيل نتيجة للعداء الشعبى الذى يتزايد ادراكه لاهمية التضامن ووعيه بالاضرار التى لحقت بالفلسطينيين .. على ان بعض العرب يحاولون املاء الطابع العنصرى على النشاط الموجه ضد اسرائيل لكى يطمسوا الخلافات الجذرية بين مصالح الاقليات ومصالح الشعوب العربية . والواقع ان الاقطاعيين العرب يجنون بعض الفوائد من النزاع الاسرائيلى العربى ، فاسرائيل هى الحجة التى يتذرعون بها لتبرير المصاعب الداخلية ، ولتدعيم القوات المسلحة التى لن تحارب اسرائيل ، بل ستستخدم فى مساندة النظام الاقطاعى • وأخيرا فالعنصرية من الوسائل التقليدية التى تلجأ اليها الاقليات المالكة لعرقلةالصراع الطبقى. غير أن تصفية التجمعات«الاقطاعية» أو العسكرية العربية لن تتمكن فى حد ذاتها من ايجاد تسوية للقضية الفلسطينية ، وان كانت تستطيع أن تضمن تفوق الاشكال التقدمية للكفاح العربى على أشكاله الرجعية ، وأن تقضى على الشعارات العنصرية لتحل محلها برامج عمل تأخذ فى اعتبارها المصالح الشعبية العربية واليهودية على حد سواء •

وفيما يختص باسرائيل ، يتضح لنا أكثر فأكثر كل يوم أن هناك دوائر لها كل المصلحة فى استمرار النزاع مع البلاد العربية • ومع أن الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، لم تكن تاريخيا ، ظاهرة استعمارية بقدر ما كانت نتاج أعمال الاضطهاد الفظيعة التى راح اليهود ضحية لها فى أوربا ، ومع أن النظم الجماعية لعبت دورا هاما خلال عدة عشرات من السنين ، الا انها لم تعد تكفى اليوم لطمس خطورة التناقضات الداخلية التى تميل الى النمو فى اسرائيل • ولا شك أن بعض الذين عملوا على اقامة دولةاسرائيل كانت تحركهم مثل عليا تميل الى المساواة والاشتراكية ، ولا شك أن أهداف المهاجر اليهودى كانت مختلفة عن أهداف الاستعمار ، ولكن التوترات الداخلية التى تعيشها اسرائيل اليوم هىنفس التوترات التى تعرفها الدول الرأسمالية • وقد أبرز بشكل خاص دور كل من قطاع الدولة والقطاع التعاونى فى اسرائيل ، ومع ذلك فان أكثر من ثلاثة أرباع الدخل القومى

الاسرائيلي يتبع القطاع الرأسمالي الفردى الذى تسيطر عليه مصالح الشركات الامريكيه الى حد كبير • ولا شك ايضا ان أسباب الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة معقدة ، فقد ارتبط التوتر الناتج عن سحب « ذو الخوذات الزرقاء » الذين كانوا يرابطون منذ عشر سنوات على شاطئى خليج العقبة ، بالتوتر الناتج عن المواجهة القائمة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وعن حرب فيتنام . على اننا يجب أن نضع فى اعتبارنا عاملا هاما للغاية ، وهو خطورة الضائقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تعانى منها اسرائيل منذ شهور عدة ، ففى بداية عام ١٩٦٧ بلغ عدد العاطلين ١٠٠ الف ، اى نسبة كبيرة من القوى القادرة على العمل (حوالى ١٠٪) كما انتشر الكساد بشكل واسع فى عدد من فروع الاقتصاد . ويتضح أكثر فأكثر ان المجتمع الاسرائيلى لم يعد مجتمع مساواة على الاطلاق (هذا اذا افترضنا انه كان من قبل مجتمع مساواة) ، فقد فرض التسلسل الهرمى نفسه ،وفى قمته المهاجرون المنتمون اصلا الى أوربا الوسطى والشرقية ،وفى قاعدته المهاجرون الوافدون من أفريقيا الشمالية والشرق الاوسط .ويواجه هؤلاء منذ سنوات مصاعب متزايدة فى الاندماج ،ولا يحصلون بالفعل الا على نصيب ضئيل من المكاسب الناتجة عن التطور الصناعى الذى يدفعه التطعيم برؤوس الاموال الاجنبية ، وفى مقدمتها رءوس الاموال الامريكية ،وتتخلى النظم الجماعية تدريجيا عن مواقعها ، ليحتلها رأس المال الخاص .

والصراع واضح بين المثل الاعلى للمساواة من جانب الجماهير ، وبين السعى الى تحقيق أرباح متزايدة من جانب الاقلية الرسمالية . ولا يقل عن هذا النزاع ، ذلك الخلاف القائم بين التطلعات الحديثة من جانب جزء كبير من السكان وعناد الاحزاب الدينية ، والخلاف القائم بين الاتجاهات الديمقراطية وتسلط هيئة أركان الحرب • وترجع الضائقة الاقتصادية جزئيا الى صغر رقعة البلاد وضآلة السوق الداخلى الذى ينحصر افراده فى ٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ٢ نسمة ويتزايد عدم المساواة بينهم فى توزيع الارباح • وقد زاد هذا الوضع من تفاقم التوتر الداخلى ، فقد انفجرت على سبيل المثال فى ١٦ مارس ١٩٦٧ حوادث شغب خطيرة فى تل ابيب (مظاهرات العاطلين) ، وفى القدس (اصطدامات بين الاحزاب الدينية) . وقد ووجه دخول الجنرال موشى ديان فى الوزارة ــ وهو الرجل الذى يخشى البعض عن حق أطماعه الشخصية ــ بمعارضة دامت عدة اسابيع ، من جانب عدد كبير من رجال السياسة الاسرائيليين .

وفى مثل هذه الظروف ، ودون أن نقلل من شأن العوامل الخارجية ، فان قيام اسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بشن حرب اسرائيلية عربية ثالثة فى وقت كانت المفاوضة فيه لاتزال ممكنة (كان نائب رئيس الوزراء المصرى يستعد للسفر الى الولايات المتحدة ، وكان السوفيت ينصحون بضبط النفس) كان من وجهة نظر بعض الدوائر الاسرائيلية وسيلة فعالة للتخفيف من حدة التناقضات الداخلية وللحفاظ على مراكزها • وكانت « الوحدة المقدسة » من أجل الدفاع عن اسرائيل « المهددة بالابادة » وسيلة للحد من الخلافات داخل مجتمع يتميز بتزايد جوانب عدم المساواة فيه (وقد ساعدت الشعارات العنصرية التى اطلقها بعض العرب هذه الدوائر الاسرائيلية سواء على النطاق الداخلى أو العالمى) • وقد سمحت كل من الحرب والابقاء على حالة التوتر على الحدود ، وأعمال المراقبة والقمع لمواجهة نشاط المقاومة العربية ، سمحت بتصاعد التعصب القوى المنتشر أصلا ، وبزيادة نفوذ السلطة العسكرية • واستفادت الاحزاب الدينية هى أيضا من هذا الانتصار لتقوم بدور متزايد الاهمية • وفى مقابل ذلك لم تتحسن الاحوال الاقتصادية ، بل أصبحت النفقات العسكرية مرهقة • أما رجال المال الستون (واغلبهم امريكيون) الذين اجتمعوا من أجل استثمار مزيد من رءوس الاموال فى اسرائيل (١٠ أغسطس ١٩٦٧) فمن المرجح ألا يكون تأثيرهم فى صالح القطاع التعاونى او فى صالح قطاع الدولة • واذا كان اغلاق قناة السويس يسمح بانشاء خط أنابيب بترول ذو قطر كبير بين البحرين الاحمر والابيض ، فان الارباح الناتجة عن نقل البترول من بحر الى آخر لن تفيد المواطنين الاسرائيليين الا بقدر ضئيل • وينطبق نفس الامر على الارباح الناتجة عن مصانع الاسلحة التى ستقام فى القريب العاجل (مصنع للطائرات سيتم شراؤه من الولايات المتحدة بمبلغ يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ مليون دولار) • وهكذا يتحول الاقتصاد الاسرائيلى الى اقتصاد حرب تتجه استثماراته شيئا فشيئا نحو الصناعات الحربية •

ويفيد هذا التطور الاقلية الى حد كبير ولكنه يضر الشعب الاسرائيلى تماما ، فهو لا يؤدى الى عرقلة النمو الاقتصادى والاجتماعى فقط ، بل ويتجه نحو طريق محفوف بمخاطر شديدة ان لم يؤد الى الكارثة • فالتفوق العسكرى الذى تتمتع به اسرائيل الان معرض للزوال • ومن الواضح أن العداوة بين مختلف الاتجاهات العربية ــ التى لعبت دورا هاما فى الهزيمة ــ ستخف حدتها مع تصفية الاقليات المحظوظة التى تطالب بتغيرات جذرية فى النظم القائمة ، ولو من أجل الانتصار على اسرائيل

فقط . ومن المؤكد أن الجيوش العربية ستتعلم كيف تستخدم بشكل سليم الاسلحة الحديثة التى تصل اليها ، وأن اسرائيل لن تتمتع دائما بميزة المفاجأة . واذا كانت البلاد العربية قد انهزمت فى ثلاث حروب ، فان اسرائيل لاتستطيع أن تسمح لنفسها بأن تنهزم فى حرب واحدة بسبب ضآلة مساحتها والا حلت بها كوارث أكبر من الخسائر التى منى بها العرب ويستحيل علاجها . ولا شك أن اسرائيل تستطيع أن تعتمد فى الوقت الراهن على التدخل العسكرى الغربى ، اذا مادارت الدائرة عليها ، ولكن هل هذا التأييد ظاهرة دائمة ؟

تستطيع الدول العربية أن تلجأ فى وقت قريب الى وسيلة ضغط كبيرة الا وهى امتلاك أكبر احتياطى للبترول فى العالم يسمح بالحصول على أرباح طائلة بسبب انتاجية آبارها . ولا شك أن التناقضات الحالية بين الدول العربية ، الناتجة عن اختلاف النظم السياسية والاجتماعية ، تتيح لشركات البترول الغربية امكانية الحفاظ على أهم امتيازاتها ، وامكانية تهديد الدول العربية الممتنعة عن تقديم البترول لحلفاء اسرائيل ، بمقاطعتها تماما كما حدث مع ايران . على أن هذه التناقضات لن تدوم طويلا كما انها لن تكون حاسمة بسبب قوة الحركة الشعبية المعادية لاسرائيل . وعلى عكس ما يمكن أن نتصور ، فان الانتصارات الاسرائيلية تساعد على تحقيق الوحدة العربية .

ولم يقدم ملوك العربية السعودية وليبيا عن طيب خاطر مساعدات كبيرة للنظم المتجهة نحو الاشتراكية والمعادية لهم ، بل قدموها تحت ضغط الرأى العام العربى الذى تدفعه الانتصارات الاسرائيلية الى فرض التغيرات السياسية . فما وما موقف شركات البترول الامريكية الكبرى ذات النفوذ الواسع على الحكومة الامريكية عندما ستتحقق الوحدة العربية على مستوى الحكومات على الاقل ؟ سيتعين على هذه الشركات أن تختار بين سياسة الحماية العسكرية لاسرائيل وفقدها امتيازاتها ، وبين الحفاظ على العلاقات الاقتصادية مع مجموع الدول العربية ، مما قد يؤدى الى الحد من مساندة الولايات المتحدة لاسرائيل .

يبدو وضع اسرائيل فى غاية الخطورة اذا نظرنا اليه على المدى الطويل نسبيا . فالانتصار الاخير الذى حققته زاد من تعقد المشكلة ، وجعل ايجاد حل نهائى فى المدى القريب مستحيلا ، كما قوى من اصرار الدول العربية على زيادة التعاون فيما بينها . فكل انتصار جديد لاسرائيل يسوقها اكثر فأكثر نحو الكارثة.

ولكن ، من الذى سيدفع ثمن الكارثة ؟ لا شك ان الاقلية صاحبة المصالح الاساسية فى التطورات الحالية لن تضار من ذلك بقدر ما سيضار أساسا الشعب الذى بدأ يشعر بالقلق منذ الان من الاوضاع الراهنة . فمصالح الاغلبية الساحقة من السكان اليهود ، تختلف جذريا فى المدى الطويل مع مصالح بعض الجماعات التى توصلت الى قمة الحكم فى اسرائيل ، والى قمة الاقتصاد نتيجة للتطور التاريخى . ولا شك أن الجماهير تساند الان السياسة التى انتصرت فى الوقت الحالى ، خاصة وأنه لا يمكن حل المشكلة الاسرائيلية العربية فى المدى القريب. وسيتدعم هذا التضامن مع الرقابة المفروضة على الاهالى العرب فى المناطق التى يحتلها الجيش الاسرائيلى ، ومع أعمال المقاومة العربية والتهديد الخارجى ، كما سيزيد من النزعة العنصرية الملموسة الان تماما . ولذا فان احتمالات التوصل الى حل نهائى للنزاع الاسرائيلى العربى معدومة لفترة من الزمن .

ولن يتأتى هذا الحل الا اذا تخلى السكان العرب من جهة عن الحجج المعادية لليهود وميزوا بين الشعب الاسرائيلى وبين قادته ، واذا اتضح من جهة أخرى لليهود ، ومنهم المقيمون فى اسرائيل بالاخص ، أن السياسة التى انتهجت طوال عشرات السنين تقودهم الى مخاطر شديدة ، واذا تخلوا عن الاقلية التى استفادت من هذه السياسة . فالشعب اليهودى ليس كتلة واحدة متماسكة ، شأنه فى ذلك شأن الشعوب العربية أو أى شعوب أخرى ، فمصالح البعض لا تتفق مع مصالح الاخرين . ولن تتحقق احتمالات ايجاد تسوية نهائية مع العرب الا بقدر ما سيتميز بشكل جذرى الممثلون الجدد للشعب اليهودى عن القادة الحاليين لدولتهم واذا كانت هناك امكانية حل للنزاع « من أساسه » اعتمادا على التعايش السلمى بين اليهود والعرب فى فلسطين ، فلن ينتج ذلك الا من خلال تطور داخلى طويل المدى للنظم الاجتماعية والسياسية لا فى البلاد العربية فقط ، ولكن فى اسرائيل بالاخص .

وفى مثل هذه الظروف ، ما هو الدور الذى يمكن ان تضطلع به « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » ؟ يبدو لى أنه من الضرورى أن نميز بوضوح بين النشاط القصير المدى الذى لا نحصل على نتيجته الا فى المدى الطويل . ففى المدى القصير ، بل المدى القصير جدا ، يجب أن ننبه الرأى العام الفرنسى والعالمى الى الخطورة الشديدة التى يمثلها استئناف القتال بين اسرائيل والبلدان العربية ، على الصعيد العالمى . وعلى سبيل المثال فان الهزيمة المستحيلة ، وان كانت ممكنة تكنيكيا ، ستؤدى الى أزمة

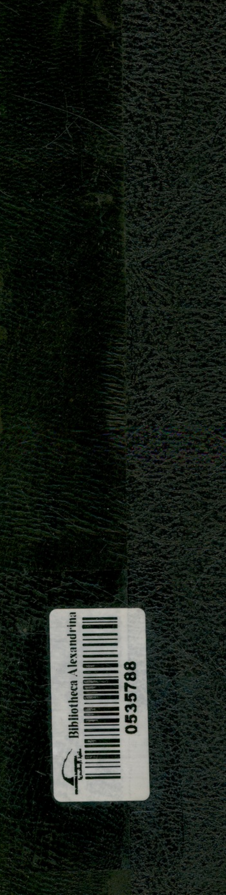
دولية خطيرة على اثر تدخل الامريكيين . ومن الضرورى أيضا أن نحصل فى المدى القصير على حل ولو مؤقت لتحسين ظروف المعيشة الفظيعة التى يعانيها مئات الالوف من اللاجئين العرب . ويجب أن نتوفر لدى الاجهزة الدولية وسائل متزايدة للحد بعض الشيء من هذا البؤس الشديد .

وقد يكون دور « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية النزاع الفلسطينى » أهم فى المدى الطويل . فعليه أن يبصر العرب ، وأن يبصر اليهود بالاخص ، بحقيقة القضية عن طريق شخصيات ذات سمعة دولية . ومن الضرورى فضح الاضرار الناجمة عن الشعارات العنصرية المباشرة ، أو المتوارية أيا كان مصدرها ، والا يتم هذا الفضح باسم الانسانية والعدالة فقط ، بل وبتقديم الحجج التى تؤكد الطابع السلبى العميق لهذه الشعارات .

يجب أن نتبين من المستفيد حقا من هذه الشعارات ؟ وعلى « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » أن تقوم بعدة دراسات تحليلية دقيقة توضح الاختلافات الاساسية القائمة بين مصالح الاقلية المتميزة فى اسرائيل ، وفى البلاد العربية وبين مصالح الجماهير اليهودية والعربية . ويجب أن نعترف بأننا على دراية أكثر بالتناقضات الداخلية فى الجانب العربى [ربما لانها أوضح] مما نحن على دراية بها فى الجانب الاسرائيلى ، فالايديولوجية الموالية للاشتراكية عند عدد من المهاجرين ، ونجاحات قطاع التعاون فى الزراعة تخفى الطبيعة الحقيقية للانظمة الاقتصادية والاجتماعية الحالية فى دولة اسرائيل ، وهى انظمة دولة رأسمالية ذات سوق محدودة تتزايد فيها الفروق . يجب على « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » أن تساعد السكان اليهود على ادراك الحقائق الموضوعية وعلى التفرقة بين مصالحهم الحقيقية الطويلة المدى وبين مصالح الجماعات التى تقودهم ، وهذا لصالحهم ولصالح السكان العرب ايضا .

نواصل نشر دراسة جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان


Bibliotheca Alexandrina
0535788